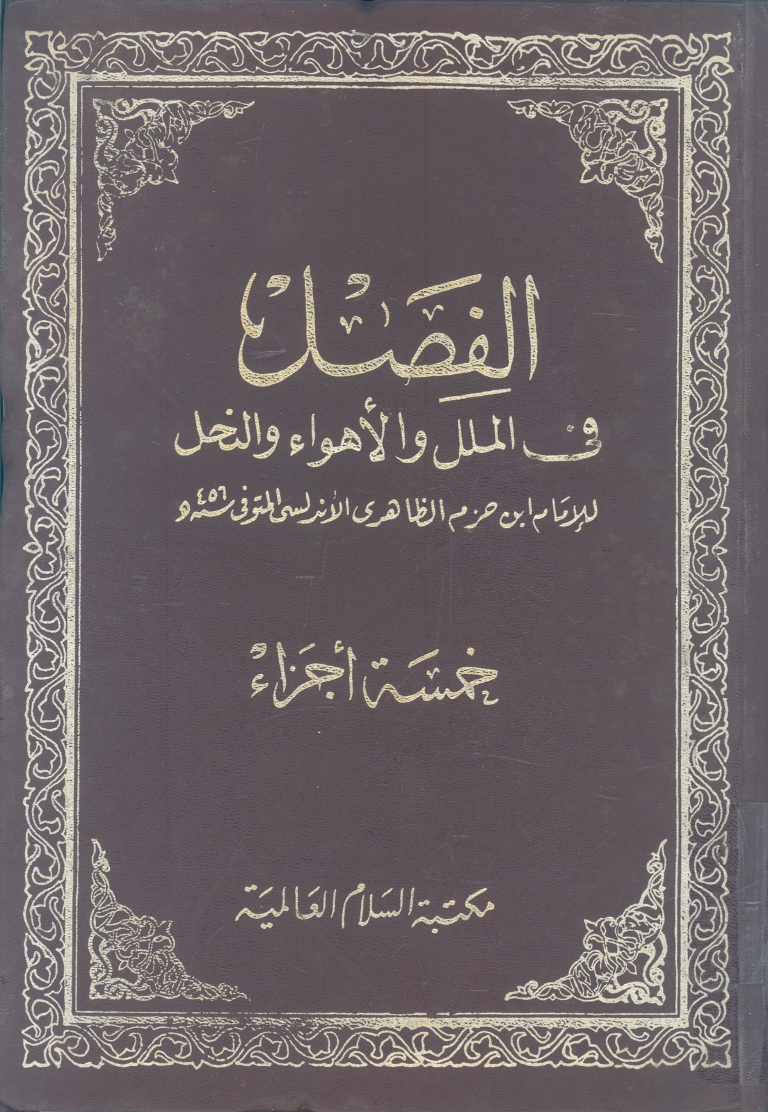

الفصل
في الملل والأهواء والنحل
للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ
خمسة أجزاء
مكتبة السلام العالمية

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

الجزء الأول

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكى ت :

ترجمة ابن حزم

نسبه ومحتده

هو الامام ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد مولى يزيد ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الاموي

كان والده أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابنه المظفر بعده ومن المدبرين لدولتيهما بالاندلس، وجده يزيد أول من أسلم من أجداده وأصله من فارس، وجده خلف أول من دخل الاندلس من آبائه، هذا :- وفي نسبته الى قريش بالولاء، وفي انتمائه في فارس بالنسب غرابة، فقد نقل ياقوت في معجم الادباء عن أبي مروان بن حيان : ان الوزير أحمد بن سعيد بن حزم قد عهده الناس خامل الابوة، مولد الارومه، وعرفوا في جده الادني أنه من سكان الاندلس الاصليين ببادية (لبله) من غرب الاندلس وأنه حديث عهد بالاسلام لم يتقدم لسلفه نباهة ولا ذكر. فالله أعلم كيف تخطي نسبهم رابية (لبله) مسكنهم بالاندلس فارتقي قلعة اصطخر من أرض فارس ؟ ثم تطاول فامتد الى الانتساب في قريش بولاء جده الاعلى يزيد لبني أميه، والمعروف أن أبا المترجم الوزير أحمد بن سعيد تمولى لبني أمية أولياء نعمته لا عن صحة ولاية لهم عليه، الا أن ما لا سبيل الى انكاره، أنه على الحقيقة هو الذى بنى بيت نفسه، ودعمه بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجوله والرأى فكان جرثومة سلف لمن نماهم أغنيتهم عن الرسوخ في أول السابقة . الي هنا موجز كلام أبي حيان:

مولده ونشأته

ولد بقرطبه فى الجانب الشرقى من الاندلس بعد صلاة الصبح من آخر يوم من رمضان سنة ٣٨٤ هجريه، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة الا شهراً . وأصل آبائه من قريه (متلجتم) بضم أوله وسكون ثانيه وكسر اللام وفتح الجيم وتاء مثناة ساكنة وميم من عمل (أونبه) بفتحات وسكون الواو على خليج البحر المحيط غربى الاندلس، ثم سكن هو وآباؤه قرطبه ونالوا فيها جاها عريضا، فكان كأبيه من الوزراء المدبرين لدولتين، ولى الوزارة لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر، وأقام فى الوزارة الى أن بلغت سنه ستا وعشرين سنة، وأخبر حاكيا عن نفسه :

انى بلغت هذه السن وأنا لا أعرف كيف أجبر صلاة من الصلوات، وأن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من اخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والحفل فيه فجلس ولم يركع، فقال له استاذه (مربيه) باشارة « أن قم فصل تحية المسجد » فلم يفهم، فقال له بعض الجالسين بجواره . « أبلغت هذه السن ولم تعلم أن تحية المسجد واجبه » قال فقمت وركعت وفهمت اذن اشارة الاستاذ الي بذلك، فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة وعدنا الى المسجد مشاركة للاحياء من أقرباء الميت، دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل لى : اجلس، اجلس، ليس هذا وقت صلاه . فانصرفت عن الميت وقد خزيت ولحقني ما هانت على به نفسي وقلت لاستاذي: دلنى على دار الشيخ الفقيه المشاور أبى عبد الله بن دحون . فدلني عليه فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى لى فيه وسألته الابتداء بقراءة العلم فدلنى على كتاب الموطأ لمالك بن أنس رضي الله عنه، فبدأت به قراءة عليه من اليوم التالى لذلك اليوم، ثم تتابعت قراءتى عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام و بدأت بالمناظرة

علمه وتصانيفه

لما بلغت سنه ستا وعشرين سنة نبذ طريق الوزارة ، وتفرغ للاستبحار فى العلوم والفنون، والاشتغال بالتأليف والناظرة والجدل ، والرد على مخالفيه فى المذهب والعقيده وعلى اليهود والنصارى وأصحاب الملل والآراء والنحل وأقبل من ذلك الحين على قراءة العلوم ، وتقييد الآثار والسنن ودراسة الفنون والآداب ، والتوسع فى علوم الشريعة وعلوم اللسان ، والتوفر على البلاغة والخطابة والشعر ومعرفة الانساب والسير والاخبار والطب والفلسفة وغير ذلك فعني أولا بعلم المنطق والف فيه كتابا سماه « التقريب لحدود المنطق » استعمل فيه مثلا فقهيه ، وجوامع شرعية ، وسلك في الاستدلال الفقهي طريقة لم يسلكها أحد قبله خالف فيها ارسطو واضع هذا الفن مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض فى كتبه ، وكان شيخه فى المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكنانى ، وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتي نال منها مالم ينله أحد قط بالاندلس قبله ، وصنف فيه مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد فى أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذى انتحله ، وطريقه الذى سلكه ، وهو مذهب داود بن على بن خلف الاصبهانى ومن قال بقوله من أهل الظاهر ، ونفاة القياس والتعليل . حتى قال ابنه الفضل المكنى ابا رافع : ان مبلغ تواليفه فى الفقه والاصول والحديث والمسندات والنحل والملل وسائر المصنفات فى التاريخ والادب والانساب والرد على المعارض مما اجتمع عنده لابيه نحوار بعمائة مجلد بخطه تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة قالوا . وهذا شيء لم يجتمع لاحد ممن كان فى دولة الاسلام قبله الا لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ولابى محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة ، وقسم صالح من قرض الشعر والخطابة والمناظرة والحوار ،ذكروا انه اجتمع يوما مع الفقيه ابي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد الباجى صاحب التصانيف وجرت بينهما مناظرة فلما انتهت . قال الفقيه ابو الوليد « تعذرنى ، فان كثر مطالعتي كانت على سرج الحراس » قال ابن حزم . « وتعذرنى ايضا ، فان اكثر مطالعتى كانت على منائر الذهب والفضة » يريد ان الغنى أمنع لطلب العلم من الفقر :

ومن تواليفه التى كانت عنده « كتاب الايصال . الي فهم الخصال . الجامعة لجمل شرائع الاسلام . فى الواجب والحلال والحرام » فى اربعة وعشرين مجلدا بخط يده وكانت فى غاية الادماج ، أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين رضي الله عنهم اجمعين فى مسائل الفقه ، والحجه لكل مذهب وعليه ،وله كتاب «الاحكام لاصول الاحكام » فى غاية التقصى وايراد الحجج ، ورأيت له « كتابه « المحلى بالاثار » من المخطوطات بالمكتبة الملكية فى أربعة مجلدات ضخام وخطه فى غاية الادماج على نمط نيل الاوطار يحتج فيه لاهل الظاهر ويرد فيه على الأئمة المجتهدين ، ومن مصنفاته كتاب فى الاجماع ومسائله على أبواب الفقه . وكتاب فى مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض وكتاب « الصادع والرادع » وكتاب فى شرح الموطا وكتاب « الجامع فى صحيح الحديث » باختصار الاسانيد . والاقتصار على أصحها . واجتلاب اكمل الفاظها . وأصح معانيها . وكتاب « التلخيص والتخليص » في المسائل النظرية وفروعها مما لانص عليه في الكتاب ولا الحديث . وكتاب « الامامة والسياسة » فى قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها وكتاب « أخلاق النفس » وكتاب « كشف الالتباس بين اصحاب الظاهر واصحاب القياس » . وكتاب فى الغريب والنوادر سماه « نقط العروس » وكتاب « تبديل اليهود

والنصارى للتوراة والانجيل . و بيان ما بايديهم من ذلك مما لا يحتمل التاويل » الى تواليف غيرها ورسائل فى معا ن شتى كثير عددها

ولعل كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » يعد من أنفس الكتب ، والزمها للعصر الحاضر . واجمعها للبحث المستقصي في الديانات والنبوات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليين ، والرد على منكرى الالوهية . ومعتنقى الاديان المخالفة لدين الاسلام . و بيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل . ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل . عنى فيه مؤلفه الامام العلامة ابو محمد بن حزم رضي الله عنه بالبحث والتمحيص . وايراد الادلة والحجاج العقليه والنقلية التى تثبت باجلى البراهين . وادمغ الحجج حقيه الشريعة المحمدية . ووضوح محجتها . وخلوصها من كل شوائب التغيير والفساد . ومتانة اصولها . وبعدها عن كل ماينافىالتوحيدوعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين . وعبث العابثين . وزيغ المضلين . و بحث فى كل ذلك بحثا دقيقا تحليليا منطبقا على اصول المنطق وقواعد الفلسفة . منتهية مقدمات دلائله و براهينه اليقينية والزاماته القوية الى الحس و بدايات العقول

كتبه مؤلفه — رضى الله عنه — في أزهي عصر من عصور الاسلام التى قوى فيها نفوذ المسلمين وسلطان عظمتهم التاريخية . وامتد رواق حضارتهم على بلدان العالم . واشرقت فيه شمس علومهم ومعارفهم على ربوع بغداد والاندلس وعامة بلاد المشرق . فنفذ منها بصيص من نور العقل . وشعاع الحكمة الى أوربا المظلمة فى ذلك العهد فابصرت بعد عمايه . واسترشدت بعد غواية . واستولت بعد حين على ذلك الميراث الاسلامى وتلك الكنوز الفنية بنفائس الجواهر الثمينة من العلوم والفنون والاداب . فصقلتها وحلت بها جيد حضارتها . وقبضت بسببها على صولجان العزة والقوة

وشاء القدر لسلف هذه الامة أن يبددوا تلك الثروة العلمية ، ولم يهتدوا الى فتح تلك الكنوز الثمينة ، ولم يحتفظوا بتلك التركة الضامنة للشرقيين غنى عقولهم ، وتغذية وجدانهم بالاخلاق الفاضلة والآراء والمعتقدات الصحيحة م وانسالهم وأعقابهم من بعدهم ، وعاكس الحظ الامم الاسلامية معاكسة أخرى فامتدت يد الاهمال والاغتيال والضياع والاحراق على ماأفلت من تلك الكنوز ووصل الى الخلف من نفائس الكتب ، فضاع من ذلك جله ووصل الينا قله :

ومن ذلك كتب الامام ابن حزم نفسه التى أضيع أكثرها ودفنت محاسنها بيد معاصريه الذين كادواله لسلاطة لسانه ، وصدعه بما عنده من الحق ، ومصارحتهم القول في غير تعريض ولا مواربة ، حتى قال فيه أبو العباس ابن العريف الاندلسى « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين » واستمر على وقوعه في الائمة ومجادلة مخالفيه فى الرأي ، ومقارعتهم الحجة ، على استرسال في طباعه واستناد على العهد الذى أخذه الله على العلماء من عباده (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) حتى أثار بذلك غيظ قلوبهم ، وغل صدورهم ، وأظهر كوامن حقدهم وحسدهم فتمالؤا على بغضه ورد أقواله ، وأجمعوا على تضليله ، وتنفير العامة منه ، وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا الطلبة عن الدنو منه والاخذ عنه وطفق الملوك يقصونه عن بلادهم ويشردونه عن ممالكهم الي ان استقربه المقام أخيراً فى قريته (منلتجم) وكانت ملكا له وهي على نصف فرسخ من (أونبه) الواقعة على فرضة من فرض

المحبط الاطلنطي فلم يثنه ذلك عن العلم والتحديث والدرس والمواظبة على التاليف والا كثار من التصنيف الى أن توصل أعداؤه الى أحراق بعض كتبه (باشبيليه) وتمزيقها علانية فلم يزده ذلك الا بصيرة فى اعادة نشرهاومضيا فى الطريق التى رسمها لنفسه الى أن مضى لسبيله ورحل الى جوار ربه :

أشعاره

وللامام أبي محمد رضي الله بديهة سريعة فى قرض الشعر وله أشعار ماثورة :

فمن شعره يصف ماأحرقه له ابن عباد من كتبه قوله :

ان تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذى ... تضمنه القرطاس بل هو في صدرى
يسير معي حيث ارتحلت وأن أقم ... أقام معى حتى أغيب فى قبرى
دعونى من أحراق كتب ودونكم ... حجاج فقيه كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا للمكاتب بدأة ... لادراك ماقدفاتكم أول الدهر
ولا تطلبوا من سائر الناس عورة ... فكم دون ماتبغون لله من ستر

وقوله يعرض بمذهبه :

وذى عذل فيمن سباني حسنه ... يطيل ملامي فى الهوى ويقول
أفى حسن وجه لاح لم تر غيره ... ولم تدر كيف الحسن أنت قتيل
فقلت له أسرفت في اللوم ظالما ... وعندى رد لو أردت طويل
ألم تر أنى ظاهرى وأننى ... على مابدا حتى يقوم دليل

وقوله يصف فجائع الدهر ويذكر المعاد

هل الدهر الا ماعرفنا وأدركنا ... فجائعه تبقي ولذاته تفنى
اذا أمكنت منه مسرة ساعة ... تولت كمر الطيف واستخلفت حزنا
الى تبعات في المعاد وموقف ... نود لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم وإثم وحسرة ... وفات الذى كنا نلذ به عنا
حنين لما ولى وشغل بما أتى ... وغم لما يرجى بعيشك لاتهنا
كان الذى كنا نسر بكونه ... اذا حققته النفس لفظ بلا معني

وقوله فى الاخوانيات :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى ... فروحي عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى ... له سأل المعاينة الكليم

وفي هذا المعنى أيضاً قوله

يقول أخي شجاك رحيل جسم ... وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له المعاين مطمئن ... لذا طلب المعاينة الخليل

وقوله فى الفراق بعد التلاق

أقمنا ساعة ثم ارتحلنا ... وهل يغنى المشوق وقوف ساعه
كأن الشمل لم يك ذا اجتماع ... اذا ماشتت البين اجتماعه

وله يذكر ما بعد الموت

كأنك بالزواربى قد تناذروا ... وقيل لهم أودى على بن أحمد
فيارب محزون هناك وضاحك ... وكم أدمع تذرى وخد مخدد
عفا الله عني يوم أرحل ظاعنا ... عن الاهل محمولا الى ضيق ملحد
واترك ماقد كنت مغتبطا به ... والفي الذى آنست منه بمرصد
فوارا حتى أن كان زادى مقدما ... ويانصبي ان كنت لم أتزود

وفاته

ثم توفي رحمه الله فيما ذكره صاعد بن احمد الجيانى في كتاب أخبار الحكماء فى سلخ شعبان سنة ٤٥٦ هجرية

ترجمة الشهر ستانى

هو ابن ابو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني بفتح فسكون ففتح الراء وسكون السين ولد بشهرستان فى آخر حدود خراسان بين نيسابور وخوارزم سنة ٤٧٩ هجرية ودخل بغداد سنة ٥١٠ وكان كثير المحفوظ واسع الاطلاع حسن المحاوره يعظ الناس وقد حاز عندهم قبولا كثيرا . يروى بالاسناد المتصل الى النظام البلخى العالم المشهور . وبرع فى الفقه وقرأ الكلام على ابي القاسم الانصارى وتفرد فيه

وصنف كتاب « نهاية الاقدام . فى علم الكلام » وكتاب « الملل والنحل » وكتاب « تلخيص الاقسام . لمذاهب الايام » وغيرها من الكتب :

وتوفى بشهرستان سنه ٥٤٨ هجرية رحمه الله رحمه واسعة :

الى هنا انتهى تلخيص ما عثرت عليه من ترجمة هذين الامامين الجليلين فى معجم الادباء لياقوت وفى وفيات الاعيان لابن خلكان وغيرهما . والله الموفق والمعين ؟

عبد الرحمن خليفه

تنبيه

زعم بعض من كتب على طبعة الخانجي لكتاب « الفصل فى الملل . والاهواء والنحل » ان الفصل بكسر ففتح جمع فصلة بفتح فسكون وهى الفسيلة من النخل المحولة من منبتها . وكتبت الطابع (الاكلشيه) ملاحظا فيه هذا الضبط . ثم قرأت فى معجم الادباء ما نصه : — « ولابى محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الاسلام مجالس محفوظة . واخبار مكتوبة . وله مصنفات فى ذلك معروفة . من أشهرها فى الجدل كتابه المسمى كتاب (الفصل بين أهل الاراء والنحل) الخ . فثارت عندى شبهة اضطررت معها الى البحث فى كتب اللغة التى تحت متناول يدى . ومنها لسان العرب والى مراجعة كتاب سيبويه وغيره من كتب الصرف فلم أجد ان فعله بفتح فسكون تجمع على فعل بكسر ففتح الاسماعا كبضعه وبضع وبدره وبدر وقالوا فى قصع ونظائره أنه مخفف عن قصاع وأن فعال هو الجمع القياسى لفعله وحاولت أن أعثر على فصل مسموعا بهذا الجمع فاخفقت . وأخيراً ظننت أن المفرد فصله بكسر فسكون وقياس الجمع فيه فعل كقطعة وقطع وكسرة وكسر يطرد فى كل ما فصل عن الشيء وبقى أصله فلم أعثر له كذلك على أثر

فاستقر الرأى على أنه بفتح الفاء وسكون الصاد مفرد وليس بجمع الا أن يظهر خلاف ما رأيت اه (المصححه)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قال الامام ابو محمد على بن احمد بن حزم (رضى الله عنه ﴾

الحمد لله كثيراً ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله خاتم انبيائه بكرة واصيلا ، وسلم تسليما ، (اما بعد) فان كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ومقالاتهم كتبا كثيرة جدا . فبعض أطال وأسهب وأكثر وهجر (١) واستعمل الاغاليط والشغب (٢) فكان ذلك شاغلا عن الفهم قاطعا دون العلم وبعض أحذف وقصر وقلل واختصر واضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات ، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضي لها بالغبن فى الابانة . وظالما لخصمه فى ان لم يوفه حق اعتراضه . وباخسا حق من قرأ كتابه اذ لم يغنه عن غيره . وكلهم ـ الا تحلة القسم ـ عقد كلامه تعقيدا يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم . وحلق على المعانى من بعد حتى صار ينسي آخر كلامه أوله . واكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم . فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فجمعنا كتابنا هذا مع استخارتنا الله عز وجل فى جمعه . وقصدنا به قصد ايراد البراهين المنتجة عن المقدمات الحسية أو الراجعة الى الحس من قرب أو من بعد على حسب قيام البراهين التى لا تخون أصلا مخرجها الى ما أخرجت له وألا يصح منه الا ما صححت البراهين المذكورة فقط . اذ ليس الحق الا ذلك . وبالغنا فى بيان اللفظ وترك التعقيد . راجين من الله تعالى على ذلك الاجر الجزيل وهو تعالى ولى من تولاه ومعطي من استعطاه لا اله الا هو وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فنقول وبالله التوفيق . رؤس الفرق المخالفة لدين الاسلام ست . ثم تتفرق كل فرقة من هذه الفرق الست على فرق . وساذكر جماهيرها ان شاء الله عز وجل ـ فالفرق الست التى ذكرناها على مراتبها فى البعد عنا . أولها مبطلو الحقائق وهم الذين يسميهم المتكلمون السوفسطائية . ثم القائلون باثبات الحقائق الا أنهم قالوا ان العالم لم يزل وانه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله حمد الشاكرين بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها حمداً كثيراً طيباً مباركا كما هو أهله وصلى الله على محمد المصطفى رسول الرحمة خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها الى يوم الدين كما صلى على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انه حميد مجيد (وبعد) فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل . وأهل الاهواء والنحل . والوقوف على مصادرها ومواردها . واقتناص أوانسها وشواردها . أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون . وانتحله المنتحلون . عبرة لمن استبصر . واستبصاراً لمن اعتبر . وقبل الخوض فيما هو الغرض لا بد من أن قدم خمس مقدمات (المقدمة الاولى) في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة (المقدمه الثانية) فى تعيين قانون يبتنى عليه تعديد الفرق الاسلامية (المقدمة الثالثة) في بيان أول شبهة وقعت فى الخليقة ومن مصدرها ومن مظهرها (المقدمة الرابعة) فى بيان أول

(١) هجر فى كلامه يهجر هجراً من باب نصر اذا خلط (٢) الشغب قال بسكون الغين وفتحها تهييج الشر

لاحدث له ولا مدبر ثم القائلون باثبات الحقائق وان العالم لم يزل وان له مدبراً لم يزل ، ثم القائلون باثبات الحقائق فبعضهم قال إن العالم لم يزل وبعضهم قال هو محدث واتفقوا على أن له مدبرين لم يزالوا وأنهم أكثر من واحد واختلفوا في عددهم ، ثم القائلين باثبات الحقائق وأن العالم محدث وأن له خالقاً واحداً لم يزل وأبطلوا النبوات كلها ، ثم القائلون باثبات الحقائق وأن العالم محدث وأن له خالقاً واحداً لم يزل وأثبتوا النبوات إلا أنها خالفوا في بعضها فأقروا ببعض الانبياء عليهم السلام وأنكروا بعضهم :

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وقد تحدث في خلال هذه الاقوال آراء هي منتجة من هذه الرؤوس مركبة منها ، فمنها ماقد قالت به طوائف من الناس مثل ماذهبت اليه فرق من الامم من القول بتناسخ الارواح أو القول بتواتر النبوات في كل وقت أو ان في كل نوع من أنواع الحيوان انبياء . ومثل ماقد ذهب اليه جماعة من القائلين به وناظرتهم عليه من القول بأن العالم محدث وأن له مدبراً لم يزل الا أن النفس والمكان المطلق وهو الخلاء والزمان المطلق لم يزل معه :

(قال أبو محمد) وهذا قول قد ناظرني عليه عبد الله بن خلف ابن مروان الانصاري وعبد الله بن محمد السلمي الكاتب ومحمد بن على بن أبي الحسين الاصبحي الطبيب وهو قول يؤثر عن محمد بن زكريا الرازي الطبيب ولنا عليه فيه كتاب مفرد في نقض كتابه في ذلك وهو المعروف بالعلم الالهي . ومثل ماذهب اليه قوم من أن الفلك لم يزل وانه غير الله تعالى وأنه هو المدبر للعالم الفاعل له اجلالا — بزعمهم — لله عن أن يوصف بأنه فعل شيئاً من الاشياء وقد كنى بعضهم عن ذلك بالعرش

(ومنها) مالا نعلم أن أحداً قال به الا انه مما لا يؤمن ان يقول به قائل من المخالفين عند تضييق الحجج عليهم فليجئون اليها ، فلا بد ان شاء الله تعالى من ذكر مايقتضيه مساق الكلام منها ، وذلك مثل القول بان العالم محدث ولا محدث له فلا بد بحول الله تعالى من اثبات الحدث بعد الكلام في اثبات الحدوث ، وبالله تعالى التوفيق والعون لااله الا هو

﴿ باب مختصر جامع في ماهية البراهين الجامعة الموصلة الي معرفة الحق في كل مااختلف فيه الناس وكيفية إقامتها ﴾

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذا باب قد أحكمناه في كتابنا الموسوم

شبهة وقعت في الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها (المقدمة الخامسة) في السبب الذى أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب

﴿ المقدمة الاولى ﴾

في بيان تقسيم أهل العالم جملة مرسلة . من الناس من قسم أهل العالم بحسب الاقاليم السبعة وأعطي أهل كل اقليم حظه من اختلاف الطبائع والانفس التى تدل عليها الالوان والالسن . ومنهم من قسمهم بحسب الاقطار الاربعة التى هي الشرق والغرب والجنوب والشمال و وفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع . ومنهم من قسمهم بحسب الامم فقال كبار الامم أربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمة وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والحقائق واستعمال الامور الروحانية والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم الى تقرير طبائع الاشياء والحكم باحكام الكيفيات والكميات واستعمال الامور الجسمانية . ومنهم من قسمهم بحسب الآراء والمذاهب وذلك غرضنا في تاليف هذا الكتاب

بالتقريب فى حدود الكلام ، وتقصيناه هنالك غاية التقصي والحمد لله رب العالمين ، إلا أننا نذكر هاهنا جملة كافية فيه لتكون مقدمة لما يأتى بعده مما اختلف الناس فيه يرجع اليها ان شاء الله تعالي فنقول وبالله التوفيق :

إن الانسان يخرج الى هذا العالم ونفسه قد ذهب ذكرها (١) جملة في قول من يقول إنها كانت قبل ذلك ذاكرة ، أولا ذكر لها البتة فى قول من يقول انها حدثت حينئذ أو أنها مزاج عرض ، الا انه قد حصل أنه لاذكر للطفل حين ولادته ولا تمييز الاما لسائر الحيوان من الحس والحركة الارادية فقط ، فتراه يقبض رجليه ويمدها ويقلب أعضاءه حسب طاقته ويألم اذا أحس البرد أو الحر أو الجوع واذا ضرب أو قرص ، وله سوى ذلك مما يشاركه فيه الحيوان والنوامى مما ليس حيوانا من طلب الغذاء لبقاء جسمه على ماهو عليه ولنمائه ، فيأخذ الثدى ويميزه بطبعه من سائر الاعضاء بفمه دون سائر أعضائه، كما تأخذ عروق الشجر والنبات رطوبات الارض والماء لبقاء أجسامها على ماهي عليه ولنمائها

فاذا قويت النفس على قول من يقول انها مزاج أو انها حدثت حينئذ أو أخذت يعاودها ذكرها وتمييزها فى قول من يقول انها كانت ذاكرة قبل ذلك وأنها كالمفيق من مرض (فاول) مايحدث لها من التمييز الذى ينفرد به الناطق من الحيوان فهم ما أدركت بحواسها الخمس كعلمها أن الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها والرائحة الرديئة منافرة لطبعها وكعلمها أن الاحمر مخالف للاخضر والاصفر والابيض والاسود * وكالفرق بين الخشن والاملس والمكتنز (٢) والمتهيل واللزج والحار والبارد والدفيء وكالفرق بين الحلو والحامض والمر والمالح والعفص والزاعق والتفه والعذب والحريف وكالفرق بين الصوت الحاد والغليظ والرقيق والمطرب والمفزع

(قال ابو محمد) فهذه ادراكات الحواس لمحسوساتها ، والادراك السادس علمها بالبديهيات * فمن ذلك علمها بان الجزء أقل من الكل فان الصبي الصغير في أول تمييزه اذا أعطيته تمرتين بكي ،واذا زدته ثالثة سر، وهذا علم منه بان الكل

وهم منقسمون بالقسمة الصحيحة الاولى الى أهل الديانات والملل وأهل الاهواء والنحل

(فارباب الديانات) مطلقاً مثل المجوس واليهود والنصارى والمسلمين (وأهل الاهواء) والآراء مثل الفلاسفة والدهرية والصابئة وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة

ويفترق كل منهم فرقا . فاهل الاهواء ليست تنضبط مقالاتهم فى عدد معلوم . وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها فافترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلاثة وسبعين فرقة والناجية أبدا من الفرق واحدة اذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتان على شرائط التقابل الا وان تقتسما الصدق والكذب فيكون الحق فى أحداها دون الاخرى ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين فى

(١) الذكر بالطم عدم النسيان يقال مازال منى على ذكر أى لم انسه . وهذا البحث قريب بما أثبتته الفسيولوجيه الحديثه من ان للنفس الناطقة عند التفكير قوتين باطنة تسمي فى اصطلاحهم بالعقل الباطن وظاهرة تسمى بالعقل الواعى . وقالوا فى العقل الباطن انه العقل القديم الموروث عن الانسان الاول ايام ان كان يسكن الكهوف ويأوى الى الغابات ولكونه موروثا عن السلالات الاولى يولد مع الطفل وهذا موافق لرأى من يقول ان النفس الناطقة كانت قبل ان يخرج صاحبها الى هذا العالم ذاكرة واثبتوا ان الطفل فى ايام حياته الاولى يتصور بعقله الباطن الرغبة فى الرضاع وهو نائم فيحلم انه يمتص ثدى امه فيعيد تلك الصورة اللذيذة ويرددها فى نفسه بتحريك شفتيه تلك الحركة المعهودة وقالوا فى العقل الواعي انه مجموع التجارب والعلومات والثقافات الحديثة التى اكتسبها الشخص عن طريق الحواس بالرياضة والتعليم فهو اذن حديث لاعهد للنفس به اه مصححه

(٢) المكتنز المجتمع والمتهيل من هلت التراب ونحوه فانهال أى صبته وانصب المراد به المتخلخل غير المجتمع (لمصححه)

اكثر من الجزء وان كان لا يتنبه لتحديد ما يعرف من ذلك، ومن ذلك علمه بان لا يجتمع المتضادان فانك اذا وقفته قسرا بكى ونزع الى القعود علما منه بانه لا يكون قائماً قاعداً معا * ومن ذلك علمه بان لا يكون جسم واحد في مكانين ، فانه اذا أراد الذهاب الى مكان ما فامسكته قسراً بكى وقال كلاماً معناه دعني أذهب علما منه بانه لا يكون في المكان الذي يريد أن يذهب اليه ما دام في مكان واحد * ومن ذلك علمه بانه لا يكون الجسمان في مكان واحد ، فانك تراه ينازع على المكان الذي يريد أن يقعد فيه علما منه بانه لا يسعه ذلك المكان مع ما فيه ، فيدفع من في ذلك المكان الذي يريد أن يقعد فيه ، اذ يعلم أنه ما دام في المكان ما يشغله فانه لا يسعه وهو فيه * واذا قلت له ناولني ما في هذا الحائط وكان لا يدركه قال لست أدركه ، وهذا علم منه بان الطويل زائد على مقدار ما هو أقصر منه ، وتراه يمشي الى الشيء الذي يريد ليصل اليه ، وهذا علم منه بان ذا النهاية يحصر ويقطع بالعدو ، وأن لم يحسن العبارة بتحديد ما يدرى من ذلك * ومنها علمه بانه لا يعلم الغيب أحد وذلك أنك اذا سألته عن شيء لا يعرفه أنكر ذلك وقال لا أدرى * ومنها فرقه بين الحق والباطل فانه اذا أخبر بخبر تجده في بعض الاوقات لا يصدقه حتى اذا تظاهر عنده بخبر آخر وآخر صدقه وسكن الى ذلك * ومنها علمه بانه لا يكون شيء الا في زمان ، فانك اذا ذكرت له أمرا ما قال : متى كان ؟ واذا قلت له: لم تفعل كذا وكذا قال ما كنت أفعله ، وهذا علم منه بانه لا يكون شيء مما في العالم الا في زمان * ويعرف أن للاشياء طبائع وماهية تقف عندها ولا تتجاوزها. فتراه اذا رأى شيئا لا يعرفه قال ، أي شيء ، هذا ؟ فاذا شرح له سكت » ومنها علمه بانه لا يكون فعل الا لفاعل ، فانه اذا رأى شيئا قال : من عمل هذا ؟ ولا يقنع البتة بانه انعمل دون عامل ، واذا رأى بيد آخر شيئا قال : من أعطاك هذا ؟ ومنها معرفته بان في الخبر صدقا وكذبا فتراه يكذب بعض ما يخبر به ويصدق بعضه ويتوقف في بعضه ، هذا كله مشاهد من جميع الناس في مبدأ نشأتهم

(قال أبو محمد) فهذه أوائل العقل التي لا يختلف فيها ذو عقل ، وهاهنا أيضا أشياء غير ما ذكرنا اذا فتشت وجدت وميزها كل ذي عقل من نفسه ومن غيره ، وليس يدرى أحد كيف وقع العلم بهذه الاشياء كلها بوجه من الوجوه؟ ولا يشك ذو تمييز صحيح في ان هذه الاشياء كلها صحيحة لا امتراء فيها . وانما يشك فيها بعد صحة علمه بها من دخلت عقله آفة ، وفسد تمييزه ، أو مال الى بعض الآراء الفاسدة ، فكان ذلك أيضا آفة دخلت على تمييزه * كالآفة الداخلة على من به هيجان الصفراء فيجد العسل مرا * ومن في

أصول المعقولات بانهما محقان صادقان واذا كان الحق في كل مسالة عقلية واحدا فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة

وانما عرفنا هذا بالسمع . وعنه أخبر التنزيل في قوله عز وجل وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون واخبر النبي عليه السلام ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقون هلكى (قيل) ومن الناجيه (قال) أهل السنة والجماعة (قيل) ومن اهل السنة والجماعة (قال) ما أنا عليه اليوم وأصحابي. وقال عليه السلام لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة وقال عليه السلام لا تجتمع أمتي على الضلالة « المقدمة الثانية » في تعيين قانون يبني عليه تعديد الفرق الاسلامية * اعلم أن لاصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الاسلاميه لا على قانون مستند الى نص ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود فما وجدت مصنفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق

ومن المعلوم الذي لا مراء فيه أن ليس كل من تميز عن غيره بمقالة ما في مسألة ما عد صاحب مقالة والا فتكاد تخرج المقالات عن حد الحصر والعد ويكون من

عينه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لاحقيقة لها . وكسائر الافات الداخلة على الحواس (قال أبو محمد) فهذه المقدمات التى ذكرناها هي الصحيحة التى لاشك فيها ولا سبيل الي أن يطلب عليها دليلا الا مجنون أو جاهل لا يعلم حقائق الاشياء ، ومن الطفل أهدى منه . وهذا أمر يستوي فى الاقرار به كبار جميع بنى آدم وصغارهم في أقطار الارض الا من غالط حسه ، وكابر عقله ، فيلحق بالمجانين ، لان الاستدلال على الشيء لايكون الا في زمان ولا بد ضرورة أن يعلم ذلك باول العقل ، لانه قدعلم بضرورة العقل انه لايكون شيء مما فى العالم الا فى وقت، وليس بين أول أوقات تميز النفس في هذا العالم وبين أدرا كها لكل ماذكرنا مهلة البتة لادقيقة ولا جليلة ، ولا سبيل على ذلك ، فصح انها ضرورات أوقعها الله فى النفس ولاسبيل الى الاستدلال البتة الا من هذه المقدمات ، ولا يصح شيء الا بالرد اليها ، فما شهدت له مقدمة من هذه المقدمات بالصحة فهو صحيح متيقن . ومالم تشهدله بالصحة فهو باطل ساقط . الا أن الرجوع اليها قد يكون من قرب ومن بعد . فما كان من قرب فهو أظهر الى كل نفس وأمكن للفهم . وكلما بعدت المقدمات المذكورة صعب العمل في الاستدلال حتى يقع فى ذلك الغلط الا للفهم (١) القوى الفهم والتمييز . وليس ذلك مما يقدح فى أن مارجع الى مقدمة من المقدمات التى ذكرنا حق . كما أن تلك المقدمة حق لافرق بينهما فى أنهما حق . وهذا مثل الاعداد . فكلما قلت الاعداد سهل جمعها . ولم يقع فيها غلط . حتى اذا كثرت الاعداد وكثر العمل فى جمعها صعب ذلك حتي يقع فيها الغلط الا مع الحاسب الكافى الجيد . وكلما قرب من ذلك وبعد فهو كله حق . ولا تفاضل فى شيء من ذلك : ولا تعارض مقدمة مما ذكرنا مقدمة أخرى منها . ولا يعارض مايرجع الى مقدمة أخري منها رجوعا صحيحا وهذا كله يعلم بالضرورة . ومن علم النفس بان علم الغيب لايعارض صح ضرورة انه لايمكن أن يحكي أحد خبراً كاذبا طويلا . فياتى من لم يسمعه فيحكى ذلك الخبر بعينه كما هو لايزيد فيه ولاينقص: اذلو أمكن ذلك لكان الحاكي لمثل ذلك الخبر عالماً بالغيب . لان هذا هو علم الغيب نفسه وهو الاخبار عما لايعلم المخبر عنه بما هو عليه . وذلك كذلك بلا شك . فكل ما نقله من الاخبار اثنان فصاعدا مفترقان قد أيقنا أنهما لم يجتمعا ولا تشاعرا فلم يختلفا فيه . فبالضرورة يعلم أنه حق متيقن مقطوع به على غيبه وبهذا علمنا صحة موت من مات وولادة من ولد وعزل من عزل وولاية من ولى ومرض من مرض وافاقه من أفاق ونكبة من نكب والبلاد الغائبه عنا والوقائع

(١) الفهم كحذر السريع الفهم

انفرد بمسألة في أحكام الجواهر مثلا معدوداً فى عداد أصحاب المقالات

فلا بد اذاً من ضابط فى مسائل هى أصول وقواعد يكون الاختلاف فيها اختلافاً يعتبر مقالة و بعد صاحبه صاحب مقالة وما وجدت لاحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضابط الا أنهم استرسلوا فى ايراد مذاهب الامة كيف اتفق وعلى الوجه الذى وجد لا على قانون مستقر وأصل مستمر

فاجتهدت على ما تيسر من التقدير ونقدر من التيسير حتى حصرتها في اربع قواعد هى الاصول الكبار (القاعدة الاولى) الصفات والتوحيد فيها وهى تشتمل على مسائل الصفات الازلية اثباتا عند جماعة ونفيا عند جماعة وبيان صفات الذات وصفات الفعل وما يجب لله تعالى ومايجوز عليه وما يستحيل وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة (القاعدة الثانية) القدر والعدل وهي تشتمل على مسائل القضاء والقدر والجبر والكسب فى اراده الخير والشر والمقدور والمعلوم اثباتاً عند جماعة ونفياً عند جماعة وفيها الخلاف بين القدرية والنجارية والجبرية والاشعرية والكرامية

والملوك والانبياء عليهم السلام . ودياناتهم والعلماء وأقوالهم والفلاسفة وحكمهم لاشك عند أحد يوفى عقله حقه فى شيء مما نقل من ذلك كما ذكرنا . وبالله تعالى التوفيق

﴿ باب الكلام على أهل القسم الاول ﴾
(وهم مبطلو الحقائق وهم السوفسطائية (١)

(قال ابو محمد) ذكر من سلف من المتكلمين أنهم ثلاثة أصناف . فصنف منهم نفى الحقائق جملة . وصنف منهم شكوا فيها . وصنف منهم قالوا هى حق عند من هي عنده حق . وهى باطل عند من هي عنده باطل : وعمدة ما ذكر من اعتراضهم فهو اختلاف الحواس فى المحسوسات كادراك المبصر من بعد عنه صغيرا ومن قرب منه كبيرا . وكوجود من به حمى صفراء حلو المطاعم مرا وما يرى فى الرؤيا مما لايشك فيه رائيه انه حق من انه فى البلاد البعيدة

(قال ابو محمد) وكل هذا لامعنى له . لان الخطاب وتعاطي المعرفة انما يكون مع أهل المعرفة . وحس العقل شاهد بالفرق بين مايخيل الي النائم وبين مايدركه المستيقظ . اذ ليس فى الرؤيا من استعمال الجرى على الحدود المستقرة فى الاشياء المعروفة وكونها أبدا على صفة واحدة ما في اليقظة . وكذلك يشهد الحس أيضا بان تبدل المحسوس عن صفته اللازمة له تحت الحس انما هو لآفة في حس الحاس له لافى المحسوس جار كل ذلك على رتبة واحدة لاتتحول . وهذه هي البداية والمشاهدات التى لايجوز أن يطلب عليها برهان . اذ لوطلب على كل برهان برهان لاقتضى ذلك وجود موجودات لانهاية لها . ووجود أشياء لانهاية لها محال لاسبيل اليه على ما سنبينه ان شاء الله تعالى . والذى يطلب على البرهان برهانا فهو ناطق بالمحال . لانه لايفعل ذلك الا وهو مثبت لبرهان ما . فاذا وقفنا عند البرهان الذى ثبت لزمه الاذعان له . فان كان لايثبت برهانا فلا وجه لطلبه مالايثبته لو وجده والقول بنفي الحقائق مكابرة للعقل والحس . ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم . قولكم انه لاحقيقة للاشياء حق هوام باطل ؟ فان قالوا هو حق اثبتوا حقيقة ما وان قالوا ليس هو حقا أقروا ببطلان قولهم وكفوا خصمهم أمرهم — ويقال للشكاك منهم وبالله تعالى التوفيق . أشككم موجود صحيح منكم أم غير صحيح ولا موجود ، فان قالوا هو موجود صحيح منا أثبتوا أيضا حقيقة ما ، وأن قالوا هو غير موجود نفوا الشك وابطلوه ، وفي أبطال الشك اثبات الحقائق أو القطع على أبطالها ، وقد قدمنا بعون الله تعالي ابطال قول من ابطالها فلم يبقى الا الاثبات

ويقال — وبالله التوفيق — لمن قال هى حق عند من هي عنده حق وهى

(القاعدة الثالثة) الوعد والوعيد والاسماء والاحكام وهي تشتمل على مسائل الايمان والتوبة والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل اثباتاً على وجه عند جماعة ونفياً عند جماعة وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية والكرامية (القاعدة الرابعة) السمع والعقل والرسالة والامامة وهى تشتمل على مسائل التحسين أو التقبيح والصلاح والاصلح واللطف والعصمة فى النبوة وشرائط الامامة نصا عند جماعة واجماعا عند جماعة وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية

فاذا وجدنا انفراد واحد من أئمة الامة بمقالة من هذه القواعد عددنا مقالته مذهبا وجماعته فرقة وأن وجدنا واحداً انفرد بمسألة فلا نجعل مقالته مذهبا وجماعته فرقة بل نجعله مندرجا تحت واحد ممن وافق سواها مقالته ورددنا باقى مقالته الى الفروع التى لاتعد مذهباً مفرداً فلا تذهب المقالات الى غير النهاية

واذ تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف تبينت أقسام الفرق وانحصرت كبارها فى أربع بعدان

(١) السوفسطائية فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات والنظريات . قالوا لان الحس يغلط كالاحول يرى الواحد اثنين والصفراوى يجد الحلو مرا والراكب فى السفينة يرى الساحل متحركا فلا جزم ، وكذلك لاجزم فى البديهيات والنظريات لاختلاف آراء العقلاء فيها وكل يجزم بحقية قوله * لمصححه *

باطل عند من هي عنده باطل ، ان الشيء لايكون حقا باعتقاد من اعتقد انه حق ، كما انه لايبطل باعتقاد من اعتقد انه باطل ، وانما يكون الشيء حقا بكونه موجودا ثابتا سواء اعتقد انه حق أو اعتقد انه باطل ، ولو كان غير هذا لكان الشيء معدوما موجودا فى حال واحدة فى ذاته ، وهذا عين المحال ، واذا اقروا بان الاشياء حق عند من هي عنده حق فمن جملة تلك الاشياء التى تعتقد انها حق عند من يعتقد ان الاشياء حق بطلان قول من قال ان الحقائق باطل ، وهم قد أقروا ان الاشياء حق عند من هي عنده حق وبطلان قولهم من جملة تلك الاشياء ، فقد أقروا بان بطلان قولهم حق مع أن هذه الاقوال لاسبيل الى أن يعتقدها ذو عقل البتة ، اذ حسه يشهد بخلافها ، وانما يمكن ان يلجأ اليها بعض المنقطعين على سبيل الشغب وبالله تعالى التوفيق

﴿ باب الكلام على من قال بان العالم لم يزل وانه لامدبر له ﴾

(قال ابو محمد رضي الله عنه) لايخلو العالم من أحد وجهين ، أما ان يكون لم يزل ، أو ان يكون محدثا لم يكن ثم كان ، فذهبت طائفة الى انه لم يزل وهم الدهرية (١) وذهب سائر الناس الى انه محدث ، فنبتدىء بحول الله تعالى وقوته بايراد كل حجة شغب بها القائلون بان العالم لم يزل وتوفية اعتراضهم بها ، ثم نبين بحوله تعالى نقضها وفسادها ، فاذا بطل القول بان العالم لم يزل وجب القول بالحدوث وصح ، اذ لاسبيل الى وجه ثالث ، لكننا لانقنع بذلك حتى نأتي بالبراهين الظاهرة والنتائج الموجبة والقضايا الضرورية على اثبات حدوث العالم ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(فمما اعترضوا به) أن قالوا لم نر شيئا حدث الا من شيء أو في شيء فمن ادعى غير ذلك فقد ادعى مالا يشاهد ولم يشاهد (وقالوا ايضا) لايخلو محدث الاجسام الجواهر والاعراض وهي كل ما في العالم ان كان العالم محدثا من ان يكون احدثه لانه (٢) أو احدثه لعلة * فان كان لانه فالعالم لم يزل لان محدثه لم يزل ، واذ هو علة خلقه فالعلة لاتفارق المعلول ، وما لم يفارق من لم يزل فهو أيضا لم يزل اذ هو مثله بلا شك ، فالعالم لم يزل . وان كان احدثه لعلة فتلك العلة لاتخلو من أحد وجهين ، اما ان تكون لم تزل ، واما ان تكون محدثة ، فان كانت لم تزل فمعلولها لم يزل ، فالعالم لم يزل ،

(١) الدهرية فرقة من الكفار ذهبوا الى قدم الدهر واستناد الحوادث اليه كما أخبر الله تعالى عنهم فى قوله ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اه مقاصد

«٢» قوله احدثه لانه الخبر محذوف والتقدير احدثه لانه العلة فى احداثه أو احدثه لعلة اخرى وقد تكرر منه هذا الحذف طلباً للاختصار وجريا فى الحذف على سنة المناظرة اه مصحح

تداخل بعضها فى بعض . كبار الفرق الاسلامية أربع القدرية الصفاتية الخوارج الشيعة ثم يتركب بعضها مع بعض ويتشعب عن كل فرقة أصناف فتصل الى ثلاث وسبعين فرقة

ولاصحاب كتب المقالات طريقان فى الترتيب . احدهما انهم وضعوا المسائل أصولا ثم أوردوا فى كل مسئلة مذهب طائفة طائفة وفرقة فرقة . والثانى انهم وضعوا الرجال وأصحاب المقالات اصولا ثم اوردوا مذاهبهم فى مسئلة مسئلة

وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة لانى وجدتها اضبط للاقسام واليق بابواب الحساب وشرطي على نفسى أن اورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون ان ابين صحيحه من فاسده واعين حقه من باطله وان كان لايخفى على الافهام الزكية فى مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل

(المقدمة الثالثة) فى بيان اول شبهة وقعت في الخليقة ومن مصدرها فى الاول ومن مظهرها في الآخر (اعلم) ان أول شبهة وقعت فى الخليقة شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها

وان كانت تلك العلة محدثة لزم في حدوثها مالزم في حدوث سائر الاشياء من انه احدثها لانه أو لعلة . فان كان لعلة لزم ذلك أيضا فى علة العلة وهكذا أبدا . وهذا يوجب وجود محدثات لا اوائل لها . قالوا وهذا قولنا . قالوا وان كان احدثها لانه فهذا يوجب ان العلة لم تزل كما بينا آنفا (وقالوا ايضا) ان كان للاجسام محدث لم يخل من احد ثلاثة أوجه . اما ان يكون مثلها من جميع الوجوه لزم واما ان يكون خلافها من جميع الوجود. واما ان يكون مثلها من بعض الوجوه وخلافها من بعض الوجوه : قالوا فلن كان مثلها من جميع الوجوه لزم ان يكون محدثا مثلها وهكذا في محدثه ايضا ابدا : وان كان مثلها فى بعض الوجوه لزمه ايضا من مماثلتها فى ذلك البعض مايلزمه من مماثلته لها فى جميع الوجوه من الحدوث اذ الحدوث اللازم للبعض كلزومه للكل ولا فرق : وان كان خلافها من جميع الوجوه فمحال أن يفعلها لان هذا هو حقيقة الضد والمناقض اذ لاسبيل الى ان يفعل الشيء خلافه من جميع الوجوه كما لا تفعل النار التبريد (وقالوا ايضا) لايخلو ان كان للعالم فاعل من ان يكون فعله لاحراز منفعة او لدفع مضرة او طباعا او لا لشيء من ذلك : قالوا فان كان فعله لاحراز منفعة او لدفع مضرة فهو محل المنافع والمضار وهذه صفة المحدثات عندكم فهو محدث مثلها . قالوا وان كان فعله طباعا فالطباع موجبة لما حدث بها ففعله لم يزل معه . قالوا وإن كان فعله لا لشيء من ذلك فهذا لا يعقل و ما خرج عن المعقول فمحال - وقالوا أيضاً ، لوكانت الاجسام محدثة لكان محدثها قبل أن يحدثها فاعلا لتركها . قالوا وتركها لايخلو من أن يكون جسما أو عرضا . وهذا يوجب ان الاجسام والاعراض لم تزل موجودة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فهذه المشاغب الخمس هى كل ماعول عليه القائلون بالدهر قد تقصيناها لهم ونحن أن شاء الله نبدأ بحول الله وقوته فى مناظرتهم فننقضها واحداً واحدا

(افساد الاعتراض الاول) قال ابو محمد رضي الله عنه ، يقال وبالله التوفيق والعون لمن قال لم نر شيئا حدث الا من شيء أو في شيء هل تدرك حقيقة شيء عندكم من غير طريق الرؤية والمشاهدة أو لايدرك شيء من الحقائق الا من طريق الرؤية فقط ، فان قالوا انه قد تدرك الحقائق من غير طريق الرؤية والمشاهدة تركوا استدلالهم وأفسدوه اذ قد أوجبوا وجود أشياء من غير طريق الرؤية والمشاهدة وقد نفوا ذلك قبل هذا ، فاذا صاروا الى الاستدلال نوظروا فى ذلك الا أن دليلهم هذا على كل حال قد بطل بحمد الله تعالى . فان قالوا لا بل لايدرك شيء الا من طريق المشاهدة ، قيل لهم فهل شاهدتم شيئا قط لم يزل فلا بد من نعم أو لا ، فان قالوا لا

استبداده بالراى في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الامر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهى النار على مادة آدم عليه السلام وهى الطين وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت فى الخليقة وسرت فى أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة فى شرح الاناجيل الاربعة انجيل لوقا وما رقوس ويوحنا ومتي ومذكورة فى التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه و بين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه أبى سلمت أن البارى تعالى الهي واله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيئته فانه مهما أراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم الا أنه يتوجه علي مساق حكمته أسئلة قالت الملائكة ماهي وكم هى قال لعنة الله سبع (الاول) منها أنه علم قبل خلقى أى شيء يصدر عنى ويحصل مني فلم خلقني أولا وما الحكمة فى خلقه اياى والثانى اذ خلقنى على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفنى بمعرفته وطاعته وما الحكمة فى التكليف بعد أن لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية والثالث اذ خلقنى وكلفنى فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فعرفت واطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له

وصدقوا وأبطلوا استدلالهم ، وان قالوا نعم كابروا وادعوا مالا سبيل الى مشاهدته اذ مشاهدة قائل هذا القول للاشياء هي ذات أول بلاشك ، وذو الاول هو غير الذى لم يزل لان الذى لم يزل هو الذى لا أول له ولاسبيل الي أن يشاهد ماله أول مالا أول له مشاهدة متصلة ، فبطل هذا الاستدلال على كل وجه والحمد لله رب العالمين

(افساد الاعتراض الثاني) قال أبو محمد رضى الله عنه ويقال لمن قال لايخلو من أن يفعل لا نه أو لعلة ، هذه قسمة ناقصة ، وينقص منها القسم الثالث وهو لانه فعل لا لانه ولا لعلة أصلا لكن كما شاء لان كلا القسمين المذكورين أولا وهما أنه فعل لانه أو لعلة قد بطلا بما قدمنا هنالك اذ العلة توجب اما الفعل او الترك وهو تعالى يفعل ولا يفعل فصح بذلك انه لا علة لفعله اصلا ولا لتركه البتة ، فبطل هذا الشغب والحمد لله رب العالمين * فان قالوا ان ترك البارى تعالى في الازل فعل منه للترك ففعله الذى هو الترك لم يزل ، قلنا ـ وبالله تعالي التوفيق .. ان ترك البارى تعالى الفعل ليس فعلا اصلا على ما نبين في فساد الاعتراض الخامس ان شاء الله تعالى

(افساد الاعتراض الثالث) قال أبو محمد رضى الله عنه ، يقال لمن قال لو كان الاجسام محدث لم يخل من احد ثلاثة اوجه ، اما ان يكون مثلها من جميع الوجوه اومن بعض الوجوه لا من كلها اوخلافها من جميع الوجوه الى انقضاء كلامهم ، بل هو تعالى خلافها من جميع الوجوه وادخالكم على هذا الوجه أنه حقيقة الضد والنقيض والضد لا يفعل ضده كما لا تفعل النار التبريد ادخال فاسد ، لان البارى تعالى لا يوصف بانه ضد لخلقه لان الضد هو ما حمل حمل التضاد والتضاد هو اقتسام الشيئين طرفي البعد تحت جنس واحد فاذا وقع احد الضدين ارتفع الآخر ، وهذا الوصف بعيد عن البارى تعالى ، وانما التضاد كالخضرة والبياض اللذين يجمعهما اللون او الفضيلة والرذيلة اللتين يجمعهما الكيفية والخلق ، ولا يكون الضدان الا عرضين تحت جنس واحد ولا بد ، وكل هذا منفى عن الخالق عز وجل ، فبطل بالضرورة ان يكون عز وجل ضداً لخلقه * وايضا فان قولهم لو كان خلافاً لخلقه من جميع الوجوه لكان ضداً لهم قول فاسد ، اذ ليس كل خلاف ضداً ، فالجوهر خلاف العرض من كل وجه حاشا الحدوث فقط وليس ضداً له ـ ويقال أيضاً لمن قال هذا القول ، هل تثبت فاعلا وفعلا على وجه من الوجوه اوتنفى ان يوجد فاعل وفعل البتة ، فان نفى الفاعل والفعل

وما الحكمة فى هذا التكليف على الخصوص بعد أن لا يزيد ذلك فى معرفتى وطاعتى (والرابع) اذ خلقني وكلفني على الاطلاق وكلفنى بهذا التكليف على الخصوص فاذ لم أسجد فلم لعننى واخرجنى من الجنة وما الحكمة فى ذلك بعد أن لم ارتكب قبيحاً الا قولي لا اسجد الا لك (والخامس) اذ خلقنى وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم اطع فلعننى وطردنى فلم طرقنى الى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً وغررته بوسوستي فاكل من الشجرة المنهى عنها واخرجه من الجنة معي وما الحكمة فى ذلك بعد أن لومنعنى من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقى خالدا فيها (والسادس) اذ خلقني وكلفنى عموما وخصوصاً ولعننى ثم طرقنى الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلطنى على اولاده حتى اراهم من حيث لا يرونني وتؤثر فيهم وسوستى ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة فى ذلك بعد أن لوخلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بهم واليق بالحكمة (والسابع) سلمت هذا كله خلقنى وكلفنى مطلقاً ومقيداً واذ لم اطع لعنني وطردنى واذا اردت دخول الجنة مكنني وطرقنى واذ

البتة كابر العيان لانكاره الماشي والقائم والقاعد والمتحرك والساكن ، ومن دفع بهذا كان فى نصاب من لا يكلم ، وان اثبت الفعل والفاعل فما بيننا قيل له هل يفعل الجسم الا الحركة والسكون فلابد من نعم ، والحركة والسكون خلاف الجسم وليسا ضداً له ، اذ ليسا معه تحت جنس واحد اصلا ، وانما يجمعها واياه الحدوث فقط ، فلو كان كل خلاف ضدا لكان الجسم فاعلا لضده وهو الحركة او السكون ، وهذا هو نفس ما ابطلوا ، فصح بالضرورة انه ليس كل خلاف ضدا ، وصح ان الفاعل يفعل خلافه ولا بد من ذلك ، فبطل اعتراضهم والحمد لله رب العالمين

(افساد الاعتراض الرابع) قال ابو محمد رضى الله عنه ويقال لمن قال لايخلو من ان يكون محدث الاجسام احدثها لاحراز منفعة او لدفع مضرة اوطباعاً اولالشيء من ذلك الى انقضاء كلامهم * أما الفعل لاحراز منفعة او لدفع مضرة فانما يوصف به المخلوقون المختارون * وأما فعل الطباع فانما يوصف به المخلوقون غير المختارين ، وكل صفات المخلوقين فهى منفية عن الله تعالى الذى هو الخالق لكل مادونه * وأما القسم الثانى وهو انه فعل لا لشيء من ذلك فهذا هو قولنا ، ثم نقول لمن قال ان الفعل لالشيء من ذلك امر غير معقول ، ماذا تعني بقولك غير معقول ، اتريد انه لا يعقل حسا او مشاهدة ام تقول انه لا يعقل استدلالا ـ فان قلت إنه لا يعقل حسا ومشاهدة ، قلنا لك صدقت كما ان ازلية الاشياء لا نعقل حسا ومشاهدة ـ وان قلت انه لا يعقل استدلالا ، كان ذلك دعوى منك مفتقرة الى دليل ، والدعوى اذا كانت هكذا فهى ساقطة ، فالاستدلال بها ساقط ، فكيف والفعل لا لشيء من ذلك متوهم ممكن غير داخل في الممتنع ، وما كان هكذا فالمانع منه مبطل والقول به يعقل فسقط هذا الاعتراض ـ ثم نقول ، لما كان البارى تعالى بالبراهين الضرورية خلافا لجميع خلقه من جميع الوجوه كان فعله خلافا لجميع افعال خلقه من جميع الوجوه ، وجميع خلقه لا تفعل الا طباعاً او لاجتلاب منفعة او لدفع مضرة ، فوجب ان يكون فعله تعالى بخلاف ذلك ، وبالله التوفيق

(افساد الاعتراض الخامس) قال ابو محمد رضى الله عنه ، ويقال لمن قال ان ترك الفاعل ان يفعل الاجسام لايخلو من ان يكون جسما او عرضا الى منتهى كلامهم ، ان هذه قسمة فاسدة بينة العوار ، وذلك ان الجسم هو الطويل العريض العميق ، وترك الفعل ليس طويلا ولا عريضاً ولا عميقاً ، فترك الفعل من الله تعالى للجسم والعرض ليس جسما ، والعرض هو المحمول

عملت عملي اخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم اذا استمهلته امهلنى فقلت أنظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة فى ذلك بعد أن لو اهلكني فى الحال استراح آدم والخلق مني وما بقى شر ما في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر * قال فهذه حججى على ما ادعيته فى كل مسئلة قال شارح الانجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة عليهم السلام قالوا له انك فى تسليمك الاول انى الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت انى اله العالمين ما احتكمت على بلم فانا الله الذى لااله الا انا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤلون * هذا الذى ذكرته مذكور في التوراة ومسطور فى الانجيل على الوجه الذى ذكرته وكنت برهة من الزمان اتفكر واقول ان من المعلوم الذى لامراء فيه ان كل شبهة وقعت لبني آدم فانما وقعت من اضلال الشيطان الرجيم ووساوسه نشأت من شبهاته واذ كانت الشبهات محصورة فى سبع عادت كبار البدع والضلالات الى سبع ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيغ والكفر هذه الشبهات وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق فانها بالنسبة الى انواع الضلالات

في الجسم ، وترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس محمولا فليس عرضاً ، فترك فعل الله تعالى للجسم والعرض ليس هو جسما ولا عرضاً وانما هو عدم والعدم ليس معنى ولا هو شيئاً ، وترك الله تعالى للفعل ليس فعلا البتة بخلاف صفة خلقة لان الترك من المخلوق للفعل فعل - برهان ذلك ، ان ترك المخلوق للفعل لا يكون الا بفعل آخر منه ضرورة ، كتارك الحركة لا يكون الا بفعل السكون وتارك الاكل لا يكون الا باستعمال آلات الاكل في مقاربة بعضها بعضاً أو في مباعدة بعضها بعضاً وبتعويض الهواء وغيره من الشيء المأكول ، وكتارك القيام لا يكون الا باشتغاله بفعل آخر من قعود أو غيره ، فصح أن فعل الباري تعالى بخلاف فعل خلقه وان تركه للفعل ليس فعلا اصلا ، فبطل استدلالهم ، وبالله التوفيق

(قال أبو محمد رضي) الله عنه فاذ قد بطل جميع ما تعلقوا به ، ولم يبق لهم شغب اصلا بعون الله وتأييده ، فنحن مبتدئون بتأييده عز وجل في ايراد البراهين الضرورية على اثبات حدوث العالم بعد أن لم يكن ، وتحقيق ان له محدثا لم يزل لا اله الا هو

(برهان أول) قال ابو محمد رضي الله عنه ، فنقول - وبالله التوفيق - ان كل شخص في العالم وكل عرض في شخص وكل زمان فكل ذلك متناه ذو اول نشاهد ذلك حسا وعيانا ، لان تناهي الشخص ظاهر بمساحته باول جرمه وآخره وايضاً بزمان وجوده ، وتناهي العرض المحمول ظاهر بين بتناهي الشخص الحامل له ، وتناهي الزمان موجود باستئناف ما يأتي منه بعد الماضي ، وفناء كل وقت بعد وجوده ، واستئناف آخر يأتي بعده ، اذ كل زمان فنهايته الآن وهو حد الزمانين فهو نهاية الماضي وما بعده ابتداء المستقبل وهكذا أبدا يفنى زمان ويبتدىء آخر ، وكل جملة من جمل الزمان فهي مركبة من ازمنة متناهية ذات اوائل كما قدمنا ، وكل جملة اشخاص فهي مركبة من اجزاء متناهية بعددها وذوات أوائل كما قدمنا ، وكل مركب من اجزاء متناهية ذات اوائل فليس هو شيئاً غير اجزائه اذ الكل ليس هو شيئاً غير الاجزاء التي ينحل اليها واجزاؤه متناهية كما بينا ذات اوائل ، فالجمل كلها بلا شك متناهية ذات اوائل ، والعالم كله انما هو اشخاصه ومكانه وازمانها ومحمولاتها ليس العالم كله شيئا غير ما ذكرناه ، واشخاصه ومكانه وازمانها ومحمولاتها ذوات اوائل كما ذكرنا ، فالعالم كله متناه ذو اول ولا بد ، فان كانت اجزاؤه كلها متناهيه ذات اول بالمشاهدة والحس وكان هو غير ذي اول وقد اثبتنا بالضرورة والعقل والحس انه ليس هو شيئاً غير

كالبذور ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالحق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص * هذا ومن جادل نوحاً وهوداً وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله عليهم اجمعين كلهم نسجوا على منوال اللعين الاول في إظهار شبهاته وحاصلها يرجع الى دفع التكليف عن انفسهم وجحدا اصحاب الشرائع والتكاليف باسرهم اذ لا فرق بين قولهم أبشر يهدوننا وبين قوله أأسجد لمن خلقت طيناً وعن هذا صار مفصل الخلاف ومحز الافتراق كما هو في قوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشراً رسولا فبين ان المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال في الاول ما منعك ان لا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه * وقال المتأخر من ذريته كما قال المتقدم أنا خير من هذا الذي هو مهين * وكذلك لو تعقبنا احوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لاقوال المتاخرين كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم فتشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاللعين الاول لما ان حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجرى حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق والاول غلو والثاني تقصير فثار من الشبهة الاولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة من الروافض حيث غالوا في حق شخص

اجزائه ، فهو ذواول لاذواول وهذا عين المحال ،و يجب من ذلك ايضا ان لاجزائه اوائل محسوسة ،واجزاؤه ليست غيره وهوغيرذي اول ،فاجزاؤه اذن لها اول ليس لها اول ،وهذا محال وتخليط ،فصح بالضرورة ان للعالم اولا اذ كل اجزائه لها اول وليس هو شيئاً غير اجزائه ، و بالله تعالى التوفيق

(برهان ثان) قال ابو محمد رضي الله عنه ، فنقول كل موجود بالفعل فقد حصره العدد واحصته طبيعته . ومعنى الطبيعة وحدها هوأن تقول، الطبيعة هي القوة التي في الشيء فتجرى بها كيفيات ذلك الشيء على ما هي عليه ، وان اوجزت قلت هي قوة في الشيء يوجد بها على ماهو عليه ، وحصر العدد واحصاء الطبيعة نهاية صحيحة ، اذ مالا نهاية له فلا احصاء له ولا حصر له ، إذ ليس معنى الحصر والاحصاء الاضم ما بين طرفي المحصى المحصور ، والعالم موجود بالفعل وكل محصور بالعدد محصى بالطبيعة فهو ذو نهاية ،فالعالم كله ذو نهاية ، وسواء في ذلك ماوجد في مدة واحدة أو مدد كثيرة ، إذ ليست تلك المدد الا مدة محصاة الى جنب مدة محصاة فهى مركبة من مدد محصاة ، وكل مركب من اشياء فهو تلك الاشياء التي ركب منها، فهي كلها مدد محصاة كما قدمنا في الدليل الاول ، فصح من كل ذلك ان مالانهاية له فلا سبيل الى وجوده بالفعل ، ومالم يوجد الابعد مالا نهاية له فلا سبيل الى وجوده ابداً،لان وقوع البعدية فيه هو وجود نهاية له ، ومالا نهاية له فلا بعد له ، فعلى هذا لا يوجد شيء بعد شيء أبد الابد ، والاشياء كلها موجودة بعضها بعد بعض، فالاشياء كلها ذات نهاية ، وهذان الدليلان قد نبه الله تعالى عليهما وحصرها بحجته البالغة اذ يقول وكل شيء عنده بمقدار

(برهان ثالث) قال أبو محمد رضي الله عنه ، مالا نهاية له فلا سبيل الى الزيادة فيه ، اذ معنى الزيادة انما هو أن تضيف الى ذى النهاية شيئاً من جنسه يزيد ذلك في عدده أو في مساحته ، فان كان الزمان لا اول له يكون به متناهياً في عدده الآن فاذن كل ما زاد فيه ويزيد مما يأتي من الازمنة منه فانه لا يزيد ذلك في عدد الزمان شيئاً ، وفي شهادة الحس ان كل ما وجد من الاعوام على الابد الي زماننا هذا الذى هو وقت ولاية هشام المعتمد بالله (١) هو أكثر من كل ماوجد من الاعوام على الابد الي وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم يكن هذا صحيحاً فيجب اذن انه اذ ادار زحل دورة واحدة في كل ثلاثين سنة و زحل لم يزل يدور دار الفلك الاكبر في تلك الثلاثين سنة احدى عشرة الف دورة غيرة خمسين دورة والفلك لم يزل يدور ، واحدى عشرة الف غير خمسين دورة أكثر من دورة

من الاشخاص حتى وصفوه بصفات الجلال وثار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى بصفات المخلوقين فالمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات وكل واحد منهم اعور باى عينيه شاء فان من قال انما يحسن منه مايحسن منا ويقبح منه مايقبح منا فقدشبه الخالق بالخلق * ومن قال يوصف البارى تعالى بما يوصف به الخلق أويوصف الخلق بما يوصف به الباري تعالى عز اسمه فقد اعتزل عن الحق * وسنخ القدرية طلب العلة في كل شيء وذاك من سنخ اللعين الاول اذ طلب العلة في الخلق اولا والحكمة في التكليف ثانياً والفائدة في تكليف السجود لآدم عليه السلام ثالثاً وعنه نشأ مذهب الخوارج اذلا فرق بين قولهم لا حكم الا الله ولا يحكم الرجال و بين قوله لا أسجد الالك أأسجد لبشر خلقته من صلصال وبالجملة كلا طرفى قصد الامور ذميم فالمعتزلة غالوا في التوحيد بزعمهم حتى وصلوا الى التعطيل بنفى الصفات المشبها قصروا حتى وصفوا الخالق بصفات الاجسام والروافض غالوا في النبوة والامامة حتي وصلوا الى الحلول والخوارج قصروا حيث نفوا تحكيم الرجال * وانت ترى أن هذه الشبهات كلها ناشئة من شبهات اللعين الاول وتلك في الاول مصدرها وهذه في الآخر

(١) ولى الملك بالاندلس في سنة ٣٦٦ ومات في سنة ٤٠٣ هـ

واحدة بلا شك ، فاذن مالانهاية له اكثر مما لانهاية له بنحو احدى عشرة الف مرة ، وهـذا محال لما قدمنا ولان مالانهاية له فلا يمكن البتة ان يكون عدد ا كثرمنه بوجه من الوجوه ، فوجبت فى الزمان من قبل ابتدائه ضرورة ولامخلص منها * ويجب ايضاً من ذلك ان الحس يوجب ضرورة ان اشخاص الانس مضافة الى اشخاص الخيل اكثر من اشخاص الانس مفردة عن اشخاص الخيل ، ولو كانت الاشخاص لانهاية لها لوجب ان مالانهاية له اكثر مما لانهاية له ، وهذا محال ممتنع لا يتشكل فى العقل ولا يمكن ، وايضاً فلا شك فى ان الزمان مذكان الى وقت الهجرة جزء للزمان مذكان الى وقتنا هذا وبلا شك ايضا فى ان الزمان مذ كان الي وقتنا هذا كل للزمان مذ كان الي وقت الهجرة ولما بعده الى وقتنا هذا ، فلايخلو الحكم في هذه القضية من احد ثلاثة اوجه لارابع لها ، اما ان يكون الزمان مذكان موجودا الى وقتنا هذا اكثر من الزمان مذكان الى عصر الهجرة ، واما ان يكون اقل منه ، واما ان يكون مساو ياله ، فان كان الزمان مذ كان الى وقتنا هذا اقل من الزمان مذكان الى وقت الهجرة ، فالكل اقل من الجزء والجزء اكثر من الكل ، وهذا هو الاختلاط وعين المحال . اذ لا يخيل (١) على احد ان الكل اكثر من الجزء . وهذا مالاشك فيـه ببديهة العقل وضرورة الحس . وان كان مساو ياله فالكل مساو للجزء . وهذا عين المحال والتخليط . وان كان اكثر منه وهذا هو الذى لاشك فيه فالزمان مذكان الى وقت الهجرة ذو نهاية . ومعنى الجزء انمـا هو ابعاض الشيء . ومعنى الكل انما هو جملة تلك الابعاض فالكل والجزء واقعان فى كل ذى ابعاض . والعالم ذو ابعاض هكذا توجد حاملاته ومحمولاته وازمانها . فالعالم كل لابعاضه وابعاضه اجزاء له والنهاية كما قدمنا لازمة لكل ذى كل وذى اجزاء . والزمان هو مدة بقاء الجرم ساكنا او متحركا ولو فارقه لم يكن الجرم موجوداً ولا كان الزمان ايضا موجوداً . والجرم والزمان موجودان فكلاهما لم يفارق صاحبه . والزمان ذو اول والجرم ذو اول وهذا مما لاانفكاك له البتة . واما ما لم يأت بعد من زمان اوشخص اوعرض فليس كل ذلك شيئا . فلا يقع على شيء من ذلك عدد ولا نهاية ولا يوصف بشيء اصلا لانه لاوجود له بعد . فاذا وجد لزمه حينئذ ما لزم سائر ماقد وجد من اجناسه وانواعه من النهاية والعدد وغير ذلك من الصفات * وايضا فلاشك فى ان ما وقع من الزمان ووجد من الزمان الى يومنا هـذا مساولما من يومنا هذا الى ماوقع من الزمان معكوسا . وواجب فيـه الزيادة بما يأتى من الزمان . والمساوى

مظهرها واليه اشار التنزيل في قوله تعالى ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدومبين « وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة وقال المشبهة يهود هـذه الامـة والرافضة نصاراها وقال عليـه الصلاة والسلام جملة لتسلكن سبل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة (١) والنعل بالنعل حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه (المقدمة الرابعة) في بيان اول شبهة وقعت فى الملة الاسلامية وكيف انشعابها ومن مصدرها ومن مظهرها وكما قررنا أن الشبهات التي فى آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في اول الزمان كذلك يمكن أن مقرر في زمان كل نبي ودور كل صاحب ملة وشريعة ان شبهات امته فى آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء اول زمانه من الكفار والمنافقين واكثرها من المنافقين وان خفي علينا ذلك فى الامم السالفة لتمادى الزمان فلم يخف

---

(١) قوله القذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ريشة السهم وفى رواية لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة قال ابن الاثير يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان اه مصحح

(١) لا يخيل بضم أوله من أخال الشيء بمعنى اشتبه يقال هذا الامر لا يخيل على أحد أي لا يشكل اه مصحح

لا يقع الا في ذي نهاية . فالزمان متناه ضرورة . وقد الزمت بعض الملحدين وهو ثابت بن محمد الجرجاني فى هذا البرهان . فاراد ان يعكسه على فى بقاء البارى عز وجل و وجودنا اياه . فاخبرته بان هذا شغب ضعيف مضمحل ساقط . لان البارى تعالى ليس فى زمان ولا له مدة لان الزمان انما هو حركة كل ذى الزمان وانتقاله من مكان الى مكان اومدة بقائه ساكنا فى مكان واحد . والبارى تعالى ليس متحركا ولا ساكنا . ولا شك انه ليس في زمان ولا له مدة ولا هو فى مكان اصلا وليس هو جرماً ولا جوهراً ولا عرضا ولا عدداً ولا جنسا ولا نوعا ولا فصلا ولا شخصا ولا متحركا ولا ساكنا . وانما هو تعالى حق في ذاته موجود مطلق بمعنى انه معلوم لا اله غيره واحد لا واحد في العالم سواه مخترع للموجودات كلها دونه لا يشبه شيئا من خلقه بوجه من الوجوه . وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل وحصره فى قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء

(برهان رابع) قال ابو محمد رضى الله عنه . ان كان العالم لا اول له ولا نهاية له فالاحصاء منا له بالعدد والطبيعة الى ما لا نهاية له من اوائل العالم الماضية محال لا سبيل اليه . اذ لو احصي ذلك كله لكان له نهاية ضرورة فاذا لا سبيل اليه . فكذلك ايضا هو محال ان تكون الطبيعة والعدد احصيا ما لا نهاية له من اوائل العالم الخالية حتي يبلغا الينا . واذا كان ذلك محالا فالعدد والطبيعة اذاً لم يبلغا الينا . وقد تيقنا وقوع العدد و الطبيعة فى كل ما خلا من العالم حتي بلغا الينا بلا شك . فاذاً قد احصي العدد والطبيعة كل ما خلا من اوائل العالم الى ان بلغا الينا . فكذلك الاحصاء منا الى اولية العالم صحيح موجود ضرورة بلا شك . واذ ذلك كذلك فللعالم اول ضرورة . و بالله تعالى التوفيق

(برهان خامس) قال ابو محمد رضى الله عنه لا سبيل الى وجود ثان الا بعد اول ولا الى وجود ثالث الا بعد ثان وهكذا ابدا ولو لم يكن لاجزاء العالم اول لم يكن ثان . ولو لم يكن ثان لم يكن ثالث . ولو كان الامر هكذا لم يكن عدد ولا معدود . وفى وجودنا جميع الاشياء التي فى العالم معدودة ايجاب انها ثالث بعد ثان وثان بعد أول . وفي صحة هذا وجوب أول ضرورة . وقد نبه الله تعالى على هذا الدليل وعلى الذى قبله وحصرهما في قوله تعالى واحصى كل شيء عددا . وأيضا فالآخر والاول من باب المضاف فالآخر آخر للاول والاول أول للآخر . ولو لم يكن اول لم يكن آخر . ويومنا هذا بما فيه آخر لكل موجود قبله اذ ما لم يأت بعد فليس شيئا ولا وقع عليه بعد شيء من الاوصاف فله أول ضرورة

فى هذه الامة ان شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه السلام اذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى وسالوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدال فيه « اعتبر حديث ذى الخويصرة التميمى اذ قال اعدل يا محمد فانك لم تعدل حتى قال عليه السلام ان لم أعدل فمن يعدل فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى وذلك خروج صريح على النبي عليه السلام ولو صار من اعترض على الامام الحق خارجياً فمن اعترض على الرسول الحق اولي ان يصير خارجياً أوليس ذلك قولا بتحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى فى مقابلة النص واستكباراً على الامر بقياس العقل حتى قال عليه السلام سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الخبر بتمامه « واعتبر حال طائفة من المنافقين يوم احد اذ قالوا هل لنا من الامر من شيء وقولهم لو كان لنا من الامر شيء ماقتلنا ههنا وقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فهل ذلك الا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وقول طائفة

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وقد أخبرني بعض أصدقائنا وهو محمد بن عبد الرحمن بن عقبة رحمه الله تعالى انه عارض بهذا البرهان بعض الملحدين وهو عبد الله بن عبد الله بن شنيف فعارضه الملحد فى قوله بخلود الجنة والنار وأهلها فقال له ابن عقبة ، انما أخذنا خلود دارى الجزاء وخلود أهلها بلا نهاية على غير هذا الوجه ، لكن على أن الله تعالى ينشىء لكل ذلك بقاء محدوداً وحركات حادثة ولذات مترادفة أبداً وقتاً بعد وقت الا أن الاول والآخر جاريان حادثان في كل موجود من ذلك ، واذا ثبت الاول فغير ممتنع تمادى الزمان حينا بعد حين أبدا بلا نهاية ، وهذا مثل العدد فانه لو لم يكن له أول لم يقدر أحد على عد أى شيء أبدا فالعدد له أول ضرورة يعرف ذلك بالحس والمشاهدة ، وهو قولنا واحد فان هذا مبدأ العدد الذى لا عدد قبله ، ثم الاعداد يمكن فيها الزيادة أبد الابد لا الى غاية لكن كلما خرج منه جزء الى حد الوجود وحد الفعل فله نهاية وهكذا أبدا سرمدا ، و بالله تعالى التوفيق ، فانقطع الشنيفى ولم يكن عنده الا الشغب

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وقد قال بعض أهل الالحاد فى هذه البراهين التى أوجبنا بها استحالة وجود موجودات لاأوائل لها ، أتقولون ان الله تعالى يوفى أهل الجنة ما وعدهم من النعيم الذى لاآخر له ولا نهاية أم لا يوفيهم ما وعدهم من ذلك * فان قلتم انه تعالى يوفيهم اياه دخل عليكم كل ما أدخلتموه علينا فى هذه البراهين ولافرق * وان قلتم انه تعالى لا يوفيهم ذلك الزمتموه خلف الوعد وهو كفر عندكم

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذه شغيبة قد طالما حذرنا من مثلها في كتبنا التي جمعناها فى حدود المنطق ، وهي منفسخة من وجهين (احدها) أن تعلق المرء بما يقول خصمه ضعف ، وانما يلزم المرء أن يخلص قوله مجردا ولا أسوة له في تناقض خصمه . بل لعل خصمه لا يقول ذلك (الثانى) ان المسؤل بها ان كان جهميا (١) سقط عنه هذا السؤال المذكور * واما نحن فعلينا بحول الله تعالى بيان فساد هذا الاعتراض وتمويهه ، فنقول — وبالله التوفيق — ان من شغب أهل السفسطة ادخال كلمة لا يؤبه لها يجعلونها مقدمة وهي كذب فيموهون بها على

(١) الجهمية هم أصحاب جهم بن صفوان الترمذى وهم طائفة مساحة من الجبرية . قالوا لا قدرة للعبد أصلا لا مؤثره ولا كاسبه والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهل كل منهما فيها حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى ووافقوا المعتزلة فى أكثر أقوالهم اه مصححه

انطعم من لو يشاء الله اطعمه فهل ذلك الا تصريح الجبر * واعتبر حال طائفة اخرى حيث جادلوا فى ذات الله تفكراً في جلاله وتصرفاً فى افعاله حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال فهذا ما كان فى زمانه عليه السلام وهو على شوكته وقوته وصحة بدنه والمنافقون يخادعون فيظهرون الاسلام ويبطنون النفاق وانما يظهر نفاقهم فى كل وقت بالاعتراض على حركاته و سكناته فصارت الاعتراضات كالبذور وظهر منها الشبهات كالزروع واما الاختلافات الواقعة فى حال مرضه و بعد وفاته بين الصحابة رضى الله عنهم فهى اختلافات اجتهادية كما قيل كان غرضهم منها اقامة مراسم الشرع وادامة مناهج الدين ﴿ فاول تنازع ﴾ في مرضه عليه السلام فيما رواه محمد بن اسماعيل البخارى باسناده عن عبد الله بن عباس قال لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه قال ائتونى بدواة وقرطاس اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى فقال عمر ان رسول الله قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله وكثر اللغط فقال النبى عليه السلام قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع قال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﴿ الخلاف

الجهال وما يبنون عليها . وهذا الاعتراض من هـذا الباب . وذلك انهم أرادوا الزامنا بان الله عز وجل وعد أهل الجنـة أن يوفيهم نعيما لا نهاية له ، وهذا خطأ وكذب ، وما وعدهم الله عزوجل قط بان يوفيهم ذلك النعيم . ولو وعدهم بذلك لكان ذلك النعيم اذا استوفى بطل وفنى وانقضى . وانما وعدهم تعالى بنعيم لا نهاية له . وكل ما ظهر ووجد من ذلك النعيم فهو محصور ذو نهاية . وما لم يخرج الى حد الفعل فهو عدم بعد ولا يقع عليه عدد ولا صفة وهكذا أبدا . فقد ظهر ان لفظة يوفيهم هى الشغيبة الفاسدة التى موهوا بها . فاذا أسقطها المعترض من كلامه سقط اعتراضه جملة وصحت القضية . وبالله التوفيق (فان قال قائل) ان الله تعالى يقول وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (قلنا) هـذا لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : اما ان يكون أراد بذلك نصيبهم من الجزاء . ويكون أراد نصيبهم من مساحة الجنـة * فان كان عنى عز وجل بذلك نصيبهم من الجزاء بالعقاب والنعيم . فهو صحيح لان كل ما خرج من ذلك الى حد الوجود فهو مستوفى بيقين وهكذا أبدا * وان كان تعالى عنى بذلك نصيب كل واحد من الجنة والنار ، فهذا صحيح لان كل مكان منها متناه من جهة المساحة . وانما نفينا التوفية التى توجب الانقضاء بلا زيادة فيهـا . وقد قال عز وجل : فاما الذين آمنوا وعملوا الصـالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وقال تعالى : انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وهاتان الآيتان تبينان أن الاجر المستوفي هو ما يعطونه من مساحة الجنه وكل ما خرج الى الوجود من النعيم . ثم لا يزال تعالى يزيدهم من فضله كما قال تعالى : بغير حساب ، فهذا لا يستوفى أبدا لانه لا نهاية له ولا كل ولو استوفي لم يمكن أن تكون فيـه زيادة اذ بالضرورة يعلم أن ما استوفى فلا زيادة فيه . وما تمكن الزيادة فيه فلم يستوف بعد . والله تعالى قـد نص على أن بعد تلك التوفية زيادة . فصح أنها توفية لشيء محدود متناه وان ما لا نهاية له فلا يسـتوفي أبدا . فقد ثبت بكل ما ذكرنا ان العالم ذو أول واذا كان ذا أول فلا بد ضرورة من أحـد ثلاثة أوجه لا رابع لهـا وهى : اما أن يكون أحدث ذاته . واما أن يكون حـدث بغير أن يحدثه غيره و بغير أن يحدث هو نفسه . واما أن يكون أحدثه غيره فان كان هو أحدث ذاته فلا يخلو من أحد أربعة أوجه لا خامس لها وهى : اما أن يكون أحدث ذاته وهو معدوم وهى موجودة . أو أحدث ذاته وهو موجود وهى معدومة . أو أحدثها وكلاهما موجود . أو أحدثها وكلاهما معدوم . وكل هذه الاربعة الاوجه محال ممتنع لا سبيل الى شيء منها .

الثاني ﴾ فى مرضه انه قال جهزوا جيش اسـامة لعن الله من تخلف عنها فقال قوم يجب علينا امتثال امره واسـامة قد برز من المدينة وقال قوم قد اشـتد مرض النبي عليه السلام فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه فنصبر حتى نبصر أى شيء يكون من امره وانما اوردت هذين التنازعين لان المخالفين ربما عدوا ذلك من المخالفات المؤثرة فى امر الدين وهو كذلك وان كان الغرض كله اقامة مراسم الشرع فى حال تزلزل القلوب و تسكين نائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الامور

« الخلاف الثالث » فى موته عليه السـلام قال عمر بن الخطاب من قال ان محمدا مات قتلته بسـيفى هذا وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى ابن مريم عليه السلام وقال ابو بكر الصديق من كان يعبد محمداً فان محمدا قد مات ومن كان يعبد اله محمد فانه حى لا يموت وقرأ هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم فرجع القوم الى قوله وقال عمر كانى ما سمعت هذه الآية حتى قرأها أبو بكر

﴿ الخلاف الرابع فى موضع دفنه عليه السلام اراد اهل مكة من المهاجرين رده الى مكة لانها مسقط رأسه ومأنس نفسه

لان الشيء وذاته هي هو وهو هي وكل ما ذكرنا من الوجوه يوجب أن يكون الشيء غير ذاته . وهذا محال و باطل بالمشاهدة والحس . فهذاوجه قد بطل ثم نقول ـ وان كان خرج عن العدم الى الوجود بغير أن يخرج هو ذاته أو يخرجه غيره ، فهذا أيضاً محال لانه لاحال أولي بخروجه الى الوجود من حال اخرى ولا حال اصلا هنالك، فاذاً لاسبيل الى خروجه، وخروجه مشاهدمتيقن ، فحال الخروج غير حال اللا خروج ، وحال الخروج هي علة كونه ، وهذا لازم في تلك الحال اعني ان حال الخروج يلزم في حدوثها مثل مالزم فى حدوث العالم من أن تكون أخرجت انفسها أو اخرجها غيرها أو خرجت بغير هذين الوجهين ، وهكذا فى كل حال، فان تمادى الكلام وجب بما قدمناه الا نهاية ، والا نهاية فى العالم من مبدئه باطل ممتنع محال ، فاذاً قد بطل ان يخرج العالم بنفسه ، و بطل أن يخرج دون أن يخرجه غيره ، فقد ثبت الوجه الثالث ضرورة اذ لم يبق غيره البتة فلا بد من صحته ، وهو أن العالم اخرجه غيره من العدم الى الوجود ، وبالله تعالى التوفيق « وأيضاً » فان الفلك بكل مافيه ذو آثر محمولة فيه من نقلة زمانية وحركة دورية فى كون كل جزء من اجزائه في مكان الذى يليه، والاثر مع المؤثر من باب المضاف فان لم يكن أثر لم يكن مؤثروان لم يكن مؤثر لم يكن اثر ، فوجب بذلك انه لابد لهذه الآثار الظاهرة من مؤثر اثرها (١) ، ولا سبيل الى ان يكون الفلك أو شيء مما فيه هو المؤثر لانه يصير هو المؤثر والمؤثر فيه ، مع أن المؤثر والاثر من باب المضاف أيضاً، ومعني قولنا ان المؤثر والاثر والمؤثر فيه من باب المضاف انما هو ان الاثر والمؤثر فيه يقتضيان مؤثرا ولا بد ، ولم يرد أن البارى تعالى يقع تحت الاضافة فلابد ضرورة من مؤثر ليس مؤثراً فيه وليس هوشيئاً مما فى العالم، فهو بالضرورة الخالق الاول الواحد تبارك و تعالى ، فصح بهذا ان العالم كله محدث وان له محدثاً هو غيره ، هذا الي ما نراه ويشاهد بالحواس من آثار الصنعة التي لا يشك فيها ذوعقل ※ ومن بعض ذلك تراكيب الافلاك وتداخلها ، و دوام دورانها على اختلاف مراكزها ، ثم افلاك تداويرها والبون بين حركة افلاك التداوير والافلاك الحاملة لها ، ودوران الافلاك كلها من غرب الى شرق ، ودوران الفلك التاسع الكلي بخلاف ذلك من شرق الي غرب ، وادارته لجميع الافلاك مع نفسه كذلك ، فحدث من ذلك حركتان متعارضتان في حركة واحدة، فبالضرورة نعلم أن لها محركاً على هذه

(١) اى اثر فيها

ومولى، قدمه وموطن أهله وموقع رحله وارادا اهل المدينة من الانصار دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته وارادت جماعة نقله الى بيت المقدس لانه موضع دفن الانبياء ومنه معراجه الي السماء ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة لما روى عنه عليه السلام الانبياء يدفنون حيث يموتون

※ الخلاف الخامس فى الامامة

واعظم خلاف بين الامة خلاف الامامة اذ ما سل سيف فى الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة فى كل زمان وقد سهل الله تعالى ذلك فى الصدر الاول فاختلف المهاجرون والانصار فيها وقالت الانصار منا امير ومنكم امير واتفقوا على رئيسهم سعد بن عبادة الانصارى فاستدركه أبو بكر وعمر فى الحال بان حضروا سقيفة بنى ساعدة وقال عمر كنت ازور فى نفسي كلاماً فى الطريق فلما وصلنا الى السقيفة اردت أن اتكلم فقال أبو بكر مه ياعمر فحمدالله وأثنى عليه وذكر ما كنت اقدره فى نفسي كانه يخبر عن غيب فقبل ان يشتغل الانصار بالكلام مددت يدى اليه فبايعته وبايعه الناس وسكنت الثائرة الا أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه فايما رجل بايع رجلا من غير مشورة

الوجوه المختلفة * ثم تراكيب أعضاء الانسان والحيوان من ادخال العظام المحدبة فى المقعرة ، وتركيب المضل على تلك المداخل ، والشد على ذلك بالعصب والعروق صناعة ظاهرة لاشك فيها لا ينقصها الا رؤية الصانع فقط * ومن ذلك مايظهر فى الاصباغ الموضوعة فى جلود كثير من الحيوان وريشه ووبره وشعره وظفره وقشره على رتبة واحدة ووضع واحد لانخالف فيه ، كاصباع الحجل والشفانين (اليمام) و السمان والبزاة وكثير من الطير والسلاحف والحشرات والسمك ، لا يختلف تنقيطه البتة ولا تكون اصباغه موضوعة الاوضعاً واحداً كأذناب الطواويس ، وفي السمك(١) والجراد والحشرات نوعا واحداً كالذى بصوره المصور بيننا * ثم منها ما يأتي مختلفاً كاصباغ الدجاج والحمام والبط وكثير من الحيوان ، فبالضرورة والحس نعلم ان لذلك صانعاً مختاراً يفعل ذلك كله كما شاء ، ومحصيه احصاء لا يضطرب ابداً عما شاء من ذلك ، وليس بممكن البتة في حس العقل أن تكون هذه المختلفات المضبوطة ضبطاً لاتفاوت فيه من فعل طبيعة ، ولا بد لها من صانع قاصد الى صنعة كل ذلك ، ومن درى ما الطبيعة علم أنها قوة موضوعة فى الشيء تجرى بها صفاته على ماهي عليه فقط ، وبالضرورة يعلم أن لها واضعاً ومرتباً وصانعاً لانها لا تقوم بنفسها وانما هي محمولة على ذى الطبيعة . ومنها ما نرى في ليف النخل والدوم من النسج المصنوع يقيناً بنير بن وسدى كالذى يصنعه النساج ما تنقصنا الارؤية الصانع فقط وليس هذا البتة من فعل طبيعة ولا بنسج ناسج ولا بناء ولا صانع اصباغ مرتبة . بل هو صنعة صانع مختار قاصد الى ذلك غير ذى طبيعة لكنه قادر على ما يشاء : هذا أمر معلوم بضرورة النقل واوله يقيناً . كما نعلم ان الثلاثة أكثر من الاثنين . فصح أنه خالق أول واحد حق لا يشبه شيئاً من خلقه البتة لا اله الا هو الواحد الاول الخالق عز وجل

﴿ باب الكلام على من قال أن العالم لم يزل وله مع ذلك فاعل لم يزل ﴾

(قال أبو محمد رضي الله عنه) قد افسدنا بحول الله وقوته بالبراهين التى قدمنا هذه المقالة . ولكن بقي لهم اعتراض وجب ايراده تقصياً لكل ما موهوا به

قال ابو محمد رضى الله عنه . اعتمد أهل هذه المقالة على أن قالوا إن علة فعل البارى تعالى انما هو وجوده وحكمه وقدرته . وهو تعالى لم يزل جواداً حكيما قادراً . فالعالم لم يزل . اذ علته لم تزل . فهذا فاسد البتة بالدلالة

من المسلمين فانهما تغرة ان يقتلان وانما سكتت الانصار عن دعواهم لرواية أبي بكر عن النبي عليه السلام الائمة من قريش وهذه البيعة هى التى جرت في السقيفة ثم لما عاد الى المسجد انثال الناس عليه و بايعوه عن رغبة سوى جماعة من بنى هاشم وأبي سفيان من بنى أمية وأمير المؤمنين على كرم الله وجهه كان مشغولا بما امره النبى صلى الله عليه وسلم من تجهيزه ودفنه وملازمة قبره من غير منازعة ولا مدافعة

(الخلاف السادس) فى أمر فدك والتوارث عن النبي عليه السلام ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة وتمليكا أخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبى عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة

(الخلاف السابع) فى قتال مانعي الزكاة فقال قوم لا نقاتلهم قتال الكفرة وقال قوم بل نقاتلهم حتى قال أبو بكر لو منعونى عقالا مما اعطوا رسول الله لقاتلتهم عليه و مضى بنفسه الى قتالهم ووافقه الصحابة باسرهم و قد أدى اجتهاد عمر فى أيام خلافته الى رد السبايا والاموال اليهم و اطلاق المحبوسين منهم

(الخلاف الثامن) فى تنصيص أبي بكر على عمر بالخلافة وقت الوفاة فمن الناس من قال قد وليت علينا فظاً غليظا وارتفع الخلاف بقول

(١) وفى السمك عطف على قوله ومن ذلك مايظهر في الاصباغ الخ اهـ مصحح

التي قدمنا التي تضطر الى المعرفة والتيقن بحدوث العالم ـ ثم نقول ، انما انما يلزم هذا من أقر بهذه المقدمة أعنى أن للعالم علة ، وأما نحن فانا نقول انه لاعلة لتكوين الله عز وجل كل ما كونه ، وانه لاشيء غير الخالق وخلقه ثم نقول على علم هؤلاء قولا كافيا ان شاء الله تعالى ، وهو أن المفعول هو المنتقل من العدم الى الوجود بمعنى من ليس الى شيء فهذا هو المحدث . ومعني المحدث هو ما لم يكن ثم كان وهم يقولون انه الذى لم يزل وهذا هو خلاف المعقول لان الذى لم يكن ثم كان هو غير الذى لم يزل فالعالم اذا هو غير نفسه . وهذا عين المحال . وبالله تعالى التوفيق — فان قال لنا قائل . لما كان البارى تعالى غير فاعل على قولكم ثم صار فاعلا فقد لحقته استحالة وتعالى الله عن ذلك — قلنا) له وبالله التوفيق . هذا السؤال راجع عليكم اذ صححتموه فهولكم لازم لا لنا اذ لم نصححه . وذلك انه ان كان عندكم الفعل منه بعد أن كان غير فاعل يوجب الاستحالة على الفاعل تعال . فان فعله لما احدث من الاعراض عندكم بعد أن كان غير محدث لها واعدامه ما أعدم منها بعد أن كان غير معدم لها موجب عليه الاستحالة . فأجيبوا عن سؤلكم الذى صححتموه ولا جواب لكم الا بافساده وأما نحن فنقول ان الاستحالة ليست ماذ كرتم . وانما معنى الاستحالة انه حدوث شيء في المستحيل لم يكن فيه قبل ذلك صار به مستحيلا عن صفته المحمولة عليه الى غيرها . وهذا المعنى منفى عن الله تعالى أي أنه تعالى يجل عن أن يكون حاملا لصفة عليه . بل بذاته لم يفعل أن كان غير فاعل . وبذاته فعل أن فعل . ولا علة لما فعل ولا علة لما لم يفعل ـ وأيضا : فان الذى لم يزل هو الذى لا فاعل له ولا مخرج له من عدم الى وجود . فلو كان العالم لم يزل لكان لا مخرج له ولا فاعل له . وقد أقر أهل هذه المقاله بان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل يفعل . وهذا عين المحال والتخليط والفساد وبالله تعالى التوفيق

﴿ باب الكلام على من قال ان للعالم خالقا لم يزل وأن النفس ﴾
﴿ والمكان المطلق الذى هو الخلا والزمان المطلق الذى هو المدة لم ﴾
﴿ تزل موجودة وانها غير محدثة ﴾

(قال أبو محمد رضى الله عنه) . النفس عند هؤلاء جوهر قائم بنفسه حامل لاعراضه لا متحرك ولا منقسم ولا متمكن أى لا في مكان ، وقد ناظرنى قوم من أهل هذا الرأى ورأيته كالغالب على ملحدي أهل زماننا ، فألزمتهم الزامات لم ينفكوا منها أظهرت بطلان قولهم بعون الله تعالى

ابى بكر لو سالنى ربى يوم القيامة لقلت وليت عليهم خير أهلهم * وقد وقع فى زمانهم اختلافات كثيرة فى مسائل ميراث الجد والاخوة والكلالة وفى عقل الاصابع وديات الاسنان وحدود بعض الجرائم التى لم يرد فيها نص وانما أهم أمورهم الاشتغال بقتال الروم وغزو العجم وفتح الله الفتوح على المسلمين وكثرت السبايا والغنائم وكانوا كلهم يصدرون عن رأي عمر وانتشرت الدعوة وظهرت الكلمة ودانت العرب ولانت العجم

﴿ الخلاف التاسع ﴾ فى أمر الشورى واختلاف الآراء فيها واتفقوا كلهم على بيعة عثمان رضى الله عنه وانتظم الملك واستقرت الدعوة فى زمانه وكثرت الفتوح وامتلاء بيت المال وعاشر الخلق على احسن خلق وعاملهم با بسط يد غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهاير فركبته وجاروا فجير عليه ووقعت اختلافات كثيرة واخذوا عليه احداثا كلها محالة على بني أمية * منها رده الحكم بن أمية الى المدينة بعد أن طرده النبى صلى الله عليه وسلم وكان يسمى طريد رسول الله و بعد أن تشفع الى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما ايام خلافتهما فما اجابا الى ذلك ونفاه عمر من مقامه باليمن اربعين فرسخا

وقوته ، ولم نر أحدا ممن تكلم قبلنا ذكر هذه الفرقة ، فجمعت ما نظرتهم به وأضفت اليه ما وجبت اضافته اليه مما فيه تزييف قولهم ، وما توفيقنا الا بالله ، وهذا الزمان والمكان عندهم هما غير المكان المعهود عندنا وغير الزمان المعهود عندنا ، لان المكان المعهود عندنا هو المحيط بالمتمكن فيه من جهاته أو من بعضها، وهو ينقسم قسمين ، أما مكان يتشكل المتمكن فيه بشكله كالبر أو الماء فى الخابية وما أشبه ذلك ، وأما مكان يتشكل هو بشكل المتمكن فيه كالماء لما حل فيه من الاجسام وما أشبهه ، والزمان المعهود عندنا هو مدة وجود الجرم ساكنا أو متحركا ، أو مدة وجود العرض فى الجسم ، ويعمه أن نقول هو مدة وجود الفلك وما فيه من الحوامل والمحمولات ، وهم يقولون أن الزمان المطلق والمكان المطلق هما غير ما حددناه آنفا من الزمان والمكان ويقولون أنهما شيئاً متغايران ، ولقد كان يكفى من بطلان قولهم اقرارهم بمكان غير ما يعهد وزمان غير ما يعهد بدليل على ذلك ، ولكن لا بد من ايراد البراهين على ابطال دعواهم فى ذلك بحول الله وقوته : — فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق ، أخبرونا عن هذا الخلاء الذى أثبتم (١) وقلتم أنه كان موجودا قبل حدوث الفلك وما فيه ، هل بطل بحدوث الفلك ما كان منه فى مكان الفلك قبل أن يحدث الفلك أو لم يبطل ، فان قالوا لم يبطل وبذلك اجابني بعضهم — فيقال لهم فان كان لم يبطل فهل انتقل عن ذلك المكان بحدوث الفلك فى ذلك المكان أو لم ينتقل ، فان قالوا لم ينتقل — وهو قولهم — قيل لهم ، فاذا لم يبطل ولا انتقل ، فاين حدث الفلك وقد كان فى موضعه قبل حدوثه عندكم معني ثابت قائم بنفسه موجود ، وهل حدث الفلك في ذلك المكان المطلق الذى هو الخلاء أم فى غيره فان كان حدث فى غيره ، فهاهنا اذا مكان آخر غير الذى سميتموه خلاء ، وهو أما مع الذى ذكرتم فى حيز واحد أم هو فى حيز آخر ، فان كان معه فى حيز واحد، فالفلك فيه حدث ضرورة وقد قلتم أنه لم يحدث فيه ، فهو واذا حادث فيه غير حادث فيه ، وهذا تناقض ومحال ، وان كان في حيز آخر فقد أثبتم النهاية للخلاء اذ الحيزا

ومنها نفيه أباذر الي الزبدة * وتزويجه مروان بن الحكم بنته وتسليمه خمس غنائم أفريقيه له وقد بلغت مائتى الف دينار * ومنها ايواؤه عبد الله بن سعد بن أبى سرح بعد أن أهدر النبي عليه السلام دمه وتوليته مصر باعمالها * وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث فيها ما أحدث الى غير ذلك مما نقموا عليه * وكان أمراء جنود معاوية بن أبى سفيان عامل الشام وسعد بن أبى وقاص عامل الكوفة وبعده الوليد ابن عقبه وعبد الله بن عامر عامل البصرة وعبد الله بن سعد بن أبي سرح عامل مصر وكلهم خذلوه ورفضوه حتى أتى قدره عليه وقتل مظلوما فى داره وثارت الفتنة من الظلم الذى جرى عليه ولم تسكن بعد

﴿الخلاف العاشر﴾ في زمان أمير المؤمنين على كرم الله وجهه بعد الاتفاق عليه وعقد البيعة له * فأوله طلحة والزبير الى مكة ثم حمل عائشة الى البصرة ثم نصب القتال معه ويعرف ذلك بحرب الجمل والحق انهما رجعا وتابا اذ ذكرها امرا فتذكرا فاما الزبير فقتله ابن جرموز وقت الانصراف وهو في النار لقول النبي صلى الله عليه وسلم بشر قاتل ابن صفية بالنار وأما طلحة فرماه مروان ابن الحكم بسهم وقت الاعراض فخر ميتا وأما عائشة فكانت محرلة على ما فعلت ثم تابت بعد ذلك ورجعت *

(١) يطلق الخلاء على البعد الخالى عن الشاغل سواء أكان بعدا موهوما مفروضا على رأى المتكلمين أم مفطورا ثابتا على رأى الحكماء. وليس الخلاف في الخلاء خارج العالم وهو فضاء ممتد لا يتناهى فى الوهم بل في الخلاء الذى بين الاجسام داخل العالم وهو أن يكون الجسمان لا يتلاقيان وليس بينهما ما يماسهما فيكون ما بينهما بعدا موهوما مفروضا (لا مفطورا موجودا) ممتد فى الجهات الثلاث صالحا لان يشغله جسم (لمصححه)

الآخر الذى حدث فيه الفلك ليس هو فى ذلك الخلاء ، وهذا ينطوى فيه بالضرورة نهاية الخلاء الذى ذكرتم ، فهومتناه لامتناه ، وهذا تناقض وتخليط ، واذا بطل أن يكون غير متناه وثبت أنه متناه ، فهو المكان المعهود المضاف الى المتمكن فيه ، وهذاهو المكان الذى لا يعرف ذوعقل سواه ، وان كان الفلك حدث فيه والفلك ملاء بلاشك ولم ينتقل الخلاء عندكم ولا بطل ، فالفلك اذا خلاء وملاء معا في مكان واحد وهذا محال وتخليط ، فان قالوا بطل بحدوث الفلك ما كان منه فى موضع الفلك قبل حدوث الفلك ، أوقالوا انتقل فقدأوجبواله النهاية ضرورة ، أمامن طريق الوجود بالبطلان اذ لايفسد ويبطل الا ما كان حادثا لاما لم يزل ، وأما من طريق المساحة بالنقلة اذ لو لم يجدأين ينتقل لم تكنله نقلة ، اذمعني النقلة انما هوتصييرالجرم الى مكان لم يكن فيه قبل ذلك . أو الى صفة لم يكن عليها قبل ذلك . ووجوده مكانا ينتقل اليه موجب أنه لم يكن فى ذلك المكان الذى انتقل اليه قبل انتقاله اليه . وهذا هواثبات النهاية ضرورة فهذا هو الذي ابطلوا . ويلزمهم في ذلك أيضا أن يكون متحيزا ضرورة لان الذى بطل منه هو غير الذى لم يبطل . والذى انتقل هو غير الذى لم ينتقل وهو اذا كان كذلك . فاما هو جسم ذو أجزاء . وأما هو محمول فى جسم فهو ينقسم بانقسام الجسم . وقد اثبتنا النهاية للجسم فى غير هذا المكان من كتابنا هذا بما فيه البيان الضرورى . والحمد لله رب العالمين — وايضا فان كان لم يبطل . فالذى كان منه فى موضع الفلك ثم لم يبطل ولا انتقل لحدوث الفلك فيه . فهو والفلك اذاموجودان في حيز واحدمعا . فهو اذا ليس مكانا للفلك لان المكان لا يكون مع المتمكن فيه في مكان واحدوهذا يعرف باولية العقل . ولو كان ذلك لكان المكان مكانا لنفسه ولما كان واحد منهما أولى بان يكون مكانا للاخرمن الاخر بذلك . ولا كان أحدهما أولى ايضاً بان يكون متمكنا فى الآخر من الآخرفيه ، وكل هذا فاسدومحال بالضرورة — وايضاً ، فان الخلاء عندهم مكان لامتمكن فيه ، والفلك عندهم موجودفي الخلاء اذلانهاية للخلاء عندهم من طريق المساحة ، فاذا كان الفلك متمكناً في الخلاء عندهم ، والخلاء عندهم مكان لامتمكن فيه ، فالخلاء اذاً مكان فيه متمكن ليس فيه متمكن ، وهذا محال وتخليط ، وهذا بعينه لازم في قولهم ان ذلك الجزء من الخلاء لم ينتقل لحدوث الفلك فيه ، فان قالوا انتقل فانما صار الى مكان لم يكن فيه قبل ذلك خلاء ولا ملاء فقد ثبت عدم الخلاء والملاء فيما فوق الفلك ضرورة ، وهذا خلاف قولهم ، وان

والخلاف بينه وبين معاوية وحرب صفين ومخالفة الخوارج وحمله على التحكيم ومغادرة عمرو ابن العاص أبا موسى الاشعرى وبقاء الخلافة الى وقت الوفاة مشهور * كذلك الخلاف بينه وبين الشراة المارقين بالنهروان عقدا وقولا ونصب القتال معه فعلا ظاهراً معروف وبالجملة كان على مع الحق والحق معه وظهر فى زمانه الخوارج عليه مثل الاشعث بن قيس ومسعود ابن فدكى التميمي وزيد بن حصين الطائى وغيرهم وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبا وجماعة معه ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم يهلك فيك اثنان محب غال ومبغض قال * وانقسمت الاختلافات بعده الى قسمين أحدهما الاختلاف فى الامامة والثانى الاختلاف فى الاصول والاختلاف فى الامامة على وجهين احدهما القول بان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار والثانى القول بان الامامة تثبت بالنص والتعيين (فمن قال) ان الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بامامة كل من انفقت عليه الامة أو جماعة معتبرة من الامة أما مطلقاً واما بشرط أن يكون قرشياً على مذهب قوم وبشرط ان يكون

هاشمياً على مذهب قوم الى شرائط أخر كما سياتي ۞ ومن قال بالاول فقال بامامة معاوية و اولاده . وبعدهم بخلافة مروان واولاده . والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم و يجرى على سنن العدل فى معاملاتهم والا خذلوه وخلعوه وربما قتلوه (ومن قالوا) ان الامامة تثبت بالنص اختلفو بعد على عليه السلام . فمنهم من قال انما نص على ابنه محمد بن الحنيفة و هؤلاء هم الكيسانية ثم اختلفوا بعده . فمنهم من قال انه لم يمت و يرجع فيملأ الارض عدلا . ومنهم من قال أنه مات و انتقلت الامامة بعده الى ابنه أبى هاشم و افترق هؤلاء . فمن قال الامامة بقيت فى عقبه وصية بعد وصية ومنهم من قال انتقلت الى غيره واختلفوا في ذلك الغير . فمنهم من قال هو بنان بن سمعان النهدى . ومنهم من قال هو على بن عبد الله بن عباس . و منهم من قال هو عبد الله بن حرب الكندى . ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وهؤلاء كلهم يقولون ان الدين طاعة رجل ويتاولون أحكام الشرع كلها على شخص معين كما ستاتى مذاهبهم.

قالوا بطل لزمهم ايضاً انه قد عدته المدد ضرورة فاذا عدته المدد فقد تناهي من أوله بالمبدأ ضرورة ، فان قالوا بل لم يحدث الفلك في شيء من ذلك المكان الذى هو الخلاء ، فقد اثبتوا حيزا آخر ومكاناً للفلك غير الخلاء الشامل عندهم ، واذا كان ذلك فقد تناهى كلا المكانين من جهة تلاقيهما ضرورة ، واذا تناهيا من جهة تلاقيهما لزمتهما المساحة ووجب تناهيهما لتناهي ذرعهما ضرورة – ويسالون ايضاً عن هذا الخلاء الذى هو عندهم مكان لا متمكن فيه ، هل له مبدأ متصل بصفحات الفلك الاعلى أم لا مبدأ له من هنالك، ولا بد من أحد الامرين ضرورة ، فان قالوا لا مبدأ له وهو قولهم قيل لهم ان قول القائل مكان انما يفهم منه ما يتمثل في النفس من المقصود بهذه اللفظة وموضعها فى اللغة لتكون عبارة للتفاهم عن المراد بها أنها ساحة ، ولا بد للساحة من الذرع ضرورة . ولا بد للذروع من مبدأ لانه كمية والكمية اعداد مركبة من الآحاد . فان لم يكن له مبدأ من واحد اثنين ثلاثة لم يكن عدد . واذا لم يكن عدد لم يكن ذرع أصلا . واذا لم يكن ذرع لم تكن مساحة ولا انفساح ولا مسافة . وكل هذه الفاظ واقعة اما على ذرع المذروع . واما على مذروع بالذرع ضرورة . فان قالوا له مبدأ من هنا لك : وجبت له النهاية ضرورة لحصر العدد لمساحته بوجود المبدأ له – ويسالون أيضاً . أمماس هذا الفلك أم غير مماس وباين عنه أم غير باين. فان قالوا لا مماس ولا باين . فهذا أمر لا يعقل بالحس ولا يتشكل فى النفس ولا يقوم على صحته برهان ابداً الا في الاعراض المحمولة فى الاجسام . وهم لا يقولون ان الخلاء عرض محمول في جسم . وكل دعوى لم يقم عليها دليل فهى باطلة مردودة . وان اثبتوا المماسة أو المباينة وجب عليهم ضرورة اثبات النهاية له . كما لزم باثبات المبدأ اذ النهاية منطوية فى ذكر المبدأ والمماسة او المباينة ضرورة لا شك فيه . وبالله التوفيق – ويسالون ايضاً عن هذا الخلاء الذى يذكرون والزمان الذى يثبتون . المحمولان هما أم حاملان ، أم احدهما محمول والثانى حامل ، ام كلاهما لا حامل ولا محمول ، فايهما أجابوا فية فانه حامل بلا شك فى أن محموله غيره ، اذ لا يكون الشيء حاملا لنفسه ، فله اذاً محمول لم يزل وهو غير الزمان ، فان قالوا ذلك كلموا بما قدمنا قبل على أهل الدهر القائلين بازلية العالم – وأيضاً فان كان المكان حاملا فلا يخلو ضرورة من أحد وجهين. اما أن يكون حاملا لجرم متمكن فيه وهذا يوجب النهاية له لوجوب نهاية الجرم المتمكن فيه بالدلالة التى قدمنا فى اثبات نهايات الاجرام . واما أن يكون حاملا لكيفياته .

فان كان حاملا لكيفياته فهو مركب من هيولاه واعراضه وجنسه وفصوله. وبالضرورة يعلم كل ذي حس سليم ان كل مركب فهو متناه بالجرم والزمان بالدلائل التي قدمنا . ولا سبيل الى حل ثالث . وايهما قالوا فيه انه محمول فانه يقتضى حاملا . ويعكس الدليل الذى ذكرنا آنفاً سواء بسواء . وأيهما قالوا فيه أنه حامل محمول وجب كل ما ذكرنا فيه أيضاً بعكسه وأيهما قالوا فيه لا حامل ولا محمول . فلا يخلو من أن يكون باقياً أو يكون بقاء . فان كان باقياً فهو مفتقر الي بقاء وهو مدته اذلا باقي الا ببقاء . وان كان بقاء فلا بدله من باق به وهو من باب الاضافة . والمدة هي البقاء انما هي محمولة وناعتة للباقى بها ضرورة ، هذا الذى لا يقوم في العقل سواه ولا يقوم برهان الا عليه ـ ويسالون أيضاً عن هذا الزمان الذى يذكرون: هل زاد فى مدة اتصاله مذ حدث الفلك الى يومنا هذا ، أو لم يزد ذلك فى امده ، فان قالوا لم يزد ذلك فى امده كانت مكابرة لانها مدة متصلة بها مضافة اليها وعدد زائد على عدد ، فان قالوا زاد ذلك فى أمده سئلوا متى كانت تلك المدة أطول ، أقبل الزيادة أم هى وهذه الزيادة معاً ، فان قالوا هى والزيادة معها فقد اثبتوا النهاية ضرورة ، اذ مالانهاية له فلا يقع فيه زيادة ولا نقص ، ولا يكون شيء مساوياً له ولا أكثر منه ولا أنقص منه . ولا يكون هو ايضاً مفصلا أصلا فلا يكون مساوياً لنفسه كما هو ولا أكثر من نفسه ولا اقل منها فان قالوا ليست هى والزيادة معها أطول منها قبل الزيادة ، فقد اثبتوا ان الشيء وغيره معه ليس أكثر منه وحده وهذا باطل ، وهم يقولون ان الخلاء والزمان المطلق شيآن متغايران ، فيقال لهم فاذا هما كذلك فبأى شيء انفصل بعضهما من بعض ، فان قالوا انفصل بشيء مّا وذكروا فى ذلك أى شيء ذكروه ، فقد اثبتوا لهما التركيب من جنسهما وفصلهما ، وايضاً فجعلهم لهما شيئين ايقاع منهم للعدد عليهما ، وكل عدد فهو متناه محصور ، وكل محصور فقد سلكته الطبيعة ، وكل ما سلكته الطبيعة فهو متناه ضرورة . فان أرادوا الزامنا فى البارى تعالى مثل ما الزمناهم فى هذا السؤال . فقالوا أيما اكثر البارى تعالى وحده أم البارى وخلقه معا — قلنا هذا سؤال فاسد بالبرهان الضرورى لان هذا البرهان انما هو على وجوب حدوث الزمان وما لم ينفك من الزمان وعلى حدوث النوامي . وايضا فان البارى تعالى ليس عددا ولا بعض عدد وليس هو ايضا معدودا ولا بعضا لمعدود . لان واحدا ليس عددا بالبرهان الذى نورده فى الباب الذى يتلو هذا الباب ان شاء الله تعالى : ولا واحد على الحقيقة الا الله عز وجل فقط . فهو الذى لا يتكثر البتة ولا ينضاف الى

وأما من لم يقل بالنص على محمد ابن الحنفية فقال بالنص على الحسن والحسين وقال الامامة فى الاخوين الحسن والحسين ثم هؤلاء اختلفوا. فمنهم من اجري الامامة فى اولاد الحسن فقال بعده بامامة ابنه الحسن ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد ثم أخيه ابراهيم الامامين وقد خرجا فى أيام المنصور فقتلا فى أيامه ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الامام ومنهم من أجرى الوصية فى أولاد الحسين وقال بعده بامامة ابنه على زين العابدين نصاً عليه ثم اختلفو بعده فقالت الزيديه بامامة ابنه زيد ومذهبهم أن كل فاطمى خرج وهو عالم زاهد شجاع سخي كان اماماً واجب الاتباع وجوزوا رجوع الامامة الى أولاد الحسن ومنهم من وقف وقال بالرجعة ومنهم من ساق وقال بأمامة كل من هذا حاله في كل زمان وسيأتى تفصيل مذاهبهم . وأما الامامية فقالوا بامامة محمد بن على الباقر نصا عليه ثم بامامة جعفر بن محمد وصية اليه ثم اختلفوا بعده فى أولاده من المنصوص عليه وهم خمسة محمد واسماعيل وعبد الله وموسى وعلى فمنهم من قال بامامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بامامة اسماعيل وأنكر موته في حياة أبيه وهم المباركية ومن هؤلاء من وقف عليه وقال

سواه اذ لايجمعه مع شيء سواه عدد ولا صفة البتة لان كل ماوقع عليه اسم واحـد مما دونه تعالى فانما هو مجاز لاحقيقة . لا نه اذا قسم استبان انه كان كثيرا لاواحدا . فلذلك وقع المدد على الاجرام والاعـداد المسماة آحادا في العالم . وأما الواحد في الحقيقة فهو الذى ليس كثيرا أصلا ولا يتكثر بوجه من الوجوه فلا يقع عليه عدد بوجه من الوجوه لا نه يكون حينئذ واحداً لاواحداً كثيرالا كثيرا. وهذا تخليط ومحال وممتنع لاسبيل اليه .فلا يجوز أن يضاف الواحد الاول الى شيء مما دونه لا في عدد ولا كميـة ولا في جنس ولا في صـفة ولا في معني من المعانى أصلا ، و بالله تعالى التوفيق، فان ذ كرذا كرقول الله تعالى مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسـة الا هوسادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأ كثر الا هومعهم اينما كانوا . فمعنى قوله تعالى هو رابعهم وهو سادسهم انماهو فعل فعله فيهم وهو ان ربعهم باحاطته بهم لابذاته . وسدسهم باحاطته لا بذاته: أوقدير بعهم بملك يشرف عليهم ، و يسدسهم كذلك . و برهان هذا القول ان الله تبارك وتعالى انما عني بهذه الآية بلا خلاف بل بضرورة العقل من كل سامع انه لايخفي عليه نجواهم . وهذا نص الاية لانه تعالى افتتحها بذكر نجوى المتناجين انما أرادعز وجل علمه بنجواهم لا انه معدود معهم بذاته الى ذواتهم حاشى لله من ذلك . اذ من المحال الممتنع الخارج عن رتبة الاعداد والمعدودين ان يكون الله عزوجل معبودا بذاته مع ثلاثة بالهند ومع ثلاثة بالسند ومع ثلاثة بالعراق ومع ثلاثة بالصين فى وقت واحد : لا نه لوكان ذلك لكان الذين هورابعهم بالهند مع الثلاثة الذين هو رابعهم بالصين ثمانية كلهم لانهم اربعة واربعة بلاشك فكان تعالى حينئذ يكون اثنين واكثر وهذا محال. وكذلك اذا كان بذاته سادسا لخمسة ها هنا فهم ستة ورابعا لثلاثة هنالك فهم اربعة فهم كلهم بلاشك عشرة فهو اذا اثنان وكذلك قوله تعالى في الاية نفسها الا هو معهم اينما كانوا انما أضاف الاينية اليهم لا الى نفسه تعالى معناه اينما كانوا فهو تعالى معهم باحاطته . اذ محال ان يكون بذاته في مكانين . فبطل اعتراضهم والحمـد لله رب العالمين كثيرا . وليس قول القائل الله ورسوله أو الله وعمر ممـا يعترض به علينا لا ننا لم نمنع من ضم اسمه تعالى الى اسم غيره معه لان الاسم كلمة مركبة من حروف الهجاء . وانما منعنا من أن تعد ذاته تعالى مع شيء غيره إذ العدد انما هو جمع شي الى غيره في قضية ما والله تعالى لايجمعه وخلقه شيء اصلا. فصح انتفاء العدد عنه تعالى . واذا صح انتفاء العدد عنه صح انه ليس معدود البتة ، والحمد لله رب العالمين . ويسألون أيضا ، هذا الزمان والمكان اللذان

برجعته . ومنهم من ساق الامامة فى أولاده نصا بعد نص الى يومنا هذا وهم الاسماعيلية . ومنهم من قال بامامة عبد الله الافطح وقال برجعته بعد موته لانه مات ولم يعقب . ومنهم من قال بامامة مـوسى نصاً عليه اذ قال والده سابعكم قائمكم الاوهو سمي صاحب التوراة ثم هـؤلاء اختلفوا فمنهم من اقصر عليه وقال برجعتـه اذ قال لم يمت هو ومنهم من توقف في موته وهم الممطورة ومنهم من قطع بموته وساق الامامة الي ابنه على بن موسى الرضي وهم القطعية ثم هـؤلاء اختلفـوا فى كل ولد بعـده * فالاثنا عشرية ساقـوا الامامـة من على الرضي الى ابنه محمد ثم الى ابنه على ثم الى ابنه الحسن ثم الى ابنه محمد القـائم المنتظر الثاني عشرة وقالوا هوحى لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً * وغـيرهم ساقوا الامامة الى الحسن العسكرى ثم قالوا بامامة أخيه جعفر وقالوا بالتوقف عليه أو قالوا بالشك فى حال محمد ولهم خبط طـويل فى سوق الامامة والتوقف والقـول لرجعة بعد الموت والقول بالغيبة ثم بالرجعة بعـد الغيبه فهذه جملة اختـلافات فى الامامة وسيأتى تفصيل ذلك عند ذكر المذاهب (وأما الاختلافات فى الاصول) فحدثت فى آواخر أيام الصحابة

يذكران ، أهما واقعان تحت الاجناس والانواع أم لا ، وهل هما واقعان تحت المقولات العشر أم لا ، فان قالوا لا فقد نفوهما اصلا واعدموهما البتة اذ لا مقول من الموجودات الا هو واقع تحتها وتحت الاجناس والانواع، حاشى الحق الاول الواحد الخالق عز وجل الذى علم بضرورة الدلائل ووجب بها خروجه عن الاجناس والانواع والمقولات وبالجملة شاؤا او ابوا فالخلاء والزمان المطلق اللذان يذكران ان كانا موجودين فهما واقعان تحت جنس الكمية والعدد ضرورة ، فاذا كان ذلك كذلك فهذا الزمان الذى ندريه نحن وهم ، وذلك الزمان الذى يدعونه هما واقعان جميعاً تحت جنس متى ، وكذلك المكان الذى يدعونه واقع مع المكان الذى نعرفه نحن وهم تحت جنس اين ، وبالضرورة يجب ان ما لزم بعض ما تحت الجنس مما يوجبه له الجنس فانه لازم لكل ما تحت ذلك الجنس ، واذ لا شك فى هذا فهما مركبان والنهاية فيهما موجودة ضرورة اذ المقولات كلها كذلك ـ وايضاً فان المكان لا بد له من مدة يوجد فيها ضرورة ، فنسألهم ، هل تلك المدة هي الزمان الذى يدعونه أم هى غيره ، فان كانت هى هو فهو زمان للمكان فهو محمول فى المكان فهو ككل زمان لذى الزمان فلا فرق . وان كانت غيره فهاهنا اذن زمان ثالث غير مدة ذلك المكان وغير الزمان الذى ندريه نحن وهم . وهذه وساوس لا يعجز عن ادعائها كل من لم يبال بما يقول ولا استحيا من فضيحة . ويقال لهم اذ ليس المكان الذى تدعونه والزمان الذى تدعونه واقعين مع المكان المعهود والزمان المعهود تحت جنس وحد واحد. فلم سميتموه مكاناً وزماناً . وهلا سميتموهما باسمين مفردين لهما ليبعدا بذلك عن الاشكال والتلبيس والسفسطة بالتخليط بالاسماء المشركة . فان كانا مع الزمان والمكان المعهودين تحت حد واحد فقد بطلت دعواكم زماناً ومكاناً غير الزمان والمكان المعهودين بالضرورة . وبالله تعالى التوفيق ـ ويسألون أيضاً عن هذا الزمان والمكان غير المعهودين اهما داخل الفلك أم خارجه فان قالوا هما داخل الفلك فالخلاء اذا هو الملاء و المكان اذاً فى المتمكن يعني فى داخله . وهذا محال والزمان اذن هو الذى لا يعرف غيره ، وان قالوا هما خارج الفلك أوجبوا لهما نهاية ابتداء مما هو خارج الفلك . وان قالوا لا خارج ولا داخل . فهذه دعوى مفتقرة الى برهان ولا برهان على صحتها فهى باطل . فان قالوا انتم تقولون هذا فى البارى تعالى قلنا لهم نعم لان البرهان قد قام على وجوده . فلما صح وجوده تعالى قام البرهان بوجوب خلافه لكل ما فى العالم على انه لا داخل ولا خارج . وانتم لم يصح لكم برهان على وجود الخلاء والزمان الذى تدعونه فصار كلامكم

بدعة معبد الجهنى وغيلان الدمشقى ويونس الاسوارى فى القول بالقدر وانكار اضافة الخير والشر الى القدر ونسج على منوالهم واصل ابن عطاء الغزال وكان تلميذ الحسن البصرى وتلمذ له عمرو بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر وكان عمرو من دعاة يزيد الناقص أيام بني امية ثم والى المنصور وقال بامامته ومدحه المنصور يوماً فقال نثرت الحب للناس فلقطوا غير عمرو * والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية ابتدأت بدعتهم فى زمان الحسن واعتزل واصل عنهم وعن استاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين وسمي هو واصحابه معتزلة وقد تلمذ له زيد بن على واحد الاصول منه فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة ومن رفض زيد بن على لانه خالف مذهب آبائه فى الاصول وفي التبرى والتولي وهم من أهل الكوفة وكانوا جماعة سميت رافضة * ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسرت أيام المامون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام وافردتها فناً من فنون العلم وسمتها باسم الكلام اما لان اظهر مسئلة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هى مسئلة الكلام فسمي النوع باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة فى تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق و المنطق والكلام مترادفان فكان أبو الهذيل العلاف شيخهم الاكبر وافق الفلاسفة في ان البارى تعالى عالم

كله دعوى ، وبالله التوفيق

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ولم نجد لهم سؤالا اصلا ولا اتونا قط بدليل فنورده عنهم ، ولا وجدنا لهم شيئا يمكن الشغب به فى ازلية الخلاء والمدة ، فنورده عنهم وان لم يتنبهوا ، وانما هو رأى قلدوا فيه بعض قدماء الملحدين فقط ، و بالله التوفيق

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ومما يبطل به الخلاء الذى سموه مكانا مطلقاً وذكروا انه لايتناهى وانه مكان متمكن فيه برهان ضر و رى لا نفكاك منه ، واطرف شيء انه برهانهم الذي موهوا به وشغبو بايراده وأرادوا به اثبات الخلاء ، وهوانا نرى الارض والماء والاجسام الترابية من الصخور والزئبق ونحو ذلك طباعها السفل ابداً وطلب الوسط والمركز ، وأنها لا تفارق هذا الطبع فتصعد الا بقسر يغلبها ويدخل عليها كرفعنا الماء والحجر قهرا ، فاذا رفعناهما ارتفعا ، فاذا تركناهما عادا الى طبعهما بالرسوب ، ونجد النار والهواء طبعهما الصعود والبعد عن المركز والوسط ولا يفارقان هذا الطبع الا بحركة قسرا تدخل عليهما . و يرى ذلك عيانا كالزق المنفوخ والاناء المجوف المصوب فى الماء ، فاذا زالت تلك الحركة القسرية رجعا الي طبعهما . ثم نجد الاناء المسمى سارقة الماء يبقى الماء فيها صعدا ولا ينسفك . ونجد الزراقة ترفع التراب والزئبق والماء ونجد اذا حفرنا بئراً امتلأ هواء وسفل الهواء حينئذ . ونجد المحجمة تمس الجسم الارضي الى نفسها . فليس كل هذا الا لاحد وجهين لاثالث لهما . اما عدم الخلاء جملة كما نقول نحن . واما لا ن طبع الخلاء يجتذب هذه الاجسام الى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء . فنظرنا في قولهم ان طبع الخلاء يجتذب هذه الاجسام الى نفسه كما يقول من يثبت الخلاء ، فوجدناه دعوى بلادليل فسقط ثم تأملناه اخرى فوجدناه عائداً عليهم لانه اذا اجتذبت الاجسام ولا بد فقد صار ملاء ، فالملاء حاضر موجود والخلاء دعوى لا برهان عليها فسقطت وثبت عدم الخلاء ، ثم نظرنا في قولنا فوجدناه يعلم بالمشاهدة وذلك انا لم نجد لا بالحس ولا بتوهم العقل بالامكان مكاناً يبقى خالياً قط دون متمكن ، فصح الملاء بالضرورة وبطل الخلاء اذ لم يقم عليه دليل ولا وجد قط ، وبالله تعالى التوفيق — ثم نقول لهم ان كان خارج الفلك خلاء على قولكم فلا يخلو من أن يكون من جنس هذا الخلاء الذى تدعون انه يجتذب الاجسام بطبعه . أو يكون من غير جنسه . ولا بد من أحد هذين الوجهين ضرورة ولاسبيل الى ثالث البتة . فان قالوا هو من جنسه —

بعلمه وعلمه ذاته وكذلك قادر بقدرته وقدرته ذاته وابدع بدعاً في الكلام والارادة وافعال العباد والقول بالقدر والآجال والارزاق كما سياتى فى حكاية مذهبه وجرت بينه وبين هشام بن الحكم مناظرات فى احكام التشبيه وابو يعقوب الشحام والادمى صاحبا أبى الهذيل وافقاه فى ذلك كله ثم ابراهيم بن سيار النظام في ايام المعتصم كان اعلى فى تقرير مذاهب الفلاسفة وانفرد بين السلف بيدع فى الرفض والقدر وعن أصحابه بمسائل نذكرها ومن اصحابه محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران والفضل الحدثى واحمد بن حايط ووافقه الاسوارى في جميع ماذهب اليه من البدع وكذلك الاسكافية اصحاب ابي جعفر الاسكافى والجعفرية اصحاب الجعفر بن جعفر بن مبشر وجعفر ابن حرب ثم ظهرت بدع بشر بن المعتمر من القول بالتولد والافراط فيه والميل الى الطبيعيين من الفلاسفة والقول بان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل واذا فعل ذلك فهو ظالم الى غير ذلك مما تفرد به عن أصحابه وتلمذ له ابو موسى المزدار راهب المعتزلة وانفرد عنه بابطال اعجاز القرآن من جهة الفصاحة والبلاغة وفى أيامه جرت أكثر التشديدات

وهو قولهم فقد اقروا بان طبع هذا الخلاء الغالب بجميع الطبائع هوأن يجتذب المتمكنات الى نفسه فيمتلىء بها حتى انه يحيل قوى العناصر عن طباعها ، فوجب أن يكون ذلك الخلاء الخارج عن الفلك لذلك ايضاً ضرورة ، لان هذه صفة طبعه وجنسه ، فوجب بذلك ضرورة ان يكون متمكنا فيه ولا بد ، واذا كان هذا ـ وذلك الخلاء عندهم لانهاية له ـ فالجسم المالىء له ايضاً لانهاية له ، وقد قدمنا البراهين الضرورية انه لايجوز وجود جسم لانهاية له ، فالخلاء باطل ، ولوكان ذلك ايضاً لكان ملأً لا خلاء ، وهذا خلاف قولهم ، فان قالوا بل ذلك الخلاء هو من غير جنس هذا الخلاء ، يقال لهم فباى شيء عرفتموه وبم استدللتم عليه وكيف وجب أن تسموه خلاء وهو ليس خلاء ، وهذا لا مخلص منه . وبالله تعالى التوفيق . وهم فى هذا سواء ومن قال ان فى مكان خارج من العالم ناساً لايحدون بحد الناس . ولا هم كهؤلاء الناس : او من قال ان في خارج الفلك ناراً محرقة ليست من جنس هذه النار . وكل هذا حمق وهوس

﴿ الكلام على من قال ان فاعل العالم ومدبره اكثر من واحد ﴾

(قال ابو محمد رضى الله عنه) افترق القائلون بان فاعل العالم أكثر من واحد فرقا ثم ترجع هذه الفرق الى فرقتين (فاحدى الفرقتين تذهب الى ان العالم غيرمدبر به ، وهم القائلون بتدبيرالكواكب السبعة وازليتها وهم المجوس ، فان المتكلمين ذكرواعنهم أنهم يقولون ان البارى عزوجل لماطالت وحدته استوحش فلما استوحش فكرفكرة سوء فتجسمت فاستحالت ظلمة فحدث منها اهرمن وهو ابليس فرام البارىء تعالى ابعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منه بخلق الخيرات وشرع اهرمن في خلق الشر ولهم في ذلك تخليط كثير

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا أمر لا تعرفه المجوس بل قولهم الظاهر هو أن البارى تعالى وهو أورمن وابليس وهو اهرمن . وكام وهو الزمان وجام وهو المكان وهو الخلاء ايضا . ونوم وهو الجوهر وهو ايضا الهيولى وهو ايضا الطينة والخميرة خمسة لم تزل . وان اهرمن هو فاعل الشرور . وان أورمن فاعل الخيرات . وان نوم هو المفعول فيه كل ذلك * وقد أفردنا فى نقض هذه المقالة كتاباجمعناه فى نقض كلام محمد بن زكريا الرازى الطبيب(١) فى كتابه الموسوم بالعلم الالهى * والمجوس يعظمون الانوار والنيران والمياه الاانهم يقرون بنبوة زرادشت . ولهم شرائع يضيفونها اليه . ومنهم

(١) وهو أكبر ضبيبت اسلامي مهر في الطب والمنطق والهندسة وغيرها

على السلف لقولهم بقدم القرآن وتلمذ له الجعفران ابو زفر محمد ابن سويد صاحب المزدار وابو جعفر الاسكافى عيسي بن الهيثم صاحبا جعفر بن حرب الاشج وممن بالغ في القول بالقدر هشام ابن عمرو الفوطى والاصم من اصحابه وقدحا في امامة على بقولهما ان الامامة لا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة أبيهم والفوطي والاصم اتفقا على أن الله تعالى يستحيل أن يكون عالماً بالاشياء قبل كونها ومنع كون المعدوم شيئاً وابو الحسن الخياط واحد ابن على الشطوى صحبا عيسى الصوفى ثم لزما أبا مخالد وتلمذ الكعبي لابي الحسن الخياط ومذهبه بعينه مذهبه * وأما معمر ابن عباد السلمي وثمامة بن اشرت النميرى وعمرو بن بحر الجاحظ فكانوا في زمان واحد متقاربين فى الرأى والاعتقاد منفردين عن اصحابهم بمسائل تذكرها والمتاخرون منهم أبو على الجبائي وابنه ابو هشام والقاضى عبد الجبار وأبو الحسين البصرى قد لخصوا طرق أصحابهم وانفردوا عنهم بمسائل كما سياتي وأما رونق علم الكلام فابتداؤه من الخلفاء العباسية هارون والمامون والمعتصم والواثق والمتوكل وانتهاؤه من الصاحب بن عباد وجماعة من

الديالمة * وظهرت جماعة من المعتزلة متوسطين مثل ضرار بن عمرو وحفص الفرد والحسين النجار من المتاخرين خالفوا الشيوخ فى مسائل وتبغ جهم بن صفوان فى ايام نضر بن سيار واظهر بدعته فى الجبر بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازنى فى آخر ملك بنى أمية بمرو وكان بين المعتزلة و بين السلف فى كل زمان اختلافات في الصفات وكانت السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قول اقناعى ويسمون الصفاتيــة فمن مثبت صفات البارى تعالى معاني قائمة بذاته ومن مشبه صفاته بصفات الخلق وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة و يناضلون المعتزلة فى قدم الكلام على قول ظاهر وكان عبد الله بن سعيد الكلابى وابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي اشبههم اتقانا وأمتنهم كلاما وجرت مناظرة بين ابي الحسن على بن اسماعيل الاشعرى وبين استاذه ابى على الجبائي في بعض مسائل والزمه امورا لم يخرج عنها بجواب فاعرض عنه وانحاز الى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية فصار ذلك مذهبا منفردا وقرر طريقته جماعة من المحققين مثل القاضي ابي بكر البلاقاني والاستاذ ابى اسحاق الاسفرايني والاستاذ ابي بكر بن فورك وليس

المزدقية وهم أصحاب مزدق المو بذ ، وهم القائلون بالمساواة فى المكاسب والنساء ، والخرمية اصحاب بابك وهم فرقة من فرق المزدقية ، وهم أيضاً سر مذهب الاسماعيلية (١) ومن كان على قول القرامطة وبني عبيد وعنصرهم وقد يضاف الى جملة من قال ان مدير العالم اكثر من واحد الصابئون . وهم يقولون بقدم الاصليين على ماقدمنا نحن قول المجوس الا انهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ويصورونها في هياكلهم و يقربون الذبائح والدخن ، ولهم صلوات خمس فى اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين . و يصومون شهر رمضان . و يستقبلون فى صلاتهم الكعبة والبيت الحرام . ويعظمون مكة والكعبة ، ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ، و يحرمون من القرائب مايحرم على المسلمين . وعلى نحو هذه الطريقة نفعل الهند بالبددة (٢) فى تصويرها على اسماء الكواكب وتعظيمها وهو كان أصل الاوثان فى العرب ، والدقاقرة في السودان حتى آل الامر مع طول الزمان الى عبادتهم اياها . وكان الذى ينتحله الصائبون اقدم الاديان على وجه الدهر ، والغالب على الدنيا الى أن احدثوا فيه الحوادث و بدلوا شرائعه بما ذكرنا . فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم بدين الاسلام الذى نحن عليه الآن ، وتصحيح ما أفسدوه

من علوم الفلسفة ، وأحسن صناعة الكيمياء والف فيها اثنى عشر كتابا ، وكتبه فى الطب والفلسفة تزيد عن المائة . ومن أكبر كتبه في الطب كتاب الحاوى يقع فى ثلاثين مجلدا . وهو الذى دبر مارستان الري ثم مارستان بغداد في أيام المكتفي ، وتوفى قريبا من سنة ٣٢٠ هـ (لمصححه) عن كتب التراجم

(١) تلقب هذه الفرق بالاسماعيلية لانتسابهم محمد بن اسماعيل أولا ثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق . و بالقرامطة لان أولهم رجل يقال له حمدان قرمط وقرمط قرية من قرى واسط ، و بالبابكية لان طائفة منهم تبعت بابك الخرمي فى الخروج باذربيجان ، و بالخرمية لاباحتهم المحرمات والمحارم ، و بالباطنية لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره قالوا للقرآن ظاهر و باطن والمقصود باطنه لاظاهره الى غير ذلك من القابهم ومقالاتهم التى ترجع الى أصل دعوتهم فى ابطال الشرائع (لمصححه) من مظان مختلفة

(٢) البددة كالقردة جمع بد معرب بت بالفارسية بيت فيه أصنام وتصاوير اهـ

بالحنفية السمحةالتي أتى بهامحمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى . فبين لهم كما نص في القرآن بطلان ما أحدثوه من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الاوثان . فلقى منهم ما نصه الله في كتابه ، وكانوا فى ذلك الزمان وبعده يسمون الحنفا. ومنهم اليوم بقايا بحران وهم قليل جدا فهذه فرقة* ويدخل فى هذه الفرقه من وجه ويخرج منها من وجه آخر النصاري . فاما الوجه الذى يدخلون به فهو قولهم بالتثليث وان خالق الخلق ثلاثة ، وأما الوجه الذى يخرجون به فهوأن للصابئين شرائع يسندونها الى هرمس ويقولون أنه ادريس ، والى قوم آخر يذكرون انهم انبياء كايلون ويقولون انه نوح عليه السلام واسقلانيوس صاحب الهيكل الموصوف ، وعاظيمون ويوداسف وغيرهم ، والنصارى لا يعرفون هؤلاء لكن يقرون بنبوة نبي تعرفه من بنى اسرائيل وابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ، ولا يعرفون نبوة اسماعيل وصالح وهود وشعيب ، وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اخوته الانبياء عليهم السلام ، والصابئون لا يقرون بنبوة احد ممن ذكرنا أصلا ، وكذلك المجوس لا يعرفون الا زرادشت فقط

* وأما الفرقة الثانية * فانها تذهب الى أن العالم هو مدبروه لاغيرهم البتة وهم الديصانية والمرقونية والمانية القائلون بازلية الطبائع الاربع بسائط غير ممتزجة ثم حدث الامتزاج فحدث العالم بامتزاجها ـ فاما المانية فانهم يقولون أن أصلين لم يزالا وهما نور الظلمة ، وان النوروالظلمة حية ،وان كليهما غير متناه الامن الجهة التى لاقى منها الآخر ، وأمامن جهاته الخمس فغيرمتناه وانهما جرمان ، ثم لهم فى وصف امتزاجهم اشياء شبيهة بالخرافات وهم أصحاب مانى * وقال المتكلمون أن ديصان كان تلميذمانى ، وهذا خطا بل كان أقدم من مانى لان مانى ذكره في كتبه وردعليه . وهمامتفقان فى كل ماذكرنا الا أن الظلمة عند ماني حية * وقال ديصان هى موات وكان مانى راهبا بحران ، وأحدث هذا الدين وهو الذى قتله الملك بهرام بن بهرام ، اذ ناظره بحضرته اذرباذ بن ماركسفند موبذ موبذان في مسالة قطع النسل وتعجيل فراغ العام ، فقال له الموبذ انت الذي تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ورجوع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب . فقال له ماني واجب أن يعان النورعلى خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج ، فقال له اذرباذ فمن الحق الواجب أن أن يعجل لك هذا الخلاص الذى تدعو اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم ، فانقطع مانى فامر بهرام بقتل مانى فقتل هو وجماعة

بينهم كثير اختلاف ونبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له ابو عبد الله ابن الكرام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضغثا واثبته في كتابه وروجه على اغتام غرجة وغور وسواد بلاد خراسان فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهبا قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان وصب البلاء على اصحاب الحديث والشيعة من جهتهم وهو أقرب مذهب الى مذهب الخوارج وهم مجسمة وحاشا غير محمد بن الهيصم فانه مقارب

* المقدمة الخامسة * فى السبب الذى أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب وفيها اشارة الى مناهج الحساب لما كان مبنى الحساب على الحصر والاختصار وكان غرضى من تاليف هذا الكتاب حصر المذاهب مع الاختصار اخترت طريق الاستيفاء ترتيبا وقدرت اغراضي على مباهجه تقسيما وتبويبا وأردت أن أبين كيفيه طرق هذا العلم وكمية اقسامه لئلا يظن بي اني من حيث انا فقيه ومتكلم اجنبي النظر فى مسالكه ومراسمه اعجمى القلم بمداركه ومعالمه فاثرت من طريق الحساب احكمها واحسنها وأقمت عليه من حجج البرهان أوضحها وأمتنها وقدرتها على العدد وكان

من أصحابه . وهم لا يرون الذبائح ولا أيلام الحيوان ولا يعرفون من الانبياء عليهم السلام الا عيسى عليه السلام وحده . وهم يقرون بنبوة زرادشت و يقولون بنبوة مانى ، وقالت المزقونية ايضا كذلك الا انهم قالوا نور وظلمة لم يزالا وثالث أيضا بينهما لم يزل ، الا أن هؤلاء كلهم متفقون على ان هذه الاصول لم تحدث شيئا هو غيرها ، لكن حدث من امتزاجها ومن ابعاضها بالاستحالة صور العالم كله ، فهذه الفرق كلها مطبقة على أن الفاعل اكثر من واحد وان اختلف في العدد والصفة وكيفية العقل والزامات الشرائع ، وكلامنا هذا كلام اختصار وايجاز وقصد الى استيعاب قواعد الاستدلال والبراهين الضرورية ، والنتائج الواجبة من المقدمات الاولية الصحيحة ، واضراب عن الشغب والتطويل الذى يكتفى بغيرة عنه ، فانما وكدنا (١) بعون الله تعالى أن نبين بالبراهين الضرورية ان الفاعل واحد لا أكثر البتة ونبين بطلان أن يكون أكثر من واحد كما فعلنا بتأييد الله عز وجل . اذ بينا بالبراهين الضرورية ان العالم محدث كان بعد أن لم يكن. وانه له مخترعا مدبرا لم يزل. وسقطت خرافاتهم المضافة الى الاوائل الفاسدة فى وصفهم الفاعلين وكيفية افعالهم . اذ لا تكون صفة الا لموصوف. فاذا بطل الموصوف بطلت الصفة التى وصفوه بها * واما الاشتغال احكامهم الشرعية فلسنا من ذلك فى شيء . لانه ليس من الشرائع العلمية شيء يوجبه العقل ولا شيء يمنع منه العقل . بل كلها من باب الممكن . فاذا قامت البراهين الضرورية على قول الآمر بها ووجوب طاعته . وجب قبول كل ما اتى به كائنا ما كان من الاعمال . ولو أنه قتل انفسنا وابنائنا وابائنا وامهاتنا. واذا لم يصح قول الآمر بها ولم يصح وجوب طاعته لا يلتفت الى ما يامر به أى شيء كان من الاعمال . وكل شريعة كانت على خلاف هذا فهى باطلة . فكلامنا مع الفرق التى ذكرنا فى اثبات أن الفاعل الاول واحد لا أكثر . وابطال أن يكون أكثر من واحد . وهو حاسم لكل شغب ياتون به بعد ذلك وكاف من التكلف لما قد كفته (٢) المرء بيسير من البيان. وما توفيقنا الا بالله تعالى * ونبدأ بحول الله تعالى وقوته بايراد عمدة ما موهو به فى اثبات أن الفاعل اكثر من واحد . ثم ننقضه بحول الله تعالى و قوته بالبراهين الواضحة . ثم نشرع ان شاء الله تعالى في اثبات انه تعالى واحد بما لا سبيل الى رده ولا اعتراض فيه . كما فعلنا فيما خلا من كتابنا والحمد لله رب العالمين. فنقول وبالله تعالى التوفيق * عمدة ما عول عليه القائلون بان الفاعل اكثر من واحد استدلالان فاسدان (احدهما) هو استدلال المانية

(١) وكدنا بضم فسكون أى طلبنا وقصدنا ومرادنا (٢) كفته كصرفه وزنا ومعنى

الواضع الاول منه استمداد المدد فاقول مراتب الحساب تبتدىء من واحد وتنتهي الى سبع ولا تجاوزها البتة

﴿ المرتبة الاولى ﴾ صدر الحساب وهو الموضوع الاول الذى يرد عليه التقسيم الاول وهو فرد لا زوج له باعتبار وجملة يقبل التقسيم و التفصيل باعتبار فمن حيث انه فرد فهو لا يستدعى اختلاف تساويه فى صورة المدة ومن حيث هو جملة فهل قابل للتفصيل حتى ينقسم الى قسمين وصورة المدة يجب ان تكون من الطرف الى الطرف ويكتب تحتها حشوا مجملات التفاصيل و مرسلات التقدير والتقرير والنقل والتحويل وكليات وجوه المجموع وحكايات الالحاق والموضوع بارزا من الطرف الا يسر كميات مبالغ المجموع

﴿ المرتبة الثانية ﴾ منها الاصل وشكلها محقق وهو التقسيم الاول الذى ورد على المجموع الاول وهو زوج ليس بفرد ويجب حصره في قسمين لا يعد وان الى ثالث وصورة المدة يجب ان يكون اقصر من الصدر بقليل اذ الجزء اقل من الكل و يكتب تحتها حشو ما يخصصها من التوجيه و التنويع و التفصيل ولها اخت تساويها في المدة وان لم يجب ان تساويها فى المقدار

والديصانية والمجوس والصابئة والمزدقية ومن ذهب مذاهبهم. وهو أنهم قالوا وجدنا الحكيم لا يفعل الشر ولا يخلق خلقا ثم يسلط عليه غيره . وهذا عيب في المعهود. ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين كل قسم منهما ضد الآخر. كالخير والشر والفضيلة والرذيلة والحياة والموت والصدق والكذب . فعلمنا ان الحكيم لا يفعل الا الخير وما يليق فعله به . وعلمنا ان الشرور لها فاعل غيره . وهو شر مثلها — والاستدلال الثاني . وهو استدلال من قال بتدبير الكواكب السبعة والاثني عشر برجاً . ومن قال بالطبائع الاربع . وهو أن قالوا لا يفعل الفاعل افعالا مختلفة الا باحد وجوه أربعة . اما أن يكون ذا قوى مختلفة . وأما ان يفعل بآلات مختلفة . واما ان يفعل باستحالة . وأما ان يفعل فى اشياء مختلفة . قالوا فلما بطلت هذه الوجوه كلها . واذ لو قلنا انه يفعل بقوى مختلفة لحكمنا عليه بانه مركب فكان يكون من من احد المفعولات . ولو قلنا انه يفعل باستحالة لوجب ان يكون منفعلا للشيء الذى احاله فكان يدخل بذلك فى جملة المفعولات . ولو قلنا أنه يفعل في أشياء مختلفة لوجب ان تكون تلك الاشياء معه . وهو لم يزل. فتلك الاشياء لم تزل فكان حينئذ لا يكون مخترعا للعالم ولا فاعلا له . قالوا فعلمنا بذلك أن الفاعلين كثير . وان كان واحد يفعل ما يشا كله

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فهذه عمدة ما عول عليه من لم يقل بالتوحيد. وكلا هذين الاستدلالين خطأ فاحش على ما نبين ان شاء الله تعالى * فيقال — وبالله تعالى التوفيق — لمن احتج بما احتجت به المانية من أنه لا يفعل الحكيم الشر ولا العبث . هل يخلو علمكم بان هذا الشيء شر وعبث من احد وجهين لا ثالث لهما . اما ان تكونوا علمتموه بسمع وردكم وخبر . واما ان تكونوا علمتموه بضرورة العقل * فان قلتم أنكم علمتموه من طريق السمع . قيل لكم هل معني السمع الا آتى غير أن مبتدع الخلق ومرتبه سمى هذا الشيء شراً وأمر باجتنابه ، وسمى هذا الشيء الآخر خيراً وأمر باتيانه ، فلا بد من نعم اذ هذا هو معنى اللازم عند كل من قال بالسمع . فيقال لهم فانما صار الشر شراً لنهى الواحد الاول عنه ، وانما صار الخير خيراً لامره به فلا بد من نعم ، فاذا كان هذا فقد ثبت ان من لا مبدع ولا مدبر له ولا آمر فوقه لا يكون شيء من فعله شراً ، اذ السبب فى كون الشر شراً هو الاخبار بانه شر ولا مخبر يلزم طاعته الا الله تعالى — فان قال ، فكيف يفعل هو شيئاً قد اخبر أنه شر — قليل له لسن يفعل الجسم فيما يشاهد غير الحركة والسكون ، والحركة كلها جنس واحد فى أنها

﴿ المرتبة الثالثة ﴾ من ذلك الاصل وشكله ايضاً حقق وهو التقسم الثانى الذي ورد على الموضوع الاول والثانى وذلك لا يجوز أن ينقص من قسمين ولا يجوز أن يزيد على اربعة أقسام ومن جاوز من أهل الصنعة فقد اخطا وماعلم وضع الحساب وسنذكر السبب فيه وصورة مدته اقصر من مدة منها الاصل بقليل وكذلك يكتب تحتها ما يليق بها حشوا وبارزا

﴿ المرتبة الرابعة ﴾ منها المطموس وشكلها هكذا ط وذلك يجوز ان يجاوز الاربعة واحسن الطرق ان يقتصر على الاقل ومدتها اقصر مما مضي

﴿ المرتبة الخامسة ﴾ من ذلك الصغير وشكله هكذا ص وذلك يجوز الي حيث ينتهى التقسيم والنبويب والمدة اقصر مما مضى

﴿ المرتبة السادسة ﴾ منها المعوج وشكله ، هكذا وذلك أيضاً يجو الى حيث ينتهى التفصيل

﴿ المرتبة السابعة ﴾ من ذلك المقعد وشكله هكذا لك ولكن بمد من الطرف الى الطرف لا على انه اخت صدر الحساب بل من حيث أنه النهاية التي تشا كل البداية فهذه كيفية صورة الحساب نقشا وكمية أبوابها جملة ولكل قسم من الابواب أخت

نقلة مكانية ، وكذلك السكون جنس واحد كله ، فانما أمرنا تعالى بفعل بعضها ، ونهانا عن فعل بعضها ، ولم يفعل هو الحركة قط على انه متحرك بها ، ولا السكون على أنه ساكن به ، وانما فعلهما على سبيل الابداع ، فتحركنا نحن بحركة نهينا عنها وسكوننا بسكون نهينا عنه هو الشر ،

وكذلك اعتقاد النفس ما نهيت عنه ، وهذا كله غير موصوف به البارى تعالى ، وان قالوا علمنا ذلك ببداهة العقل قيل لهم — وبالله التوفيق — أليس العقل قوة من قوى النفس وداخلا تحت الكيفية على الحقيقة أو تحت الجوهر على قول من لا يحصل فلا بد من نعم ، فيقال لهم انما يؤثر العقل ما هو من شكله في باب الكيفيات فيميز بين خطئها وصوابها ، ويعرف احوالها ومراتبها ، وأما فيما هو فوقه وفيما لم يزل العقل معدوم وفي مخترع العقل ومرتبه كما هو فلا تاثير للعقل فيه ، اذ لو اثر فيه لكان محدثا على ما قدمنا من أن الاثر من باب المضاف ، فهى تقتضي مؤثرا فكان يكون البارى تعالى منفعلا للعقل وكان يكون العقل فاعلا فيه تعالى وحا كما عليه جل الله عن ذلك * وقد بينا في كتابنا هذا أن البارى تعالى لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ، ولا يجرى مجرى خلقه في معنى ولا حكم وذكرنا أيضا فيه ابطال قول من قال بتسمية البارى حيا أو حكيما أو قادرا أو غير ذلك من سائر الصفات من جهة الاستدلال حاشى أربعة أسماء فقط وهي الاول الواحد الحق الخالق فقط ، وهي الاسماء هي التي لا يستحقها شيء في العالم غيره ، فلا أول سواه البتة ، ولا واحد سواه البتة ، ولا خالق سواه البتة ، ولا حق سواه البتة على الاطلاق ، وكل ما دونه تعالى فانما هو حق بالبارى تعالى ولولا البارى تعالى ما كان شيء في العالم حقا ، وكل ما دونه تعالى فانما حق بالاضافة ، ولولا أن السمع قد ورد بسائر الاسماء التي ورد الخبر الصادق بها ، ما جاز أن يسمى الله عز وجل بشيء منها ، ولكن قد بينا في مكانه من هذا الكتاب على أى شيء تسميته بما ورد السمع ، وان ذلك تسمية لا يراد بها غيره تعالى ، ولا يرجع منها الي شيء سواه البتة وايضا فان دليلهم فيما سموا به البارى تعالى وأجروه عليه اقناعي شغبي وفيه تشبيه للخالق بخلقه ، وفي تشبيههم له بخلقه حكم عليه بالحدوث وان يكون الفاعل مفعولا ، وقد قدمنا ابطال ذلك ، ويقال لهم أن التزمتم أن يكون فاعل فيما عندنا عابثا فقررتم بذلك على أن يكون فاعل العالم فاعل العالم واحدا وقد علمنا فيما بينا أن تارك الشيء لا يغيره — وهو قادر على

تقابله وزوج يساويه في المده لا يجوز اغفال ذلك بحال والحساب تاريخ وتوجيه والآن نذكر كمية هذه الصورة وانحصار الاقسام في سبع ولم صار الصدر الاول فرداله في الصورة ولم انحصرت من الاصل في قسمين لا يعدوان الى ثالث ولم انحصرت من ذلك الاصل في أربعة ولم خرجت الاقسام الاخر عن الحصر فاقول ان العقلاء الذين تكلموا في علم العدد والحساب اختلفوا في الواحد أهو من العدد أم هو مبدأ العدد وليس داخلا في العدد وهذا الاختلاف انما ينشا من اشتراك لفظ الواحد فالواحد يطلق ويراد به ما يتركب منه العدد فان الاثنين لا معني له الا واحد مكرر اول تكرير وكذلك الثلاثة والاربعة ويطلق ويراد به ما يحصل منه العدد أى هو علته ولا يدخل في العدد أى لا يتركب منه العدد وقد تلازم الواحدية جميع الاعداد لا على أن العدد تركب منها بل كل موجود فهو في جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال ان انسان واحد وشخص واحد وفي العدد كذلك فان الثلاثة في انها ثلاثة واحدة فالواحدة بالمعني الاول داخلة في العدد وبالمعني الثاني علة للعدد وبالمعنى الثالث ملازمة للعدد وليس من الاقسام الثلاثة قسم يطلق على البارى تعالى معناه فهو واحد لا كالآحاد أى هذه الوحدات والكثرة منه وجدت ويستحيل عليه الانقسام

تغييره ـ عابث ظالم ، ولا يخلو فاعل الخيرات عندكم من أن يكون قادراً على تغييره والمنع منه ، ولم يغيره ، فقد صار عندكم عابثاً ضرورة ، فقد وقعتم فيما عنه فررتم ضرورة ، وان قلتم أنه غير قادر على تغييره ولا المنع منه فهو بلا شك عاجز ضعيف ، وهذه صفة سوء عندكم فهلا تركتم القول بانه أكثر من واحد لهذا الاستدلال فانه أصح على أصولكم و مقدماتكم ، واما نحن فمقدماتكم عندنا فاسدة بالبرهان الذى ذكرناه

(قال أبو محمد رضي الله عنه ، والمانية تزعم ان النور كان فى العلو الي ما نهاية له ، وان الظلمة فى السفل الى مالا نهاية له ، وان كل واحد منها متناهى المساحة من الجهة التى لاقى منها الاخر ، وغير متناه من جهاته الخمس ، وأن اللذة للنور خاصة لا للظلمة . وان الاذى للظلمة خاصة لا للنور :

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فاما بطلان هذا القول فى عدم التناهى من الجهات الخمس فيفسد بما اوجبنا به تناهي جسم العالم . وأما قولهم بالعلو والسفل فظاهر الفساد . لان السفل لا يكون الا بالاضافة . وكذلك العلو . فكل علو فهو سفل لما فوقه حتى تنتهي الى الصفحة العليا التى لا صفحة فوقها وهم لا يقرون بها . وكل سفل فهو علو لما تحته حتى تنتهي الى المركز وهم لا يقرون بها . فصح ضرورة ان فى الظلمة على قولهم علوا . وان فى النور سفلا * واما قولهم فى اللذة والاذى ففاسد جدا . لان اللذة لا تكون الا بالاضافة وكذلك الاذى . فان الانسان لا يلتذ بما يلتذ به الحمار . ويتاذى بما لا يتاذى به الافعى ، فبطل هوسهم بيقين والحمد لله رب العالمين * سؤال على المانية دامغ لقولهم بحول الله وقوته ، وهو أن يقال لهم . ألهذه الاجساد انفس أم لا . فان قالوا لا ـ قيل لهم . فهذه الاجساد لا تخلوا على أصولكم من أن يكون فى كل جسد منها نور وظلمة . او يكون بعض الاجساد نورا محضاً وبعضها ظلمة محضة . فان قالوا في كل جسد نور وظلمة قيل لهم . فهل يجوز من الظلمة فعل الخير فلا بد من لا . لا نه لو فعل الخير لا نتقلت الى النور وكذلك لا يجوز ان يفعل النور شرا لانه كان يصير ظلمة . فيقال لهم فاى معني لدعائكم الى الخير ونهيكم عن النكاح والقتل . واخبرونا من تدعون الى كل ذلك . فان كنتم تدعون النور فهو طبعه وهو فاعل له بطبعه قبل أن تدعوه اليه لا يمكنه ان يحول عنه . فدعاؤكم له الى ما يفعله وامركم له بترك مالا يفعله عبث من النور داع الي المحال . وهذا خلاف أصلكم . وان كنتم تدعون الظلمة فذلك عبث من النور لها الى ذلك . اذ لا سبيل لها الى ترك طبعها . وكذلك يقال لهم سواء بسواء ان قالوا ان من الاجساد ماهو نور محض . ومنها ماهو ظلمة محضة . وهكذا يسئلون فى الارواح ان اقروا بها ثم يسئلون عمن رأيناه ينكح ويقتل و يظلم ويكذب

بوجه من وجوه القسمة وأكثر اصحاب العدد على ان الواحد لا يدخل في العدد فالعدد مصدره الاول اثنان وهو ينقسم الى زوج وفرد فالفرد الاول ثلاثة والزوج الاول أربعة وما وراء الاربعة فهو مكرر كالخمسة فانها مركبة من عدد وفرد و يسمي العدد الدائر والستة مركبة من فردين و يسمى العدد التام والسبعة مركبة من فرد وزوج و يسمى العدد الكامل و الثمانية مركبة من زوجين وهى بداية اخرى وليس ذلك من غرضنا فصد الحساب فى مقابلة الواحد الذى هو علة العدد وليس يدخل فيه ولذلك هو فرد لا اخت له ولما كان العدد مصدره من اثنين صار منها المحقق محصورا فى قسمين ولما كان العدد منقسما الى فرد وزوج صار من ذلك الاصل محصورا فى اربعة فان الفرد الاول ثلاثة و الزوج الاول اربعة وهي النهاية وماعداها مركب منها فكان البسائط العامة الكلية في العدد واحد واثنان وثلاثة وأربعة وهى الكمال ومازاد عليها فمركبات كلها ولا حصر لها فلذلك لا تنحصر الابواب الاخر فى عدد معلوم بل تتناهى بما ينتهى به الحساب ثم تركيب العدد على المعدود وتقدير البسيط على المركب فمن علم آخر وسنذكر ذلك عند ذكرنا مذاهب قدماء الفلاسفة

ثم يتوب عن كل ذلك . من القاتل الظالم اهو النور أم الظلمة . ومن التائب النور أم الظلمة . فاي ذلك قالوا فهو هدم مذهبهم وقد جوزوا الاستحالة. فان قالوا . معنى دعائنا الى ما ندعو اليه من ذلك انما هو حض للنور على المنع للظلمة من ذلك . قيل لهم أكان النور قادراً على منعها قبل دعائكم أم لا . فان قالوا كان قادراً قيل لهم فقد ظلم بتركه اياها تظلم وهو يقدر على منعها قبل دعائكم . وان قلتم لم يذكر حتى نبه — قيل لهم . فهذا نقص منه وجهل وصفات شر لا تليق بالنور على قولكم . وهذا مالا انفكاك لهم منه . وايضاً فيقال لهم أن الداعى منكم الى دينه لا يقول لمن دعاه كف غيرك عن ظلمه . انما يقول له كف عن ظلمك وارجع عن ضلالك . ولقد احسنت فى رجوعك عن الباطل الي الحق. فان كنتم تامرون بان يخاطب بذلك الظلمة فالآمر بذلك كاذب آمر بالكذب ، وان كنتم تامرون بان يخاطب بذلك النور فالآمر بذلك ايضاً كاذب آمر بالكذب = فان قالوا ، فاى معني لدعائكم الي الخير وقد سبق علم الله تعالى فيمن يعلمه ومن لا يعلمه — قيل لهم ، جواب بعضنا في هذا هو ان كل من يدعي الي الخير فممكن وقوعه منه ، وممكن ايضاً فعل الشر منه ، ومتوهم كل ذلك منه ، فوجه دعائنا له معروف ، وليس علم الله تعالي اجباراً وانما هو انه تعالى علم مايختاره العبد . وجواب بعضنا فى ذلك هو ان فاعل كل ما يبد وفى العالم فعل خلق وابداع فهو الله عز وجل لا يتعقب عليه ، فهو خالق دعائنا من تدعوه ، فاذ ذلك كذلك فلا يجوز سؤال الخالق لما شاء بلم فعلت، وهذا هو الجواب الذى نختاره — ويقال لهم ايضاً ، اخبرونا عن مانى و المسيح وزرادشت وأنتم تعظمونهم ، أفيهم ظلمة ام كانوا انواراً محضة . فمن قولهم ولا بد ان فيهم ظلمة لانهم يتغوطون و يجزعون و يالمون . فيقال لهم فلم عجز النور الذى فيكم عن مثل ذلك . فان قالوا لقلته قيل لهم فكان يجب ان ياتى من المعجزات ولو بيسير على قدره . وهذا مالا مخلص لهم منه اصلا. ويقال لهم ايضاً ان من العجائب الزامكم ترك النكاح لتعجلوا قطع النسل. فهبكم قدرتم على ذلك فكيف تصنعون فى الوحش والطير وسائر الحيوان البرى والحشرات وحيوان المياه والبحار التى تقتل بعضها بعضاً أشد من قتل بعض الناس لبعض وأكثر . فكيف السبيل الى قطع تناسلها وفراغ امتزاجها . وهذا مالا سبيل لكم الية اصلا. فان كان النور عاجزاً عن قطعها فلا سبيل له الى خلاص اجزائه ابد الابد . وإن كان على ذلك قادراً فلم لم يعجل خلاص أجزائه ولم يتركها تردد فى الظلمات . وأعجب شيء منعهم من القتل وهذا عون منهم على بقاء المزاج وعلى منع الخلاص و استنقاذ

فاذا نجزت المقدمات على او فى تقرير واحسن تحرير شرعنا فى ذكر مقالات اهل العالم من لدن آدم علية السلام الي يومنا هذا لملة لا يشذ عن اقسامها مذهب ونكتب تحت كل باب وقسم ما يليق به ذكراً حتى يعرف لم وضع ذلك اللفظ لذلك الباب ونكتب تحت ذكر الفرقة المذكورة ما يعم اصنافها مذهباً واعتقادا و تحت كل صنف ما خصه وانفرد به عن اصحابه و نستوفى أقسام الفرق الاسلامية ثلاثا وسبعين فرقه ونقتصر فى اقسام الفرق الخارجة عن الملة الحنيفية على ما هو اشهر واعرف أصلا وقاعدة فنقدم ما هو اولى بالتقديم ونؤخر ماهو اجدر بالتاخير وشرط الصناعة الحسابية ان يكتب بازاء الممدود من الخطوط ما يكتب حشوا وشرط الصناعة الكتابية ان يترك الحواشى على الرسم المعهود فعفوا فراعيت شرط الصناعتين ومددت الابواب على شرط الحساب وتركت الحواشي على رسم الكتابة وبالله استعين وعليه أتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل (مذاهب) أهل العالم من أرباب الديانات والملل واهل الاهواء والنحل من الفرق الاسلامية وغيرهم ممن له كتاب منزل محقق مثل اليهود والنصارى وممن له

النور وقطع المزاج ، وهذا تناقض ظاهر منهم لا خفاء به وبالله تعالى نتأيد * وكل ما قدمنا من البراهين على حدوث العالم وايجاب النهاية في جرمة واشخاصه وازمانه فهو لازم الاصلين النور والظلمة على أصول المانية ، وعلى كل من يقول بان الفاعل أكثر من واحد وانه لم يزل مع المفاعل غيره لزوم ضرورة ، وبالله تعالى التوفيق ﴿ واما الاستدلال الثاني ﴾ الذى عولوا فيه على أقسام من يفعل افعالا مختلفة فهو استدلال فاسد ايضاً ، لانهم انما عولوا فيه على الاقسام الموجودة في العالم ، وقد قدمنا البراهين الضرورية على حدوث العالم ، وعلى ان محدثه لا يشبه شيء من الاشياء ، فلا سبيل الى ان يدخل تحت شيء من أقسام العالم ، لكنه تعالى يفعل الاشياء المختلفة والاشياء المتفقة مختارا لكل ذلك وحين شاء لا علة لشيء من ذلك ، اذ قدمنا أن ما حصرته الطبيعة فهو متناه ، والمتناهي محدث على ما قدمنا من أن يكون ذا قوى أو فاعلا بآلات أو فاعلا باستحالة أو فاعلا في أشياء لان هذا كله يقتضي أن يكون محدثا ، تعالى الله عن ذلك وهو لم يزل ، فقد وجب ضرورة أن يكون البارى تعالى يفعل ما يشاء من مختلف ومنفق مختارا دون علة موجبة عليه شيئا من ذلك ولا بقوة هي غيره و بالله تعالى التوفيق * وكل ما ألزمنا من يقول أن العالم لم يزل من البراهين الضرورية فهو لازم المانية والديصانية والمزقونية والقائلين بازلية الطبائع والهيولى ، لان العالم عند هؤلاء ليس هو شيئا غير تلك الاصول التى لم تزل عندهم وانما حدثت فيهم عندهم الصورة فقط ، و يدخل أيضا عليهم القول بتنا هي الاصلين لانهما عندهم جسمان والجسم متناه ضرورة لبرهانين نوردها أن شاء الله تعالى ، وذلك اننا نقول لا يخلو كل جرم من الاجرام من أن يكون متحركا أو ساكنا ، فان كان متحركا فقد علمنا أن المسافة التي لا تتناهي لا تقطع أصلا لا في زمان متناه ولا في زمان غير متناه ، ثم لا تخلو حركته من أن تكون أما باستدارة وأما الى جهة من الجهات ولا ثالث لهذين الوجهين * فان كان متحركا باستدارة وهو غير متناه فهذا محال ، لان الخطين الخارجين من الوسط الى المشرق والى العلو غير متناهيين اذن ! فكان يجب أن يكون الجزء الذى في سمت المشرق منه لا يبلغه الى العلو الذى هو سمت الرأس منه أبدا ، فقد بطلت الحركة على هذا ، فهذا اذن متحرك لا متحرك وهذا محال مع مشاهدة العيان ، لقطع كل جزء من الفلك الكلى جميع مسافته ورجوعة الى حيث ابتدأ منه فى كل اربع وعشرين ساعة * وان كان متحركا الى جهة من الجهات فهذا ايضا محال . لان الحركة نقلة من مكان الى مكان فاذا وجد هذا الجسم مكانا ينتقل اليه

شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية وممن له حدود وأحكام دون كتاب مثل الصابئة الاولى وممن ليس له كتاب ولا حدود واحكام شرعيه مثل الفلاسفة الاولى والدهرية وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة نذكر أربابها واصحابها ونقل ما أخذها ومصادرها عن كتب طائفة طائفة على موجب اصطلاحها بعد الوقوف على مناهجها والفحص الشديد عن مباديها وعواقبها * ثم ان التقسيم الصحيح الدائر بين النفى والاثبات هو قولنا ان اهل العالم انقسموا من حيث المذاهب الى اهل الديانات والى اهل الاهواء فان الانسان اذا اعتقد عقدا أو قال قولا فاما ان يكون فيه مستفيدا من غيره اومستبدا برأيه فالمستفيد من غيره مسلم مطيع والدين هو الطاعة والتسليم والمطيع هو المتدين والمستبد برأيه محدث مبتدع وفى الخبر عن النبي عليه السلام ماشقي امرؤ عن مشورة ولا سعد باستبداد برأى وربما يكون المستفيد من غيره مقلدا قد وجد مذهباً اتفاقياً بان كان أبواه او معلمه على اعتقاد باطل فيتقلده منه دون ان يتفكر فى حقه وباطله وصواب القول فيه وخطئه فحينئذ لا يكون مستفيدا لانه ماحصل على فائدة وعلم ولا اتبع الاستاذ على بصيرة ويقين الا

لم يكن فيه قبل ذلك فقد ثبتت النهاية له ضرورة لان وجوده غير كائن في المكان الذى انتقل اليه موجب لا نقطاعه قبله وان كان لم يزل في المكان الذى انتقل اليـه ، وهكذا فيما بعده من الامكنة فلم يزل غير منتقل وقد قلتم أنه لم يزل منتقلا ، فهو اذن متحرك لامتحرك وهـذا محال * وان قلتم ساكن قلنا لـكم اقطعو من هـذا الجرم قطعة بالوهم فاذا توهموا ذلك سالناهم متى كان هذا الجرم اعظم ، أقبل أن تقطع منه هذه القطعه أو بعد أن قطعت ، فاياما قالوا أو أن قالوا أنه مساو لنفسه قبل أن تقطع منه هذه القطعة فقد أثبتو النهاية ، اذ لاتقع الـكثرة والقلة والتساوى الا في ذى نهاية * وأيضا فان المـكان والجرم مما يقع تحت العـدد كوقوع الزمان تحت العدد ، فكل ماادخلناه فيماخلا من تناهي الزمان من طريق العدد فهو لازم فى تناهى المـكان والجرم من طريق العدد بالمساحة . و بالله تعالى التوفيق

* قال ابو محمد رضي الله عنه * وكل ما الزمناه من يقول بان الاجسام لم تزل فهو لازم بعينه لمن يقول ان السبعة كوا كب والاثنى عشر برجا لم تزل لانها اجسام جارية تحت أقسام الفلك وحركته فانظرهنالك ما الزمناه من حدوث الاجسام وازمانها فهو لازم لهؤلاء وتركنا ماالزمناه فى حدوث الاجسام في فروع اقوالهم كقولهم فى المزاج والخلاص وصفات النور والظلمة اذا نما قصدنا اجتثاث أصول المذاهب الفاسدة فى أن الفاعل أكثر من واحد ، واعتمدنا البيان في اثبات الواحد فقط ، فاذقد ثبت ذلك ببراهين ضرورية بطل كل ما عرفوه من هذا الاصل الفاسد، انما قصدنا ما تدفع اليه الضرورة من الاستيعاب لما لا بد منه بايجاز بحول الله تعالى وقوته، وأما من جعل الفاعل أكثر من واحد الا انهم جعلوهم غير العالم كالمجوس والصابئين والمزقونية ومن قال بالتثليث من النارى فانه يدخل عليهم من الدلائل الضرورية بحول الله وقوته ما نحن موردوه ان شاء الله تعالى — فنقول — و بالله تعالى التوفيق — انما كان أكثر من واحد فهو واقع تحت جنس العدد ، وما كان واقعا تحت جنس العدد فهو نوع انواع العدد، وماكان نوعا فهو مركب من جنسه العام له ولغيره ومن فصل خصه ليس في غيره ، فله موضع وهو الجنس القابل لصورته وصورة غيره من انواع ذلك الجنس وله محمول وهو الصورة التي خصته دون غيره ، فهوذو موضوع وذو محمول ، فهو مركـب من جنسه وفصـله ، والمركب مع المركب من باب المضاف الذى لابد لـكل واحد منهما من الاخر فاما المركب فانما يقتضي وجود المركب من وقت تركبه وحينئذ يسمى مركبا

من شهد بالحق وهم يعلمون شرط عظيم فليعتبروا ر بما يكون المستبد برأيه مستنبطا ممـا استفاده على شرط ان يسلم موضع الاستنباط وكيفيته فحينئذ لايكون مستبدا حقيقة لانه حصل العلم بقوة تلك الفائدة لعلمـه الذين يستنبطونه منهـم ركن عظيم فلا تغفـل فالمستبدون بالرأى مطلقا هم المنكرون للنبوات مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة وهم لا يقولون بشرائع وأحكام امرية بل يضعون حدودا عقلية حتى يمكنهم التعايش عليها والمستفيدون هم القائلون بالنبـوات ومن قال بالاحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولاينعكس أر باب الديانات والملل من المسلمين وأهل الـكتاب وممن له شبهة كتاب (نتكلم هاهنا) فى معني الدين والملة والشرعه والمنهاج والاسلام والحنيفية والسنة والجماعة فانها عبـارات وردت فى التنزيل ولـكل واحدة منها معني يخصها وحقيقه توافقها لغة واصطلاحا وقد بينـا معنى الدين أنه الطاعة والانقيادوقدقال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقد يرد معنى الجزاء يقال كما تدين تدان وقد يرد بمعنى الحساب يوم المعادوالتناد قال تعالى ذلك الدين القيم فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد قال تعالى ورضيت لكم

لاقبل ذلك ، وأما الواحد فليس عددا لما سنبينه ان شاء الله تعالى . فقد
انقضى الكلام فى هذا الباب و بالله تعالى التوفيق * ومن البرهان على ان
فاعل العالم ليس واحداً أن العالم لوكان مخلوقا لاثنين فصاعدا لم يخل من أن
يكونا لم يزالا مشتبهين أو مختلفين ، فاياما قالوا فقد اثبتوا معنى فيهما أو في
أحدهما به اشتبها أوبه اختلفا ، فان نفوا ذلك فقد نفوا الاختلاف والاشتباه
معا ، ولا يجوز ارتفاعهما معا أصلا ، لان ذلك محال وموجب للعدم ، لان
وجود شيئين لا يشتبهان فى شيء ولا يختلفان بوجه من الوجوه محال ، اذفي
ذلك عدمهما ، لان هذه الصفه معدومة فحاملها معدوم وهم قد أثبتوا وجودها
فيلزم القول بموجود معدوم في وقت واحد من وجه واحد وهذا محال ، وهم
اذا اثبتوهما موجودين لم يزالا فقد اثبتو لهما معانى قد اشتبها فيها ، وهي
كونهما مشتبهين فى الوجود مشتبهين فى الفعل مشتبهين في أن لم يزالا ، ولا
يجوز أن تكون هذه الاشياء ليست غيرها لانها صفات عمتهما اعني اشتباههما
فى المعانى المذكورة فان كان اشتباههما هو ها فهما شيء واحد ، وكذلك
أيضا يلزم فى كونهما مختلفين في ان كل واحد منهما غير صاحبه ، فان كان
هذا الاختلاف فيهما هو غيرها فهمنا ثالث وهكذا أيضا أبداً * وسنذكر
ما يدخل فى هذا ان شاء الله تعالى * وان كان التغاير هو هما والاشتباه هو هما فالتغاير
هو الاشتباه وهذا هو عين المحال لانه لا بد من معنى موجود فى المتغاير ليس اشتباها
لانه لا يجوز ان يكون الشيئان مشتبهين بالتغاير فاذ قد ثبت ماذكرنا ولم يكن بد من
اشتباه أو اختلاف هو معنى غيرهما فقد ثبت ثالث ، واذا ثبت ثالث لزم فيهم ثلاثتهم
مثل ما لزم فى الاثنين من السؤال ، وهكذا ابدا . وهذا يوجب ضرورة ان كل
واحد منهما أو احدهما مركب من ذاته ومن المعنى الذى بان به عن الاخر أو به أشبه
الآخر ، فان أثبتوا ذلك لهما جميعا وكلاهما مركب والمركب محدث فهما مخلوقان
لغيرهما ولا بد وان اثبتوا ذلك لاحدهما فقط كان مركبا وكان الاخر هو الفاعل له فقد
عاد الامر الى واحد غير مركب ولا بد ضرورة * و يوجب أيضا ان تمادوا على ما
الزمناهم من وجود معنى به بان كل من الاخر وجود قدماء لم يزالوا ، وجود فاعلين
آلهة أكثر من الماهو لين وهذا محال ، لانه لا سبيل الى وجود أعداد قائمة ظاهرة فى
وقت واحد لانهاية لهـا ، لانه أن كان لها عدد فقد حصرها ذلك العـدد
على ماقدمنا ، وكل ما حصر فهو متناه ، وقد أوجبنا عليهم القول بانها غير
متناهية فلزمهم القول باعداد متناهية لا متناهية وهذا من أعظم المحال ،
فان لم يكن لها عدد فليست موجودة لان كل موجود فله عدد وكل ذى
عدد متناه كما قدمنا — فان قال قائل ، فبأى شيء انفصل الخالق عن الخلق

الاسلام دينا ولما كان نوع الانسان
محتاجا الى اجتماع آخر من بني
جنسه في اقامة معاشه والاستعداد
لمعاده وذلك الاجتماع يجب أن يكون
على شكل يحصل به التمانع والتعاون
حتي يحفظ بالتمانع ماهو ليس له
فصورة الاجتماع على هـذه الهيئة
هي الملة والطريق الخالص الذى
يوصل الى هذه الهيئة هو * المنهاج
والشرعة والسنة والاتفاق على تلك
السنة هي * الجماعة قال الله تعالى
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ولن يتصور وضع الملة وشرع الشرعة
الا بواضع شارع يكون مخصوصا
من عند الله بآيات تدل على صدقه
وربما تكون الاية مضمنة فى نفس
الدعوى وربما تكون ملازمة وربما
تكون متاخرة (ثم أعلم) ان الملة
الكبرى هي ملة ابراهيم عليه
السلام وهي الحنيفية التي تقابل
الصبوه تقابل التضاد وسنذكر
كيفية ذلك أن شاء الله تعالى قال
الله تعالى ملة ابيكم ابراهيم وابتدأت
من نوح عليه السلام قال الله تعالي
شرع لكم من الدين ماوصي به
نوحا والحدود والاحكام ابتدأت
من آدم وشيث وادريس عليهم
السلام وختمت الشرائع والملل
والمناهج والسنن باكملها
واتمها حسنا وجمالا بمحمد عليه
السلام قال الله تعالى اليوم أكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى
ورضيت لكم الاسلام دينا وقد
قيل خص آدم بالاسماء وخص

وباى شيء انفصل الخلق بعضه من بعض واراد أن يلزمنا فى ذلك مثل الذى الزمناه فى الدلالة المتقدمة ، قيل له — وبالله التوفيق — الخلق كله حامل ومحمول . فكل حامل فهو منفصل من خالقه ومن غيره من الحاملين بمحموله من فصوله وأنواعه وجنسه وخواصه واعراضه فى مكانه وسائر كيفياته ، وكل محمول فهو منفصل من خالقه ومن غيره من المحمولات بحامله وبما هو عليه مما باين فيه سائر المحمولات من نوعه وجنسه وفصله والبارى تعالى غير موصوف بشيء من ذلك كله . وبالله تعالى التوفيق . وقد ذكرنا فى باب الكلام فى بقاء الجنة والنار وبقاء الاجسام فيها بلا نهاية وفيما خلا من كتابنا الانفصال ممن أراد ان يلزمناهنالك ما الزمناهم نحن هنالك من الاعداد التى لا تتناهى . الا اننا نذكر هنا من ذلك ان شاء الله تعالى طرفاً كافيا . وبالله تعالى التوفيق وبه نستعين . فنقول . ان الفرق بين المسئلتين المذكورتين اننا لم نوجب نحن فى الجنة والنار وجود أعداد لا تتناهى . بل قولنا أن اعدادهم متناهية لا تزيد ولا تنقص . وان مساحة النار والجنة محدودة متناهية لا تزيدولا تنقص . وان كل ما ظهر من حركاتهم ومددهم فيها فمحصورة متناهية . وانما نفينا عنها النهاية بالقوة بمعنى أن البارى تعالى محدث لهم فى كلتا الدارين بقاء ومددا . ونعيما وعذابا ابدا لا الى غاية . وليس ماظهر من ذلك بعضاً لما لم يظهر فيلزمنا أن يكون اسم كل مايقع علا الموجود لايكون بعضاً المعدوم. وانما هو بعض لموجود مثله . هذا يعلم بالحس لان الاسماء انما تقع على معانيها . و معنى الوجود انما هو ما كان قائماً فى وقت من الاوقات ماض من الاوقات او حال منها . فما لم يكن هكذا فليس موجودا . وابعاض الموجودات كلها موجودة . فكلها موجودوكلها كان موجودا فليس الموجود بعضا للمعدوم. والعدم هو ابطال الوجود ونفيه . ولا سبيل الى أن تكون ابعاض الشيء التى يلزمها اسمه الذى لا اسم لها سواه يبطل بعضها بعضاً . وقد يمكن ان شغب مشغب في هذا المكان فيقول قد وجدنا ابعاضاً لا يقع عليها اسم كلها كاليد والرجل والرأس وسائر الا عضاء ليس شيء منها يسمى انسانا فاذا اجتمعت وقع عليها اسم انسان

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا شغب لاننا انما تكلمنا على الابعاض المتساوية التى كل بعض منها يقع عليه اسم الكل كالماء الذى كل بعض منه ماء وكله ماء ، وليس الجزء من هذا الباب ، وكل بعض من أبعاض الموجود فانه يقع عليه اسم موجود ، وقد يمكن أن يشغب ايضاً مشغب في قولنا

نوح بمعانى تلك الاسماء وخص ابراهيم بالجمع بينهما ثم خص موسي بالتنزيل وخص عيسى بالتاويل وخص المصطفي بالجمع بينهما على ملة ابيكم ابراهيم ثم كيفية التقرير الاول والتكميل بالتقرير الثاني بحيث يكون مصدقا كل واحدما بين يديه من الشرائع الماضية والسنن السالفة تقديرا للامن على الخلق وتوفيقا للدين على الفطرة فمن خاصية النبوة ان لا يشاركهم فيها غيرهم وقد قيل أن الله عز وجل أسس دينه على مثال خلقه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على وحدانية (المسلمون) قدذكرنا معنى الاسلام ونفرق ههنا بينه وبين الايمان والاحسان ونبين ما المبدأ وما الوسط وما الكمال والخير المعروف في دعوة جبريل عليه السلام حيث جاء على صورة أعرابى وجلس حتى الصق ركبته بركبة النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله * ما الاسلام فقال أن تشهدان لا اله الا الله وانى رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت ثم قال ما الايمان قال عليه السلام ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وان تؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت * ثم قال ما الاحسان قال عليه السلام أن

ان الابعاض لا تتنافي فيقول انا لخضرة لا تنافى البياض ، وكلاهما بعض للون الكلى ، فهذا ايضاً ليس مما اردناه فى شيء ، لان قولنا موجود ليس جنساً فيقع على انواع المتضادات . وانما هو اخبار عن وجودنا أشياء قد تساوى كلها في وجودنا اياها حقاً . فهو يعم بعضها كما يعم كلها . وأيضاً فان الخضرة لا تضاد البياض فى أن هذا لون . بل يجتمعان في هذا المعنى اجتماعاً واحداً لا يختلفان فيه . وانما اختلفا بمعني آخر . وكذلك لا يخالف موجود موجوداً فى انه موجود . والموجود يخالف المعدوم في هذا المعنى نفسه وليس بعضا المعدوم . والمعدوم ليس شيئا ولا له معنى حتى يوجد ، فاذا وجد كان حينئذ شيئاً موجوداً ، وقد تخلصنا أيضا في باب التجزى . وكلامنا فيه هذا الديوان من مثل الالزام هنالك

﴿ الكلام على النصارى ﴾

(قال ابو محمد رضى الله عنه) النصارى وان كانوا أهل كتاب ويقرون بنبوة بعض الانبياء عليهم السلام فان جماهيرهم وفرقهم لا يقرون بالتوحيد مجرداً . بل يقولون بالتثليث . فهذا مكان الكلام عليهم . والمجوس ايضا وان كانوا اهل كتاب لا يقرون ببعض الانبياء . ولكنا ادخلناهم في هذا المكان لقولهم بفاعلين لم يزالا . فالنصارى أحق بالادخال هاهنا لانهم يقولون بثلاثة لم يزالوا * والنصارى فرق منهم اصحاب اريوس وكان قسيسا بالاسكندرية . ومن قوله التوحيد المجرد . وان عيسي عليه السلام عبد مخلوق . وانه كلمة الله تعالى التى بها خلق السموات والارض . وكان في زمن قسطنطين الاول بانى القسطنطينية واول من تنصر من ملوك الروم . وكان على مذهب اريوس هذا * ومنهم أصحاب بولس الشمشاطى وكان بطريركيا بانطاكية قبل ظهور النصرانية . وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح . وان عيسى عبد الله ورسوله كاحد الانبياء عليهم السلام . خلقه الله تعالى فى بطن مريم من غير ذكر . وانه انسان لا الهية فيه . وكان يقول لا ادرى ما الكلمة ولا روح القدس * وكان منهم أصحاب مقدونيوس . وكان بطريركا فى القسطنطينية بعد ظهور النصرانية ايام قسطنطين بن قسطنطين بانى القسطنطينيه . وكان هذا الملك اريوسيا كاتبه . وكان من قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد . وان عيسى عبد مخلوق انسان نبي رسول الله كسائر الانبياء عليهم السلام . وان عيسي هو روح القدس وكلمة الله عز وجل . وان روح القدس والكلمة مخلوقان خلق الله كل ذلك * ومنهم البربرانية وهم يقولون ان عيسي وامه الهان من دون الله عز وجل .

تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت * ثم قال متى الساعة قال عليه السلام ما المسؤل عنها باعلم من السائل ثم قام وخرج فقال النبى عليه السلام هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم ففرق فى التفسير بين الاسلام والايمان . اذ الاسلام قد يرد بمعنى الاستسلام ظاهراً ويشترك فيه المؤمن والمنافق قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ففرق التنزيل بينهما فكان الاسلام بمعنى التسليم والانقياد ظاهرا موضع الاشتراك فهو المبدأ . ثم اذا كان الاخلاص معه بان يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويقر عقدا بان القدر خيره وشره من الله تعالى بمعنى ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه كان مؤمناً حقاً . ثم اذا جمع بين الاسلام والتصديق وقرن المجاهدة بالمشاهدة وصار غيبه شهادة فهو الكمال فكان الاسلام مبدأ والايمان وسطا والاحسان كمالا وعلى هذا شمل لفظ المسلمين الناجي والهالك . وقد يرد الاسلام وقرينه الاحسان قال الله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن وعليه يحمل قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ان الدين

وهذه الفرقة قد بادت وعمدتهم اليوم ثلاث فرق فاعظمها (فرقة الملكانية) وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة. ومذهب عامة اهل كل مملكة للنصارى حيث كانوا حاشى الحبشة والنوبة ومذهب جميع نصارى افريقية وصقلية والاندلس وجمهور الشام. وقولهم ان الله تعالى عبارة عن قولهم ثلاثة أسباب اب وابن وروح القدس كلها لم تزل وان عيسى عليه السلام الله تام كله وانسان تام كله ليس احدهما غير الاخر، وان الانسان منه هو الذى صلب وقتل، وان الاله منه لم ينله شيء من ذلك، وان مريم ولدت الاله والانسان، وانهما معا شيء واحد ابن الله تعالى عن كفرهم (وقالت النسطورية) مثل ذلك سواء بسواء الا انهم قالوا ان مريم لم تلد الاله، وانما ولدت الانسان، وان الله تعالى لم يلد الانسان وانما ولد الاله تعالى الله عن كفرهم، وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان، وهم منسوبون الى نسطور بطريركا بالقسطنطينية: (وقالت اليعقوبية) ان المسيح هو الله تعالى نفسه، وان الله تعالى عن عظيم كفرهم مات وصلب وقتل، وان العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وان الله تعالى عاد محدثا وان المحدث عاد قديما وانه تعالى هو كان فى بطن مريم محمولا به، وهم فى اعمال مصر وجميع النوبة وجميع الحبشة وملوك الامتين المذكورتين

(قال ابو محمد رضى الله عنه ولولا أن الله تعالى وصف قولهم فى كتابه اذ يقول تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم، واذ يقول تعالى حاكيا عنهم. ان الله تعالى ثالث ثلاثة. واذ يقول تعالى: أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله، لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف، وتالله لولا اننا شاهدنا النصارى ماصدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان.

(فاما اليعقوبية) فانهم ينسبون الى يعقوب البرذعاني، وكان راهبا بالقسطنطينيه، وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشية تامة، لان الاستحالة نقلة، والنقلة والاستحالة لا يوصف بهما الاول الذى لم يزل تعالى عن ذلك علوا كبيرا، ولو كان كذلك لكان مخلوقا، والمحدث يقتضي محدثا خالقا له، ويكفى من بطلان هذا القول دخوله في باب المحال والممتنع الذى قد أوجب العقل والحس بطلانه، وليس في باب المحال أعظم من أن يكون الذى لم يزل يعود محدثا لم يكن ثم كان، وان يشير غير المؤلف مؤلفا

عند الله الاسلام وقوله اذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين وقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وعلى هذا خص الاسلام بالفرقة الناجية (أهل الاصول) المختلفون فى التوحيد والعدل والوعد والوعيد والسمع والعقل نتكلم ههنا في معني الاصول والفروع وسائر الكلمات قال بعض المتكلمين الاصول معرفه البارى تعالى بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم وبالجملة كل مسئلة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الاصول ومن المعلوم أن الدين اذا كان منقسما الى معرفه وطاعة والمعرفة أصل والطاعة فرع فمن تكلم فى المعرفة والتوحيد كان أصوليا ومن تكلم فى الطاعة والشريعة كان فروعيا والاصول هى موضوع علم الكلام والفروع هى موضوع علم الفقه وقال بعض العقلاء كل ماهو معقول ويتوصل اليه بالنظر والاستدلال فهو من الاصول وكل ما هو مظنون ويتوصل اليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع * وأما التوحيد فقد قال أهل السنة وجميع الصفاتية أن الله تعالى واحد فى ذاته لاقسيم له وواحد فى صفاته الازلية لانظير له وواحد فى افعاله لاشريك له * وقال أهل العدل ان الله تعالى واحد فى ذاته لاقسيم

ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السموات والارض وأدار الفلك هذه الثلاثة الايام التي كان فيها ميتا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
ثم يقال للقائلين بان البارى تعالى ثلاثة أشياء اب وابن وروح القدس .
اخبرونا اذ هذه الاشياء لم تزل كلها ، وانها مع ذات شيء واحد ان كان ذلك كما ذكرتم . فباى معنى استحق ان يكون احدها يسمى ابا والثانى ابنا .
وأنتم تقولون أن الثلاثة واحد ، وان كل واحد منها هو الآخر، فالاب هو الابن ، والابن هو الاب ، وهذا هو عين التخليط ، وانجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه : ساقعد عن يمين أبى، وبقولهم فيه : ان القيامة لا يعلمها الا الاب وحده وان الابن لا يعلمها ، فهذا يوجب ان الابن ليس هو الاب ، وان كانت الثلاثة متغايرة — وهم لا يقولون بهذا — فليلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو من الحدوث أو من النقص به وجب ان ينحط عن درجة الاب . والنقص ليس من صفة الذى لم يزل ، مع مايدخل على من قال بهذا من وجوب ان تكون محدثة لحصر العدد وجرى طبيعة النقص والزيادة فيها ، على حسب ماقدمناه فى حدوث العالم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وقد لفق بعضهم أشياء قالوا انها لا معنى لها ، الا اننا ننبه عليها ليتبين هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوته، وذلك أن بعضهم قال لما وجب أن يكون البارى تعالى حياً وعالماً وجب أن تكون له حياة وعلم ، فحياته هى التي تسمى روح القدس ، وعلمه هو الذى يسمى الابن

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وهذا من أغث مايكون من الاحتجاج . لاننا قد قدمنا أن الباري تعالى لا يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال ، لكن من طريق السمع خاصة ، ولا يصح لهم دليل لا من انجيلهم ولا من غيره من الكتب ان العلم يسمى ابنا ، ولا فى كتبهم ان علم الله هو ابنه : وقد ادعى بعضهم ان هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من ان علم العالم يقال فيه انه ابنه

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا باطل ظاهر الكذب . لان الانجيل الذى كان فيه ذكر الاب والابن وروح القدس . لا يختلف أحد من الناس فى أنه انما نقل عن اللغة العبرانية الى السريانية وغيرها . فعبر عن تلك الالفاظ العبرانية وبها كان فيه ذكر الاب والابن وروح القدس . وليس فى اللغة العبرانية شيء مما ذكروادعى . وان كانوا ممن يقولون بتسمية البارى

ولا صفة له وواحد فى افعاله لاشريك له فلا قديم غير ذاته ولا قسيم له فى افعاله ومحال وجود قديمين ومقدور بين قادرين وذلك هو التوحيد والعدل وعلى مذهب أهل السنة ان الله تعالى عدل فى افعاله بمعنى أنه متصرف فى ملكه وملكه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فالعدل وضع الشيء موضعه وهو التصرف فى الملك على مقتضى المشيئة والعلم والظلم بضده فلا يتصور منه جور فى الحكم وظلم فى التصرف . وعلى مذهب أهل الاعتزال العدل ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة . واما الوعد والوعيد فقال أهل السنة الوعد والوعيد كلامه الازلى وعد على ما امر وأوعد على ما نهي فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده فلا يجب عليه شيء من قضية العقل . وقال أهل العدل لا كلام فى الازل وانما أمر ونهي ووعد وأوعد بكلام محدث فمن نجا فبفعله استحق الثواب ومن خسر فبفعله استوجب العقاب والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك . وأما السمع والعقل فقال أهل السنة الواجبات كلها بالسمع والمعارف كلها بالعقل فالعقل

عز وجل من طريق الاستدلال، فقد أسقطوا صفة القدرة اذ ليس الاستدلال على كونه عالماً باصح لا أولى من الاستدلال على كونه قادراً ، لا سيما مع قول بولس وهو عندهم فوق الانبياء ، ان المسيح قدرة الله وعلمه تعالى ، قال هذا النص فى رسالته الاولي الى اهل قريته ، فليضيفوا الى هذه الثلاث صفة رابعة وهي القدرة ، واخرى وهى السمع وأخرى وهى البصر وأخرى وهى الكلام وأخرى وهى العقل واخرى وهى الحكمة واخرى وهي الجود . فان قالوا القدرة هى الحياة قيل لهم والعلم هو الحياة . فان قالوا ليس العلم الحياة لانه قد يكون حى ليس عالماً كالمجنون قيل لهم قد يكون حى ليس قادراً كالمغشى عليه ونحو ذلك ، فالقدرة ليست الحياة . وايضاً فان كان الابن هو العلم وروح القدس هو الحياة فما بال اقحامهم المسيح عليه السلام في أنه الابن وروح القدس ، اترى المسيح هو حياة الله وعلمه ، وما بال قول بعضهم أن مريم ولدت ابن الله . اتراها ولدت علم الله . أيكون فى التخليط اكثر من هذا . وهل حظ المسيح عليه السلام من علم الله وحياته الا كحظ غيره ولا فرق . وهذا لا مخلص منه وبالله التوفيق : وقال بعضهم ، لما وجدنا الاشياء قسمين حيا ولا حياً وجب ان يكون البارى عز وجل حيا ، ولما وجدنا الحى ينقسم قسمين ناطقاً وغير ناطق وجب ان يكون البارى تعالى ناطقاً :

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا الكلام فى غاية الكلال لوجهين . (احدها) ان هذه القسمة قسمة طبيعية واقعة تحت جنس، لانه اذا كان تسمية البارى تعالى حياً انما هو من هذا الوجه . فهو اذاً يقع مع سائر الاحياء تحت جنس الحى . ويحد بحد الحى وبحد الناطق . واذا كان كذلك فهو مركب من جنسه وفصله وكل ما كان محدوداً فهو متناه وكل ما كان مركباً فهو محدث . (والوجه الثانى) ان هذه القسمة التى قسموها منقوضة مموهة . لانه يلزمهم ان يبدؤا باول القسمة الذى هو أقرب الى الطبيعة . فيقولوا وجدنا الاشياء جوهرا ولا جوهرا . ثم يدخلوه تحت أى القسمين شاؤا وهم انما يدخلونه تحت الجوهر . فاذا ادخلوه تحت الجوهر فقد وجب ضرورة ان يحدوه بحد الجوهر . فاذا كان ذلك وجب أن يكون محدثاً . اذ كل محدود فهو محدث كما قد بيناه . ثم نعترضهم فى قسمتهم من قبل ان يبلغوا الى الحى الناطق . وعلى بعض القسم قبله يقع الثانى . وهذه كلها مخلوقات : فلو كان البارى تعالى بعضها : أو كانت هذه الصفات واقعة عليه من طريق وجوب وقوعها علينا لكان مخلوقا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : وقال بعضهم . لما كانت الثلاثة تجمع الزوج والفرد . وهذا اكمل الاعداد . وجب أن يكون البارى تعالى كذلك لانه غاية الكمال

لا يحسن ولا يقبح ولا يقتضي ولا يوجب والسمع لا يعرف أى لا يوجد المعرفة بل يوجب * وقال أهل العدل المعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع والحسن و القبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح فهذه القواعد هى المسائل التى تكلم فيها أهل الاصول وسنذكر مذهب كل طائفة مفصلا ان شاء الله تعالى ولكل علم موضوع ومسائل قد ذكرناها باقصى الامكان * المعتزلة وغيرهم من الجبرية و الصفاتية والمختلطة منهم الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلان تقابل التضاد وكذلك القدرية والجبرية والمرجئة والوعيدية و الشيعة و الخوارج وهذا التضاد بين كل فريق وفريق كان حاصلا فى كل زمان ولكل فرقة مقالة على حيالها وكتب صنفوها ودولة عاونتهم وصولة طاوعتهم (المعتزلة) ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا عن وصمة اللقب اذ كان الذم به متفقا عليه لقول النبي عليه السلام القدرية مجوس هذه الامة

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وهذا من أغث الكلام لوجوه ضرورية (أحدها) أن البارى تعالى لا يوصف بكمال ولا تمام ، لان الكمال والتمام من باب الاضافة لان التمام والكمال لا يقعان البتة الا فيما فيه النقص ، لان معناها انما هو اضافة شيء الى شيء به كملت صفاته ولولاه لكان ناقصا ، لا معنى للتمام والكمال الا هذا فقط : (والوجه الثاني) ان كل عدد بعد الثلاثة فهو أتم من الثلاثة . لانه يجمع أما زوجا وزوجا ، وأما زوجا وزوجا وفردا ، وأما أكثر من ذلك وبالضرورة يعلم أن ما جمع أكثر من زوج فهو أتم وأكمل مما لم يجمع الازوجا وفردا فقط ، فيلزمه أن يقول ان ربه أعداد لا تتناهى ، أو انه أكثر الاعداد وهذا أيضا ممتنع محال لو قاله ، وكفى فسادا بقول يؤدى الى المحال : (والوجه الثالث) أن هذا الاستدلال مضاد لقولهم ان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، لان الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد هي غير الثلاثة التي هي عندكم واحد بلاشك . لان الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذى هو فيها وهي جامعة له ولغيره ، بل ولا هي بعض ، فالكل ليس هو الجزء والجزء ليس هو الكل ، والفرد جزء للثلاثة والثلاثة كل للفرد وللزوج معه ، فالفرد غير الثلاثة والثلاثة غير الفرد ، والعدد مركب من واحد يراد به الفرد وواحد كذلك وواحد كذلك الى نهاية العدد المنطوق به ، فالعدد ليس الواحد والواحد ليس هو العدد ، لكن العدد مركب من الاحاد التي هى الافراد وهكذا كل مركب من أجزاء فذلك المركب ليس هو جزأ من اجزائه ، كالكلام الذى هو مركب من حرف وحرف حتى يقوم المعني المعبر عنه فالكلام ليس هو الحرف والحرف ليس هو الكلام : (والوجه الرابع) ان هذا المعني السخيف الذى قصده هذا الجاهل نجده في الاثنين ، لان الاثنين عدد يجمع فردا وفردا وهو زوج مع ذلك ، فقد وجدنا فى الاثنين الزوج والفرد فيلزمه ان يجعل ربه اثنين : (والوجه الخامس) ان كل عدد فهو محدث ، وكذلك كل معدود يقع عليه عدد فهو أيضا محدث على ما قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا ، والمعدود لم يوجد قط الا ذا عدد ، والعدد لم يوجد قط الا فى معدود ، والواحد ليس عددا على ما نبينه بعد هذا أن شاء الله تعالى ، وبه يتم الكلام فى التوحيد بحول الله وقوته

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهم يقولون أن الاله اتحد مع الانسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا : فقالت اليعقوبية . كاتحاد الماء يلقي في الخمر فيصيران شيئا واحدا : وقالت النسطورية . كاتحاد الماء يلقي فى الزيت فكل واحد منهما باق بحسبه : وقالت الملكية . كاتحاد النار فى

وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على ان الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد وقد قال النبي عليه السلام القدرية خصماء الله في القدر والخصومة فى القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل واحالة الاحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم * فالذى يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بان الله تعالى قديم والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هى صفات قديمة ومعان قائمة به لانه لو شاركته الصفات فى القدم الذى هو أخص الوصف لشاركته فى الالهية واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق فى محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله فى المصاحف حكايات عنه فانما وجد فى المحل عرض فقد فني فى الحال واتفقوا على أن الارادة والسمع والبصر ليست معانى قائمة بذاته لكن اختلفوا فى وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سياتي واتفقوا على نفى رؤية الله تعالى بالابصار فى دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وتأثرا

الصفيحة المحماة

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وكل هذا فى غاية الفساد . أول ذلك انها دعاو ولا يعجز عن مثلها متحامق وليس فى انجيلهم شيء من هذه الاقسام والثاني انها كلها محال لان قول الملكية في تمثيلهم بما مثلوا انما هو عرض في جوهر ولا يتوهم غير ذلك ، فالاله على قولهم عرض والانسان جوهر وهذا فى غاية الفساد ، وقول اليعقوبية افسد ، لاننا نقول لهم ان كان استحال الاله انسانا ، فالمسيح انسان وليس الها ، وان كان الانسان استحال الها ، فالمسيح اله وليس بانسان ، وان كان كلاهما لم يستحل واحد منها الى الاخر فهذا هو قول النسطورية لا قولهم ، وان كان كل واحد منها استحال الى الاخر فقد صار الاله انسان لا الها وصار الانسان الها لا انسانا وحصلوا بعد هذا الحمق على قول النسطورية ولا مزيد ، ولن كانا استحالا الى غير الانسان والاله . فالمسيح لا اله ولا انسان ، وكل هذا خلاف قولهم . وأما النسطورية فلم تزيدوا على أن قالوا ان الانسان انسان . والاله اله . وهكذا كل فاضل وفاسق في العالم هو انسان والاله اله ، فالمسيح وغيره من الناس سواء . وايضا فان مالا قوه محال لان الذى لم يزل لايستحيل الى طبيعة الانسان المحدث ، ولا يستحيل المحدث آلهالم يزل ، وهذا محال بذاته ممتنع لا يتشكك ، وكذلك الانسان لا يجاور الاله مجاورة مكانية ، لانه محال أيضا وكذا لا يتوهم ولا يمكن أن يكون الاله عرضا يحمله جوهو الانسان ، ولا يمكن أن يكون الانسان عرضا يحمله الاله في ذاته . كما تدعى الملكية فى تشبيه ذلك الاتحاد بضوء الشمس في البيت ، وبالنار في الحديدة المحماة ففد صح أن كل ماقالوا محال وباطل وسخف لا يقبله الا مخذول ، ولا يمكنهم ادعاء وجود شيء من هذا فى كتب الانبياء أصلا ، وأيضا فانهم يضيفون الى ذكرهم الاب والابن وروح القدس شيئا رابعا وهو الكلمة، وهي المتحدة عندهم بالانسان الملتحمة به فى مشيمة مريم عليها السلام ، فان امانتهم التي اتفقوا عليها كلهم هي كما نورده نصا : نؤمن بالله الاب مالك كل شيء صانع مايرى ومالا يرى ، وبالرب الواحد يسوع المسيح بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع الاله حق من الاله حق من جوهرابيه الذى بيده انقنت العوالم وخلق كل شيء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا ، وولد من مريم البتول وألم وصلب أيام قيطوش بلاطش ، ودفن وقام في اليوم الثالث ، كما هو مكتوب وصعد الى

وواجبوا تاويل الايات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيدا . واتفقوا على أن العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الاخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لانه لو خلق الظلم كان ظالما كما لو خلق العدل كان عادلا . واتفقوا على أن الحكيم لا يفعل الا الصلاح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد * وأما الاصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم وسموا هذا النمط عدلا . واتفقوا على أن المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء الثواب واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود فى النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا . واتفقوا على أن أصول المعرفة وشكر النعمة واجب قبل ورود السمع والحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك وورود التكاليف ألطاف للبارى تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الانبياء عليهم السلام امتحانا ليهلك من هلك عن بينة و يحيي من حي عن بينة واختلفوا في الامامة والقول فيها نصا واختيارا

السماء وجلس عن يمين الاب ، وهومستعد للمجى تارة أخرى للقضاء بين الاموات والاحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى هو مشتق من أبيه روح محبة وبمعبودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية سليحية جاثليقية، وبقيامة ابداننا وبالحياة الدائمة الى أبد الابدين : وقال فى أول انجيل يوحنا التلميذ فى البدء كانت الكلمه . والكلمة عند الله والله كان الكلمة

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فهذه أقوال اذا تاملها ذوعقل علم أنها وساوس أو جنون ملقى من الشيطان لامتحن به الا مخذول مشهود له ببراءة الله تعالى منه ، ويقال لهم . الكلمة هي الاب أو الابن أو روح القدس أم شيء رابع ، فان قالوا شيء رابع فقد خرجوا عن التثليث الى التربيع . وان قالوا انها أحد الثلاثة سئلوا عن الدليل على ذلك اذ الدعوى لا يعجز عنها أحد . ثم يقال لهم : الاب هو الابن أم غيره . فان قالوا هو غيره . سئلوا أيضا من الملتحم فى مشيمة مريم المتحد مع طبيعة المسيح الاب أم الابن . فان قالوا الابن . فقد بطل أن يكون هو الاب، وخالفوا يوحنا اذ يقول فى أول انجيله ان الكلمة هي الله وفاذا كانت هى الله ، والكلمة التحمت فى مشيمة مريم فالله تعالى هو نفسه التحم في مشيمة مريم ، وفي أمانتهم ان الابن هو الذى التحم فى مشيمة مريم ، وهذه وساوس لا نظير لها * و يقال لهم أيضا هل معنى التحم الا صار لحما وهذا غير قول النسطورية والملكية * وان قالوا بل الاب. فقد بطل أن يكون هو الابن وخالفوا يوحنا والامانة ، وان قالوا هو الاب وهو الابن . تركوا قولهم ان الابن يقعد عن يمين ابيه ، وان الاب يعلم وقت القيامة ، والابن لا يعلمها ، وقولهم في انجيل يوحنا الاب فوض الامر الى ابنه ، والاب أكبر من الابن ، فهذه نصوص على أن الابن غير الاب اذ لا يقعد المرء عن يمين نفسه ، ولا يفوض الامر الي نفسه ، ولا يجهل ما يعلم ، وهذا كله يبطل قولهم ان الابن هو العلم والقدرة أو غير ذلك . لان هذه الصفات لا تقعد عن يمين حاملها ولا يفوض اليها شيء . وان قالوا لا هو هو ولا هو غيره دخل عليهم من الجنون ما يدخل على من أدعى أن الصفات لا هي الموصوف ولا هي غيره ، وان قالوا الاب هو الابن وهو غيره لم يكن ذلك ببدع من سخافاتهم وخروجهم عن المعقول ، ولزمهم أن الابن ابن لنفسه واب لنفسه : وان الاب اب لنفسه وابن لنفسه ، وليس في الحمق والهوس أكثر من هذا . ولا متعلق لهم بشيء مما فى الزبور ولا فى كتاب شعياء وغيره : لانه ليس فى شيء منها أن المراد بما ذكر

كما سيأتى عند مقالة كل طائفة والان نذكر ما يختص بطائفة طائفة من المقالة التى تميزت بها عن أصحاب (الواصلية) أصحاب أبي حذيفة واصل ابن عطاء الغزال كان تلميذ الحسن البصري يقرأ عليه العلوم والاخبار وكان فى ايام عبد الملك وهشام بن عبد الملك و بالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة فى بلد ادريس بن عبد الله الحسني الذى خرج بالمغرب فى أيام أبي جعفر المنصور و يقال لهم الواصلية واعتزالهم يدور على اربع قواعد (القاعدة الاولى) القول بنفى صفات البارى تعالى من العلم والقدرة والارادة والحياة وكانت هذه المقالة فى بدئها غير نضيجة وكان واصل ابن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود الهين قديمين أزليين قال ومن أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت الهين وانما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها الى رد جميع الصفات الى كونه عالما قادرا ثم الحكم بانهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة كما قاله الجبائي أو حالتان كما قاله أبو هاشم وميل أبو الحسين البصرى الى ردها الي صفة واحدة وهي العالمية وذلك عين مذهب الفلاسفة وسنذكر تفصيل ذلك وكان السلف يخالفهم فى ذلك أذ وجدوا الصفات مذكورة فى الكتاب والسنة (القاعده الثانية)

هنالك هو عيسى بن مريم عليهما السلام : وقد قال لوقا فى آخر انجيله .
انه كان نبيا مقتدرا عبدا لله ، وهذا كله بين عظيم مناقضتهم وماتوفيقنا الا
بالله فان تعلقوا بما فى الانجيل من ذكر المسيح انه ابن الله ، قيل لهم
فى الانجيل أيضا : أبى وأبيكم الله الهى والهكم ، وأمرهم اذا دعوا أن
يقولوا : ياأبانا السماوى ، فله من ذلك كالذى لهم ولافرق * فان قالوا انه
اتى بالعجائب . قيل لهم : والحواريون أيضا عندكم اتوا بالعجائب وموسى قبله
والياس وسائر الانبياء قد أتوا بمثل ما اتى به من أحياء الموتى وغيره .
فاى فرق بينه و بينهم . على انه ليس في شيء من الانجيل نص الامانة
التى لايصح الايمان عندهم الابها من ذكر اب وابن وروح القدس مما
وسائر مافيها . وانما هى تقليد لاسلافهم من الاساقفة ونعوذ بالله من
الخذلان * وأمانتهم التى ذكروا انهم متفقون عليها موجبة أن الابن هو
الذى نزل من السماء . وتجسد من روح القدس . وصارا نسانا وقتل وصلب
فيقال لهم . هذا الابن الذي فى أمانتكم انه نزل من السماء وتجسد من روح
القدس وصار انسانا ، اخبرونا قبل ان ينزل من السماء أمخلوقا كان أو غير
مخلوق . بل كان لم يزل ، فان قالوا كان مخلوقا * فقد تركوا قولهم لاسيما ان
قالوا ليس هو غير الاب . بل يصير الاب وروح القدس مخلوقين . وأن
قالوا كان قبل أن ينزل غير مخلوق . قيل لهم . فقد صار مخلوقا انسانا
وهذا محال وتناقض . وأيضا فقد لزم من هذا أن الابن مخلوق وروح القدس
مخلوق اذ صارا انسانا . ثم يقال لهم اخبرونا عن هذا الابن الذى اخبرتم عنه
بما لم تخبروا عن الاب . والذي يقعد عن يمين الرب ثم ينزل لفصل القضاء
اله علم وحياة أم لاعلم له ولا حياة . فان قالوا لاعلم له ولاحياة فارقوا
اجماعهم ولزمهم ضرورة ان قالوا مع ذلك أنه غير الاب الذى له حياة وعلم،
اذ ما لاعلم له هو بلا شك غير الذى له علم . والذى لاحياة له هو بلاشك
غير الذى له حياة . وهذا ترك منهم للنصرانية * وان قالوا بل له علم وحياة
لزمهم ان الازليين خمسة : الاب وعلمه وحياته . والابن الذى هو علم الاب
وعلمه وحياته * وهكذا يسالون ايضاً عن روح القدس ولا فرق. وقد
قال يوحنا فى اول انجيله : فمن تقبله منهم وآمن به أعطاهم سلطاناً أن
يكونوا اولاد الله ، اولئك المؤمنون باسمه الذين لم يتوالدوا من دم ولاشهوة
اللحم ولاباه رجل ، ولكن توالدوا من الله ، فصح بهذا ان لكل نصرانى
من ولادة الله والازلية والكون من جوهر الاب كالذي للمسيح سواء
بسواء ولا فرق . والا فقد كذب يوحنا اللعين قائل هذا الكفر وأهل

القول بالقدر وانما سلك فى ذلك
مسلك معبد الجهنى وغيلان
الدمشقى وقرر واصل بن عطاء
هذه القاعدة أكثر ماكان يقرر
قاعدة الصفات فقال أن البارى
تعالى حكيم عادل لايجوز أن
يضاف اليه شر وظلم ولايجوز أن
أن يريد من العباد خلاف ما يامر
و يحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم
عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر
والايمان والكفر والطاعة والمعصية
وهو المجازى على فعله والرب تعالى
أقدره على ذلك كله وأفعال العباد
محصورة في الحركات والسكنات
والاعتمادات والنظر والعلم قال
و يستحيل أن يخاطب العبد بافعل
وهو لايمكنه أن يفعل وهو يحس
من نفسه الاقتدار والفعل ومن
أنكره فقد أنكر الضرورة
وأستدل بآيات على هذه الكلمات
ورأيت رسالة نسبت الى الحسن
البصرى كتبها الى عبد الملك
ابن مروان وقد ساله عن القول
بالقدر والجبر فاجابه بما يوافق
مذهب القدرية واستدل فيها
بآيات من الكتاب ودلائل من
العقل ولعلها لواصل بن عطاء
فما كان الحسن ممن يخالف السلف
في ان القدر خيره وشره من الله
تعالى فان هذه الكلمة كالمجمع عليها
عندهم والعجب أنه حمل هذا اللفظ
الوارد فى الخبر على البلاء والعافية

الكذب هو . وهذا مالا انفكاك منه . وهذا يلزم الاشعرية الذين يقولون بان علم الله تعالى وقدرته هما غير الله . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . ومما يعترض به علينا اليهود والنصارى ومن ذهب الى اسقاط الكواف من سائر الملحدين ان قال قائلهم قد نقلت اليهود والنصارى ان المسيح عليه السلام قد صلب وقتل . وجاء القرآن بانه صلى الله عليه وسلم لم يقتل ولم يصلب. فقولوا لنا كيف كان هذا . فان جوزتم على هذه الكواف العظام المختلفة الاهواء والاديان والازمان والبلدان والاجناس نقل الباطل. فليست بذلك اولى من كافتكم التى نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه * فان قلتم اشتبه عليهم فلم يعتمد وانقل الباطل فقد جوزتم التلبيس ، على الكواف فلعل كافتكم ايضا ملتبس عليها . فليس سائر الكواف اولى بذلك من كافتكم . وقولوا لنا كيف فرض الاقرار بصلب المسيح عندكم قبل ورود الخبر عليكم ببطلان صلبه وقتله . فان قلتم كان الفرض على الناس الاقرار بصلبه .وجب من قولكم الاقرار ان الله تعالى فرض على الناس الاقرار بالباطل وان الله تعالى فرض على الناس تصديق الباطل والتدين به .و في هذا ما فيه .وان قلتم كان الفرض عليكم الانكار لصلبه فقد أوجبتم ان الله تعالى فرض على الناس تكذيب الكواف . وفي هذا ابطال قول كافتكم ، بل ابطال جميع الشرائع . بل أبطال كل خبر كان فى العالم عن كل بلد وملك ونبي وفيلسوف وعالم ووقعة . وفى هذا مافيه

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذه الالزامات كلها فاسدة في غاية الحوالة والاضمحلال بحمد الله تعالى . ونحن مبينون ذلك بالبراهين الضرورية بيانا لا يخفى على من له أدنى فهم بحول الله تعالى وقوته * فنقول ــ و بالله التوفيق ــ ان صلب المسيح عليه السلام لم يقله قط كافة ، ولا صح بالخبر قط ، لان الكافة التي يلزم قبول نقلها هى : أما الجماعة التى يوقن أنها لم تتوطا لتنابذ طرقهم وعدم التقائهم وامتناع اتفاق خواطرهم على الخبر الذى نقلوه عن مشاهدة أو رجع الى مشاهدة ، ولو كانوا اثنين فصاعداً، وأما أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق فى الطبيعة على التمادى على سنن ما تواطؤا عليه فاخبروا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه ، فما نقله أحد أهل هاتين الصفتين عن مثل احداها وهكذا حتى يبلغ الى مشاهدة ، فهذه صفة الكافة التى يلزم قبول نقلها ويضطر خبرها (١) سامعها الى تصديقه ،وسواء كانوا عدولا او فساقا أو كفاراً ، ولا يقطع على صحته الا ببرهان ، فلما صح ذلك نظرنا فيمن نقل خبر صلب المسيح عليه السلام فوجدناه كواف

(١) خبرها فاعل يضطر وسامعها مفعوله (مصححه)

والشدة والراحة والمرض والشفاء والموت والحياة الى غير ذلك من افعال الله تعالى دون الخير والشر والحسن والقبيح الصادرين من اكتساب العباد وكذلك أو رده جماعة المعتزلة فى المقالات من اصحابهم (القاعدة الثالثة) القول بالمنزلة بين المنزلتين والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصرى فقال يا أمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون اصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجؤن أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الامة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء انا لا اقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمى هو واصحابه معتزلة ووجه تقريره انه قال ان الايمان عبارة عن خصال خير اذا اجتمعت سمي

عظيمة صادقة بلا شك فى نقلها جيلا بعد جيل الى الذين ادعوا مشاهدة صلبه ، فان هنالك تبدلت الصفة و رجعت الى شرط مامور ين مجتمعين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل ، والنصارى يقرون بانهم لم يقدموا على اخذه نهاراً خوف العامة ، وانما اخذوه ليلا عند افتراق الناس عن الفصح ، وأنه لم يبق فى الخشبة الا ست ساعات من النهار ، وأنه أنزل أثر ذلك وانه لم يصلب الا في مكان نازح عن المدينه في بستان فخار متملك للفخار ليس موضعاً معروفا بصلب من يصلب ولا موقوفا لذلك ، وانه بعد هذا كله رشى الشرط على ان يقولوا أن أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك ، وان مريم المجدلانية وهى امرأة من العامة تقدم على حضورمة موضع صلبه ، بل كانت واقفة على بعد تنظر ، هذا كله فى نص الانجيل عندهم فبطل ان يكون صلبه منقولا بكافة ، بل بخبر يشهد ظاهره على انه مكتوم متواطأ عليه ، وما كان الحواريون ليلتئذ بنص الانجيل الا خائفين على أنفسهم غيباً عن ذلك المشهد هاربين بارواحهم مستترين ، وان شمعون الصفا غرر ودخل دار قيقان الكاهن أيضاً بضوء النهار فقال له أنت من أصحابه فانتفى وجحد وخرج هاربا عن الدار . فبطل ان ينقل خبر صلبه احد تطيب النفس عليه على أن تظن به الصدق . فكيف ان ينقله كافه . وهذا معنى قوله تعالى : ولكن شبه لهم . انما عنى تعالى ان أولئك الفساق الذين دبروا هذا الباطل وتواطؤا عليه هم شبهوا على من قلدهم . فاخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون في ذلك عالمون أنهم كذبة . ولو أمكن أن يشبه ذلك على ذي حاسة سليمة لبطلت النبوات كلها . اذ لعلها شبهت على الحواس السليمة لو أمكن ذلك لبطلت الحقائق كلها ولامكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل و يلبس وفيمن يجالس و فى حيث هو فلعله نائم أو مشبه على حواسه . وفى هذا خروج الى السخف وقول السوفسطائية والحماقة . وقدشاهدنا نحن مثل ذلك . وذلك أننا أندرنا للجبل لحضور دفن المؤيد هشام بن الحكم المستنصر فرأيت أنا وغيرى نعشا فيه شخص مكفن وقد شاهد غسله شيخان جليلان حكيمان من حكام المسلمين . ومن عدول القضاة في بيت وخارج البيت ابي رحمه الله وجماعة عظماء البلد ثم صلينا فى الوف من الناس عليه . ثم لم يلبث شهورا نحو السبعة حتى ظهر حيا . و بويع بعد ذلك بالخلافة . ودخلت عليه انا وغيرى وجلست بين يديه ورأيته . و بقى ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وأما قوله قد جوزتم التمويه على الكافة فقد

المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلق ايضا لان الشهادة وسائر اعمال الخير موجودة فيه لاوجه لانكارها لكنه اذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدا فيها اذ ليس فى الآخرة الا الفريقان فريق فى الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد بعد أن كان موافقا له فى القدر وانكار الصفات (القاعدة الرابعة) قوله فى الفريقين من اصحاب الجمل واصحاب صفين ان احدهما مخطئ لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه ان أحد الفريقين فاسق لا محالة كما ان احد المتلاعنين فاسق لا بعينه وقد عرفت قوله فى الفاسق واقل درجات الفريقين انه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين فلم يجوز قبول شهادة على وطلحة والزبير على باقة بقل وجوز أن يكون عثمان و على على الخطأ هذا قول رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في اعلام الصحابة وأئمة العترة ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه وزاد عليه فى تفسيق أحد الفريقين لا بعينه بان قال لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل على

ورجل من عسكره أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من اهل النار وكان عمرو من

بينا انها لم تـكن كافة قط ، وحتى لو صح انها كافة ، فـكيف لايجوز ذلك فى كل آية تحيل الطبائع والحواس ؟ فهو ضرورة لايحمل على الممكنات ، فلو صح انها كانت كافة لـكان خبر الله تعالى انه شبه لهم حاكما على حواسهم ومحيلا لها ، كخروج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة هاجر بحضرة مائة رجل من قريش وقد حجب الله سبحانه أبصارهم عنه فلم يروه * وأما مالم يأت خبر عن الله عز وجل بانه شبه على الـكافة فلايجوز أن يقال ذلك لانه قطع على المحال ، واحالة طبيعة ، واحالة الطبائع لاتدخل فى الممكن الا أن يأتى بذلك يقين عن الله عز وجل فيلزم قبوله * وأما التشبيه على الواحد والاثنين ونحو ذلك فانه جائز ، وكذلك فقد العقل والسخافة يجوز ذلك على الواحد والاثنين ونحو ذلك ، ولايجوز على الجماعة كلها * وقوله تعالى : وماقتلوه وماصلبوه ولـكن شبه لهم ، انما هو اخبار عن الذين يقولون تقليداً لاسلافهم من النصارى واليهود انه عليه السلام قتل وصلب ، فهؤلاء شبه لهم القول أى أدخلوا فى شبهة منه ، وكان المشبهون لهم شيوخ السوء فى ذلك الوقت وشرطهم المدعون انهم قتلوه وصلبوه وهم يعلمون انه لم يكن ذلك ، وانما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه فى استتار ومنع من حضور الناس ، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة التى شبه الخبر لها * ثم نقول لليهود والنصارى بعد أن بينا بحول الله وقوته بيان ماشنعوه فى هذه المسئلة : ان كوافكم قد نقلت عن بعض أنبيائكم فسوقا ووطء اماء وهو حرام عندكم ، وعن هارون عليه السلام انه هو الذى عمل العجل لبنى اسرائيل وأمرهم بعبادته والرقص أمامه ، وقد نزه الله تعالى الانبياء عليهم السلام عن عبـادة غيره وعن الامر بذلك وعن كل معصية ورذيلة ، فاذا جوزوا كلهم هذا على أنبياء منهم موسى عليه السـلام وسائر أنبيائهم كان كل ماأمروهم به من جنس عمل العجل والرقص والامر بعبادته ومن جنس وطء الاماء وسائر مانسبوه الى داود وسليمان عليهما السلام وسائر أنبيائهم لاسيما وهم يقرون بان العجل كان يخور بطبعه * واما نحن فجوابنا فى هذا كله بان ليس شيء منه نقل كافة ، ولـكن نقل آحاد كذبوا فيه ، واما خوار العجل فانما هو على مارويناه عن ابن عباس رضي الله عنه من انه انما كان صفير الريح تدخل من فيه وتخرج من دبره ، لانه خار بطبعه قط ، وحتى لو صح انه خار بطبعه لـكان ذلك من أجل القوة التى كانت فى القبضة التى قبضها السامرى من أثر جبريل عليه السلام ، والذى يعتمد عليه فهو قول ابن عباس رضى الله عنه الذى ذكرناه وبالله تعالى التوفيق * وأما قوله كيف كان الفرض قبل ورود النص ببطلان صلبه الاقرار بصلبه أم الانكار له ؟ فهذه قسمة فاسدة تشغيبية قد حذر منها الاوائل كثيراً ، ونبه عليها أهل المعرفة بحدود الـكلام ، وذلك انهم أوجبوا فرضاً ثم قسموه على قسمين : اما فرض بانكار واما فرض باقرار ، وأضربوا عن القسم الصحيح فلم يذكروه ، وهذا لايرضى به لنفسه الا جاهل أو سخيف مغالط غابن لنفسه غاش لمن اغتر به ، وانما الحقيقة هاهنا ان يقول : هل يلزم الناس قبل ورود القرآن فرض بالاقرار بصلب المسيح أو بانكار صلبه ؟ أو لم يلزمهم فرض بشيء من ذلك ، فهذه هى القسمة الصحيحة والسؤال الصحيح ، وحق الجواب أنه لم يلزم الناس قط قبل ورود القرآن فرض بشيء من ذلك لاباقرار ولابانـكار ، وانما كان خبراً لايقطع العذر ولا يوجب العلم الضروري يمكن صدق قائله ، فقد قتل أنبياء كثيرة ، وممكن أن يكون ناقله كذب فى ذلك ،

رواة الحديث معروفاً بالزهد وواصل مشهوراً بالفضل والادب عندهم (الهذيلية) اصحاب ابي الهذيل حمدان ابن ابي الهذيل العـلاف شيخ المعتزلة ومقـدم الطائفة ومقرر الطريقة والمناظر عليها اخـذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل ابن عطاء ويقال اخـذ واصـل عن ابى هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ويقال اخذه عن الحسن ابن ابي الحسن البصرى وانمـا انفرد عن اصحابه بعشر قواعد (الاولى) ان الباري تعـالى عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي بحياة وحياته ذاته وانما اقتبس هذا الرأى من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته واحدة لا كثرة فيها بوجه وانما الصفات ليست وراء الذات معانى قائمة بذاته بل هى ذاته وترجع الى السـلوب او اللوازم كما سيأتى * والفرق بين قول القائل عالم بذاته لابعـلم وبين قول القائل عالم بعلم هو ذاته ان الاول نفى الصفة والثانى اثبات ذات هو بعينه صفة أو اثبات صفة هى بعينها ذات واذ

أثبت ابو الهذيل هـذه الصفات وجوهاً للذات فهى بعينها اقانيم النصارى أو احوال أبي هاشم (الثانية) انه اثبت ارادات

وهو بمنزلة شيء مغيب في دار ، فيقال لهذا المعرض بهذا السؤال الفاسد ، ماالفرض على الناس فيما في هذه الدار الاقرار بان فيها رجلا أم الانكار لذلك ؟؟ فهذا كله لايلزم منه شيء * ولم ينزل الله عز وجل كتابا قبل القرآن بفرض اقرار بصلب المسيح صلى الله عليه وسلم ولابانكاره ، وانما الزم الفرض بعد نزول القرآن بتكذيب الخبر بصلبه * فان قالوا قد نقل الحواريون صلبه وهم انبياء وعدول * قيل لهم وبالله التوفيق : الناقلون لنبوتهم وأعلامهم ولقولهم بصلبه عليه السلام هم الناقلون عنهم الكذب فى نسبه ، والقول بالتثليث الذى من قال به فهو كاذب على الله تعالى مفتر عليه كافر به ، فان كان الناقل لذلك عنهم صادقا أو كانوا كافة ، فما كان يوحنا ومتى وبولس الا كفارا كاذبين ، وما كانوا قط من صالحى الحواريين ، وان كان ناقل ماذكرنا عنهم كاذبا فالكاذب لايقوم بنقله حجة ، فبطل التمويه المتقدم والحمد لله رب العالمين * وقال متكلموهم ان الاتحاد المذكور انما هو تقليد للانجيل ، ولم يكن نقلة ولا حركة ، ولا فارق البارى ولا العلم ما كانا عليه ولا انتقلا ، فيقال لهم هذا ابطال للاتحاد وقول منكم بان حظه وحظ غيره فى ذلك سواء ، وخلاف لامانتكم التى فيها ان الابن نزل من السماء وتجسد وولد وقتل ودفن * وقالت طائفة منهم المسيح حجاب الله خاطبه الله تعالى منه ، فيقال لهم أنتم تقولون ان المسيح رب معبود واله خالق والحجاب عندكم مخلوق ، والمسيح عند بعضكم طبيعة واحدة ، وعند بعضكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ، فاخبرونا أتعبدون الطبيعتين معا اللاهوتية والناسوتية أم تعبدون احداهما دون الاخرى ؟ فان قالوا نعبدهما جميعا أقروا بانهم يعبدون انسانا وحجابا مخلوقا مع الله تعالى ، وهذا أقبح مايكون من الشرك * وان قالوا بل نعبد اللاهوت وحده قيل لهم فانما تعبدون نصف المسيح لا كله ، لانه طبيعتان ولستم تعبدون الا احداهما دون الاخرى * وكذلك يسالون عن موت المسيح وصلبه فمن قول الملكية والنسطورية ان الموت والصلب انما وقع على الناسوت خاصة * فيقال لهم فانتم فى قولكم مات المسيح وصلب كاذبون ، لانه انما مات نصفه وصلب نصفه فقط ، لان اسم المسيح عندكم واقع على اللاهوت والناسوت كليهما معاً لا على احدهما دون الآخر ، وكل من قال من اليعقوبية الانسان والاله شيء واحد فانه يلزمه ان يعبد انساناً لانه اذا عبد الاله والاله هو الانسان فقد عبد انساناً وربه انسان مخلوق * وكل من قال منهم الاله غير الانسان فقد ابطل الاتحاد * وهكذا يقال لهم فى الحجاب مع الله تعالي سواء بسواء ويلزمهم جميعهم اذ قد اقروا بعبادة المسيح هكذا جملة وانه رب خالق وفى الانجيل انه جاع وأكل الخبز والحيتان وعرق وضرب ان ربهم أكل وجاع وان الاله ضرب ولطم وصلب وكفى بهذا رذالة وفحش قول وبيان بطلان * ويقال للملكية واليعقوبيه القائلين بان المسيح ابن الله وابن مريم قد اقررتم ان المسيح انسان واله ، فالانسان هو ابن الله وابن مريم ، والاله هو ابن مريم ، وهذه غاية الشناعة * فان قالوا ماتقولون فيما فى كتابكم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ، وانه تعالى كلم موسى من جانب الطور من الشجرة من شاطيء الوادى * قلنا التكليم فعل الله تعالى مخلوق ، والحجاب انما هو للتكليم ، والتكليم هو الذى حدث فى الشجرة وشاطيء الوادى وجانب الطور ،

لامحل لما يكون البارى تعالى مريدا بها وهو أول من أحدث هذه المقالة وتابعه عليها المتاخرون (الثالثة) قال فى كلام البارى تعالي ان بعضه لافى محل وهو قوله كن وبعضه فى محل كالامر والنهي والخبر والاستخبار وكان أمر التكوين عنده غير أمر التكليف (الرابعة) قوله فى القدر مثل ما قاله اصحابه الا أنه قدرى الاولى جبري الآخرة فان مذهبه فى حركات أهل الخلدين فى الآخرة انها كلها ضرورية لاقدرة للعباد عليها وكلها مخلوقة للباري تعالى اذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها (الخامسة) قوله ان حركات اهل الخلدين تنقطع وانهم يصيرون الى سكون دائم حموداً وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لاهل الجنة وتجتمع الآلام في ذلك السكون لاهل النار وهذا قريب من مذهب جهم اذ حكم بفناء الجنه والنار وانما التزم ابو الهذيل هذا المذهب لانه لما الزم فى مسئلة حدوث العالم ان الحوادث التى لا اول لها كالحوادث التى لا آخر لها اذ كل واحدة لاتتناهى قال انى لا اقول بحركات لاتتناهى آخرا كما لا اقول بحركات لاتتناهى اولا بل يصيرون الى سكون دائم وكأنه ظن ان مالزمه فى الحركه لايلزمه فى السكون (السادسة) قوله فى الاستطاعة انها عرض من الاعراض غير السلامة والصحة وفرق بين أفعال

وكل ذلك مخلوق محدث ، وكذلك تحول جبريل عليه السلام في صورة دحية ، انما هو أن الله تعالي جعل للملائكة والجن قوة يتحولون بها فيما شاؤا من الصور ، وكلهم مخلوق تعاقب عليهم الاعراض بخلاف الله تعالى في ذلك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ومما يعترض به علي النصارى وان كان ليس برهانا ضروريا علي جميعهم لكنه برهان ضرورى على كل من تقلد منهم الشرائع التى يعمل بها الملكيون والنساطرة واليعاقبة والمارقية قاطع لهم وهى مسالة جرت لنا مع بعضهم : وذلك انهم لايخلون من احد وجهين، اما ان يكونوا يقولون ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام ، واما ان يقولوا بامكانها بعده عليه السلام * فان قالوا بامكان النبوة بعده عليه السلام * لزمهم الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ ثبت نقل اعلامه بالكواف التى بمثلها نقلت اعلام عيسى وغيره عليهم الصلاة والسلام * وان قالوا ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام * لزمهم ترك جميع شرائعهم من صلاتهم وتعظيمهم الاحد وصيامهم وامتناعهم من اللحم ومناكحهم واعيادهم واستباحتهم الخنزير والميتة والدم وترك الختان وتحريم النكاح علي اهل المراكب في دينهم، اذ كل ماذكرنا ليس منه فى اناجيلهم الاربعة شيء البتة بل اناجيلهم مبطلة لكل ماهم عليه اليوم، اذ فيها انه عليه السلام قال لم آت لأغير شيئا من شرائع التوراة، وانه كان يلتزم هو واصحابه بعده السبت واعياد اليهود من الفصح وغيره ، بخلاف كل ماهم عليه اليوم ، فاذا منعوا من وجود النبوة بعده وكانت الشرائع لاتؤخذ إلا عن الانبياء عليهم السلام وإلا فان شارعها عن غير الانبياء عليهم السلام حاكم على الله تعالى وهذا اعظم مايكون من الشرك والكذب والسخف فشرائعهم التى هى دينهم غير ماخوذة عن نبى أصلا فهى معاص مفتراة على الله عز وجل بيقين لاشك فيه

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا حين نبدأ بعون الله وتوفيقه وتاييده انشاء الله لا إله إلا هو فى تبيين ان الواحد ليس عددا فنقول وبالله تعالى التوفيق : ان خاصة العدد هو أن يوجد عدد آخر مساو له وعدد آخر ليس مساويا له، هذا شيء لا يخلو منه عدد اصلا، والمساواة هى أن تكون ابعاضه كلها مساوية له إذا جزئت ، الاترى أن الفرد والفرد مساويان للاثنين، وان الزوج والفرد ليس مساويا للزوج الذى هو الاثنان، والخمسة مساوية للاثنين والثلاثة والثلاثة غير مساوية للثلاثة، وهكذا كل عدد فى العالم فهذا معنى قولنا ان المساوى وغير المساوى هو خاصة العدد، وهذه المساواة اردنا لاغيرها، فلو كان للواحد ابعاض مساوية له لكان كثيرا بلاشك، لان الواحد المطلق على الحقيقة هو الذى ليس كثيرا، هذا مالاشك فيه عند كل ذى حس سليم * وكل ما كان له ابعاض فهو كثير بلا شك، فهو إذا بالضرورة ليس واحدا ، فالواحد ضرورة هو الذى لاابعاض له، فاذ لاشك فيه فالواحد الذى لاأبعاض له تساويه ليس عددا، وهو الذى اردنا أن نبين، وايضا فان الحس وضرورة العقل يشهدان بوجود الواحد، اذ لو لم يكن الواحد موجودا لم يقدر علي عدد اصلا، اذ الواحد مبدأ العدد والمعدود الذى لايوصل الى عدد ولا معدود الابعد

الفعل وجوز ذلك فى افعال الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الاولى وان لم يوجد الفعل الا فى الحالة الثانية قال فحال يفعل غير حال فعل ثم ماتولد من فعل العبد فهو فعله غير اللون والطعم والرائحة وكل مالايعرف كيفيته وقال في الادراك والعلم الحادثين فى غيره عند استماعه وتعليمه ان الله تعالى يبدعهما فيه وليسا من افعال العباد (السابعة) قوله فى الفكر قبل ورود السمع انه يجب عليه ان يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وان قصر فى المعرفة استوجب العقوبة ابداً ويعلم أيضاً حسن الحسن وقبح القبيح فيجب عليه الاقدام على الحسن كالصدق والعدل والاعراض عن القبيح كالكذب والجور وقال أيضاً بطاعات لايراد بها الله تعالى ولا يقصد بها التقرب اليه كالقصد الى النظر الاول والنظر الاول فانه لم يعرف الله تعالى بعد والفعل عبادة وقال فى المكره اذا لم يعرف التعريض والتورية فيما اكره عليه فله ان يكذب ويكون وزره موضوعاً عنه (الثامنة) قوله فى الآجال والارزاق ان الرجل ان لم يقتل مات فى ذلك الوقت ولايجوز ان يزاد في العمر او ينقص والارزاق على وجهين احدهما ماخلق الله تعالى من

وجوده، ولولم يوجد الواحد لما وجد فى العالم عدد ولامعدود اصلا، والعالم كله اعداد ومعدودات موجودة، فالواحد موجود ضرورة، فلما نظرنا فى العالم كله نظرا طبيعيا ضروريا لم نجد فيه واحدا على الحقيقة البتة بوجه من الوجوه، لان كل جرم من العالم فنقسم محتمل للتجزئة متكثر بالانقسام أبدا بلا نهاية، وكل حركة فهى ايضا منقسمة بانقسام المتحرك بها، والزمان حركة الفلك فهو منقسم بانقسام الفلك، فكل مدة فنقسمة ايضا بانقسام المتحرك بها الذى هو المدة، وكذلك كل مقول من جنس اونوع اوفصل، وكذلك كل عرض محمول فى جرم فانه منقسم بانقسام حامله، هذا امر يعلم بضرورة العقل والمشاهدة وليس العالم كله شيئا غيرماذكرنا، فصح ضرورة انه ليس فى العالم واحد البتة، وقد قدمنا ببرهان ضروري آنفا انه لابد من وجود الواحد، فاذا لابد من وجوده وليس هو فى شىء من العالم البتة، فهو اذا بالضرورة شىء غير العالم، فاذ ذلك كذلك فبالضرورة التى لامحيد عنها فهو الواحد لاول الخالق للعالم، اذ ليس يوجد بالعقل البتة شىء غير العالم الاخالقه، فهو الواحد الاول الله لاإله الاهو الذي لايتكثر البتة اصلا لا بعدد ولاصفة ولا بوجه من الوجوه ولا واحد سواه البتة ولا اول غيره اصلا ولا مخترع فاعلا خالقا الاهو وحده لاشريك له * وانما قلنا فى كل فرد فى العالم وهو الذى يسمى فى اللغة عند العدو احدا على المجاز انه كثير بمعنى انه يحتمل ان يقسم وان له مساحة كثيرة الاجزاء، فاذا قسم ظهرت الكثرة فيه، واما مالم يقسم فهو يعد فردا حقيقيا وقد ذكرنا برهان وجوب احتمال الانقسام لكل جزء فى العالم فى آخر كتابنا هذا ببراهين ضرورية لامحيد عنها وبالله تعالى التوفيق: فان قال قائل فما تقول فى الباء والتاء وسائر حروف الهجاء أليس كل واحد منها واحدا لاينقسم، قيل له ـ وبالله التوفيق ـ ان هذا شغب ينبغى ان تحفظ من مثله، لان الحرف انما هو هواء يندفع من مخرج ذلك الحرف بعصر بعض آلات الصوت له من الرئة وانابيب الصدر والحلق والحنك واللسان والاسنان والشفتين، فاذ لاشك فى هذا فذلك الهواء المندفع جسم طويل عريض عميق، فهو محتمل الانقسام ضرورة، فذلك الهواء هو الحرف، فالحرف هو جسم محتمل للقسمة ضرورة، وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام على من يقول ان الباري خلق العالم جملة كما هو بجميع احواله بلا زمان ﴾

(قال ابو محمد رضى الله عنه) رأينا من يقر بالخالق تعالى ولا يقر بالنبوة ومن يذهب الى ذلك، وناظرناه على ذلك: فقلت ان الذي تقول ممكن فى قوة الله تعالى، والذى نقول نحن من انه تعالى خلق من النوع الانسانى ذكرا واحدا وانثى واحدة تناسل الناس كلهم منها ممكن ايضاً، فمن اين ملت الى تلك الحيثية دون هذه، فتردد ساعة فلما لم يجد دليلاً قال، فمن اين ملتم انتم ايضاً الى هذه الحيثية دون تلك، فقلت لبراهين ضرورية توجب ماقلنا وتنفى ماقلتم: (منها) انه لو كان ماقلت لكان كل من اخرجه الله تعالى حينئذ من العدم الى الوجود من الشبان والشيوخ يعلمون ذلك ويحسونه من انفسهم ويوقنون انهم الآن به حدثوا وانهم لم يكونوا قبل ذلك، لكن حدثوا الآن فى حال توليهم لصناعاتهم وتجاراتهم واعمالهم من حرث وحصاد ونسج وخياطة وخبز وطبيخ

الامور المنتفع بها يجوز ان يقال خلقها رزقا للعباد فعلى هذا من قال ان احدا اكل وانتفع بما لم يخلقه الله رزقاً فقد اخطأ لما فيه ان فى الاجسام مالم يخلقه الله والثانى ماحكم الله به من هذه الارزاق للعباد فما احل منها فهو رزق وما حرم فليس رزقا أى ليس ماموراً بتناوله (التاسعة) حكى الكعبى عنه انه قال ارادة الله غير المراد فارادته لما خلق هى خلقه له وخلقه للشىء عنده غير الشىء بل الخلق عنده قول لافى محل وقال انه تعالى لم يزل سميعاً بصيرا بمعنى سيسمع وسيبصر وكذلك لم يزل غفوراً رحيما محسنا خالقا رازقا مثيباً معاقباً موالياً معادياً آمراً ناهياً بمعنى ان ذلك سيكون (العاشرة) حكى عنه جماعة انه قال الحجة لاتقوم فيما غاب الا بخبر عشرين فيهم واحد من اهل الجنة أو اكثر ولا تخلو الارض عن جماعة هم اولياء الله معصومين لايكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر اذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لايحصون عدداً اذا لم يكونوا أولياء الله ولم يكن فيهم واحد معصوم وصحب اباالهذيل ابو يعقوب الشحام والادمى وهما على مقالته وكان سنه مائة سنة توفى فى أول خلافة المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين *(النظامية)* اصحاب ابراهيم بن سيار بن هانى النظام قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط

وطبخ وغير ذلك ، ولو كان هذا لنقلوه الى اولادهم نقلا يقتضي لهم العلم الضروري بذلك ولابد ، كما يقتضي العلم الضروري كل نقل جاء باقل من هذا المجئ مما كان قبلنا من الملوك والدول والوقائع ، ولبلغ الامر الينا كذلك ، ولعلمه جميع الناس علما ضروريا لان شيئاً ينقله جميع اهل الارض عن مشاهدتهم له لا يمكن التشكك فيه ابدا ، كما نقل طلوع الشمس وغروبها والموت والولاد وغير ذلك ، ونحن نجد الامر بخلاف هذا لانا نجد جميع اهل الارض قاطبة لا يعرفون هذا بل لا يدري به احدمنهم ، وانما قلته انت ومن وافقته اومن وافقت برأي وظن لا بخبر ونقل اصلاً ، هذا مالا تخالفنا فيه انت ولا احد من الناس ، فمن المحال الممتنع ان يكون خبر نقله جميع سكان العالم اولهم عن آخرهم الى كل من حدث بعدهم عما شاهدوه يخفى حتى لا يعرفه احد من سكان الارض ، هذا امر يعرف كذبه باول العقل وبديهته * فقال والذي تحكونه انتم ايضا قد وجدنا جماعات ينكرونه فينبغي أن يبطل بما عارضتنا به * فقلت بين النقلين فرق لاخفاء به ، لان نقلنا نحن لما قلناه انما يرجع الى خبر رجل واحد وامرأة واحدة فقط ، وهما اول من احدثهم الله تعالى من النوع الانساني ، وماكان هكذا فانه لا يوجد العلم الضروري ، اذ التواطؤ ممكن في ذلك ، ولولا ان الانبياء والذين جاؤا بالمعجزات أخبروا بتصحيح ذلك ماصح قولنا من جهة النقل وحده ، بل كان ممكنا ان يكون الله تعالى ابتدأ خلق جماعة تناسل الخلق منهم ، لكن لما اخبر من صحت المعجزة قوله بان الله تعالى لم يبتدئ من النوع الانساني الا رجلا واحداً وامرأة واحدة وجب تصديق قولهم : (وبرهان آخر) وهوانكم قد اثبتم ضرورة صحة قولنا من ان الله ابتدأ النوع الانساني بان خلق ذكرا وانثى ، ثم ادعيتم زيادة أن الله تعالي خلق سواهما جماعات ولم تأتوا علي ذلك ببرهان اصلا ولا بدليل اقناعي فضلا عن برهاني ، وقد صحت البراهين التي قدمنا قبل انه لابد من مبدأ ضرورة ، فوجب ولا بد حدوث ذكر وانثى ، وكان من ادعى حدوث اكثر من ذلك مدعيا لما لادليل له عليه اصلا ، وماكان هكذا فهو باطل بيقين لامرية فيه ، وكل ماذكرت عنه نبوة في الهند والمجوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين فلم يختلفوا في ان الله تعالى انما احدث الناس من ذكر وانثى ، وماجاء هذا المجئ فلا يجوز الاعتراض عليه بالدعوى ، وانما اختلف عنهم في الاسماء فقط وليس في هذا معترض ، لانه قد يكون للمرء اسماء كثيرة فلم يمنع من هذا مانع وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فلم نجد عندهم في ذلك معارضة اصلا ، وما علمنا احدا من المتكلمين ذكر هذه الفرقة اصلا ، وقلت له في خلال كلامي معه اترى العالم اذا خرج دفعة أخرج فيه الحوامل يطلقن والطباقون قعودا علي اطباقهم (١) يبيعون التين والسرقين ؟ فضحك وعلم اني سلكت به مسلك السخرية في قوله لفساده وقال لى نعم ، فقلت ينبغي ان يكونوا كلهم انبياء يوحى اليهم اولهم عن آخرهم بما هم عليه من العلوم والصناعات ،

(١) الاطباق جمع طبق وهو الوعاء الذي يؤكل عليه

منا وقوله أن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري تعالى خلافا لاصحابه فانهم قضوا بانه قادر عليها لكنه لا يفعلها لانها قبيحة ومذهب النظام ان القبح اذا كان صفة ذاتية للقبيح وهو المانع من الاضافة اليه فعلا ففي تجويز وقوع القبيح منه قبح أيضاً فيجب ان يكون مانعاً ففاعل العدل لا يوصف بالقدرة على الظلم وزاد أيضاً علي هذا الاختيار فقال انما يقدر على فعل مايعلم ان فيه صلاحا لعباده ولا يقدر على ان يفعل لعباده في الدنيا ماليس فيه صلاحهم هذا في تعلق قدرته بما يتعلق بامور الدنيا واما امور الآخرة فقال لا يوصف الباري تعالى بالقدرة على ان يزيد في عذاب اهل النار شيئاً ولا علي ان ينقص منه شيئاً وكذلك لا ينقص من نعيم أهل الجنة ولا ان يخرج احدا من اهل الجنة وليس ذلك مقدورا له وقد الزم عليه ان يكون الباري تعالى مطبوعا مجبورا على مايفعله فان القادر على الحقيقة من يتخير بين الفعل والترك فاجاب ان الذي الزمتموني في القدرة يلزمكم في الفعل فان عندكم يستحيل ان يفعله وان كان مقدورا فلا فرق وانما أخذ هذه المقالة من قدماء الفلاسفة حيث قضوا بأن الجواد لا يجوز ان يدخر

أو يلهمون ذلك ، وفي هذا من بطلان الدعوى مالا خفاء به ، وكان مما اعترض به أن ذكر الجزائر المنقطعة في البحار وانه يوجد فيها النمل والحشرات وكثير من الطير وكثير من حشرات الارض ، فقلت ان كل ذلك لاينكر ذو حس دخوله في جملة رحالات (١) المسافرين الداخلين الى تلك البلاد ، فقد شاهدنا دخول الفيران في جملة الرحل كذلك ، وليس في ذلك ما يوجب ماذكرت اصلا ، مع ان الحيوان نوعان * نوع متولد يخلقه الله تعالى من عفونات الابدان وعفونات الارض ، فهذا لاينكر تولده باحداث الله تعالى له في كل حين * وقسم آخر متوالد قد رتب الله تعالى في بنية العالم انه لايخلقه الا عن مني ذكر وانثى ، فهذا هو الذي صار في تلك الجزائر عن دخول اليها بلاشك ، وبالله تعالى التوفيق * وما تنكر في كل نوع ماعدا الانسان ان يخلق الله منه أكثر من اثنين ، فهذا ممكن في قدرة الله تعالى ولم يات خبر صادق بخلافه ، لان الله تعالى قد قال في امر نوح عليه السلام وسفينته حين الطوفان : واحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ، ومع هذا فقد يمكن ان يكون نوح عليه السلام ماموراً بان يحمل من كل زوجين اثنين ولا يمنع ذلك من بقاء بعض انواع نبات الماء وحيوانه في غير السفينة والله اعلم ، وانما نقول فيما لا يخرجه العقل الى الوجوب والامتناع بما جاءت به النبوة فقط : (وبرهان آخر) وهو انه لو كان اختراع الله تعالى لكل مافي العالم من العلوم والعلماء بها والصناعات والصانعين لها دفعة واحدة ، لكان ذلك بضرورة العقل واوله لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما : أما ان يكون ذلك بوحي اعلام وتوقيف منه تعالى ، واما بطبع مركب فيهم يقتضي لهم ماعلموا من ذلك وماصنعوا ، فان كان بوحي اعلام وتوقيف فقد صحت النبوة لجميعهم ، اذ ليست النبوة معنى غير هذا ، وهذه دعوى ممن قال بهذا القول بلا دليل ومالادليل عليه فهو باطل لايجوز القول به ، لاسيما والقائلون بها منكرون للنبوة ، فلاح تناقض قولهم ، وان كان كل ذلك عن طبيعة تقتضي لهم كونهم عالمين بالعلوم متكلمين باللغة متصرفين في الصناعات بلا تعليم ولا توقيف فهذا محال ضرورة وممتنع في العقل وفي الطبيعة ، اذ لو كان ذلك لوجدوا ابدا كذلك ، اذ الطبيعة واحدة لاتختلف ، وبالضرورة ندرى انه لا يوجد احد ابدا في شيء من الازمان ولا في مكان اصلا ياتي بعلم من العلوم لم يعلمه اياه احد ، ولا يتكلم بلغة لم يعلمه اياها احد ، ولا بصناعة من الصناعات لم يوقفه عليها احد * وبرهان ذلك ماقدمنا قبل من ان البلاد التي ليست فيها العلوم واكثر الصناعات كارض الصقالبة والسودان والبوادي التي في خلال المدن ليس يوجد فيها ابدا احد يدرى شيئاً من العلوم ولا من الصناعات حتى يعلمه ذلك معلم ، وانه لاينطق احد حتى يعلمه معلم ، فظهر فساد هذا القول ببرهان ، وقبل البرهان بتعريه من البرهان

*(الكلام

(١) الرحالات جمع رحالة وهى اكبر من السرج وتغشى بالجلود وتكون للخيل والنجائب من الابل (المصححه)

شيئا لامثله فما ابدعه واوجده هو المقدور ولو كان في علمه ومقدوره ماهو أحسن وأكمل مما ابدعه نظاما وترتيبا وصلاحا لفعل (الثانية) قوله في الارادة ان الباري تعالى ليس موصوفا بها على الحقيقة فاذا وصف بها شرعا في افعاله فالمراد بذلك انه خالقها ومنشئها على حسب ماعلم واذا وصف بكونه مريدا لافعال العباد فالمعنى به انه آمر بها وناه عنها وعنه اخذ الكعبي مذهبه في الارادة (الثالثة) قوله ان افعال العباد كلها حركات فحسب والسكون حركة اعتماد والعلوم والارادات حركات النفس ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة وانما الحركة عنده مبدأ تغير ما كما قالت الفلاسفة من اثبات حركات في الكيف والكم والوضع والاين والمتى الى احوالها (الرابعة) ووافقهم ايضا في قولهم ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آلتها وقالبها وهذه بعينها مقالة الفلاسفة غير انه تقاصر عن ادراك مذهبهم فمال الى قول الطبيعية منهم ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقلب باجزائه مداخلة المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية في اللبن وقال ان الروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشيئة وهي مستطيعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل (الخامسة) حكى الكعبي عنه انه قال ان كل ماجاوز محل القدرة من الفعل

الكلام على من ينكر النبوة والملائكة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ذهبت البراهمة وهم قبيلة بالهند فيهم اشراف اهل الهند ويقولون انهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا الا انهم انكروا النبوات * وعمدة احتجاجهم فى دفعها ان قالوا لما صح ان الله عز وجل حكيم ، وكان من بعث رسولا الى من يدري انه لا يصدقه فلاشك فى انه متعنت عابث ، فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه * وقالوا ايضا ان كان الله تعالى انما بعث الرسل الى الناس ليخرجهم بهم من الضلال الى الايمان فقد كان اولى به فى حكمته واتم لمراده ان يضطر العقول الى الايمان به قالوا فبطل ارسال الرسل على هذا الوجه ايضا ، ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع ، واما نحن فنقول ان مجيء الرسل قبل ان يبعثهم الله تعالى واقع فى باب الامكان ، واما بعد أن بعثهم الله عز وجل ففى حد الوجوب ، ثم اخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى انه لا نبي بعده ، فقد جد الامتناع ، ولسنا نحتاج الى تكلف ذكر قول من قال من المسلمين ان مجيء الرسل من باب الواجب ، واعتلالهم فى ذلك بوجوب الانذار فى الحكمة اذ ليس هذا القول صحيحا ، وانما قولنا الذى بيناه فى غير موضع انه تعالى لا يفعل شيئا لعلة ، وانه تعالى يفعل مايشاء وان كل مافعله فهو عدل وحكمة اى شيء كان * فيقال وبالله التوفيق لمن احتج بالحجة الاولى من ان الحكمة تضاد بعثة الرسل وان الحكيم لا يبعث الرسل الى من يدرى انه يعصيه ، انكم اضطركم هذا الاصل الفاسد الحاكم بذلك الى موافقة المانية على اصولها فى ان الحكيم لا يخلق من يعصيه ولا من يكفر به ويقتل اولياءه ، وهم يقولون ان الله تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه * ويقال لهم قد علمنا وعلمتم ان فى الناس كثيرا يجحدون الربوبية والوحدانية فقولوا انه ليس حكيما من خلق دلائل لمن يدرى انه لا يستدل بها * فان قالوا انه قد استدل بها كثير * قيل لهم وقد صدق الرسل ايضا كثير * فان قالوا انه خلق الخلق كما شاء * قيل لهم وكذلك بعث الرسل ايضا كما شاء ، فبعثته تعالى الرسل هى بعض دلائله التى خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالى وعلى توحيده * ويقال لمن احتج بالحجة الثانية من ان الاولى به انه كان يضطر العقول الى الايمان به : ان هذا قول مرذول مردود عليكم فى قولكم ان الله عز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم نفسه ووحدانيته ، فيلزمكم على ذلك الاصل الفاسد انه كان الاولى اذ خلقهم ان لا يدعهم والاستدلال ، وقد علم ان فيهم من لا يستدل وان فيهم من يغمض عليه الاستدلال ، فكان الاولى فى الحكمة ان يضطر عقولهم الى الايمان به ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال ، وأن يلطف بهم الطافا يختار جميعهم معها الايمان كما فعل بالملائكة (قال ابو محمد رضى الله عنه) وملاك هذا كله ماقد قلناه فى غير موضع من ان الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل الا لعلة ، ووجب بالبراهين الضرورية ان البارىء تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات ، وجب ان يكون فعله لا لعلة بخلاف افعال جميع الخلق ، وانه لا يقال فى شيء من افعاله تعالى انه فعل كذا لعلة ، ولا اذ حاء الانسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان ، وخلق بعض الحيوان صائدا وبعضه مصيدا ، وباين بين جميع مفعولاته كما شاء ، فليس لاحد ان يقول

فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخليقة اى ان الله تعالى طبع الحجر طبعا وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغ قوة الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعاً وله فى الجواهر واحكامها خبط مذهب يخالف المتكلمين والفلاسفة (السادسة) وافق الفلاسفة فى نفى الجزء الذى لا يتجزى واحدث القول بالطفرة لما الزم مشي نملة على صخرة من طرف الى طرف انها قطعت مالا يتناهى وكيف يقطع مايتناهى مالا يتناهى قال يقطع بعضها بالمشى وبعضها بالطفرة وشبه ذلك بحبل شد على خشبة معترضة وسط البئر طوله خمسون ذراعا وعليه دلو معلق وحبل طوله خمسون ذراعا علق عليه معلاق فيجر به الحبل المتوسط فان الدلو يصل الى رأس البئر وقد قطع مائة ذراع بحبل طوله خمسون ذراعا فى زمان واحد وليس ذلك الا ان بعض القطع بالطفرة ولم يعلم ان الطفرة قطع مسافة أيضا موازية لمسافة فالالزام لا يندفع عنه وانما الفرق بين المشى والطفرة يرجع الى سرعة الزمان وبطئه (السابعة) قال ان الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت ووافق هشام ابن الحكم فى قوله ان الالوان والطعوم والروائح اجسام فتارة يقضى بكون الاجسام اعراضا وتارة يقضى بكون الاعراض أجساما (الثامنة) من مذهبه ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ماهى عليها الآن معادن ونباتا

لم يخلق الانسان ناطقا وحرم الحمار النطق ، وجعل الحجر جامدا لا حياة له ولا نطق ، وهذا اصل قد وافقتنا البراهمة عليه ، وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد وهكذا اذا بعث تعالى الانبياء ليس لاحد ان يقول لم بعثهم ، او لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر ، ولا لم بعثهم فى هذا الزمان دون غيره من الازمان ، ولا لم بعثهم فى هذا المكان دون غيره من الامكنة ، كما لا يقال لم حباه بالسعد فى الدنيا دون غيره ، وهكذا كل ما فى العالم اذا نظر فيه تعالى الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وإذ قد نقضنا شغبهم بحول الله تعالى وتأييده ، فلننقل الآن بعون الله تعالى وتأييده فى اثبات النبوة اذا وجدت قولا بينا وبالله تعالى التوفيق : قد قدمنا فيما خلا إثبات حدوث الاشياء وان لها محدثا لم يزل واحداً لا مبدأ له ولا كان معه غيره ولا مدبر سواه ولا خالق غيره ، فاذ قد ثبت هذا كله وصح انه تعالى أخرج العالم كله الى الوجود بعد ان لم يكن بلا كلفة ولا معاناة ولا طبيعة ولا استعانة ولا مثال سلف ولا علة موجبة ولا حكم سابق قبل الخلق يكون ذلك الحكم لغيره تعالى ، فقد ثبت انه لم يفعل اذ لم يشا وفعل اذ شاء كما شاء فيزيد ما شاء وينقص ما شاء ، فكل منطوق به مما يتشكك فى النفس أو لا يتشكك فهو داخل له تعالى فى باب الامكان على ما بينا فى غير هذا المكان ، الا انا نذكر ههنا طرفا ان شاء الله عز وجل فنقول وبالله تعالى نتأيد : ان الممكن ليس واقعا فى العالم وقوعا واحداً ، ألا ترى ان نبات اللحية للرجال ما بين الثمان عشرة الى عشرين سنة ممكن ؟ وهو فى حدود الاثنى عشر سنة الى العامين ممتنع ، وان فك الاشكالات العويصة واستخراج المعانى الغامضة وقول الشعر البديع وصناعة البلاغة الرائقة ممكن لذى الذهن اللطيف والذكاء النافذ ، وغير ممكن من ذى البلادة الشديدة والغباوة المفرطة . فعلى هذا ما كان ممتنعا بيننا ، اذ ليس فى بنيتنا ولا فى طبيعتنا ولا من عادتنا فهو غير ممتنع على الذى لا بنية له ولا طبيعة له ولا عادة عنده ولا رتبة لازمة لفعله ، فاذ قد صح هذا فقد صح انه لا نهاية لما يقوى عليه تعالى ، فصح ان النبوة فى الامكان ، وهى بعثة قوم قد خصهم الله تعالى بالفضيلة لا لعلة الا انه شاء ذلك فعلمهم الله تعالى العلم بدون تعلم ولا تنقل فى مراتبه ولا طلب له ، ومن هذا الباب ما يراه أحدنا فى الرؤيا فيخرج صحيحا وما هو من باب تقدم المعرفة ، فاذ قد أثبتنا ان النبوة قبل مجيء الانبياء عليهم السلام واقعة فى حد الامكان ، فلننقل الآن بحول الله تعالى وقوته على وجوبها اذا وقعت ولابد ، فنقول: اذ قد صح ان الله تعالى ابتدأ العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه الله تعالى فبيقين ندرى ان العلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدي أحد الها بطبعه فيما بيننا دون تعليم ، كالطب ومعرفة الطبائع والامراض وسببها على كثرة اختلافها ، ووجود العلاج لها بالعقاقير التى لا سبيل الى تجربتها كلها أبداً ، وكيف يجرب كل عقار فى كل علة ، ومتى يتهيأ هذا ولا سبيل له الا فى عشرة آلاف من السنين ؟ ومشاهدة كل مريض فى العالم ، وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بد منه من أمر المعاش ، وذهاب الدول وسائر العوائق ، وكعلم النجوم ومعرفة دورانها وقطعها وعودها الى أملاكها مما لا يتم الا فى عشرة آلاف من السنين ، ولا بد من أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التى قلنا ، وكاللغة التى لا يصح تربية ولا عيش ولا تصرف الا بها ،

وحيوانا وانسانا ولم يتقدم خلق ادم عليه السلام خلق أولاده غير ان الله تعالى أكمن بعضها فى بعض فالتقدم والتاخر انما يقع فى ظهورها من مكامنها دون حدوثها ووجودها وانما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة وأكثر ميله أبدا الى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم دون الالهيين (التاسعة) قوله فى اعجاز القرآن انه من حيث الاخبار عن الامور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعى عن المعارضة ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على ان ياتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما (العاشرة) قوله فى الاجماع انه ليس بحجة فى الشرع وكذلك القياس فى الاحكام الشرعية لا يجوز أن يكون حجة وانما الحجة فى قول الامام المعصوم (الحادية عشرة) ميله الى الرفض ووقيعته فى كبار الصحابة قال أولا لا امامة الا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم على على كرم الله وجهه فى مواضع وأظهره اظهارا لم يشتبه على الجماعة الا ان عمر كتم ذلك وهو الذى تولى بيعة أبى بكر رضى الله عنهما يوم السقيفة ونسبه الى الشك يوم ولا الحديبية فى سؤاله عن الرسول عليه السلام حين قال ألسنا على الحق أليسوا على الباطل قال نعم قال عمر فلم نعطي الدنية فى

ولاسبيل الى الاتفاق عليها الابلغة أخرى ولابد . فصح انه لابد من مبدأ للغة ما . وكالحرث والحصاد والدراس والطحن وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشي واتخاذ الانسال منها والفرس واستخراج الادهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخياطته ولبسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والارحاء والسفن وتدبيرها في القطع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخز واستخراج المعادن وعمل الابنية منها ومن الخشب والفخار . وكل هذا لاسبيل الى الاهتداء اليه دون تعليم . فوجب بالضرورة ولابد انه لابد من انسان واحد فاكثر علمهم الله تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده وهذه صفة النبوة . فاذاً لابد من نبي أو انبياء ضرورة . فقد صح وجود النبوة والنبي في العالم بلاشك : ومن البرهان على ماذكرنا انا نجد كل من لم يشاهد هذه الامور لاسبيل له الى اختراعها البتة . كالذي يولد وهو أصم فانه لايمكن له البتة الاهتداء الى الكلام ولا الى مخارج الحروف . وكالبلاد التي ليست فيها بعض الصناعات وهذه العلوم المذكورة كبلاد السودان والصقالبة وأكثر الامم وسكان البوادي نعم والحواضر لايمكن البتة منذ أول العالم الى وقتنا هذا ولا الى انقضائه اهتداء أحد منهم الى علم لم يعرفه ولا الى صناعة لم يعرف بها . فلاسبيل الى تهديهم اليها البتة حتى يعلموها . ولوكان ممكنا في الطبيعة التهدي اليها دون تعليم لوجد من ذلك في العالم على سعته وعلى مرور الازمان من يهتدي اليها ولو واحداً وهذا أمر يقطع على انه لايوجد ولم يوجد . وهكذا القول في العلوم ولافرق . ولسنا نعني بهذا ابتداء جمعها في الكتب لان هذا أمر لامؤنة فيه . انما هو كتاب ما سمعه الكاتب واحصاؤه فقط . كالكتب المؤلفة في المنطق وفي الطب وفي الهندسة وفي النجوم وفي الهيئة والنحو واللغة والشعر والعروض . انما نعني ابتداء مؤنة اللغة والكلام بها . وابتداء معرفة الهيئة وتعلمها . وابتداء أشخاص الامراض وأنواعها وقوي العقاقير والمعاناة بها . وابتداء معرفة الصناعات . فصح بذلك انه لابد من وحي من الله تعالى في ذلك

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وهذا أيضا برهان ضروري على حدوث العالم وان له محدثا مختاراً ولابد . اذ لابقاء للعالم البتة الا بنشأة ومعاش . ولا نشأة ولا معاش الا بهذه الاعمال والصناعات والآلات . ولايمكن وجود شيء من هذه كلها الا بتعليم الباري تعالى . فصح ان العالم لم يكن موجوداً . اذ لاسبيل الى بقائه الا بما ذكرنا . ثم وجد معلما مدبراً مبتدأ بتعليمه على ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد رضي الله عنه) واذ قد تكلمنا على انه لابد من نبوة وصح ذلك ضرورة . فلنتكلم على براهينها التي يصح بها علم صدق مدعيها اذ وقعت . فنقول : انه قد صح ان البارئ تعالى هو فاعل كل شيء ظهر . وانه قادر على اظهار كل متوهم لم يظهر . وعلمنا بكل ماقدمنا انه تعالى مرتب هذه الرتب التي في العالم ومجريها على طبائعها المعلومة منا الموجودة عندنا . وانه لافاعل على الحقيقة غيره تعالى . ثم رأينا خلافا لهذه الرتب والطبائع قد ظهرت . ووجدنا طبائع قد أحيلت وأشياء في حد الممتنع قد وجبت ووجدت . كصخرة انفلقت عن ناقة . وعصا انقلبت حية . وميت أحيا انسان . ومئين من الناس رووا وتوضؤا كلهم من ماء يسير في قدح صغير يضيق عن بسط

ضرب بطن فاطمة عليها السلام يوم البيعة حتى القت المحسن من بطنها وكان يصيح احرقوها بمن فيها وماكان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين وقال تغريبه نصر بن الحجاج من المدينة الى البصرة وابداعه التراويح ونهيه عن متعة الحج ومصادرته العمال كل ذلك احداث ثم وقع في عثمان رضي الله عنه وذكر احداثه من رده الحكم بن أمية الى المدينة وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفيه اباذر وهو صديق رسول الله ﷺ وتقليده الوليد بن عتبة الكوفة وهو من افسد الناس ومعاوية الشام وعبد الله بن عامر البصرة وتزويجه مروان بن الحكم ابنته وهم افسدوا عليه امره وضربه عبد الله بن مسعود على احضار المصحف وعلى القول الذي شافهه به كل ذلك احداثه ثم زاد على خزيه ذلك بان عاب عليا وعبد الله ابن مسعود لقولهما اقول فيها براي وكذب ابن مسعود في روايته السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وفي روايته

 انشقاق القمر وفي تشبيهه الجن بالبط وقد انكر الجن رأساً الى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة رضي الله عنهم اجمعين (الثانية عشر) قوله في الفكر قبل ورود السمع انه اذا كان عاقلا

اليد فيه لامادة له . فعلمنا ان محيل هذه الطبائع . وفاعل هذه المعجزات هو الاول الذي احدث كل شيء . ووجدنا هذه القوى قد اصحبها الله تعالى رجالا يدعون اليه . ويذكرون انه تعالى أرسلهم الى الناس ويستشهدون به تعالى فيشهد لهم بهذه المعجزات المحدثة منه تعالى في حين رغبة هؤلاء القوم اليه فيها . وضراعتهم اليه في تصديقهم بها . فعلمنا علما ضروريا لا مجال للشك فيه انهم مبعوثون من قبله عزوجل . وانهم صادقون فيما أخبروا به عنه تعالى . اذ لا سبيل في طبيعة مخلوق في العالم الى التحكم على الباري ولا على طبائع خلقه بمثل هذا . ووجوب النبوة اذ ظهر على مدعيها معجزة من احالة الطبائع المخالفة لما بني عليه العالم . وقد تكلمنا في غير هذا المكان على ان هذه الاشياء لها طرق توصل الى صحة اليقين بها عند من لم يشاهدها كصحتها عند من شاهدها ولا فرق . وهي نقل الكافة التي قد استشعرت العقول ببدايتها والنفوس بأول معارفها انه لا سبيل الى جواز الكذب ولا الوهم عليها وان ذلك ممتنع فيها . فمن تجاهل وأجاز ذلك عليها خرج عن كل معقول . ولزمه ان لا يصدق ان من غاب عن بصره من الانس بانهم أحياء ناطقون لكن شاهدوا أن صورهم على حسب الصورة التي عاين . ولزم أن يكون عنده ممكنا في بعض من غاب عن بصره من الناس ان يكونوا بخلاف ما عهد من الصورة . اذ لا يعرف أحد ان كل من غاب عن حسه فانه في مثل كيفية ما شاهد من نوعه الا بنقل الكواف ذلك كما نقلت ان بعضهم بخلاف ذلك في بعض الكيفيات . فوجب تصديق ذلك ضرورة كبلاد السودان وما أشبه ذلك . ويلزم من لم يصدق خبر الكافة ويجيز فيه الكذب والوهم ان لا يصدق ضرورة بان أحداً كان قبله في الدنيا ولا ان في الدنيا أحداً الا من شاهد بحسه . فان جوز هذا عرف بقلبه انه كاذب . وخرج عن حدود من يتكلم معه . لان هذا الشيء لا يعرف البتة الا من طريق الخبر لا غير . فان نفر عن هذا وأقر بانه قد كان قبله ملوك وعلماء ووقائع وأمم . وأيقن بذلك ولم يكن في كثير منها شك بل هي عنده في الصحة كما شاهد ولا فرق : سئل من اين عرفت ذلك وكيف صح عندك ؟ فلا سبيل له اصلا الى ان يصح ذلك عنده الا بخبر منقول نقل كافة . وبالله تعالى التوفيق : فنقول له حينئذ فرق بين ما نقل اليك من كل ذلك . وبين كل ما نقل اليك من علامات الانبياء . ولا سبيل له الى الفرق بين شيء من ذلك أصلا . فان قال الفرق بينها وبينها انه لا ينكر احد هذه الامور . وكثير من الناس ينكرون اعلام الانبياء . قيل له وبالله تعالى التوفيق : ان كثيراً من الناس لا يعرفون كثيراً مما صح عندك من الاخبار العارضة لمن كان في بلادك قبلها . فليس جهلهم بها ودفعهم لها لو حدثوا بها مخرجاً لها عن الصحة . وكذلك جحد من جحد اعلام الانبياء ليس مخرجاً لها عن الوجوب والصحة . فان قال انه ليس نجد الناس على الكذب فيما كان قبلنا من الاخبار ما نجدهم على الكذب في اعلام النبوة . قيل له وبالله التوفيق : هذا كذب بل الامران سواء لا فرق بينهما . ومن الملوك من يشتد عليهم وصف اسلافهم بالجور والظلم والقبائح . ويحمي هذا الباب بالسيف فما دونه . فما انتفعوا بذلك في كتمان الحق . قد نقل ذلك كله وعرف كما نقلت فضائل من يغضب ملوك الزمان من مدحه . كفضائل علي رضي الله عنه ما قدر قط ملوك بني مروان على سترها وطيها . وقد رام المامون والمعتصم والواثق على سعة ملكهم لاقطار الارض قطع القول بان القرآن غير مخلوق فما قدروا على ذلك . وكل نبي فله عدو

متمكنا من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من افعاله وقال لابد من خاطرين احدهما يامر بالاقدام والاخر بالكف ليصح الاختيار (الثالثة عشر) تكلم في مسائل الوعد والوعيد وزعم ان من خان في مائة وتسعة وتسعين درهما بالسرقة او الظلم لم يفسق بذلك حتى تبلغ خيانته نصاب الزكاة وهو مائتا درهم فصاعداً فحينئذ يفسق وكذلك في سائر نصب الزكاة وقال في المعاد ان الفضل على الاطفال كالفضل على البهائم ووافقه الاسواري في جميع ماذهب اليه وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لايوصف بالقدرة علي ماعلم انه لايفعله ولا علي ما أخبر انه لايفعله مع ان الانسان قادر على ذلك لان قدرة العبد صالحة للضدين ومن المعلوم ان احد الضدين واقع وفي المعلوم انه سيوجد دون الثاني والخطاب لاينقطع عن ابي لهب وان اخبر الرب تعالى بانه سيصلى نارا ذات لهب ووافقه ابو جعفر الاسكافي واصحابه من المعتزلة وزاد عليه بان قال ان الله تعالى لايقدر على ظلم العقلاء وانما يوصف بالقدرة علي ظلم الاطفال والمجانين وكذلك من الجعفران جعفر ابن مبشر وجعفر بن حرب وافقاه وما زادا عليه الا ان جعفر بن مبشر قال في فساق الامة من هو

من الملوك والامم يكذبونهم فماقدروا قط على طى اعلامهم . ولا على تحقيق مازادوا على ذلك لمن يغضب له من لادين له . فصح ان الامرين سواء . وان الحق حق . فان قال قائل فلعل هذا الذى ظهرت منه المعجزات قدظفر بطبيعة وخاصية قد معها على اظهار ماظهر . قيل له وبالله التوفيق : ان الخواص قدعلمت ووجوه الحيل قداحكمت . وليس فى شىء منها عمل يحدث عنه اختراع جسم لم يكن كنحو ماظهر من اختراع الماء الذى لم يكن ولا فى شىء . منه احالة نوع الى نوع آخر دفعة على الحقيقة . ولا جنس الى جنس آخر دفعة على الحقيقة . وهذا كله قد ظهر على أيدى الانبياء عليهم السلام فصح انه من عند الله تعالى لا مدخل لعلم انسان ولا حيلته فيه . ونحن نبين ان شاء الله الفرق الواضح بين معجزات الانبياء عليهم السلام . وبين مايقدر عليه بالسحر . وبين حيل العجائبيين ، فنقول وبالله تعالى التوفيق : ان العالم كله جوهر وعرض لاسبيل الى وجود قسم ثالث فى العالم دون الله تعالى . فاما الجواهر فاختراعها من ليس الى انس وهو من العدم الى الوجود فممتنع غير ممكن البتة لاحد دون الله تعالى مبتدىء العالم ومخترعه . فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة الجيش فهى معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته لايمكن غير ذلك اصلا . وكذلك احالة الاعراض التى هى جوهريات ذاتيات وهى الفصول التى تؤخذ من الاجناس ، وذلك كقلب العصا حية . وحنين الجذع . واحياء الموتى الذين رموا (١) وصاروا عظاما . والبقاء فى النار ساعات لاتؤذيه وما أشبه ذلك . وكذلك الاعراض التى لا تزول الا بفساد حاملها . كالفطس والزرق ونحو ذلك . فهذا لايقدر عليه احد دون الله تعالى بوجه من الوجوه . واما احالة الاعراض من الغيرات التى تزول بغير فساد حاملها فقد تكون بالسحر . ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوان عن مكان ما فلا يقربه اصلا . وكابعاد البرد ببعض الصناعات . وما أشبه هذا وقد يزيد الامر ويفشوا العلم ببعض هذا النوع حتى يحسبه اكثر الناس كالطير والاصباغ وماأشبه هذا . واما التخييل بنوع من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها انها دخلت فى جسد المضروب بها . فى حيل غير هذه من حيل ارباب العجائب والحلاج (٢) واشباهه فامر يقدر عليه من تعلمه . وتعلمه ممكن لكل من اراده . فالذي يأتى به الانبياء عليهم السلام هو احالة الذاتيات . ومن ذلك صرف الحواس على طبائعها كمن اراك مالايراه غيرك . اومسح يده على مريض فافاق . اوسقاه مايضر علته فبرىء ، او اخبر عن الغيوب فى الجزئيات عن غير تعديل ولا فكرة . فهذه كلها احالة الذاتيات وما ثبت ،اذ ثباتها لايكون الا لنبى . فاذا قد تكلمنا على مكان النبوة قبل مجيئها . ووجوبها حين وجودها . فلنتكلم الآن بحول الله وقوته على امتناعها بعد ذلك . فنقول وبالله تعالى التوفيق : اذ قد صح كل ما ذكرنا من المعجزات الظاهرة من الانبياء عليهم السلام شهادة من الله تعالى لهم يصدقوا بها أقوالهم فقد وجب علينا الانقياد لما أتوا به ولزمنا تيقن كل ما قالوا . وقد صح عن رسول

(١) من رم الميت يرم بالكسر وأرم اذا بلى (٢) الحلاج ككتاب لعله يريد به خفة اليد وسرعة الحركة (لمصححه)

شر من الزنادقة والمجوس وزعم ان اجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطا اذ المعتبر فى الحدود النص والتوقيف وزعم ان سارق الحبة الواحدة فاسق منخلع عن الايمان وكان محمد بن شبيب وابو شمر وموسى بن عمران من اصحاب النظام الا انهم خالفوه فى الوعيد وفى المنزلة بين المنزلتين وقالوا صاحب الكبيرة لايخرج من الايمان بمجرد ارتكاب الكبيرة وكان بن مبشر يقول فى الوعيد ان استحقاق العقاب والخلود فى النار بالكفر يعرف قبل ورود السمع وسائر أصحابه يقولون التخليد لايعرف الا بالسمع ومن اصحاب النظام الفضل الحدبي واحمد بن حابط قال بن الراوندى انهما كانا يزعمان أن للخلق خالقين احدهما قديم وهو البارى تعالى والثاني محدث وهو المسيح عليه السلام لقوله تعالى اذ تخلق من الطين كهيئة الطير وكذبه الكعبي فى رواية الحدبي خاصة لحسن اعتقاده فيه الحابطية أصحاب احمد بن حابط وكذلك الحدبية اصحاب فضل بن الحدبي كانا من اصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة أيضا وضما الى مذهب النظام ثلاث بدع (الاولى) اثبات حكم من أحكام الالهية فى المسيح عليه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم ان المسيح عليه السلام هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة وهو المراد بقوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا وهو الذى يأتى

الله صلى الله عليه وسلم بنقل الكواف التى نقلت نبوته واعلامه وكتابه انه اخبر انه لانبي بعده . الا ماجاءت الاخبار الصحاح من نزول عيسي عليه السلام الذى بعث الى بنى اسرائيل وادعى اليهود قتله وصلبه . فوجب الاقرار بهذه الجملة . وصح ان وجود النبوة بعده عليه السلام باطل لا يكون البتة . وبهذا يبطل ايضا قول من قال بتواتر الرسل ووجوب ذلك ابداً وبكل ماقدمناه مما ابطلنا به قول من قال بامتناعها البتة . اذ عمدة حجة هؤلاء هى قولهم : ان الله حكيم والحكيم لايجوز في حكمته ان يترك عباده هملا دون انذار

(قال ابو محمد) رضى الله عنه ، وقد احكمنا بحول الله تعالى وقوته قبل هذا ان الله تعالى لاشرط عليه ولاعلة موجبة عليه ان يفعل شيئاً ولا أن لايفعله ، وانه تعالى لو اهمل الناس لكان حقاً وحسناً لو خلقهم كما خلق سائر الحيوان الذى لم يلزمه شريعة ولا خطر عليه شيء . وانه تعالى لوواتر الرسل والنذارة ابداً لكان حقاً وحسناً كما فعل بالملائكة الذين هم حملة وحيه ورسله ابداً . وانه تعالى لو خلق الخلق كفاراً كلهم لكان ذلك منه حقاً وحسناً او لو خلقهم مؤمنين كلهم لكان حقا وحسناً . كما ان الذى فعل تعالى من كل ذلك حق وحسن . وانه لايقبح شيء الا من مامور منهي قد تقدمت الاوامر وجوده وسبقت الحدود المرتبة للاشياء كونه . واما من سبق كل ذلك فله ان يفعل مايشاء ويترك مايشاء لامعقب لحكمه . واما الملائكة فكل من له معرفة ببنية العالم والافلاك والعناصر فانه يعلم ان الارض وعمقها اقرب الى الفساد من سائر العناصر ومن سائر الاجرام العلوية . وانها مواتية كلها . وان الحياة انما هي في النفوس المنزلة قسراً الى مجاورة اجساد الترابية المواتية من جميع الحيوان . فقد ثبت يقينا بضرورة المشاهدة ان محل الحياة وعنصرها ومعدنها وموضعها انما هو هنالك من حيث جاءت النفوس الحية الناقصة بما في طبعها من مجاورة هذه الاجساد . والتثبت بها عن كال ماخص بالحياة الدائمة ولم يشن ولا نقص فضله وصفاؤه بمجاورة الاجساد الكدرة الملوءة آفات ودرنا رعيوباً . فصح ان العلو الصافى هو محل الاحياء الفاضلين السالمين من كل رذيلة ومن كل نقص ومن كل مزاج فاسد المحبوين بكل فضيلة فى الخلق . وهذه صفة الملائكة عليهم السلام . وصح بهذا ان على قدر سعة ذلك المكان يكون كثرة من فيه من اهله وعماره . وانه لانسبة لما فى هذا المحل الضيق والنقطة الكدراء وما هنالك كما لا نسبة لمقدار هذا المكان من ذلك ، وبهذا صحت الرواية وهكذا اخبر رسول الله ﷺ عن كثرة الملائكة فى الاخبار المسندة الثابتة عنه ﷺ . وبهذا وجب ان يكونوا هم الرسل والوسائط بين الاول تعالى الذى خصهم بالنبوة والرسالة وتعليم العلوم . وبين انقاذ النفوس من الهلكة

الكلام علي من قال ان فى البهائم رسلاً

(قال ابو محمد) رضى الله عنه : ذهب احمد بن حابط وكان من اهل البصرة من تلاميذ ابراهيم النظام يظهر الاعتزال وما نراه الا كافرا لامؤمنا . وانما استخرنا اخراجه عن

فى ظلل من الغمام وهو المعنى بقوله تعالى أو يأتي ربك وهو المراد بقول النبي عليه السلام ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن وبقوله يضع الجبار قدمه فى النار وزعم أحمد بن حابط أن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصاري (الثانية) القول بالتناسخ زعما ان الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين عقلاء بالغين فى دار سوى هذه الدار التى هم فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به واسبغ عليهم نعمه ولا يجوز ان يكون أول ما يخلقه الا عاقلا ناظرا معتبرا فابتدأهم بتكليف شكره فاطاعه بعضهم في جميع ماأمرهم به وعصاه بعضهم فى جميع ذلك واطاعه بعضهم فى البعض دون البعض فمن اطاعه فى الكل اقره فى دار النعيم التى ابتدأهم فيها ومن عصاه فى الكل أخرجه من تلك الدار الى دار العذاب وهى النار ومن اطاعه فى البعض وعصاه فى البعض اخرجه الى دار الدنيا فالبسه هذه الاجسام الكثيفة وابتلاه بالبأساء والضراء والشدة والرخاء والآلام واللذات على صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم فمن كانت معاصيه أقل وطاعته أكثر كانت صورته احسن وآلامه اقل ومن كانت ذنوبه اكثر كانت صورته اقبح وآلامه أكثر ثم لا يزال يكون الحيوان فى الدنيا كرة بعد

الاسلام

الاسلام . لان اصحابه حكوا عنه وجوها من الكفر . منها التناسخ . والطعن على رسول الله ﷺ بالنكاح . وكان من قوله ان الله عز وجـل نبأ انبياء من كل نوع من انواع الحيوان . حتى البق والبراغيث والقمل . وحجته فى ذلك قول الله تعالى : وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم ذكروا قوله تعالى : وان من أمة الا خلافيها نذير (قال ابو محمد) رضى الله عنه وهذا لاحجة لهم فيه لان الله عزوجل يقول لئلايكون للناس على الله حجة بعدالرسل. وانما يخاطب الله تعالى بالحجة من يعقلها . قال الله تعالى : ياأولى الالباب . وقـد علمنا بضرورة الحس ان الله تعالى انما خص بالنطق الذى هو التصرف فى العلوم ومعرفة الاشياء على ماهى عليه والتصرف فى الصناعات على اختلافها الانسان خاصة . واضفنا اليهم بالخبر الصادق مجرد الجن ، واضفنا اليهم بالخبر الصادق وببراهين أيضاً ضرورية الملائكة ، وانمـا شارك من ذكرناسائر الحيوان فى الحياة خاصة وهى الحس والحركة الارادية ، فعلمنا بضرورة العقل ان الله تعالى لايخاطب بالشرائع الامن يعقلها ويعرف المراد بها ، وبقوله تعالى لايكلف الله نفسا الاوسعها ، ووجدنا جميع الحيوان حاشا الناس يجرى على رتبة واحدة فى تصرفها فى معايشها وتناسلها ، لايجتنب منها واحدشيئا يفعله غيره . هذا الذى يدرك حسا فيا يعاشر الناس فى منازلهم من المواشى والخيل والبغال والحمير والطير وغير ذلك . وليس الناس فى أحوالهم كذلك . فصح أن البهائم غير مخاطبـة بالشرائع . وبطل قول ابن حابط . وصح ان معنى قول الله تعالى : أمم امثالكم . أى انواع امثالكم اذكل نوع يسمى أمة . وان معنى قوله تعالى : وان من أمة الا خلافيها نذير . انمـا عنى تعالى الامم من الناس . وهم القبائل والطوائف . ومن الجن لصحة وجوب العبادة عليهم . فان قال قائل : فما يدريك لعل سائر الحيوان له نطق وتمييز ؟ قيل له وبالله التوفيق : بقضية العقول وبديهها عرفنا الاشياء على ماهى عليه . وبهـا عرفنا الله تعالى وصحة النبوة وهى التى لايصح شيء الابموجبها . فـا عرف بالعقل فهو واجب فيا بيننا نريد فى الوجود فى العالم . وماعرف بالعقل انه محال فهو محال فى العالم . وماوجد بالعقل امكانه فجائزان يوجد . وجائز انلايوجد . وبضرورة العقل والحس علمنا ان كل واقعين تحت جنس فان ذلك الجنس يعطيهما اسمه وحده عطاء مستويا . فلما كان جنس الحى يجمعنا مع سائر الحيوان استوينا معها كلها استواء لاتفاضل فيـه فيا اقتضاه اسم الحياة من الحس والحركة الارادية . وهذان المعنيان هما الحياة لاحياة غيرهما اصلاً . وعلمنا ذلك بالمشاهدة لانارأينا الحيوان يألم بالضرب والنخس ويحدث لها من الصوت والقلق مايحقق ألمها كما نفعل نحن ولافرق . ولذلك لمـا شاركنا والحيوان جميع الشجر والنبات فى النماء استوى جميع الحيوان فيما اقتضاه اسم النمو من طلب الغذاء واستحالته فى المتغذى به الى نوعه ومن طلب بقاء النوع مع جميع الشـجر والنبات استواء واحداً لا تفاضل فيه . ولمـا شاركنا وجميع الحيوان والشجر والنبات وسائر الجمادات فى ان كل ذلك اجسام طويلة عريضة عميقة جميع الاجرام استوى كل ذلك فيا

كرة وصورة بعد أخرى مادامت معه ذنوبه وطاعاته وهذا عين القول بالتناسخ وكان فى زمانهما شيخ المعتزلة احمد بن أيوب بن مانوس وهو أيضا من تلامذة النظام قال مثـل ماقال احمد بن حابط فى التناسخ وخلق البرية دفعة واحـدة الاانه قال متى ما صارت النوبة الى البهيمية ارتفعت التكاليف ومتى ماصارت النوبة الى رتبة النبوة والملك ارتفعت التـكاليف أيضاوصارت النوبتان عالم الجزاء ومن مذهبهما ان الديار خمس داران للثواب احداها فيها أكل وشرب وبعال وجنات وانهار (والثانية) دار فوق هذه الدار ليس فيها أكل وشرب وبعال* بل ملاذروحانية وروح وريحان غير جسمانيـة (والثالثـة) دار العقاب المحض وهى نارجهنم ليس فيها ترتب بل هى على نمط التسارى (والرابعة) دار الابتداء وهى التى خلق الخلق فيها قبل ان تهبط الى الدنياوهى الجنة الاولى (والخامسة) دار الابتلاء وهى التى كلف الخلق فيها بعد ان اجترحوافى الاولى وهذا التكوين والتـكرير لايزال فى الدنيا حتى يمتلئ المـكيالان مكيال الخير ومكيال الشر فاذا امتلأ مكيال الخير صار العمل كله طاعة والمطيع خيرا خالصا فينقل الى الجنة ولم يلبث طرفة عين فان مطل الغنى ظلم وفى الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه واذا امتلأ مكيال الشر صار العمل كله معصية والعاصى شريراً

اقتضاه له اسم الجسمية فى ذلك استواء لاتفاضل فيه . ولم يدخل مالم يشارك شيئاً مما ذكرنا فى الصفة التى انفرد بها عنه . هذا كله يعلمه ضرورة من وقف عليه ممن له حس سليم . فلما كان النطق الذى هو التصرف فى العلوم والصناعات قد خصنا دون سائر الحيوان . وجب ضرورة ان لايشاركنا شىء من الحيوان فى شىء منه . اذ لو كان فيه شىء منه لمـا كنا احق بكله من سائر الحيوان . كما أنا لسنا بالحياة احق منها ولا بالنمو ولا بالحركة ولا بالجسمية . فصح بهذا أنه لانطق لها اصلا . فان قال قائل لعـل نطقها بخلاف نطقنا . قيـل له وبالله التوفيق : لايتشكل فى العقول البتة حياة على غير صفة الحياة عندنا . ولا نمـاء على غير صفة النماء عندنا . ولا حمرة على غير الحمرة عندنا . ولا جسم على خلاف الاجسام عندنا . وهكذا فى كل شىء . ولو كان شىء بخلاف ماعندنا لم يقع عليه ذلك الاسم اصلاً . وكان كمن سمى المـاء ناراً والعسل حجراً . وهذا هو الحمق والتخليط . فبالضرورة وجب ان كل صفة هى بخلاف نطقنا فليس نطقا . والنطق عندنا هو التصرف فى العلوم والصناعات ومعرفة الاشياء على ماهى عليه . فلو كان ذلك النطق بخلاف هـذا لـكان ليس معرفة للاشياء على ماهى عليـه ولا تصرفا فى العلوم والصناعات . فهو اذا ليس نطقا . فبطل هذا الشغب السخيف والحمد لله رب العالمين * فان اعترض معترض بفعل النحل ونسج العنكبوت . قيل له وبالله التوفيق : ان هذه طبيعة ضرورية . لان العنكبوت لايتصرف فى غير تلك الصفة من النسج ولا توجد ابدا الا كذلك . واما الانسان فانه يتصرف فى عمل الديباج والوشى والقباطى . وانواع الاصباغ والدباغ . والخرط والنقش . وسائر الصناعات من الحرث والحصاد والطحن والطبخ والبناء والتجارات . وفى انواع العلوم من النجوم ومن الاغانى والطب والقبل (١) والجبر (٢) والعبارة (٣) والعبادة وغير ذلك . ولاسبيل لشىء من الحيوان الى التصرف فى غير الشىء الذى اقتضاه له طبعه . ولا الى مفارقة تلك الـكيفية . فان اعترض معترض بقول الله تعالى : علمنا منطق الطير . وبمـا ذكر الله تعالى من قول النملة : ياأيها النمل ادخلوا مسـاكنكم الآية . وقصة الهدهد . قيـل له وبالله تعالى التوفيق : لم ندفع ان يكون للحيوان اصوات عند معاناة ماتقتضيه له الحياة من طلب الغذاء . وعند الالم . وعند المضاربة وطلب السفاد . ودعاء اولادها . وماأشبه ذلك . فهذا هو الذى علمه الله تعالى سليمان رسوله عليه السلام . وهذا الذى يوجد فى أكثر الحيوان . وليس هذا من تمييز دقائق العلوم والـكلام فيها ولا من عمل وجوه الصناعات كلها فى شىء . وانمـا عنى الله تعالى بمنطق الطير اصواتها التى ذكرنا . لا تمييز العلوم والتصرف فى الصناعات الذى من ادعاه لها أكذبه العيان . والله تعالى لا يقول الا الحق . واماقصـة النملة والهدهد فهما

(١) القبل بفتحتين لطف القابلة لاخراج الولد وتلقيه عند ولادته من بطن أمه

(٢) يطلق الجبر عند م ويراد به علم الجبر والمقابلة وهو علم يعرف به المجهولات العددية من معلوماتها المخصوصة على وجه مخصوص (٣) العبارة علم تعبير الرؤيا

عضاً فينقل الى النار ولم يلبث طرفة عين وذلك قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يسـتقدمون (البـدعة الثالثة) حملها كل ماورد فى الخبر من رؤية البارىء تعـالى مثل قـوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته على رؤية العقل الاول الذى هو اول مبدع وهو العقل الفعال الذى منـه تفيض الصور على الموجودات واياه عنى النبى عليه السلام اول ماخلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فاقبـل ثم قال له ادبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا احسن منـك بك أعز وبك أذل وبك اعطى وبك أمنع فهو الذى يظهر يوم القيامة ويرتفع الحجب بينـه وبين الصور التى فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فاماواهب العقل فلا يري ألبتة ولا يشبه الا مبدع بمبدع وقال ابن حائط ان كل نوع من أنواع الحيوانات امة على حيالها لقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وفى كل امة رسول من نوعه لقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ولهما طريقة أخرى فى التناسخ وكأنهما مزجا كلام التناسخية والفلاسفة والمعتزلة بعضها ببعض (البشرية) اصحاب بشر بن المعتمر كان من أفضل علماء المعتزلة وهو الذى احدث القول بالتولد وافرط فيه وانفرد عن اصحابه بمسائل ست (الاولى)

معجزتان

معجزتان خاصتان لذلك النمل ولذلك الهدهد . وآيتان لسليمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . ككلام الذراع . وحنين الجذع . وتسبيح الطعام لمحمد صلى الله عليه وسلم آيات لنبوته عليه السلام . وكذلك حياة عصا موسى عليه السلام آية لرسول الله موسى عليه السلام . لان هذا النطق شامل لانواع هذه الاشياء

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وقد قاد السخف والضعف والجهل من يقدر في نفسه انه عالم وهو المعروف بخويز منداد المالكي الى ان جعل للجمادات تمييزاً ، (قال أبو محمد رضي الله عنه) ، ولعل معترضا يعترض بقول الله تعالى : وان من شيء الا يسبح بحمده ، وبقوله تعالى : ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الآية ، وبقوله تعالى : انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان الآية ، وبقوله تعالى حاكيا انه قال للسموات والارض : ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين ، وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ، فهذا كله حق ولا حجة لهم فيه والحمد لله رب العالمين ، لان القرآن واجب أن يحمل على ظاهره ، كذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن خالف ذلك كان عاصيا لله عز وجل مبدلا لكلماته ، ما لم يأت نص في أحدهما او اجماع متيقن او ضرورة حس على خلاف ظاهره فيوقف عند ذلك ، ويكون من حمله على ظاهره حينئذ ناسبا الكذب الى الله عز وجل ، أو كاذبا عليه وعلى نبيه عليه السلام نعوذ بالله من كلا الوجهين ، واذ قد بينا قبل بالبراهين الضرورية ان الحيوان غير الانس والجن والملائكة لا نطق له نعني انه لا تصرف له في العلوم والصناعات ، وكان هذا القول مشاهدا بالحس معلوما بالضرورة لا ينكره الا وقح مكابر لحسه ، وبينا ان كل ما كان بخلاف التمييز المعهود عندنا فانه ليس تمييزاً ، وكان هذا أيضا يعلم بالضرورة والعيان والمشاهدة . فوجب انه بخلاف ما يسمى في الشريعة واللغة نطقا وقولا وتسبيحا وسجوداً . فقد وجب انها أسماء مشتركة اتفقت الفاظها . واما معانيها فمختلفة لا يحل لاحد ان يحملها على غير هذا . لانه ان فعل كان مخبراً ان الله تعالى قال ما يبطله العيان والعقل الذي به عرفنا الله تعالى . ولولاه ما عرفناه . ومن أجاز هذا كان كافراً مشركا . ومن أبطل العقل فقد أبطل التوحيد اذ كذب شاهده عليه . اذ لولا العقل لم يعرف الله عز وجل أحد ألا ترى المجانين والاطفال لا يلزمهم شريعة لعدم عقولهم ؟ ومن جوز هذا فلا ينكر على النصارى ما يأتون به خلاف المعقول . ولا على الدهرية ولا على السوفسطائية ما يخالفون به المعقول . لكنا نقول ان اللفظ مشترك والمعنى هو ما قام الدليل عليه . كما فعلنا في النزول وفي الوجه واليدين والاعين ، وحملنا كل ذلك على انه حق بخلاف ما يقع عليه اسم ينزل عندنا واسم يد وعين عندنا لان هذا عندنا في اللغة واقع على الجوارح والنقلة ، وهذا منفي عن الله تعالى . فاذ لا شك في هذا فلننقل الآن على معاني الآيات التي ذكرنا انه ربما اعترض بها من لا يمعن النظر بحول الله وقوته فنقول وبالله تعالى التوفيق : اما تسبيح كل شيء فالتسبيح عندنا انما هو قول سبحان الله وبحمده . وبالضرورة نعلم أن الحجارة والخشب والهوام والحشرات والالوان لا تقول سبحان الله بالسين والباء والحاء والالف والنون واللام والهاء . هذا ما لا يشك فيه من له مسكة عقل . فاذ لا شك في هذا فباليقين

منها أنه زعم أن اللون والطعم والرائحة والادراكات كلها من السمع والرؤية يجوز ان تحصل متولدة من فعل الغير في الغير اذا كانت اسبابها من فعله وانما أخذ هذا من الطبيعيين الا أنهم لا يفرقون بين المتولد والمباشر بالقدرة وربما لا يثبتون القدرة على منهاج المتكلمين وقوة الفعل وقوة الانفعال غير القدرة التي يثبتها المتكلم (الثانية) قوله ان الاستطاعة هي سلامة البنية وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وقال لا اقول يفعل بها في الحالة الاول ولا في الحالة الثانية لكني أقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الثانية (الثالثة) قوله ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل كان ظالماً اياه الا انه لا يستحسن أن يقال في حقه بل يقال لو فعل ذلك كان الطفل بالغاً عاقلا عاصياً بمعصية ارتكبها مستحقاً للعقاب وهذا كلام متناقض (الرابعة) حكى الكعبي عنه انه قال ارادة الله تعالى فعل من أفعاله وهي على وجهين صفة ذات وصفة فعل فاما صفة الذات فهو جل وعز لم يزل مريدا لجميع أفعاله ولجميع طاعات عباده وانه حكيم ولا يجوز أن يعلم الحكيم صلاحا وخيراً ولا يريده وأما صفة الفعل فان اراد بها فعل نفسه في حال احداثه فهي خلق له وهي قبل الخلق لان ما به يكون الشيء لا يجوز أن يكون معه وان اراد بها فعل عباده فهو الآمر به (الخامسة) قال ان عند الله تعالى لطفاً

لو أتي به لآمن جميع من في الارض ايمانا يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو آمنوا من غير وجوده

علمنا ان التسبيح الذى ذكره الله تعالى هو حق . وهو معنى غير تسبيحنا نحن بلاشك . فاذ لاشك فى هذا فان التسبيح فى أصل اللغة هو تنزيه الله تعالى عن السوء . فاذ قد صح هذا فان كل شيء فى العالم بلاشك منزه لله تعالى عن السوء الذى هو صفة الحدوث وليس فى العالم شيء الا وهو دال بما فيه من دلائل الصنعة واقتضائه صانعاً لا يشبه شيئاً مما خلق على ان الله تعالى منزه عن كل سوء ونقص . وهذا هو الذى لا يفهمه ولا يفقهه كثير من الناس . كما قال تعالى : ولكن لا تفقهون تسبيحهم . فهذا هو تسبيح كل شيء بحمد الله تعالى بلاشك . وهذا المعنى حق لا ينكره موحد . فان كان قولنا هذا متفقاً على صحته وكانت الضرورة توجب انه ليس هو التسبيح المعهود عندنا . فقد ثبت قولنا وانتفى قول من خالفنا بظنه الكاذب . وايضا فان الله تعالى يقول : وان من شيءٌ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم . والكافر الدهرى شيءٌ لا يشك فى انه شيءٌ وهو لا يسبح بحمد الله تعالى البتة . فصح ضرورة ان الكافر يسبح اذ هو من جملة الاشياء التى تسبح بحمد الله تعالى . وأن تسبيحه ليس هو قوله سبحان الله وبحمده بلا شك ولكنه تنزيه الله تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عن ان يكون الخالق مشبها لشيءٌ مما خلق . وهذا يقين لاشك فيه . فصح بما ذكرنا ان لفظة التسبيح هى من الاسماء المشتركة . وهى التى تقع على نوعين فصاعدا ، واما السجود الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله : ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً وكرهاً . فقد علمنا ان السجود المعهد عندنا فى الشريعة واللغة هو وضع الجبهة واليدين والركبتين والرجلين والانف فى الارض بنية التقرب بذلك الى الله تعالى . هذا مالا يشك فيه مسلم . وكذلك نعلم ضرورة لاشك فيها ان الحمير والهوام والخشب والحشيش والكفار لا تفعل ذلك ؟ لاسيما من ليس له هذه الاعضاء . وقد نص تعالى على صحة ماقلنا .واخبر تعالى ان فى الناس من لا يسجد له السجود المعهود عندنا بقوله تعالى : واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون . فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون . فاخبر تعالى ان فى الناس من يستكبر عن السجود له فلا يسجد. وقال تعالى . ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً وكرها . فبين تعالى ان السجود كرهاً غير السجود بالطوع الذى هو السجود المعهود عندنا . واذ قد اخبر الله تعالى بهذا وصح ايضاً بالعيان فقد علمنا بالضرورة ان السجود الذى اخبر الله تعالى انه يسجده له من فى السموات والارض هو غير السجود الذى يفعله المؤمنون طوعاً . ويستكبر عنه بعض الناس ، ويمتنع منه اكثر الخلق . هذا مما لا يشك فيه مسلم . فاذ هذا كذلك بلا شك فواجب علينا ان نطلب معنى هذا السجود ماهو ففعلنا فوجدناه مبيناً بلا اشكال فى آيتين من كتاب الله وهما قوله تعالى : وظلالهم بالغدو والآصال ، وقوله تعالى : أولم يروا الى ماخلق الله من شيءٌ يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون . فبين تعالى فى هاتين الآيتين بياناً لا اشكال فيه . ان ميل الفيءٌ والظل بالغدوات والعشيات من كل ذى ظل هو معنى السجود المذكور فى الآية . لا السجود المعهود عندنا . وصح بهذا ان لفظة السجود هى من الاسماء المشتركة التى تقع على نوعين فا كثر . واما قوله

وا كثر منه وليس على الله تعالى أن يفعل ذلك بعباده ولا يجب عليه رعاية الاصلح لانه لا غاية لما يقدر عليه من الصلاح فما من أصلح الا وفوقه أصلح وانما عليه أن يمكن العبد بالقدرة والاستطاعة ويزيح العلل بالدعوة والرسالة والمفكر قبل ورود السمع يعلم البارى تعالى بالنظر والاستدلال واذا كان مختاراً فى فعله فيستغنى عن الخاطرين فان الخاطرين لا يكونان من قبل الله تعالى وانما هما من قبل الشيطان والمفكر الاول لم يتقدمه شيطان يخطر الشك بباله ولو تقدم فالكلام فى الشيطان كالكلام فيه (السادسة) قال من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الاولى فانه قبل توبته بشرط أن لا يعود (المعمرية) أصحاب معمر بن عباد السلمى وهو من أعظم القدرية مرتبة فى تدقيق القول بنفى الصفات ونفى القدر خيره وشره من الله والتكفير والتضليل على ذلك وانفرد عن أصحابه بمسائل (منها) انه قال ان

الله تعالى لم يخلق شيئاً غير الاجسام فاما الاعراض فانها من اختراعات الاجسام اما طبعاً كالنار التى تحدث تعالى
الاحراق والشمس الحرارة والقمر التلوين واما اختياراً كالحيوان يحدث الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومن العجب

ان حدوث الجسم وفناءه عنده عرض فكيف يقول انهما من فعل الاجسام

تعالى : قالتا اتينا طائعين . فقد علمنا بالضرورة والمشاهدة ان القول فى اللغة التى نزل بها القرآن انما هــو دفع آلات الكلام من انابيب الصــدر والحلق والحنك واللسان والشفتين والاضراس بهواء يصل الى اذن السامع فيفهم به مرادات القائل . فاذ لاشك فى هــذا فكل من لالسان له ولا شفتــين ولا اضراس ولا حنك ولا حلق فــلا يكون منه القول المعهود منا . هــذا مما لايشك فيه ذو عقل . فاذ هذا هكذا كما قلنا بالعيان . فكل قول ورد به نص ولفظ مخبر به عمن ليست هــذه صفته فانه ليس هو القول المعهود عندنا . لكنه معنى آخر فاذ هــذا كما ذكرنا فبالضرورة قــد صح ان معنى قــوله تعــالى : قالتا اتينا طائعين . انما هــو الجرى على نفاذ حكمــه عز وجل فيهما وتصريفه لهما . واما عرضه تعالى الامانة على السموات والارض والجبال واباية كل واحد منها . فلسنا نعلم نحن ولا احد من الناس كيفية ذلك . وهذا نص قوله تعالى : ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم . فمن تــكلف اوكلف غيره معرفة ابتداء الخلق وانه له مبدئا لايشبهه البتة فاراد معرفة كيف كان فقد دخل فى قوله تعالى: وتقولون بافواهكم ماليس لــكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . الا اننا نوقن انه تعالى لم يعرض على السموات والارض والجبال الامانة الا وقد جعل فيها تمييزا لــما عرض عليها وقوة تفهم بها الامانة فيما عرض عليها . فلما أبتها واشفقت منها سلبها ذلك التمييز وتلك القوة واسقط عنها تكليف الامانة . هذا مايقتضيه كلامه عز وجل ولا مزيد عندنا على ذلك واما ما كان بعد ابتداء الخلق فمعروف الــكيفيات قال تعالى : وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لــكلماته . فصح انه لاتبديل لما رتبه الله تعالى ممــا اجرى عليه خلائقه . حاشا ماأحال فيه الرتب والطبائع للانبياء عليهم السلام . فان اعترضوا ايضا بقول الله تعالى يصف الحجارة : وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لمــا يهبط من خشية الله . فقد علمنا بالضرورة ان الحجارة لم تؤمر بشريعة ولا بعقل ولا بعث اليها نبى . قال تعالى : وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا . فاذ لاشك فى هذا فان القول منه تعالى يخرج على احد ثلاثة اوجه * احدها ان يكون الضمير فى قوله تعالى : وان منها لما يهبط راجع الى القلوب المذكورة فى اول الآية فى قوله تعالى : ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة اوأشد قسوة الآية . فذكر تعالى ان من تلك القلوب القاسية مايقبل الايمان يوما ما فيهبط عن القسوة الى اللين من خشية الله تعالى . وهذا امر يشاهد بالعيان فقد تلين القلوب القاسية بلطف الله تعالى ويخشى العاصى . وقد اخبر عز وجل ان من اهل الــكتاب من يؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل اليهم . وكما اخبر تعالى ان من الاعراب من يؤمن بالله من بعد ان اخبر تعالى ان الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ماانزل الله على رسوله . فهذا وجه ظاهر متيقن الصحة * والوجه الثانى أن الخشية المذكورة فى الآية انما هى التصرف بحكم الله تعالى وجرى اقداره كما قلنا فى قوله تعالى عز وجل حاكيا عن السماء والارض : قالتا اتينا طائعين . وقد بين جل وعز ذلك موصولا بهذا اللفظ فقال جل وعز : فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها . فبين الله تعالى بيانا

واذا لم يحدث البارى تعالى عرضا فلم يحدث الجسم وفناءه فان الحدوث عرض فيلزمه ان لايكون لله تعالى فعل اصلا ثم الزم ان كلام البارى تعالى اما عرض أو جسم فان قال هو عرض فقد أحدثه البارى فان المتكلم على أصله من فعل الكلام أو يلزمه أن لايكون لله تعالى كلام هو عرض وان قال هو جسم فقد ابطل قوله انه احدثه فى محل فان الجسم لايقوم بالجسم فاذا لم يقل هو باثبات الصفات الازلية ولا قال بخلق الاعراض فلا يكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه واذا لم يكن له كلام لم يكن آمراً ناهياً واذا لم يكن أمر ونهى لم تكن شريعة أصلا فادى مذهبه الى خزى عظيم (ومنها) ان قال الاعراض لاتتناهى فى كل نوع وقال كل عرض قام بمحل فانمــا يقوم به لمعنى أوجب القيام وذلك يؤدى الى التسلسل ومن هــذه المسئلة سمى هو واصحابه اصحاب المعانى وزاد على ذلك فقال الحركة انما خالفت السكون بمعنى اوجب المخالفة لابذاتها وكذلك مغايرة المثل وتماثله وتضاد الضد كل ذلك عنده لمعنى (ومنها) ماحكى الكعبى عنه ان الارادة من الله تعالى للشىء غير الله وغير خلقه للشىء وغير الامر والاخبار والحكم فاشار الى أمر مجهول لايعرف وقال ليس

رفع كل اشكال ان تلك الطاعة من السموات والارض انما هي تصرفها . وقضاؤه تعالى اياهن سبع سموات . ووحيه في كل سماء امرها . فصح قولنا نصا جليا ببيان الله تعالى لذلك والحمد لله رب العالمين . وصح بهذا ان إباية السموات والارض والجبال من قبول الامانة انما هو لما ركبها الله تعالى عليه من الجمادية وعدم التمييز . وقد علم كل ذي عقل امتناع قبول ماهذه صفته للشرائع والاوامر والنواهي . وقد ذم الله تعالى من ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء . ولا يحل لمسلم ان ينسب الى الله تعالى فما لا ذمه * والوجه الثالث ان يكون الله تعالى عنى بقوله : وان منها لما يهبط من خشية الله . الجبل الذي صار دكا اذ تجلى الله تعالى له يوم سأله كليمه عليه السلام الرؤية . فذلك الجبل بلا شك من جملة الحجارة . وقد هبط عن مكانه من خشية الله تعالى . وهذه معجزة وآية واحالة طبيعة في ذلك الجبل خاصة . ويكون يهبط بمعنى هبط كما قال الله عز وجل : واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ومعناه بلا شك واذ مكر . وبين قوله تعالى مصدقا ابراهيم خليله ﷺ في انكاره على ابيه عبادة الحجارة : لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر . وقوله تعالى : واتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . ماهي عليه من الجمادية وعدم التمييز

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فصح بهذا صحة لا مجال للشك فيها ان الحجارة لا تعقل لانها هي التي كانوا يعبدون مما لا يعقل . واما سائر ما كانوا يعبدون من الملائكة والمسيح وامه عليهما السلام ومن الجن فكل هؤلاء عاقلون مميزون . فلم يبق الا الحجارة . فصح بالنص انها لا تعقل . واذ تيقن ذلك بالنص وبالضرورة وبالمشاهدة فقد انتفى عنها النطق والتمييز والخشية المعهود كل ذلك عندنا . وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين * واما الاحاديث المأثورة في ان الحجر له لسان وشفتان والكعبة كذلك . وان الجبال تطاولت وخشع جبل كذا فخرافات موضوعة نقلها كل كذاب وضعيف لا يصح شيء منها من طريق الاسناد اصلا . ويكفي من التطويل في ذلك انه لم يدخل شيئا منها من انتدب من الائمة لتصنيف الصحيح من الحديث . أو ما يستجاز روايته مما يقارب الصحة

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وكل من يخالفنا في هذا فانه اذا أقر لنا ان القول المذكور في الايات التي تلونا والسجود والتسبيح والخشية ليس شيء منه على الصفة المعهودة بيننا فقد وافقنا احب اوكره . وهم كلهم مقرون بذلك وقد جاء ذلك في اشعار العرب

قال الشاعر — شكى الى جملي طول السرى

وقال آخر — فقالت له العينان سمعا وطاعة

وقال الراعي — قلق الفؤوس اذا أردن نصولا

ومن هذا الباب قوله تعالى : جدارا يريد ان ينقض . وهذا بلا شك غير الارادة المعهودة من الحيوان . فصح قولنا بالنص والضرورة والحمد لله رب العالمين . واما قول رسول الله ﷺ : يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء . فقد قال الله تعالى : وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون وقال تعالى : واذا الوحوش حشرت . فصح انها تحشر بلا شك ويسلط الله تعالى ما يشاء

للانسان فعل سوى الارادة مباشرة كانت او توليد او افعاله التكليفية من القيام والقعود والحركة والسكون في الخير والشر كلها مستندة الى ارادته لا على طريق المباشرة ولا على التوليد وهذا عجب غير انه انما بناه على مذهبه في حقيقة الانسان وعنده الانسان معنى أو جوهر غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا متمكن ولا يري ولا يلمس ولا يحس ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان لكنه مدبر للجسد وعلاقته مع الجسد علاقة التدبير والتصرف وانما أخذ هذا القول من الفلاسفة حيث قضوا باثبات النفس الانساني أمرا ماهو جوهر قائم بنفسه لا متحيز ولا متمكن واثبتوا من جنس ذلك موجودات عقلية مثل العقول المفارقة ثم لما كان ميل معمر بن عباد الى مذهب الفلاسفة ميز بين أفعال النفس التي سماها انسانا وبين القالب الذي هو جسده فقال فعل النفس هو الارادة فحسب والنفس انسان ففعل الانسان هو الارادة وما سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهي من فعل الجسد (ومنها) انه يحكى عنه انه كان ينكر القول بان الله تعالى قديم لان القديم أخذ من قدم يقدم فهو قديم وهو فعل كقولك اخذ منه ما قدم وما حدث وقال أيضا هو

من

من خلقه على مايشاء . فاذا سلط القرناء على الجماء فى الدنيا فله تعالى ان يسلط الجماء على القرناء فى الآخرة يوم القيامة . ولم يات نص ولا اجماع ولا دليل عقل ولا دليل خبر على ان المواشي متعبدة بشريعة . وهذا مما نقر به ونقول : يفعل الله مايشاء ولا علم لنا الا ما علمنا وبالله تعالى التوفيق

الرد على من زعم ان الانبياء عليهم السلام ليسوا أنبياء اليوم ولا الرسل اليوم رسلا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) حدث فرقة مبتدعة تزعم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ليس هو الان رسول الله ﷺ . ولكنه كان رسول الله ﷺ وهذا قول ذهب اليه الاشعرية * واخبرني سليمان بن خلف الباجى (١) وهو من مقدميهم اليوم ان محمد ابن الحسن بن فورك (٢) الاصبهانى على هذه المسئلة قتله بالسم محمود بن سبكتكين صاحب مادون وراء النهر من خراسان رحمه الله

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله تعالى ولرسوله ﷺ ولما اجمع عليه جميع اهل الاسلام مذ كان الاسلام الى يوم القيامة . وانما حملهم على هذا قولهم الفاسد ان الروح عرض والعرض يفنى ابدا ، ويحدث ولا يبقى وقتين ، فروح النبي صلى الله عليه وسلم عندهم قد فنيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى ، وأما جسده ففى قبره موات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ونعوذ بالله من هذا القول فانه كفر صراح لاترداد فيه ويكفى من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع انه مخالف لما امر الله عز وجل به ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، واتفق عليه جميع اهل الاسلام من كل فرقة وكل نحلة من الاذان فى الصوامع كل يوم خمس مرات فى كل قرية من شرق الارض الى غربها بأعلى اصواتهم قد قرنه الله تعالى بذكره : أشهد أن لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله فعلى ، قول هؤلاء الموكلين الى أنفسهم يكون الاذان كذبا ، ويكون من أمر به كاذبا وانما كان يجب ان يكون الاذان على قولهم اشهد ان محمداً كان رسول الله ، والا فمن اخبر

---

(١) الباجى نسبة الى باجة مدينة بالاندلس وكان من علماء الاندلس وحفاظها رحل الى بغداد ولقى بها سادة من العلماء وصنف كتبا كثيرة فى الفقه والاصول والحديث ورجع الى الاندلس وولى القضاء هناك وبينه وبين ابن حزم صاحب هذا الكتاب مجالس ومناظرات وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ هـ (٢) ابن فورك بضم فسكون ففتح الاستاذ المتكلم الاصولى النحوى الاديب الواعظ أقام بالعراق مدة ودعى الى نيسابور فتوجه اليها وبنيت له بها دار ومدرسة واحيا الله به تعالى انواعا من العلوم ومصنفاته تقرب من مائة مصنف ودعى الى غزنه وجرت له مناظرات كثيرة مع أهلها وكان كثير الرد على الكراميه ومات مسموما فى طريق عودته منها الى نيسابور فنقل اليها ودفن بالحيرة وهى محلة كبيرة بنيسابور وكانت وفاته سنة ٤٠٦ هـ من ابن خلكان بتصرف (المصححه)

يشعر بالتقادم الزماني ووجود البارى تعالى ليس بزماني ويحكى عنه انه قال الخلق غير المخلوق والاحداث غير المحدث وحكى جعفر بن حرب عنه انه قال ان الله تعالى محال أن يعلم نفسه لانه يؤدى الى أن يكون العالم والمعلوم واحدا ومحال أن يعلم غيره كما يقال محال أن يقدر على الموجود من حيث هو موجود ولعل هذا النقل فيه خلل فان عاقلا مالا يتكلم بمثل هذا الكلام الغير المعقول لعمرى لما كان الرجل يميل الى الفلاسفة ومن مذهبهم انه ليس علم البارى تعالى علما انفعاليا أي تابعاً للمعلوم بل علمه علم فعلى فهو من حيث هو فاعل عالم وعلمه هو الذى أوجب الفعل وانما يتعلق بالموجود حال حدوثه لامحالة ولا يجوز تعلقه بالمعدوم على استمرار عدمه وانه علم وعقل وكونه عقلا وعاقلا ومعقولا شىء واحد فقال ابن عباد لا يقال يعلم نفسه لانه يؤدى الى تمايز بين العالم والمعلوم ولا يعلم غيره لانه يؤدى الى أن يكون علمه من غيره تحصل فاما أن لا يصح النقل واما أن يحمل على مثل هذا المحمل ولسنا من رجال ابن عباد فنطلب لكلامه وجهاً (المزدارية) أصحاب عيسى ابن صبيح المكنى بابى موسى الملقب بالمزدار وقد تلمذ لبشر المعتمر واخذ العلم منه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة وانما انفرد عن اصحابه بمسائل (الاولى) منها قوله فى القدر أن الله تعالى يقدر على أن

عن شيء كان وبطل انه كائن الآن فهو كاذب ، فالاذان كذب على قولهم ، وهذا كفر مجرد وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الاسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتام : لا إله الا الله محمد رسول الله ، فانه باطل على قول هؤلاء ، وكذلك ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة بقاء الامة ، وأمره عن الله عز وجل بان يعمل به بعده أبداً ، وأجمع على القول به والعمل جميع أهل الاسلام من أول الاسلام الى آخره ومن شرق الارض الى غربها انسهم وجنهم بيقين مقطوع به دون مخالف فيما (١) تخرج به الدماء من التحليل الى التحريم او الى الحقن بالجزية من ان يعرض على أهل الكفر ان يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله ، فيجب على قول هؤلاء المحرومين ان هذا باطل وكذب ، وانما كان يجب ان يكلفوا ان يقولوا محمد كان رسول الله ، وكذلك قوله تعالى : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ، وكذلك قوله تعالى : يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ، وقوله تعالى : وجيء بالنبيين والشهداء فسماهم الله رسلا وقد ماتوا ، وسماهم نبيين ورسلا وهم في القيامة ، وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضا او نافلة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فلو لم يكن روحه عليه السلام موجوداً قائما لكان السلام على العدم هدراً * فان قالوا كيف يكون ميتاً رسول الله ؟ وانما الرسول هو الذي يخاطب عن الله بالرسالة ؟ قيل لهم نعم يكون من أرسله الله تعالى مرة واحدة فقط رسولا لله تعالى أبدا ، لانه حاصل على مرتبة جلالة لا يحطه عنها شيء أبدا ، ولا يسقط عنه هذا الاسم أبدا . ولو كان ما قلتم لوجب ان لا يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا الى أهل اليمن في حياته لانه لم يكلمهم ولا شافههم ، ويلزم أيضا ان لا يكون رسول الله الا ما دام يكلم الناس ، فاذا سكت او أكل او نام او جامع لم يكن رسول الله ، وهذا حمق مشوب بكفر وخلاف للاجماع المتيقن ونعوذ بالله من الخذلان ، وأيضا فان خبر الاسراء الذي ذكره الله عز وجل في القرآن وهو منقول نقل التواتر وأحد أعلام النبوة ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الانبياء عليهم السلام في سماء سماء ، فهل رأى الا أرواحهم التي هي أنفسهم ، ومن كذب بهذا أو ببعضه فقد انسلخ عن الاسلام بلا شك ونعوذ بالله من الخذلان ، وهذه براهين لا محيد عنها ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أخبر ان لله ملائكة يبلغونه منا السلام ، وانه من رآه في النوم فقد رآه حقا ، ولقد بلغني عن بعضهم انهم يقولون ان امهات المؤمنين رضوان الله عليهن لسن الآن أمهات المؤمنين ، لكنهن كن أمهات المؤمنين (قال أبو محمد) رضي الله عنه وهذا ضلال بحت وحماقة محضة ، ولو كان هذا لوجب ان لا تكون أم المرء التي ولدته وأبوه الذي ولده أبا ولا أمه الا في حين الولادة والحمل من الأم فقط وفي حين الانزال من الأب فقط لا بعد ذلك ، وهذا من السخف الذي لا يرضى به لنفسه ذو مسكة ، فان قالوا أتقولون ان عمر أمير المؤمنين اليوم او عثمان أيضا كذلك ؟ قلنا لهم لا ، وهذا اجماع لانه لا يكون امير الا من الائمار لامر واجب ، وليس هذا لاحد بعد موته الا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وانما هو لخليفة بعد خليفة طول حياته فقط ، فبطل ان يكون لهم فيها متعلق

الكلام على من قال بتناسخ الارواح

(قال ابو محمد رضي الله عنه) افترق القائلون بتناسخ الارواح على فرقتين ، فذهبت الفرقة

---

(١) فيما متعلق بعمل في قوله وكذلك ما عمل به رسول الله ﷺ الخ)

يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان آلها كاذبا ظالما تعالى الله عن قوله (الثانية) قوله فى التولد مثل قول استاذه وزاد عليه بان جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد (الثالثة) قوله فى القرآن ان الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة وهو الذي بالغ فى القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه فانه قد اثبت قديمين وكفر أيضاً من لابس السلطان وزعم انه لا يرث ولا يورث وكفر من قال ان اعمال العباد مخلوقة لله تعالى ومن قال انه يرى بالابصار وغلا فى التكفير حتى قال هم كافرون فى قولهم لا إله الا الله وقد سأله ابراهيم بن السندى مرة عن أهل الارض جميعاً فكفرهم فاقبل عليه ابراهيم وقال الجنة التي عرضها السموات والارض لا يدخلها الا أنت وثلاثة وافقوك فخزى ولم يحد جواباً وقد تلمذ له الجعفران وابو زفر ومحمد ابن سويد وصحب أبا جعفر محمد بن عبد الله الاسكافى وعيسى بن الهيثم وجعفر ابن حرب الاشج وحكى الكعبي عن الجعفرين انهما قالا ان الله تعالى خلق القرآن فى اللوح المحفوظ لا يجوز ان ينتقل ويستحيل ان يكون الشيء الواحد فى مكانين في حالة واحدة ومانقرؤه فهو حكاية الواحدة عن المكتوب الاول فى اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا قال وهو الذي اختاره من لا قوال المختلفة فى القرآن وقالا فى تحسين

الواحدة الى ان الارواح تنتقل بعد مفارقتها الاجساد الى اجساد أخر وان لم تكن من نوع الاجساد التى فارقت ، وهذا قول احمد بن حابط واحمد بن نانوس تلميذه وابى مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب ، صرح بذلك فى كتابه الموسوم بالعلم الالهى ، وهو قول القرامطة ، وقال الرازى فى بعض كتبه (لولا انه لاسبيل الى تخليص الارواح عن الاجساد المتصورة بالصور البهيمية الى (١) الاجساد المتصورة بصور الانسان الا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شىء من الحيوان البتة)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذه كما ترى دعاوى وخرافات بلا دليل. وذهب هؤلاء الى ان التناسخ انما هو على سبيل العقاب والثواب ، قالوا فالفاسق المسىء الاعمال تنتقل روحه الى اجساد البهائم الخبيثة المرتطمة فى الاقذار والمسخرة المؤلمة الممتهنة بالذبح واختلفوا فى الذى كانت افاعيله كلها شرا الاخير فيها فقال بعضهم ارواح هذه الطبقة هى الشياطين وقال احمد بن حابط انها تنتقل الى جهنم فتعذب بالنار ابد الابد ، واختلفوا فى الذى كانت افاعيله كلها خيرا لاشر فيها ، فقال بعضهم ارواح هذه الطبقة هى الملائكة ، وقال احمد بن حابط انها لاشك انها تنتقل الى الجنة فتنعم فيها ابدا الابد ، واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالاسلام اعنى احمد بن حابط واحمد بن نانوس بقول الله تعالى : ياايها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك ، وبقوله تعالى : جعل لكم من انفسكم أزواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ، واحتج من هذه الطائفة من لايقول بالاسلام بان قالوا ان النفس لاتتناهى والعالم لايتناهي لأمد ، فالنفس منتقلة أبدا ، وليس انتقالها الى نوعها بأولى من انتقالها الى غير نوعها ، (قال ابو محمد) رضى الله عنه وذهبت الفرقة الثانية الى ان منعت من انتقال الارواح الى غير انواع اجسادها التى فارقت ، وليس من هذه الفرقة احد يقول بشىء من الشرائع ، وهم من الدهرية ، وحجتهم هى حجة الطائفة التى ذكرنا قبلها القائلة انه لاتناهى للعالم فوجب ان تتردد النفس فى الاجساد ابدا ، قالوا ولايجوز ان تنتقل الي غير النوع الذى اوجب لها طبعها الأشراف عليه وتعلقها به

(قال ابو محمد رضي الله عنه) اما الفرقة المرتسمة باسم الاسلام فيكفى من الرد عليهم اجماع جميع اهل الاسلام على تكفيرهم ، وعلى ان من قال بقولهم فانه على غير الاسلام ، وان النبى ﷺ اتى بغير هذا وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لايقع الا بعد فراق الاجساد للارواح بالنكر اوالتنعم قبل يوم القيامة ، ثم بالجنة او بالنار فى موقف الحشر فقط ، اذا جمعت اجسادها مع ارواحها التى كانت فيها * واما احتجاجهم بالآيتين فكفى من بطلان قولهم ايضا ماذكرناه من الاجماع ، وان الامة كلها مجمعون بلاخلاف علي ان المراد بهاتين الآيتين غير ماذكر هؤلاء الملحدون ، وان المراد بقوله تعالى فى اى صورة ماشاء ركبك انها الصورة التى ركب الانسان عليها من طول اوقصر اوحسن اوقبح اوبياض اوسواد وماأشبه ذلك واما الآية الاخرى فان معناها ان الله تعالى امتن علينا فى ان خلق لنا من انفسنا ازواجا

---

(١) الى الاجساد متعلق بقوله تخليص الارواح على معنى نقلها اليها

ان قصر ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فاثبت التخليد واجبا بالعقل (الثمامية) أصحاب ثمامة بن أشرس النميرى كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بان الفاسق مخلد فى النار اذا مات على فسقه من غير توبة وهو فى حال حياته فى منزلة بين المنزلتين وانفرد عن أصحابه بمسائل (منها) قوله ان الافعال المتولدة لافاعل لها اذ لم يمكنه اضافتها الي فاعل أسبابها حتى يلزم ان يضيف القول ميت مثل ما اذا فعل السبب ومات ووجد المتولد بعده ولم يمكنه اضافتها الى الله تعالى لانه يؤدى الى فعل القبيح وذلك محال فتحير فيه وقال المتولدات افعال لافاعل لها (ومنها) قوله فى الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة يصيرون فى القيامة ترابا وكذلك قوله فى البهائم والطيور واطفال المؤمنين (ومنها قوله الاستطاعة هى السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهى قبل الفعل (ومنها) قوله ان المعرفة متولدة من النظر وهو فعل لافاعل له كسائر المتولدات (ومنها) قوله فى تحسين العقل وتقبيحه وإيجاب المعرفة قبل ورود السمع مثل أصحابه غير انه زاد عليهم فقال من الكفار من لايعلم خالقه وهو معذور وقال ان المعارف كلها ضرورية وان من لم يضطر الى معرفة الله تعالى فهو مسخر للعباد كالحيوان (ومنها) قوله لافصل

تتولد منها ، ثم امتن علينا بان خلق لنا من الانعام ثمانية ازواج ، ثم اخبر تعالى انه يذرؤنا
فى هذه الازواج يعنى التى هى من انفسنا ، فتبين ذلك بيانا ظاهرا لاخفاء به ان الله تعالى
اخبرنا فى هذه الآية نفسها ان الازواج المخلوقة لنا ، انما هى من انفسنا ، ثم فرق بين أنفسنا
وبين الانعام فلا سبيل الى ان يكون لنا ازواج نتولد فيها من غير انفسنا ، ويكفى من هذا
ان قولهم انما هو دعوى بلا برهان ، وانما رتبوه على اصلهم فى العدل فاخرجوا هذا الوجه
لما شاهدوه من ايلام الحيوان ، وكل قول لم يوجبه برهان فهو باطل ، ولم يأت هذا القول
قط عن احد من الانبياء ، وهؤلاء القوم مقرون بالانبياء عليهم السلام ، فلاح يقينا فساد
قولهم * واما الفرقة الثانية القائلة بالدهر ، فاننا نقول وبالله التوفيق * انه يكفى من فساد
قولهم هذا انه دعوى بلا برهان لا عقلى ولا حسى ، وما كان هكذا فهو باطل بيقين لاشك
فيه ، لكننا لانقنع بهذا بل نبين عليهم بيانا لائحا ضروريا بحول الله تعالى وقوته ، فنقول
وبالله تعالى نستعين : ان الله تعالى خلق الانواع والاجناس ، ورتب الانواع تحت الاجناس
وفصل كل نوع من النوع الآخر بفصله الخاص له الذى لا يشاركه فيه غيره ، وهذه الفصول
المذكورة لانواع الحيوان انما هي لانفسها التى هى ارواحها ، فنفس الانسان حية ناطقة
ونفس الحيوان حية غير ناطقة ، هذا هو طبيعة كل نفس وجوهرها الذى لا يمكن استحالته
عنه ، فلا سبيل الى ان يصير غير الناطق ناطقا ، ولا الناطق غير ناطق ، ولو جاز هذا
لبطلت المشاهدات وما اوجبه الحس وبديهة العقل والضرورة ، لانقسام الاشياء على حدودها
واما الفرقة الثالثة * التى قالت ان الارواح تنتقل الى اجساد نوعها ، فيبطل قولهم
بحول الله تعالى وقوته بطلانا ضروريا بكل ما كتبناه فى اثبات حدوث العالم ووجوب
الابتداء له والنهاية من أوله . وبما كتبناه فى اثبات النبوة وان جميع النبوات وردت
بخلاف قولهم ، وببرهان ضرورى عليهم وهو انه ليس فى العالم كله شيآن يشتبهان بجميع
اعراضهما اشتباها تاما من كل وجه ، يعلم هذا من تدبر اختلاف الصور واختلاف الهيآت
وتباين الاخلاق ، وانما يقال هذا الشىء يشبه هذا على معنى ان ذلك فى اكثر احوالهما
لا فى كلها ، ولو لم يكن ماقلنا مافرق احد بينهما البتة ، وقد علمنا بالمشاهدة ان كل من يتكرر
عليه ذلك الشيآن المشتبهان تكررا كثيرا متصلا انه لابد ان يفصل بينهما وان يميز احدهما
من الثانى ، وان يجد فى كل واحد منهما اشياء بان بها عن الآخر لا يشبهه فيها ، فصح بهذا
انه لا سبيل الى وجود شخصين يتفقان فى اخلاقهما كلها حتى لا يكون بينهما فرق فى شىء
منها ، وقد علمنا بيقين ان الاخلاق محمولة فى النفس ، فصح بهذا ان نفس كل ذى نفس من
الاجساد من اى نوع كانت غير النفس التى فى غيره من الاجساد كلها ضرورة ، وقال ايضا
بعض من ذهب الى التناسخ من الحاملين ذلك على سبيل الجزاء : ان الله تعالى عدل حكيم
رحيم كريم ، فاذ هو كذلك ، فمحال ان يعذب من لا ذنب له ، قال فلما وجدناه تعالى يقطع
اجسام الصبيان الذين لا ذنب لهم بالجدرى والقروح ، ويأمر بذبح بعض الحيوان الذى
لا ذنب له وبطبخه واكله ، ويسلط بعضها على بعض فيقطعه ويأكله ولا ذنب له علمنا انه تعالى لم
يفعل ذلك الا وقد كانت الارواح عصاة مستحقة للعقاب بكسب هذه الاجساد لتعذب فيها
(قال ابو محمد رضى الله) تعالى عنه ، وقد تكلمنا على ابطال هذا الاصل الفاسد فى

للانسان الا الارادة وماعداها فهو حدث لامحدث له (وحكى ابن الراوندى عنه) انه قال العالم فعل
الله تعالى بطباعه ولعله
أراد بذلك ماتريده الفلاسفة
من الايجاب بالذات دون
الايجاد على مقتضى الارادة
لكن لا يلزمه على اعتقاده
ذلك ما لزم الفلاسفة من
القول بقدم العالم اذ
الموجب لاينفك عن الموجب
وكان ثمامة فى ايام المأمون
وعنده بمكان (المشامية)
اصحاب هشام بن عمرو
الفوطى ومبالغته فى القدر
أشد واكثر من مبالغة
اصحابه وكان يمتنع من
من اطلاق اضافات افعال
الى البارى تعالى وان ورد
بها التنزيل (منها قوله) ان
الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين
بل هم المؤتلفون باختيارهم
وقد ورد فى التنزيل ماألفت
بين قلوبهم ولكن الله
ألف بينهم (ومنها) قوله ان
الله تعالى لا يحبب الايمان
الى المؤمنين ولا يزينه فى
قلوبهم وقد قال تعالى حبب
اليكم الايمان وزينه فى
قلوبكم ومبالغته فى نفى
اضافة الطبع والختم والسد
وأمثالها أشد وأصعب وقد
ورد جميعها فى التنزيل قال
الله تعالى ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وقال
بل طبع الله عليها بكفرهم
وقال وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وليت شعرى مايعتقده الرجل من انكار الفاظ
التنزيل وحيا من الله تعالى فيكون تصريحا بالكفر او انكار ظواهرها من نسبتها الى البارى تعالى ووجوب تأويلها وذلك غير

غير هذا المكان في باب الكلام على البراهمة فى كتابنا هذا بما يكفى ، وقد رددنا الكلام ايضاً فى بيان بطلانه فى غير ما موضع من كتابنا ، وفى باب الكلام على من أبطل القدر من المعتزلة فى كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين * ويكفى من بطلان هذا الاصل الفاسد ان يقال لهم : ان طردتم هذا الاصل وقتم فى مثل ماانكرتم ولا فرق ، وهو ان الحكيم العدل الرحيم على اصلكم لايخلق من يمرضه للمعصية حتى يحتاج الى افساده بالعذاب بعد اصلاحه ، وقد كان قادراً على ان يطهر كل نفس خلقها ولا يعرضها للفتن ويلطف بها الطافاً فيصلحها بها ، حتى تستحق كلها احسانه والخلود في النعيم ، وما كان ذلك ينقص شيئاً من ملكه ، فان كان عاجزاً عن ذلك فهذه صفة نقص ، ويلزم حاملها ان يكون من اجل نقصه محدثا مخلوقا ، فان طردوا هذا الاصل خرجوا الى قول المانوية فى ان للاشياء فاعلين ، وقد تقدم ابطالنا لقولهم وبالله تعالى التوفيق ، وبينا ان الذى لا آمر فوقه ولا مرتب عليه فان كل مايفعله فهو حق وحكمة ، واذ قد تعلق هؤلاء القوم بالشريعة فحكم الشريعة ان كل قول لم يأت عن نبي تلك الشريعة فهو كذب وفرية ، فاذ لم يأت عن احد من الانبياء عليهم السلام القول بتناسخ الارواح فقد صار قولهم به خرافة وكذبا وباطلا ، وبالله تعالى التوفيق

فصل فى الكلام على من انكر الشرائع من المنتمين الى الفلسفة بزعمهم وهم أبعد الناس عن العلم بها جملة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) نبين فى هذا الفصل بحول الله تعال وقوته وجوب صحة الشرائع على ماتوجبه اصول الفلاسفة على الحقيقة اولهم عن آخرهم على اختلاف اقوالهم فى غير ذلك ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد رضى الله عنه) الفلسفة على الحقيقة انما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير اصلاح النفس ، بان تستعمل فى دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها فى المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرعية ، وهذا نفسه لاغيره هو الغرض فى الشريعة ، هذا مالا خلاف فيه بين احد من العلماء بالفلسفة ، ولا بين احد من العلماء بالشريعة ، فيقال لمن انتمى الى الفلسفة بزعمه وهو ينكر الشريعة بجهله على الحقيقة بمعانى الفلسفة ، وبعده عن الوقوف على غرضها ومعناها ، أليست الفلسفة باجماع من الفلاسفة مبينة للفضائل من الرذائل موقفة على البراهين المفرقة بين الحق والباطل ؟ فلا بد من نعم ضرورة . فيقال له اليس الفلاسفة كلهم قد قالوا صلاح العالم بشيئين ؟ احدهما باطن والآخر ظاهر ، فالباطن هو استعمال النفس للشرائع الزاجرة عن تظالم الناس وعن القبائح ، والظاهر هو التحصين بالاسوار واتخاذ السلاح لدفع العدو الذي يريد ظلم الناس والافساد ، ثم اضافوا الى اصلاح النفوس بما ذكرنا اصلاح الاجساد بالطب ، فلا بد من نعم ضرورة . فيقال لهم فهل صلاح العالم وانكفاف الناس عن القتل الذى فيه فناء الخلق وعن الزنا الذى فيه فساد النسل وخراب المواريث وعن الظلم الذى فيه الضرر على الانفس والاموال وخراب الارض وعن الرذائل من

الاعراض دلالات بل الاجسام تدل على كونه خالقا وهذا أيضا عجب (ومن بدعه) فى الامامة قوله انها لاتنعقد فى أيام الفتنة واختلاف الناس وانما يجوز عقدها فى حالة الاتفاق والسلامة وكذلك أبو بكر الاصم من أصحابهم كان يقول الامامة لاتنعقد الا باجماع الامة عن بكرة أبيهم وانما أراد بذلك الطعن فى امامة على رضى الله عنه اذ كانت البيعة فى أيام الفتنة من غير اتفاق من جميع الصحابة اذ بقى فى كل طرف طائفة على خلافه (ومن بدعه) ان الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن اذ لافائدة فى وجودهما وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما وبقيت هذه المسئلة منه اعتقاد اللمعتزلة وكان يقول بالموافاة وان الايمان هو الذى يوافى الموت وقال من اطلع الله جميع عمره وقد علم انه يأتى بما يحبط أعماله ولو بكبيرة لم يكن مستحقا للوعد وكذلك على العكس وصاحبه عباد من المعتزلة وكان يمتنع من اطلاق القول بان الله تعالى خلق الكافر لان الكافر كفر وانسان والله لايخلق الكفر وقال النبوة جزاء على عمل وانها باقية ما بقيت الدنيا وحكى الاشعرى عن عباد انه زعم انه لايقال ان الله لم يزل قائلا ولا غير قائل ووافقه الاسكافى على ذلك قالا ولايسمى متكلما وكان الفوطي يقول ان الاشياء

بان الله تعالى قد كان لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها فانها لا تسمى أشياء قال وكان يجوز القتل والغيلة على المخالفين لمذهبه وأخذ أموالهم غصبا وسرقة لاعتقاده كفرهم واستباحة دمائهم (الجاحظية) أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ كان من فضلاء المعتزلة والمصنف لهم وقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وخلط وروج بعباراته البليغة وحسن براعته اللطيفة وكان في أيام المعتصم والمتوكل وانفرد عن أصحابه بمسائل (منها) قوله ان المعارف كلها ضرورية طباع وليس شيء من ذلك من أفعال العباد وليس للعباد كسب سوى الارادة ويحصل أفعاله منه طباعا كما قال ثمامة ونقل عنه أيضا انه أنكر أصل الارادة وكونها جنسا من الاعراض فقال اذا انتهي السهو عن الفاعل وكان عالما بما يفعله فهو المريد على التحقيق واما الارادة المتعلقة بفعل الغير فهو ميل النفس اليه وزاد على ذلك باثبات الطبائع للاجسام كما قال الطبيعيون من الفلاسفة وأثبت لها أفعالا مخصوصة بها وقال باستحالة عدم الجواهر فالاعراض تتبدل والجوهر لا يجوز ان يفنى (ومنها) ما قوله في أهل النار انهم لا يخلدون فيها عذابا بل يصيرون الى طبيعة النار وكان يقول النار تجذب أهلها الي نفسها دون أن

البغي والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش والخيانة وسائر الرذائل الا بشرائع زاجرة للناس عن كل ذلك ؟ فلابد من نعم ضرورة ، والاوجب الاهمال الذي فيه فساد كل ماذكرناه ، فاذا لابد من ذلك ، ولولا ذلك لفسد العالم كله ولفسدت العلوم كلها ولكان الانسان قد بطلت فضيلة الفهم والنطق والعقل الذي فيه وصار كالبهائم ، فلا تخلو تلك الشرائع من احد وجهين : اما ان تكون صحاحا من عند الله عزوجل الذى هو خالق العالم ومدبره كما يقول أصحاب الشرائع ، واما ان تكون موضوعة باتفاق من افاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفهم عن التظالم والرذائل ، فان كانت موضوعة كما يقول هؤلاء المخاذيل ، فقد تيقنا ان ما الزموا الناس من ذلك كذب لا اصل له ، وزور مختلق ، وايجاب لما لا يجب ، وباطل لا حقيقة له ، ووعيد ووعد كلاهما كذب ، فان كان ذلك كذلك فقد صار الكذب الذي هو ارذل الرذائل واعظم الشر لا يتم صلاح العالم الذى هو الغرض من طلب الفضائل الا به ، واذ ذلك كذلك ، فقد صار الحق باطلا ، والصدق رذيلة ، وصار الباطل حقاً وصدقا ، والكذب فضيلة ، وصار لا قوام للعالم أصلاً الا بالباطل ، وصار الكذب نتيجة الحق ، وصار الباطل ثمرة الصدق ، وصار الغرور والغش والخديعة فضائل ونصيحة ، وهذا أعظم مايكون من المحال والممتنع والخلف الذى لا مدخل له في العقل ، فان قالوا انه لو كشف السر في ذلك الى العامة لم ترغب في الفضائل ، فوجب لذلك ان يؤتي بما ترهبه وتتقيه ، فاضطر في ذلك الى الكذب لهم كما يفعل بالصبيان ، وكما يحتم انتم في شرائعكم كذب الرجل لامرأته ليستصلحها بذلك ، وفي دفاع الظالم على سبيل التقية ، وفي الحرب كذلك ، فيلزمكم في هذا ما ألزمتموه ايانا من ان الكذب صار حقاً وفضيلة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فيقال لهم وبالله التوفيق : اما نحن فقولنا انه ليس كما ذكرتم قبيحاً ، اذ أباحه الله عزوجل الذى لا حسن الا ماحسن وماأمر به ، ولا قبيح الا ماقبح ومانهى عنه ، ولا آمر فوقه ، فلا يلزمنا ما أردتم الزامنا اياه ، ثم ايضاً على أصولكم فانه ليس ماذكرتم معارضة ، ولا ماشبهتم به مشبها لما شبهتموه به ، لاننا انما ابحنا الكذب في الوجوه التي ذكرتم للضرورة الدافعة الى ذلك بالنص الوارد علينا بذلك ، كما جاز بالنص عند الضرورة دفع القتل عن النفس بقتل المريد لقتلها ، ولو امكننا كف الصبي والمرأة بغير ذلك لما جاز الكذب اصلاً ، فاذا ارتفعت الضرورة وجب الرجوع الى استعمال الصدق على كل حال ، ولولا النص لم نبح شيئاً من ذلك ولا حرمناه ، وانتم فيما تدعونه من مداراة الناس كلهم مبتدئون لاختيار الكذب دون ان يأمركم به من يسقط عنكم اللوم بطاعته ، فانتم لا عذر لكم على خلاف حكمنا في ذلك ، ثم انكم لا تخلون من احد وجهين لا ثالث لهما : اما ان تطووا هذا السر عن كل احد فتصيرون الى ما الزمناكم من ان قطع الصدق جملة فضيلة ، وان الكذب على الجملة حق واجب ، وهذا هو الذى الزمناكم ضرورة ، واما ان تبوحوا بذلك لمن وثقتم به فهذا ان قلتم به يوجب ضرورة كشف سركم في ذلك ، لانه لا يجوز البتة ان ينكتم اصلاً على كثرة العارفين به ، هذا امر يعلم بالضرورة ان الشيء اذا كثر العارفون به فبالضرورة لا بد من انتشاره ، فان كنتم تقولون ان طيه واجب الاعمن يوثق به وفي كشفه الى من يوثق به

مايوجب انتشاره الى من لايوثق به فقد رجعتم الى وجوب كشفه لان كشفه البتة هو نتيجة كشفه الى خاص دون عام ، وفى كشفه بطلان مادبرتموه صلاحا ، فقد بطل حكمكم بالضرورة لاسيما والقائلون بهذا القول مجدون فى كشف سرهم هذا الى الخاص والعام ، فقد ابطلوا علتهم جملة وتناقضوا اقبح تناقض ، وعلي كل ذلك فقد صار الباطل والكذب لايتم الخير والفضائل البتة فى شيء من الاشياء الابهما ، وهذا خلاف الفلسفة جملة ، وأيضا فان كانت الشرائع موضوعة فليس ماوضعه واضع ما بأحق بان يتبع مما وضعه واضع آخر ، هذا أمر يعلم بالضرورة ، وقد علمنا بموجب العقل وضرورته ان الحق لايكون من الاقوال المختلفة والمتناقضة الا فى واحد ، وسائرها باطل . فاذ لاشك فى هذا ، فاى تلك الموضوعات هو الحق ام أيها هو الباطل ؟ ولاسبيل الى ان يأتوا بما يحق منها شيئاً دون سائرها اصلا ، فاذ لادليل علي صحة شيء منها بعينه فقد صارت كلها باطلة ، اذ مالادليل على صحته فهو باطل ، وليس لاحد ان يأخذ بقول ويترك غيره بلادليل فبطل بهذا بطلانا ضروريا كل ماتعلقوا به والحمد لله رب العالمين وبطل بهذا البرهان الضرورى ماتوهمه هؤلاء الجهال المجانين ، وصح يقينا ان الشرائع صحاح من عند منشيء العالم ومدبره الذى يريد بقاءه الى الوقت الذى سبق فى علمه تعالى انه يبقيه اليه كما هو ، واذ ذلك كذلك ضرورة لايخلو الحكم فى ذلك من أحد وجهين لاثالث لهما ، اما ان تكون الشرائع كلها حقا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وقد رأيت منهم من يذهب الى هذا . واما ان يكون بعضها حقاً وبعضها باطلا لابد من احد هذين الوجهين ضرورة ، فان كانت كلها حقا فهذا محال لاسبيل اليه ، لانه لاشريعة منها الا وهى تكذب سائرها ، وتخبر بانها باطل وكفر وضلال والحاد ، فوجدنا هذا المخذول الذى اراد بزعمه موافقة جميع الشرائع قد حصل علي خلاف جميعها اولها عن آخرها ، وحصل علي تكذيب جميع الشرائع له كلها بلاخلاف ، وعلى تكذيبه هو لجميعها ، وما كان هكذا وهو يقول انها كلها حق وهى كلها مكذبة له وهو مصدق لها كلها فقد شهد على نفسه بالكذب وبطلان قوله ، وصح باليقين انه كاذب فيه ، وايضا فان كل شريعة فهى مضادة فى احكامها لغيرها ، تحرم هذه ماتحل هذه ، وتوجب هذه ماتسقط هذه ، ومن المحال الفاسد ان يكون الشيء وضده حقا معا فى وقت واحد ، حراما حلالا فى حين واحد على انسان واحد ووجه واحد ، واجبا غير واجب كذلك ، وهذا امر يعلمه باطلا كل ذى حس سليم ، وليس فى العقل تحريم شيء مما جاء فيها تحريمه ، ولا ايجاب شيء مما جاء فيها ايجابه ، فبطل ان يرجح بما فى العقل اذ كل ذلك فى حد الممكن فى العقل فاذ قد بطل هذا الوجه ضرورة فقد وجبت صحة الوجه الآخر ضرورة ، وهو ان فى الشرائع شريعة واحدة صحيحة من عند الله عز وجل ، وان سائر الشرائع كلها باطل ، فاذ ذلك كذلك ففرض على كل ذى حس طلب تلك الشريعة ، واطراح كل شريعة دون ذلك وان جلت ، حتى يوقف عليها بالبراهين الصحاح ، اذ بها يكون صلاح النفس فى الابد ، وبجهلها يكون هلاك النفس فى الابد ، فالحمد لله الذى وفقنا لتلك الشريعة ووقفنا عليها وهدانا

يدخل أحد فيها ومذهبه مذهب الفلاسفة فى نفى الصفات وفى اثبات القدر خيره وشره من العبد مذهب المنزلة (وحكى الكعبي) عنه فى نفى الصفات انه قال يوصف البارى تعالى بانه مريد بمعنى انه لايصح عليه السهو فى أفعاله ولا الجهل ولايجوز ان يغلب ويقهر وقال ان الخلق كلهم من العقلاء عالمون بان الله تعالى خالقهم وعارفون بانهم محتاجون الى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ثم هم صنفان عالم بالتوحيد وجاهل به فالجاهل معذور والعالم محجوج ومن انتحل دين الاسلام فان اعتقد ان الله تعالى ليس بجسم ولاصورة ولا يري بالابصار وهو عدل لايجور ولا يريد المعاصى وبعد الاعتقاد والتبيين أقر بذلك كله فهو مسلم حقا وان عرف ذلك كله ثم جحده وانكره أو دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقا وان لم ينظر فى شيء من ذلك واعتقد ان الله ربه وان محمدا رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولاتكليف عليه غير ذلك (وحكى ابن الراوندى عنه) ان القرآن جسد يجوز ان يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا وهذا مثل مايحكى عن أبي بكر الاصم انه زعم ان القرآن جسم مخلوق وانكر الاعراض اصلا وانكر صفات الباري تعالى ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة

الى طريقها وعرفناها حمدا كثيرا طيبا كما هو اهله ، ونحن نسأله تعالى ان يثبتنا عليها حتى نلقاه ونحن من اهلها وحملتها آمين رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وسلم تسليما كثيرا : فمن نازعنا فى هذا القول وادعاه لنفسه فنحن في ميدان النظر وحمل الاقوال على السبر بالبراهين ، فستزيف الباطل والدعاوى التى لادليل عليها حيثما كانت ، وبيد من كانت ، ويلوح الحق ثابتا حيثما كان ، وبيد من كان ، ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

الكلام على اليهود وعلى من أنكر التثليث من النصارى

(ومذهب الصابئين وعلى من اقر بنبوة زرادشت من)

(المجوس وانكر من سواه من الانبياء عليهم السلام)

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ان اهل هذه الملة يعنى اليهود واهل هذه النحلة يعنى من انكر التثليث من النصارى موافقون لنافى الاقرار بالتوحيد ، ثم بالنبوة وبآيات الانبياء عليهم السلام ، وبنزول الكتب من عند الله عز وجل ، الا انهم فارقونا فى بعض الانبياء عليهم السلام دون بعض ، وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على الاقرار ببعض الانبياء فاما اليهود فانهم قد افترقوا على خمس فرق وهى (السامرية) وهم يقولون ان مدينة القدس هي نابلس ، وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التى بايدي سائر اليهود ، ويبطلون كل نبوة كانت فى بنى اسرائيل بعد موسي عليه السلام ، وبعد يوشع عليه السلام ، فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وعاموص وحبقوق وزكريا وارميا وغيرهم ، ولا يقرون بالبعث البتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها : (والصدوقية) ونسبوا الى رجل يقال له صدوق ، وهم يقولون من بين سائر اليهود ان العزير هو ابن الله ، تعالى الله عن ذلك ، وكانوا بجهة اليمن : (والعنانية) وهم أصحاب عانان الداودى اليهودي ، وتسميهم اليهود العراس والمس ، وقولهم انهم لا يتعدون شرائع التوراة وماجاء فى كتب الانبياء عليهم السلام ، ويتبرؤن من قول الأحبار ويكذبونهم ، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهم من الاندلس بطليطلة وطلبيره (والربانية) وهم الاشعنية وهم القائلون باقوال الاحبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود (والعيسوية) وهم أصحاب أبى عيسى الاصبهاني رجل من اليهود كان باصبهان ، وبلغنى ان اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم ، ويقولون ان عيسى بعثه الله عز وجل الي بنى اسرائيل على ماجاء فى الانجيل ، وانه أحد أنبياء بنى اسرائيل ، ويقولون ان محمداً صلى الله عليه وسلم نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن الى بنى اسماعيل عليهم السلام والي سائر العرب ، كما كان أيوب نبيا في بنى عيص ، وكما كان بلعام نبيا فى بنى مواب باقرار من جميع فرق اليهود

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ولقد لقيت من ينحو الى هذا المذهب من خواص اليهود كثيرا وقرأت فى تاريخ لهم جمعه رجل هاروني كان قديما فيهم ومن كبارهم وأئمتهم ، وممن عصبت به ثلث بلدهم وثلث حروبهم وثلث جيوشهم أيام حرب طيطوس وخراب البيت ، وكان له فى تلك الحروب آثار عظيمة ، وكان قد أدرك أمر المسيح عليه السلام واسمه يوسف بن هارون فذكر ملوكهم

عمرو الخياط استاذ ابي القاسم ابن محمد الكعبي وهما من معتزلة بغداد على مذهب واحد الا ان الخياط غال فى اثبات المعدوم شيئا وقال الشيء مايعلم ويخبر عنه والجوهر جوهر فى القدم والعرض عرض وكذلك اطلق جميع اسماء الاجناس والاصناف حتى قال السواد سواد فى القدم فلم يبق الا صفة الوجود والصفات التى تلتزم الوجود والحدوث واطلق على المعدوم لفظ الثبوت وقال في نفي صفات البارى مثل ماقاله اصحابه وكذا القول فى القدر والسمع والعقل وانفرد الكعبي عن استاذه بمسائل (منها) قوله ان ارادة البارى تعالى ليست صفة قائمة بذاته ولاهو مريد لذاته ولا ارادته حادثة فى محل اولا فى محل بل اذا اطلق عليه انه مريد فمعناه انه عالم قادر غير مكره في فعله ولا كاره ثم اذا قيل انه مريد لافعاله فالمراد به انه خالق لها على وفق علمه واذا قيل هو مريد لافعال عباده فالمراد به انه آمر بها راض عنها وقوله فى كونه سميعا بصيرا راجع الى ذلك ايضا فهو سميع بمعنى انه عالم بالمسموعات وبصير بمعنى انه عالم بالمبصرات وقوله فى الرؤية كقول اصحابه نفيا واحالة غير ان اصحابه قالوا يرى البارى تعالى ذاته ويرى المرئيات

ملوكهم وحروبهم الى ان وصل الى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام فذكره أجمل ذكر ، وعظم شأنه وانه قتل ظلما لقوله الحق ، وذكر أمر المعمودية ذكرا حسنا لم ينكرها ولا أبطلها ، ثم قال فى ذكره لذلك الملك هردوس بن هردوس ، وقبل هذا الملك من حكماء بنى اسرائيل وخيارهم وعلمائهم جماعة ، ولم يذكر من شأن المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام اكثر من هذا

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وانما ذكرت هذا الكلام لأرى ان هذا المذهب كان فيهم ظاهرا فاشيا فى أئمتهم من حينئذ الى الآن ، ثم انقسم اليهود جملة على قسمين ، فقسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكنا ، والقسم الثانى أجازوه الا انهم قالوا لم يقع ، وعمدة حجة من أبطل النسخ ان قالوا ان الله عز وجل يستحيل منه ان يأمر بالامر ثم ينهى عنه ، ولو كان كذلك لعاد الحق باطلا ، والطاعة معصية ، والباطل حقا والمعصية طاعة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) لانعلم لهم حجة غير هذه ، وهى من اضعف مايكون من التمويه الذى لايقوم على ساق ، لان من تدبر افعال الله كلها وجميع احكامه وآثاره تعالى فى هذا العالم ، تيقن بطلان قولهم هذا . لان الله تعالى يحيي ثم يميت ثم يحيي . وينقل الدولة من قوم أعزة فيذلهم الى قوم اذلة فيعزهم . ويمنح من شاء ماشاء من الاخلاق الحسنة والقبيحة لايسأل عما يفعل وهم يسئلون . ثم نقول لهم وبالله التوفيق : ماتقولون فيمن كان قبلكم من الامم المقبول دخولها فيكم اذا غزوكم . أليس دماؤهم لكم حلالا وقتلهم حقاً وفرضاً وطاعة ؟ ولا بد من نعم . فنقول لهم : فان دخلوا فى شريعتكم أليس قد حرمت دماؤهم وصار عندكم قتلهم حراماً وباطلا ومعصية بعد ان كان فرضاً وحقاً وطاعة ؟ فلابد من نعم . ثم ان عدوا فى السبت وعملوا أليس قد عاد قتلهم فرضاً بعد ان كان حراماً ؟ فلابد من نعم ، فهذا اقرار ظاهر منهم ببطلان قولهم ، واثبات منهم لما انكروه من ان الحق يعود باطلا ، والامر يعود نهياً ، وان الطاعة تعود معصية ، وهكذا القول فى جميع شرائعهم ، لانها انما هي اوامر فى وقت محدود بعمل محدود ، فاذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الامر منهياً عنه ، كالعمل هو عندهم مباح فى الجمعة محرم يوم السبت ، ثم يعود مباحاً يوم الاحد ، وكالصيام والقرابين وسائر الشرائع كلها . وهذا بعينه هو نسخ الشرائع الذى ابوه وامتنعوا منه . اذ ليس معنى النسخ الا ان يأمر الله عز وجل بان يعمل عمل ما مدة ما . ثم ينهى عنه بعد انقضاء تلك المدة . ولا فرق فى شيء من العقول بين ان يعرف الله تعالى ويخبر عباده بما يريد ان يأمرهم به قبل ان يأمرهم به . ثم بانه سينهى عنه بعد ذلك . وبين ان لايعرفهم به . اذ ليس عليه تعالى شرط ان يعرف عباده بما يريد ان يأمرهم قبل ان يأتى الوقت الذى يريد الزامهم فيه الشريعة . وايضاً فان جميعهم مقر بان شريعة يعقوب عليه السلام كانت غير شريعة موسى عليه السلام . وان يعقوب تزوج ليا وراحيل ابنتى لابان وجمعهما معاً . وهذا حرام فى شريعة موسى عليه السلام. هذا مع قولهم ان أم موسى عليه السلام كانت عمة أبيه اخت جده وهى يوحانذ ابنت لاوى وهذا فى شريعة موسى حرام ولا فرق فى العقول بين شيء احله الله تعالى ثم حرمه وبين شيء حرمه الله ثم احله . والمفرق بين هذين مكابر للعيان مجاهر بالقحة . ولو قلب عليه قالب كلامه ما كان بينهما فرق . وفي توراتهم ان الله تعالى افترض عليهم بالوحى الى موسى عليه السلام .

وكونه مدركا لذلك زايد على كونه عالما وقد انكر الكعبي ذلك قال معنى قولنا يرى ذاته ويرى المرئيات انه عالم بها فقط (الجبائية والبهشمية) اصحاب أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى وابنه أبي هاشم عبد السلام وهما من معتزلة البصرة انفردا عن اصحابهما بمسائل وانفرد احدهما عن صاحبه بمسائل اما المسائل التى انفردا بها عن اصحابهما فمنها انهما اثبتا ارادات حادثة لا فى محل يكون البارى تعالى موصوفا مريدا وتعظيما لا فى محل اذا اراد ان يعظم ذاته وفناءا لا فى محل اذا اراد ان يفنى العالم واخص اوصاف هذه الصفات يرجع اليه من حيث انه تعالى ايضا لا فى محل واثبات موجودات هي اعراض او فى حكم الاعراض لا محل لها كاثبات موجودات هي أعراض أو فى حكم الاعراض لا محل لها كاثبات موجودات هى جواهر او فى حكم الجواهر لا مكان لها وذلك قريب من مذهب الفلاسفة حيث اثبتوا عقلا هو جوهر لا فى محل ولا فى مكان وكذلك النفس الكلية والعقول المفارقة ومنها انهما حكما بكونه تعالى متكلما بكلام يخلقه فى محل وحقيقة الكلام عندهما اصوات مقطعة وحروف منظومة والمتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام الا ان الجبائى خالف اصحابه خصوصا بقوله يحدث الله تعالى عند قراءة كل قارى كلاما لنفسه فى محل القراءة وذلك حين الزم ان الذى يقرأه القارى ليس بكلام الله والمسموع منه ليس بكلام الله فالتزم هذا المحال

وامرهم موسى بذلك فى نص توراتهم ان لايتركوا من الامم السبعة الذين كانوا سكاناً فى فلسطين والاردن احداً اصلا الاقتلوه . ثم انه لمااختدعتهم الامة التى يقال لها عباوون وهى احدى تلك الامم التى افترض عليهم قتلهم واستئصالهم فتحيلوا عليهم واظهروا لهم انهم اتوا من بلاد بعيدة حتى عاهدوهم . فلما عرفوا بعد ذلك انهم من السكان فى الارض التى امروا بقتل اهلها حرم الله عزوجل عليهم قتلهم على لسان يوشع النبى بنص كتاب يوشع عندهم فابقوهم ينقلون الماء والحطب الى مكان التقديس . وهذا هو النسخ الذي انكروا بلاكلفة : وفى توراتهم البداء الذى هو اشد من النسخ . وذلك ان فيها ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام سأهلك هذه الامة . واقدمك على امة اخرى عظيمة . فلم يزل موسى يرغب الى الله تعالى فى ان لايفعل ذلك حتى اجابه وامسك عنهم . وهذا هو البداء بعينه والكذب المنفيان عن الله تعالى .لانه ذكر ان الله تعالى اخبر انه سيهلكهم ويقدمه على غيره. ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى الله عنه . وفى سفر اشعيا ان الله تعالى سيرتب فى آخر الزمان من الفرس خداما لبيته

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا هو النسخ بعينه لان التوراة موجبة ان لايخدم فى البيت المقدس احد غير بنى لاوى بن يعقوب على حسب مراتبهم فى الخدمة . فعلى اى وجه انزلوا هذا القول من اشعيا فهو نسخ لما فى التوراة على كل حال .واما فى الحقيقة فهو انذار بالملة الاسلامية التى صار فيها الفرس والعرب وسائر الاجناس فى المساجد ببيت المقدس وغيره التى هى بيوت الله تعالى

(قال ابو محمد رضى الله عنه) واما الطائفة التى اجازت النسخ الا انها اخبرت انه لم يكن ، فانه يقال لهم وبالله تعالى التوفيق : باى شيء علمتم صحة نبوة موسى عليه السلام ووجوب طاعته ؟ فلا سبيل الى ان يأتوا بشئ غير اعلامه وبراهينه واعلامه الظاهرة، فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق : اذا وجب تصديق موسى والطاعة لامره لما ظهر من احالة الطبائع على مابيناه فى باب الكلام فى بيان اثبات النبوات ، فلا فرق بينه وبين من اتى بمعجزات غيرها ، وباحالة لطبائع آخر ، وبضرورة العقل يعلم كل ذى حس ان ماأوجبه لنوع فانه واجب لاجزائه كلها . فاذا كانت احالة الطبائع موجبة تصديق من ظهرت عليه فوجوب تصديق موسى وعيسى ومحمد ﷺ واجب وجوباً مستويا .ولا فرق بين شيء منه بالضرورة . ويقال لهم ما الفرق بينكم فى تصديقكم بعض من ظهرت عليه المعجزات وتكذيبكم بعضهم ؟ وبين من صدق من كذبتم وكذب من صدقتم كالمجوس المصدقين بنبوة زرادشت المكذبين بنبوة موسى وسائر انبيائكم . او المانوية المصدقة بنبوة عيسى وزرادشت المكذبة بنبوة موسى . اوالصابئين المكذبين بنبوة ابراهيم عليه السلام فمن دونه المصدقين بنبوة ادريس وغيره وكل هذه الفرق والملل تقول فى موسى عليه السلام وفى سائر انبيائكم اكثر مما تقولون انتم فى عيسى ومحمد عليهما السلام . تنطق بذلك تواريخهم وكتبهم وهى موجودة مشهورة . واقرب ذلك السامرية الذين ينكرون نبوة كل نبى لكم بعد موسى عليه السلام . ولا سبيل الى ان تأتوا على جميع من ذكرنا

بفرق

من اثبات امر غير معقول ولامسموع وهو اثبات كلامين فى محل واحد واتفقا على نفى رؤية الله تعالى بالابصار فى دار القرار وعلى القول باثبات الفعل للعبد خلقا وابداعا واضافة الخير والشر والطاعة والمعصية اليه استقلالا واستبدادا وان الاستطاعة قبل الفعل وهى قدرة زائدة على سلامة البنية وصحة الجوارح واثبتا البنية شرطا فى قيام المعانى التى يشترط فى ثبوتها الحيوة واتفقا على ان المعرفة وشكر المنعم ومعرفة الحسن والقبيح واجبات عقلية واثبتا شريعة عقلية ورد الشريعة النبوية الى مقدرات الاحكام وموقتات الطاعات التى لايتطرق اليها عقل ولايهتدى اليها فكر وبمقتضى العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصى الا ان التأقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع والايمان عندهما اسم مدح وهو عبارة عن خصال الخير اذا استجمعت سمى المتحلى بها مؤمنا ومن ارتكب كبيرة فهو فى الحال يسمى فاسقا لامؤمنا ولا كافرا وان لم يتب ومات عليها فهو مخلد فى النار واتفقا على ان الله تعالى لم يدخر عن عباده شيئا مما علم انه اذا فعل بهم أتوا بالطاعة والتوبة من الصلاح والاصلح واللطف لانه قادر عالم جواد حكيم لايعجزه الاعطاء ولاينقص من خزائنه ولايزيد فى ملكه الادخار وليس هو الاصلح هو الالذ بل

بفرق الا اتوكم بمثله . ولا تدعوا عليهم دعوى الا ادعوا عليكم بمثلها. ولا ان تطعنوا فى نقلهم بشئ الا أروكم فى نقلكم مثله سواء بسواء . وقد نبه الله تعالى على هذا البرهان بقوله تعالى : ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد . فنص تعالى على ان طريق الايمان بما آمنوا به من النبوة وطريق ما آمنا به نحن منها واحد . وانه لافرق بين شئ من ذلك وان الايمان بالاله الباعث لموسى هو الايمان بالاله الباعث لمحمد صلى الله عليهما وسلم . وان طريق كل ذلك طريق واحدة لافرق فيها وبالله التوفيق . واما شغب من شغب منهم باننا نؤمن بموسى وهم لا يؤمنون بمحمد ﷺ فهوشغب ضعيف ارد . لانهم لايخلون من ان يكونوا انما صدقوا بنبوة موسى من اجل تصديقنا نحن . ولولا ذلك لم يصدقوا به . ويكون انما صدقوا به لما اظهر من البرهان فقط . فان كانوا انما صدقوا به من اجل تصديقنا نحن فواجب عليهم ان يصدقوا بمحمد ﷺ من اجل تصديقنا نحن به . والا فقد تناقضوا . وان كان انما صدقوا به لما اظهر من الآيات فلا معنى لتصديق من صدقه ولا لتكذيب من كذبه . والحق حق صدقه الناس او كذبوه . والباطل باطل صدقه الناس ام كذبوه . ولا يزيد الحق درجة في انه حق اطباق الناس كلهم على تصديقه . ولا يزيد الباطل مرتبة فى انه باطل تكذيب الناس كلهم له . ولا يظن ظان اننا فى مناظرتنا من ناظره من اهل ملتنا المخالفين لنا فى بعض اقوالنا بالاجماع . وقد نقضنا كلامنا فى هذا المكان فليعلم اننا لم ننقضه لان الاجماع حجة قد قام البرهان على صحتها فى الفتيا فى دين الاسلام. وما قام على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه وعلى من وافقه . واما ان نحتج على مخالفنا بانه موافق لنا فى بعض مانختلف فيه فليس حجة علينا . فان وجد لنا يوما من الايام فانما نخاطب به جاهلاً نستكف تخليطه بذلك . او نبكته لنريه تناقضه فقط . وايضاً فانا انما آمنا بنبوة موسى الذى انذر بنبوة محمد ﷺ . وبالتوراة التى فيها الانذار برسالة محمد ﷺ باسمه ونسبه وصفة اصحابه رضى الله عنهم . وهكذا نقول فى عيسى والانجيل حرفاً حرفاً . لا بنبوة من لم ينذر بنبوة النبى ﷺ . ولا نؤمن بموسى وعيسى ولا نؤمن بتوراة ولا انجيل ليس فيها الانذار برسالة محمد ﷺ وصفة اصحابه . بل نكفر بكل ذلك ونبرأ منهم فلم نوافقهم قط على مايدعونه . فبطل شغبهم الضعيف وبالله تعالى التوفيق . وجملة القول فى هذا ان نقل اليهود والنصارى فاسد لما ذكرنا ونذكر ان شاء الله تعالى من عظيم الداخلة فى كتبهم المبينة انها مفتعلة وفساد نقلهم . فانما صدقنا بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام لان محمداً ﷺ صدقهما واخبرنا عنهما وعن اعلامهما. ولولا ذلك لما صدقنا بهما ولما كانا عندنا بمنزلة الياس واليسع ويونس ولوط فى ذلك . كما اننا لانقطع بصحة نبوة سموال وحقاى وحبقوق وسائر الانبياء الذين عندهم كموسى وسائر من ذكرنا ولا فرق . ولكن نقول آمنا بالله وكتبه ورسله . فان كان المذكورون انبياء فنحن نؤمن بهم . وان لم يكونوا انبياء فلا ندخل فى انبياء الله تعالى من ليس منهم باخبار اليهود النصارى الكاذبة التى لااصل لها . الراجعة الى قوم كفار كاذبين وبالله

وشرب الادوية ولايقال انه تعالى يقدر على شئ هو اصلح مما فعله بعبده والتكاليف كلها الطاف وبعثة الانبياء عليهم السلام وشرع الشرائع وتمهيد الاحكام والتنبيه على الطريق الاصوب كلها الطاف (ومما تخالفا فيه) اما فى صفات البارى تعالى فقال الجبائى عالم لذاته قادر حى لذاته ومعنى قوله لذاته أى لايقتضى كونه عالما صفة هى حال علم او حال يوجب كونه عالما وعند أبي هاشم هو عالم لذاته بمعنى انه ذو حالة هى صفة معلومة وراء كونه ذاتيا موجودا وانما يعلم الصفة على الذات لابانفرادها فاثبت احوالا هى صفات لامعلومة ولامجهولة اي هي على حيالها لاتعرف كذلك بل مع الذات قال والعقل يدرك فرقا ضروريا بين معرفة الشيء مطلقا وبين معرفته على صفة فليس من عرف الذات عرف كونه عالما ولامن عرف الجوهر عرف كونه متحيزا قابلا للعرض ولاشك ان الانسان يدرك اشتراك الموجودات فى قضية وافتراقها فى قضية وبالضرورة نعلم ان مااشتركت فيه غيرماافترقت به وهذه القضايا العقلية لاينكرها عاقل وهى لاترجع الى الذات ولا الى اعراض وراء الذات فانه يؤدى الى قيام العرض بالعرض فتعين بالضرورة انها احوال فكون العالم

تعالى نتأيد . وقال تعالى : وان من أمة الاخلا فيها نذير . وقال تعالى فى الرسل :منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فنحن نؤمن بالانبياء جملة ولانسمى منهم الا من يسمى محمد ﷺ فقط

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ويقال لسائر فرق اليهود حاشا السامرية ، ماالفرق بينكم وبين السامرية الذين كذبوا بنبوة كل نبي صدقتم انتم به بعد يوشع ؟ بمثل ماكذبتم انتم به عيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم ، وهذا مالا انفكاك منه بوجه من الوجوه ، فان ادعوا ان عيسى ومحمداً صلى الله عليه وسلم لم ياتيا بالمعجزات ، بان كذبهم ومجاهرتهم ، اذ قد نقلت الكواف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سقى العسكر فى تبوك وهم الوف كثيرة من قدح صغير نبع فيه الماء من بين اصابعه عليه السلام ، وفعل ايضاً مثل ذلك بالحديبية ، وانه اطعم عليه السلام فى منزل ابي طلحة اهل الخندق حتى شبعوا . وفى منزل جابر ايضاً ، ورمى هوازن فى جيش فعميت عيون جميعهم بتراب يده. وفيها أنزل الله تعالى . ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى . وشق القمر اذ سأله قومه آية فانزل الله تعالى فى ذلك . اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر . وكذلك حنين الجذع الذى سمعه كل من حضره من الصحابة رضوان الله عليهم . ومن ابهر ذلك واعظمه قوله لليهود الذين كانوا معه في وقته وهم زيادة على الف بلاشك ولعلهم كانوا ألوفاً وهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو اهدل وبنو قينقاع ان يتمنوا الموت ان كانوا صادقين فى تكذيبهم نبوته . واعلمهم انهم لايستطيعون ذلك اصلا . فعجزوا عن ذلك اى عن تمنى الموت ، وحيل بينهم وبين النطق بذلك . وهذه قصة منصوصة فى سورة الجمعة يقرأ بها كل يوم جمعة فى جميع جوامع المسلمين من شرق الدنيا الى غربها وقد كان اسهل الامور عليهم ان يكذبوا بان يتمنوا الموت لواستطاعوا وهم يسمعونه يقول فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولايتمنونه ابداً بما قدمت ايديهم

(قال ابو محمد رضي الله عنه)وهذا امر لايدفعه الاوقاح جاهل مكابر للعيان . لان القرون والاعصار نقلت هذه الآيات جيلا جيلا يخاطبون بها.فكل أذعن واقر ولم يمكن احداً دفعه . ودعا عليه السلام من حين مبعثه العرب كلهم على فصاحة السنتهم وكثرة استعمالهم لانواع البلاغة من الاطالة والايجاز والتصرف فى افانين البلاغة والالفاظ المركبة على وجوه المعانى . الى ان ياتوا بمثل هذا القرآن ثم ردهم الى سورة فعجزوا كلهم عن ذلك على سعة بلادهم طولا وعرضاً. وانه ﷺ اقام بين اظهرهم ثلاثة وعشرين عاما يستسهلون قتاله والتعرض لسفك دمائهم واسترقاق ذراريهم وقد اضربوا عما دعاهم اليه من المعارضة للقرآن جملة

(قال ابو محمد رضى الله عنه)وهذا لايخفى على من له اقل فهم انه انما حملهم على ذلك العجز عما كلفهم من ذلك وارتفاع القوة عنهم . وانه قد حيل بينهم وبين ذلك ثم عم الدنيا من البلغاء الذين يتخللون بالسنتهم تخلل الناقد ويطيلون فى المعنى التافه اظهاراً لاقتدارهم

عالما حال هي صفة وراء كونه ذاتا أي المفهوم منها غير المفهوم من الذات وكذلك كونه قادرا حيا ثم اثبت للبارى تعالى حالة اخرى اوجبت تلك الاحوال وخالفه والده وسائر منكرى الاحوال وردوا الاشتراك والافتراق الى الالفاظ واسماء الاجناس وقالوا ليست الاحوال تشترك فى كونها أحوالا وتفترق فى خصائص كذلك نقول فى الصفات والافيؤدى الى اثبات الحال للحال ويفضى الى التسلسل بل هى راجعة اما الى مجرد الالفاظ اذ اوضعت فى الاصل على وجه يشترك فيها الكبير لان مفهومها معنى أو صفة ثابتة فى الذات على وجه يشمل أشياء ويشترك فيها الكبير فان ذلك مستحيل او يرجع ذلك الى وجوه واعتبارات عقلية هي المفهومة من قضايا الاشتراك والافتراق وتلك الوجوه كالنسب والاضافات والقرب والبعد وغير ذلك مما لايعد صفات بالاتفاق وهذا هو اختيار ابي الحسين البصرى وابى الحسن الاشعرى وبنوا على هذه المسئلة المعدوم شيء فمن اثبت كونه شيئاً كما نقلنا عن جماعة المعتزلة فلايبقى من صفات الثبوت الا كونه موجوداً فعلى ذلك لايثبت للقدرة فى ايجادها اثر ماسوى الوجود والوجود على مذهب نفاة الاحوال لايرجع الا الى اللفظ المجرد وعلى مذهب مثبتى الاحوال هو حالة لايوصف على

مالوجود والعدم وهذا كاترى من التناقض والاستحالة ومن نفاة الاحوال من يثبته شيئا ولايسميه بصفات الاجناس

على الكلام جماعات لا بصائر لهم فى دين الاسلام منذار بعمائه عام وعشرين عاما فما منهم احد يتكلف معارضته إلا افتضح وسقط . وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما اتي به ويتطايب (١) عليه ، منهم مسيلمة بن حبيب الحنفى لما رام ذلك لم ينطق لسانه الابما يضحك الثكلى ، وقد تعاطى بعضهم ذلك يوما فى كلام جرى بيني و بينه فقلت له اتق الله على نفسك فان الله تعالى قد منحك من البيان والبلاغة نعمة سبقت بها ، ووالله لئن تعرضت لهذا الباب باشارة ليسلبنك الله هذه النعمة. وليجعلنك فضيحة وشهرة ومسخرة وضحكة. كما فعل بمن رام هذا من قبلك. فقال لى صدقت والله واظهر الندم والاقرار بقبحه

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا الذى ذكرنا مشاهد . وهى آية باقية الي اليوم والى انقضاء الدنيا . وسائر آيات الانبياء عليهم السلام قد فنيت بفنائهم فلم يبق منها الا الخبر عنها فقط

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وقد ظن قوم ان عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن انما هو لكون القرآن فى اعلى طبقات البلاغة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا خطأ شديد ولو كان ذلك وقد ابى الله عز وجل ان يكون لماكان حينئذ معجزة لان هذه صفة كل باسق فى طبقته والشيء الذى هو كذلك وان كان قد سبق فى وقت ما فلا يؤمن ان ياتى فى غد مايقاربه بل مايفوقه . ولكن الاعجاز فى ذلك انما هو ان الله عز وجل حال بين العباد وبين ان يأتوا بمثله ورفع عنهم القوة فى ذلك جملة وهذا مثل لوقال قائل اني امشي اليوم فى هذه الطريق ثم لايمكن احداً بعدى ان يمشي فيها . وهو ليس باقوي من سائر الناس . واما لو كان العجز عن المشي لصعوبة الطريق وقوة هذا الماشي لما كانت آية ولا معجزة . وقد بينا فى غير هذا المكان ان القرآن ليس من نوع بلاغة الناس . لان فيه الاقسام التى فى أوائل السور والحروف المقطعة التى لايعرف احد معناها . وليس هذا من نوع بلاغة الناس المعهودة . وقد روينا عن انيس اخي ابى ذر الغفارى رضى الله عنهما انه سمع القرآن فقال : لقد وضعت هذا الكلام على السنة البلغاء وألسنة الشعراء فلم أجده يوافق ذلك. اوكلاماً هذا معناه . فصح بهذا ماقلناه من ان القرآن خارج عن نوع بلاغة المخلوقين . وانه على رتبة قد منع الله تعالى جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله . ولنا فى هذا رسالة مستقصاة كتبنا بها الى ابى عامر احمد ابن عبد الملك ابن شهيد . وسنذكر منها هنا ان شاء الله تعالى مافيه كفاية فى كلامنا مع المعتزلة والاشعرية فى خلق القرآن من ديواننا هذا . ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فان قال قائل انه منع المعارضون حينئذ من المعارضة او عارضوا فستر ذلك . قيل له وبالله التوفيق : لوامكن ماتقول لامكن لغيرك ان يدعى فى آيات موسى عليه السلام مثل ذلك . بل كان يكون اقرب الى التلبيس . لان فى توراتكم ان السحرة عملوا مثل ماعمل موسي عليه السلام حاشا البعوض خاصة فانهم لم يطيقوه

(١) يتطايب عليه اى يتمازح عليه ومثله يتماجن به من المجون

وليت شعرى كيف يمكنه اثبات الاشتراك والافتراق والعموم والخصوص حقيقة وهو من نفاة الاحوال فاما على مذهب ابن هاشم فلعمرى هو مطرد غير ان القدم اذا بحث عن حقيقته رجع الى نفى الاولوية والنفى يستحيل ان يكون اخص وصف واختلفا فى كونه سميعا بصيرا فقال الجبائى معنى كونه سميعا بصيرا انه حى لا آفة به وخالفه ابنه وسائر اصحابه اما ابنه فصار الى ان كونه سميعا حال وكونه بصيرا حال بصيرا وكونه سوى كونه عالما لاختلاف القضيتين والمفهومين والمتعلمين والاثرين وقال غيره من اصحابه معناه كونه مدركا للمبصرات مدركا للمسموعات واختلفا ايضا فى بعض مسائل اللطف فقال الجبائى فمن يعلم البارى تعالى من حاله انه لوآمن مع اللطف لكان ثوابه اقل لقلة مشقته ولو آمن بلا لطف لكان ثوابه اكثر لعظم مشقته انه لايحسن منه أن يكلفه الا مع اللطف ويسوى بينه وبين المعلوم من حاله انه لايفعل الطاعة على كل وجه الا مع اللطف ويقول ان لوكلفه مع عدم اللطف لوجب ان يكون مستفسرا حاله غير مزيح لعلته ويخالفه ابو هاشم في بعض المواضع فى هذه المسئلة قال يحسن منه تعالى ان يكلفه الايمان على استواء الوجهين بلا لطف

يحسن ذلك بشرط العوض والاعتبار جميعا وتفصيل مذهب الجبائى فى الاعواض على وجهين احدهما انه يقول التفضل بمثل الاعواض غير انه تعالى علم انه لاينفعه عوض الا على الم متقدم (والوجه الثاني انه انما يحسن ذلك لان العوض مستحق والتفضل غير مستحق والثواب عندهم) يتفضل على التفضل بامرين احدهما تعظيم واجلال للمثاب يقترن بالنعيم والثانى قدر زائد على التفضل فلم يجب اذا اجرى العوض مجرى الثواب لانه لايتميز عن التفضل بزيادة مقدار ولا بزيادة صفة وقال ابنه يحسن الابتدا بمثل العوض تفضلا والعوض منقطع غير دايم وقال الجبائى بجواز ان يقع الانتصاف من الله تعالى للمظلوم من الظالم باعواض يتفضل بها عليه اذا لم يكن على الله فى عوض شيء ضرر به وزعم ابوهاشم ان التفضل لايقع به انتصاف لان التفضل ليس يجب فعله وقال الجبائى وابنه لايجب على الله شيء لعباده فى الدنيا اذا لم يكلفهم عقلا وشرعا فاما اذا كلفهم فعل الواجب فى عقولهم واجتناب القبائح وخلق فيهم الشهوة للقبيح والنفور من الحسن وركب فيهم الاخلاق الذميمة فانه يجب عليه عند هذا التكليف اكمال العقل ونصب الادلة والقدرة والاستطاعة (قال

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا هو الباطل والتبديل الظاهر . لان السحر لايحيل عيناً ولا يقلبها ولا يحيل طبيعة . انما هو حيل قد بينا الكلام فيها بعون الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب وفى غيره

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا الاعتراض هو على سبيل ابطال الكواف . لا سبيل من افر بشيء منها . ثم يقال كل من ولى الامر بعده عليه السلام معروف ليس منهم احد الا وله اعداء يخرجون من عداوته الى ابعد الغايات من الحنق والغيظ . فابو بكر وعمر رضى الله عنهما تعاديهما الرافضة (١) . وتبلغ فى عداوتهما وتكفيرهما اقصي الغايات . وماقال قط احد مؤمن ولا كافر عدولهما ولا ولى ان احداً منهما اجبر احداً على الاقرار بآيات محمد صلى الله عليه وسلم . ولاعلي ستر شيء عورض به . ولا قدران يقول هذا ايضاً يهودى ولا نصرانى . وكذلك عثمان ايضاً وعلي تعاديهما الخوارج (٢) وتخرج فى عداوتهما وتكفيرهما الى ابعد الغايات . ماقال قط قائل في احدهما شيئاً من هذا . وحتى لورام احد من الملوك ذلك لماقدر عليه . لانه لايملك ايدى الناس ولا السنتهم يصنعون فى منازلهم ما احبوا وينشرونه عند من يثقون به حتى ينتشر . وهذا امر لايقدر على ضبطه والمنع منه احد . لاسيما انخراق الدنيا وسعة اقطارها من اقصى السند الى اقصى الاندلس . فلو امكنت معارضته ماتأخر عن ذلك من له ادني حظ من استطاعة عند نفسه على ذلك ممن لا بصيرة له في الاسلام فى شرق الارض وغربها . فان قال قائل من اليهود : ان موسى عليه السلام قال لهم في التوراة لاتقبلوا من نبي أتاكم بغير هذه الشريعة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) قلنا له وبالله تعالى التوفيق : لاسبيل الى ان يقول موسى عليه السلام هذا بوجه من الوجوه . لانه لو قال ذلك لكان مبطلا لنبوة نفسه . وهذا كلام ينبغي ان يتدبر . وذلك انه لو قال لهم لاتصدقوا من دعا كم الى غير شريعتى وان جاء بآيات . فانه يلزمه اذا كانت الايات لاتوجب تصديق غيره اذا اتي بها فى شيء دعا اليه . فهى غير موجبة تصديق موسى عليه السلام فيما اتي به . اذ لافرق بين معجزاته ومعجزات غيره . اذ بالآيات صحت الشرائع . ولم تصح الآيات بالشرائع لان تصديق الشريعة موجبة للآية . والآية موجبة تصديق الشريعة . ومن قال خلاف هذا ممن يدين بشريعة وبنبوة فهو عظيم المجاهرة بالباطل

---

(١) الروافض قوم من الشيعة الذين شايعوا عليا كرم الله وجهه . وقالوا انه الامام بعد رسول الله ﷺ . سموا رافضة لانهم رفضوا اى تركوا زيد بن على وكانوا قالوا له حين بايعوه : ابرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى وقال : كانا وزيرى جدى فلا ابرأ منهما . فرفضوه وارفضوا عنه (لمصححه)

(٢) الخوارج فرق من المسلمين خرجوا على على كرم الله وجهه اذ رضي بالتحكيم فى مسألة الخلافة . قالوا : قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الايمان فاذا أقر بالكفر وتاب وعاد الى الايمان عدنا له (لمصححه)

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وأيضا فان هذا القول المنسوب الى موسى عليه السلام كذب موضوع ليس في التوراة شيء منه ، وانما فيها : من أتاكم يدعي نبوة وهو كاذب فلا تصدقوه فان قلتم من أين نعلم كذبه من صدقه فانظروا فاذا قال عن الله شيئا ولم يكن كما قال فهو كاذب ، هذا نص ما في التوراة . فصح بهذا انه اذا أخبر عن الله تعالى بشيء فكان كما قال فهو صادق . وقد وجدنا كلما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في غلبة الروم على كسرى . وانذاره بقتل الكذاب العنسي . ويوم ذي قار . وبخلع كسرى . وبغير ذلك . فان قالوا : ان في التوراة ان هذه الشريعة لازمة لكم في الابد . قلنا هذا محال في التأويل . لانه كذلك أيضا فيها : ان هذه البلاد يسكنونها أبداً وقد رأيناهم لعيان خرجوا عنها

(قال أبو محمد رضي الله عنه) فان قال قائل . فقد قال لكم محمد صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي قيل لهم وبالله تعالى نتأيد : ليس هذا الكلام مما ادعيتموه على موسى عليه السلام . لاننا قد علمنا من أخباره عليه السلام انه لا سبيل الى أن يظهر أحد آية بعده أبدا . ولو جاز ظهورها لوجب تصديق من أظهرها . ولكننا قد أيقنا انه لا تظهر آية على أحد بعده عليه السلام بوجه من الوجوه . فان قال قائل وكيف تقولون في الدجال وأنتم ترون انه يظهر له عجائب . فالجواب وبالله تعالى التوفيق : ان المسلمين فيه على أقسام . فاما ضرار بن عمرو وسائر الخوارج فانهم ينفون أن يكون الدجال جملة فكيف أن يكون له آية . واما سائر فرق المسلمين فلا ينفون ذلك . والعجائب المذكورة عنه انما جاءت بنقل الآحاد . وقال بعض أصحاب الكلام ان الدجال انما يدعي الربوبية ومدعي الربوبية في نفس قوله بيان كذبه . قالوا فظهور الآية عليه ليس موجبا لضلال من له عقل . واما مدعي النبوة فلا سبيل الى ظهور الآيات عليه . لانه كان يكون ضلالا لكل ذي عقل

(قال أبو محمد رضي الله عنه) واما قولنا في هذا . فهو ان العجائب الظاهرة من الدجال انما هي حيل من نحو ما صنع سحرة فرعون . ومن باب أعمال الحلاج وأصحاب العجائب . يدل على ذلك حديث المغيرة بن شعبة اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان معه نهر ماء ونهر خبز . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهون على الله من ذلك . حدثنا يونس بن عبد الله بن مغيث حدثنا احمد بن عبد الرحيم حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمد بن بشار بندار حدثنا يحيي بن سعيد القطان حدثنا هشام بن حسان الفردوسي حدثنا حميد بن هلال عن أبي الدهماء عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : من سمع من أمتي بالدجال فلينأ عنه فان الرجل يأتيه وهو يحسبه مؤمن فيتبعه مما يرى من الشبهات

(قال أبو محمد رضي الله عنه) فصح بالنص انه صاحب شبهات

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وبهذا تتألف الاحاديث . وقد بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث ان ما يظهر الدجال من نهر ماء ونار وقتل انسان واحيائه ان ذلك حيل . ولكل ذلك وجوه اذا طلبت وجدت . فقد تحيل ببعض الاجساد المعدنية اذا أذيب انه ماء . وتحيل بالنفط الكاذب انه نار . ويقتل انسان ويغطى وآخر معد مخبوء فيظهر ليرى انه قتل ثم أحيي كما فعل الحسين بن منصور الحلاج في الجدي الابلق ، وكما فعل الشريعي والنميري بالبغلة ، وكما فعل زبزب بالزرزور ، وأنا أدري من يطعم الدجاج الزرنيخ فتخدر ولا يشك في موتها ثم يصب

وتهيئة الآلة بحيث يكون مزيحاً لعللهم فيما أمرهم ويجب عليه أن يفعل بهم ادعى الامور الى فعل ما كلفهم به وازجر الاشياء لهم عن فعل القبيح الذي نهاهم عنه ولهم في مسائل هذا الباب خبط طويل واما كلام جميع المعتزلة في النبوات والامامة فيخالف كلام البصريين فان من شيوخهم من يميل الى الروافض ومنهم من يميل الى الخوارج والجبائي وأبو هاشم قد وافقا أهل السنة في الامامة وانها بالاختيار وان الصحابة مترتبون في الفضل ترتبهم في الامامة غير انهم منكرون الكرامات أصلا للاولياء من الصحابة وغيرهم ويبالغون في عصمة الانبياء عن الذنوب كبائرها وصغائرها حتى يمنع الجبائي القصد الى الذنب الا على تأويل والمتأخرون من المعتزلة مثل القاضي عبد الجبار وغيره انتهجوا طريقة أبي هاشم وخالفه في ذلك أبو الحسين البصري وتصفح أدلة الشيوخ واعترض على ذلك بتزييف والابطال وانفرد عنهم بمسائل منها نفي الحال ومنها نفي المعدوم شيئا ومنها نفي الالوان اعراضاً ومنها قوله ان الموجودات تتمايز باعيانها وذلك من توابع نفي الحال ومنها رده الصفات كلها الى كون الباري تعالى عالما قادراً مدركا وله ميل الى مذهب هشام بن الحكم ان الاشياء لا تعلم قبل كونها والرجل فذ في المذهب الا انه روج كلامه على المعتزلة

في حلوقها الزيت فتقوم صحاحا ، وانما كانت تكون معجزة لو أحيا عظاما قد أرمت ، فيظهر نبات اللحم عليها . فهذه كانت تكون معجزة ظاهرة لا شك فيها ولا يقدر غير نبي عليها البتة . وقد رأينا لدبر يلقى في الماء حتى لا يشك أحد انها ميتة ثم كنا نضعها للشمس فلا تلبث أن تقوم وتطير . وقد بلغنا مثل ذلك في الذباب المسترخي في الماء اذا ذر عليه سحق الآجر الجديد . وآيات الانبياء عليهم السلام لا تكون من وراء حائط ولا في مكان بعينه ولا من تحت ستارة ولا تكون الا بادية مكشوفة ، وقد فضحت انا حيلة أبي محمد المعروف بالمحرق في الكلام المسموع بحضرته ولا يرى المتكلم . وسمت بعض أصحابه أن يسمعني ذلك في مكان آخر او بحيث الفضاء دون بنيان فامتنع من ذلك . فظهرت الحيلة وانما هي قصبة مثقوبة توضع وراء الحائط على شق خفي ويتكلم الذي طرف القصبة على فيه على حين غفلة ممن في المسجد كلمات يسيرة الكلمتين والثلاث لا أكثر من ذلك فلا يشك من في البيت مع المحرق الملعون في ان الكلام اندفع بحضرتهم . وكان المتكلم في ذلك محمد بن عبد الله الكاتب صاحبه ، فان اعترض معترض بقول الله تعالى : وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ، قيل له وبالله تعالى التوفيق : هذا يخرج على وجهين ، أحدهما ان معنى قوله تعالى « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون » إنما هو على معنى التبكيت لمن قال ذلك ، وأورد تعالى كلامهم وحذف الف الاستفهام ، وهذا موجود في كلام العرب كثيراً ، والثاني انه انما عنى تعالى بذلك الآيات المشترطة في الرقي الى السماء وان يكون معه ملك ، وما أشبه هذا وليس على الله تعالى شرط لاحد

(قال ابو محمد رضى الله عنه) والقول الاول هو جوابنا . لان الله تعالى لا شيء يمنعه عما يريد وكذلك ان اعترض معترض بقول النبي ﷺ : مامن الانبياء الا من قد أوتي ما على مثله آمن البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا اوحى الى واني لارجو ان اكون اكثرهم تبعا يوم القيامة . قيل لهم وبالله التوفيق : انما عنى رسول الله ﷺ هذا القول آيته الكبرى الثابتة الباقية ابد الآباد التى هى اول معجزته حين بعث وهى القرآن . لبقاء هذه الآية على الآباد . وانما جعلها عليه السلام بخلاف سائر آيات الانبياء عليهم السلام . لان تلك الآيات يستوى فى معرفة اعجازها العالم والجاهل . واما اعجاز القرآن فانما يعرفه العلماء بلغة العرب . ثم يعرفه سائر الناس باخبار العلماء لهم بذلك . مع مافى التوراة من الانذار البين برسول الله ﷺ من قوله تعالي فيها (سأقيم لبنى اسرائيل نبيا من اخوتهم اجعل على لسانه كلامي فمن عصاه انتقمت منه)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ولم تكن هذه الصفة لغير محمد ﷺ ، واخوة بنى اسرائيل هم بنو اسماعيل . وقوله فى السفر الخامس منها (جاء الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وسيناء هو موضع مبعث موسي عليه السلام بلا شك وساعير هو موضع مبعث عيسى عليه السلام وفاران بلا شك هى مكة موضع مبعث محمد ﷺ . بيان ذلك ان ابراهيم عليه السلام اسكن اسماعيل فاران ولا خلاف بين احد في انه انما اسكنه مكة . فهذا نص على مبعث النبي ﷺ . والرؤيا التى فسرها دانيال

في

فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب (الجبرية) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد واضافته الى الرب تعالى والجبرية أصناف فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا والجبرية المتوسطة ان يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة فاما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل وسمى ذلك كسباً فليس بجبري والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الابداع والاحداث استقلالاً جبريا ويلزمهم ان يسموا من قال من أصحابهم بان المتولدات أفعال لا فاعل لها جبريا اذ لم يثبتوا للقدرة الحادثة فيها أثرا والمصنفون في المقالات عدوا النجارية والضرارية من الجبرية وكذلك جماعة الكلامية من الصفاتية والاشعرية سموهم تارة حشوية وتارة جبرية ونحن سمعنا اقرارهم على أصحابهم من النجارية والضرارية فعددناهم من الجبرية ولم نسمع اقرارهم على غيرهم فعددناهم من الصفاتية (الجهمية) أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن احوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ووافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية وزاد عليهم باشياء منها قوله لا يجوز ان يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لان ذلك يقتضي تشبيهاً فنفى كونه حياً عالماً وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقا لانه لا يوصف شيء من خلقه

في أمر الحجر الذى رأى الملك فى نومه الذى دق الصنم الذى كان بعضه ذهبا وبعضه فضة وبعضه نحاسا وبعضه حديدا وبعضه فخارا وخلطه كله وطحنه وجعله شيئا واحدا ثم ربا (١) الحجر حتى ملا الارض ، ففسره دانيال انه نبي يجمع الاجناس ويبلغ ملك امره ملء الآفاق ، فهل كان نبي قط غير محمد ﷺ جمع الاجناس كلها على اختلافها واختلاف لغاتها وأديانها وممالكها وبلادها فجعلهم جنساً واحدا ولغة واحدة وامة واحدة ومملكة واحدة ودينا واحدا ، فان العرب والفرس والنبط والاكراد والترك والديلم والجبل والبربر والقبط ومن اسلم من الروم والهند والسودان على كثرتهم كلهم ينطقون بلغة واحدة ، وبها يقرؤن القرآن ، وقد صار كل من ذكرنا امة واحدة والحمد لله رب العالمين : فصحت النبوة المذكورة بلا اشكال والحمد لله رب العالمين ، وكل ما ذكرنا فى هذا الباب انه يدخل على النصارى الذين يقولون بنبوة عيسى عليه السلام فقط من الاريوسية والمقدونية والبولقانية سواء سواء ، مع ما فى الانجيل من دعاء المسيح عليه السلام فى قوله (اللهم ابعث البارقليط ليعلم الناس ان ابن البشر انسان)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا غاية البيان لمن عقل ، لان المسيح عليه السلام علم انه سيغلو قومه فيه ، فيقولون انه الله وانه ابن الله فدعا الله فى ان يبعث الذى يبين للناس انه ليس الهاً ولا ابن اله وانما هو انسان من ولد امرأة من البشر ، فهل اتى بعده نبي يبين هذا الا محمد ﷺ وهذا لا يحيل بيانه على ذى حس سليم وانصاف ونسأل الله ايزاع الشكر على ما وفق له من الهدى : فان قال قائل فان المجوس تصدق بنبوة زرادشت ، وقوم من اليهود بنبوة ابى عيسى الاصبهانى ، وقوم من كفرة الغالية يصدقون بنبوة بزيع الحائك والمغيرة بن سعيد وبنان بن سمعان التميمي وغيرهم من كلاب الغالية. فالجواب وبالله تعالى التوفيق * ان ابا عيسى وبنان وبزيعا وسائر من تدعى له الغالية بنبوة او الهية من خيار الناس وشرارهم لم تظهر لواحد منهم آية بوجه من الوجوه . والآيات لا تصح الا بنقل الكواف . وكل هؤلاء كان بعد رسول الله ﷺ وقد اخبر الذى جاءت البراهين بصدقه ﷺ انه لا نبي بعده . فقد صح البرهان ببطلان ما ادعى لهؤلاء من النبوة . واما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت عنه معجزة ،قال الله عز وجل . وان من أمة الا خلا فيها نذير، وقال عز وجل : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك : وقالوا ان الذى ينسب اليه(٢) المجوس من الا كذوبات باطل مفترى منهم . وبرهان ذلك ان المانية تنسب اليه مقالتهم واقوال هؤلاء كلهم متضادة لاسبيل الى ان يقول بها قائل واحد صادق ولا كاذب في وقت واحد : وكذا المسيح عليه السلام ينسب اليه الملكانية قولهم في التثليث. وتنسب اليه النسطورية قولهم ايضا.وكذلك اليعقوبية . وتنسب اليه المانية ايضا قولهم.وكذلك

(١) ربا الحجر ارتفع وزاد (٢) الضمير فى اليه عائد الى زرادشت

بالقدرة والفعل والخلق ومنها اثباته علوما حادثة للبارى تعالى لافى محل قال لايجوز ان يعلم الشيء قبل خلقه لانه لو علم ثم خلق أفبقى علمه على ما كان أولم يبق فان بقى فهو جهل فان العلم بان سيوجد غير العلم بان قد وجد وان لم يبق فقد تغير والمتغير مخلوق ليس بقديم ووافق فى هذا مذهب هشام بن الحكم كما تقرر قال واذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو اما ان يحدث فى ذاته تعالى وذلك يؤدى الى التغير فى ذاته وأن يكون محلا للحوادث واما أن يحدث فى محل فيكون المحل موصوفا به لا البارى تعالى فتعين انه لا محل له فاثبت علوما حادثة بعدد المعلومات الموجودة ومنها قوله فى القدرة الحادثة ان الانسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وانما هو مجبور فى أفعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار وانما يخلق الله تعالى الافعال فيه على حسب ما يخلق فى سائر الجمادات وينسب اليه الافعال مجازاً كما ينسب الى الجمادات كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت وتغيمت السماء وأمطرت وأزهرت الارض وأنبتت الى غير ذلك والثواب والعقاب جبر كما ان الافعال جبر قال واذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً ومنها قوله ان حركات أهل الخلدين تنقطع والجنة والنار يفنيان بعد دخول أهلها فيها وتلذذ أهل الجنة بنعيمها وتألم أهل النار بجحيمها اذ

المزقونية . وهذا برهان ظاهر على كذب جميعهم عليهما بلا شك . وقد رامت الغالية مثل هذا في القرآن . ولكن قد تولى الله حفظه: وبالجملة فكل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من اهلها : وكانا محظورين على من سواها : فالتبديل والتحريف مضمون فيها. وكتاب المجوس وشريعتهم انما كان طول مدة دولتهم عند المؤبذ وعند ثلاثة وعشرين هربذا لكل هربذ سفر قد افرد به وحده لايشاركه فيه غيره من المرابذة ولا من غيرهم ولايباح بشيء من ذلك لاحد سواهم : ثم دخل فيه الخرم باحراق الاسكندر لكتابهم ايام غلبته لدارا بن دارا . وهم مقرون بلا خلاف منهم انه ذهب منه مقدار الثلث . ذكر ذلك بشير الناسك وغيره من علمائهم : وكذلك التوراة انما كانت طول مدة ملك بنى اسرائيل عند الكوهن الا كبر الهاروني وحده: لاينكر ذلك منهم الا كذاب مجاهر : وكذلك الانجيل انما هي كتب اربعة مختلفة من تأليف اربعة رجال. فامكن في كل ذلك التبديل وقد نقلت كواف المجوس الآيات المعجزات عن زرادشت كالصفر الذى افرغ وهو مذاب على صدره فلم يضره : وقوائم الفرس التى غاصت في بطنه فاخرجها: وغير ذلك وممن قال ان المجوس اهل كتاب علي ابن ابي طالب وحذيفة رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب وقتادة وابو ثور . وجمهور اصحاب اهل الظاهر : وقد بينا البراهين الموجبة لصحة هذا القول في كتابنا المسمى الايصال في كتاب الجهاد منه وفي كتاب الذبائح منه وفي كتاب النكاح منه والحمد لله رب العالمين . ويكفي من ذلك صحة اخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم . وقد حرم الله عز وجل في نص القرآن في آخر سورة نزلت منه وهي براءة ان تؤخذ الجزية من غير كتابي

(قال ابو محمد رضى الله عنه) واما العيسوية من اليهود فانه يقال لهم . اذا صدقتم الكافة في نقل القرآن عن النبي ﷺ وفي نقل معجزاته وصحة نبوته فقد لزمكم الانقياد لما في القرآن من انه عليه السلام بعث الى الناس كافة. بقوله تعالى فيه امراً لرسوله ﷺ ان يقول . ياأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً . وقوله تعالى: ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. وقوله تعالى فيه. قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وما فيه من دعاء اليهود الى ترك ماهم عليه والرجوع الى شريعته عليه السلام . وهذا مالا مخلص منه فان اعترضوا بما في القرآن مما حرم عليهم يعنى اليهود وحضهم على التزام السبت * فانما هو تبكيت لهم فيما سلف من اسلافهم الذين قفوا هم آثارهم : يبين هذا نص القرآن في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام . انه رسول الله ﷺ الى بنى اسرائيل ليحل لهم بعض الذى حرم عليهم : وهذا نص جلى على نسخ شريعتهم وبطلانها : ثم ما لم ينكره احد من مؤمن ولاكافر من انه عليه السلام حارب يهود بنى اسرائيل من بنى قريظة والنضير وهذل وبنى قينقاع وقتلهم، سباهم والزمهم الجزية وسماهم كفارا ، اذلم يرجعوا الى الاسلام وقبل اسلام من أسلم منهم . فلولم يكن نسخ دينهم ماحل له اجبارهم على تركه . أوالجزية والصغار . ولاجاز له قبول ترك ماترك منهم بدين بنى اسرائيل .

والتأ كيد دون الحقيقة فى التخليد كما يقال خلد الله ملك فلان واستشهد على الانقطاع بقوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك فالآية اشتملت على شرطية واستثناء والخلود والتأبيد لاشرط فيه ولااستثناء ومنها قوله من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده لان العلم والمعرفة لاتزول بالجحد فهو مؤمن قال والايمان لايتبعض أي لا ينقسم الى عقد وقول وعمل قال ولا يتفاضل أهله فيه فايمان الانبياء وايمان الامة على نمط واحد اذ المعارف لاتتفاضل وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه ونسبته الى التعطيل المحض وهو أيضا موافق للمعتزلة فى نفى الرؤية واثبات خلق الكلام وايجاب المعارف بالعقل قبل ورود الشرع

(النجارية) أصحاب الحسين ابن محمد النجار وأ كثر معتزلة الري وحواليها على مذهبه وهم وان اختلفوا اصنافا الا انهم لم يختلفوا فى المسائل التى عددناها أصولا وهم برغوثية وزعفرانية ومستدركة وافقوا المعتزلة فى نفى الصفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر ووافقوا الصفاتية فى خلق الاعمال قال النجار الباري تعالى مريد لنفسه كما هو عالم لنفسه فالزم عموم التعلق فالتزم وقال هو ومن

ومن المحال الممتنع أن يكون عند العيسويين رسولاً صادقا نبيا ثم يجور ويظلم ويبدل دين الحق . فوضح فساد قولهم وتناقضه بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين . وهكذا يقال لمن اقر بنبوة بعض الانبياء عليهم السلام من فرق الصابئين . كادريس وغيره ممن لا يوقن بصحة قولهم فيه . كهادمون واسقلابيوس وايلون وغيرهم والمجوس المقتصرين على زرادشت فقط . اخبرونا : باى شيء صحت نبوة من تدعون له النبوة ؟ فليس هاهنا الا صحة ما أتوا به من المعجزات . فيقال لهم : فان النقل الى محمد صلى الله عليه وسلم فى معجزاته اقرب عهدا . واظهر صحة واكثر عدد ناقلين . وادخل فى الضرورة . ولا فرق ولا تخلص لهم من هذا اصلاً . لانه نقل ونقل . الا أن نقلنا أفشى واظهر وأقوى انتشارا . ومبدأ هذا مع ذهاب دين الصابئين وانقطاعهم ورجوع نقلهم الى من لا يقوم بهم حجة لقلتهم . ولعلهم اليوم فى جميع الارض لا يبلغون اربعين . وأما المجوس فانهم معترفون مقرون بان كتابهم الذى فيه دينهم احرقه الاسكندر . اذ قتل دارا ان دارا . وانه ذهب منه الثلثان واكثر . وانه لم يبق منه الا الأقل من الثلث . وأن الشرائع كانت فيما ذهب . فاذ هذا صفة دينهم فقد بطل القول به جملة لذهاب جمهوره . وان الله تعالى لا يكلف احدا ما لا يتكفل بحفظه حتى يبلغ اليه . وفى كتاب لهم اسمه (خذاى نامه) يعظمونه جدا أن انوشروان الملك منع من أن يتعلم دينهم فى شيء من البلاد الا فى أزدشير خرة وفشامن داتجرد فقط ، وكان قبله لا يتعلم الا باصطخر فقط ، وكان لا يباح الا لقوم خصائص ، وكتابهم الذى بقى بعد ما احرق الاسكندر ثلاثة وعشرون سفراً . فلهم ثلاثة وعشرون هربذا لكل هربذ سفر لا يتعداه الى غيره . وموبذ موبذ ان يشرف على جميع تلك الاسفار . وما كان هكذا فمضمون تبديله وتحريفه . وكل نقل هكذا فهو فاسد لا يوجب القطع بصحته . هذا الى ما فى كتبهم التى لا يصح دينهم الا بالايمان بها من الكذب الظاهر . كقولهم ان جرم الملك كان يركب ابليس حيث شاء . وان مبدأ الناس من بقلة الريباس وهى الشرالية ومن ولادة بيروان سياوش بن كيفاوش بنى مدينة كنكدر بين السماء والارض واسكنها ثمانين الف راجل من اهل البيوتات م فيها الى اليوم فاذا ظهر بهرام هماوند على البقرة ليرد ملكهم نزلت تلك المدينة الى الارض ونصروه وردوا دينهم وملكهم

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وكل كتاب دون فيه الكذب فهو باطل موضوع ليس من عند الله عز وجل . فظهر من فساد دين المجوس كالذي ظهر من فساد دين اليهود والنصارى سواء سواء . والحمد لله رب العالمين

فصل فى مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة فى الكتاب الذى تسميه اليهود التوراة وفى سائر كتبهم وفى الاناجيل الاربعة يتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وانها غير الذى أنزل الله عز وجل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) نذكر ان شاء الله تعالى ما فى الكتب المذكورة من الكذب الذى لا يشك كل ذى مسكة تمييز فى انه كذب على الله تعالى وعلى الملائكة عليهم السلام

مريد الخير والشر والنفع والضر وقال أيضا معنى كونه مريدا انه غير مستكره ولا مغلوب وقال هو خالق أعمال العباد خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد مكتسب لها وأثبت تأثيرا للقدرة الحادثة وسمى ذلك كسباً على حسب ما يثبته الاشعرى ووافقه أيضاً فى ان الاستطاعة مع الفعل واما فى مسئلة الرؤية فانكر رؤية الله تعالى بالابصار واحالها غير انه قال يجوز ان يحول الله تعالى القوة التى فى القلب من المعرفة الى العين فيعرف الله بها ويكون ذلك رؤية وقال بحدوث الكلام لكنه انفرد عن المعتزلة باشياء * منها قوله ان كلام البارىء تعالى اذا قرىء فهو عرض واذا كتب فهو جسم * ومن العجب ان الزعفرانية قالت كلام الله غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق ومع ذلك قالت كل من قال القرآن مخلوق فهو كافر ولعلهم اذا رأوا بذلك الاختلاف والا فالتناقض ظاهر * والمستدركة منهم زعموا أن كلامه غيره وهو مخلوق لكن النبى صلى الله عليه وسلم قال كلام الله غير مخلوق والسلف اجمعت على هذه العبارة فوافقنا وحملنا قولهم غير مخلوق اى على هذا الترتيب والنظم من الحروف والاصوات بل هو مخلوق على غير هذه الحروف بعينها وهذه حكاية عنها (وحكى الكعبى عن النجار) انه قال البارى تعالى بكل مكان ذاتا ووجوداً

وعلى الأنبياء عليهم السلام . الى اخبار اوردوها لايخفى الكذب فيها على احد كما لايخفى ضوء النهار على ذي بصر . وقد كنا نعجب من اطباق النصارى على تلك الاقوال الفاسدة المتناقضة التى لايخفى فسادها على احد به رمق . الى ان وقفنا على ما بايدى اليهود فراينا ان سبيلهم وسبيل النصارى واحدة كشق الأنملة . وثبت بذلك عند كل منصف من المخالفين صحة قولنا ان كل من خالف دين الاسلام ونحلة السنة ومذهب اصحاب الحديث فانه عارف بضلال ماهم عليه . الا انهم بخذلان الله تعالى اياهم مكابرون لعقولهم مغلبون لاهوائهم وظنونهم على يقينهم تقليدا لاسلافهم وعصبية واستدامة لرياسة دنيوية . وهكذا وجدنا اكثر من شاهدناه من رؤسائهم . فنحمد الله كثيرا على ماهدانا له من الاسلام ونحلة السنة واتباع الآثار الثابتة ، ونسأله تثبيتنا على ذلك وان يجعلنا من الدعاة اليه حتى يدعونا الى رحمته ورضوانه عند لقائه آمين

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا اننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئا يمكن أن يخرج على وجه ما وان دق ، وبعد فالاعتراض بمثل هذا لامعنى له ، وكذلك أيضا لم نخرج منه كلاما لايفهم معناه وان كان ذلك موجودا فيها ، لان للقائل أن يقول قد أصاب الله به ماأراد ، وانما اخرجنا مالاحيلة فيه ولاوجه اصلا الا الدعاوى الكاذبة التى لادليل عليها اصلاً لا محتملا ولاخفياً

﴿ فصل ﴾

(قال ابو محمد رضى الله عنه) أول ذلك ان بايدى السامرية (١) توراة غير التوراة التى بايدى سائر اليهود ، يزعمون أنها المنزلة ، ويقطعون أن التى بايدى اليهود محرفة مبدلة ، وسائر اليهود يقولون أن التى بايدى السامرية محرفة مبدلة ولم الى آخره ولم يقع الينا توراة السامرية لانهم لايستحلون الخروج عن فلسطين والاردن أصلاً ، الا اناقد أتينا برهان ضرورى على ان التوراة التى بايدى السامرية أيضاً محرفة مبدلة عند ماذكرنا فى آخر هذه الفصول اسماء ملوك بنى اسرائيل ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

﴿ فصل ﴾ في أول ورقة من توراة اليهود التى عند ربانيهم وقانانيهم وعيسويهم حيث كانوا فى مشارق الارض ومغاربها لايختلفون فيها على صفة واحدة لورام أن يزيد فيها لفظة أو ينقص أخرى لافتضح عند جميعهم مبلغة ذلك الى احبارهم الذين كانوا أيام ملك

(١) يذكر ابو الفدا فى تاريخه ان نسخ التوراة ثلاث السامرية والعبرانية واليونانية ويعتمد فى ذكر مدد نوح وأولاده على الاخيرة قال : واما التوراة اليونانية فهي التوراة التى اختارها المحققون من المؤرخين وليس فيها مايقتضي الانكار من جهة الماضى من عمر الزمان وهى توراة نقلها اثنان وسبعون حبرا قبل ولادة المسيح بقريب ثلثمائة سنة لبطليموس اليونانى الذي كان بعد الاسكندر ببطليموس واحد اهـ وهذا يوافق ماذكره المؤرخون عن بطليموس الثانى الذى جلس على سرير مصر من سنة (٢٨٥ – ٢٤٧ ق م) من انه عنى بنشر العلوم والآداب ووسع نطاق داركتبها وانجز ترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية (مصححه)

لاعلى معنى العلم والقدرة والزمه محالات على ذلك * وقال فى المفكر قبل ورود السمع مثل ماقالت المعتزلة انه يجب عليه تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال وقال فى الايمان انه عبارة عن التصديق ومن ارتكب كبيرة ومات عليها من غير توبة عوقب على ذلك ويجب ان يخرج من النار فليس من العدل التسوية بينه وبين الكفار فى الخلود ومحمد بن عيسى الملقب ببرغوث وبشر بن غياث المريسى والحسين النجار متقاربون فى المذهب وكلهم اثبتوا كونه تعالى مريدا لم يزل لكل ماعلم انه سيحدث من خير وشر وايمان وكفر وطاعة ومعصية وعامة المعتزلة يأبون ذلك (الضرارية) اصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد واتفاقهما فى التعطيل انهما قالا البارى تعالى عالم قادر على معنى انه ليس بجاهل ولا عاجز واثبتا لله تعالى ماهية لايعلمها الا هو وقالا ان هذه المقالة محكية عن ابى حنيفة رحمه الله وجماعة من اصحابه وارادا بذلك انه يعلم نفسه شهادة لابدليل ولا خبر ونحن نعلمه بدليل وخبر واثبتا حاسة سادسة للانسان يرى بها البارى تعالى يوم الثواب فى الجنة وقالا أفعال العباد مخلوقة للبارى تعالى حقيقة والعبد يكتسبها حقيقة وجوزوا حصول فعل بين فاعلين وقالا يجوز ان يقلب الله الاعراض أجساما

المارونية

المارونية لهم قبل الخراب الثاني بدهر ، يذكرون انها مبلغة ذلك من اولئك الى عذراء الوراق المارونى فى صدرها ، قال الله تعالى : اصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ولو لم يقل الا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح ، وهو ان نضيف الصورة الى الله تعالى اضافة الملك والخلق ، كما تقول هذا عمل الله ، وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله ، اى تصوير الله ، والصفة التى انفرد بملكها وخلقها ، لكن قوله كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل واوجب شبه آدم لله عزوجل ولابد ضرورة . وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل . اذ الشبه والمثل معناهما واحد . وحاشى لله ان يكون له مثل او شبه

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك قال : ونهر يخرج من عدن فيسقى الجنان . ومن ثم يفترق فيصير اربعة أرؤس * اسم احدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويله الذى به الذهب . وذهب ذلك البلد جيد . وبها اللؤلؤ وحجارة البلور * واسم الثاني جيحان وهو محيط بجميع بلاد الحبشة * واسم الثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل * واسم الرابع الفرات . وأخذ الله آدم ووضعه فى جنات عدن

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزئ . أولذلك اخباره ان هذه الاربعة تفترق من النهر الذى يخرج من جنات عدن التى أسكن الله فيها آدم . اذ خلقه ثم اخرجه منها إذ أكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عن اكلها . وكل من له ادنى معرفة بالهيئة وبصفة الربع المعمور من الارض الذي هو فى سماك الارض ، اومن مشي الى مصر والشام والموصل يدرى ان هذا كله كذب فاضح ، وان مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ، ومصبه قبالة تنيس وقبالة الاسكندرية فى آخر اعمال مصر فى البحر الشامي ، (١) وان مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال * فاما جيحان فيخرج من بلاد الروم ويمر مابين المصيصة وربضها المسمى كفربنا ، حتى يصب فى البحر الشامي على اربعة اميال من المصيصة ، واما دجلة فمخرجها من اعين بقرب خلاط من عمل ارمينية بقرب آمد من ديار بكر ، وتصب مياهها فى البطائح المشهورة بقرب البصرة فى ارض العراق متاخمة ارض العرب * واما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من (قالى قلا) قرب ارمينية ، ثم يخرج الى ملطيه ، ثم يأخذ على اعمال الرقة الى العراق . وينقسم الى قسمين كلاهما يقع فى دجلة . فهذه كذبة شنيعة كبيرة لامخلص منها . والله تعالى لايكذب . واخري وهى قوله ان النيل محيط ببلد زويلة * وجيحان محيط ببلد الحبشة وهذه كذبة شنيعة فاحشة مافى جميع ارض السودان الحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل اصلا ، ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ، ثم يجتمع فوق بلاد النوبة * وكذبة ثالثة وهى قوله ان بلد زويلة اللؤلؤ الجيد ، وهذا كذب ، مااللؤلؤ بها مكان اصلا انما

(١) البحر الابيض المتوسط

والاستطاعة عجزا والعجز بعض الجسم والجسم لامحالة يبقى زمانين وقالا الحجة بعد رسول الله ﷺ فى الاجماع فقط فما ينقل عنه فى احكام الدين من اخبار الآحاد فغير مقبول (ويحكى عن ضرار) انه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبي بن كعب ويقطع بان الله تعالى لم ينزله * وقال فى المنكر قبل ورود السمع انه لايجب عليه شيء بعقله حتى يأتيه الرسول فيأمره وينهاه ولايجب على الله تعالى شيء بحكم العقل وزعم ضرارا ايضا ان الامامة تصلح فى غير قريش حتى اذا اجتمع قرشي ونبطى قدمنا النبطى اذ هو أقل عددا وأضعف وسيلة فيمكننا خلعه اذا خالف الشريعة والمعتزلة وان جوزوا الامامة فى غير قريش الا انهم لايقدمون النبطى على القرشي (الصفاتية) اعلم ان جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعام والعزة والعظمة ولايفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا وكذلك يثبتون صفات جبرية مثل اليدين والرجلين ولايؤولون ذلك الا انهم يقولون بتسميتها صفات جبرية * ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمى السلف صفاتية والمعتزلة معطلة فبلغ بعض السلف فى اثبات الصفات الى حد التشبيه بصفات

اللؤلؤ فى مغاصاته فى بحر فارس وبحر الهند وانهار بالهند والصين ، وهذه فضايح لاخفاء بها لم يقلها الله تعالى قط ، ولاانسان يهاب الكذب * فان قال قائل فقد صح عن نبيكم ﷺ انه قال : النيل والفرات وسيحان وجيحان من انهار الجنة ، قلنا نعم هذا حق لاشك فيه ومعناه هو على ظاهره بلا تكلف تأويل أصلا ، وهى اسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل * فان قيل قدصح عنه عليه السلام انه قال مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، وروى عنه مقبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة * قلناهذا حق وهو من أعلام نبوته ، لانه انذر بمكان قبره فكان كماقال ، وذلك المكان لفضله وفضل الصلاة فيه يؤدى العمل فيه الى دخول الجنة ، فهى روضة من رياضها وباب من أبوابها ، ومعهود اللغة أن كل شىء فاضل طيب فانه يضاف الى الجنة ، ونقول لمن بشرنا بخبر حسن هذا من الجنة ، وقال الشاعر * روائح الجنة فى الشباب * وليس كذلك هذاالذى فى توراة اليهود ، لان واضعها لم يدعها فى لبس من كذبه ، بل بين انه عنى النيل المحيط بارض زويلة بلد الذهب الجيد ، ودجلة التى بشرقى الموصل ، وجيحان المحيط ببلد الحبشة التى لم تخلق بعد ، فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلة ولامخرجا ، وايضا فانهم لايمكنهم البتة تخريج مافى توراتهم المكذوبة على ماوصفنا نحن الآن فى نص توراتهم ان الجنة التى اخرج منها آدم لأكله من الشجرة التى فيها انماهى شرقى عدن فى الارض لافى السماء كمانقول نحن ، فثبتت الكذبة لامخرج منها اصلا ، ولولم يكن فى توراتهم الاهذه الكذبة وحدها لكفت فى بيان انها موضوعة لم يأت بها موسى قط ، ولاهى من عند الله تعالى فكيف ولها نظائر ونظائر ونظائر ؟ فان قيل فى القرآن ذكر سد ياجوج ومأجوج ولايدرى مكانه ولامكانهم ، قلنا مكانه معروف فى أقصى الشمال فى آخر المعمور منه وقد ذكر امر ياجوج ومأجوج فى كتب اليهود التى يؤمنون بها ويؤمن بها النصارى ، وقد ذكر ياجوج ومأجوج والسد ارسطاطاليس فى كتابه فى الحيوان عند كلامه على الغرانيق وقد ذكر سد ياجوج ومأجوج بطليموس فى كتابه المسمى جغرافيا ، وذكر طول بلادهم وعرضها ، وقد بعث اليه الواثق أمير المؤمنين سلام الترجمان فى جماعة معه حتى وقفوا عليه ، ذكر ذلك احمد بن الطيب السرخسى وغيره ، وقد ذكره قدامة بن جعفر والناس فهيهات خبر من خبر ، وحتى لو خفى مكان ياجوج ومأجوج والسد فلم يعرف فى شىء من المعمور مكانه لماضر ذلك خبرنا شيئا ، لانه كان يكون مكانه حينئذ خلف خط الاستواء حيث يكون ميل الشمس ورجوعها وبعدها كماهو فى الجهة الشمالية ، بحيث تكون الآفاق كبعض آفاقنا المسكونة ، والهواء كهواء بعض البلاد التى يوجد فيها النبات والتناسل واعلموا ان كل ما كان فى عنصر الامكان فادخله مدخل فى عنصر الامتناع بلا برهان فهو كاذب مبطل جاهل أومتجاهل ، لاسيما اذا أخبر به من قدقام البرهان على صدق خبره وانما الشأن فى المحال الممتنع التى تكذبه الحواس والعيان أوبديهة العقل ، فمن جاء بهذا فانماجاء ببرهان قاطع على انه كذاب مفتر ونعوذ بالله من البلاء *(فصل)* ثم قال : وقال

المحدثات واقتصر بعضهم على صفات دلت الافعال عليها وماورد الخبر فافترقوافيه فرقتين منهم من أولهاعلى وجه يحتمل اللفظ ذلك ومنهم من توقف فى التأويل وقال عرفنا بمقتضى العقل ان الله تعالى ليس كمثله شىء فلا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شىء منها وقطعنا بذلك الا انا لانعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ومثل قوله خلقت بيدى ومثل قوله وجاء ربك الى غير ذلك ولسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف قد ورد بالاعتقاد بانه لاشريك له وليس كمثله شىء وذلك قد أثبتناه يقينا ثم ان جماعة من المتأخرين زادوا على ماقاله السلف فقالوا لابد من اجرائها على ظاهرها والقول بتفسيرها كماوردت من غير تعرض للتأويل ولا توقف فى الظاهر فوقعوا فى التشبيه الصرف وذلك على خلاف مااعتقده السلف ولقد كان التشبيه صرفا خالصا فى اليهود لعنهم الله لافى كلهم بل فى القرائين منهم اذ وجدوا فى التورية الفاظا كثيرة تدل على ذلك ثم الشيعة فى هذه الشريعة وقعوا فى غلو وتقصير اما الغلو فتشبيه بعض أئمتهم بالاله تعالى الله وتقدس واما التقصير فتشبيه الاله بواحد من الخلق ولما ظهرت المعتزلة والمتكلمون الله
من السلف رجعت بعض الروافض عن الغلو والتقصير ووقعت فى الاعتزال وتخطت جماعة من السلف الى التفسير

الله هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر والآن كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيى الى الدهر فطرده الله من جنات عدن)

(قال أبو محمد رضي الله عنه) حكايتهم عن الله تعالى انه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر ، وموجب ضرورة انهم آلهة أكثر من واحد ، ولقد أدى هذا القول الخبيث المفتري كثيرا من خواص اليهود الى الاعتقاد ان الذي خلق آدم لم يكن الا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم اكل من شجرة الحياة فصار الها من جملة الالهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الاحمق ونحمده اذ هدانا للملة الزهراء الواضحة التي تشهد سلامتها من كل دخل بانها من عند الله تعالى

(فصل) وبعد ذلك (وأسكن في شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة) ورأيت في نسخة أخرى منها (ووكل بالجنان المشتهر اسرافيل ونصب بين يديه رمحاً نارياً ليحفظ طريق شجرة الحياة)

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ان لم يكن احدهما خطأ من المترجم والا فلا ادري كيف هذا

(فصل) وبعد ذلك قال الله تعالى (كل من قتل قابيل نفاديه الى سبعة) ولا تناكر بين جميعهم في ان لامك بن متوشائيل بن محويائيل ابن عيراد بن حنوك بن قابين هو الذي قتل قابين جد جد ابيه ، وانه لم يقل به ، فنسبوا الى الله تعالى الكذب لانه وعده ان يفديه الى السبعة ولم يفده ، وايضاً فان ذكر السبعة هنا حمق لان لامك الذي قتله هو الخامس من ولد قابين ، وقابين هو الخامس من آباء لامك فلا مدخل للسبعة هاهنا

(فصل) وقبل هذا ذكر هابيل بن آدم وانه راعي غنم ، ثم قال قبل ذلك بنحو ورقتين : ان لامك المذكور آنفاً اتخذ امرأتين اسم احداهما عادة ، والثانية صلة ، وولدت عادة يابال ، وهو أول من سكن الاخبية وملك الماشية ، وهاتان قضيتان تكذب احداهما الأخرى ولا بد

(فصل) وبعد ذلك قال (فلما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الارض وولد لهم البنات . فلما رأى أولاد الله بنات آدم انهن حسان اتخذوا منهن نساء) وقال بعد ذلك (كان يدخل بنو الله الى بنات آدم ويولد لهم حراما وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم اسماء وهذا حمق ناهيك به . وكذب عظيم اذ جعل الله أولاداً ينكحون بنات آدم . وهذه مصاهرة تعالى الله عنها . حتى ان بعض اسلافهم قال انما عنى بذلك الملائكة . وهذه كذبة الا انها دون الكذب في ظاهر اللفظ

(فصل) وفي خلال هذا قال (لايدين روحي في الانسان الى الدهر اذهم منتشرون لزيغانه هو بشر فتكون اعمارهم مائة وعشرين سنة) وهذا كذب فاحش . ومصيبة الأبد . لانه ذكر بعد هذا القول ان سام بن نوح عاش بعد ذلك ستمائة سنة . وارفخشاذ بن سام عاش أربعمائة وخمساً وستين سنة . وشالح بن ارفخشاذ عاش اربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة . وعابر بن شالخ عاش اربعمائة سنة واربعاً وستين سنة . وفالغ بن عابر عاش مائتي سنة وسبعاً وثلاثين سنة . ورعو بن فالغ عاش مائتي سنة وتسعاً وعشرين سنة وسروغ بن رعو عاش

الظاهر فوقعت في التشبيه اما السلف الذين لم يتعرضوا للتاويل ولا تهدفوا للتشبيه فنهم مالك ابن انس رضي الله عنه اذ قال الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومثل احمد بن حنبل وسفيان وداود الاصفهاني ومن تابعهم حتى انتهي الزمان الى عبد الله بن سعيد الكلابي وأبي العباس القلانسي والحرث بن اسد المحاسبي وهؤلاء كانوا من جملة السلف الا أنهم باشروا علم الكلام وايدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين اصولية وصنف بعضهم ودرس بعض حتى جرى بين أبي الحسن الاشعري وبين استاذه مناظرة في مسئلة من مسائل الصلاح والاصلح فتخاصما وانحاز الاشعري الى هذه الطائفة فايد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهباً لاهل السنة والجماعة وانتقلت سمة الصفاتية الى الاشعرية ولما كانت المشبهة والكرامية من مثبتي الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصفاتية (الاشعرية) أصحاب ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسي الاشعري رضي الله عنهما وسمعت من عجيب الاتفاقات ان أبا موسي الاشعري كان يقرر بعينه مايقرره الاشعري في مذهبه) *وقد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص وبينه فقال عمرو ان أجد أحداً أخاصم اليه ربي فقال أبو موسى انا ذاك المتحاكم اليه قال عمرو أيقدر علي شيئاً ثم يعذبني عليه قال

مائتي سنة وثلاثين سنة ، وناحور بن سروغ عاش مائة وثمان واربعين سنة ، وتارح بن ناحور عاش مائتي سنة وخمسين سنة ، وابراهيم بن تارح عاش مائة سنة وخمساً وسبعين سنة ، واسحاق بن ابراهيم عاش مائة سنة وثمانين سنة ، واسماعيل ابن ابراهيم عاش مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة ، ويعقوب بن اسحاق عاش مائة سنة وسبعاً وأربعين سنة ، ولاوى ابن يعقوب عاش مائة سنة وسبعاً وثلاثين سنة ، وعمران بن فاهث عاش كذلك ايضا ، وفاهث ابن لاوي عاش مائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة ، وان سارح بنت اشر ومريم بنت عمران وهارون بن عمران عاش كل واحد منهم ازيد من مائة وعشرين سنة بسنيهم ، فاعجبوا لهذه الفضائح ولعقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الافك الذى لاخفاء به

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك ذكر ان متوشالح بن حنوك بن مارد عاش تسمائة سنة وتسعا وستين سنة . وانه ولد له لامك وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة ، وان لامك المذكور اذ بلغ مائة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له نوح عليه السلام فلا شك من ان متوشالح كان اذ ولد له نوح بن ثلاثمائة سنة وتسع وستين سنة ، فوجب من هذا ضرورة ان نوحاً عليه السلام كان ابن ستمائة سنة اذ مات متوشالح فاضبطوا هذا ، ثم قال ان في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ستمائة من عمر نوح اندفعت المياه بالطوفان ، ثم قال ان في اليوم سبعة وعشرين يوماً من الشهر الثاني من سنة احدى وستمائة لنوح خرج نوح من التابوت يعني السفينة هو ومن كان معه ، فوجب من هذا ضرورة لامحيد عنها ان متوشالح بن حنوك دخل السفينة ، وانه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة ايام ، وقد قطع فيها وبت على انه لم يدخل التابوت احد من الناس الا نوح وبنوه الثلاثة وامرأة نوح وثلاثة نساء لاولاده . وقد قطع فيها وبت على انه لم ينج من الغرق انسي اصلا ولا حيوان في غير التابوت . وهذه كذبات فواضح نعوذ بالله من مثلها . لان في نصوص توراتهم كما اوردنا ان متوشالح لم يغرق لانه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة سنة لنوح . وفي نصها انه استوفاها . وايضا فانه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط . وابطلوا ان يكون دخل التابوت اذ قطعوا بانه لم يدخلها انسي الا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم ، وابطلوا ان ينجو في غير التابوت بقطعهم انه لم ينج انس ولا حيوان في غير التابوت ، ولا بد لمتوشالح من احد هذه الوجوه الثلاثة ، فلاح الكذب البحت في نقل توراتهم ضرورة ، وتيقن كل ذى عقل انها غير منزلة من الله تعالى ولاجاء بها نبي اصلاً ، لان الله تعالى لايكذب والانبياء لاتأتي بالكذب ، فصح يقيناً انها من عمل زنديق جاهل او مستخف متلاعب بهم ، ونعوذ بالله من مثل مقامهم ، وفي هذا الفصل كفاية فكيف ومعه امثاله كثيرة

(فصل) وبعد ذلك ان نوحاً اذ بلغه فعل ابنه حام ابي كنعان قال : ملعون ابو كنعان عبد العبيد يكون لاخوته مستعبدا يكون لاخويه * يبارك الآله ساما ويكون ابو كنعان عبداً لهم * احسان الله ليافث ويسكن في أخبية سام ويكون ابو كنعان عبداً لهم ، ثم نسي نفسه المحرف او تعاظم استخفافاً بهم فلم يطل لكنه بعد ستة اسطر قال اذ ذكر

نعم قال عمرو ولم قال لانه لايظلمك فسكت عمرو ولم يحرجوابا قال الاشعري الانسان اذا فكر في خلقته من أي شيء ابتدأ وكيف دار في أطوار الخلقة طورا بعد طور حتى وصل الى كمال الخلقة وعرف يقينا انه بذاته لم يكن ليدبر خلقته ويبلغه من درجة الى درجة ويرقيه من نقص الى كمال عرف بالضرورة ان له صانعاً قادراً عالماً مريدا اذ لايتصور صدور هذه الافعال المحكمة من طبع لظهور آثار الاختيار في الفطرة وتبيين آثار الاحكام والايقان في الخلقة فله صفات دلت أفعاله عليها لايمكن جحدها وكما دلت الافعال على كونه عالما قادراً مريداً دلت على العلم والقدرة والارادة لان وجه الدلالة لايختلف شاهداً وغائباً وايضاً لامعنى للعالم حقيقة الا انه ذو علم ولا للقادر الا انه ذو قدرة ولا للمريد الا انه ذو ارادة فيحصل بالعلم الاحكام والاتقان ويحصل بالقدرة الوقوع والحدوث ويحصل بالارادة التخصيص بوقت دون وقت وقدر دون قدر وشكل دون شكل وهذه الصفات لن يتصور ان يوصف بها الذات الا ان يكون الذات حيا بحياة للدليل الذى ذكرناه والزم منكرو الصفات الزاماً لامحيص لهم عنه وهو انكم وافقتمونا اذ قام الدليل على كونه عالما قادرا فلا يخلو اما ان يكون المفهومان من الصفتين واحداً اوزائداً فان كان واحدا فيجب ان يعلم بقادريته ويقدر بعالميته ويكون من اولاد

اولاد حام فقال : بنو حام كوش ومصرايم وفوحا وكنعان وبنو كوش وصبان وزويلة ورغاوة ورعمة وسفتخا وبنو رعمة السند والهند وكوش ولد نمرود الذى ابتدأ يكون جبارا فى الارض الذى كان جبار صيد بين يدي الله عز وجل وكان اول مملكته بابل ، فحصل من هذا الخبر تكذيب نوح في خبره ، وهو باقرارهم نبي معظم جدا ، واذوصف ان ولد ابى كنعان صاروا ملوكا علي اخوة بنى كنعان وعلي بنهم ، ثم العجب كله ان على ماتوجبه توراتهم كان ملك نمروذ بن كوش بن كنعان بن حام على جميع الارض ونوح حى وسام بن نوح حى ، لان فى نص توراتهم ان نوحاً عاش الى ان بلغ ابراهيم بن تارح عليه السلام ثمانية وخمسين عاما ، وان سام بن نوح عاش الى ان بلغ يعقوب وعيصا ابنا اسحق بن ابراهيم عليهما السلام خمسا واربعين سنة ،على ماذكره من مواليدهم أبا فأبا ، فمالنا نرى خبر نوح معكوسا ؟ فان قالوا ان السودان تملكوا اليوم ، قلنا وفى السودان ملك عظيم جدا وممالك شتى كغانة والحبشة والنوبه والهند والتبت ، والامر بينهم سواء يملكون طوائف من بنى سام كما يملك بنو سام طوائف منهم وحاش لله ان يكذب نبي

(فصل) وقالت توراتهم : ان نوحاً لمابلغ خمسمائة سنة ولدله يافث وسام وحام ثم ذكرت ان نوحا اذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة ، وقالت بعد ذلك ان سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد له ارفخشاذ لسنتين بعد الطوفان وهذا كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم ، لانه اذا كان نوح اذ ولد له سام ابن خمسمائة سنة، وبعد مائة سنة كان الطوفان . فسام حينئذ ابن مائة سنة . واذولدله بعد الطوفان بسنتين ارفخشاذ فسام كان اذ ولد له ارفخشاذ ابن مائة سنة وسنتين ، وفى نص توراتهم انه كان ابن مائة سنة ، وهذا كذب لاخفاء به حاش لله من مثله

(فصل) وبعد ذلك ان الله تعالى قال لابراهيم : اعلم علما انه سيكون نسلك غريباً فى بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم اربعمائة سنة ، وايضا القوم الذين يعذبونهم يحكم لهم ، وبعد ذلك بشرح عظيم : وانت تسير لآبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة والجيل الرابع من البنين يرجعون الى هاهنا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل على قلته كذبتان فاحشتان شنيعتان منسوبتان الى الله تعالى وحاش لله من الكذب والخطأ ، فاحدهما قوله والجيل الرابع من البنين يرجعون الى هاهنا وهذا كذب لاخفاء به ، لان الجيل الاول من بنى ابراهيم عليه السلام هم اسحاق واخوته عليهم السلام ، والجيل الثاني هم يعقوب وعيصا (١) وبنو اعمامهما ، والجيل الثالث اولاد يعقوب لصلبه وهم روبان وشمعون ويهوذا ولاوى وساخار وزابلون ويوسف وبنيامين وداى وهباد وعاذ واشار واولاد عيصا ومن كان فى تعدادهما من سائر عقب ابراهيم. والجيل الرابع هم اولاد هؤلاء المذكورين وهم والجيل الثالث آباؤهم ويعقوب جدهم الداخلون مصر لا الخارجون منها بنص توراتهم واجماعهم كلهم بلاخلاف من احد منهم. وانما رجع الي الشام بنص توراتهم واجماعهم كلهم الجيل السادس من ابناء ابراهيم . وهم اولاد الجيل الرابع المذكور. وما رجع من الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحد الى الشام . وحاشى لله من ان يكذب فى خبره

(١) هو العيص بن اسحق عليه السلام وهو أخو يعقوب وهو الذى يذكره فيما يأتى باسم عيسو

علم الذات مطلقا على كونه عالما قادرا وليس الامر كذلك فعرف ان الاعتبارين مختلفان فلايخلو اما ان يرجع الاختلاف الى مجرد اللفظ او الى الصفة وبطل رجوعه الى اللفظ المجرد فان العقل يقضي باختلاف مفهومين معقولين لو قدر عدم الالفاظ رأسا ماارتاب فيما يصوره وبطل رجوعه الي الحال فان اثبات صفة لاتوصف بالوجود ولا بالعدم اثبات واسطة بين الوجود والعدم والاثبات والنفى وذلك محال فتعين الرجوع الى صفة قائمة بالذات وذلك مذهبه * على ان القاضى ابا بكر الباقلاني من اصحاب الاشعرى قد رد قوله فى اثبات الحال ونفيها ويقرر رأيه على الاثبات ومع ذلك اثبت الصفات معانى قائمة لا احوالا وقال الحال الذى اثبته ابوهاشم هو الذى يسميه صفة خصوصا اذ أثبت حالة اوجبت تلك الصفات * قال ابو الحسن البارى تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحياة مريد بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله فى البقاء اختلاف رأى قال وهذه صفات أزلية قائمة بذاته لايقال هى هو ولاغيره ولالاهو ولالاغيره والدليل على انه متكلم بكلام قديم ومريد بارادة قديمة قال قام الدليل على انه تعالى ملك والملك من له الامر والنهى فهو آمر ناه فلا يخلو اما ان يكون آمرا بامر قديم او بامر محدث فان كان محدثا فلايخلو اما ان يحدثه فى ذاته اوفى محل ولا فى محل يستحيل

ان يحدثه فى ذاته لانه يؤدي (١٠٠) الى ان يكون محلا للحوادث وذلك محال ويستحيل ان يكون فى محل

لانه يوجب ان يكون المحل به موصوفا ويستحيل ان يحدثه لا فى محل لان ذلك غير معقول فتعين انه قديم قائم به صفة له وكذلك التقسيم فى الارادة والسمع والبصر قال وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات المستحيل والجائز والواجب والموجود والمعدوم وقدرته واحدة تتعلق بجميع مايصح وجوده من الجائزات وارادته واحدة تتعلق بجميع مايقبل الصفات وكلامه واحد هو أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد وهذه الوجوه ترجع الى اعتبارات فى كلامه لا الى عدد فى نفس الكلام والعبارات اذ للالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء عليهم السلام دلالات على الكلام الازلى والدلالة مخلوقة محدثة والمدلول قديم ازلى والفرق بين القراءة والمقرإ والتلاوة والمتلو كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر محدث والمذكور قديم وخالف الاشعرى بهذا التدقيق جماعة من الحشوية اذ قضوا بكون الحروف والكلمات قديمة

والكلام عند الاشعرى معنى قائم بالنفس سوى العبارة بل العبارة دلالة عليه من الانسان فالمتكلم عنده من قام به الكلام وعند المعتزلة من فعل الكلام غير ان العبارة كلام اما بالمجاز واما باشتراك اللفظ قال وارادته واحدة قديمة

فان قيل انما تعد الاجيال من الجيل المعذب قلنا هذا خلاف نص توراتهم . لان نصها الجيل الرابع من الابناء . وايضاً فانه لم يعذب احد من اولاد يعقوب بل كانوا مبرورين وهم الجيل الثالث بنص توراتهم حرفاً حرفاً على مانورد بعد هذا ان شاء الله تعالى. فانما ابتدأ التعذيب فى ابناء يعقوب وهم الداخلون مع آبائهم وهم الجيل الرابع : فعد من حيث شئت لست تخرج من شرك الكذب الفاضح . وفى هذا كفاية . والكذبة الثانية طامة من الطامات. وهى قوله لابراهيم ان نسلك سيكون غريبا فى بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم اربعمائة سنة وبعد ذلك يخرجون . فهذه سوءة وعار الدهر. لانه اذا عذب الا ربعمائة سنة من وقت بدأ بتعذيب بنى اسرائيل بمصر . فانما ذلك بعد موت يوسف عليه السلام الى ان خرج بهم موسى عليه السلام نصاً . اذ فى سياق توراتهم . ولما مات يوسف وجمع اخوته وذلك الجيل كله كثر بنو اسرائيل وتكاثروا وتفوا فملكوا الارض وولى عند ذلك بمصر ملك جديد لم يعرف يوسف فقال لاهل مملكته ان بنى اسرائيل قد كثروا وصاروا اقوى منا فاذلوهم بيننا لئلا يزدادوا كثرة ويكونوا عونا لمن رام محاربتنا فقدم عليهم اصحاب صناعته لسخرتهم . هذا نص توراتهم شاهدة بما قلنا . وقد ذكر فى توراتهم اذ ذكر من دخل مع يعقوب من ولده وولد ولده وولد ولده ان قاهات بن لاوى بن يعقوب والد عمران بن قاهات وهو جد موسى عليه السلام. وكان ممن ولد بالشام ودخل مصر مع ابيه لاوي وجده يعقوب . وذكر فيها ايضا ان جميع عمر قاهات المذكور ابن لاوى كان مائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وان جميع عمر عمران بن قاهات المذكور كان مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة . وذكر فيها نصاً ان موسي عليه السلام كان اذ خرج ببنى اسرايل من مصر ابن ثمانين سنة هذا كله نص توراتهم حرفا بحرف باجماع منهم أولهم عن آخرهم فهبك ان قاهات كان اذ دخلها ابن أقل من شهر . وان عمران ولد له سنة موته . وان موسى ولد لعمران سنة موته . فالمجتمع من هذا العدد كله ثلاثمائة سنة وخمسون سنة . وهذه كانت مدتهم بمصر من يوم دخولها الى أن خرجوا عنها على هذا الحساب . فاين الاربعمائة سنة ؟ فكيف ولا بد أن يسقط سن قاهات اذ دخل مصر مع أبيه لاوى المدة التى كانت من ولادة عمران لقاهات الى موت قاهات والمدة التى كانت من ولادة موسى عليه السلام الى موت ابنه عمران . وفى كتب اليهود ان قاهات دخل مصر وله ثلاث سنين وانه كان اذ ولد له عمران ابن ستين سنة . وان عمران كان اذ ولد له موسى عليه السلام ابن ثمانين سنة . فعلى هذا لم يكن بقاء بنى اسرايل بمصر مذ دخلوها مع يعقوب الى أن خرجوا منها مع موسى الا مائتى عام وسبعة عشر عاما فاين الاربعمائة عام ؟ فكيف ولا بد أن يسقط من هذا العدد الاخير مدة حياة يوسف مذ دخل اخوته وأبوهم وبنوهم مصر الى أن مات يوسف عليه السلام . فطول هذا الامد لم يكونوا مستخدمين ولا معذبين ولا مستعبدين بل كانوا أعزاء مكرمين . وفى نص توراتهم ان يوسف عليه السلام كان اذ دخل على فرعون ابن ثلاثين سنة . ثم كانت سنو الخطب سبع سنين . وبدأت سنو الجوع ودخله يعقوب ونسله مصر بعد سنتين من سنى الجوع . فليوسف حينئذ تسع وثلاثون سنة . وفى نص توراتهم ان يوسف كان اذ مات ابن مائة سنة وعشر سنين . فصح ان مدتهم مذ دخلوا مصر الى أن مات يوسف عليه السلام

السلام كانت احدى وسبعين سنة فقط ولابد . فالباقي مائة سنة وست وأربعون سنة يسقط منها ولابد بنص توراتهم مدة بقاء من بقي من اخوة يوسف بعده . ولم نجد من ذلك الاعمر لاوي فقط فانه على نص التوراة كان يزيد على يوسف ثلاثة أعوام أو اربعة . فعاش بعد يوسف ثلاثة وعشرين عاما فقط ولابد من هذا العدد . فالباقي مائة سنة وثلاث وعشرون سنة . هذه مدة عذابهم واستخدامهم واستعبادهم على أبعد الاعداد وقد تكون أقل . فأين الاربعمائة سنة ؟ ولعل وقاح الوجه يقول : ما أعد ذلك الامن دخول يوسف مصر مستعبداً مستخدماً معذباً مسجونا فاعلم انه لايزيد على المائتي عام وسبعة عشر عاما التي ذكرنا قبل الا اثنين وعشرين عاما فقط . فذلك مائتا عام وتسعة وثلاثون عاما . فأين الاربعمائة سنة ؟ فظهر الكذب المفضوح الذى لايدرى كيف خفي عليهم جيلا بعد جيل . ورأيت لنذل منهم مقالة ظريفة . وهي انه ذكر هذه القصة وقال : انما ينبغي أن تعد هذه الاربعمائة سنة من حين خاطب الله عز وجل ابراهيم بهذا الكلام

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة فوقع في كنيف عذرة لانه جاهر بالباطل وتعجل الفضيحة ونسبة الكذب الى الله تعالى ، اذ نص ما حكوه عن الله تعالى انه قال لابراهيم : ان نسلك يستعبد أربعمائة سنة ، ولم يقل له قط من الآن الى انقضاء استخدامهم أربعمائة سنة ، وأيضا فان نص توراتهم ان الله تعالى انما قال هذا الكلام لابراهيم قبل ولادة اسماعيل هذا أيضا ، فكان ابراهيم حينئذ ابن أقل من ستة وثمانين عاما ثم عاش بعد ذلك أربعة عشر عاما وولد له اسحاق ، وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة ومات اسحاق وليعقوب مائة وعشرون سنة ، ودخل يعقوب مصر وله مائة وثلاثون سنة كل هذا نصوص توراتهم بلا اختلاف منهم ، ثم مات اسحاق قبل دخول يعقوب مصر بعشرة أعوام ، فمن حين ادعوا ان الله تعالى قال هذا الكلام لابراهيم الى دخول يعقوب مصر مائتا عام وأربعة أعوام ، ومن دخول يعقوب مصر الى خروج موسى عنها كما ذكرنا مائة عام وسبعة عشر عاما ، فحصلنا على أربعمائة عام وأربعة وعشرين عاما ، فلامنجا من الكذب اما بزيادة أو نقصان ، وحاش لله أن يكذب في حساب بدقيقة ، فكيف باعوام ؟ والله خالق الحساب ومعلمه عباده ، ومعاذ الله أن يكذب موسى عليه السلام أو يخطئ فيما أوحى الله تعالى اليه ، فوضح يقينا لكل من له أدنى فهم ، يقينا كما أن أمس قبل اليوم انها ليست من عند الله تعالى ولا من أخبار نبي ولا من تأليف عالم يتقي الكذب ، ولا من عمل من يحسن الحساب ولا يخطئ فيما لا يخطئ فيه صبي يحسن الجمع والطرح والقسمة والتسمية ، ولكنها بلا شك من عمل كافر مستخف ماجن سخر بهم وتطايب منهم وكتب لهم ماسخم (١) الله به وجوههم عاجلا في الدنيا بالفضيحة ، وآجلا في الآخرة بالنار والخلود فيها ، أو من عمل تيس ارعن تكلف املاء ما لم يقم بحفظه جاهل مع ذلك مظلم الجهل بالهيئة وصفة الارض وبالحساب ، وبالله تعالى وبرسله صلى الله عليهم وسلم ، فأملى ما خرج الى فمه من خبيث وطيب ، ولقد كان في هذا الفصل كفاية لمن نصح نفسه لو لم يكن غيره فكيف ومعه عجائب جمة ؟ ونحمد الله تعالى على نعمة الاسلام كثيرا

(١) سخم الله وجوههم أي رماها بالسخام بالضم وهو سواد القدر والفحم (مصححه)

ازلية متعلقة بجميع المرادات من افعاله الخاصة وافعال عباده من حيث انها مخلوقة لا من حيث انها مكتسبة لهم فمن هذا قال اراد الجميع خيرها وشرها ونفعها وضرها وكما اراد وعلم اراد من العباد ما علم وامر القلم حتى كتب في اللوح المحفوظ فذلك حكمه وقضاؤه وقدره الذي لايتغير ولايتبدل وخلاف المعلوم مقدور الجنس محال الوقوع وتكليف مالا يطاق جائز على مذهبه للعلة التي ذكرناو لان الاستطاعة عنده عرض والعرض لايبقى زمانين ففي حال التكليف لايكون المكلف قط قادرا ولان المكلف لن يقدر على احداث ما امر به فاما ان يجوز ذلك في حق من لاقدرة له اصلا على الفعل فمحال وان وجد ذلك منصوصاً عليه في كتابه * قال والعبد قادر على افعال العباد اذ الانسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين حركات الرعدة والرعشة وبين حركات الاختيار والارادة والتفرقة راجعة الى ان الحركات الاختيارية حاصلة بحيث ان القدرة تكون متوقفة على اختيار القادر فمن هذا قال المكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة والحاصل تحت القدرة الحادثة ثم على اصل ابى الحسن لاتأثير للقدرة الحادثة في الاحداث لان جهة الحدوث قضية واحدة لاتختلف بالنسبة الى الجوهر والعرض فلو أثرت في قضيه الحدوث لاثرت في قضية حدوث كل

(فصل) وبعد ذلك ذكر أن الله تعالى قال لابراهيم (لنسلك اعطى هذا البلد من نهر مصر النهر الكبير الى نهر الفرات) وهذا كذب وشهرة من الشهر، لانه ان كان عنى بنى إسرائيل وهكذا يزعمون فاملكوا قط من نهر مصر ولاعلى نحو عشرة ايام منه شبرا فما فوقه، وذلك من موقع النيل الى قرب بيت المقدس، وفى هذه المسافة الصحارى المشهورة الممتدة، والحضار ثم دفج وغزة وعسقلان وجبال الشراه التى لم تزل محاربهم طول مدة دولتهم، وتذيقهم الامرين الى انقضاء دولتهم، ولاملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه، بل بين آخر حوز بنى إسرائيل الى أقرب مكان من الفرات اليه نحو تسعين فرسخا فيها قنسرين وحمص التى لم يقربوا منها قط، ثم دمشق وصور وصيدا التى لم يزل اهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم باقرارهم ونصوص كتبهم، وحاش لله عز وجل أن يخلف وعده فى قدر دقيقة من سرابة، فكيف فى تسعين فرسخا فى الشمال ونحوها فى الجنوب، ثم قوله النهر الكبير ومافى بلادهم التى ملكوا نهر يذكر الا الاردن وحده، وماهو بكبير انما مسافة مجراه من بحيرة الاردن الى مسقطه فى البحيرة المنتنة نحو ستين ميلا فقط، فان قال قائل انما عنى الله بهذا الوعد بنى اسماعيل عليه السلام، قلنا وهذا ايضا خطأ، لان هذا القدر المذكور هاهنا من الارض أقل من جزء من مائة جزء مما ملك الله عز وجل بنى اسماعيل عليه السلام، وأين يقع مابين مصب النيل عند تنيس (١) وبين الفرات، ومن آخر الاندلس على ساحل البحر المحيط (٢) وبلاد البربر (٣) كذلك الى آخر السند وكابل (٤) مما يلى بلاد الهند، ومن ساحل اليمن الى ثغور ارمينيه واذربيجان فمابين ذلك، والحمد لله رب العالمين، فكيف وهذه الدعوى باطلة لان ذلك الكلام بعضه معطوف على بعض، فالموعودون بملك ذلك البلد هم المتوعدون بانهم يتملكون ويعذبون فى البلد الآخر، وقد أكرم الله تعالى بنى اسماعيل وصانهم عن ذلك، فوضح الكذب الفاحش فى الاخبار المذكورة، وصح انه ليس من عند الله عز وجل ولا من كلام نبى اصلا بل من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة، أو متلاعب بالدين وفاسد المعتقد، ونعوذ بالله من الخذلان

(فصل) ومنها ان الله تعالى قال لابراهيم: أنا الله الذى أخرجتك من اتون الكردانيين لاعطيك هذا البلد حورا فقال له ابراهيم يارب بماذا اعرف أنى أرث هذا البلد

(قال أبو محمد رضى الله عنه) حاشى لله ان يقول ابراهيم ﷺ لربه هذا الكلام فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل حتى طلب على ذلك برهانا، فان قال قائل جاهل ففى القرآن انه قال: رب أرنى كيف تحيي الموتى، وان زكريا قال لله تعالى اذ وعده بابن يسمى يحيي: رب اجعل لى آية، قلنا بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب أما طلب ابراهيم عليه السلام رؤية احياء الموتى فانما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له الى

(١) تنيس بكسر التاء وتشديد النون وياء ساكنة جزيرة تقع فى بحيرة المنزله غربى دمياط عند مصب دمياط (٢) المحيط الاطلسى (٣) مراكش (٤) كابل عاصمة أفغانستان الآن المتاخمة للهند والصين (المصحح)

يحدث حتى تصلح لاحداث الالوان والطعوم والروائح وتصلح لاحداث الجواهر والاجسام فيؤدى الى تجويز وقوع السماء على الارض بالقدرة الحادثة غير أن الله تعالى أجرى سنته بان يخلق عقيب القدرة الحادثة او تحتها ومعها الفعل الحاصل اذا اراده العبد وتجرد له ويسمى هذا الفعل كسبا فيكون خلقا من الله تعالى ابداعا واحداثا وكسبا من العبد مجعولا تحت قدرته والقاضى ابو بكر الباقلانى تخطى عن هذا القدر قليلا فقال الدليل قد قام على أن القدرة الحادثة لا تصلح للايجاد لكن ليست تقصر صفات الفعل او وجوده واعتباراته على جهة الحدوث فقط بل هاهنا وجوه أخر وراء الحدوث من كون الجوهر متحيزا قابلا للعرض ومن كون العرض عرضا ولونا وسوادا وغير ذلك وهذه احوال عند مثبتى الاحوال قال فجهة كون الفعل حاصلا بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة يسمى ذلك كسبا وذلك هو اثر القدرة الحادثة قال فاذا جاز على اصل المعتزلة ان يكون تأثير القدرة أو القادرية القديمة فى حال هو الحدوث والوجود او فى وجه من وجوه الفعل فلم لا يجوز ان يكون تأثير القدرة الحادثة فى حال هو صفة للحادث أو فى وجه من وجوه الفعل وهو كون الحركه مثلا على هيئة مخصوصة وذلك ان المفهوم من الحركة مطلقا ومن العرض مطلقا غير

رؤية

رؤية الكيفية فى ذلك فقط * بيان ذلك قوله تعالى له : أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ، فوضح ان ابراهيم لم يطلب ذلك برهانا على شك ازاله عن نفسه ، لكن ليرى الميتة فقط ، وأماز كريا عليه السلام فانما طلب آية تكون له عند الناس لئلا يكذبوه ، هذا نص كلامه ، والذى ذكروه عن ابراهيم عليه السلام كلام شاك يطلب برهانا يعرف به صحة وعد ربه له ، تعالى الله عن ذلك وحاشى لابراهيم منه

(فصل) وبعد ذلك قال : وتجلى الله لابراهيم عند بلوطات ممرأ وهو جالس عند باب الخباء عند حمي النهار ورفع عينيه ونظر فاذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الارض وقال ياسيدي ان كنت قد وجدت نعمة فى عينك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا ارجلكم واستندوا تحت الشجرة واقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون فمن اجل ذلك مررتم علي عبدكم فقالوا اصنع كما قلت فاسرع ابراهيم الى الخباء الى سارة وقال لها اصنعى ثلاث صيعان من دقيق سميذ اعجنيه واصنعى خبز ملة وحضر ابراهيم الى البقر وأخذ عجلا رخصا سمينا ودفعه للغلام واستعجل باصلاحه وأخذ سمنا ولبنا والعجل الذى صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال كلوا

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره ، فاول ذلك اخباره أن الله تعالى تجلى لابراهيم ، وانه رأى الثلاثة النفر فاسرع اليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية ، فان كان اولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة ، بل هو أشد من التثليث ، لانه اخبار بشخوص ثلاثة ، والنصارى يهربون من التشخيص ، وقد رأيت فى بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية فى اثبات التثليث وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة ، فان كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون ، فعليهم فى ذلك أيضا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه ، اولها : من المحال والكذب ان يخبر بان الله تعالى تجلى له وانما تجلى له ثلاثة من الملائكة ، وثانيها ان يخاطب اولئك الملائكة بخطاب الواحد ، وهذا مما يزيد فى ضلال النصارى فى هذا الفصل ، وهذا ايضا محال فى الخطاب ، وثالثها سجوده للملائكة ، فان من الباطل ان يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله ، فهذه كذبة ، وان قالوا بل لله سجد ، فهذه كذبة ولابد ، أو يكون الله عندهم الثلاثة المتجلون ، لابد من احداها ، وعادت البلية أشد ما كانت ، ورابعها خطابه لهم بأنه عبدهم ، فان كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلى له فقد عادت البلية ، وان كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاش لله ان يخاطب ابراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله ، مع ان من المحال ان يخاطب ثلاثة بخطاب واحد ، وخامسها قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل ارجلكم واقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم ، فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهى التى لاسوى لها ولا بقية بعدها والتى تملأ الفم ، وان كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب ، لان ابراهيم عليه السلام لا يجهل ان الملائكة لا تشتد قلوبهم باكل كسر الخبز ،

والمفهوم من القيام والقعود غيرهما حالتان متمايزتان فان كل قيام حركة وليس كل حركة قياما ومن المعلوم ان الانسان يفرق فرقا ضروريا بين قولنا اوجد وبين قولنا صلى وصام وقعد وقام وكما لايجوز ان يضاف الى البارى تعالى جهة مايضاف الى العبد فكذلك لايجوز ان يضاف الى العبد جهة مايضاف الى البارى تعالى فاثبت القاضى تأثيراً للقدرة الحادثة وأثرها هى الحالة الخاصة وهى جهة من جهات الفعل حصلت من تعلق القدرة الحادثة بالفعل وتلك الجهة هى المتعينة لان تكون مقابلة بالثواب والعقاب فان الوجود من حيث هو وجود لا يستحق عليه ثواب وعقاب خصوصا على اصل المعتزلة فان جهة الحسن والقبح هي التى تقابل بالجزاء والحسن والقبح صفتان ذاتيتان وراء الوجود فالموجود من حيث هو موجود ليس بحسن ولا قبيح قال فاذا جاز لكم اثبات صفتين هما حالتان جاز لى اثبات حالة هى متعلقة بالقدرة الحادثة ومن قال هى حالة مجهولة فبينا بقدر الامكان جهتها وعرفناها ايش هى ومثلناها كيف هى ثم ان امام الحرمين أبا المعالى الجوينى قدس الله روحه تخطى عن هذا البيان قليلا قال أما نفى القدرة والاستطاعة مما يأباه العقل والحس واما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه فهى كنفى القدرة اصلا واما اثبات تأثير

فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة ، فان قالوا ظنهم ناساً ، قلناهذا أكذب لان فى اول الخبر يخبر أن الله تجلى له ، وكيف يسجدابراهيم ويتعبد لخاطر (١) طريق ؟ حاش له من هذا الضلال ، وسادسها اخباره انهم أكلوا الخبزوالشوى (٢) والسمن واللبن ، وحاشى له ان يكون هذا خبراً عن الله تعالى لاولا عن الملائكة ، اين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به ؟ من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عزوجل فى هذه القصة نفسها : ولقدجاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فالبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا ارسلنا الى قوم لوط ، الآيات ، هيهات نور الحق من ظلمات الكذب ؟ والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وفيها ايضاًوجه سابع ليس كهذه الوجوه فى الشناعة وهو اقرارهم بان ابراهيم اطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً ، والربانيون منهم يحرمون هـذا اليوم ، فأقل مافيـه النسخ على ان يكون سلامته من اطم الدواهى ، والسلامـة والله منهم بعيدة

ـ﴿ فصل ﴾ـ ثم قال متصلا بهذاالفصل (وقالوا له اين سارة زوجتك فقال هاهى ذه فى الخباء قال سأرجع اليك مثل هذا الوقت من قابل ويكون لها ابن وسارة تسمع فى الخباء وهو وراءها وكان ابراهيم وسارة شيخين قدطعنا فى السن وانتهى لسارة ان لايكون لها عادة كالنساء فضحكت سارة فى نفسها قائلة أبعد ان نليت يصير لى ذا وسيدى شيخ قال الله لابراهيم لماذاضحكت سارة قائلة هل لى ان ألد وانا عجوز وهل يخفى عن الله امري فى هذا الوقت اذ قال عزمن قائل يكون لسارة ابن فجحدت سارة وقالت لم اضحك لانهاخافت وقال السيد ليس كاتقولين بل قدضحكت فقام القوم من ثم)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) عاد الخبر بين سارة وابراهيم وبين الله عزوجل وعاد الحديث الماضى ، ثم فى هذازيادة ان الله تعالى قال ان سارة ضحكت . وقالت سارة لم اضحك . فقال الله بلى قـد ضحكت . فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الاكفاء . وحاش لسارة الفاضلة المنباة من الله عزوجل بالبشارة من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول . وتكذب هى فى ذلك فتجحد مافعلت فتجمع بين سوءتين . احداها كبيرة من الكبائر قد نزه الله عز وجل الصالحين عنها . فكيف الانبياء ؟ والاخرى ادهى وامر وهى التى لايفعلها مؤمن ولو انه افسق اهل الارض لانها كفر ونعوذ بالله من الضلال

ـ﴿ فصل ﴾ـ وبعد ذلك وصف ان الملكين باتاعند لوط وا كلاعنده الخبز الفطير. وان لوطا سجدلهما على وجه الارض وتبدلهما . وقدمضى مثل هذاوانه كذب . وان الملائكة لا تأكل فطيراً ولا مختمراً . وان الانبياء عليهم السلام لايسجدون لغير الله تعالى ولايتعبدون لسواه.

ـ﴿ فصل ﴾ـ وذكر ان ابراهيم عليه السلام قال لله عزوجل اذ ذكر له هلاك قوم

لوط

(١) من قولهم خطر فى مشيته يخطر بالكسر خطرانا (٢) الشوى بتشديد الياء على فعيل كالشواء بالمد اسم لمايشوي من اللحم (لمصححه)

فى حالة لاتعقل كنفى التاثير خصوصا والاحوال علي اصلهم لاتوصف بالوجود والعدم فلابد اذا من نسبة فعل العبد الى قدرته حقيقة لاعلى وجه الاحداث والخلق فان الخلق يشعر باستقلال ايجاده من العدم والانسان كما يحس من نفسه الاقتدار يحس من نفسه ايضاعدم الاستقلال فالفعل يستند وجودا الى القدرة والقدرة تستند وجودا الى سبب آخر يكون نسبة القدرة الي ذلك السبب كنسبة الفعل الى القدرة وكذلك يستند سبب الى سبب حتى ينتهي الي مسبب الاسباب فهو الخـالق للاسباب ومسبباتها المستغنى على الاطلاق فان كل سبب مستغن من وجه محتاج من وجه والبارى تعالى هو الغنى المطلق الذى لاحاجة له ولافقر وهذا الرأى انمـا اخذه من الحكماء الالهيين وأبرزه فى معرض الكلام وليس يختص نسبة السبب الى المسبب على اصلهم بالفعل والقدرة بل كل مايوجد من الحوادث فذلك حكمه وحينئذ يلزم القـول بالطبع وتأثير الاجسام فى الاجسام ايجاداوتأثير الطبائع فى الطبائع احداثاً وليس ذلك مذهب الاسلاميين كيف ورأى المحققين من الحكماء ان الجسم لايؤثر فى ايجاد الجسم قالوا الجسم لايجوز ان يصدر عن جسم ولا عن قوة مافى جسم فان الجسم مركب من مادة وصورة فلواثر لاثر من جهتيه اعنى بمادته

لوط فى كلام كثير : انت معاذ من أن تصنع هذا الامر لاتقتل الصالح مع الطالح فانت معاذ ياحاكم جميع العالم من هذا ولم ينكر الله تعالى عليه هذا القول . وقال بعد ذلك ان الملكين قالا للوط انظر من لك هنا من صهر بنيك و بناتك وكل مالك فى القرية اخرجهم من هذا الموضع لأنا مهلكون هذا الموضع . وقال بعد ذلك ان لوطاً كلم اصحابه المتزوجين بناته . وقال لهم اخرجوا من هذا الموضع فان الله مهلكهم وانه صار عندهم كاللاعب . ثم قال بعد ذلك ان الملائكة أمسكوا بيد لوط و بيد زوجته وابنتيه لشفقة الله عليهم واخرجوهم خارج القرية . ثم ذكر هلاك القرية بكل مافيها

(قال ابو محمد رضى الله عنه) لاتخلوا أصهار لوط و بنوه و بناته الناكحات من أن يكونوا صالحين أو طالحين ، فان كانوا صالحين فقد هلكوا مع الطالحين ، و بطل عقد الله تعالى مع ابراهيم فى ذلك . وحاشى لله من هذا . وان كانوا طالحين فكيف تأمر الملائكة باخراج الطالحين وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم ، فلا بد من الكذب في احد الوجهين ، وبالجملة فاخبارهم معفونة جداً (فصل) و بعد ذلك قال : واقام لوط فى المغارة هو وابنتاه فقالت الكبرى للصغرى ابونا شيخ وليس فى الارض احد يأتينا كسبيل النساء تعالى نسق ابانا الخمر ونضاجعه ونستبق منه نسلا فسقتا اباهما خمراً فى تلك الليلة فاتت الكبرى فضاجعت اباها ولم يعلم بنومها ولا بقيامها فلما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى قد ضاجعت ابي امس تعالى نسقيه الخمر هذه الليلة وضاجعيه انت ونستبقى من ابينا نسلا فسقتاه تلك الليلة خمراً واتت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها وحملت ابنتا لوط من ابيهما فولدت الكبرى ابناً وسمته مواب وهو ابو الموابين الى اليوم وولدت الصغيرة ابناً سمته ابن عمى وهو ابو العمونيين الى اليوم ،وفى السفر الخامس من التوراة بزعمهم ان موسى قال لبنى اسرائيل ان الله تعالى قال لما انتهينا الى صحراء بنى مواب قال لي لاتحارب بنى مواب ولا تقاتلهم فاني لم اجعل لكم فيما تحت ايديهم سهما لانى قد ورثت بنى لوط رادوا) وجعلتها مسكنا لهم ، ثم ذكر ان موسى قال لهم ان الله تعالى قال له ايضاً انت تخلف اليوم حوز بنى مواب المدينة التى تدعى عاد وتنزل فى حوز بنى عمون فلا تحاربهم ولا تقاتل احداً منهم فاني لم اجعل لكم تحت ايديهم سهما لانهم من بنى لوط وقد ورثتهم تلك الارض

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الانبياء عليهم السلام ، فأولها ماذكر عن بنتى لوط عليه السلام من قولهما ليس احد فى الارض يأتينا كسبيل النساء تعالى نسق ابانا خمراً ونضاجعه ونستبق منه نسلا ، فهذا كلام احمق فى غاية الكذب والبرد . أترى كان انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق فى الارض أحد يضاجعهما ؟ ان هذا لعجب ، فكيف والموضع معروف الى اليوم ؟ ليس بين تلك المغارة التى كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه ، وبين قرية سكنى ابراهيم عليه السلام الا فرسخ واحد لايزيد وهو ثلاثة اميال فقط ، فهذه سوءة ، والثانية اطلاق الكذاب الواضع لهذه الخرافة لعنه الله هذه الطومة

وصورته والمادة لها طبيعة عدمية فلو اثرت لاثرت بمشاركة العدم والثاني محال فالمقدم اذا محال فنقيضه حق وهو ان الجسم وقوة مافى جسم لايجوز ان يؤثر فى جسم وتخطى من هو اشد تحققا واغوص تفكراً عن الجسم وقوة فى الجسم الي كل ما هو جائز بذاته فقال كل ماهو جائز بذاته لايجوز ان يحدث شيئاًما فانه لو احدث لاحدث بمشاركة الجواز والجواز له طبيعة عدمية فلو خلى الجائز وذاته كان عدماً فلو اثر الجواز بمشاركة العدم لادى الي ان يؤثر العدم في الوجود وذلك محال فاذا لايوجد علي الحقيقة الا واجب الوجود بذاته وما سواه من الاسباب معدات لقبول الوجود لامحدثات لحقيقة الوجود ولهذا شرح سنذكره فمن العجب ان مأخذ كلام الامام ابي المعالي اذا كان بهذه المثابة فكيف يمكن اضافة الفعل الى الاسباب حقيقة هذا ونعود الى كلام صاحب المقالة قال ابو الحسن الاشعرى اذا كان الخالق على الحقيقة هو البارى تعالى لايشاركه فى الخلق غيره فاخص وصفه تعالى هو القدرة علي الاختراع قال وهذا هو تفسير اسمه تعالى الله وقال ابو اسحاق الاسفرائيني اخص وصفه وهو كون يوجب تميزه علي الاكوان كلها وقال بعضهم نعلم يقينا ان مامن موجود الا ويتميزعن

على الله عز وجل من انه اطلق نبيه ورسوله ﷺ على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد اخرى ، فان قالوا لا ملامة عليه فى ذلك لانه فعل ذلك وهو سكران، وهو لا يعلم من هما ، قلنا فكيف عمل اذ رآهما حاملتين ؟ واذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة ؟ واذ رآهما تربيان اولاد الزنا . هذه فضائح الابد وتوليد الزنادقة المبالغين فى الاستخفاف بالله تعالى وبرسله عليهم السلام . والثالثة اطلاقهم على الله تعالى انه نسب اولاد ذينك الزنيين فرخى الزنا الى ولادة لوط عليه السلام . حتى ورثهما بلدين كما ورث بنى اسرائيل وبنى عيسو ابنى اسحاق سواء سواء تعالى الله عن هذا علوا كبيرا فان قالوا كان مباحا حينئذ قلنا فقد صح النسخ الذى تنكرونه بلا كلفة وقال قبل هذا ان ابراهيم اذ أمره الله تعالى بالمسير من حران الى ارض كنعان اخذ مع نفسه امرأته سارة وابن اخيه لوط بن هاران . وذكروا فى بعض توراتهم انه كلمته الملائكة وان الله تعالى ارسلهم اليه . فصح باقرارهم انه نبى الله عز وجل وهم يقولون انه بقى فى تلك المغارة شريداً طريداً فقيراً لا شئ له يرجع اليه . فكيف يدخل فى عقل من له اقل ايمان ان ابراهيم عليه السلام يترك ابن اخيه الذى تغرب معه وآمن به ثم تنبأ مثله يضيع ويسكن فى مغارة مع ابنتيه فقيراً هالكا . وهو على ثلاثة اميال منه . وابراهيم على ماذكر في التوراة عظيم المال مفرط الغنى كثير اليسار من الذهب والفضه والعبيد والاماء والجمال والبقر والغنم والحمير . ويقولون فى توراتهم انه ركب فى ثلاثمائة مقاتل وثمانية عشر مقاتلا لحرب الذين سبوا لوطا وماله حتى استنقذوه وماله ، فكيف يضيعه بعد ذلك هذا التضييع ؟ ليست هذه صفات الانبياء ولا كرامة ، ولا صفات من فيه شيء من الخير ، لكن صفات الكلاب الذين وضعوا لهم هذه الخرافات الباردة التى لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ضلوا بها ونعوذ بالله من الخذلان

(فصل) وفى موضعين من توراتهم المبدلة أن سارة امرأة ابراهيم عليه السلام أخذها فرعون ملك مصر ، وأخذها ملك الخلص أبومالك مرة ثانية ، وأن الله سبحانه وتعالى أرى الملكين فى منامهما ما اوجب ردها الى ابراهيم عليه السلام ، وذكر ان سن ابراهيم عليه السلام اذ انحدر من حران خمسة وسبعون عاما ، وان اسحاق ولد له وهو ابن مائة سنة ، ولسارة اذ ولد تسعون عاما ، فصح انه كان يزيد عليها عشر سنين ، وذكر ان ملك الخلص أخذها بعد أن ولدت اسحاق وهى عجوز مسنة باقرارها بلسانها اذ بشرت باسحاق ، فكيف بعد أن ولدته وقد جاوزت تسعين عاما ومن المحال أن تكون فى هذا السن تفتن ملكا ، وان ابراهيم قال فى كلتا المرتين هى أختى ، وذكر عن ابراهيم انه قال للملك هى اختى بنت أبى لكن ليست من امي فصارت لى زوجة ، فنسبوا فى نص توراتهم الى ابراهيم عليه السلام انه تزوج اخته ، وقد وقفت على هذا الكلام من بعض من شاهدناه منهم وهو اسماعيل بن يوسف الكاتب المعروف بابن النغرالى فقال لى أن نص اللفظة في التوراة اخت وهى لفظة تقع فى العبرانية على الاخت وعلى القريبة ، فقلت يمنع من صرف هذه اللفظة الى القريبة هاهنا قوله لكن ليست من امى وانما هى بنت أبي ، فوجب انه

أراد

غيره بامر ما والا فيقتضى ان تكون الموجودات كلها مشتركة متساوية والبارى تعالى موجود فيجب أن يتميز عن سائر الموجودات باخص وصف الا ان العقل لا ينتهى الى معرفة ذلك الاخص ولم يرد به سمع فيتوقف ثم هل يجوز ان يدركه العقل ففيه خلاف ايضا وهذا قريب من مذهب ضرار غير ان ضرارا اطلق لفظ الماهية وهو من حيث العبارة منكر ومن مذهب الاشعرى ان كل موجود فيصح ان يرى فان المصحح للرؤية انما هو الوجود والبارى تعالى موجود فيصح ان يري وقد ورد فى السمع أن المؤمنين يرونه فى الآخرة قال الله تعالي وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الى غير ذلك من الآيات والاخبار قال ولا يجوز ان يتعلق به الرؤية على جهة ومكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع اوعلى سبيل انطباع فان ذلك مستحيل وله قولان فى ماهية الرؤية احدهما انه علم مخصوص ويعنى بالخصوص أنه يتعلق بالوجود دون العدم والثاني انه ادراك وراء العلم لا يقتضى تأثيرا فى المدرك ولا تأثيرا عنه واثبت السمع والبصر للباري تعالى صفتين هما ادراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصه بكل واحد بشرط الوجود واثبت اليدين والوجه صفات خبرية فنقول ورد بذلك السمع فيجب الاقرار به كما ورد وصغوه الى طريقة السلف من ترك التعرض

أرادالاخت بنت الاب ، وأقل مافىهذا اثبات النسخ الذى تفرون منه تخلط ولم يأت بشىء

(فصل) ثم ذكر موت سارة وقال : تزوج ابراهيم عليه السلام امرأة اسمهاقطورة وولدت لهزمران ويقشان ومدان ومديان ويشبق وشوحا ، وأعطى ابراهيم جميع ماله لاسحاق وأعطى بنى الاماء عطايا وأبعدهم عن اسحاق

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا نص الكلام كله متتابعا مرتبا ، ولم يذكر لهزوجة فىحياة سارة ولا امة لها ولد الاهاجر ام اسماعيل عليه السلام ، ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولاامة ولاولدا غير قطورة وبنيها ، وفى كتبهم أن قطورة هذه بنت ملك الربذ وهو موضع عمان اليوم بقرب البلقاء ، وهذه أخبار يكذب بعضها بعضا

(فصل) ثم ذكر أن رفقة بنت بتوئيل بن تارخ زوجة اسحاق عليه السلام كانت عاقرا ، قال فشفعه الله وحملت وازدحم الولدان فى بطنها وقالت لوعلمت أن الامر هكذا كان يكون ماطلبته ، ومضت لتلتمس علما من الله عزوجل ، فقال لها الله فى بطنك امتان وحزبان يفترقان منه ، أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير . فلما كانت أيام الولادة اذا بتوءمين فى بطنها وخرج الاول أحمر كله كفروة من شعر فسمى عيسو(١) وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب عيسو فسماه يعقوب

(قال أبو محمد رضى الله عنه) لامؤنة على هؤلاء السفلة فى أن ينسبوا الكذب الى الله عز وجل . وحاش لله أن يكذب . ولاخلاف بينهم فى أن عيسو لم يخدم قط يعقوب وأن بنى عيسو لم تخدم قط بنى يعقوب . بل فى التوراة نصا أن يعقوب سجد على الارض سبع مرات لعيسو اذرآه . وان يعقوب لم يخاطب عيسو الا بالعبودية والتذلل المفرط وان جميع اولاد يعقوب حاشا بنيامين الذى لم يكن ولد بعد كلهم سجدوا لعيسو . وان يعقوب أهدى لعيسو مداراة له خمسمائة رأس وخمسين رأسا من ابل وبقر وحمير وضأن ومعز . وان يعقوب رآه امنة عظيمة اذ قبلها منه . وان بنى عيسو لم تزل أيديهم على اقفاء بنى إسرائيل من أول دولتهم الى انقطاعها . اما يتملكون عليهم أو يكونون على السواء معهم . وان بنى إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بنى عيسو . فاعجبوا لهذه الفضائح أيها المسلمون واحمدوا الله على السلامة مما ابتلى به غيركم من الضلال والعمى

(فصل) ثم ذكر ان اسحاق قال لابنه عيسو يابنى قد شخت ولاأعلم يوم موتى ، فاخرج وصد لى صيدا واصنع لى منه طعاما كما أحب . وائتنى به لآكله كى تباركك نفسى قبل أن أموت وان رفقة أم عيسو ويعقوب أمرت يعقوب ابنها أن يأخذ جديين وتصنع هى منهما طعاما . ويأتى يعقوب الى اسحاق أبيه ليأكله ويباركه عليه . وان يعقوب قال لأمه ان عيسو أخي أشعر وأنا أجرد لعل أبى أن يحسنى وأكون عنده كاللاعب وأجلب على نفسى لعنة لا بركة ، فقالت له أمه على استدفاع لعنتك ، وان يعقوب فعل ما أمرته به أمه . فأخذت هى ثياب عيسو ابنها الاكبر وألبستها يعقوب ، وجعلت جلود الجديين على يديه وعلى حلقه وأعطته الطعام . وجاء به الى

(١) هكذا فى التوراة الحالية وان كان المشهور فى كتب العرب العيص

مخالف للمعتزلة من كل وجه قال الايمان هو التصديق بالقلب واما القول باللسان والعمل على الاركان ففروعه فمن صدق بالقلب اي اقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاؤا به من عند الله تعالى بالقلب صح ايمانه حتى لو مات فى الحال كان مؤمنا ناجياً ولايخرج من الايمان الا بانكار شيء من ذلك وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه الى الله تعالى اما ان يغفرله برحمته واما ان يشفع فيه النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى واما ان يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولايجوز ان يخلد فى النار مع الكفار لما ورد به السمع من اخراج من كان فى قلبه ذرة من الايمان قال ولو تاب لاأقول بانه يجب على الله قبول توبته بحكم العقل اذ هو الموجب فلايجب عليه شيء بل ورد السمع بقبول توبة التائبين واجابة دعوة المضطرين وهو المالك فى خلقه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فلو ادخل الخلائق باجمعهم الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جورا اذ الظلم هو التصرف فيما لايملكه المتصرف او وضع الشيء فى غير موضعه وهو المالك المطلق فلا يتصور منه ظلم ولاينسب اليه جور قال والواجبات

أبيه فقال له ياأبي . فقال له اسحاق من أنت ياولدي قال يعقوب أنا ابنك عيسو بكرك صنعت جميع ماقلت لي فاجلس وتأ كل من صيدي لتبارك علي . وان اسحاق قال ليعقوب تقدم حتى أجسك يابني هل أنت ابني عيسو أم لا . فتقدم يعقوب فجسه اسحاق وقال الصوت صوت يعقوب واليدان يدا عيسو . وقال هل أنت هو ابني عيسو فقال أنا فبارك عليه وقال له في بركته تلك * تخدمك الامم وتخضع لك الشعوب وتكون مولى اخوتك وتسجدلك بنو أمك. ثم ذكر ان عيسو أتى بالصيد الى اسحاق . فلما عرف اسحاق القصة قال لعيسو عن يعقوب قد صيرته سلطانا وجعلت جميع اخوته عبيدا فرغب اليه عيسو في أن يباركه أيضاً ففعل . وقال في بركته هوذا بلادسم الارض يكون مسكنك و بلاندى السماء من فوق و بسيفك تعيش ولاخيك تستعبد ولكن يكون حينا تجمح انك تكسر نيره عن عنقك

(قال أبو محمد رضي الله عنه) وفي هذا الفصل فضائح وأ كذوبات وأشياء تشبه الخرافات (فأول) ذلك اطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام انه خدع أباه وغشه . وهذا مبعد عمن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والاعداء . فكيف من نبي مع أبيه نبي أيضا ؟ هذه سوآت مضاعفات . أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق في قول الله تعالى ؟ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم (وثانية) وهي اخبارهم ان بركة يعقوب انما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث. وحاش للانبياء عليهم السلام من هذا . ولعمري انها الطريقة اليهود فما تلقى منهم الا الخبيث المخادع الا الشاذ (وثالثة) وهي اخبارهم ان الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة ، وحاش لله من هذا (ورابعة) وهي التي لايشك أحد في أن اسحاق عليه السلام اذ بارك يعقوب اذ خدعه بزعم النذل الذي كتب لهم هذا الهوس انما قصد بتلك البركة عيسو . وله دعا لا ليعقوب ، فاي منفعة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل وما أشبه هذه القضية الاحمق الغالية من الرافضة القائلين ان الله تعالى بعث جبريل الى علي فاخطأ جبريل وأتى الى محمد وهكذا بارك اسحاق على عيسو فاخطأت البركة ومضت الى يعقوب فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية * وأما وجوه الكذب فكثيرة جدا من ذلك نسبتهم الكذب الى يعقوب عليه السلام وهو نبي الله تعالى ورسوله في أربعة مواضع (أولها) قوله لابيه اسحاق أنا ابنك عيسو بكرك فهذه كذبتان في نسق لانه لم يكن ابنه عيسو ولا كان بكره (وثالثة) قوله لابيه صنعت جميع ماقلت لي فاجلس وكل من صيدي فهذه كذبتان في نسق لانه لم يكن قال له شيئا ولا أطعمه من صيده وكذبات أخر وهي بطلان بركة اسحاق اذ قال له تخدمك الأمم وتخضع الشعوب وتكون مولى اخوتك ويسجد لك بنو أمك وقوله لعيسو ولاخيك تستعبد وهذه كذبات متواليات والله ماخدمت الامم قط يعقوب ولا بنيه بعده ولا خضعت لهم الشعوب ولا كانوا موالي اخوتهم ولا سجدلهم ولا له بنوا أمه بل بنوا بني اسرائيل خدموا الامم في كل بلدة وفي كل أمة وهم خضوا للشعوب قديماً وحديثاً في أيام دولتهم وبعدها فان قالوا سيكون هذا قلنا لهم

قد حصلتم على الصغار يقينا والاماني بضائع السخفاء

هيهات :

وبالسمع تجب قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكذلك شكر المنعم واثابة المطيع وعقاب العاصي يجب بالسمع دون العقل لايجب على الله تعالى شيء ما بالعقل لاالصلاح ولا الاصلح ولا اللطف وكل مايقتضيه العقل من الحكمة الموجبة فيقتضي نقيضه من وجه آخر واصل التكليف لم يكن واجبا على الله تعالى اذ لم يرجع اليه نفع ولا اندفع به عنه ضر وهو قادر على مجازاة العبيد ثوابا وعقابا وقادر على الافضال عليهم ابتداء تكرما وتفضلا والثواب والتفضل والنعيم واللطف كله منه فضل والعقاب والعذاب كله عدل لايسئل عما يفعل وهم يسئلون وانبعاث الرسل من القضايا الجائزة لا الواجبة ولا المستحيلة ولكن بعد الانبعاث تأييدهم بالمعجزات وعصمتهم من الموبقات من جملة الواجبات اذ لابد من طريق للمستمع يسلكه فيعرف به صدق المدعي ولابد من ازاحة العلل فلايقع في التكليف تناقض والمعجزة فعل خارق للعادة مقترن بالتحدي سليم عن المعارضة فينزل منزلة التصديق بالقول من حيث القرينة وهو منقسم الى خرق المعتاد والى اثبات غير المعتاد والكرامات للاولياء حق وهي من وجه تصديق للانبياء وتأ كيد للمعجزات والايمان والطاعة بتوفيق

ترجى ربيع أن تستحيا صغارها * بخير وقد أعيا ربيعا كبارها

لاسيما مع تفضي جميع الآماد التي كانوا ينبئون بانها لاتنقضي حتى يرجع امرهم ، واعلموا ان كل أمة أدبرت فانهم ينتظرون من العودة ويمنون انفسهم من الرجعة بمثل ماتمنى به بنو اسراءيل انفسها ، ويذكرون في ذلك مواعيد كمواعيدهم ، فأمل كأمل ولافرق ، كانتظار مجوس الفرس بهزامهماوندراكب البقرة ، وانتظار الروافض للمهدى ، وانتظار النصارى الذين ينتظرون في السحاب ، وانتظار الصائبين أيضاً لقصة أخرى وانتظار غيرهم للسفياني

تمن يلذ المستهام بمثله * وان كان لايغنى فتيلا ولايجدى

وغيظ على الايام كالنار في الحشا * ولكنه غيظ الأسير على القد

واما قوله تكون مولى اخوتك ويسجد لك بنو أمك فلعمرى لقد صح ضد ذلك جهارا ، اذ في توراتهم ان يعقوب كان راعى ابن عمه لابان ابن ناحور بن لامك وخادمه عشرين سنة ، وانه بعد ذلك سجد هو وجميع ولده حاشا من لم يكن خلق منهم بعد لاخيه عيسو مراراً كثيرة ، وماسجد عيسو قط ليعقوب ، ولاملك قط احد من بني يعقوب بني عيسو ، وان يعقوب تعبد لعيسو في جميع خطابه له ، وما تعبد قط عيسو ليعقوب وسأله عيسو عن أولاده فقال له يعقوب هم اصاغر من الله بهم على عبدك ، وان يعقوب طلب رضاء عيسو وقال له : (انى نظرت الى وجهك كمن نظر الى بهجة الله فارض عنى واقبل ماهديت اليك) وان عيسو الحر اقبل هدية يعقوب حينئذ . فانرى عيسو وبنيه الاموالى يعقوب وبنيه . وكذلك ملك بنو عيسو باقرار توراتهم ميراثهم لساعير . وهي جبال الشراة وبنو لوط ميراثهم بمواب وعمان قبل أن يملك بنو اسراءيل ميراثهم بفلسطين والاردن بدهر طويل . ثم لم يزالوا يتغلبون على بنى اسراءيل أو يساوونهم طول دولة بنى اسراءيل باقرار كتبهم وماملك بنو اسراءيل قط بنى عيسو ولا بنى لوط ولا بنى اسماعيل باقرارهم . ولقد بقى بنو عيسو وبنو لوط باقرار كتبهم في ميراثهم بساعير ومواب وعمان بعد هلاك دولة بنى اسراءيل وأخرجهم عن ميراثهم ثم ملكهم بنو اسماعيل الى اليوم . فما نرى تلك البركة كانت الا معكوسة . ونعوذ بالله من الخذلان . ولكن حق البركة المسروقة المأخوذة بالخبث في زعمهم ان تخرج معكوسة منكوسة

(فصل) ثم ذكر ان يعقوب اذ مضى الى خاله لابان بن بثوال خطب اليه ابنته راحيل . وقال له أخدمك سبع سنين في راحيل ابنتك الصغرى . فقال له لابان (أعطيك اياها أحسن من أن أعطيها رجلاً آخر اقم عندى) وخدم يعقوب في راحيل سبع سنين . وصارت عنده أياما يسيرة في محبته لها . وقال يعقوب للابان اعطني زوجتي اذ قد كملت أيامي فادخل بها ، وجمع لابان جميع أهل الموضع وصنع وليمة ، فلما كان بالعشى أخذ ليئة (١) ابنته وزفها اليه ودخل بها ، فلما كان بالغد ورأى أنها ليئة قال للابان ماذا صنعت اليس في راحيل خدمتك

(١) المشهور في كتب التاريخ (ليا)

الله تعالى والكفر والمعصية بخذلانه والتوفيق عنده خلق القدرة على الطاعة والخذلان خلق القدرة على المعصية وعند بعض اصحابه تيسير اسباب الخير هو التوفيق وبضده الخذلان وماورد به السمع من الاخبار عن الامور الغائبة مثل القلم واللوح والعرش والكرسى والجنة والنار فيجب اجراؤها على ظاهرها والايمان بها كما جاءت اذ لا استحالة في اثباتها وماورد من الاخبار عن الامور المستقبلة في الآخرة مثل سؤال القبر والثواب والعقاب فيه ومثل الميزان والحساب والصراط وانقسام الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير حق يجب الاعتراف به واجراؤها على ظاهرها اذ لااستحالة في وجودها والقرآن عنده معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة اذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة فاختاروا اشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة ومن اصحابه من اعتقد ان الاعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعى وهو المنع من المعتاد ومن جهة الاخبار عن الغيب وقال الامامة تثبت بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين اذ لو كان نص ثم لما خفى والدواعى تتوفر على نقله واتفقوا في سقيفة بنى ساعدة على ابى بكر رضى الله عنه ثم اتفقوا على عمر بعد تعيين ابى بكر رضى الله عنه واتفقوا بعد الشورى على عثمان رضى الله عنه واتفقوا بعده على على رضى الله عنه وهم مترتبون

فلم خدعتنى ؟ فقال لابان لانصنع هكذا فى موضعنا أن نزوج الصغري قبل الكبرى أكمل اسبوع هذه واعطيك ايضا هذه بخدمة تخدمها سبع سنين أخرى ، وصنع يعقوب كذلك وأكمل اسبوع ليئة وأعطى راحيل ابنته لتكون له زوجة

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل (١) آبدة الدهر ، وهى اقرارهم أن يعقوب عليه السلام تزوج راحيل فادخلت عليه غيرها ، فحصلت ليئة الى جنبه بلا نكاح وولد لها منه ستة ذكور وابنة ، وهذا هو الزنا بعينه أخذ امرأة لم يتزوجها بخديعة وقد أعاذ الله نبيه من هذه السوءة ، واعاذ أنبياءه عليهم السلام موسي وهارون وداود وسليمان من أن يكونوا من مثل هذه الولادة ، وهذا يشهد ضرورة انها من توليد زنديق متلاعب بالديانات * فان قالوا لابد انه قد تزوجها اذ علم انها ليست التى تزوج * قلنا فهل أن نسمح لكم بهذا فالنسخ ثابت ولابد ، لان نكاح اختين معا حرام فى توراتكم ، وقد قال لى بعضهم فى هذا لم تكن الشرائع نازلة من الله تعالى قبل موسى ، فقلت هذا كذب أليس فى نص توراتكم ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام (كل دبيب حى يكون لكم أكله كخضراء العشب اعطيتكم لكن اللحم بدمه لاتأكلوه وأما دماؤكم فى انفسكم فسأطلبها) فهذه شريعة اباحة وتحريم قبل موسى عليه السلام

(فصل) وبعد ذلك ذكر أن يعقوب رجع من عند خاله لابان بنسائه واولاده قال : ولما أصبح أجاز امرأتيه وجاريته وأحد عشر من ولده المخاضة ، وبقى وحده وصارعه رجل الى الصبح فلما عجز عنه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال له خلنى لانه قد طلع الفجر ، قال لست ادعك حتى تبارك علي ، فقال له كيف اسمك ؟ قال يعقوب ، قال له لست تدعى من اليوم يعقوب بل إسرائيل من أجل انك كنت قويا علي الله . فكيف علي الناس ؟ فقال له يعقوب عرفنى باسمك ، فقال له لم تسألنى عن اسمى ؟ وبارك عليه فى ذلك الموضع فسمى يعقوب ذلك الموضع فنيئيل ، وقال رأيت الله تعالى مواجهة وسلمت نفسى وبزغت له الشمس بعد أن جاوز فنيئيل وهو يعرج من رجله ، ولهذا لايأكل بنو إسرائيل العقب الذى علي حق الفخذ الى اليوم لانه ضرب حق فخذ يعقوب لمس الله وانقباضه

(قال أبو محمد) فى هذا الفصل شنعة عفت علي كل ماسلف يقشعر منها جلود أهل العقول ، وبالله العظيم لولا ان الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم (يد الله مغلولة) وبقولهم (ان الله فقير ونحن اغنياء) لما نطقت السنتنا بحكاية هذه العظائم . لكنا نحكيه منكرين له . كما نتلوه فيما نصه عز وجل لنا تحذيرا من افكهم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ذكر فى هذا المكان أن يعقوب صارع الله عز وجل تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه . فكيف عن لعب الصراع الذي لايفعله الا أهل البطالة ؟ واما أهل العقول فلايفعلونه لغير ضرورة . ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا

(١) الآبدة الداهية تبقى على الابد والفعلة الغريبة اه مصححه

وقال لانقول في عائشة وطلحة والزبير الا انهم رجعوا عن الخطأ وطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ولا نقول فى معاوية وعمرو ابن العاص الا انهما بغيا على الامام الحق فقاتلهم علي مقاتلة اهل البغي واما اهل النهر فهم الشراة المارقون عن الدين بخبر النبي ﷺ ولقد كان علي عليه السلام على الحق فى جميع احواله يدور الحق معه حيث دار (المشبهة) ان السلف من اصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة فى علم الله ومخالفة السنة التى عهدوها من الائمة الراشدين ونصرهم جماعة من بنى امية علي قولهم بالقدر وجماعة من خلفاء بنى العباس على قولهم بنفى الصفات وخلق القرآن تحيروا فى تقرير مذهب اهل السنة والجماعة فى متشابهات آيات الكتاب وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم فأما احمد بن حنبل وداود بن علي الاصفهانى وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من اصحاب الحديث مثل مالك بن انس ومقاتل بن سليمان وسلكوا طريق السلامة فقالوا نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة ولانتعرض للتاويل بعد ان نعلم قطعا ان الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات أن
وان كل ماتمثل فى الوهم فانه خالقه ومقدره وكانوا يحترزون عن التشبيه الى غاية أن قالوا من حرك يده عند قراءته

ان الله عز وجل عجز عن ان يصرع يعقوب بنص كلام توراتهم . وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى انه قال (كنت قويا على الله تعالى فكيف على الناس) ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية انه لذلك سماه إسرائيل . وإيل بلغتهم هو اسم الله تعالى بلاشك ولاخلاف فمعناه اسر الله تذكيرا بذلك الضبط الذى كان بعد المصارعة . اذ قال له دعنى . فقال له يعقوب لاأدعك حتى تبارك على . ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال فى كل محفل . فثبتوا على أن نص التوراة ان يعقوب صارع الوهيم . وقال أن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك فانما صارع ملكا من الملائكة . فقلت لهم سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة أن فيه (كنت قويا على الله فكيف على الناس) وفيه أن يعقوب قال (رأيت الله مواجهة وسلمت نفسي) ولايمكن البتة ان يعجب من سلامة نفسه اذ رأى الملك ولا يبلغ من مس الملك (١) لمانص يعقوب أن يحرم على بنى إسرائيل اكل عروق الفخذ فى الابد من أجل ذلك . وفيه انه سمى الموضع بذلك فنيئيل لانه قابل فيه إيل وهو الله عزوجل بلا احتمال عندكم . ثم لوكان ملكا كما تدعون عند المناظرة لكان أيضا من الخطاء تصارع نبى وملك لغير معنى . فهذه صفة المتحدين فى العنصر لاصفة الملائكة والانبياء . فان قيل قد رويتم ان نبيكم صارع ركانة بن عبد يزيد . قلنا نعم . لان ركانة كان من القوة بحيث لايجد أحدا يقاومه فى جزيرة العرب . ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفا بالقوة الزائدة فدعاه الى الاسلام فقال له ان صرعتنى آمنت بك ورأى ان هذا من المعجزات فامره عليه السلام بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت واسلم ركانة بعد مدة فبين الامرين فرق كما بين العقل والحق ولكل مقام مقال ولكن اذا اكل الملائكة عندكم كسور الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشاى واللبن والسمن والفطائر فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس فى الطرقات وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بان توراتهم مبدلة

(فصل) وفي الفصل المذكور ان الله تعالى قال ليعقوب (لست تدعى من اليوم يعقوب لكن اسرائيل) ثم في السفر الثانى من توراتهم ، قال الله تعالى : قل لآل يعقوب وعرف بنى اسرائيل فقد سماه بعد ذلك يعقوب ، وهذه نسبة الكذب الى الله تعالى

(فصل) ثم قال وبينا اسرائيل بذلك الموضع ضاجع رأوبين ابن لينة سرية ابيه بلهة وهى أم دان ونفتالى وهما اخواه وابنا يعقوب ، ثم اكد هذا بان ذكر فى قرب اخر السفر الاول ذكر موت يعقوب عليه السلام ومخاطبته لبنيه ابناً ابناً وأن يعقوب قال لرؤابين ابنه (انك صعدت على سرير ابيك ووسخت فراشه وليس مما ابتذلت فراشى تخلص) بعد ان ذكر فى توراتهم ان شكيم بن حمور الحوى اخذ دينة بنت يعقوب عليه السلام واضطجع معها وأذلها ، ثم بعد ذلك خطبها الى يعقوب ابيها ، الى ان ذكر قتل لاوى وشمعون لحمور وشكيم ابنه وجميع اهل مدينته وانكار يعقوب على ابنيه فتاهما لهم (قال ابو محمد رضى الله عنه) معاذ الله ان يخذل الله نبيه ولا يعصمه فى حرمة امرأته وابنته من هذه الفضائح ، ثم لاينكر ذلك باكثر من التعزير الضعيف فقط

(١) فى الكلام نقص ظاهر فليحرر

خلقت بيدى او اشار باصبعه عند روايته قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وجب قطع يده وقلع اصبعه وقالوا انما توقفنا فى تفسير الآية وتاويلها لامرين (احدهما) المنع الوارد فى التنزيل فى قوله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فنحن نحترز من الزيغ (والثانى) ان التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول فى صفات البارى تعالى بالظن غير جائز فربما اولنا الآية على غير مراد البارى تعالى فوقعنا فى الزيغ بل نقول كما قال الراسخون فى العلم كل من عند ربنا آمنا بظاهره وصدقنا بباطنه ووكلنا علمه الى الله تعالى ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك اذ ليس من شرائط الايمان واركانه واحتاط بعضهما كثر احتياط حتى لم يفسر اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك بل ان احتاج فى ذكرها الى عبارة عبر عنها بما ورد لفظاً بلفظ فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه فى شىء غير ان جماعة من الشيعة الغالية وجماعة من اصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل المشاميين من الشيعة ومثل نصر وكهمش واحمد الهجيمى وغيرهم من اهل الشيعة قالوا معبودهم صورة ذات اعضاء وابعاض اما

(فصــل) وبعد ذلك قال : (واولاد يعقوب اثنا عشر فاولاد ليئة رؤابين (١) بكر يعقوب وشمعون ولاوى ويهوذا ويساخر وزبولون وابناء راحيل يوسف وبنيامين وابنا بلهة امة راحيــل دان ونفتالى وابنا زلفة امة لِيئة جادا واشير (٢) هولاء بنو يعقوب الذين ولدوا له بفدان ارام)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا كذب ظاهر ، لانه ذكر قبل ان بنيــامين لم يولد ليعقوب الا باقراشا بقرب بيت لحم علي اربعة اميال من بيت المقدس بعد رحيله من فدان ارام بدهر ، والله تعالى لا يتعمد الكذب ولا ينسى هذا النسيان

(فصل) وبعد ذلك قال (وكان اسرائيل يحب يوسف لانه كان ولدله فى شيخوخته)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذه العلة توجب محبة بنيــامين لانه ولد له بعد يوسف بازيد من ست سنين بنص توراتهم ، وتوجب مشاركة يساكر وزبولون فى المحبة ليوسف لانه ذكر قبل هذا ان يعقوب قال للابان خاله (خدمتك عشرين سنة من ذلك اربع عشرة سنة لابنتيك وست سنين لادواتك) وذكر ان بعد سنين اعطاه ليئة وبعد سبعة ايام اعطاه راحيل لم يكن بينهما الا سبعة ايام وهو اسبوع ليئة فقط ، وان ليئة ولدت له روابين ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا ثم قعدت عن الولد ، وان راحيل اعطت بعد ذلك يعقوب امتها بلهة فتزوجها فولدت له دانا ثم نفتالى ، ثم اعطت ليئة امتها زلفة ليعقوب فتزوجها فولدت له جادا ثم أشير ، ثم اطلقت له راحيل مماسة ليئة فى لقاح اخذتها منها فولدت له راحيــل يوسف ، ثم بعد ولادة يوسف ابتدأ يعقوب بمعاملة خاله لابان على اجرة ذكرها لرعاية غنمه فرعاها له ست سنين ، هذا كله نص توراتهم ، فصح ان يوسف كان له عنــد تمام الست سنين ست سنين فقط بلاشك ، وان جميع اولاد يعقوب حاشا بنيامين فانما ولدوا ولا بد فى السبع سنين التى كانت قبل الست سنين المذكورة بلاشك ، والاولاد سبعة ففى كل عشرة اشهر ولدت ولدا لا يمكن اقل من هذا ، فلاشك فى ان زابولون لا يزيد علي يوسف الاسنة واحدة فقط ، ولا يزيد عليه يساكر الا سنتين فقط ، واقل هذا على ان تلغى المدة التى ذكرنا ان ليئة قعدت فيها عن الولد والمدة التى اعتزلها فيها يعقوب ولابد ان لها مقداراً ما ، فعلى هذا فزابلون ويوسف ولدا معا ، والمدة تضيق عن هذه القسمة ففى هذا الخبر كذب مقطوع به ضرورة ولابد ، ولا يجوز قليل الكذب ولا كثيره على الله تعالى ولا على نبى من الانبياء . فصح انها مفتعلة مبدلة ولو كان لهذا الخبر وجه وان غمض ومخرج وان بعد او امكنت فيه حيلة او ساغ فيه تأويل ماذكرناه ونسأل الله العافية . وفى توراتهم عند ذكر اولاد عيسو خبال شديد وتخليط فى الاسماء والوالدات . الا انه ربما خرج على وجوه بعيدة ضعيفة فلم نعتن بايراده لذلك . ولكن نبهنا عليه فالاظهر الاغلب فيه الـكذب وانه ايراد جاهل بتلك القضية بلاشك

(١) وفى بعض كتب التاريخ روبيل (٢) هو اشار بعينه المتقدم ذكره الا ان الفه لما كانت مهالة فى اللغة العبرية فتارة يكتبه بالالف وتارة يكتبه بالياء كما هنا (لمصححه)

روحانية او جسمانية يجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكين فاما مشبهة الشيعة فستأتى مقالاتهم فى باب الغلاة واما مشبهة الحشوية فذكر الاشعرى عن محمد ابن عيسي انه حكى عن نصر وكهمش واحمد المجيمى انهم اجازوا علي ربهم الملامسة والمصافحة وان المخلصين من المسلمين يعاينونه فى الدنيا والآخرة اذا بلغوا من الرياضة والاجتهاد الى حد الاخلاص والاتحاد المحض (وحكى الكعبى) عن بعضهم انه كان يجوز الرؤية فى الدنيا يزوروه ويزورهم وحكى عن داود الجواربي انه قال اعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك وقال ان معبــودهم جسم ولحم ودم وله جوارح واعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين واذنين ومع ذلك جسم لا كالاجسام ولحم لا كاللحوم ودم لا كالدماء وكذلك سائر الصفات وهو لا يشبــه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شئ وحكى انه قال هو اجوف من اعلاه الى صدره مصمت ماسوى ذلك وان له وفرة سوداء وله شعر قطط واما ماورد فى التنزيل من الاستواء والوجه واليدين والجنب والمجىء والاتيان والفوقية وغير ذلك فاجروها على ظاهرها اعنى مايفهم عند الاطلاق على الاجسام وكذلك ماورد فى الاخبار من الصورة فى قوله عليه السلام * خلق آدم علي صورة الرحمن *

فصل

فصل — ثم ذكر بيع اخوة يوسف ليوسف، وان اخوته كانوا مجتمعين حينئذ يرعون أذوادهم، ثم قال وفى ذلك الزمان اعتزل يهوذا عن إخوته وكان مع رجل من اهل عدلام يدعى اسمه حيرة، فبصر فى ذلك الموضع بابنة رجل كنعانى اسمه شوع فتزوجها وضاجعها فحملت وولدت ولدا اسمه عيرا، ثم حملت ووضعت ثانياً وسماه اونان، ثم حملت ووضعت وسمته شيلة، ثم أمسكت عن الولد فزوج يهوذا عيرا بكر ولده امرأة وكان عيرا بكر يهوذا مذنباً بين يدى السيد، ولذلك قتل. فقال يهوذا لابنه أونان، أدخل الى امرأة اخيك وضاجعها لتحيي نسله، فلما علم انه لا ينسب اليه من ولد له منها دخل الى امرأة اخيه وكان يعزل عنها لئلا يولد لاخيه منه، ولذلك اهلكه السيد للفاحشة التى اطلع عليها منه، فعند ذلك قال يهوذا لثامار كنته (١) كونى أرملة فى بيت ابيك الى ان يكبر ابنى شيلة، وكان يتوقع ان يصيبه من الموت ما اصاب اخاه ان ضاجعها، فسكنت فى بيت ابيها وبعد ايام كثيرة توفيت بنت شوع امرأة يهوذا فتصبر يهوذا وتسلى عنه حزنها وتوجه الى جزاز أغنامه مع حيرة صديقه العدلامي الى تمنة، وقيل لثامار ان ختنك (٢) صاعد الى تمنة ليجز أغنامه، فالقت عن نفسها ثياب الارامل وتقنعت وقعدت فى مجمع الطرق المسلوكة الى تمنة، فملت ذلك مذ كبر شيلة ولم تزوج منه، فلما رآها يهوذا ظنها زانية وكانت غطت وجهها لئلا تعرف فال اليها وقال ائذنى لى فى مضاجعتك وكان يجهل انها كنته. فقالت له، ماذا تعطينى ان امكنتك من مضاجعتى ؟ قال لها ابعث اليك جديا من الغنم، فقالت نعم ان اعطيتنى رهنا الى ان تبعث ما وعدت، فقال لها يهوذا وما ارهنه لك. قالت ارهن لى خاتمك وحزامك والعصا التى بيدك، فحبلت من مضاجعة واحدة، ثم انطلقت والقت الشكل التى كانت فيه وعادت الى شكل الارامل، وبعث يهوذا الجدى مع صديقه العدلامى ليأخذ من المرأة الرهن الذى وضعه عندها، فسال عنها اذلم يجدها من سكان ذلك الموضع فقال اين المرأة القاعدة فى مجمع الطرق؟ فقالوا له لم تكن فى هذا الموضع زانية فانصرف الى يهوذا فقال له: لم اجدها وقال لى سكان ذلك الموضع لم تكن ههنا زانية، فقال له يهوذا تأخذ ما عندها مخافة ان تكون ضحكة فانى قد ارسلت الجدى اليها وانت تقول لم اجدها، وبعد ثلاثة اشهر قيل ليهوذا: ان كنتك ثامار قد زنت وقد بدا بطنها يظهر، فقال يهوذا اخرجوها لتحرق، فلما اخرجت بعثت الى يهوذا. انما حبلت من الذى له هذا. فاعرف هذا الخاتم والزنار والعصا، فلما عرف قال هى أعدل منى اذ منعتها شيلة ولدى، ولم يضاجعها بعد ذلك فلما ادركتها الولادة ظهر فيها توأمان ففى وقت خروجها بدر احدهما واخرج يده فربطت القابلة فى يده خيطا ارجوانا وقالت هذا يخرج اولا. فادخل يده الى نفسه واخرج الولد الآخر. فقالت له القابلة لم افترصت (٣) اخاك فسمى فارصا وبعده خرج الذى ربط فى

(١) الكنة بفتح الكاف وتشديد النون امرأة الابن (٢) والختن المراد به هنا الصهر وهو يهوذا ابو زوجها المتوفى. واطلاق الختن الشائع انما هو على زوج الابن اه مصححه
(٣) اى لم أخرت نو بتك فى الولادة عن اخيك وجعلته يسبق الى فرصة اي نوبة الخروج من بطن امه قبلك لمصححه

خمرطينة آدم بيده اربعين صباحاً * وقوله وضع يده او كفه على كتفى * وقوله حتى وجدت برد انامله فى صدرى الى غير ذلك اجروها على مايتعارف فى صفات الاجسام وزادوا فى الاخبار اكاذيب وضعوها ونسبوها الى النبى عليه الصلاة والسلام واكثرها مقتبسة من اليهود فان التشبيه فيهم طباع حتى قالوا اشتكت عيناه فعادته الملائكة وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وان العرش ليئط من تحته كاطيط الرحل الجديد وانه ليفضل من كل جانب اربعة اصابع وروي المشبهة عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال لقينى ربي فصافحنى وكافحنى ووضع يده بين كتفى حتى وجدت برد انامله وزادوا على التشبيه قولهم فى القرآن ان الحروف والاصوات والرقوم المكتوبة قديمة ازلية وقالوا لا يعقل كلام ليس بحرف ولا كلمة واستدلوا فيه باخبار (منها) ماروى عن النبى عليه الصلاة والسلام ينادى الله تعالى يوم القيامة بصوت يسمعه الاولون والآخرون ورووا ان موسي عليه السلام كان يسمع كلام الله كجر السلاسل وقالوا اجمعت السلف على ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال هو مخلوق فهو كافر بالله

وافقونا على ان هذا الذى فى ايدينا كلام الله وخالفونا فى القدم وهم محجوجون ايضا باجماع الامة واما الاشعرية فوافقونا على ان القرآن قديم وخالفونا فى ان الذى فى ايدينا ليس فى الحقيقة كلام الله وهم محجوجون ايضاً باجماع الامة ان المشار اليه هو كلام الله فاما اثبات كلام هو صفة قائمة بذات البارى تعالى لانبصرها ولا نكتبها ولا تقرأها ولا نسمعها فهو مخالفة الاجماع من كل وجه فنحن نعتقد ان ما بين الدفتين كلام الله انزله على لسان جبريل عليه السلام فهو المكتوب فى المصاحف وهو فى اللوح المحفوظ وهو الذى يسمعه المؤمنون فى الجنة من البارى تعالى بغير حجاب ولا واسطة وذلك معنى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وهو قوله تعالى لموسى انى انا الله رب العالمين ومناجاته من غير واسطة حين قال وكلم الله موسى تكليماً قال وانى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامي وروى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال ان الله تعالى كتب التوراة بيده وخلق جنة عدن بيده وخلق آدم بيده وفى التنزيل وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلاً لكل شئ قالوا فنحن لانريد من انفسنا شيئاً ولا نتدارك بعقولنا امراً لم يتعرض له

يده الخيط الارجوان وسمى زارح. تم الفصل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ثم بعد فصول وقصص ذكر اولاد يعقوب المولودين بالشأم الذين دخلوا معه مصر اذ بعث يوسف عليه السلام فيهم كلهم. فذكر يهوذا وبنيه الثلاثة الاحياء شيلة وفارص وزارح. وذكر لفارص هذا نفسه اثنين. وهما حصرون وحامول ابنا فارص ابن يهوذا المذكور

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فى هذا الكلام عار وفضيحة مكذوبة وكذب فاحش مفرط القبح. فاما العار فالذى ذكر عن يهوذا من طلبه الزنا بامرأة لقيها فى الطريق على ان يعطيها جدياً. ثم جوره فى الحكم عليها بالحرق. فلما علم انه صاحب الخصلة اسقط الحكم عن نفسه وعنها. ثم شنعة اخرى وهى قوله. ان ونان بن يهوذا لما عرف انه لا ينسب اليه من يولد له من امرأته التى تزوجها بعد موت اخيه جعل يعزل عنها. وهذا عجب جداً ان ان تلد امرأة رجل من زوجها من لا ينسب اليه لكن الى غيره ممن قد مات قبل ان يتزوجها هذا. فلعل فيهم الآن ولادات وانساب فى كتبهم مثل هذه فهذه والله امور سمجة، ثم دع يهوذا فليس نبياً ولا ينكر ممن ليس نبياً مثل هذا، انما الشأن كله والعجب فى انهم مطبقون باجمعهم قطعاً على ان سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشاى بن عوبيذ بن بوعز بن بشاى بن نحشون ابن عميناذاب بن نورام بن حصرون بن فارص المذكور ابن يهوذا، فجعلوا الرسولين الفاضلين مولودين من تلك الولادة الخبيثة راجعين الى ولادة الزنا، ثم اقبح مايكون من الزنا رجل مع امرأة ولده، حاش لله من هذا الافك المفترى، ولقد قال لى بعضهم اذ قررته على هذا الفصل: ان هذا كان مباحاً حينئذ، فقلت له فلم امتنع من مضاجعتها بعد ذلك؟ وكيف يكون مباحا وهى لم تعرفه بنفسها ولاعرفها عند تلك المعاملة الخبيثة بالجدى المسخوط والرهن الملعون؟ وانما وطئها على انها زانية اذ اغتلم اليها، لا على انها امرأة الميت ولده، الا ان قلتم ان الزنا جملة كان مباحا حينئذ فقدقرت عيونكم فسكت خزيان كالحا، وتالله مارأيت أمة تقر بالنبوة وتنسب الى الانبياء ماينسبه هؤلاء الكفرة، فتارة ينسبون الى ابراهيم عليه السلام انه تزوج اخته فولدت له اسحق عليهما السلام. ثم ينسبون الى يعقوب انه تزوج الى امرأة فدست اليه اخرى ليست امرأته فولدت له اولاداً منهم انتسل موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء عليهم السلام. ثم ينسبون الى روبان بن يعقوب انه زني بربيبته (١) زوج النبى ابيه وام اخويه. ثم ينسبون الى نبيه يعقوب عليه السلام انه فسق بها كرهاً وافتضها غلبة. ثم ينسبون الى يهوذا ماذكرنا من زناه بامرأة ولديه. فحبلت وولدت من الزنا ولداً منه انتسل داود وسليمان عليهما السلام. ثم ينسبون الى يوشع بن نون انه تزوج رحب الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنا لكل من دب وهب فى مدينة أريحا. ثم ينسبون الى عمران بن فهث بن لاوى انه تزوج عمته اخت والده واسمها يوحانذ ولدت لجده بمصر فولد له منها هارون

---

(١) فى اللسان ويقال لامرأة الرجل اذا كان له ولد من غيرها ربيبه

وموسى

وموسى عليهما السلام . هكذا ذكر نسبها فى قرب آخر السفر الرابع . ثم ينسبون الى داود عليـه السلام انه زنى جهاراً بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حى . وانها ولدت منه من ذلك الزنا ابناً ذكرا ثم مات ذلك الفرخ الطيب ثم تزوجها . وهى ام سليمان ابن داود عليهما السلام . ثم ينسبون الى امشون بن داود عليهما السلام انه فسق بسرارى ابيه علانية امام الناس . ثم ينسبون الى سليمان عليـه السلام العهر ، وانه تزوج نساء لايحل له زواجهن ، وانه بنى لهن بيوت الاوثان وقرب لهن القرابين للاوثان . مع ماذكرنا قبل ونذكر ان شاء الله تعالى من نسبتهم الكذب الى ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام ولكن أين هذا مما فى توراتهم من نسبتهم لعب الصراع الى الله تعالى مع يعقوب والكذب المفضوح فيما وعـده واخبر به . فعلى من يصدق بشىء من كل هذا الافك لعنة الله وغضبه . فاعجبوا لعظيم كفر هؤلاء القوم وماافتراه الكفرة اسلافهم الاتان على الله تعالى وعلى رسله عليهم السلام . ثم على كل كتاب حقق فيه شىء من هذا وعلى كاتبه لعنة الله وغضبه عدد كل شىء خلق الله .فاحمدوا الله معاشر المسلمين على ماهداكم له من الملة الزهراء التى لم يشبها تبديل ولاتحريف والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد رضى الله عنه) واما الـكذبة الفاحشة المفضوحة التى هى من المحال المحض والافتراء المجرد فهو ماأذكره ان شاء الله تعالى فتأملوه تروا عجباً . ذكر فى توراتهم نصا ان يهوذا بن يعقوب كان مع اخوته يرعون أذوادهم اذ باعوا اخاهم يوسف . وان يهوذا اشار عليهم ببيعه واخراجه من الجب ليخلصه بذلك من الموت . ثم ذكر بعد ذلك ان يهوذا اعتزل عن اخوته وصار مع حيرة العدلامي . ورأى ابنة رجل كنعانى اسمه شوع فتزوجها وولدت له ولداً اسمه عير ثم ولداً آخر اسمه اونان ثم ولداً آخر اسمه شيلة كما ذكرنا آنفا حرفا حرفا. وذكر بعد ذلك ان عير تزوج امرأة اسمها ثامار ودخل بها وكان مذنبا . ولذلك قتله الله تعـالى . فزوجها من اخيـه اونان فـكان يعزل عنها فمات لذلك وبقيت ارملة ليكبر شيلة وتزوج منه ، وان شيلة كبر ولم تزوج منه ، وقد اعترف بذلك يهوذا اذ قال هى اعـدل منى اذ منعتها شيلة ابنى ، وذكر بعد ذلك انها تحيلت حتى زنت بيهوذا نفسه والد زوجها وحبلت منه وولدت منه توءمين فارص وزارح كما ذكرنا قبل ، ثم ذكر بعد ذلك نسل يعقوب واولاد أولاده المولودين بالشام ودخلوا معه مصر ، فذكر فيهم حصرون وحامول ابنى فارص بن يهوذا ، فاضبطوا هذا وذكر فى توراتهم ان يوسف عليه السلام اذ بلغ ست عشرة سنة كان يرعى ذودا مع اخوته عند ابيه ، وانهم باعوه ، فصح انه كان ابن سبع عشرة سنة اذ باعوه ، وهكذا ذكر فى توراتهم ، ثم ذكر فى توراتهم ان يوسف عليه السلام كان اذ دخل على فرعون وفسر له رؤياه فى البقرات والسنابل وولاه امر مصر ابن ثلاثين سنة ، ثم ذكر فى توراتهم ان يوسف عليه السلام كان اذ دخل أبوه مصر مع جميع اهله ابن تسع وثلاثين سنة ، هذا منصوص فيها بلا خلاف من احد منهم ، فصح يقينا انه لم يكن بين دخول يعقوب مع نسله مصر وبين بيع يوسف الاثنان وعشرون سنة وربما اشهر يسيرة زائدة لااقل ولا اكثر ، هذا حساب ظاهر لايخفى على جاهل ولاعالم ، وقد

السلف قالوا ما بين الدفتين كلام الله قلنا هو كذلك واستشهدوا عليه بقوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ومن المعلوم انه ماسمع الا هذا الذى نقراه وقال انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين وقال فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة كرام بررة وقال انا أنزلناه فى ليلة القدر وقال شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن الى غير ذلك من الآيات ومن المشبهة من مال الى مذهب الحلولية وقال يجوز ان يظهر البارى تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل فى صورة اعرابى وقد تمثل لمريم عليها السلام بشراً سوياً وعليه حمل قول النبى ﷺ لقيت ربى فى أحسن صورة وفى التوراة عن موسى عليه السلام شافهت الله تعالى فقال لى كذا والغلاة من الشيعة مذهبهم الحلول ثم الحلول قد يكون بجزء وقد يكون بكل على ماسيأتى تفصيل مذاهبهم ان شاء الله تعالى (الكرامية) أصحاب ابى عبد الله محمد بن كرام وانما عددناه من الصفاتية فانه كان ممن يثبت الصفات الا انه ينتهى فيها الى التجسيم والتشبيه وقد ذكرنا كيفية خروجه وانتسابه الى اهل السنة وهم طوائف يبلغ عددهم الى اثنى عشر فرقة واصولها ستة العابدية والنونية والزرينية والاسحاقية والواحدية واقربهم الهيصمية ولكل واحد

ذكر فى توراتهم ان فى هذه المدة تزوج يهوذا بنت شوع وولدت له ولدا ثم ثانيا ثم ثالثا ، وان الاكبر بلغ فزوج زوجة ثم مات بعد دخوله بها فزوجت بعده من أخيه فكان يعزل عنها فمات وبقيت مدة حتى كبر الثالث ولم تزوج منه فزنت بيهوذا والد زوجها فولد له منها توءمان ثم ولد لاحد ذينك التوءمين ابنان ، وهذا محال ممتنع لاخفاء به لا يمكن البتة فى طبيعة بشر ولا سبيل اليه فى الجبلة والبنية بوجه من الوجوه ، هبك ان يهوذا اعتزل عن اخوته وتزوج بنت شوع باثر بيع يوسف بيوم وحبلت زوجته وولدت له الولد الاكبر فى عامها الثانى ثم الثانى فى عام آخر ثم الثالث فى عام ثالث ، وهبك ان الاكبر زوج وله اثناعشر عاما من جملة اثنين وعشرين عاما وبقى معها مابقى ثم زوجت من الثانى وله اثناعشر عاما فبقى يعزل عنها لئلا ينسب الى اخيه من يولد له منها ثم مات وبقيت تنتظر ان يكبر شيلة وتزوج منه حتى طال عليها ورأت انه قد كبر ولم تزوج منه وهذا لا يكون البتة فى اقل من عام ، فهذه اربعة عشر عاما . ثم زنت بيهوذا فحملت فولدت فهذا عام او اقل بيسير فلم يبق من الاثنين وعشرين عاما الا سبعة اعوام الى ثمانية اعوام لا اكثر البتة . فمن المحال الممتنع فى العقل ان يوجد لرجل ابن ثمان سنين او سبع سنين ولدان ؟ مارأيت اجهل بالحساب من الذى عمل لهم التوراة ، وحاش لله ان يكون هذا الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى او عن موسى عليه السلام ولا عن انسان يعقل مايقول ويستحى من تعمد الكذب الفاضح ونسأل الله العافية

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك ذكر عدد بنى يعقوب المولودين بالشام عند خاله لابان الداخلين معه مصر . فذكر الذين ولدت له ليئة . وهم ستة ذكور وابنة واحدة . وذكر اولاد هؤلاء الستة وسهام . فذكر لرأوبين اربعة ذكور . ولشمعون ستة ذكور وللاوى ثلاثة ذكور . وليهوذا ثلاثة ذكور وابنى ابن له فهم خمسة . وليساخر اربعة ذكور . ولزابلون ثلاثة ذكور المجتمع من بنى ليئة فى نص توراتهم بعقب تسميتهم هؤلاء بنو ليئة وعدد اولادها وبناتها ثلاثة وثلاثون هكذا نص توراتهم . وهذا خطاء فى الحساب تعالى الله عن ان يخطئ فى الحساب او ان يخطئ فيه موسى عليه السلام . فصح انها من توليد جاهل غث او من عابث سخر بهم وكشف سوءاتهم

﴿ فصل ﴾ ثم ذكر بعد هذا اولاد راحيل . فذكر يوسف وبنيامين وبنيهما قال وهم اربعة عشر . وذكر أولاد زلفى عاد واشار وبنيهما قال وهم ستة عشر . وذكر اولاد بلهة دان ونفتالى وبنيهما قال وهم سبعة . ثم وصل ذلك بان قال وعدد نسل يعقوب الذين دخلوا معه مصر سوى نساء اولاده ستة وستون . وابنا يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان . فجميع الداخلين الى مصر سبعون

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا خطأ فاحش لان المجتمع من الاعداد المذكورة تسعة وستون . فاذا اسقطت منهم ولدى يوسف اللذان ولداله بمصر بقى سبعة وستون وهو يقول ستة وستون . فهذه كذبة . ثم قال فجميع الداخلين معه الى مصر سبعون . فهذه كذبة ثانية . وقد قدمنا ان الذى عمل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب . وليست هذه صفة الله عز وجل ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب وتعمده على الله تعالى وعن تكلف

واوردنا مذهب صاحب المقالة واشرنا الى مايتفرع منه نص ابو عبد الله على ان معبوده على العرش استقرارا او على انه بجهة فوق ذاتا واطلق عليه اسم الجوهر فقال فى كتابه المسمى عذاب القبر انه احدى الذات احدي الجوهر وانه مماس للعرش من الصفحة العليا وجواز الانتقال والتحول والنزول ومنهم من قال انه على بعض اجزاء العرش وقال بعضهم امتلا العرش به وصار المتأخرون منهم الى انه تعالى بجهة فوق ومحاذ للعرش ثم اختلفوا فقال العابدية ان بينه وبين العرش من البعد والمسافة مالو قدر مشغولاً بالجواهر لاتصلت به وقال محمد بن الهيصم ان بينه وبين العرش بعدا لا يتناهى وانه مباين للعالم بينونة ازلية ونفى التحيز والمحاذاة واثبت الفوقية والمباينة واطلق اكثرهم لفظ الجسم عليه والمقاربون منهم قالوا يعنى بكونه جسماً انه قائم بذاته وهذا هو حد الجسم عندهم وبنوا على هذا ان من حكم على القائمين بانفسهما ان يكونا متجاورين ومتباينين فقضى بعضهم بالتجاور مع العرش وحكم بعضهم بالتباين وربما قالوا كل موجودين فاما ان يكون احدهما ما بحيث الآخر كالعرض مع الجوهر واما ان يكون بجهة منه والبارى الى وبجهة منه ليس بعرض اذ هو قائم بنفسه فيجب ان يكون

مالايحسن ولايقوم به . وذكر فى هذاالفصل قصة أخرى فيهاالاعتراض الاانهاتخرج على وجه مافلذلك لم نفردلها فصلا . وهى انه ذكر اولاد بنيامين فقال بالع وباكر واشبيل واجير ونعمان وايحى وروش ومفيم وحفيم وارد . ثم ذكر فى السفر الرابع من توراتهم فذكر بالع واشبيل واجير ومفيم وحفيم فقط . ثم قال وابنا بالع ازدو نعمان ابنى بالع فان لم يكن هذا على انهم لم ينسل من أولئك العشرة الاخمسة الذين ذكرهم فى الرابع وان ازدو نعمان ابنى بالع هما غير أزدو نعمان ابنى بنيامين . والا فهى كذبة . وقد قلنا ان كل مايمكن تخريجه بوجه وان بعد فلسنا نخرجه فى فضائح كتابهم المكذوب

(فصل) ثم ذكر بركة يعقوب عليه السلام على بنيه وانه وضع يده اليمنى على رأس افرايم ابن يوسف واليسرى على رأس منسى بن يوسف ، وان ذلك شق على يوسف عليه السلام ، وقال : لايحسن هذا يا أبت لان هذا بكر ولدى فاجعل يمينك على رأسه ، يعنى منسى ، فكره ذلك يعقوب وقال : علمت يابنى علمت وستكثر ذرية هذا وتعظم ، ولكن اخوه الاصغر يكون اكثر منه نسلا وعددا ، يعنى ان افرايم يكون عدد نسله اكثر من عدد نسل منسى ، ثم ذكر فى مصحف يوشع ان بنى منسى كانوا اذ دخلوا الشام وقسمت عليهم الارض اثنين وخمسين الف مقاتل وسبعمائة ، وان بنى افرايم كانوا حينئذ اثنين وثلاثين الفاً وخمسمائة ، وذكر فى كتاب لهم معظم عندهم اسمه سفطيم انه ذكر بنى اسرائيل قبل داود عليه السلام اربعة من ملوك بنى منسى واربعة من بنى افرايم ، وان من جملة بنى منسى المذكورين رجلا اسمه مفتاح بن علفاذ قتل من بنى افرايم اثنين واربعين الف مقاتل حتى كاديستأصلهم ، وفى كتاب لهم آخر معظم عندهم ايضا اسمه ملاخيم انه ملك عشرة اسباط من بنى اسرائيل بعد سليمان عليه السلام الى ان ذهب الاسباط المذكورون وسبوا من بنى افرايم ملكين كانت مدتهما جميعاً ستة وعشرين سنة فقط ، وهما باربعام وابنه باباط ووليهم من بنى منشا خمسة ملوك واتصلت دولتهم مائة عام وعامين وهم زخريا بن يربعم بن يؤاش بن يهو ياحاز بن يهو كلهم ملك بن ملك بن ملك بن ملك بن ملك ، ولم يكن فيمن ملك الاسباط العشرة اقوى ملكا من هؤلاء المنشائين ، وهذا ضد قول يعقوب الذي حكوه عنه ، وحاش لله ان يكذب نبي فيما ينذر به من الله عز وجل . فان قالوا ان يوشع بن نون وربورانه وملحى المورشى النبي كلهم كان من بنى افرايم وكان بنو افرايم اذ أخرجوا من مصر اربعين الف مقاتل وخمسمائة مقاتل ومائتى مقاتل . وكان بنو منشا يومئذ اثنين وثلاثين الف مقاتل ومائتى مقاتل . قلنا : لم تذكروا ان يعقوب قال (يكون الشرف فى نسل افرايم) انما حكيتم انه قال ان افرايم يكون اكثر نسلا وعددا من منشا على التأبيد والعموم وايصال البركة لا على وقت خاص قليل ثم يعود الامر بخلاف ذلك فتبطل البركة ويصير المبارك مدبراً . والمدبر مباركا فى الابد

(فصل) ثم ذكر عن يعقوب عليه السلام انه قال لرأوبين فى ذلك الوقت انت اول المواهب مفضل فى الشرف مفضل فى العز ولا تفضل منهملة ماء

بجهة من العالم ثم اعلى الجهات واشرفها جهة فوق فقلناهو بجهة فوق بالذات حتى اذا رؤى رؤى من تلك الجهة ثم لهم اختلاف في النهاية فمن المجسمة من اثبت النهاية له من ست جهات ومنهم من اثبت النهاية من جهة تحت ومنهم من انكر النهاية فقال هو عظيم ولهم فى معنى العظمة خلاف فقال بعضهم معنى عظمته انه مع وحدته على جميع اجزاء العرش والعرش تحته وهو فوق كله على الوجه الذى هو فوق جزء منه وقال بعضهم معنى عظمته انه يلاقى مع وحدته من جهة واحدة اكثر من واحد وهو يلاقى جميع اجزاء العرش وهو العلى العظيم ومن مذهبهم جميعا قيام كثير من الحوادث بذات البارى تعالى *ومن اصلهم ان مايحدث فى ذاته انما يحدث بقدرته ومايحدث مباينا لذاته فانما يحدث بواسطة الاحداث ويعنون بالاحداث الايجاد والاعدام الواقعين فى ذاته بقدرته من الاقوال والارادات ويعنون بالمحدث مابابن ذاته من الجواهر والاعراض فيفرقون بين الخلق والمخلوق والايجاد والموجود والموجد وكذلك بين الاعدام والمعدوم فالمخلوق انما يقع بالخلق والخلق يقع فى ذاته بالقدرة والمعدوم انما يصير معدوما بالاعدام الواقع فى ذاته بالقدرة وزعموا ان فى ذاته سبحانه حوادث كثيرة مثل الاخبار عن الامور الماضية والآتية والكتب المنزلة على الرسل

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا كلام يكذب اوله آخره

(فصل) ثم ذكر انه عليه السلام قال ليهوذا حينئذ : لاتنقطع من يهوذا المخصرة ولا من نسله قائد حتى يأتيني المبعوث الذى هو رجاء الامم

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذا كذب قد انقطعت من ولد يهوذا المخصرة وانقطعت من نسله القواد ولم يأت المبعوث الذى هو رجاؤهم . وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا من عهد بخت نصر مذ ازيد من الف عام وخمسمائة عام الا مدة يسيرة وهى مدة زربابيل بن صلتابيل فقط . وقد قررت على هذا الفصل اعلمهم واجدلهم وهواشموال ابن يوسف اللاوى الكاتب المعروف بابن النغرال فى سنة اربع واربعمائة فقال لى لم تزل رؤس الجواليت ينتسلون من ولد داوود وهم من بنى يهوذا وهى قيادة وملك ورياسة فقلت هذا خطأ لان رأس الجالوت لاينفذ امره على احد من اليهود ولا من غيرهم ، وانما هى تسمية لاحقيقة لها ولاله قيادة ولا بيده مخصرة ،فكيف وبعد احرب بابن برام لم يكن من بنى يهوذا وال اصلا مدة من ستة اعوام ، ثم بعده نشأ الملقب صدقيا بن يوشيا لم يكن منهم لأحد له معين ، ولامن يملك على أحد اثنين وسبعين عاما متصلة حتى ولى زربابيل ثم انقطع الولاة منهم جملة لا رأس جالوت ولا غيره مدة ولاة الهارونيين ملكا ملكا مئين من السنين ليس لاحد من يهوذا فى ذلك امر الى دولة المسلمين اوقبلها بيسير ، فاوقعوا اسم رأس الجالوت على رجل من بنى داود الى اليوم ، الا ان بعض المؤرخين القدماء ذكر ان هردوس وابنيه وابن ابنه اغريفاس بن اغريفاس كانوا من بنى يهوذا ، والاظهر انهم من الروم عند كل مؤرخ ، فظهر كذب هؤلاء الانذال بيقين وحاش لله ان يكذب نبى

-﴿ فصل ﴾- ثم ذكر ان يعقوب عليه السلام قال للاوى وشمعون سأبددهما فى يعقوب وأفرقهما فى اسرائيل

(قال أبو محمد رضى الله عنه) اما لاوى فكان نسله مبددا فى بنى اسرائيل كما ذكر ، واما بنو شمعون فلا ، بل كانوا مجتمعين فى البلد الذى وقع لهم كسائر الاسباط ولافرق، وليس انذار النبوة مما يكذب فى قصة ويصدق فى اخرى ، هذه صفات انذارات الحساب القاعدين على الطرق للنساء ولمن لاعقل له

*(فصل) * وقال فى السفر الثانى من توراتهم ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام . قل لفرعون السيد يقول لاسرائيل بكر ولدى ويقول لك ائذن لولدى ليخدمنى وان كرهت الآن ساهلك بكر ولدك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا عجب ناهيك به . ليت شعرى ما ذا ينكرون على النصارى بعد هذا؟ وهل طرق للنصارى سبيل الكفر فى ان يجعلوا لله ولداً؟ ونهج لهم طريق التثليث على ما ذكرنا قبل هذا الا هذه الكتب الملعونة المبدلة ، الا ان النصارى لم يدعوا بنوة لله تعالى الا لواحد اتى بمعجزات عظيمة ، واما هذه الكتب السخيفة وكل من

يسمع ويبصر والايجاد والاعدام هو القول والارادة وذلك قوله كن للشيء الذى يريد كونه وارادته لوجود ذلك الشيء وقوله للشيء كن صورتان وفسر محمد ابن الهيصم الايجاد والاعدام بالارادة والايثار قال وذلك مشروط بالقول شرعا اذ ورد فى التنزيل * انما قولنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون * وقوله انما امره اذ اراد شيئا ان يقول له كن فيكون * وعلى قول الاكثرين منهم الخلق عبارة عن القول والارادة ثم اختلفوا فى التفصيل فقال بعضهم لكل موجود ايجاد ولكل معدوم اعدام* وقال بعضهم ايجاد واحد يصلح لموجدين اذا كانا من جنس واحد واذا اختلف الجنس تعدد الايجاد والزم بعضهم لو افتقر كل موجود او كل جنس الى ايجاد فليفتقر كل ايجاد الى قدرة فالتزم تعدد القدرة تعدد الايجاد وقال بعضهم ايضا بتعدد القدرة بتعدد الاجناس المحدثات واكثرهم على انها تتعدد بتعدد اجناس الحوادث التى تحدث فى ذاته من الكاف والنون والادارة والتسمع والتبصر وهى خمسة اجناس ومنهم من فسر تدين السمع والبصر بالقدرة على التسمع والتبصر ومنهم من اثبت لله تعالى السمع والبصر ازلا والتسمعات والتبصرات

تدين بها فانهم ينسبون بنوة لله الى جميع بنى اسرائيل وهم اوسخ الامم وارذلهم ، وكفرهم اوحش وجهلهم الحش

﴿ فصل ﴾ ثم ذكر ان هارون القى العصا بين يدى فرعون وعبيده فصارت حية ، فدعى فرعون بالعلماء والسحرة وفعلوا بالرقى المصرى مثل ذلك ، ولكن عصى موسى ازدرت عصيهم * ثم ذكر ان موسى وهارون فعلا ما أمرهما السيد فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدى فرعون وعبيده فعاد دما ومات كل حوت فيه ونتن النهر ولم يجد المصريون سبيلا الى الشرب منه وصار الماء فى جميع ارض مصر دما ، ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقام * ثم ذكر ان هارون مد يده على مياه مصر وخرجت الضفادع منها وغطت ارض مصر ففعل السحرة برقام مثل ذلك واقبلوا بالضفادع على ارض مصر ، ثم ذكر ان هارون مد يده بالعصا وضرب بها غبار الارض فتخلق منها بعوض فى الآدميين والانعام وعاد جميع الغبار بعوضا فى جميع ارض مصر ، فلم يفعل السحرة مثل ذلك برقام وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه ، فقال السحرة لفرعون هذا صنع الله

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذه الآبدة(١) المصمئلة والصيلم المطبقة ، ولو صح هذا لبطلت نبوة موسى عليه السلام بل نبوة كل نبى ، ولو قدر السحرة على شىء من جنس ما يأتى به النبى لكان باب السحرة وباب مدعى النبوة واحدا ، ولما انتفع موسى بازدراء عصاه لعصيهم ولا بعجزهم عن البعوض وقد قدروا على قلب العصى حيات وعلى اعادة الماء دما وعلى المجىء بالضفادع ولما كان لموسى عليه السلام عليهم بنبوته اكثر من انه اعلم بذلك العمل منهم فقط ، ولو كان كما قال هؤلاء الكذابون الملعونون لكان فرعون صادقا فى قوله ، انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، ولا منفعة لهم فى قول السحرة فى البعوض هذا صنع الله لانه يقال لبنى اسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية والماء دما والمجىء بالضفادع . بل من غير صنع الله . وهذه عظيمة تقشعر منها الجلود . أين هذا الافك المفترى البارد من نور الحق الباهر ؟ اذ يقول الله عز وجل (انما صنعوا كيد ساحر) واذ يقول تعالى (وجاء السحرة فرعون قالوا أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى اما ان تلقى واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) واذ يقول تعالى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) فاخبر عز وجل ان الذى عمل

(١) الآبدة تقدم فى الهامش قريبا انها الداهية تبقى على الدهر ، والمصمئلة الشديدة من قولهم اصمأل الشىء كاطمأن اصمئلالا اى اشتد والصيلم الأمر الشديد المستأصل ومن ذلك قولهم وقعة صيلمة اى مستأصلة اه لمصححه من كتب اللغه

هى اضافة المدركات اليها وقد اثبتوا لله تعالى مشيئة قديمه متعلقة باصول المحدثات وبالحوادث التى تحدث فى ذاته واثبتوا ارادات حادثة تتعلق بتفاصيل المحدثات واجمعوا على ان الحوادث لا توجب لله تعالى وصفا ولا هي صفات له فتحدث فى ذاته هذه الحوادث من الاقوال والارادات والتسمعات والتبصرات ولا يصير بها قائلا ولا مريدا ولا سميعا ولا بصيرا ولا يصير بخلق هذه الحوادث محدثا ولا خالقا وانما هو قائل بقائليته وخالق بخالقيته ومريد بمريديته وذلك قدرته على هذه الاشياء * ومن اصلهم ان الحوادث التى يحدثها فى ذاته واجبة البقاء حتى يستحيل عدمها اذ لو جاز عليها العدم لتعاقب على ذاته الحوادث ولشارك الجوهر فى هذه القضية وايضا فلو قدر عدمها فلا يخلو اما ان يقدر عدمها بالقدرة واما باعدام يخلقه فى ذاته ولا يجوز ان يكون عدمها بالقدرة لانه يؤدى الى ثبوت المعدوم فى ذاته وشرط الموجد والمعدم ان يكونا متباينين لذاته ولو جاز وقوع معدم فى ذاته بالقدرة من غير واسطة اعدام لجاز حصول سائر المعدومات ثم يجب طرد ذلك فى الموجد حتى يجوز وقوع موجد يحدث فى ذاته وذلك محال عندهم ولو فرض انعدامها بالاعدام لجاز تقدير عدم ذلك الاعدام فيتسلسل فارتكبوا لهذا التحكم استحالة عدم ما يحدث فى ذاته . ومن اصلهم ان المحدث انما يحدث فى ثانى حال ثبوت الاحداث بلا

وموسى حق . وان عصاه صارت ثعبانا على الحقيقة بقوله تعالى (فاذا هي ثعبان مبين) فصح انه تبين ذلك لكل من رآه يقيناً . واخبر ان الذى عمل السحرة انما هو افك وتخييل وكيد . وهذا هو الحق الذى تشهد به العقول لامافى الكتاب المبدل المحرف * فصح ان فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها ، وهذا الذي يصححه البرهان ، اذ لا يحيل الطبائع الا خالقها شهادة لرسله وانبيائه وفرقا بين الصدق والكذب ، لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهان على صدق قوله وعند تحديه لهم على ان يأتوا بمثله ان كانوا صادقين وهو كاذب فأتوا بمثله ، فانظروا النتيجة يرحمكم الله * هذه سوءة تشهد شهادة قاطعة صادقة بأن صانع ذلك الكتاب الملعون المكذوب الذى يسمونه (الحماس) ويدعون انه توراة موسى عليه السلام انما كان زنديقاً مستخفاً بالبارى تعالى ورسله وكتبه وحاش لموسى صلى الله عليه وسلم منه ، وانهم الى الآن يزعمون ان احالة الطبائع وقلب الاجناس عن صفاتها الذاتية الى اجناس أخر واختراع الامور فى المعجزات البينة يقدر على ذلك بالرقى والصناعات * وعلموا ان من صدق بهذا مبطل للنبوة بلا مرية اذ لا فرق بين النبي وغيره الا فى هذا الباب فاذا امكن لغير النبي فلم يبق الا دعوى لا برهان عليها و نعوذ بالله من الضلال * ولقد شاهدنام متفقين الى اليوم على ان رجلا من علمائهم ببغداد دخل من بغداد الى قريظة في يوم واحد ، وانبت قرنين فى رأس رجل من بنى الاسكندرى كان ساكنا بقرب دار اليهود عند فندق الحرقة كان يؤذى يهود تلك الجهة ويسخر منهم ، وهذه كذبة وفضيحة لا نظير لها والموضع مشهور عندنا بقرطبة داخل المدينة ، وبنو عبد الواحد بن يزيد الاسكندرى من بيته رفيعة مشهورة ادركنا آخرهم . كانت فيهم وزارة وعمالة ليس فيهم مغمور (١) ولا خفى الى ان بادوا ماعرف قط احد منهم هذه الاحموقة (٢) المختلفة * والقوم بالجملة اكذب البرية اسلافهم واخلافهم . وعلى كثرة ماشاهدنا منهم مارأيت فيهم قط متحرياً للصدق الا رجلين فقط

(فصل) (قال ابو محمد رضي الله عنه) وفي قصة قلب الماء دما فضيحة اخرى ظاهرة الكذب . وهى ان فى نص الكلام الذى يزعمونه التوراة (ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وانهارها واوديتها ومروجها وجناتها لتعود دما وتصير ماء فى آنية التراب والخشب دما ففعل موسى وهارون كما امرهما به السيد) الى قوله وصار الماء فى جميع ارض مصر دما ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقام واشتد قلب فرعون ولم يسمع لهما على حال ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه الى هذا ايضا وحفر جميع المصريين حوالى النهر ليصيبوا الماء منها لانهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا نص كتابهم . فاخبر ان كل ماء كان بمصر فى انهارها واوديتها ومروجها وجناتها واوانى الخشب والتراب والماء كله فى جميع ارض

(١) المغمور يقابل فى اللغة المشهور (٢) والاحموقة أفعولة من الحمق وهو وضع الشيء فى غير موضعه والمختلقة المخترعة

فصل ولا اثر للاحداث فى حال بقائه * ومن اصلهم ان ما يحدث فى ذاته من الامر فنقسم الى امر التكوين وهو فعل يقع تحته المفعول والى ماليس امر التكوين وذلك اما خبر واما امر التكليف ونهى التكليف وهى افعال من حيث دلت على القدرة ولا يقع تحتها مفعولات هذا هو تفصيل مذاهبهم فى محل الحوادث * وقد اجتهد ابن الهيصم فى ارمام مقالة ابى عبدالله فى كل مسئلة حتى ردها من المحال الفاحش الى نوع يفهم فيما بين العقلاء مثل التجسيم فانه اراد بالجسم القائم بالذات ومثل الفوقيه فانه حملها على العلو واثبت البينونة الغير المتناهية وذلك الخلاء الذى اثبته بعض الفلاسفة ومثل الاستواء فانه نفى المجاورة والمماسة والتمكن بالذات غير مسئلة محل الحوادث فانها ماقبلت المرمة فالتزمها كما ذكرنا وهي من اشنع المحالات عقلا وعند القوم ان الحوادث تزيد على عدد المحدثات بكثير فيكون فى ذاته اكثر من عدد المحدثات عوالم من الحوادث وذلك محال وشنيع ومما اجمعوا عليه من اثبات الصفات قولهم البارى تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حى بحياة شاء بمشيئة وجميع هذه الصفات قديمة أزلية قائمة بذاته وربما زادوا السمع والبصر كما اثبته الاشعرى وربما زادوا اليدين والوجه صفات قائمة به وقالوا له يد لا كالايدى ووجه لا كالوجوه واثبتوا جواز

مصر صار دما . فاى ماء بقى حتى تقلبه السحرة دما كما فعل موسى وهارون ؟ أبى الله الا فضيحة الكذابين وخزيهم . فان قالوا قلبوا ماء الآبار حتى حفرها المصريون حول النهر . قلنا لهم فكيف عاش الناس بلا ماء اصلا اليس هذه فضائح مرددة وهل يخفى ان هذا من توليد ضعيف العقل اوزنديق مستخف لايبالى بما أتى به من الكذب ونعوذ بالله من الضلال

(فصل) وبعد ذلك ذكر ان الله تعالى امر موسى ان يقول لفرعون (ستكون يدى على مكسبك الذى لك فى الفحوص (١) وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك واغنامك بوباء شديد ويظهر السيد هذا فى الارض ففعل السيد ذلك فى يوم آخر وماتت جميع دواب المصريين ولم يمت لبنى اسرائيل دابة فاشتد قلب فرعون ولم يأذن لهم) ثم ذكر بعد ذلك امر الله تعالى موسى بان يأخذ ما حملت الكف من رماد الكانون ويلقيه الى السماء بين يدي فرعون ليصير غبارا فى جميع ارض مصر فيكون فى الآدميين والانعام خراجات ونفاطات فاخذ رماداً من كانون ووقف بين يدى فرعون ورماه موسى الى السماء وصارت منه نفاطات (٢) في الآدميين والانعام ولم تقدر السحرة على الوقوف عند موسى لما كان اصابهم من ألم النفاطات وكان مثل ذلك فى جميع ارض مصر والسحرة فشدد الله قلب فرعون ولم يسمع لهما على حال ماعهد السيد الى موسى * وبعد ذلك قال ان الله امر موسى ان يقول لفرعون غدا هذا الوقت أمطر بردا كثيرا جدا لم ينزل مثله على مصر من اليوم الذى أسست فيه الى هذا الوقت فابعث واجمع انعامك وكل من تملكه فى الفدان فكل ما ادركه البرد فى الفدان ولم يدخل البيوت فمن خاف وعيد السيد من عبيد فرعون ادخل عبيده وانعامه فى البيوت ومن استهان بوعيد السيد ابقى عبيده وانعامه فى الفدان * وقال السيد لموسى مد يدك الى السماء لينزل البرد فى جميع ارض مصر فمد موسى يده بالعصا فأتى السيد بالرعد والبرد المختلف على الارض ثم امطر السيد البرد فى جميع ارض مصر مخلوطا بنار ولم ينزل بعظمة فى تلك الارض من حين سكن ذلك الجنس فاهلك البرد فى جميع ارض مصر كل ماظهر به فى الفدادين من الآدميين والانعام وجميع عشبهما وكسر جميع شجرها ولم ينزل منه شيء فى ارض قوس حيث كان بنو اسرائيل

(١) فى اللسان الفحص مااستوى من الارض والجمع فحوص وقال ياقوت سألت بعض اهل الاندلس ماتعنون بالفحص فقال كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا بشرط ان يزرع نسميه فحصا (٢) والنفاطات بفتح النون وتشديد الفاء ماء يكون بين الجلد واللحم تطفو قروحه كالرغوة ولعله ما يعبر عنه فى الطب الحديث بالزهرى اما الخراجات فلم اعثر عليه جمعا بهذه الصيغة والذي فى كتب اللغة الخراج كصداع ورم قرح يخرج ببدن انسان او حيوان والجمع اخرجه وخرجان كاكسيه وغلمان ولعله جمعه هذا الجمع ليشاكل بينه وبين نفاطات (لمصححه)

رؤيته من جهة فوق دون سائر الجهات * وزعم ابن الهيصم ان الذى اطلقه المشبهة على الله عز وجل من الهيئة والصورة والجوف والاستدارة والوفرة والمصافحة والمعانقة ونحو ذلك لايشبه سائر مااطلقه الكرامية من انه خلق آدم بيده وانه استوى على عرشه وانه يجيء يوم القيامة لمحاسبة الخلق وذلك انا لانعتقد من ذلك شيئاً على معنى فاسد من جارحتين وعضوين تفسيرا لليدين ولا مطابقة المكان واستقلال العرش بالرحمن تفسيرا للاستواء ولا ترددا فى الاماكن التى تحيط به تفسيرا للمجيء وانما ذهبنا فى ذلك الى اطلاق مااطلقه القرآن فقط من غير تكييف وتشبيه وما لم يرد به القرآن والخبر فلا نطلقه كما اطلقه سائر المشبهة والمجسمة وقال البارى تعالى عالم فى الازل بما سيكون على الوجه الذى سيكون وشاء لتنفيذ علمه فى معلوماته فلا ينقلب علمه جهلا ومريد لما يخلق في الوقت الذي يخلق بارادة حادثة وقائل لكل مايحدث بقوله كن حتى يحدث وهو الفرق بين الاحداث والمحدث والخلق والمخلوق * وقال نحن نثبت القدر خيره وشره من الله تعالى وانه اراد الكائنات كلها خيرها وشرها وخلق الموجودات كلها حسنها وقبيحها ونثبت للعبد فعلا بالقدرة الحادثة تسمى ذلك كسبا والقدرة الحادثة مؤثرة فى اثبات فائدة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) تأملوا هذا الكذب الهجين (١) اللائح * ذكر اولا ان موسى اتى بالوباء ، واخبر عن الله تعالى انه قال لفرعون ساهلك مكسبك الذى فى الفحوص وخيلك وحميرك وجمالك وبقرك واغنامك فعمم جميع الناس ما ادخل في البيوت . ومالم يدخل يعم جميع الحيوان صنفا صنفا ، ثم اخبر ان جميع دواب المصريين ماتت ولم تمت لبنى اسرائيل ولا دابة . ثم ذكر امر النفاطات . ثم ذكر امر البرد وان موسى انذر فرعون من الله تعالى وامره بادخال انعامه فى البيوت وان ما ادرك البرد منها فى الفحص يهلك فليت شعرى اى دابة بقيت لفرعون واهل مصر وقد ذكر ان الوباء اهلك جميعها ؟ وأين الابل الحمير والخيل والغنم والبقر ؟ اليس هذا عجبا ؟ وليس يمكن ان يقول ان دواب بنى اسرائل هلكت آخرا اذ سلمت اولا ، لانه قد بين انه لم يقع من البرد شيء فى ارض قوس حيث سكنى بنى اسرائيل . ولم يكن بين آية وآية باقرارهم وقت يمكن فيه جلب انعام اليهم من بلد آخر . لانه لم يكن بين الآية والآية الا يوم او يومان او قريب من ذلك . ومصر واسعة الاعمال ولا تتصل بشيء من العمائر بل بين جميع انتهاء اقطارها من كل جهة وبين اقرب العمائر اليها مسيرة ايام كثيرة . كالشام وبلاد الغرب وارض النوبة والسودان وافريقة . فظهر كذب من عمل ذلك الكتاب المبدل المحرف المفترى الذى يزعمونه التوراة . وحاش لله من ذلك والحمد لله على السلامة من مثل عملهم وضلالهم كثيرا

(فصل) وبعد ذلك قال وكان مسكن بنى اسرائيل بمصر اربعمائة وثلاثين سنة فلما انقضت هذه السنون خرج ذلك اليوم معسكر السيد من ارض مصر

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذه فضيحة الدهر وشهرة الابد وقاصمة الظهر يقول هاهنا ان مسكن بنى اسرائيل بمصر اربعمائة سنة وثلاثون سنة ، وقد ذكر قبل ان قاهاث بن لاوى دخل مصر مع جده يعقوب ومع ابيه لاوى ومع سائر اعمامه وبنى أعمامه . وان عمر قاهاث بن لاوى المذكور كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة . وان عمران بن قاهاث بن لاوى المذكور كان عمره مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة . وان موسى بن عمران بن قاهاث بن لاوى المذكور كان اذ خرج ببنى اسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة ، هذا كله منصوص كما نذكره فى الكتاب الذى يزعمون انه التوراة ، فهبك ان قاهاث دخل مصر ابن شهر أو اقل ، وان عمران ابنه ولد بعد موته ، وان موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه ، ليس يجتمع من كل ذلك الا ثلاثمائة عام وخمسون عاما فقط ، فاين الثمانون عاما الباقية من جملة أربعمائة سنة وثلاثين سنة * فان قالوا نضيف الى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه واخوته ، قلنا قد بين فى التوراة انه كان اذ دخلها ابن سبع عشرة سنة ، وانه كان اذ دخلها ابوه واخوته ابن تسع وثلاثين سنة فاذن كان مقامه بمصر قبل ابيه واخوته اثنين وعشرين سنة ، ضمها الى ثلثمائة سنة وخمسين سنة يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة . اين الثماني والخمسون الباقية من اربعمائة وثلاثين سنة

(١) المعيب المستهجن واللائح البارز الواضح

والعقاب واتفقوا علي ان العقل يحسن ويقبح قبل الشرع وتجب معرفة الله تعالى بالعقل كما قالت المعتزلة الا انهم لم يثبتوا رعاية الصلاح والاصلح واللطف عقلا كما قالت المعتزلة وقالوا الايمان هو الاقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الاعمال وفرقوا بين تسمية المؤمن مؤمنا فيما يرجع الى احكام الظاهر والتكليف وفيما يرجع الى احكام الآخرة والجزاء فالمنافق عندهم مؤمن فى الدنيا حقيقة مستحق للعقاب الابدى فى الآخرة * وقالوا فى الامامة انها تثبت باجماع الامة دون النص والتعيين كما قال أهل السنة الا انهم قالوا يجوز عقد البيعة لامامين فى قطرين وغرضهم اثبات امامة معاوية بالشام باتفاق جماعة من الصحابة واثبات امامة أمير المؤمنين على بالمدينة والعراقين باتفاق جماعة من الصحابة ورأوا تصويب معاوية فيما استبد به من الاحكام الشرعية قتالا على طلب قتلة عثمان رضى الله عنه واستقلالا بمال بيت المال ومذهبهم الاصلى اتهام علي رضى الله عنه فى الصبر علي ماجرى مع عثمان رضى الله عنه والسكوت عنه وذلك عرق نزع * الخوارج * من ذلك والمرجئه والوعيديه كل من خرج علي الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه

سنة

سنة ؟ هذه شهرة لانظيرلها ، وكذب لايخفى على احد ، وباطل يقطع بانه لايمكن البتة ان يعتقده احد فى رأسه شيء من دماغ صحيح . لانه لايمكن ان يكذب الله تعالى فى دقيقة . ولا ان يكذب رسوله ﷺ عامدا ولامخطئاً فى دقيقة . فيقره الله تعالى على ذلك ، فكيف ؟ ولابد ان يسقط من هذه المدة سن قاهات اذ ولده عمران ، وسن عمران اذ ولده موسى عليه السلام ، والصحيح الذى يخرج على نصوص كتبهم ان مدة بنى اسرائيل مذ دخل يعقوب وبنوه مصر الي ان خرجوا منها مع موسي عليه السلام لم تكن الامائتى عام وسبعة عشر عاما ، فهذه كذبة فى مائتى عام وثلاثة عشر عاما(١) ولولم يكن فى توراتهم الاهذه الكذبة وحدها لكفت فى انها موضوعة مبدلة من حمار فى جهله او مستخف سخر بهم ولابد

(فصل) وبعد ذلك قال وعند ذلك مجد موسى وبنو اسرائيل بهذه السورة وقالوا مجدبنا السيد فانه يعظم ويشرف واغرق فى البحر الفرس وراكبه قوتى ومديحى للسيد وقد صار خلاصى هذا الهى اجده واله ابى اعظمه السيد قاتل كالرجل القادر وفى السفر الخامس اعلموا ان السيد الهكم الذي هو نار أكول

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذه سوءة من السوءات لتشبيه الله عز وجل بالرجل القادر ويخبر بانه نار * هذه مصيبة لاتجبر ، ولقد قال بعضهم : أليس الله تعالى يقول عندكم ؟ (الله نور السموات والارض) قلت نعم وقد قال رسول الله ﷺ اذ سأله ابوذر * هل رأيت ربك ؟ فقال نور أني أراه * وهذا بين ظاهر انه لم يعن النور المرئى ، لكن نور لايرى * فلاح ان معنى نور السموات والارض اذ ثبت انه ليس هو النور المرئى الملون انه الهادى لاهلها فقط ، وان النور اسم من اسماء الله تعالى فقط ، واماقوله تعالى (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة) الى قوله (ولو لم تمسسه نار) فانه شبه نوره الذى يهدي به اولياءه بالمصباح الذى ذكر فانه شبه مخلوقا بمخلوق * وبيان ذلك قوله تعالى متصلا بالكلام المذكور فى الآية نفسها (نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء) فصح ماقلناه يقينا من انه تعالى انما عنى بنوره هداه للمؤمنين فقط ، وهذا اصح تشبيه يكون لان نور هداه فى ظلمة الكفر كالمصباح فى ظلمة الليل

﴿ فصل ﴾ ثم وصف المن النازل عليهم من السماء فقال : وكان ابيض شبيها بزريعة الكزبر ومذاقه كالسميد المعل ، ثم قال فى السفر الرابع : كان المن شبيها بزريعة الكزبر ولونه الى الصفرة وكان طعمه كطعم الخبز المعجون بالزيت

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا تناقض فى الصفة واللون والطعم واحدى الصفتين تكذب الاخرى بلاشك

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك قال ان الله عز وجل قال لبنى اسرائيل لقد رأيتموني كلكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة . ثم قال بعد ذلك ثم صعد موسى وهارون وناداب وابيهو وسبعون رجلا من المشايخ ونظروا الى الله اسرائيل وتحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي وكسماء صافية ولم يمد الرب يده الى خيار بنى

(١) اى بطرح ٢١٧ من ٤٣٠

والائمة فى كل زمان * والمرجئة صنف آخر تكلموا فى الايمان والعمل الا انهم وافقوا الخوارج فى بعض المسائل التى تتعلق بالامامة * والوعيدية داخلة فى الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده فى النار فذكرنا مذاهبهم فى أثناء مذاهب الخوارج *

الخوارج * اعلم ان أول من خرج على أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب صفين وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين الاشعث بن قيس ومسعود بن فدكى التميمى وزيد ابن حصين الطائى حين قالوا القوم يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعونا الي السيف حتى قال أنا أعلم بما فى كتاب الله انفروا الى بقية الاحزاب انفروا الى من يقول كذب الله ورسوله وأنتم تقولون صدق الله ورسوله قالوا لترجعن الاشتر عن قتال المسلمين والا لنفعلن بك كما فعلنا بعثمان فاضطر الى رد الاشتر بعد ان هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقى منهم الا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الاشتر امره وكان من امر الحكمين ان الخوارج حملوه على التحكيم اولا وكان يريد ان يبعث عبد الله بن عباس فارضى الخوارج بذلك وقالوا هو منك فحملوه على بعث بن موسي الاشعرى على ان يحكم

اسرائيل الذين نظروا الى الله واكلوا وشربوا وقال بمقربة من ذلك وكان منظر عظمة السيد كنار آكلة فى قرن الجبل يراه جماعة من بنى اسرائيل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لاخفاء به ، وليس هذا كقول الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) ولا كقوله تعالى (الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة) ولا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة فى ثلث الليل الباقى الى سماء الدنيا) لان هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل انما هى افعال يفعلها الله عز وجل تسمى مجيئا واتيانا وتنزلا . ولا مثل قوله تعالى (يد الله فوق ايديهم) (ويبقى وجه ربك) وسائر مافى القرآن من مثل هذا . فكله ليس بمعنى الجارحة لكن على وجوه ظاهرة فى اللغة قد بيناها فى غير هذا المكان . عمدتها ان كل ذلك خبر عن الله تعالى لايرجع بشيء من ذلك الى سواه اصلا . ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله فى السفر الخامس (كلمكم الله من وسط اللهيب فسمعتم صوته ولم تروا له شخصا) وهاتان قضيتان تكذب كل واحدة منهما الاخرى ولابد

(فصل) وبعد ذلك قال فلما أطال موسى المقام اجتمع بنو اسرائيل الى هارون وقالوا : قم واعمل لنا الها يتقدمنا فاننا لا ندرى ما اصاب موسى الرجل الذى اخرجنا من مصر فقال لهم هارون اقلعوا اقراط الذهب عن آذان نسائكم واولادكم وبناتكم وائتونى بها ففعلوا ما امرهم به واتوه بالاقراط فلما قبضها هارون افرغها وعمل لهم منها عجلا وقال هذا الهكم يابنى اسرائيل الذى اخرجكم من مصر فلما بصر بها هارون بنى مذبحا بين يدى العجل وبرح (١) مسمعا غدا عيد السيد فلما قاموا صباحا قربوا له قربانا واهدوا له هدايا وقعدت العامة تأكل وتشرب وقاموا للعب * ثم ذكر اقبال موسى وانه لما تدانى من المعسكر بصر بالعجل وجماعات تتغنى وبعد ذلك ذكر انه قال لهارون ماذا فعلت بك هذه الامة اذ جعلتم تذنبون ذنبا عظيما فقال له هارون لاتغضب سيدى فانك تعرف رأى هذه الامة فى الشر قالوا لى اعمل لنا الها يتقدمنا لاننا نجهل ما اصاب موسى الذى اخرجنا من مصر فقلت لهم من كان عنده منكم ذهب فليقبل به الى والقيته فى النار وخرج لهم منه هذا العجل فلما رأى موسى القوم قد تعروا وكان هارون قد عراهم بجهالة قلبه وصيرهم بين يدى اعدائهم عراة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذا الفصل عفا (٢) على ما قبله وطم عليه ان يكون هارون وهو نبى مرسل يتعمد ان يعمل لقومه الها يعبدونه من دون الله عز وجل . وينادى عليه (غدا عيد السيد) ويبنى للعجل مذبحا ويساعدهم على تقريب القربان للعجل . ثم يجردهم ويكشف أستاههم (٣) للرقص وللغناء امام العجل الا ان تكون احق

(١) برح اي خرج مناديا مسمعا قومه يقول (غدا عيد السيد) يعنى العجل
(٢) من عفت الرياح الآثار اذا محتها اى محاما قبله وطم عليه اى غمر وغطى على كل مافات (٣) الاستاه كاحمال جمع است وهو العجز (لمصححه)

وقالوا لم حكمت الرجال لاحكم الا لله * وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان وكبار فرق الخوارج ستة الازارقة والنجدات والصفرية والعجاردة والاباضية والثعالبة والباقون فروعهم ويجمعهم القول بالتبرى عن عثمان وعلى ويقدمون ذلك على كل طاعة ولا يصححون المناكحات الا على ذلك ويكفرون اصحاب الكبائر ويرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا (المحكمة الاولى) هم الذين خرجوا على امير المؤمنين على عليه السلام حين جرى امر الحكمين واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ورئيسهم عبد الله بن الكواوعتاب بن الاعور وعبدالله بن وهب الراسبي وعروة بن جرير ويزيد ابن عاصم المحاربى وحرقوص بن زهير المعروف بذى الثدية وكانوا يومئذ فى اثنى عشر الف رجل اهل صيام وصلاة اعنى يوم النهروان فيهم قال النبى صلى الله عليه وسلم * تحقر صلاة احدكم فى جنب صلاتهم وصوم احدكم فى جنب صيامهم ولكن لايجاوز ايمانهم تراقيهم * وهم المارقة الذين قال فيهم سيخرج من ضئضيء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم الذين اولهم ذو الخويصرة

أستاه

أستاه كشفت . ان هذا لعجب نبي مرسل كافر مشرك يعمل لقومه الها من دون الله . او يكون العجل ظهر من غير ان يتعمد هارون عمله فهذه والله معجزة كمعجزات موسى ولا فرق . الا ان هذا هو الضلال والتلبيس . والاشكال والتدليس المبعد عن الله تعالى . اذ لو كان هذا لما كان موسى اولى بالتصديق من عابد العجل الملعون . أترى بعد استخفاف النذل الذى عمل لهم هذه الخرافة بالانبياء عليهم السلام استخفافا حاش لله من هذا ؟ أو ترون بعد حمق من يؤمن بان هذا من عند موسى رسول الله وكليمه عن الله تعالى حمقا . نحمد الله على العافية . اين هذا الهوس البارد والكذب المفترى من نور الحق الذى يشهد له العقل بالصحه الذى جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل حقا ؟ اذ يقول فى هذه القصة نفسها مالا يمكن سواه (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) وقوله عز وجل(فكذلك القى السامرى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهارون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن أفعصيت امرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسي انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى) وقوله (ياابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) فهذا هو الصدق حقا . انما عمل لهم العجل الكافر الضال السامري واما هارون فنهاهم عنه جهده وانهم عصوه وكادوا يقتلونه وقد بين (١) الصبح لذي عينين . ولاح صدق قوله تعالى من كذب الآفكين * واما الخوار فقد صح عن ابن عباس مالا يجوز سواه . وانه انما كان دوى الريح تدخل من قبله . وتخرج من دبره . وهذا هو الحق لانه تعالى أخبر انه لا يكلمهم . ولو خار من عند نفسه لكان ضربا من الكلام . ولكانت حياة فيه وهو محال . اذ لا تكون معجزة ولا احالة لغير نبى اصلا وبالله تعالى التوفيق

-﴿ فصل ﴾- وفي خلال هذه الفصول ذكر ان الله عز وجل قال لموسى دعنى اغضب عليهم واهلكهم واقدمك على أمة عظيمة ، وان موسى رغب اليه وقال له تذكر ابراهيم واسرائيل واسحاق عبيدك الذين خلقتهم بيدك وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى يكونوا كنجوم السماء واورثتهم جميع هذه الارض التى وعدتهم بها ويملكونها فحن السيد ولم يتم ما كان اراد انزاله من المكروه بامته

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل عجائب * أحدها اخباره بان الله تعالى لم يتم ماأراد انزاله من المكروه بهم ، وكيف يجوز ان يريد الله عز وجل اهلاك قوم قد تقدم وعده لهم بامور ولم يتمها لهم بعد ؟ وحاش لله من ان يريد اخلاف وعده فيريد الكذب *

(١) قوله وقد بين الصبح لذى عينين هذا لفظ المثل ومعنى بين تبين

تكون الامامة فى غير قريش وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماما ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه وان غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله اوقتله وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا ان لا يكون فى العالم امام أصلا وان احتيج اليه فيجوز ان يكون عبداً أوحراً أونبطياً أو قرشياً * والبدعة الثانية انهم قالوا اخطأ على فى التحكيم اذ حكم الرجال لا حكم الا لله تعالى وقد كذبوا على علي عليه السلام من وجهين احدهما فى التحكيم انه حكم الرجال وليس ذلك صدقا لانهم هم الذين حملوه على التحكيم * والثاني ان تحكيم الرجال جائز فان القوم هم الحاكمون فى هذه المسئلة وهم رجال ولهذا قال عليه السلام * كلمة حق اريد بها باطل * وتخطئوا عن التخطئة الى التكفير ولعنوا عليا عليه السلام فيما قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فقاتل الناكثين وما اغتنم أموالهم ولا سبى ذراريهم ونساءهم وقاتل مقاتلة القاسطين وما اغتنم أموالهم ولا سبى ثم رضى بالتحكيم وقاتل مقاتلة المارقين وما اغتنم أموالهم وسبي ذراريهم وطعنوا فى عثمان للاحداث التى عدوها عليه وطعنوا فى أصحاب الجمل واصحاب صفين فقاتلهم على عليه السلام

وثانيها نسبتهم البدآء (١) الى الله عز وجل وحاش لله من ذلك ، والعجب من انكار من انكر منهم النسخ بعد هذا ، ولا نكرة فى النسخ لانه فعل من افعال الله أتبعه بفعل آخر من افعاله مما قد سبق في علمه كونه كذلك ، وهذه صفة كل مافي العالم من افعاله تعالى ، واما البدآء فمن صفات من يهم بالشيء ثم يبدوله غيره . وهذه صفة المخلوقين لا صفة من لم يزل لا يخفى عليه شيء يفعله فى المستأنف * وثالثها قوله فيها ويملكونها ، وهذا كذب ظاهر ماملكوها الامدة ثم خرجوا عنها الى الابد والله تعالى لا يكذب ولا يخلف وعده

﴿ فصل ﴾ وبعد هذا ذكران الله تعالى قال لموسى ، اذهب واصعد من هذا الموضع انت وامتك التي اخرجت من مصر الى الارض التي وعدت بها مقسما ابراهيم واسحاق ويعقوب لاورثها نسلهم وابعث بين يديك ملكا لاخراج الكنعانيين والاموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين تدخل فى ارض تفيض لبناً وعسلا لست انزل معكم لانكم امة قساة الرقاب لئلا تهلك بالطريق فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها فقال السيد لموسى قل لبني اسرائيل انتم امة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة واهلككم فضعوا زينتكم لاعلم ماأفعل بكم ، وبعد ذلك بفصول قال : ان موسى قال لله تعالى ان كنت سيدى عني راضياً فانا ارغب اليك ان تذهب معنا . وبعد ذلك : ان الله تعالى قال لموسى سأخرج بنفسي بين يديك

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فى هذا الفصل كذبتان وتشبيه محقق اما الكذبتان (فاحدهما) قوله انه سيبعث بين يدي موسى ملكا لاخراج الاعداء ، واماهو تعالى فليس ينزل معهم ثم نزل معهم ، وهذا كذب لا مخلص منه تعالى الله عن هذا وحاش له من ان يقول سافعل ثم لا يفعل ، وان يقول لا أفعل ثم يفعل (والثانية) قوله اني سأنزل اليكم مرة وأهلككم ثم لم يفعل ، حاش لله من هذا ، واما التشبيه المحقق فامتناعه من ان ينزل بنفسه واقتصاره على ان يبعث ملكا لنصرتهم ثم اجاب الى النزول معهم ، وهذا مالا يسوغ فيه مايسوغ فمن حديث التنزيل من انه فعل يفعله تعالى لانه لوكان هذا لكان ارسال الملك اقوى مايوجد فى العالم ، فاذ قد بطل فقد صح انه نزول نقلة ولابد

﴿ فصل ﴾ وفى خلال هذه الفصول قال : وكان السيد يكلم موسى مواجهة فما بفم كما يكلم المرء صديقه وان موسى رغب الى الله تعالي ان يراه وان الله تعالى قال له سأدخلك فى حجر وأحفظك بيميني حتى اجتاز ثم أرفع يدي وتبصر ورائي لانك لا تقدر ان تري وجهي ، ففي هذين الفصلين تشبيه شنيع قبيح جدا من اثبات آخر بخلاف الوجه وهذا مالا مخرج منه

(فصل) وفى السفر الثالث . ان البارى تعالى قال له : من ضاجع امرأة عمه او خاله او كشف عورة بنته فيحملان جميعا ذنوبهما ويموتان من غير اولاد

(قال

(١) البداء بالفتح والمد من قولهم بدا له بداء اى تغير رايه على ما كان عليه وقال ابن الاثير هو استصواب شيء علم بعدان لم يعلم وذلك على الله غير جائز (المصحح)

بالنهروان مقاتلة شديدة فما انفلت منهم الا أقل من عشرة وماقتل من المسلمين الا أقل من عشرة فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد الى تل مورون باليمن وظهرت بدع الخوارج فى هذه المواضع منهم وبقيت الى اليوم واول من بويع بالامامة من الخوارج عبدالله ابن وهب الراسبي فى منزل زيد بن حصين بايعه عبدالله ابن الكوا وعروة بن جرير ويزيد ابن عاصم المحاربي وجماعة معهم وكان يمتنع عليهم تحرجا ويستقبلهم ويومىء الى غيرهم تحرزا فلم يقنعوا الا به وكان يوصف برأى ونجدة فتبرأ من الحكمين وممن رضى بقبولهما وصوب امرهما وكفروا امير المؤمنين عليا عليه السلام وقالوا انه ترك حكم الله وحكم الرجال وقيل ان اول من تلفظ بهذا رجل من بنى سعد بن زيد بن مناة ابن تميم يقال له الحجاج ابن عبيد الله يلقب بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته لما سمع بذكر الحكمين وقال أتحكم فى دين الله لا حكم الا لله نحكم بما حكم القرآن به فسمعها رجل فقال طعن والله فانفذ فسموا المحكمة بذلك * ولما سمع امير المؤمنين علي عليه السلام هذه الكلمة قال كلمة عدل يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولابد من امارة برة او فاجرة ويقال ان اول سيف سل من الخوارج سيف عروة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) كنا ذكرنا اننا لانخرج عليهم من توراتهم كلاما لا يفهم معناه ، اذ للقائل ان يقول قد اصاب الله به ما أراد لكن هذا المكان لم يتخلف فيه وعدنا لانها شريعة مكلفة ملزمة . ومن المحال ان يكلف الله الناس عملا لا يفهمونه ولا يعقلون معنى الامر به

﴿ فصل ﴾ وفي السفر الرابع ذكر ان عدد بني اسرائيل الخارجين من مصر القادرين على القتال خاصة من كان ابن عشرين سنة فصاعدا كانوا ستمائة الف مقاتل وثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة مقاتل وخمسين مقاتل . وانه لايدخل في هذا العدد من كان له اقل من عشرين ولا من لايطيق القتال ولا النساء جملة . وان عددهم اذ دخلوا الارض المقدسة ستمائة الف رجل والف رجل وسبعمائة رجل وثلاثون رجلا . لم يعد فيهم من له اقل من عشرين سنة ، وان علي هؤلاء قسمت الارض المغنومة وعلي النساء وعلى من كان دون العشرين ايضا * وفى كتبهم ان داود عليه السلام احصى فى ايامه بنى اسرائيل فوجد بنى يهوذا خاصة خمسمائة الف مقاتل . ووجد التسعة الاسباط الباقية حاش بنى لاوي وبنى بنيامين فلم يحصها الف الف مقاتل غير ثلاثين الفا سوى النساء وسوى من لا يقدر علي القتال من صبي او شيخ اومعذور وكل هؤلاء انما كانوا فى فلسطين والاردن وبعض عمل الغور فقط والبلد المذكور بحالته كما كان لم يزد بالاتساع ولا نقص . وفى كتبهم ايضا ان ابنا ابن يربعام بن سليمان بن داود قتل من العشرة الاسباط من بنى اسرائيل خمسمائة الف رجل ، وان ابنا قتل اثنين وخمسين الف مقاتل

(قال ابو محمد رضى الله عنه) البلد المذكور باق لم ينقص ولا صغرت ارضه ، وحده باقرارهم فى الجنوب غزة وعسقلان ورحج وطرق من جبال الشراة بلد عيسو ، ولا خلاف بينهم فى انهم لم يملكوا قط قرية فما فوقها من هذه البلاد ، وانهم لم يزالوا من اول دولتهم الى آخرها محاربين مرة لبنى اسرائيل ومرارا عليهم ، وحد ذلك البلد في الغرب البحر الشامي ، وحده فى الشمال صور وصيدا واعمال دمشق التى لايختلفون فى انهم لم يملكوا قط منها مضرب وتد ، وانهم لم يزالوا من اول دولتهم الي آخرها محاربين لهم ، فمرة عليهم ومرة لهم ، وفى اكثر ذلك يملكون بنى اسرائيل ويسومونهم سوء العذاب . ومرة يخرج بنو اسرائيل عن ملكهم فقط ، وحد البلد المذكور فى الشرق بلاد مواب وعمون وقطعة من صحراء العرب التى هى الفلوات والرمال * ولا خلاف بينهم فى ان نص توراتهم ان الله تعالى قال لموسى وبنى اسرائيل : الى هنا لا تحاربوا بنى عيسو ولا بنى مواب ولا بنى عمون فاني لم اورثكم من بلادهم وطأة قدم فما فوقها لاني قد ورثت بين عيسو وبنى لوط هذه البلاد كما ورثت بنى اسرائيل تلك التى وعدتهم بها وانهم لم يزالوا من اول دولتهم الى آخرها يحاربونهم فمرة يملكهم بنو عمون وبنو مواب ومرة يخرجون عن رقهم فقط ، وطول بلاد بنى اسرائيل المذكورة بمساحة الخلفاء المحققة من عقبة انيق وهى على اربعة وخمسين ميلا من دمشق . الى طبرية ثمانية اميال وهى جبل افرايم . الى الطور اثنى عشر ميلا . الى اللجون اثنى عشر ميلا . الى علين عندها

شرط الله تعالى ثم شهر السيف والاشعث تولى فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية فلما رآى ذاك الاحنف مشي هو واصحابه الى الاشعث فسالوه الصفح ففعل وعروة بن أذينة نجا بعد ذلك من حرب النهروان وبقي الي ايام معاوية ثم اتى الى زياد بن ابيه ومعه مولى له فساله زياد عن ابى بكر وعمر فقال فيهما خيرا وساله عن عثمان فقال كنت اتوالى عثمان علي احواله فى خلافته ستة سنين ثم تبرأت منه بعد ذلك للاحداث التى احدثها وشهد عليه بالكفر فساله عن امير المؤمنين على كرم الله وجهه فقال اتوالاه الى ان حكم ثم أتبرأ منه بعد ذلك وشهد عليه بالكفر فسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم ساله عن نفسه فقال اولك لزنية وآخرك لدعوة وانت فيما بينهما بعد عاص ربك فامر زياد بضرب عنقه ثم دعا مولاه وقال له صف لى امره واصدق فقال أطنب ام اختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام فى نهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط هذه معاملته واجتهاده وذلك حبثه واعتقاده (الازارقة) اصحاب ابي راشد نافع بن الازرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الاهواز فغلبوا عليها وعلي كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان فى ايام عبد

ينقطع عمل الاردن ومبدأ عمل فلسطين ميل واحد، الى الرملة نحو اربعين ميلا، الى عسقلان ثمانية عشر ميلا . وموضع الرملة هو كان آخر عمل بنى اسرائيل . فذلك ثلاثة وسبعون ميلا .
وعرضه من البحر الشامى الى اول عمل جبل الشراة واول عمل مواب واول عمل عمان نحو ذلك ايضا . وعمل صغير شرقى الاردن يسمى الغور فيه مدينة بيسان يكون اقل من ثلاثين ميلا فى ثلاثين ميلا ولا يزيد، وكان هذا العمل الذي بشرقى الاردن بزعمهم وقع لبنى رؤابين وبنى جاد ونصف بنى منشا بن يوسف عليه السلام لانه كان يصلح لرعى المواشي وكان هؤلاء اصحاب بقر وغنم فاعجبوا لهذا الكذب المفضوح وهذا المحال الممتنع ان تكون المسافة المذكورة تقسم ارضها على عدد يكون ابناء العشرين منهم فصاعداً خاصة ازيد من ستمائة الف فاين من دون العشرين؟ واين النساء ؟ والكل بزعمهم اخذ سهمه من الارض المذكورة ليعيش من زرعها وثمرتها، واعلموا انه لايمكن البتة ان يكون فى المساحة المذكورة على ان تكون مساحة كل قرية ميلا فى ميل مزارعها ومشاجرها الاستة آلاف قرية ومائتا قرية ، هذا على ان يكون جميع العمل المذكور عمرانا متصلا لامرج فيه ولاشجر ولا ارض محجرة لاتعمر ولا ارض مرملة كذلك ولاسبخة ملح كذلك ، وهذا محال ان يكون . فعلى هذا يقع لكل قرية من الرجال المذكورين مائة رجل اونحو ذلك ، سوي من هو دون العشرين بينهم ، وسوى النساء ، ولاسبيل البتة على هذا ان يدركوا فيها المعاش ، وهذا كذب لاخفاء به ، لاسيا اذ بلغوا الف الف مقاتل وخمسمائة مقاتل سوى من لايقاتل ، وسوى النساء ، اين هذا الكذب البارد من الحق الواضح فى قول الله تعالى حاكياً عن فرعون انه قال اذ تبع بنى اسرائيل (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) هذا الذى لايجوز غيره ولايمكن سواه اصلا ، وكذبة اخرى . وهي انهم ذكروا فى كتاب يوشع : ان البلد المذكور كان فيه من المدن فى سهم بنى يهوذا مائة مدينة واربعة مدن . وفى سهم بنى شمعون سبع عشرة مدينة . وفى سهم بنيامين ثمان وعشرون مدينة . وفي سهم بنى زبلون اثنى عشر مدينة . وفى سهم بنى نفتالى تسع عشرة مدينة ، وفى سهم بنى دان ثمان عشرة مدينة فذلك مائتا مدينة واثنتان وست وثلاثون مدينة، قال فى الكتاب المذكور سوى قراها لايحصيها الا الله عز وجل . وذكر فيه انه وقع لنصف بنى منشا بن يوسف بشرقى الاردن باشان وعملها ، وان مدائنهم المحصنة ستون مدينة سوى قراها الايحصيها الاالله . فالمجتمع من هذه المدن المذكورة ثلاث مائة مدينة غير أربع مدن . ولم يذكر عدد مدائن بنى رؤابين ولاعدد مدائن بنى جاد ولاعدد مدائن نصف بنى منشا لذي بغرب الاردن ولامدائن بنى افرايم . وهذه الاسباط التى لم تذكر مدنها تقع على ماتوجبه توراتهم فى الربع من جميع بنى اسرائيل يقع لهم على هذا الحساب نحو مائة مدينة . اذا ضمت الى العدد الذى ذكرنا فنام الجميع نحو أربعمائة مدينة . فاعجبوا لهذه الشهرة أن تكون البقعة التى قد ذكرنا مساحتها على قلتها وتفاهتها تكون فيها هذه المدن . وقد ذكر ان نصف سبط بنى منشا الذين وقعوا بشرقى الاردن ووقع في خطهم ستون مدينة كانوا ستة وعشرين الف رجل مقاتلين كلهم ليس فيهم ابن اقل من عشرين سنة . والعمل باق الى اليوم لعله اثنى عشر ميلا فى مثلها . مارأيت

وعبد الله بن ماخوز واخواه عثمان والزبير وعمر بن عمير العنبرى وقطرى بن الفجاءة المازنى وعبيدة بن هلال اليشكرى واخوه محرز بن هلال وصخر بن حنبا التميمى وصالح بن مخراق العبدى وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير فى زهاء ثلاثين الف فارس ممن يرى رأيهم وينخرط في سلكهم فانفذ اليه عبيد الله بن الحرث ابن نوفل النوفلى بصاحب جيشه مسلم بن عنبس بن كويز بن حبيب فقتله الخوارج وهزموا اصحابه فاخرج اليهم ايضا عثمان ابن عبد الله بن معمر التيمى فهزموه فاخرج اليهم حارثة بن بدر العتابى فى جيش كثير فهزموه وخشى اهل البصرة على انفسهم وبلدهم من الخوارج فاخرج اليهم المهلب بن ابي صفرة فبقى فى حرب الازارقة تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم فى ايام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب مع الازارقة وبايعوا بعده قطرى بن الفجاءة وسموه امير المؤمنين (وبدع الازارقة ثمانية

اقل احداها انه كفر عليا عليه السلام وقال ان الله انزل فى شأنه * ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام * وصوب عبد الله بن ملجم لعنه الله وقال ان الله انزل

اقل حيـاء من الذى كتب لهم تلك الـكتب المرذولة . وسخم بها وجوههم ونعوذ بالله من الضلال

-﴿ فصل ﴾- ويتصل بهذا الفصل فصل آخر هو اشنع منه فى شهرة الـكذب وشنعة المحال وظهور التوليد وبشاعة الافتعال . ذكر فى صدر السفر الثاني اذ ذكر خروج بنى اسرائيل عن مصر مع موسى عليه السلام : ان الله تعالى امر موسى ان يعد بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر بسنة واحدة وشهر واحد فقط . فعد جميع قبائلهم فقال : هؤلاء أكابر البيوت فى قبائلهم حنوك وفلو وحصرون وكرمى وهم بنو رؤابين بكر ولد اسرائيل هذه قبائل رؤابين * وذكر فى أول السفر الرابع ان مقدمهم كان اليصور بن شديئور وأن عددهم كان ستة واربعين الف رجل (١) لم يعد منهم من له اقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق الحـرب وذكر في صدر السفر الثانى فقال وبنو شمعون يموئيل ويامين وأوهد ويا كين وصوحر وشأول بن الكنعانية هذه قبائل شمعون * وذكر فى اول السفر الرابع ان مقدمهم كان شلوميئيل بن صوريشداى وان عددهم كان تسعة وخمسين الف رجل (٢) لم يعد فيهم من له اقل من عشرين سنة ولا من لا يطيق الحرب * وقال فى صدر السفر الثاني : هذه تسمية بنى لاوى فى قبائلهم جرشون وقهاث ومرارى وابنا جرشون لبنى وشمعي فى قبائلهما وبنو قهاث عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل وابنا مرارى محـلى وموشى هذه انساب بنى لاوى فى قبائلهم فتزوج عمران يوكابد عمته فولدت له موسى وهارون وبنو يصهار قورح ونافج وذكري وبنو قورح اشير والقانة وابياساف وبنو عزيئيل ميشائيل والصافان وستري فتزوج هارون الى اليشابع بنت عميناداب اخت نحشون فولدت له ناداب وابيهوا والعازار وايثامار فتزوج العازار بن هارون فى بنات بنى فوطيئيل فولدت فيخاس . وقال فى صدر السفر الرابع : فكلم السيد موسى فى مغار سينا وقال له عد بنى لاوى فى بيوت آبائهم واهاليهم فكل ذكر ابن شهر فصاعدا حسبهم موسى كما عهد اليه السيد فوجد ولد لاوى على اسمائهم مسمين جرشون وقهاث ومرارى وولد جرشون لبنى وشمعى وولد قهاث عمرام ويصهار وعزيئيل وولد مرارى محلى وموشى وانه عد عامة ذكور بنى جرشون ابن شهر فصاعداً فـكانوا (٣) ستة آلاف وخمسمائة كانوا فى ساقة القبة فى الغرب تحت ايدى الياساف بن لايل . وبعد ذلك ذكر انه حسب الفى رجل وستمائة رجل وثلاثين رجلا ، ثم قال هذه نسبة قهاث خرج منه رهط عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل فحسب من كان منهم ذكرا ابن شهر فصاعدا فوجدهم ثمانية آلاف رجل وستمائة ذكر مقدمهم لصافان بن عزيئيل المذكور وامرهم ان يكونوا فى جنوب القبة حاشا موسي وهارون وأولادهما فانهم يكونون امام القبة فى الشرق وانه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة الى ابن خمسين سنة فقط فوجدهم الفى رجل وسبعمائة رجل وخمسين رجلا وذكر انه حسب بنى مراري محلى وموشى بنى مرارى

(١) فى التوراة التى بايدينا زيادة خمسمائة رجل اه مصححه (٢) فى التوراة التى بايدينا زيادة ثلاثمائة اه (مصححه) (٣) فى التوراة التى بايدينا سبعة آلاف وخمسمائة اه (مصححه)

في شانه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وقال عمران بن حصان وهو مفتي الخوارج وزاهدها وشاعرها الاكبر في تصويبه بن ملجم لعنه الله * ياضربة من منيب ما اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا * انى لاذكره يوما فاحسبه * اوفى البرية عند الله ميزانا * وعلى هذه البدعة مضت الازارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله ابن عباس رضى الله عنهم وسـائر المسلمين معهم وتخليدهم فى النار والثانية انه كفر القعدة وهو اول ما اظهر البراءة من القعدة على القتال وان كان موافقا على دينه وكفر من لم يهاجر اليه والثالثة اباحته قتـل اطفـال المخالفين والنسوان والرابعة اسقاطه الرجم عن الزاني اذ ليس فى القرآن ذكره واسقاطه حـد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحـد على قاذف المحصنـات من النساء الخامسة حكمه بان اطفال المشركين فى النار مع آبائهم السادسة ان التقيـة غير جائزة فى قول ولا عمـل السابعة تجويزه ان يبعث الله تعالى نبيا يعلم انه يكفر بعد نبوته او كان كافرا قبل البعثة والكبائر والصغائر اذا كانت بمثابة عنده وهي كفر وفى الامة من جوز الكبائر والصغائر على الانبياء عليهم السلام فهى كفر الثامنة اجتمعت الازارقة على ان من ارتكب كبيرة من الـكبائر

ومن كان منهم ابن شهر فصاعدا من الذكور فوجدهم ستة آلاف ومائتين مقدمهم صوريئيل ابن أبيحايل وامرهم ان يكونوا فى شمال القبة وانه حسب من كان منهم ابن ثلاثين سنة فصاعدا الى خمسين سنة فوجدهم ثلاثة آلاف رجل ومائتى رجل وبعد اذ ذكر من كان من بنى لاوى ابن شهر فصاعدا من الذكور كما اوردنا ، قال : فجميع اللاويين الذين حسب موسى وهارون من كل ذكر من ابن شهر فصاعدا اثنان وعشرون الفا * وان السيد اوحى الى موسى احسب بكور ذكور ولد اسرائيل الذكور من ابن شهر فصاعداً وتأخذ لى اللاويين عن بكور جميع ولد اسرائيل فعد موسى بكور ولد بنى اسرائيل الذكور من ابن فصاعدا فوجدهم اثنين وعشرين الفا ومائتين وثلاثة وسبعين ، فقال السيد لموسى : خذ بنى لاوى عن بكور ذكور ولد اسرائيل ليكون بنو لاوى لى وعن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين عن عدد بنى لاوى تأخذ عن كل واحد خمسة أشقال (١) بوزن الهيكل فأخذ موسى دراهم الزائدين فبلغت الفا وثلاثمائة وخمسة وستين شقلا واعطاها لهارون وولده على ما عهد عليه السيد * ثم ذكر فى سفر يوشع ان العازار بن هارون بنفسه اتى الى يوشع بن نون اذ افتتحت الارض المقدسة وكلمه فى ان يعطى بنى لاوى مدائن للسكنى ففعل ، وانه وقع لبنى هارون خاصة ثلاث عشرة مدينة من مدائن بنى يهوذا وبنيامين وشمعون ، وانه وقع لسائر بنى قاهاث ابن لاوى عشر مدائن بنى دان وبنى افرايم ونصف سبط منشا الذين مع سائر الاسباط ، وانه وقع لبنى جرشون بن لاوى ثلاث عشرة مدينة من مدائن يساخر واشار ونفتالى ونصف سبط منشا الذى بشرقى الاردن ، وانه وقع لبنى مرارى بن لاوى ثنتى عشرة مدينة من مدائن بنى زابلون وبنى رؤابين وجاد ابن يعقوب بشرقى الاردن فذلك لبنى لاوى ثمان واربعون مدينة ، وذكر فى السفر الرابع انه احصي ايضاً بنى جاد ابن يعقوب الرجال خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب فوجدهم خمسة واربعين الف رجل وخمسين رجلا مقدمهم الياساف بن رعوئيل * وانه احصى بنى يهوذا الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة فوجدهم اربعة وسبعين الفاً وستمائة رجل ، وقد ذكر قبل وبعد ان هذا العدد كله انما هم من ولد شيلة وفارص وزارح بنى يهوذا فقط مقدمهم نحشون بن عميناداب ابن ارام بن حصرون ابن فارص بن يهوذا بن اسرائيل * وانه احصى بنى يساحر الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم اربعة وخمسين الف رجل واربعمائة رجل مقدمهم نثنائيل بن صوغر ، وانه احصى بنى زبلون الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم سبعة وخمسين الف رجل واربعمائة رجل مقدمهم الياب بن حيلون ، وانه حسب بنى يوسف عليه السلام الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم اثنين وسبعين الف رجل وسبعمائة رجل ، منهم من ولد افرايم بن

يوسف

(١) الاشقال جمع شقل بفتح فسكون وفى اللسان عن ابن الاعرابى الشقل الوزن يقال اشقل لى هذا الدينار اى زنه

كفر كفر ملة خرج به عن الاسلام جملة ويكون مخلدا فى النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر ابليس لعنه الله وقالوا ما ارتكب الا كبيرة حيث امر بالسجود لآدم فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله تعالي

(النجدات العاذرية)

أصحاب نجدة بن عامر الحنفى وقيل عاصم وكان من شأنه انه خرج من اليمامة مع عسكره يريد اللحوق بالازارقة فاستقبله ابو فديك وعطية بن الاسود الحنفى فى الطائفة الذين خالفوا نافع بن الازرق فاخبروه بما أحدثه نافع من الخلاف بتكفير القعدة عنه وسائر الاحداث والبدع وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين ثم اختلفوا على نجدة فاكفره قوم منهم لامور نقموها عليه منها انه بعث ابنه مع جيش الى أهل القطيف فقتلوا وسبوا نساءهم وقوموها على انفسهم وقالوا ان صارت قيمتهن فى حصصنا فذاك والا رددنا الفضل ونكحوهن قبل القسمة واكلوا من الغنيمة قبل القسمة فلما رجعوا الى نجدة واخبروه بذلك قال لم يسعكم ما فعلتم قالوا لم نعلم ان ذلك لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم واختلف أصحابه بعد ذلك فمنهم من وافقه وعذر بالجهالة فى الحكم الاجتهادى وقالوا الدين امران احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسله عليهم السلام وتحريم دماء المسلمين يعنون موافقيهم والاقرار بما جاء من عند الله جملة فهذا واجب على الجميع والجهل به

يوسف اربعون الف رجل وخمسمائة رجل ، ومقدمهم اليشمع بن عميهود ، ومن ولد منشا بن يوسف اثنان وثلاثون الف رجل ومائتا رجل، مقدمهم جمليئيل بن فدهصور، وانه حسب بنى بنيامين الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين سنة فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فكانوا خمسة وثلاثين الف رجل واربعمائة رجل ، مقدمهم ابيدن بن جدعونى ، وانه حسب بنى دان الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من المبارزين للحرب خاصة ، فكانوا اثنين وستين الف رجل وسبعمائة رجل ، مقدمهم اخيعزر بن عميشداي ، وكلهم من ولد حوشيم بن دان ، وانه حسب بنى اشير الذكور خاصة من كان منهم ابن عشرين فصاعدا من المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم احدا واربعين الف رجل وخمسمائة رجل، مقدمهم فجعيئيل ابن عكرن ، وانه حسب بنى نفتالى من كان منهم من الذكور خاصة ابن عشرين فصاعدا المبارزين للحرب خاصة ، فوجدهم ثلاثة وخمسين الف رجل واربعمائة رجل ، مقدمهم اخيرع ابن عينن ، وان هذا الحساب كان بعد عام واحد وشهر واحد من خروجهم من مصر حاشا قسمة المدائن المذكورة ، وانها بعد دخولهم فسلطين والاردن * فليتأمل كل ذى تمييز صحيح من الخاصة والعامه هذا الكذب الفاحش الذى لاخفاء به ، والمحال الممتنع والجهل المفرط الموجب كل ذلك ضرورة انها كتب محرفة مبدلة من تحريف فاسق سخربهم ، وانها لا تمكن ألبتة ان تكون من عند الله ولا من عند نبي ولا من عمل صادق اللهجة * فمن ذلك اخباره بان رجال بنى دان كانوا اذ خرجوا من مصر اثنين وسبعين الفاً وسبعمائة رجل ، لم يعد فيهم من كان منهم ابن اقل من عشرين سنة ، ولا من لا يطيق البروز للحرب ولا النساء ، وانهم كلهم راجعون الى حوشيم بن دان وحده ، ولم يكن لدان باقرارهم ولد غير حوشيم مع قرب انسابهم من حوشيم ، لان فى نص توراتهم ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان الجيل الرابع من الاولاد يرجعون الى الشام فاضبطوا هذا يظهر لكم الكذب علانية لا خفاء به ، وان بنى يهوذا كانوا اربعة وسبعين الفا وستمائة رجل ليس يعد فيهم من له أقل من عشرين سنة ، وكلهم راجعون كما ذكرنا الى ثلاثة اولاد ليهوذا لم يعقب له غيرهم ، وفى الحياة يومئذ رئيسهم نحشون بن عمينا داب بن رام ابن حصرون بن فارص ابن يهوذا وان بنى يوسف عليه السلام كانوا اثنين وسبعين الف رجل وسبعمائة رجل ليس يعد فيهم من له اقل من عشرين سنة ، وكلهم راجع الى افرايم ومنشا لم يعقب ليوسف غيرهما ، وفيهم يومئذ فى الحياة صلفحاد بن حافر بن جلعاد بن منشا بن يوسف عليه السلام، وقد ذكر ايضا فى توراتهم اولاد افرايم فلم يجعل له الا ثلاثة ذكور ، ولم يجعل لمنشا الا ولدين ، وذكر اولاد جلعاد المذكور بن منشا ولم يجعل له الا ستة ذكور فقط * فاجعلوا لمنشا وافرايم اقصى ما يمكن ان يكون للرجل من الاولاد ثم لجعاد واخوته وبنى عمه مثل ذلك ، ثم لحافر وطبقته مثل ذلك ، وانظروا هل يمكن ان يبلغ ذلك ثلث هذا العدد ، والامر فى ولد دان اخش من سائر ما فى ولد اخوته وان كان الكذب فى كل ذلك فاحشا ، لان البضع والسبعين الف رجل وزيادة لم يعد فيهم ابن اقل من عشرين

لا يعذر فيه والثاني ماسوى ذلك فالناس معذورون فيه الى ان تقوم عليهم الحجة فى الحلال والحرام قالوا ومن خاف العذاب على المجتهد المخطئ فى الاحكام قبل قيام الحجة عليه فهو كافر واستحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمه وأموالهم على دار التقية وحكم بالبراءة ممن حرمها قال واصحاب الحدود من موافقيه لعل الله تعالى يعفوا عنهم وان عذبهم ففى غير النار ثم يدخلهم الجنة فلا تجوز البراءة عنهم وقال من نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة واصر عليها فهو مشرك ومن زنا وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك وغلظ على الناس فى حد الخمر تغليظا شديدا ولما كاتب عبدالملك بن مروان واعطاه الرضا نقم عليه أصحابه فيه فاستتابوه فاظهر التوبة فتركوا النقمة عليه والتعرض له وندمت طائفة على هذه الاستتابة وقالوا اخطأنا وما كان لنا ان نستتيب الامام وما كان له ان يستتيب باستتابتنا اياه فتابوا عن ذلك واظهروا الخطأ وقالوا له تب عن توبتك والا نابذناك فتاب من توبته وفارقه ابو فديك وعطية ووثب عليه ابو فديك فقتله ثم برئ ابو فديك من عطية وعطية من ابى فديك وانفذ عبدالملك بن مروان معمر ابن عبدالله ابن معمر الى حرب ابى فديك فحاربه اياما فقتله ولحق عطية بارض سجستان ويقال لاصحابه العطوية ومن أصحابه

سنة يرجعون الى ثلاثة من ولد يهوذا واثنين من ولد يوسف ، وأما الاثنان وستون الف رجل ونيف لا يعد فيهم ابن اقل من عشرين سنة فانما يرجع الى واحد فقط لم يمكن لدان غيره بلا خلاف منهم ، فكيف اذا اضيف الي هذا العدد من له اقل من عشرين سنة من الرجال ؟ والاغلب انهم قريب من عدد المتجاوزين عشرين سنة او اقل بيسير وجميع النساء والاغلب انهن فى عدد الرجال او قريباً من ذلك ، فيجتمع من ولد حوشيم ابن دان وحده فى مدة مائتى عام وسبعة عشر عاما نحو مائة الف وستين ألف انسان ، هذا المحال الممتنع الذى لم يكن قط فى العالم علي حسب بنيته . ويجتمع من ولد يوسف عليه السلام علي هذا ارجح من مائتى الف انسان . ومن ولد يهوذا نحو ذلك وليس يمكنهم ان يقولوا ان الطبقات من الولادات كانت كثيرة جدا لوجهين (احدهما) قوله فى توراتهم ان الجيل الرابع من الاولاد يرجعون الى الشام (والثاني) ان الذى ذكر انسابهم من بنى لاوى وبنى يهوذا وبنى يوسف وبنى رؤابين كانوا متقاربين فى التعداد كموسى وهارون ومريم بنى عمران بن قاهات بن لاوى بن اسرائيل واليصافان بن عزيئيل بن قاهات بن لاوى بن اسرائيل وقورح واخواته بنو يصهار بن قاهات بن لاوى بن اسرائيل ونحشون واخواته بنو عميناداب ابن ارام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن اسرائيل واحار بن كرمى بن سيداى بن شيلة بن يهوذا بن اسرائيل ودابان وابيرام ابنا الباب بن ملوكن بن روبان بن اسرائيل واخوتهم واولادهم واولاد اولادهم ، هذا نص ذكر انسابهم فى توراتهم ، فوضح ان الامر متقارب فى تعدادهم وظهر بهذا عظيم الكذب الفاحش في الاعداد التى ذكروا ، ولا يمكنهم البتة ان يقولوا انه كان لاسرائيل غير من سمينا من الاولاد الاثنى عشر ، ولانه كان لاولاد اسرائيل المذكورين غير من سمينا من الاولاد وعددهم احد وخمسون رجلا فقط ، لبنيامين عشرة . ولجادا سبعة ولشمعون ستة . ولرؤابين واشير وليساخر ونفتالى لكل واحد منهم اربعة اربعة . وليهوذا وللاوى وزبلون لكل واحد منهم ثلاثة ثلاثة . وليوسف اثنان ولدان وواحد فيا للناس كيف يمكن ان يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلا فقط في مدة مائتى عام وسبعة عشر عاما فقط ازيد من الفى الف انسان ؟ هذا غاية المحال الممتنع. لانه نص فى توراتهم انه انتسل منهم ستماية الف وثلاثة آلاف رجال كلهم لم يعد فيهم ابن اقل من عشرين سنة . ولعل من دون العشرين عاما منهم يقاربون هذا العدد . ثم النساء ولعلهن نحو هذا العدد . فاعجبوا لهذا الفضائح . وقد رام بعض من صككت وجهه من علمائهم بهذه الفضيحة ان يلوذ بهذا الشغب . فقلت دع عنك هذا التمويه فقد سدت عليك توراتك كل المذاهب .لان فيها بعلمك حيث ذكر خروجهم من مصر وحيث ذكر دخولهم الى الشام وحيث ذكر قسمة الارض عليهم فى سفر يوشع ذكر انخاذ قبائلهم وتسمية اسباطهم اسما اسما . فلم نزد علي من سمينا ولا واحدا . فلو كان ما تقول لكانت ايضاً قد كذبت فى هذا الموضع اذ ذكرت بزعمك هذا قسمة الارض ورتبة الجيوش واعداد الاسباط بخلاف ما تزعم . فلابد فيها من الكذب المتيقن كيفما تصرفت الحال فسكت خاسئاً * فان قيل الم يقل يعقوب اذ عرض عليه يوسف ابنه افرايم ومنشا فقال له يعقوب افرايم ومنشا يكونان لى وينسبان الى

وحكى الكعبي عن النجدات ان التقية جائزة فى القول والعمل كله وان كان فى قتل النفس قال واجمعت النجدات على انه لا حاجة للناس الى امام قط وانما عليهم ان يتناصفوا فيما بينهم فان رأوا ان ذلك لا يتم الا بامام يحملهم عليه فاقاموه جاز ثم افترقوا بعد نجدة الى عطوية وفديكية وبرئ كل واحد منهما عن صاحبه بعد قتل نجدة وصارت الدار لابى فديك الا من تولى نجدة واهل سجستان وخراسان وكرمان وقهستان من الخوارج علي مذهب عطية وقيل كان نجدة بن عامر ونافع بن الازرق قد اجتمعا بمكة مع الخوارج على ابن الزبير ثم تفرقا عنه فاختلف نافع ونجدة ونجدة فصار نافع الى البصرة ونجدة الى اليمامة وكان سبب اختلافهما ان نافعاً قال التقية لا تحل والقعود عن القتال كفر واحتج بقول الله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله وبقوله تعالي يقاتلون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وخالفه نجدة وقال التقية جائزة واحتج بقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة ومن وبقوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال القعود جائز والجهاد اذا أمكنه افضل (وفضل الله

ومن ولدلك بعدها ينسبان اليك * قلنا لايخلو يوسف عليه السلام من ان لايكون له ولد غيرهما ممن اعقب خاصة كما نقول نحن وتشهد به نصوص توراتكم وجميع كتبكم . أو يكون ليوسف ولد أعقب غير افرايم ومنشا فلو كان ذلك فكتبكم كلها كاذبة اولها عن آخرها من التوراة فما وراءها . لانه فى كل مكان ذكر فيه رتبة معسكر الاسباط سبطاً سبطاً . وعددهم اذ خرجوا من مصر . وعددهم اذ دخلوا الشام . وعددهم اذ أهدوا الكباش والعجول وحقاق الذهب . وعددهم اذ وقفوا على الجبلين للبركة واللعنة . وعددهم اذ نقشت اسماؤهم فى الفصوص المرتبة على صدر هارون فى ازيد من الف موضع فى سائر كتبهم . ولم يذكر ليوسف الاسبطين فقط سبط منشا وسبط افرايم فبطل الاعتراض بذلك الكلام المذكور وبالله التوفيق * وقد علم كل من يميز من الرجال والنساء ان الكثرة الخارجة من الاولاد لم توجد فى العالم . لصعوبة الامر فى تربية اطفال الناس ولكون الاسقاط فى الحوامل . ولابطاء حمل المرأة بين بطن وبطن . ولكثرة الموت فى الاطفال . فهذه اربع عوارض قواطع دون الكثرة الخارجية فى الاولاد للناس . ثم كون الاناث فى الولادات ايضا . ولو طلبنا ان نعد من عاش له عشرون ولدا فصاعدا من الذكور وبلغوا الحلم فما وجدناهم الا فى الندرة ثم فى القليل من الملوك وذوى اليسار المفرط الذين تنطلق ايديهم على الكثير من النساء والاماء . ثم على الخدام اللواتى هن العون على التربية والكفاية . وعلى كثرة المال الذى لايكون المعاش الابه ، واما من لايجد الا الكفاف وفوقه مما لايبلغ الاكثار من الوفر ولايقدر الا على المرأة والمرأتين ونحو ذلك ، فلا يوجد هذا فيهم البتة بوجه من الوجوه ، ولايمكن ذلك اصلاً لهم لما ذكرنا آنفاً من القواطع الموانع ، وقد شاهدنا الناس وبلغتنا اخبار أهل البلاد البعيدة وكثر بحثنا عما غاب عنا منا ووصلت الينا التواريخ الكثيرة المجموعة فى اخبار من سلف من عرب وعجم فى كثير من الامم ، فما وجدنا فى ذلك المعهود من عدد أولاد الذكور فى المكثرين الذين يتحدث بهم عند كثرة الولد الا من أربعة عشر ذكراً فاقل ، واما مازاد الى العشرين فنادر جدا هذه الحال فى جميع بلاد أهل الاسلام ، والذى بلغنا عن ممالك النصارى الى أرض الروم وممالك الصقالبة والترك والهند والسودان قديماً وحديثاً ، واما الثلاثون فاكثر فما بلغنا ذلك الاعن نفر يسير عمن سلف * منهم انس بن مالك الانصارى وخليفة بن ابى السعدى ، وابو بكرة ، فان هؤلاء لم يموتوا حتى مشى بين يدى كل واحد منهم مائة ذكر من ولده ، وعمر بن عبدالملك فانه كان يركب معه ستون رجلا من ولده ، وجعفر بن سليمان بن على بن عبدالله ابن العباس فانه عاش له أربعون ذكراً من ولده سوى ابنائهم ، وعبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية فانه ولد له خمسة واربعون ذكراً عاش منهم نيف وثلاثون ، وموسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر محمد بن على بن الحسين بن على ابن ابى طالب فانه بلغ له منهم مبلغ الرجال واحد وثلاثون ابناً ذكوراً كلهم ، وكان ابوه اميراً على اليمن مرة قائما ومرة والياً للمأمون ، ووصيف مولى المعتصم التركى كان له خمسة وخمسون ذكراً بالغون من ولده الادنين ، وتامرت مولى بنى مناد صاحب طرابلس

المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) وقال نافع هذا فى اصحاب النبى ﷺ حين كانوا مقهورين وأما فى غيرهم مع الامكان فالقعدة كفر لقوله تعالى (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)

(البيهسية) اصحاب أبى بيهس الهيصم بن جابر وهو احد بنى سعد بن ضبيعة وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب الى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المزنى فظفر به وحبسه وكان يسامره الى ان ورد كتاب الوليد بان يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك وكفر ابو بيهس ابراهيم وميمون فى اختلافهما فى بيع الامة وكذلك كفر الواقفية وزعم انه لايسلم احد حتى يقر بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسله ومعرفة ماجاء به النبى ﷺ والولاية لاولياء الله تعالى والبراءة من اعداء الله فمن جملة ماورد به الشرع مما حرم الله وجاء به الوعيد فلا يسعه الا معرفته بعينه وتفسيره والاحتراز عنه ومنه ماينبغى ان يعرفه باسمه ولايضر ان لايعرفه بتفسيره حتى يبتلى به وعليه أن يقف عندما لا يعلم ولا يأتى بشىء الا بعلم * وبرىء أبو بيهس عن الواقفية لقولهم انا نقف فيمن واقع الحرام وهو لايعلم أحلال واقع أم حرام قال كان من حقه أن يعلم ذلك * والايمان هو أن يعلم كل حق من باطل وان الايمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل * ويحكى عنه انه قال الايمان هو الاقرار والعلم وليس هو أحد الامرين دون الآخر وعامة

تعالى (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه) وما سوى ذلك فكله حلال * ومن البهسية قوم يقال لهم العونية وهم فرقتان فرقة تقول من رجع الى دار الهجرة الى القعود برئنا منه * وفرقة تقول بل نتولاهم لانهم رجعوا الى أمر كان حلالا لهم والفرقتان اجتمعتا على ان الامام اذ كفر كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد * ومن البهسية صنف يقال لهم اصحاب التفسير زعموا ان من شهد من المسلمين شهادة اخذ بتفسيرها وكيفيتها * وصنف يقال لهم اصحاب السؤال قالوا ان الرجل يكون مسلماً اذا شهد الشهادتين وتبرأ وتولى وآمن بما جاء من عند الله جملة وان لم يعلم فيسأل ما افترض الله عليه ولا يضره ان لا يعلم حتى يبتلى به فيسأل وان واقع حراما لم يعلم تحريمه فقد كفر * وقالوا فى الاطفال بقول الثعلبية ان اطفال المؤمنين مؤمنون واطفال الكافرين كافرون ووافقوا القدرية فى القدر وقالوا ان الله تعالى فوض الى العباد فليس لله فى اعمال العباد مشيئة فبرئت منهم عامة البهسية * وقال بعض البهسية ان واقع الرجل ونخبر حراماً لم يحكم بكفره حتى يرفع امره الى الامام والوالى ويحده وكل ماليس فيه حد فهو مغفرر * وقال بعضهم ان السكر اذا

فانه كان يركب ومعه ثمانون ذكرا من أولاده الادنين ، الا ان هذا كان يغتصب كل امرأة اعجبته من أمة او حرة ويولدها . ورجل من ملوك البربر من بنى دمر معتزلى كان يركب معه مائتا فارس من ولده وولد ولده ، وتميم بن زيد بن يزيد بن يعلى بن محمد العرنى فانه بلغنا انه كان له نيف وخمسون ذكرا بالغون . وكان ملك بنى نفر ممن ملك بلادا عظيمة . وابو البهار بن زيرى بن منكاد فكان يركب معه ثلاثون ذكرا من ولده الادنين . ومرزوق ابن اشكر بن الثغرى بجهة لارده فكان يركب معه ثلاثون فارساً من ولده الادنين . وبلغنا عن ملك من ملوك الهند انه كان له ثمانون ولدا ذكورا بالغون * وتذكر اليهود فى تواريخهم ان رئيسا كان يدبر امرهم كلهم يسمى جدعون ابن بواش من بنى منشا بن يوسف عليه السلام كان له سبعون ولدا ذكورا ، وان آخر منهم ايضا من سبط منشا يسمى يابين بن جلعاد كان له اثنان وثلاثون ولدا ذكورا ، وآخر من مدبريهم اسمه عبدون بن هلال من بنى افرايم بن يوسف كان له اربعون ابنا ذكورا بالغون ، وآخر من مدبريهم من سبط يهوذا اسمه افصان من سكان بيت لحم كان له ثلاثون زوجة وثلاثون ابنا ذكوراً وثلاثون بنتا ، وتزعم الفرس ان جودرز الملك على كرمان كان له تسعون ابناً ذكورا بالغون فاذا كانت هذه الصفة لم نجدها منذ نحو ثلاثة آلاف عام الا فى اقل من عشرين انساناً فى مشارق الارض ومغاربها فى الامم السالفة والخالفة ممن علت حاله وامتد عمره وكثرت امواله وعياله ، فكيف يتأتى من هذا العدد مالم يسمع بمثله قط فى الدهر لا فى نادر ولا فى شاذ لبنى اسرائيل كافة بمصر ؟ وحالهم فيها معروفة مشهورة لا يقدر احد على انكارها ، وهى انهم كانوا فى حياة يوسف عليه السلام فى كفاف من العيش اصحاب غنم فقط ، ولم يكونوا في يسار فائض ، ثم كانوا بعد موت يوسف واخوته عليه السلام فى فاقة عظيمة ، وعذاب ونصب ، وسخرة متصلة ، وذل راتب ، وبلاء دائب ، وتعب زاهق ، يكاد يقطع عن الشبع ، فكيف عن الاتساع فى العيال والأشر في الاستكثار من الولد ؟ فهذه كذبة عظيمة مطبقة فاضحة * وثانية . وهى ان فى توراتهم انهم كانوا ساكنين فى أرض قوس فقط وان معاشهم كان من المواشى فقط * وذكر فى توراتهم انهم اذ خرجوا من مصر خرجوا بجميع مواشيهم * فاعجبوا أيها السامعون وتفكروا ما الذى يكفى ستمائة الف وثلاثة آلاف لم يعد فيهم ابن أقل من عشرين سنة سوى النساء للقوت والكسوة من المواشي ، ثم اعلموا يقينا ان أرض مصر كلها تضيق عن مسرح هذا المقدار من المواشى ، فكيف أرض قوس وحدها ؟ وهم يقولون فى توراتهم ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام لم يحمل كثرة مواشيهم أرض واحدة ، ولا أمكنهما أن يسكنا معا ، فكيف بمواش تقوم بأزيد من الف الف وخمسمائة الف انسان ؟ لقد كان الذى عمل لهم هذه الكتب الملعونة المكذوبة ضعيف العقل قليل الفكرة فيما يطلق به قلمه ، فهذه كذبة فاحشة ثانية عظيمة جدا * وثالثة . انه ذكر فى توراتهم انهم كانوا كلهم يسخرون في عمل (الطوب (١)) ، وتالله ان ستمائة الف طواب لكثير جدا ، لا سيما فى قوس وحدها ، وليس يمكنهم أن يقولوا انهم كانوا متفرقين . فان توراتهم تقول غير هذا

(١) فى صحاح الجوهرى الطوب الآجر بلغة أهل مصر

وتخبر انهم كانوا مجتمعين ، ذكر ذلك فى مواضع جمة ، منها حيث أمرهم بذبح الخرفان ومس العنب بالدم ، ومنها حيث أباح لهم فرعون الخروج مع موسى عليه السلام فكانوا كلهم مجتمعين بمواشيهم يوم خروجهم . وهذه كذبة عظيمة ثالثة لاخفاء بها * والرابعة انه ذكر أن بنى لاوى ثلاثة رجال فقط ، قهات وجرشون ومرارى ، وان ذكور نسل هؤلاء الثلاثة فقط كانوا اثنين وعشرين الفا من الذكور خاصة من بن شهر فصاعدا ، من جملتهم ثمانية آلاف رجل وخمسمائة رجل وثمانون رجلا ليس فيهم بن أقل من ثلاثين سنة ، ولا ابن أكثر من خمسين سنة ثم ذكر أولاد مرارى فلم يذكر له الاولدين محلى وموشى فقط ، وذكر أولاد جرشون بن لاوى فلم يذكر له الاولدين لبنى وشمعى ، وذكر أولاد قهات بن لاوى فلم يذكر الا أربعة فقط ، عمرام ويصهار وحبرون وعزيئيل ، فرجع نسل لاوي كله الى هؤلاء الثمانية فقط ، ثم لم يجعلوا لتوجيه التأويل فى كذبهم مساغا بل عد أولاد عمرام بأنهم موسى وهارون عليهما السلام فقط ، والعازار وفرصوم ابنى موسى عليه السلام وكانا صغيرين حينئذ جدا ، وأربعة أولاد لهارون عليه السلام، وعد أولاد يصهار فذكر قورح واخوته وثلاثة أولاد لقورح ، وبقى سائر العدد المذكور من الالوف وهى ثمانية آلاف رجل وستمائة رجل لا يعد فيهم بن أقل من شهر من بنى قهات خاصة راجعا الي أولاد حبرون وعزيئيل وأخوي قورح فقط ، هذا والصافان بن عزيئيل حى مقدم طبقته سوى النساء ، ولعل عددهن كعدد الرجال ، وهذا من احمق الذى لا نظير له ومن قلة الحياء فى الدرجة العليا ، ومن الكذب البحث فى المقدمة ومن المحال فى المحل الاقصى ، وجار مجرى الخرافات التى تقال عند السمر بالليل ، ولعمرى لو ضل بتصديق هذا المهوس الفاجر واحد واثنان لكان عجباً . فكيف أن يضل به عالم عظيم وجيل بعد جيل مذ أزيد من الف وخمسمائة عام مذ كتب لهم عزر الوراق هذا السخام الذى أضلهم به ؟ ونحمد الله على عظيم نعمته علينا كثيرا . ونسأله العصمة فى باقى أعمارنا مما امتحن به من شاء ضلاله آمين آمين * والخامسة قوله فى سفر يوشع : انه وقع لبنى هارون ثلاث عشرة مدينة والعازار بن هارون حى قائم ، فيا للناس أفى المحال أكثر من أن يدخل فى عقل أحد أن نسل هارون بعد موته بسنة وأشهر يبلغ عددا لا يسعه للسكنى الا ثلاث عشرة مدينة ؟ هل لهذا الحمق دواء الا الغل (١) والقيد والمجمعة وما يتبع ذلك من السكى والسوط ؟ ونعوذ بالله من الخذلان * وكذبة سادسة ظريفة جدا . وهي أنه ذكر فى توراتهم أن عدد ذكور بنى جرشون بن لاوي من بن شهر فصاعدا كانوا ستة آلاف وخمسمائة وان عدد ذكور بنى قهات ابن لاوي من بن شهر فصاعدا كانوا ثمانية آلاف وستمائة وان عدد ذكور بنى مرارى بن لاوى من بن شهر فصاعدا كانوا ستة آلاف ومائتين ثم قال لجميع الذكور من بنى لاوى من ابن شهر فصاعدا اثنان وعشرون الفا فكان هذا ظريفا جدا وشيئا تندى منه الآباط وهل يجهل

(١) الغل بالضم واحد الاغلال وهو ما يوضع فى العنق أو اليد يقال فى رقبته غل من حديد والقيد معروف وهو ما يوضع فى الرجل والمجمعه والجامعة غل يوضع فى اليدين وتجمعان علي مجامع وجوامع ومن الاخيرة قول الشاعر : ولو كبلت فى ساعدي الجوامع . اه لمصححه من كتب اللغة

ينضم اليه كبيرة اخري من ترك الصلاة او قذف المحصن * ومن الخوارج اصحاب صالح بن مسرح ولم يبلغنا عنه انه احدث قولاً تميز به عن اصحابه فخرج على بشر بن مروان فبعث اليه بشر بن الحارث ابن عميرة او الاشعث بن عميرة الهمداني انفذه الحجاج لقتاله فاصابت صالح جراحة فى قصر حلولا فاستخلف مكانه شبيب ابن يزيد الشيباني ويكنى ابا الضحارى وهو الذى غلب على الكوفة وقتل من جيش الحجاج اربعة وعشرين اميرا امراء الجيوش ثم انهزم الى الاهواز وغرق فى نهر الاهواز وذكر اليمان ان الشيبية يسمون مرجئة الخوارج لما ذهبوا اليه من الوقف فى امر صالح ويحكى عنه انه بريء منه وفارقه ثم خرج يدعى الامامة لنفسه ومذهب شبيب ماذكرناه من مذهب البيهسية الا ان شوكته وقوته ومقاماته مع المخالفين عمالم يكن لخارج من الخوارج وقصته مذكورة فى التواريخ (العجاردة) اصحاب عبد الكريم بن عجرد وافق النجدات فى بدعهم * وقيل انه كان من أصحاب أبي بيهس ثم خالفه وتفرد بقوله تجب البراءة عن الطفل حتى يدعى الى الاسلام ويجب دعاءه اذا بلغ وأطفال المشركين فى النار مع آبائهم ولا يرى المال فيأحتى يقتل

احدان الاعداد المذكورة انماهي يجتمع منها واحد وعشرون الفاً وثلاث مائة ؟ هذا امر لاندرى كيف وقع ؟ اتراه بلغ المسخم الوجه الذى كتب لهم هذا الكتاب الاحمق من الجهل بالحساب هذا المبلغ ، ان هذا لعجب . ولقد كان الثور اهدى منه والحمار انبه منه بلاشك ، اترى لم يأت بعده من اليهود مذ ازيد من الف عام وخمسمائة عام من تبين له ان هذا خطاء وباطل ؟ ولايمكن ان يدعى هنا غلط من الكتاب ولاوم من الناسخ فى بعض النسخ ، لانه لم يدعنا فى لبس من ذلك ولافى شك من فساد ماأتى به بل أكد ذلك و بينه وفضحه واوضحه بان قال : ان بكور ذكور بنى اسرائيل كانوا اثنين وعشرين الفاً ومائتين وثلاثة وسبعين وان الله تعالى امر موسى ان يأخذ بنى لاوى الذكور عن بكور ذكور بنى اسرائيل وان يأخذ عن المائتين والثلاثة والسبعين الزائدين من بكور ذكور بنى اسرائيل عن الاثنين وعشرين الفاً من بنى لاوى عن كل رأس خمسة اشقال فضه ، فاجتمع من ذلك الف شقل وثلثمائة شقل وخمسة وستون شقلا ، فارتفع الاشكال جملة ، وبالله التوفيق * وتالله ماسمعنا قط باخبث طينة ولاافسد جبلة ممن كتب لهم هذا الضلال الامن اتبعه وصدق بضلاله . فهذه ست كذبات فى نسق لولم يكن فى توراتهم منها الا واحد لكان برهاناً قاطعاً موجباً لليقين بانها كتاب موضوع بلاشك مبدل محرف صنعير مكذوب ، فكيف بجميع ما اوردنا من ذلك ونورد ان شاء الله ونعوذ بالله من الخذلان ، ويتلو هذا كذبة شائعة بشيعة شنيعة . وهى انهم لايختلفون فى ان داود عليه السلام هو ابن ايشاى بن عوبيذ بن بوعز بن شلومون بن نحشون بن عميناداب ابن ارام بن حصرون . لايختلفون فى ان عوبيذ المذكور جد داود ابا ابيه كانت امه روث العمونية التى لها كتاب مفرد من كتب النبوة . ولايختلفون فى ان من خروجهم من مصر الى ولاية داود عليه السلام كانت ستمائة سنة وست وستين * وفى نص التوراة عندهم و بلاخلاف منهم ان مقدم بنى يهوذا اذ خرجوا من مصر كان نحشون بن عميناداب المذكور . وانه اخو امرأة هارون عليه السلام * وفى نص توراتهم انهم قالوا : قال الله تعالى انه لايدخل الارض المقدسة من خرج من مصر وله عشرون سنة فصاعداً الا يهوشع بن نون الافرايمى وكالب ابن يفنة اليهوذانى . فصح ضرورة ان نحشون مات فى التيه ، وان الداخل فى ارض الشام هو ابنه شلومون * فاقسموا الآن ستمائة وست وستين على اربع ولادات فقط . وهذه ولادة بوعز بن شلومون الداخل ثم ولادة عوبيذ بن بوعز بن روث العمونية ثم ولادة ايشاى بن عوبيذ ثم ولادة داود عليه السلام ثم ايشاى ثم لاتخلف كتبهم فى ان داود عليه السلام ولى وله ثلاث وثلاثون سنة عند تمام الستمائة سنة وست وستين . فينبغى ان تسقط سنو داود اذ ولى من العدد المذكور يكون الباقى خمسمائة سنة وثلاثا وسبعين سنة لثلاث ولادات . وهى ولادة ايشاى وولادة عوبيذ وولادة بوعز * فتاملوا . ابن كم كان واحد منهم اذ ولد له ابنه المذكور ؟ تعلموا انه كذب مستحيل فى نسبة ذلك من اعمارهم يومئذ لا فى كتبهم نصا انه لم يعش احد بعد موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل مائة وثلاثين سنة الا يهوياراع الكوهن (١) الهارونى وحده

(١) الكوهن بالعبرية هو الكاهن بالعربيه (المصحح)

ويحكى عنهم انهم ينكرون كون سورة يوسف من القرآن ويزعمون أنها قصة من القصص قالوا ولايجوز أن تكون قصة العشق من القرآن * ثم ان العجاردة افترقت أصنافا ولكل صنف مذهب على حياله الا أنهم لما كانوا من جملة العجاردة أوردناهم على حكم التفصيل فى الجدول والضلع * (الصلتية) أصحاب عثمان ابن أبى الصلت والصلت ابن أبى الصلت تفردوا عن العجاردة بأن الرجل اذا أسلم توليناه وتبرانا من أطفاله حتى يدركوا فيقبلوا الاسلام * ويحكى عن جماعة منهم انهم قالوا ليس لاطفال المشركين والمسلمين ولاية ولا عداوة حتى يبلغوا فيدعوا الى الاسلام فيقروا أو ينكروا * (الحمزية) أصحاب حمزة بن أدرك وافقوا الميمونية فى القدر وفى سائر بدعها الا فى أطفال مخالفيهم والمشركين * فانهم قالوا هؤلاء كلهم فى النار وكان حمزة من أصحاب الحصين بن الرقاد * الذى خرج بسجستان من أهل أوق وخالفه خلف الخارجى فى القول بالقدر واستحقاق الرياسة فبرئ كل واحد منهما عن صاحبه وجوز حمزة امامين فى عصر واحد مالم تجتمع الكلمة ولم يقهر الاعدا الخلفية أصحاب خلف الخارجى وهم خوارج كرمان ومكران خالفوا الحمزية فى القول بالقدر بالضرورة

بالضرورة يجب ان كل واحد ممن ذكرنا كان له ازيد من مائة ونيف واربعين اذولد له ابنه المذكور . وهذه اقوال يكذب بعضها بعضا . فصح ضرورة لامحيد عنها انها كلها مبدلة مستعملة محرفة مكذوبة ملعونة . وثبت ان ديانتهم المأخوذة من هذه الكتب ديانة فاسدة مكذوبة من عمل الفساق ضرورة كالشيء المدرك بالعيان واللمس . ونحمد الله على السلامة

﴿ فصل ﴾ ثم وصف قيام بنى اسرائيل علي موسي عليه السلام وطلبهم منه اللحم للاكل . وذكروا اشوقهم الى القرع والقثاء والبصل والكراث والثوم الذى تشبه رائحته فى الروائح عقولهم في العقول . وذكروا ضجرهم من المن والله عز وجل قال لموسى عليه السلام تقول للعامة تقدسوا غداتأكلوا اللحم ها انا اسمعكم قائلين من ذا يطعمنا اكل اللحم قد كنا بخير بمصر ليعطينكم السيد اللحم فتأكلون ليس يوما واحدا ولا يومين ولا خمسة ولا عشرة حتى تكمل ايام الشهر حتى يخرج علي مناخركم ويصيبكم التخم لما تخليتم عن السيد الذى هو فى وسطكم ويبكون قدامه قائلين لماذا أخرجتنا من مصر فقال موسى لله تعالى هم ستمائة الف رجل وانت تقول انا اعطيهم اللحوم شهرا طعما اترى تكثر بذبائح البقر والغنم فيقتاتون بها ام تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم فقال له الرب اترى يد السيد عاجزة سترى ان يوافيك كلامي ام لا ثم ذكر ان الله تعالى ارسل ريحاً فاتت بالسماني من خلف البحر الى بنى اسرائيل فأكلوها ودخل اللحم بين اضراسهم واصابتهم التخم واخذهم وباء شديد مات منهم به كثير وان هذا كان في الشهر الثاني من خروجهم من مصر

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ذكر فى هذا الفصل آيات من الله رب العالمين ، وما تأتي له طامة الا تكاد تنسي ماقبلها ، فاول ذلك اخبار اللعين المبدل للتوراة بان الله تعالى اذ قال لموسى : غدا تأكلون اللحم الى تمام الشهر ، قال له موسى : هم ستمائة الف رجل وانت تقول انا اعطيهم اللحوم طعاماً شهيا . أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها او تجمع حيتان البحر معاً لتشبعهم ؟

(قال ابو محمد رضى الله عنه) حاش لله ان يراجع رجل له من العقل مسكة ربه عز وجل هذه المراجعة ، وان يشك فى قوته علي ذلك وعلى ماهو اعظم منه ، فكيف رسول نبي ؟ أترى موسى عليه السلام دخله قط شك فى ان الله تعالى قادر على ان يكثر بذبائح البقر والغنم حتى يشبعهم ، او على ان يأتيهم من حيتان البحر بما يشبعهم منه حاش لله من ذلك ، اتراه خفى علي موسى عليه السلام ان الله تعالى هو الذى يرزق جميع بنى آدم فى شرق الارض وغربها اللحم وغير اللحم ؟ وانه تعالى رازق سائر الحيوانات كلها من الطائر والعائم والمنساب والماشى علي رجلين واربع واكثر ، حتى يستنكر ان يشبع شرذمة قليلة لاقدر لها من اللحم . حاش له من ذلك ، فكيف يقول موسى عليه السلام هذا الكلام الاحمق ؟ حاش له من ذلك ، وقبل ذلك بعام وشهر وبعض آخر طلبوا اللحم فأتاهم بالسماني والمن وأكلوا ذلك بنص توراتهم ، أتراه نسى ذلك فى هذه المدة اليسيرة ؟ أو يظن انه قدر على الاولى ويعجز عن الثانية ؟ حاشا له من هذا الهوس * ثم زيادة فى بيان هذا الكذب ان فى توراتهم أن بنى اسرائيل اذ خرجوا من مصر مع

العباد على أفعال قدرها عليهم او على مالم يفعلوه كان ظالما وقضوا بأن أطفال المشركين فى النار ولا عمل لهم ولا شرك فهذا من أعجب مايعتقد من التناقض (الشعيبية) اصحاب شعيب بن محمد وكان مع ميمون من جملة العجاردة الا انه برئ منه حين اظهر القول بالقدر قال شعيب ان الله خالق اعمال العباد والعبد مكتسب لها قدرة وارادة مسئول عنها خيراً وشرا مجازى عليها ثوابا وعقاباً ولا يكون شئ فى الوجود الا بمشيئة الله تعالى وهو علي بدع الخوارج في الامامة والوعيد وعلي بدع العجاردة فى حكم الاطفال وحكم القعدة والتولى والتبرى

(الميمونية) اصحاب ميمون ابن خالد كان من جملة العجاردة الا انه تفرد عنهم باثبات القدر خيره وشره من العبد واثبات الفعل للعبد خلقاً وابداعا واثبات الاستطاعة قبل الفعل والقول بان الله تعالى يريد الخير دون الشر وليس له مشيئة فى معاصى العباد * وذكر الحسين الكرابيسى فى كتابه الذى حكى فيه

مقالات الخوارج ان الميمونية يجيزون نكاح بنات البنات وبنات اولاد الاخوة والاخوات وقال ان الله حرم نكاح البنات وبنات الاخوة والاخوات ولم يحرم نكاح بنات أولاد هؤلاء . ويحكى الكعبي والاشعرى

موسى خرجوا بجميع مواشيهم من البقر والغنم ، وان اهل بيت منهم ذبحوا جـديا او خروفا فى تلك الليلة * وذكر في مواضع منها انهم أهدوا الكباش والتيوس والخرفان والجديان والبقر والعجول الى قبة العهد *وذكروا فى آخرها ان بنى رؤابين وبنى جادا ونصف سبط بنى منشا كان معهم غنم كثير ، ومن البقر عددلا يحصى ، فى حين ابتداء قتالهم وفتحهم لارض الشام ، فاى عبرة فى اشباعهم من اللحم واللحم حاضر معهم كثير لا قليل ؟ ثلاثة من الغنم كانت تكفي الواحد منهم شهراً كاملا ، وثور واحد كان يكفى اربعة منهم شهراً كاملا . على ان يأكلوا اللحم قوتاً حتى يشبعوا بلاخبز ، فكيف اذا تأدموا به ؟ فأى عجب فى اشباعهم باللحم ؟ حتى يراجع موسى ربه تعالى بانكار ذلك من قوة ربه عزوجل ، فهل فى العالم احمق ممن كتب هذه الكذبة الشنيعة الباردة السخيفة الممزوجة بالكفر ؟ اللهم لك الحمد على تسليمك لنا مما امتحنتهم به * فان قالوا ان فى كتابكم ان الله تعالى قال لزكريا (انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) الآية ، وان زكريا قال لربه تعالى (أني يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين) الآية (قال ربى اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) * وفى كتابكم ايضا ان الملك قال لمريم (أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت رب انى يكون لى غلام) الآية (قال كذلك قال ربك هو علي هين) الآية * قلنا ليس فى جواب زكريا ومريم عليهما السلام اعتراض على بشرى البارى عز وجل لهما كما فى كتابكم عن موسى عليه السلام ، ولا فى كلام زكريا ومريم عليهما السلام انكار على ان يعطيهما ولدين وهما عقيم وبكر ، انما سالا ان يعرفا الوجه الذي منه يكون الولد فقط لان انى فى اللغة العربية التى بها نزل القرآن بلاخلاف ان معناها من اين ، فصح ما قلنا من انهما سألا ان يعرفهما الله تعالى من اين يكون لهما الولدان اومن اى جهة أبنكاح زكريا لامرأة اخرى ؟ ام نكاح رجل لمريم ؟ ام من اختراعه تعالي وقدرته ؟ فانما سأل زكريا الآية ليظهر صدقه عند قومه ولئلا يظن أنهم أخذاه وادعيا ، هذا هو ظاهر الآيتين اللتين ذكرنا من القرآن دون تكلف تأويل بنقل لفظ أو زيادة أو حذف ، بخلاف ماحكيتم عن موسي من الكلام الذى لايحتمل الا التكذيب فقط

-﴿فصل﴾- وبعد ذلك ذكر قيام مريم وهارون اخى موسى عليه السلام معاندين لموسي من اجل امرأته الحبشية (١)

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وكيف تكون حبشية وقد قال فى اول توراتهم انها بنت يثرون المديانى وهو بلا شك من ولد مدين بن ابراهيم عليه السلام فاحد هذين القولين يكذب الآخر

(فصل) ذكر كما ذكرنا ان فى الشهر الثانى من السنة الثانية من خروجهم من مصر كان طلبهم اللحم كما ذكرنا ، وانه بعد ذلك وقع لهارون ومريم الشغب مع موسى

---

(١) فى التوراة التى بايدينا الكوشيه اه مصححه

فاما من أنكره فلا يجوز قتاله الا اذا أعان عليه أو طعن فى دين الخوارج أو صار دليلا للسلطان وأطفال الكفار عندهم فى الجنة (الاطرافية) فرقة على مذهب حمزة فى القول بالقدر الا انهم عذروا أصحاب الاطراف فى ترك مالم يعرفوه من الشريعة اذ أتوا بما يعرف لزومه من طريق العقل واثبتوا واجبات عقلية كما قالت القدرية ورئيسهم غالب ابن شاذل من سجستان وخالفهم عبدالله السرنورى وتبرأ منهم ومنهم المحمدية أصحاب محمد بن زرق وكان من أصحاب الحصين ثم برئ منه (الحازمية) أصحاب حازم بن على على قول شعيب فى ان الله تعالى خالق اعمال العباد ولا يكون فى سلطانه الا مايشاء وقالوا بالموافاة وان الله تعالى انما يتولى العباد على ماعلم انهم صائرون اليه فى آخر أمرهم من الايمان ويتبرأ منهم على ماعلم انهم صائرون اليه في آخر أمرهم من الكفر وانه سبحانه لم يزل محبا لاوليائه مبغضاً لاعدائه ويحكى عنهم انهم يتوقفون فى أمر علي عليه السلام ولا يصرحون بالبراءة عنه ويصرحون بالبراءة فى حق غيره (الشالية) من ذلك أصحاب اخيها ثعلبة بن عامر كان مع عبد الكريم ابن عجرد يداواحدة الى ان اختلفا فى أمر الطفل فقال ثعلبة انا على ولايتهم صغارا وكبارا

عن الميمونية انكار كون سورة يوسف من القرآن وقالوا بوجوب قتل السلطان وحده ومن رضي بحكمه

اخيها عليه السلام كما ذكرنا ، وان مريم مرضت واخرجت من المعسكر سبعة ايام حتى برئت ثم رجعت . وان بعد ذلك وجه موسى عليه السلام الاثنى عشر رجلا الذين كان من جملتهم هوشع ابن نون الافرايمي وكالب بن يفنة اليهوذاني ليروا الارض المقدسة وذكر انهم طافوها فى اربعين يوما ثم رجعوا وخوفوا بنى اسرائيل حاشا كالب وهوشع وان الله تعالى سخط عليهم واهلكهم واوحى الى موسى اما جيفكم فستكون ملقاة فى المفاز ويكون اولادكم سائحين فى المفاز اربعين سنة علي عـدد الاربعين يوما التى دوختم فيها البلد اجعل لكم كل يوم سنة وتكافئون اربعين سنة بخطاياكم . وانهم بقوا فى التيه اربعين سنة فلما أتموها امرهم الله عز وجل بالحركة فتحركـوا : ثم ماتت مريم اخت موسى عليها السلام . ثم مات هارون عليه السـلام . ثم حارب موسى عوج وسحون الملكين واخـذ بلادهما واعطى بلادهما لبنى رؤابين وبنى جادا ونصف سبط منشا . ثم حارب المدينتين وقتل ملوكها .ثم انه عليه السلام مات وله مائة سنة وعشرون سنة . وفى صدر توراتهم انه عليه السلام اذ خرج عن مصر كان له ثمانون سنة هذا كله نص توراتهم حرفا حرفا

(قال ابو محمد رضى الله عنه)هذا كذب فاحش ، وقد قلنا ان الذى عمل لهم التوراة التى بايديهم كان قليل العلم بالحساب ثقيل اليد فيه جدا ، او عيارا (١) ماجنا مستخفا لادين له سخر منهم بامثال التيوس والحمير : لانه اذا خرج وله ثمانون سنة وبقى بعد خروجه سنة وشهرا ، ثم تاهو اربعين سنة ، ثم قاتلوا ملوكا عدة وقتلوهم واخذوا بلادهم واموالهم ، فقد اجتمع من ذلك ضرورة زيادة على المائة والعشرين سنة اكثر من سنة ولابد ، والاغلب انها سنتان زائدتان فكذب ولابد فى سن موسى اذ مات ، او كذب الوعد الذى اخبر عن الله تعالى بتيههم اربعين سنة ، حاشا للبارى تعالى ان يكذب او ان يغلط فى دقيقة او اقل ، وحاشا لنبيه صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك . وصح انها مولدة موضوعة

(فصل) ثم ذكر فى السفر الخامس فقال : ان طلع فيكم نبي وادعى انه رأى رؤيا واتاكم بخبر مايكون وكان ماوصفه ثم قال لكم بعد ذلك اتبعوا ابناء آلهة الأجناس فلا تسمعوا له

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل شنعة من شنع الدهـر وتدسيس كافـر مبطل للنبوات كلها ، لانه اثبت النبوة بقوله ان طلع فيكم نبي ويصدقه فى الاخبار بما يكون ، ثم امرهم بمعصيته اذا دعاهم الى اتباع آلهة الاجناس ، وهذا تناقض فاحش ولئن جاز ان يكون نبي يصدق فيما ينذر به يدعوا الى الباطل والكفر ، فلعل صاحب هـذه الوصية من اهل هذه الصفة وما الذى يؤمننا من ذلك ، وهل هاهنا شيء يوجب تصديقه

(١) يفسر العيار هنا بالنشيط فى المعاصى . والماجن صاحب المجون الذى لايبالى بما صنع . والمستخف المستجهل الذى يحمل غيره علي اتباعه فى غيه وجهله . ومنه قـوله تعالى (فاستخف قومه فاطاعوه) اى حملهم علي الخفة والجهل (لمصححه) من كتب اللغة

حتى نرى منهم انكار اللحق ورضي بالجور فتبرأت العجاردة من ثعلبة * نقل عنه أيضا انه قال ليس لهم حكم فى حال الطفولية من ولاية وعداوة حتى يدركوا ويدعوا فان قبلوا فذاك وان انكروا وكفروا وكان أخذ الزكوات من عبيدهم وقال اني لا ابرأ منه بذلك ولا ادع اجتهادى في خلافه وجوز ان يصير سهام الصدقة سهما واحدا فى حال التقية (الرشيدية) أصحاب الطوسي ويقال لهم العشرية وأصلهم ان الثعالبة كانوا يوجبون فيما سقى بالانهار والقنى نصف العشر فاخـبرهم زياد بن عبدالرحمن ان فيها العشر ولايجوز البراءة ممن قال فيها نصف العشر قبل هذا فقال الرشيد ان لم يجز البراءة منهم فانا نعمل بما عمـلوا فافترقوا فى ذلك فرقتين (الشيبانية) أصحاب شيبان بن سلمة الخارج فى ايام ابى مسلم وهو المعين له ولعلى بن الـكرماني علي نصر بن سيار وكان من الثعالبة فلـما اعانهما برئت منه الخوارج فلـما قتل شيبان ذكر قوم توبته فقالت الثعالبـة لايصح توبته لانه قتل الموافقين لنا فى المذهب وأخذ أموالهم ولايقبل توبة من قتـل مسلما وأخذ ماله الا بان يقص من نفسه ويرد الاموال أو توهب له ذلك ومن مذهب شيبان انه قال بالجبر ووافق جهم ابن صفوان فى مذهبه الى الجبر ونفى القدرة الحادثة * وينقل عن زياد بن عبدالرحمن الشيباني ابي خالد انه قال ان الله تعالى لم يعلم حتى خلق لنفسه

واتباعه ويبينه من الكاذبين الا ما صحح نبوته من المعجزات ؟ فما لزمت معصيته اذا امر بباطل ، فان معصية موسى لازمة وغير جائزة في شيء مما امر به اذ لعله امر بباطل اذ كان في الممكن ان يكون نبي يأتي بالمعجزات يأمر بباطل . وحاش لله من ان يقول موسى عليه السلام هذا الكلام ، والله ما قاله قط . ولقد كذب عليه الكذاب المبدل للتوراة . وكذلك حاش لله ان يظهر آية علي يدي من يمكن ان يكذب او يأمر بباطل هذا هو التلبيس من الله علي عباده ومزج الحق بالباطل وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا ابطال باطل *
واعلموا ان هذا الفصل من توراتهم والفصل الملعون الذي فيه ان السحرة عملوا مثل بعض ما عمل موسى عليه السلام ، فانهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كل نبي يقرون له بنبوة قطعاً ، لانه لا فرق فيهما بين موسى وسائر انبيائهم وبين الكذابين والسحرة ، وحاش لله من هذا وبه تعالى نعوذ من الخذلان * هذا مع قوله بعد ذلك وايما نبي احدث فيكم من ذاته نبوة مما لم نأمره به ولم اعهد اليه به او تنبأ فيكم يدعو للآلهة والاوثان فاقتلوه . فان قلتم في انفسكم من أين يعلم انه من عند الله او من ذاته فهذا علمه فيكم اذا أنبأ بشيء ولم يكن فاعلموا انه من ذاته

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا كلام صحيح، وهذا مضاد للذي قبله من انه ينبئ بالشيء فيكون كما قال ، وهو مع ذلك يدعو الى عبادة غير الله ، والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لا مؤنة عليهم ان ينسبوا الى الانبياء عليهم السلام الكفر والضلال والكذب والعمد . كالذي ذكرنا قبل ، وكنسبتهم الى هارون عليه السلام انه هو الذي عمل العجل لبني اسرائيل وبنى له مذبحا ، وقرب له القربان ، وجرد أستاه قومه للرقص والغناء قدام العجل عراة . وكما نسبوا الى سليمان عليه السلام أنه قرب القرابين للاوثان على الكدى (١) وانه قتل يواب بن صوريا صبرا وهو نبي مثله ، وكما نسبوا الى شاول وهو نبي عندهم يوحي اليه قتل النفوس ظلما ، ونسبوا الى بلعام بن باعورا وهو نبي عندهم يوحي الله تعالى اليه مع الملائكة العون على الكفر وان موسى وجيشه قتلوه ، ثم نسبوا النبوة الى منشا بن حزقيا الملك وهو باقرارهم كافر ملعون يعبد الاوثان ويقتل الانبياء ، وينسبون المعجزات الى شمسون الداني وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق متعشق للفواسق ملم بهن . وينسبون المعجزات الى السحرة ، فاعجبوا للعظيم بليتهم واحمدوا الله على السلامة واسألوه العافية لا اله الا هو

فصل ثم قال في آخر توراتهم فتوفى موسى عبد الله بذلك الموضع في أرض مواب مقابل بيت فغور ولم يعرف آدمي موضع قبره الى اليوم . وكان موسى يوم توفي ابن مائة وعشرين سنة لم ينقص بصره ولا تحركت أسنانه . فنعاه بنو اسرائيل في أوطنة مواب ثلاثين يوما ، وا كملوا نعيه . ثم أن يشوع بن نون امتلا من روح الله . اذ جعل موسى يديه عليه . وسمع له بنو اسرائيل وفعلوا ما أمر الله به موسى . ولم يخلف موسى في بني اسرائيل نبي مثله . ولا من

(١) الكدي جمع كدية كغرفة وغرف الارض الصلبة المرتفعة

يكلمه

علما وان الاشياء انما تصير معلومة له عند حدوثها ووجودها ونقل عنه انه تبرأ من شيبان وكفره حين نصر الرجلين فوقعت عامة الشيبانية بجرجان ونسا وأرمينية والذي تولى شيبان وقال بتوبته عطية الجرجاني وأصحابه (المكرمية) أصحاب مكرم ابن عبد الله العجلي من جملة الثعالبة وتفرد عنهم بان قال تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ولكن لجهله بالله تعالى وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الانسان وقال انما يكفر لجهله بالله تعالى وذلك ان العارف بالله تعالى وانه المطلع على سره وعلانيته المجازي على طاعته ومعصيته لن يتصور منه الاقدام على المعصية والاجتراء على المخالفة مالم يغفل عن هذه المعرفة ولا يبالي بالتكليف فيه * وعن هذا قال النبي ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن * الخبر وخالفوا الثعالبة في هذا القول وقالوا بايمان الموافاة والحكم بان الله تعالى انما يوالي عباده ويعاديهم على ما هم صائرون اليه من موافاة الموت لا على اعمالهم التي هم فيها فان ذلك ليس بموثوق به اصرارا عليه مالم يصل المرء الى آخر عمره ونهاية أجله فحينئذ ان بقي على ما يعتقده فذلك هو الايمان فيواليه وان لم يبق فيعاديه وكذلك في حق الله تعالى حكم الموالاة والمعاداة على ما علم منه حال الموافاة والمجهولية كانوا في الاصل حازمية

بكلمه الله مواجهة فى جميع عجائبه التى فعل على يديه بارض مصر فى فرعون مع عبيده وجميع أهل مملكته . ولا من صنع ماصنع موسى فى جماعة بنى اسرائيل

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا آخر توراتهم وتمامها . وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ودليل قاطع وحجة صادقة فى ان توراتهم مبدلة . وانها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تحرض بجهله أو تعمد بفكره . وانها غير منزلة من عند الله تعالى . اذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلا على موسى فى حياته . فكان يكون أخبارا عنها لم يكن بما ساق ماقد كان . وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك . وقوله لم يعرف قبره آدمى الى اليوم بيان لما ذكرنا كاف . وانه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولا بد

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هاهنا انتهى ماوجدنا من التوراة لليهود التى اتفق عليها الربانيون والعانانيون والعيسويون والصدوقيون منهم مع النصارى أيضا بلا خلاف منهم فيها من (١) الكذب الظاهر فى الاخبار وفيما يخبر به عن الله تعالى ثم عن ملائكته ثم عن رسله عليهم السلام من المناقضات الظاهرة والفواحش المضافة الى الانبياء عليهم السلام . ولو لم يكن فيها الا فصل واحد من الفصول التى ذكرنا لكان موجبا ولا بد لكونها موضوعة محرفة مبدلة مكذوبة . فكيف وهى سبعة وخمسون فصلا من جملتها فصول يجمع الفصل الواحد منها سبع كذبات أو مناقضات فأقل . سوى ثمانية عشر فصلا يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الاخبار بأعيانها عند النصارى . والكذب لائح ولا بد فى احدى الحكايتين . فاظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة فى مقدار توراتهم وانما هى مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق فى كل صفحة منها من ثلاثة وعشرين سطرا الى نحو ذلك بخط هو الى الانفساح أقرب يكون في السطر بضع عشرة كلمة

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ونحن نصف ان شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بنى اسرائيل من أول دولتهم أثر موت موسى عليه السلام، الى انقراض دولتهم، الى رجوعهم الي بيت المقدس الى أن كتبها لهم عزرا الوراق باجماع من كتبهم . واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم فى ذلك . وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه ليتيقن كل ذى فهم انها محرفة مبدلة وبالله تعالى نستعين

(قال ابو محمد رضى الله عنه) دخل بنو اسرائيل الاردن وفلسطين والغور مع يوشع بن نون مدبر امرهم عليه السلام اثر موت موسى عليه السلام ، ومع يوشع العازار بن هارون عليه السلام صاحب السرادق بما فيه وعنده التوراة لا عند احد غيره باقرارهم ، فدبر يوشع عليه السلام امرهم فى استقامة ، وألزمهم للدين احدى وثلاثين سنة مذ مات موسى عليه السلام الى ان مات يوشع ، ثم دبرهم فيخاس بن العزر بن هارون وهو صاحب السرادق ، والكوهن الاكبر والتوراة عنده لا عند أحد غيره خمسا وعشرين سنة فى استقامة والتزام للدين ، ثم مات وطائفة منهم عظيمة يزعمون انه حى الى اليوم وثلاثة أنفس اليه ، وهم الياس النبي الهاروني عليه السلام ، وملكيصيدق بن فالج بن عامر بن ارفخشاذ بن سام بن نوح عليه السلام ، والعبد الذى بعثه ابراهيم عليه السلام ليزوج اسحاق عليه السلام رفقة بنت بتوئيل بن ناخور اخي

(١) قوله من الكذب الظاهر الخ بيان لقوله : هاهنا انتهى ماوجدنا من التوراة الخ (المصححه)

الا ان الملومية قالت من لم يعرف الله تعالى بجميع اسمائه وصفاته فهو جاهل به حتى يصير عالما بجميع ذلك فيكون مؤمنا وقالت الاستطاعة مع الفعل والفعل مخلوق العبد فبرئت منهم الحازمية وأما المجهولية قالت من علم بعض اسمائه تعالى وصفاته وجهل بعضها فقد عرف الله تعالى وقالت أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (الاباضية) أصحاب عبد الله ابن اباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله ابن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وقيل ان عبد الله ابن يحيي الاباضى كان رفيقا له فى جميع أحواله وأقواله وقال ان مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال وماسواه حرام وحرام قتلهم وسبيهم فى السر غيلة الا بعد نصب القتال واقامة الحجة وقالوا ان دار مخالفيهم من أهل الاسلام دار توحيد الا معسكر السلطان فانه دار بغى واجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا فى مرتكبي الكبائر انهم موحدون لامؤمنون * وحكى الكعبي عنهم ان الاستطاعة عرض من الاعراض وهي قبل الفعل بها يحصل الفعل وافعال العباد مخلوقة لله تعالى احداثا وابداعا ومكتسبة للعبد حقيقة لا مجازا ولا يسمون امامهم امير المؤمنين ولا انفسهم مهاجرين وقالوا العالم يفنى كله اذا فنى أهل التكليف قال واجمعوا على ان من ارتكب

ابراهيم عليه السلام، فلما انقضت المدة المذكورة لفينحاس بن العزر كفر بنو اسراءيل وارتدوا كلهم وعبدوا الاوثان علانية ، فملكهم كذلك ملك صور وصيدا مدة ثمانيـة أعوام على الكفر * ثم دبر امرهم عثنيال بن قنار بن اخى كالب بن يفنة بن يهوذا اربعين سنة على الايمان . ثم مات فكفر بنو اسراءيل كلهم وارتدوا وعبدوا الاوثان علانية . فملكهم كذلك عغلون ملك بنى مواب ثمان عشرة سنة على الكفر . ثم دبر امرهم اهوذ بن قارا . قيل انه من سبط افرايم . وقيل من سبط بنيامين . واختلف ايضا فى مدة رياسته . فقيل ثمانون سنة. وقيل خمس وخمسون سنة على الايمان الى ان مات . ثم دبرهم سمان بن غاث بن سبط اشار خمساً وعشرين سنة على الايمان . ثم مات فكفر بنو اسراءيل كلهم وعبدوا الاوثان جهارا . فملكهم كذلك مراش الكنعانى عشرين سنة على الكفر . ثم دبرت امرهم (دبورا) النبتية من سبط يهوذا وكان زوجها رجلا يسمى السدوث من سبط افرايم الى ان ماتت وهم على الايمان ، فكان مدة تدبيرها لهم أربعون سنة . فلما ماتت كفر بنو اسراءيل كلهم وارتدوا وعبدوا الاوثان جهارا . فملكهم عوزيب وزاب ملك بنى مدين سبع سنين على الكفر . ثم دبر أمرهم جدعون بن بواس من سبط افرايم . وقيل بل من سبط منشا وهم يصفون انه كان نبيا وكان له واحد وسبعون ابنا ذكورا . فملكهم على الايمان أربعين سنة . ثم مات وولى ابنه ابوملك ابن جدعون وكان فاسقاً خبيث السيرة فارتد جميع بنى اسراءيل وكفروا وعبدوا الاوثان جهارا . واعانه أخواله من اهل نابلس من بنى اسراءيل من سبط يوسف بتسمين ديرا من بيت (ماعل) الصنم ومضوامعه فتتل جميع اخوته حاشا واحدا منهم أفلت وبقى كذلك ثلاث سنين الى ان قتل . ودبرهم بعده مولع بن قوا من سبط يساخر ولم نجد بيانا هل كان على الايمان او على الكفر خمساً وعشرين سنة . ثم مات ثم دبر امرهم بعده يابين بن جلعاد من سبط منشا اثنين وعشرين عاما على الايمان الى ان مات . وكان له اثنان وثلاثون ولدا ذكورا قد ولى كل واحد منهم مدينة من مدائن بنى اسراءيل فارتد بنو اسراءيل كلهم بعد موته وعبدوا الاوثان جهارا . وملكهم بنو عمون ثلاث عشرة سنة متصلة على الكفر . ثم قام فيهم رجل من سبط منشا اسمه هيلع بن جلعاد . ولا يختلفون فى انه كان ابن زانية وكان فاسقا خبيث السيرة . نذر ان اظفره الله بعدوه ان يقرب لله سبحانه وتعالى اول من يلقاه من منزله فاول من لقيه ابنته ولم يكن له ولد غيرها فوفى بنذره وذبحها قربانا . وكان فى عصره نبى فلم يلتفت اليه . وانه قتل من بنى افرايم اثنين وأربعين ألف رجل . فملكهم ست سنين ثم مات. فوليهم بعده افصات من سبط يهوذا من سكان بيت لحم وكان له ثلاثون ابنا ذكورا فوليهم سبع سنين وقيل ست سنين ثم مات . والاظهر من حاله على ماتوجبه اخبارهم الاستقامة. ووليهم بعده ايلون من سبط زبلون عشر سنين الى ان مات * وولى بعده عبدون بن هلال من سبط افرايم ثمانى سنين على الايمان . وكان له اربعون ولدا ذكورا . فلما مات ارتد بنو اسراءيل كلهم وكفروا وعبدوا الاوثان جهارا فملكهم الفلسطينيون وهم الكنعانيون وغيرهم أربعين سنة على الكفر . ثم دبرهم شمشون بن مانوح من سبط داني وكان مذكورا عندهم بالفسق واتباع الزوانى . فدبرهم عشرين سنة . وينسبون اليه المعجزات . ثم أسر ومات فدبر بنو اسرائيل

واجازوا ان يدخلوا الجنة تفضلا وحكى الكعبى عنهم انهم قالوا بطاعة لايراد بها الله تعالى كما قال ابو الهذيل ثم اختلفوا فى النفاق ايسمى شركا ام لا قالوا ان المنافقين فى عهد رسول الله ﷺ كانوا موحدين الا انهم ارتكبوا الكبائر فكفروا فى الكبيرة لا بالشرك وقالوا كل شىء امر الله تعالى به فهو عام ليس بخاص وقد أمر به المؤمن والكافر وليس فى القرآن خصوص وقالوا لايخلق الله تعالى شيئا الا دليلا على وحدانيته ولابد ان يدل به واحدا * وقال قوم منهم يجوز ان يخلق الله تعالى رسولا بلا دليل ويكلف العباد بما يوحى اليه ولا يجب عليه اظهار المعجزة ولا يجب على الله تعالى ذلك الى ان يظهر دليلا ويخلق معجزة وهم جماعة متفرقون فى مذاهبهم تفرق الثعالبة والعجاردة (الحفصية) منهم أصحاب حفص بن ابى المقدام تميز عنهم بان قال ان بين الشرك والايمان خصلة واحدة وهى معرفة الله تعالى وحده فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو كتاب أو قيامة أو جنة او نار أوارتكب الكبائر من الزنا والسرقة وشرب الخمر فهو كافر لكنه برىء من الشرك بعضهم (الحارثية) أصحاب الحارث الاباضى خالف الاباضية فى قوله بالقدر على مذهب المعتزلة وفى الاستطاعة قبل الفعل وفى اثبات

بعضهم بعضا فى سلامة وإيمان أربعين سنة بلا رئيس يجمعهم . ثم دبرهم الكاهن الهاروني علي الايمان عشرين سنة الى أن مات . ثم دبرهم شمويل بن فتان النبي من سبط افرايم قيل عشرين سنة وقيل أربعين سنة كل ذلك في كتبهم على الايمان . وذكروا انه كان له ابنان قوهال وبيابجو ان فى الحكم ويظلمان الناس . وعند ذلك رغبوا الى شمويل أن يجعل لهم ملكاً . فولي عليهم شاول الدباغ (١) بن قيش بن أنيل بن شارون بن بورات بن آسيا بن خس من سبط بنيامين وهو طالوت فوليهم عشرين سنة . وهو أول ملك كان لهم ويصفونه بالنبوة وبالفسق والظلم والمعاصي معا . وانه قتل من بنى هارون نيفا وثمانين انسانا وقتل نساءهم وأطفالهم لانهم أطعموا داود عليه السلام خبزا فقط . فاعلموا الآن انه كان مذ دخلوا الارض المقدسة أثر موت موسى عليه السلام الى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردات فارقوا فيها الايمان وأعلنوا بعبادة الاصنام . فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام . والثانية ثمانية عشر عاما . والثالثة عشرين عاما والرابعة سبعة أعوام . والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر . والسادسة ثمانية عشر عاما . والسابعة أربعين عاما * فتأملوا أى كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الايمان هذه المدد الطوال فى بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط . ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الارض غيرهم * ثم مات شاول المذكور مقتولا وولى أمرهم داود عليه السلام وهم ينسبون اليه الزنا علانية بأم سليمان عليه السلام . وانها ولدت منه من الزنا ابنا مات قبل ولادة سليمان فعلى من يضيف هذا الى الانبياء عليهم السلام ألف ألف لعنة . وينسبون اليه انه قتل جميع أولاد شاول لذنب أبيهم . حاشا صغيرا مقعدا كان فيهم فقط . وكانت مدته عليه السلام أربعين سنة * ثم ولى سليمان عليه السلام وقد وصفوه بما ذكرنا قبل . وذكروا عنه ان نفقته فرضها على الاسباط لكل سبط شهر من السنة . وان جنده كانوا اثنى عشر ألف فارس على الخيل . وأربعين ألفا على الرمك (٢) خلافا لما فى التوراة أن لا يكثروا من الخيل وهو الذى بنى الهيكل فى بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذبح والمنارة الآن والقربان والتوراة والتابوت وسكينة بنى هارون فكانت ولايته أربعين سنة . ثم مات عليه السلام فافترق أمر بنى اسرائيل فصار بنو يهوذ وبنو بنيامين لبنى سليمان بن داود عليه السلام فى بيت المقدس . وصار ملك الاسباط العشرة الباقية الى ملك آخر منهم يسكن بنابلس على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس . وبقوا كذلك الى ابتداء ادبار أمرهم على ما نبين ان شاء الله تعالى . فنذكر بحول الله تعالى وقوته أسماء ملوك بنى سليمان عليه السلام وأديانهم . ثم نذكر ملوك الاسباط العشرة وبالله عز وجل تأييد ليري كل واحد كيف كانت حال التوراة والديانة فى أيام دولتهم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ولى أثر موت سليمان بن داود عليه السلام ابنه رحبعام بن سليمان وله ست عشرة سنة . وكانت ولايته سبعة عشر عاما فأعلن الكفر طول ولايته وعبد الاوثان جهارا هو وجميع رعيته وجنده بلا خلاف منهم . ويقولون ان جنده كانوا مائة ألف وعشرين ألف مقاتل وفى أيامه غزا ملك مصر فى سبعة آلاف فارس وخمسة عشر ألف رجل الى بيت

---

(١) قيل ان طالوت واسمه بلغتهم شاول كان راعيا وقيل سقاء وقيل دباغا (لمصححه)

(٢) الرمك بالفتح جمع رمكة بفتحات الانثى من البراذين معرب رمه بالفارسية (لمصححه)

طاعة لايراد بها الله تعالى (اليزيدية) أصحاب يزيد بن نيسة الذى قال يتولى المحكمة الاولى قبل الأزارقة وتبرا ممن بعدهم الا الاباضية فانه يتولاهم وزعم ان الله تعالى سيبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا قد كتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد ﷺ ويكون على ملة الصابئة المذكورة فى القرآن وليست هى الصابئة الموجودة بحران وواسط وتولى يزيد من شهد المصطفى عليه السلام من اهل الكتاب بالنبوة وان لم يدخل فى دينه وقال ان أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك (الصفرية) الزيادية أصحاب زياد بن الاصفر خالفوا الازارقة والنجدات والاباضية فى أمور * منها انهم لم يكفروا القعدة عن القتال اذا كانوا موافقين فى الدين والاعتقاد ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل اطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم وقالوا التقية جائزة فى القول دون العمل وقالوا ما كان من الاعمال عليه حد واقع فلا يتعدى باهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقة والقذف فيسمي زانيا سارقا قاذفا لا كافرا مشركا ومن كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة فانه يكفر بذلك ونقل عن الضحاك منهم انه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم فى دار التقية دون دار العلانية ورأى زياد بن

الاصفر جميع الصدقات سهما واحدا فى حال التقية ويحكى عنه انه قال نحن مؤمنون عند انفسنا ولا ندرى لعلنا خرجنا من الايمان عند الله وقال الشرك شركان شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الاوثان والكفر كفران كفر بالنعمة وكفر بانكار الربوبية والبراءة براءتان براءة من أهل الحدود سنة وبراءة من أهل الجحود فريضة ولنختم المذاهب بذكر رجال الخوارج من المتقدمين عكرمة وابو هارون العبدى وابو الشعثاء واسماعيل ابن سميع ومن المتأخرين اليمان بن رباب ثعلبي ثم بيهسي وعبد الله بن يزيد ومحمد ابن حرب ويحيي ابن كامل اباضي (ومن شعرائهم) عمران بن حطان وحبيب بن حدرة صاحب الضحاك ابن قيس والذين اعتزلوا الى جانب فلم يكونوا مع على رضي الله عنه فى حروبه ولامع خصومه وقالوا لايدخل فى غمارة الفتنة من الصحابة رضى الله عنهم عبد الله ابن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الانصارى واسامة بن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ وقال قيس بن أبي حازم كنت مع على رضى الله عنه فى جميع احواله وحروبه حتى قال يوم صفين انفروا الى بقية الاحزاب انفروا الى من يقول كذب الله ورسوله فعرفت ايش كان يعتقد فى الجماعة فاعتزلت عنه (المرجئة) الارجاء على

المقدس مأخذها عنوة بالسيف . وهرب رحبعام وانتهب ملك مصر المدينة والقصر والهيكل وأخذ كل مافيها ورجع الى مصر سالما غانما . ثم مات رحبعام على الكفر فولى مكانه ابنه أبيا وله ثمان عشرة سنة . فبقى على الكفر هو وجنده ورعيته وعلى عبادة الاوثان علانية . وكانت ولايته ست سنين . ويقولون قتل من الاسباط العشرة فى حروبه معهم خمسمائة الف إنسان ، ثم ولى بعد موته ابنه اسابن أبيا وله عشر سنين وكان مؤمنا فهدم بيوت الاوثان ، واظهر الايمان ، وبقى فى ولايته احدى وأربعين سنة على الايمان وذكروا أن جنده كانوا ثلاثمائة الف مقاتل من بنى يهوذا ، واثنين وخمسين الفا من بنى بنيامين ، ومات وولى بعده ابنه يهوشافاط بن اسا وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، فكانت ولايته خمسا وعشرين سنة وذكروا عنه انه كان على الايمان الى أن مات فولى ابنه يهورام بن يهوشافاط ، ولم نجد أمر سيرته ودينه الا انه كان مؤلفا لعبادة الاوثان من ملوك سائر الاسباط وولى وله اثنان وثلاثون سنة وكانت ولايته ثمانية أعوام ومات فولى مكانه ابنه (احزياهو) وله اثنان وعشرون سنة فاظهر الكفر وعبادة الاصنام فى جميع رعيته ، وكانت ولايته سنة وقتل فوليت امه (عثلياهو) بنت عمرى ملك العشرة الاسباط ، فتمادت على أشد مايكون من الكفر وعبادة الاوثان ، وقتلت الاطفال وامرت باعلان الزنا فى البيت المقدس وجميع عملها ، وعهدت أن لاتمنع امرأة ممن أراد الزنا معها ، وعهدت أن لاينكر ذلك احد ، فبقيت كذلك ست سنين الى أن قتلت فولي ابن ابنها يؤاش بن (احزياهو) وله سبع سنين ، فاتصلت ولايته اربعين سنة واعلن الكفر وعبادة الاوثان ، وقتل زكريا النبي عليه السلام بالحجارة . ثم قتله غلمانه فولى بعده ابنه (أمصياهو) بن يؤاش وله خمس وعشرون سنة . فاعلن الكفر وعبادة الاوثان هو وجميع رعيته . فبقى كذلك الى أن قتل وهو على الكفر . وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وفى أيامه انتهب ملوك الاسباط العشرة البيت المقدس واغاروا على كل مافيه مرتين . ثم ولى بعده عزياهو بن امصياهو وله ست عشرة سنة فاعلن الكفر وعبادة الاوثان هو وجميع رعيته الى ان مات . وكانت ولايته اثنتين وخمسين سنة وهو قتل عاموص النبي عليه السلام الداوودي . فولى بعده ابنه يوثام ابن عزياهو وله خمس وعشرون سنة . ولم نجد له سيرة . وكانت ولايته ست عشرة سنة فات فولى مكانه ابنه احاز بن يوثام وله عشرون سنة . فاعلن الكفر وعبادة الاوثان وكانت ولايته ست عشرة سنة . فاعلن الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات . فولى بعده ابنه حزقيا بن احاز وله خمس وعشرون سنة . وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة فاظهر الايمان . وهدم بيوت الاوثان . وقتل خدمتهما . وبقى على الايمان الى أن مات هو وجميع رعيته . وفى السنة السابعة من ولايته انقطع ملك العشرة الاسباط من بنى إسرائيل . وغلب عليهم سلمان الاعسر ملك الموصل . وسباهم ونقلهم الى آمد (١)

(١) آمد بالمد وكسر الميم كما فى معجم البلدان بلد قديم مبنى على مرتفع تحيط دجلة باكثره من بلاد ديار بكر (المصححه) بتصرف

وبلاد

وبلاد الجزيرة . وسكن فى بلاد الاسباط العشرة أهل آمد والجزيرة .. فاظهروا دين السامرة الذين هناك الى اليوم . ثم مات حزقيا وولى بعده ابنه منشا بن حزقيا وله ثنتا عشرة سنة . ففى السنة الثالثه من ملكه اظهر الكفر وبنى بيوت الاوثان وأظهر عبادتها هو وجميع أهل مملكته . وقتل شعيا النبي . قيل نشره بالمنشار من رأسه الى مخرجه وقيل قتله بالحجارة وأحرقه بالنار . والعجب كله انهم يصفون فى بعض كتبهم بان الله أوحى اليه مع ملك من الملائكة . وان ملك بابل كان اسره وحمله الى بلده وادخله فى ثور نحاس واوقد النار تحته . فدعا الله فارسل اليه ملكا فاخرجه من الثور ورده الى بيت المقدس . وانه تمادى مع ذلك كله على كفره حتى مات . وكانت ولايته خمسا وخمسين سنة . فقولوا يامعشر السامعين . بلد تعلن فيه عبادة الاوثان ، وتبنى هيا كلها . ويقتل من وجد فيه من الانبياء ، كيف يجوز أن يبقى فيه كتاب الله سالما ؟ أم كيف يمكن هذا ؟ فلما مات منشا ولى مكانه ابنه آمون بن منشا وهو ابن اثنين وعشرين عاما ، فكانت ولايته سنتين على الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات ، فولى مكانه ابنه يوشيا بن آموز وهو ابن ثمان سنين . ففى السنة الثالثة من ملكه أعلن الايمان . وكسر الصلبان وأحرقها ، واستأصل هيا كلها ، وقتل خدامها ولم يزل على الايمان الى ان قتل . قتله ملك مصر . وفى أيامه أخذ أرميا النبي السرادق والتابوت والنار وأخفاها حيث لا يدرى أحد لعلمه بفوت ذهاب أمرهم . ثم ولى بعده ابنه يهوياحوز بن يوشيا وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، فرد الكفر وأعلن عبادة الاوثان . وأخذ التوراة من الكاهن الهاروني ونشر منها أسماء الله حيث وجدها ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر ، وأسره ملك مصر فولي مكانه يهوياقيم بن يوشيا أخوه وهو ابن خمس وعشرين سنة . فأعلن الكفر وبنى بيوت الاوثان ، هو وجميع أهل مملكته ، وقطع الدين جملة . وأخذ التوراة من الهاروني فأحرقها بالنار . وقطع أثرها . وكانت ولايته احدى عشرة سنة . ومات فولى مكانه ابنه يهوياكين بن يهوياقيم وتلقب بنخيا وهو ابن ثمان عشرة سنة . فأقام على الكفر وأعلن عبادة الاوثان . وكانت ولايته ثلاثة أشهر . وأسره بختنصر فولى مكانه عمه متنيا بن يوشيا وتلقب صدقيا وهو ابن احدى وعشرين سنة فثبت على الكفر وأعلن عبادة الاوثان هو وجميع أهل مملكته وكانت ولايته احدى عشر سنة . وأسره بختنصر وهدم البيت والمدينة . واستأصل جميع بنى اسرائيل وأخلى البلد منهم . وحملهم مسبيين الى بلاد بابل . وهو آخر ملوك بنى اسرائيل وبنى سليمان جملة . فهذه كانت صفة ملوك بنى سليمان بن داوود عليهما السلام * فاعلموا الآن ان التوراة لم تكن من أول دولتهم الى انقضائها الا عند الهاروني الكوهن الا كبر وحده فى الهيكل فقط . وأما ملوك الاسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه ، بل كانوا كلهم معلنين بعبادة الاوثان مخيفين للانبياء مانعين القصد الى بيت المقدس . لم يكن فيهم نبي قط الا مقتولا أو هاربا مخافا * فان قيل أليس قد قتل الياس جميع أنبياء بابل لأجل الوثن الذى كان يعبده الملك . والنخلة التى كانت تعبدها بنى اسرائيل وهم ثمانمائة وثمانون رجلا * قلنا انما كان باقرار كتبهم في مشهد واحد . ثم هرب من وقته وطلبته امرأة الملك لتقتله وما أبصره أحد . فأول ملوك الاسباط العشرة يربعام بن ناباط الافرايمى وليهم أثر موت سليمان النبي صلى الله عليه وسلم . فعمل من حينه عجلين من ذهب وقال : هذان الاهاكم اللذان خلصاكم من مصر . وبنى لهما هيكلين وجعل لهما سدنة من غير بنى لاوى وعبدهما هو وجميع

معنين * احدها التأخير قالوا أرجه وأخاه أى امهله واخره * والثاني اعطا الرجاء * اما اطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الاول فصحيح لانهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد واما بالمعنى الثانى فظاهر فانهم كانوا يقولون لا تضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وقيل الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار فعلى هذا المرجية والوعيدية فرقتان متقابلتان وقيل الارجاء تأخير على رضي الله تعالى عنه عن الدرجة الاولى الى الرابعة فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان * والمرجئة اصناف أربعة مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة ومحمد بن شبيب والصالحى والخالدى من مرجئة القدرية ونحن انما نعد مقالات المرجئة الخالصة

(اليونسية) أصحاب يونس السمرى زعم ان الايمان هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وماسوى المعرفة من الطاعة فليس من الايمان ولا يضر تركها حقيقة الايمان ولا يعذب على ذلك اذا كان الايمان خالصاً واليقين صادقا وزعم ان ابليس لعنه الله كان عارفاً بالله وحده غير انه كفر باستكباره عليه ابى واستكبر

فى معصية وان صدرت منه معصية فلا يضر يقينه واخلاصه والمؤمن انما يدخل الجنة باخلاصه ومحبته لا بعمله وطاعته (العبيدية) اصحاب عبيد المكتب حكى عنه انه قال مادون الشرك مغفور لامحالة وان العبد اذا مات على توحيده لم يضره مااقترف من الآثام واجترح من السيئات وحكى اليمان عن عبيد المكتب واصحابه انهم قالوا ان علم الله تعالى لم يزل شيء غيره وان كلامه لم يزل شيء غيره وكذلك دين الله لم يزل شيء غيره وزعم ان الله تعالى عن قولهم على صورة انسان وحمل عليه قوله ﷺ خلق آدم على صورة الرحمن (الغسانية) أصحاب غسان الكوفى زعم ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى ورسوله والاقرار بما انزل الله به مما جاء به الرسول فى الجملة دون التفصيل والايمان يزيد ولاينقص وزعم ان قائلا لوقال اعلم ان الله قد حرم اكل الخنزير ولا ادرى هل الخنزير الذى حرمه هذه الشاة أم غيرها كان مؤمنا ولوقال اعلم ان الله قد

أهل مملكته . ومنعهم من المسير الى بيت المقدس وهو كان شريعتهم لاشريعة لهم غير القصد اليه والقربان فيه . فملك أربعا وعشرين سنة ثم مات وولى ابنه ناداب بن يربعام على الكفر المعلن سنتين . ثم قتله هو وجميع أهل بيته وولى بعشا بن ايلا من بنى يساخر على عبادة الاوثان علانية أربعا وعشرين سنة . وولى ولده ايلا بن بعشا على الكفر وعبادة الاوثان سنتين الى أن قام عليه رجل من قواده اسمه زمرى . فقتله وجميع أهل بيته وولى زمري سبعة أيام . فقتل وأحرق عليه داره . وافترق أمرهم على رجلين . أحدهما يسمى تبني بن جينة والآخر عمري فبقيا كذلك اثنتى عشرة عاما . ثم مات تبنى وانفرد بملكهم عمرى فبقى كذلك ثمانية أعوام على الكفر وعبادة الاوثان الى أن مات . وولي بعده ابنه أحاب بن عمرى على أشد مايكون من الكفر وعبادة الاوثان احدى وعشرين سنة . وفى أيامه كان الياس النبي عليه السلام هاربا عنه فى الفلوات وعن امرأته بنت ملك صيدا . وهما يطلبانه للقتل ثم مات أحاب وولى ابنه احزيا بن أحاب على الكفر وعبادة الاوثان ثلاث سنين . ثم مات وولى مكانه أخوه يهورام ابن أحاب على الكفر وعبادة الاوثان اثنتى عشرة سنة . الى أن قتل هو وجميع أهل بيته . وفي أيامه كان اليسع عليه السلام وولى مكانه ياهو بن نمشي من سبط منشيا فكان أقلهم كفرا . هدم هيا كل ماعلي الوثن . وقتل سدنته . الا انه لم ينقص قطع عبادة الاوثان بل ترك الناس عليها ولم يظهر الايمان . فولى كذلك ثمانية وعشرين سنة ومات . وولى مكانه ابنه يهوياحاز بن ياهو سبع عشرة سنة فبنى بيوت الاوثان . وأعلن عبادتها هو ورعيته الى أن مات . وفى كتبهم ان أمر الاسباط العشرة ضعف فى أيامه . حتى لم يكن معه من الجند الا خمسون فارسا وعشرة آلاف رجل فقط . لان ملك دمشق غلب عليهم وقتلهم وولى مكانه ابنه يواش ابن يهوياحاز ست عشرة سنة على أشد من كفر أبيه . وأخذ فى عبادة الاوثان وهو الذي غزا بيت المقدس واغار عليه وعلى الهيكل وأخذ كل مافيه ، وهدم من سور المدينة اربعمائة ذراع ، وهرب عنه ملك يهوذ ، ثم مات وولي مكانه ابنه ياربعام بن يؤاش خمسا وأربعين سنة على مثل كفر ابيه وعبادة الاوثان ، وغزا ايضا بيت المقدس وهرب امامه ملكها الداوودى فأتبعه فقتله ، ثم مات وولى مكانه ابنه زخريا بن ياربعام بن يؤاش بن يهوياحاز بن ياهو بن نمشى ستة اشهر على الكفر وعبادة الاوثان ، الى أن قتل هو وجميع أهل بيته ، وولي مكانه شلوم ابن نامس من سبط نفتالى فملك شهرا واحدا على الكفر وعبادة الاوثان ، ثم قتل وولى بعده مياخيم بن قارا من سبط يساخر عشرين سنة على عبادة الاوثان والكفر ومات وولى مكانه ابنه محيا بن مياخيم على الكفر وعبادة الاوثان سنتين الى أن قتل هو وجميع اهل بيته ، وولى مكانه ناجح بن مليا من سبط داني ، فملك ثمانيا وعشرين سنة على الكفر وعبادة الاوثان الى أن قتل هو وجميع أهل بيته * وفى ايامه أجلى تباشر ملك الجزيرة بنى رؤابين وبنى جادا ونصف سبط منشيا من بلادهم بالغور (١) ، وحملهم الى بلاده

(١) فى معجم البلدان : والغور غور الاردن بالشام بين البيت المقدس ودمشق وهو منخفض عن ارض دمشق وارض البيت المقدس ولذلك سمي الغور طوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم وفيه نهر الاردن اه (مصححه)

فرض الحج الى الكعبة غير انى لا ادرى اين الكعبة ولعلها بالهند كان مؤمنا ومقصوده ان امثال هذه الاعتقادات أمور وراء الايمان لا انه شاكا فى هذه الامور فانه عاقلا لا يستجير من عقله ان يشك فى ان الكعبة الى اية جهة هى وسكن

وسكن بلادهم قوما من بلاده ، ثم ولى مكانه هوسيع بن ايلا من سبط جادا على الكفر وعبادة الاوثان سبع سنين ، الى أن اسره كاذكرنا سليمان الاعسر ملك الموصل وحمله والتسعة الاسباط ونصف سبط منشيا الى بلاده اسري وسكن بلادهم قوما من أهل بلده وهم السامرية إلى اليوم ، وهوسيع هذا آخر ملوك الاسباط العشرة ، وانقضى أمرهم فبقايا المنقولين من آمد والجزيرة الى بلاد بنى إسرائيل هم الذين ينكرون التوراة جملة ، وعندهم توراة أخرى غير هذه التى عند اليهود ، ولايؤمنون بنبي بعد موسى عليه السلام ولايقولون بفضل بيت المقدس ولايعرفونه ، ويقولون ان المدينة المقدسة هى نابلس فامر توراة أولئك أضعف من توراة هؤلاء ، لانهم لايرجعون فيها الى نبي أصلا ، ولاكانوا هنالك ايام دولة بنى إسرائيل ، وانما عملها لهم رؤساهم أيضا * فقد صح يقينا أن جميع اسباط بنى إسرائيل حاشا سبط يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بنى هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مائتى عام وواحد وسبعين عاما لم يظهر فيهم قط ايمانا ولايوما واحدا فوقه ، وانما كانوا عباد أوثان ولم يكن قط فيهم نبى الا مخاف ، ولاكان للتوراة عندهم لاذكر ولارسم ولاأثر ، ولاكان عندهم شيء من شرائعها اصلا ، مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم وهم عشرون ملكا قد سميناهم الى أن أوجلوا ودخلوا فى الامم وتدينوا بدين الصابئين الذين كانوا بينهم متملكين . وانقطع رسم رميميهم الى الابد . فلايعرف منهم عين احد . وظهر يقينا أن بنى يهوذا وبنى بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة غير اعوام . على اختلاف من كتبهم فى ذلك فى بضعة عشر عاما وقد قلنا انها كتب مدخولة فاسدة ملك هذين السبطين فى هذه المدة من بنى سليمان بن داود عليهما السلام تسعة عشر رجلا . ومن غيرهم امرأة تموا بها عشرين ملكا قد سميناهم كلهم آنفا كانوا كفارا معلنين بعبادة الاوثان حاشا خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ولامزيد . وهم أشا بن أسا ولى احدى وأربعين سنة . وابنه يهوشا فاط بن اشا ولى خمسا وعشرين سنة . فهذه ستة وستون . اتصل فيهم الكفر ظاهرا وعبادة الاوثان . ثم ثمانية أعوام ليورام بن يهوشا فاط لم نجد له حقيقة دين . لحملناه على الايمان لسبب ابيه ثم اتصل الكفر ظاهرا وعبادة الاوثان فى ملوكهم وعامتهم مائة عام وستين عاما مع كفر سائر اسباطهم فعمهم الكفر وعبادة الاوثان فى اولهم وآخرهم . فاى كتاب اوأى دين يبقى مع هذا ؟ ثم ولى حزقيا المؤمن تسعا وعشرين سنة . ثم اتصل الكفر بعد فى عامتهم وملوكهم وعبادة الاوثان سبعا وخمسين سنة . ثم ولى يوشيا المؤمن الفاضل احدى وثلاثين سنة . ثم لم يل بعده الا كافر معلن بعبادة الاوثان مدة اثنين وعشرين عاما وستة أشهر منهم من نشر أسماء الله من التوراة ، ومنهم من احرقها وقطع اثرها ، ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم ايمان الا الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام ، الى ان انقطع امرهم جملة بغارة بختنصر وسبوا كلهم وهدم البيت واستأصل أثره ، الى غارات كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذى لم تكن التوراة عند احد الا فيه لم يترك فيها شيء ، مرة أغار عليهم صاحب مصر أيام رحبعام بن سليمان . ومرتين فى أيام أمصيا هو الملك

مثل مذهبه ويعده من المرجئة ولعله كذب ولعمرى كان يقال لابي حنيفة وأصحابه : مرجئة السنة وعده كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة ولعل السبب فيه انه لما كان يقول الايمان هو التصديق بالقلب وهو لايزيد ولا ينقص ظنوا أنه يؤخر العمل عن الايمان والرجل مع تحرجه فى العمل كيف يفتى بترك العمل وله سبب آخر وهو انه كان يخالف القدرية والمعتزلة الذين ظهروا فى الصدر الاول والمعتزلة كانوا يلقبون كل من خالفهم فى القدر مرجئا وكذلك الوعيدية من الخوارج فلا يبعد أن اللقب انما لزمه من فريقى المعتزلة والخوارج والله أعلم (الثوبانية) أصحاب أبي ثوبان المرجئى الذين زعموا أن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله عليهم السلام وبكل مالا يجوز فى العقل أن يفعله وما جاز فى العقل تركه فليس من الايمان وأخر العمل كله من الايمان ومن القائلين بمقالته أبو مروان غيلان بن مروان الدمشقى وأبو شمر ويونس بن عمران والفضل الرقاشى ومحمد بن شبيب والعتابى وصالح أخيه وكان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفى الامامة أنها تصلح لغير قريش وكل من كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها وانها لاتثبت

من قبل صاحب العشرة الاسباط . الى أن أملها عليهم من حفظه عزرا الوراق الماروني . وهم مقرون انه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه . وهذا يكفي . وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس . وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ولم يصلحها الا بعد نحو أربعين عاما من رجوعهم الى البيت . بعد السبعين عاما التى كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا ولا القبة ولا التابوت . واختلف فى النار كانت عندهم أم لا ؟ ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت وظهرت ظهورا ضعيفا أيضا . ولم تزل تتداولها الايدى مع ذلك الى أن جعل انطاكيوس الملك الذى بنى انطاكية وثنا للعبادة في بيت المقدس وأخذ بنى اسرائيل بعبادته . وقربت الخنازير علي مذبح البيت . ثم تولى أمرهم قوم من بنى هارون بعد مئين من السنين . وانقطعت القرابين فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التى بأيديهم اليوم وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلا من القرابين . وعملوا لهم دينا جديدا ورتبوا لهم الكنائس في كل قرية . بخلاف حالهم طول دولتهم وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمائة عام . وأحدثوا لهم اجتماعا فى كل سبت علي ما هم عليه اليوم . بخلاف ما كانوا طول دولتهم . فانه لم يكن لهم فى شيء من بلادهم بيت عبادة . ولا مجمع ذكر وتعلم ، ولا مكان قربان قربة البتة الا بيت المقدس وحده ، وموضع السرادق قبل بنيان بيت المقدس فقط ، وبرهان هذا أن فى سفر يوشع بن نون باقرارهم ان بنى روابين وبنى جاد ونصف سبط منشا اذا رجعوا بعد فتح بلاد الاردن وفلسطين الى بلادهم بشرقى الاردن ، بنوا مذبحا فهم يوشع بن نون وسائر بنى اسرائيل بغزوهم من أجل ذلك حتى أرسلوا اليه أنا لم نقمه لا للقربان ولا للتقديس أصلا . ومعاذ الله أن نتخذ موضع تقديس غير المجتمع عليه الذى فى السرادق وبيت الله . فحينئذ كف عنهم ففى دون هذا كفاية لمن عقل فى أنها كتاب مبدل مكذوب موضوع . ودين معمول خلاف الدين الذى يقرون أن موسي عليه السلام أتاهم به . وما يزيد الشيطان منهم أكثر من هذا . ولا فى الضلال فوق هذا ونعوذ بالله من الخذلان وأيضا فان فى التوراة التى ترجمها السبعون شيخا لبطليموس الملك بعد ظهور التوراة وفشوها مخالفة للتى كتبها لهم عزرا الوراق . وتدعى النصارى أن تلك التى ترجم السبعون شيخا فى اختلاف أسنان الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام التى من أجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود وتاريخ النصارى زيادة الف عام ونيف علي ما نذكر بعد هذا إن شاء الله تعالي . فان كان هو كذلك فقد وضح اليقين وكذب السبعين شيخاً وتعمدهم لنقل الباطل . وهم الذين عنهم أخذوا دينهم . وأف أف لدين أخذ عن متيقن كذبه * وأيضاً فان فى السفر الخامس من أسفار التوراة الذى يسمونه التكرار : ان الله تعالى قال لموسى اصنع لوحين علي حال الاولين واصعد الى الجبل واعمل تابوتا من خشب لأكتب فى اللوحين العشر كلمات التى أسمعكم السيد فى الجبل من وسط اللهيب عند اجتماعكم اليه وبرى بهما الى فانصرفت من الجبل وجعلتهما فى التابوت وهما فيه الى اليوم . وفى السفر المذكور أيضا بعد هذا الفصل قال : ومن بعد أن كتب موسى هذه العهود فى مصحف واستودعها أمر بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب وقال لهم خذوا هذا المصحف واجعلوه فى المذبح واجعلوا عليه تابوت عهد الرب المحكم ليكون عليكم شاهدا . وقال قبل ذلك فى السفر المذكور أيضا : اذا استجمعتم على تقديم ملك عليكم على حال ملوك الاجناس فلا تقدموا الا

الا باجماع الامة والعجب ان الامة اجتمعت على أنها لاتصلح لغير قريش وبهذا دفعت الانصار عن دعواهم منا أمير ومنكم أمير فقد جمع غيلان خصالا ثلاثا القدر والارجاء والخروج والجماعة التى عددناهم اتفقوا على أن الله تعالي لو عفا عن عاص فى القيامة عفا عن كل مؤمن عاص هو في مثل حاله وان أخرج من النار واحدا أخرج من هو فى مثل حاله ومن العجب انهم لم يجزموا القول بأن المؤمنين من أهل التوحيد يخرجون لامحالة من النار * ويحكى عن مقاتل بن سليمان أن المعصية لاتضر صاحب التوحيد والايمان وانه لايدخل النار مؤمن والصحيح من النقل عنه ان المؤمن العاصى يعذب يوم القيامة على الصراط وهو علي متن جهنم يصيبه لفح النار ولهبها فيتألم بذلك علي مقدار المعصية ثم يدخل الجنة ومثل ذلك بالحبة على المقلاة المؤججة بالنار ونقل عن بشر بن غياث المريسى انه قال ان أدخل أصحاب الكبائر النار فانهم سيخرجون عنها بعد أن عذبوا بذنوبهم وأما التخليد فيها فمحال وليس بعدل وقيل ان أول من قال بالارجاء الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طالب وكان يكتب فيه الكتب الى الامصار الا أنه ما أخر العمل عن الايمان كما قالت من المرجئة واليونسية والعبيدية لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة لايكفر اذ الطاعات وترك المعاصى ليست من أصل الايمان حتى يزول

من ارتضاء الرب من عدد اخوتكم ولا تقدموا أجنبيا علي أنفسكم . الى أن قال : فاذا قعد على سرير ملكه فليكتب من هذا التكرار فى مصحف ما يعطيه الكوهن المتقدم من بنى لاوى بما يشاكله ويكون ذلك معه فيقرأه كل يوم طول ولايته ليخاف الرب الهه ويذكر كتابه وعهده فهذا كله بيان واضح بصحة ماقلنا من أن العشر كلمات ومصحف التوراة انما كان فى الهيكل فقط تحت تابوت العهد وفى التابوت فقط عند الكوهن الاكبر وحده ، لانه باجماعهم لم يكن يصل الى ذلك الموضع أحد سواه ، وفيه أيضا انه أمر أن يكتب الكوهن المذكور من السفر الخامس فقط شيئا يمكن أن يقرأه الملك كل يوم ، ومثل هذا لايكون الا يسير أجدا ورقة أو نحو ذلك ، مع انهم لا يختلفون فى انه لم يلتفت الى ذلك البتة بعد سليمان عليه السلام أحد من ملوكهم الا أربعة أو خمسة كما قدمنا فقط من جملة أربعين ملكا ، وأيضا فانه قال فى السفر المذكور : ثم كتب موسى هذا الكتاب وبرى به الى الكهنة من بنى لاوى الذين كانوا يحسنون عهد الرب وقال لهم موسي اذا اجتمعتم للتقديس بين يدى الرب الحكم فى الموضع الذى تخيره الرب فاقرؤا مافى هذا المصحف فى جماعة بنى اسرائيل عند اجتماعهم فقط يسمعوا مايلزمهم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وفى نص توراتهم انهم كانوا لايلزمهم المجيء الى بيت المقدس الا ثلاث مرات فى كل سنة فقط . فانما أمر بنص التوراة كما أوردنا أن يقرأها عليهم الكوهن الهاروني عند اجتماعهم فقط . فثبت انها لم تكن الا في الهيكل فقط عند الكوهن الهاروني فقط لا عند أحد سواه . وقد أوضحنا قبل أن العشرة الاسباط لم يدخل قط بيت المقدس منهم أحد بعد موت سليمان عليه السلام الى أن انقطعوا ، وان بنى يهوذا وبنيامين لم يجتمعوا اليه الا فى عهد الملوك الخمسة المؤمنين فقط . فظهر بهذا كل ماقلنا ، وصح تبديلها بيقين ، ولاشك فى أن تلك المدة الطويلة التى هى أربعمائة سنة غير شيء ، قد كان فى الكهنة الهارونيين ماكان فى غيرهم من الكفر والفسق وعبادة الاوثان كالذى يذكرون عن ابنى الكوهن عالى الهارونى وغيرهما ممن يقرؤن فى كتبهم أنهم خدموا الاوثان وبيوتها من بنى هارون وبنى لاوى ، ومن هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ماينفرد به ، وهذه كلها براهين أضوأ من الشمس على صحة تبديل توراتهم وتحريفها

(قال أبو محمد رضى الله عنه) الاسورة واحدة ذكر فى توراتهم أن موسى عليه السلام أمر بأن تكتب وتعلم جميع بنى اسرايل ليحفظوها ويقوموا بها ولا يمتنع احد من نسلهم من حفظها وهذا نصها حرفا بحرف : اسمعى ياسموات قولى وتسمع الارض كلامي يكثر كالمطر وبل كالرذاذ كلامى ويكون كالمطر على العشب وكالرذاذ علي الخصب لانى انادى باسم الرب فيعظمه الرب المنا الذى اكمل خليقته واعتدلت احكامه الله الامين الذى لايجور العدل القيوم اذنب لديه غير اوليائه وحت الامة العاصية المستحيلة وهذا شكر للرب ياأمة جاهلة قيمة اماهو ابوكم الذى خلقكم وملكيكم فتذكروا القديم وفكروا فى الاجناس وسلوا آباكم فيعلمونكم واكابركم فيعرفونكم اذا كان يقسم العلى الاجناس ويميز بين بنى آدم جعل قسمة الاجناس علي حساب بنى اسرايل فهم الرب امته ويعقوب قسمته وجده

اسم لخصال اذا تركها التارك كفر وكذلك لو ترك خصلة واحدة منها كفر ولا يقال للخصلة الواحدة منها ايمان ولا بعض ايمان وكل معصية صغيرة أو كبيرة لم تجتمع عليها المسلمون بانها كفر لايقال لصاحبها فاسق ولكن يقال فسق وعصى وقال تلك الخصال هى المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول قال ومن ترك الصلاة والصيام مستحلا كفر وان تركها علي نية القضاء لم يكفر ومن قتل نبيا أو لطمه كفر لامن أجل القتل واللطم ولكن من أجل الاستخفاف والعداوة والبغض والى هذا المذهب ميل بن الراوندي وبشر المريسى قالا الايمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعا والكفر هو الجحود والانكار والسجود للشمس والقمر والصنم ليس بكفر فى نفسه ولكنه علامة الكفر (الصالحية) أصحاب صالح ابن عمرو الصالحى ومحمد ابن شبيب وأبو شمر وغيلان ابن حرث ومحمد بن التميمى كلهم جمعوا بين القدر والارجاء ونحن وان شرطنا أن نورد مذاهب المرجئة الخالصة الا انه بدا لنا فى هؤلاء لانفرادهم عن المرجئة باشياء فاما الصالحى فقال الايمان هو المعرفة بالله تعالى علي الاطلاق وهو ان للعالم صانعا فقط والكفر هو الجهل به علي الاطلاق قال وقول القائل ثالث

في الارض المقفرة وفي موضع قبيح غير مسلوك فاطلقه واقبل به وحفظه كحفظ الشعر للعين واطارم كما يستطير العقاب بفراخها وتحوم عليها وتبسط جناحها حفظا لها فاقبل بهم وحملهم على منكبيه فالرب وحده كان قائدهم ولم يكن معه اله غيره فجعلهم في اشرف ارضه ليأكلوا خبزها ويصيبوا عسل حجارتها وزيت جنادلها ومن مواشيها ولبن ضانها وشحوم خرفانها وكباش بني بلسان ولحوم التيوس ولباب البر ودم العنب وتعاصوا سمنوا ودبروا واشعوا ثم تخلوا من الله خالقهم وكفروا بالله مسلمهم فالجوه لعبادتهم الاوثان الى ان سخط عليهم ولسجودهم للشيطان لا لله ولسجودهم لآلهة بالاجناس كانوا يجهلونها ولم يعبدها قبلهم آباؤهم فتخلوا من الله الذي ولدهم فنسوا الرب خالقهم فبصر الرب بهذا وغضب له اذ تخلى بنوه وبناته فقال اخفي وجهي عنهم حتى اعلم آخر امرهم فانها امة كافرة عاصية وقد اسخطوني بعبادة من ليس الهاً واغضبوني بفواحشهم وساغيرهم على يدي امة ضعيفة واخف بهم على يدي امة جاهلة ويتقدم غضبي نار تحرق الى الهواء فتأتي على الارض بما تسته وتذهب اصول الجبال فاجمع عليهم بأسي واتقهم بنبلي واهلكهم جوعا واجعلهم طعما للطير واسلط عليهم انياب السباع واعصب عليهم الحياة فان برزوا اهلكتهم رماحا وان تحصنوا اهلكت الشاب منهم والعذار والطفل والشيخ رعبا حتى اقول اين هم فاقطع من الارض ذكرهم لكني رفعت عنهم لشدة حرد اعدائهم لئلا يزهوا ويقولوا ايدينا القوية فعلت لا الرب فهذه الامة لا رأي لها ولا تمييز فليتها عرفت وفهمت وابصرت مايدركها في آخر أمرها كيف يتبع واحد منهم الفا ويفر عن اثنين عشرة آلاف اما هذا بان ربهم اسلمهم وربهم اعلق فيهم ليس الهنا مثل الهتهم وصار حكما كرمهم من كرم سدوم وعناقيدهم من ارباض عامورا فعناقيدهم عناقيد المرارة وشرابهم مرارة الثعابين ومن السم الذي لادواء له اما هذا في علمي ومعروف في خزائني لي الانتقام وانا أكافيء في وقته فترهق ارجلكم فكان قد حان وقت خرابهم والى ذلك تسرع الازمنة سيحكم الرب على امته ويرحم عبيده اذا أبصرهم قد ضعفوا واغلق عليهم وذهبوا وذهب اواخرهم وقال اين الهتهم التي يتقون ويأكلون من قربانهم ويشربون منه فليقوموا وليغيثوهم في وقت حاجتهم فتبصروا تبصروا انا وحدي ولا إله غيري انا اميت وأنا احيي وانا امرض وانا ابري ولايتخلص شيء من يدي فارفع الى السماء يدي واقول بحياتي الدائمة لئن حددت رمحي كالصاعقة وابتدأت يميني بالحكم لا كافاني اعدائي وأهل السنان ولاسكرن نبلي دما ولاقطعن برمحي لحوما فامدحوا يامعشر الاجناس امة فانه سيأخذ بدماء عبيده وينتقم من اعدائهم ويرحم ارضهم

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذه السورة التي ابيحت لهم وامروا بحفظها وكتابتها لاماسواها بنص توراتهم بزعمهم، وقد بينا قبل انهم لم يشتغلوا بعد موت سليمان عليه السلام لابهذه السورة ولابغيرها الامدة الملوك الخمسة فقط لانهم قد عبدوا كلهم الاوثان وقتلوا الانبياء واخافوهم وشردوهم، هذا مالايشك فيه كافر ولامؤمن * على ان في هذه السورة من الفضائح مالايجوز ان ينسب الى الله عز وجل مثل قوله. ان الله تعالى هو ابوهم الذي ولدهم وانهم بنوه وبناته، حاش لله من هذا وهل طرق للنصارى وسهل

ثلاثة ليس بكفر لكنه لايظهر الامن كافر وزعم ان معرفة الله تعالى هو المحبة والخضوع له ويصح ذلك مع جحد الرسول ويصح في العقل ان يؤمن بالله ولايؤمن برسوله غير ان الرسول عليه السلام قد قال من لايؤمن بي فليس بمؤمن بالله تعالى وزعم ان الصلاة ليست بعبادة لله تعالى وانه لاعبادة الا الايمان به وهو معرفته وهو خصلة واحدة لايزيد ولاينقص وكذلك الكفر خصلة واحدة لايزيد ولاينقص واما ابو شمر المرجيء القدري فانه زعم ان الايمان هو المعرفة بالله عزوجل والمحبة والخضوع له بالقلب والاقرار به انه واحد ليس كمثله شيء مالم يقم عليه حجة الانبياء عليهم السلام فاذا قامت الحجة فالاقرار بهم وتصديقهم من الايمان والمعرفة والاقرار بما جاؤا به من عندالله غير داخل في الايمان الاصلي وليس كل خصلة من خصال الايمان ايماناً ولابعض ايمان واذا اجتمعت كانت كلها ايماناً وشرط في خصال الايمان معرفة العدل يريد به القدر خيره وشره من العبد من غير ان يضاف الى الباري تعالى منه شيء واما غيلان بن مروان من القدرية زعم ان الايمان هو المعرفة الثانية بالله والمحبة والخضوع له عليهم
والاقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من عند الله والمعرفة الاولى فطرية ضرورية فالمعرفة على أصله نوعان فطرية وهو علمه

عليهم أن يجعلوا لله ولدا الاما وجدوا فى هذه الكتب الملعونة المكذوبة المبدلة بايدى اليهود ، وليس فى العجب اكثر من ان يجعلهم انفسهم اولادالله تعالى وكل من عرفهم يعرف انهم (١) أوضر الامم بزة ، وابردهم طلعة ، واغثهم مقاطع ، واتمهم خبثا ، واكثرهم غشا ، واجبنهم نفوسا ، واشدهم مهانة وأ كذبهم لهجة ، واضعفهم همة ، وارعنهم شمائل ، بل حاش لله من هذا الاختيار الفاسد * ومثل قوله فى هذه السورة انه تعالى حملهم على منكبيه * ومثل قوله انه قد قسم الاجناس من بنى آدم وجعل قسمة الاجناس على حساب بنى إسرائيل ، وجعلهم سهمه ، فهذا كذب ظاهر حاش لله منه ، لان اولاد بنى إسرائيل اثناعشر ، فعلى هذا يجب ان يكون اجناس بنى آدم اثنى عشر وليس الامر كذلك فان كان عنى من تناسل من بنى إسرائيل فكذب حينئذ اشنع وأبشع ، لان عددهم لايستقر على قدر واحد . بل كل يوم يزيدون وينقصون بالولادة والموت . هذا مالاشك فيه . فكل هذه براهين واضحة بانها محرفة مبدلة مكذوبة . فاذهى كذلك فلايجوز البتة فى عقل احد ان يشهد فى تصحيح شريعة . ولا فى نقل معجزة . ولا فى اثبات نبوة . بنقل مكذوب مفترى موضوع . هذامالا شك فيه . وقدقلنا أو نقول ان نقل اليهود فاسد مدخول . لانه راجع الى قوم اتبعوا من اخرجهم من الذل والبلاء والسخرة والخدمة فى عمل الطوب وذبح اولادهم عند الولادة ومن حال لايصبر عليها كلب مطلق ولاحمار مسيب الى العز والراحة والعافية والتملك للاموال وان يكونوا آمرين مخدومين آمنين على اولادهم وانفسهم . ولاينكر فى مثل هذا الحال ان يشهد المخلص للمخلص بكل مايريدمنه . ومع هذا كله فان اتباعهم لموسى عليه السلام الذى اخرجهم من تلك الحالة الى هذه الاخرى . وطاعتهم له كانت مدخولة ضعيفة مضطربة * وقد ذكر فى نص توراتهم انهم اذ عملوا العجل نادوا هذا إله موسى الذى يخلصهم من مصر . ومرة اخرى ارادوا قتله وتصايحوا : قدم علي انفسنا قائدا و نرجع الى مصر . ومع هذا كله قولهم: ان السحرة عملوا مثل كثير مما عمل موسى وان كل ذلك بيان ممكن بصناعة معروفة . وفى هذا كفاية . وهم مقرون بلاخلاف من احدمنهم انه لم يتبع موسي أمة سواهم ، ولانقلت لهم معجزة طائفة غيرهم ، وأما النصارى فمنهم أخذوا نبوة موسي ومعجزاته ، وأماسائر الأمم والملل كالمجوس والفرس والصابئين والسريانين والمانية والسمنية والبراهمة والهند والصين والترك فلا (٢) أصلا ، ولاعلي أديم الارض مصدق بنبوة موسى وبالتوراة التى بأيديهم الاهم ومن هو شعبة منهم كالنصارى * وأمانحن المسلمين فانما قبلنا نبوة موسى وهارون وداود وسليمان والياس واليشع عليهم السلام وصدقنا بذلك وآمنا

(١) فى كتب اللغة الوضر محركة وسخ الدسم واللبن وغسالة السقاء والقصعة ونحوهما ومانشمه من ريح تجدها من طعام فاسد أى اقذرهم ثيابا واسمجهم وجها واردؤهم كلاما لان المقاطع نهايات القول وفواصله حيث ينتهى بالمتكلم المعنى والكلام الغث هو الردىء الذى لاطلاوة عليه . وهذه الصفات الى قوله وأرعنهم شمائل اي احمقهم خلائق من الرعونة وهى الحمق والموج هى صفات اليهود الملازمة لهم الى اليوم (لمصححه)

(٢) أى فلا يصدقون بنبوة موسى أصلا ولعل فى الكلام سقط

رجال المرجئة كما نقل الحسن بن محمد بن علي بن ابى طالب وسعيد بن جبير وطلق بن حبيب وعمرو بن مرة ومحارب بن دثار ومقاتل ابن سليمان وذر وعمرو بن ذر وحماد بن ابى سليمان وابوحنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن وقديد ابن جعفر وهؤلاء كلهم ائمة الحديث لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم فى النار خلافا للخوارج والقدرية (الشيعة) هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصاية اما جليا واما خفيا واعتقدوا أن الامامة لاتخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده قالوا وليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الامام بنصبهم بل هى قضية أصولية هو ركن الدين لايجوز للرسول عليه السلام اغفاله واهماله وتفويضه الى العامة وارساله ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الائمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا وعقداً الا فى حال التقية ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك ولهم فى تعدية الامامة كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف مقالة ومذهب وخبط وهم خمس فرق كيسانية وزيدية وامامية وغلاة واسمعيلية

بهم، وان موسى الذى أنذر بمحمد صلى الله عليه وسلم لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحة نبوتهم ومعجزاتهم فقط، ولولا اخباره عليه السلام بذلك ما كانوا عندنا الا كشموال وإبراث وحداث وحقاى وحبقون وعدوا ويؤال وعاموص وعوبديا وميسخا وناحوم وصفنيا وملاخى وسائر من تنزر اليهود بنبوته كاقرارهم بنبوة موسى سواء بسواء ولا فرق بين طرق نقلهم لنبوة جميعهم، ونحن لا نصدق نقل اليهود في شيء من ذلك بل نقول انه قد كان لله تعالى أنبياء في بنى اسرائيل أخبر بذلك الله تعالى في كتابه المنزل على نبيه الصادق المرسل، فنحن نقطع بنبوة من سمى لنا منهم، ونقول فى هؤلاء الذين لم يسم لنا محمد صلى الله عليه وسلم أسماءهم، الله عز وجل اعلم ان كانوا أنبياء فنحن نؤمن بهم، وان لم يكونوا أنبياء فلسنا نؤمن بهم، آمنا بالله وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وهكذا نقر بنبوة صالح وهود وشعيب واسماعيل، وبأنهم رسل الله يقيناً، ولا نبالى بانكار اليهود لنبوتهم ولا بجهلهم بهم، لان الصادق عليه السلام شهد برسالتهم. وأما التوراة فاوافقنا قطعها، لاننا نحن نقر بتوراة حق أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام وأصحابه لانه تعالى أخبرنا بذلك فى كتابه الناطق على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق، ونقطع بأنها ليست هذه التى بأيديهم بنصها. بل حرف كثير منهم وبدل. وهم يقرون بهذه التى بأيديهم، ولا يعرفون التى نؤمن نحن بها وكذلك لا نصدق بشريعتهم التى هم عليها الآن، بل نقطع بأنها محرفة مبدلة مكذوبة وهم لا يؤمنون بموسى الذى بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته وبأصحابه فاعلموا أننا لم نوافقهم قط على التصديق بشيء من دينهم ولا بما مام عليه ولا بما بأيديهم من الكتاب ولا بالنبى الذى يذكرونه لما قد أوضحناه من فساد نقلهم ووضوح الكذب فيه وعموم الدواخل فيه

(قال أبو محمد رضى الله عنه) ونذكر ان شاء الله تعالى طرفا مما فى سائر الكتب التى عندهم التى يضيفونها الى الأنبياء عليهم السلام من الفساد كالذى ذكرنا فى توراتهم ولا خلاف فى أن (١) احتبالهم بالتوراة كان أشد وأكثر أضعافا مضاعفة من احتبالهم بسائر كتب أنبيائهم أما كتاب يوشع فان فيه براهين قاطعة بانه أيضا تاريخ ألفه لهم بعض متأخريهم بيقين وان يوشع لم يكتبه قط ولا عرفه ولا أنزل عليه * فمن ذلك أن فيه نصا فلما انتهى ذلك الى دوسراق ملك يبوس التى بنى فيها سليمان بن داود بيت المقدس فعل أمرا ذكره

(قال ابو محمد رضي الله عنه) ومن المحال الممتنع أن يخبر يوشع أن سليمان بنى بيت المقدس ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة ولم يأت هذا النص فى كتاب يوشع المذكور على سبيل الانذار أصلا، انما ساقه بلا خلاف منهم مساق الاخبار عما قد مضى * وفيه قصة بشيعة جدا وهى أن عخار بن كرمى بن شذان بن شيلة بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام غل (٢) من المغنم خيطا أرجوانا وحق ذهب فيه خمسون مثقالا ومائتا درهم فضة. فأمر يوشع برجمه ورجم بنيه

(١) الاحتبال يأتى فى اللغة لمعان يقال احتبل اذا اغتنم واحتبل اذا ثكل واحتبل الصيد بغاه والاحتبال ضرب من السير والمهتبل الكذاب واحتبل هبلك أى اشتغل بشأنك يقول ان اشتغالهم بها كان أكثر من اشتغالهم بسائر كتب أنبيائهم (٢) غل فى المغنم يغل بالضم خان (لمصححه)

امير المؤمنين علي عليه السلام وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية يعتقدون فيه اعتقادا بالغا من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والانفس ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك علي تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها على رجال فحمل بعضهم علي ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الي طاعة الرجل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت فمن مقتصر على واحد معتقد انه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ومن معد حقيقة الامامة الى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه ومن يدع حكم الامامة فليس من الحيرة وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد ان الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له ونعوذ بالله من الحيرة والجور بعد الكور (المختارية) أصحاب المختار بن أبي عبيد كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا قال بامامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي رضى الله عنهما وقيل لا بل بعد الحسن والحسين وكان يدعو الناس اليه ويظهر انه من رجاله ورجم

ورجم بناته حتى يموتوا كلهم بالحجارة ، وأمر باحراق مواشيه كلها ، وحاش لله أن يحكم نبي بهذا الحكم فيعاقب باغلظ العقوبة من لاذنب له من ذرية لم تجن شيئا بجناية أبيهم ، مع أن نص التوراة : لايقتل الاب بذنب الابن ولا الابن بذنب الاب ؟ فلابد ضرورة من أن يقولوا انسخ يوشع هذا الحكم فيثبتوا النسخ من نبي لشريعة نبي قبله ، وفي شريعة موسى أيضا أو ينسبوا الظلم وخلاف أمر الله الى يوشع ، فيجعلوه ظالما عاصيا لله مبدلا لأحكامه ، ومافيها حظ لمختار منهم ، وبالله تعالى التوفيق * وفيه أن كل من دخل من بني اسرائيل الارض المقدسة فانهم كانوا مختونين ، وفيه أبناء تسعة وخمسين عاما واقل ، وان موسى عليه السلام لم يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحدا ، هذا مع اقرارهم ان الله تعالى شدد في الختان وقال : من لم يختتن في يوم أسبوع ولادته فلتنتف نفسه من أمته بمعنى فليقتل . فكيف يضيع موسي هذه الشريعة الوكيدة ؟ حتى يختنهم كلهم يوشع بعد موت موسى بدهر . ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم فقال لي : كانوا في التيه في حل وارتحال ، فقلت له فكان ماذا ؟ فكيف وليس كما تقولون ؟ بل كانوا يبقون المدة الطويلة في مكان واحد ؛ وفي نص كتاب يوشع بزعمكم : أنه انما ختنهم اذ جازوا الاردن قبل الشروع في الحرب وفي أضيق وقت وختنهم كلهم حينئذ وهم رجال كهول وشبان وتركوا الختان اذ لامؤونة في ختانهم أطفالا تحمله أمه مختونا كما تحمله غير مختون ولا فرق . فسكت منقطعا ، واما الكتاب الذي يسمونه الزبور ففي المزمور الاول (١) منه (قال لي الرب انت ابني أنا اليوم ولدتك)

(قال ابو محمد رضي الله عنه) فاي شيء تنكرون على النصارى في هذا الباب ؟ ماأشبه الليلة بالبارحة ! وفيه ايضا : انتم بنو الله وبنو العلي كلكم ، وهذه اطم من التي قبلها ومثل ماعند النصارى أو أنتن ، وفيه في المزمور الرابع والاربعين منه (عرشك ياالله في العالم وفي الابد قضيب العدل قضيب ملكك احببت الصلاح وابغضت المكروه من اجل ذلك دهنك الملك بزيت الفرح بين اشراكك)

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هذه سوءة الابد ، ومضيعة الدهر ، وقاصمة الظهر واثبات الآخر على الله تعالى ، دهنه بالزيت اكراماله ، ومجازاة على محبته الصلاح واثبات اشراك (١) لله تعالى وهذا دين النصارى بلامؤونة ولكن اثبات اله دون الله ، وقد ظهر عند اليهود هذا علانية على مانذكر بعد ان شاء الله تعالى ، وبعده بيسير يخاطب الله تعالى (وقفت زوجتك عن يمينك (٣) وعقاصها من ذهب ايتها الابنة اسمعي وميلي باذنيك وابصري

(١) هذا النص مذكور في المزمور الثاني لا المزمور الاول من سفر المزامير طبعة بيروت وكذلك ماذكر انه في المزمور الرابع والاربعين هو في المزمور الخامس والاربعين والمعنى واحد واللفظ مختلف كالكرسي بدل العرش والاستقامة بدل العدل ومسحك بدل دهنك والابتهاج بدل الفرح ورفقائك بدل اشراكك (٢) الاشراك جمع شريك كيتيم وايتام (مصححه)

(٣) وفي سفر المزامير (بنات ملوك بين حظياتك جعلت الملكة عن يمينك)

ودعاته ويذكر علوما مزخرفة ينوطها به ولما وقف محمد بن الحنفية على ذلك تبرأ منه خاصة وأظهر لاصحابه عند العامة برأه ليصرف الناس عنه ليمشي أمره على امارة الحسين وليجمع أمر زين العابدين على أعداء أهل الدين وانه انما يبث على الخلق ذلك ليتمشى أمره ويجتمع الناس عليه وانما انتظم له ماانتظم بأمرين أحدهما انتسابه الى محمد بن الحنفية علما ودعوة والثاني قيامه بثأر الحسين عليه السلام واشتغاله ليلا ونهارا بقتال الظلمة الذين اجتمعوا على قتل الحسين فمن مذهب المختار أنه يجوز البدأ على الله تعالى والبدأ له معان البدأ في العلم وهو أن يظهر له خلاف ماعلم ولا أظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد والبدأ في الارادة وهو أن يظهر له صواب علي خلاف ماأراد وحكم والبدأ في الامر وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن ان الاوامر المختلفة في الاوقات المختلفة متناسخة وانما صار المختار الى اختيار القول بالبدء لانه كان يدعي علم مايحدث من الاحوال اما بوحي يوحى اليه واما برسالة من قبل الامام فكان اذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة فان وافق كونه قوله جعله دليلا على صدق دعواه وان لم يوافق قال قد بدا لربكم وكان لايفرق بين النسخ والبدء قال اذا جاز النسخ في الاحكام جاز البدء في الاخبار وقد

وآنسي عشيرتك وبيت ابيك فيهواك الملك وهو الرب والله فاسجدى له طوعا)
(قال أبو محمد رضى الله عنه) ماشاء الله كان انكرنا الاولاد فأتونا بالزوجة والاختان تبارك الله فما نرى لهم على النصارى فضلا اصلا ، ونعوذ بالله من الخذلان ، وفيه في المزمور الموفى مائة وسبعا (قال الرب لربي اقعد على يميني حتى اجعل اعداك كرسي قدميك)
(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا كالذى قبله في الجنون والكفر رب فوق رب ، ورب يقعد عن يمين رب ، ورب يحكم على رب ، ونعوذ بالله من الخذلان * وفيه في المزمور السادس والثمانين منه : يقول روح القدس لصهيون يقال رجل ورجل ولدفيها وهى العلى اسمها الرب الذي خلقها يعد عند مكتبة الامة ان هذا ولدهناك
(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا دين النصارى الذى يشنعون به علينا من ان الله ولد صهيون ، لو انهدمت الجبال من هذا ما كان عجبا * وفيه في المزمور السابع والسبعين منه (الرب قام كالمنتبه من نومه كالجبار الذى يفربه اثر الخمار (١) كما يقوم الجريش) وفيه (اتقوا ربكم الذي قوته كقوة الجريش)
(قال أبو محمد رضى الله عنه) ماسمع في الحمق اللفيف ، ولا في الكفر السخيف ، بمثل هذا الفعل . مرة يشبه قيام الله تعالى بالمنتبه من نومه ، وقد علمنا انه لايكون المرء اكسل ولا احوج الى التمدد ، ولا اثقل حركة ، منه حين قيامه منه ، ومرة يشبهه بجبار ثمل وما عهد للمرء وقت يكون فيه انكد ، ولا اثقل عينين ، ولا اخبث نفسا ، ولا آلم صداعا ولا اضعف عويلا ، منه في حان الخمار ، ومرة يمثله بالجريش ، وما الجريش والله ماهو الاثور من الثيران بقرن في وسط رأسه ، حاش لله من هذه النحوس التى حق من يؤمن بها السوط حتى يعتدل دماغه . او يحمق بالكل ويقذف الناس بالحجارة ويسقط عنه الخطاب ، ونعوذ بالله من البلاء * وفيه من المزمور الحادى والثمانين (قام الله في مجتمع الالهة وقف إله العزة في وسطهم يقضي) . وهذه حماقة ممزوجة بكفر سمج . مجتمع الالهة . وقيام الله بينهم ، ووقوفه في وسط اصحابه ، ماشاء الله كان! الا ان هذا اخبث من قول النصارى ، لان الآلهة عند النصاري من ثلاثة ، وهم عند هؤلاء السفلة الارذال جماعة : ونعوذ بالله من الخذلان * وفيه في المزمور الثامن والثمانين (من ذا يكون مثل الله في جميع بنى الله) وبعده يقول (ان داود يدعونى والدا وانا جعلته بكر بنى) وبعده (ان عرش داود يبقى ملكه سرمدا أبدا)
(قال ابو محمد رضى الله عنه) هذه كالتى قبلها صارت الآلهة قبيلة وبنى اب ، وكان فيهم واحد هو سيدهم ليس فيهم مثله ، والآخرون فيهم نقص بلاشك ، تعالى الله عن ذلك ونحمده كثيرا على نعمة الاسلام ملة التوحيد الصادقة التى تشهد العقول بصحتها وصحة كل مافيها ، مع كذب الوعد في بقاء ملك داود سرمدا * وفيها مما يوافق قول الملحدين الدهرية الناس كالعشب اذا خرجت ارواحهم نسوا ولايعلمون مكانهم ولايفهمون بعد ذلك

(١) الخمار بالضم ماخالط المخمور من السكر والمعنى يفر به تأثير الخمر

ورجاله وتبرأ من الضلالات التى ابتدعها المختار من التأويلات الفاسدة والمخاريق المموهة * فمن مخاريقه انه كان عنده كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بانواع الزينة وقال هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو عندنا بمنزلة التابوت لبني اسرائيل فكان اذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ويقول قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني اسرائيل وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مددالكم * وحديث الحمامات البيض التى ظهرت في الهوا وقد اخبرهم قبل ذلك بان الملائكة تنزل على صورة الحمامات البيض معروف والاسجاع التى ألفها ابرد تأليف مشهور وانما حمله على الانتساب الى محمد بن الحنفية حسن اعتقاد الناس فيه وامتلاء القلوب بحبه والسيد كان كثير العلم غزير المعرفة وقاد الفكر مصيب الخاطر في العواقب قد اخبره امير المؤمنين عن احوال الملاحم واطلعه على مدارج المعالم قد اختار العزلة وآثر الخمول على الشهرة وقد قيل انه كان مستودعاً علم الامامة حتى سلم الامانة الى أهلها وما فارق الدنيا حتى اقرها في مستقرها وكان السيد الحميري وكثير الشاعر من شيعته قال كثير فيه (قال

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وان دين اليهود ليميل الى هذا ميلا شديدا ، لانه ليس في توراتهم ذكر المعاد اصلا ولا الجزاء بعد الموت ، وهذا مذهب الدهرية بلا كلفة ، فقد جمعوا الدهرية والشك والتشبيه وكل حمق في العالم ، على ان فيه بما اطلعهم الله على تبديل ما شاء رفعه من كتابهم وكف ايديهم عما شاء ابقاءه حجة لنا عليهم ، ومعجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم * وفي المزمور الحادي والستين منه ان العرب و بنى سبا يؤدون اليه المال و يتبعونه ، وان الدم يكون له عنده ثمن وهذه صفة الدية التي ليست الا في ديننا ، وفيه ايضا و يظهر من المدينة هكذا نصا وهذا انذار بين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما الكتب التي يضيفونها الى سليمان عليه السلام ، فهى ثلاثة (أحدها) يسمى شارهسير ثم معناه شعر الاشعار ، وهو على الحقيقة هوس الاهواس ، لانه كلام أحمق لا يعقل ولا يدرى أحد منهم مراده ، انما هو مرة يتغزل بمذكر ، ومرة يتغزل بمؤنث ، ومرة يأتى منه بلغم لزج بمنزلة ما ياتي به المصدوع والذى فسد دماغه ، وقد رأيت بعضهم يذهب الى انه رموز على الكيميا ، وهذا وسواس آخر ظريف ، (والثانى) يسمى مثلا معناه الامثال ، فيه مواعظ ، وفيه ان قال قبل ان يخلق الله شيئا في البدء من الابد انا صرت ومن القديم قبل ان تكون الارض وقبل أن تكون النجوم انا قد كنت استلمت وقد كنت ولدت وليس كان خلق الارض بعد ولا الانهار واذ خلق الله السموات قد كنت حاضرا واذ كان يحمل للنجوم حدا صحيحا و يدق بها وكان يوثق السموات في العلو و يقدر عيون المياه واذ كان يحدق على البحر بنجمه و يجعل للمياه نحى لئلا تجاوز جوزها واذ كان يعلق اساسات الارض انا معه كنت مهيئا للجميع (قال ابو محمد رضي الله عنه) فهل في الملحدة أكثر من هذا ، وهل يضاف هذا الحمق الى رجل معتدل ؟ فكيف الى بنى اسرائيل ؟ وهل هذا الا شرك صحيح ، وحاش لله ان يقول سليمان عليه السلام هذا الكلام ، تالله ما غبط أهل الالحاد بالخادم الا هذا ومثله ، ورأيت بعضهم يخرج هذا على انه انما أراد علم الله تعالى

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ولا يعجز من لا حياء له عن ان يقلب كل كلام الى ما اشتهى بلا برهان ووصف الكلام عن موضعه ومعناه الى معنى آخر لا يجوز الا بدليل صحيح غير ممتنع المراد في اللغة (والثالث) يسمى فوهلث ، معناه الجوامع . فيه ان قال مخاطبا لله تعالى : اخترنى اميرا لامتك ، وحاكما على بنيك وبناتك ، وهذا كالذى سلف ، وحاش لله أن يكون له بنات وبنون لا سيما مثل بنى اسرائيل في كفرهم في دينهم ، وضعفهم في دنياهم ، ورذالتهم في أحوالهم النفسية والجسدية : وفي كتاب حزقيا : يقول السيد سامد يدى على بنى عيسو واذهب عن ارضهم الادميين والانعام ، وافقرهم وانتقم منهم على يدى امتى بنى اسرائيل

(قال ابو محمد رضي الله عنه) وهذا ميعاد قد ظهر كذبه يقينا ، لان بنى اسرائيل قد بادوا جملة و بنو عيسو باقون في بلادهم بنص كتبهم ، ثم بعد ذلك باد بنو عيسو فما على اديم الارض منهم أحد يعرف انه منهم ، وصارت بلادهم للمسلمين ، وسكانها لخم وغيرهم من العرب . وبطل بذلك أن يدعوا ان هذا يكون في المستأنف ، وفي كتاب لشعيا : انه رأى الله عز وجل شيخا أبيض الرأس واللحية . وهذا تشبيه حاشا لنبي ان يقوله : وفيه . قال الرب من سمع قط مثل هذا انا أعطى غيرى ان يلد ولا ألد أنا وأنا الذي ارزق غيرى انا أكون أنا بلا ابن

فسبط سبط ايمان و بر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمه اللواء
يغيب ولا يرى فيهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميرى أيضا يعتقد انه لم يمت وانه في جبل رضوى بين اسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة فيملأ العالم عدلا كما ملئت جورا وهذا هو الاول حكم بالغيبة والعود بعد الغيبة حكم به الشيعة وجرى ذلك في بعض الجماعة حتى اعتقدوه دينا وركنا من اركان التشييع * ثم اختلف الكيسانية بعد انتقال محمد ابن الحنفية في سوق الامامة وصار كل اختلاف مذهبا (الهاشمية) اتباع ابى هاشم ابن محمد بن الحنفية قالوا بانتقال محمد بن الحنفية الى رحمة الله ورضوانه وانتقال الامامة منه الى ابنه ابى هاشم قالوا فانه أفضى اليه اسرار العلوم واطلعه على مناهج تطبيق الآفاق على الانفس وتقدير التنزيل على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن قالوا ان لكل ظاهر باطنا ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا ولكل مثال في هذا العالم حقيقة في ذلك العالم والمنتشر في الآفاق من الحكم والاسرار مجتمع في الشخص الانساني وهو العلم الذي استأثر علي عليه السلام به ابنه محمد بن الحنفية وهو افضى ذلك السر الى ابنه ابي هاشم

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا أطم ماسمع به ان يقيس الله عزوجل نفسه فى كون البنين على خلقه ، وكل هذا اشنع من قول النصارى فى اضافة الشرك والولد والزوجة الى الله تعالى ، ونعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد رضي الله عنه) لم نكتب مما فى الكتب التي يضيفونها الى الانبياء عليهم السلام الاطرفا يسيرا دالاعلى فضيحتها ايضا وتبديلها ، وقد قلنا انهم كانوا فى بلد صغير محاط به ، ثم لاندري كيف يمكنهم اتصال شيء من ذلك الى نبى من انبيائهم ؟ لاسيما من لم يكن الا فى ايام كفرهم مخافا ومقتولا ، فصح بلاشك انها من توليد من عمل لهم الصلوات التيهم عليها ، والشرائع التى يقرون انها من عمل احبارهم الثابتة اذ ظهر دينهم ، وانتشرت بيوت عبادتهم ، فصارت لهم مجامع يتعلمون فيها دينهم ، وعلماء يعلمونهم فى كل بلد ، بخلاف ما اوضحنا انهم كانوا عليه ايام دولتهم الاولى من كونهم كلهم كفارا اميين من السنين وكونهم لامسجد لهم اصلا الا بيت المقدس ، ولا مجمع بعلم لهم اصلا ولا عالما يعلمهم بوجه من الوجوه ولاجامع لشيء من كتبهم ، والحمد لله رب العالمين . ولو تقصينا ما فى كتب أنبيائهم من المناقضات والكذب لكثر ذلك جدا وفيما أوردناه كفاية

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وقد اعترض بعضهم فيما كان يدعى عليهم من تبديل التوراة وكتبهم المضافة الى الانبياء قبل ان يبين لهم اعيان ما فيها من الكذب البحت ، فقال قد كان فى مدة دولتهم انبياء وبعد دولتهم ومن المحال ان يقر اولئك الانبياء على تبديلها

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فجواب هذا القول ان يقال : ان كان يهوديا كذبت ما فى شيء من كتبكم انه رجع الى البيت مع زربائيل بن صيلتال بن صدقيا الملك بنى اصلا ولا كان معه فى البيت نبى باقرارهم اصلا ، وكان ذلك قبل ان يكتبها لهم عزرا الوراق بدهر وقبل رجوعهم الى البيت مع زربائيل مات دانيال آخر انبيائهم فى ارض بابل ، واما الانبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل بعد سليمان ، فكلهم كما بينا امامقتول باشنع القتل او مخاف مطرود منفى لايسمع منهم كلمة الاخفية ، حاشا مدة الملوك المؤمنين الخمسة فى بنى يهوذا او بنى بنيامين خاصة ، وذلك قليل تلاه ظهور الكفر وحرق التوراة وقتل الانبياء . وهو كان خاتمة الامر . وعلى هذا الحال وافام انقراض دولتهم . وأيضا فليس كل نبى يبعث بتصحيح كتاب من قبله . فبطل اعتراضهم بكون الانبياء فيهم جملة . وان كان نصرانيا يقر بالمسيح وزكريا ويحيى عليهم السلام . قيل له ان المسيح بلاشك كانت عنده التوراة المنزلة كما انزلها الله تعالى ، وكان عنده الانجيل المنزل . قال الله تعالى (ويعلمه التوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل) الا انه عرض في النقل عنه بعد رفعه عارض اشد وافحش من العارض فى النقل الى موسى عليه السلام . فلا كافة فى العالم متصلة الى المسيح عليه السلام اصلاً . والنقل اليه راجع الى خمسة فقط . وهم متى وباطره ابن نونا ويوحنا ابن سبذاى ويعقوب ويهوذا ابناء يوسف فقط . ثم لم ينقل عن هؤلاء الا ثلاثة فقط . وهو لوقا الطبيب الانكاكى ومارقس الهاروني وبولس البنياميني .

فرقة ان اباهاشم مات منصرفا من الشأم بارض الشراة واوصى الى محمد ابن على بن عبد الله بن عباس وانجزت فى أولاده الوصية حتى صارت الخلافة الى ابي العباس قالوا ولهم فى الخلافة حق لاتصال النسب وقد توفي رسول الله ﷺ وعمه العباس اولى بالوراثة * وفرقة قالت ان الامامة بعد موت ابى هاشم لابن اخيه الحسن بن على ابن محمد بن الحنفية وفرقة قالت لابل ان اباهاشم أوصى الى اخيه على بن محمد وعلى أوصى الى ابنه الحسن فالامامة عندهم فى بنى الحنفية لاتخرج الى غيرهم * وفرقة قالت ان اباهاشم أوصى الي عبدالله ابن عمرو بن حرب الكندي وان الامامة خرجت من بنى هاشم الى عبد الله وتحولت روح ابى هاشم اليه والرجل ماكان يرجع الى علم وديانة فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فاعرضوا عنه وقالوا بامامة عبدالله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وكان من مذهب عبد الله ان الارواح تتناسخ من شخص الي شخص وان الثواب والعقاب فى هذه الاشخاص اما اشخاص بنى آدم واما اشخاص الحيوانات قال وروح الله تناسخت حتى وهؤلاء

وهؤلاء كلهم كذابون قد وضح عليهم الكذب جهارا على مانوضحه بعد هذا ان شاء الله تعالى وكل هؤلاء مع ماصح من كذبهم وتدليسهم في الدين فانما كانوا متسترين باظهار دين اليهود ولزوم السبت بنص كتبهم ، ويدعون الى التثليث سرا ، وكانوا مع ذلك مطلوبين حيث ماظفروا بواحد منهم ظاهرا اقتل . فبطل الانجيل والتوراة برفع المسيح عليه السلام بطلانا كليا . وهذا الجواب انما كان يحتاج اليه قبل ان يظهر من كذب توراتهم وكتبهم ماقد اظهرنا . واما بعد ما أرضحنا من عظيم كذب هذه الكتب بما لاحيلة فيه . فاعتراض ساقط . لان يقين الباطل لايصححه شيء أصلا ، كما أن يقين الحق لايفسده شيء أبدا * فاعلموا الآن ان ماعورض به الحق المتيقن ليبطل به ، أو عورض به دون الكذب المتيقن ليصحح به . فانما هو سفب وتمويه وإيهام وتخييل وتحيل فاسد بلاشك . لان يقينين لايمكن البتة في البنية أن يتعارضا أبدا وبالله تعالى التوفيق * فان قيل فانكم تقرون بالتوراة والانجيل، وتستشهدون على اليهود والنصارى بما فيهما من ذكر صفات نبيكم . وقد استشهد نبيكم عليهم بنصها في قصة الراجم للزاني المحصن * وروى أن عبد الله بن سلام ضرب يد عبد الله بن صوريا اذ وضعها على آية الرجم * وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ التوراة وقال آمنت بما فيك * وفي كتابكم (يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) وفيه أيضا (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) وفيه أيضا (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) وفيه (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) وفيه (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وفيه (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) * قلنا وبالله التوفيق . كل هذا حق . حاشا قوله عليه السلام آمنت بما فيك فانه باطل لم يصح قط . وكله موافق لقولنا في التوراة والانجيل بتبديلهما وليس شيء منه حجة لمن ادعى أنهما بأيدي اليهود والنصارى كما نزلا على مانبين الآن ان شاء الله تعالى بالبرهان الواضح

(قال أبو محمد رضي الله عنه) أما اقرارنا بالتوراة والانجيل فنعم . وأى معنى لتمويهكم بهذا ونحن لم ننكرهما قط بل نكفر من أنكرهما ؟ انما قلنا ان الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام حقاً . وأنزل الزبور على داود عليه السلام حقاً . وأنزل الانجيل على عيسى عليه السلام حقاً . وأنزل الصحف على ابراهيم وموسى عليهما السلام حقا وأنزل كتبا لم يسم لنا على أنبياء لم يسموا لنا حقا ؛ نؤمن بكل ذلك . قال تعالى (صحف ابراهيم وموسى) وقال تعالى (وانه لفي زبر الاولين) وقلنا ونقول : ان كفار بني اسرائيل بدلوا التوراة والزبور فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء (لايسأل عما يفعل وهم يسألون) (لامعقب لحكمه) وبدل كفار النصارى الانجيل كذلك فزادوا ونقصوا وأبقى الله تعالى بعضها حجة عليهم كما شاء ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون * فدرس (١) مابدلوا من الكتب المذكورة

(١) فدرس أي فني وذهب وكذلك قوله ودرست الصحف

بالقيامة لاعتقادهم ان التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص وتأول قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع مايطعم ووصل الى الكمال والبلاغ وعنه نشأت الخرمية والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بخراسان وافترقت أصحابه فمنهم من قال انه بعد حي لم يمت ويرجع ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه الى اسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري وهم الحارثية الذين يبيحون المحرمات ويعيشون عيش من لاتكليف عليه وبين أصحاب عبد الله بن معاوية وبين أصحاب محمد بن علي خلاف شديد في الامامة فان كل واحد منهما يدعى الوصية من أبي هاشم اليه ولم يثبت الوصية على قاعدة تعتمد (البنانية) اتباع بنان بن سمعان النهدي قالوا بانتقال الامامة من أبي هاشم اليه وهو من الغلاة القائلين بالهية أمير المؤمنين علي عليه السلام قال حل في علي جزء الهي واتحد بجسده فيه كان يعلم الغيب اذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر وبه قلع باب خيبر وعن هذا قال والله ماقلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة ملكوتية بنور ربها مضيئة فالقوة الملكوتية

ورفعه الله تعالى . كادرست الصحف وكتب سائر الانبياء جملة فهذا هو الذى قلناو قد أوضحنا البرهان على صحة ماأوردنامن التبديل والكذب فى التوراة والزبور . ونورد ان شاء الله تعالى فى الانجيل وبالله تعالى نتأيد * فظهر فساد تمويههم باننا نقر بالتوراة والانجيل والزبور . ولم ينتفعوا بذلك فى تصحيح مابأيديهم من الكتب المكذوبة المبدلة والحمد لله رب العالمين * واما استشهادنا على اليهود والنصارى بمافيهما من الانذار بنبينا صلى الله عليه وسلم لحق . وقد قلنا آنفا ؛ ان الله تعالى اطلعهم على تبديل ماشاء رفعه من ذينك الكتابين . كاأطلق أيديهم على قتل من أراد كرامته بذلك من الانبياء الذين قتلوهم بانواع المثل . وكف أيديهم عماشاء ابقاءه من ذينك الكتابين حجة عليهم . كاكف أيديهم الله تعالى عمن أراد أيضا كرامته بالنصر من أنبيائه الذين حال بين الناس وبين أذاهم . وقد أغرق الله تعالى قوم نوح عليه السلام وقوم فرعون نكالالهم . وأغرق آخرين شهادة لهم . وأملى لقوم ليزدادوا إثما . وأملى لقوم آخرين ليزدادوا فضلا . هذامالاينكره أحد من أهل الاديان جملة وكان ماذكرنا زيادة فى أعلام النبى صلى الله عليه وسلم الواضحة . وبراهينه اللائحة . والحمد لله رب العالمين * فبطل اعتراضهم علينا باستشهادنا عليهم بما فى كتبهم المحرفة من ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم وأما استشهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة فى أمر رجم الزانى المحصن وضرب بن سلام رضى الله عنه يد ابن صوريا اذ جعلها على آية الرجم لحق . وهو مماقلنا آنفا ان الله تعالى أبقاه خزيالهم وحجة عليهم ، وانما يحتج عليهم بهذا كله بعد اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم بالبراهين الواضحة الباهرة بالنقل القاطع للعذر على ماقد بيناونبين ان شاء الله تعالى ، ثم نورد ماابقاه الله تعالى فى كتبهم المحرفة من ذكره عليه السلام اخزاءلهم وتبكيتا وفضيحة لضلالهم ، لالحاجة منا الى ذلك اصلا والحمد لله رب العالمين . وأما الخبر بان النبى عليه السلام أخذ التوراة وقال آمنت بمافيك ، فخبر مكذوب موضوع لم يأت قط من طرق فيها خير ولسنا نستحل الكلام فى الباطل لوصح ، فهو من التكلف الذى نهينا عنه ، كما لايحل توهين الحق ولا الاعتراض فيه ، واما قول الله عز وجل (ياأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) لحق لامرية فيه ، وهكذا نقول ولاسبيل لهم الى اقامتها ابدا لرفع مااسقطوا منها ، فليسوا على شىء الابالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والانجيل كلهم يؤمنون حينئذ بما انزل الله منهما وجد أو عدم ، ويكذبون بمابدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما ، وهذه هي اقامتهما حقا ، فلاح صدق قولنا موافقا لنص الآية بلا تأويل والحمد لله رب العالمين * واما قوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فنعم انما هو فى كذب كذبوه ونسبوه الى التوراة على جارى عادتهم زائد على الكذب الذى وضعه أسلافهم فى توراتهم ، فبكتهم عليه السلام فى ذلك الكذب المحدث باحضار التوراة ان كانوا صادقين فظهر كذبهم * وكم عرض لناهذا مع علمائهم فى مناظراتنالهم قبل أن نقف على نصوص التوراة ، فالقوم لامؤنة عليهم من الكذب حتى الآن اذا طمعوا بالتخلص من مجلسهم لايكون ذلك الابالكذب ، وهذاخلق خسيس . وعار لايرضى به مصحح ونعوذ بالله من مثل هذا * واما قوله تعالى (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون

تعالى

فى نفسه كالمصباح فى المشكاة والنور الالهى كالنور فى المصباح قال وربما يظهر علي فى بعض الازمان وقال فى تفسير قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام) أراد به عليا فهو الذى يأتى فى ظلل والرعد صوته والبرق تبسمه ثم ادعى بنان انه قد انتقل اليه الجزء الالهى بنوع من التناسخ ولذلك استحق أن يكون اماما وخليفة وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة وزعم أن معبوده على صورة انسان عضوا فعضوا جزءا فجزءا وقال يهلك كله الا وجهه لقوله تعالى (كل شىء هالك الا وجهه) ومع هذا الخزى الفاحش كتب الى محمد بن على بن الحسين الباقر ودعاه الى نفسه وفى كتابه أسلم تسلم وترتقى من سلم فانك لاتدرى حيث يجعل الله النبوة فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذى جاء به فأكله فمات فى الحال وكان اسم الرسول عمر بن أبي عفيف وقد اجتمعت طائفة على بنان ابن سمعان ودانوا بمذهبه فقتله خالد بن عبد الله القسرى على ذلك

(الرزامية) اتباع رزام ساقوا الامامة من على الى ابنه محمد ثم الى ابنه أبى هاشم ثم منه الى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم ساقوها الى محمد بن علي وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم الامام وهو صاحب أبي مسلم الذى دعاه اليه وقال بامامته وهؤلاء ظهروا بخراسان فى أيام أبي مسلم حتى قيل ان أبامسلم

والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله) فنعم . هذا حق على ظاهره كما هو . وقد قلنا ان الله تعالى انزل التوراة وحكم بها النبيون الذين أسلموا كموسى وهارون وداود وسليمان ومن كان بينهم من الانبياء عليهم السلام ومن كان فى أزمانهم من الربانيين والاحبار الذين لم يكونوا انبياء بل كانوا حكاما من قبل الانبياء عليهم السلام ومن كان فى أزمانهم من الربانيين والاحبار قبل حدوث التبديل . هذا نص قولنا وليس فى هذه الآية انها لم تبدل بعد ذلك اصلا لا بنص ولا بدليل . وأما من ظن لجهله من المسلمين ان هذه الآية نزلت فى رجم النبي صلى الله عليه وسلم لليهوديين اللذين زنيا وهما محصنان . فقد ظن الباطل . وقال بالكذب وتأول المحال . وخالف القرآن . لان الله تعالى قد نهى نبينا عليه السلام عن ذلك نصا بقوله (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) وقال عز وجل (ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك

(قال ابو محمد رضى الله عنه) فهذا نص كلام الله عز وجل الذى ما خالفه فهو باطل وأما قوله تعالى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) فحق على ظاهره لان الله تعالى أنزل فيه الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . واتباع دينه . ولا يكونون ابدا حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه الا باتباعهم دين محمد صلى الله عليه وسلم . فانما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل فى الانجيل الذى ينتمون اليه فهم أهله . ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى انجيلا وليس بانجيل ولا انزله الله تعالى كما هو قط . والآية موافقة لقولنا وليس فيها ان الانجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل . انما فيه الزام النصارى الذين يتسمون باهل الانجيل ان يحكموا بما أنزل الله فيه وهم على خلاف ذلك . وأما قوله تعالى (ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فحق كما ذكرناه قبل ولا سبيل لهم الى اقامة التوراة والانجيل المنزلين بعد تبديلهما الا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم . فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والانجيل حقا لايمانهم بالمنزل فيهما وجحدهم ما لم ينزل فيهما . وهذه هى اقامتهما حقا . وأما قوله تعالي (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم) فنعم . هذا عموم قام البرهان على انه مخصوص وانه تعالى انما أراد مصدقا لما معكم من الحق لا يمكن غير هذا . لاننا بالضرورة ندرى ان معهم حقا و باطلا ولا يجوز تصديق الباطل ألبته . فصح انه انما أنزله تعالى مصدقا لما معهم من الحق . وقد قلنا ان الله تعالى ابقى فى التوراة والانجيل حقا ليكون حجة عليهم وزائدا فى خزيهم . وبالله تعالي التوفيق فبطل تعلقهم بشيء مما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القول بان التوراة والانجيل اللذين بايدى اليهود والنصاري محرفان . وانما حملهم على هذا قلة اهتبالهم (١) بنصوص القرآن والسنن . أتري هؤلاء ما سمعوا قول الله تعالى (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون) وقوله تعالى (وان فريقا منهم

(١) اى اشتغالهم وتقدم تفسيرها

كان على هـذا المذهب لانهم ساقوا الامامة الى أبي مسلم فقالوا له حظ فى الامامة وادعوا حلول روح الآله فيه ولهذ أيده على بنى أمية حتى قتلهم عن بكرة أبيهم وقالوا بتناسخ الارواح والمقنع الذى ادعى الالهية لنفسه مخاريق أخرجها كان فى الاول على هذا المذهب وتابعه مبيضة ماوراء النهر وهؤلاء صنعة من الخرمية دانوا بترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط *ومنهم من قال الدين أمران معرفة الامام واداء الامانة ومن حصل له الامران فقد وصل الى حال الكمال وارتفع عنه التكليف ومن هؤلاء من ساق الامامة الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من أبي هاشم بن محمد بن الحنفية وصية اليه لا من طريق آخر وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية فى الاول واقتبس من دعاتهم العلوم التى اختصوا بها وأحس منهم ان هذه العلوم مستودعة فيهم وكان يطلب المستقر فيه فنفذ الى الصادق جعفر ابن محمد انى قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بنى أمية الى موالاة أهل البيت فان رغبت فلا مزيد عليك فكتب اليه الصادق ما انت من رجالى ولا الزمان زمانى فحاد الى ابى العباس ابن محمد وقلده الخلافة وكذلك كتب اليه ابو مسلم فاحرق كتابه (الزيدية) اتباع زيد بن علي بن الحسين ابن على عليه السلام ساقوا الامامة فى اولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت امامة فى غيرهم الا

ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقوله تعالى (وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله الى آخر الآية) وقوله تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) ومثل هذا في القرآن كثير جدا . ونقول لمن قال من المسلمين ان نقلهم نقل تواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة لاشك في انهم لا يختلفون في ان مانقلوه من ذلك عن موسى وعيسى عليهما السلام لا ذكر فيه لمحمد ﷺ اصلا ولا انذار بنبوته . فان صدقهم هؤلاء القائلون في بعض نقلهم . فواجب ان يصدقهم في سائره احبوا ام كرهوا . وان كذبوهم في بعض نقلهم وصدقوهم في بعض فقد تناقضوا وظهرت مكابرتهم ، ومن الباطل ان يكون نقل واحد جاء مجيئا واحدا بعضه حق وبعضه باطل ، فقد تناقضوا . وماندرى كيف يستحل مسلم انكار تحريف التوراة والانجيل وهو يسمع كلام الله عز وجل (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) ؟ وليس شيء من هذا فيما بايدى اليهود والنصارى مما يدعون انه التوراة والانجيل ، فلابد لهؤلاء الجهال من تصديق ربهم جل وعز ان اليهود والنصارى بدلوا التوراة والانجيل ، والا يرجعوا الى الحمق ويكذبوا ربهم جل وعز ويصدقوا اليهود والنصارى فيلحقوا بهم ويكون السؤال عليهم كلهم حينئذ واحدا فيا اوضحناه من تبديل الكتابين ، وماأوردناه مما فيهما من الكذب المشاهد عيانا مما لميات نص بأنهم بدلوها ، لعلمنا بتبديلهما يقينا كما نعلم مانشهده بحواسنا مما لا نص فيه * وقد اجتمعت المشاهدة والنص * حدثنا ابو سعيد الجعفرى حدثنا ابوبكر الارفوى محمد بن علي المصرى * حدثنا ابوجعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس * حدثنا احمد بن شعيب عن محمد بن المثنى عن عثمان بن عمر * حدثنا علي هو ابن المبارك * حدثنا يحيي بن أبي كثير عن سلمة عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة رضى الله عنه قال * كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الاسلام بالعربية فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد

(قال أبو محمد رضى الله عنه) وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين * ما نزل القرآن والسنة عن النبي ﷺ بتصديقه صدقنا به * وما نزل النص بتكذيبه اوظهر كذبه كذبنا به ومالم ينزل نص بتصديقه او تكذيبه وامكن ان يكون حقا او كذبا لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ما امرنا رسول الله ﷺ ان نقوله كما قلنا في نبوة من لم يأتنا باسمه نص والحمد لله رب العالمين حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن خالد * حدثنا ابراهيم بن احمد البلخى حدثنا العزيزي * حدثنا البخارى * حدثنا ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف * حدثنا ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود قال ابن عباس كيف

كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابراهيم الامامين ابنى عبدالله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا في ايام المنصورة وقتلا على ذلك وجوزوا خروج امامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة وزيد ابن على لماكان مذهبه هذا المذهب اراد ان يحصل الاصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتتلمذ في الاصول لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بان جده على بن ابي طالب فى حروبه التى جرت بينه وبين اصحاب الجمل واصحاب الشام ماكان على يقين من الصواب وان احد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه فاقتبس منه الاعتزال وصارت اصحابه كلها معتزلة وكان من مذهبه جواز امامة المفضول مع قيام الافضل فقال كان علي بن ابى طالب افضل الصحابة الا ان الخلافة فوضت الى ابى بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين ثائرة الفتنة وتطييب قلوب العامة فان عهد الحروب التى جرت في ايام النبوة كان قريباً وسيف امير المؤمنين على عليه السلام عن دماء المشركين من قريش لم يجف بعد والضغائن فى صدور القوم من طلب الثار كما هى فما كانت القلوب تميل اليه

كيف تسألون اهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي انزل على رسوله ﷺ حدث تقرؤنه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب بدلوا كتاب الله تعالى وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقد قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا

(قال أبو محمد رضى الله عنه) هذا أصح اسناد عن ابن عباس رضى الله عنه وهو نفس قولنا ، وماله فى ذلك من الصحابة مخالف * وقد روينا أيضا عن عمر رضى الله عنه أنه اتاه كعب الحبر بسفر وقال له هذه التوراة ، أفأقرؤها ؟ فقال له عمر بن الخطاب ، ان كنت تعلم انها التى أنزل الله على موسى فاقرأها آناء الليل والنهار فهذا عمر لم يحققها

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ونحن ان شاء الله تعالى نذكر طرفا يسيرا من كثير جدا من كلام أحبارهم الذين عنهم أخذوا كتابهم ودينهم واليهم يرجعون فى نقلهم لتوراتهم وكتب الانبياء وجميع شرائعهم ، ليرى كل ذي فهم مقدارهم من الفسق والكذب فيلوح له انهم كانوا كذابين مستخفين بالدين و بالله تعالى التوفيق ، ولقد كان يكفى من هذا اقرارهم بانهم عملوا لهم هذه الصلوات عوضا مما امر الله تعالى به من القرابين ، وهذا تبديل الدين جهارا

(قال ابو محمد رضى الله عنه) ذكر أحبارهم وهو فى كتبهم مشهور لاينكرونه عند من يعرف كتبهم : ان أخوة يوسف اذ باعوا اخاهم طرحوا اللعنة على كل من بلغ الى أبيهم حياة ابنه يوسف ، ولذلك لم يخبره الله عز وجل بذلك ولا أحد من الملائكة ، فاعجبوا لجنون امة تعتقد ان الله خاف ان يقع عليه لعنة قوم باعوا النبي أخاهم ، وعقوا النبي اباهم أشد العقوق ، وكذبوا أعظم الكذب ، فوالله لو لم يكن فى كتبهم الا هذا الكذب وهذا الحمق وهذا الكفر لكانوا به أحق الامم وا كفرهم وأ كذبهم ، فكيف ولهم ماقد ذكرنا ونذكر ان شاء الله تعالى ؟ وفى بعض كتبهم ان هارون عليه السلام قال لله تعالى اذ أراد أن يسخط على بنى اسرائيل : يارب لاتفعل فلنا عليك ذمام وحق لان أخى وانا اقما لك مملكة عظيمة

(قال ابو محمد رضى الله عنه) وهذه طامة اخرى حاشا لهارون عليه السلام ان يقول هذا الجنون ، أين هذا الهوس وهذه الرعونة من الحق النير اذ يقول تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) ؟ وفى بعض كتبهم ان الصورتين اللتين امر الله تعالى موسى ان يصورهما على التابوت خلف الحجلة فى السرداق انما كانتا صورة الله وصورة موسى عليه السلام معه ، تعالى الله عن كفرهم علوا كبيرا . وفى بعض كتبهم ان الله تعالى قال لبنى اسرائيل من تعرض لكم فقد تعرض حدقة عيني . وفى بعض كتبهم : ان علة تردد بنى اسرائيل مع موسى فى التيه اربعين سنة حتى ماتوا كلهم انما كانت لان فرعون كان بنى على طريق مصر الى الشام صنما سماه باعل صفون . وجعله طلسما لكل من هرب من مصر يحيره ولا يقدر على النفاذ . فاعجبوا لمن يجيز ان يكون طلسم فرعون يغلب الله تعالى ! و يجيز بتيه موسى ومن معه حتى يموتوا . فاين كان فرعون عن هذه القوة اذ غرق فى البحر ؟ وفى بعض

كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد وكانت المصلحة ان يكون القيام بهذا الشان من عرفوه باللين والتودد والتقدم بالسن والسبق فى الاسلام والقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ترى انه لما أراد فى مرضه الذى مات فيه تقليد الامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زعق الناس وقالوا لقد وليت علينا فظا غليظا فما كانوا يرضون بامير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظه فى الدين وفظاظة على الاعداء حتى سكنهم أبو بكر رضى الله عنه وكذلك يجوز أن يكون المفضول اماما والافضل قائم فيرجع اليه فى الاحكام ويحكم بحكمه فى القضايا ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه وعرفوا انه لايتبرأ عن الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لامن هذا الوجه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطأ على جده فى قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم فى القدر على غير ماذهب اليه أهل البيت ومن حيث انه كان يشترط الخروج شرطا فى كون الامام اماما حتى قال له يوما على قضية مذهبك والدك ليس بامام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج وقد قتل زيد بن علي وصلب قام بالامامة بعده يحيي بن زيد ومضى الى خراسان واجتمعت عليه جماعة كثيرة وقد وصل اليه الخبر

كتبهم ان دينة بنت يعقوب عليها السلام اذ غصبها شكيم بن حمور وزنا بها حملت وولدت ابنة . وان عقابا خطف تلك الفرخة من الزنا وحملها الى مصر ووقعت فى حجر يوسف . فرباها وتزوجها . وهذه تشبه الخرافات التى يتحدث بها النساء بالليل اذا غزلن . وفى بعض كتبهم ان يعقوب انما قال فى ابنه نفثال : ايل مطلق . لانه قطع من قرية ابراهيم عليه السلام التى بقرب بيت المقدس الى منف التى بمصر ورجع الى قرية الخليل فى ساعة من النهار لشدة سرعته لا لان الارض طويت له . ومقدار ذلك مسيرة نيف وعشرين يوما . وفى بعض كتبهم مما لا يختلفون فى صحته : ان السحرة يحيون الموتى على الحقيقة . وان ههنا اسماء لله تعالى ودعاء وكلاما ومن عرفه من صالح اوفاسق احال الطبائع . واتى بالمعجزات واحيا الموتى . وان عجوزا ساحرة احيت لشاول الملك وهو طالوت شموال النبى بعد موته . فليت شعرى اذا كان هذا حقا ؟ فما يؤمنهم ان موسى وسائر من يقرون بنبوته كانوا من أهل هذه الصفة . ولاسبيل الى فرق بين شيء من هذا ابدا * وفى بعض كتبهم ان بعض أحبارهم المعظمين عندهم ذكر لهم انه رأى طائرا يطير فى الهواء . وانه باض بيضة وقعت على ثلاث عشرة مدينة فهدمتها كلها * وفى بعض كتبهم ان المرأة المدنية التى ذكر فى التوراة التى زنى بها زمرى بن خالو من سبط شمعون طعنه فينحاس بن العزار بن هارون برمحه فنفذه ونفذ المرأة تحته ثم رفعهما فى رمحه الى السماء كأنهما طائران فى سفود ، وقال هكذا نفعل بمن عصاك ، قال كبير من احبارهم معظم عندهم : انه كان تكسير عجز تلك المرأة مقدار مزرعة مدى خردل وفى كتبهم ان طول لحية فرعون كان سبعمائة ذراع ، وهذه والله مضحكة تسلى الثكالى وترد الأحزان

(قال أبو محمد رضى الله عنه) عن مثل هؤلاء فلينقل الدين ، وتبا لقوم اخذوا كتبهم ودينهم عن مثل هذا الرقيع الكذاب واشباهه * وفى بعض كتبهم المعظمة ان جباية سليمان عليه السلام فى كل سنة كانت ستمائة الف قنطار وستة وثلاثين الف قنطار من ذهب ، وهم مقرون انه لم يملك قط الا فلسطين والاردن والغور فقط ، وانه لم يملك قط رفح (١) ولا غزة ولا عسقلان ولا صور ولا صيدا ولا دمشق ولا عمان ولا البلقاء ولا مواب ولا جبال الشراة . فهذه الجباية التى لو جمع كل الذهب الذى بايدى الناس لم يبلغها من اين خرجت ؟ وقد قلنا ان الاحبار الذين عملوا لهم هذه الخرافات كانوا ثقالا فى الحساب . وكان الحياء فى وجوههم قليلا جدا * وذكروا انه كان لمائدة سليمان عليه السلام فى كل سنة أحد عشر الف ثور وخمسمائة ثور وزيادة ، وستة وثلاثين الف شاة سوى الابل والصيد ، فانظروا ماذا يكفى لحوم من ذكرنا من الخبز ؟ وقد ذكروا عددا مبلغه ستة آلاف مدى فى العام لمائدته خاصة ، واعلموا ان بلاد بنى إسرائيل تضيق عن هذه النفقات ، هذا مع قولهم انه عليه السلام كان يهدى كل سنة ثلثى هذا

(١) رفح بفتحتين وحاء مهملة فى حدود الشام على طريق الذاهب الى مصر بينها وبين غزة ثمانية عشر ميلا

من الصادق جعفر بن محمد رضى الله عنه بأنه يقتل كما قتل ابوه ويصلب كما صلب أبوه فجرى عليه الامر كما أخبر وقد فوض الامر بعده الى محمد وابراهيم الامامين وخرجا بالمدينة ومضى ابراهيم الى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا ايضا وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم وعرفهم ان آباءه عليهم السلام أخبروه بذلك كله وان بنى أمية يتطاولون على الناس حتى لو طاولتهم الجبال لطالوا عليها وهم يستشعرون بغض أهل البيت ولا يجوز أن يخرج واحد من أهل البيت حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم وكان يشير الى أبي العباس وأبي جعفر ابنى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس انا لا نخوض فى الامر حتى يتلاعب بها هذا واولاده اشارة الى المنصور فزيد بن على قتل بكناسة الكوفة قتله هشام ابن عبد الملك ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان وابراهيم الامام قتل بالبصرة أمر بقتلهما المنصور ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الى بلاد الديلم والجبل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد فدعى الناس دعوة الى الاسلام على مذهب زيد بن على فدانوا بذلك ونشأوا واخبار
عليه وبقيت الزيدية فى تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الائمة ويلي أمرهم وخالفوا بنى أعمامهم من

العددمن بر ، ومثله من زيت الى ملك صور ، فليت شعرى لاى شىء كان يهاديه بذلك هل ذلك الا لانه كفؤه ونظيره فى الملك ، وهذه كلمات كذبات ، ورعونة لاخفاء بها واخبار متناقضة * وذكروا انه كانت توضع فى قصر سليمان عليه السلام كل يوم مائة مائدة ذهب ، على كل مائدة مائة صفحة ذهب وثلاثمائة طبق ذهب ، على كل طبق ثلاثمائة كاس ذهب ، فاعجبوا لهذه الكذبات الباردة * واعلموا ان الذي عملها كان ثقيل الذهن فى الحساب ، مقصرا فى علم المساحة ، لانه لايمكن ان يكون قطر دائرة الصفحة اقل من شبر ، وان لم تكن كذلك فهى صحيفة لاصحفة طعام ملك ، فوجب ضرورة ان تكون مساحة كل مائدة من تلك الموائد عشرة اشبار فى مثلها لاأقل ، سوى حاشيتها وارجلها * واعلموا ان مائدة من ذهب هذه صفتها لايمكن البتة أن يحركها إلافيل لأن الذهب ارزن الاجسام واثقلها ، ولايمكن البتة ان يكون فى كل مائدة من تلك الموائد اقل من ثلاثة آلاف رطل ذهب ، فمن يرفعها ومن يضعها ومن يغسلها ومن يمسحها ومن يديرها فهذا الذهب كله وهذه الاطباق من اين * فان قيل انتم تصدقون بان الله تعالى آتاه ملكا لاينبغى لاحد من بعده ، وان الله سخر له الريح والجن والطير وعلمه منطق الطير والنمل وان الريح كانت تجرى بأمره ، وان الجن كانوا يعملون له المحاريب والتماثيل والجفان والقدور * قلنا نعم ونكفر من لم يؤمن بذلك وبين الامرين فرق واضح ، وهو ان الذى ذكرت مما نصدق به نحن هو من المعجزات التى تأتى بمثلها الانبياء عليهم السلام داخل كله تحت الممكن فى بنية العالم ، والذى ذكروه هو خارج عن هذا الباب داخل فى حد الكذب والامتناع فى بنية العالم * وفى بعض كتبهم المعظمة عندهم ان زارح ملك السودان غزا بيت المقدس فى الف الف مقاتل ، وان اسابن ابنا الملك خرج اليه فى ثلاثمائة الف مقاتل من بنى يهوذا وخمسين الف مقاتل من بنى بنيامين فهزم ملك السودان * وهذا كذب فاحش ممتنع ، لان من اقرب موضع من بلد السودان وهم النوبة الى مسقط النيل فى البحر نحو مسيرة ثلاثين يوما ، ومن مسقط النيل الى بيت المقدس نحو عشرة ايام صحارى ومفاوز ، الف الف مقاتل لاتحملهم الا البلاد المعمورة الواسعة واما الصحارى الجرد فلا ، ثم فى مصر جميع اعمال مصر فكيف يخطوها الى بيت المقدس هذا ممتنع فى رتبة الجيوش وسيرة الممالك ، ومن البعيد أن يكون عند ملك السودان حيث يتسع بلدهم ويكثر عددهم اسم بيت المقدس ، فكيف ان يتكلفوا غزوها لبعد تلك البلاد عن النوبة . واما بلد النوبة والحبشة والبجاة فصغير الخطة قليل العدد . وانما هى خرافات مكذوبة باردة . وفى كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلموذ والتلموذ هو معولهم وعمدتهم فى فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم . وهو من اقوال احبارهم بلا خلاف من أحد منهم ففى الكتاب المذكور ان تكسير جبهة خالقهم من أعلاها الى انفه خمسة آلاف ذراع حاش لله من الصور والمساحات والحدود والنهايات * وفى كتاب آخر من التلموذ يقال له سادرناشيم ومعناه تفسير احكام الحيض ان فى رأس خالقهم تاجا فيه الف قنطار من

الصحابة طعن الامامية وهم أصناف ثلاثة جارودية وسليمانية وبترية والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد (الجارودية) أصحاب أبى الجارود زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على على عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده على والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وانما نصبوا أبابكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف أبو الجارود فى هذه المقالة امامة زيد بن على فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد واختلفت الجارودية فى التوفيق والسوق فساق بعضهم الامامة من على الى الحسن ثم الى الحسين ثم الى على بن الحسين زين العابدين ثم الى زيد بن على ثم منه الى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقالوا بامامته وكان أبو حنيفة رحمه الله على بيعته ومن جملة شيعته حتى رفع الامر الى المنصور فحبسه حبس الابد حتى مات فى الحبس وقيل انه انما بايع محمد بن عبد الله الامام فى أيام المنصور ولما قتل محمد بالمدينة بقى الامام أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت فرفع حاله الى المنصور فتم عليه ماتم والذين قالوا بامامة محمد الامام اختلفوا فمنهم من قال انه لم يقتل وهو بعد حى وسيخرج فيملأ الارض عدلا ومنهم من أقر بموته وساق الامامة الى محمد بن القاسم بن على

ذهب . وفي اصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب . وان الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون . تعالى الله عن هذه الحماقات * ومما اجمع عليه احبارهم لعنهم الله ان من شتم الله تعالى وشتم الانبياء يؤدب . ومن شتم الاحبار يموت اي يقتل * فاعجبوا لهذا . واعلموا انهم ملحدون لا دين لهم . يفضلون أنفسهم على الانبياء عليهم السلام وعلى الله عز وجل . ومن الاحبار فعليهم مايخرج من أسافلهم وفيما سمعنا علماءهم يذكرونه ولا يتناكرونه معنى ان أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الانبياء عليهم السلام اتفقوا على ان رشوا (بولس) البنياميني لعنه الله وامروه باظهار دين عيسى عليه السلام . وان يضل اتباعهم ويدخلهم الى القول بالاهيته . وقالوا له نحن نتحمل اثمك في هذا . ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر * واعلموا يقينا ان هذا عمل لا يستسهله ذو دين اصلا . ولا يخلو اتباع المسيح عليه السلام عند أولئك الاحبار لعنهم الله من ان يكونوا على حق اوعلى باطل . لابد من احدهما * فان كانوا عندهم على حق فكيف استحلوا ضلال قوم محقين . واخراجهم عن الهدى والدين . الى الضلال المبين . هذا والله لا يفعله مؤمن بالله تعالى اصلا * وان كانوا عندهم على ضلال وكفر فحسبهم ذلك منهم . وانما يسعي المؤمن ليهدى الكافر اوالضال . واما أن يقوي بصيرته في الكفر ويفتح له فيه ابوابا أشد وأفحش مما هو عليه فهذا لا يفعله أيضا من يؤمن بالله تعالى قطعا . ولا يفعله الاملاحد يريد أن يسخر بمن سواه فمن هؤلاء اخذوا دينهم وكتب انبيائهم باقرارهم * فاعجبوا لهذا وهذا أمر لا نبعده عنهم لانهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا فبعد عليهم بلوغ اربهم من ذلك . وذلك باسلام عبد الله بن سبا المعروف بابن السوء اليهودي الحميري لعنه الله . ليضل من امكنه من المسلمين . فنهج لطائفة رذلة كانوا يتشيعون في علي رضي الله عنه ان يقولوا بالهيـة علي . كما نهج بولس لاتباع المسيح عليه السلام ان يقولوا بالهيته . وهم الباطنية والغالية الى اليوم واخفهم كفرا الامامية . على جميعهم لعائن الله تترى . واشنع من هذا كله نقلهم الذي لا تمانع بينهم فيه عن كثير من احبارهم المتقدمين الذين عنهم اخذوا دينهم ونقلوا توراتهم وكتب الانبياء بأن رجلا اسمه اسماعيل كان اثر خراب البيت المقدس سمع الله تعالي يئن كما تئن الحمامة ويبكي وهو يقول . الويل لمن اخرب بيته وضعضع ركنه وهدم قصره وموضع سكينته ويلي على ما أخربت من بيتي ويلي على ما فرقت من بني وبناتي قامتي منكسة حتى أبني بيتي وارد اليه بني وبناتي * قال هذا النذل الموسخ ابن الانذال اسماعيل : فاخذ الله تعالى بثيابي وقال لي : اسمعتني يابني يا اسماعيل قلت لا يارب . فقال لي يابني يا اسماعيل : بارك علي قال هذا الكلب والجيفة المنتنة فباركت عليه ومضيت

(قال أبو محمد رضي الله عنه) لقد هان من بالت عليه الثعالب . والله مافي الموجودات ارذل ولا انتن ممن احتاج الى بركة هذا الكلب الوضر . فاعجبوا لعظيم ماانتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع * فنها اخباره عن الله تعالى ان يدعو على نفسه

من قال بامامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين وحمل رأسه الى محمد بن عبد الله بن طاهر حتى قال فيه بعض العلوية

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك أستلينك في الكلام
وعز علي أن القاك الا وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى ابن الحسين زيد بن علي وأما أبو الجارود فكان يسمى سرحوب سماه بذلك أبو جعفر محمد بن علي الباقر رضي الله عنه وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر قاله الباقر تفسيرا * من أصحاب أبي الجارود فضيل الرسان وأبو خالد الواسطي وهم مختلفون في الاحكام والسير فزعم بعضهم ان علم ولد الحسن والحسين عليهما السلام كعلم النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة (السليمانية) أصحاب سليمان ابن جرير وكان يقول ان الامامة شورى فيما بين الخلق ويصح أن ينعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين وانها تصح في المفضول مع وجود الأفضل واثبت امامة أبي بكر وعمر حقا باختيار الامة حقا اجتهاديا وربما كان يقول ان الامة اخطأت في البيعة لهما مع وجود علي خطأ لا يبلغ درجة الفسق بالويل

بالويل مرة بعد مرة . الويل حقا على من يصدق بهذه القصة وعلي الملعون الذى أتى بها * ومنها وصفه الله تعالى بالندامة على مافعل . وما الذى دعاه الى الندامة ؟ أتراه كان عاجزا ؟ هذا عجب آخر . واذا كان نادما على ذلك فلم تمادى على تبديدهم والقاء النجس عليهم حتى يبلغ ذلك الى القاء الحكة فى أدبارهم كانص فى آخر توراتهم ؟ مافى العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة * ومنها وصفه الله تعالى بالبكاء والانين * ومنها وصفه لربه تعالى بانه لم يدر هل سمعه ام لاحتى سأله عن ذلك . ثم اظرف شيء اخباره عن نفسه بانه اجاب بالكذب وان الله تعالى قنع بكذبه وجاز عنده ولم يدر انه كاذب * ومنها كونه بين الخرب وهى مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية ونحوها * ومنها وصفه الله تعالى بتنكيس القامة * ومنها طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنة والمنتن . وبالله الذى لااله الاهو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ الذى بلغها هذا اللعين ومن يعظمه . وبالله تعالى نتأيد ولولا ماوصفه الله تعالى من كفرهم وقولهم يد الله مغلولة . والله فقير ونحن أغنياء . ما انطلق لنا لسان بشيء مما اوردنا . ولكن سهل علينا حكاية كفرهم ماذكره الله تعالى لنا من ذلك . ولاعجب من اخبار هذا الكلب لعنه الله عن نفسه بهذا الخبر . فان اليهود كلهم يعنى الربانيين منهم مجمعون على الغضب على الله وعلى تعييبه وتهوين امره عزوجل فانهم يقولون ليلة عيد الكبود وهى العاشرة من تشرين الاول وهى اكتوبر يقوم الميططرون . ومعنى هذه اللفظة عندهم الرب الصغير تعالى الله عن كفرهم . قال . ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكى قليلا قليلا . ويلى اذخربت بيتى وأيتمت بنى وبناتى قامتى منكسة لاأرفعها حتى أبنى بيتى وارد اليه بنى وبناتى ويردد هذا الكلام * واعلموا انهم افردوا عشرة أيام من أول اكتوبر يعبدون فيه رباً آخر غير الله عز وجل . فحصلوا علي الشرك المجرد * واعلموا ان الرب الصغير الذى افردوا له الايام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عز وجل هو عندهم صندلفون الملك خادم التاج الذى فى رأس معبودهم وهذا أعظم من شرك النصارى * ولقد وقفت بعضهم على هذا فقال لى ميططرون ملك من الملائكة * فقلت وكيف يقول ذلك الملك ويلى علي ماخربت من بيتى وفرقت بنى وبناتى ؟ وهل فعل هذا الا الله عز وجل * فان قالوا تولى ذلك الملك ذلك الفعل بأمر الله تعالى * قلنا فمن المحال الممتنع ندامة الملك علي مافعله بامر الله تعالى ، هذا كفر من الملك لوفعله فكيف ان يحمد ذلك منه ، وكل هذا انما هو تحيل منهم عند صك وجوههم بذلك * والا فهم فيه قسمان * قسم يقول انه الله تعالى نفسه فيصغرونه ويحقرونه ويعيبونه * وقسم يقول انه رب آخر دون الله تعالى * واعلموا ان اليهود يقومون فى كنائسهم أربعين ليلة متصلة من ايلول وتشرين الاول وهماستنبر واكتوبر فيصيحون ويولولون بمصائب * منها قولهم ، لاى شيء تسلمنا ياالله هكذا ولنا الدين القيم والاثر الاول لم يا الله تتصمم عنا وأنت تسمع وتعمى وأنت مبصر هذا جزاء من تقدم الى

وطلحة باقدامهم علي قتال علي ثم انه طعن فى الرافضة فقال ان أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لايظهر أحد قط عليهم احداهما القول بالبداء فاذا اظهروا اقولا انه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لا يكون الامر على ما اخبروه قالوا بدا لله تعالى فى ذلك والثانية التقية وكل ما أرادوا تكلموا به فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناه تقية وفعلناه تقية وتابعه على القول بجواز أمامة المفضول مع قيام الافضل قوم من المعتزلة منهم جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب وكثير النوى وهو من أصحاب الحديث قالوا الامامة من مصالح الدين ليس يحتاج اليها لمعرفة الله تعالى وتوحيده فان ذلك حاصل بالعقل لكنها يحتاج اليها لاقامة الحدود والقضاء بين المتحاكمين وولاية اليتامى والايامى وحفظ البيضة واعلاء الكلمة ونصب القتال مع أعداء الدين وحتى يكون للمسلمين جماعة ولا يكون الامر فوضى بين العامة فلا يشترط فيها أن يكون الامام أفضل الامة علما واقدمهم رأيا وحكمة اذ الحاجة تنسد بقيام المفضول مع وجود الفاضل والافضل ومالت جماعة من أهل السنة الى ذلك حتى جوزوا أن يكون الامام غير مجتهد ولا خبير بمواقع الاجتهاد ولكن يجب أن يكون معه من يكون من أهل

عبوديتك وبدر الي الاقرار بك لم ياالله لاتعاقب من يكفر النعم ولاتجازى بالاحسان ثم تبخسنا حظنا وتسلمنا لكل معتد وتقول ان أحكامك عدلة * فاعجبوا لوغادة هؤلاء الاوباش ، ولرذالة هؤلاء الانذال المتمنين على ربهم عز وجل ، المستخفين به وبملائكته وبرسله : وتالله مابخسهم ربهم حظهم . وما حظهم الا الخزى فى الدنيا والخلود فى النار فى الأخرة وهو تعالي موفيهم نصيبهم غير منقوص . واحمدوا الله على عظيم منته علينا بالاسلام الملة الزهراء التى صححتها العقول . وبالكتاب المنزل من عنده تعالى بالنور المبين والحقائق الباهرة نسأل الله تثبيتنا على مامنحنا من ذلك بمنه الى أن نلقاه مؤمنين غير مغضوب علينا ولاضالين

(قال أبو محمد رضي الله عنه) هنا انتهى ماأخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والمناقضات اللائحة التى لاشك معه فى انها كتب مبدلة محرفة مكذوبة . وشريعة موضوعة مستعملة من اكابرهم . ولم يبق بايديهم بعد هذا شيء أصلا . ولابقى فى فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوه . والحمد لله رب العالمين * واياكم أن يجوز عليكم تمويه من يعارضكم بخرافة أو كذبة . فاننا لانصدق فى ديننا بشيء أصلا الا ماجاء فى القرآن أو ما صح باسناد الثقات ثقة عن ثقة حتى يبلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط . وما عدا هذا فنحن نشهد انه باطل . واعلموا انا لم نكتب من فضائحهم الا قليلا من كثير ولكن فيما كتبنا كفاية قاطعة في بيان فساد كل ماهم عليه وبالله تعالى التوفيق

تم الجزء الاول من الفصل ويليه الجزء الثانى أوله قال أبو محمد رضى الله عنه واما الانجيل وكتب النصارى فنحن ان شاء الله الى آخره



متين وبصر فى الحوادث نافذ (الصالحية) أصحاب الحسن بن صالح بن حى والبترية أصحاب كثير النوى الابتر وهما متفقان فى المذهب وقولهم فى الامامة كقول السليمانية الا أنهم توقفوا فى أمر عثمان أهو مؤمن أم كافر قالوا اذا سمعنا الاخبار الواردة فى حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب أن يحكم بصحة إسلامه وايمانه وكونه من أهل الجنة واذا رأينا الاحداث التى أحدثها من استهتاره بتربية بنى أميـة وبنى مروان واستبداده بامور لم توافق سيرة الصحابة قلنا يجب أن يحكم بكفره فتحيرنا فى أمره وتوقفنا فى حاله ووكلناه الى أحكم الحاكمين * وأما على فهو أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالامامة لكنه سلم الامر لهم راضيا وفوض الامر اليهم طائعا وترك حقه راغبا فنحن راضون بما رضي مسلمون لما سلم لايحل لنا غير ذلك ولو لم يرض علي بذلك لكان أبو بكر هالكا وهم الذين جوزوا امامة المفضول وتأخير الفاضل والافضل اذا كان الافضل راضيا بذلك وقالوا من شهر سيفه من أولاد الحسن والحسين وكان عالما زاهداً شجاعا فهو الامام وشرط بعضهم صباحة الوجه ولهم خبط عظيم فى امامين وجد فيهما هذه الشرائط وشهرا سيفهما ينظر الى الافضل

(فهرس الجزء الاول من كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل للامام ابن حزم الظاهرى)

صحيفة

صحيفة

فهرس الجزء الاول من كتاب الملل والنحل للشهرستاني الذى بالهامش

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨

الجزء الثاني

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكي ت ٣١٠٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال أبو محمد) واما الاناجيل وكتب النصارى فنحن ان شاء الله تعالى موردون من الكذب المنصوص فى اناجيلهم ومن التناقض الذى فيها امراً لايشك كل من رآه في انهم لاعقول لهم وانهم مخذولون جملة ، واما فساد دينهم فلا اشكال فيه على من له مسكة عقل ولسنا نحتاج الى تكلف برهان فى ان الاناجيل وسائر كتب النصارى ليست من عند الله عز وجل ولا من عند المسيح عليه السلام كما احتجنا الى ذلك فى التوراة والكتب والمنسوبة الى الانبياء عليهم السلام التى عند اليهود ، لان جمهور اليهود يزعمون ان التوراة التى بايديهم منزلة من عند الله عز وجل على موسى عليه السلام ، فاحتجنا الى اقامة البرهان على بطلان دعواهم فى ذلك ، واما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها لانهم لايدعون ان الاناجيل منزلة من عند الله على المسيح ، ولا ان المسيح اتاهم بها بل كلهم اولهم عن آخرهم اريوسيهم وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبيهم ومارونيهم وبولقانيهم لايختلفون فى انها اربعة تواريخ (١) الفها اربعة رجال معروفون فى ازمان مختلفة ، فاولها تاريخ الفه متى اللاواني

---

(١) المطلع على الاناجيل الاربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا المترجمة حديثا عن اليونانية يرى أنها تواريخ من تآليفهم أخبروا فيها عما وقع للمسيح عليه السلام في أيام حياته كميلاده والمعمودية وتجربة ابليس له وتغلبه عليه وخروجه من ناصرة الجليل وتطوافه للتعليم والتبشير فى المجالس والمجامع وخروج تلاميذه واتباعه وراءه وامتيازه في تعاليمه بسلطان الخوارق القاهر كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والمحموم والمفلوج ومن به مس الشياطين والارواح النجسة باخراجها منه وشفائه كل مرض وكل ضعف فى الشعب واشباعه بالطعام اليسير العدد الكثير وارساله تلاميذه الاثنى عشر الى مدن بنى اسرائيل وبيوتهم خفية ووصيته لهم بالهرب من المدينة الى الأخرى اذا طردهم أهلها منها ومجادلة اليهود له في

والازهد وان تساويا ينظر الى الامتن رأيا والاحزم أمرا وان تساويا تقابلا فينقلب الامر عليهم كلا ويعود الطلب جذعا والامام مأموما والامير مأمورا ولو كان فى قطرين انفرد كل واحد منهما بقطره ويكون واجب الطاعة فى قومه ولو أفتى أحدهما بخلاف مايفتي الآخر كان كل واحد منهما مصيبا وان أفتى باستحلال دم الامام الآخر * وأكثرهم فى زماننا مقلدون لايرجعون الى رأى واجتهاد أما فى الاصول فيرون رأى المعتزلة حذو القذة بالقذة ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت * وأما فى الفروع فهم على مذهب أبى حنيفة الا فى مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعى رحمه الله (والشيعة) رجال الزيدية أبو الجارود زياد ابن المنذر العبدى جعفر ابن محمد والحسن بن صالح ومقاتل بن سليمان والداعى ناصر الحق الحسن بن على بن الحسن بن زيد بن عمرو بن الحسين بن على والداعى الآخر صاحب طبرستان الحسين بن زيد بن محمد ابن اسماعيل بن الحسن ابن زيد بن الحسن بن على ومحمد بن نصر (الامامية) هم القائلون بامامة على عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم نصا ظاهرا ويقينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل اشارة اليه بالعين قالوا وماكان فى الدين والاسلام امر أهم من تعيين الامام حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الامة فانه اذا بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق فلا يجوز ان يفارق الامة تدينا ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا ويسلك كل واحد طريقا لايوافقه فى ذلك غيره بل يجب ان يعين شخصا هو المرجوع اليه وينص على واحد هو الموثوق به والمعول عليه وقد عين عليا عليه السلام فى مواضع تعريضا وفى مواضع تصريحا * أما تعريضاته فمثل ان بعث أبا بكر ليقرأ سورة البراءة على الناس فى المشهد وبعث بعده عليا ليكون هو القارىء عليهم والمبلغ

عنه اليهم وقال نزل علي جبريل فقال يبلغه رجل منك أو قال من قومك وهو يدل على تقديمه عليا عليه السلام ومثل ما كان يؤمر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعوث وقد أمر عليهما عمرو بن العاص في بعث واسامة بن زيد في بعث وما أمر علي على أحدا قط * وأما تصريحاته فشل ماجرى في نا نأة الاسلام (٣) حين قال من الذي يبايعني على ماله فبايعته جماعة ثم قال من الذي يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الامر من بعدي فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين علي عليه السلام يده اليه فبايعه على روحه ووفى بذلك حتى كانت قريش تعير أباطالب انه أمر عليك ابنك (ومثل) ماجرى في كمال الاسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) فلما وصل الى غدير خم أمر بالدرجات فقممن ونادوا الصلاة جامعة ثم قال عليه السلام وهو على الرحال * من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار الاهل بلغت ثلاثا * فادعت الامامية ان هذا نص صريح فانا ننظر من كان النبي صلى الله عليه وسلم مولى له وباى معنى فتطرد ذلك في حق علي وقد فهمت الصحابة من التولية مافهمناه حتى قال عمر حين استقبل عليا طوبى لك ياعلي أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة * قالوا وقول النبي عليه السلام اقضاكم علي نص في الامامة فان الامامة لامعنى لها الا ان يكون اقضى القضاة في كل حادثة الحاكم على المتخاصمين في كل واقعة وهو معنى قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فاولو الامر من اليه القضاء والحكم حتى في مسئلة الخلافة لما تخاصمت المهاجرون والانصار كان القاضي في ذلك هو امير المؤمنين على دون غيره فان النبي ﷺ كما حكم

تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام وكتبه بالعبرانية في بلد يهوذا بالشام، يكون نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط، والآخر تاريخ ألفه مارقش الهاروني تلميذ شمعون الصفا بن توما المسمى باطرة بعد اثنين وعشرين عاما من رفع المسيح عليه السلام، وكتبه باليونانية في بلد انطاكية من بلاد الروم، ويقولون ان شمعون المذكور هو الذي ألفه ثم محا اسمه من أوله ونسبه الى تلميذه مارقش، يكون أربعا وعشرين ورقة بخط متوسط وشمعون المذكور تلميذ المسيح * والثالث تاريخ ألفه لوقا الطبيب الانطاكي تلميذ شمعون باطرة أيضا كتبه باليونانية في بلد اقاية بعد تأليف مارقش المذكور يكون من قدر انجيل متى والرابع تاريخ ألفه يوحنا ابن سيذاي تلميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة، وكتبه باليونانية في بلد اشينية، يكون أربعا وعشرين ورقة بخط متوسط، و يوحنا هذا نفسه هو ترجم انجيل متى صاحبه من العبرانية الى اليونانية، ثم ليس للنصارى كتاب قديم يعظمونه بعد الاناجيل الاربعة الا الافركسيس، وهو كتاب ألفه لوقا الطبيب المذكور في اخبار الحواريين وأخبار صاحبه بولس البنياميني وسيرهم وقتلهم، يكون نحو خمسين ورقة بخط مجموع، وكتاب الوحي والاعلان ألفه يوحنا ابن سيذاي المذكور، وهو كتاب في غاية

السبت والطلاق وزواج الاخ زوجة أخيه بعد وفاته وغير ذلك وتشاورهم ورؤسائهم عليه لكي يقتلوه وتعرضه للشيوخ والكهنة والكتبة من بني اسرائيل وقبضهم عليه بواسطة يهوذا الاسخريوطي من تلاميذه بعد أن رشوه ليدل الشرطة عليه فأعطاهم علامة اذا هو قبله أمسكوه ثم قتله وصلبه وقيامه بعد ثلاثة أيام من قبره، هذا مجمل مافي أناجيلهم الاربعة من القصص واللفظ في بعضها يزيد عن بعض والمعنى والسياق لا يختلف كثيرا. وهي كما ترى قصص مؤلفة لبيان سيرة المسيح عليه السلام والحواريين وماعانوه في سبيل الدعاية لما جاء به المسيح والناظر الى فاتحة انجيل لوقا وخاتمة انجيل يوحنا يعلم صدق ما أخبر به الامام أبو محمد رضي الله عنه هنا من أنها تواريخ مؤلفة فقد جاء في فاتحة انجيل لوقا مانصه:

١ ـ إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الامور المتيقنة عندنا ٢ ـ كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما الكلمة ٣ ـ رأيت أنا أيضا اذ تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق أن أكتب اليك أيها العزيز الخ ثم ساق القصة على نحو مافي الاناجيل الاخرى حتى أتي على آخر انجيله. وجاء في خاتمة انجيل يوحنا مانصه:

٢٥ ـ وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين

يريد ان ما كتب في انجيله وسائر الاناجيل مما صنعه السيد المسيح عليه السلام لا يساوي ذرة مما ترك اه (مصححه)

لكل واحد من الصحابة باخص وصف له فقال افرضكم زيد اقراكم أبي اعرفكم بالحلال والحرام معاذ كذلك حكم لعلى باخص وصف وهو قوله اقضاكم على والقضاء يستدعى كل علم وليس كل علم يستدعى القضاء * ثم ان الامامية تخطت عن هذه الدرجة الى الوقيعة فى كبار (٤) الصحابة طعنا وتكفيرا واقله ظلما وعدوانا وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم قال الله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وكانوا اذ ذاك ألفا وأربعمائة * وقال تعالى ثناء على المهاجرين والانصار (والذين اتبعوهم باحسان) (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) وقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) وفى ذلك دليل على عظم قدرهم عند الله وكرامتهم ودرجتهم عند الرسول فليت شعرى كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم وقد قال النبي عليه السلام (عشرة فى الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد وعبد الرحمن ابن عوف وابو عبيدة بن الجراح) الى غير ذلك من الاخبار الواردة فى حق كل واحد منهم على الانفراد وان نقلت هناة ملته من بعضهم فليتدبر النقل فان اكاذيب الروافض كثيرة (ثم ان الامامية) لم يثبتوا فى تعيين الائمة بعد الحسن والحسين وعلى ابن الحسين على رأى واحد بل اختلافاتهم اكثر من اختلافات الفرق كلها حتى قال بعضهم ان نيفا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة فى الخبر هو فى الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الامة وهم متفقون فى سوق الامامة الى جعفر بن محمد

السخف والركاكة ، ذكر فيه ما رآه فى الاحلام واذ أسرى به وخرافات باردة ، والرسائل القانونية وهى سبع رسائل فقط . منها ثلاث رسائل ليوحنا ابن سبذاى المذكور ، ورسالتان لباطرة شمعون المذكور ، ورسالة واحدة ليعقوب بن يوسف النجار ، والاخرى لاخيه يهوذا بن يوسف ، تكون كل رسالة من ورقة الى ورقتين فى غاية البرد والغثاثة ورسائل بولس تلميذ شمعون باطرة وهي خمس عشرة رسالة ، تكون كلها نحو أربعين ورقة مملوءة حمقا ورعونة وكفرا ، ثم كل كتاب لهم بعد ذلك فلا خلاف بينهم فى انه من تأليف المتأخرين من اساقفتهم وبطارقتهم ، كجامع البطارقة والاساقفة الكبار الستة . وسائر مجامعهم الصغار وفقههم فى أحكامهم الذى عمله (١) ركديد الملك . وبه يعمل نصارى الاندلس . ثم لسائر النصارى أحكام أيضا عملها لهم من شاء الله أن يعملها من أساقفتهم . لا يختلفون فى هذا كله انه كما قلنا . ثم أخبار شهدائهم فقط . فجميع نقل النصارى أوله عن آخره حيث كانوا فهو راجع الى الثلاثة الذين سمينا فقط . وهم بولس وما رقش ولوقا . وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون الاعن خمسة فقط وهم باطرة ومتى ويوحنا ويعقوب ويهوذا ولا مزيد . وكل هؤلاء أكذب البرية واخبثهم على ما نبين بعد ذلك إن شاء الله تعالى . على أن بولس حكى فى الافركسيس وفى احدي رسائله انه لم يبق مع باطرة الا خمسة عشر يوما . ثم لقيه مرة أخرى بقى معه أيضا يسيرا ثم لقيه الثالثة فاخذا جميعا وصلبا الى لعنة الله . الا أن الاناجيل الاربعة والكتب التى ذكرنا ان عليها معتمدهم فانها عند جميع فرق النصارى فى شرق الارض وغربها على نسخة واحدة ورتبة واحدة لا يمكن أحد أن يزيد فيها كلمة واحدة ولا ينقص منها اخرى الا افتضح عند جميع النصارى . مبلغة كما هى الى مارقش ولوقا ويوحنا لان يوحنا هو الذى نقل انجيل متى عن متى . ورسائل بولس مبلغة كذلك الى بولس . واعلموا ان أمر النصارى أضعف من أمر اليهود بكثير . لان اليهود كانت لهم مملكة وجمع عظيم مع موسى عليه السلام وبعده . وكان فيهم أنبياء كثير ظاهرون آمرون مطاعون كموسى ويوشع وشموال وداود وسليمان عليهم السلام . وانما دخلت الداخلة فى التوراة بعد سليمان عليه السلام اذ ظهر فيهم الكفر وعبادة الاوثان وقتل الانبياء وحرق التوراة ونهب البيت مرة بعد مرة . فانصل كفر جميعهم الى أن تلفت دولتهم على ذلك . وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم فى انه لم يؤمن بالمسيح فى حياته الامائة وعشرون رجلا فقط . هكذا فى الافركسيس . ونسوة منهم امرأة وكيل هردوس وغيرها . كن ينفقن عليه أموالهن هكذا في نص انجيلهم وان كل من آمن به فانهم كانوا مستترين خائفين فى حياته وبعده . يدعون الى دينه سرا ولا يكشف أحدمنهم وجهه الى الدعاء الى

(١) وفى نسخة ركريد الملك

الصادق مختلفون في المنصوص عليه بعده من اولاده اذ كان له خمسة أولاد وقيل ستة محمد واسحاق وعبدالله وموسى واسماعيل وعلي ومن ادعى منهم النص والتعيين محمد وعبد الله وموسي واسماعيل وعلى (ثم منهم) من مات واعقب ومنهم من لم يعقب ومنهم من قال بالتوقف والانتظار والرجعة ومنهم من قال بالسوق والتعدية كما سيأتي في اختلافاتهم

ملته ولا يظهر دينه . وكل من ظفر به منهم قتل اما بالحجارة كما قتل يعقوب بن يوسف النجار واشطين الذى يسمونه بكر الشهداء وغيره . واما صلب كما صلب باطرة واندرياس أخوه وشمعون أخو يوسف النجار وفليش وبولس وغيرهم . أوقتلوا بالسيف كما قتل يعقوب اخو يوحنا وطومار وبرتلوماويهوذا بن يوسف النجار ومتى . او بالسم كما قتل يوحنا ابن سيذاى فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع المسيح عليه السلام ، وفى خلال ذلك ذهب الانجيل المنزل من عند الله عز وجل الافصولا يسيرة ابقاها الله تعالى حجة عليهم وخزيا لهم ، فكانوا كما ذكرنا الى ان تنصر قسطنطين الملك ، فمن حينئذ ظهر النصارى وكشفوا دينهم وأجتمعوا وأمنوا ، وكان سبب تنصره ان امه هلانى كانت بنت نصرانى فعشقها ابوه وتزوجها فولدت له قسطنطين فربته على النصرانية سرأ فلما مات ابوه وولى هو اظهر النصرانية بعد اعوام كثيرة من ولايته ، ومع ذلك فما قدر على اظهارها حتى رحل عن رومية مسيرة شهر الى القسطنطينية وبناها ، ومع ذلك فانما كان اربوسيا هو وابنه بعده يقولان ان المسيح عبد مخلوق نبي لله تعالى فقط ، وكل دين كان هكذا فمحال ان يصح فيه نقل متصل لكثرة الدواخل الواقعة فيما لا يؤخذ الا سرا تحت السيف ، لا يقدر اهله على حمايته ولا على المنع من تبديله . ثم لما ظهر دينهم بتنصر قسطنطين كما ذكرنا فشا فيهم دخول المانية بغتة . وكان فيهم غير مانية مدلسون عليهم فامكنهم بهذا ان يدخلوهم من الضلال فيما احبوا . ولا تمكنوا البتة ان ينقل احد عن شمعون باطرة ولا عن يوحنا ولا عن متى ولا عن مارقش ولا عن لوقا ولا عن بولس آية ظاهرة . ولا معجزة باهرة . لما ذكرنا من انهم كانوا مستترين مختفين مظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره طول حياتهم الى ان ظفر بهم فقتلوا . فكلما تضيفه النصارى الى هؤلاء من المعجزات فاكذوبات موضوعة لا يعجز عن ادعاء مثلها احد . كالذى تدعى اليهود لاحبارهم ورؤس مثانيهم . وكالذى تدعيه المانية لماني سواء بسواء . وكالذى تدعيه الروافض لمن يعظمون . وكالذى تدعيه طوائف من المسلمين لقوم صالحين كابراهيم بن أدهم وأبى مسلم الخولاني وشيبان الراعى وغيرهم . وكل هذا كذب وافك وتوليد لان كل من ذكرنا فانما نقله راجع الى من لا يدرى ولا يقوم بكلامه حجة ولا صح برهان سمعى ولا عقلى يصدقه . وهكذا كان اصحاب مانى مع مانى . الا انه ظهر نحو ثلاثة اشهر اذ مكر به بهرام بن بهرام الملك واوهمه انه قد آمن به حتى ظفر بجميع اصحابه فصلب مانى وصلبهم كلهم الي لعنة الله ، فكل معجزة لم تنقل نقلا يوجب العلم الضرورى كافة عن كافة حتى يبلغ الى المشاهدة فالحجة لا تقوم بها على أحد ولا يعجز عن توليدها من لا تقوم له

عند ذكر طائفة طائفة وكانوا في الاول على مذهب ائمتهم في الاصول ثم لما اختلفت الروايات عن ائمتهم وتمادى الزمان اختار كل فرقة طريقة وصارت الامامية بعضها معتزلة اما وعيدية واما تفضيلية وبعضها اخبارية اما مشبهة واما سلفية ومن ضل الطريق وتاه لم يبال الله به في اى واد هلك

(الباقرية) والجعفرية الواقفة اصحاب ابي جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق قالوا بامامتهما وامامة والدهما زين العابدين الا ان منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الامامة الى أولادهما ومنهم من ساق وانما ميزنا هذه فرقة دون الاصناف المتشيعة التي نذكرها لان من الشيعة من توقف على الباقر وقال برجعته كما توقف القائلون بامامة ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وهو ذو علم غزير في الدين وادب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ثم دخل العراق وأقام بها مدة ما تعرض للامامة قط ولا نازع أحدا في الخلافة ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط وقيل من آنس بالله توحش عن الناس ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس وهو من جانب الاب ينتسب الى شجرة النبوة ومن جانب الام ينتسب الى أبي بكر رضي الله عنه وقد تبرأ عما كان ينسب بعض الغلاة اليه وتبرأ عنه

ولعنهم وبريء من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبدء والتناسخ والحلول والتشبيه لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهبا وأراد أن يروجه على أصحابه ونسبه اليه وربطه به والسيد بريء من ذلك ومن الاعتزال والقدر أيضا هذا (٦) قوله في الارادة ان الله تعالى أراد بنا شيئا وأراد منا شيئا فما اراده بنا طواه عنا وما أراده منا أظهره لنا فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا وهذا قوله في القدر هو أمر بين أمرين لا جبر ولا تفويض وكان يقول في الدعاء اللهم لك الحمد ان أطعتك ولك الحجة ان عصيتك لا صنع لي ولا لغيري في احسان ولا حجة لي ولا لغيري في اساءة فنذكر الاصناف الذين اختلفوا فيه وبعده لا على انهم من تفاصيل أشياعه بل على انهم منتسبون الي أصل شجرته وفروع أولاده (الناوسية) اتباع رجل يقال له ناوس وقيل نسبوا الى قرية ناوسا قالت ان الصادق حى بعد ولن يموت حتى يظهر فيظهر أمره وهو القائم المهدي ورووا عنه انه قال لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا فاني صاحبكم صاحب السيف وحكى ابو حامد الزوزني ان الناوسية زعمت ان عليا مات وستنشق الارض عنه يوم القيامة فيملأ العالم عدلا (الافطحيه) قالوا بانتقال الامامة من الصادق الى ابنه عبد الله الافطح وهو أخو اسماعيل من أبيه وأمه وامها فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي وكان اسن أولاد الصادق زعموا انه قال الامامة في أكبر أولاد الامام وقال الامام من يجلس مجلسي وهو الذي جلس مجلسه والامام لا يغسله ولا يصلى عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه الا الامام وهو الذي تولى ذلك كله ودفع الصادق وديعة الى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها الى من يطلبها منه وان يتخذه اماما وما طلبها منه أحد

(قال أبو محمد) معتمد النصارى كله الذي لا معتمد لهم غيره من قولهم بالتثليث وان المسيح لله وابن الله واتحاد اللاهوتية بالناسوتية والتحامه به انما هو كله على أناجيلهم. وعلى ألفاظ تعلقوا بها ما في كتب اليهود كالزبور وكتاب أشعيا وكتاب أرميا وكلمات يسيرة من التوراة وكتاب سليمان وكتاب زخريا وقد نازعتهم اليهود في تأويلها. فحصلت دعوى مقابلة للدعوى. وما كان هكذا فهو باطل. وموهوا بأن التوراة وكتب الانبياء بايديهم وبأيدى اليهود سواء لا يختلفون فيها ليصححوا نقل اليهود لسواد تلك الكتب ثم يحملوا تلك الالفاظ التى فيها الحجة لهم(١) في دعواهم وتأويلهم. ليس بايديهم حجة غير هذا أصلا ولا جملة سوى هذه. وقد أوضحنا بحول الله تعالى وقوته فساد أعيان تلك الكتب. وأوضحنا أنها مفتعلة مبدلة لكثرة ما فيها من الكذب. وأوضحنا أيضا فساد نقلها وانقطاع الطريق منهم الى من نسب اليه تلك الكتب بما لا يمكن أحدا دفعه البتة بوجه من الوجوه. وبينا آنفا بحول الله تعالى وقوته فساد نقل النصارى جملة واقرارهم بأن أناجيلهم ليست منزلة. ولكنها كتب مؤلفة لرجال ألفوها. فبطل كل تعلق لهم والحمد لله رب العالمين. ثم نورد ان شاء الله تعالى تكذيبهم في دعواهم ان التوراة عند اليهود وعندهم سواء. ونورد ما يخالفون فيه نص التوراة التى بأيدي اليهود. حتى يلوح لكل أحد كذب دعواهم الظاهرة من تصديقهم لنصوص التوراة التى عند اليهود ويري تكذيبهم لنصوصها فيبطل بذلك تعلقهم بما فيها وبما في نقل اليهود. اذ لا يصح لاحد الاحتجاج بتصحيح ما يكذب. ثم نذكر بعون الله عز وجل مناقضات الاناجيل. والكذب الفاحش المفضوح الموجود في جميعها وبالله تعالى التوفيق فيرتفع الاشكال في ذلك جملة ويستوى في معرفة بطلان كل ما بأيدى الطائفتين كل من اغتر بكتابهم لما افضحناه منا ومنهم ومن الخاصة والعامة ومن سائر الملل أيضا ويصح عند كل من طالع كلامنا هذا ان الذين كتبوا الاناجيل وألفوها كانوا كذابين مجاهرين بالكذب لتكاذبهم فيما أوردوه فيها من الاخبار. وانهم كانوا مستخفين مهلكين لمن اغتر بهم والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالاسلام السالم من كل غش البريء من كل توليد. الوارد من عند الله عز وجل لا من عند أحد دونه

*(ذكر ما تثبته النصارى بخلاف نص التوراة، وتكذيبهم لنصوصها التى بايدى اليهود وادعاء بعض علماء النصارى انهم اعتمدوا في ذلك على التوراة التى ترجمها السبعون شيخا لبطليموس لا على كتب عزراء الوراق واليهود مؤمنون بكلتي النسختين والخلاف عند النصارى موجود فيها *

(قال أبو محمد) في توراة اليهود التى لا اختلاف فيها بين الربانية والعانانية والعيسوية منهم. لما عاش آدم ثلاثين سنة ومائة سنة ولد له ولد كشبهه وجنسه وسماه شيث. وعند

(١) المعنى ثم يجعلوا تلك الالفاظ التى فيها الحجة شاهدة ومؤيدة لهم الخ اه (مصححه)

الا عبدالله ومع ذلك ماعاش بعد أبيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولداذكرا (الشميطية) أتباع يحي بن أبي شميط قالوا ان جعفرا قال ان صاحبكم اسمه اسم نبيكم وقد قال له والده ان ولدلك ولد فسميته باسمي فهو امام فالامام بعده ابنه محمد (الموسوية أوالمفضلية) فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا عليه بالاسم حيث (٧) قال الصادق سابعكم قائمكم وقيل صاحبكم قائمكم الا وهو سمي صاحب التوراة ولما رأت الشيعة ان أولاد الصادق على تفرق فمن ميت في حال حياة أبيه لم يعقب ومن مختلف في موته ومن قائم بعد موته مدة يسيرة ثم ميت غير معقب وكان موسى هو الذى تولى الامر وقام به بعد موت أبيه رجعوا اليه واجتمعوا عليه مثل المفضل بن عمر وزرارة ابن أعين وعمارة السباطى وروت الموسوية عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض أصحابه عد الايام فعدها من الاحد حتى بلغ السبت فقال له كم عددت فقال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور من لا يلهو ولا يلعب وهو سابعكم قائمكم هذا وأشار الى موسى وقال فيه أيضا انه شبيه بعيسى ثم ان موسى لما خرج وأظهر الامامة حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ثم اشخصه الى بغداد فحبسه عند السندى بن شاهك وقيل ان يحيى بن خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس ثم اخرج ودفن في مقابر قريش ببغداد واختلف الشيعة بعده فمنهم من توقف في موته وقال لاندرى أمات أم لم يمت ويقال لهم الممطورة وسماهم بذلك علي بن اسماعيل فقال ماأنتم الا كلاب ممطورة ومنهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية ومنهم من توقف عليه وقال انه لم يمت وسيخرج بعد الغيبة ويقال لهم الواقفية (أسامي الائمة الاثنى عشر) عند الامامية المرتضى والمجتبى والشهيد والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضى والتقى والنقى

النصارى بلا اختلاف بين أحد منهم ولا من جميع فرقهم . لما أتى على آدم مائتان وثلاثون سنة ولد له شيث . وفي التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا . لما عاش شيث خمس سنين ومائة سنة ولد انيوش . وعند النصارى كلهم . لما عاش شيث مائتى سنة وخمس سنين ولد انيوش وفى التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا . ان انيوش لما عاش تسعين سنة ولد قينان . وعند النصارى كلهم ان انيوش لما عاش تسعين سنة ومائة سنة ولد قينان . وفى التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا . ان قينان لما عاش سبعين سنة ولد مهلال . وعند النصارى كلهم ان قينان لما عاش مائة سنة وسبعين سنة ولد مهلال . وفي التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا . ان مهلال لما بلغ خمسا وستين سنة ولد يارد . وعند النصارى كلهم ان مهلال لما بلغ مائة سنة وخمسا وستين سنة ولد يارد . واتفقت الطائفتان فى عمر يارد اذ ولد له خنوخ . وفى التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا : أن خنوخ لما بلغ خمسا وستين سنة ولد متوشالخ . وان جميع عمر خنوخ كان ثلاثمائة سنة وخمسا وستين سنة . وعند النصارى كلهم ان خنوخ لما بلغ مائة سنة وخمسا وستين سنة ولد متوشالخ وان جميع عمر خنوخ كان خمسمائة سنة وخمسا وستين سنة ففى هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين فى موضعين أحدهما سن خنوخ اذ ولد له متوشالخ . والثانية كمية عمر خنوخ واتفقت الطائفتان على عمر متوشالخ اذ ولد له لامخ وعلى عمر لامخ اذ ولد له نوح وعلى عمر نوح اذ ولد له سام وحام ويافث وعلى عمر سام اذ ولد له ارنخشاذ وفى التوراة التى عند اليهود كما ذكرنا ان ارنخشاذ لما بلغ خمسا وثلاثين سنة ولد له شالخ وان عمر ارنخشاذ كان أربعمائة سنة وخمسا وثلاثين سنة وعند النصارى كلهم ان ارنخشاذ لما بلغ مائة سنة وخمسا وثلاثين سنة ولد له قينان وان عمر ارنخشاذ كان أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وان قينان لما بلغ مائة سنة وثلاثين سنة ولد له شالخ فبين الطائفتين فى هذا الفصل وحده اختلاف فى ثلاثة مواضع أحدها عمر ارنخشاذ جملة والثانى سن ارنخشاذ اذ ولد له ولده والثالث زيادة النصارى بين ارنخشاذ وشالخ قينان واسقاط اليهود له وفى التوراة عند اليهود كما ذكرنا ان شالخ لما بلغ ثلاثين سنة ولد له عابر وان عمر شالخ كان أربعمائة سنة وثلاثين سنة وعند النصارى كلهم ان شالخ لما بلغ مائة وثلاثين سنة ولد له عابر وان عمر شالخ كله كان أربعمائة سنة وستين سنة ففى هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين في موضعين احدهما سن شالخ اذ ولد له عابر والثانى كمية عمر شالخ وعند اليهود كما ذكرنا فى التوراة ان فالغ اذ بلغ ثلاثين سنة ولد له (١) راغو . وعند النصارى كلهم ان فالغ لما بلغ مائة سنة وثلاثين ولد له رغو . وفى توراة اليهود كما ذكرنا : ان راغو لما بلغ اثنتين وثلاثين سنة ولد له شاروع . وعند النصارى كلهم ان راغوا لما بلغ مائة سنة واثنتين وثلاثون ولد له شاروع . وفى التوراة عند اليهود كما

(١) وفى نسخة ارغوا

والزكي والحجة والقائم والمنتظر (الاسماعيلية الواقفية) قالوا ان الامام بعد جعفر اسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه فمنهم من قال لم يمت الا انه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة (٨) ومنهم من قال الموت صحيح والنص لا يرجع قهقرى والفائدة في النص بقاء الامامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره فالامام بعد اسماعيل محمد بن اسماعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية وسنذكر مذهبهم على الانفراد وانما هذه فرقة الوقف على اسماعيل بن جعفر ومحمد ابن اسماعيل المشهورة في الفرق هم الباطنية التعليمية الذين لهم مقالة مفردة (الاثناعشرية) ان الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر الكاظم وسموا قطعية ساقوا الامامة بعده في أولاده فقالوا الامام بعد موسى علي الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد التقي وهو في مقابر قريش ثم بعده علي ابن محمد النقي ومشهده بقم وبعده الحسن العسكري الزكي وبعده ابنه القائم المنتظر الذي هو بسر من رأى وهو الثاني عشر هذا هو طريق الاثني عشرية في زماننا الا ان الاختلافات التي وقعت في حال كل واحد من هؤلاء الاثني عشر والمنازعات التي جرت بينهم وبين اخوتهم وبني اعمامهم وجب ذكرها لئلا يشذ عنها مذهب لم نذكره ومقالة لم نوردها فاعلم ان من الشيعة من قال بامامة أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه علي الرضا ومن قال بعلي شك أولا في محمد بن علي اذ مات أبوه وهو صغير غير مستحق للامامة ولا علم عنده بمنهجها فثبت قوم على امامته واختلفوا بعد موته فقال قوم بامامة موسى بن محمد وقال قوم بامامة علي بن محمد ويقولون هو العسكري واختلفوا

ذكرنا: ان شاروع اذ بلغ ثلاثين سنة ولد له ناحور. وكان عمر شاروع كله مائتي عام وثلاثين عاما. وعند النصارى كلهم ان شاروع اذ بلغ ثلاثين سنة ومائة سنة ولد له ناحور. وان عمر شاروع كله كان ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة. ففي هذا الفصل بين الطائفتين تكاذب في موضعين. أحدهما عمر شاروع جملة. والثاني سن شاروع اذ ولد له ناحور. وفي التوراة عند اليهود كما ذكرنا: ان ناحور لما بلغ تسع وعشرين سنة ولد له تارخ. وان عمر ناحور كله كان مائة سنة وثمانيا وأربعين سنة. وعند النصارى كلهم ان ناحور لما بلغ تسعا وسبعين سنة ولد له تارخ وان عمر ناحور كله كان مائتي عام وثمانية أعوام. ففي هذا الفصل تكاذب بين الطائفتين في موضعين أحدهما عمر ناحور كله، والثاني سن ناحور اذ ولد له تارخ، وفي التوراة عند اليهود كما ذكرنا ان تارخ كان عمره كله مائتي عام وخمسة أعوام، وعند النصارى كلهم ان تارخ كان عمره كله مائتي عام وثمانية أعوام (قال أبو محمد) فتولد من الاختلاف المذكور بين الطائفتين زيادة عن الف عام وثلاثمائة عام وخمسين عاما عند النصارى في تاريخ الدنيا على ما هو عند اليهود في تاريخها وهي تسعة عشر موضعا كما أوردنا، فوضح اختلاف التوراة عندهم، ومثل هذا من التكاذب لا يجوز أن يكون من عند الله عز وجل أصلا ولا من قول نبي البتة، ولا من قول صادق عالم من عرض الناس، فبطل بهذا بلا شك أن تكون التوراة وتلك الكتب منقولة نقلا يوجب صحة العلم لكن نقلا فاسدا مدخولا مضطربا، ولابد للنصارى ضرورة من أحد خمسة أوجه لا مخرج لهم عن أحدها، اما أن يصدقوا نقل اليهود للتوراة وانها صحيحة عن موسى عن الله تعالى ولكتبهم، وهذه طريقتهم في الحجاج والمناظرة، فان فعلوا فقد أقروا على أنفسهم وعلى أسلافهم الذين نقلوا عنهم دينهم بالكذب اذ خالفوا قول الله تعالى وقول موسى عليه السلام، أو يكذبوا موسى عليه السلام فيما نقل عن الله عز وجل وهم لا يفعلون هذا، أو يكذبوا نقل اليهود للتوراة ولكتبهم فيبطل تعلقهم بما في تلك الكتب مما يقولون أنه انذار بالمسيح عليه السلام اذ لا يجوز لاحد أن يحتج بما لا يصح نقله، أو يقولوا كما قال بعضهم انهم انما عولوا فيما عندهم على ترجمة السبعين شيخا الذين ترجموا التوراة وكتب الانبياء عليهم السلام لبطليموس، فان قالوا هذا فانهم لا يخلون ضرورة من أحد وجهين، اما أن يكونوا صادقين في ذلك، أو يكونوا كاذبين في ذلك، فان كانوا كاذبين في ذلك فقد سقط أمرهم والحمد لله رب العالمين اذ لم يرجعوا الا الى المجاهرة بالكذب، وان كانوا صادقين في ذلك فقد حصلت توراتان متخالفتان متكاذبتان متعارضتان، توراة السبعين شيخا وتوراة عزرا ومن الباطل الممتنع كونهما جميعا حقا من عند الله، واليهود والنصارى كلهم مصدق مؤمن بهاتين التوراتين معا سوى توراة السامرية، ولابد ضرورة من أن تكون أحدهما حقا والاخرى

والاخرى مكذوبة ، فايهما كانت المكذوبة فقد حصلت الطائفتان على الايمان بالباطل ضرورة ؟ ولاخير فى أمة تؤمن بيقين الباطل ، وان كانت توراة السبعين شيخا هى المكذوبة فلقد كانوا شيوخ سوء كذابين ملعونين اذ حرفوا كلام الله تعالى وبدلوه ، ومن هذه صفته فلا يحل أخذ الدين عنه ولاقبول نقله ، وان كانت توراة عزرا هى المكذوبة فقد كان كذابا اذ حرف كلام الله تعالى ، ولايحل أخذ شىء من الدين عن كذاب ولابد من أحد الامرين ، أويكون كلاهما كذبا وهذا هو الحق اليقين الذى لاشك فيه لما قدمنا مما فيها من الكذب الفاضح الموجب للقطع بانها مبدلة محرفة ، وسقطت الطائفتان معا وبطل دينهم الذى انما مرجعه الى تلك الكتب المكذوبة ونعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) فتأملوا هذا الفصل وحده ففيه كفاية فى تيقن بطلان دين الطائفتين فكيف بسائر ماأوردنا اذا استضاف اليه ؟ وفى التوراة عند اليهود وعند النصارى اختلاف آخر اكتفيا منه بهذا القدر والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا بالاسلام المنقول نقل الكواف الى رسول الله المعصوم ﷺ البرىء من كل كذب ومن كل محال الذى تشهد له العقول بالصحة والحمد لله رب العالمين

ذكر مناقضات الاناجيل الاربعة والكذب الظاهر الموضوع فيها

(قال أبو محمد) أول ذلك مبدأ الخلق مبدأ انجيل متى اللاوانى الذى هو أول الاناجيل بالتأليف والرتبة فى أول كلمة منه : ـ مصحف نسبة يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم (١) ابراهيم ولد اسحق واسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وأخوته ويهوذا (٢) ولد من ثامار فارص وتارخ . ثم ان فارص ولد حضروم وحضروم ولد آرام وأرام ولد عميناذاب . وعميناذاب ولد نحشون الخارج من مصر أخو زوجة هارون ونحشون ولد شلمون وشلمون ولد له من راحاب بوعز وبوعز ولد له من راعوث عوبيذ وعوبيذ ولد له يشاى (٣) ويشاى ولد له داود الملك وولد داود الملك شلمون (٤) وشلمون ولد رحبعام ورحبعام ولد أبيو (٥) وأبيو ولد آشا وآشا ولد يهوشافاط ويهوشافاط ولد يهورام ويهورام ولد احزياهو (٦) واحزياهو ولد يوثام . ويوثام ولد أحاز . واحاز ولد

---

(١) فى الترجمة اليونانية المتداولة الآن : كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن ابرهيم الخ (٢) الذى فى انجيل متى المترجم عن اليونانية : ويهوذا ولد فارص وزراح من ثامار وفارص ولد حصرون الخ وهى ترجمة حديثة اهـ (لمصححه) (٣) هو يسى بتشديد السين مفتوحة (٤) هو سليمان (٥) هو أبيا بتشديد الياء (٦) الذى فى انجيل متى المترجم حديثا عزيا بعين مهملة مضمومة وتشديد الزاي والياء

بعدموته أيضا فقال قوم بامامة جعفر بن علي وقال قوم بامامة الحسن بن علي وكان لهم رئيس يقال له علي بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام قوى أسباب جعفر بن علي وأمال الناس اليه واعانه فارس ابن حاتم بن ماهوية وذلك ان محمدا قد مات وخلف الحسن العسكرى قالوا امتحنا الحسن ولم نجد عنده علما ولقبوا من قال بامامة الحسن الحمارية وقووا أمر جعفر بعد موت الحسن واحتجوا بأن الحسن مات بلا خلف فبطلت امامته لانه لم يعقب والامام لايكون الا ويكون له خلف وعقب وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادعاها عليه انه فعل ذلك من حبل في جواريه وغيره وانكشف أمرهم عند السلطان والرعية وخواص الناس وعوامهم وتشتت كلمة من قال بامامة الحسن وتفرقوا أصنافا كثيرة فثبتت هذه الفرقة على امامة جعفر ورجع اليهم كثير ممن قال بامامة الحسن منهم الحسن ابن علي بن فضال وهو من أجل أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث ثم قالوا بعد جعفر بعلي بن جعفر وفاطمة بنت علي أخت جعفر وقال قوم بامامة علي بن جعفر دون فاطمة السيدة ثم اختلفوا بعد موت علي وفاطمة اختلافا كثيرا وغلا بعضهم فى الامامة غلو أبى الخطاب الاسدى وأما الذين قالوا بامامة الحسن افترقوا بعد موته احدى عشرة فرقه وليست لهم ألقاب مشهورة ولكنا نذكر اقاويلهم * الفرقة الاولى قالت ان الحسن لم يمت وهو القائم ولايجوز أن يموت ولا ولد له ظاهرا لان الارض لاتخلو من امام وقد ثبت عندنا ان القائم له غيبتان وهذه احدى الغيبتين وسيظهر ويعرف ثم يغيب غيبة اخرى * الثانية قالت ان الحسن مات لكنه يحيى وهو القائم لانا رأينا ان معنى القائم هو القيام بعد الموت فنقطع بموت الحسن لانشك فيه ولا ولد له فيجب أن يحيى بعد الموت * الثالثة قالت ان الحسن

احزيا (١) واحريا ولد منشا (٢) ومنشا ولد آمون. وآمون ولد يوشياهو ويوشياهو ولد يخنيا واخوته وقت الرحلة الى بابل وبعد ذلك ولد ليخنيا صلتئيل، وصلتئيل ولد زوبابيل، وزوبابيل ولد ابيوذ، وأبيوذ ولد ألياخيم، وألياخيم ولد آزور، وآزور ولد صادوق، وصادوق ولد آخيم، وأخيم ولد اليوذ، واليوذ ولد أليعزار، وأليعزار ولد متان، ومتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف خطيب مريم التى ولدت يسوع الذي يدعى مسيحا، فصار من ابراهيم الى داود أربعة عشر أبا، ومن داود الى وقت الرحلة أربعة عشر أبا، ومن وقت الرحلة الى المسيح أربعة عشر أبا، بجميع المواليد من ابراهيم الى المسيح اثنان وأربعون مولودا

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل خلاف لما فى التوراة وكتب اليهود التى هى عندهم فى النقل كالتوراة، وهما كتاب ملاخيم وكتاب وبراهياميم فقال هاهنا تارخ بن يهوذا وفى التوراة زارح بن يهوذا، وهذا اختلاف فى الاسم وكذب فى أحد الخبرين، والانبياء لا يكذبون وقال هاهنا أحزياهو بن يهورام، وفى كتب اليهود احزيا بن يورام وهذا اختلاف فى الاسماء ووحى الله تعالى لا يحتمل هذا، فاحد النقلين كاذب بلا شك وقال هاهنا يوثام بن احزياهو، وفى كتب اليهود المذكورة يوثام بن عزيا بن امصيا بن أش بن احزيا، فاسقط ثلاثة آباء مما فى كتب اليهود، وهذا عظيم جدا. فان صدقوا كتب اليهود وهم مصدقون بها فقد كذب متى وجهل، وان صدقوا متى فان كتب اليهود كاذبة لابد من أحد ذلك، فقد حصلوا على التصديق بالشيء وضده معا، وقال هاهنا احزياهو ابن احاز بن يوثام، وفى كتب اليهود المذكورة حزقيا بن احاز بن يوثام، وهذا اختلاف فى الاسم، والوحى لا يحتمل هذا. فاحد النقلين كاذب بلاشك. وقال هاهنا يخنيا بن يوشياهو بن امون. وفى كتب اليهود التى ذكرنا يخنيا بن الياقيم بن موشيا بن اموز. فاسقط متى الياقيم وخالف فى اسم يوشيا بن امون. وهذا عظيم كما قدمنا من كذبهم ولابد. اذ يصدقون بالشيء والضد له معا. وهم لا يختلفون فى ان متى رسول معصوم اجل عند الله من موسى ومن سائر الانبياء كلهم. وهو قد قال فى أول كلمة من انجيله مصحف نسبة المسيح بن داود بن ابراهيم. ثم لم يأت الا بنسب يوسف النجار زوج مريم الذي عندهم هو ربيب المهم زوج امه. فكيف يقول انه يذكر نسبة المسيح ثم يأتى بنسبة يوسف النجار. والمسيح عند هذا التيس البوال ليس هو ولد يوسف أصلا. فقد كذب هذا القذر كذبا لاخفاء به. ولا مدخل للمسيح في هذا النسب أصلا

---

(١) الذى فى الانجيل المذكور حزقيا (٢) هو منسى بتشديد السين مفتوحة

قدمات وأوصى الى جعفر أخيه ورجعت امامة جعفر * الرابعة قالت ان الحسن قد مات والامام جعفر وانا كنا مخطئين فى الائتمام به اذ لم يكن اماما فلما مات ولا عقب له تبينا ان جعفرا كان محقا فى دعواه والحسن مبطلا * الخامسة قالت ان الحسن قد مات وكنا مخطئين فى القول به وان الامام كان محمد بن علي اخو الحسن وجعفر ولما ظهر لنا فسق جعفر واعلانه به وعلمنا ان الحسن كان على مثل حاله الا انه كان يتستر عرفنا انهما لم يكونا امامين فرجعنا الى محمد ووجدنا له عقبا وعرفنا انه كان هو الامام دون أخويه * السادسة قالت ان للحسن ابنا وليس الامر على ما ذكروا انه مات ولم يعقب ولد قبل وفاة ابيه بسنتين فاستتر خوفا من جعفر وغيره من الاعداء واسمه محمد وهو الامام القائم المنتظر * السابعة قالت ان له ابنا ولكنه ولد بعد موته بثمانية أشهر وقول من ادعى انه مات وله ابن باطل لان ذلك لم يخف ولا يجوز مكابرة العيان * الثامنة قالت صحت وفاة الحسن وصح أن لا ولد له وبطل ما ادعى من الحبل فى سرية له وثبت أن لا امام بعد الحسن وهو جائز فى المعقول أن يرفع الله الحجة عن أهل الارض لمعاصيهم وهى فترة وزمان لا امام فيه والارض اليوم بلا حجة كما كانت الفترة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم * التاسعة قالت ان الحسن قدمات وصح موته وقد اختلف الناس هذا الاختلاف ولا ندرى كيف هو ولا نشك انه قد ولد له ابن ولا ندري قبل موته أو بعد موته الا انا نعلم يقينا ان لا تخلو عن حجة وهو الخلف الغائب فنحن نتولاه ونتمسك باسمه حتى يظهر بصورته * العاشرة قالت نعلم ان الحسن قدمات ولابد للناس من امام ولا تخلو الارض من حجة ولا ندري من ولده أو من غيره * الحادية عشر والثانية عشر فرقة توقفت فى هذه المخابط وقالت لا ندري على القطع حقيقة بوجه

الحال لكنا نقطع في الرضا ونقول بامامته وفي كل موضع اختلفت الشيعة فيه فنحن من الواقفية في ذلك الى أن يظهر الله الحجة ويظهر بصورته فلا يشك في امامته من أبصره ولا يحتاج الى معجزة وكرامة وبينة بل معجزته اتباع الناس باسرهم اياه من غير منازعة ومدافعة * فهذه جملة فرق الاثنا عشرية قطعوا على واحد (١١) واحد منهم ثم قطعوا على كل باسرهم *

ومن العجب انهم قالوا الغيبة قد امتدت مائتين ونيفا وخمسين سنة وصاحبنا قال ان خرج القائم وقد طعن في الاربعين فليس بصاحبكم ولسنا ندري كيف ينقضي مايتان وخمسون سنة في أربعين سنة واذا سئل القوم عن مدة الغيبة كيف يتصور قالوا أليس الخضر والياس عليهما السلام يعيشان في الدنيا من آلاف سنة لا يحتاجان الى طعام وشراب فلم لا يجوز ذلك في واحد من أهل البيت قيل لهم ومع اختلافكم هذا كيف يصح لكم دعوى الغيبة ثم الخضر عليه السلام مكلفا بضمان جماعة والامام عندكم ضامن مكلف بالهداية والعدل والجماعة مكلفون بالاقتداء به والاستنان بسنته ومن لا يرى كيف يقتدى به فلهذا صارت الامامية متمسكين بالعداية في الاصول وبالمشبهة في الصفات متحيرين تائهين وبين الاخبارية منهم والكلامية سفه وتكفير وكذلك بين التفضيلية والوعيدية قتال وتضليل أعاذنا الله من الحيرة * ومن العجب ان القائلين بامامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم لا يستحيون فيدعون فيه أحكام الالهية ويتأولون قوله تعالى عليه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة قالوا هو الامام المنتظر الذي يرد اليه علم الساعة ويدعون فيه انه لا يغيب عنا ويخبرنا باحوالنا حين يحاسب الخلق الى تحكمات باردة وكلها عن العقول ردة شعر

بوجه من الوجوه . الا أن يجعلوه ولد يوسف النجار وهم لا يقولون هذا ولا نحن ولا جمهور اليهود . أما هم فيقولون انه ابن الله من مريم . وانه اله وابن اله وامرأة . تعالى الله عن هذا . وأما نحن فنقول والعيسوية من اليهود معنا والاريوسية والبولقانية والمقدونية من النصارى انه عبد آدمي خلقه الله تعالى في بطن مريم عليها السلام من غير ذكر . وأما جمهور اليهود لعنهم الله فيقولون انه لغير رشدة (١) حاشى لله من ذلك بل ان طائفة قليلة من اليهود يقولون انه ابن يوسف النجار . وما نري متى الا شاهدا لقولهم ومحققا له . والا فكيف يبدأ بانه يذكر نسب المسيح الى داود ثم لا يذكر الا يوسف النجار الى داود . ولو انه ذكر نسب أمه مريم لكان لقوله مخرج ظاهر . لكنه لم يذكر نسب مريم أصلا . ثم لم يستحى النذل من أن يحقق ما ابتدأ به . فبعد أن أتم نسب يوسف النجار . قال من الرحلة الى المسيح أربعة عشر أبا . فجميع المواليد من ابراهيم الى المسيح اثنان وأربعون مولودا . فاكد هذا الملعون كذبه وان المسيح ولد يوسف ولا بد ضرورة من أحدهما . والا فكيف يكون من الرحلة الى المسيح أربعة عشر أبا والمسيح ليس هو ابنا لاحدهم ولا لهم آباء له ، فكيف يكون من ابراهيم الى المسيح اثنان وأربعون مولودا ولا مدخل للمسيح في تلك الولادات الا كدخله في ولادات أهل الصين وأهل الهند وأهل طلمة وسقروسقرال ولا فرق ؟ هذه فضائح الدهر وما لا يأتي به الا انجس البرية ، ونعوذ بالله من الخذلان ، ثم كذب آخر وجهل زائد وهما قوله فمن ابراهيم الى داود أربعة عشرة أبا

(قال ابو محمد رضي الله عنه) هذا كذب انما على ما ذكر ثلاثة عشر ابراهيم واسحاق ويعقوب ويهوذا وزارح وحضروم وأرام وعميناذاب ونحشون وشلمون وبوعز وعوبيذ ويشاى ، فهؤلاء ثلاثة عشر ابا ثم داود ، ولا يجوز البتة ان يعد داود في آباء نفسه فيجعل ابا لنفسه ، فهذه ملحنة (٢) ثم قال ومن داود الى الرحلة اربعة عشر ابا وليس كذلك لان يخنيا هو الراحل بنص قول متى وانه لم يولد له على قوله صلتيئيل الا بعد الرحلة ، فهم شلمون ورحبعام وأبيو وآشا ويهوشافاط ويهورام واحزياهو ويوثام واحاز واحزياهو ومنشا وآمون ويوشياهو ويخنيا ، وقد عد داود قبل . فان عده هاهنا فقد حققوا الكذب في الفصل الذي قبله ، وان عده هناك فقد كذبوا في هذا العدد الثاني اوجعلوا يخنيا ابا لنفسه ، وهذا هوس . ثم قال ومن الرحلة الي المسيح اربعة عشر ابا ، وهذا فصل جمع كذبتين عظيمتين ، احداهما انه اذا عد صلتيئيل ثم من بعده الى يوسف النجار فليسوا الاثنى عشر رجلا فقط ، وهم صلتيئيل وروبابيل وابيوذ والياخيم وآزور وصادوق واخيم

(١) يقولون ولد فلان لرشده وهو ضد قولهم ولد لزنيه وكلاهما على وزن فعله بفتح الفاء وكسرها وسكون العين (لمصححه) (٢) ملحنة أي خطأ وعدول عن الصواب في القول

(الغالية) هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى اذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت باحكام الهية في حق بعض الائمة وكان التشبيه بالاصل والوضع في الشيعة وانما عادت الى بعض أهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا ان ذلك اقرب الى المعقول وأبعد من التشبيه والحلول وبدع الغلاة محصورة في أربع التشبيه والبدأ والرجعة والتناسخ ولهم ألقاب وبكل بلد لقب يقال لهم باصفهان الخرمية والكودية وبالري المزدكية والسنبادية وباذربيجان الذقولية وبموضع المحمرة وبما وراء النهر المبيضة * (السبابية) أصحاب عبد الله ابن سبا الذي قال لعلي عليه السلام أنت أنت يعني أنت الاله فنفاه الى المداين وزعموا انه كان يهوديا فاسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى مثل ما قال في علي عليه السلام وهو أول من أظهر القول بالفرض بامامة علي ومنه انشعبت اصناف الغلاة وزعموا أن عليا حي لم يقتل وفيه الجزء الالهي ولا يجوز أن يستولى عليه وهو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه سينزل بعد ذلك الى الارض فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وانما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلام واجتمعت عليه جماعة وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة وقالت بتناسخ الجزء الالهي في الائمة بعد علي وهذا المعنى مما كان يعرفه الصحابة

واليوذ واليعازار وماثان ويعقوب ويوسف، فان عد فيهم يخنيا كانوا ثلاثة عشر، وهو يقول أربعة عشر، فاعجبوا لهذا الحمق وهذا الضلال! واعجبوا لرعونة من جاز هذا عليه واعتقده ديناً؟ ثم ان كان عنى انهم آباء المسيح فيوسف والد المسيح وكفى بهذا عندهم كفرا، فقد كفر متى او كذب وجهل لابد من احد ذلك، ثم قوله فمن ابراهيم الى المسيح اثنان واربعون مولودا فهذا كذب فاحش وجهل مفرط، لانه اذا عد ابراهيم ومن بعده الى يوسف وعد يوسف ايضا فانهم اربعون فقط، فان عد المسيح وجعله ولد يوسف لم يكونوا أيضا الا واحدا واربعين فقط. فاعجبوا ممن يدين الله تعالى بهذا الحمق واحمدوه على السلامة؟ هذا الى الكذب المفضوح الذي في نسب داود عليه السلام الى نحشون بن عميناذاب. لان نحشون بنص توراتهم هو الخارج من مصر وهو مقدم بني يهوذا. ولم يدخل بنص التوراة ارض البيت المقدس لان كل من خرج من مصر ابن عشرين سنة فصاعدا ماتوا كلهم في التيه بنص التوراة. فاذا عدت الولادات من شلمون بن نحشون الذي دخل ارض البيت المقدس الى داود عليه السلام وجدوا اربعة فقط. وهم داود بن يشاي بن عوبيذ بن بوعز بن شلمون الداخل مصر المذكور. ولا يختلفون يعني اليهود والنصارى معا ان من دخول شلمون المذكور مع يوشع وبني اسرائيل الارض المقدسة الى مولد داود عليه السلام خمسمائة سنة وثلاثا وسبعين سنة، فيجب على هذا ان يقول ان شلمون لم يدخل الارض المقدسة الا وهو اقل من سنة، وانه لم يولد لكل واحد منهم ولده المذكور الا وله مائة سنة ونيف واربعون سنة، وكتبهم تشهد ككتاب ملاخيم وبراهيايم وغيرهما وتقطع انه لم يعش احد من بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام مائة سنة وثلاثين سنة الا يهوراع الكوهن الماروني وحده، فكم هذا الكذب وهذا الافتضاح فيه وهذه الشهرة العظيمة لا ينفكون من كذبة الا الى اخرى ومن سوءة الا الى سوءة؟ ونعوذ بالله من البلاء. فاعجبوا لما افتتح به هذا الكذاب كتابه وتأليفه؟ ماذا جمع هذا الفصل على صغره وأنه اسطار يسيرة من الكذب والجهل؟

أحسن ما في خالد وجهه فقس على الغائب بالشاهد

ثم ذكر لوقا الطبيب في الباب الثالث منه نسب المسيح عليه السلام فقال انه كان يظن انه ابن يوسف النجار المنسوب الى عالي الى ماثان (١) الى لاوى الى ملكي الى يمتاع الى يوسف الى متثيا الى حاموص الى ماحوم الى اشلا الى انجا الى ماهاث الى منيشا الى شمعي الى مصداق الى يهندع

---

(١) في انجيل لوقا مكان عالي هالي ومكان ماثان متثات ومكان يمتاع ينا بفتح فـ: دومكان حاموص عاموص ومكان ماحوم ناحوم ومكان أشلا حسلي ومكان انجا نجاى ومكان ماهاث ماآث ومكان مصداق يوسف ومكان يهندع يهوذا ومن أربع الى آخر النسبة اختلاف في الاسماء لا يمكن فيه التوفيق بين ما هنا وما هناك (مصححه)

الى يوحنا الى ريشا الى زربائيل الى صلتئيل الى ينرى الى ملكى الى ادى الى اريع الي قرصام الى المودان الى هار الى يشوع الى يونا الى الياخيم الى ملكاايا ز الى يمتاع الى متاثا الى ناثان الى داود النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر نسب داود كاذكره متى حرفا حرفا

(قال أبو محمد رضي الله عنه) فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ، ما الحشها وأوحشها وأقذرها واوضرها وأرذلها وأنذلها ! متى الكذاب ينسب المسيح الى يوسف النجار ، ثم ينسب يوسف الى الملوك من ولد سليمان بن داود عليهما السلام أبا فابا ولوقا ينسب يوسف النجار الى آباء غير الذين ذكرهم متى حتى يخرجه الى ناثان بن داود اخى سليمان بن داود ، ولابد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذبا فيكذب متى أولوقا ، أولابد أن يكون كلا النسبين كذبا فيكذب الملعونان جميعا ، ولايمكن البتة أن يكون كلا النسبتين حقا ، ولوقا عندم لوق(١) الله صورم وألاق وجوههم ولقام البلاء والقى عليهم الدمار واللعنـة . فى الجلالة فوق جميع الانبياء عليهم السلام ، فهـذه صفة اناجيلهم فاحمـدوا الله تعالى ايها المؤمنون على السلامة والعصمة ، وقال بعض أكابر من سلف منهم من مضليهم : ان أحد هذين النسبين هو نسب الولادة ، والنسب الآخر نسب الى انسان تبناه على ماقد كان فى قديم زمن بنى اسرائيل من ان من مات ولاولد له وتزوج آخر امرأته نسب الى الميت من ولدت من هذا الحي ، فقلنا لمن عارضنا منهم بهـذا الهوس . من لك بهـذا وأين وجـدته الوقا اولمتى والدعوى لايعجز عنها أحد وهى باطلة الا أن يعضدها برهان ؟ وبعد هذا فاى النسبين هو نسب الولادة ؟ وايهما هو نسب الاضافة لا الحقيقة ؟ فايهما قال قلب عليه قوله وقيل له هذه دعوى بلا برهان ؟ فان قال ان لوقا لم يقل ان فلانا ولد فلانا كما قاله متى لـكن قال المنسوب الى عالى ، قلنا وهكذا قال فى آباء عالى أبا فابا الى داود ثم الى ابراهيم ثم الى نوح ثم الى آدم سواء بسواء فى اسم بعد اسم وفى أب بعد أب ولافرق ، أفترى نسب داود الى ابراهيم وابراهيم الى نوح ونوح الي آدم كان أيضا على الاضافة لاعلي الحقيقه كما قلت فى نسب يوسف الى عالى ؟ هذا عجب . فاذ لاسبيل الى تصحيح هذه الدعوى فهي كذب ، ووضح الـكذب فى احد النسبين ضرورة عيانا والحمد لله رب العالمين

(فصل) وفى الباب الثـالث (٢) من انجيل متى : فلحق يسوع يعـنى المسيح بالمفاز وساقه الروح الى هنالك ولبث فيه ليقيس ابليس نفسه فيه فلما أن مضى أربعين يوما بلياليها جاع فوقف اليه الجساس وقال له ان كنت ولد الله فامر هذه الجنادل تصير لك خبزا فقال

(١) مأخوذ من الليقة وهى الطينة اللازجة تقذف بها الحائط

(٢) تعبيره بالباب يوافق تعبيرهم فى الاناجيل الحالية بالاصحاح فيقولون الاصحاح الاول الاصحاح الثانى بدل قوله الباب الاول أو الثاني الخ

وان كانوا على خلاف مراده هذا عمر رضي الله عنه كان يقول فيه حين فقأ عين واحد فى الحرم ورفعت القصة اليه ماذا أقول فى يد الله فقأت عينا في حرم الله فاطلق عمر اسم الالهية عليه لما عرف منه ذلك (الـكاملية) أصحاب أبي كامل أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة على عليه السلام وطعن في على ايضا بتركه طلب حقه ولم يعذره فى القعود قال وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق على انه غلا فى حقه وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الي شخص وذلك النور فى شخص يكون نبوة وفى شخص يكون امامة وربما تتناسخ الامامة فتصير نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت والغلاة علي أصنافها كلهم متفقون علي التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل امة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابية ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر وذلك معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء وقد يكون بكل اما الحلول بجزء هو كاشراق الشمس في كوة أو كاشراقها على البلور واما الحلول بالـكل فهو كظهور ملك بشخص أو كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ أربعـة النسخ والمسخ والفسخ والرسخ وسيأتي شرح ذلك عند ذكر فرقهم من المجوس على التفصيل وأعلى المراتب مرتبة الملـكية او النبوة وأسفل المراتب الشيطانية والجنية وهذا أبو كامل كان يقول بالتناسخ ظاهرا من غير تفصيل مذهبهم (العليائية) أصحاب العليا بن ذراع الدوسى وقال قوم هو الاسدى وكان يفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم وزعم انه الذى بعث محمدا وسماه الها وكان يقول بذم محمد وزعم انه بعث ليدعوا الى على فدعى الى نفسه ويسمون هذه الفرقة الذمية ومنهم من قال بالهيتهما جميعا ويقـدمون عليا فى أحكام الالهيـة ويسمونهم العينية ومنهم من قال بالهيتهما جميعا

ويقدمون محمدا في الالهية ويسمونهم الميمية ومنهم من قال بالهية خمسة أشخاص أصحاب الكسا محمد وعلي وفاطمه والحسن والحسين وقالوا خمستهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لافضل لواحد على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمه بالتأنيث بل قالوا فاطم وفى ذلك يقول بعض شعرائهم شعر (١٤) توليت بعد الله فى الدين خمسة * نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما

يسوع قد صار مكتوبا بان عيش المرء ليس بالخبز وحده ولكن فى كل كلمة تخرج من فم الله تعالى وبعد هذا اقبل ابليس فى المدينة المقدسة وهو واقف فى أعلى بنيانها وقال له ان كنت ولد الله فترام من فوق فانه قد صار مكتوبا بانه سيبعث ملائكة يرفدونك ويدفعون عنك حتى لا يصيب قدمك مكروه فاجابه يسوع وقال له قد صار مكتوبا أيضا أن لا يقيس أحد السيد الهه ثم عاد اليه ابليس وهو فى أعلى جبل منيف فاظهر له زينة جميع الدنيا وشرفها وقال له انى سأملكك كل ماترى ان سجدت لى فقال له يسوع اذهب يامنافق مقهورا فقد كتب أن لا يعبد أحد غير السيد الهه ولا يخدم سواه فتأيس عنه ابليس عند ذلك وتنحى عنه وأقبلت الملائكة وتوات خدمته * وفى الباب الرابع من انجيل لوقا فانصرف يسوع من الاردن محشوا من روح القدس وقاده الروح الى القفار ومكث فيه أربعين يوما وقايسه ابليس فيه ولم يأكل شيئا فى تلك الاربعين يوما فلما أكملها جاع فقال له ابليس ان كنت ابن الله فأمر هذا الحجر ان يصير خبزا فاجابه يسوع وقال له قد صار مكتوبا انه ليس عيش الآدمى فى الخبز وحده الا فى كل كلمة الله ثم قاده ابليس الى جبل منيف عال وعرض عليه ملك جميع الدنيا من وقته وقال له سأملكك هذا السلطان وأنزلك بعظمته لانى قد ملكته وأنا أعطيه من وافقنى فان سجدت لى كان لك أجمع فاجابه يسوع وقال له قد صار مكتوبا أن تعبد السيد الهك وتخدمه وحده ثم ساقه الى برشام وصعده ووقفه على صخرة البيت فى أعلاه وقال له ان كنت ولد الله فتسبسب من هاهنا لانه مكتوب أن يبعث ملائكة لحرزك وحملك فى الاكف حتى لا تعثر بقدمك فى حجر ولا يصيبك مكروه فاجابه يسوع وقال له قد كتب أيضا أن لا تقيس السيد الهك

(قال أبو محمد رضى الله عنه) فى هذا الفصل عجائب لم يسمع باطم منها، أولها اقرار الصادق عندهم بان ابليس قاد المسيح مرة الى جبل منيف وانقاد له ومضى معه، وقاده مرة أخرى الى أعلى صخرة فى بيت المقدس فما نراه الاينقاد لابليس حيث قاده، ولا يخلو من أن يكون قاده فانقاد له مطيعا سامعا، فما نراه الامنصرفا تحت حكم الشيطان، وهذه والله منزلة رذيلة جدا، أو يكون قاده كرها، فهذه منزلة المصروعين الذين يتخبطهم الشيطان من المس، حاشى للانبياء من كلتا الصفتين، فكيف باله وابن اله بزعمهم؟ وما سمع قط باحمق من هذا الهوس، ونحمد الله على عظيم منته ثم الطامة الاخرى كيف يطمع ابليس عند هؤلاء النوكى فى أن يسجد له خالقه وفى أن يعبده ربه وفى أن يخضع له من فيه روح اللاهوت؟ أم كيف يدعو ابليس ربه والهه الى أن يعبده؟ والله انى لاقطع ان كفر ابليس وحمقه لم يبلغا قط هذا المبلغ، فهذه آبدة الدهر. ثم عجب آخر كيف يمنى ابليس رب الدنيا وخالقها ومالكها ومالكه والهنا والهه فى أن يملكه زينة الدنيا، فهذه

(المغيرية) أصحاب المغيرة بن سعيد العجلى ادعى ان الامام بعد محمد ابن علي بن الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم انه حى لم يمت وكان المغيرة مولى الخالد بن عبد الله القسري وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك ادعى النبوة وغلا فى حق علي عليه السلام غلوا لا يعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه فقال ان الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور وله قلب ينبع منه الحكمة وزعم ان الله تعالى لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الاعظم فطار فوقع على رأسه تاجا قال وذلك قوله سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصى فعرق فاجتمع من عرقه بحران احدهما ملح والآخر عذب والمالح مظلم والعذب نير فاطلع فى البحر النير فابصر ظله فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وأفنى باقى ظله وقال لا ينبغى أن يكون معى اله غيرى قال ثم خلق الخلق كله من البحرين فخلق المؤمنين من البحر النير والكفار من البحر المظلم وخلق ظلال الناس وأول ماخلق هو ظل محمد وعلي قبل ظلال الكل ثم عرض على السموات والارض والجبال أن يحملن الامانة وهى أن يمنعن علي ابن أبي طالب من الامامة فأبين ذلك ثم عرض على الناس فامر عمر بن الخطاب أبابكر أن يتحمل منه من ذلك وضمن أن

كما تقول عامتنا اعطه من خبزه كسيرة ، ماهذه الوساوس التي لاينطق بها الانسان من حقه سكنى المارستان ؟ أوعيار كافر مستخف بقوم نوكى يوردهم ولا يصدرهم ، ماشاءالله كان. فان قالوا انما دعا الناسوت وحده واياه عنى ابليس وحده ، قلنا فان اللاهوت والناسوت عندكم متحدان بمعنى انهما صارا شيئا واحدا والمسيح عندكم اله معبود ، وقد قلتم هاهنا ان ابليس قادالمسيح فانقاد له المسيح ودعاه ابليس الى عبادته والسجود له ومناه ابليس بملك الدنيا وقال للمسيح وقال له المسيح أو قال ليسوع وقال له يسوع وعلى قولكم انه انما خاطب الناسوت انما دعا نصف المسيح ونصف يسوع وانما منى بزينة الدنيا نصف المسيح فقد كذب لوقا ومتى على كل حال وأهل الكذب هما فكيف ونص كلامهما جرت ألسنتهما في لفظي يمنع من هذا ؟ ويوجب ان ابليس انما دعا اللاهوت لانه قال له ان كنت ابن الله فافعل كذا ، ولولم يكن من هذا في الاناجيل الا هذا الفصل الابخر وحده لكفى ، فكيف وله فيها نظائر جمة ؟ ونحمدالله على السلامة

﴿ فصل ﴾ قال أبو محمد رضي الله عنه ، وذكر في الفصل الذي تكلمنا عليه ان المسيح عليه السلام احتشى من روح القدس ، وفي أول باب من انجيل لوقا ان يحيى بن زكريا احتشى (١) من روح القدس في بطن امه وان ام يحيى احتشت أيضا من روح القدس ، فما نرى للمسيح من روح القدس الا كالذي ليحيى ولام يحيى من روح القدس ولافرق فاي فضل له عليهما

﴿ فصل ﴾ قال أبو محمد وفي الباب الثالث من انجيل متى فلما بلغه حبس يحيى بن زكريا تنحى الى جلجال وتخلا من مدينة ناصرة ورحل وسكن في كفرناحوم على الساحل في زابلون ونفثالي ليتم قول أشعيا النبي حيث قال ارض زابلون ونفثالي وطريق البحر خلف الاردن وجلجال الاجناس وكل من كان بها في ظلمة يبصرون نورا عظيما ومن كان ساكنا في ظلل الموت بها يطلع النور عليهم ومن ذلك الموضع ابتدأ يسوع بالوصية وقال توبوا فقد تدانى ملكوت السماء وبينا هو يمشي على ريف البحر بحر جلجال اذ بصر باخوين أحدهما يدعى شمعون المسمى باطرة والآخر اندرياس وهما يدخلان شباكهما في البحر وكانا صيادين فقال لهما اتبعاني اجعلكما صيادي الآدميين فتخليا وقتهما ذلك من شباكهما واتبعاه ثم تحرك من ذلك الموضع وبصر باخوين أيضا وهما يعقوب ويوحنا بن سيذاي في مركب مع ابيهما يعدان شباكهما فدعاهما فتخليا ذلك الوقت من شباكهما ومن ابيهما ومتاعهما واتبعاه ، هذا نص كلام متى في انجيله حرفا حرفا وفي أول باب من انجيل

(١) عبارة انجيل لوقا في البشارة بولادة يحيى (ومن بطن امه يمتلئ من الروح القدس)

يعينه على الغدر به على شرط أن يجعل الخلافة له من بعده فقبل منه واقدما على المنع متظاهرين فذلك قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وزعم انه نزل في عمر قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك ولما أن قتل المغيرة اختلف أصحابه فنهم من قال بانتظاره ورجعته ومنهم من قال بانتظار امامة محمد كما كان يقول هو بانتظاره وقد قال المغيرة لاصحابه انتظروه فانه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام

(المنصورية) أصحاب أبي منصور العجلي وهو الذي عزا نفسه بين أبي جعفر محمد بن علي الباقر في الاول فلما تبرأ عنه الباقر وطرده زعم انه هو الامام ودعا الناس الى نفسه ولما توفي الباقر قال انتقلت الامامة الي وتظاهر بذلك وخرجت جماعة منهم بالكوفة في بني كندة حتى وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فاخذه وصلبه زعم العجلي ان عليا عليه السلام هو الكسف الساقط من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء هو الله عزوجل وزعم حين ادعى الامامة لنفسه انه عرج به الى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له يا بني انزل فبلغ عني ثم اهبطه الى الارض فهو الكسف الساقط من السماء وزعم أيضا ان الرسل لا تنقطع أبدا والرسالة لاتنقطع وزعم ان الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو أمام الوقت وان النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الامام وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمر الله تعالى بمعاداتهم وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم وهم صنف من الخرمية وانما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع

عنه الخطاب اذ وصل الى الجنة وبلغ الى الكمال ومما أبدعه العجلي ان قال أول ماخلق الله هو عيسى بن مريم ثم علي بن أبي طالب
* الخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدي الاجدع وهو الذي عزا نفسه الى أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق فلما
وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في

التبري عنه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الامر لنفسه زعم أبو الخطاب ان الائمة أنبياء ثم آلهة وقال بالهية جعفر بن محمد والهية آبائه وهم ابناء الله واحباؤه والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار وزعم ان جعفرا هو الاله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقا فزعمت فرقة ان الامام بعد أبي الخطاب رجل يقال له معمر ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب وزعموا ان الدنيا لاتفنى وان الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية وان النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة معمرية

مارقش قال فبعد ان بلى يحيي أقبل يسوع الى جلجال ملك الله وقال ان الزمان قد تم وتداني ملك الله فتوبوا وتقبلوا الانجيل فلما خطر جوار بحر جاجال نظر الى شمعون واندرياس وهما يدخلان شبكتهما في البحر وكانا صيادين فقال لهما يسوع اتبعاني أجعلكما صيادين للآدميين فتركا ذلك الوقت الشبكة واتبعاه ثم تمادى قليلا فابصر يعقوب بن زبدى واخاه يوحنا وهما في المركب يهندمان شبكتهما فدعاهما فتركا والدهما مع العمالين باجرة في المركب واتبعاه ، هذا نص كلام مارقش في انجيله حرفا حرفا ، وقال في الباب الرابع(١) من انجيل لوقا : وبينما الجماعات يوما تزدحم عليه رغبة في استماع كلام الله وكان في ذلك الوقت واقفا على ريف بحيرة بشيرات اذ بصر بمركبين في البحيرة قد نزل عنهما أصحابهما لغسل شباكهم فدخل يسوع أحدهما الذي كان لشمعون وسأله ان يتنحى به عن الريف قليلا فقعد في المركب وجعل يوصي الجماعات منه فلما أمسك عن الوصية قال لشمعون تنح عن العمق والقواجر افاتكم للصيد فقال له شمعون يامعلم قد عنينا طول الليل ولم نصب شيئا ولكنا سنلقي الجرافة بأمرك وقولك فلما ألقاها قبضت على حيتان كثيرة جليلة فكادت تقطع الجرافة من كثرتها فاستعانوا بأصحاب المركب الثاني وسألوهم أن يعينوهم على اخراجهم لها فاجتمعوا عليها وشحنوا منها المركبين حتى كادا أن يغرقا فلما بصر بذلك شمعون الذي يدعى باطرة سجد ليسوع وقال اخرج عني ياسيدي لاني انسان مذنب وكان قد حار وكل من كان معه لكثرة ماأصابوا من الحيتان وحار يعقوب ويوحنا ابنا زبدى فقال يسوع لشمعون لاتخف فانك ستصطاد من اليوم الآدميين فخرجوا الى الريف الآخر مراكبهم وتخلوا من جميع ما كان لهم واتبعوه ، هذا نص كلام لوقا في انجيله حرفا حرفا ، وفي أول باب من انجيل يوحنا بن سيذاي قال : وفي يوم آخر كان يحيي بن زكريا المعمدان واقفا ومعه تلميذان من تلاميذه فبصر بيسوع ماشيا فقال هذا خروف الله فسمع ذلك منه التلميذان واتبعا يسوع فالتفت اليهما يسوع اذ رآهما يتبعانه وقال لهما ما الذي تطلبان قالا له يامعلم أين مسكنك فقال لهما اقبلا فابصرا فتوجها معه ورأيا مسكنه وباتا عنده ذلك اليوم وكانا في الساعة العاشرة وكان أحد التلميذين اللذين اتبعاه اندرياس اخو شمعون المسمى باطرة احد الاثني عشر فلقي أخاه شمعون وهو أحد الذين سمعا من يحيي واتبعاه اذ نظر اليه وقال له وجدنا المسيح ثم

(١) هذه القصة مذكورة في الاصحاح الخامس من انجيل لوقا ونص عبارته : واذ كان الجمع يزدحم عليه ليسمع كلمة الله كان واقفا عند بحيرة جنيسارت فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك فدخل السفينة التي كانت لسمعان وسأله ان يبعد قليلا عن البر ثم جلس وصار يعلم الجموع من السفينة ولما فرغ من الكلام قال لسمعان ابعد الى العمق والقوا شباككم للصيد الخ

وزعمت طائفة ان الامام بعد أبي الخطاب بزيغ وكان يزعم ان جعفرا هو الاله اى ظهر بصورته للخلق وزعم أقبل ان كل مؤمن يوحى اليه وتأول قول الله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله أي بوحي من الله اليه وكذلك قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل وزعم ان في أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل وزعم ان الانسان اذا بلغ الكمال لايقال انه مات لكن الواحد منهم اذا بلغ النهاية قيل رفع الى الملكوت وادعوا كلهم معاينة أمواتهم وزعموا انهم يرونهم بكرة

وعشيا وتسمى هذه الطائفة * البزيغية وزعمت طائفة ان الامام بعد ابى الخطاب عمير بن بنان العجلى وقالوا كما قالت الطائفة الاولى الا انهم اعترفوا بانهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق فرفع خبرهم الى يزيد بن عمر بن هبيرة فاخذ عميرا فصلبه فى كناسة الكوفة وتسمى هذه الطائفة العجليه وزعمت طائفة أن الامام بعد أبى الخطاب مفضل الصيرفى وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق وطردهم ولعنهم فان القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الائمة تائهون (الكيالية) اتباع احمد بن الكيال وكان من دعاة واحد من أهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق واظنه من الائمة المستورين ولعله سمع كلمات علمية فخلطها برأيه القائل وفكره العاطل وابدع مقالة فى كل باب علمي على قاعدة غير مسموعة ولا معقولة وربما عاند الحسن فى بعض المواضع ولما وقفوا على بدعته تبرؤا منه ولعنوه وامروا شيعتهم بمنابذته وترك مخالطته ولما عرف الكيال ذلك صرف الدعوة الى نفسه وادعى الامامة اولا ثم ادعى انه القائم ثانيا وكان من مذهبه ان كل من قدر الآفاق على الانفس وامكنه ان يبين مناهج العالمين اعنى عالم الآفاق وهو العالم العلوى وعالم الانفس وهو العالم السفلى كان هو الامام وان من قرر الكل فى ذاته وامكنه ان يبين كل كلى فى شخصه المعين الجزئى كان هو القائم قال ولم يوجد فى زمن من الازمان احد يقرر هذا التقرير الا أحمد الكيال فكان هو القائم وانما قتله من انتمى اليه اولا على بدعته ذلك انه الامام ثم القائم وبقيت من مقالته فى العالم تصانيف عربية وعجمية كلها مزخرفة مردودة شرعا وعقلا قال الكيال العوالم ثلاثة العالم

أقبل اليه به فلما بصر به المسيح قال له أنت شمعون بن يونا وأنت تسمى صفا وترجمته الحجر وهذا نص كلام يوحنا فى انجيله حرفا حرفا

(قال أبو محمد) رضي الله عنه فاعجبوا لهذه الفضائح وتأملوها! اتفق متى ومارقش على أن أول ما كانت صحبة شمعون باطرة وأخيه اندرياش (١) ابنى يونا المسيح فانها كانت بعد ان سجن يحيي بن زكريا اذ وجدهما المسيح وهما يدخلان شبكتهما فى البحر للصيد وقال لوقا انه وجدهما أول ماصحباه اذ وجدهما قد نزلا من المركب لغسل شباكهما وانهما كانا قد تعبا طول الليل ولم يصيدا شيئا ، وقال يوحنا ان أول ماصحباه اذ رآه اندرياش اخو شمعون باطره وهو واقف مع يحيي بن زكريا وانه كان تلميذا ليحيي وان يحيي حينئذ كان يعمد للناس فلما سمع اندرياش قول يحيي اذ رأى المسيح هذا خروف الله ترك يحيي وصحب المسيح وذلك فى الساعة العاشرة وبات عنده تلك الليلة ثم مضى الى أخيه شمعون باطرة وأخبره وأتي به الى المسيح فصحبه وهى أول صحبته له ، فبعضهم يقول أول صحبة باطره وأخيه اندرياش للمسيح كانت بعد سجن يحيي بن زكريا وهو قول متى ومارقش وبعضهم يقول ان أول صحبة شمعون باطره واندريش للمسيح كانت قبل ان يسجن يحيي وهو قول يوحنا ، وبعضهم يقول اول صحبة باطرة واندرياش للمسيح كانت اذ وجدهما يدخلان شبكتيهما للصيد جميعا فتركاها وصحباه من حينئذ وهو قول متى ومارقش وبعضهم يقول ان اول صحبة باطره واندرياش للمسيح كانت اذ رآه اندرياش وهو واقف مع يحيي وهو تلميذ يحيي يومئذ فرأى المسيح ماشيا فقال يحيي هذا خروف الله فترك اندرياش يحيي وصحب المسيح من حينئذ ثم مضى الى اخيه شمعون وعرفه انه قد وجد المسيح وأتي به اليه فصحبه من حينئذ وهو قول يوحنا ، فهذه أربع كذبات فى نسق احداها فى الوقت الذى كان ابتدأ صحبتهما للمسيح فيه ، والاخرى فى الموضع الذى كانت أول صحبتهما للمسيح فيه ، والثالثة فى رتبة صحبتهما للمسيح ، امعا ام احدهما قبل الثانى ؟ والرابعة فى صفة الحال التى وجدهما عليها اول ماصحباه ، وبالضرورة ندرى ان احد هذه الاختلافات الاربعة كذب بلاشك ، ومثل هذا لايمكن البتة ان يكون من عند الله عزوجل ولا من عند نبي ولا من عند صادق بل من كذاب عيار لايبالى بما حدث واغرب شىء فى ذلك قولهم ان يوحنا بن سيذاى هو ترجم انجيل متى من العبرانية الى اليونانية فاذا رأى هذه القصص فى انجيل متى يخالف ماعنده فلابد ضرورة من أن يكون عرف ان قول متى كذب ، أو عرف انه حق لابد من أحدهما ضرورة ، فان كان قول متى كذبا فقد

---

(١) فى الاناجيل بطرس مكان باطره واندراوس مكان اندرياش

الاعلي والعالم الادنى والعالم الانساني وأثبت في العالم الاعلى خمسة اماكن الاول مكان الاماكن وهو مكان فارغ لايسكنه موجود ولا يدبره روحاني وهو محيط بالكل قال والعرش الوارد في الشرع عبارة عنه ودونه مكان النفس الاعلى ودونه مكان النفس الناطقة ودونه مكان النفس الحيوانية ودونه (١٨) مكان النفس الانسانيـة قال واردات النفس الانسانية الصعود الى عالم النفس الاعلى فصعدت وخرقت المكانين أعني الحيوانية والناطقية فلما قربت من الوصول الى عالم النفس الاعلي كلت وانحسرت وتحيرت وتعفنت واستحـالت اجزاؤهـا فاهبطت الى العالم السفلى ومضت عليها اكوار وادوار وهي في تلك الحالة من العفونة والاستحالة ثم ساحت عليها النفس الاعلي وأفاضت عليها من انوارها جزأ التراكيب في هذا العالم فحدثت وحدثت السموات والارض والمركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان ووقعت في بلايا هـذا التركيب تارة سرورا وتارة غما وتارة فرحا وتارة ترحا وطورا سلامة وعافية وطورا بلية ومحنة حتى يظهر القائم ويردها الى حال الـكمال وتنحل الـتراكيب وتبطل المتضادات ويظهر الروحاني علي الجسماني وماذلك القائم الا أحمد الـكيال ثم دل علي تعيين ذاته بأضعف مايتصوروا وهي مايقدر وهو ان اسم أحمد مطابق للعوالم الاربعة فالالف من اسمه في مقابلة النفس الاعلي والحاء في مقابلة النفس الناطقة والميم في مقابلة النفس الحيوانية والدال في مقابلة النفس الانسانية قال فالعوالم الاربعة هي المبادىء والبسائط واما مكان الاماكن فلا وجود فيه البتة ثم اثبت في مقابلة العوالم العلوية العالم السفلي الجسماني قال فالسماء خالية وهي في مقابلة مكان الاماكن ودونها النار ودونها الهواء ودونها الارض ودونها الماء وهذه الاربعة في مقابلة العوالم الاربعة ثم قال الانسان في مقابلة النار لا نزحل

استجاز يوحنا ان يورد الكذب عن صاحبه المقدس الذى هو عندهم أكبر من موسى ومن سائر الانبياء ، وان كان قول متى حقا فقد قصد يوحنا لايراد الكذب فيما اخبر هو به في انجيله لابد من أحدهما ، ولقد كانت هذه وحدها تـكفي في بيان ان الاناجيل من عمل كذابين ملعونين شاهت وجوههم وحاقت بهم لعنة الله

﴿ فصل ﴾ وفى الباب الرابع (١) من انجيل متى ان المسيح قال لتلاميذه لاتحسبوا انى جئت لنقض التوراة وكتب الانبياء انما أتيت لاتمامها فانى الحق اقول لـكم الى ان تبيد السماء والارض لاتبيد ياء واحدة ولاحرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع فمن حلل عهدا من هذه العهود الصغيرة وحمل الناس على تحليله فسيدعى في ملكوت السموات صغيرا ومن اتمه وحض الناس علي اتمامه فسـيدعى فى ملكوت السموات عظيما ، وفى الباب السادس عشر من انجيل متى ستحول السموات والارض ولايحول كلامي

(قال أبو محمـد) رضى الله عنه وهـذه نصوص تقتضى التأبيد وتمنع من النسخ جملة ، ثم لم يمض بعد الفصل الاول المذكور الا اسطار يسيرة حتى ذكر متى انه قال لهم المسيح ، قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق قال وانا اقول لـكم من فارق امرأته الا لزنا فقد جعل لها سبيلا الى الزنا ومن تزوج مطلقة فانه يزنى ، وهذا نقض لحـكم التوراة الذى ذكر انه لم يأت لنقضها لكن لاتمامها ، ثم يحكون عن بولس الملعون انه نهى عن الختان وهو من اوكد شرائع التوراة ، وعن شمعون باطرة المسخوط انه اباح أكل الخنزير وكل حيوان وطعام حرمته التوراة ، ثم هم قـد نقضوا شرائع التوراة كلها أولها عن آخرها من السبت واعياد اليهود وغير ذلك ، وهم مع هذا العمل لايختلفون فى ان المسيح وجميع تلاميذه بعده لم يزالوا يلتزمون السبت واعياد اليهود وفصحهم الى ان ماتوا علي ذلك ، وان المسيح انما أخذ ليلة الفصح وهو يفصح علي سنة اليهود وشريعتهم فـكيف هذا ؟ فلابد لهم من ان يضيفوا الـكذب الى المسيح جهارا اذ أخبر انه لم يأت لنقض التوراة ثم نقضها ، فصح انه أتى لما اخبر انه لم يأت له من نقضها ، وهذا كذب

---

(١) فى الاصحاح الخامس من انجيل متى : لاتظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء ماجئت لانقض بل لأ كمل فاني الحق اقول لـكم الى ان تزول السماء والارض لايزول حرف واحـد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الـكل فمن نقض هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملـكوت السموات واما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فما ذكر انه فى الباب الرابع هو فى الباب الخامس

لا مزحل عنه ولا بد لهم من ان يقروا من ان المسيح مسخوط (١) يدعى فى ملكوت السموات صغيرا لا عظيما ، لانه هكذا اخبر هو عمن حلل عهدا صغيرا من عهودها وهو قد حل عهودا كبارا من عهودها ، اذ حرم الطلاق وقد أباحته التوراة ، ونهى عن القصاص الذى جاءت به التوراة فقال: قد قيل العين بالعين والسن بالسن وانا اقول لا تكافئوا أحدا بسيئة ولكن من لطم خدك الايمن فانصب له الأيسر

(قال ابو محمد) رضى الله عنه : ولا بد لهم من ان يشهدوا على انفسهم اولهم عن آخرهم وسالفهم عن خالفهم بمعصية الله تعالى ومخالفة المسيح ، وانهم يدعون فى ملكوت السموات صغارا اذ نقضوا حكم التوراة اولها عن آخرها ، ولا يمكنهم ههنا دعوى النسخ البتة ، لانهم حكوا كما اوردنا عن المسيح انه قال : اقول لكم الى ان تبيد السماء والارض لا تبيد باء واحدة ولا حرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع ، فمنع من النسخ جملة وان فى هذا لعجبا لا نظير له وحمقا وضلالا ما كنا نصدق بان احدا يدين به لولا انا شاهدناهم ونسأل الله السلامة ، ثم ذكر فى الباب الثامن عشر من انجيل متى ان المسيح قال للحواريين الاثنى عشر باجمعهم ومن جملتهم يهوذا الاسخريوطي الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما : كل ما حرمتموه فى الارض يكون محرما فى السماء وكل ما حللتموه فى الارض يكون محللا فى السماء ، وفى الباب السادس عشر من انجيل متى انه قال هذا القول لباطره (٢) وحده

(قال ابو محمد) رضى الله عنه . وهذا نص تناقض عظيم كيف يكون التحليل والتحريم للحواريين او لباطره مع قوله انه لم يأت لتبديل التوراة لكن لاتمامها ، وانه من نقض من عهودها عهدا صغيرا دعى فى ملكوت السموات صغيرا ، وان السماء والارض تبيدان قبل أن تبيد من التوراة باء واحدة أو حرف واحد ، لئن كان صدق فى هذا فان فى نص التوراة ان الله تعالى قد لعن من صلب فى خشبة وهم يقولون انه صلب فى خشبة ولا شك فى ان باطرة وشمعون اخا يوسف واندرياش اخو باطرة وفليش وبولس صلبوا فى الخشب فعلى قول المسيح لا يبيد شيء من التوراة حتى يتم جميعها فكل هؤلاء ملعونون بلعنة الله تعالى فاعجبوا لضلال هذه الفرقة المخذولة فما سمع باطم من هذه الفضائح ابدا

(١) مسخوط من سخط الشيء سخطا كرهه والمراد هنا ما يلزم سخط الله وكراهته للعبد من صغره وحقارته وعدم تعظيمه

(٢) شمعون باطره الذى يذكره ابن حزم هو سمعان بطرس الذى قال له المسيح كما فى الاصحاح السادس من انجيل متى: واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا فى السموات

والطائر فى مقابلة الهواء والحيوان فى مقابلة الارض والحوت فى مقابلة الماء فجعل مركز الماء أسفل المراكز والحوت اخس المركبات ثم قابل العالم الانسانى الذى هو أحد الثلاثة وهو عالم الانفس مع آفاق العالمين الاولين الروحانى والجسمانى قال الحواس المركبة فيه خمس فالسمع فى مقابلة مكان الاماكن اذ هو فارغ وفى مقابلة السماء والبصر فى مقابلة النفس الاعلى من الروحانى وفى مقابلة النار من الجسمانى وفيه انسان العين لان الانسان مختص بالنار والشم فى مقابلة الناطق من الروحانى والهواء من الجسمانى لان الشم من الهواء يتروح ويتنسم والذوق فى مقابلة الحيوانى من الروحانى والارض من الجسمانى والحيوان مختص بالارض والطعم بالحيوان واللمس فى مقابلة الانسانى من الروحانى والماء من الجسمانى والحوت مختص بالماء واللمس بالحوت وربما عبر عن اللمس بالكناية ثم قال أحمد الف وحاء وميم ودال وهو فى مقابلة العالمين اما فى مقابلة العالم العلوى الروحانى فقد ذكرنا وأما فى مقابلة العالم السفلى الجسمانى فالالف يدل على الانسان والحاء على الحيوان والميم على الطائر والدال على الحوت فالالف من حيث استقامة القامة كالانسان والحاء كالحيوان لانه معوج منكوس ولان الحاء من ابتداء اسم الحيوان والميم يشبه رأس الطير والدال يشبه ذنب الحوت ثم قال ان البارى تعالى انما خلق الانسان على شكل اسم أحمد فالقامة مثل الالف واليدان مثل الحاء والبطن مثل الميم والرجلان مثل الدال ثم من العجب انه قال الانبيا هم قادة أهل التقليد وأهل التقليد عميان والقائم قائد أهل البصيرة وأهل البصيرة أولو الالباب وانما يحصلون البصائر بمقابلة الآفاق والانفس والمقابلة كما سمعتها من اخس المقالات وأوهى المقابلات بحيث لا يستجيز عاقل ان يسمعها فكيف يرضى ان يعتقدها وأعجب من هذا كله

تأويلاته الفاسدة ومقابلاته بين الفرائض الشرعيه والاحكام الدينية وبين موجودات عالمي الآفاق والانفس وادعاؤه انه متفرد بها وكيف يصح له ذلك وقد سبقه كثير من أهل العلم بتقرير ذلك لا على الوجه المزيف الذي قرره الكيال وحمله الميزان على العالمين والصراط على نفسه والجنة على الوصول الى علمه من البصائر والنار على الوصول الى مايضاده ولما كانت أصول علمه ماذكرناه فانظر كيف يكون حال الفروع *

(الهشامية) اصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة فى التشبيه وهشام ابن سالم الجواليقى الذى نسج على منواله فى التشبيه وكان هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة وجرت بينه وبين أبى الهذيل مناظرات فى علم الكلام منها فى التشبيه ومنها فى تعلق علم البارى تعالى حكى ابن الراوندى عن هشام انه قال ان بين معبوده وبين الاجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه حكى الكعبى عنه انه قال هو جسم ذو ابعاض له قدر من الاقدار ولكن لايشبه شيئا من المخلوقات ولايشبهه شيء ونقل عنه انه قال هو سبعة أشبار بشبر نفسه وانه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة وحكى عنه أبو عيسى الوراق انه قال ان الله تعالى مماس لعرشه لايفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عن العرش شيء منه ومن مذهب هشام انه لم يزل عالما بنفسه ويعلم الاشياء بعد كونها بعلم لايقال فيه محدث او قديم لانه صفة والصفة لاتوصف ولا يقال فيه هو او غيره أو بعضه وليس قوله فى القدرة والحياة كقوله فى العلم لانه لايقول بحدوثهما قال ويريد الاشياء وارادته حركة ليست غير الله ولاهى عينه وقال فى كلام البارى تعالى انه صفة لله تعالى

-﴿ فصل ﴾- وفى الرابع عشر من انجيل متى ان المسيح قال لهم انا أقول لكم كل من شخط على أخيه بلا سبب فقد استوجب القتل وان أضرت اليك عينك اليمنى فافقأها واذهبها عن نفسك فذهابها عنك أحسن من ادخال جسدك الجحيم وان اضرت اليك يدك اليمنى فابرأ منها فذهابها منك أحسن من ادخال جسدك النار

(قال ابو محمد) رضى الله عنه: وهذه شرائع يقرون ان المسيح عليه السلام امرهم بها وكفهم عنها بلا خلاف بين أحد منهم، ولايرون القضاء بشيء منها فهم على مخالفة المسيح باقرارهم، وهم لايرون الختان والختان كان ملة المسيح وكان مختونا والمسيح وتلاميذه لم يزالوا الى ان ماتوا يصومون صوم اليهود ويفصحون فصحهم ويلتزمون السبت الى ان ماتوا، وهم قد بدلوا هذا كله وجعلوا مكان السبت الاحد، وأحدثوا صوما آخر بعد ازيد من مائة عام بعد رفع المسيح، فكفى بهذا كله ضلالا وكفرا، وليس منهم أحد يقدر على انكار شيء من هذا، فان قالوا ان المسيح امرهم باتباع أكابرهم قلنا لاعليكم، أرأيتم لوان بطارقتكم اليوم اجمعوا على ابطال ما احدثه بطارقتكم بعد مائة عام من رفع المسيح واحدثوا لكم صياما آخر ويوما آخر غير يوم الاحد وفصحا آخر وردوكم الى ماكان عليه المسيح من تعظيم السبت وصوم اليهود وفصحهم؟ أكان يلزمكم اتباعهم؟ فان قالوا لا: قلنا ولم وأى فرق بين اتباع أولئك وقد خالفوا مانص عليه المسيح والحواريون وبين اتباع هؤلاء فيما احدثوه آنفا؟ فان قالوا ان أولئك لعنوا ومنعوا من تبديل ماشرعوا، قلنا لهم واى لعن وأى منع أعظم من منع المسيح من تبديل شيء من عهود التوراة؟ ثم قد بدله من اطعتموه فى تبديله له فقد صار منع من بعد المسيح أقوى من منع المسيح، وان قالوا نعم كنا نتبعهم، أقروا ان دينهم لاحقيقة له وانه انما هو اتباع ماشرع اكابرهم من تبديل ماكانوا عليه، ويقال لهم: أرأيتم ان احدث بعض بطارقتكم شرائع واحدث الآخرون منهم أخر ولعنت كل طائفة منهم من عمل بغير ماشرعت فكيف يكون الحال؟ فأى دين اوسخ واضل وافسد من دين من هذه صفته؟ ولقد كان لهم فيما اوردنا من هذا الفصل كفاية فى بطلان كل ماهم عليه لوكان لهم مسكة عقل، وحق لكل دين مرجعه الى متى الشرطى ويوحنا المستخف وماقش المرتد ولوقا الزنديق وباطره اللعين وبولس الموسوس الاضلال لهم فى دينهم ان تكون هذه صفته والحمد لله على عظيم نعمته علينا

-﴿ فصل ﴾- وفى الباب الخامس من انجيل متى ان المسيح قال لهم ليكن دعاءكم على ماأصف لكم ابانا السماوى تقدس اسمك، ثم قال بعد ذلك وقد علم ابوكم انكم ستحتاجون الى جميع هذا؛ وفى آخر الانجيل انه قال لهم انا ذاهب الى ابي وابيكم الهي والهكم فما

نرى

لايجوز أن يقال هو مخلوق ولاغير مخلوق وقال الاعراض لاتصلح دلالة علي الله تعالى لازمنها مايثبت استدلالا ومايستدل به علي البارى تعالى يجب أن يكون ضرورى الوجود وقال الاستطاعة كل مالا يكون الفعل الا به كالآلات والجوارح والوقت والمكان وقال هشام بن سالم انه تعالى علي صورة انسان أعلاه مجوف (٢١) وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم وقال هشام الاستطاعة بعض المستطيع وقد نقل عنه انه أجاز المعصية على الانبياء مع قوله بعصمة الائمة ويفرق بينهما بان النبي يوحى اليه فينبه على وجه الخطا فيتوب منه والامام لايوحى اليه فيجب عصمته وغلا هشام ابن الحكم فى حق على حتى قال انه آله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور فى الاصول لايجوز أن يغفل عن الزاماته علي المعتزلة فان الرجل وراء مايلزمه علي الخصم ودون مايظهره من التشبيه وذلك انه ألزم العلاف فقال انك تقول البارى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات فى انه عالم بعلم ويباينها فى ان علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين فلم لاتقول هو جسم لا كالاجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالاقدار الى غير ذلك ووافقه زرارة ابن أعين في حدوث علم الله تعالى وزاد عليه بحدوث قدرته وحياته وسائر صفاته وانه لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالما ولا قادرا ولا حيا ولا سميعا ولا بصيرا ولا مريدا ولا متكلما وكان يقول بامامة عبد الله بن جعفر فلما فاوضه فى مسائل ولم يجده بها مليا رجع الى موسى بن جعفر وقيل أيضا انه لم يقل بامامته الا انه أشار الى المصحف فقال هذا امامى وانه كان قد التوى علي جعفر بعض الالتواء وحكى عن الزرارية ان المعرفة ضرورية وانه لايسع جهل الائمة فان معارفهم كلها ضرورية

نرى للمسيح من البنوة لله تعالى الا ما لسائر الناس ولافرق ، فمن اين حصره بانه ابن الله عز وجل دون سائرهم كلهم الا ان كذبوه فى هذا القول ، فليختاروا احد الامرين ولابد * ثم من اين خصوا كل من سوى المسيح بان الله تعالى الهه ، ولم يقولوا ان الله اله المسيح كما قال هو بلسانه ؟ فلا بد ضرورة من الاقرار بان الله هو اله المسيح ، وان سائر الناس ابناء الله تعالى او يكذبوا المسيح فى نصف كلامه وحسبك بهذا فسادا وضلالا تعالى الله عن ان يكون ابا لاحد او ان يكون له ابن لا المسيح ولا غيره بل هو تعالى اله المسيح واله كل من هو غير المسيح أيضا

﴿فصل﴾ وكثيرا ما يحكون فى جميع الاناجيل فى غير ما موضع انه اذا اخبر المسيح عن نفسه سمى نفسه ابن (١) الانسان . ومن المحال والحمق ان يكون الاله ابن انسان او ان يكون ابن اله وابن انسان معا . وان يلد انسان الها . ما فى الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا ، ونعوذ بالله من الضلال

﴿فصل﴾ وفى الباب التاسع من انجيل متى (فبينا يسوع يقول هذا اذ أقبل اليه احد أشراف ذلك الموضع وقال له ان ابنتى توفيت وأنا أرغب اليك ان تذهب اليها وتمسها بيدك لتحيا) ثم ذكر انه (لما دخل بيت القائد (٢) وأبصر بالنوائح والبواكى قال لهن اسكتن فان الجارية لم تمت ولكنها راقدة فاستهزأت الجماعة به ولما خرجت الجماعة عنها دخل عليها وأخذ بيدها ثم أقامها حية) وذكر هذه القصة نفسها فى الباب السابع من انجيل لوقا الا انه قال فيها (ان أباها قال له قد أشرفت علي الموت وانه نهض معه (٣) فلقيه رسول يخبره بان الجارية قد ماتت فلا تتعبه وان

(١) من ذلك ماجاء فى الاصحاح السابع عشر من انجيل متى : وفيما هم يترددون فى الجليل قال لهم يسوع ابن الانسان سوف يسلم الى ايدى الناس فيقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم فحزنوا جدا

(٢) عبارة متى فى الاصحاح التاسع من انجيله المترجم عن اليونانية : ولما جاء يسوع الى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجون قال لهم تنحوا فان الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه فلما اخرج الجمع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبية فخرج الخبر الى تلك الارض كلها (٣) عبارة لوقا فى انجيله المترجم عن اليونانية : فوقع عند قدمى يسوع وطلب اليه أن يدخل بيته لانه كان له بنت وحيدة لها نحو اثنتى عشرة سنة وكانت فى حال الموت ففيما هو منطلق زحمته الجموع . وهنا ذكر قصة المرأة التى لمست هدب ثوب المسيح فوقف نزف دمها وشفيت منه بعد اثنتى عشرة سنة وبعد أن فرغ منها رجع الى قصة البنت التى كانت فى حال الموت فقال : وبينما هو يتكلم جاء واحد من دار رئيس المجمع قائلا له قد ماتت ابنتك لاتتعب المعلم فسمع يسوع واجابه قائلا لاتخف آمن فقط فهى تشفى فلما جاء الى البيت لم يدع أحدا يدخل الا بطرس ويعقوب ويوحنا وابا الصبية وأمها الى آخر القصة

وكل مايعرفه غيرهم بالنظر فهو عندهم أولى ضروري ونظرياتهم لايدركها غيرهم (النعمانية) أصحاب محمد بن النعمان أبي جعفر الاحول الملقب بشيطان الطاق والشيعة تقول هو مؤمن الطاق وافق هشام بن الحكم في ان الله تعالى لايعلم شيئا حتى يكون والتقدير عنده الارادة والارادة فعله (٢٢) تعالى وقال ان الله تعالى نور على صورة انسان ويأبى أن يكون جسما لكنه قال قد ورد في الخبر ان الله خلق آدم على صورته وعلى صورة الرحمن فلا بد من تصديق الخبر ويحكى عن مقاتل ابن سليمان مثل مقالته في الصورة وكذلك يحكى عن داود الجواربي ونعيم بن حماد المصري وغيرهما من أصحاب الحديث انه تعالى ذو صورة وأعضاء ويحكى عن داود انه قال اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك فان في الأخبار مايثبت ذلك وقد صنف ابن النعمان كتبا جمة للشيعة منها افعل لم فعلت ومنها افعل لاتفعل ويذكر فيها ان كبار الفرق أربعة القدرية والخوارج والعامة والشيعة ثم عين الشيعة بالنجاة في الآخرة من هذه الفرق وذكر عن هشام ابن سالم ومحمد بن النعمان انهما امسكا عن الكلام في الله ورويا عمن يوجبان تصديقه انه سئل عن قول الله وان الى ربك المنتهى قال اذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا فامسكا عن القول في الله والتفكر فيه حتى ماتا هذا نقل الوراق ومن جملة الشيعة * (اليونسية) أصحاب يونس بن الضان عبدالرحمن القمي مولى آل يقطين زعم ان الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب تعالى اذ قد ورد في الخبر ان الملائكة تئط احيانا من وطأة عظمة الله تعالى على العرش وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتبا في ذلك (النصيرية والاسحاقية) من غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن اصحاب مقالاتهم وبينهم خلاف في كيفية اطلاق

المسيح قال لابيها لاتخف وآمن فتحيا فلما بلغا البيت لم يدخل مع نفسه في البيت الا باطرة ويوحنا ويعقوب وأبو الجارية وكانت الجماعة تبكي وتلتدم فقال لهم لاتبكوا فانها راقدة وليست ميتة فاستهزؤا به معرفة بموتها فأخذ بيدها ودعاها وقال ياجارية قومي فعادت اليها روحها وقامت من وقتها وأمر أن تطعم طعاما وجاء أبواها وأمرهما ان لايعلما أحدا بما فعل وذكر مثل هذا في الباب الخامس من انجيل مارقش

(قال ابو محمد) في هذا الفصل مصائب جمة أحدها كان يكفي في انه انجيل موضوع مكذوب، أولها حكايتهم عن المسيح انه كذب جهارا اذ قال لهم لم تمت انما هي حية راقدة ليست ميتة فان كان صادقا في انها ليست ميتة فلم يأت بآية ولا بعجيبة ، وحاشى لله أن يكذب نبي ، فكيف اله وليس لهم ان يقولوا ان الآية هي ابراؤها من الاغماء لان في نص انجيلهم انه قال لابيها آمن فتحيا ابنتك ، فلابد من الكذب في أحد القولين ، والثانية اذ متى ذكر ان أباها جاء الى المسيح وهي قد ماتت وأخبره بموتها ودعاه ليحييها ، ولوقا يقول ان أباها أتى الى المسيح وهي مريضة لم تمت وأتي به ليبرئها بعد ، وان الرسول لقيه في الطريق وقال له لاتتعبه فقد ماتت ، فاحد النذلين كاذب بلاشك فعليهما لعائن الله وسخطه فلايجوز أخذ الدين عن كذاب ، والثالثة انفراد المسيح عن الناس عند مجيئه بهذه الآية حاشى أبويها وثلاثة من أصحابه ثم استكتامه اياهم ذلك ، والآيات لاتطلب لها الخلوات ولا تستر عن الناس وفي الاناجيل من هذا كثير من انه لم يقدر في بعض الاوقات على آية مرة بحضرة بلاطس ومرة بحضرة اليهود ، وانه قال لمن طلب منه آية انكم لاترون آية الا آية يونس اذ بقي في بطن الحوت ثلاثا وما كان هكذا فانما هي أخبار مسترابة ، وكذبات مفتعلة ، ونقل عمن لاخير فيه ، وبالله تعالى التوفيق

-﴿ فصل ﴾- وفي الباب العاشر (١) من انجيل متى ان المسيح جمع الى نفسه اثني عشر رجلا من تلاميذه وأعطاهم سلطانا على الارواح النجسة أن ينفوها وان يبرئوا من كل مرض وهذه اسماؤهم : أولهم شمعون المسمى بباطرة واندرياش أخوه ويعقوب بن سيذاي ويوحنا أخوه وفيلبس وبرثلوما وطوما ومتى الجابي ويعقوب ويهوذا أخوه وشمعون الكنعاني ويهوذا الاسخربوطي الذي دل عليه بعد ذلك فبعث يسوع هؤلاء الاثنى عشر وقال لهم لاتسلكوا في سبيل الأجناس ولا تدخلوا في مدائن السامريين ولكن احتضروا الى

---

(١) ابتدأ متى الاصحاح العاشر من انجيله بقوله : ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف . وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهي هذه . الاول سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس أخوه . يعقوب ابن زبدي ويوحنا أخوه . فيلبس وبرثولماوس . توما ومتى العشار . يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس . سمعان القانوي ويهوذا الاسخريوطي الذي اسلمه الخ

اسم الالهية على الائمة من أهل البيت قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لاينكره عاقل اما في جانب الخير كظهور جبريل عليه السلام ببعض الاشخاص والتصور بصورة اعرابي والتمثل بصورة البشر واما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الانسان حتى يعمل الشر بصورته وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه (٢٣) فلذلك نقول ان الله تعالى ظهر بصورة أشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من علي عليه السلام وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فمن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم وانما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي دون غيره لانه كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الاسرار قال النبي صلى الله عليه وسلم انا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وعن هذا كان قتال المشركين الى النبي صلى الله عليه وسلم وقتال المنافقين الى علي وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم وقال لولا أن يقول الناس فيك ماقالوا في عيسى ابن مريم والا لقلت فيك مقالا وربما اثبتوا له شركة في الرسالة اذ قال فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل فعلم التأويل وقتال المنافقين ومكالمة الجن وقلع باب خيبر لا بقوة جسدانية من أدل الدليل على ان فيه جزء آلهيا وقوة ربانية اويكون هو الذي ظهر الاله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه وعن هذا قالوا كان هو موجود قبل خلق السموات والارض قال كنا اظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هي حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لاينفصل عنها سواء كانت في هذا العالم او في ذلك العالم وعن هذا قال انا من أحمد كالضوء من الضوء يعني لافرق بين النورين

الضان التالفة من بني اسرائيل ، ففي هذا الفصل طامتان ، احداها قوله انه أعطى أولئك الاثني عشر وسماهم باسمائهم كلهم سلطانا على الارواح النجسة ، وان يبرئوا من كل مرض وسمى فيهم يهوذا ولم يدع للانكار وجها بل صرح بانه هو الذي دل عليه بعد ذلك اليهود حتى أخذوه وصلبوه بزعمهم وضربوه بالسياط ولطموه واستهزؤا به ، وقد كذبوا لعنهم الله ، فكيف يجوز أن يقرب الله تعالى ويعطي السلطان على الجن والابراء من كل مرض من يدري انه هو الذي يدل عليه ويكفر بعد ذلك ، هذا مع قول يوحنا في انجيله ان يهوذا المذكور كان سارقا وانه كان يختطف كل ماكان يهدى الى المسيح ويذهب به ، فلابد ضرورة من أحد وجهين بلاثالث أصلاً ، اما أن يكون المسيح اطلع على مااطلع عليه يوحنا من سرقة يهوذا وخبث باطنه ، وأعطاه مع ذلك الآيات والمعجزات . وجعله واسطة بينه وبين الناس وجعل له أن يحرم ويحلل . فيكون ماحرم وحلل محرما ومحللا في السموات . فهذه مصيبة وتوقيع بالكفار وتقديم لمن لايستحق وسخرية بالدين . وليس هذه صفة الاله ولا من فيه خير اويكون خفي على المسيح من خبث نية يهوذا ماعرف غيره ، فهذه عظيمة أن يكون الاله يجهل ماخلق فهل سمع قط بأحمق من هذه القصص وممن يعتقدها حقا .

والثانية (قوله لاتسلكوا (١) في سبيل الاجناس ولا تدخلوا مدائن السامريين واحتضروا الى الضأن المبددة التالفة من نسل بني اسرائيل) وانه لم يبعث الا الى الضأن التالفة من بني اسرائيل وهذا انما أمرهم بان يكلموه بعد رفعه باقرارهم كلهم انه طول كونه في الارض لم يفارقه أحد منهم ، ولانهضوا داعين الى بلد آخر البتة فقد خالفوه وعصوه لانهم لم يذهبوا الا الى الاجناس ، فهم عصاة لله عز وجل فساق باقرارهم

﴿ فصل ﴾ وفي هذا الباب نفسه باقرارهم ان المسيح قال لتلاميذه (واذا طلبتم في هذه المدينة فاهربوا إلى أخرى أمين اقول لكم لاتستوعبون مدائن بني اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان) يعني رجوعه الى الدنيا ظاهرا بعد رفعه الى جميع الناس ، وفي الباب السابع من انجيل مارقش (٢) وفي أول الباب التاسع من انجيل لوقا ان المسيح قال لهم (ان من هؤلاء الوقوف بعض قوم لايذوقون الموت حتى يروا ملك الله مقبلا بقدرة)

---

(١) عبارة متى في الاصحاح العاشر : هؤلاء الاثنا عشر ارسلهم يسوع وأوصاهم قائلا الى طريق امم لاتمضوا والى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالحري الى خراف بيت اسرائيل الضالة (٢) في آخر الاصحاح الثامن من انجيل مرقس : وقال لهم الحق أقول لكم ان من القيام ههنا قوما لايذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتي بقوة وهي بنصها عبارة لوقا في الاصحاح التاسع من انجيله ساقطا منها قوله قد أتي بقوة

الا ان احدهما أسبق والثاني لاحق به قال له وهذا يدل على نوع شركة فالنصيرية أميل الى تقرير الجزء الالهي والاسحاقية أميل الى تقرير الشركة في النبوة ولهم اختلافات أخر لم نذكرها وقد نجزت الفرق الاسلامية وما بقت الا فرقة الباطنية وقد أوردهم أصحاب التصانيف في كتب (٢٤) المقالات اما خارجة عن الفرق واما داخلة فيها وبالجملة هم قوم يخالفون اثنتين وسبعين فرقة رجال الشيعة ومصنفوا كتبهم من الزيدية أبو خالد الواسطي ومنصور ابن الأسود وهارون بن سعيد العجلي ووكيع بن الجراح ويحيى بن آدم وعبد الله ابن موسى وعلي بن صالح والفضل بن دكين من الجارودية وأبو حنيفة بترية وخرج محمد بن عجلان مع الامام وخرج ابراهيم بن عباد ابن عوام ويزيد بن هارون والعلاء بن راشد وهشيم ابن بشير والعوام بن حوشب ومسلم بن سعيد مع ابراهيم الامام من الامامية وسائر اصناف الشيعة سالم ابن ابي الجعد وسالم بن ابي حفصة وسلمة بن كهيل وتوبة بن أبي فاختة وحبيب بن أبي ثابت ابو المقدام وشعبة والاعمش وجابر الجعفي وابو عبد الله الجدلي وابو اسحاق السبيعي والمغيرة وطاوس والشعبي وعلقمة وهبيرة ابن بريم وحبة العرني والحارث الاعور ومن مؤلفي كتبهم هشام بن الحكم وعلي بن منصور ويونس بن عبد الرحمن وشكال والفضل بن شاذان والحسين بن اشكاب ومحمد بن عبد الرحمن بن رقيه والتعطف وابو سهل النوبختي وأحمد ابن يحيى الراوندي ومن المتأخرين أبو جعفر الطوسي (الاسماعيلية) قد ذكرنا ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنا عشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الاكبر المنصوص عليه في بدء الامر قالوا ولم يتزوج الصادق على امه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله في حق خديجة وكسنة علي في حق فاطمة

(قال ابو محمد) وكذب هذا القول قد ظهر علانية فقد استوعبوا مدائن بني اسرائيل وغيرها ولم يروا ما وعدهم به من رجوعه بالقدرة علانية قبل ان يموت كل من بحضرته يومئذ، وحاش لله ان يكذب نبي فكيف اله؟ ففي هذا الفصل وحده كفاية لو كان ثم عاقل في ان الذين كتبوا هذه الاناجيل كانوا كذابين قوم سوء. فان قالوا فان في صحيح حديثكم ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال واشار الى غلام بحضرته من بني النجار ان استكمل هذا عمره ادرك الساعة فمات ذلك الغلام في حد الصبا، وانه كان يقول للاعراب اذا سألوه متى تقوم الساعة فيشير الى أصغرهم ويقول ان يستكمل هذا عمره لم يأته الموت حتى تقوم الساعة، قلنا هذا لفظ غلط فيه قتادة ومعبد بن هلال حدثا به عن انس على ما توهماه من معنى الحديث ورواه ثابت بن اسلم البناني عن انس كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه فقال. قامت عليكم ساعتكم، وهكذا رواه الثقاة أيضا عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ثابت عن انس وقال انه عليه السلام قال. ان هذا لا يستوفي عمره حتى تقوم عليه ساعتكم يعني وفاة اولئك المخاطبين له وهذا هو الحق الذي لا شك فيه، ولا خلاف في ان ثابتا البناني اثقف لالفاظ الاخبار من قتادة ومعبد، فكيف وقد وافقته ام المؤمنين؟ ونحن لا ننكر غلط الرواة اذا قام عليه البرهان انه خطأ، وقد صح في القرآن والاخبار الثابتة من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابنه وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم. انه لا يدري متى تقوم الساعة احد الا الله. ولو قال النصارى واليهود مثل هذا في نقلة كتبهم ما عنفناهم ولا انكرنا عليهم وجود الغلط في نقلهم. وانما ننكر عليهم ان ينسبوا يعني اليهود والنصارى الى الله تعالى الكذب البحت. ويقطعون انه من عند الله تعالى. وننكر على النصارى ان يجعلوا من صح عنه الكذب معصوما يأخذون عنه دينهم. وان يحققوا كل خبر متناقض وكل قضية يكذب بعضها بعضا ونعوذ بالله من الخذلان

فصل

وفي هذا الباب نفسه (١) ان المسيح قال لهم (لا تحسبوا اني جئت لادخل بين أهل الارض الصلح لا السيف وانما قدمت لأفرق بين المرء وابنه وبين الابنة وامها وبين الكنة وختنتها وان يعادي المرء أهل خاصته) وفي الباب الثاني عشر من انجيل لوقا ان المسيح قال لهم (انما قدمت لالقي في الارض نارا وانما اراد لي اشعالها

---

(١) في الاصحاح التاسع من انجيل متى: لا تظنوا اني جئت لالقي سلاما على الارض ما جئت لالقي سلاما بل سيفا فاني جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الانسان أهل بيته من أحب أبا أو أما اكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر فلا يستحقني الخ

والتعطش فيها جميعها وانا بذلك منتصب الى اتمامه اتظنون انى اتيت لاصلح بين أهل الارض لا ولكن لافرق بينهم فيكون خمسة مفترقين فى بيت ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة الاب على الولد والولد على الاب والابنة على الام والام على الابنة والختنة على الكنة والكنة على الختنة) فهذان فصلان كما ترى . وفى الباب التاسع من انجيل لوقا ان المسيح قال لهم (لم نبعث لتلف الانفس لكن لسلامتها) وفى الباب العاشر من انجيل يوحنا ان قال (من سمع كلامى ولم يحفظه فلست احكم انا عليه فاني لم آت لاحكم على الدنيا واعقبها لكن الى تبليغ أهل الدنيا

(قال أبو محمد) هذان الفصلان ضد الفصلين اللذين قبلهما وكل واحد من المعنيين يكذب الآخر صراحا . فان قيل انه انما أراد انه لم يبعث لتلف الانفس التى آمنت به . قلنا قد عم ولم يخص وبرهان بطلان تأويلكم هذا من انه انما عنى انه لم يبعث لتلف النفوس المؤمنة به انما هو نص هذا الفصل فى الباب التاسع من انجيل لوقا هو كما نورده ان شاء الله تعالى ، قال عن المسيح انه بعث بين يديه رسلا وجعلوا طريقهم على السامرية ليعدوا له بها فلم يقبلوه لتوجهه الى يرشلام ، فلما رأى ذلك يوحنا ويعقوب قالا له ياسيدنا أيوافقك أن تدعو فتنزل عليهم نارا من السماء وتحرق عامتهم كما فعل الياس فرجع اليهم وانتهرهم وقال (الذى انتم له أرواح لم يبعث الانسان لتلف الانفس لكن لسلامتها) ثم توجهوا الى حصن آخر

(قال أبو محمد) فارتفع الاشكال وصح انه لم يعن بالانفس التى بعث لسلامتها بعض النفوس دون بعض ، ولكن عنى كل نفس كافرة به ومؤمنة به لا كما يسمعون انما قال ذلك اذ أراد أصحابه هلاك الذين لم يقبلوه . فظهر تكاذب الكلام الاول وحاشي لله أن يكذب الرسول المسيح عليه السلام . لكن الكذب بلا شك من الفساق الاربعة الذين كتبوا تلك الاناجيل المحرفة المبدلة . ثم فى هذا الفصل نص جلى على انه مبعوث مأمور فصح انه نبى كما يقول أهل الحق ان كانوا اصدقوا فى هذا الفصل وبالله تعالى التوفيق

﴿فصل﴾ وفى الباب المذكور نفسه ان المسيح قال (من قبل نبيا على اسم نبى فانه يكافأ بمثل أجر النبى)

(قال أبو محمد) وهذا كذب ومحال لانه لا تفاضل للناس عند الله تعالى فى الآخرة الا باجورهم التى يعطيهم الله تعالى فقط لا بشيء آخر أصلا ، فن كان أجره فوق أجر غيره فهو بالضرورة أفضل منه والآخر بلاشك دونه ، ومن كان أجره مثل أجر آخر فهما بلا شك سواء فى الفضل ، هذا يعلم ضرورة بالحس ، فلو كان كل من اتبع نبيا له مثل أجر النبى لكان أهل الايمان كلهم فى الآخرة سواء لافضل لأحد على أحد عند الله تعالى ، وهذا يعلم انه كذب ومحال بالضرورة ، ولو كان هذا لوجب أن يكون أجر كل من النصارى مثل أجر باطرة والتلاميذ

وذكرنا اختلافهم فى موته فى حال حياة ابيه فنهم من قال انه مات وانما فائدة النص عليه انتقال الامامة منه الى اولاده خاصة كما نص موسى الى هارون عليهما السلام ثم مات هارون فى حال حياة اخيه وانما فائدة النص انتقال الامامة منه الى اولاده فان النص لا يرجع قهقرى والقول بالبدأ محال ولا ينص الامام على واحد من لده الا بعد السماع من آبائه والتعيين لا يجوز على الابهام والجهالة ومنهم من قال انه لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل ولهذا القول دلالات منها ان محمدا كان صغيرا وهو أخوه لامه مضى الى السرير الذى كان اسماعيل نائما عليه ورفع الملاءة فابصره وهو قد فتح عينه وعدا الى ابيه مفزعا وقال عاش اخى عاش اخي قال والده ان اولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة قالوا وما السبب فى الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ولم يعهد ميتا سجل على موته وعن هذا لما رفع الى المنصور ان اسماعيل ابن جعفر مر بالبصرة على مقعد فدعى فبرىء باذن الله بعث المنصور الى الصادق ان اسماعيل فى الاحيا وانه رأى بالبصرة انفذ السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينه * قالوا وبعد اسماعيل محمد ابن اسماعيل السابع التام وانما تم دور السبعة به ثم ابتدأ منه بالائمة المستورين الذين كانوا يسيرون فى البلاد ويظهرون الدعاة جهرا قالوا ولن تخلو الارض قط من امام حى قاهر اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهرا يجوز ان تكون حجته مستورة واذا كان الامام مستورا فلا بد ان تكون حجته ودعاته ظاهرين وقالوا انما الائمة تدور احكامهم على سبعة كايام الاسبوع والسموات السبع والكواكب السبع والنقباء تدور احكامهم على اثنى عشر قالوا وعن هذا وقعت الشبهة للامامية

القطعية حيث قرروا عدد النقباء للائمة ثم بعد الائمة المستورين كان ظاهر المهدي والقائم بامر الله واولادهم نصا بعد نص على امام بعد امام ومذهبهم ان من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة امام مات ميتة جاهلية وكانت لهم دعوة فى كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة واشهر القابهم الباطنية * وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم قوم فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية والملحدة وهم يقولون نحن اسماعيلية لانا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص ثم ان الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على ذلك المنهاج فقالوا فى البارى تعالى انا لا نقول هو موجود ولالاموجود ولاعالم ولاجاهل ولاقادر ولاعاجز وكذلك فى جميع الصفات فان الاثبات الحقيقى يقتضى شركة بينه وبين سائر الموجودات فى الجهة التى أطلقنا عليه وذلك تشبيه فلم يكن الحكم بالاثبات المطلق والنفى المطلق بل هو اله المتقابلين وخالق الخصمين والحاكم بين المتضادين ويقولوا فى

فصل

هذا ايضا عن محمد بن علي الباقر انه قال لما وهب العلم للعالمين قيل هو عالم ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر فهو عالم وقادر بمعنى انه وهب العلم والقدرة لا بمعنى انه قام به العلم والقدرة أو وصف بالعلم والقدرة فقيل فيهم انهم نفاة الصفات حقيقة معطلة الذات عن جميع الصفات قالوا وكذلك نقول فى القدم انه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته أبدع بالامر العقل الاول الذى هو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس الثاني الذى هو غير

وبولس ومارقش ولوقا وليس منهم أحد يقول بهذا ولايدخله فى الممكن . فكلهم متفق على ان الهم كذب ، وحاشى لله من أن يكذب نبي من أنبيائه أو رجل صادق من أهل الايمان وبالله تعالى التوفيق

-﴿فصل﴾- وفي الباب الثاني عشر (١) من انجيل متى ان المسيح قال وقد ذكر يحيى بن زكريا (انا اقول لكم انه أكثر من نبي وهو الذي قيل فيه وانا باعث ملكي بين يديك ليعد لك طريقك)

(قال أبو محمد) في هذا الفصل كذب في موضعين أحدهما قوله في يحيى انه أكثر من نبي وهذا محال لانه لايخلو يحيى وغير يحيى من الناس من أن يكون أوحى اليه أولم يوحى اليه ولاسبيل الى قسم ثالث فان كان أوحي اليه فهو نبي ولايمكن وجود أكثر من نبي فى الناس الا أن يكون رسولا نبياً ويحيى رسول الله باجماعهم وان كان لم يوح اليه فهذه منزلة يستوى فيها الكافر والمؤمن ولا يجوز أن يكون من لا يوحى الله اليه مثل من استخلصه الله عزوجل بالوحي اليه فكيف أن يكون أكثر هامنه والكذبة الثانية قوله ان يحيى هو الذى قيل فيه وانا باعث ملكي بين يديك لان يحيى على هذا القول ملك وهذا كذب بحت لانه انسان ابن رجل وامرأة عاش الى أن قتل وليس هذه صفة الملك ويحيى لم يكن ملكا وفى هذا الفصل لكن بعد هذا انه قال ان يحيى ادمي فهذا القول كذب على كل حال وحاشا لله أن يكذب نبي ولا رجل فاضل وصح ان متى الشرطى النذل هو الذى كذب فعليه ما على الكذابين أمثاله

-﴿فصل﴾- وفى الباب المذكور ان المسيح قال لهم (أمين (٢) أقول لكم لم يولد من الآدميين أحد أشرف من يحيى المعمدان ولكن من كان صغيراً فى ملكوت السماء فهو أكبر منه

(قال أبو محمد) تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم وقرة عيون الاعداء. وهو لايمكن ان يقوله ولا ينطق به صبى يرجى فلاحه ولا امة وكعاء الا ان تكون مدخولة العقل ، اثبت انه لم يولد فى الادميين اشرف من يحيى، واذا كان كما زعم ان الصغير فى ملكوت السماء اكبر من يحيى ، فكل من يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو اكبر من يحيى ، فوجب من هذا ان كل مؤمن من بنى آدم فهو افضل من يحيى ، وان يحيى ارذل واصغر من كل مؤمن ، فما هذا الهوس ؟ وما هذا الكذب ؟ وما هذه الغباوة السمجة فى الدين ؟ وكم هذا التناقض ؟ والله ماقال المسيح قط شيئاً من هذه الرعونة ، وما قالها الا الكذاب متى ونظراؤه عليهم لعنة الله ، ولقد كانوا فى غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين

---

(١) فى الاصحاح الحادى عشر من انجيل متى : نعم أقول لكم وأفضل من نبي فان هذا هو الذي كتب عنه ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيء طريقك قدامك (٢) أمين اى أنا أمين على الحق وهى فى معنى الترجمة الاخرى القائلة الحق أقول لكم

﴿ فصل ﴾ وفى الباب المذكور ان المسيح قال لهم (كل كتاب ونبوة فان منتهاها الى يحيي)

(قال ابو محمد) رضي الله عنه وفى هذا الفصل على صغره كذبتان أحدهما قوله قيل ان يحيي اكبر من نبي مع ما فى الانجيل من ان يحيي سئل فقيل له انبي أنت قال لا، وقال ههنا ان كل نبوة فان منتهاها الى يحيي، فمرة ليس هو نبيا، ومرة هو نبي آخر الانبياء، ومرة هو اكبر من نبي، تبارك الله كم هذا التخليط والكذب الفاحش، والاخرى قوله فيه ان كل نبوة فمنتهاها الى يحيي وليس بعد النهاية شيء فهو على هذا آخر الانبياء

(وفى الباب الرابع عشر) من انجيل متى ان المسيح قال لهم (انى باعث اليكم انبياء وعلماء ستقتلون منهم وتصلبون) فقد كذب القول بان يحيي آخر الانبياء ومنتهى النبوة اليه والنصارى مقرون بانه قد كان بعده انبياء وان نبيا اتى الى بولس فانذره بانه سيصلب ذكر ذلك لوقا فى الافركسيس فقد حصلوا على تكذيب المسيح فى قوله وفى بعض هذا كفاية

﴿ فصل ﴾ وفى الباب المذكور (١) ان المسيح قال لهم (اتاكم يحيي وهو لا يأكل ولا يشرب فقلتم هو مجنون ثم اتاكم ابن الانسان (يعنى نفسه) يأكل ويشرب فقلتم هذا صاحب خوان شروب للخمر خليع صديق المستخرجين والمذنبين)

(قال أبو محمد) رضي الله عنه فى هذا الفصل كذب وخلاف لقول النصارى، اما الكذب فانه قال ههنا ان يحيي كان لا يأكل ولا يشرب حتى قيل فيه انه مجنون من أجل ذلك، وفى الباب الاول من انجيل مارقش ان يحيي بن زكريا هذا كان طعامه الجراد والعسل الصحراوى وهذا تناقض واحد الخبرين كذب بلا شك، واما خلاف قول النصاري فانه ذكر ان يحيي كان لا يأكل ولا يشرب، وان المسيح كان يأكل ويشرب، وبلا شك ان من اغناه الله عز وجل عن الاكل والشرب من الناس فقد ابانه ورفع درجته عمن لم يغنه عن الاكل والشرب منهم، فيحيي افضل من المسيح بلا شك على هذا، وقصة ثالثة وهى اعتراف المسيح على نفسه بانه يأكل ويشرب وهو عنـدهم اله، فكيف يأكل الاله ويشرب؟ ما فى الهوس اكثر من هذا فان قالوا ان الناسوت منه هو الذى كان يأكل ويشرب، قلنا وهذا كذب منكم على كل حال، لانه اذا كان المسيح عنـدكم لاهوتا وناسوتا معا فهو شيئان، فان كان انما يأكل الناسوت وحده فانما أكل الشيء الواحد من جملة الشيئين ولم يأكل الآخر، فقولوا اذا أكل نصف المسيح وشرب نصف المسيح والا فقد

(١) فى الاصحاح العاشر من انجيل متى: لانه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان. جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة

تام ونسبة النفس الى العقل اما نسبة النطفة الى تمـام الخلقة والبيض الى الطير واما نسبة الولد الى الوالد والنتيجة الى المنتج واما نسبة الانثى الى الذكر والزوج الى الزوج قالوا ولما اشتاقت النفس الى كمال العقل احتاجت الي حركة من النقص الى الكمال واحتاجت الحركة الى آلة الحركة فحدثت الافلاك السموية وتحركت حركة دورية بتـدبير النفس وحدثت الطبائع البسيطة بعـدها وتحركت حركة استقامت بتـدبير النفس أيضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والانسان واتصلت النفوس الجزئية بالابدان وكان نوع الانسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الانوار وكان عالمه فى مقابلة العالم كله وفى العالم العلوي عقل ونفس كلى وجب أن يكون فى هذا العالم عقل شخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البـالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس مشخصة هو كل أيضا وحكمها حكم الطفل الناقص التوجه الى الكمال أو حكم النطفة المتـوجهة الى التمام أو حكم الانثى المزدوج الذكر ويسمونه الاساس وهو الوصي قالوا وكما تحركت الافلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع كذلك تحركت النفوس والاشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي فى كل زمان دائرا على سبعة سبعة حتى ينتهى الى الدور الاخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع وانما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس الى حال كمالها وكمالها بلوغها الى درجة العقل واتحادها به ووصولها الي مرتبة فعلا وذلك هو القيامة الكبرى فتنحل تراكيب الافلاك والعناصر والمركبات وتنشق السماء وتتناثر الكواكب وتبدل الارض غير الارض وتطوى السموات كطى السجل للكتاب المرقوم فيه ويحاسب الخلق

ويتميز الخير عن الشر والمطيع عن العاصي وتتصل جزئيات الحق بالنفس الكلي وجزئيات الباطل بالشيطان المبطل فمن وقت الحركة الى السكون هو المبدأ ومن وقت السكون الى مالانهاية له هو الكمال ثم قالوا ما من فريضة وسنة وحكم من أحكام الشرع من بيع واجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية الا وله وزان من العالم عددا في مقابلة عدد وحكما في مطابقة حكم فان الشرائع عوالم روحانية أمرية والعوالم شرائع جسمانية خلقية وكذلك التركيبات في الحروف والكلمات على وزان تركيبات الصور والاجسام والحروف المفردة نسبتها الى المركبات من الكلمات كالبسائط المجردة الى المركبات من الاجسام ولكل حرف وزان في العالم وطبيعة يخصها وتأثير من حيث تلك الخاصية في النفوس فمن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غذاء للنفوس كما صارت الاغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للابدان وقد قدر الله تعالى أن يكون غذاء كل موجود مما خلقه منه فعلى هذا الوزان صاروا الى ذكر أعداد الكلمات والآيات وان التسمية مركبة من سبعة واثنى عشر وان التهليل مركب من أربع كلمات في احدى الشهادتين وثلاث كلمات في الشهادة الثانية وسبع قطع في الاولى وست في الثانية واثنا عشر حرفا في الثانية وكذلك في كل آية أمكنهم استخراج ذلك مما لا يعمل العاقل فكرته فيه خفية الا ويعجز عن ذلك خوفا عن مقابلته بضده وهذه المقابلات كانت طريقة أسلافهم قد صنفوا فيها كتبا ودعوا الناس الى امام في كل زمان يعرف موازنات هذه العلوم ويهتدي الى مدارج هذه الاوضاع والرسوم ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الالزامات كلته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع وكان بدء

كذبتم بكل حال ، وكذب اسلافكم في قولهم أكل المسيح ، ونسبتم الى المسيح الكذب بخبره عن نفسه انه يأكل ، وانما يأكل نصفه لا كله ، والقوم انذال بالجملة

﴿ فصل ﴾ وفي الباب المذكور (١) ان المسيح قال (لا يعلم الولد غير الاب ولا يعلم الاب غير الولد)

(قال ابو محمد) رضي الله عنه هذا عجب جدا لان المسيح عندهم ابن الله بلا خلاف بينهم والله تعالى عن كفرهم هو والد المسيح وابوه وهكذا يطلق النذل باطرة في رسائله المنتنة متى ذكر الله فانما يقول قال الله والد ربنا المسيح امرا كذا وكذا ، ثم هاهنا قال ان المسيح قال انه لا يعلم الاب الا الابن ولا يعلم الابن الا الاب ، فقد وجب ضرورة ان التلاميذ وسائر النصارى لا يعلمون الله تعالى اصلا ، ولا يعرفون المسيح البتة ، فهم جهلاء بالله تعالى وبالابن ، ومن جهل الله تعالى ولم يعرفه فهو كافر فهم كفار كلهم اسلافهم واخلافهم ، أو كذب المسيح في هذا الكلام او كذب النذل متى لابد والله من احدها وقد اعاذ الله تعالى عبده ورسوله المسيح من الكذب فبقيت الاثنتان وهما والذي سمك السماء حق ان النصارى جهال بالله تعالى ، وان الشرطي متى ملفق جاهل ، فعلى جميعهم مايستحقون من الله ، ثم وفي هذا القول الملعون الذي اضافوه الى المسيح عليه السلام القطع بان الملائكة والانبياء السالفين كلهم ليس منهم أحد يعرف الله تعالى ، فاعجبوا لعظيم فسق هذا الاحمق متى وعظيم حماقة من قلده في دينه . ونحمد الله على السلامة كثيرا

﴿ فصل ﴾ وفي الباب المذكور (٢) ان بعض التوراريين قال للمسيح : يامعلم انا نريد ان تأتينا بآية فقال لهم المسيح (يانسل السوء ويانسل الزنا تسأنون آية ولا ترون منها آية غير آية يونس النبي فكما ان يونس النبي كان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال كذلك يكون ابن الانسان في جوف الارض ثلاثة ايام بلياليها

(قال أبو محمد) رضي الله عنه : لو لم يكن في انجيلهم الا هذا الفصل الملعون وحده لكفى في بطلان جميع اناجيلهم وجميع دينهم . فانه قد جمع عظيمتين . احداهما تحقيق انه لم يأت مخالفيه قط بآية . واقرار المسيح بذلك بزعمهم وان آياته التي يذكرون انما كانت

---

(١) في الاصحاح الحادي عشر من انجيل متى : كل شيء قد دفع الي من أبي وليس أحد يعرف الابن الا الآب ولا أحد يعرف الآب الا الابن

(٢) في الاصحاح الثاني عشر من انجيل متى . حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسين قائلين يامعلم نريد ان نرى منك آية فاجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال اه

صعوده الى قلعة الموت فى شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعدأن هاجر الى بلاد امامه وتلقى منه كيفية الدعوة لابناء زمانه فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين امام صادق قائم فى كل زمان وتميز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكتة وهو ان لهم اماماً وليس لغيرهم امام وانما يعود خلاصة كلامه بعد ترديد القول فيه عودا على بدء بالعربية والعجمية الى هذا الحرف ونحن ننقل ما كتبه بالعجمية الى العربية ولامعاب على الناقل والموفق من اتبع الحق واجتنب الباطل والله الموفق والمعين * فنبدأ بالفصول الاربعة التى ابتدأ الدعوة بها وكتبها عجمية فعربتها * قال للمفتى فى معرفة البارى تعالى احد قولين اما ان يقول اعرف البارى تعالى بمجرد العقل والنظر من غير احتياج الى تعليم معلم واما ان يقول لا طريق الى المعرفة مع العقل والنظر الا بتعليم معلم صادق قال ومن افتى بالاول فليس له الانكار على عقل غيره ونظره فانه متى انكر فقد علم والانكار تعليم ودليل على ان المنكر عليه يحتاج الى غيره قال والقسمان ضروريان فان الانسان اذا افتى بفتوى او قال قولا فاما ان يقول من نفسه اومن غيره وكذلك اذا اعتقد عقدا فاما ان يعتقده من نفسه اومن غيره هذا هو الفصل الاول وهو كسر على أصحاب الرأى والعقل وذكر فى الفصل الثانى انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم افيصلح كل معلم على الاطلاق ام لابد من معلم صادق قال ومن قال انه يصلح كل معلم ماساغ له الانكار على معلم خصمه واذا انكر فقد سلم انه لابد من معلم معتمد صادق قيل وهذا كسر على أصحاب الحديث وذكر فى الفصل الثالث انه اذا ثبت الاحتياج الى معلم صادق افلا بد من معرفة المعلم اولا والظفر به ثم التعلم منه ام جاز التعلم من كل معلم من غير تعيين شخصه وتبيين صدقه والثانى رجوع الى

خفية وفى السر بحضرة النزر القليل الذين اتبعوه . ومثل هذا لاتقوم به حجة على المخالف او تحقيق الكذب على المسيح فى انه يخبر انهم لايرون آية وهو يريهم الآيات . لابد من احداهما . والفصل الثانى وهو الطامة الكبرى حكايتهم عن المسيح انه قال عن نفسه كما بقى يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها كذلك يبقى هو فى جوف الارض ثلاثة ايام بلياليها . وهذه كذبة شنيعة لاحيلة فيها . لانهم مجمعون وفى جميع اناجيلهم انه دفن قرب مغيب الشمس من يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت . وقام من القبر قبل الفجر من ليلة الاحد . فلم يبق فى جوف الارض الاليلة وبعض اخرى ويوما ويسيرا من يوم ثان فقط وهذه كذبة لاخفاء بها فيما اخبر به المسيح لابد منها . أو كذب أصحاب الاناجيل وهم أهل الكذب وحسبنا الله

﴿ فصل ﴾ وفى الباب الثالث عشر من انجيل متى ان المسيح قال يشبه ملكوت السماء بحبة خردل القاها رجل فى فدانه وهى أدق الزراريع كلها فاذا نبتت استعلت على جميع البقول والزراريع حتى ينزل فى اغصانها طير السماء ويسكن اليها(١)

(قال ابو محمد) حاشى للمسيح عليه السلام ان يقول هذا الكلام . لكن النذل الذى قاله كان قليل البصارة بالفلاحة . وقد رأينا نبات الخردل ورأينا من رآه فى البلاد البعيدة فما رأينا قط ولااخبرنا من رأى شيئا منه يمكن ان يقف عليه طائر . ومثل هذه المسامحات لاتقع لنبى اصلا فكيف لله عز وجل

﴿ فصل ﴾ وفى آخر الباب المذكور ان المسيح رجع الى بلاده وجعل يوصى جماعتهم يوصايا يعجبون منها . وكانوا يقولون من أين أوتى هذه العلوم وهذه القدرة اما هذا ابن الحداد (٢) وامه مريم واخوته يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا واخوته اما هؤلاء كلهم عندنا فمن أين اوتى هذا . وكانوا يشكون فيه فقال لهم يسوع (ليس يعدم النبى حرمته الا فى بيته وبلده) ولتشككهم وكفرهم لم يطلع فى ذلك الموضع عجايب كثيرة . وفى الباب الخامس من انجيل مارقش قال . وكانت الجماعة تسمع منه وتعجب منه العجب الشديد من وصيته . ويقولون من اين أوتى هذا وماهذه الحكمة التى رزقها ومن اين هذه الاعاجيب التى ظهرت على يديه اليس هو ابن الحداد وابن مريم اخو يوسف ويعقوب وشمعون ويهوذا اليس اخواته هن هاهنا معنا ؟ وكان يقول لهم يسوع (ليس

---

(١) فى الاصحاح الثالث عشر من متى . قدم لهم مثلا آخر قائلا . يشبه ملكوت السموات حبة خردل اخذها انسان وزرعها فى حقله وهى أصغر جميع البزور ولكن متى نمت فهى أكبر البقول وتصير شجرة حتى ان طيور السماء تأتى وتتآوى فى اغصانها اه

(٢) هو يوسف النجار او يوسف الحداد خطيب السيدة مريم

الاول ومن لم يمكنه سلوك الطريق الا بمقدم ورفيق فالرفيق ثم الطريق وهو كسر على الشيعة وذكر فى الفصل الرابع ان الناس فرقتان فرقة قالت يحتاج فى معرفة البارى تعالى الى معلم صادق ويجب تعيينه وتشخيصه اولا ثم التعلم منه وفرقة أخذت فى كل علم من معلم وغـير معلم وقد تبين بالمقدمات السابقة ان الحق مع الفرقة الاولى فرأسهم يجب أن يكون رأس المحققين واذا تبين أن الباطل مع الفرقة الثانية فرؤساؤهم يجب ان يكونوا رؤساء المبطلين قال وهذه الطريقة التى عرفتنا الحق بالحق معرفة مجملة ثم نعرف بعد ذلك الحق بالمحق معرفة مفصلة حتى لا يلزم دوران المسائل وانما عنى بالحق هاهنا الاحتياج وبالمحق المحتاج اليه وقال بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجوب اى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز فى الجائزات قال والطريق الى التوحيد وكذلك حذو القذة بالقذة ثم ذكر فصولا فى تقرير مذهبـه اما تمهيدا واما كسرا على المـذاهب وأكثرها كسر والزام واستدلال بالاختلاف على البطلان وبالاتفاق على الحق * منهـا فصل الحق والباطل والصغير والكبير يذكر ان فى العالم حقا وباطلا ثم يذكر ان علامة الحق هى الوحدة وعلامة الباطل هى الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأى والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأى مع الفرق المختلفة وهى مع رؤسائهم وجعل الحق والباطل والتشابه بينهما من وجه والتمايز بينهما من وجه التضاد فى الطرفين والترتب فى احد الطرفين ميزانا يزن به جميع مايتكلم فيه * قال وانما أنشأت هذا الميزان من كلمة الشهادة وتركيبها من النفى والاثبات أو النفى والاستثناء. قال فما هو مستحق النفى باطل وماهو مستحق الاثبات حق ووزن بذلك الخير والشر

يكون نبى بغير حرمة الا فى وطنه وبين عشيرته وفى أهل بيته) وليس كان يقوى ان يفعل هنالك آية لـكن وضع يديه على مرضى قليل فأبرأهم وفى الباب الثامن من انجيل لوقا (فلما دخل والد المسيح البيت) وبعد هذا بيسير قال (فـكان يعجب منه ابوه وامه) وبعده بيسير قول مريم امه له فقد (طلبك ابوك وانا معه) وفى الباب السابع منه اقبلت اليه امه واخوته وفى الباب الثامن عشر من انجيل يوحنا وبعد هذا نزل الى كفرناحوم ومعه امه واخوته وتلاميذه . وفى الباب السابع من انجيل يوحنا وكان اخوته لا يؤمنون به (قال أبو محمد) فى هذه الفصول ثلاث طوام نذكرها طامة طامة ان شاء تعالى ، أولهـا اتفاق الاناجيل الاربعـة على انه كان له والد معروف من الناس واخوة وأخوات سمى الاخوة باسمائهم وهم أربعة رجال سـوى الاخوات ، ولا يعول فى ذلك الا على اقرار أمه بان له والدا طلبه معها وهو يوسف الحداد أو النجار ، فاما أمه فقد اتفقنا نحن واليهود وجمهور النصارى على أنها حملت به حمل النساء وولدته كما تلد النساء أولادهن الا طائفة من النصارى قالت لم تحمل به ، ولـكن دخل من أذنها وخرج من فرجها فى الوقت كالماء فى الميزاب ، ولـكن بقى علينا أن نعرف كيف تقول أمه عليها السلام عن النجار أو الحداد أنه أبوه ووالده ؟ فان قالوا ان زوج الام يسمى فى اللغة أبا قلنا هبكم ان هذا كذلك كيف العمل فى هؤلاء الذين اتفقت الاناجيل على أنهم اخوته واخواته وانمـا هم أولاد يوسف النجار أو الحداد ؟ وما وجد قط فى اللغة العبرانيـة ان ولد الربيب من غير الام يسمى أخا ، الا أن يقولوا ان مريم ولدتهم من النجار ، فقد قال هـذا طائفة من قدمائهم منهم يليان مطران طليطلة ، ونحن نبرأ الى الله تعالى مما يقول هؤلاء الكفرة أن يكون لاله معبود أم أو خال أو خالة أو ابن خالة أو ربيب أو أخ أو أخت ، وتبـا لعقول يدخل هذا فيها من أن لله تعالى ربيبا هو زوج أمه ، وليس يمكنهم أن يقولوا انما أراد كتاب الانجيل انهم اخوته فى الايمان والدين ، لان يوحنا قد رفع الاشكال فى ذلك : وقال ومعه اخوته وتلاميذه فجعلهم طبقتين وقال أيضا : ان اخوته كانوا لا يؤمنون به وتالله لولا انا شاهدنا النصارى ما صدقنا ان من يلعب بقذره وما يخرج من سفله يصدق بشىء من هذا الحمق ، ولكن تبارك من أرانا بهذا انه لا ينتفع أحد ببصره ولا بسمعه ولا بتمييزه الا أن يهديه خالق الهدى والضلال ، نسأل الله الذى هدانا لملة الاسلام البيضاء الواضحة السليمة من كل ما ينافره العقل أن لا يضلنا بعـد اذ هدانا حتى نلقاه على ملة الحق ونحلة الحق ومذهب الحق ناجين من خلل الكفر ونحل الضلال ومذاهب الخطأ . وفى كل ما أوردنا بيـان واضح فى ان الذين ألفوا الاناجيل كانوا عيارين مستخفين بمن أضلوه متلاعبين بالدين ، والطامة الثانية اقرارهم بان المسيح لم يكن

يقوى

يقوي فى ذلك المكان على آية ، ولوكان لهم عقل لعلموا أن هذه ليست صفة اله يفعل ما يشاء ، بل صفة عبد مخلوق مدبر لا يملك من امره شيئا كما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم * قل انما الآيات عند الله * والثالثة اقرارهم ان المسيح سمعهم ينسبونه الى ولادة الحداد وانه أبوه ولم ينكر ذلك عليهم ، فقد حققوا عليه أحد شيئين لا ثالث لهما البتة ، اما انه سمع الحق من ذلك فلم ينكره ، وفي هذا ما فيه من خلاف قولهم جملة ، واما انه سمع الباطل والكذب فاقر عليه ولم ينكره ، وهذه صفة سوء وتلبيس فى الدين (قال أبو محمد) وفى هذه الفصول مما لم يطلق الله تعالى ايديهم على تبديله من الحق قوله (لايعدم النبي حرمته الا فى وطنه واهل بيته) فياعقول الاطفال ويا ادمغة الاوز لو عقلتم أما كان يكفيكم أن تقولوا فيه ما قال فى نفسه ، وما شهد العيان بصدقه وصحته فيه ، وتتركوا الرعونة التى لم تقدروا منذ الف عام (١) على بيان ما تعتقدونه منها بقلوبكم ، ولا قدرتم على العبارة عنها بالسنتكم ، وكلما رمتم وجها من وجوه النوك انفتق عليكم باب منه لا قبل لكم به ونعوذ بالله من الضلال

﴿فصل﴾ وفى الباب السادس عشر من انجيل متى ان المسيح قال لباطرة (اليك أبرأ بمفاتيح السموات فكل ما حرمته فى الارض يكون محرما فى السموات وكل ما أحللته على الارض يكون حلالا فى السموات) وبعد هذا الكلام باربعة اسطر ان المسيح قال لباطرة نفسه متصلا بالكلام المذكور (تبعني يا مخالف ولا تعارضني فانك جاهل بمرضاة الله وانما تدري مرضاة الآدميين)

(قال ابو محمد) فى هذا الفصل على قلته وانه قليل ومنتن كبعض مايشبهه مما نكره ذكره سوءتان عظيمتان ، احداهما انه برء الى باطرة النذل بمفاتيح السموات وولاه خطة الالوهية التى لاتجوز لغير الله تعالى وحده لاشريك له ، من ان كل ماحرمه فى الارض كان حراما فى السموات وكل ما حلله فى الارض كان حلالا فى السموات ، والثانية انه إثر براءته اليه بمفاتيح السموات وتوليته خطة الربوبية اما شريكا لله تعالى فى التحريم والتحليل واما منفردا دونه عز وجل بهذه الصفة ، قال له فى الوقت انه مخالف معارض له جاهل بمرضاة الله عز وجل لايدرى الا مرضاة الادميين ، فوالله لئن كان صدق فى الآخرة لقد خرق فى الاولى ، اذ ولى مالا ينبغى الا لله تعالى ، جاهلا بمرضاة الله مخالفا له لايدرى الا ارضاء الناس ، وان هذه لسوءة الابد ، اذ من هذه صفته لايصلح أن يبرأ اليه بمفاتيح كنيف أو بيت زبل . ولئن كان صدق واصاب في الاولى لقد كذب فى الثانية . ووالله ماقال المسيح قط شيئا مما ذكروا عنه في الاولى . لانها مقالة كافر شر خلق الله عز وجل . ومايبعد انه

(١) من رسالة المسيح الى عهد المؤلف

والصدق والكذب وسائر المتضادات ونكتته أن يرجع فى كل مقالة وكلمة الى اثبات المعلم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معا حتى يكون توحيدا وان النبوة هي النبوة والامامة معا حتى تكون نبوة وهذا هو منتهي كلامه وقد منع العوام عن الخوض فى العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف (٣١) كيفية الحال فى كل كتاب ودرجة الرجال فى كل علم ولم يتعد باصحابه فى الالهيات عن قوله ان الهنا اله محمد * قال أنا وانتم تقولون الهنا اله العقول اى ماهدي اليه عقل كل عاقل فان قيل لواحد منهم ماتقول فى البارى تعالى وانه هل هو واحد أم كثير عالم قادر أم لا لم يجب الا بهذا القدر ان الهى اله محمد وهو الذي ارسل رسوله بالهدى والرسول هو الهادى اليه وكم قد ناظرت القوم على المقدمات المذكورة فلم يتخطوا عن قولهم أفنحتاج اليك أو نسمع هذا منك او نتعلم عنك وكم قد ساهلت القوم فى الاحتياج وقلت اين المحتاج اليه وايش يقدر لى فى الالهيات وماذا يرسم في المعقولات اذ المعلم لا يعنى لعينه وانما يعنى ليعلم وقد سددتم باب العلم وفتحتم باب التسليم والتقليد وليس يرضي عاقل بان يتقلد مذهبا على غير بصيرة وان يسلك طريقا من غير بينة فكانت مبادي الكلام تحكيمات وعواقبها تسليمات فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * (أهل الفروع المختلفون فى الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية) * اعلم أن أصول الاجتهاد وأركانه اربعة تعود الى اثنين الكتاب والسنة والاجماع والقياس وانما تلقوا صحة هذه الاركان وانحصارها من اجماع الصحابة وتلقوا اصل الاجتهاد والقياس وجوازه منهم ايضا فان العلم بالتواتر قد حصل انهم اذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال او حرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدءوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيه نصا ظاهرا

تمسكوا به واجروا حكم الحادثة على مقتضاه وان لم يجدوا فيه نصا فزعوا الى السنة فان روى لهم فى ذلك خبر اخذوا به ونزلوا على حكمه وان لم يجدوا الخبر فزعوا الى الاجتهاد فكانت الاركان الاجتهادية عندهم اثنين أو ثلاثة ولنا بعدهم أربعة اذ وجب علينا الاخذ بمقتضى اجماعهم واتفاقهم (٣٢) والجرى على مناهج اجتهادهم وربما كان اجماعهم على حادثة اجماعا اجتهاديا وربما كان اجماعا مطلقا لم يصرح فيه بالاجتهاد وعلى الوجهين جميعا فالاجماع حجة شرعية لاجماعهم على التمسك بالاجماع ونحن نعلم ان الصحابة الذين هم الائمة الراشدون لا يجتمعون على ضلال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تجتمع أمتي على الضلالة) ولكن الاجماع لا يخلو عن نص خفي أو جلي قد اختصه لانا على القطع نعلم أن الصدر الاول لا يجمعون على أمر الا عن ثبت وتوقيف فاما أن يكون ذلك النص في نفس الحادثة قد اتفقوا على حكمها من غير بيان ما يستند اليه حكمها واما أن يكون النص فى أن الاجماع حجة ومخالفة الاجماع بدعة وبالجملة مستند الاجماع نص خفى أو جلى لا محالة والا فيؤدى الى اثبات الاحكام المرسلة ومستند الاجتهاد والقياس هو الاجماع وهو أيضا مستند الى نص مخصوص فى جواز الاجتهاد فرجعت الاصول الاربعة فى الحقيقة الى اثنين وربما يرجع الى واحد وهو قول الله تعالى * وبالجملة نعلم قطعا ويقينا ان الحوادث والوقائع فى العبادات لم والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعد ونعلم قطعا أيضا انه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضا والنصوص اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد ثم لا يجوز أن يكون الاجتهاد مرسلا خارجا عن ضبط الشرع فان القياس المرسل

قال له الكلام الثانى . فهو والله كلام حق يشهد به المنافق على اللعين باطرة شاه وجهه. وعليه سخط الله وغضبه . ثم عجب ثالث انا قد ذكرنا قبل اوفى الباب الثاني عشر من انجيل متى ان المسيح اشرك مع باطرة في هذه الخطة التى افرده بها هاهنا سائر الاثنى عشر تلميذا ، وفى جملتهم السارق الكافر الذى دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما اخذها منهم ، وانه قال لجميعهم (ماحرمتموه فى الارض كان حراما فى السموات وما حللتموه فى الارض كان حلالا فى السموات) فياليت شعرى كيف يكون الحال ان اختلفوا فيما ولا بد من ذلك فاحل بعضهم شيئا وحرمه آخر منهم ؟ كيف يكون الحال فى السموات وفى الارض ؟ لقد يقع اهلها مع هؤلاء السفلة فى شغل وفى حرمة وحل معا ، فان قيل لا يجوز ان يختلفوا ، قلنا سبحان الله واى خلاف اعظم من تحليل يهوذا اسلامه الى اليهود ؟ واخذه ثلاثين درهما رشوة على ذلك الا ان كان عزله عن خطة الالهية بعد ان ولاه اياها . فلعمرى ان من قدر ان يوليها انه لقادر على العزل عنها . ولعمرى لقد رذلت هذه المنزلة عند هؤلاء الارذال حقا . اذ يليها السراق ومن لا خير فيه . ثم يعزلون عنها بلا مؤونة تعالى الله . والله لو دكت الجبال والارض دكا . وخرت السموات الملا . وصعق كل ذي روح عند سماع كفر هؤلاء الخساس (١) لما كان ذلك بكبير وحسبنا الله ونعم الوكيل . ولا يخلو هذا القول من احد وجهين لا ثالث لهما . اما انه اراد ان باطرة والتلاميذ المولين (٢) هذه الخطة لا يحللون شيئا ولا يحرمون الا بوحي من الله عز وجل . فان كان هذا فقد كذب فى قوله الذي ذكرنا قبل ان كل نبوة فنتهاها الى يحيى بن زكريا . لان هؤلاء انبياء على هذا القول . واما انه اراد انه قد جعل لباطرة (٣) واصحابه ابتداء الحكم فى التحريم والتحليل من عند انفسهم بلا وحى من الله تعالى . فيجب على هذا انهم متى حرموا شيئا حرمه الله تعالى اتباعا لتحريمهم . ومتى حللوا شيئا حلله الله تعالى اتباعا لتحليلهم . فلئن كان هكذا فانها لخطة خسف . ونرى باطرة النذل واصحابه الاوغاد قد صاروا حكاما على الله تعالى ولقد صار عز وجل تابعا لهم . وحاشى لله تعالى من هذا كله . ومانرى باطرة المنتن واصحابه الرذلة حصلوا من مفاتيح السموات ومن خطة الالهية الا على حلق اللحى بالنتف وعلى ضرب الظهور بالسياط والصلب ، اما باطرة فدبره الى فوق ورأسه الى أسفل والحمد لله رب العالمين (قال أبو محمد) ليعلم كل مسلم ان هؤلاء الذين يسمونهم النصارى ويزعمون انهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام كباطرة ومتى الشرطى ويوحنا ويعقوب ويهوذا الاخساء

(١) الخساس بالكسر جمع خسيس وهم الارذال وقوله صعق كل ذى روح اى أخذته الصيحة فمات (٢) المولين جمع مولى اسم مفعول من ولى (٣) باطره هو شمعان بطرس كما تقدم

لم يكونوا قط مؤمنين ، فكيف حواريين ؟ بل كانوا كذابين مستخفين بالله تعالى ، اما مقرين بالاهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيه كغلو السبئية (١) وسائر فرق الغالية في علي رضي الله عنه وكقول الخطابية بالاهية ابي الخطاب وأصحاب الحلاج بالهية الحلاج وسائر كفار الباطنية عليهم اللعنة من الله والغضب ، واما مدسوسين من قبل اليهود كما تزعم اليهود لافساد دين أتباع المسيح عليه السلام واضلالهم كانتصاب عبد الله بن سبا الحميري والمختار ابن أبي عبيد وأبي عبد الله العجاني وأبي زكريا الخياط وعلي النجار وعلي بن الفضل الجندي وسائر دعاة القرامطة والمشارقة لاضلال شيعة علي رضي الله عنه ، فوصلوا من ذلك الى حيث عرف وسلم الله من ذلك من لم يكن من الشيعة واما الحواريون الذين اثنى الله عليهم فأولئك اولياء الله حقا ندين الله عز وجل بحبهم ، ولا ندري اسماءهم لان الله تعالى لم يسمهم لنا ، الا اننا نبت ونوقن ونقطع بأن باطرة الكذاب ومتى الشرطي ويوحنا المستخف ويهوذا ويعقوب النذلين ومارقس الفاسق ولوقا الفاجر وبولس الجاهل ما كانوا قط من الحواريين ، لكن من الطائفة التي قال الله فيها (وكفرت طائفة) وبالله تعالى التوفيق

﴿فصل﴾ وفي آخر الباب السادس عشر من انجيل متى (وأعلم يسوع من ذلك الوقت تلاميذه بما ينبغي له أن يفعله من دخول يرشلام وحمل العذاب من أكابر أهلها وعلمائهم وقتلهم له وقيامه في الثالث فخلا به باطرة وقال له تعني عن هذا ياسيدي ولا يصيبك منه شيء) وفي الباب السابع عشر (٢) من انجيل متى (ان المسيح قال لتلاميذه سيبلى ابن الانسان في أيدي الناس ويقتل ويحيا في الثالث ــ يعني نفسه ــ فحزنوا لذلك حزنا شديداً) وفي أول الباب الثامن (٣) من انجيل مارقش ان المسيح قال لتلاميذه (ان ابن الانسان سيبلى

---

(١) نسبته الى عبد الله بن سبأ قيل انه كان يهوديا فاسلم وأظهر الاسلام للافساد في الدين نفاه علي الي المدائن لانه قال له أنت الاله حقا وقال في علي انه لم يمت ولم يقتل وانما قتل ابن ملجم شيطانا تصور بصورة علي قال وهو في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد هذا الى الارض ويملؤها عدلا ومتبعوه يقولون عند سماع الرعد عليك السلام ياأمير المؤمنين كما يؤخذ من شرح المواقف

(٢) عبارة ترجمة انجيل متى في الاصحاح السادس عشر . من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب الى اورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم (٣) في الاصحاح التاسع من انجيل مرقس لانه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم ان ابن الانسان يسلم الى أيدي الناس فيقتلونه وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث واما هم فلم يفهموا القول وخافوا ان يسألوه . ومثله في الاصحاح الثامن منه مع اختلاف في العبادة

شرع آخر واثبات حكم من غير مستند وضع آخر والشارع هو الواضع للاحكام فيجب على المجتهد أن لا يعدوا في اجتهاده عن هذه الاركان وشرائط الاجتهاد خمسة معرفة صدر صالح من اللغة بحيث يمكنه فهم لغات العرب والتمييز بين الالفاظ الوضعية والمستعارة والنص والظاهر والعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل وفحوى الخطاب ومفهوم الكلام وما يدل على مفهومه بالمطابقة وما يدل بالتضمن وما يدل بالاستتباع فان هذه المعرفة كالآلة التي بها يحصل الشيء ومن لم يحكم الاله والاداة لم يصل الى تمام الصنعة ثم معرفة تفسير القرآن خصوصاً مايتعلق بالاحكام وماورد من الاخبار في معاني الآيات ومارأى من الصحابة المعتبرين كيف سلكوا مناهجها واي معنى فهموا من مدارجها ولو جهلوا تفسير سائر الآيات التي تتعلق بالمواعظ والقصص قيل لم يضره ذلك في الاجتهاد فان من الصحابة من كان لايدري تلك المواعظ ولا يتعلم بعد جميع القرآن وكان من أهل الاجتهاد ثم معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها والاحاطة باحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها والاحاطة بالوقائع الخاصة فيها وماهو عام ورد في حادثة خاصة وماهو خاص عمم في الكل حكمه ثم الفرق بين الواجب والندب والاباحة والخطر والكراهة حتى لايشذ عنه وجه من هذه الوجوه ولا يختلط عليه باب بباب ثم معرفة مواقع اجماع الصحابة والتابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع اجتهاده في مخالفة الاجماع ثم التهدي الى مواضع الاقيسة وكيفية النظر والتردد فيها من طلب اصل اولا ثم طلب معنى مخيل يستنبط منه فيعلق الحكم عليه او شبه مغلب على الظن فيلحق الحكم به فهذه خمس شرائط لابد من اعتبارها حتى يكون

المجتهد مجتهدا واجب الاتباع والتقليد في حق العامي والا فكل حكم لم يستند الى قياس واجتهاد مثل ماذكرنا فهو مرسل مهمل قالوا فاذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ويكون الحكم الذي ادى اليه اجتهاده سائغاً في الشرع ووجب على العامي تقليده والاخذ بفتواه (٣٤) وقد استفاض الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بعث معاذا الى اليمن قال يا معاذ بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد رأى قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضاه وقد روى عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضياً الى اليمن قلت يارسول الله كيف اقضى بين الناس وانا حديث السن فضرب رسول الله بيده صدري وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين ثم اختلف أهل الاصول في تصويب المجتهدين في الاصول والفروع فعامة أهل الاصول على ان الناظر في المسائل الاصولية والاحكام العقلية اليقينية القطعية يجب ان يكون متعين الاصابة فالمصيب فيها واحد بعينه ولا يجوز ان يختلف المختلفان في حكم عقلي حقيقة الاختلاف بالنفي والاثبات على شرط التقابل المذكور بحيث ينفي احدهما مايثبته الآخر بعينه من الوجه الذي يثبته في الوقت الذي يثبته الاوان يقتسما الصدق والكذب والحق والباطل سواء كان الاختلاف بين أهل الاصول في الاسلام أو بين أهل الملل والنحل الخارجة عن الاسلام فان المختلف فيه لايحتمل تواردالصدق والكذب والصواب والخطأ عليه في حالة واحدة وهو مثل قول احد المخبرين زيد في هذه الدار في هذه الساعة وقول الثاني ليس زيد في هذه الدار في هذه الساعة فانا نعلم

في أيدي الآدميين فيقتلونه فاذا قتل يقوم في اليوم الثالث وأمام فلم يفهموا مراده بهذا الكلام)

وفي قرب آخر الباب الثامن (١) من انجيل لوقا ان المسيح قال للاثني عشر تلميذا : انا متصعد الى يرشلام وتكمل كل ما نبأت به الانبياء عن ابن الانسان ويسيروز به الى الاجناس يستهزؤن به ويجلدونه ويبصقون فيه وبعد جلدهم اياه يقتلونه ويحيا في اليوم الثالث فلم يفهموا عنه مما القى اليهم شيئا وكان هذا عندهم معقدا لايفهمونه

(قال أبو محمد) رضي الله عنه في هذه الفصول ثلاث كذبات من طوام الكذب ، احداها اتفاق الاناجيل المذكورة كما أوردنا على ان المسيح أخبرهم عن نفسه انه يقتل، وجميع الاناجيل الاربعة متفقة عند ذكرهم لصلبه على انه مات على الخشبة حتف انفه ولم يقتل أصلا ، الا ان في بعضها انه طعنه بعد موته احد الشرط برمح في جنبه فخرج من الطعنة دم وماء وفي هذا اثبات الكذب على المسيح لاتفاقهم كما اوردنا على انه اخبرهم بانه يقتل واتفاقهم كلهم على انه لم يقتل ، وهذه سوءة جدا وحاشى لله أن يكذب نبي أو ينذر بباطل ، هذه علامة الكذابين لا علامة أهل الصدق ، وثانيها اتفاق الاناجيل المذكورة كما أوردنا على انه قال (ويقوم في الثالث) ثم اتفقت الاناجيل كلها على انه لم يحي ولا قام الا في الليلة الثانية ، فانه دفن في آخر يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت . وحسبك انهم ذكروا انه لم يحنط استعجالا لئلا تدخل عليهم ليلة السبت . وانه أقام ليلة الاحد قبل الفجر . وهذه كذبة فاحشة نسبوها الى المسيح وحاشى له من مثلها . وكذبة ثالثة وهي اخبار متى انهم فهموا مراده بهذا القول وانهم حزنوا حزنا شديدا لذلك وان باطرة قال له تعفى عن هذا ياسيدي ولا يصيبك منه شيء . واخبار مارقس ولوقا انهم لم يفهموا مراده بهذا الكلام وهذا تكاذب فاحش لايجوز ان يقع من صادقين . فكيف من معصومين ؟ فلاح يقينا عظيم الكذب من الذين وضعوا هذه الاناجيل . وانهم كانوا فساقا لاخير فيهم وبالله تعالى التوفيق

﴿ فصل ﴾ وفي الباب السابع عشر من انجيل متى ان المسيح قال لتلاميذه (لئن كان لكم ايمان على قدر حبة الخردل لتقولن للجبل ارحل من هنا فيرحل ولا يتعاصى عليكم شيء) وقبله متصلا به ان تلاميذه عجزوا عن ابراء رجل به جن وان المسيح ابرأه وان تلاميذه قالوا له لم عجزنا نحن عن ابرائه قال لتشككم ، وفي الباب الحادي عشر من انجيل متى ان المسيح دعا على شجرة تين خضراء فيبست من وقتها فعجب التلاميذ فقال لهم المسيح (امين اقول لكم لئن آمنتم ولم تشكوا ليس تفعلون هذا في التينة وحدها لكن متى قلتم لهذا الجبل انقلع وانطرح في البحر تم لكم) وفي الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا

(١) ماذكره هنا موجود في الاصحاح التاسع لا الثامن في موضعين منه

قطعا ان أحد المخبرين صادق والثاني كاذب لان المخبر عنه لايحتمل اجتماع الحالتين فيه معا فيكون زيد فى الدار ولا يكون فى الدار لعمري قد يختلف المختلفان فى مسئلة ويكون محل الاختلاف مشتركا وشرط تقابل القضيتين فاقدا فحينئذ يمكن ان يصوب المتنازعان ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك أو يعود النزاع الى أحد الطرفين مثال ذلك المختلفان فى مسئلة الكلام ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفى والاثبات فان الذى قال هو مخلوق أراد به ان الكلام هو الحروف والاصوات فى اللسان والرقوم والكلمات فى الكتابة قال وهذا مخلوق والذى قال ليس بمخلوق لم يرد به الحروف والرقوم وانما أراد معنى آخر فلم يتوارد بالتنازع فى الخلق على معنى واحد وكذلك فى مسئلة الرؤية فان النافى قال الرؤية اتصال شعاع بالمرئى وهو لايجوز فى حق البارى تعالى والمثبت قال الرؤية ادراك أو علم مخصوص ويجوز تعلقه بالبارى تعالى فلم يتوارد النفى والاثبات على معنى واحد الا اذا رجع الكلام الى اثبات حقيقة الرؤية فيتفقان أولا على انها ماهى ثم يتكلمان نفيا واثباتا وكذلك فى مسئلة الكلام يرجعان الى اثبات ماهية الكلام ثم يتكلمان نفيا واثباتا والا فيمكن ان يصدق القضيتان وقد صار ابو الحسن العنبرى الى ان كل مجتهد ناظر فى الاصول مصيب لانه ادى ما كلف من المبالغة فى تسديد النظر والمنظور فيه وان كان متعينا نفيا واثباتا الا انه أصاب من وجه وانما ذكر هذا فى الاسلاميين من الفرق واما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص والاجماع على كفرهم وخطائهم وكان سياق مذهبهم يقتضي تصويب كل ناظر مجتهد على الاطلاق الا ان النصوص والاجماع صدته عن تصويب كل ناظر وتصديق كل قائل وللاصوليين خلاف فى تكفير أهل الاهواء مع

ان المسيح قال لتلاميذه (من آمن بى سيفعل الافاعيل التى أفعلها انا وسيفعل أعظم منها)

(قال أبو محمد) رضي الله عنه : فى هذه الفصول ثلاث طوام من الكذب عظيمة ، لايخلوا لتلاميذ المذكورون ثم هؤلاء الاشقياء بعدهم الى اليوم من ان يكونوا مؤمنين بالمسيح او غير مؤمنين ، ولاسبيل الى قسم ثالث ، فان كانوا مؤمنين فقد كذب المسيح فيما وعدهم به فى هذه الفصول جهارا ، وحاشى له من الكذب ، وما منهم احد قط قدر ان تأمر له ورقة فكيف على قلع جبل والقائه فى البحر ؟ وان كانوا غير مؤمنين به فهم باقرارهم هذا كفار ولاخير فى كافر ولايجوز ان يصدق كافر ولا أن يؤخذ الدين عن كافر ولابد لهم من أن يجيبوا اذا سألناهم : أفى قلوبكم مقدار حبة خردل من ايمان ام لا وتؤمنون بالمسيح ام لا ؟ فان قالوا نعم نحن مؤمنون به والايمان فى قلوبنا ، قلنا كذب المسيح يقينا فيما اخبر به من أن من فى قلبه مقدار حبة خردل من ايمان يأمر الجبل بان ينقلع فينقلع ، والله ما منكم أحد يقدر على تيبيس شجرة بدعائه ولا على قلع جبل من موضعه ، وان قالوا ليس فى قلوبنا قدر حبة خردل من ايمان ولا نحن مؤمنون به ، قلنا صدقتم والله حقا * انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون * صدق الله عز وجل وانبياؤه وكذب متى وباطرة ويوحنا ومارقش ولوقا وسائر النصارى وهم الكذابون ، ولقد قلت هذا لبعض علمائهم فقال لى انما عنى شجرة الخردل التى تعلو على جميع الزراريع حتى يسكن الطير فيها ، فقلت له لم يقل فى الاناجيل مثل شجرة الخردل ، انما قال مثل حبة الخردل ، وقد وصفها المسيح باقرارهم بانها ادق الزراريع ، وأيضا فانه ليس الا مؤمن او كافر ، واما الشاك فانه متى دخل الايمان شك بطل وحصل صاحبه فى الكفر ، فكيف ولم يدعنا المسيح باقرارهم فى شك من هذا التأويل الفاسد ، بل زعموا انه قال لهم لتشككم (لئن كان لكم ايمان قدر حبة الخردل لتقولن للجبل) وقال فى انجيل يوحنا كما أوردنا (لئن آمنتم ولم تشكوا) فانما أراد بيقين بهذه النصوص التصديق الذى هو خلاف الشك لا غاية العمل الصالح ، وقال كما أوردنا فى انجيل يوحنا من آمن بى سيفعل الافاعيل التى افعل انا ، فمن هذا الايمان به سألنا كم : أفى قلوبكم هو أم لا ؟ فقولوا ما بدا لكم

(قال أبو محمد) وأما أنا فلو سمعت هذا القول ممن يدعى النبوة لما ترددت فى اليقين بانه كذاب ووالله ما قالها المسيح قط ولا اخترع هذا الكذب الا اولئك السفلة متى ويوحنا وأمثالهم والعجب كله اقرار متى فى الفصل المذكور كما أوردنا ان المسيح قال له ولاصحابه انهم انما عجزوا عن ابراء المجنون لشكهم ، فشهد عليهم بالشك وانه لو كان لهم ايمان لم يعجزوا عن ذلك ، فلا يخلوا المسيح عليه السلام فيما حكوا عنه من الكذب ان يكون كاذبا او صادقا فان كان كاذبا فهذه صفة سوء والكاذب لا يكون نبيا فكيف الها ؟ وان كان صادقا فان

قطعهم بان المصيب واحد بعينه لان التكفير حكم شرعى والتصويب حكم عقلى فمن مبالغ متعصب لمذهبه كفر وضلل مخالفه ومن متساهل متألف لم يكفر ومن كفر قرب كل مذهب ومقالة بمقالة واحد من أهل الاهواء والملل كتقريب القدرية بالمجوس وتقريب المشبهة باليهود والرافضة بالنصارى فأجرى حكم هؤلاء فيهم من المناكحة و اكل الذبيحة ومن ساهل ولم يكفر قضى بالتضليل وحكم انهم هلكى فى الآخرة واختلفوا فى اللعن على حسب اختلافهم فى التكفير والتضليل وكذلك من خرج على الامام الحق بغيا وعدوانا فان كان صدر خروجه عن تأويل واجتهاد سمى باغيا مخطئا ثم البغى هل يوجب اللعن فعند أهل السنة اذا لم يخرج بالبغى عن الايمان لم يستوجب اللعن وعند المعتزلة يستحق بحكم فسقه والفاسق خارج عن الايمان وان كان صدر خروجه عن البغى والحسد والمروق عن اجماع المسلمين استحق اللعن باللسان والقتل بالسيف والسنان واما المجتهدون فى الفروع فاختلفوا فى الاحكام الشرعية من الحلال والحرام ومواقع الاختلاف مظان غلبات الظنون بحيث يمكن تصويب كل مجتهد فيها وانما يبتنى ذلك على اصل وهو انا نبحث هل لله تعالى حكم فى كل حادثة أم لا فمن الاصوليين من صار الى أن لاحكم لله فى الوقائع المجتهد فيها حكما بعينه قبل الاجتهاد من فماتبه جواز وحظر بل وفى كل حركة يتحرك بها الانسان حكم تكليف من تحليل وتحريم وانما يرتاده المجتهد بالطلب والاجتهاد اذ الطلب لابدله من مطلوب والاجتهاد يجب أن يكون فى شيء الي شيء فالطلب المرسل لايعقل ولهذا يتردد المجتهد بين النصوص والظواهر والعمومات وبين المسائل المجمع عليها فيطلب الرابطة المعنوية او التقريب من حيث الاحكام والصور حتى يثبت فى

الذين اخذوا عنهم دينهم ويسمونهم تلاميذ وانهم فوق الانبياء كفار شكاك ، فكيف يأخذون دينهم عن كفار شكاك ؟ لامخرج لهم من أحداها ولولم تكن الاهذه فى اناجيلهم كلها لكفت فى أبطالها وابطال جميع مام عليه من دينهم المنتن ثم العجب كله كيف يشهد عليهم بالشك وم يحكون انه قدولاهم خطة الالهية وولاهم رتبة الربوبية فى ان كلما حرموه فى الارض كان حراما فى السموات وكلما حللوه فى الارض كان حلالا فى السموات ؟ فكيف يجتمع هذا مع هذا وهل يأتي بهذا التناقض من دماغه سالم أو فيه آفة يسيرة ؟ بل هذا والله توليد أفاك كاذب ، واختراع عيار متلاعب . ونعوذ بالله عزوجل من الخذلان

﴿ فصل ﴾ في قرب آخر الباب الثامن عشر (١) من انجيل متى ان المسيح قال لتلاميذه (اذا اجتمع اثنان منكم على أمر فليس يسألان شيئا على الارض الا أجابهم اليه أبى السماوى وحيث اجتمع اثنان أوثلاثة على اسمى فانا متوسطهم)

(قال أبو محمد) هذا الفصل ظريف جدا وكذب لايمطل(٢) ظهوره . ولايخلو ان يكون عنى بهذه المخاطبة تلاميذه خاصة . او كل من آمن به . واى الامرين كان فهو كذب ظاهر ومايشك احد فى ان تلاميذه سالوا ان يجيبهم من دعوه الى مادعوه اليه من دينهم . وان يتخلص من فتن من أصحابه فما أعطاهم شيئا من ذلك الذى سماه اباه السماوى * فان قيل لم يسألون قط شيئا من ذلك ، قلنا هذه طامة أخرى لئن كان هذا فهم غاشون للناس غير مريدين لصلاحهم بل ساعون فى هلاكهم ، هيهات هذه منزلة مااعطاها الله تعالى قط احدا من خلقه . صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اذ أخبرنا ان ربه تعالى قال له * سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم * واخبرنا عليه السلام انه دعا ان لايجعل بأسنا بيننا بعده فلم يجبه الله تعالى الى ذلك . هذا هوالحق الذى لامزيد فيه والقول الذى صحبه الصدق . والحمد لله رب العالمين لم يفخر بما لم يعط . ولاانزل نفسه فوق قدرها صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وفى الباب المذكور (٣) ان المسيح قال لهم (وان اساء اليك أخوك المؤمن

---

(١) فى الاصحاح الثامن عشر . وأقول لكم أيضا ان اتفق اثنان منكم على الارض فى اى شيء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل ابى الذى فى السموات لانه حيث اجتمع اثنان أوثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم (٢) اى لايدفع ظهوره

(٣) عبارته فى الاصحاح الثامن عشر . وان أخطأ اليك اخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما . ان سمع منك فقد ربحت أخاك ، وان لم يسمع فخذ معك أيضا واحدا أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة . وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار اه والمراد بالكنيسة الجماعة المؤمنون بعيسى

المجتهد فيه مثل ماتلقاه في المتفق عليه ولو لم يكن له مطلوب معين كيف يصح منه الطلب على هذا الوجه فعلى هذا المذهب المصيب واحد المجتهدين في الحكم المطلوب وان كان الثاني معذورا نوع عذر اذلم يقصر فى الاجتهاد ثم هل يتعين المصيب أم لا فأكثرهم علي انه لايتعين فالمصيب واحد لابعينه ومن الاصوليين من فصل الامر فيه فقال ينظر فى المجتهد فيه ان كان مخالفة النص ظاهرة فى أحد المجتهدين فهو المخطئ بعينه خطاء لايبلغ تضليلا والمتمسك بالخبر الصحيح والنص الظاهر مصيب بعينه وان لم يكن مخالفة النص ظاهرة فلم يكن مخطئا بعينه بل كل واحد منهما مصيب فى اجتهاده وأحدهما مصيب فى الحكم لابعينه هذه جملة كافية فى أحكام المجتهدين فى الاصول والفروع والمسئلة والقضية معضلة ثم الاجتهاد من فروض الكفايات لامن فروض الاعيان حتى اذا استقل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع وان قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه وأشرفوا علي خطر عظيم فان الاحكام الاجتهادية اذا كانت مرتبة على الاجتهاد ترتيب المسبب علي السبب ولم يوجد السبب كانت الاحكام عاطلة والآراء كلها قائلة فلا بد اذاً من مجتهد واذا اجتهد المجتهدان وأدى اجتهاد كل واحد منهما الى خلاف ماأدى اليه اجتهاد الآخر فلا يجوز لاحدهما تقليد الآخر وكذلك اذا اجتهد مجتهد واحد فى حادثة وأدى اجتهاده الى جواز أوحظر ثم حدثت تلك الحادثة بعينها فى وقت آخر فلا يجوز له أن يأخذ باجتهاده الاول اذ يجوز أن يبدو له فى الاجتهاد الثاني ماأغفله في الاول وأما العامي فيجب عليه تقليد المجتهد وانما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأله عنه هذا هو الاصل الأن علماء الفريقين لم يجوزوا أن يأخذ العامي الحنفي الا بمذهب أبي حنيفة والعامي الشفعوي الا بمذهب الشافعي لان الحكم بأن لامذهب للعامي وان مذهبه

فعاتبه وحدك فيما بينك وبينه فان سمع منك فقد ربحته وان لم يسمع فخذ الى نفسك رجلا أو رجلين لكيما تثبت كل كلمة بشهادة شاهدين أو ثلاثة فان لم يسمع فاعلم بخبره الجماعة فان لم يسمع من الجماعة فليكن عندك بمنزلة المجوسى والمستخرج) ثم بعده باسطار يسيرة قال (وعند ذلك تدانى اليه باطرة وقال له ياسيدى فان اساء الى أخى اتأمرني ان اغفر له سبعا فقال له يسوع لست أقول لك سبعا ولكن سبعين فى سبعة)

(قال أبو محمد) هذه ضد قوله في الثالثة فليكن عندك بمنزلة المجوسى والمستخرج ولاسبيل الى الجمع بينهما

﴿ فصل ﴾ وفى الباب الموفى عشرين من انجيل متى (ان ام ابنى سبدى اقبلت اليه مع ولديها فخنت ورغبت اليه فقال لها ماتريدين فقالت له احب ان تقعد ابنى هذين احدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فى ملكك فقال يسوع تجهلان السؤال أتصبران على شرب الكاس التى اشرب فقالا نصبر فقال لهما ستشربان بكاسي وليس الى تجليسكما عن يمينى وشمالى الالمن وهب ذلك الى ابي

(قال أبو محمد) ففى هذا الفصل بيان انه ليس اليه من الامر شىء وانه غير الاب كما يقولون بخلاف دينهم ، فاذ هو غير الاب وكلاهما اله فهما الهان اثنان متغايران أحدهما قوى والآخر ضعيف لانه باقراره ليس له قدرة علي تقريب أحد الالمن وهب له ذلك الذى يسمونه ابا وليت شعري كيف يجتمع ماينسبون اليه ههنا من الاعتراف بانه ليس بيده ان يجلس احدا عن يمينه ولاعن شماله وانما هو بيد الله تعالى ؟ مع ماينسبون اليه من انه قدر على اعطاء مفاتيح السموات والارض لانذل من وجد وهو باطرة ، وانه يفعل كل مايفعله الاب ، وان الله تعالى قد تبرأ اليه من الحكم ، وان الله تعالى ليس يحكم بعد علي أحد ، وسائر تلك الفضائح المهلكة مع تكاذبها وتدافعها وشهادتها بانها ليست من عند الله ولامن عند نبي أصلا لكن توليد كذاب كافر ونعوذ بالله تعالى

﴿ فصل ﴾ وفى الباب الحادى والعشرين من انجيل متى (فلما تدانى المسيح من برشلام (١) وكان فى موضع يقال له بيت فاجى جوار جبل الزيتون بعث رجلين من تلاميذه وقال لهما امضيا الى الحصن الذى يقابلكما وستجدان فيه حمارة مربوطة يفلوها (٢)

أى ان لم يسمع من جماعة الرؤساء المعبر عنهم بالكنيسة فليكن عندك كالوثنى وهو الذى يعبد الوثن ونظير المجوسى الذى يعبد النار والعشار الذى يأخذ للحاكم عشر الاموال ومثله المستخرج وهو الذى يأخذ الخراج ومافرض على الناس من الضرائب

(١) هى اورشليم (٢) الفلو الجحش الذى فصل عن الرضاع وفطم

مذهب المفتي يؤدي الى خلط وخبط فلهذا لم يجوزوا ذلك واذا كان مجتهدان في بلد اجتهد العامي فيهما حتى يختار الافضل والاورع ويأخذ بفتواه واذا أفتى المفتي على مذهبه وحكم به قاض من القضاة على مقتضى فتواه ثبت الحكم على المذاهب كلها وكان القضاء اذا اتصل بالفتوى ألزم الحكم كالقبض مثلا اذا اتصل بالعقد ثم العامي باى شيء يعرف ان العالم قد وصل الى حد الاجتهاد وكذلك المجتهد نفسه متى يعرف انه قد استكمل شرائط الاجتهاد ففيه نظر ومن أصحاب الظاهر مثل داود الاصفهاني وغيره ممن لم يجوز القياس والاجتهاد في الاحكام وقال الاصول هو الكتاب والسنة والاجماع فقط ومنع ان يكون القياس أصلا من الاصول وقال اول من قاس ابليس وظن ان القياس امر خارج عن مضمون الكتاب والسنة ولم يدر انه طلب حكم الشرع من مناهج الشرع ولم ينضبط قط شريعة من الشرائع الا باقتران الاجتهاد به لان من ضرورة الانتشار في العالم الحكم بان الاجتهاد معتبر وقد رأينا الصحابة كيف اجتهدوا وكم قاسوا خصوصا في مسائل الميراث من توريث الاخوة مع الجد وكيفية توريث الكلالة وذلك مما لا يخفى على المتدبر لاحوالهم ثم المجتهدين من ائمة الامة محصورون في صنفين لا يعدوان الى ثالث أصحاب الحديث وأصحاب الرأى أصحاب الحديث وهم أهل الحجاز هم أصحاب مالك بن انس الباب وأصحاب محمد بن ادريس الشافعي وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب أحمد بن حنبل وأصحاب داود بن علي بن محمد الاصفهاني وانما سموا أصحاب الحديث لان عنايتهم بتحصيل الاحاديث ونقل الاخبار وبناء الاحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا أو أثرا وقد قال الشافعي رضي الله عنه اذا وجدتم لي مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبي فاعلموا

حلا عنهما واقبلا الى بهما فان تعرضكما احد فقولا ان السيد يريدهما فيدعكما من وقته وكان ذلك ليتم به قول النبي القائل قولوا لابنة صهيون سيأتيك ملكك متواضعا على حمارة وابن اتان فتوجه التلميذان وفعلا كما امرهما به واقبل بالحمارة وفلوها وألقيا ثيابهما عليهما وأجلساه من فوقهما وفي الباب التاسع (١) من آخر انجيل مارقش (فلما بلغ المسيح بيت فاجي عند جبل الزيتون ارسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى الحصن الذى بحيالكما فاذا دخلتما ستجدان فلو مربوطا لم يركبه بعد أحد من الآدميين حلاه واقبلا به الى فان قال لكما احد ماهذا الذى تفعلان فقولا له ان السيد المسيح يحتاج اليه فيخليه لكما فانطلقا ووجدا الفلو مربوطا قبالة رحبة الباب في زقاقين فحلاه فقال لهما بعض الوقوف هنالك مالكما تحلان الفلو فقالا له كالذى امرهما يسوع فتركوه لهما وساقا الفلو الى يسوع وحملا عليه ثيابهما وركب من فوق)

(قال أبو محمد) فهاتان قضيتان كل واحدة منهما تكذب الاخرى، متى يقول ركب حمارة وفلوها ومارقش يقول ركب فلوا، والعجب كله من استشهادهم لذلك بقول النبي يأتيك ملكك راكبا على حمارة وابن اتان، وماكان المسيح قط ملك يرشلام، فهذه كذبة اخرى، واظرف شيء استشهادهم لصحة امره بركوبه حمارة، أتراه لم يدخل قط يرشلام انسان على حمارة سواه؟ هذه والله مضحكة من مضاحك السخفاء! ولقد اخبرني الحسين ابن بقي صاحبنا نور الله وجهه انه وقف عالما من علمائهم على هذا الفصل قال: فقال انما هذا رمز والحمارة هي التوراة، قال فاضحكني قوله وقلت له فالانجيل هو الفلو، قال فسكت وعلم انه أتى بما يوجب السخرية منه

﴿فصل﴾ وفي الباب الثالث عشر من انجيل متى ان يسوع قال لهم اذا قام الناس من الاموات لا يتزوجون ولا يتناكحون لكنهم يكونون كامثال ملائكة الله في السماء) وفي

---

(١) في الاصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس. ولما قربوا من اورشليم الى بيت فاجي وبيت عينا عند جبل الزيتون ارسل اثنين من تلاميذه وقال لهما اذهبا الى القرية التي أمامكما فللوقت وانتما داخلان اليها تجدان جحشا مربوطا لم يجلس عليه أحد من الناس فحلاه وأتيا به وان قال لكما أحد لماذا تفعلان هذا فقولا الرب محتاج اليه فللوقت يرسله الى هنا فمضيا ووجدا الجحش مربوطا عند الباب خارجا على الطريق فحلاه فقال لهما قوم من القيام هناك ماذا تفعلان تحلان الجحش فقالا لهما كما أوصي يسوع فتركوهما فاتيا بالجحش الى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه انتهي

ان مذهبي ذلك الخبر ومن أصحابه ابوابراهيم اسماعيل بن يحيي المزني والربيع بن سليمان الجيزي وحرملة بن يحيي النجيبي والربيع المرادي وابويعقوب البويطي والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ومحمد بن عبد الله بن عبدالحكم المصري وابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي وهم لا يزيدون علي اجتهاده اجتهادا بل يتصرفون فيما نقل عنه توجيها واستنباطا ويصدرون عن رأيه جملة ولا يخالفونه البتة أصحاب الرأى وهم أهل العراق هم أصحاب ابي حنيفة النعمان بن ثابت ومن أصحابه محمد بن الحسن وابو يوسف يعقوب بن محمد القاضي وزفر بن هزيل والحسن بن زياد اللؤلؤي وابن سماعة وطافية القاضي وابومطيع البلخي وبشر المريسي وانما سموا أصحاب الرأى لان عنايتهم بتحصيل وجه من القياس والمعني المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها وربما يقدمون القياس الجلي علي احاد الاخبار وقد قال ابو حنيفة رحمه الله علمنا هذا رأى وهو احسن ما قدرنا عليه فمن قدر علي غير ذلك فله مارأى ولنا ما رأينا وهؤلاء ربما يزيدون علي اجتهاده اجتهادا ويخالفونه في الحكم الاجتهادي والمسائل التي خالفوه فيها معروفة وبين الفريقين اختلافات كثيرة في الفروع ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات وقد بلغت النهاية في مناهج الظنون حتى كأنهم أشرفوا علي القطع واليقين وليس يلزم بذلك تكفير ولا تضليل بل كل مجتهد مصيب كما ذكرنا الخارجون عن الملة الحنيفية والشريعة الاسلامية ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام وهم قد انقسموا الى من له كتاب محقق مثل التوراة والانجيل وعن هذا يخاطبهم التنزيل يا أهل الكتاب والى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية فان الصحف التي أنزلت علي ابراهيم عليه السلام قد رفعت الى السماء لاحداث أحدثها المجوس ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم وننحي بهم

الباب السادس والعشرين من انجيل متى وأيضا في الباب الثاني عشر (١) من انجيل مارقش ان المسيح قال لتلاميذه ليلة أخذه (لا شربت بعدها من نسل الزرجون (٢) حتى أشربها معكم جديدة في ملكوت الله) وفي الباب الرابع عشر (٣) من انجيل لوقا ان المسيح قال للحواريين الاثني عشر (أنتم الذين صبرتم معي في جميع مصائبي فاني الخص لكم الوصية على ما لخصها لي أبي لتطعموا وتشربوا علي مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على عروش حاكمين علي اثني عشر سبطا من بني اسرائيل)

(قال أبو محمد) ففي الفصل الاول ان الناس في الآخرة لا ينتنا كحون ، وفي الفصول الثلاثة بعده ان في الجنة أكلا وشربا للخبز والخمر علي الموائد ، والنصارى ينكرون كل هذا ولا مؤونة عليهم في تكذيبهم للمسيح مع اقرارهم بعبادتهم له وانه ربهم ، لاسيما وفي الفصل الاول ان الناس في الجنة كالملائكة ، وفي التوراة التي يصدقون بها ان الملائكة أكلت عند لوط وعند ابراهيم الفطاير واللحم واللبن والسمن ، واذا كانت الملائكة يأكلون والناس في الجنة مثلهم فالناس في الجنة يأكلون ويشربون بلا شك بموجب التوراة والانجيل ، ولاسيما قد أخبروا ان المسيح بعد أن مات ورجع الى الدنيا ولقي تلاميذه طلب منهم ما يأكل فأتوه بحوت مشوى فأكل معهم وشرب شراب عسل بعد موته ، فاذا كان الآله يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل ، فأي فكرة في شرب الناس وأكلهم في الجنة ؟ واذا كان الله تعالى عندهم اتخذ ولدا من امرأة اصطفاها ، فأي عجب في اتخاذ الناس النساء في الجنة ؟ وهذا هو طبعهم الذي ينام الله عليه الأن في رعونة هؤلاء النوكى لعبرة لمن اعتبر والحمد لله رب العالمين . وعجب آخر وهو وعده الاثني عشر تلميذا بانهم يقعدون على عروش حاكمين على الاثني عشر سبطا من بني اسرائيل . فوجب ضرورة كون يهوذا الاشخريوطي فيهم . ولا يجوز أن يخاطب بهذا أصحابه دونه . لانه قد أوضح انهم اثنا عشر علي اثني عشر سبطا من بني اسرائيل ، فوجب ضرورة كونه فيهم وهو الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهما . فلابد من انه لم يذنب في ذلك . وهذا كذب لانه قد قال في مكان آخر (ويل لذلك الانسان الذي كان أحب اليه لو لم يخلق) او كذب المسيح في هذا الوعد المذكور لابد من احداهما

(١) في الاصحاح الرابع عشر من انجيل مرقس : الحق أقول لكم اني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة الي ذلك اليوم حينما أشربه جديدا في ملكوت الله اه ونظيره في الاصحاح ٢٦ من متى (٢) الزرجون بفتح الزاى والراء الكرم (٣) في الاصحاح الثاني والعشرين من انجيل لوقا : أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي وانا أجعل لكم كما جعل أبي ملكوتا لتأكلوا وتشربوا علي مائدتي في ملكوتي وتجلسوا علي كراسي تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر اه وليس في الاصحاح الرابع عشر منه شيء

نحو اليهود والنصارى اذهم من أهل الكتاب ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم فان الكتاب قد رفع عنهم فنحن نقدم ذكر أهل الكتاب لتقدمهم بالكتاب ونؤخر ذكر من له شبهة كتاب * أهل الكتاب الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب والاميون والامى من لا يعرف الكتابة (٤٠) فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة وأهل الكتاب كانوا ينصرون دين الاسباط ويذهبون مذهب بنى اسرائيل والاميون كانوا ينصرون دين القبائل ويذهبون مذهب بنى اسماعيل ولما انشعب النور الوارد من آدم عليه السلام الى ابراهيم ثم الصادر عنه على شعبين شعب في بنى اسرائيل وشعب فى بنى اسماعيل وكان النور المنحدر منه الى بنى اسرائيل ظاهرا والنور المنحدر منه الى بنى اسماعيل مخفيا كان يستدل على النور الظاهر بظهور الاشخاص واظهار النبوة في شخص شخص ويستدل على النور المخفي بابانة المناسك والعلامات وستر الحال فى الاشخاص وقبلة الفرقة الاولى بيت المقدس وقبلة الفرقة الثانية بيت الله الحرام وشريعة الاولى ظواهر الاحكام وشريعة الثانية رعاية المشاعر الحرام وخصماء الفريق الاول الكافرون مثل فرعون وهامان وخصماء الفريق الثاني المشركون مثل عبدة الاصنام والاوثان فتقابل الفريقين وصح التقسيم بهذين المتقابلين * اليهود والنصارى * هاتان الامتان من كبار أمم أهل الكتاب والامة اليهودية أكبر لأن الشريعة كانت لموسي عليه السلام وجميع بنى اسرائيل كانوا متعبدين بذلك مكلفين بالتزام احكام التوراة والانجيل النازل على المسيح عليه السلام لم يختص احكاماً ولا استبطن حلالا وحراما ولكنه رموز وامثال ومواعظ ومزاجر وماسواها من الشرائع والاحكام فمحالة على التوراة كما سنبين فكانت اليهود لهذه القضية

﴿فصل﴾ وفى الباب الثالث والعشرين (١) من انجيل متى (ان المسيح كاشف علماء بنى اسرائيل وقال ماتقولون فى المسيح وابن من هو قالوا هو ابن داود فقال لهم كيف يسميه داود بالروح إلها حيث كتب قال الله لالهي اقعد على يميني حتى أجعل من أعدائك كرسيا بقدميك فان كان داود يدعوه الها فكيف يكون هو ولده فلم يقدر منهم أحد على مراجعته)

(قال أبو محمد) هذا هو الحق من قول المسيح عليه السلام ولقد أنكر عليه السلام المنكر حقا والعجب ان هؤلاء الانذال المنتمين الى اتباعه عليه السلام لا يختلفون فى الاحتجاج بهذا الفصل المذكور وهو عليه السلام قد أنكر أن يكون المسيح ابن داود وهم يسمونه فى الاناجيل كلها بانه ابن داود فاعجبوا

﴿فصل﴾ وفى الباب المذكور ان المسيح قال لتلاميذه (أنتم اخوان ولا تنتسبوا الى أب على الارض فان أباكم السماوي واحد)

(قال أبو محمد) في هذا الفصل فضيحتان عظيمتان ، احداهما اخباره ان الله تعالى هو أبو التلاميذ . فتراه مثله سواء بسواء . فلم خصه النصارى بأن يقولوا انه ابن الله دون أن يقولوا عن تلاميذه متى ذكروهم انهم أبناء الله ؟ تعالى الله عن هذا الكفر وعن أن يكون أبا أو ابناً والاخرى قوله لهم لا تنتسبوا الى أب على الارض . والنصارى والاناجيل يطلقون ان شمعون بن يونا . ويعقوب ويوحنا ابنا سبذى . ويهوذا ويعقوب ابنا يوسف . فقد أقروا بثباتهم على معصية المسيح اذ نهاهم أن ينتسبوا الى أب على الارض . وهم ملازمون مخالفة أمره فى ذلك متدينون بعصيانه

﴿فصل﴾ وفى الباب الرابع (٢) والعشرين من انجيل متى ان المسيح أنذر تلاميذه بما يكون فى آخر الزمان من الزلازل والبلاء وقال لهم (فادعوا ان لا يكون هروبكم فى شتاء ولا فى سبت)

(قال أبو محمد) هذا بيان واضح بلزومهم حفظ السبت الى انقضاء أمرهم والى حلول الزلازل بهم ، وهم على خلاف ذلك ، هذه أمة لا عقول لهم

﴿فصل﴾ وفى الباب المذكور (٣) ان المسيح قال لهم (سيثور مسحاء كذبة وأنبياء كذبة

(١) فى آخر الاصحاح الثانى والعشرين منه : وفيما كان الفريسون مجتمعين سألهم يسوع قائلا ماتظنون فى المسيح . ابن من هو . قالوا له ابن داود قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا . قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه . فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة (٢) عبارة المترجم فى الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى : وصلوا لكيلا يكون هربكم فى شتاء ولا سبت

(٣) مراده به الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى ونص عبارة المترجم فيه : لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا اه وهي بعينها نص عبارة انجيل مرقس فى الاصحاح الثالث عشر منه

كذبة ويعطون العجائب العظيمة والآيات حتى يغلط من يظن به الصلاح) وفى الباب الثالث عشر من انجيل مارقش (سيقوم مسيحون كذابون وأنبياء كذابون ويأتون بالآيات والبدائع ليخدعوا ان أمكن أيضا المختارين)

(قال أبو محمد) هذا الفصل مع الفصل الاخير الذى فى توراة اليهود فى السفر الخامس الذى نصه (ان اطلع فيكم نبي وادعى انه رأى رؤيا وأتاكم بخبر مايكون وكان ماوصفه ثم قال لكم بعد اتبعوا الهة الاجناس فلا تسمعوا له) مع الفصل الذى فيه من التوراة (ان السحرة عملوا مثل ماعمل موسي فى قلب العصا حية واحالة الماء دما والمجيء بالضفادع) كاف (١) فى ابطال ماأتي به موسى والمسيح عليهما السلام وكل نبي يقرون بنبوته ، لانه اذا جاز أن يأتي نبي كاذب بالمعجزات . وأمكن أن يكذب النبي الصادق فيما ينذر به ، وأمكن أن يعمل السحرة مثل شيء من آيات نبي ، فقد امتزج الحق بالباطل . ولم يكن الي تمييز أحدهما من الا خر طريق أصلا . وهذا افساد الحقائق وابطال موجب الحق وتكذيب الحواس . واذا أمكن عند اليهود والنصارى ماذكرناه مما في توراتهم وأناجيلهم ، فالذي يؤمنهم من أن موسي عليه السلام والمسيح وسائر أنبيائهم انما كانوا سحرة وكاذبين ؟ شهد نابالله شهادة الحق ان هذه الفصول المذكورة من عمل برهمي مكذب بالنبوة جملة أوماني مكذب بنبوة الانبياء المذكورين عليهم السلام . وان موسى وعيسى عليهما السلام لم يقولا قط شيئا مما فى هذه الفصول الخبيثة الملعونة . وأما نحن فلا نجيز البتة أن يكذب نبي ولا أن يأتي غير نبي بمعجزة ولا ساحر ولا كذاب ولا صالح الصناعة . فان قيل انكم تقولون ان الدجال يأتي بالمعجزات قلنا حاش لله من هذا . وما الدجال الا صاحب عجائب كابي العجائب ولا فرق . انما هو محيل يتحيل بحيل معروفة كل من عرفها عمل مثل عمله ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المغيرة بن شعبة سأله هل مع الدجال نهر ماء وخبز ونحو ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهون على الله من ذلك . وصح أيضا عنه عليه السلام ان الدجال صاحب شبه وبالله التوفيق

(فصل) وفى الباب المذكور (٢) ان المسيح (قال وأما ذلك اليوم وذلك الوقت لايدرى أحد بهما الا الملائكة ولا أحد غير الاب وحده) وفى الباب الثالث عشر من انجيل مارقش

---

(١) هو خبر لقوله هذا الفصل مع الفصل الاخير الخ

(٢) مراده به الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى وعبارته : واماذلك اليوم وتلك الساعة فلايعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات الا أبى وحده . واما مرقس فقال فى الاصحاح الثالث عشر : واماذلك اليوم وتلك الساعة فلايعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الاب

لم ينقادوا لعيسى عليه السلام وادعوا عليه انه كان مامورا بمتابعة موسى وموافقة التوراة فغير وبدل وعدوا عليه تلك التغيرات منها تغيير السبت الى الاحد ومنها تغييرا كل الخنزير وكان حراماً فى التوراة ومنها الختان والغسل وغير ذلك والمسلمون قد بينوا ان الامتين قد بدلوا وحرفوا والا فعيسى كان مقررا لما جاء به موسى عليه السلام وكلاهما مبشران بمقدم نبينا نبي الرحمة صلوات الله عليهم اجمعين وقد أمرهم ائمتهم وأنبياؤهم وكتابهم بذلك وانما بنى اسلافهم الحصون والقلاع بقرب المدينة لنصرة رسول آخر الزمان فامروهم بمهاجرة اوطانهم بالشام الى تلك القلاع والبقاع حتى اذا ظهر وعلن الحق بعد ان هاجروا الى يثرب هجروه وتركوا نصره وذلك قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) * وأما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع الابحكمة * اذ كانت اليهود تقول (ليست النصارى على شيء وكانت النصاري تقول ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) وكان النبي عليه السلام يقول * لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل * وماكان يمكنهم اقامتها الا باقامة القرآن وتحكيم نبي الرحمة رسول آخر الزمان فلما أبو ذلك ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله * اليهود خلاصة هادالرجل أى رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك اي رجعنا وتضرعنا وهم أمة موسي وكتابهم التوراة وهو أول كتاب نزل من السماء أعني ان ما كان نزل على ابراهيم وغيره من الانبياء ماكان يسمى كتاباً بل صحفا وقد ورد فى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان

الله تعالى خلق آدم بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده فاثبت لها اختصاصا آخر سوى سائر الكتب وقد اشتمل ذلك على اسفار فيذكر مبتدأ الخلق فى السفر الاول ثم يذكر الاحكام والحدود والاحوال والقصص والمواعظ والاذكار فى سفر سفر وانزل عليه (٤٢) ايضا الالواح على شبه مختصر ما فى التوراة يشتمل على الاقسام العلمية والعملية قال عز ذكره * وكتبنا له فى الالواح من كل شيء موعظة * اشارة الى تمام القسم العلمى وتفصيلا لكل شيء اشارة الى تمام القسم العملى قالوا كان موسى قد افضى باسرار التوراة والالواح الى يوشع ابن نون وصية من بعده ليفضي الى اولاد هارون لان الامر كان مشتركا بينه وبين اخيه هارون اذ قال وأشركه فى امرى وكان هو الوصى فلما مات هارون فى حال حياته انتقلت الوصاية الى يوشع بن نون وديعة فليوصلها الى شبير وشبر ابنى هارون قرارا وذلك ان الوصية والامامة بعضها مستقر وبعضها مستودع * واليهود تدعى ان الشريعة لاتكون الا واحدة وهى ابتدأت بموسى وتمت به فلم يكن قبله شريعة الا حدود عقلية واحكام مصلحية ولم يجيزوا النسخ اصلا قالوا فلا يكون بعده شريعة اخرى لان النسخ فى الاوامر بداء ولا يجوز البداء على الله ومسائلهم تدور على جواز النسخ ومنعه وعلى التشبيه ونفيه والقول بالقدر والجبر وتجويز الرجعة واحالتها اما النسخ فكما ذكرنا واما التشبيه فلانهم وجدوا التوراة ملئ من المتشابهات مثل الصورة والمشافهة والتكلم جهرا والنزول عند طور سيناء انتقالا والاستواء على العرش استقرارا وجواز الرؤية فوقا وغير ذلك واما القول بالقدر فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين فى الاسلام فالربانيون منهم كالمعتزلة فينا والقراؤن كالمجبرة

ان المسيح قال (السموات والارض تذهب وكلامى لايبيد أبدا وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يدرى أحدبهما ولا الملائكة فى السماء ولا ابن الانسان ماعدا الأب)

(قال أبو محمد) هذا الفصل يوجب ضرورة ان المسيح هو غير الله تعالى . لانه أخبران هاهنا شيأ يعلمه الله تعالى ولا يعلمه هو . واذا كان بنص انجيلهم الابن لايعلم متى الساعة ؟ والاب يعلم متى هى فبالضرورة القاطعة نعلم ان الابن غير الاب . واذا كان كذلك فهما اثنان متغايران . أحدهما يجهل مالا يجهله الآخر . وهذا الشرك الذى عليه يحومون . وهذا مايبطله العقل أن يكون الهان أحدهما ناقص ، فصح ضرورة ان من هو غير الله تعالى فهو مخلوق مربوب . وبطل هوسهم وتخليطهم والحمد لله رب العالمين ، أو يكذبوا المسيح فى هذا الفصل ولابد

﴿ فصل ﴾ وفى الباب السادس والعشرين من انجيل متى ان المسيح قال لباطرة ليلة أخذ (أمين أقول لك ستجحدنى هذه الليلة قبل صرخة الديك ثلاثا فقال باطرة لايكون هذا ولو بلغت القتل) وفى الباب الرابع عشر من انجيل مارقش ان المسيح قال لباطرة (أمين أقول لك انك أنت اليوم فى هذه الليلة قبل أن يرفع الديك صوته مرتين ستجحدنى ثلاثا) فكان باطرة يعيد القول حتى لو أمكننى أن أموت معك لست أجحدك وفى الباب الثاني والعشرين من انجيل لوقا (١) ان المسيح قال لباطرة (انا أعلمك انه لايصرخ الديك هذه الليلة حتى تجحدني ثلاثا وانك لم تعرفنى) وفى الباب الحادى عشر من انجيل يوحنا ان المسيح قال (أمين أقول لك لايصرخ الديك حتى تجحدنى ثلاثا) فاتفق متى ومرقس ولوقا ويوحنا على انه قال له انك تجحدني ثلاث مرات قبل أن يصرخ الديك ، وهكذا وصف كل واحد منهم عن باطرة انه هكذا فعل أمام الغلام والامة والقوم الذين كانوا يصطلون على النار وقال مارقش انه قال له (قبل ان يصرخ الديك مرتين تجحدنى ثلاث مرات) وهكذا وصف مارقش عن باطرة وانه فعل ليلتئذ فان خادمة الكوهن قالت له انت من أصحاب يسوع فجحد ، ثم صرخ الديك ، ثم قالت للحاضرين الواقفين هنالك هذا من اولئك فجحد ثانية ، ثم قال له الواقفون هنالك حقا انت منهم فجحد ثالثة أيضا ثم صرخ الديك ثانية (٢) فعلى قول مارقش كذب متى ولوقا ويوحنا ، لان الديك صرخ قبل ان يجحده ثلاث مرات . أو كذب المسيح فى اخباره بذلك ان كان هؤلاء صدقوا . لابد من احداهما . وعلى قول متى ولوقا ويوحنا كذب مارقش أيضا كذلك لان الديك صرخ قبل ان يجحده ثلاث

---

(١) عبارة لوقا : فقال أقول لك يا بطرس لايصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات انك تعرفنى (٢) عبارة مرقس هنا : وصاح الديك ثانية فتذكر بطرس القول الذى قاله له يسوع إنك قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات

ثلاث

مرات . أو كذب المسيح ولابد من أحداهما . والكذب واقع في احد الخبرين ولابد ثم طامة اخرى وهي اتفاق متى ومارقش على ان المسيح اخبر باطرة بانه سيجحده تلك الليلة وان باطرة رد خبره وقال له لا يكون هذا . فلولا ان المسيح كان عند باطرة ممن يكذب في خبره ما كذبه مواجهة مرة بعدمرة . او كفر باطرة اذ كذب ربه او نبيا . لابد من أحداهما . فان كان كفر باطرة فكيف يعطى مفاتيح السموات لمرتد كافر مكذب لله تعالى ؟ اولنبي من الانبياء جهارا . أم كيف تولى مرتبة التحريم والتحليل من يكذب الله تعالى او نبيه ؟ اوكيف يؤخذ الدين عمن كذب ربه اوكذب خبر نبي عن الله تعالى جهارا في آخر ساعة كان فيها معه وختم بذلك عمله ؟ ماسمعنا باوسخ عقولا من امة هذه صفة دينهم وكتابهم وائمتهم . ونعوذ بالله من الخذلان وفي الباب السابع والعشرين من انجيل متى (ان الخشبة التي صلب عليها المسيح أخذ لحملها سخرة سيمون (١) وفي الباب الخامس عشر من انجيل مارقش (ان تلك الخشبة التي صلب عليها يسوع أخذ لحملها سيمون القيرواني والد الكسندرس وروفس) وفي الباب الموفي عشرين (٢) من انجيل لوقا (انه سخر لحمل تلك الخشبة شمعون القيرواني) وفي الباب التاسع عشر من انجيل يوحنا أن يسوع نفسه هو الذى حملت عليه الخشبة التي صلب فيها . وهذا خلاف ماحكى أصحابه ولقد قررت بعض علمائهم على هذا فقال لي كانت طويلة جدا فحملها هو وشمعون (٣) المذكور فقلت له ومن أين لك هذا وأين وجدته وسياق اخبار مؤلفي الانجيل لاتدل على هذا . ولو قلت انه ممكن ان يسخر كل واحد منهما لحملها بعض الطريق لكان ادخل في سياق الخبر

﴿ فصل ﴾ وفي الباب السابع والعشرين من انجيل متى (انه صلب معه لصان احدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رؤسهما ويقولان يامن يهدم البيت ويبنيه في ثلاث سلم نفسك ان كنت ابن الله فانزل عن الصلب) وفي الباب الخامس عشر من انجيل مارقش (انه صلب معه لصان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله واللذان

(١) هو سمعان بدليل قوله في الاصحاح السابع والعشرين من انجيل متى . وفيما هم خارجون وجدوا انسانا قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه . واما مرقس فيقول فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيرواني ابو الكسندرس وروفس

(٢) في الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا : ولما مضوا به امسكوا سمعان رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع وعبارة يوحنا في الاصحاح التاسع عشر . فاخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه الخ

(٣) شمعون هو سمعان وهو سيمون أيضا

والمشبهة واماجواز الرجعة فانما وقع لهم من أمرين أحدهما حديث عزير اذ اماته الله مائة عام ثم بعثه والثاني حديث هارون عليه السلام اذمات في التيه وقد نسبوا موسى الى قتله قالوا حسده لان اليهود كانت اليه اميل منهم الى موسى واختلفوا في حال موته فنهم من قال مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع واعلم أن التوراة قد اشتملت باسرها على دلالات وآيات تدل على كون شريعة المصطفى عليه السلام حقا وكون صاحب الشريعة صادقا بلما حرفوه وغيروه وبدلوه اماتحريفا من حيث الكتابة والصورة واما تحريفا من حيث التفسير والتاويل واظهرها ذكره ابراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل ودعاؤه في حقه وفي ذريته واجابة الرب تعالى اياه اني باركت على اسماعيل واولاده وجعلت فيهم الخير كله وساظهرهم على الامم كلها وسابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتي * واليهود معترفون بهذه القصة الاانهم يقولون اجابه بالملك دون النبوة والرسالة وقد الزمتهم ان الملك الذى سلمتم اهو ملك بعدل وحق ام لا فان لم يكن بعدل وحق فكيف يمن على ابراهيم بملك في اولاده هو جور وظلم وان سلمتم العدل والصدق من حيث الملك فالملك يجب ان يكون صادقا على الله تعالى فيما يدعيه وبقوله وكيف يكون الكاذب على الله تعالى صاحب عدل وحق اذ لاظلم اشد من الكذب على الله تعالى ففي تكذيبه تجويزه وفي التجويز رفع المنة بالنعمة وذلك خلف ومن العجب ان في التوراة ان الاسباط من بني اسرائيل كانوا يراجعون القبائل من بني اسماعيل ويعلمون ان في ذلك الشعب علما لدنيا لم يشتمل التوراة عليه وورد في التواريخ ان اولاد اسماعيل كانوا يسمون آل الله واهل الله واولاد اسرائيل آل يعقوب وآل موسى وآل هارون وذلك كسر عظيم وقد ورد في التوراة ان الله تعالى جاء من طور سيناء وظهر بساعير وانعلن بفاران وساعير

جبال بيت المقدس الذي كان مظهر عيسي عليه السلام وفاران جبال مكة الذى كانت مظهر المصطفى صلى الله عليه وسلم ولما كانت الاسرار الالهية والانوار الربانية فى الوحى والتنزيل والمناجاة والتاويل على مراتب ثلاث مبدأ ووسط وكمال والمجىء اشبه بالمبدأ والظهور بالوسط

والاعلان بالكمال عبر التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجىء على طور سيناء وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير وعن البلوغ الى درجة الكمال والاستواء بالاعلان على فاران وفي هذه الكلمة اثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام وقد قال المسيح فى الانجيل ماجئت لابطل التوراة بل جئت لاكملها قال صاحب التوراة النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والجروح قصاص واقول اذا لطمك اخوك على خدك الايمن فضع له خدك الايسر والشريعة الاخيرة وردت بالامرين جميعا اما القصاص * ففى قوله تعالى * كتب عليكم القصاص * واما العفو ففى قوله تعالى * وأن تعفوا اقرب للتقوى * ففى التوراة احكام السياسة الظاهرة العامة وفى الانجيل أحكام السياسة الباطنة الخاصة وفى القرآن احكام السياستين جميعا ولكم فى القصاص حياة اشارة الى تحقيق السياسة الظاهرة خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * اشارة الى تحقيق السياسة الباطنة الخاصة وقد قال عليه السلام هو أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك ومن العجب ان من رأى غيره يصدق ما عنده ويكمله ويرقيه من درجة الى درجة كيف يسوغ له تكذيبه والنسخ فى الحقيقة ليس ابطالا بل هو تكميل وفي التوراة احكام عامة واحكام مخصوصة اما باشخاص واما بازمان واذا انتهى الزمان لم يبق ذلك لامحالة ولا يقال انه ابطال او بداء كذلك هاهنا واما السبت فلو ان اليهود عرفوا لم ورد التكليف بملازمة السبت وهو يوم اى شخص من الاشخاص وفى مقابلة اية

صلبا معه كانا يستعجزانه) وفى الباب الموفى عشرين(١) من انجيل لوقا (وكان احد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول ان كنت انت المسيح فسلم نفسك وسلمنا فاجابه الآخر وكشر عليه وقال اماتخاف الله وانت فى آخر عمرك وفى هذه العقوبة امانحن فكوفئنا بما استوجبنا وهذا لاذنب له ثم قال ليسوع ياسيدى اذكرنى اذا نلت ملكوتك فقال له يسوع امين اقول لك اليوم تكون معى فى الجنة)

(قال ابو محمد) احدى القضيتين كذب بلاشك لان متى ومارقش اخبرا بان اللصين جميعا كانا يسبانه . ولوقا يخبر بان احدهما كان يسبه والآخر كان ينكر على الذى يسبه ويؤمن به والصادق لايكذب فى مثل هذا . وليس يمكن هاهنا ان يدعى ان احد اللصين سبه فى وقت وآمن به فى آخر ، لان سياق خبر لوقا يمنع من ذلك ويخبر انه أنكر على صاحبه سبه انكار من لم يساعده قط على ذلك ، وكلهم متفق على ان كلام اللصين وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب ، فوجب ضرورة ان لوقا كذب او كذب من اخبره ، أو ان متى كذب وكذب مارقش او الذي اخبره ولابد

﴿ فصل ﴾ وفى اخر انجيل متى بعد أن ذكر صلب المسيح وانزاله برغبة يوسف الراماوى العريف ودفنه فى قبر جديد محفور فى صخرة وغطاه بصخرة عظيمة ، وفى آخر انجيل مارقش بعد ان ذكر صلب المسيح وانزاله برغبة يوسف الراماوى العريف ودفنه فى قبر عشاء الجمعة والسبت داخل ، وفى آخر انجيل لوقا (٢) بعد أن ذكر صلب المسيح وان يوسف الراماوى اتى أول الليل فرغب فيه فاجابه بلاطش الى انزاله فانزله وجعله فى قبر جديد ، وفى آخر انجيل يوحنا بعد أن ذكر صلب المسيح وان يوحنا الراماوى رغب فيه وانزله ودفنه فى قبر فى بستان ، ثم قال متى (وعند العشاء ليلة السبت التى تصبح فى يوم الاحد أقبلت مريم المجدلانية ومريم الاخرى لمعاينة القبر فتزلزل بهما الموضع زلزلة عظيمة ، ثم نزل ملك السيد من السماء واقبل ورفع الصخرة وقعد عليها وكان منظره كمنظر البرق ، وثيابه انصع بياضا من الثلج ، فمن خوفه صقع الحرس

(١) ماقال انه فى الباب الموفى عشرين هو بعينه فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا مع اختلاف لفظ الترجمة واتحاد المعنى والسياق

(٢) عبارة انجيل لوقا: واذا رجل اسمه يوسف وكان مشيرا ورجلا صالحا بارا . هذا لم يكن موافقا لرأيهم وعملهم . وهو من الرامة مدينة لليهود وكان هو أيضا ينتظر ملكوت الله هذا تقدم الى بيلاطس وطلب جسد يسوع . وانزله ولفه بكتان ووضعه فى قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط وكان يوم الاستعداد والسبت يلوح وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده . فرجعن واعددن حنوطا واطيابا. وفى السبت استرحن حسب الوصية انتهى

حالة وجزء اي زمان عرفوا ان الشريعة الاخيرة حق وانها جاءت لتقرير السبت لا لابطاله وهم الذين عدوا في السبت حتى مسخوا قردة خاسئين وهم يعترفون بان موسى عليه السلام بنى بيتا وصور فيه صورا وأشخاصا وبين مراتب الصور وأشار الى تلك الرموز ولكن لما فقدوا الباب باب حطة ولم يمكنهم التسور (٤٥) على سنن اللصوص تحيروا تائهين وتاهوا متحيرين واختلفوا نيفا وسبعين فرقة ونحن نذكر منها أشهرها وأظهرها عندهم ونترك الباقي هملا (العنانية) نسبوا الى رجل يقال له عنان بن داود رأس الجالوت يخالفون سائر اليهود في السبت والاعياد ويقتصرون على أكل الطير والظباء والسمك ويذبحون الحيوان على القفا ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه واشاراته ويقولون انه لم يخالف التوراة البتة بل قررها ودعا الناس اليها وهو من بني اسرائيل المتعبدين بالتوراة ومن المستجيبين لموسى عليه السلام الا انهم لا يقولون بنبوته ورسالته ومن هؤلاء من يقول ان عيسى عليه السلام لم يدع انه نبي مرسل وانه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام بل هو من اولياء الله المخلصين العارفين احكام التوراة والانجيل ليس كتابا منزلا عليه وحيا من الله تعالى بل هو جمع احواله من مبدئه الى كماله وانما جمعه أربعة من أصحابه الحواريين فكيف يكون كتابا منزلا قالوا واليهود ظلموا حيث كذبوه اولا ولم يعرفوا بعد دعواه وقتلوه آخرا ولم يعلموا بعد محله ومغزاه * وقد ورد في التوراة ذكر المشيحا في مواضع كثيرة وذلك هو المسيح ولكن لم يرد له النبوة ولا الشريعة الناسخة وورد فارقليطا وهو الرجل العالم وكذلك وحده * (العيسوية) نسبوا الى ابي عيسى اسحاق ابن يعقوب الاصفهاني وقيل اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله كان في زمان المنصور وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك

وصاروا كالاموات ، فقال الملك للمرأتين لا تخافا ، قد علمت انكما اردتما يسوع المصلوب ليس هو هاهنا لانه قد حيي ، وقد تقدمكم الى جلجال كما قال فانظرا الى الموضع الذي كان فيه السيد مضطجعا وانهضا الى تلاميذه وقولا لهم انه قد حيي وها هو يسبقكم الى جلجال وفيه ترونه ، فنهضتا مسرعتين بفرح عظيم واقبلتا الى التلاميذ واخبرتا الخبر فتلقاهما يسوع وقال السلام عليكما فوقفتا وترامتا الى رجليه وسجدتا له فقال لهما يسوع لا تخافا واذهبا اعلما اخواني ليتوجهوا الى جلجال وفيه يرونني فاقبل بعض الحرس الى المدينة واعلم قواد القسيسين بما اصابهم . فرشوهم بمال عظيم ليقول الحرس ان تلاميذه طرقوه ليلا وسرقوه وذهبوا به وهم رقود . ففعلوا وانتشر الخبر في اليهود الى اليوم وتوجه الاحد عشر تلميذا الى جلجال الى الجبل الذي كان دلهم عليه يسوع . فلما بصروا به خنعوا له وبعضهم شكوا فيه) وقال مارقش (فلما خلا يوم السبت اشترت مريم المجدلانية ومريم ام يعقوب وشلوما حنوطا ليأتين به ويدهنه فاقبلن يوم الاحد بكرة جدا الى القبر وبلغن هنالك وقد طلعت الشمس وهن يقلن من يحول لنا الحجر عن القبر . فنظرن فاذا بالحجر قد حول فدخلن في القبر فابصرن فتى جالسا عن اليمين متغطيا بثوب ابيض فقال لهن لا تفزعن فان يسوع الناصري المطلوب قد قام وليس هو هاهنا فانطلقن وقلن لتلاميذه ولباطرة انه قد حيي . وقد تقدمكم الى جلجال (١) وهنالك تلقونه فقام بكرة يوم الاحد وتراءي لمريم المجدلانية . فمضت واعلمت الذين كانوا معه فلم يصدقوها . وبعد هذا تظاهر لاثنين منهم وهما مسافران الى قرية في صفة أخرى : فاخبرا سائرهم فلم يصدقوا أيضا وآخر الامر بينما الاحد عشر تلميذا متكئين اذ تظاهر لهم ووبخ كفرهم وقسوة قلوبهم) وقال لوقا (٢) (فلما انفجر الصبح يوم الاحد بكرة جدا أقبل النسوة الى القبر يحملن حنوطا فوجدن الحجر مقلوعا عن القبر فدخلن فيه فلم يجدن السيد فيه فتحيرن فوقف بهن رجلان في ثياب بيض فقالا لهن لا تطلبن حيا بين اموات قد قام ليس هو هاهنا فانصرفن واعلمن الاحد عشر تلميذا ومن كان معهم فلم يصدقوهن فقام باطرة مسرعا الى القبر فرأى الكفن وحده فعجب وانصرف ثم تراءى المسيح لرجلين منهم كانا ناهضين الى حصن يقال له اماوس على سبعة اميال ونصف من اوراشلم فلم يعرفاه حتى ارتفع عنهما وغاب فانصرفا في الوقت الى اورشليم (٣) ووجد الاحد عشر تلميذا مجتمعين مع أصحابهم فاخبراهم بالخبر فبينما هم يخوضون في هذا وقف يسوع في وسطهم

(١) يعبر دائما بجلجال عن الجليل (٢) عبارة لوقا في الفقرة الاولى من الاصحاح الاخير . ثم في أول الاسبوع أول الفجر أتين الى القبر حاملات الحنوط الخ (٣) وكثيرا ما يعبر عنها بيرشلام

فقال السلام عليكم انا هو فلا تخافوا فجزعوا وظنوه شيطانا فقال لهم لم فزعتم ابصروا قدمي ويدى انا هو فان الشيطان ليس له لحم ولا عظام ثم قال اعندكم شىء يؤكل فأتوه بقطعة حوت مشوى وشربة عسل فأكل وبرىء اليهم بالبقية ثم أوصام وارتفع عنهم) (١)

وقال يوحنا فى يوم الاحد أقبلت مريم صباحا والظلمات لم تنجل بعد الى القبر فرأت الصخرة مقلوعة عن القبر فرجعت الى شمعون باطرة والى التلميذ الآخر يعنى يوحنا بهذا نفسه وقالت لهما نزع سيدى من القبر ولا أدري أين وضعوه فنهض باطرة والتلميذ الآخر الى القبر فوجدا الا كفان موضوعة ثم رجعوا فوقفت مريم با كية الى القبر فرأت ملكين منتصبين فقالا لها من تريدين فظنت انه البستاني فقالت له ياسيدى ان كنت أنت أخذته فقل لى أين وضعته فقال لها يامريم فالتفتت وقالت معلمى فقال لها يسوع لا تمسينى لم اصعد بعد الى أبى اذهبى الى أخوتى وقولى لهم انى صاعد الى أبي وأبيكم الهى والهكم قالت فاخبرتهم ثم بينما التلاميذ مجتمعون أقبل يسوع ووقف في وسطهم وقال السلام عليكم وعرض عليهم يديه وجنبه ثم ذكر ان طوما (١) احد الاثنى عشر تلميذا لم يكن حاضرا فيهم في هذا الظهور فلما أتي واخبروه فقال لئن لم ابصر فى يديه الصاق المسامير ولم ادخل اصبعى فى موضع المسامير فى جنبه لا آمنت فلما كان بعد ثمانية أيام اجتمعوا كلهم والابواب مغلقة فاقبل يسوع ووقف وسطهم وقال لطوما ادخل اصبعك وابصر كفى وهات يدك وادخلها الى جنبى ولا تكن كافرا بل كن مؤمنا فقال له طوما سيدى والهى ثم تراءى عند بحيرة طبرية لشمعون باطرة وطوما ونثنائيل وابنى سبدى واثنين من التلاميذ سواهم وهم يصيدون فى مركب فى البحر)

(قال أبو محمد) فاعجبوا لهذه القصة ومافيها من الكذب والشنع . يقول متى ان مريم ومريم أتتا الى القبر عشاء ليلة السبت التى تصبح فى يوم الاحد فوجدتاه قدقام ، ويقول مارقش ان مريم ومريم وغيرهما أتين الى القبر بعد طلوع الشمس من يوم الاحد فوجدنه قد قام والظلمة لم تنجل بعد ، فهذه كذبات منهم ، فى وقت بلوغهن الى القبر ، وفيمن جاء الى القبر أمريم وحدها أم مريم ومريم أخرى معها أم كلتاهما ومعهما نسوة أخر ، ويقول متى ان مريم ومريم أتتا الملك اذ نزل من السماء ورفع الصخرة بحضرتهما بزلزلة عظيمة وصعق الحرس وقال الملك للمرأتين لا تخافا انه قدقام ، ويقول مارقش ان النسوة وجدن الصخرة قدقلعت بدونه وقف لهن رجلان مبيضان فاخبراهن بقيامه ، ويقول يوحنا ان مريم وحدها أتت ووجدت الصخرة قد قلعت ولم تر أحدا ورجعت حائرة فاخبرت شمعون ويوحنا حاكى

(١) وعبارته فى هذا الموضع . ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واصعد الى السماء

(٢) هو المعبر عنه بتوما أو التوأم

بنى أمية مروان ابن محمد الحمار فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعو له آيات ومعجزات وزعموا انه لما حورب خط على أصحابه خطا بعود آس وقال أقيموا فى هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح فكان العدو يحملون عليهم حتى اذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفا من طلسم أو عزيمة ربما (٤٦) وضعها * ثم أبو عيسى خرج من الخط وحده على فرسه فقاتل وقتل من المسلمين كثيرا وذهب الى بنى موسى ابن عمران الذين هم وراء الرمل ليسمعهم كلام الله وقيل انه لما حارب أصحاب المنصور بالرى قتل وقتل أصحابه وزعم عيسى انه نبى وانه رسول المسيح المنتظر وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا بعد واحد وزعم أن الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص بنى اسرائيل من أيدى الامم العاصين والملوك الظالمين وزعم ان المسيح أفضل ولد آدم وانه أعلى منزلة من الانبياء الماضين واذ هو رسوله فهو أفضل الكل أيضا وكان يوجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعى وزعم ان الداعى أيضا هو المسيح وحرم فى كتابه الذبائح كلها ونهى عن أكل ذى روح على الاطلاق طيرا كان أو بهيمة وأوجب عشر صلوات وأمر أصحابه باقامتها وذكر أوقاتها وخالف اليهود فى كثير من أحكام الشريعة الكبيرة المذكورة فى التوراة *

(المقاربة واليوذعانية) نسبوا الى يوذعان رجل من همدان وقيل كان اسمه يهودا يحث على الزهد وتكثير الصلاة وينهى عن اللحوم والانبذة وفيما نقل عنه تعظيم أمر الداعى وكان يزعم ان للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويلا خالف بتأويلاته عامة اليهود وخالفهم فى التشبيه ومال الى القدر وأثبت الفعل حقيقة للعبد وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد فى ذلك ومنهم (الموشكانية) أصحاب موشكا على مذهب يوذعان غير انه كان يوجب الخروج على مخالفيه ونصب القتال معهم فخرج فى تسعة عشر

رجلا فقتل بناحية قم وذكر عن جماعة من الموشكانية انهم أثبتوا نبوة المصطفى عليه السلام الى العرب وسائر الناس سوى اليهود لانهم أهل ملة وكتاب وزعمت فرقة من (المقاربة) ان الله تعالى خاطب الانبياء بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم قالوا فكل ما فى التوراة وسائر

الكتب من وصف الله عز وجل فهو خبر عن ذلك الملك والا فلا يجوز أن يوصف البارى تعالى بوصف قالوا فان الذى كلم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك الملك والشجرة المذكورة فى التوراة هو ذلك الملك ويتعالى الرب تعالى عن ان يكلم بشرا تكليما وحمل جميع ماورد فى التوراة من طلب الرؤية وشافهت الله وجاء الله وطلع الله فى السحاب وكتب التوراة بيده واستوى على العرش قرارا وله صورة آدم وشعر قطط ووفرة سوداء وانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وانه ضحك الجبار حتى بدت نواجذه الى غير ذلك على ذلك الملك قال ويجوز فى العادة ان يبعث ملكا واحدا من جملة خواصه ويلقى عليه اسمه ويقول هذا هو رسولى ومكانه فيكم مكانى وقوله وأمره قولى وامرى وظهوره عليكم ظهورى كذلك يكون حال ذلك الملك وقيل ان اريوس قال فى المسيح انه هو الله وانه صفوة العالم أخذ قوله من هؤلاء وهم كانوا قبل اريوس باربعمائة سنة وهم أصحاب زهد وتقشف وقيل صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندى قرر لهم هذا المذهب واعلمهم ان الآيات المتشابهة فى التوراة كلها مؤولة وانه تعالى لا يوصف باوصاف البشر ولا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شىء منها وانما المراد بهذه الكلمات الواردة فى التوراة ذلك الملك المعظم وهذا كما يحمل فى القرآن المجىء والاتيان على اتيان ملك من الملائكة وهو كما قال فى حق مريم عليها السلام ونفخنا فيها من روحنا وفى

القصة فنهضا معا الى القبر فلم يجدا فيه احدا وانصرفا ، فالتفتت هى فاذا بالمسيح نفسه واقفا وسلم عليها وأخبرها بقيامه ، فهذا كذب آخر فى وقت قلع الصخرة وهل وجد عند القبر ملك واحد أو ملكان اثنان أم لم يوجد فيه أحد أصلا ؟ ويقول متى ان المرأتين أتتام بوصيته فصدقوهما ، وانهم نهضوا كلهم الى جلجال وهنالك اجتمعوا معه ، ويقول مارقش انه تراءى لمريم وأخبرتهم ولم يصدقوها ، ثم تراءى لاثنين فاخبراهم فلم يصدقوهما ، ثم نزل عليهم كلهم ويقول لوقا انهم لم يصدقوا النساء وان باطرة نهض الى القبر ولم يجد شيئا ولا رأى أحدا وانه نزل بينهم بأورشليم فرأوه حينئذ وأكل معهم الحوت المشوى وهذه صفة من لم يقصده اليهم الا الجوع وطلب الاكل ، ويقول يوحنا انه تراءى لعشرة منهم حاشى طوما ، ثم تراءى لهم ولطوما

(قال أبو محمد) ومثل هذا الاختلاف فى قصة واحدة عن مقام واحد كذب لاشك فيه لايمكن أن يقع من معصومين ، فصح انهم كذابون لايتحرون الصدق فيما حدثوا به وما كتبوه ، ثم فى هذه القصة قول مارقش عن المسيح انه بعد موته قبح كفر تلاميذه وقسوة قلوبهم فاذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب ، فكيف يجوز اخذ الدين عنهم ام كيف يجوز ان يعطى الاله مفاتيح السموات ويولى منزلة التحريم والتحليل كافرا قاسى القلب ؟ فكل هذا برهان واضح على ان اناجيلهم كتب مفتراة من عمل كذابين كفار ، ثم فى القصة ان مريم والتلاميذ كلهم كانوا يلتزمون بعد المسيح صيانة السبت وتعظيمه وترك العمل فيه ؛ وكذلك آخر حمل الحنوط اليه حين دخل يوم الاحد ؛ فقد صح يقينا ان هؤلاء المخاذيل ليسوا على دين المسيح ولا على مامضى عليه تلاميذه بل على دين آخر ؛ فسحقا لهم وبعدا والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمته علينا معشر الاسلام

- ﴿ فصل ﴾ - وفى العاشر من انجيل مارقش ان المسيح عليه السلام قال لتلاميذه ان دخول الجمل فى سم الخياط ايسر من دخول المثرى فى ملكوت الله (١)

(قال أبو محمد) هذا قطع من كلامه بان كل غنى فانه لايدخل الجنة ابدا وفى اتباعه اغنياء كثير ومارأينا قط امة أحرص على جمع المال من الدراهم وغير ذلك وادخاره ومنعه دون ان ينتفعوا منه بشىء ولا ان يتصدقوا منه بشىء من الاساقفة والقسيسين والرهبان فى كل دير وكل كنيسة فى كل بلد وكل وقت . فعلى موجب كلام الاههم انهم لايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط . فهذا والله حق وانا على ذلكم من الشاهدين

- ﴿ فصل ﴾ - وفى العاشر من انجيل مارقش (ان باطرة قال ليسوع المسيح ها نحن قد خلينا الجميع واتبعناك فاجابه يسوع وقال له أمين اقول لكم ليس من احد ترك بيتا واخوة

---

(١) عبارة متى . مرور حبل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غنى الى ملكوت الله

واخوات اوو الداو والدة أو امرأة او اولادا أو فدادين لاجلي او الا و يعطى مائة ضعف مثله الا ن في هذا الزمان من البيوت والاخوة والاخوات والامهات والاولاد والفدادين مع التبعات وفى العالم الآتى الحياة الدائمة)

(قال أبو محمد) هذا موعد كاذب مضمون لايمكن الوفاء به . وهبك أنهم يخرجون هذا على انه يعوض هذا من أهل دينه اولادا وأخوة وأخوات وامهات . كيف الحيلة فى وعده من آمن به وترك ماله ان يعوض عن الفدان الذى يتركه مائة فدان ؟ وعن البيت مائة بيت الآن عاجلا في الدنيا سوى ماله فى الآخر . وهذا كما ترى

﴿ فصل ﴾ وفى الباب العاشر من انجيل مارقش ان رجلا قال للمسيح (ايها المعلم الصالح فقال له المسيح لم تقول لى صالح الله هو الصالح وحده) وفى التاسع من انجيل يوحنا ان المسيح (قال انا الراعى الصالح) فمرة ينكر ان يكون صالحا وان لا صالح الا الله ومرة يقول انه صالح وكل هذا كذب عليه من توليد هؤلاء الانذال

(فصل) وفى آخر انجيل مارقش ان المسيح قال لتلاميذه (اذهبوا الى جميع الدنيا وبشروا جميع الخلائق بالانجيل فمن آمن واعتمد يكون سالما ومن لم يؤمن يعاقب وهذه الآيات تصحب الذين يؤمنون وهى سيماهم على اسمى ينفون الجن ويتكلمون باللغات الجديدة ويقلعون الثعابين وان شربوا شربة قتالة لم تضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فينقهون)

(قال أبو محمد) فى هذا الفصل أعجوبتان من الكذب ، احداهما قوله (بشروا بالانجيل) فدل هذا على انجيل أتاهم به المسيح وليس هو عندهم الآن ، وانما عندهم أناجيل أربعة متغايرة من تأليف أربعة رجال معروفين ليس منها انجيل الا الف بعد رفع المسيح عليه السلام بأعوام كثيرة ودهر طويل ، فصح أن ذلك الانجيل الذى أخبر المسيح بانه أتاهم به ، وأمرهم بالدعاء اليه قد ذهب عنهم لانهم لا يعرفونه أصلا ، هذا مالا يمكن سواه ، والفصل الثاني قولهم انه وعد كل من آمن بدعاء التلاميذ فانهم يتكلمون بلغات لم يعرفوها وانهم ينفون الجن عن المجانين وانهم يضعون أيديهم على المرضى فينقهون ، وانهم يقلعون الثعابين ، وان شربوا اشربة قتالة لا تضرهم

(قال أبو محمد) وهذا وعد ظاهر الكذب جهارا ، مامنهم أحد يتكلم بلغة لم يعلمها ، ولا منهم أحد ينفي جنيا ، ولا منهم أحد يضع يده على مريض فيبرأ ، ولا منهم أحد يقلع ثعبانا ، ولا منهم أحد يسقى السم فلا يؤذيه ، وهم معترفون بان يوحنا صاحب الانجيل قتل بالسم ، وحاشى لله أن يأتي نبى بمواعيد خاسئة كاذبة ، فكيف اله ؟ فاعلموا ان الانذال الذين كتبوا هذه الاناجيل كان أسهل شيء عليهم نسبة الكذب الى المسيح عليه السلام

﴿ فصل ﴾ وبعد هذا الفصل متصلا به والرب لما أن تكلم بهذا قبض الى السماء وجلس

موضع آخر فنفخنا فيه من روحنا وانما النافخ جبريل حين تمثل لها بشرا سويا ليهب لها غلاما زكيا (السامرة) هؤلاء قوم يسكنون بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر يتقشفون فى الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود اثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام (٤٨) وأنكروا نبوة من بعدهم من الانبياء الا نبيا واحدا الاجل الانجيل وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبي واحد يأتى من بعد موسى يصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها البته وظهر فى السامرة رجل يقال له الالفان ادعى النبوة وزعم انه هو الذى بشر به موسى وانه هو الكوكب الذى ورد فى التوراة انه يضيء ضوء القمر وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة وافترقت السامرة الى دوستانية وهم الالفانية والى كوسانية والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة والكوسانية معناها الجماعة الصادقة وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها والدوستانية تزعم ان الثواب والعقاب فى الدنيا وبين الفريقين اختلاف فى الاحكام والشرائع وقبلة السامرة جبل يقال له غريم بين بيت المقدس ونابلس قالوا ان الله تعالى أمر داود النبي عليه السلام ان يبنى بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام فحول داود الى ايليا وبنى البيت ثمة وخالف الامر وظلم والسامرة توجهوا الى تلك القبلة دون سائر اليهود ولغتهم غير لغة اليهود وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية فنقلت الى السريانية فهذه أربع فرق هم الكبار وانشعبت منهم الفرق الى احدى وسبعين فرقة وهم باسرهم اجمعوا على ان فى التوراة بشارة بواحد بعد موسى وانما افتراقهم اما فى تعيين ذلك الواحد أو فى الزيادة على الواحد وذكر المشيحا وآثاره ظاهر فى الاسفار وخروج واحد فى آخر الزمان وهو الكوكب المضيء الذي تشرق الارض بنوره أيضا متفق عليه

عن يمين الله (١)

(قال أبو محمد) هذا شرك أحمق، رب يقبض ان هذا العجب. ورب يجلس عن يمين الله هذان ربان والهان الواحد أجل من الثانى، لان المقعود عن يمينه اسنى مرتبة من المقعد على اليمين بلاشك ونعوذ بالله من الخذلان

﴿فصل﴾ - وفى أول انجيل لوقا (ان نفرا قبلنا راموا وصف الاشياء التى كملت فينا كالذى دلنا عليه معشر الذين عاينوا الامر وكانوا حملة الحديث فرأيت ان أقفوا آثارهم من أوله على التجويد واكتبه لك أيها الكريم لان تفهم حق الكلام الذى علمته واطلعت عليه وأنت به ماهر) هذا يبين ان الاناجيل تواريخ ؤلفة (٢) كا ترى بنص كلام لوقا

﴿فصل﴾ - وفى أول انجيل لوقا الذى هو تاريخه المؤلف فى أخبار المسيح قال لوقا (كان بعد هردوس والي بلديهود كوهن يدعى زكريا من دولة أبجا وزوجته من بنات هارون تسمى اليشبات (٣) ثم ذكر كلاما فيه مجىء جبرائيل الملك عليه السلام الى مريم عليها السلام أم المسيح عليه السلام، وانه قال لها فى جملة كلام كثير (وقد حبلت اليشبات قريبتك على تقدمها فى السن (وعقرها) فأخبر ان اليشبات هارونية وانها قريبة لمريم، فعلى هذا فريم أيضا هارونية، والنصارى كلهم متفقون على مافى جميع الاناجيل من أن المسيح هو ابن داود من نسل داود عليه السلام، وفى مواضع كثيرة منها يورثه الله ملك ابيه داود، وان العمى والمباطين (٤) والمرضى والمجانين، والجن كانوا يقولون له يا بن داود فلا ينكر ذلك عليهم، ولا يختلف النصارى واليهود فى أن المسيح المنتظر هو من ولد داود، والمسيح مع هذا كله قد أنكر فى الباب الثالث عشر من انجيل متى كما أوردنا قبل أن يكون المسيح من ولد داود، فكيف هذا الاختلاط والتلون؟ ومع هذا كله فلا نرى على ماذكرنا أن تنسبه النصارى الا الى أنه ولد يوسف النجار الداوودى الذى يزعمون انه كان زوج مريم، وهذه طامة وسوءة لايدارى لماوجه ان ينسبوه الى رجل لم يلده

(١) عبارته بعد قوله : ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤن . ثم ان الرب بعد ما كلمهم ارتفع الى السماء وجلس عن يمين الله (٢) أول كلمة فى الفقرة الاولى من الاصحاح الاول الذى افتتح به لوقا انجيله قوله : ١ - اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الامور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين وخداما للكلمة رأيت انا أيضا اذ قد تتبعت كل شىء من الاول بتدقيق أن أكتب اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به اه وهذا صريح فى أنه يؤلف قصة فى الاشياء المروية عمن عاينوا المسيح وعرفوا سيرته وشاهدوا أحواله ووعوا أقواله (٣) فى الترجمة الحديثة اليصبات (٤) جمع المباطين مبطون وهو العليل البطن

والبهود على انتظاره والسبت يوم ذلك الرجل وهو يوم الاستواء بعد الخلق وقد أجمعت اليهود على ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا احدى رجليه على الاخرى فقالت فرقة منهم ان الستة الايام هى ستة آلاف سنة فان يوما عند الله كالف سنة مما يعد بالسير القمرى وذلك هو مامضى من لدن آدم الى يومنا هذا وبه يتم الخلق ثم اذا بلغ الخلق الى النهاية ابتدأ الامر ومن ابتداء الامر يكون الاستواء على العرش والفراغ من الخلق وليس ذلك أمراً كان ومضى بل هو فى المستقبل اذا عددنا الايام بالالوف (النصارى) أمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وهو المبعوث حقا بعد موسى عليه السلام المبشر به فى التوراة وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة مثل احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطقه من غير تعليم سالف وجميع الانبياء بلاغ وحيهم أربعون سنة وقد أوحى اليه انطاقا فى فى المهد وأوحى اليه ابلاغا عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام فلما رفع الى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه وانما اختلافاتهم تعود الى أمرين أحدهما كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة والثانى كيفية صعوده واتصاله بالملائكة وتوحد الكلمة أما الاول فقضوا بتجسد الكلمة ولهم فى كيفية الاتحاد والتجسد كلام فنهم من قال أشرق على الجسد اشراق النور على الجسم المشف ومنهم من قال انطبع فيه انطباع النقش فى الشمعة ومنهم من قال ظهر به ظهور الروحانى بالجسمانى ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء وأثبتوا الله تعالى اقانيم ثلاثة قالوا

الباري تعالى جوهر واحد يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والحجمية فهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالاقنومية ويعنون بالاقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم والاب والابن وروح القدس وانما العلم تدرع وتجسد دون سائر الاقانيم وقالوا في الصعود انه قتل وصلب قتله اليهود حسدا وبغيا (٥٠) وانكارا لنبوته ودرجته ولكن القتل ما ورد على الجزء اللاهوتي وانما ورد على الجزء الناسوتي قالوا وكمال الشخص الانساني في ثلاثة أشياء نبوة وامامة وملكة وغيره من الانبياء كانوا موصوفين بهذه الخصال الثلاث أو ببعضها والمسيح عليه السلام درجته فوق ذلك لانه الابن الوحيد فلا نظير له ولا قياس له الى غيره من الانبياء وهو الذي به غفر زلة آدم عليه السلام وهو الذي يحاسب الخلق ولهم في النزول خلاف فنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الاسلام ومنهم من يقول لا نزول له الا يوم الحساب وهو بعد أن قتل وصلب نزل ورأى شخصه شمعون الصفا فكلمه وأوصي اليه ثم فارق الدنيا وصعد الى السماء وكان وصية شمعون الصفا وهو أفضل الحواريين علما وزهدا وأدبا غير ان فولوس شوش أمره وصير نفسه شريكا له وغير اوضاع علمه وخلطه بكلام الفلاسفة ووسوس خاطره ورأيت رسالة لفولوس كتبها الى اليونانيين انكم تظنون ان مكان عيسى عليه السلام كمكان سائر الانبياء وليس كذلك بل انما مثله مثل ملكيزداق وهو ملك السلام الذي كان ابراهيم عليه السلام يعطى اليه العشور فكان يبارك على ابراهيم ويمسح رأسه ومن العجب انه نقل في الاناجيل ان الرب تعالى قال انك انت الابن الوحيد ومن كان وحيدا كيف يمثل بواحد من البشر ثم ان أربعة من الحواريين اجتمعوا وجمع كل واحد منهم جمعا للانجيل وهم متى ولوقا ومارقوس

واقل ما في هذا الكذب الذي هو في الدنيا عار وبرهان على الضلال ، وفي الاخرة نار ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ فصل ﴾ وفي الباب الثاني من انجيل لوقا (فلما دخل أبو المسيح به البيت ليقربا عنه ما امر به اخذه شمعون في يديه) وبعد ذلك في الباب المذكور (وكان أبواه مختلفين الي أورشلام كل سنة أيام الفصح فلما بلغ ثنتي عشرة سنة وصعدا الى أورشلام على حال سنتهما (١) في يوم العيد وهبط عند انقراضه بقي يسوع في أورشلام وجهل ذلك أبواه وظناه في الطريق مقبلا فسارا يومهم وهما يطلبانه عند الاقارب والاخوان فلما لم يجداه انصرفا الى أورشلام طالبين له فوجداه في الثالث قاعدا مع العلماء في البيت وهو يسمع منهم ويكاشفهم فكان يعجب منه كل من سمعه ومن يراه من حسن حديثه وحسن مراجعته فقالت له أمه لم أشخصتنا يابني وقد طلبك أبوك وأنا معه محزونين فقال لهما لم طلبتماني اتجهلان انه يجب على ملازمة أمر أبي فلم يفهما عنه جوابه فانطلق معهما الى ناصرة وكان يطوع لهما)

(قال أبو محمد) كيف يطلق لوقا وهو عندهم اجل من موسى عليه السلام ان يوسف النجار والد المسيح في غير موضع ؟ ويكرر ذلك كانه يحدث بحديث معهود ، أم كيف تقول مريم لابنها طلبك أبوك تعني زوجها بزعمكم وكيف يكون أباه ولا أب له ؟ وانما يطلق هذا الاطلاق في الربيب فيمن يعرف أبوه ، فيقال له أبوك عن ربيبه بمعنى كافله ، لانه لا اشكال فيه ، واما من لا اب له من بني آدم فاطلاق الابوة فيه على زوج امه اشكال وتلبيس وتطريق الى البلاء ، أم كيف تبقى مريم العذراء مع زوجها بزعمهم فض الله أفواههم ازيد من ثلاث عشرة سنة كما يبقى الرجل مع امرأته يغلقان عليهما بابا واحدا ، أم كيف يصح مع هذا عند هؤلاء انه مولود من غير ذكر اين هذا الزور المفتري ، من النور المقتنى قول الله حقا في وحيه الناطق الى رسوله الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حيث قال * (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) الى قوله (فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا ياأخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا ، فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا)

(١) سنتهما عادتهما

ويوحنا وخاتمة انجيل متى انه قال انى ارسلكم الى الامم كما ارسلنى ابي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم باسم الرب والابن وروح القدس وفاتحة انجيل يوحنا على القديم الازلى قد كانت الكلمة وهو ذا الكلمة كانت عند الله والله هو كان الكلمة وكل كان بيده ثم افترقت النصاري اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاثة الملكانية (٥١) والنسطورية واليعقوبية والشمبت

(قال أبو محمد) هذا هو الحق الواضح الذى يصدق بعضه بعضا لا الكذب المتناقض، وهذا الذى لا يمكن سواه لانه لو كان لها زوج لم ينكر احد ولادتها، ولو لم يقم برهان بكلامه فى المهد لما جاز عندنا ولا عند أحد من الناس انها حملت به من غير ذلك، ولكان ذلك دعوى كاذبة لا يجوز ان يصدقها أحد لاسيما مع زعمهم انها سكنت مع زوجها ازيد من ثلاثة عشر عاما فى بيت واحد يهديان عند ولادته مايهدى الابوان من اليهود بحكم التوراة عن ابنهما، وتقول له امه هذا أبوك وفعل أبوك، ثم أطم من هذا اقرارهم بأن له أربعة اخوة ذكور شمعون ويهوذا ويعقوب ويوسف واخوات، ثم لا يذكرون للنجار امرأة غير مريم تكون هؤلاء الاولاد للنجار من تلك المرأة، وهذه فضيحة الدهر، وقاصمة الظهر، ومطلق ألسنة القائلين انها أتت به من زوج، أو من عهر وحاشا لله من ذلك، يصحح هذا كله انهم مدسوسون من عند اليهود لافساد مذاهبهم، ونعوذ بالله من الخذلان

﴿فصل﴾ وفى الباب الرابع (١) من انجيل لوقا (وكانت العامة تشهد له وتعجب لقوله وما كان يوصيهم به، وكانت تقول اما هذا ابن يوسف النجار فقال لهم نعم قد علمت انكم ستقولون لى يا طبيب داو نفسك وافعل فى موضعك كما بلغنا انك فعلته بكفر ناحوم أمين أقول لكم انه لا يقبل أحد من الانبياء فى موضعه)

(قال أبو محمد) فى هذا الفصل ثلاث عظائم، أحدها قولهم له اما هذا ابن يوسف فقال نعم فهذا تحقيق انه ولد النجار وحاشى لله من ذلك، والثانية اعترافه واتفاقهم على انه لم يأت بآية بحضرة الجماعة. وانما ذكر انه أتى بالآيات فى القفار، والثالثة وهى الحق قوله لهم انه نبى وهذا الذى أفلت من تبديلهم وأبقاه الله عز وجل حجة عليهم. والحمد لله رب العالمين

﴿فصل﴾ وفى الباب الثاني عشر (٢) من انجيل لوقا ان المسيح قال (من قال شيئا فى ابن الانسان يغفر له ومن سب روح القدس لا يغفر له)

(قال أبو محمد) هذا إبطال لقولهم كاف لان ابن الانسان عند هؤلاء هو روح القدس نفسه ونص كلام المسيح هاهنا يبين انهما شيئان متغايران أحدهما يغفر لمن سبه. والآخر لا يغفر لمن سبه، وهذا بيان رافع للاشكال جملة، فان كان المسيح هو ابن الانسان فليس هو روح

(١) جاء فى الاصحاح الرابع من انجيل لوقا مانصه: وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ويقولون أليس هذا ابن يوسف فقال لهم على كل حال تقولون لى هذا المثل. أيها الطبيب اشف نفسك. كم سمعنا أنه جرى فى كفر ناحوم فافعل ذلك هنا أيضا فى وطنك وقال الحق أقول لكم انه ليس نبى مقبولا في وطنه (٢) فى الاصحاح الثانى عشر منه: وكل من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له وأما من جدف على الروح القدس فلا

منها الاليانية والبليارسية والمقدانوسية والسبالية والبوطينوسية والبوليسية الى سائر الفرق (الملكانية) أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ويعنون بروح القدس اقنوم الحياة ولا يسمون العلم قبل تدرعه به ابنا بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم ان الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن أو الماء اللبن وصرحت الملكانية بان الجوهر غير الاقانيم وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا باثبات التثليث واخبر عنهم القرآن * لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة * وقالت الملكانية المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم ازلى من قديم ازلى ولقد ولدت مريم عليها السلام الها ازليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت واطلقوا لفظ الابوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح لما وجدوا فى الانجيل حيث قال انك أنت الابن الوحيد وحيث شمعون الصفا انك ابن الله حقا ولعل ذلك من مجاز اللغة كما يقال لطلاب الدنيا ابناء الدنيا ولطلاب الآخرة أبناء الآخرة وقد قال المسيح للحواريين (أنا أقول لكم أحبوا أعداءكم وبركوا على لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء الذى تشرق شمسه على الصالحين والفجرة وينزل قطره على الابرار والاثمة وتكونوا تامين كما ان اباكم الذى فى

السماء تام وقال انظروا واصدقاتكم فلا تعطوها قدام الناس لتراؤم فلايكون لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء. وقال حين كان يصلب اذهب الى أبى وأبيكم) ولما قال أريوس القديم هو الله والمسيح مخلوق اجتمعت البطارقة والمطارنة والاساقفة فى بلد قسطنطينية بمحضر من ملكهم (٥٢) وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا واتفقوا على هذه الكلمة اعتقادا ودعوة وذلك قولهم نؤمن بالله الواحد الاب مالك كل شيء وصانع مايرى ومالا يرى وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم وكل شيء الذى أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولد من مريم البتول وصلب أيام فيلاطوس ودفن ثم قام فى اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الاموات والاحياء ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذى يخرج من أبيه وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات وفيه اشارة الى حشر الابدان وفى النصارى من قال بحشر الارواح دون الابدان وقال ان عاقبة الاشرار فى القيامة غم وحزن الجهل وعاقبة الاخيار سرور وفرح العلم وانكروا أن يكون فى الجنة نكاح وأكل وشرب وقال ماراسحاق منهم ان الله تعالى وعد المطيعين وتوعد العاصين ولا يجوز أن يخالف الوعد لانه لايليق بالكرام لكن يخالف الوعيد فلا يعذب العصاة ويرجع الخلق الى سرور وسعادة ونعيم هذا فى الكل اذ العقاب الابدى لايليق بالجواد الحق (النسطورية) أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون

القدس أصلا بنص كلامه ، وان كان هو روح القدس فليس هو ابن الانسان كذلك أيضا ولئن كان ابن الانسان هو روح القدس فقد كذب المسيح . اذ فرق بينهما لجعل أحدهما يغفر لمن سبه ، والآخر لايغفر لمن سبه وفى هذا كفاية

﴿فصل﴾ وفى الباب الموفى (١) عشرين من انجيل لوقا ولما بلغوا الى الموضع الذى يدعى الاجرد صلبوه فيه وصلبوا معه السارقين الماثنين عن يمينه وشماله فقال يسوع ياأبتاه اغفر لهم لانهم يجهلون مايصنعون ولايدرون فعلهم)

(قال أبو محمد) فى هذا الفصل شنعتان عظيمتان على النصارى كافيتان فى وساخة دينهم وبيان فساد كل ماهم عليه جهارا ، أولهما ان نسألهم فنقول لهم : المسيح اله عندكم أم لا ؟ فمن قولهم نعم فيقال لهم فالى من دعا ورفع طلبته ؟ فان كان دعا غيره فهو اله يدعو الها آخر ، وهذا شرك وتغاير بين الالهة وهم لايقولون هذا ، وان كان دعا نفسه فهذا هوس . انما حكمه أن يقول قد غفرت لكم وهم يصرحون فى الاناجيل بانه يغفر ذنوب من شاء . فأين كان عن هذه الصفة اذ دعا الها غيره ؟ والثانية أن يقال لهم هل أجيبت دعوته هذه أم لا ؟ فان قالوا لم تجب دعوته قلنا فليس فى الخزى أكثر من اله يدعو فلا يستجاب له ، ولا فى النحس فوق هذا . وعلى هذا فابيده من الربوبية الا كذنب ثورشارد فى جدور كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيجاب مرة ولا يجاب مرة . وان قالوا بل أجيبت دعوته ، قلنا لهم فاعلموا انكم وأسلافكم كلكم فى سبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم ، وكيف يستحلون سب قوم قد غفر لهم الههم واسقط عنهم الملامة فى صلبهم له ؟ أما لكم عقول تعرفون بها مقدار ما أنتم عليه من الضلال الذي ليس فى العالم أحد على مثله ؟ بل كل ضلالة فهى دونه . فان قيل وما أنكرتم من هذا وأنتم تقولون ان الله تعالى دعا الكفار الى الايمان فلم يجيبوه ؟ قلنا نعم فكانوا عصاة والله تعالى لم يرد كون الايمان منهم انما أمرهم أمر تعجيز . فاخبرونا أنتم من هو المدعو لهم ليغفر لهم فنجيبه أو نعصيه . ولا مخلص من هذا

﴿فصل﴾ وفى آخر انجيل لوقا (انه بعد صلبه تراءى لرجلين من تلاميذه وهما لايعرفانه فقال لهما ماهذا الذى تخوضان فيه وتحزنان له فقال أحدهما وهو الذى يسمى كلوباش أنت وحدك غريب بيرشلام اذ تجهل ماكان بها هذه الايام فقال لهما وما ذلك فقالا له من خبر يسوع الناصرى الذى كان نبيا مقتدرا فى أفعاله وكلامه عند الله وعند الناس وكيف اجتمع قواد القسيسين على قتله وصلبه الى آخر كلامهما وانه قال لهما ياجهال ويامن عجزت عن فهم يغفر له

(١) فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا : ولما مضوا به الى الموضع الذى يدعى جمجمه صلبوه هناك مع المذنبين واحدا عن يمينه والآخر عن يساره فقال يسوع ياأبتاه اغفر لهم لانهم لايعلمون ماذا يفعلون انتهى

مقالة الانبياء قلوبهم أما كان هذا واجبا أن يلقاه المسيح وبعد ذلك يبلغ الى عظمته)

(قال أبو محمد) فهؤلاء اصحابه يقولون انه كان نبيا عند الله وعند الناس وهو يسمع بزعمهم ولا ينكر ذلك فهلا قالوا فيه هكذا لقد طمس الشيطان ابصار قلوبهم ولوى السنتهم عن ان يقولوا ذلك ولا مرة فى الدهر بل يكذبونه أشد التكذيب وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ فصل ﴾ وفى انجيل متى ومارقش ولوقا انه قبل أخذه (سجد ودعا وقال يا أبى كل شىء عندك ممكن فاعفنى من هذه الكاس لكن لا اسأل ارادتى لكن ارادتك) زاد لوقا فى انجيله قال (فتراءى له ملك السيد معزيا له فأطال صلاته حتى سال العرق منه وتساقطت نقطه كتساقط نقط الدم اذا انسكب فى الارض) وفى انجيل متى ومارقش (انه صاح باعلى صوته وهو مصلوب الهى الهى لم اسلمتنى ثم فاضت نفسه)

(قال أبو محمد) فيا للناس اهذه صفة اله وهل يحتاج الاله الى ملك يعزيه وهل يدعو الاله فى ان يصرف عنه كاس المنية واله يعرق من صعوبة الحال اذا ايقن بالموت واله يسلمه اله أفى الحمق شىء يفوق هذا فان قالوا لنا انما هذا كله خبر عن الطبيعة الناسوتية قلنا لهم انتم تقولون فى كل هذا فعل المسيح وقال المسيح والمسيح عندكم طبيعتان ناسوتية ولاهوتية وعند اليعقوبية منكم طبيعة واحدة وكلكم تقولون ان اللاهوت اتحد بالناسوت فانتم كذبتم وأنتم طرقتم الى هذا وأنتم اضفتم كل هذا الى اللاهوت وانما كان الحق على اصلكم هذا الملعون ان تقولوا فعل نصف المسيح وقال نصف المسيح فعلى كل حال قد كذبتم وسخفتم وفى هذا كفاية لمن عقل

﴿ فصل ﴾ وفى اول انجيل يوحنا وهو أعظم الاناجيل كفرا وأشدها تناقضا وأتمها رعونة (فاول كلمة فيه فى البدء كانت الكلمة والكلمة كانت عند الله والله كان الكلمة بها خلقت الاشياء ومن دونها لم يخلق شىء فالذى خلق فهو حياة فيها)

(قال أبو محمد) فهل سمع بأعظم سخفا وأتم تناقضا من هذا الكلام كيف تكون الكلمة هى الله وتكون عند الله فالله اذا كان عند نفسه ثم قوله ان الذى خلق بالكلمة هو حياة فيها فعلى هذا حياة الله مخلوقة فروح القدس على نص كلام هذا الرجل مخلوق لان روح القدس عند جميعهم هو حياة الله وهذا خلاف قول جميع النصارى لان الحياة التى فى الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا والله بنص كلام يوحنا هو الكلمة وهذا هدم لملة النصارى من قرب ثم اطم من هذا كله اذ كانت حياة الكلمة مخلوقة والكلمة هى الله فالله حامل لاعراض مخلوقة فيه فاعجبوا ثم اعجبوا وبعد هذا الفصل على ما نورد ان شاء الله تعالى والكلمة كانت بشرا امع قوله الكلمة هى الله فالله بشر على نص كلام هذا النذل يوحنا عليه من الله اللعائن المتواترة

وتصرف فى الاناجيل بحكم رأيه واضافته اليهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة قال ان الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة وهذه الاقانيم ليست زائدة على الذات ولا هى هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكائية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية (٥٣) ولكن كاشراق الشمس فى كوة أو على بلور أو كظهور النقش فى الخاتم وأشبه المذاهب بمذهب نسطور فى الاقانيم أحوال أبى هاشم من المعتزلة فانه يثبت خواص مختلفة لشىء واحد ويعنى بقوله هو واحد بالجوهر أى ليس مركبا من جنس بل هو بسيط واحد ويعنى بالحياة والعلم اقنومين جوهرين أى أصلين مبدأين للعالم ثم فسر العلم بالنطق والكلمة ويرجع منتهى كلامه الى اثبات كونه تعالى موجودا حيا ناطقا كما تقوله الفلاسفة فى حد الانسان الا ان هذه المعانى تتغاير فى الانسان لكونه مركبا وهو جوهر بسيط غير مركب و بعضهم يثبت لله تعالى صفات أخر بمنزلة القدرة والارادة ونحوهما ولم يجعلوها اقانيم كما جعلوا الحياة والعلم اقنومين ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الاقانيم الثلاثة حى ناطق اله وزعم الباقون ان اسم الاله لا ينطلق على كل واحد من الاقانيم وزعموا ان الابن لم يزل متولدا من الاب وانما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد والحدوث راجع الى الجسد والناسوت فهو اله وانسان اتحدا وهما جوهران اقنومان طبيعتان جوهر قديم وجوهر محدث اله تام وانسان تام ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث لكنهما صارا مسيحا واحدا مشيئة واحدة وربما بدلوا العبارة فوضعوا مكان الجوهر الطبيعة ومكان الاقنوم شخصا واما قولهم فى القتل والصلب فيخالف قول الملكائية واليعقوبية قالوا ان القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته لان

﴿ فصل ﴾ - وبعد ذلك ذكر المسيح فقال فانه كان فى الدنيا وبه خلقت الدنيا ولم يعرفه أهل الدنيا

(قال أبو محمد) هذا من الحمق المزور كيف يكون فى الدنيا وبه خلقت الدنيا لئن كان الهاً كما يقولون فهو خلق الدنيا ولا يجوز ان تخلق به وان كان انما به خلقت الدنيا ولم يخلقها هو فليس هو الاها ولا خالقها وانما هو اله من الالات خلقت الدنيا به وحاشى لله ان يخلق بآلة لكن كما قال فى وحيه الناطق الى رسوله الصادق الذى لا يتناقض كلامه ولا يتعارض اخباره * انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون * واين يجتمع قوله ههنا ان به خلقت الدنيا مع الكذب الذى يضيفونه الى المسيح من أنه قال بزعمهم انا اخلق وابي يخلق وان لم أعمل كما يعمل أبي فلا تصدقوني حاشى لله من ان يقول نبي هذا الكذب وهذا الحمق اذاً كان يكونان الهين متغايرين اثنين كل واحد منهما غير الآخر وكل واحد منهما يخلق كما يخلق الاخرى ثم مرة هو اله يخلق ومرة هو اله يخلق به الا هذا هو الضلال المبين والخبال المتين

﴿ فصل ﴾ وبعد ذلك قال (فمن يقبله منهم وآمن باسمه أعطاهم سلطانا ان يكونوا أولاد الله اولئك المؤمنون به الذين لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم ولا باءة رجل لكن توالدوا من الله فالتحمت الكلمة والكلمة كانت بشرا وسكنت فينا ورأينا عظمتها كعظمة ولد الله)

(قال أبو محمد) وفى هذا الفصل من الكفر ما لو انهدمت الجبال منه لكان غير نكير نسأل الله العافية ايها الناس فتاملوا قول هذا النذل ان المؤمنين بالمسيح هم اولاد الله فالنصارى اذاً كلهم اولاد الله فاى منزلة للمسيح عليهم اذ هو ولد الله وهم اولاد الله ثم اعجبوا لقول هذا المستخف المستهزئ بالسفلة الذين قلدوا دينهم مثله ان المؤمنين بالمسيح لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم ولا باءة الرجل لكن توالدوا من الله هكذا هم هكذا فكيف تولد يوحنا من سيذاي وامرأته الاحياء ماهذا الا من عظيم المجاهرة بالباطل والكذب فان قالوا هذا مجاز قلنا مجاز فى ماذا بل هو الكذب البحت البارد والحمق وهذا نفسه قائم عن المسيح فما الفرق بين القولين ولعل ذلك ايضاً مجازاً كما هو مجاز ما رأينا قط احمق من هؤلاء ولا اوقح من خدودهم ثم اعجبوا لقوله فالتحمت الكلمة وسكنت فينا فكيف تصير الكلمة لحماً وقد قال انها هى الله فالله اذاً صار لحماً ودما وسكن فى اولئك الاقذار حسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ فصل ﴾ - ثم قال (اثر هذا ان الله لم يره احد قط ما عدا ما وصف عنه الولد الذى هو في حجر ابيه)

الاله لاتحله الآلام وبوطينوس وبولى الشمشاطى يقولان ان الاله واحد وان المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام وانه عبد صالح مخلوق الا ان الله تعالى شرفه وكرمه لطاعته وسماه ابنا على التبنى لا على الولادة والاتحاد ومن النسطورية قوم يقال لهم المصلين قالوا فى المسيح مثل ما قال نسطور الا انهم قالوا اذا اجتهد الرجل فى العبادة وترك التغذي باللحم والدسم ورفض الشهوات النفسانية الحيوانية يصفى جوهره حتى يبلغ ملكوت السموات ويرى الله تعالى جهرا وينكشف له ما فى الغيب فلا يخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء ومن النسطورية من ينفى التشبيه ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية

(اليعقوبية) أصحاب يعقوب قالوا بالاقانيم الثلاثة كما ذكرنا الا انهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو وعنهم أخبرنا القرآن الكريم * لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم * فنهم من قال المسيح هو الله ومنهم من قال ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ولا على سبيل اتحاد الكلمة التى هي فى حكم الصفة بل صار هو هو وهذا كما يقال ظهر الملك بصورة الانسان أو ظهر الشيطان بصورة حيوان وكما أخبر التنزيل عن جبريل عليه السلام * فتمثل لها بشرا سويا * وزعم أكثر اليعقوبية ان المسيح جوهر واحد اقنوم واحد الا انه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين جوهر الاله القديم وجوهر الانسان المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا اقنوما واحدا وهو انسان كله واله كله فيقال الانسان صار الها ولا ينعكس فلا يقال الاله صار انسانا كالفحمة تطرح فى النار فيقال صارت الفحمة نارا ولا يقال صارت النار فحمة وهى فى الحقيقة لا نار مطلقة

(قال ابو محمد) هذا عجب آخر قد قال آنفاً ان الكلمة هي الله وانها التحمت وصارت لحماً ودما وسكنت فيهم فالله عز وجل على قولهم صار لحما وسكن فيهم فكيف لم يره احد ثم قوله الا ماوصف عنه الولد الفرد الذي هو في حجر ابيه فوجب من هذا ان الولد هو غير الاب لان من المحال الممتنع ان يكون الله في حجر نفسه فصح ضرورة ان الابن عندهم على نصوص الاناجيل هو غير الاب وهم لايثبتون على هذا بل مرة هو والاب عندهم شئ واحد وكل هذا منصوص في اناجيلهم وكل قضية منها تكذب الاخرى فكلها كذب بلا شك ونعوذ بالله من الضلال

﴿ فصل ﴾ وفي الباب الاول من انجيل يوحنا اذ ذكر شهادة يحيي بن زكريا اذ بعث اليه اليهود من برشلام الكهنة واللاوانيين وكاشفوه عن نفسه فاقر ولم يجحد وقال لهم لست انا المسيح قالوا ايراك الياس قال لا قالوا فانت نبي قال لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ كيف يكون هذا مع قول المسيح في انجيل متى ومارقش كما اوردنا قبل أن كل نبوة وكل كتاب فمنتهاها الى يحيي وقوله فيه انه اكثر من نبي فمرة هو نبي وانتهت اليه كل نبوة ومرة هو اكثر من نبي ومرة يقول هو عن نفسه انه ليس نبياً فلا بد ضرورة من الكذب في احدى هذه الاقوال وحاشى لله ان يكذب المسيح ويحيي عليهما السلام لكن كذب والله النذلان متى الشرطي ويوحنا العيار

﴿ فصل ﴾ وبعده في الباب نفسه قال (ويوما آخر رأى يحيي المسيح مقبلا اليه فقال هذا صار خروف الله)

(قال ابو محمد) هذه طامة اخرى بينما كان كلمة لله وابن الله والهاً يخلق صار خروف الله وحاشى لله ان يضاف اليه خروف الا على سبيل الخلق والملك انما يضاف الخروف الى من يتخذه للاكل او الذبح او لمن يربيه للعجلة او لصبي يلعب به ويصبغه بالحنا وتعالى الله عز وجل عن كل هذا فصح انها من عمل عيار مستخف ونعوذ بالله من الضلال

﴿ فصل ﴾ وبعده بيسير في الباب نفسه (ان يحيي بن زكريا قال عن عيسى شهدت بأن هذا سليل الله)

(قال أبو محمد) شهدت أنا بنفسي وعقلي وجسدي بشهادة الله التامة ان هذه كذبة كذبها اللعين يوحنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن رسوله يحيي بن زكريا وان الله تعالى وجل عن أن يكون له سليل وأعجب شيء نسبتهم الى يحيي عليه السلام انه قال في المسيح هذا خروف الله هذا سليل الله وانما الخروف سليل النعجة والكبش اللهم العن هؤلاء الاثنان فاسمعنا بأعظم استخفافا بالله تعالى وبرسله عليهم السلام منهم

ولا لحمة مطلقة بل هي جمرة وزعموا ان الكلمة اتحدت بالانسان الجزئي لا الكلي وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع والحلول كحلول صورة الانسان في المرآة المجلوة واجمع أصحاب التثليث كلهم على ان القديم لايجوز ان يتحد بالمحدث الا ان الاقنوم الذي هو الكلمة اتحدت دون سائر الاقانيم واجمعوا على ان المسيح عليه السلام ولد من مريم عليها السلام وقتل وصلب ثم اختلفوا في كيفية ذلك فقالت الملكائية واليعقوبية ان الذي ولدت مريم هو الآله فالملكائية لما اعتقدت ان المسيح ناسوت كلي ازلي قالوا ان مريم انسان جزئي والجزئي لا يلد الكلي وانما ولده الاقنوم القديم واليعقوبية لما اعتقدت ان المسيح هو جوهر من جوهرين وهو آله وهو المولود قالوا ان ان مريم ولدت الها تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وكذلك قالوا في القتل وقع على الجوهر الذي هو من جوهرين قالوا ولو وقع على أحدهما لبطل الاتحاد وزعم بعضهم انا نثبت وجهين للجوهر القديم فالمسيح قديم من وجه محدث من وجه وزعم قوم من اليعقوبية ان الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا لكنها مرت بها كالماء في الميزاب وماظهر من شخص المسيح عليه السلام في الاعين هو كالخيال والصورة في المرآة والا فما كان جسما متجسما كثيفا في الحقيقة وكذلك القتل والصلب انما وقع على الخيال والحسبان وهؤلاء يقال لهم الاليانية وهم قوم بالشام واليمن والارمينية قالوا وانما صلب الاله من أجلنا حتى يخلصنا وزعم بعضهم ان الكلمة كانت تداخل جسم المسيح عليه السلام أحيانا فتصدر عنه الآيات من أحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وتفارقه في بعض الاوقات فترد عليه الالام والاوجاع ومنهم بليارس وأصحابه وحكي عنه انه كان يقول اذا صارت الناس الى الملكوت الاعلى اكلوا الف سنة وشربوا ونكحوا ثم صاروا الى النعيم الذي وعدهم

﴿فصل﴾ وفي الباب الثالث من انجيل يوحنا (ان يحيي عليه السلام قال عن المسيح قد رضي الاب عن الولد وبريء اليه بجميع الاشياء) وفي الباب الخامس من انجيل يوحنا أيضا (ولهذا كانت اليهود تريد قتله لانه ليس كان يفسخ عليهم سنة السبت فقط لـكنه كان يدعى الله أباو يسوى نفسه به) وبعده بيسير ان المسيح قال (كما يحيي الاب الموتى ويقيمهم كذلك يحيي الابن من وافقه وما يحكم الاب على أحد لانه يرد الحكم الى سليله)

(قال ابو محمد) هذه الطامة انست كل طامة سلفت ولا حول ولا قوة الا بالله كيف ينطلق لسان احد بهذا الـكفر الفاحش الفظيع من أن الله تعالى قد اعتزل الحكم فلا يحكم على احد لانه برئ بالحـكم وبجميع الاشياء الى ولده حاش لله من هذا انمـا عهدنا هذا من فعل الملوك اذا شاخوا وضعفوا وارادوا الانفراد لراحاتهم ولذاتهم وترتيب الامر لاولادهم لئـلا ينازعهم الامر بعدهم غيرهم فحينئذ يسلمون الامر اليهم في الظاهر واما في الباطن فلا هذا كفر ماقدرنا أحدا ينطلق به لسانه حتى سمعناه من قبل هذا الكافر يوحنا لعنه الله والحمد لله على عظيم نعمته علينا كثيرا

﴿فصل﴾ وبعده بيسير في الباب الخامس من انجيل يوحنا ان المسيح (قال فكما احتوي الاب الحياة في ذاته كذلك ملك ولده الاحتواء على الحيـاة في ذاته واعطاه سلطانا وملـكه الحـكومة والسلطان والحياة كما هي للاب لانه ابن الانسان)

(قال ابو محمد) فهل سمع قط باسخف من هذه المقالة اذ اخبر ان من اجل أن المسيح هو ابن الانسان ساواه الله بنفسه وهذا كله يوجب أنه غير الله ولابد لان المعطى المملك هو غير المعطي المملك بلا شك

﴿فصل﴾ وبعده بيسير في الباب نفسه ان المسيح قال (ولا اقوى ان افعل من ذاتي شيئا لـكن احكم بمـا اسمع وحكمي عدل لاني لست انفذ ارادتي الا ارادة ابي الذي بعثني فان كنت اشهد لنفسي فان شهادتي غير مقبولة ولـكن غيري يشهد لي) وفي الباب السادس من انجيل يوحنا ايضا ان المسيح (قال انما نزلت من السماء لاتم ارادة ابي الذي بعثني لا ارادتي) وفي الباب السابع من انجيل يوحنا انه قال المسيح (ليس علمي لي لكن للذي بعثني) وفي الباب الحـادى عشر من انجيل يوحنا ايضا ان المسيح (قال لهم لو احببتموني لفرحتم بمسيري الى الاب لان الاب اكبر مني)

(قال ابو محمد) فهل في العبودية والتذلل بالحق لله تعالى اكثر من هذا وكيف يجتمع هذا الـكلام مع الذي قبله باسطار من انه مساو لله وان الله لايحكم بعد على احد لكن يبرأ بالحـكم كله الى ولده أما في هـذه المناقضات السخيفة عبرة لمن اعتبر ثم عجب آخر قوله هاهنا) ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة) ثم قال في آخر الباب السابع من أنجيل

اريوس كلها لذة وسرور وراحة وحبور لا اكل فيها ولا شرب ولا نكاح وزعم مقدانيوس ان الجوهر القديم اقنومان كحسب اب وابن والروح مخلوق وزعم سباليوس ان القديم جوهر واحد اقنوم واحد له ثلاث خواص واتحد بكليته بجسد عيسى بن مريم عليهما السلام وزعم اريوس (٥٦) ان الله واحد سماه ابا وان المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء وهو مخلوق قبل خلق العالم وهو خالق الاشياء وزعم ان الله تعالى روحا مخلوقة اكبر من سـائر الارواح وانها واسطة بين الاب والابن تؤدى اليه الوحى وزعم ان المسيح ابتدأ جوهرا لطيفا روحانيا خالصا غير مركب ولا ممزوج بشيء من الطبـائع وانما تدرع بالطبائع الاربع عند الاتحاد بالجسم المأخوذ من مريم وهذا اريوس قبل الفرق الثلاث فتبرؤا منه لمخالفتهم اياه في المذهب من له شبهة كتـاب قد بينا كيفيـة تحقيق الـكتـاب وميزنا بين حقيقة الكتاب وشبهة الـكتـاب وان الصحف التي كانت لابراهيم عليه السلام كانت شبهة كـتاب وفيها مناهج علمية ومسالك عملية اما العلميات فتقرير كيفيـة الخلـق والابداع وتسويه المخلوقات على نسبة نظـام وقوام تحصل منها حكمته الازلية وتتصدفها مشيئته السرمدية ثم تعرير التقدير والهداية عليها ليقدر كل نوع وصنف بقدرة المحكوم المحتوم ويقبل هدايته السارية في العالم بقدر استعداده المعلوم والعلم كل العلم لا يعدو هذين النوعين وذلك قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى * وقال عز وجل خبرا عن ابراهيم عليه السلام * الذى خلقني فهو يهدين * وخبرا عن موسى عليه السلام * الذى عطى كل شيء خلقه ثم هدى * واما العمليات فتزكية النفوس عن درن الشبهات وذكر الله تعالى باقامة العبادات ورفض الشهوات الدنية ايثار السعادات الاخروية ولن يحصل البلوغ الى كمال المعاد الا باقامة هذين الركنين أعني

الطهارة والشهادة والعمل كل العمل لايعدو هذين النوعين وذلك قوله تعالى * قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى * ثم قال عز من قائل * ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى * فبين ان الذى اشتمل عليه الصحف هو مااشتمل عليه هذه السورة (٥٧) وبالحقيقة هذا هو الاعجاز المنوى

يوحنا (ان كنت اشهد لنفسى فشهادتي حق) فاعجبوا لهذا الاختلاط وهكذا ذكر فى الباب السادس من انجيل يوحنا ان جماعة من تلاميذه لما سمعوا هذه الاقوال المختلطة ارتدوا وفارقوه كما نذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾ وفى الباب السادس من انجيل يوحنا (انه لما اطعم الخمسة آلاف انسان من خمس خبز وحوتين وفضل من شبعهم اثنتاعشرة سلة من خبز قال الجماعة هذا النبى حقا) فياللعجب هلا قالوا فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة

(فصل) ثم ذكر فى السادس المذكور انه اتى بكلام كثير لايعقل من جملته انه قال لهم (أمين أقول لكم لئن لم تأكلوا لحم ابن الانسان وتشربوا دمه لن تنالوا الحياة الدائمة فيكم فمن أكل لحمى وشرب دمى ينال الحياة الدائمة وأنا أقيمه يوم القيامة فلحمى هو طعام صادق ودمى شراب صادق فمن أكل لحمي وشرب دمى كان في وكنت فيه) ثم ذكر يوحنا انه قال جماعة من التلاميذ هذا كلام شاق ومن أجل ذلك ارتد جماعة من التلاميذ وذهبوا عنه

(قال أبو محمد) وهذا الكلام وسواس صحيح لايقوله الاختلاط وقد أعاذ الله نبيه منه

(فصل) وفى الباب السابع من انجيل يوحنا (ان اخوة يسوع قالوا اذهب الى بلد يهوذا وأخرج من هاهنا لتعاين تلاميذك عجايبك التى تطلع فليس يختفى أحد بفعل يريد أن يطلع عليه فاذا كنت تريد هذا فاطلع علي نفسك أهل الدنيا وكانوا اخوته لايؤمنون)

(قال أبو محمد) ففى هذا انه كان يختفى بمعجزاته كالزرى

(فصل) وفى الباب السابع من انجيل يوحنا (انه أتى الي المسيح بامرأة قد زنت فلم يوجب عليها شيأ واطلقها)

(قال أبو محمد) وهم علي خلاف هذا فقد زوروا المسيح وجوروه أو فليشهدوا علي أنفسهم بالجور والظلم

(فصل) وفى آخر الباب السابع من انجيل يوحنا (ان المسيح قال أنا لاأحكم علي أحد وان حكمت فحكمى عدل لانى لست وحيدا ولكنى انا وأبي الذى بعثنى وقيل فى توراتكم ان شهادة رجلين مقبولة فاني اؤدي الشهادة عن نفسي ويشهد لى الذى بعثنى

(قال ابو محمد) ليت شعرى كيف يجتمع هذا الفصل مع الذى أوردنا فى الباب الثالث من انجيل يوحنا أيضا من أن الله تعالى لايحكم بعد على أحد لانه قد برأ بالحكم كله الى ولده المسيح

﴿ فصل ﴾ وفى الباب الثامن من انجيل يوحنا ان المسيح (قال لهم انا رجل اديت اليكم الحق الذى سمعته عن الله) فهذا اقراره بانه رجل يؤدى ماسمع فقط مع استشهادهم فى الباب الثانى عشر من انجيل متى بقول شعيا النبي فى المسيح من ان الله تعالى قال فيه هذا غلامي المصطفى وحبيبى الذى تخيرته فصح انه نبي من الانبياء وعبد الله

(المجوس وأصحاب الاثنين والمانوية وسائر فرقهم المجوسية) يقال لهم الدين الاكبر والملة العظمى اذ كانت دعوة الانبياء بعد ابراهيم الخليل عليه السلام لم تكن فى العموم كالدعوة الخليلية ولم يثبت لها من القوة والشوكة والملك والسيف مثل الملة الحنيفية اذ كانت ملوك العجم كلها علي ملة ابراهيم وجميع من كان في زمان كل واحد منهم من الرعايا فى البلاد على أديان ملوكهم وكان لملوكهم مرجع هو موبذ موبذان اعلم العلماء وأقدم الحكماء يصدرون عن أمره ولا يرجعون الا الى رأيه ويعظمونه تعظيم السلاطين لخلفاء الوقت وكانت دعوة بنى اسرائيل أكثر فى بلاد الشام وماوراها من المغرب وقل ماسرى من ذلك الى بلاد العجم وكانت الفرق فى زمان ابراهيم الخليل راجعة الى صنفين أحدهما الصابئة والثانية الحنفاء فالصابئة كانت تقول انا نحتاج فى معرفة الله

تعالى ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه الى متوسط لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لاجسمانيا وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الارباب والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل ويشرب مما نشرب يماثلنا فى المادة والصورة قالوا * ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون * والحنفاء كانت تقول انا نحتاج فى المعرفة والطاعة الى متوسط من جنس البشر يكون درجته فى الطهارة والعصمة والتأييد والحكمة فوق الروحانيات

يماثلنا من حيث البشرية ويمايزنا من حيث الروحانية فيتلقى الوحي بطرف الروحانية ويلقي الى نوع الانسان بطرف البشرية وذلك قوله تعالى * قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى * وقال جل ذكره قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا * ثم لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على (٥٨) الروحانيات البحتة والتقرب اليها باعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت

-﴿ فصل ﴾- وفي الباب التاسع من انجيل يوحنا أن اليهود قالوا المسيح (لسنا نرجمك لعمل صالح الا للشتيمة ولادعائك الربوبية وانت انسان فقال لهم المسيح اما قد كتب في كتابكم الزبور حيث يقول اما قلتم انتم آلهة وبنو العلي كلكم فان كان سمى الله الذي كلمهم آلهة ولا سبيل الى تحريف الكتاب وتبديله فلم تقولون فيمن بارك الله عليه وبعثه الى الدنيا انه شتم اذا قلت اني ابن الله ان كنت لا افعل أفعال أبي فلا تصدقوني الى قوله لتعلموا اني في الاب والاب في) وفي الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا ان بلش الحواري قال المسيح (ياسيدنا ارنا الاب ويكفينا فقال له المسيح طول هذا الزمان كنت معكم ولم تعرفوني يابلش من رآني فقد رأى الاب فكيف تقول أنت ارنا الاب أليس تؤمن اني انا في الاب وان الاب هو في) فكيف هذا مع قول يوحنا الذي ذكرنا في أول انجيله ان الاب لم يره أحد قط

-﴿ فصل ﴾- وفي الباب الحادي عشر من انجيل يوحنا المذكور أن المسيح قال لتلاميذه (انا في أبي وانتم في وانا فيكم)

(قال أبو محمد) اذا كان هو في الاب والاب فيه وهو في التلاميذ والتلاميذ فيه فالاب في التلاميذ والتلاميذ في الاب ضرورة فاي مزية له عليهم وهل هو وهم الا سواء في كونه وكونهم في الله وكون الله فيهم وفيه ثم هذا الكلام لا يعقل ولا يفهم منه الا الاستخفاف والكفر فقط لانه ان كان فيهم بذاته فقد صاروا له مكانا وصار تعالى محدودا وهذه صفة المحدث وان كان فيهم بتدبيره فهكذا يدبر في كل حي وميت وكل جماد وكل عرض ولا فرق ولا فضيلة في هذا أصلا

-﴿ فصل ﴾- وفي الباب الثاني عشر من انجيل يوحنا ان المسيح (قال لهم لست اسميكم بعد عبيد الآن العبد لا يدري ما يصنع سيده قد سميتكم اخوانا) وفي آخر الباب المذكور ان المسيح (قال انا من الله خرجت ومن الاب انبثقت) ففي أحد هذين الفصلين ان التلاميذ قد اعتقوا من عبودية الباري وانهم اخوانه وهو خرج من الله ومنه انبثق فهم كذلك ايضا فاي مزية له عليهم مع سخف هذا الكلام وانه لا يدري لهذا الانبثاق معنى أصلا والانبثاق لا يكون الا من الاجسام ضرورة

(فصل) وفي الباب الثالث عشر من انجيل يوحنا في أوله ان المسيح (قال رافعا عينيه الى السماء ياابتاه قد آن الوقت فشرف ولدك لكيما يشرفك ولدك وبعده بيسير أن المسيح قال لله انا شرفتك على الارض)

(قال ابو محمد) هذه مصيبة الدهر لم يقنعوا للمسيح بنبوة الله حتى وصفوه بمساواته لله تعالى ثم لم يقنعوا بمساواته لله تعالى حتى قالوا ان الله تعالى قد انعزل له عن الحكم وليس يحكم على أحد وانه قد برئ بالملك والحكم كله الى المسيح ثم لم يقنعوا له بالعزلة والخمول حتى جعلوا المسيح يشرف الله

جماعة الى هياكلها وهي السيارات السبع وبعض الثوابت فصابئة الروم مفزعها السيارات وصابئة الهند مفزعها الثوابت وسنذكر مذاهبهم على التفصيل ان شاء الله تعالى وربما نزلوا عن الهياكل الى الاشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن الانسان شيئا والفرقة الاولى هم عبدة الكواكب والثانية هم عبدة الاصنام وكان الخليل مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين وتقرير الحنيفية السمحة السهلة احتج على عبدة الاصنام قولا وفعلا كسرا من حيث القول وكسرا من حيث الفعل فقال لابيه آذر * يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا * الآيات حتى جعلهم جذاذا الا كبيرا لهم وذلك الالزام من حيث الفعل والافحام من حيث الكسر ففزع من ذلك كما قال تعالى * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم * ابتدأ بابطال مذاهب عبدة الاوثان على صيغة الموافقة كما قال تعالى * وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض اى كما آتيناه الحجة كذلك نريه المحجة فساق الالزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدأ والمخالفة في النهاية ليكون الالزام ابلغ والافحام أقوى والا فابراهيم الخليل عليه السلام لم يكن في قوله هذا ربي مشركا كما لم يكن في قوله بل فعله كبيرهم هذا كاذبا وسوق الكلام على جهة الالزام غير سوقه على جهة الالتزام فلما اظهر الحجة وبين المحجة قرر الحنيفيـــة

تعالى يا للناس هل سمعتم باعظم من هذا الكفر والله والله قطعا ما قال هذا الكلام قط مؤمن بالله اصلا وما كانوا الا دهرية مستخفين رقعاء فلهم أضعاف كل لعنة لعنها الله تعالى من سوام من الكفرة

(قال أبو محمد) وفي انجيل يوحنا ان المسيح (قال انا اميت نفسي واما احييها) فليت شعري كيف يمكن ان يحيي نفسه وهو ميت

(قال أبو محمد) فهذه سبعون فصلا في أناجيلهم من كذب بحت ومناقضة لا حيلة فيها ر منها فصول يجمع الفصل منها ثلاث كذبات فاقل على قلة مقدار أناجيلهم وجملة أمرهم في المسيح عليه السلام انه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف وابن داود وابن الانسان ومرة هو آله يخلق ويرزق ومرة هو خروف الله ومرة هو في الله والله فيه ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه ومرة هو علم الله وقدرته ومرة لا يحكم على أحد ولا ينفذ ارادته ومرة هو نبي وغلام الله ومرة أسلمه الله الى أعدائه ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولاه هو وصار يشرف الله تعالى ويعطى مفاتيح السموات لباطرة ويولى أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والارض ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ويعطش ويشرب ويعرق من الخوف ويلعن الشجرة اذا لم يجد فيها تينا يأكله ويفشل فيركب حمارة ويؤخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة ويبزق في وجهه ويضرب ظهره بالسياط ويميته الشرط ويتهكمون به ويسقى الخل في الحنظل ويصلب بين سارقين ويسمر يداه ومات في الساعة ودفن ثم يحيي بعد الموت ولم يكن له هم اذ حي بعد الموت واجتمع باصحابه الا طلب ما يأكل فاطعموه الخبز والحوت المشوي وسقوه العسل ثم انطلق الى شغله هذا كله نص أناجيلهم وهم قد اقتصروا في دينهم من هذا كله على انه آله معبود فقط وهم ينفون من اله مع الله وأناجيلهم وأماناتهم توجب ان المسيح آله آخر غير الله بل يقعد عن يمين الله وانه أكبر منه وهو يخلق كما يخلق ويحيي كما يحيي الله والضرورة توجب انهم قائلون بآلهين ولا بد متغايرين ونعوذ بالله من الخذلان

ذكر بعض ما في كتبهم غير الاناجيل من الكذب والكفر والهوس

(قال أبو محمد) قال يوحنا بن سيذاي في احدى رسائله الثلاث يا احبابي نحن الآن أولاد الله ولم يظهر بعد ما نحن كائنون وقد نعلم انه اذا ظهر سيكون امثالا له لاننا نراه كما هو

(قال أبو محمد) أفي الكفر أعظم من كفر هذا الكذاب انهم أولاد الله وانهم سيكونون مثل الله اذا ظهر وقال هذا الماين في كتاب الوحي والاعلان انه رأى الله عز وجل شيخا أبيض الرأس واللحية ورجلاه من لاطون والمسيح يقرأ بين يديه في كتاب من ذهب والملائكة يقولون هذا خروف الرب والاسواق قائمة بين يديه القمح كذا وكذا قفيزا

التي هي الملة الكبرى والشريعة العظمى وذلك هو الدين القيم وكان الانبياء من اولاده كلهم يقررون الحنيفية وبالخصوص صاحب شرعنا محمد صلوات الله عليه كان في تقريرها قد بلغ النهاية القصوى واصاب في المرمى واصمى ومن العجب ان التوحيد من اخص اركان الحنيفية ولهذا يقترن نفي الشرك بكل موضع ذكر الحنيفية حنيفا وما كان من المشركين حنفاء لله غير مشركين به (ثم الثنوية) اختصت بالمجوس حتى اثبتوا الاصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد يسمون احدهما النور والثاني الظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن ولهم في ذلك تفصيل مذهب ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين احداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة والثانية سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معاد (المجوس) اثبتوا اصلين كما ذكرنا الا ان المجوس الاصلية زعموا ان الاصلين لا يجوز ان يكونا قديمين ازليين بل النور ازلي والظلمة محدثة ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها أمن النور حدث والنور لا يحدث شرا جزئيا فكيف يحدث أصل الشر ام شيء آخر ولا شيء يشترك النور في الاحداث والقدم وبهذا يظهر خبط المجوس وهؤلاء يقولون المبدأ الاول من الاشخاص كيومرث وربما يقولون زروان الكبير والنبي الآخر زرادشت والكيومرثية يقولون كيومرث هو آدم عليه السلام وقد ورد في تواريخ الهند والعجم كيومرث آدم ويخالفهم سائر اصحاب التواريخ (الكيومرثية) اصحاب المقدم الاول كيومرث اثبتوا اصلين يزدان واهرمن وقالوا يزدان ازلي قديم واهرمن محدث مخلوق قالوا ان يزدان فكر في نفسه انه لو كان لي منازع كيف يكون وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمي اهرمن

بدينار والخمر كذا وكذا قسطا بدينار والزيت كذا وكذا قسطا بدينار فهل هذا الا هزل وعيارة وتماجن وتطايب وقال شمعون فى احدى رسائله يومئذ يأتى الرب كمجىء اللص فلعمرى لقد شبه ربه تشبيها هو أولى به ولا مؤنة على هذين الكلبين وعلى يهوذا ويعقوب اللعينين فى رسائلهم الفارغة من كل خير الباردة المملوءة من كل كفر وهوس أن يقولوا قال الله والد ربنا المسيح وفعل الله والد سيدنا المسيح كانهم والله انما يخبرون عن نسب من الانساب وولادة من الولادات وقال بولس اللعين في احدي رسائله وهى التى الى أهل غلاربه فى الباب السادس نشهد لكل انسان يختتن انه يلزمه أن يحفظ شرايع التوراة كلها وقال أيضا قبل ذلك ان اختتنتم فان المسيح لا ينفعكم فاعجبوا لهذا واعلموا انه قد ألزمهم دينين أما من كان مختونا فان شرايع التوراة كلها تلزمه ولا ينفعه المسيح واما من كان غير مختون فالمسيح ينفعه ولا يلزمه شرايع التوراة وهو وسائر التلاميذ كانوا باجماع من النصارى مختونين كلهم فوجب ان المسيح لا ينفعهم وان شرائع اليهود كلها لهم لازمة وأكثر من بين أظهر المسلمين منهم اليوم مختونون وان كان بولس صادقا فان المسيح لا ينفعهم وان شرائع التوراة كلها لهم لازمة وان كان بولس كاذبا فى ذلك فكيف يأخذون دينهم عن الكذاب ولا بد من احداهما وقال أيضا فى احدى رسائله ان يوحنا بن سيذاى ويعقوب بن يوسف النجار وباطرة أمروه أن يكون هو يدعو الى ترك الختان ويكونون هم يدعون الى الختان

(قال أبو محمد) هذا غير طريق التحقيق فى الدعاء الى الدين وانما هى دعوة حيلة واضلال مبنية لا حقيقة لها وقال بولس ان يعقوب ابن يوسف النجار كان مرائيا يتحفظ من مداخلة الاجناس بحضرة اليهود وان بولس واجهه بذلك فى انطاكية وعنفه على ذلك أفيجوز أخذ الدين عن مراء مدلس وقال هذا اللعين بولس أيضا فى احدى رسائله (ان يسوع بينما كان فى صورة الله لم يغتنم أن يكون مساويا لله بل أذل نفسه ولبس صورة عبد)

(قال أبو محمد) فهل سمع قط باوحش من هذا الكفر واحمق من هذا الكلام أو اسخف من هذا الاختيار وهل يتذلل الانسان ويحمل كل بلاء فى الدنيا الا ليصل الى رضى الله تعالى فقط فليت شعرى هل بعد الوصول الى مساواة الله تعالى عند هؤلاء الاقذار منزلة تبتغي فيرفضها المسيح لينال أعلى منها اللهم قد ذكرنا تلك المنزلة وهى التى وصفها يوحنا اللعين فى انجيله من ان الله تعالى عن كفرهم اعتزل عن الملك والحكم وولاهما المسيح وتبرأ اليه بكل شىء ثم ان المسيح شرفه الله تعالى عن ذلك اللهم العن عقولا يجوز فيها هذا الحمق وقال هذا النذل فى بعض رسائله اني كنت اتمنى ان اكون محروما من المسيح

(قال أبو محمد) ليت شعرى من ضغطه وما المانع له من أن يكفر بالمسيح فيبلغ مناه ويصير محروما منه ووالله انه لمحروم منه بلا شك وقال هذا النذل بولس أيضا فى بعض رسائله

وكان مطبوعا على الشر والفتنة والفساد والضرر والاضرار فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولا وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم ان الملائكة توسطوا فصالحوا على ان يكون العالم السفلى خالصا لاهرمن وذكروا سبب حدوثه وهؤلاء قالوا سبعة آلاف سنة (٦٠) ثم يخلى العالم ويسلمه الى النور والذين كانوا فى الدنيا قبل الصلح ابادهم واهلكهم ثم بدأ برجل يقال له كيومرث وحيوان يقال له ثور فقتلهما فنبت من مسقط ذلك الرجل ريباس وخرج من أصل ريباس رجل يسمى ميشة وامرأة اسمها ميشانة وهما أبو البشر ونبت من مسقط الثور الانعام وسائر الحيوانات وزعموا ان النور خير الناس وهم أرواح بلا أجساد بين ان يرفعهم عن مواضع أهرمن وبين ان تلبسهم الاجساد فيحاربون اهرمن فاختاروا لبس الاجساد ومحاربة اهرمن على أن يكون لهم النصرة من عند النور والظفرة بجنود اهرمن وحسن العاقبة وعند الظفر به واهلاك جنوده يكون القيامة فذاك سبب الامتزاج وهذا سبب الخلاص (الزروانية) قالوا ان النور أبدع اشخاصا من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الاعظم الذى اسمه زروان شك فى شىء من الاشياء فحدث اهرمن الشيطان من ذلك الشك وقال بعضهم لا بل ان زروان الكبير قام فزمزم تسعة آلاف وتسعماية وتسعا وتسعين سنة ليكون له ابن فلم يكن ثم حدث نفسه وفكر وقال لعل هذا العالم ليس بشىء فحدث اهرمن من ذلك الهم الواحد وحدث هرمز من ذلك العلم فكانا جميعا فى بطن واحد وكان هرمز أقرب من باب الخروج فاحتال اهرمن الشيطان حتى شق بطن أمه فخرج قبله وأخذ الدنيا وقيل انه لما مثل بين يدي زروان فابصره ورأى ما فيه من الخبث والشرارة والفساد ابغضه فلعنه وطرده فمضى واستولى على الدنيا واما

الخسيسة اليهود يطلبون الآيات واليونانيون يطلبون الحكمة ونحن نشرع ان المسيح صلب وهذا القول عنداليهود فتنة وعندالاجناس جهل ونقص وعند المختتنين من اليهود واليونانيين ان المسيح علم الله وقدرته لان ما كان جهلا عند الله هو أحكم مايكون عند الناس وماهو ضعيف عندالله هو أقوى مايكون عند الناس

(قال أبو محمد) فهل فى بيان قحة هذا النذل وسخريته لمن اتبعه وتحقيق ماتدعيه اليهود من ان اسلافهم دسوا هذا الرذل بولس لاضلال اتباع المسيح عليه السلام أكثر من هذا القول فى ابطاله الآيات والحكم وقوله إن أحكم مايكون عند الناس هو الجهل عند الله فحصول هذا الكلام اتركوا العقل وموجبه واطلبوا الحمق وتدينوا به نعوذ بالله مما ابتلام به وقال بولس ايضا فى بعض رسائله انه لاتبقى دعوة كاذبة فى الدين أكثر من ثلاثين سنة

(قال أبو محمد) هو عندهم لعنهم الله أصدق من موسى بن عمران عليه السلام فان كان صادقا فما يحتاج معهم الى برهان فى صحة دين الاسلام و نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى هذا فان لهذه الدعوى أربعمائة عام ونيفا وخمسين عاما ظاهرة والحمد لله رب العالمين فيلزمهم ان يرجعوا الى الحق او يكذبوا بولس بشيرهم وقال بعض من يعظمونه من أسلافهم وهو يوحنا فم الذهب بطريارك القسطنطينية فى كتاب له معروف عندهم ان الشجرة التى أكل منها آدم وبسببها اخرج من الجنة كانت شجرة تين وان الله تعالى انزل تلك الشجرة بعينها الى الارض وهى التى دعا المسيح عليها فيبست اذ طلب فيها تينا يأكله فلم يجده وهى نفسها الخشبة التى صلب عليها قال وبرهان ذلك انك لاتجد غارا الاوفى فمه شجرة تين نابتة فاعجبوا لهذا الهزل والعيارة والمجون والبرهان البديع واعلموا انهم باجمعهم متفقون على ان يصوروا فى كنائسهم صورة يقولون هى صورة البارى عزوجل وعلا واخرى صورة المسيح واخرى صورة مريم وصورة باطرة وصورة بولس والصليب وصورة جبرائيل وميكائيل وصورة اسرافيل ثم يسجدون للصورة سجود عبادة ويصومون لها تدينا وهذا هو عبادة الاوثان بلا شك والشرك المحض وهم ينكرون عبادة الاوثان ثم يعبدونها علانية وحجتهم فى هذا حجة عبادة نفسها وهى انهم يتقربون بذلك الى أصحاب تلك الصور لا الى الصور باعيانها واعلموا انهم لم يزالوا بعد المسيح بازيد من مائة عام يصومون فى شهر كانون الآخر اثر عيد الحجيج أربعين يوما متصلة ثم يفطرون ثم يعيدون الفصح مع اليهود اقتداء بالمسيح الى ان ابطل ذلك عليهم خمسة من البطاركة اجمعوا على ذلك ونقلوا صيامهم وفصحهم الى ماهم عليه اليوم فكيف ترون هذا الدين ولعب أهله به وحكمهم بان مامضى عليه المسيح والحواريون ضلال وكفر ولا يختلفون أصلا فى ان شرائعهم كلها انما هى من عمل اساقفتهم وملوكهم علانية فهل تطيب نفس من به مسكة عقل

هرمز فبقى زمانا لايدله عليه وهو الذى اتخذه قوم ربا وعبدوه لما وجدوا فيه من الخير والطهارة والصلاح وحسن الاخلاق وزعم بعض الزروانية انه لم يزل كان مع الله شيء ردىء اما فكرة رديئة واما عفونة رديئة وذلك هو مصدر الشيطان وزعموا ان الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن وكان أهلها فى خير محض ونعيم خالص فلما حدث اهرمن حدثت الشرور والآفات والفتن وكان بمعزل من السماء فاحتال حتى خرق السماء وصعد وقال بعضهم كان هو فى السماء والارض خالية عنه فاحتال حتى خرق السماء ونزل الى الارض بجنوده كلها فهرب النور بملائكته واتبعه الشيطان حتى حاصره فى جنته وحارب به ثلاثة آلاف سنة لايصل الشيطان الى الرب تعالى ثم توسطت الملائكة وتصالحا على ان ابليس وجنوده فى قرار الضوء تسعة آلاف سنة بالثلاثة آلاف التى قاتله فيها ثم يخرج الى موضعه ورأى الرب تعالى عن قولهم الصلاح فى احتمال المكروه من ابليس وجنوده ولاينقص الشر حتى تنقضى مدة الصلح فالناس فى البلايا والفتن والخزايا والمحن الى انقضاء المدة ثم يعود الى النعيم الاول وشرط ابليس عليه ان يمكنه من اشياء يفعلها ويطلقه فى افعال رديئة يباشرها فلما فرغا من الشرط اشهد عليهما عدلين ودفعا سيفيهما اليهما وقالا لهما من نكث فاقتلاه بهذا السيف ولست اظن عاقلا يعتقد هذا الرأي القاتل ويرى هذا الاعتقاد المضمحل الباطل ولعله كان رمزا الى مايتصور فى العقل ومن عرف الله سبحانه وتعالى بجلاله وكبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع هذه الخرافات سمعه واقرب من هذا ماحكاه أبو حامد الزوزنى ان المجوس زعمت ان ابليس كان لم يزل فى الظلمة والجو والخلاء بمعزل عن سلطان الله ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيلة حتى رأي النور فوثب وثبت

فصار فى سلطان الله فى النور وادخل معه هذه الاوقات والشرور فخلق الله سبحانه وتعالى هذا العالم شبكة له فوقع فيها وصار متعلقا بها لا يمكنه الرجوع الى سلطانه فهو محبوس فى هذا العالم مضطرب فى الحبس يرمى مالآفات والمحن والفتن الى خلق الله فمن احياه الله رماه بالموت ومن أصحه رماه بالسقم ومن سره رماه بالحزن فلا يزال كذلك الى يوم القيامة وكل يوم ينقص سلطانه حتى لا يبقى له قوة فاذا كانت القيامة ذهب سلطانه وخمدت نيرانه وزالت قوته واضمحلت قدرته فيطرحه فى الجو والجو ظلمة ليس له حد ولا منتهي ثم يجمع الله سبحانه وتعالى أهل الاديان فيحاسبهم ويجازيهم على طاعة الشيطان وعصيانه (واما المسخية) فقالت ان النور كان وحده نورا محضا ثم انمسخ بعضه فصار ظلمة وكذلك الخرمدينية قالوا باصلين ولهم ميل الى التناسخ والحلول وهم لا يقولون باحكام وحلال وحرام ولقد كان فى كل أمة من الامم قوم مثل الاباحية والمزدكية والزنادقة والقرامطة كان تشويش ذلك الدين منهم وفتنة الناس مقصورة عليهم (الزرادشتية) اصحاب زرادشت بن بورشب الذى ظهر فى زمان كشتاسف بن لهراسب الملك وابوه كان من اذربيجان وامه من الري واسمها دغد وزعموا ان لهم انبياء وملوكا اولهم كيومرث وكان اول من ملك الارض وكان مقامه باصطخر وبعده اوشهنج بن فراول ونزل أرض الهند وكانت له دعوة ثمة وبعده طمهورث وظهرت الصابئة فى أول سنة من ملكه وبعده أخوه جم الملك ثم بعده أنبياء وملوك منهم منوجهر ونزل بابل وأقام بها وزعموا ان موسى عليه السلام ظهر فى زمانه حتى انتهى الملك الى كشتاسف بن لهراسب وظهر فى زمانه زرادشت الحكيم زعموا ان الله عزوجل خلق من وقت مافى الصحف الاولى والكتاب الاعلى من ملكوته خلقا روحانيا

على ان يبقى ساعة على دين هذه صفته فكيف ان يلقى الله تعالى على دين يقر بلسانه ويعلم بقلبه انه ليس من عند الله تعالى ولا مما اتى به نبي ونعوذ بالله من الخذلان ومن عظيم هوسهم قولهم كلهم ان المسيح اتي ليأخذ بجراحته آلامنا وبكلومه ذنوبنا وهذا كلام فى غاية السخف ليت شعرى اي الم اخذ بجراحته ام كيف تؤخذ ذنوب الناس بكلوم المسيح ماتراهم الا يألمون ويذنبون كما يألم غيرهم ولا فرق . ومن فضائحهم دعواهم ان هلاني والدة قسطنطين اول من تنصر من ملوك الروم وذلك بعد ازيد من ثلثماية عام من رفع المسيح وجدت الخشبة التى صلب فيها المسيح والشوك الذى جعل على رأسه والدم الذى طار من جنبه والمسامير التى ضربت فى يده فليت شعرى اين وجدوا هذا السخام كله واهل ذلك الدين كله مطرودون مقتولون حيث وجدوا والمدينة خالية ازيد من مائتي عام لاانيس بها ثم من لهم انها تلك واين بقي اثر الدم ومسامير وشوك وخشبة تلك المدة العظيمة فى البلاد الخالية المقفرة ولا شك فى انه اذ صلب كما يقولون كان اصحابه مختفين واعداؤه لايلتفتون الى أمره ايكون فى السخف اعظم من هذا وما عقولهم الا كعقول من يصدق بالعنقاء وبكل مالا يمكن واعلموا ان كل مايدعونه لباطرة ويوحنا ومرقش وبولس من المعجزات فانها اكذوبات موضوعة لان هؤلاء الاربعة لم يكونوا من رفع المسيح عليه السلام ومذ تنصر بولس الا مطلوبين مشردين مضروبين كالزنادقة مستترين وقد ذكر بولس عن نفسه ان اليهود ضربوه خمس مرات بالقضبان كل مرة تسعا وثلاثين جلدة وانه رجم بالحجارة فى جمع عظيم وتدلى من سورة دمشق فى قفة خوف القتل ومع ذلك تظاهروا بدين اليهود الى ان صلبوا وقتلوا الى لعنة الله ولايجوز ان تصح معجزة الا بنقل كافة عن مثلها ممن شاهد ذلك ظاهرا ولكن دعوى النصارى ذلك لمن ذكرنا ولغيرهم من اسلافهم معجزة كدعوي المانية لماني بسواء فانه لم يزل مستتراً الا شهوراً يسيرة اذ اختدعه بهرام بن بهرام الملك حتى ظفر به وباصحابه فقتلهم كلهم وكدعوى اليهود لاحبارهم السالفين ولرؤس السبت المعجزات بالصناعات وكدعوى اصحاب الحلاج للحلاج وكدعوي طوائف من المسلمين مثل ذلك من المعجزات لشيبان الراعى ولابراهيم بن ادهم ولابى مسلم الخولاني ولعبد الله ابن المبارك رحمة الله عليهم وعلى غيرهم من الصالحين وكل ذلك كذب وتوليد من لاخير فيه واحالة على أشياء مغيبة لايعجز عن ادعاء مثلها أحد وكل طائفة ممن ذكرنا تعارض دعواها بدعوى سائر الطوائف ولاسبيل الى الفرق بين شيء من هذه الدعاوى وقد قلنا لايمكن البتة وجود معجزة الالنبي فقط ثم لاتصح الابنقل يقطع العذر ويوجب العلم للكافر والمؤمن الامن كابر حسه وغالط نفسه وقال هذا سحر فقط وكذلك مااغتر به كثير من جهالهم مما

فلما مضت ثلاثة آلاف سنة أنفذ مشيئته في صورة من نور متلالئ على تركيب صورة الانسان وأحف به سبعين من الملائكة المكرمين وخلق الشمس والقمر والكواكب والارض وبنى آدم غير متحركة ثلاثة آلاف سنة ثم جعل روح زرادشت في شجرة انشأها في أعلى عليين وغرسها في قلة جبل من جبل اذربيجان يعرف باسمويذخر ثم مازج شبح زرادشت بلبن بقرة فشربه أبو زرادشت فصار نطفة ثم مضغة في رحم أمه فقصدها الشيطان وغيرها فسمعت أمه نداء من السماء فيه دلالات على برؤها فبرأت ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر واحتالوا على زرادشت حتى وضعوه بين مدرجة البقر ومدرجة الخيل ومدرجة الذئب وكان ينتهض كل واحد منهم بحمايته من جنسه ونشا بعد ذلك الى أن بعث ثلاثين سنة فبعثه الله نبيا ورسولا الى الخلق فدعا كشتاسف الملك فاجابه الى دينه وكان دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجتناب الخبائث وقال النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك يزدان واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجها وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والبارى تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لاشريك له ولا ضد ولا ند ولا يجوز أن ينسب اليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث انما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم وهما يتقاومان ويتغالبان الى ان يغلب النور الظلمة والخير الشر ثم يتخلص الخير الى عالمه والشر ينحط الى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والبارى تعالى هو مزجهما وخلطهما لحكمة رآها في التركيب وربما جعل النور أصلا وقال وجوده وجود حقيقي واما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة الى الشخص فانه يرى انه موجود وليس

رأوا من عظم اجتهاد رهبانهم أصحاب الصوامع والديارات والمطوس عليهم أبواب البيوت فليعلموا انه ليس عندهم من الاجتهاد في العبادة الا جزء من أجزاء كثيرة مما عند المنانية وشدة اجتهادهم والذى عند الصابئين من ذلك أعظم فانه يبلغ الامر بهم الى ان يخصى الواحد نفسه ويسمل عينى نفسه اجتهادا في العبادة والذى عند الهنود أكثر من هذا كله فانهم لا يزالون يحرقون أنفسهم في النار تقربا الى البد ولا يزالون يرمون أنفسهم من أعالى الجبال كذلك فاين اجتهاد من اجتهاد وعباد الهند لا يمشون الا عراة ولا يلتبسون من الدنيا بشيء أصلا فاين هذا من هذا لو عقلوا ولم ير قط أشد جريمة من جاهل مقلد لاسيما اذا اتفق ان يكون سوداويا ضعيفا وان شئت فتأمل اساقفة النصارى وقسيسيهم وجثالقتهم تجدهم جفلة افسق الخلق وازنام واجمعهم للمال لاسبيل الى ان تجد منهم واحدا بخلاف هذا وكذلك ان اغتروا بصبر اوائلهم للقتل على دينهم حتى عملوا لهم الشاثنات الى اليوم فان ذلك لا يتجزأ من صبر المنانيه على القتل في الثبات على دينهم ومن صبر دعاة القرامطة على القتل ايضا وكل هذا لا يتعلق به الا جاهل سخيف مقلد منهالك وانما الحق فيما اوجبته براهين العقول التى وضعها الله تعالى فينا لتمييز الحق من الباطل ونبا بها عن البهائم فقط ثم في الاعتدال والاقتصار على ما جاء به صاحب الشريعة التى قام البرهان بصحتها عن الله عز وجل وجماع ذلك ماجرى عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعده عليه السلام

(قال أبو محمد) وبقى لهما اعتراضان نذكرهما ان شاء الله تعالى احدهما ان قالوا قال الله عز وجل في كتابكم حكاية عن المسيح عليه السلام انه قال * من انصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين * وقال تعالى أيضا مخاطبا المسيح عليه السلام * انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة * قلنا نعم هذا خبر حق ووعد صدق وانما اخبر تعالى عن المؤمنين ولم يسمهم ولاشك في ان من ثبت عليه الكذب من باطرة ويوحنا ومتى ويهوذا ويعقوب ليسوا منهم لكنهم من الكفار المدعين له الربوبية كذبا وكفرا واما الموعودون بالنصر الى يوم القيامة المؤمنون بالمسيح عليه السلام فهم نحن المسلمون المؤمنون به حقا وبنبوته ورسالته لامن كفر به وقال انه كذاب وقال انه اله او ابن اله تعالى الله عن ذلك والثاني ان قالوا ان في كتابكم * وجاء ربك والملك صفا صفا * وفيه * هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر * فهلا قلتم فيما في التوراة والانجيل كما تقولون فيما في كتابكم قلنا بين الامرين فرق بين كما بين اعلى الفلك ودلك ان الذى في القرآن ظاهر لا يحتاج فيه

الى تأويل انما معنى وجاء ربك ويأتيهم الله هو امر معلوم في اللغة التي بها نزل القرآن مشهود فيها تقول جاء الملك واتانا الملك وانما اتى جيشه وسطوته وامره فليس فيما تلوتم امر ينكر وليس كذلك ما كتبنا في توراتكم واناجيلكم من التكاذب والتناقض والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) واعترضوا أيضا بان قالوا كيف تحققون نقلكم لكتابكم وانتم مختلفون أشد الاختلاف في قراءتكم له وبعضكم يزيد حروفا كثيرة وبعضكم يسقطها فهذا باب وأيضا فانكم تروون باسانيد عندكم في غاية الصحة ان طوائف من اصحاب نبيكم عليه السلام ومن تابعهم الذين تعظمون وتأخذون دينكم عنهم قرؤا القرآن بألفاظ زائدة ومبدلة لا تستحلون انتم القراءة بها وان مصحف عبد الله بن مسعود خلاف مصحفكم وأيضا فان طوائف من علمائكم الذين تعظمون وتأخذون عنهم دينكم يقولون ان عثمان بن عفان ابطل قراءات كثيرة صحيحة واسقطها اذ كتب المصحف الذى جمعكم عليه وعلى حرف واحد من الاحرف السبعة التي انزل بها القرآن عندكم وايضا فان الروافض يزعمون ان أصحاب نبيكم بدلوا القرآن واسقطوا منه وزادوا فيه

(قال أبو محمد) كل هذا لا متعلق لهم بشيء منه على ما نبين بما لا اشكال فيه على أحد من الناس وبالله تعالى التوفيق)

اما قولهم اننا مختلفون في قراءة كتابنا فبعضنا يزيد حروفا وبعضنا يسقطها فليس هذا اختلافا بل هو اتفاق منا صحيح لان تلك الحروف وتلك القراءات كلها مبلغ بنقل الكواف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها نزلت كلها عليه فاى تلك القرا آت قرأنا فهي صحيحة وهي محصورة كلها مضبوطة معلومة لا زيادة فيها ولا نقص فبطل التعلق بهذا الفصل ولله تعالى الحمد واما قولهم انه قد روى باسانيد صحاح عن طائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين الذين نعظم ونأخذ ديننا عنهم قرأوا في القرآن قرا آت لا نستحل نحن القراءة بها فهذا حق ونحن وان بلغنا الغاية في تعظيم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عليهم وتقربنا الى الله عز وجل بمحبتهم فلسنا نبعد عنهم الوهم والخطأ ولا نقلدهم في شيء مما قالوه انما نأخذ عنهم ما أخبرونا به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عندهم بالمشاهدة والسماع لما ثبت من عدالتهم وثقتهم وصدقهم واما عصمتهم من الخطأ فيما قالوه برأى وبظن فلا نقول بذلك ولو انكم انتم فعلتم كذلك باحباركم واساقفتكم الذين بينكم وبين الانبياء عليهم السلام ماعنفناكم بل كنتم على صواب وهدى متبينين للحق المنزل مجانبين للخطأ المهمل لكن لم تفعلوا هكذا بل قلدتموهم في كل ما شرعوه لكم فهلكتم في الدنيا والآخرة وتلك القراءات التى ذكرتم انما هي موقوفة على الصاحب أو التابع فهي ضرورة وهم من الصاحب والوهم لا يعرى

بموجود حقيقة فابدع النور وحصل الظلام تبعا لان من ضرورة الوجود التضاد فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الاول كما ذكرنا في الشخص والظل وله كتاب قد صنفه وقيل أنزل ذلك عليه وهو زندوستا يقسم العالم قسمين مينه وكيتى يعني الروحاني والجسماني

والروح والشخص وكما قسم الخلق الى عالمين يقول ان ما في العالم ينقسم قسمين بخشش وكنش يريد به التقدير والفعل وكل واحد مقدر على الثاني ثم يتكلم في موارد التكليف وهي حركات الانسان فيقسمها ثلاث اقسام منش وكونش وكاش يعني بذلك الاعتقاد والقول والعمل وبالثلاث يتم التكليف فاذا قصر الانسان فيها خرج عن الدين والطاعة واذا جرى في هذه الحركات على مقتضي الامر والشريعة فاز الفوز الاكبر وتدعي الزرادشية له معجزات كثيرة منها دخول قوائم فرس كشتاسف في بطنه وكان زرادشت في الحبس فاطلق فانطلق قوائم الفرس ومنها انه مر على اعمى بالدينور فقال خذوا حشيشة وصفها لهم واعصروا ماءها في عينه فانه يبصر ففعلوا فابصر الاعمى وهذا من جملة معرفته بخاصية الحشيشه وليس من المعجزات في شئ (ومن المجوس الزرادشية) صنف يقال لهم السيسانية والبهافريدية رئيسهم رجل من رستاق نيسابور يقال له خواق خرج أيام ابي مسلم صاحب الدولة وكان زمزميا في الاصل يعبد النيران ثم ترك ذلك ودعا المجوس الى ترك الزمزمة ورفض عبادة النيران ووضع لهم كتابا وأمرهم فيه بارسال الشعور وحرم الامهات والبنات والاخوات وحرم عليهم الخمر وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة وهم يتخذون الرباطات ويتباذلون الاموال ولا ياكلون الميتة ولا يذبحون الحيوان حتى يهرم وهم اعدي خلق الله للمجوس الزمازمة ثم ان موبذ المجوس رفعه الى ابي مسلم فقتله على باب الجامع بنيسابور وقال

اصحابه انه صعد الى السماء على برذون اصفر وانه سينزل على البرذون فينتقم من اعدائه وهولاء قداقروابنبوة زرادشت وعظموا الملوك الذين يعظمهم زرادشت ومما اخبر به زرادشت فى زندوستا قال سيظهر فى آخر الزمان رجل اسمه اشيزريكا ومعناه الرجل العالم يزين العالم بالدين والعدل ثم (٦٥) يظهر فى زمانه بتياره فيوقع الافة في امره وملكه عشرين سنة ثم يظهر بعد ذلك اشيذريكا على أهل العالم ويحيي العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيرة الى اوضاعها الاول وينقاد له الملوك ويتيسر له الامور وينصر الدين الحق ويحصل فى زمانه الامن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن والله أعلم (الثنوية) هؤلاء أصحاب الاثنين الازليين يزعمون ان النور والظلمة ازليان قديمان بخلاف المجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام بتساويهما فى القدم واختلافهما فى الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والاجناس والابدان والارواح (المانوية) أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذى ظهر فى زمان شابور ابن ازدشير وقتله بهرام ابن هرمز ابن شابور وذلك بعد عيسى عليه السلام اخذ دينا بين المجوسيه والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولايقول بنبوة موسى عليه السلام حكى محمد ابن هارون المعروف بابي عيسى الوراق وكان فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم ان الحكيم مانى زعم ان العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وانهما ازليان لم يزالا ولن يزالا وأنكروا وجود شيء لا من أصل قديم وزعم انهما لم يزالا قوتين حساسين سميعين بصيرين وهما مع ذلك فى النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان وفي الحيز متحاذيان تحاذي الشخص والظل وانما يتبين جواهرهما وافعالهما في هذا الجدول

منه أحد بعد الانبياء عليهم السلام أو وهم ممن دونه فى ذلك واما قولهم ان مصحف عبدالله ابن مسعود خلاف مصحفنا فباطل وكذب وإفك مصحف عبدالله بن مسعود انما فيه قراءته بلاشك وقراءته هى قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الاسلام فى شرق الدنيا وغربها نقرأبها كاذكرنا وبغيرها قد صح انه كله منزل من عند الله تعالى فبطل تعلقهم بهذا والحمد لله رب العالمين واما قولهم ان طائفة من علمائنا الذين أخذنا عنهم ديننا ذكروا ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذ كتب المصحف الذى جمع الناس عليه اسقط ستة أحرف من الاحرف المنزلة واقتصر على حرف منها فهو مما قلنا وهو ظن ذلك القائل اخطأ فيه وليس كما قال بل كل هذا باطل ببرهان كالشمس وهو أن عثمان رضي الله عنه لم يك الاوجزيرة العرب كلها مملوءة بالمسلمين والمصاحف والمساجد والقراء يعلمون الصبيان والنساء وكل من دب وهب واليمن كلها وهى فى أيامه مدن وقرى والبحرين كذلك وعمان كذلك وهى بلاد واسعة مدن وقرى وملكها عظيم ومكة والطائف والمدينة والشام كلها كذلك والجزيرة كذلك ومصر كلها كذلك والكوفة والبصرة كذلك فى كل هذه البلاد من المصاحف والقراء مالا يحصى عدده الاالله تعالى وحده فلورام عثمان ماذكروا ماقدر على ذلك أصلا وأما قولهم إنه جمع الناس على مصحف فباطل ماكان يقدر على ذلك لما ذكرنا ولا ذهب عثمان قط الى جمع الناس على مصحف كتبه انما خشى رضى الله عنه أن يأتى فاسق يسعى فى كيد الدين أو انيهم واهم من أهل الخير فيبدل شيئا من المصحف يفعل ذلك عمدا وهذا وهما فيكون اختلاف يؤدى الى الضلال فكتب مصاحف مجتمعا عليها وبعث الى كل أفق مصحفا لكى ان وهم واهم أو بدل مبدل رجع الى المصحف المجتمع عليه فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم فقط واما قول من قال أبطل الاحرف الستة فقد كذب من قال ذلك ولوفعل عثمان ذلك اوأراده لخرج عن الاسلام ولما مطل ساعة بل الاحرف السبعة كلها موجودة عندنا قائمة كما كانت مثبوتة فى القراءات المشهورة المأثورة والحمد لله رب العالمين واما قولهم فى دعوى الروافض تبديل القراءات فان الروافض ليسوا من المسلمين انما هى فرق حدث أولها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة وكان مبدؤها اجابة من خذله الله تعالي لدعوة من كاد الاسلام وهى طائفة تجرى مجرى اليهود والنصاري فى الكذب والكفر وهي طوائف أشدهم غلوا يقولون بالهية على بن أبي طالب والآلهية جماعة معه وأقلهم غلوا يقولون ان الشمس ردت على على بن أبى طالب مرتين فقوم هذا أقل مراتبهم فى الكذب أيستشنع منهم كذب يأتون به وكل من لم يزجره عن الكذب ديانة او نزاهة نفس امكنه أن يكذب ماشاء وكل دعوي بلا برهان فليس يستدل بها عاقل سواء كانت له او عليه ونحن ان شاء الله تعالى نأتى بالبرهان الواضح الفاضح لكذب الروافض فيما فتعلوه من ذلك

(قال أبو محمد) مات رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسلام قد انتشر وظهر فى جميع جزيرة العرب من منقطع البحر المعروف ببحر القلزم مارا الى سواحل اليمن كلها الى بحر فارس الى منقطعه مارا الى الفرات ثم علي ضفة الفرات الى منقطع الشام الى بحر القلزم وفى هذه الجزيرة من المدن والقرى مالا يعرف عدده الا الله عز وجل كاليمن والبحرين وعمان ونجد وجبلى طى وبلاد مضر وربيعة وقضاعة والطائف ومكة كلهم قد أسلم وبنوا المساجد ليس منها مدينة ولا قرية ولا حلة لاعراب الاقد قرأ فيها القرآن فى الصلوات وعلمه الصبيان والرجال والنساء وكتب ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون كذلك ليس بينهم اختلاف فى شيء أصلا بل كلهم أمة واحدة ودين واحد ومقالة واحدة ثم ولى أبو بكر سنتين وستة أشهر فغزى فارس والروم وفتح اليمامة وزادت قراءة الناس للقرآن وجمع الناس المصاحف كابي عمر وعثمان وعلي وزيد وأبي زيد وابن مسعود وسائر الناس فى البلاد فلم يبق بلد الا وفيه المصاحف ثم مات رضى الله عنه والمسلمون كما كانوا لا اختلاف بينهم في شئ اصلا امة واحدة ومقالة واحدة الا ما حدث فى آخر حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول خلافة ابى بكر رضي الله عنه من ظهور الاسود العنسى فى جهة صنعاء ومسيلمة فى اليمامة يدعيان النبوة وهما فى ذلك مقران بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم معلنان بذلك ومن انقسام العرب ومن باليمن من غيرهم أربعة اقسام إثر موته عليه السلام فطائفة ثبتت على ما كانت عليه من الاسلام لم تبدل شيئا ولزمت طاعة أبي بكر وهم الجمهور والاكثر وطائفة بقيت علي الاسلام أيضا الا انهم قالوا نقيم الصلاة وشرايع الاسلام الا انا لا نؤدى الزكاة الى أبي بكر ولا نعطى طاعة لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء كثيرا الا انهم دون من ثبت علي الطاعة ويبين هذا قول الحطيئة العبسي

أطعنا رسول الله اذ كان بيننا * فيالهفنا ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكرا اذا مات بعده * فتلك لعمر الله قاصمة الظهر
وان التى طالبتم فمنعتم * لكالتمر او احلى لدى من التمر

يعنى الزكاة ثم ذكر القبائل الثابتة على الطاعة فقال

فباست بنى سعد واستاه طى * وباست بنى دودان حاشي بنى النضر

(قال ابو محمد) لكن والله باستاه بنى نضر وباست الحطيئة حلت الدائرة والحمد لله رب العالمين وطائفة ثالثة اعلنت بالكفر والردة كاصحاب طليحة وسجاح وسائر من ارتد وهم قليل بالاضافة الى من ذكرنا الا ان فى كل قبيلة من المؤمنين من يقاوم المرتدين فقد كان باليمامة ثمامة بن اثال الحنفى فى طوايف من المسلمين محاربين لمسيلمة وفى قوم الاسود

النور الجوهر (جوهره حسن فاضل كريم صاف نقي طيب الريح حسن المنظر) الظلمة الجوهر جوهرها قبيح ناقص لئيم كدر خبيث منتن الريح قبيح المنظر النفس نفسه خيرة كريمة حكيمة نافعة عالمة النفس نفسها شريرة لئيمة سفيهة ضارة جاهلة الفعل فعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب والنظام والاتفاق الفعل فعلها الشر والفساد والضر والغم والتشويش والتبتير والاختلاف الحيز جهة فوق وأكثرهم على انه مرتفع من ناحية الشمال وزعم بعضهم انه بجنب الظلمة الحيز جهة تحت وأكثرهم على انها منحطة من ناحية الجنوب وزعم بعضهم انها بجنب النور اجناسه خمسة أربعة منها ابدان والخامس روحها فالابدان هى النار والنور والريح والماء وروحها النسيم وهى تتحرك فى هذه الابدان أجناسها خمسة أربعة منها ابدان والخامس روحها فالابدان هى الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وهى تدعى الهمامة وهى تتحرك فى هذه الابدان الصفات حية طاهرة خيرة زكية وقال بعضهم كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له ارض وجو وارض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الارض بل هى على صورة جرم ايضا الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورائحتها طيبة اطيب رائحة والوانها الوان قوس قزح وقال بعضهم ولا شيء الا الجسم والاجسام على ثلاثة انواع ارض النور وهى خمسة وهناك جسم آخر الطف منه وهو الجو وهو نفس النور وجسم آخر هو الطف منه وهو النسيم وهو روح النور قال ولم يزل يولد ملائكة وآلهة وأولياء ليس على سبيل المناكحة بل كما تتولد الحكمة من

ايضا كذلك وفى بنى تميم و بنى اسد الجمهور من المسلمين وطائفة رابعة توقفت فلم تدخل فى أحد من الطوائف المذكورة وبقوا يتربصون لمن تكون الغلبة كمالك بن نويرة وغيره فأخرج اليهم ابو بكر البعوث فقتل مسيلمة وقد كان فيروز وذاذويه الفارسيان الفاضلان رضى الله عنهما قتلا الاسود العنسى فلم يمض عام واحد حتى راجع الجميع الاسلام أولهم عن آخرهم واسلمت سجاح وطليحة وغيرهم وانما كانت نزغة من الشيطان كنار اشتعلت فاطفأها الله للوقت ثم مات أبو بكر وولى عمر ففتحت بلاد الفرس طولا وعرضا وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها ولم يبق بلد الا وبنيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الائمة القرآن وعلمه الصبيان فى المكاتب شرقا وغربا وبقى كذلك عشرة أعوام واشهرا والمؤمنون كلهم لا اختلاف بينهم فى شئ بل ملة واحدة ومقالة واحدة وان لم يكن عند المسلمين اذ مات عمر مائة ألف مصحف من مصر الى العراق الى الشام الى اليمن فما بين ذلك فلم يكن أقل ثم ولى عثمان فزادت الفتوح واتسع الامر فلو رام أحد احصاء مصاحف اهل الاسلام ماقدر وبقى كذلك اثنى عشر عاما حتى مات وبموته حصل الاختلاف وابتداء أمر الروافض واعلموا انه لو رام اليوم احد ان يزيد فى شعر النابغة او شعر زهير كلمة او ينقص اخرى ماقدر لانه كان يفتضح الوقت وتخالفه النسخ المثبوتة فكيف القرآن فى المصاحف وهى من آخر الاندلس وبلاد البربر وبلاد السودان الى آخر السند وكابل وخراسان والترك والصقالبة وبلاد الهند فما بين ذلك فظهر حمق الرافضة ومجاهرتها بالكذب ومما يبين كذب الروافض فى ذلك ان على بن ابى طالب الذى هو عند أكثرهم اله خالق وعند بعضهم نبى ناطق وعند سائرهم امام معصوم مفروضة طاعته ولى الامر وملك فبقى خمسة أعوام وتسعة اشهر خليفة مطاعا ظاهر الامر ساكنا بالكوفة مالكا للدنيا حاشى الشام ومصر الى الفرات والقرآن يقرأ فى المساجد فى كل مكان وهو يؤم الناس به والمصاحف معه وبين يديه فلو رأى فيه تبديلا كما تقول الرافضة وكان يقرهم على ذلك ثم أتى ابنه الحسن وهو عندهم كابيه فجرى على ذلك فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى ان يقولوا ان فى المصحف حرفا زائدا أو ناقصا او مبدلا مع هذا ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الاسلام اوكد عليه من قتال أهل الشام الذين انما خالفوه فى رأى يسير رأوه ورأي خلافه فقط فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ونحن ان شاء الله تعالى نذكر صفة وجوه النقل الذى عند المسلمين لكتابهم ودينهم لما نقلوه عن أئمتهم حتى يقف عليه المؤمن والكافر والعالم والجاهل عيانا ان شاء الله تعالى فيعرفون اين نقل سائر الاديان من نقلهم فنقول وبالله تعالى التوفيق * ان نقل المسلمين لكل ماذكرنا ينقسم اقساما ستة أولها شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن أمثالهم جيلا جيلا لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة وهو القرآن المكتوب فى المصاحف فى شرق الارض وغربها لا يشكون ولا يختلفون فى أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اتى به وأخبر ان الله

الحكيم والنطق والطيب من الناطق وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع طله الخير والحمد والنور الصفات خبيثة شريرة بخسة دنسة وقال بعضهم كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم لها أرض وجو فارض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الارض بل هي اكثف واصلب ورائحتها كريهة اذن الراوبح والوانها لون السواد قال بعضهم ولا شيء الا الجسم والاجسام على ثلاثة أنواع ارض الظلمة وشيء آخر اظلم منه وهو السموم قال ولم تزل تولد الظلمة شياطين اراكنة وعفاريت لا على سبيل المناكحة بل كما تتولد الحشرات من العفونات القذرة وقال وملك ذلك العالم هو روحه يجمع طاله الشر والذميمة والظلمة ثم اختلفت المانوية فى المزاج وسببه والخلاص وسببه وقال بعضهم ان النور والظلام امتزجا بالخبط والاتفاق لا بالقصد والاختيار وقال اكثرهم ان سبب المزاج ان ابدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الى الروح فرأت النور فبعث الابدان على ممازجة النور فاجابتها لاسراعها الى الشر فلما رأي ذلك ملك النور وجه اليها ملكا من ملائكته فى خمسة اجزاء من أجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمسة الظلامية فخالط الدخان النسيم وانما الحياة والروح فى هذا العالم من النسيم والهلاك والآفات من الدخان وخالط الحريق النار والنور الظلمة والسموم الريح والضباب الماء فما فى العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور وما فيه من مضرة وفساد وشر فمن أجناس الظلمة فلما راى ملك النور هذا الامتزاج امر ملكا من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة لتخلص اجناس النور من أجناس الظلمة وانما سارت الشمس والقمر وسائر النجوم لاستصفاء

عز وجل أوحي به اليه وأن من اتبعه اخذه عنه كذلك ثم أخذ عن اولئك حتى بلغ الينا ومن ذلك الصلوات الخمس فانه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد أنه صلاها باصحابه كل يوم وليلة في أوقاتها المعهودة وصلاها كذلك كل من اتبعه على دينه حيث كانوا كل يوم هكذا الى اليوم لا يشك احد في ان اهل السند يصلونها كما يصليها أهل الاندلس وان اهل الارمينية يصلونها كما يصليها أهل اليمن وكصيام شهر رمضان فانه لا يختلف كافر ولا مؤمن ولا يشك أحد في أنه صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصامه معه كل من اتبعه في كل بلد كل عام ثم كذلك جيلا جيلا الى يومنا هذا وكالحج فانه لا يختلف مؤمن ولا كافر ولا يشك أحد في أنه عليه السلام حج مع أصحابه وأقام المناسك ثم حج المسلمون من كل افق من الآفاق كل عام في شهر واحد معروف الى اليوم وكجملة الزكاة وكسائر الشرائع التي في القرآن من تحريم القرائب والميتة والخنزير وسائر شرائع الاسلام وكآياته من شق القمر ودعاء اليهود التي تمني الموت وسائر ما هو في نص القرآن مقروء ومنقول وليس عن اليهود ولا عند النصارى في هذا النقل شيء اصلا لان نقلهم لشريعة السبت وسائر شرائعهم انما يرجعون فيها الى التوراة ويقطع نقل ذلك ونقل التوراة أطباقهم على ان اوائلهم كفروا باجمعهم وبرؤا من دين موسى وعبدوا الاوثان علانية دهورا طوالا ومن المحال أن يكون ملك كافر عابد أوثان هو وأمته كلها معه كذلك يقتلون الانبياء ويخنقونهم ويقتلون من دعى الى الله تعالى يشتغلون بسبت أو بشريعة مضافة الى الله سبحانه تعالى عن هذا الكذب الذي لا شك فيه ويقطع بالنصارى عن مثل هذا عدم نقلهم الا عن خمسة رجال فقط وقد وضح الكذب عليهم الى ما أوضحنا من الكذب الذي في التوراة والانجيل القاضي بتبديلهما بلا شك والثاني شيء نقلته الكافة عن مثلها حتى يبلغ الامر كذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ككثير من آياته ومعجزاته التي ظهرت يوم الخندق وفي تبوك بحضرة الجيش وككثير من مناسك الحج وكزكاة التمر والبر والشعير والورق والابل والذهب والبقر والغنم ومعاملته اهل خيبر وغير ذلك كثير مما يخفى على العامة وانما يعرفه كواف اهل العلم فقط وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيء اصلا لانه يقطع بهم دونه ما قطع بهم دون النقل الذي ذكرنا قبل من إطباقهم على الكفر الدهور الطوال وعدم ايصال الكافة الى عيسى عليه السلام والثالث ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبر كل واحد منهم باسم الذي اخبره ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان على ان اكثر ما جاء هذا المجيء فانه منقول نقل الكواف اما الى رسول الله ﷺ من طرق جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وإما الى الصاحب وأما الى التابع وأما الى امام اخذ عن التابع يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن والحمد لله رب العالمين وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر اهل الملل كلها وابقاه عندهم غضاً جديدا على

أجزاء النور النور من اجزاء الظلمة فالشمس تستصفي النور الذي امتزج بشياطين الحر والقمر يستصفي النور الذي امتزج بشياطين البرد والنسيم الذي في الارض لا يزال يرتفع لان من شأنها الارتفاع الى عالمها وكذلك جميع اجزاء النور ابدا في الصعود والارتفاع واجزاء الظلمة ابدا في النزول والتسفل حتى تتخلص الاجزاء من الاجزاء ويبطل الامتزاج وتنحل التراكيب ويصل كل الى كله وعالمه وذلك هو القيامة والمعاد وقال ومما يعين في التخليص والتمييز ورفع اجزاء النور التسبيح والتقديس والكلام الطيب وأعمال البر فترتفع بذلك الاجزاء النورية في أعمال عمود الصبح الى فلك القمر فلا يزال القمر يقبل ذلك من أول الشهر الى النصف فيمتلىء فيصير بدرا ثم يؤدي الى الشمس الى اخر الشهر فتدفع الشمس الى نور فوقها فيسري في ذلك العالم الى ان يصل الى النور الاعلى الخالص ولا يزال يفعل ذلك حتى لا يبقى من اجزاء النور شيء في هذا العالم الا قدر يسير منعقد لا تقدر الشمس والقمر على استصفائه فعند ذلك يرتفع الملك الذي يحمل الارض ويدع الملك الذي يجتذب السموات فيسقط الاعلى على الاسفل ثم توقد نار حتى يضطرم الاعلى والاسفل ولا يزال يضطرم حتى يتحلل ما فيهما من النور ويكون مدة الاضطرام ألفا واربعمائة وثمان وستين سنة وذكر الحكيم ماني في باب الالف قديم من الجبلة وفي اول الشابرقان ان ملك عالم النور في كل ارضه لا يخلو منه شيء وانه ظاهر باطن وانه لا نهاية له الا من حيث تناهى ارضه الى ارض عدوه وقال أيضا أن ملك عالم النور في سرة أرضه وذكر أن المزاج القديم هو امتزاج الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والمزاج المحدث الخير والشر وقد فرض ماني على أصحابه العشرة في الاموال والصلوات الاربع في اليوم

قديم الدهور مد اربعمائة عام وخمسين عاما فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال يرحل فى طلبه من لا يحصى عددهم الا خالقهم الى الآفاق البعيدة ويواظب على تقييده من كان الدا قدقريباً منه قد تولى الله تعالى حفظه عليهم والحمد لله رب العالمين فلا تفوتهم ذلة فى كلمة فما فوقها فى شئ من النقل ان وقعت لاحدهم ولا يمكن فاسق أن يقحم فيه كلمة موضوعة ولله تعالى الشكر وهذه الاقسام الثلاثة التى ناخذ ديننا منها ولا نتعداها الى غيرها والحمد لله رب العالمين والرابع شيء نقله أهل المشرق والمغرب أو الكافة أو الواحد الثقة عن أمثالهم الى أن يبلغ من ليس بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم الا واحد فاكثر فسكت ذلك المبلوغ اليه عمن أخبره بتلك الشريعة عن النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعرف من هو فهذا نوع يأخذ به كثير من المسلمين ولسنا نأخذ به البتة ولا نضيفه الى النبى صلى الله عليه وسلم إذ لم نعرف من حدث به عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد يكون غير ثقة ويعلم منه غير الذى روى عنه مالم يعرف منه الذى روى عنه ومن هذا النوع كثير من نقل اليهود بل هو أعلى ماعندهم إلا انهم لا يقربون فيه من موسي كقربنا فيه من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون ولا بد حيث بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا فى أزيد من الف وخمسمائة عام وإنما يبلغون بالنقل الى هلال وشماني وشمعون ومرعقيبا وأمثالهم وأظن أن لهم مسألة واحدة فقط يروونها عن حبر من أحبارهم عن نبي من متأخرى أنبيائهم أخذها عنه مشافهة فى نكاح الرجل ابنته اذا مات عنها أخوه وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط على أن مخرجه من كذاب قد صح كذبه والخامس شيء نقل كما ذكرنا اما بنقل أهل المشرق والمغرب أو كافة عن كافة أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ الى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن في الطريق رجلا مجروحا بكذب أو غفلة أو مجهول الحال فهذا أيضا يقول به بعض المسلمين ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه ولا الاخذ بشيء منه وهذه صفة نقل اليهود والنصارى فيما أضافوه الى أنبيائهم لانه يقطع بانهم كفار بلا شك ولا مرية والسادس نقل نقل باحد الوجوه التى قدمنا أما بنقل من بين المشرق والمغرب أو بالكافة أو بالثقة عن الثقة حتى يبلغ ذلك الى صاحب أو تابع أو امام دونهما انه قال كذا أو حكم بكذا غير مضاف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفعل أبى بكر فى سبى أهل الردة وكصلاة الجمعة صدر النهار وكضرب عمر الخراج واضعافه القيمة على رقيق حاطب وغير ذلك كثير جدا فمن المسلمين من يأخذ بهذا ومنهم من لا يأخذ به ونحن لا نأخذ به أصلا لانه لا حجة فى فعل أحد دون من أمرنا الله تعالى باتباعه وارسله الينا ببيان دينه ولا يخلو فاضل من وهم ولا حجة فيمن يهم ولا يأتى الوحى ببيان وهمه وهذا الصنف من النقل هو صفة جميع نقل اليهود لشرائعهم التى هم عليها الآن مما ليس فى التوراة وهو صفة جميع نقل النصارى حاشى تحريم الطلاق الا أن اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا في ذلك الي صاحب نبي أصلا ولا الى تابع له واعلى من يقف عنده النصارى

والليلة والدعاء الى الحق وترك الكذب والقتل والسرقة والزنا والبخل والسحر وعبادة الاوثان وان ياتى على ذى روح مايكره ان يأتي اليه بمثله واعتقاده فى الشرائع والانبياء ان اول من بعث الله بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ثم شيثاً بعده ثم نوحا بعده ثم ابراهيم بعده عليهم الصلاة والسلام ثم بعث بالبددة الى ارض الهند وزرادشت الى أرض فارس والمسيح كلمة الله وروحه الى أرض الروم والمغرب وفولس بعد المسيح اليهم ثم يأتي خاتم النبيين الى ارض العرب وزعم أبو سعيد المانوى رئيس من رؤسائهم ان الذى مضى من المزاج الى الوقت الذى هو فيه وهو سنة احدى وسبعين ومايتين من الهجرة احدعشر الفاً وسبعماية سنة وأن الذى بقى الى وقت الخلاص ثلثمائة سنة وعلى مذهبه مدة المزاج اثنى عشر الف سنة فيكون قد بقي من المدة خمسون سنة من زماننا هذا وهو احدى وعشرون وخمسماية هجرية فنحن فى آخر المزاج وبدو الخلاص فالى الخلاص الكلى وانحلال التراكيب خمسون سنة والله أعلم (المزدكية) هو مزدك الذى ظهر فى ايام قباد والد انو شروان ودعا قباد الى مذهبه فاجابه واطلع انو شروان على خزبه وافترائه فطلبه فوجده فقتله حكى الوراق ان قول المزدكية كقول كثير من المانوية فى الكونين والاصلين الا أن مزدك كان يقول ان النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى وان المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص انما يقع بالاتفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال فاحل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلا وحكى انه امر بقتل الانفس ليخلصها

من الشر ومزاج الظلمة ومذهبه في الاصول والاركان انها ثلاثة الماء والنار والارض ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر فما كان من صفوها مدبر الخير وما كان من كدرها فهو مدبر الشر وروي عنه ان معبوده قاعد على كرسيه في العالم الاعلى على هيئة قعود خسرو في العالم الاسفل وبين يديه اربع قوى قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور كما بين يدي خسرو واربعة اشخاص موبدان موبد والهربد الاكبر والاصبهبد والرامشكر وتلك الاربع يدبرون امر العالمين بسبعة من وزرائهم سالار وبيشكار وبالون وبروان وكاردان ودستور وكودك وهذه السبعه تدور في اثني عشر روحانين حوانده دهنده ستاننده برنده خورنده دونده خيزنده كشنده زننده كننده آينده شونده باينده وكل انسان اجتمعت له هذه القوى الاربع والسبعة والاثني عشر صار ربانيا في العالم السفلي وارتفع عنه التكليف قال وان خسرو بالعالم الاعلى انما يدبر بالحروف التي مجموعها الاسم الاعظم ومن تصور من ذلك الحروف شيئا انفتح له السر الاكبر ومن حرم ذلك بقي في عمى الجهل والنسيان والبلادة والغم في مقابلة القوى الاربع الروحانية وهم فرق الكرذكية وابو مسلمية والماهينة والاسبيدجامكية والكوذكية بنواحي الاهواز وفارس وشهرزور والآخر بنواحي سعد سمرقند والشاش وايلاق (الديصانية) أصحاب ديصان اثبتوا اصلين نورا وظلاما فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعا واضطرارا فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور وما كان من شر وضر ونتن وقبح فمن الظلام وزعموا أن النور حي عالم قادر حساس دراك ومنه يكون الحركة والحياة والظلام ميت جاهل عاجز جماد موات لا فعل ولا تمييز وزعموا ان الشر

شمعون ثم بولس ثم أساقفهم عصرا عصرا هذا أمر لا يقدر أحد منهم على أنكاره ولا انكار شيء منه الا أن يدعي أحد منهم كذبا عند من يطمع في تجويزه عليه ممن يظن به جهلا بما عنده فقط وأما اذا قررهم على ذلك من يدرون انه يعرف كتبهم فلا سبيل لهم الى انكاره أصلا

(قال أبو محمد) ونقل القرآن ومافيه من اعلام النبي صلى الله عليه وسلم كالانذار بالغيوب وشق القمر ودعاء اليهود الى تمني الموت والنصارى الى المباهلة وجميع العرب الى المجيء بمثل القرآن وبتوبيخهم بالعجز عنه وبتوبيخ اليهود بانهم لا يتمنون الموت وقصة الطير الابابيل ورميها أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وكثير من الشرائع وكثير من السنن فانه نقل كل ذلك اليماني والمضري والربيعي والقضاعي وكلهم أعداء متباينون متحاربون يقتل بعضهم بعضا ليس هناك شيء يدعوهم الى المسامحة في نقلهم له ثم نقله عن هؤلاء من بين المشرق والمغرب وكانت العرب بلا خلاف قوما لقاحا لا يملكهم أحد كمضر وربيعة واياد وقضاعة أو ملوكا في بلادهم يتوارثون الملك كابرا عن كابر كملوك اليمن وعمان وشهر بن بارام ملك صفا والمنذر بن ساوى ملك البحرين والنجاشي ملك الحبشة وجعفر وعياذ ابني الجلندي ملكي عمان فانقادوا كلهم لظهور الحق وبهوره وآمنوا به صلى الله عليه وسلم طوعا وهم آلاف آلاف وصاروا أخوة كبني أب وأم وانحل كل من أمكنه الانحلال عن ملكه منهم الى رسله طوعا بلا خوف غزو ولا اعطاء مال ولا بطمع في عز بل كلهم أقوى جيشا من جيشه وأكثر مالا وسلاحا منه وأوسع بلدا من بلده كذي الكلاع وكان ملكا متوجا ابن ملوك متوجين تسجد له جميع رعيته يركب أمامه الف عبد من عبيده سوى بني عمه من حمير وذي ظليم وذي زود وذي مران وذي عمرو وغيرهم كلهم ملوك متوجون في بلادهم هذا كله أمر لا يجهله أحد من حملة الاخبار بل هو منقول كنقل كون بلادهم في مواضعها وهكذا كان اسلام جميع العرب أولهم كالاوس والخزرج ثم سائرهم قبيلة قبيلة لما ثبت عندهم من آياته وبهرهم من معجزاته وما اتبعه الاوس والخزرج إلا وهو فريد طريد قد نابذه قومه حسدا له إذ كان فقير الامال له يتيما لا أب له ولا أخ ولا ابن أخ ولا ولد أميا لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجهل يرعى غنم قومه بأجرة يتقوت بها فعلمه الله تعالى الحكمة دون معلم وعصمه من كل من أراده بلا حرس ولا حاجب ولا بواب ولا قصر يمتنع فيه على كثرة من أراد قتله من شجعان العرب وفتاكهم كعامر بن الطفيل واربد بن جزء وغورث بن الحارث وغيرهم مع اقرار أعدائه بنبوته كمسيلمة وسجاح وطليحة والاسود وهو مكذب لهم فهل بعد هذا برهان أو بعد هذه الكفاية من الله تعالى كفاية وهو لا يبغي دنيا ولا يمنى بها من اتبعه بل أنذر الانصار بالأثرة عليهم بعده وتابعوه على الصبر على ذلك قام له أصحابه على قدم فنهاهم وانكر ذلك عليهم وأعلمهم أن القيام لله تعالى لا لخلقه ورضوا بالسجود له فاستعظم ذلك وانكره الا لله وحده لاشك في أن هذه ليست صفة طالب دنيا قط أصلا ولا صفة راغب في غلبة ولا بعد صوت بل هذه حقيقة النبوة الخالصة لمن كان

كان له أدنى فهم فهذا هو الحق لا ما تدعيه النصارى من الكذب البحت في أن الملوك دخلوا دينهم طوعا وقد كذبوا في ذلك لان أول ملك تنصر قسطنطين باني القسطنطينية بعد نحو ثلاثمائة عام من رفع المسيح عليه السلام فاي معجزة صحت عنده بعد هذه المدة وانما نصرته أمه لانها كانت نصرانية بنت نصراني تعشقها أبوه فتزوجها هذا أمر لا تناكر بين النصارى فيه والنشأة لا خفاء بما تؤثره في الانسان وأما من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم فانهم اتبعوه اذ بلغهم خبره في حياته عليه السلام للآيات التي كانت له بحضرة جميع أصحابه كاعجاز القرآن وانشقاق القمر ودعاء اليهود الى تمني الموت وأخبارهم بعجزهم عن ذلك وانهم لا يتمنونه أصلا والانذار بالغيوب ونبعان عين تبوك فهي كذلك الى اليوم ونبعان الماء من بين أصابعه بحضرة العسكر واطعامه النفر الكثير من طعام يسير مرارا جمة بحضرة الجموع واخباره بأكل الارضة كل ما في الصحيفة المكتوبة على بني هاشم وبني المطلب حاشى أسماء الله تعالى فقط وانظاره بمصارع أهل بدر بحضرة الجيش موضعا موضعا ولنور الواقع في سوط الطفيل بن عمرو الدوسي وحنين الجذع بحضرة جميعهم ودفع أربد عنه وقضاء غرماء جابر من تمر يسير مشى بجنبه وتزويد عمر وار بعمائة راكب من تمر يسير بقي بجنبه ورميه هو إذن بتراب عم عيونهم وخروجه بحضرة مائة من قريش وهم لا يرونه ودخول الغار وهم عليه لا يرونه وفتح الباب في حجر صلد في جنب الغار لم يكن فيه قط ولو كان هنالك يومئذ لما أمكنه الاختفاء فيه لانه ليس بين البابين الا أقل من ثمانية أذرع وهو ظاهر الى اليوم كل عام وكل حين يزوره أهل الارض من المسلمين ولو رام فتح الباب الثاني في ذلك الحجر أهل الارض ما قدروا واعلى ازاحته سالما عن مكانه ولو كان ذلك الباب هنالك يومئذ لرآه الطالبون له بلا مؤونة لانهم لم يكونوا الا جموع قريش لعلهم مئون كثيرة وآثار رأسه المقدس في ذلك الحجر وآثار كتفيه ومعصمه وظاهر يده باق الى اليوم فعل الله تعالى منقول نقل الكواف جيلا عن جيل ورمي الجمار الذي ترميه ما لا يحصيه الا الله تعالى كل عام ثم لا يزيد حجمه في ذلك الموضع ورمي الله تعالى جيش ابرهة صاحب الفيل اذ غزا مكة عام مولده صلى الله عليه وسلم بالحجارة المنكرة بايدي طير منكرة ونزلت في ذلك سورة من القرآن متلوة الى اليوم وكان ذلك ببركته عليه السلام وانذاراته وشكوى البعير اليه وابراء عيني علي من الرمد بحضرة الجماعات في ساعة وسوخ قوائم فرس سراقة اذ تبعه ودرور الشاة التي لا لبن لها مرارا وتسبيح الطعام وكلام الذئب ومجيئه وقوله للحكم اذ حكى مشيته كن كذلك فلم يزل يرتعش الى أن مات ودعائه للمطر فاتى للوقت وفي الصحو فانجلى للوقت وظهور جبريل عليه السلام مرتين مرة في صورة دحية ثم أتى دحية بحضرة الناس واخرى في صورة رجل لم يعرفه احد ولا روئي بعدها وقوله اذ خطب بنت ابن عوف بن الحارث ابن عوف بن ابي حارثة المزني فقال له ابوها ان بها بياضا فقال لتكن كذلك فبرصت في الوقت وهي ام شبيب بن البرصاء الشاعر المشهور وغير هذا كثير جدا مع ما ذكرنا من ان اول من تنصر

يقع منه طباعا وحزقا وزعموا ان النور جنس واحد وكذلك الظلام جنس واحد وان ادراك النور متفق وان سمعه وبصره وسائر حواسه شيء واحد فسمعه هو بصره وبصره هو حواسه وانما قيل سميع بصير لاختلاف التركيب لا لانهما في نفسهما شيئان مختلفان وزعموا ان اللون هو الطعم وهو الرائحة وهو المجسة وانما وجده لونا لان الظلمة خالطته ضربا من المخالطة ووجدها طعما لانها خالطته بخلاف ذلك الضرب وكذلك تقول في لون الظلمة وطعمها ورائحتها ومجستها وزعموا ان النور بياض كله لم يزل يلقى الظلمة باسفل صفحته منه وان الظلمة لم تزل تلقاه باعلى صفحته منها واختلفوا في المزاج والخلاص فزعم بعضهم أن النور داخل الظلمة والظلمة تلقاه بخشونة وغلظ فتأذى بها واحب ان يرققها ويلينها ثم يتخلص منها وليس ذلك لاختلاف جنسهما ولكن كما ان المنشار جنسه حديد وصفحته لينة واسنانه خشنة فاللين في النور والخشونة في الظلمة وهما جنس واحد فتلطف النور بلينه حتى يدخل تلك الفرج فما أمكنه الا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول الى كمال ووجود الا بلين وخشونة وقال بعضهم بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفحته فيجتهد النور حتى تتخلص منه ويدفعها عن نفسه فاعتمد عليه فلجج فيه وذلك بمنزلة الانسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجا فيه فاحتاج النور الى زمان ليعالج التخلص منه والتفرد بعالمه وقال بعضهم أن النور انما دخل الظلام اختيارا ليصلحها ويستخرج منها اجزاء صالحة لعالمه فلما دخل تشبث به زمانا فصار يفعل الجور والقبيح اضطرارا لا اختيارا ولو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه الا الخير المحض والحسن البحت وفرق بين الفعل الضروري والفعل الاختياري (المرقونية) اثبتوا قديمين أصلين

متضادين أحدهما النور والآخر الظلمة واثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج فان المتنافرين المتضادين لا يتمزجان الا بجامع وقالوا الجامع دون النور فى الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ومنهم من يقول الامتزاج انما حصل بين الظلمة والمعدل اذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيب به ويلتذ بملاذه فبعث النور الى العالم الممتزج روحا مسيحية وهو روح الله وابنه تحننا على المعدل السليم الواقع فى شبكة الظلام الرجيم حتى يخلصه من حبائل الشياطين فمن اتبعه فلا يلامس النساء ولم يقرب الزهومات افلت ونجا ومن خالفه خسر وهلك قالوا وانما اثبتنا المعدل لان النور الذى هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان وأيضا فان الضدين يتنافران طبعا ويتمانعان ذاتا ونفسا فكيف يجوز اجتماعهما وامتزاجهما فلا بد من معدل يكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج معه وهذا على خلاف ماقاله المانوية وان كان ديصان أقدم وانما أخذ مانى منه مذهبه وخالفه فى المعدل وهو أيضا خلاف ماقال زرادشت فانه يثبت التضاد بين النور والظلمة ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين الجامع بين المتضادين لا يجوز أن يكون طبعه وجوهره من أحد الضدين وهو الله عز وجل الذى لا ضد له ولا ند *

وحكى محمد بن شبيب عن الديصانية انهم زعموا ان المعدل هو الانسان الحساس الدراك من اذ هو ليس بنور محض ولا ظلام محض وحكى عنهم انهم يرون المناكحة وكل مافيه منفعة لبدنه وروحه حراما ويحترزون عن ذبح الحيوان لما فيه من الالم وحكى عن قوم من الثنوية أن النور والظلمة لم يزالا حيين الا أن النور حساس عالم والظلام جاهل أعمى والنور يتحرك حركة مستوية والظلام يتحرك حركة عجرفية خرقا معوجة فبينا كذلك اذ هجم بعض هامات

من الملوك قسطنطين بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح فوالله ماقدر على اظهار النصرانية حتى رحل عن رومية مسيرة شهر وبنى برنطية وهى قسطنطينية ثم اجبر الناس على النصرانية بالسيف والعطاء وكان من عهوده المحفوظة ان لا يولى ولاية الا من تنصر والناس سراع الى الدنيا نافرون عن الادنى وكان مع هذا كله على مذهب اريوس لا على التثليث ولكن هذا من دعوى النصارى وكذبهم مضاف الى مايدعونه من أنهم بعد هذه المدة الطويلة وبعد خراب بيت المقدس مرة بعد اخرى وبقائه خرابا لا ساكن فيه نحو مائتى عام وسبعين عاما وجدوا الشوك وضع الذى على رأس المسيح بزعمهم والمسامير التى ضربت فى يديه والدم الذى طار من جنبه والخشبة التى صلب عليها فلا ادرى ممن العجب امن اخترع مثل هذه الكذبة الغثة المفضوحة ام ممن قبلها وصدق بها ودان باعتقادها وصلب وجهه للحديث بها ليت شعرى اين بقى ذلك الشوك وذلك الدم سالمين وتلك المسامير وتلك الخشبة طول تلك المدة واهل ذلك الدين مطرودون مقتولون كمقتل من تستتر بالزندقة اليوم وتلك المدينة خراب الدهور الطوال لا يسكنها احد الا السباع والوحش وقد شاهدنا ملوكا جلت لهم الاتباع والاولاد والشيع والاقارب صلبوا فما مضت مدة يسيرة حتى لم يبق لتلك الخشب اثر فكيف امر لا طالب له وبدول قد انقطعت وبلاد قد اقفرت وخلت ونسيت اخبارها وهذه البردة التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم والقضيب والسيف على ان الدولة متصلة لم تتخرم منذ حينئذ والحمد لله رب العالمين قد دخلت الداخلة فى القضيب والسيف حتى لا يقين عندنا منهما اليوم ولولا تداول الخلفاء للباس البردة ابدا الآبد فينتقل امرها جيلا بعد جيل والمنبر كذلك لما قطعنا عليهما ولكن التداول لهما اقامة بمداومة وهما قائمان ظاهران للناس هو اوجب اليقين بهما ورفع الشك فيهما وكذلك كل ماجرى هذا المجرى ثم لم يلبث دين النصارى ان مات قسطنطين اول من تنصر من ملوك الدنيا ثم مات ابنه قسطنطين وولى ملك ترك النصرانية ورجع الى عبادة الاوثان الى ان مات ثم ولى رجل من اقارب قسطنطين فرجع الى النصرانية واما ديانة اليهود فلما صفت فيها نيات بنى اسرائيل وموسى عليه السلام حى بين اظهرهم ومازالوا مائلين الى اظهار عبادة الاوثان ثم تكذيبهم كلهم بالشريعة التى اتاهم بها بعد موته عليه السلام طبقة بعد طبقة الى انقطاع دولتهم فكيف ان يتبعه غيرهم

(قال ابو محمد) وبرهان ضرورى لمن تدبره حسى لا محيد عنه وهو انه لا خلاف بين احد من اليهود والنصارى وسائر الملل فى ان بنى اسرائيل كانوا بمصر فى اشد عذاب يمكن ان يكون من ذبح اولادهم وتسخيرهم فى عمل الطوب بالضرب المظلم والذل الذى لا يصبر عليه كلب مطلق فاتاهم موسى عليه السلام يدعوهم الى فراق هذا الاسر الذى قتل النفس اخف منه والى الحرية والملك والغلبة والامن ومضمون ممن هو فى اقل من تلك الحال ان يسارع الى كل من يطمع على يديه بالفرج وان يستجيب له الى كل ما دعاه اليه وان اكثر من فى هذا البلاء يستخير عبادة

الظلام على حاشية من حواشي النور فابتلع النور منه قطعة على الجهل لا على القصد والعلم وذلك كالطفل الذي لا يفصل بين التمرة والجمرة وكان ذلك سبب المزاج ثم ان النور الاعظم دبر في الخلاص فبنى هذا العالم ليستخلص ما امتزج به من النور ولم يمكنه استخلاصه الا بهذا التدبير (الكينوية والصيامية) واصحاب التناسخ منهم * حكى جماعه من المتكلمين ان

من اخرجه منه لاسيما الى العز والحرمة وكانوا ايضا اهل عسكر مجتمع وبني عمر يمكنهم التواطؤ ثم كانوا اهل بلد صغير جدا قد تكنفهم الاعداء من كل جانب واما عيسى عليه السلام فما اتبعه الا نحو اثني عشر رجلا معروفين ونساء قليل وعدد لا يبلغ جميعهم وفي جملتهم الا ثناعشر الا مائة وعشرين فقط هكذا في نص انجيلهم وكانوا امشردين مطرودين غير ظاهرين ولا يقوم بمثل هؤلاء ضرورة يقين العلم واما محمد صلى الله عليه وسلم فلا يختلف احد في مشرق الارض وغربها انه عليه السلام أتى الى قوم لقاح لا يقرون بملك ولا يطيعون لاحد ولا ينقادون لرئيس نشأ على هذا آباؤهم واجدادهم واسلافهم منذ الوف من الاعوام قد سرى الفخر والعز والنخوة والكبر والظلم والانفة في طباعهم وهم اعداد عظيمة قد ملؤا جزيرة العرب وهي نحو شهرين في شهرين قد صارت طباعهم طباع السباع وهم الوف الالوف قبائل وعشائر يتعصب بعضهم لبعض ابدا فدعاهم بلا مال ولا اتباع بل خذله قومه الى ان ينحطوا من ذلك العز الى غرم الزكاة ومن الحرية والظلم الى جرى الاحكام عليهم ومن طول الايدي بقتل من احبوا واخذ مال من احبوا الى القصاص من النفس ومن قطع الاعضاء ومن اللطمة من اجل من فيهم لاقل علج غريب دخل فيهم والى اسقاط الانفة والفخر الى ضرب الظهور بالسياط او بالنعال ان شربوا خمرا او قذفوا انسانا والى الضرب بالسوط والرجم بالحجارة الى ان يموتوا ان زنوا فانقادوا اكثرهم لكل ذلك طوعا بلا طمع ولا غلبة ولا خوف ما منهم احد أخذ بغلبة الا مكة وخيبر فقط وما غزا قط غزوة يقاتل فيها الا تسع غزوات بعضها عليه وبعضها له فصح ضرورة انهم انما آمنوا به طوعا لا كرها وتبدلت طبائعهم بقدرة الله تعالى من الظلم الى العدل ومن الجهل الى العلم ومن الفسق والقسوة الى العدل العظيم الذي لم يبلغه اكابر الفلاسفة واسقطوا كلهم أولهم عن آخرهم طلب الثار وصحب الرجل منهم قاتل ابنه وأبيه واعدى الناس له صحبة الاخوة المتحابين دون خوف يجمعهم ولا رياسة ينفردون بها دون من اسلم من غيرهم ولا مال يتعجلونه فقد علم الناس كيف كانت سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكيف كانت طاعة العرب لهما بلا رزق ولا عطاء ولا غلبة فهل هذا الا بغلبة من الله تعالى على نفوسهم وقسره عز وجل لطباعهم كما قال تعالى * لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم * ثم بقي عليه السلام كذلك بين اظهرهم بلا حارس ولا ديوان جند ولا بيت مال محروسا معصوما وهكذا نقلت آياته ومعجزاته فانما يصح من أعلام الانبياء المذكورين ما نقل عنه عليه السلام بصحة الطريق اليه وارتفاع دواعي الكذب والعصبية جملة عن اتباعه فيه فجمهورهم غرباء من غير قومه لم يمنهم بدنيا ولا وعدهم بملك وهذا لا ينكره احد من الناس وأيضا فان سيرة محمد صلى الله عليه وسلم لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة وتشهد له بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فلو لم تكن له معجزة غير سيرته صلى الله عليه وسلم لكفى وذلك انه عليه السلام نشأ كما قلنا في بلاد الجهل لا يقرأ ولا يكتب ولا خرج عن

الكينوية زعموا ان الاصول ثلاثة النار والارض والماء وانما حدثت الموجودات من هذه الاصول دون الاصلين الذين اثبتهما الثنوية قالوا والنار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدها في الطبع فما رأيت من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء والارض متوسطة وهؤلاء يتعصبون من النار شديدا من حيث انها علوية نورانية لطيفة لا وجود الا بها ولا بقاء الا بامدادها والماء يخالفها في الطبع فيخالفها في الفعل والارض متوسطة بينهما فيتركب العالم من هذه الاصول (والصيامية) منهم من امسكوا عن طيبات الرزق وتجردوا لعبادة الله وتوجهوا في عباداتهم الى النيران تعظيما لها وامسكوا ايضا عن النكاح والذبائح (والتناسخية) منهم قالوا بتناسخ الارواح في الاجساد والانتقال من شخص الى شخص وما يلقى من الراحة والتعب والدعة والنصب فمرتب على ما أسلفه قبل وهو في بدن آخر جزاء على ذلك والانسان أبدا في أحد امرين اما في فعل واما في جزاء وهو ما فيه فاما مكافاة على عمل قدمه واما عمل ينتظر المكافاة عليه والجنة والنار في هذه الابدان واعلى عليين درجة النبوة وأسفل السافلين دركة الحية فلا وجود أعلى من درجة الرسالة ولا وجود أسفل من درجة الحية ومنهم من يقول المدرج الاعلى درجة الملائكة والاسفل درجة الشيطانية ويخالفون بهذا المذهب سائر الثنوية فانهم يعنون بايام الخلاص رجوع جزاء

النور الى عالمه الشريف الحميد وبقاء أجزاء الظلام في عالمه الخسيس الذميم وأما بيوت النيران للمجوس فاول بيت بناه
افريدون بيت نار بطوس وآخر بمدينة بخارا هو ترد سون واتخذ بهما بيتا بسجستان يدعى كركرا ولهم بيت نار في نواحي
بخارا بدطافاذان وبيت نار يسمى كويسه بين فارس واصبهان بناه كيخسرو وآخر بقومس يسمى جرير
وبيت نار يسمى كنكدز بناه سياوش في مشرق الصين واخر بارجان من فارس اتخذه ارجان جد كشتاسف وهذه البيوت كانت قبل زرادشت ثم جدد زرادشت بيت نار بنيسابور واخر بنسا وامر كشتاسف ان يطلب نارا كان يعظمها جم فوجدوها بمدينة خوارزم فنقلها الى دارابجرد ويسمى آذرخوا والمجوس يعظمونها اكثر من غيرها وكيخسرو لما خرج الى غزو افراسياب عظمها وسجد لها ويقال ان انوشروان هو الذي نقلها الى الكارمان فترك بعضها وحمل بعضها الى نسا وفي بلاد الروم على باب قسطنطينية بيت نار اتخذه شابور بن اذدشير فلم يزل كذلك الى ايام المهدي وبيت نار باسفينيا على قرب مدينة السلم لنوران بنت كسرى وكذلك بالهند والصين بيوت نيران (واما اليونانيون) فكان لهم ثلاثة ابيات ليست فيها نار وذكرناها والمجوس انما
يعظمون النار لمعان منها انها جوهر شريف علوي ومنها انها ما احرقت ابراهيم الخليل عليه ذكر
الصلاة والسلام ومنها ظنهم ان التعظيم ينجيهم في المعاد من عذاب النار وبالجملة هي قبلة لهم ووسيلة واشارة اهل الاهواء
والنحل وهؤلاء يقابلون ارباب الديانات تقابل التضاد كما ذكرنا واعتمادهم على الفطرة السليمة والعقل الكامل والذهن الصافي فمن
معطل بطال لا يرد عليه فكره براده ولا يهديه عقله ونظره الى اعتقاد ولا يرشده فكره وذهنه الى معاد قد الف المحسوس

تلك البلاد قط الا خرجتين احداهما الى الشام وهو صبي مع عمه الى أول أرض الشام ورجع والاخرى أيضا الى أول الشام ولم يطل بها البقاء ولا فارق قومه قط ثم أوطأ الله تعالى رقاب العرب كلها فلم تتغير نفسه ولا حالت سيرته الى أن مات ودرعه مرهونة في شعير لقوت اهله اصواع ليست بالكثيرة ولم يبت قط في ملكه دينار ولا درهم وكان يأكل على الارض ما وجد ويخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويؤثر على نفسه وقتل رجل من أفاضل أصحابه مثل فقده يهد عسكرا قتل بين اظهر اعدائه من اليهود فلم يتسبب الى اذى أعدائه بذلك اذ لم يوجب الله تعالى له ذلك ولا توصل بذلك الى دمائهم ولا الى ذم واحد منهم ولا الى أموالهم بل فداه من عند نفسه بمائة ناقة وهو في تلك الحال محتاج الى بعير واحد يتقوى به وهذا أمر لا تسمح به نفس ملك من ملوك الارض وأهل الدنيا من أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه ولا يقتضي هذا أيضا ظاهر السيرة والسياسة فصح يقينا بلا شك انه انما كان متبعا ما أمره به ربه عز وجل كان ذلك مضرا به في دنياه غاية الاضرار أو كان غير مضر به وهذا عجب لمن تدبره ثم حضرته المنية وأيقن بالموت وله عم أخو أبيه هو أحب الناس اليه وابن عم هو من اخص الناس به وهو ايضا زوج ابنته التي لا ولد له غيرها وله منها ابنان ذكران وكلا الرجلين المذكورين عمه وابن عمه عنده من الفضل والدين والسياسة في الدنيا والباس والحلم وخلال الخير ما كان كل واحد منهما حقيقاً بسياسة العالم كله فلم يحابهما وهما من اشد الناس غناء عنه ومحبة فيه وهو من احب الناس فيهما اذ كان غيرهما متقدما لهما في الفضل وان كانا بعيد النسب منه بل فوض الامر اليه قاصداً الى مر الحق واتباع ما امر به ولم يورث ورثته ابنته ونساءه وعمه فلسا فما فوقه وهم كلهم احب الناس اليه واطوعهم له وهذه امور لمن تأملها كافية مغنية في انه انما تصرف بامر الله تعالى له لا بسياسة ولا بهوى فوضح بما ذكرناه والله الحمد كثيراً ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حق وان شريعته التي هي بها هي التي وضحت براهينها واضطرت دلائلها الى تصديقها والقطع على انها الحق الذي لا حق سواه وانها دين الله تعالى الذي لا دين له في العالم غيره والحمد لله رب العالمين عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته على ما وفقنا إليه من الملة الاسلامية ثم على ما يسرنا عليه من النحلة الجماعية السنية ثم على ما هدانا له من التدين والعمل بظاهر القرآن وبظاهر السنن الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم عن باعثه عز وجل ولم يجعلنا ممن يقلد اسلافه واحباره دون برهان قاطع وحجة قاهرة ولا ممن يتبع الاهواء المضلة المخالفة لقوله وقول نبيه صلى الله عليه وسلم ولا ممن يحكم برأيه وظنه دون هدى من الله ورسوله اللهم كما بدأتنا بهذه النعمة الجليلة فاتمها علينا واصحبناها ولا تخالف بها عنا حتى تقبضنا اليك ونحن متمسكون بها فلقاك بها غير مبدلين ولا مغيرين اللهم آمين رب العالمين وصل اللهم على محمد عبدك ورسولك وخليلك وخاتم انبيائك خاصة وعلى انبيائك عامة وعلى ملائكتك كافة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ذكر فصول يعترض بها جهلة الملحدين على ضعفة المسلمين

قال ابو محمد اما ماندبرنا امر طائفتين ممن شاهدنا فى زماننا هذا و وجدناهما ند تفاقم الداء بهما فاما احداهما فقد جلت المصيبة فيها وبها وهم قوم افتتحوا عنفوان فهمهم وابتدؤا دخولهم الى المعارف بطلب علم العدد وابروته وطبائعه ثم تدرجوا الى تعديل الكواكب وهيئة الافلاك وكيفية قطع الشمس والقمر والدراري الخمسة وتقاطع فلكى النيرين والكلام فى الاجرام العلوية وفى الكواكب الثابتة و نتقالها وابعاد كل ذلك واعظامه وفيما دون ذلك من الطبيات وعوارض الجو ومطالعة شئ من كتب الاوائل وحدودها التى نصبت فى الكلام وماما زج بعض ماذكرنا من اراء الفلاسفة فى القضاء بالنجوم وانها ناطقة مدبرة و كذلك الفلك فاشرفت هذه الطائفة من اكثر ما طالعت مما ذكرنا على أشياء صحاح براهينها ضرورية لائحة ولم يكن معها من قوة المنة وجودة القريحة وصفاء النظر ما تعلم به ان من اصاب فى عشرة الاف مسألة مثلا فجائز ان يخطئ فى مسئلة واحدة لعلها اسهل من المسائل التى اصاب فيها فلم تفرق هذه الطائفة بين ماصح مما طلعوه بحجة برهانية و بين ما فى اثناء ذلك وتضاعيفه مما لم بات عليه من ذكره من الاوائل الا باقناع او بشغب و ربما بتقليد ليس معه شئ مما ذكرنا فحملوا كل ما اشرفوا عليه محملا واحدا وقبلوه قبولا مستويا فسرى فيهم العجب وتداخلهم الزهو وظنوا انهم قد حصلوا على مباينة العالم فى ذلك وللشيطان موالج خفية ومداخل لطيفة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجرى من ابن آدم مجرى الدم فتوصل اليهم من باب غامض نعوذ بالله منه وهو انهم كما ذكرنا اصفار من كل شىء من علوم الديانة التى هي الغرض المقصود من كل ذى لب والتى هى نتيجة العلوم التى طالعوا وعقلوا سبلها ومقاصدها فلم يعبؤا باية من كتاب الله تعالى الذى هو جامع علو الاولين والآخرين والذى لم يفرط فيه من شىء والذى من فهمه كفاه ولا بسنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى بيان الحق ونور الالباب ولم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدين الا أقواما لا عناية عندهم بشئ مما قدمناه وانما عنيت من الشريعة باحد ثلاثة أوجه إما بالفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ولا يهتمون بفهمها واما بمسائل من الاحكام لا يشتغلون بدليلها ومنبعثها وانما حسبهم منها ما اقاموا به جاههم وحالهم واما بخرفات منقولة عن كل ضعيف و كذاب وساقط لم يهتموا قط بمعرفة صحيح منها من سقيم ولا مرسل من مسند ولا ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم مما نقل عن كعب الاحبار او وهب بن منبه عن اهل الكتاب فنظرت الطائفة الاولى من هذه الاخرة بعين الاستهجان والاحتقار والاستجهال فتمكن الشيطان منهم وحل فيهم حيث احب فهلكوا وضلوا واعتقدوا ان دين الله تعالى لا يصح منه شىء ولا يقوم عليه دليل فاعتقدوا اكثرهم الالحاد والتعطيل وسلك بعضهم طريق الاستخفاف والاهمال واطراح ثقل الشرائع واستعمال الفرائض والعبادات وآثروا الراحات وركوب

وركن اليه وظن أنه لا عالم سوى ما هو فيه من مطعم شهى ومنظر بهى ولا عالم وراء عالم المحسوس وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون لا يثبتون معقولا ومن محصل نوع تحصيل قد ترقى عن المحسوس واثبت المعقول لكنه لا يقول بحدود وأحكام وشريعة واسلام ويظن انه اذا حصل المعقول وأثبت للعالم مبدأ ومعادا وصل الى الكمال المطلوب من جنسه فتكون سعادته على قدر إحاطته وعلمه وشقاوته بقدر سفاهته وجهله وعقله هو المستبد بتحصيل هذه السعادة ووضعه هو المستعد لقبول تلك الشقاوة وهؤلاء هم الفلاسفة الالهيون قالوا والشرائع وأصحابها أمور مصلحية عامة والحدود والاحكام والحلال والحرام امور وضعية والشرائع لها رجال لهم حكم علمية وربما يؤيدون من عند واهب الصور باثبات احكام ووضع حلال وحرام مصلحة للعباد وعمارة للبلاد وما يخبرون عنه من الامور الكائنة فى الحال من أحوال عالم الروحانيين من الملائكة والعرش والكرسى واللوح والقلم فانما هى أمور معقولة لهم قد عبروا عنها بصور خيالية جسمانية وكذلك ما يخبرون من أحوال المعاد من الجنة والنار ثم قصور وأنهار وطيور وثمار فى الجنة فترغيبات للعوام بما تميل اليه طباعهم وسلاسل وأغلال وخزى ونكال فى النار فترهيبات للعوام مما ينزجر عنه طباعهم وإلا ففى العالم العلوى لا يتصور أشكال جسمانية وصور جرمانية وهذا أحسن ما يعتقدونه فى الانبياء لست اعنى بهم الذين أخذوا علومهم من مشكاة النبوة وانما أعنى بهؤلاء الذين كانوا فى الزمن الاول دهرية وحشيشية وطبيعية والهية قد اغتروا بحكمهم واستقلوا باهوائهم وبدعهم ثم يتلوهم ويقرب منهم قوم يقولون بحدود وأحكام عقلية وربما أخذوا أصولها وقوانينها مؤيدا بالوحى إلا أنهم اقتصروا على الاول منهم وما تعدوا إلى الآخر وهؤلاء

م الصابئة الاولى الذين قالوا بعاذيمون وهرمس وهاشيث وادريس ولم يقولوا بغيرهما من الانبياء والتقسيم الضابط أن يقول من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية ومنهم من يقول بالمحسوس ولا يقول بالمعقول وهم الطبيعية ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول ولا يقول بحدود وأحكام وهم الفلاسفة الدهرية ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والاحكام ولا يقول بالشريعة والاسلام وهم الصابئة ومنهم من يقول بهذه كلها وبشريعة الاسلام ولا يقول بشريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهم اليهود والنصارى ومنهم من يقول بهذه كلها وهم المسلمون ونحن قد فرغنا عمن يقول لشرائع والاديان فنتكلم الآن فيمن لا يقول بها ويستبد برأيه وهواه في مقابلتهم (الصابئة) قد ذكرنا ان الصبوة في مقابلة الحنيفية وفي اللغة صبا الرجل اذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الانبياء قيل لهم الصابئة وقد يقال صبا الرجل اذا عشق وهوى وهم يقولون الصبوة هو الانحلال عن قيد الرجال وانما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين كما ان مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين والصابئة تدعى أن مذهبنا هو الاكتساب والحنفاء تدعى أن مذهبنا هو الفطرة فدعوة الصابئة الى الاكتساب ودعوة الحنفاء الى الفطرة (اصحاب الروحانيات) وفي العبارة لغتان روحاني بالضم من الروح وروحاني بالفتح من الروح والروح والروح متقاربان فكان الروح جوهر والروح حالته الخاصة به ومذهب هؤلاء ان للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة اما الجوهر فهم المقدسون عن

اللذات من انواع الفواحش المحرمات من الخمور والزنا واللواطة والبغاء وترك الصلوات والصيام والزكاة والحج والغسل وقصدوا كسب المال كيف تيسر وظلم العباد واستعمال الاهزال وترك الجد والتحقيق وتدين الاقل منهم بتعظيم الكواكب فاسفت نفس المسلم الناصح لهذه الملة واهلها على هلاك هؤلاء المساكين وخروجهم عن جملة المؤمنين بعد ان غذوا بلبان الاسلام ونشؤا في حجور اهله نسأل الله العصمة من الضلال لنا ولابنائنا ولكل اخواننا من المسلمين ونسأله تدارك من زلت قدمه وهوت نعله انه على كل شيء قدير واما الطائفة الثانية فهم قوم ابتدؤا الطلب لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزيدوا على طلب علو الاسناد وجمع الغرائب دون ان يهتموا بشيء مما كتبوا او يعملوا به وانما تحملوه حملا لا يزيدون على قراءته دون تدبر معانيه ودون ان يعلموا انهم المخاطبون به وانه لم يأت هملا ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عبثا بل امرنا بالتفقه فيه والعمل به بل اكثر هذه الطائفة لا يعمل عندهم الا ما جاء من طريق مقاتل بن سليمان والضحاك بن مزاحم وتفسير الكلبي وتلك الطبقة وكتب البدء التي انما هي خرافات موضوعات واكذوبات مفتعلات ولدها الزنادقة تدليسا على الاسلام واهله فاطلقت هذه الطائفة كل اختلاط لا يصح من أن الارض على حوت والحوت على قرن ثور والثور على الصخرة والصخرة على عاتق ملك والملك على الظلمة والظلمة على ما لا يعلمه الا الله عز وجل وهذا يوجب ان جرم العالم غير متناه وهذا هو الكفر بعينه فنافرت هذه الطبقة التي ذكرنا كل برهان ولم يكن عندها اكثر من قولهم نهينا عن الجدال فليت شعري من نهاهم عنه والله عز وجل يقول في كتابه المنزل على نبيه المرسل ﷺ وجادلهم بالتي هي احسن * واخبر تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا * يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا وقد نص تعالى في غير موضع من كتابه على اصول البراهين وقد نبهنا عليها في غير ما موضع من كتابنا هذا وحض تعالى على التفكر في خلق السموات والارض ولا يصح الاعتبار في خلقهما الا بمعرفة هيأتهما وانتقال الكواكب في افلاكها واختلاف حركاتها في التغريب والتشريق وافلاك تداويرها وتعارض تلك الادوار على رتبة واحدة وكذلك معرفة الدوائر والمنطقة والميل والاستواء وكذلك معرفة الطبائع وامتزاج العناصر الاربعة وعوارضها وتركيب اعضاء الحيوان من عصبه وعضله وعظامه وعروقه وشرايينه واتصال اعضائه بعضها ببعض وقواه المركبة فمن اشرف على ذلك وعلمه رأى عظيم القدرة وتيقن ان كل ذلك صنعة ظاهرة وارادة خالق مختار لان اختلاف تلك الحركات يضطر الى المعرفة بان شيئا منها لا يقوم بنفسه دون ممسك مدبر لا اله الا هو ولا خالق سواه ولا مدبر حاشاه ولا فاعل مخترع الا هو ثم زاد قوم منهم فاتوا بالافيكة التي تقشعر منها الذوائب وهي ان اطلقوا ان الدين لا يؤخذ بحجة فاقروا عيون الملحدين وشهدوا ان الدين لا يثبت الا بالدعاوى والغلبة وهذا خلاف قوله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وقوله تعالى * فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان * هذا قول الله عز وجل وما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم

المواد الجسمانية المبرؤن عن القوى الجسدانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية قدجبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وانما أرشدنا الى هذا معلمنا الاول عاذيمون وهرمس فنحن نتقرب اليهم ونتوكل عليهم فهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا (٧٧) وشفعاؤنا عندالله وهو رب الارباب واله الآلهة فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية ونهذب اخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى يحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات فنسأل حاجاتنا منهم ونعرض أحوالنا عليهم ونصبوا في جميع أمورنا اليهم فيشفعون لنا الى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم وهذا التطهير والتهذيب ليس يحصل الا باكتسابنا ورياضتنا وفطامنا أنفسنا عن دنيات الشهوات استمدادا من جهة الروحانيات والاستمداد هو التضرع والابتهال بالدعوات واقامة الصلوات وبذل الزكوات والصيام عن المطعومات والمشروبات وتقريب القرابين والذبائح وتبخير البخورات وتعزيم العزائم فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة قالوا والانبياء أمثالنا في النوع وأشكالنا في الصورة يشاركوننا في المادة يأكلون مما ناكل ويشربون مما نشرب ويساهموننا في الصورة أناس بشر مثلنا فمن اين لنا طاعتهم وبأية مزية لهم لزم متابعتهم * ولئن اطعتم بشرا مثلكم اذا لخاسرون * مقالتهم وأما الفعل فقالوا الروحانيات هم الاسباب المتوسطون في الاختراع والايجاد وتصريف الامور من حال الى حال وتوجيه المخلوقات من مبدأ الى كمال يستمدون القوة من الحضرة الالهية القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية فمنها مدبرات

وسلم وفي ذلك الكفاية والقناعة عن قول كل قائل بعده وقد حاج ابن عباس الخوارج وما علمنا احداً من الصحابة رضي الله عنهم نهى عن الاحتجاج فلا معنى لرأي من جاء بعدهم فكان كلام هذه الطائفة مغريا للطائفة الاولى بكفرها ومغطا لهم لشركهم اذلم يروا في خصومهم في الاغلب الامن هذه صفته ثم زادت هذه الطائفة الثانية غلوا في الجنون فعابوا كتبنا الاعلم لهم بها ولا طالعوها ولا رأوا منها كلمة ولا قرؤها ولا اخبرهم عن مافيها ثقة كالكتب التي فيها هيئة الافلاك ومجاري النجوم والكتب التي جمعها ارسطاطاليس في حدود الكلام

قال ابو محمد وهذه الكتب كلها كتب سالمة مفيدة دالة على توحيد الله عز وجل وقدرته عظيمة المنفعة في انتقاد جميع العلوم وعظم منفعة الكتب التي ذكرنا في الحدود ففي مسائل الاحكام الشرعية بها يتعرف كيف التوصل الى الاستنباط وكيف تؤخذ الالفاظ على مقتضاها وكيف يعرف الخاص من العام والمجمل من المفسر وبناء الالفاظ بعضها على بعض وكيف تقديم المقدمات وانتاج النتائج ومايصح من ذلك صحة ضرورية ابدا وما يصح مرة ومايبطل اخرى ومالا يصح البتة وضرب الحدود التي من شذ عنها كان خارجا عن اصله ودليل الخطاب ودليل الاستقراء وغير ذلك مما لا غناء بالفقيه المجتهد لنفسه ولاهل ملته عنه

قال ابو محمد فلما رأينا عظيم المحنة فيما تولد في الطائفتين اللتين ذكرنا رأينا من عظيم الاجر وافضل العمل بيان هذا الباب المشكل بحول الله تعالى وقدرته وتأييده فنقول وبه عز وجل نتأيد ونستعين ان كل ما صح ببرهان اى شيء كان فهو في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم منصوص مسطور يعلمه كل من احكم النظر وايده الله تعالى بفهم واما كل ماعدا ذلك مما لا يصح ببرهان وانما هو اقناع او شغب فالقرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم منه خاليان والحمد لله رب العالمين

قال ابو محمد ومعاذ الله ان يأتي كلام الله سبحانه وتعالى وكلام نبيه صلى عليه وسلم بما يبطله عيان او برهان انما ينسب هذا الى القرآن والسنة من لا يؤمن بهما ويسعى في ابطالهما * ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون * ولسنا من تفسير الكلبي الكذاب ومن جرى مجراه في شيء ولا نحن من نقل المتهمين في شأن انما نحتج بما نقله الائمة الثقاة الاثبات من رؤساء المحدثين مسنداً فمن فتش الحديث الصحيح وجد فيه كل ماقلنا والحمد لله رب العالمين وانما الباطل ما ادعته الطائفة الاولى من نطق الكواكب وتدبيرها وهذا كفر لاحجة عندهم على ماقالوه منه اكثر من ان المحتج لهم قال لما كنا نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت اولى بالعقل منا وهذا الذي ذكروه ليس بشيء لان الكواكب وان كان لها تأثير في العالم ظاهر فليس تأثيرها تأثير ملك واختيار يدل على ذلك ماقد ذكرناه في كتابنا هذا من الدلائل على ان الكواكب مضطرة لا مختارة وانما تأثيرها كتأثير النار بالاحراق والماء بالتبريد والسم بافساد المزاج والطعام بالتغذية

الكواكب السبع السيارة في أفلاكها وهي هياكلها ولكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل الذي اختص به نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومديره وكانوا يسمون الهياكل ارباباً وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فيتبعها قوي جسمانية ويركب عليها نفوس روحانية مثل انواع النبات وأنواع الحيوان ثم قد تكون التاثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملك ومنها مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو مما يصعد من الارض فينزل مثل الامطار والثلوج والبرد والرياح وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب وما يحدث في الجو من الرعد والبرق والسحاب والضباب وقوس قزح وذوات الاذناب والهالة والمجرة وما يحدث في الارض من الزلازل والمياه والابخرة الى غير ذلك ومنها متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات حتى لاترى موجودا ما خاليا عن قوة وهداية اذا كان قابلا لهما قالوا واما الحالة فاحوال الروحانيات فلا من الروح والريحان والنعمة واللذة والراحة والبهجة والسرور في جوار رب الارباب كيف يخفى ثم طعامهم وشرابهم التسبيح والتقديس والتمجيد والتهليل وانسهم بذكر الله تعالى وطاعته فمن قائم ومن راكع ومن ساجد ومن قاعد لاتبدل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة ومن خاشع بصره لايرفع ومن ناظر لايغمض ومن ساكن لايتحرك ومن متحرك

والفلفل يحذو اللسان والاهليلج القبض للفم وما جرى هكذا من سائر ما في العالم وكل ذلك غير ناطق والكواكب والافلاك جارية هذا المجرى لان تأثيرها تأثير واحد لا يختلف وحركتها حركة واحدة لا تختلف وليس كذلك المختار ولقد قال لي بعضهم وقد عارضته بهذا ان المختار الفاضل يلزم افضل الحركات فلا يتعداها وتلك الحركة الدورية هي افضل الحركات فقلت له وما دليلك على ان تلك الحركة افضل الحركات ومن اين صارت الحركة من شرق الى غرب اومن غرب الى شرق افضل من الحركة من جنوب الى شمال اومن شمال الى جنوب وكيف يكون عندكم افضل الحركات والافلاك الثمانية تنتقل من غرب الى شرق والتاسع من شرق الى غرب فاي هاتين الحركتين قلتم انها افضل عندكم وقد اختار الآخر الحركة التي ليست افضل فظهر فساد هذا القول بيقين وهذه دعاوى مجردة بلا برهان وما كان هكذ فقد سقط ولا فرق بينك وبين من قال بل الحركة علو افضل او على خط مستقيم سائرة وراجعة ونحن نجد تلك الاجرام تسفل في بعض ممراتها وتشرف في بعض وتسقط في بعض على قولكم وتوافق بزعمكم بروج نحس مظلمة واخري نيرة سعيدة وبعض الافلاك يقطع من غرب الى شرق وهو حركة جميعها الا الاعلى منها فانه يتحرك من شرق الى غرب فليست هذه افضل الحركات فبطل قولهم والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وكذلك ما ذكره من ذكر ذلك منهم من الكرور عند انتهاء آلاف من الاعوام ذكروها وانتصاب الكواكب الثابتة على نصب ما من قطعها لفلكها فهذا أيضا كذب مجرد ودعوى ساقطة لا دليل عليها ولا يعجز عن مثلها احد ولم يأتوا على شئ من ذلك بشغب ولا باقناع فكيف ببرهان وانما هو تقليد لبعض قدماء الصائبين فمثل هذه الحماقات والخرافات هي الذى دفعته الشريعة الاسلامية وأبطلته وأما ما قامت عليه البراهين فهو في القرآن والسنة موجود نصا واستدلالا ضروريا والحمد لله رب العالمين

مطلب بيان كروية الارض

(قال أبو محمد) وهذا حين ناخذ ان شاء الله تعالى في ذكر بعض ما اعترضوا به وذلك انهم قالوا ان البراهين قد صحت بان الارض كروية والعامة تقول غير ذلك وجوابنا وبالله تعالى التوفيق أن أحدا من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الامامة بالعلم رضي الله عنهم لم ينكروا تكوير الارض ولا يحفظ لاحد منهم في دفعه كلمة بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها قال الله عز وجل *يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل* وهذا أوضح بيان في تكوير بعضها على بعض مأخوذ من كور العمامة وهو ادارتها وهذا نص على تكوير الارض ودوران الشمس كذلك وهي التي منها يكون ضوء النهار باشراقها وظلمة الليل بمغيبها وهي آية النهار بنص القرآن قال تعالى *وجعلنا آية النهار مبصرة* فيقال لمن أنكر ما جهل من ذلك من العامة أليس انما افترض الله عز وجل علينا أن نصلي الظهر اذا زالت الشمس فلا بد من نعم فيسألون عن معنى زوال الشمس

لايسكن ومن كروبي في عالم القبض ومن روحاني في عالم البسط لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني المحض وبين البشرية النبوية ونحن اردنا أن نوردها على شكل سؤال وجواب وفيها فوائد لاتحصى قالت الصابئة الروحانيات ابدعت ابداعا لامن شيء لامادة ولاهيولى وهي كلها جواهر واحدة على سنخ وجواهرها أنوار محضة لاظلام فيها وهي من شدة ضيائها لايدركها الحس ولاينالها البصر ومن غاية لطافتها يحار لها العقل ولا يجول فيها الخيال ونوع الانسان مركب من العناصر الاربعة ومؤلف من مادة وصورة والعناصر متضادة ومزدوجة بطباعها اثنان منها مزدوجان واثنان منها متنافران ومن التضاد يصدر الاختلاف والهرج ومن الازدواج يحصل الفساد والهرج فما هو مبدع لامن شيء لايكون كمخترع من شيء والمادة والهيولى سنخ الشر ومنبع الفساد فالمركب منها ومن الصورة كيف يكون كمحض الصورة والظلام كيف يساوي النور والمحتاج الى الازدواج والمضطر في هوة الاختلاف كيف يرقى الى درجة المستغنى عنها اجابت الحنفاء بم عرفتم معاشر الصابئة وجود هذه الروحانيات والحس مادلكم عليه والدليل ما ارشدكم اليه قالوا عرفنا وجودها وتعرفنا احوالها من عاذيمون وهرمس وشيس وادريس عليهما السلام قالت الحنفاء فقد ناقضتم وضع مذهبكم فان غرضكم في ترجيح الروحاني على الجسماني نفي المتوسط البشري فصار نفيكم اثباتا وعاد انكاركم اقرارا ثم من الذي يسلم ان المبدع لامن شيء اشرف من المخترع عن شيء بل وجانب الروحاني امر واحد وجانب الجسماني امران احدهما نفسه وروحه والثاني جسمه وجسده فهو من حيث الروح مبدع بامر الباري تعالى ومن حيث

فلابد من انه انما هو انتقال الشمس عن مقابلة من قابل بوجهه القرص واستقبل بوجهه وأنفه وسط المسافة التي بين موضع طلوع الشمس وبين موضع غروبها في كل زمان وكل مكان وأخذها الى جهة حاجبه الذي يلي موضع غروب الشمس وذلك انما هو في أول النصف الثاني من النهار وقد علمنا أن المداين من معمور الارض آخذة على أديمها من مشرق الى مغرب ومن جنوب الى شمال فيلزم من قال أن الارض منتصبة الاعلى غير مكورة أن كل من كان ساكنا في أول المشرق أن يصلي الظهر في أول النهار ضرورة ولابد اثر صلاة الصبح بيسير لان الشمس بلاشك تزول عن مقابلة ما بين حاجبي كل واحد منهم في أول النهار ضرورة ولابد ان كان الامر على ما تقولون ولايحل لمسلم أن يقول أن صلاة الظهر تجوز أن تصلى قبل نصف النهار ويلزمهم أيضا أن من كان ساكنا في آخر المغرب أن الشمس لاتزول عن مقابلة ما بين حاجبي كل واحد منهم الا في آخر النهار فلا يصلون الظهر الا في وقت لايتسع لصلاة العصر حتى تغرب الشمس وهذا خارج عن حكم دين الاسلام وأما من قال بتكويرها فان كل من على ظهر الارض لايصلي الظهر الا اثر انتصاف نهاره أبدا على كل حال وفي كل زمان وفي كل مكان وهذا بين لاخفاء فيه وقال عز وجل * سبع سموات طباقا * وقال تعالى * ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق * وهكذا اقام البرهان من قبل كسوف الشمس والقمر بعض الدراري لبعض على انها سبع سموات وعلى انها طرائق وقوله تعالى طرائق يقتضي متطرقا فيه وقال تعالى * وسع كرسيه السموات والارض * وهذا نص ما اقام عليه البرهان من انطباق بعضها على بعض واحاطة الكرسي بالسموات السبع وبالارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسألوا الله الفردوس الاعلى فانه وسط الجنة واعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن وقال تعالى * الرحمن على العرش استوى * وأخبر هذان النصان بان ما على العرش هو منتهى الخلق ونهاية العالم وقال تعالى * انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد * وهذا هو نص ما اقام البرهان عليه من أن الكواكب المرمي بها هي دون سماء الدنيا لانها لو كانت في السماء لكان الشياطين يصلون الى السماء أو كانت هي تخرج عن السماء والا فكانت تلك الشهب لاتصل اليهم الا بذلك وقد صح انهم ممنوعون من السماء بالرجوم فصح أن الرجوم دون السماء وأيضا فان تلك الرجوم ليست نجوما معروفة أصلا وانما هي شهب ونيازك من نار تتكوكب وتشتعل وتطفأ ولا نار في السموات أصلا فلم نجد الاختلاف الا في الاسماء لاختلاف اللغات وقد اعترض القاضي منذر بن سعيد في هذا فجعل الافلاك غير السموات

قال ابو محمد ولا برهان على ما ذكر الا انه قال ان السموات هي فوق الارض فلو كانت السموات محيطة بالارض لكان بعض السموات تحت الارض وهذا ليس بشيء لان التحت والفوق من باب الاضافة لايقال في شيء تحت الا وهو فوق لشيء آخر حاشى مركز الارض فانه تحت مطلق لا تحت له البتة وكذلك كل ما قيل فيه انه فوق فهو ايضا تحت لشيء اخر حاشى الصفحة العليا من

الجسد مخترع بخلقه ففيه أثران امرى وخلقي وقولي وفعلي فساوى الروحاني بجهة وفضله بجهة خصوصا اذا كان جهته الخلقية ماتقصت الجهة الاخرى بل كملت وظهرت وانما الخطا عرض لكم من وجهين احدهما انكم فاضلتم بين الروحاني المجرد و الجسماني المجرد فحكمتم بان الفضل للروحاني وصدقتم لكن المفاضلة بين الروحاني المجرد و الجسماني و الروحاني المجتمع ولا يحكم عاقل بان الفضل للروحاني المجرد فانه بطرف ساواه وبطرف سبقه والفرض فيما اذا لم يدنس بمادة ولوازمها ولم يؤثر فيه احكام التضاد والازدواج بل كان مستخدما لها بحيث لاينازعه في شيء يريده ويرضاه بل صارت معينات له على الغرض الذي لاجله حصل التركيب وعطلة الوحدة والبساطة وذلك تخصيص النفوس التي تدنست بالمادة ولوازمها وصارت العلائق عوائق وليت شعري ماذا يشين اللباس الخشن الشخص الجميل وكيف يزرى اللفظ الرائق بالمعنى المستقيم ونعم ماقيل *

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل

هذا كمن خاير بين اللفظ المجرد والمعنى المجرد اختار المعنى قيل له بل خاير بين المعنى المجرد والعبارة والمعنى حتى لايشك أن المعنى اللطيف في العبارة الرشيقة اشرف من المعنى المجرد وأما الوجه الثاني انكم ماتصورتم من النبوة الا كمالا وتماما فحسب ولم يقع بصركم على انها كمال هو مكمل غيره ففاضلتم بين كمالين مطلقا وماحكمتم الا بالتساوي و ترجيح جانب الروحاني ونحن نقول ماقولكم في كمالين احدهما كامل والثاني كامل ومكمل عالم أيها أشرف قالت الصابئة نوع الانسان ليس يخلو من قوتي الشهوة والغضب وهما ينزعان

الفلك الاعلى المقسوم بقسمة البروج نعم فوق لافوق لها البتة فالارض على هذا البرهان الشاهد هي مكان التحت للسموات ضرورة فمن حيث كانت السماء فهي فوق الارض ومن حيث قابلتها الارض فهي تحت السماء ولا بد وحيث ما كان ابن ادم فرأسه الى السماء ورجلاه الى الارض وقد قال الله عز وجل * ألم يروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا * وقال تعالى * جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * فاخبر الله تعالى اخبارا لايرده الا كافر بان القمر في السماء وان الشمس ايضا في السماء ثم قد قام البرهان الضروري المشاهد بالعيان على دورانها حول الارض من مشرق الى مغرب ثم من مغرب الى مشرق فلو كان على مايظن اهل الجهل لكانت الشمس والقمر اذ دارا بالارض وصارا فيما يقابل صفحة الارض التي لسنا عليها قد خرجا عن السماء وهذا تكذيب لله تعالى فصح بهذا انه لايجوز ان يفارق الشمس والقمر السموات ولا ان يخرجا عنها لانهما كيف دارا فهما في السموات فصح ضرورة ان السموات مطابقة طباقا على الارض وايضا فقد نص تعالى كما ذكرنا على ان الشمس والقمر والنجوم في السموات ثم قال تعالى * وكل في فلك يسبحون * وبالضرورة علمنا أنه لايمكن أن يكون جرم في وقت واحد في مكانين فلو كانت السموات غير الافلاك وكانت الشمس والقمر بنص القرآن في السموات وفي الفلك لكانا في مكانين في وقت غير متداخلين واحد وهذا محال ممتنع ولاينسب القول بالمحال الى الله عز وجل الا أعمى القلب فصح أن الشمس في مكان واحد وهو سماء وهو فلك وهكذا القول في القمر وفي النجوم وقوله تعالى وكل في فلك يسبحون نص جلي على الاستدارة لانه أخبر تعالى أن الشمس والقمر والنجوم سابحة في الفلك ولم يخبر تعالى أن لها سكونا فلو لم تستدر لكانت على اباد الدهور بل في الايام اليسيرة تغيب عنا حتى لانراها أبدا لو مشت على طريق واحد وخط واحد مستقيم أو معوج غير مستدير لكنا أمامها أبدا وهذا باطل فصح بما نراه من كرورها من شرق الى غرب وغرب الى شرق انها دائرة ضرورة وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن قول الله تعالى * والشمس تجري لمستقر لها * فقال عليه السلام مستقرها تحت العرش وصدق صلى الله عليه وسلم لانها أبدا تحت العرش الى يوم القيامة وقد علمنا أن مستقر الشيء هو موضعه الذي يلزم فيه ولايخرج عنه وان مشى فيه من جانب الى جانب (حدثنا) احمد بن عمر بن أنس العذري ثنا عبد الله بن احمد الهروي حدثنا عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي حدثنا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد ابن حميد حدثني سليمان بن حرب الواسحي ثنا حماد بن سلمة عن اياس بن معاوية المزني قال السماء مقبية هكذا على الارض وبه الى عبد بن حميد ثنا يحيى بن عبد الحميد عن يعقوب عن جعفر هو ابن أبي وحشية عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى ابن عباس فقال أرأيت قول الله عز وجل * سبع سموات ومن الارض مثلهن * قال ابن عباس هن ملتويات بعضهن على بعض

حدثنا

الى البهيمية والشيعية وينازعان النفس الانسانية الى طباعهما فيثور من الشهوية الحرص والامل ومن الغضبية الكبر والحسد الى غيرهما من الاخلاق الذميمة فكيف يماثل من هذه صفته نوع الملائكة المطهرين عنها وعن نوازعهما ولواحقهما صافية اوضاعهم عن النوازع الحيوانية كلها خالية طباعهم عن القواطع البشرية باسرها لم يحملهم الغضب على حب الجاه ولا حملتهم الشهوة على حب المال بل طباعهم مجبولة على المحبة والموافقة وجواهرهم مفطورة على الالفة والاتحاد اجابت الحنفاء بان هذه المغالطة مثل الاولى حذو النعل بالنعل فان في طرف البشرية نفسين نفس حيوانية لها قوتان قوة الغضب وقوة الشهوة ونفس انسانية لها قوتان قوة علمية وقوة عملية وبتينك القوتين لها ان تجمع وتمنع وبهاتين القوتين لها ان تقسم الامور وتفصل الاحوال ثم تعرض الاقسام على العقل فيختار العقل الذي هو كالبصر النافذ له من العقائد الحق دون الباطل ومن الاقوال الصدق دون الكذب ومن الافعال الخير دون الشر ويختار بقوته العملية من لوازم القوة الغضبية الشدة والشجاعة والحمية دون الذل والجبن والنذالة ويختار بها ايضا من لوازم القوة الشهوية التآلف والتودد والبذاذة دون الشره والمهانة والخساسة فيكون من اشد الناس حمية على خصمه وعدوه ومن ارحم الناس تذللا وتواضعا لوليه وصديقه واذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين واستعملها في جانب الخير ثم يترقى منه الى ارشاد الخلائق في تزكية النفوس عن العلائق واطلاقها عن قيد الشهوة والغضب وابلاغها الى حال الكمال ومن المعلوم ان كل نفس شريفة عالية زكية هذه حالها لاتكون كنفس لاتنازعها قوا اخرى على خلاف طباعها وحكم العنين العاجز في امتناعه عن تنفيذ الشهوة لايكون كحكم المتصون الزاهد

حدثنا عبد الله بن ربيع التميمي ثنا محمد بن معاوية القرشي حدثنا أبو يحيى زكريا بن يحيي الساجي البصري قال انبأنا عبد الاعلى ومحمد بن المثنى وسلمة بن صبيب قالوا كلهم ثنا وهب بن جرير بن حازم قال سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن جده قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله جهدت الانفس وضاع العيال ونهكت الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فذكر الحديث بطوله وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي ويحك تدري ما الله ان عرشه على سمواته وارضه هكذا وقال باصابعه مثل القبة ووصف لهم ابن جرير بيده وامال كفه واصابعه اليمنى وقال هكذا حدثنا محمد بن سعيد بن نبات ثنا احمد بن عون الله واحمد بن عبد البصير قالا جميعاً انبأ قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن بشار بندار ثنا عبد الصمد بن اوارث التنوري ثنا شعبة عن الاعمش هو سليمان ابن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كل في فلك يسبحون فلك كفلك المغزل

قال ابو محمد وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن ذي القرنين * وجدها تغرب في عين حمئة * وقرئ * ايضاً حامية

(قال ابو محمد) وهذا هو الحق بلاشك وذو القرنين هو كان في العين الحمئة الحامية حمئة من حمأتها حامية من استحرارها كما تقول رأيتك في البحر تريد انك اذ رأيته كنت انت في البحر وبرهان هذا ان مغرب الشمس لايجهل مقدار عظيم مساحته الا جاهل ومقدار مابين اول مغربها الشتوى اذا كانت من آخر راس الجدى الى آخر مغربها الصيفى اذا كانت من رأس السرطان مرئى مشاهد ومقداره ثمان واربعون درجة من الفلك وهو يوازى من الارض كلها بالبرهان الهندسي اقل من مقدار السدس يكون من الاميال نحو ثلاثة آلاف ميل ونيف وهذه المساحة لايقع عليها في اللغة اسم عين البتة لاسيما ان تكون عينا حمئة حامية وباللغة العربية خوطبنا فلما تيقنا انها عين باخبار الله عز وجل الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه علمنا يقينا أن ذا القرنين انتهى به السير في الجهة التي مشي فيها من المغارب الي العين المذكورة وانقطع له امكان المشي بعدها لاعتراض البحار له هنالك وقد علمنا بالضرورة ان ذا القرنين وغيره من الناس ليس يشغل من الارض الا مقدار مساحة جسمه فقط قائما او قاعداً او مضطجعا ومن هذه صفته فلا يجوز ان يحيط ببصره من الارض بمقدار مكان المغارب كلها لو كان مغيبها في عين من الارض كما يظن اهل الجهل ولا بد من ان يلقى خط بصره من حدبة الارض او من نشز من انشازها ما يمنع الخط من التمادى الى ان يقول قائل ان تلك العين هى البحر فلا يجوز ان يسمى البحر في اللغة عينا حمئة ولا حامية وقد اخبر الله عز وجل ان الشمس تسبح في الفلك وانها انما هي من الفلك سراج وقول الله تعالى هو الصدق الذي لا يجوز ان يختلف ولا يتناقض فلو غابت في عين في الارض كما يظن

المتورع فى امساكه عن قضاء الوطر مع القدرة عليه فان الاول مضطر عاجز والثانى مختار قادر حسن الاختيار جميل التصرف وليس الكمال والشرف فى فقدان القوتين وانما الكمال كله في استخدام القوتين فنفس النبي صلى الله عليه وسلم كنفس الروحانيين فطرة ووضعا (٨٢) وبذلك الوجه وقعت الشركة وفضلها وتقدمها باستخدام القوتين التى دونها فلم تستخدمه واستعمالها فى جانب الخير والنظام فلم تستعمله وهو الكمال قالت الصابئة الروحانيات صور مجردة عن المواد وان قدر لها اشخاص تتعلق بها تصرفا وتدبيرا لا ممازجة ومخالطة فاشخاصها نورانية اوهياكل كما ذكرنا والغرض انها اذا كانت صورا مجردة كانت موجودات بالفعل لا بالقوة ناقصة لا كاملة والمتوسط يجب ان يكون كاملا حتى يكمل غيره واما الموجودات البشرية صور فى مواد وان قدر لها نفوس فنفوسها اما مزاجية واما خارجة عن المزاج والغرض انها اذا كانت صورا فى مواد كانت موجودات بالقوة لا بالفعل ناقصة لا كاملة ومخرج من القوة الى الفعل يجب ان يكون امرا بالفعل ويجب ان يكون غير ذات ما يحتاج الى الخروج فان ما بالقوة لا يخرج بذاته من القوة الى الفعل بل بغيره والروحانيات هى المحتاج اليها حتى تخرج الجسمانيات الى الفعل والمحتاج اليه كيف يساوى المحتاج اجابت الحنفاء هذا الحكم الذي ذكرتموه وهو كون الروحانيات موجودات بالفعل غير مسلم على الاطلاق لان من الروحانيات ماوجوده بالقوة أومافيه وجود بالقوة ويحتاج الى ماوجوده بالفعل حتى يخرجه من القوة الى الفعل فان النفس لها استعداد القبول من العقل عندكم والعقل له اعداد لكل شيء وفيض على كل شيء واحدهما بالقوة والآخر بالفعل وهذا لضرورة الترتب فى الموجودات العلوية فان من لم يثبت

اهل الجهل او في البحر لكانت الشمس قد زالت عن السماء وخرجت عن الفلك وهذا هو الباطل المخالف لكلام الله عز وجل حقا نعوذ بالله من ذلك فصح يقينا بلا شك ان ذا القرنين كان هو فى العين الحمئة الحامية حين انتهى الى آخر البر فى المغارب وبالله التوفيق لاسيما مع ماقام البرهان عليه من ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر قاطع وهو قول الله عز وجل * وجدها تغرب فى عين حامية * وقرى حمئة * ووجد عندها قوما * فصح ضرورة انه وجد القوم عند العين لا عند الشمس وقال الله عز وجل * جنة عرضها السموات والارض * وقد صح الاجماع والنص على ان ارواح الانبياء صلوات الله عليهم فى الجنة الا فى قول من لا يعد من جملة اهل الاسلام ممن يقول بفناء الارواح وانها اعراض وكذلك ارواح الشهداء فى الجنة واخبر رسول الله ﷺ انه رآهم ليلة اسرى به في السموات سماء سماء آدم في سماء الدنيا وعيسى ويحيي فى الثانية ويوسف فى الثالثة وادريس فى الرابعة وهارون فى الخامسة وموسى وابراهيم فى السادسة والسابعة صلى الله على جميعهم وسلم فصح ضرورة ان السموات هى الجنات وقد قال عليه السلام ان ارواح الشهداء طير اخضر تعلق فى ثمار الجنة ومن المحال الممتنع الذى لا يظنه مسلم ان تكون ارواح الشهداء طيور خضر فى الجنة وارواح الانبياء فى غير الجنة اذ هم اولى بكل فضل ولا مكان افضل من الجنة حدثنا احمد ابن عمر بن انس العذرى حدثنا ابو ذر الهروى انا احمد بن عبدان الحافظ النيسابورى بالاهواز انا محمد بن سهل المقرى حدثنا محمد بن اسماعيل (البخارى) مؤلف الصحيح انا ابو عاصم النبيل انا عبد الله بن امية بن عبد الله بن خالد بن اسيد انا محمد بن جبير عن صفوان بن يعلى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البحر من جهنم احاط به سرادقها حدثنا يونس بن عبدالله ابن مغيث انا احمد بن عبد الله بن عبد الرحيم حدثنا احمد بن خالد انا محمد بن عبد السلام الخشنى حدثنا محمد ابن بشار حدثنا يحيي بن سعيد القطان عن عثمان بن غياث عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس عن كعب قال والبحر المسجور يسجر فيكون جهنم حدثنا عبد الله بن ربيع التميمي انا عبد الله بن محمد بن عثمان الاسدى انا احمد ابن خالد حدثنا علي بن عبد العزيز انا الحجاج بن المنهال السلمى انا مهدى بن ميمون عن محمد بن عبد الله ابن ابي يعقوب الضبي عن بشر هو ابن سعاف قال كنا مع عبد الله بن سلام يوم الجمعة فى المسجد فقال وان الجنة فى السماء والنار فى الارض وذكر كلاما كثيراً وبه الى الحجاج بن المنهال حدثنا حماد بن سلمة عن داود عن سعيد بن المسيب ان علي بن ابي طالب قال ليهودى اين جهنم قال فى البحر قال علي بن ابي طالب ما اظنه الا قد صدق حدثنا المهلب الاسدي حدثنا ابن عباس حدثنا بن مسرور حدثنا يونس بن عبد الاعلى

حدثنا

الترتب فيما لم يتمشى له قاعدة عقلية أصلا واذا ثبت الترتب فقد ثبت الكمال فى جانب والنقصان فى جانب فليس كل روحانى كاملا من كل وجه ولا كل جسمانى ناقصا من كل وجه فمن الجسمانيات أيضا ما وجوده كامل بالفعل وسائر النفوس أيضا محتاجة اليه وذلك أيضا لضرورة الترتيب فى الموجودات . (٨٣) السفلية وان من لم يثبت الترتب لم يستمر له قاعدة عقلية أصلا واذا ثبت الترتب فقد ثبت الكمال فى جانب والنقصان فى جانب فليس كل جسمانى ناقصا من كل وجه قالت واذا سلمتم لنا أن هذا العالم الجسماني فى مقابلة ذلك العالم الروحاني وانما يختلفان من حيث ان ما فى هذا العالم من الاعيان فهو آثار ذلك العالم وما فى ذلك العالم من الصور فهو مثل هذا العالم والعالمان متقابلان كالشخص والظل واذا أثبتم فى ذلك العالم موجودا ما بالفعل كاملا تاما ويصدر عنه سائر الموجودات وجودا ووصولا الى الكمال فيجب أن تثبتوا فى هذا العالم أيضا موجود أما بالفعل كاملا تاما حتى يصدر عنه سائر الموجودات تعلما ووصولا الى الكمال قالوا وانما طريقنا الى التعصب للرجال ونيابة الرسل فى الصورة البشرية طريقكم فى اثبات الارباب عندكم وهى الروحانيات السماوية وذلك احتياج كل مربوب الى رب يدبره ثم احتياج الارباب الى رب الارباب ومن العجب أن عند الصابئة أكثر الروحانيات قابلة منفعلة وانما الفاعل الكامل واحد وعن هذا صار بعضهم الى ان الملائكة أناث وقد أخبر التنزيل عنهم بذلك واذ كان الفاعل الكامل المطلق واحدا فما سواه قابل محتاج الى مخرج يخرج ما فيه بالقوة الى الفعل فكذلك تقول فى الموجودات السفلية النفوس البشرية كلها قابلة للوصول الى الكمال بالعلم والعمل فيحتاج الى مخرج ما فيها بالقوة الى الفعل

حدثنا عبد الله ابن وهب عن شبيب بن سعيد عن المنهال عن شقيق بن سلمة عن بن مسعود قال الارض كلها يومئذ نار والجنة من ورائها واولياء الله فى ظل عرش الله تعالى

* (قال ابو محمد) * وقال الله تعالى * لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار * فبين تعالى ان الشمس ابطأ من القمر وهكذا قام البرهان بالرصد ان الشمس تقطع السماء في سنة والقمر يقطعها فى ثمانية وعشرين يوما ثم نص تعالى على ان الليل لا يسبق النهار فبين تعالى بهذا حكم الحركة الثانية التى للفلك الكلى وهى التى تتم فى كل يوم وليلة دورة وتتساوى فيها جميع الدراري والشمس والقمر والنجوم وقال تعالى * فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * واخبر تعالى ان ارواح الكافرين لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة فصح ان من فتحت له ابواب السماء دخل الجنة واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شدة الحر من فيح جهنم وان لها نفسين نفسا فى الشتاء ونفسا فى الصيف وان ذلك اشد ما نجد من الحر والبرد وان نارنا هذه ابرد من نار جهنم بتسع وستين درجة وهكذا نشاهد من فعل الصواعق فانها تبلغ من الاحراق والاذى فى مقدار اللمحة ما لا تبلغه نارنا فى المدد الطوال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آخر اهل الجنة دخولا فيها بعد خروجه من النار يعطى مثل الدنيا عشر مرات رويناه من طريق ابي سعد الخدرى مسندا وصح ايضاً مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا فى الآخرة كاصبع فى اليم

(قال ابو محمد) وهذا انما هو فى نسبة المسافة لا فى نسبة المدة لان مدة الآخرة لانهاية لها وما لا نهاية له فلا ينسب منه شيء البتة بوجه من الاوجه ولا هو ايضا نسبة من السرور واللذة ولا من الحزن والبلاء فان سرور الدنيا مشوب بالم ومتناه منقض وسرور الاخرة وحزنها خالصان غير متناهيين وهكذا اقام البرهان من قبل رويتنا لنصب السماء ابداً على انه لا نسبة للارض عند السماء ولا قدر وقال عز وجل * جنة عرضها السموات والارض * وقال تعالى * جنة عرضها كعرض السماء والارض * وقال تعالى * وجنى الجنتين دان * وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للجنة ثمانية ابواب وقال عليه السلام فاسألوا الله الفردوس الاعلى فانه وسط الجنة واعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن فصح يقينا انهما جنتان احدهما عرضها عرض السموات والارض والاخرى عرضها كعرض السماء والارض وقوله تعالى * ولمن خاف مقام ربه جنتان * انما هو خبر عن الجميع ان لهم هاتين الجنتين فالتى عرضها السموات والارض هى السموات السبع لان عرض الشيء منه بلا شك وكل جرم كرسى فان جميع ابعاده عروض فقط وذكرت الارض هنا لدخولها

والمخرج هو النبي والرسول وما يخرج الشيء من القوة الى الفعل لايجوز أن يكون أمرا بالقوة محتاجا فان مالم يتحقق بالفعل وجودا لا يخرج غيره من القوة الى الفعل فالبيض لايخرج البيض من القوة الى صورة الطير بل الطير يخرج البيض وهذا الجواب يماثل الجواب الاول من وجه وفيه فائدة اخرى من وجه آخر وهي أن عند الحنفاء المعقول لايكون معقولا حتى يثبت له مثال في المحسوس كان متخيلا موهوما والمحسوس لايكون محسوسا حتى يثبت له مثال في المعقول والا كان سرابا معدوما واذا ثبت هذه القاعدة فمن أثبت عالما روحانيا وأثبت فيه مدبرا كاملا من جنسه وجرده بالفعل وفعله اخراج الموجودات من القوة الى الفعل بفيض الصور عليها على قدر الاستحقاق ويسمى المدبر في ذلك العالم الروح الاول على مذهب الصابئة والمدبر في هذا العالم الرسول والروح مناسبة وملاقات عقلية فيكون الروح الاول مصدرا والرسول مظهرا أو يكون بين الرسول وسائر البشر مناسبة وملاقات حسية فيكون الرسول مؤديا والبشر قابلا قالت الصابئة الجسمانية مركبة من مادة وصورة والمادة لها طبيعة عدمية واذا بحثنا عن أسباب الشر والفساد والسفه والجهل لم نجدلها سببا سوى المادة والعدم وهما منبعا الشر والروحانيات غير مركبة من المادة والصورة بل هي صورة مجردة والصورة لماطبيعية وجودية واذا بحثنا عن أسباب الخير والصلاح والحكمة والعلم لم نجد لها سببا سوى الصورة وهي منبع الخير فنقول مافيه أصل الخير أو ماهو أصل الخير كيف يماثل مافيه أصل الشر اجابت الحنفاء بان ماذكر تم في المادة انها سبب الشر فغير مسلم فان من المواد ماهو سبب الصور كلها عند قوم وذلك هو الهيولى الاولى

في جملة مساحة السموات ولاحاطة السموات بها والتي عرضها كعرض السماء والارض هي الكرسي المحيط بالسموات والارض قال الله تعالى * وسع كرسيه السموات والارض فصح أن عرضه كعرض السموات والارض مضافاً بعض ذلك الى بعض فصح ان لها ثمانية ابواب في كل سماء باب وفي الكرسي باب وصح ان العرش فوق اعلا الجنة وهو محل الملائكة وموضعها ليس من الجنة في شيء بل هو فوقها وكذلك قوله تعالى * الذين يحملون العرش ومن حوله * بيان جلي بان على العرش جرما آخر فيه الملائكة وقد ذكران البرهان يقوم بذلك من احكم النظر في الهيئة وهذه نصوص ظاهرة جلية دون تكلف تأويل

(قال ابو محمد) وقوله تعالى كعرض السماء ذكر لجنس السموات لان السموات اسم للجنس يدل عليه قوله تعالى * وسع كرسيه السموات والارض *

(قال ابو محمد) ومثل هذا كثير مما اذا تدبره المتدبر دل على صحة ما قلناه من ان كل ما ثبت ببرهان فهو منصوص في القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم

(مطلب بيان كذب من ادعى لمدة الدنيا عدداً معلوماً)

(قال ابو محمد) واما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون للدنيا اربعة آلاف سنة ونيف والنصاري يقولون للدنيا خمسة الآف سنة واما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا واما من ادعى في ذلك سبعة الآف سنة أو اكثر أو اقل فقد كذب وقال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على ان للدنيا امرا لا يعلمه الا الله عز وجل قال الله تعالى * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتم في الأمم قبلكم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود او كالشعرة السوداء في الثور الابيض هذا عنه عليه السلام ثابت وهو عليه السلام لا يقول الا عين الحق ولا يسامح بشيء من الباطل وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار اعداد اهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم ان للدنيا عدداً لايحصيه الا الله الخالق تعالي وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بان الساعة لا يعلم متى تكون الا الله عز وجل لا احد سواه فصح انه عليه السلام انما عنى شدة القرب لا فضل طول الوسطى على السبابة اذ لو اراد فضل ذلك لأخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب ذلك من طول الوسطي فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وايضاً فكان تكون نسبته عليه السلام ايانا الى من قبلنا بانه كالشعرة في الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح انه عليه السلام انما اراد شدة القرب وله عليه السلام مذ بعث اربعمائة عام ونيف والله اعلم بمقدار ما بقي من ونيف

والعنصر الاول حتى صار كثير من قدماء الفلاسفة الى أن وجودها قبل وجود العقل ثم إن سلم فالمركب من المادة والصورة كالمركب من الوجوب والجواز عندكم فان الجواز له طبيعة عدمية ومامن وجود سوي وجود الباري تعالى الاووجوده جائز بذاته واجب بغيره فيجب أن يلازمه أصل الشرقالوا وان سلم لكم أيضا تلك المقدمة أيضافعندنا صور النفوس البشرية وخصوصا صور النفوس النبوية كانت موجودة قبل وجود المواد وهي المبادى الاول حتى صار كثير من الحكماء الى اثبات اناس سرمديين وهى الصور المجردة التى كانت موجودة كالظلال حول العرش يسبحون بحمد ربهم وكانت هى أصل الخير ومبدأ الوجود لكن لما البست الصور البشرية لباس المادة تشبثت بالطبيعة وصارت المادة شبكة لها فساح عليها الاول فبعث اليها واحدمن عالمه وألبسه لباس المادة ليخلص الصورعن الشبكة لا ليكون هو المتشبث بها المنغمس فيها المتوسخ باوضارها المتدنس بآثارها والى هذا المعنى أشارت حكماء الهند رمزا بالحمامة المتوقة والحمامات الواقعة فى الشبكة ثم قالوا معاشر الصابئة ابد أنشنعون علينا بالمادة ولوازمها وما لم يفصل القول فيها لم ينج من تشنيعكم فنقول النفوس البشرية وخصوصا النبوية

ونيف والله أعلم بمقدار ما بقي من عمر الدنيا فاذ كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى مامضى فهذا الذى قاله عليه السلام من اننا فيمن مضى كالشعرة فى الثور أو الرقة فى ذراع الحمار

(قال ابو محمد) وقد رأيت بخط الامير ابى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الناصرى رحمه الله قال حدثنى محمد بن معاوية القرشى انه رأى بالهند بداله اثنان وسبعون الف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخونها بار بعمائة الف سنة

(قال ابو محمد) الا ان لكل ذلك اولا ومبدأ ولا بد من نهاية لم يكن شيء من العالم موجودا قبلها ولله الامر من قبل ومن بعد ومما اعترض به بعضهم ان قال انتم تقولون ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ويلبسون ويطاون النساء وان هنالك جوارى ابكارا خلقن لهم وذلك المكان لا فساد فيه ولا استحالة ولا امزاج وهذه اشياء كوائن فواسد فكيف الامر

(قال أبو محمد) أن هاهنا ثلاثة أجوبة أحدها برهان ضرورى سمعي والثانى برهان نظرى مشاهد والثالث اقناعى خارج على أصول المعارض لنا فالاول وهو الذى يعتمد عليه وهو أن البرهان الضروري قد قدمناه على أن الله عز وجل خلق الاشياء وابتدعها مخترعا لها لامن شئ ولا على أصل متقدم واذ لاشك فى هذا فليس شئ متوهم أو مسئول يتعذر من قدرة الخالق عزوجل اذ كل ماشاء تكوينه كونه ولا فرق بين خلقه عز وجل كل ذلك فى هذه الدار وبين خلقه كذلك فى الدار الآخرة وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قامت البراهين الضرورية على أن الله عز وجل بعثه الينا ووسطه للتبليغ عنه وعلى صدقه فيما أخبر به أن الاكل والشرب واللباس والوطء هنالك وكان هذا الخبر الذى أخبرنا به الصادق عليه السلام داخلا فى حد الممكن لا فى الممتنع ثم لما اخبرنا الله تعالى به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم صح الواجب علمنا به ضرورة فبان انه فى حد وأما الجواب الثانى فهو أن الله عزوجل خلق أنفسنا ورتب جواهرها وطباعها الذاتية رتبة لا تستحيل البتة على التذاذ المطاعم والمشارب والروائح الطيبة والمناظر الحسنة والاصوات المطربة والملابس المعجبة على حسب موافقة كل ذلك لجوهر أنفسنا هذا مالا مدفع فيه ولا شك فى أن النفوس هى الملتذة بكل ما ذكرنا وان الحواس الجسدية هى المنافذ الموصلة لهذه الملاذ الى النفوس وكذلك المكاره كلها وأما الجسد فلا حس له البتة فهذه طبيعة جوهر أنفسنا التى لا سبيل الى وجودها دونها اذا جمع الله يوم القيامة بين أنفسنا وبين الاجساد المركبة لها وعادت كما كانت جوزيت هنالك ونعمت بملاذها وبما تستدعيه طباعها التى لم توجد قط الا كذلك ولا لها لذة سواها الا ان الطعام الذى هنالك غير معانى بنار ولا ذو آفات ولا مستحيل قذرا ودماً ولا ذبح هنالك ولا آلام ولا تغير ولا موت ولا فساد وقد قال الله تعالى * لا يصدعون عنها

من حيث إنها نفوس فهى مفارقه للمادة مشاركة لتلك النفوس الروحانية أما مشاركة فى النوع بحيث يكون التميز بالاعراض والامور العرضية وأما مشاركة فى الجنس بحيث يكون الفصل الامور الذاتية ثم زادت على تلك النفوس باقترانها بالجسد أو بالمادة الجسد لم ينتقص منها بل كملت هى لوازم الجسد وكملت بها حيث استفادت من الامور الجسدانية ما تجدشت بها فى ذلك العالم من

العلوم الجزئية والاعمال الخلقية والروحانية فقدت هذه الابدان لفقدان هذا الاقتران فكان الاقتران خيراً لاشرفيه وصلاحاً لافساد معه ونظاما لاتبيح له فكيف لزمنا ما ذكرتموه. قالت الصابئة الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية كثيفة فكيف يتساويان (٨٦) والاعتبار في الشرف والفضيلة بذوات الاشياء وصفاتها ومراكزها ومحالها فعالم الروحانيات العلو لغاية النور واللطافة وعالم الجسمانية السفل لغاية الكثافة والظلام والعالمان متقابلان والكمال للعلوي لا للسفلي والصفتان متقابلتان والفضيلة للنور لا للظلمة اجابت الحنفاء قالوا لسنا نوافقكم اولا ان الروحانيات كلها نورانية ولا نسلم ثانيا ان الشرف للعلو ولا نساهلكم اصلا ان الاعتبار في الشرف بذوات الاشياء علينا بيان هذه المقدمات الثلاث فان فيها فوائد اما الاولى فقالوا حكمتم على الروحانيات حكم التساوي وما اعتبرتم فيها التضاد والترتب واذا كانت الموجودات كلها روحانيها وجسمانيها على قضية التضاد والترتب فلم اغفلتم الحكمين ههنا وذلك ان من قال الروحاني هو ما ليس بجسماني فقد ادخل جواهر الشياطين والابالسة والاراكنة في جملة الروحانيات وكذلك من اثبت الجن اثبتها روحانية لاجسمانية ثم من الجن من هو مسلم ومنها من هو ظالم ومن قال الروحاني قال هو المخلوق روحا فمن الارواح من هو خير ومنها من هو شرير والارواح الخبيثة اضداد الارواح الطيبة فلابد اذا من اثبات تضاد بين الجنسين وتنافر بين الطرفين فلم نسلم دعواكم انها كلها نورانية بلى وعندنا معاشر الحنفاء الروح هو الحاصل بامر البارى تعالى الباقي على مقتضى امره فمن كان لامره تعالى اطوع وبرسالات رسله اصدق كانت الروحانية فيه اكثر

ولا ينزفون * وتلك الملابس غير محوكة بنسج ولا فانية ولا متغيرة ولا تقبل البلاء وتلك الاجساد لا كدر فيها ولا خلط ولا دم ولا أذى وتلك النفوس لا رذيلة فيها من غل ولا حسد ولا حرص قال الله تعالى * ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا * وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المخرجين من النار انهم يطرحون في نهر على باب الجنة فاذا نقوا وهذبوا هذا نص لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد التنقية أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم حينئذ يصيرون الى الجنة فصح أن الملاذ من هذه الاشياء والمتناولات تصل الى النفوس هنالك على حسب اختلاف وجود النفس لها وتغاير أنواع التذاذها بها وأوقعت عليها الاسماء لافهامنا المعنى المراد وقد روينا عن ابن عباس ما حدثناه يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا ابراهيم بن عبد الله العبسي حدثنا وكيع بن الجراح أنبأنا الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس انه قال ليس في الجنة مما في الدنيا الا الاسماء وهذا سند في غاية الصحة وهو أول حديث في قطعة وكيع المشهورة .

(قال أبو محمد) وأما الوطء فهو هنالك كما هو عندنا ههنا لانه ليس فيه مؤنة ولا استحالة وانما هو التذاذ النفس بمداخلة بعض الجسد المضاف اليها جسد آخر فقط وأما الجواب الثالث الاقناعي وهو موافق لاصولهم ولسنا نعتمد عليه فهو قدماء الهند قد ذكروا في كلامهم في الافلاك والبروج ووجوه المطالع أنه يطلع مع كل وجه من وجوه البروج صور وصفوها وذكروا أنه ليس في العالم الادني صورة الا وهي في العالم الاعلا

(قال أبو محمد) وهذا إيجاب منهم أن هنالك ملابس ومشارب ومطاعم ووطئا وأنهارا وأشجارا أو غير ذلك

(قال أبو محمد) وعارضني يوما نصراني كان قاضيا على نصارى قرطبة في هذا وكان يتكرر على مجلسي فقلت له أوليس فيما عندكم في الانجيل ان المسيح عليه السلام قال لتلاميذه ليلة أكل معهم الفصح وفيها أخذ بزعمهم وقد سقاهم كأسا من خمر وقال اني لا اشربها معكم أبدا حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله تعالى وقال في قصة الفقير المسمى العاذار الذي كان مطرحا على باب الغني تلحس الكلاب جراح قروحه وأن ذلك الغني نظر اليه في الجنة متكئا في حجر ابراهيم عليه السلام فناداه الغني وهو في النار يا أبي يا ابراهيم ابعث الى العاذار بشيء من ماء يبل به لساني وهذا نص على أن في الجنة شرابا من ماء وخمر فسكت النصراني وانقطع والتوراة التي بأيدي اليهود فليس ذكر ما لنعيم الآخرة أصلا ولا لجزاء بعد الموت البتة

(قال أبو محمد) وكذلك الجواب في أكل أهل النار وشربهم سواء بسواء كما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) والارض ايضا سبع طباق منطبقة بعضها على بعض كاطباق السموات لاخبار خالفنا بذلك وليس ذلك قبل الخبر فى حد الممتنع بل فى حد الممكن وذكر قوم قول الله تعالى * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات * فقلنا قول الله هذا حق وقد قال عز وجل * وفتحت السماء فكانت ابوابا * وقال عز وجل يوم * تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن * وقال تعالى * وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة يومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على ارجائها * وقال * تعالى اذا السماء انشقت * وقال تعالى * واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت * وقال تعالى * اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت * وقال تعالى * اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت * وقال تعالى * ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما * وقال تعالى * كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين * وقال تعالى وذكر اهل الجنة * خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ * فكل كلامه تعالى حق لا يجوز الاقتصار على بعضه دون بعض فصح يقينا ان تبديل السموات والارض انما هو تبديل احوالها لا اعدامها لكن اخلاؤها من الشمس والقمر والكواكب والنجوم وتفتيحها ابوابا وكونها كالمهل وتشققها ووهيها وانفطارها وتدككها الارض والجبال وكونها كالعهن المنفوش وتسييرها وتسجير البحار فقط وبهذا تتألف الايات كلها ولا يجوز عن هذا اصلا ومن اقتصر على آية التبديل كذب كل ماذكرنا وهذا كفر ممن فعله ومن جمعها كلها فقد امن بجميعها وصدق الله تعالى فى كل ماقال وهذا يوجب ماقلنا ضرورة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) قد اكملنا والحمد لله كثيرا الكلام على الملل المخالفة لدين الاسلام الذى هو دين الله تعالى على عباده الذى لا دين له فى الارض غيره الى يوم القيامة واوضحنا بعون الله تعالى وتأييده البراهين الضرورية على اثبات الاشياء ووجودها ثم على حدوثها كلها جواهرها واعراضها بعد ان لم تكن ثم على ان لها محدثا واحدا مختارا لم يزل وحده لا شيء معه وانه فعل لا لعلة وترك لا لعلة بل كما شاء لا اله الا هو ثم على صحة النبوات ثم على صحة نبوة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم وان ملته هي الحق وكل ملة سواها باطل وانه آخر الانبياء وملته آخر الملل فنبتدأ الآن بعون الله تعالى وتاييده فى ذكر نحل المسلمين وافتراقهم فيها وبيان الحق فى كل وبالله نستعين

والروح عليه اغلب ومن كان لامره تعالى انكر ولشرائعه اكذب كانت الشيطنة عليه اغلب هذه قاعدتنا فى الروحانيات فلا روحاني ابلغ فى الروحانية من ذوات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واما قولكم أن الشرف للملوان عنيتم به علو الجهة فلا شرف فيه فكم من عال جهة سافل رتبة وعلما وذاتا وطبيعة وكم من سافل جهة عال على الاشياء كلها رتبة وفضيلة وذاتا وطبيعة وأما قولكم ان الاعتبار فى الشرف بذوات الاشياء وصفاتها ومحالها ومراكزها فليس بحق وهو مذهب اللعين الاول حيث نظر الى ذاته وذات آدم عليه السلام ففضل ذاته اذ هى مخلوقة من النار وهي علوية نورانية على ذات آدم وهو مخلوق من الطين وهو سفلى ظلماني بل عندنا الاعتبار فى الشرف بالامر وقبوله فمن كان اقبل لامره واطوع لحكمه وارضى بقدره فهو أشرف ومن كان على خلاف ذلك فهو ابعد واخس واخبث فامر البارى تعالى هو الذى يعطي الروح قل الروح من أمر ربى وبالروح يحيي الانسان الحياة الحقيقية وبالحياة يستمد للعقل الغريزى وبالعقل يكتسب الفضائل ويجتنب من الرذائل ومن لم يقبل امر البارى تعالى فلا روح له ولا حياة له ولا عقل له ولا فضيلة ولا شرف عنده قالت الصابئة الروحانيات فضلت الجسمانيات بقوتي العلم والعمل اما العلم فلا ينكر احاطتهم بمغيبات الامور عنا واطلاعهم على مستقبل الاحوال الجارية علينا ولان علومهم كلية وعلوم الجسمانيات جزئية وعلومهم فعلية وعلوم الجسمانيات انفعالية وعلومهم فطرية وعلوم الجسمانيات كسبية فمن هذه الوجوه تحقق لها الشرف على الجسمانيات واما العمل فلا ينكر ايضا عكوفهم على العبادة ودوامهم على الطاعة يسبحون الليل والنهار لا يفترون لا يلحقهم كلال ولا سآمة ولا يرهقهم دلال ولا ندامة فتحقق لها الشرف ايضا بهذا الطريق

وكان امر الجسمانيات بالخلاف من ذلك اجابت الحنفاء عن هذا بجوابين احدهما التسوية بين الطرفين واثبات زيادة في جانب الانبياء، والثاني بيان ثبوت الشرف في غير العلم والعمل * اما الاول قالوا علوم الانبياء كلية وجزئية وفعلية وانفعالية وفطرية وكسبية فمن حيث يلاحظ عقولهم عالم الغيب منصرفة عن عالم الشهادة الانبياء يحصل لهم العلوم الكلية فطرة دفعة واحدة ثم اذا لاحظوا عالم الشهادة حصلت لهم العلوم الجزئية اكتسابا بالحواس على ترتيب وتدريج فكما ان للانسان علوما فطرية هي المعقولات وعلوما حاصلة بالحواس عن المحسوسات فعالم المعقولات بالنسبة الى الانبياء كعالم المحسوسات بالنسبة الى سائر الناس فنظرياتنا فطرية لهم ونظرياتهم لانصل اليها قط بل ومحسوساتنا مكتسبة لهم ولنا بكواسب الجوارح جوارح الحواس فامزجة الانبياء عليهم السلام امزجة نفسانية ونفوسهم نفوس عقلية وعقولهم عقول امرية فطرية ولو وقع حجاب في بعض الاوقات فذلك لموافقتنا ومشاركتنا كي تزكى هذه العقول وتصفى هذه الاذهان والنفوس والا فدرجاتهم وراء مايقدر. الثاني انهم قالوا من العجب انهم لايعجبون بهذه العلوم بل ويؤثرون التسليم على البصيرة والعجز على القدرة والتبرى من الحول والقوة على الاستقلال والفطرة على الاكتساب ولاادرى مايفعل بى ولا بكم على الصليب انما اوتيته على علم عندى ويعلمون ان الملائكة والروحانيات باسرها وان علت الى غاية قوة نظرها وادراكها ما احاطت بما احاط به علم البارى تعالى بل لكل منهم مطرح نظر ومسرح فكر ومجال عقل ومنتهى امل ومطار وهم وخيال وانهم الى الحد الذى انتهى

﷽

(قال الفقيه ابو محمد على بن احمد بن حزم رضى الله عنه اذ قد اكملنا بعون الله الكلام فى الملل فلنبدأ بحول الله عز وجل فى ذكر نحل اهل الاسلام وافتراقهم فيها وايراد ما شغب به من شغب منهم فيما غلط فيه من نحلته وايراد البراهين الضرورية على ايضاح نحلة الحق من تلك النحل كما فعلنا فى الملل والحمد لله رب العالمين كثيراً ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم)

(قال ابو محمد) فرق المقرين بملة الاسلام خمسة وهم اهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق واكثر افتراق اهل السنة فى الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات سننبه عليها ان شاء الله تعالى ثم سائر الفرق الاربعة التى ذكرنا ففيها ما يخالف اهل السنة الخلاف البعيد وفيهم ما يخالفهم الخلاف القريب فاقرب فرق المرجئة الى اهل السنة من ذهب مذهب ابي حنيفة الفقيه الى ان الايمان هو التصديق باللسان والقلب معاً وان الاعمال انما هى شرائع الايمان وفرائضه فقط وابعدهم اصحاب جهم بن صفوان والاشعرى ومحمد بن كرام السجستانى فان جهما والاشعرى يقولون ان الايمان عقد بالقلب فقط (١) وان اظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد

(١) قوله وان اظهر الخ هذا لايقول به الاشعرى لانه يقول لايتحقق الايمان بدون الاسلام وكذا العكس فمتى توقف تحقق الايمان على وجود الاسلام الذى منه عدم المنافى لا يتأتى ان تقول لمن آمن بقلبه واظهر الكفر بلسانه مؤمن لانه انفقد منه الاسلام الذى هو شرط لتحقق الايمان وعذر المؤلف انه اندلسي من اقصى المغرب والاشعرى بصرى من المشرق والازمنة متقاربة فلم تنقل تحقيقات مذهب الاشعرى الى تلك البلاد فى هذا العهد بل نقل مذهبه اجمالا مع نقل مذاهب الفرق فتراه يقع فى الاشعرى ويورد عليه

الصليب فى دار الاسلام بلا تقية ومحمد بن كرام يقول هو القول باللسان وان اعتقد الكفر بقلبه واقرب فرق المعتزلة الى اهل السنة اصحاب الحسين بن محمد النجار وبشر ابن غياث المريسي ثم اصحاب ضرار بن عمرو وابعدهم اصحاب ابى الهذيل واقرب مذاهب الشيعة الى اهل السنة المنتمون الى اصحاب الحسن بن صالح بن حى الهمداني الفقيه القائلون بان الامامة فى ولد علي رضى الله عنه والثابت عن الحسن بن صالح رحمه الله هو قولنا ان الامامة فى جميع قريش وتولى جميع الصحابة رضى الله عنهم الا انه كان يفضل علياً على جميعهم وابعدهم الامامية واقرب فرق الخوارج الى اهل السنة اصحاب عبد الله بن يزيد الاباضى الفزارى الكوفى وابعدهم الازارقة واما اصحاب احمد بن حابط واحمد بن مالوس والفضل الحرانى والغالية من الروافض والمتصوفة والبطيحية اصحاب ابى اسماعيل البطيحى ومن فارق الاجماع من العجاردة وغيرهم فليسوا من اهل الاسلام بل كفار باجماع الامة ونعوذ بالله من الخذلان (ذكر ما اعتمدت عليه كل فرقة من هذه الفرق مما اختصت به)

(قال ابو محمد) اما المرجئة فعمدتهم التى يتمسكون بها الكلام فى الايمان والكفر ما هما والتسمية بهما والوعيد واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلفت غيرهم واما المعتزلة فعمدتهم التى يتمسكون بها الكلام فى التوحيد وما يوصف به الله تعالى ثم يزيد بعضهم الكلام فى القدر والتسمية بالفسق أو الايمان والوعيد وقد يشارك المعتزلة فى الكلام فيما يوصف الله تعالى به جهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان والاشعرية وغيرهم من المرجئة وهشام بن الحكم وشيطان الطاق واسمه محمد بن جعفر الكوفى وداود الجواربي وهؤلاء كلهم شيعة الا اننا اختصصنا المعتزلة بهذا الاصل لان كل من تكلم فى هذا الاصل فهو غير خارج عن قول اهل السنة او قول المعتزلة حاشا هؤلاء المذكورين من المرجئة والشيعة فانهم انفردوا بأقوال خارجة عن قول اهل السنة والمعتزلة واما الشيعة فعمدة كلامهم فى الامامة والمفاضلة بين اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم واما الخوارج فعمدة مذهبهم الكلام فى الايمان والكفر ما هما والتسمية بهما والوعد والامامة واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم وانما خصصنا هذه الطوائف بهذه المعانى لان من قال ان اعمال الجسد ايمان فان الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وان مؤمنا لا يكفر بشيء من اعمال الذنوب وان مؤمنا بقلبه وبلسانه يخلد فى النار فليس مرجئيا ومن وافقهم على اقوالهم هاهنا وخالفهم فيما عدا ذلك من كل ما اختلف المسلمون فيه فهو مرجيء ومن خالف المعتزلة فى خلق القرآن والرؤية والتشبيه والقدر وان صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لكن فاسق فليس منهم ومن وافقهم فيما ذكرنا فهو منهم وان خالفهم فيما سوى ما ذكرنا مما اختلف فيه المسلمون ومن وافق

ماله المناص منه ولذلك قال ابن السبكى فى الطبقات ما معناه ان ابن حزم لا يحقق مذهب الاشعرى فلا يغتر الواقف باعتراضه على الاشعرى امام اهل السنة والجماعة اه مصححه

نظرهم اليه مستبصرون ومن ذلك الحد الى ما وراءه مما لا يتناهى مسلمون مصدقون وانما كمالهم فى التسليم لما لا يعلمون والتصديق لما يجهلون ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ليس كمال حالهم بل سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا هو الكمال فمن اين لكم معاشر الصابئة ان الكمال والشرف فى العلم والعمل لا فى التسليم والتوكل واذا كانت غاية العلوم هذه الدرجة فجعلت نهاية اقدام الملائكة والروحانيين بداية اقدام السالكين من الانبياء والمرسلين * قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله * فعالم الروحانيات بالنسبة اليهم شهادة وبالنسبة الينا غيب وعالم البشر الجسمانيات بالنسبة الينا شهادة وبالنسبة اليهم غيب والله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم السر واخفى قالت الحنفاء من علم انه لا يعلم فقد احاط بكل علم ومن اعترف بالعجز عن اداء الشكر فقد ادى كل الشكر قالت الصابئة الروحانيات لهم قوة تصريف الاجسام وتقليب الاجرام والقوة التى لهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب فتتحسر ولكن القوى الروحانية بالخواص الجسمانية اشبه وانك ترى الخامة اللطيفة من النبات فى بدو نموها تفتق الحجر وتشق الصخر وماذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من القوى السماوية ولو كانت هي قوى مزاجية لما بلغت الى هذا المنتهى فالروحانيات هي التي تتصرف في الاجسام تقليباً وتصريفاً لا يثقلهم حمل التثقيل ولا يستخفهم تحريك الخفيف فالرياح تهب بتحريكها والسحاب تعرض وتزول بتصريفها وكذلك الزلازل تقع فى الجبال بسبب من جهتها وكل هذه وان استندت الي اسباب جزئية فانها تستند فى الآخرة الى اسباب من جهتها ومثل هذه القوة عديم

الوجود في الجسمانيات اجابت الحنفاء وقالوا امنا يقتبس تفصيل القوى وتجنيسها فان القوى تنقسم الى قوى معدنية وقوى نباتية وقوى حيوانية وقوى انسانية وقوى الملكية روحانية وقوى نبوية ربانية فالانسان مجمع القوى بجملتها والانسانية النبوية تفضلها بقوى ربانية ومعان الهية فنذكر اولا وجه تركيب الانسان ووجه ترتيب القوى فيه ثم نذكر تركيب البشرية النبوية وترتيب القوى فيها ثم نخاير بين الوضعين الروحاني منهما والجسماني واليك الاختيار اما شخص الانسان فركب من الاركان الاربعة التراب والماء والهواء والنار التي لها الطبائع الاربعة اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ثم تربت فيه نفوس ثلاث احداها نفس النباتية تنمو وتغتذي وتولد والثل والثانية نفس حيوانية تحس وتتحرك بالارادة والثالثة نفس انسانية بها يميز ويفكر ويعبر عما يفكر ووجود النفس الاولى من الاركان وطبائعها وبقاؤها بها واستمدادها منها ووجود النفس الثانية من الافلاك وحركاتها وبقاؤها بها واستمدادها منها ثم ان النباتية تطلب الغذاء طبعا والحيوانية تطلب الغذاء حسا والانسانية تطلب الغذاء اختيارا وعقلا ولكل نفس منها محل فمحل النباتية الكبد ومنه مبدأ النمو والنشور عن هذا جعل فيه عروق دقاق ينفذ فيها الغذاء الى الاطراف ومحل الحيوانية القلب ومنه مبدأ تدبير الحس والحركة وعن هذا فتح منه عروق الى الدماغ فيصعد الى الدماغ من حرارته ما يعدل تلك البرودة وينزل منه من آثاره ما يدبر به الحركة ومحل الانسانية تصريفا وتدبيرا الدماغ ومنه مبدأ الفكر والتعبير عن الفكر وعن هذا فتحت اليه ابواب الحواس عما يلي هذا العالم وفتحت اليه أبواب المشاعر عما يلي ذلك العالم وهاهنا ثلاثة اعضاء محدات لابد منها المعدة التي تمد الكبد بالغذاء والرئة التي تمد القلب

الشيعة في ان عليا رضي الله عنه افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم بالامامة وولده من بعده فهو شيعي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا ومن وافق الخوارج من انكار التحكيم وتكفير اصحاب الكبائر والقول بالخروج على ائمة الجور وان اصحاب الكبائر مخلدون في النار وان الامامة جائزة في غير قريش فهو خارجي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيا

(قال ابو محمد) واهل السنة الذين نذكرهم اهل الحق ومن عداهم فاهل البدعة فانهم الصحابة رضي الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم ثم اصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا الى يومنا هذا او من اقتدى بهم من العوام في شرق الارض وغربها رحمة الله عليهم

(قال ابو محمد) وقد تسمى باسم الاسلام من اجمع جميع فرق الاسلام على انه ليس مسلما مثل طوائف من الخوارج غلوا فقالوا ان الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات بني الاخوة وبنات بني الاخوات وقالوا ان سورة يوسف ليست من القرآن وآخرون منهم قالوا يحد الزاني والسارق ثم يستتابون من الكفر فان تابوا والا قتلوا وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا بتناسخ الارواح وآخرون منهم قالوا ان شحم الخنزير ودماغه حلال وطوائف من المرجئة قالوا ان ابليس لم يسأل الله قط النظرة ولا أقر بان خلقه من نار وخلق آدم من تراب وآخرون قالوا ان النبوة تكتسب بالعمل الصالح وآخرون كانوا من اهل السنة فغلوا فقالوا قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الانبياء ومن الملائكة عليهم السلام وان من عرف الله حق معرفته فقد سقطت عنه الاعمال والشرائع وقال بعضهم بحلول البارى تعالى في اجسام خلقه كالحلاج وغيره وطوائف كانوا من الشيعة ثم غلوا فقال بعضهم بالالهية علي بن ابي طالب عليه السلام والائمة بعده ومنهم من قال بنبوته وبتناسخ الارواح كالسيد الحميري الشاعر وغيره وقالت طائفة منهم بالهية ابي الخطاب محمد بن ابي زينب مولى بني اسد وقالت طائفة بنبوة المغيرة بن ابي سعيد مولى بني بجلة وبنبوة ابي منصور العجلي وبزيع الحائك وبيان ابن سمعان التميمي وغيرهم وقال آخرون منهم برجعة علي الى الدنيا وامتنعوا من القول بظاهر القرآن وقالوا ان لظاهره تأويلات فمنها ان قالوا السماء محمد والارض اصحابه وان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة انها هي فلانة يعني ام المؤمنين رضي الله عنها وقالوا العدل والاحسان هو علي والجبت والطاغوت فلان وفلان يعنون ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقالوا الصلاة هي دعاء الامام والزكاة هي ما يعطى الامام والحج القصد الى الامام وفيهم خناقون ورضاخون وكل هذه الفرق لا تتعلق بحجة اصلا وليس بايديهم

بترويح الهواء والعروق التى تمد الدماغ بالحرارة فاذا التركيب الانسانى أشرف التراكيب فان فيها جميع آثار العالم الجسمانى والروحاني وتركيب القوى فيها كمل التراكيب فهو مجمع آثار الكونين والعالمين فكل ماهو فى العالم منتشر ففيه مجتمع وكل ماهو فيه من خواص الاجتماع فليس للعالم البتة لان للاجتماع والتركيب خاصية لا توجد فى حال الافتراق والانحلال واعتبر فيه حال السكر والخل وحال السكنجبين وكذلك الحكم فى كل مزاج هذا وجه تركيب البدن وترتيب القوى الخاصة به أما وجه اتصال النفس به وترتيب الصفة الخاصة بها مما يلى هذا العالم ومما يلي ذلك العالم فاعلم ان النفس الانسانية جوهر هو اصل القوى المحركة والمدركة والحافظة للمزاج تحرك الشخص بالارادة لا فى جهات ميله الطبيعي ويتصرف فى أجزائه ثم فى جملته ويحفظ مزاجه عن الانحلال ويدرك بالمشاعر المركوزة فيه وهى الحواس الخمس فبالقوة الباصرة يدرك الالوان والاشكال وبالقوة السامعة يدرك الاصوات والكلمات وبالقوة الشامة يدرك الروائح وبالقوة الذائقة يدرك المطعومات وبالقوة اللامسية يدرك الملموسات وله فروع من قوى منبثة فى اعضاء البدن حتى اذا حس بشئ من أعضائه أو تخيل أو توهم أو اشتهى أو غضب ألقى العلاقة التى بينه وبين تلك الفروع هيئة فيه حتى يفعل وله ادراك وقوة تحريك أما الادراك فهو أن يكون مثال حقيقة المدرك متمثلا مترسما فى ذات المدرك غير مباين له ثم المثال قد يكون مثال صورة الشئ وقد يكون مثال حقيقته ومثال صورة الشئ هو ما يكون محسوسا فيرتسم فى القوة الباصرة وقد غشيته غواش غريبة عن ماهيته لو ازيلت عنه لم تؤثر فى كنه ماهيته مثل اين وكيف ووضع وكم معينة لو توهم بدلها غيرها لم تؤثر فى ماهية ذلك المدرك والحس

بايديهم الا دعوى الالهام والقحة والمجاهرة بالكذب ولا يلتفتون الى مناظرة ويكفى من الرد عليهم ان يقال لهم ما الفرق بينكم وبين من ادعى انه الهم بطلان قولكم ولا سبيل الى الانفكاك من هذا وايضا فان جميع فرق الاسلام متبرئة منهم مكفرة لهم مجمعون على انهم على غير الاسلام نعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) والاصل فى اكثر خروج هذه الطوائف عن ديانة الاسلام ان الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطير فى انفسهم حتى انهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والابناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على ايدى العرب وكانت العرب اقل الامم عند الفرس خطرا تعاظمهم الامر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الاسلام بالمحاربة فى اوقات شتى ففى كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالي الحق وكان من قائمتهم سنقاده واستاسيس والمقنع وبابك وغيرهم وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب بخداش وابو مسلم السراج فرأوا ان كيده على الحيلة انجع فاظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا اهل التشيع باظهار محبة اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشناع ظلم على رضى الله عنه ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى اخرجوهم عن الاسلام فقوم منهم ادخلوهم الى القول بان رجلا ينتظر يدعى المهدى عنده حقيقية الدين اذ لا يجوز ان يؤخذ الدين من هؤلاء الكفار إذ نسبوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر وقوم خرجوا الى نبوة من ادعوا له النبوة وقوم سلكوا بهم المسلك الذي ذكرنا من القول بالحلول وسقوط الشرائع وآخرون تلاعبوا فاوجبوا عليهم خمسين صلاة فى كل يوم وليلة وآخرون قالوا بل هى سبع عشر صلاة فى كل صلاة خمسة عشر ركعة وهذا قول عبد الله بن عمرو بن الحرث الكندى قبل ان يصير خارجيا صفريا وقد سلك هذا المسلك ايضا عبد الله بن سبا الحميرى اليهودى فانه لعنه الله اظهر الاسلام لكيد اهله فهو كان أصل اثارة الناس على عثمان رضى الله عنه واحرق علي بن ابى طالب رضى الله عنه منهم طوائف اعلنوا بالالهية ومن هذه الاصول الملعونة حدثت الاسماعيلية والقرامطة وهما طائفتان مجاهرتان بترك الاسلام جملة قائلتان بالمجوسية المحضة ثم مذهب مردك الموبذ الذي كان على عهد انوشروان بن قباد ملك الفرس وكان يقول بوجوب تاسي الناس فى النساء والاموال

(قال ابو محمد) فاذا بلغ الناس الى هذين الشعبين اخرجوه عن الاسلام كيف شاؤا اذ هذا هو غرضهم فقط فالله الله عباد الله اتقوا الله فى انفسكم ولا يغرنكم اهل الكفر والالحاد ومن موه كلامه بغير برهان لكن بتمويهات ووعظ علي خلاف ما أتاكم به كتاب ربكم وكلام نبيكم صلى الله عليه وسلم فلاخير فيما سواهما واعلموا ان دين الله تعالى ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سر تحته كله برهان لا مسامحة فيه واتهموا كل من يدعوان يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سرا او باطنا فهى دعاوى ومخارق واعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا

اطلع اخص الناس به من زوجة او ابنة او عم او ابن عم او صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الاحمر والاسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر ولا رمز ولا باطن غير مادعى الناس كلهم اليه ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما امر ومن قال هذا فهو كافر فاياكم وكل قول لم يبن سبيله ولا وضح دليله ولا تعوجا عن ما مضى عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم

(قال ابو محمد) وقد اوضحنا شنع جميع هذه الفرق في كتاب لنا لطيف اسمه النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من اقوال اهل البدع من الفرق الاربع المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيع ثم اضفناه الى آخر كلامنا في النحل من كتابنا هذا وجملة الخير كله ان تلزموا ما نص عليه ربكم تعالى في القرآن بلسان عربي مبين لم يفرط فيه من شيء تبيانا لكل شيء وما صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم برواية الثقات من أئمة اصحاب الحديث رضي الله عنهم مسندا اليه عليه السلام فهما طريقتان يوصلانكم الى رضى ربكم عز وجل ونحن نبتدي من هنا ان شاء الله تعالى في المعاني التي هي عمدة ما افترق المسلمون عليه وهي التوحيد والقدر والايمان والوعيد والامامة والمفاضلة ثم اشياء تسميها المتكلمون اللطائف ونورد كل ما احتجوا به ونبين بالبراهين الضرورية ان شاء الله تعالى وجه الحق من كل ذلك كما فعلنا فيما خلا بعون الله تعالى لنا وتأييده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاول ذلك

(الكلام في التوحيد ونفي التشبيه)

(قال أبو محمد) ذهب طائفة الى القول بان الله تعالى جسم وحجتهم في ذلك أنه لا يقوم في المعقول الا جسم أو عرض فلما بطل أن يكون تعالى عرضا ثبت أنه جسم وقالوا ان الفعل لا يصح الا من جسم والباري تعالى فاعل فوجب أنه جسم واحتجوا بآيات من القرآن فيها ذكر اليد واليدين والايدي والعين والوجه والجنب وبقوله تعالى وجاء ربك ويأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وتجليه تعالى وباحاديث للجبل فيها ذكر القدم واليمين والرجل والاصابع والتنزل

(قال أبو محمد) ولجميع هذه النصوص وجوه ظاهرة بينة خارجة على خلاف ماظنوه وتأولوه

(قال أبو محمد) وهذان الاستدلالان فاسدان أما قولهم أنه لا يقوم في المعقول الا جسم أو عرض فانها قسمة ناقصة وانما الصواب انه لا يوجد في العالم الا جسم أو عرض وكلاهما يقتضي بطبيعته وجود محدث له فبالضرورة نعلم أنه لو كان محدثها جسما أو عرضا لكان يقتضي فاعلا فعله ولا بد فوجب بالضرورة أن فاعل الجسم والعرض ليس جسما ولا عرضا وهذا برهان يضطر اليه كل ذي حس بضرورة العقل ولا بد وأيضا فلو كان الباري تعالى عن الحادم جسما لاقتضى ذلك ضرورة أن يكون له زمان ومكان هما غيره وهذا إبطال التوحيد وايجاب الشرك معه تعالى لشيئين سواه وايجاب أشياء معه غير مخلوقة وهذا كفر وقد تقدم افسادنا

لهذا

ينالة من حيث هو مغمور في هذه العوارض التي تلحقه بسبب المادة لا يجردها عنه ولا يناله الا بعلاقة وضعية بين حسه ومادته ثم الخيال الباطني فيتخيله مع تلك العوارض التي لا يقدر على تجريده المطلق عنها لكنه يجرده عن ذلك العلاقة الوضعية التي تعلق بها الحس وهو يمثل صورة مع غيبوبة حاملها وعنده مثال العوارض لا نفس العوارض ثم الفكر العقلي يجرده عن تلك العوارض فيعرض ماهيته وحقيقته على العقل فيرتسم فيه مثل حقيقته حتى كانه عمل بالمحسوس عملا جعله معقولا واما ماهو بريء في ذاته عن الشوائب المادية منزه عن العوارض الغريبة فهو معقول لذاته ليس يحتاج الى عمل يعمل فيه فيعقله ما من شأنه أن يعقله وذلك بلا مثال له ليتمثل في العقل ولا ماهية له فيتجرد له ولا وصول اليه بالاحاطة والفكرة الا ببرهان يدلنا عليه ويرشدنا اليه ولربما يلاحظ العقل الانساني عالم العقل الفعال فيرتسم فيه من الصور المجردة المعقولة ارتساما بريئا عن العلائق المادية والعوارض الغريبة فيبتدر الخيال الى تمثله فيمثله في صور خيالية مما يناسب عالم الحس فينحدر الى الحس المشترك ذلك المثال فيصيره كانه يراه معاينا مشاهدا يناجيه ويشاهده حتى كان العقل عمل بالمعقول عملا جعله محسوسا وذلك انما يكون عند اشتغال الحواس كلها عن اشغالها وسكون المشاعر عن حركاتها في النوم لجماعة وفي اليقظة للابرار يا عجبا كل العجب من تركيب على هذا النمط فمن اين لغيره مثله ونعود الى ترتيب القوى وتعيين محالها اما القوى المتعلقة بالبدن التي ذكرناها الآن ومشاعر للجوهر الانساني فالاولى منها الحس المشترك المعروف بينطاسيا الذي هو مجمع الحواس ومورد المحسوسات وآلتها الروح المصبوب في مبادي عصب الحس لا سيما في مقدم الدماغ

لهذا القول وأيضا فانه لا يعقل البتة جسم الا مؤلف طويل عريض عميق ونظارهم لا يقولون بهذا فان قالوه لزمهم أن له مؤلفا جامعا مخترعا فاعلا فان منعوا من ذلك لزمهم أن لا يوجبوا لما فى العالم من التأليف لا مؤلفا ولا جامعا اذ المؤلف كله كيفما وجد يقتضى مؤلفا ضرورة فان قالوا هو جسم غير مؤلف قيل لهم هذا هو الذى لا يعقل حقا ولا يتشكل فى النفس البتة فان قالوا لا فرق بين قولنا شئ وبين قولنا جسم قيل لهم هذه دعوى كاذبة على اللغة التى بها يتكلمون وأيضا فهو باطل لان الحقيقة أنه لو كان الشئ والجسم بمعنى واحد لكان العرض جسما لانه شئ وهذا باطل يقين والحقيقة هى أنه لا فرق بين قولنا شئ وقولنا موجود وحق وحقيقة ومثبت فهذه كلها أسماء مترادفة على معنى واحد لا يختلف وليس منها اسم يقتضى صفة أكثر من أن المسمى بذلك حق ولا مزيد وأما لفظة جسم فانها فى اللغة عبارة عن الطويل العريض العميق المحتمل للقسمة ذى الجهات الست التى هى فوق وتحت ووراء وأمام ويمين وشمال وربما عدم واحدة منها وهي الفوق هذا حكم هذه الاسماء فى اللغة التى هذه الاسماء منها فمن أراد أن يوقع شيئا منها على غير موضوعها فى اللغة فهو مجنون وقاح وهو كمن أراد أن يسمي الحق باطلا والباطل حقا وأراد أن يسمى الذهب خشبا وهذا غاية الجهل والسخف الا أن يأتي نص بنقل اسم منها عن موضوعه الى معنى آخر فيوقف عنده والا فلا وانما يلزم كل مناظر يريد معرفة الحقائق أو التعريف بها أن يحقق المعاني التى يقع عليها الاسم ثم يخبر بعد بها أو عنها بالواجب وأما مزج الاشياء وقلبها عن موضوعاتها فى اللغة فهذا فعل السوفسطائية الوقحاء الجهال الغابنين لعقولهم وأنفسهم فان قالوا لنا انكم تقولون ان الله عز وجل حى لا كالاحياء وعليم لا كالعلماء وقادر لا كالقادرين وشئ لا كالاشياء فلم منعتم القول بانه جسم لا كالاجسام قيل لهم وبالله تعالى التوفيق * لولا النص الوارد بتسميته تعالى بانه حى وقدير وعليم ماسميناه بشئ من ذلك لكن الوقوف عند النص فرض ولم يأت نص بتسميته تعالى جسما ولا قام البرهان بتسميته جسما بل البرهان مانع من تسميته بذلك تعالى ولو أتانا نص بتسميته تعالى جسما لوجب علينا القول بذلك وكنا حينئذ نقول أنه لا كالاجسام كما قلنا فى عليم وقدير وحى ولا فرق وأما لفظة شئ فالنص أيضا جاء بها والبرهان أوجبها على ما نذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى وقالت طائفة منهم انه تعالى نور واحتجوا بقوله تعالى * الله نور السموات والارض

(قال ابو محمد) ولا يخلو النور من أحد وجهين إما ان يكون جسما واما ان يكون عرضا وايهما كان فقد قام البرهان انه تعالى ليس جسما ولا عرضا وأما قوله تعالى . الله نور السموات والارض . فانما معناه هدى الله بتنوير النفوس الى نور الله تعالى فى السموات والارض وبرهان ذلك أن الله عز وجل ادخل الارض فى جملة ما اخبر أنه نوره فلو كان

والثانية الخيال والمصورة وآلته الروح المصبوب فى البطن المقدم من الدماغ لاسيما فى الجانب الاخير والثالثة الوهم الذى هو لكثير من الحيوانات وهو مابه تدرك الشاة معنى فى الذئب فتنفر منه وبه تدرك معنى فى النوع فتميل اليه وتزدوج به وآلته الدماغ كله لكن الاخص منه به هو التجويف الاوسط والرابعة المفكرة وهى قوة لها ان تركب وتفصل مما يليها من الصور المأخوذة عن الحس المشترك والمعانى الوهمية المدركة بالوهم فتارة تجمع وتارة تفصل وتارة تلاحظ العقل فتعرض عليه وتارة تلاحظ الحس فتأخذ منه وسلطانها فى الجزء الاول من وسط الدماغ وكأنها قوة ما للوهم بتوسط الوهم للعقل والخامسة القوة الحافظة وهى التى كالخزانة لهذه المدركات الحسية والوهمية والخيالية دون العقلية الصرفة فان المعقول البحت لا يرتسم فى جسم ولا فى قوة جسم والحافظة قوة فى جسم وآلتها الروح المصبوب فى اول البطن المؤخر من الدماغ والسادسة القوة الذاكرة وهى التى تستعرض ما فى الخزانة على جانب العقل او على الخيال والوهم وآلتها الروح المصبوب فى آخر البطن المؤخر وأما المعقول الصرف المبرأ عن الشوائب المادية فلا يحل فى قوة جسمانية وآلة جسدانية متى يقال ينقسم بانقسامها ويتحقق لها موضع ومثال ولهذا لم تكن القوة الحافظة خزانة لها بل المصدر الاول الذى أفاض عليها تلك الصورة صار خازنا لها حيث طالعته النفس الانسانية بقوتها العقلية المناسبة لواهب الصور نوعا من المناسبة فاضت منه عليها تلك الصورة المستحفظة له حتى كانه ذكرها بعد ما نسى ووجدها بعد ما ضلت وغريزة النفس الصافية تنزع الى جانب القدس فى تذكار الامور الغائبة عن حضرة العقل نزاعا طبيعيا فتستحضر ما غاب عنها ولهذا السر اخبر الكتاب الالهي * واذكر ربك اذا

الامر على انه النور المضيء المعهود لماخبأ الضياء ساعة من ليل أونهار البتة فلمارأينا الامر بخلاف ذلك علمنا أنه بخلاف ماظنوه

(قال أبو محمد) ويبطل قول من وصف الله تعالى بأنه جسم وقول من وصفه بحركه تعالى الله عن ذلك أن الضرورة توجب ان كل متحرك فذو حركة وان الحركة لمتحرك بها وهذا من باب الاضافة والصورة فى المتصور لمتصور وهذا أيضا من باب الاضافة فلو كان كل مصور متصورا وكل محرك متحركا لوجب وجوب افعال لاوائل لها وهذا قد ابطلناه فيما خلا من كتابنا بعون الله تعالى لنا وتأييده ايانا فوجب ضرورة وجود محرك ليس متحركا ومصور ليس متصورا ضرورة ولابد وهو البارى تعالى محرك المتحركات ومصور المصورات لا اله الا هو وكل جسم فهو ذو صورة وكل ذى حركة فهو ذو عرض محمول فيه فصح انه تعالى ليس جسما ولا متحركا وبالله تعالى التوفيق. وأيضا فقد قدمنا ان الحركة والسكون مدة والمدة زمان وقد بينا فيما خلا من كتابنا ان الزمان محدث فالحركة محدثة وكذلك السكون والبارى تعالى لا يلحقه الحدث اذ لو لحقه محدث لحقه محدثا فالبارى تعالى غير متحرك ولا ساكن وأيضا فان الجسم انما يفعل آثارا فى الجسم فقط ولا يفعل الاجسام فالبارى اذن تعالى على قول المجسمة انما هو فاعل آثار في الاجسام فقط لا فاعل اجسام العالم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فان قالوا فانكم تسمونه فاعلا وتسمون انفسكم فاعلين وهذا تشبيه قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق. لا يوجب ذلك تشبيها لان التشبيه انما يكون بالمعنى الموجود فى كلا المشتبهين لا بالاسماء وهذه التسمية انما هى اشتراك فى العبارة فقط لان الفاعل من متحرك باختيار أو باضطرار أو عارف أو شاك اومريد أو كان باختيار أو ضمير أو اضطرار كذلك فكل فاعل منا فمتحرك وذو ضمير وكل متحرك فذو حركة تحركه وأعراض الضمائر انفعالات فكل متحرك فهو منفعل وكل منفعل فلفاعل ضرورة وأما البارى تعالى ففاعل باختيار واختراع لا بحركة ولا بضمير فهذا اختلاف لا اشتباه وبالله تعالى التوفيق وكذلك العرض ليس جسما والجسم ليس عرضا والبارى تعالى ليس جسما ولا عرضا فهذان الحكمان لا يوجبان اشتباها أصلا بل هذا عين الاختلاف لكن الاشتباه انما يكون باثبات معنى فى المشتبهين به اشتبها ولو أوجب ماذكرنا اشتباها لوجب أن يكون لشبه الجسم فى الجسمية لانه ليس عرضا وأن يكون لشبه العرض فى العرضية لانه ليس جسما فكان يكون جسما لا جسما عرضا لا عرضا معا وهذا محال فصح أن بالنفى لا يجب الاشتباه أصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ومن قال ان الله تعالى جسم لا كالاجسام فليس مشتبها لكنه الحد فى أسماء الله تعالى اذ سماه عز وجل بما لم يسم به نفسه وأما من قال أنه تعالى كالاجسام فهو ملحد

نسيت وقل عسي ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا حتى صار كثير من العلماء الى ان العلوم كلها تذكار وذلك ان النفوس كانت فى اليد والاول فى عالم الذكر ثم هبطت الى عالم النسيان فاحتاجت الى مذكرات لما قد نسيت معيدات الى ما كانت قد ابتدأت وذكر فان (٩٤) الذكرى تنفع المؤمنين وذكرهم بايام الله ثم للنفس الانسانيه قوى عقلية لا جسمانية وكالات نفسانية روحانية لا جسدانية فمن قواها ما لها بحسب حاجاتها الى تدبير البدن وهى القوة التى تختص باسم العقل العملى وذلك أن يستنبط الواجب فيما يجب ان يفعل ولا يفعل ومن قواها ما لها بحسب حاجتها الى تكميل جوهرها عقلا بالفعل وانما يخرج من القوة الى الفعل بمخرج غير ذاتها لا محالة فيجب ان يكون لها قوة استعدادية تسمى عقلا هيولانيا حتى يقبل من غيرها مابه يخرجها من الاستعداد الى الكمال فاول خروج لها الى الفعل موصول قوة أخري من واهب الصور يحصل لها عقد استحضار المعقولات الاول فيتهيأ بها لاكتساب الثواني اما بالفكر أو بالحدس فيندرج قليلا قليلا الى ان يحصل لها ماقدر عليها من المعقولات ولكل نفس استعداد الى حد ما لا يتعداه ولكل عقل حد مالا يتخطاه فيبلغ الى كماله المقدر له ويقتصر على قوته المركوزة فيه ولا يبين ههنا وجود التضاد بين النفوس فى العقول ووجوب الترتب فيها وانما يعرف مقادير العقول ومراتب النفوس الانبياء والمرسلون الذين اطلعوا على الموجودات كلها روحانياتها وجسمانياتها معقولاتها ومحسوساتها كلياتها وجزئياتها علوياتها وسفلياتها فعرفوا مقاديرها وعينوا موازينها ومعاييرها وكل ما ذكرناه من القوى الانسانيـة فهى حاصلة مركبة فيهم منصرفة كلها عن جانب

في أسمائه تعالى ومشبه مع ذلك

(قال أبو محمد) وأما اطلاق لفظ الصفات لله تعالى عز وجل فمحال لايجوز لان الله تعالى لم ينص قط فى كلامه المنزل على لفظة الصفات ولا على لفظ الصفة ولا حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم بان لله تعالى صفة أو صفات نعم ولا جاء قط ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا عن أحد من خيار التابعين ولا عن أحد من خيار تابعى التابعين ومن كان هكذا فلا يحل لاحد أن ينطق به ولو قلنا أن الاجماع قد تيقن على ترك هذه اللفظة لصدقنا فلا يجوز القول بلفظ الصفات ولا اعتقاده بل هى بدعة منكرة قال الله تعالى * ان هى الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى *

(قال أبو محمد) وانما اخترع لفظ الصفات المعتزلة وهشام ونظراؤه من رؤساء الرافضة وسلك سبيلهم قوم من أصحاب الكلام سلكوا غير مسلك السلف الصالح ليس فيهم اسوة ولا قدوة وحسبنا الله ونعم الوكيل * ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * وربما أطلق هذه اللفظة من متأخرى الائمة من الفقهاء من لم يحقق النظر فيها فهى وهلة من فاضل وذلة عالم وانما الحق فى الدين ما جاء عن الله تعالى نصا أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم كذلك أو صح اجماع الامة كلها عليه وما عدا هذا فضلال وكل محدثة بدعة فان اعترضوا بالحديث الذى رويناه من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الرجاء محمد بن عبد الرحمن عن امه عمرة عن عائشة رضى الله عنها في الرجل الذى كان يقرأ قل هو الله أحد فى كل ركعة مع سورة اخري وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يسأل عن ذلك فقال هى صفة الرحمن فانا أحبها فأخبره عليه السلام أن الله يحبه فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذه اللفظة انفرد بها سعيد بن أبي هلال وليس بالقوى قد ذكره بالتخليط يحيى واحمد بن حنبل وأيضا فان احتجاج خصومنا بهذا لايسوغ على اصولهم لانه خبر واحد لا يوجب عندهم العلم وأيضا فلو صح لما كان مخالفا لقولنا لاننا انما انكرنا قول من قال ان أسماء الله تعالى مشتقة من صفات ذاته فاطلق لذلك على العلم والقدرة والقوة والكلام انها صفات وعلى من اطلق ارادة وسمعا وبصرا وحياة واطلق انها صفات فهذا الذي انكرناه غاية الانكار وليس في الحديث المذكور ولا فى غيره شيء من هذا اصلا وانما فيه ان قل هو الله احد خاصة صفة الرحمن ولم ننكر هذا نحن بل هو خلاف لقولهم وحجة عليهم لانهم لا يخصون قل هو الله احد بذلك دون سائر القرآن ودون الكلام والعلم وغير ذلك وفي هذا الخبر تخصيص لقوله قل هو الله احد وحدها بذلك وقل هو الله احد خبر عن الله تعالى بما هو الحق فنحن نقول فيها هى صفة الرحمن لمعنى انها خبر عنه تعالى حق فظهر ان هذا الخبر حجة عليهم لنا وايضا فمن اعجب الباطل ان يحتج بهذا الخبر فيما ليس

الغرور الى جانب القدس مستديمة لشروق نور الحق فيها حتى كان كل قوة من القوى الجسدانية والنفسانية ملك روحانى وكل تحفظ ماوجه اليه واستثمار مارشح له بل ومجموع جسده ونفسه مجمع اثار العالمين من الروحانيات والجسمانيات وزيادة امرين احدهما ماحصل له من فائدة التركيب والترتيب كما بيناه من مثال السكر والخل والثانى ما اشرق عليه من (٩٥) الانوار القدسية وحيا والهاما ومناجاة واكراما فاين للروحانى هذه الدرجة الرفيعة والمقام المحمود والكمال الموجود بل ومن اين للروحانيات كلها هذا التركيب الذى خص نوع الانسان به وما تعلقوا به من القوة البالغة على تحريك الاجسام وتصريف الاجرام فليس يقتضى شرفا فان ماثبت لشيء وثبت لضده مثله لم يتضمن شرفا ومن المعلوم ان الجن والشياطين قد ثبت لهم من القوة البالغة والقدرة الشاملة مايعجز كثير من الموجودات عن ذلك وليس ذلك مما يوجب شرفا وكمالا وانما الشرف فى استعمال كل قوة فيما خلقت له وامرت به وقدرت عليه قالت الصابئة الروحانيات لها اختيارات صادرة من الامر متوجهة الى الخير مقصورة عن نظام العالم وقوام الكل لايشوبها البتة شائبة الشر وشائبة الفساد بخلاف اختيار البشر فانه متردد بين طرفى الخير والشر ولولا رحمة الله فى حق البعض والا فوضع اختيارهم كان ينزع الى جانب الشر والفساد اذ كانت الشهوة والغضب المركوزة فيهم يجرانهم الى جانبهما واما الروحانيات فلا ينازع اختيارهم الا للتوجه الى وجه الله تعالى وطلب رضاه وامتثال امره فلاجرم كل اختيار هذا حاله لا يتعذر عليه مايختاره فكما اراد واختار وجد المراد وحصل المختار وكل اختيار ذلك حاله فتعذر عليه ما يختار فلا يوجد المراد ولا يحصل المختار اجابت الحنفاء بجوابين احدهما نيابة عن جنس البشر والثانى نيابة عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام اما (الاول) قالوا اختيار

فيه منه شيء من يخالفه و يعصيه فى الحكم الذي ورد فيه من استحسان قراءة قل هو الله احد فى كل ركعة مع سورة اخرى فلهذه الفضائح فلتعجب اهل العقول واما الصفة التى يطلقونها فانما هى فى اللغة واقعة على عرض فى جوهر لا على غير ذلك اصلا وقد قال تعالى * سبحان ربك رب العزة عما يصفون * فانكر تعالى اطلاق الصفات جملة فبطل تمويه من موه بالحديث المذكور ليستحل بذلك مالا يحل من اطلاق لفظة الصفات حيث لم يات باطلاقها فيه نص ولا اجماع اصلا ولا اثر عن السلف والعجب من اقتصارهم على لفظة الصفات ومنعهم من القول بانها نعوت وسمات ولا فرق بين هذه الالفاظ لا فى لغة ولا فى معنى ولا فى نص ولا فى اجماع

القول فى المكان والاستواء

(قال ابو محمد) ذهبت المعتزلة الى ان الله سبحانه وتعالى فى كل مكان واحتجوا بقول الله تعالى * ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم * وقوله تعالى * ونحن اقرب اليه من حبل الوريد * وقوله تعالى * ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون *

(قال ابو محمد) قول الله تعالى يجب حمله على ظاهره مالم يمنع من حمله على ظاهره نص آخر او اجماع او ضرورة حس وقد علمنا ان كل ما كان فى مكان فانه شاغل لذلك المكان ومالئ له ومتشكل بشكل المكان او المكان متشكل بشكله ولا بد من احد الامرين ضرورة وعلمنا ان ما كان فى مكان فانه متناه بتناهي مكانه وهو ذو جهات ست او خمس متناهية فى مكانه وهذه كلها صفات الجسم فلما صح ما ذكرنا علمنا ان قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب اليه منكم وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم انما هو التدبير لذلك والاحاطة به فقط ضرورة لانتفاء ما عدا ذلك وايضا فان قولهم فى كل مكان خطأ لانه يلزم بموجب هذا القول انه يملأ الاماكن كلها وان يكون ما فى الاماكن فيه الله تعالى الله عن ذلك وهذا محال * فان قالوا هو فيها بخلاف كون المتمكن فى المكان قيل لهم هذا لا يعقل ولا يقوم عليه دليل وقد قلنا انه لا يجوز اطلاق اسم على غير موضوعه فى اللغة الا ان يأتى به نص فيقف عنده وندرى حينئذ انه منقول الى ذلك المعنى الآخر والا فلا فاذ قد صح ما قد ذكرنا فلا يجوز ان يطلق القول بان الله تعالى فى كل مكان لا على تأويل ولا غيره لانه حكم بانه تعالى فى الامكنة لكن يطلق القول بانه تعالى معنا فى كل مكان ويكون قولنا حينئذ فى كل مكان انما هو من صلة الضمير الذى هو النون والالف اللذان فى معنا لا بما يخبر به عن الله تعالى وهذا هو معنى قوله هو معهم اينما كانوا وهو معكم اينما كنتم وذهب قوم الى ان الله تعالى فى مكان دون مكان وقولهم هذا يفسد بما ذكرنا آنفا ولا فرق واحتج هؤلاء بقوله تعالى * الرحمن على العرش استوى *

(قال ابو محمد) وقد تأول المسلمون فى هذه الاية تأويلات اربعة احدها قول المجسمة وقد

الروحانيات اذا كان مقصورا على احد الطرفين محصورا كان فى وضعه مجبورا ولا شرف فى الجبر واختيار البشر تردد بين طرفى الخير والشر فمن جانب يرى ايات الرحمن ومن طرف يسمع وساوس الشيطان فيميل فيه تارة دعوة الحق الى امتثال الامر ويميل به طورا داعية الشهوة الى اتباع الهوى فاذا اقر طوعا وطمعا بوحدانية الله سبحانه وتعالى واختار من غير جبر واكراه طاعته وصير اختياره المتردد بين الطرفين مجبورا بين امره تعالى باختيار من جهته من غير اجبار صار هذا الاختيار افضل واشرف من الاختيار المجبور وفطرة كالمكره فعله كسبا الممنوع عن مالا يحب جبرا ومن لا شهوة له فلا يميل الى المشتهى كيف يمدح عليه وانما المدح كل المدح لمن زين المشتهي فنهى النفس عن الهوى فتبين ان اختيار البشر افضل من اختيار الروحانيات واما الثاني نقول ان اختيار الانبياء مما انه ليس من جنس اختيار البشر من وجه فهو متوجه الى مقصور على الصلاح الذى به نظام العالم وقوام الكل صادر عن الامر صائر الى الامر لا يتطرق الى اختياراتهم ميل الى الفساد بل درجتهم فوق ما يبتدر الى الاوهام فان العالى لا يريد امرا لاجل السافل من حيث هو سافل بل انما يختار ما يختار لنظام كلى وامر اعلى من الجزئى ثم يتضمن ذلك حصور نظام فى الجزئى تبعا لا مقصودا وهذا الاختيار والارادة على   أبيا
جهة سنة الله تعالى فى اختياره ومشيئته للكائنات لان مشيئته تعالى كلية متعلقة بنظام الكلى غير معللة بعلة حتى لا يقال انما اختار هذا لكذا وانما فعل هذا لكذا فالكل شئ علة ولا علة لصنعه تعالى بل لا يريد الا كما علم وذلك أيضا ليس بتعليل لكنه بيان ان ارادته أعلى من أن تتعلق بشئ لعلة دونها والا لكان ذلك الشئ حاملا له على ما يريد وخالق العلل والمعلولات لا يكون محمولا

على شئ فاختياره لايكون معللا بشئ واختيار الرسول المبعوث من جهته ينوب عن اختياره كما أن أمره ينوب عن أمره فيسلك سبل ربه ذللا ثم يخرج من قضية اختياره نظام حال وقوام أمر نختلف الوانه فيه شفاء للناس فمن أين للروحانيات هذه المنزلة وكيف يصلون الى هذه الدرجة كيف وكل مايذكرونه فوهوم وكل مايذكره فحقق مشاهدة وعيانا بل وكل مايحكي عن الروحانيات من كمال علمهم وقدرتهم ونفوذ اختيارهم واستطاعتهم فانما اخبرنا بذلك الانبياء والمرسلين والا فاى دليل ارشدنا الى ذلك ونحن لم نشاهدهم ولم نستدل بفعل من أفعالهم على صفاتهم وأحوالهم قالت الصابئة الروحانيون متخصصون بالهياكل العلوية مثل زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهذه السيارات كالابدان والاشخاص بالنسبة اليها وكل مايحدث من الموجودات ويعرض من الحوادث فكلها مسببات هذه الاسباب وآثار هذه العلويات فيفيض على هذه العلويات من الروحانيات تصريفات وتحريكات الى جهات الخير والنظام ويحصل من حركاتها واتصالها تركيبات وتأليفات فى هذا العالم ويحدث فى المركبات أحوال ومناسبات فهم الاسباب الاول والكل مسبباتها والسبب لايساوى السبب والجسمانيون متشخصون بالاشخاص السفلية والمتشخص

كيف يمثل غير المتشخص وانما يجب على الاشخاص فى أفعالهم وحركاتهم اقتفاء آثار الروحانيات فى أفعالها وحركاتها حتى يراعي احوال الهياكل وحركات أفلاكها زمانا ومكانا وجوهرا وهيئة ولباسا وبخورا وتعزيما وتنجيما ودعاء وحاجة خاصة بكل هيكل فيكون تقربا الى الهيكل تقربا الى الروحاني الخاص به فيكون تقربا الى رب الارباب ومسبب الاسباب حتى يقضى حاجته ويتم مسئلته وسيأتي تفصيل ماحملوه من أمر الهياكل عند ذكر اصحابها ان شاء الله تعالى اجابت الحنفاء بان

ابنا يحول الله فساده. والاخر قالته المعتزلة وهو ان معناه استولى وانشدوا. قد استوى بشر على العراق

(قال ابو محمد) وهذا فاسد لانه لو كان ذلك لما كان العرش اولى بالاستيلاء عليه من سائر المخلوقات ولجاز لنا ان نقول الرحمن على الارض استوى لانه تعالى مستول عليها وعلى كل ماخلق وهذا لا يقوله احد فصار هذا القول دعوى مجردة بلادليل فسقط وقال بعض اصحاب ابن كلاب ان الاستواء صفة ذات ومعناه نفى الاعوجاج

(قال ابو محمد) وهذا القول فى غاية الفساد لوجوه. احدها انه تعالى لم يسم نفسه مستويا ولا يحل لاحد ان يسم الله تعالى بما لم يسم به نفسه لان من فعل ذلك فقد الحد فى اسمائه حدود الله اى مال عن الحق وقد حد الله تعالى فى تسميته حدودا فقال تعالى * ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * وثانيها ان الامة مجمعة على انه لا يدعو احد فيقول يامستوى ارحمني ولا يسمى ابنه عبد المستوى وثالثها انه ليس كل مانفى عن الله عز وجل وجب ان يوقع عليه ضده. لاننا ننفى عن الله تعالى السكون ولا يحل ان يسمى الله متحركا وننفى عنه الحركة ولا يجوز ان يسمى ساكنا وننفى عنه الجسم ولا يجوز ان يسمى ساكنا وننفى عنه النوم ولا يجوز ان يسمي يقظانا ولا منتبها ولا ان يسمى لنفى الانحناء عنه مستقيما وكذلك كل صفة لم يات بها النص فكذلك الاستواء والاعوجاج منفيان عنه معا سبحانه وتعالى وتعالى الله عن ذلك لان كل ذلك من صفات الاجسام ومن جملة الاعراض والله قد تعالى عن الاعراض ورابعها انه يلزم من قال بهذا القول الفاسد ان يكون العرش لم يزل تعالى الله عن ذلك لانه تعالى علق الاستواء بالعرش فلو كان الاستواء لم يزل لكان العرش لم يزل وهذا كفر وخامسها انه لو كان الاستواء ههنا نفى الاعوجاج لم يكن لاضافة ذلك الى العرش معنى ولكان كلاما فاسدا لاوجه له فان اعترضوا فقالوا انكم تسمونه سميعا بصيرا وانه لم يزل كذلك فيلزمكم على هذا ان المسموعات والمبصرات لم تزل قلنا لهم وبالله تعالى نتايد هذا لايلزمنا لاننا لا نسمى الله عز وجل الا بما سمى به نفسه فنقول قال الله تعالى السميع البصير فقلنا بذلك انه لم يزل وهو السميع البصير بذاته كما هو ولا نقول لا يسمع ولا يبصر فنزيد على ما أتى به النص شيئا ونحن نقول أنه تعالى لم يزل سميعا للمسموعات بصيرا بالمبصرات يرى المرئيات ويسمع المسموعات ومعنى هذا كله انه عالم بكل ذلك كما قال الله تعالى انني معكما اسمع وارى * وهذا كله معنى العلم الذى لايقتضى وجود المعلومات لم تزل لكن يعلم مايكون انه سيكون على حقيقته ويعلم ماهو كما هو ويعلم ماقد كان كما قد كان وهذا نجده حسا ومشاهدة وضرورة لاننا فيما بيننا قد نعلم ان زيدا سيموت وموته لم يقع وليس هكذا قولهم فى الاستواء لانه مرتبط بالعرش فان قالوا لنا فاذن معنى سميع بصير هو بعد

معنى عليم فقولوا انه تعالى يبصر المسموعات ويسمع المرئيات قلنا وبالله تعالى التوفيق . مايمنع من هذا ولا ننكره بل هو صحيح لان الله تعالى انما قال اسمع وارى فهذا اطلاق له على كل شيء على عمومه وبالله تعالى التوفيق . والقول الرابع في معنى الاستواء هو ان معنى قوله تعالى على العرش استوى انه فعل فعله فى العرش وهو انتهاء خلقه اليه فليس بعد العرش شيء ويبين ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الجنات وقال فاسألوا الله الفردوس الاعلى فانه وسط الجنة واعلى الجنة وفوق ذلك عرش الرحمن فصح انه ليس وراء العرش خلق وانه نهاية جرم المخلوقات الذى ليس خلفه خلاء ولا ملاء ومن انكر ان يكون للعالم نهاية من المساحة والزمان والمكان فقد لحق بقول الدهرية وفارق الاسلام والاستواء فى اللغة يقع على الانتهاء قال الله تعالى * فلما بلغ اشده واستوى آتيناه حكماً وعلما * اى فلما انتهى الى القوة والخير وقال تعالى * ثم استوى الى السماء وهى دخان * اى ان خلقه وفعله انتهى الى السماء بعد ان رتب الارض على ماهي عليه وبالله تعالى التوفيق وهذا هو الحق وبه نقول لصحة البرهان به وبطلان ماعداه فاما القول الثالث فى المكان فهو ان الله تعالى لا فى مكان ولا فى زمان اصلا وهو قول الجمهور من أهل السنة وبه نقول وهو الذى لا يجوز غيره لبطلان كل ماعداه ولقوله تعالى * الا انه بكل شيء محيط * فهذا يوجب ضرورة انه تعالى لا في مكان اذ لو كان فى المكان لكان المكان محيطا به من جهة ما او من جهات وهذا منتف عن الباري تعالى بنص الآية المذكورة والمكان شيء بلاشك فلا يجوز ان يكون شيء فى مكان ويكون هو محيطا بمكانه هذا محال فى العقل يعلم امتناعه ضرورة وبالله تعالى التوفيق وايضا فانه في مكان الا ما كان جسما او عرضا فى جسم هذا الذى لا يجوز سواه ولا يتشكل فى العقل والوهم غيره البتة واذا انتفى ان يكون الله عز وجل جسما او عرضا فقد انتفى ان يكون فى مكان اصلا وبالله تعالى نتأيد واما قوله تعالى * ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية * فقوله الحق نؤمن به يقينا والله اعلم بمراده فى هذا القول ولعله عنى عز وجل السموات السبع والكرسى فهذه ثمانية اجرام هى يومئذ والآن بيننا وبين العرش ولعلهم ايضا ثمانية ملائكة والله أعلم نقول ماقال ربنا تعالى ونقطع انه حق يقين على ظاهره وهو اعلم بمعناه ومراده واما الخرافات فلسنا منها فى شيء ولا يصح فى هذا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنا نقول هذه غيوب لا دليل لنا على المراد بها لكنا نقول * آمنا به كل من عند ربنا * وكل ماقاله الله تعالى فحق ليس منه شيء منافياً للمعقول بل هو كله قبل ان يخبرنا تعالى فى حد الامكان عندنا ثم اذا اخبر به عز وجل صار واجبا حقا يقينا وقد قال تعالى * الذين يحملون العرش ومن حوله * فصح يقينا ان للعرش حملة وهم الملائكة المنقادون لامره تعالى كما نقول انا احمل هذا الامر اى اقوم به واتولاه وقد قال تعالى انهم يفعلون مايؤمرون *

قالوا الآن نزلتم عن نيابة الروحانيات الصرفة الى نيابة هياكلها وتركتم مذهب الصبوة الصرفة فان الهياكل اشخاص الروحانيين والاشخاص هياكل الربانيين غير انكم اثبتم لكل روحانى هيكلا خاصا له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره ونحن نثبت اشخاصا رسلا كراما يقع أوضاعهم وأشخاصهم فى مقابلة كل الكون الروحانى نهار الاشخاص منهم فى مقابلة الهياكل منهم فى مقابلة الروحانى منها وحركاتهم فى مقابلة حركات جميع الكواكب والافلاك وشرائعهم مراعات حركات استندت الى أييد الهي روحى سماوى موزونة بميزان العدل مقدرة على مقادير الكتاب الاول ليقوم الناس بالقسط ليست مستخرجة بالاراء المظلمة ولا مستنبطة بالظنون الكاذبة ان طابقتها على المعقولات تطابقنا وان وافقتها بالمحسوسات توافقنا كيف ونحن ندعى أن الدين الالهى هو الموجود الاول والكائنا تقدرت عليه وان المناهج التقديرية هي الاقدم ثم المسالك الخلقية والسنن الطبيعية توجهت اليها ولله تعالى سنتان فى خلقه وأمره والسنة الامرية اقدم واسبق من السنة الخلقية وقد اطلع خواص عباده من البشر على السنتين ولن تجد لسنة الله تحويلا هذا من جهة الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلا هذا من جهة الامر فالانبياء عليهم الصلاة والسلام متوسطون فى تقرير سنة الخلق والامر أشرف من الخلق فمتوسط الامر أشرف من متوسط الخلق فالانبياء أفضل من الملائكة وهذا عجب حيث صارت الروحانية الامرية متوسطان فى الخلق وصارت الاشخاص الخلقية متوسطين فى الامر ليعلم أن الشرف والكمال في التركيب لا فى البساطة واليد للجسماني

(وانهم)

لا للروحاني والتوجه الى التراب اولى من التوجه الى السماء والسجود لآدم عليه السلام افضل من التسبيح والتهليل والتقديس وليعلم ان الكمال فى اثبات الرجال لا فى تعيين الهياكل والظلال وانهم هم الاخرون وجودا السابقون فضلا وان آخر العمل أول الفكرة وان الفطرة لمن له الخمرة وان المخلوق بيديه لا يكون كالمكون بحرفيه قال سبحانه

وانهم يتنزلون بالامر واما الحامل للكل والممسك للكل فهو الله عز وجل قال الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده

(الكلام فى العلم)

قال الله عز وجل * انزله بعلمه * فاخبر تعالى أن له علما ثم اختلف الناس فى علم الله تعالى فقال جمهور المعتزلة اطلاق العلم لله عز وجل انما هو مجاز لا حقيقة وانما معناه أنه تعالى لا يجهل وقال سائر الناس ان لله تعالى علما حقيقة لا مجازا ثم اختلف هؤلاء فقال جهم بن صفوان وهشام ابن الحكم ومحمد بن عبد الله ابن سيرة واصحابهم ان علم الله تعالى هو غير الله تعالى وهو محدث مخلوق سمعنا ذلك ممن جالسناه منهم وناظرناه عليه وقالت طوائف من اهل السنة علم الله تعالى غير مخلوق لم يزل وليس هو الله ولا هو غير الله وقال الاشعرى فى احد قوليه لا يقال هو الله ولا هو غير الله وقال فى قول له آخر وافقه عليه الباقلانى وجمهور اصحابه ان علم الله تعالى هو غير الله وخلاف الله وانه مع ذلك غير مخلوق لم يزل وقال ابو الهذيل العلاف واصحابه علم الله لم يزل وهو الله وقالت طوائف من اهل السنة علم الله لم يزل وهو غير مخلوق وليس هو غير الله تعالى ولا نقول هو الله وكان هشام ابن عمر القوطى احد شيوخ المعتزلة لا يطلق القول بان الله لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها ليس لانه لا يعلم ما يكون قبل ان يكون بل كان يقول ان الله تعالى لم يزل عالما بانه ستكون الاشياء اذا كانت

(قال ابو محمد) فاما من انكر ان يكون لله تعالى علم فانهم قالوا لا يخلوا لو كان لله تعالى علم من ان يكون غيره او يكون هو هو فان كان غيره فلا يخلوا من ان يكون مخلوقا او لم يزل واى الامرين كان فهو فاسد فان كان هو الله فالله علم وهذا فاسد

(قال ابو محمد) اما نفس قولهم في ان ليس لله تعالى علم فمخالف للقرآن وما خالف القرآن فباطل ولا يحل لاحد ان ينكر ما نص الله تعالى عليه وقد نص الله تعالى على ان له علما فمن انكره فقد اعترض على الله تعالى واما اعتراضاتهم التي ذكرنا ففاسدة كلها وسنوضح فسادها ان شاء الله تعالى في افسادنا القول الجهمية والاشعرية لان هذه الاعتراضات هي اعتراضات هاتين الطائفتين وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) احتج جهم بن صفوان بان قال لو كان علم الله تعالى لم يزل لكان لا يخلو من ان لا يكون هو الله او هو غيره فان كان علم الله غير الله وهو لم يزل فهذا تشريك لله تعالى وايجاب الازلية لغيره تعالى معه وهذا كفر وان كان هو الله فالله علم وهذا الحاد وقال نسال من انكر ان يكون علم الله تعالى هو غيره فنقول اخبرونا اذا قلنا الله ثم قلنا انه عليم فهل فهمتم من قولنا عليم شيا زايدا غير ما فهمتم من قولنا الله ام لا فان قلتم لا احلتم وان قلتم نعم اثبتم معنى اخر هو غير الله وهو علمه وهكذا قالوا فى قدير وقوى وفى سائر ما ادعوا فيه الصفات وقال ايضا اننا نقول ان الله تعالى عالم بنفسه ولا نقول انه قادر على نفسه فصح ان علمه

سبحانه وتعالى فوعزتي وجلالي لا اجعل من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان قالت الصابئة الروحانيات مبادي الموجودات وعالمها معاد الارواح والمبادي اشرف ذاتاً واسبق وجوداً وأعلي رتبة ودرجة من سائر الموجودات التي حصلت بتوسطها وكذلك عالمها عالم المعاد والمعاد كمال فعالمها عالم الكمال فالمبدأ منها والمعاد اليها والمصدر عنها والمرجع اليها بخلاف الجسمانيات وايضا فان الارواح انما نزلت من عالمها حتى اتصلت بالابدان فتوسخت باوضار الاجسام ثم تطهرت عنها بالاخلاق الزكية والاعمال المرضية حتى انفصلت عنها فصعدت الى عالمها الاول فالنزول هو النشأة الاولى والصعود هو النشأة الاخرى فعرف انهم اصحاب الكمال لا الاشخاص الرجال اجابت الحنفاء من اين تسلمتم هذا التسليم ان المبادي هي الروحانيات واي برهان اقمتم وقد نقل عن كثير من قدماء الحكماء ان المبادي هي الجسمانيات على اختلاف منهم في الاول منها انه نار او هواء أو ماء أو ارض واختلاف آخر أنه مركب أو بسيط واختلاف آخر أنه انسان او غيره حتى صارت جماعة الى اثبات اناس سرمديين ثم منهم من يقول انهم كانوا كالظلال حول العرش ومنهم من يقول ان الآخر وجوداً من حيث الشخص فى هذا العالم هو الاول وجودا من حيث الروح فى ذلك العالم وعليه خرج ان أول الموجودات نور محمد عليه الصلاة والسلام فاذا كان شخصه هو الآخر من جملة الاشخاص النبوية فروحه

هو الاول من جملة الارواح الربانية وانما حضر هذا العالم لتخليص الارواح الدنسة بالاوضار الطبيعية فيعيدها الى مبدإها واذا كان هو المبدأ فهو المعاد ايضا فهو النعمة وهو النعيم وهو الرحمة وهو الرحيم قالوا ونحن اذا اثبتنا ان الكمال في التركيب لا في البساطة والتحليل فيجب ان يكون المعاد بالاشخاص والاجساد لا بالنفوس والارواح والمعاد كمال لا محالة غير ان الفرق بين المبدأ والمعاد هو ان الارواح في المبدأ مستورة بالاجساد واحكام الاجساد غالبة واحوالها ظاهرة للحس والاجساد في المعاد مغمورة بالارواح واحكام النفوس غالبة واحوالها ظاهرة للعقل والا فلو كانت الاجساد تبطل رأسا وتضمحل اصلا وتعود الارواح الى مبدأها الاول ما كان للاتصال بالابدان والعمل بالمشاركة فائدة ولبطل تقدير الثواب والعقاب على فعل العباد ومن الدليل القاطع على ذلك ان النفوس الانسانية في حال اتصالها بالبدن اكتسبت اخلاقا نفسانية صارت هيآت متمكنة فيها تمكن الملكات حتى قيل انها نزلت منزلة الفصول اللازمة التي تميزها عن غيرها ولولاها لبطل التمييز وتلك الهيئات انما حصلت بمشاركات من القوى الجسمانية بحيث ان يتصور وجودها الا مع تلك المشاركة وتلك القوى لن يتصور الا في اجسام مزاجية فاذا كانت النفوس لن يتصور الا معها وهي المعينة المخصصة وتلك لن يتصور الا مع الاجسام فلابد من حشر الاجسام والمعاد بالاجسام قالت الصابئة طريقنا في التوسل الى حضرة القدس ظاهرة وشرعنا معقول فان قدماءنا من الزمان الاول لما ارادوا الوسيلة عملوا اشخاصا في مقابلة الهياكل العلوية على نسب واضافات راعوا فيها جوهراً او صورة وعلى اوقات واحوال وهيئات اوجبوا على من يتقرب بها الى مايقابلها من المعلومات تختما ولباسا وتبخراً ودعاء وتعزيما فتقربوا

تعالى هو غير قدرته واذا هو غيرها فهما غير الله تعالى وقد يعلم الله تعالى قادرا من لا يعلمه عالما ويعلمه عالما من لا يعلمه قادرا فصح ان كل ذلك معان متغايرة واحتج بهذا كله ايضاً من رأى ان علم الله تعالى لم يزل وانه مع ذلك غير الله تعالى وانه غير قدرته ايضا واحتج بآيات من القرآن مثل قوله تعالى * ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين * ومثل هذه

(قال ابو محمد) من قال بحدوث العلم فانه قول عظيم جداً لانه نص بأن الله تعالى لم يعلم شيئاً حتى احدث لنفسه علما واذا ثبت ان الله تعالى يعلم الآن الاشياء فقد انتفى عنه الجهل بها يقينا فلو كان يوما من الدهر لا يعلم شيئا مما سيكون فقد ثبت له الجهل به ولا بد من هذا ضرورة واثبات الجهل لله تعالى كفر بلا خلاف لانه وصفه تعالى بالنقص ووصفه يقتضى له الحدوث ولا بد وهذا باطل مما قدمنا من انتفاء جميع صفات الحدوث عن الفاعل تعالى وليس هذا من باب نفي الضدين عنه كنفينا عنه تعالى الحركة والسكون لان نفي جميع الضدين موجود عما ليس فيه احدهما ولا كلاهما واما اذا ثبت للموصوف بعض نوع من الصفات وانتفى عنه بعض ذلك النوع فلا بد ههنا ضرورة من اثبات ضده مثال ذلك الحجر انتفى عنه العلم والجهل واما الانسان اذا ثبت له العلم بشيء وانتفى عنه العلم بشيء آخر فقد وجب ضرورة اثبات الجهل له بما لم يعلمه وهكذا في كل شيء فاذا قد صح هذا فالواجب النظر في افساد احتجاجهم فاما قولهم لو كان علم الله لم يزل وهو غير الله تعالى لكان ذلك شركا فهو قول صحيح (١) واعتراض لا يرد واما قولهم لو كان هو الله لكان الله علما فهذا لا يلزم على ما نبين بعد هذا ان شاء الله وجملة ذلك اننا لا نسمي الله عز وجل الا بما سمى به نفسه ولم يسم نفسه علما ولا قدرة فلا يحل لاحد ان يسمه بذلك واما قولهم هل يفهم من قول القائل الله كالذي يفهم من قوله عالم فقط او يفهم من قوله عالم معنى غير مايفهم من قوله الله فجوابنا وبالله تعالى نتأيد اننا لا نفهم من قولنا قدير وعالم اذا اردنا بذلك الله تعالى الا مانفهم من قولنا الله فقط لان كل ذلك اسماء اعلام لا مشتقة (٢) من صفة اصلا لكن اذا قلنا هو الله تعالى بكل شيء عليم ويعلم

(١) قوله واعتراض الخ هذا لا يلزمه الشرك الا لو كان العلم غيراً منفكا واما اذا كان غيراً ليس منفكا فلا يلزمه شرك لان الشرك في اثبات ذات واجبة الوجود واما في اثبات صفة لذات لا تنفك عنها كما يقول الاشعري فلا فليتنبه اهـ مصححه

(٢) قوله لا مشتقة هذا مما لا تساعده اللغة العربية التي بها انزل القرآن وخاطب الله به اهلها فانه لا يفهم من عالم وعليم وقادر وقدير الا ذات اتصفت بصفة والتاويل لا يسوغ الا اذا اوجبه دليل عقلي او نقلي وليس ذلك بموجود حقيقة فلا يرد هذا نقضا لمذهب الاشعري في الصفات تامل

الغيب

الى الروحانيات فتقربوا الى رب الارباب ومسبب الاسباب وهو طريق مهيع وشرع مهيد لايختلف بالامصار والمدن ولا ينسخ بالادوار والاكوار ونحن تلقينا مبداه من عازيمون وهرمس العظيمين فعكفنا على ذلك دائمين وأنتم معاشر الحنفاء تعصبتم للرجال وقلتم بأن الوحى والرسالة ينزل عليهم من عند الله سبحانه وتعالى بواسطة أو بغير واسطة فما الوحى أولا وهل يجوز أن يكلم الله بشرا وهل يكون كلامه من جنس كلامنا وكيف ينزل ملك من السما وهو ليس بجسمانى ابصورته أم بصورة البشر وما معنى تصوره بصورة الغير افيخلع صورته ويلبس لباساً آخر أم يتبدل وضعه وحقيقته ثم ما البرهان أولا على جواز انبعاث الرسل فى صورة البشر وما دليل كل مدع منهم أويأخذ بمجرد دعواهم أم لابد من دليل خارق للعادة وان اظهر ذلك افهو من خواص النفوس أم من خواص الاجسام أم فعل البارى سبحانه وتعالى ثم با الكتاب الذى جاء به افهو كلام البارى تعالى وكيف يتصور فى حقه كلام أم هو كلام الروحانى ثم هذه الحدود والاحكام أكثرها غير معقولة فكيف يسمح عقل الانسان بقبول أمر لايعقله وكيف تطاوعه نفسه بتقليد شخص مثله ابان يريد أن يتفضل عليه ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين اجابت الحنفاء بأن المتكلمين منا يكفوننا جواب هذا الفصل بطريقين احداهما الالزام تعرضا لابطال مذهبكم والثانى الحجة تعرضا لاثبات مذهبنا اما الالزام قالوا انكم ناقضتم مذهبكم حيث قلتم بتوسط عازيمون وهرمس وأخذتم طريقتكم منهما ومن أثبت المتوسط فى انكار المتوسط فقد تناقض كلامه وتخلف مرامه زادوا على هذا تقريرا بانكم معاشر الصابئة أيضا متوسطون يحتاج اليكم فى اثبات مذهبكم اذ من المعلوم أن كل من دب ودرج منكم ليس يعرف طريقتكم ولا يقف على ضنتكم من علم

الغيب فانما يفهم من كل ذلك ان ههنا له تعالى معلومات وانه لايخفى عليه شىء ولا يفهم منه البتة ان له علماً هو غيره وهكذا نقول فى يقدر وفى غير ذلك كله واما قولهم اننا نقول انه تعالى عالم بنفسه ولا نقول انه قادر على نفسه فقد كذب من قال ذلك وافك بل كل ذلك سواء وهو تعالى قادر على نفسه كما هو عالم بها ولا فرق(١) بين ذلك وقد سقط عن هذا السؤال جملة وقد تكلمنا على تفصيل هذا السؤال بعد هذا ويلزمهم ضرورة اذ قالوا انه تعالى غير قادر على نفسه انه عاجز عن نفسه واطلاق هذا كفر صريح واما قولهم انه قد يعلم الله تعالى قادرا من لايعلمه عالما ويعلمه عالما من لايعلمه قادراً فلا حجة فى ذلك لان جهل من جهل الحق ليس بحجة على الحق وقد نجد من يعلم الله عز وجل ويعتقد فيه انه عز وجل جسم فليست الظنون حجة فى ابطال حق ولا فى تحقيق باطل فصح ان علم الله تعالى حق وقدرته حق وقوته حق وكل ذلك ليس هو غير الله تعالى ولا العلم غير القدرة ولا القدرة غير العلم إذ لم يات دليل بغير هذا لا من عقل ولا من سمع وبالله تعالى التوفيق وجهم بن صفوان سمرقندى يكنى ابا محرز مولى لبنى راسب من الازد وكان كاتباً للحارث ابن شريح التميمى ايام قيامه بخراسان وظفر مسلم بن احوز التميمى بجهم فى تلك الايام فضرب عنقه (قال ابو محمد) ومعنى كل ما جاء فى القرآن من الايات التى ذكروا هو ما نبينه ان شاء الله تعالى بحوله عز وجل * هو انه لما اخبرنا الله عز وجل بان اهل النار لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه واخبرنا عز وجل بانه يعلم متى تقوم الساعة واخبرنا بما تقول اهل الجنة واهل النار قبل ان يقولوا وسائر ما فى القرآن من الاخبار الصادقة عما لم يكن بعد علمنا بذلك ان علمه تعالى بالاشياء كلها مقدم لوجودها ولكونها ضرورة وعلمنا ان كلامه عز وجل لايتناقض ولا يتدافع وان المراد بقوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم وسائر ما فى القرآن من مثل هذا انما هو على ظاهره دون تكلف تأويل بل على المعهود بيننا كقوله تعالى * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى * انما هو كله على حسب ادراك المخاطب ومعنى ذلك اى حتى نعلم من يجاهد منكم مجاهدا ونعلم من يصبر منكم صابرا وهذا لا يكون الا فى حين جهادهم وحين صبرهم واما قبل ان يجاهدوا ويصبروا فانما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين وانهم سيجاهدون ويصبرون فاذا جاهدوا علمهم حينئذ مجاهدين وانما الزمان فى كل هذا للعلوم واما علمه تعالى ففى غير زمان وليس ههنا تبدل علم وانما يتبدل المعلوم فقط والعلم بكل ذلك لم نزل غير متبدل فان قالوا متى علم الله عز يدا ميتا

---

(١) قوله ولا فرق هذه زلة فان المقدور ممكن والمعلوم لايلزم ان يكون ممكنا فلو قلنا الله قادر على نفسه والمقدور لابد ان يكون منفعلا للقادر لكان الله منفعلا لنفسه وهذا عين الامكان المحال بخلاف ما لو قلنا عالم بنفسه لان العالمية ليست صفة تاثير فاى فرق بينهما تامل

وعمل أما العلم فالاحاطة بحركات الكواكب والافلاك وكيفية تصرف الروحانيات فيها وأما العمل فصنعة الاشخاص في مقابلة الهياكل على النسب بل قوم مخصوصون أو واحد في كل زمان يحيط بذلك علما وتيسر له عملا فقد أثبتم متوسطا عالما من جنس البشر فقد ناقض آخر كلامكم أوله وزادوا لهذا تقريرا آخر بالزام الشرك عليهم إما الشركة في أفعال الباري تعالى وإما الشركة في أوامره أما الشرك في الافعال هو اثبات تأثيرات الهياكل والافلاك فان عندهم الابداع الخاص بالرب تعالى هو اختراع الروحانيات ثم تفويض أمور العالم العلوي اليها والفعل الخاص بالروحانيات هو تحريك الهياكل ثم تفويض العالم السفلي اليها كمن يبني معملة وينصب أركانا للعمل من الفاعل والمادة والآلة والصورة ويفوض العمل الى التلامذة فهؤلاء اعتقدوا أن الروحانيات آلهة والهياكل ارباب والاصنام في مقابلة الكل باتخاذ وتصنع من كسبهم وفعلهم فالزم اصحاب الاصنام انكم تكلفتم كل التكليف حتى توقعوا حجرا جمادا في مقابلة هيكل وما بلغت صنعتكم الى احداث حياة فيه وسمع وبصر ونطق وكلام * افتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * اوليست أوضاعكم المطرية واشخاصكم الخلقية افضل منها وأشرف أوليست النسب والاضاة النجومية المرعية في خلقتكم أشرف وأكمل مما رعيتموها في صنعتكم * أفتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون * أو لستم تحتاجون الى المتوسط المعمول لقضاء حاجة أما جلب نفع ودفع ضر فهذا العالم الصانع اقدر اذ فيه ان القوة العلمية مايستعمل بها الهيكل العلوي ويستخدم الروحاني فهلا ادعى لنفسه ما يثبت بفعله في

فان قلتم لم يزل يعلمه ميتا وجب ان زيدا لم يزل ميتا وهذا محال وان قلتم لم يعلمه ميتا حتى مات فهذا قولنا لاقولكم فالجواب عن هذا اننا لانقول شيئا مما ذكر ولكننا نقول ان الله عز وجل لم يزل يعلم انه سيخلف زيدا وانه سيعيش كذا وكذا وانه سيموت في وقت كذا فعلم الله تعالى بكل ذلك واحد لايتبدل ولا يستحيل ولا زاد فيه تبدل الاحوال التي للمعلوم شيئا ولا نقص منه عدمها شيئا ولا احدث له حدوث ذلك علما لم يكن وانما تغاير المعلومات لاالعلم ولاالعليم ولا القدرة ولا القدير والفرق بين القول متى علم الله زيدا ميتا وبين القول متى علمت زيدا ميتا فرق بين وهو ان علمي بان زيدا مات هو عرض حدث في النفس بحدوث موت زيد وهو غير علمي بان زيدا حي وانه سيموت لان علمي بان زيداً سيموت انما هو علم بانه ستحدث حال مقتضيه لموته يوما مالا علمنا بوجود الموت وعلمي بان زيداً ميت علم بوجود الموت فهو غير العلم الاول وكلاهما عرض مخلوق في النفس وعلم الله تعالى ليس كذلك لانه ليس هو شيئا غير الله عز وجل ولو كان علم الله محدثا لوجب ضرورة ان يكون على حكم سائر المحدثات وبضرورة العقل نعلم ان العلم كيفية عرض والعرض لايقوم البتة الا في جسم ومحال ان يكون العلم محمولا في غير العالم به فكان يجب من هذا القول بالتجسيم وهذا قول قد بطل بما قدمنا من البراهين على وجوب حدوث كل جسم وعرض فان قال قائل علم الله تعالى عرض حادث في المعلوم قائم به لا بالباري عز وجل ولا بنفسه قلنا له وبالله تعالى التوفيق بنص القرآن علمنا ان الله عز وجل عنده علم الساعة وعلم مالا يكون ابداً ان لو كان كيف كان يكون اذ يقول تعالى * ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * ولقوله تعالى لنوح عليه السلام * انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن * وأخبر تعالى انهم مغرقون فلو كان علم الله تعالى عرضا قائما في المعلوم والمعلوم الذي هو الساعة غير موجود بعد والعلم موجود بيقين فلا بد ضرورة من أحد امرين لا ثالث لهما اما ان يكون المعلوم موجودا لوجود العلم به وهذا باطل بضرورة الحس لان المعلوم الذي ذكرنا معدوم فيكون معدوما موجودا في حين واحد من جهة واحدة او يكون العلم الموجود قائما بمعلوم معدوم فيكون عرض موجود محمولا في حامل معدوما وهذا تخليط ومحال فاسد البتة وانما كلامنا هذا مع اهل ملتنا المقرين بالقرآن وأما سائر الملل فليس نكلمهم في هذا لانها نتيجة مقدمات سوالف ولا يجوز الكلام في النتيجة الا بعد اثبات المقدمات فان ثبت المقدمات ثبتت النتيجة والبرهان لايعارضه برهان فكل ماثبت ببرهان فمورض بشيء فانما هو شغب بلا شك وان لم تصح المقدمات فالنتيجة باطلة دون تكلف دليل ومقدمات ماذكرنا هي اثبات التوحيد وحدوث العالم ونقل الكواف لنبوة محمد صلى الله

الله عليه وسلم وللقرآن فان ذكروا الآيات التى فى القرآن مثل * لعله يتذكر او يخشى لعلكم تؤمنون لعلكم تشكرون لعلكم تذكرون * ونحو ذلك فانما هى كلها بمعنى لام العاقبة أى ليتذكر ولتؤمنوا وليشكروا وليتذكروا وليخشى على ظاهر الامر عندنا من امكان كل ذلك منا كما قال عز وجل * ليبلوكم أيكم احسن عملا * وقال عز وجل * ثم لتكونوا شيوخا * فهذا ايضا على الامكان ممن عاش والاول على الممكن من الناس عند الخطاب والدعاء الى الله تعالى وكذلك كل ماجاء فى القرآن بلفظه او فانما هو على احد وجهين أما على الشك من المخاطبين لا من الله تعالى وأما بمعنى التخيير فى الكل كقول القائل جالس الحسن اوابن سرين برهان ذلك ورود النص بانه تعالى لا يضل ولا ينسي وانه قد علم ان فرعون لايؤمن حتى يري العذاب وكما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وبهذ تتألف النصوص كلها فلم يبق لاهل القول بحدوث العلم الا ان يقولوا انه تعالى خلق شيئا ما كان جاهلا لعلمه بالساعة

(قال ابو محمد) وهذا من السخف ما هو من العلم لان علم العالم لا يقوم بغيره ولا يحمله سواه هـذا امر يعلم بالضرورة والحس فمن ادعى دعوى لا يأتي عليهـا بدليل فهى باطلة فكيف اذا ابطلها الحس وضرورة العقل ويبين ماقلنا نصا قوله تعالى حاكيا عن نبيـه موسى عليـه السلام انه قال لبنى اسرائيل * عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون * هذا مع قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامـددناكم باموال وبنين وجعلنـاكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ماعلو تتبيرا عسي ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا * فهذا نص قولنا انه قد علم تعالى ما يفعلون واخبر بذلك ثم مع هذا اخرج الخطاب بما هو وعد عندنا بلفظ عيسى وفينظر

(قال ابو محمد) فاذا قد صح ماذكرنا فقد ثبت ضرورة أن قول القائل متى علم الله زيدا ميتا سؤال فاسد بالضرورة لان متى سؤال عن زمان وعلم الله تعالى ليس فى زمان اصلا لانه ليس هو غير الله تعالي وقـد مضى البرهان على ان الله تعالي ليس فى زمان ولا فى مكان وانما الزمان والمكان للمعلوم فقط بما بينا وبالله تعالى التوفيق فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء * فقال ان من للتبعيض ولا يتبعض الا محدث مخلوق ولا يحاط الا بمخلوق محدث وقد نص الله تعالى انه يحاط بما شاء من علمه فوجب ان علمه مخلوق لانه محاط ببعضه وهو متبعض فالجواب وبالله تعالى

جمادولهذا الالزام تفطن اللعين فرعون حيث ادعى الالهية والربوبية لنفسه وكان فى الاول على مذهب الصابئة فصباعن ذلك وادعى الى نفسه انا ربكم الاعلى ماعلمت لكم من اله غيرى اذ راى فى نفسه قوة الاستعمال والاستخدام والاستظهار بوزيره هامان وكان صاحب الصنعة فقال ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وكان يريدان يبنى صرحا مثل الرصد فيبلغ به الى حركات الافلاك والكواكب وكيفية تركيبها وهيآتها وكمية ادوارها واكوارها فلربما يطلع على سر التقدير فى الصنعة ومآل الامر فى الخلقة والفطرة ومن اين له هـذه القوة والبصيرة ولكن اغترارا بنوع فطنته وكياسة فى جبلته واغترارا بضرب امهال فى مهلته فـلما تمت لهم الصنعة حتى اغرقوا فادخلوا نارا فحدث بعده السامرى وقد نسخ على منواله فى الصبوة حتى اخذ قبضة من اثر الروحانى واراد ان يرقى الشخص الجمادى عن درجتـه الى درجـة الشخص الحيوانى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فما كان امكنه ان يحدث ماهو اخص اوصاف المتوسط من الكلام والهداية الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا فانحسر فى الطريق حتى كان منا لامر ماكان وقيل لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ويا عجبا من هذا الامر حيث اغرق فرعون فادخل النار مكافاة على دعوى الالهية لنفسه واحرق العجل ثم نسف فى اليم مكافاة على اثبات الالهية له وماكان النار والماء على الحنفاء يد الاستيلاء قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى هذه مراتب الشرك فى الفعل والخلق ويشبه ان يكون دعوى اللعينين نمرود وفرعون انهما الهان ارضيان كالهة السماوية الروحانية دعوى الهية من حيث الامر لا من حيث الفعل والخلق والا ففى زمان كل واحد منهما من هو اكبر سنا منه واقدم فى الوجود عليه فلما ظهر من دعواهما ان الامر

كله لما فقد ادعيا الالهية لنفسهما وهذا هو الشرك الذي ألزمه المتكلم على الصابي فانه بما ادعى انه أثبت في الاشخاص ما يقضي به حاجة الخلق فقد عاد بالتقدير الى صنعته ووقف التدبير على معاملته فكان الامر بازهذا الفعل واجب الاقدام عليه وهذا واجب الاحجام عنه امر في مقابلة امر الباري تعالى والمتوسط فيه متوسط الامر فكان شركا اذ لم ينزل الله به سلطانا

ولا اقام عليه حجة وبرهانا كيف وما يتمسك به من الاحكام مرتبة على هيئات فلكية لم تبلغ قوة البشر قط الى مرعاتها ولا يشك ان الفلك كله يتغير لحظة فلحظة بتغير جزء من اجزائه تغير الوضع والهيئة بحيث لم يكن على تلك الهيئة فيما سبق ولا يرجع الى تلك الحالة فيما يستقبل ومتى يقف الحاكم على تغيرات الاوضاع حتى يكون صنعته في الاشخاص والاصنام مستقيمة واذا لم يستقم الصنعه فكيف تكون الحاجة مقضية فقد رفع الحاجه الى من لا يرفع الحوائج اليه فقد اشرك كل الشرك وأما الطريق الثاني فاقامه الحجة علي اثبات المذهب وللمتكلم الحنفاء فيه مسلكان أحدهما ان يسلك الطريق نزولا من امر الباري تعالى الى سد حاجات الخلق والثاني ان يسلك الطريق صعودا من حاجات الخلق الى اثبات امر الباري تعالي ثم يخرج الاشكالات عليها

اما الاول قال المتكلم الحنيف قد قامة الحجة علي ان الباري تعالى خالق الخلائق هكذا ورازق العباد وانه الملك الذي له الملك والملك هو ان يكون له على عباده امر وتصريف وذلك ان حركات العباد قد انقسمت الى اختيارية وغير اختيارية فما كان منها باختيار من جهتهم فيجب ان يدون للمالك فيها حكم وامر وما كان منها بلا اختيار فيجب ان يكون له فيها تصريف وتقدير ومن المعلوم ان ليس كل احد يعرف حكم الباري تعالي وامره فلابد اذا من واحد يستأثره

التوفيق ان كلام الله تعالى واجب ان يحمل على ظاهره ولا يحال عن ظاهره البته الا ان يأتي نص او اجماع او ضرورة حس على ان شيئا منه ليس على ظاهره وانه قد نقل عن ظاهره الى معنى آخر فالانقياد واجب علينا لما اوجبه ذلك النص والاجماع او الضرورة لان كلام الله تعالى واخباره واوامره لا تختلف والاجماع لاياتي الا بحق والله تعالى لا يقول الا الحق وكل ما ابطله برهان ضروري فليس بحق فان هذا كما قلنا وقد ثبت ضرورة ان علم الله تعالى ليس عرضا ولا جسما اصلا لا محمولا فيه ولا في غيره ولا هو شيء غير الباري عز وجل فبالضرورة نعلم ان معنى قوله عز وجل ولا يحيطون بشيء من علمه انما المراد العلم المخلوق الذي اعطاه عباده وهو عرض في العالمين محمول فيهم وهو مضاف الى الله عز وجل بمعنى الملك وهذا لاشك فيه لانه لا علم لنا الا ما علمنا قال الله عز وجل * وما اوتيتم من العلم الا قليلا * يريد تعالى ما خلق من العلوم وبثها في عباده كما قال الخضر لموسي عليهما السلام اني على علم من علم الله لا تعلمه انت وانت علي علم من علم الله لا اعلمه انا وما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من البحر (قال ابو محمد) فهذه اضافة الملك وكما قال تعالى في عيسى انه روح الله وهذا كله اضافة الملك فهذا معنى قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقد نفى الله تعالى الاحاطة من الخلق به فقال عز وجل ولا يحيطون به علما

(قال ابو محمد) ويخرج ايضا علي ظاهره احسن خروج دون تاويل ولا تكلف فيكون معنى قوله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء أي من العلم بالله تعالى وهذا حق لاشك فيه لاننا لا نحيط من العلم به تعالى الا بما علمنا فقط قال تعالى ولا يحيطون به علما فيكون معنى من علمه اي من معرفته فان قالوا فما معنى دعائكم الله في الرحمة والمغفرة وهل يخلو ان يكون سبق علمه بالرحمة فاي معنى للدعاء فيما لا بد منه وهل هو الا كمن دعى في طلوع الشمس غدا اوفى ان يجعل انسانا انسانا اوفي ان تكون الارض ارضا وان كان سبق في علمه تعالى خلاف ذلك فاي معنى في الدعاء فيما لا يكون وهل هو الا كمن دعى في ان لا تعدم الساعة اوفي ان لا يكون الناس ناسا فيقال لهم وبالله التوفيق الدعاء عمل امرنا الله تعالى به لا على انه يرد قدراً ولا انه يكون من اجله ما لا يكون لكن الله تعالى قد جعل في سابق علمه الدعاء الذى سبق في علمه قبوله يكون سبباً لما سبق في علمه كونه كما جعل في سابق علمه الغذا بالطعام والشراب سببا لبلوغ الاجل الذى سبق في علمه البلوغ اليه وكذلك سائر الاعمال وقد نص تعالى علي انه تعالى يعلم اجال العباد قال تعالى * فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * ومع ذلك فقد جعل تعالى الاكل والشرب سببا الى استيفاء ذلك المقدار وكل ذلك سابق في علمه عز وجل والدعاء

بتعريف حكمه وأمره في عباده وذلك الواحد يجب ان يكون من جنس البشر حتى يعرفهم احكامه واوامره ويجب أن يكون مخصوصا من عند الله بآيات خليقية هي حركات تصريفية وتقديرية يجريها على يده عند التحدي بما يدعيه تدل تلك الآيات على صدقه نازلة منزلة التصديق بالقول ثم اذا ثبت (١٠٥) صدقه وجب اتباعه في جميع مايقول ويفعل وليس يجب الوقوف على كل ما يأمر به وينهى عنه اذ ليس كل علم يبلغ اليه كل قوة بشرية ثم الوحي من عند الله العزيز يمد حركاته الفكرية والقولية والعملية بالحق في الافكار والصدق في الاقوال والخير في الافعال فبطرف يماثل البشر وهو طرف الصورة وبطرف يوحى اليه وهو طرف المعنى والحقيقة * قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا * فبطرف يشابه نوع الانسان وبطرف يماثل نوع الملائكة وبمجموعهما يفضل النوعين حتى يكون بشريته فوق بشرية النوع مزاجا واستعدادا وملكيته فوق ملكية النوع الآخر قبولا وارواء فلا يضل ولا يغوى بطرف البشرية ولا يزيغ ولا يطغى بطرف الروحانية فقد تقرر أن أمر البارى تعالى واحد لا كثرة فيه ولا انقسام له وما امرنا الا واحدة غير انه يلبس تارة عبارة العرب وتارة عبارة العبرية فالمصدر يكون واحدا والمظهر متعددا والوحي القاء الشيء الى الشيء بسرعة فيلقى الروح الامر اليه دفعة واحدة بلا زمان كلمح البصر فيتصور في نفسه الصافية صورة الملقى كما يتمثل في المرآة المجلوة صورة المقابل فيعبر عنه أما بعبارة قد اقترنت بنفس التصور وذلك هو آيات الكتاب واما بعبارة نفسه وذلك هو اخبار النبوة وهذا كله بطرفه الروحاني وقد يتمثل الملك الروحاني له بمثال صورة البشر تمثل المعنى الواحد بالعبارات المختلفة او تمثل الصورة الواحدة

هكذا وكذلك التداوي على سبيل الطب ولافرق وقد اخبرنا تعالى انه يصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم وامرنا مع ذلك بالدعاء بالصلاة عليه وقال تعالى قل رب احكم بالحق فامرنا بالدعاء بذلك وقد علمنا انه تعالى لا يحكم الا بالحق فصح ما قلنا من ان الدعاء عمل امرنا به فنحن نعمله حيث امرنا عز وجل به ولا نعمله حيث لم نؤمر به والحمد لله رب العالمين فاذ قد بطل بعون الله تعالى وتاييده قول من قال ان علم الله تعالى هو غير الله تعالى وهو مخلوق فلنتكلم بعون الله تعالى وتاييده على قول من قال ان علم الله تعالى هو غير الله تعالى وخلافه وانه لم يزل مع الله تعالى

(قال ابو محمد) هذا قول لا يحتاج في رده الى اكثر من انه شرك مجرد وابطال للتوحيد لانه اذا كان مع الله تعالى شيء غيره لم يزل معه فقد بطل ان يكون الله تعالى كان وحده بل قد صار له شريك في انه لم يزل وهذا كفر (١) مجرد ونصرانية محضة مع انها دعوى ساقطة بلا دليل اصلا وما قال بهذا احد قط من اهل الاسلام قبل هذه الفرقة المحدثة بعد الثلاثمائة عام فهو خروج عن الاسلام وترك للاجماع المتيقن وقد قلت لبعضهم اذ قلتم انه لم يزل مع الله تعالى شيء آخر هو غيره وخلافه ولم يزل معه فلماذا انكرتم على النصارى في قولها ان الله ثالث ثلاثة فقال لي مصرحا ما انكرنا (٢) على النصارى الا اقتصارهم على الثلاثة فقط ولم يخلو معه تعالى اكثر من ذلك فامسكت عنه ان صرح بان قولهم ادخل في الشرك من قول النصارى وقولهم هذا رد لقول الله عز وجل قل هو الله أحد فلو كان مع الله غير الله لم يكن الله أحد

(قال ابو محمد) وما كنا نصدق من أن ينتمي الى الاسلام يأتي بهذا لولا انا شاهدناهم وناظرناهم ورأينا ذلك صراحا في كتبهم ككتاب السمناني قاضي الموصل في عصرنا هذا وهو من اكابرهم وفي كتاب المجالس للاشعري (٣) وفي كتب لهم اخر

(١) قوله وهذا كفر الخ هذا التشنيع في غير محله اذ لم يقل احد من هذه الفرقة بان الله له شريك اذ الشريك ذات مغايرة لله اتصفت بالالوهية معه وهم لم يقولوا ذلك بل نزهوا الله عن الشريك وانما قالوا الاله ذات متصفة بصفات وصفاته ليست شريكا له فكيف نسبة من يقول ذلك الى النصرانية نعوذ بالله من الزلل اه

(٢) قوله ما انكرنا الخ هذا الذي قاله المصنف لم تقل به الاشاعرة ولا غيرهم وهم انما انكروا على النصارى اثباتهم من يتصف بالالوهية معه جل شأنه وحاشى ان يقول هذا احد من اهل الاسلام اه

(٣) قوله وفي كتب الخ ان كان الذي في الكتب هو ما صرح به المناظر فهو كذب على الأشعري لان كتبه وكتب أصحابه ناطقة بخلاف ذلك وان كان اثبات صفات لله زائدة عن ذاته فهو ظاهر القرآن ولا يقتضي شركا ولا شيئا مما قاله فليكن الناظر على بصيرة ولا يهولنه هذا الخبط اه

في المرآة المتعددة او الظلال المتكثرة للشخص الواحد فيكالمه مكالمة حسية ويشاهده مشاهدة عينيه ويكون ذلك بطرفه الجسماني وان انقطع الوحي عنه لم ينقطع عنه التايد والعصمة حتى يقومه في افكاره ويسدده في أقواله ويوفقه في افعاله ولا تستبعدوا معاشر الصابئة تلقي الوحي على

الوجه المذكور ونزول الملك على النسق المقود وعندكم ان هرمس العظيم صعد الى العالم الروحاني فانخرط في سلكهم فاذا تصور صعود البشر فلم لا يتصور نزول الملك واذا تحقق انه خلع لباس البشرية فلم لا يجوز ان يلبس الملك لباس البشرية فالحنيفية اثبات الكمال في هذا اللباس اعني لباس الناس والصبوة اثبات الكلام في خلع كل لباس ثم لا يتطرق ذلك لهم حتى يثبتوا لباس الهيا كل اولا ثم لباس الاشخاص والاوثان ثانيا وقد قال رأس الحنفاء متبرئا عن الهيا كل والاشخاص اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين * واما الثاني وهو الصعود من حاجة الناس الى اثبات امر البارى تعالى قال المتكلم الحنيف لما كان نوع الانسان محتاجا الى اجتماع على نظام وذلك الاجتماع لن يتحقق الا بحدود واحكام حركاته ومعاملاته يقف كل منهم عند حده المقدر له لا يتعداه وجب ان يكون بين الناس شرع يفرضه شارع يبين فيه احكام الله تعالى في الحركات وحدوده في المعاملات فيرتفع به الاختلاف والفرقة ويحصل به الاجتماع والالفة وهذا الاحتياج لما كان لازما لنوع الانسان ضرورة يجب ان يكون المحتاج اليه قائما ضرورة بحيث يكون نسبته اليهم نسبة الغنى والفقير والمعطى والسائل والملك والرعية فان الناس لو كانوا كلهم ملوكا لم يكن ملك اصلا كالو كانوا كلهم رعايا لم يكن رعية ثم لا يبقى ذلك الشخص ببقاء الزمان وعمره لا يساوى عمر العالم فينوب منابه علماء امته ويرث علمه امناه

(قال أبو محمد) والعجب مع هذا كله تصريح الباقلاني وابن فورك في كتبهما في الاصول وغيرها بان علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد (١) وهذه حماقة ممزوجة بهوس اذ جعلوا مالم يزل محدودا بمنزلة المحدثات وكل ما أدخلناه على المنانية والنصارى ومن يبطل التوحيد فهو داخل على هذه الفرقة حرفا بحرف فاغنانا أن نحيل على ذلك عن تكراره ونعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) هذا مع قولهم أن التغاير لا يكون الا فيما جاز أن يوجد أحدهما دون الآخر

(قال أبو محمد) وهذه غاية السخافة لانه دعوى بلا برهان عليها لا من قرآن ولا سنة ولا معقول ولا لغة أصلا وما كان هكذا فهو باطل ويلزمهم علي هذا أن الخلق ليسوا غير الخالق تعالى لانه لا يجوز أن يوجد الخلق دون الخالق فان قالوا جائز أن يوجد الخالق دون الخلق قلنا نعم فمن أين لكم أن أحد التغاير هو أنه لا يجوز أن يوجد أحدهما أيهما كان دون الآخر وهذا مالا سبيل لهم اليه ويلزمهم لزوما لا ينفكون عنه أن الاعراض ليست غير الجواهر لانه لا يجوز البتة ولا يمكن ولا يتوهم وجود أحدهما دون الآخر جملة ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وحد التغاير الصحيح هو ما شهدت له اللغة وضرورة الحس والعقل وهو أن كل مسميين جاز أن يخبر عن أحدهما بخبر من لا يخبر به عن الآخر فهما غير أن لابد من هذا وبالجملة مالم يكن غير الشيء نفسه فهو غيره ومالم يكن غير الشيء فهو نفسه وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ فاذ قد بطل بعون الله تعالى وتاييده قول من قال ان علم الله تعالى هو غير الله ثم جعله مخلوقا أو جعله لم يزل فلنقل سائر الاقوال في هذه المسألة ان شاء الله عز وجل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(قال ابو محمد) من قال ان علم الله تعالى ليس هو الله تعالى ولا هو غيره ولكنه صفة ذات لم يزل فكلام فاسد محال متناقض يبطل بعضه بعضاً لأنهم اذ قالوا علم الله تعالي ليس هو الله فقد أوجبوا بهذا القول ضرورة انه غيره ثم اذ قالوا ولا هو غيره فقد ابطلوا الغيرية وأوجبوا بهذا القول ضرورة انه هو فصح انه سواء قول القائل هو هو ولا غيره وقول القائل هو هو وهو غيره

---

(١) قوله تحت حد واحد الخ هذا لا يقوله هذان الامامان فان عندهما علم الله قديم وعلمنا حادث فكيف يشترك القديم مع الحادث في حد فلعل لهما كلاما لم يفهمه فتخيل منه ذلك او افترى عليهما هذا النقل ومذهب الاشعرى واصحابه معلوم ولا يؤخذ من كلام ابن حزم اه

فان معنى هاتين القضيتين واحد لايختلف (١) وكلا العبارتين باطل مناقض لايعقل نفي واثبات معاوهذا تخليط الممرورين نعوذ بالله من الخذلان والعجب من احتجاج بعضهم في هذا الباطل بان قال ان الطول ليس هو الطويل ولا هو غيره

(قال ابو محمد) وهذا من اطم مايكون من الجهل والمكابرة اذ لايدرى هذا القائل ان الطويل جوهر جسم قائم بنفسه حامل لطوله ولسائر اعراضه وان الطويل عرض من الاعراض محمول في الطويل غير قائم بنفسه فمن جهل ان المحمول غير الحامل وان القائم بنفسه هو غير مالا يقوم بنفسه فهو عديم حس وينبغي له أن يعلم قبل ان يهدر ونحن نريه الطين الطويل يدور فيذهب الطول والتربيع ويأتي التدوير والذي كان طويلا باق بحسه فهل يخفى على سالم التمييز أن الذاهب غير الآتي وان الفاني غير الباقي فبالضرورة نعلم ان الطول غير الطويل ثم نقول لمن تعلق بهذه العبارة الفاسدة اخبرونا هل يخلو كل اسمين متغايرين من أحد وجهين ضرورة لاثالث لها البتة اما أن يكون الاسمان واقعين معا على شيء واحد يعبر بذينك الاسمين على ذلك الشيء الذي علق عليه واما أن يكون الاسمان واقعين على شيئين اثنين يعبر بكل اسم منهما على حدته عن الشيء الذي علق عليه ذلك الاسم هذان وجهان لابد من أحدهما ضرورة لكل اسمين وأي هذين كان فهو مبطل لتخليط من قال لا هو هو ولا غيره وقد زاد بعضهم في الشعوذة والسفسطة وافساد الحقائق فاتى بدعوي فاسدة وذلك أن قال لايكون الشيء غير الشيء الا اذا أمكن أن ينفرد أحدهما عن الآخر

(قال أبو محمد) وهذه دعوى مجردة بلا دليل فلو لم يكن الا هذا لسقط هذا التمويه فكيف وهى قضية فاسدة لانها توجب أن كلية الاعراض ليست غير كلية الجواهر لانه لاسبيل الى انفراد الجواهر عن الاعراض ولا انفراد الاعراض عن الجواهر فكفى فساداً بكل هذيان أدى الى مثل هذا التخليط

(قال أبو محمد) حد التغاير في الغيرين هو أن كل شيء أخبر عنه بخبر مالا يكون ذلك الوقت خبرا عن الشيء الآخر فهو بالضرورة غير مالا يشاركه في ذلك الخبر وليس في كل مايعلم ويوجد شيئان يخلوان من هذا الوصف بوجه من الوجوه وهذا مقتضي لفظة الغير في اللغة وبالله تعالى التوفيق مع أن هذا أمر يعلم بضرورة الحس والعقل وحد الهوية هو أن كل مالم يكن غير الشيء فهو هو بعينه اذ ليس بين الهوية والغيرية وسيطة يعقلها أحد البتة فما خرج عن أحدهما دخل في الآخر ولا بد وأيضاً فكل اسمين مختلفين

(١) قوله وكلا العبارتين الخ مذهب الاشعري ان صفات الله ليست هو ولا غيره غيرا منكفا بمعنى ان صفاته العلية لاتنفك عن ذاته وتعدم مع انها ليست غير الذات فاي تخليط في ذلك انما التخليط عند من لم يفهم مذهبه وشنع من غير فهم نعوذ بالله من التعب

شريعته فيبقى سنته ومناهجه ويضيء على البرية مدا الدهر سراجه والعلم بالتوارث وليست النبوة بالتوارث والشريعة تركة الانبياء والعلماء ورثة الانبياء قالت الصابئة الناس متماثلة في حقيقة الانسانية والبشرية ويشملهم حداً وحدا وهو الحيوان الناطق المائت والنفوس والعقول متساوية في الجوهرية فحد النفس بالمعنى الذي يشترك فيه الانسان والحيوان والنبات انه كمال جسم طبيعي الى ذي حياة بالقوة وبالمعنى الذي يشترك فيه نوع الانسان والملائكة انه جوهر غير جسم هو كمال الجسم محرك له بالاختيار عن مبدأ نطقي اي عقلي بالعقل او بالقوة فالذي بالعقل هو خاصة النفس الملكية والذي بالقوة هو فصل النفس الانسانية واما العقل فقوة او هيئة لهذا النفس مستعدة لقبول ماهيات الاشياء مجردة عن المواد والناس في ذلك على استوا من القدم وانما الاختلاف يرجع الى احد امرين احدهما اضطراري وذلك من حيث المزاج المستعد لقبول النفس والثاني اختياري وذلك من حيث الاجتهاد المؤثر في رفع الحجب المادية وتصقيل النفس عن الصداة المانعة لارتسام الصور المعقولة حتى لو بلغ الاجتهاد الى غاية الكمال تساوت الاقدام وتشابهت الاحكام فلا يتفضل بشر على بشر بالنبوة ولا يتحكم احد على احد بالاستتباع اجابت الحنفاء بان التماثل والتشابه في الصور البشرية والانسانية فسلم الامرية فيه وانما التنازع بيننا في النفس والعقل قائم فان عندنا النفوس والعقول على التضاد والترتيب وعلينا بيان ذلك على مساق حدودكم ومذاق اصولنا فقولكم ان النفس جوهر غير جسم هو كمال الجسم محرك له بالاختيار وذلك اذا اطلق النفس على الانسان والملك وهو كمال جسم طبيعي آلى ذي حياة بالقوة اذا اطلق على الانسان والحيوان فقد جعلتم لفظ النفس من الاسماء المشتركة وميزتم بين النفس

لا يخبر عن مسمى أحدهما بشئ الا كان ذلك الخبر خبرا عن مسمى الاسم الاخر ولا بد أبدا فمسماهما واحد بلا شك فاذ قد صح فساد هذا القول فلنقل بعون الله تعالى في عبارة الاشعرى الاخرى وهو قوله هو هو ولا يقال هو غيره فنقول انه لم يزد في هذه العبارة على أن قال لا يقال في هذا شئ

(قال ابو محمد) وهذا خطأ لانه لا بد ضرورة من احد هذين القولين فسقط هذا القول ايضا اذ ليس فيه بيان الحقيقة واما قول ابى الهذيل ان علم الله هو الله فانه تسمية منه للبارى تعالى باستدلال ولا يجوز أن يخبر عن الله تعالى ولا ان يسمى باستدلال البتة لانه بخلاف كل ما خلق فلا دليل يوجب تسميته بشئ من الاسماء التي يسمى بها شئ من خلقه ولا ان يوصف بصفة يوصف بها شئ من خلقه ولا ان يخبر عنه بما يخبر به عن شئ من خلقه الا ان يأتي نص بشئ من ذلك فيوقف عنده فمن وصفه تعالى بصفة يوصف بها شئ من خلقه او سماه باسم يسمى به شئ من خلقه استدلالا لا على ذلك بما وجد في خلقه فقد شبهه تعالى بخلقه وألحد في اسمائه وافترى الكذب ولا يجوز ان يسمى الله تعالى ولا ان يخبر عنه الا بما سمى به نفسه او اخبر به عن نفسه في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اوصح به اجماع جميع اهل الاسلام المتيقن ولا مزيد وحتى وان كان المعنى صحيحا فلا يجوز ان يطلق عليه تعالى اللفظ وقد علمنا يقينا أن الله عز وجل بنى السماء قال تعالى *والسماء بنيناها بايد* ولا يجوز ان يسمى بناء وانه تعالى خلق اصباغ النبات والحيوان وانه تعالى قال *صبغة الله* ولا يجوز ان يسمى صباغا وهكذا كل شئ لم يسم به نفسه وليس يجب ان يسمى الله تعالى بانه هو علمه وان صح يقينا ان له علما ليس هو غيره لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقد صح ان ذات الله تعالى ليست غيره وان وجهه ليس غيره وان نفسه ليست غيره وان هذه الاسماء لا يعبر بها الا عنه تعالى لا عن شئ غيره تعالى البتة ولا يجوز ان يقال انه تعالى ذات ولا انه وجه ولا انه نفس ولا انه علم ولا انه قدرة ولا انه قوة لما ذكرنا من امتناع ان يسمى بما لم يسم به نفسه عز وجل واما علم المخلوقين فهو شئ غيرهم بلا شك لانه يذهب ويعاقبه جهل والبارى تعالى لا يشبهه غيره في شئ من هذه الاشياء البتة بل هو تعالى خلاف خلقه في كل وجه فوجب ان علمه تعالى ليس غيره وقال تعالى ليس كمثله شئ

(قال ابو محمد) فاذ قال لنا قائل اذ العلم عندكم ليس هو غير الله تعالى وان قدرته ليست غيره وان قوته ليست غيره تعالى فانتم اذاً تعبدون العلم والقدرة والقوة فجوابنا في ذلك وبالله تعالى التوفيق اننا انما نعبد الله تعالى بالعمل الذى امرنا به لا بما سواه ولا ندعوه الا كما امرنا تعالى قال عز وجل *ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه* وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين* فنحن لا نعبد الا الله كما امرنا ولا نقول اننا نعبد العلم لان الله تعالى لم يطلق لنا ان نطلق هذا اللفظ ولا ان نعتقده

الحيواني والنفس الانساني والنفس الملكي فهلا زدتم فيه قسما ثالثا وهو النفس النبوى حتى يتميز عن الملكي كما يتميز الملكي عن الانساني فان عندكم المبدأ النطقي للانساني بالقوة والمبدأ العقلي للملك بالفعل فقد تغايرا من هذا الوجه ومن حيث أن الموت الطبيعي يطرأ على الانسان ولا يطرأ (١٠٨) على الملك وذلك تميز آخر فليكن في النفس النبوى مثل هذا الترتب وأما الكمال الذي تعرض له انما يكون كمالا للجسم اذا كان اختيار المحرك محمودا فاذا كان اختياره مذموما من كل وجه صار الكمال نقصانا وحينئذ يقع التضاد بين النفس الخيرة والنفس الشريرة حتى يكون احداهما في جانب الملكية والثانية في جانب الشيطانية فيحصل التضاد المذكور كما حصل الترتب المذكور فان الاختلاف بالقوة والفعل اختلاف بالترتب والاختلاف بالكمال والنقص والخير والشر اختلاف بالتضاد فيبطل التماثل ولا يظنن أن الاختلاف بين النفسين الخيرة والشريرة اختلاف بالعوارض فان الاختلاف بين النفس الملكية والشيطانية بالنوع كما أن الاختلاف بين النفس الانسانية والملكية بالنوع وكيف لا يكون كذلك والاختلاف هاهنا والفعل والاختلاف ثم بالخير والشر وهذا السر وهو أن الخير غريزة هي هيئة متمكنة في النفس باصل الفطرة وكذلك الشر طبيعة غريزية لست أقول فعل الخير وفعل الشر فان الغريزة غير والفعل المرتب عليها غير فتحقق أن هاهنا ثم نسألهم نفسا محركة للبدن اختيارا نحو الخير عن مبدأ عقلي أما بالقوة أو بالفعل وهو نقص للجسم وليس بجسم ولا يبنون طبعك من أمثال ما يورد عليك المتكلم الحنيف وانما يغترفه من بحر وليس ينحته من صخر فلربما لا يساعدك على أن الانسان نوع الانواع وان الاختلاف فيه يقع في العوارض واللوازم بل يثبت في النفوس الانسانية اختلافا جوهريا فيفصل بعضها عن

ثم نسألهم عما سالونا عنه بعينه فنقول لهم انتم تقرون ان وجه الله وعين الله ويد الله ونفس الله ليس شيء من ذلك غير الله تعالى بل ذلك عندكم هو الله فانتم اذا تعبدون الوجه واليد والعين والذات فان قالوا نعم قلنا لهم فقولوا فى دعائكم يايدالله ارحمينا وياعين الله ارضى عنا وياذات الله اغفرى لنا واياك نعبد وقولوا نحن خلق وجه الله وعبيد عين الله فان جسروا على ذلك فنحن لانجيز الاقدام على مالم ياذن به الله ولانتعدي حدوده فان شهدوا فلا نشهد معهم * ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * والذى الزمونا من هذا فهو لازم لهم لانه سؤال رضوه وصححوه ومن رضي شيئا لزمه ونحن لم نرض هذا السؤال ولا صححناه فلا يلزمنا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى سميع بصير وفى قديم)

(قال ابو محمد) واجمع المسلمون على القول بما جاء به نص القرآن من ان الله تعالى سميع بصير ثم اختلفوا فقالت طائفة من اهل السنة والاشعرية وجعفر بن حرب من المعتزلة وهشام ابن الحكم وجميع المجسمة نقطع ان الله سميع بسمع بصير ببصر وذهبت طوائف من اهل السنة منهم الشافعي وداود بن على وعبد العزيز بن مسلم الكنانى رضى الله عنهم وغيرهم الى ان الله تعالى سميع بصير ولا نقول بسمع ولا ببصر لان الله تعالى لم يقله ولكن سميع بذاته وبصير بذاته (قال ابو محمد) وبهذا نقول ولا يجوز اطلاق سمع ولا بصر حيث لم يات به نص لما ذكرنا آنفا من أنه لايجوز أن يخبر عنه تعالى مالم يخبر عن نفسه واحتج من اطلق على الله تعالى السمع والبصر بان قال لايعقل السميع الا بسمع ولا يعقل البصير الا ببصر ولايجوز أن يسمى بصيرا الا من له بصر ولايسمى سميعا الا من له سمع واحتجوا أيضا فى هذا وما ذهبوا اليه من ان الصفات متغايرة بانه لا يجوز ان يقال انه تعالى يسمع المبصرات ولانه يبصر المسموعات من الاصوات وقالوا هذا لايعقل

(قال ابو محمد) وكل هذين الدليلين شغب فاسد اما قولهم لايعقل السميع الا بسمع ولايعقل البصير الا ببصر فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق اما فيما بيننا فنعم وكذلك اصلا لم نجد قط فى شيء من العالم الذى نحن فيه سميعا الا بسمع ولا وجد فيه بصير الا ببصر فانه لم يوجد قط ايضا فيه سميع الا بجارحة يسمع بها ولا وجد قط فيه عالم الا بضمير فلزمهم ان يجروا على الله تعالى هذه الاوصاف وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهم لايقولون هذا ولا يستجيزونه واما المجسمة فانهم اطلقوا هذا وجوزوه وقد مضى نقض قولهم بعون الله وتأييده ويلزم الطائفتين كلتيهما اذا قطعوا ابا لله تعالى سمعا وبصرا لانه سميع بصير ولا يمكن ان يكون سميع بصير الا اذا سمع وبصر لاسيما وقد صح النص بان له تعالى عينا واعينا ان يقولوا انه ذو حدقة وناظر وطاق فى العين وذو أشفار واهداب لاننا نشاهد

بعض بالفصول الذاتية لا باللوازم العرضية فكما أن الاختلاف بالقوة والفعل في النفس الانسانية والملكية اختلاف جوهرى أوجب اختلاف النوع والنوع وان شملها اسم النفس الناطقة والفصل الذاتى هو القوة والفعل وكذلك نقول فى نفس لها قوة علم خاص وقوة عمل خاص وقوة خير وقوة شر وكمال مطلق هو أصل الخير ونقص مطلق هو أصل الشر واما ماذكره المتكلم الصابى من حد العقل انه قوة أو هيئة للنفس مستعدة لقبول ماهيات الاشياء مجردة عن المواد فغير شامل لجميع العقول عنده ولاعنده الحنيف بل هو تعرض للعقل الهيولاني فقط فاين العقل النظرى وحده انه قوة للنفس تقبل ماهيات الامور الكلية من جهة ماهى كلية واين العقل العملى وحده انه قوة للنفس هى مبداء التحريك للقوة الشوقية الى مايختار من الجزئيات لاجل غاية منظومة وأين العقل بالملكة وهو استكمال القوة الهيولانية حتى تصير قريبة من الفعل وأين العقل بالفعل وهو استكمال النفس بصورة ما او صورة معقولة حتى متى ماشاء عقلها واحضرها بالفعل وأين العقل المستفاد وهو ماهية مجردة عن المادة مرتسمة فى النفس على سبيل الحصول من خارج وأين العقول المفارقة وانها ماهيات مجردة عن المادة وأين العقل الفعال فانه من جهة ماهو عقل فانه جوهر صورى ذاته ماهية مجردة فى ذاتها لا بتجريد غيرها عن المادة وعن علائق المادة وهى ماهيته كل موجود ومن جهة ماهو فعال فانه جوهر بالصفة المذكورة من شأنه أن يخرج العقل الهيولاني من القوة الى الفعل باشراقه عليه فقد تعرض لنوع واحد من العقول ولاخلاف أن هذه العقول قد اختلفت حدودها وتباينت فصولها كما شئت فاخبرني أيها المتكلم

الحكيم من اى عداد تعد عقلك اولا وهل ترضى ان يقال لك تساوت الاقدام في العقول حتى يكون عقلك بالفعل والافادة كعقل غيرك بالقوة والاستعداد بل واستعداد عقلك لقبول المعقولات كاستعداد غبي غوى لا يرد عليه الفكر برادة ولا ينفك الخيال عن عقله كما لا ينفك (١١٠) الحس عن خياله واذا كانت الاقدام متساوية فما هذا الترتب في الاقسام واذا ثبت ترتبا في العقول فبالضرورة ان يرتقي في الصعود الى درجة الاستقلال والافادة وينزل في الهبوط الى درجة الاستعداد والاستفادة ثم هل في نوعه ماهو عديم الاستعداد اصلا حتى يشبه ان يكون عقلا وليس عقلا واما النوع الذي يشبه للشياطين اهو من عداد ماذكرنا ام خارج من ذلك فانك اذا ذكرت حد الملك وانه جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلي غير مائت هو واسطة بين البارى تعالى والاجسام السماوية والارضية وعدت اقسامه ان منه ماهو عقلي ومنه ماهو نفسي حسي فيلزمك من حيث التضاد ان تذكر حد الشيطان على الضد مما ذكرته من حد الملك وتعد اقسامه ونوعه ايضا يلزمك من حيث الترتب ان تذكر حد الانسان على الضد مما ذكرته من حد الملك وتعد اقسامه وأنواعه كذلك حتى يكون من الانسان ماهو محسوس فقط ومنه ما هو مع كونه محسوسا روحاني نفساني عقلي وذلك هو درجة النبوة فمن عقل عمل من حس ومن حس عمل من عقل أما ومن نفس مزاجي ومن مزاج نفساني ومن روح جسماني ومن جسم روحاني دع كلام العامة ولا تظنن هذه طامة قالت الصابئة حضرتمونا بابطال تساوي العقول والنفوس واثبات الترتب والتضاد فيها ولا شك ان من سلم الترتب فقد لزمه الاتباع فاخبرونا مارتبة الانبياء بالنسبة الى نوع الانسان ومارتبتهم بالاضافة الى الملاء والجن وسائر الموجودات ثم مامرتبة النبي عند البارى

في العالم ولا يمكن البتة ان تكون عين الذي عين يرى بها ويبصر الا هكذا والا فهي عين ذات طاقة او كعيون بعض الحيوان التي لا يطبقها وكذلك لا يكون في المعهود ولا يمكن البتة ان يكون سميع في العالم الا باذن ذات صماخ فيلزمهم ان يثبتوا هذا كله و الا فقد ابطلوا استدلالهم وزودوا استشهادهم بالمعهود والمعقول فان اطلقوا هذا كله تركوا مذهبهم وخرجوا الى اقبح قول المجسمة وقد ذكرنا فساد قولهم قبل والحمد لله رب العالمين فاذا جوزوا ان يكون البارى تعالى سميعا بصيرا بغير جارحة وهذا خلاف ماعهدوا في العالم وجوزوا ان يكون له تعالى عين بلا حدقة ولا ناظر ولا اطباق ولا اهداب ولا اشفار وهذا ايضا خلاف ماعهدوا في العالم فلا ينكروا قول من قال انه سميع لا بسمع بصير لا ببصر وان كان ذلك خلاف ماعهدوا اما عهدوا في العالم على ان بين القولين فرقا واضحا وهو اننا نحن لم نلتزم ان نحل تسميته عز وجل قياسا على ما عهدنا بل ذلك حرام لا يجوز ولا يحل لانه ليس في العالم شيء يشبهه عز وجل فيقاس عليه قال الله تبارك وتعالى * ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * فقلنا نعم انه سميع بصير لا كشيء من البصراء ولا السامعين مما في العالم و كل سميع وبصير في العالم فهو ذو سمع و بصر فالله تعالى بخلاف ذلك بنص القرآن فهو سميع كما قال لا يسمع كالسامعين و بصير كما قال لا يبصر كالمبصرين لا يسمى ربنا تعالى الا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه الا بما اخبر به عن نفسه فقط كما قال تعالى هو السميع البصير فقلنا نعم هو السميع البصير ولم يقل تعالى ان له سمعاً و بصراً فلا يحل لاحد ان يقول ان له سمعا و بصراً فيكون قائلا على الله تعالى بلا علم و هذا لا يحل وبالله تعالى نعتصم واما خصومنا فانهم اطلقوا انه لا يكون الا كما عهدوا من كل سميع وبصير في انه ذو سمع وبصر فيلزمهم ضرورة ان لا يكون الا كما عهدوا من كل سميع وبصير في انه ذو جارحة يسمع بها ويبصر بها ولا بد ولولا تلك الجارحة ماسمى احد من العالم سميعا ولا بصيرا ولا ابصر احد شيئا فان ذكروا قول الله تعالى * لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلنا لهم وبالله التوفيق هذه الآية اعظم حجة عليكم لان الله تعالى نص فيها على انهم لم يروا بعيونهم مايتعظون به ولا سمعوا باذانهم مايقبلونه من الهدى فلما كانت العيون والاذان لا ينتفع بها استحق الذم والنكال فلولا ان العين والاذن بهما يكون السمع والبصر ضرورة ولا بد لا بشيء دونهما مااستحق الذم من رزق اذنا وعينا سالمتين فلم يسمع بهما ويبصر مايهتدي به بعون الله عز وجل له وما كان يكون معنى لذكر الله عز وجل العين والاذن في السمع والبصر بهما لو جاز ان يكون سمع وبصر دونهما فبطل قولهم بالقرآن ضرورة وبالحس وبديهة العقل والحمد لله رب العالمين

أمامان وهو هوا به من قولهم انه لولا انه له سمعا وبصرا لجاز ان يقال انه تعالى يسمع الالوان ويرى الاصوات فهذا كلام لا يطلق فى كل شئ على عمومه لاننا انما خوطبنا بلغة العرب فلا يجوز ان نستعمل غيرها فيما خوطبنا به والذى ذكرتم من رواية الاصوات وسماع الالوان لايطلق فى اللغة التى خوطبنا فيما بيننا فليس لنا أن ندخل فى اللغة ماليس فيها الا ان ياتى بذلك نص فننقله على اللغة ثم نقول انه لو قال قائل انه تعالى سميع للالوان بصير بالاصوات بمعنى عالم بها لكان ذلك جائزا ولما منع من ذلك برهان فنحن نقول سمعت الله عز وجل يقول كذا وكذا ورأينا الله تعالى يقول كذا وكذا ويأمر بكذا ويفعل كذا بمعنى علمنا فهذا لاينكره احد ولا فرق بين هذا وبين ماسألوا عنه وايضا فان الله عز وجل يقول * اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير وهذا عموم لكل شيء كما قلنا فلا يجوز ان يخص به شيء دون شيء الا بنص آخر او اجماع او ضرورة ولا سبيل الى شيء من هذا فصح ماقلنا وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى يعلم السر واخفى * فصح انه بصيرا وسميعا وعليما بمعنى واحد ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق انه تعالى باجماع منا ومنكم هو السميع البصير وهو واحد غير متكثر ولا نقول انه السميع للالوان البصير بالاصوات الا على الوجه الذي قلنا وليس ذلك يوجب ان السميع غير البصير فالذى اردتم الزامه ساقطه وانما اختلفت معلوماته وانما هو تعالى واحد وعلمه بها كلها واحد يعلمها كلها بذاته لايعلم هو غيره البته وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل اتقولون ان الله عز وجل لم يزل سميعا بصيرا قلنا نعم لم يزل الله تعالى سميعا بصيرا عفوا غفورا عزيزا قديرا رحيما وهذا كل ماجاء فى القران بكان الله كما جاء كان الله سميعا بصيرا ونحو ذلك لأن قوله كان اخبار عما لم يزل اذا أخبر بذلك عن نفسه لا عمن سواه فان قالوا اتقولون لم يزل الله خالقا خلاقا رازقا قلنا لانقول هذا لان الله تعالى لم ينص على انه كان خالقا خلاقا رازقا لكننا نقول لم يزل الخلاق الرزاق ولم يزل الله تعالى لايخلق ولا يرزق ثم خلق ورزق من خلق وهذا يوجب ضرورة انها اسماء اعلام لا مشتقة (١) لانه لو كان خالق ورازق مشتقين من خلق ورزق لكان لم يزل ذا خلق يخلقه ويرزقه فان قيل فان السميع والبصير والرحمن والرحيم والعفو والغفور والملك كل ذلك يقتضى مسموعا ومبصرا ومرحوما ومغفورا له ومعفوا عنه وعدوما كما قلنا المعنى فى سميع وبصير عن الله تعالى هو المعنى فى عليم ولا فرق وليس مايظن اهل العلم من ان له تعالى

(١) قوله لانه لو كان الخ هذا غير لازم لان الخلق والرزق من تعلقات القدرة التنجيزية والتعلقات التنجيزية حادثة فلم يلزم من اتصافه بالخلقية التى هى من تعلقات قدرته ان يكون ذا خلق فى الازل تامل اه مصححه

تعالى فان عندنا الروحانيات اعلى مرتبة من من جميع الموجودات وهم المقربون فى الحضرة الآلهية والمكرمون لديه ونراكم تارة تقولون ان النبى يتعلم من الروحانى ونراكم تارة تقولون ان الروحانى يتعلم من النبى اجابت الحنفاء بان الكلام فى المراتب صعب ومن لم يصل الى رتبة من المراتب كيف يمكنه ان يستوفى اقسامها لكنا نعرف ان رتبته بالنسبة الينا رتبتنا بالنسبة الى من هو دوننا فى الجنس من الحيوانات فكما ان نعرف اسامى الموجودات ولا يعرفها الحيوانات كذلك هم يعرفون خواص الاشياء وحقائقها ومنافعها ومضارها ووجوه المصالح فى الحركات وحدودها واقسامها ونحن لا نعرفها وكما ان نوع الانسان ملك الحيوان بالتسخير فالانبياء ملوك الناس بالتدبير وكما ان حركات الناس معجزات الحيوانات كذلك حركات الانبياء معجزات الناس لان الحيوانات لايمكنها ان تبلغ الى الحركات الفكرية حتى تميز الحق من الباطل ولا ان تبلغ الى الحركات القولية حتى تميز الصدق من الكذب ولا ان تبلغ الى الحركات الفعلية حتى تميز الخير من الشر ولا التمييز العقلى لها بالوجود ولا مثل هذه الحركات لها بالفعل وكذلك حركات الانبياء لان منتهى فكرهم لاغاية له وحركات افكارهم فى محال القدس مما يعجز عنها اوة البشر حتى يسلم لهم لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل وكذلك حركاتهم القولية والفعلية لا يبلغ الى غاية انتظامها وجريانها على سنن الفطرة حركة كل البشر وهم فى الرتبة العليا والدرجة الاولى من درجات الموجودات كلها فقد احاطوا علما بما اطلعهم الرب تعالى على ذلك دون غيرهم من الملائكة والروحانيين ففى الاول ويكن حاله حال التعلم علمه شديد القوى وفى الاخير حاله حال التعليم وذلك فى حق آدم عليه السلام انبئهم

باسمائهم حيث كان الامر في بدء الظهور والكشف فكيف يكون الحال في نهاية الظهور وأما اضافتهم الى جناب القدس فالعبودية الخاصة * قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قولوا انا عباد مربوبين وقولوا في فضلنا ماشئتم احق الاسماء لهم وأخص الاحوال بهم عبده (١١٢) ورسوله لاجرم كان اخص التعريفات لجلاله تعالى باشخاصهم انه ابراهيم اله اسماعيل واسحاق اله موسى وهارون اله عيسى اله محمد عليهم الصلاة والسلام فكما أن من المعبودية ماهو عام الاضافة ومنها ماهو خاص الاضافة كذلك التعرف الى الخلق بالالهية والربوبية والتجلي للعباد بالخلوصية منه ماله عموم لرب العالمين ومنها ماله خصوص رب العالمين ومنها ماله خصوص رب موسى وهارون فهذه نهاية مذهب الصابئة والحنفاء وفي الفصول التي جرت بين الفريقين فوايد لا تحصى وكان في الخاطر بعد زوايا نريد عليها وفي القلب خفايا أكاد أخفيها فعدلت منها الى ذكر حكم هرمس العظيم لا على أنه من جملة فرق الصابئة حاشاه بل على أن حكمه مما يدل على تقرير مذهب الحنفاء في اثبات الكمال في الاشخاص البشرية وايجاب القول باتباع النواميس الالهية على خلاف مذاهب الصابئة حكم هرمس العظيم المحمود آثاره المرضي أقواله الذي يعد من الانبياء الكبار ويقال هو ادريس النبي عليه السلام وهو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة ورتبها في بيوتها وأثبت لها من الشرف والوبال والاوج والحضيض والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة وبين تعديل الكواكب وتقويمها وأما الاحكام المنسوبة الى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع وللهند والعرب طريقة أخرى في الاحكام أخذوها من خواص الكواكب لا من طبائعها ورتبوها على الثوابت لا على السيارات ويقال أن عاذيمون

سمعا وبصرا مختصين بالمسموع والمبصر تشبيها بخلقه سوى عمه لان الله تعالى لم ينص على ذلك فلزمنا ان نقوله ولا يجوز ان يخبر عن الله بغير ما اخبر عن نفسه لان الله تعالى يقول * ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * فصح انه تعالى سميع ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * فصح انه تعالى سميع ليس كمثله شيء من السامعين بصير لا كمثله شيء من البصراء فان قال قائل اتقولون ان الله عز وجل لم يزل يسمع ويرى ويدرك قلنا نعم لان الله عز وجل قال * انني معكما اسمع وارى * وقال تعالى * وهو يدرك الابصار * وقال تعالى * والله يسمع تحاوركما * وصح الاجماع بقول سمع الله لمن حمده وصح النص فما اذن الله لشيء اذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن فنقول ان يسمع ويرى واسمع وأرى ويدرك كل ذلك بمعنى واحد وهو معنى يعلم ولا فرق واما الاذن لنبي حسن الصوت فهي من الاذن بمعنى القبول كما يأذن الحاجب لماذون له في الدخول وليس من الاذن التي هي الجارحة ولو كان كما تظنون لكان بصره للمبصرات وسمعه للمسموعات محدثا ولكان غير سميع حتى سمع وغير بصير حتى ابصر ولم يدرك وحاشا له تعالى من هذا فكل هذا بمعنى العلم ولا مزيد فان قيل فان الله تعالى يقول * وربك يخلق مايشاء ويختار * قلنا نعم وخلق الله تعالى فعل له محدث واختياره تعالى هو خلقه لاغيره وليس هذا من يسمع ويبصر ويرى ويدرك في شيء لان معنى كل هذا ومعنى العلم سواء ولا يجوز ان يكون معنى يخلق ويختار معنى العلم واما العفو والغفور والرحيم والحليم والملك فلا يقتضي شيء من هذا وجود مرحوم معه ولا معفو عنه مغفور له معه ولا مملوك محلوم عنه معه بل هو تعالى رحيم بذاته عفو بذاته غفور بذاته ملك بذاته مع النص الوارد بانه تعالى كان كذلك وهي اسماء اعلام له عز وجل فان ذكروا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بينهم وبين ان يروه الارداء الكبرياء على وجهه لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره ففي هذا الخبر ابطال لقولهم لان فيه ان البصر منه ذو نهاية وكل ذي نهاية محدود محدث وهم لا يقولون هذا لكن معناه ان البصر قد يستعمل في اللغة بمعنى الحفظ قال النابغة

رأيتك ترعاني بعين بصيرة   وتبعث حراسا علي وناظرا

فمعنى هذا الخبر لو كشف تعالى الستر الذي جعل دون سطوته لاحرقت عظمته ما انتهى اليه حفظه ورعايته من خلقه وكذلك قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات انما هو بمعنى ان علمه وسع كل ذلك يعلم السر واخفى ثم نزيد بيانا بعون الله تعالى فنقول ان قولكم لا يعقل سميع الا بسمع ولا بصير الا ببصر فان كان هذا صحيحا يوجب ان يقال ان لله سمعا وبصرا فانه لا يعقل من له مكر الا وهو ماكر ولا من كان

من الماكرين الا وهو ماكر ولا يعقل احد ممن يستهزئ الا وهو مستهزئ ولا يعقل احد ممن يكيد الا وهو كياد ولا يعقل من له كيد ومكر الا وهو كياد ومكار ولا يكون خادع الا يسمى الخادع الخداع وذو خدائع ولا يعقل من نسي الا وهو ناس وذو نسيان هذا هو الذي لا سبيل الى ان يوجد في العالم خلافه وقد قال تعالى * واكيد كيدا * وقال تعالى * الله يستهزئ بهم * وقال تعالى * وهو خادعهم * وقال تعالى * افامنوا مكر الله * وقال تعالى * ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * و قال تعالى * قل لله المكر جميعا * وقال تعالى * نسوا الله فنسيهم * وقال تعالى * سخر الله منهم * فيلزمهم اذا سموا ربهم تعالى ووصفوا من طريق استدلالهم قياسهم وما شاهدوه في الحاضر عندهم ان يسموه ماكرا فيقولوا يا ماكر ارحمنا ويسموا بينهم عبد الماكر وكذلك القول في الكياد والمستهزئ والخداع والناسي والساخر والا فقد تناقضوا وتلاعبوا بصفات ربهم تعالى وبدينهم فان قالوا ان هذه الصفات ذم وعيب وانما نصفه تعالى بصفات المدح لزمهم مصيبتان عظيمتان احداهما اطلاقهم ان الله عز وجل اخبر عن نفسه في هذه الآيات بصفات الذم والعيب وهذا كفر والثانية ان يصفوا ربهم بكل صفة مدح وحمد فيما بينهم وان لم يأت بها نص والا فقد تناقضوا وقصروا فيصفوه بانه عاقل وانه شجاع جلد سخي حسن الاخلاق نزيه النفس تام المروءة كامل الفضائل ذو هيئة نبيل نعم المرء ويقولوا انه تياه قياساً على انه تعالى جبار متكبر ويقولوا انه مستكبر فهو والمتكبر في اللغة سواء وذو تيه وعجب وزهو ولا فرق بين هذا وبين المكر والكبرياء فيما بيننا فان فعلوا هذا خرجوا عن الاسلام بالاجماع الا ان يعذروا بشدة الجهل وظلمته وعماه وان يفروا عن ذلك تركوا ما قد دانوا به من تسميته الله تعالى ووصفه بان له سمعا وبصرا او سائر ما وصفوه تعالى به بآرائهم الفاسدة مما لم يأت به نص كقولهم قديم ومتكلم ومريد وان له ارادة لم تزل وسائر ما اجترؤا عليه بغير برهان من الله عز وجل وايضا فان هذه الصفات التي منعوا منها لانها بزعمهم صفات ذم فان السمع والبصر والحياة ايضا صفات نقص لانها اعراض دالة على الحدوث فيمن هي فيه فان قالوا ليست لله تعالى كذلك قيل لهم ولا تلك الصفات ايضا اذا اطلقتموها عليه ايضا صفات ذم ولا فرق ولقد قال لي بعضهم اما قلنا ان الله تعالى يكيد ويستهزئ ويمكر وينسى وهو خادعهم على معنى انه تعالى يقارضهم على هذه الافعال منهم بجزاء يسمى باسمائها فقلت لهم نعم هكذا نقول ولم ننازعك في هذا فتستريح اليه بل قلنا لكم سموه تعالى مستهزئاً وكيادا وخداعا وماكرا وناسيا وساخرا على معنى انه يقارضهم على هذه الافعال منهم بجزاء يسمى باسمائها كما قلتم في يكيد ويستهزئ وينسى وهو خادعهم سواء بسواء ولا فرق وقد قلتم ان الافعال توجب لفاعلها اسماء فعلها فسكت خاسئا وهذا ما لا انفكاك منه وبهذا وبما ذكرنا يعارض كل من قال اننا سمينا الله تعالى عالما لنفي الجهل وقادرا لنفي العجز ومتكلما لنفي الخرس وحيا

وهرمس هما شيث وادريس عليهما السلام ونقلت الفلاسفة عن عاذيمون أنه قال المبادي الاول خمسة الباري تعالى والعقل والنفس والمكان والخلاء وبعدها وجود المركبات ولم نقل هـذا عن هرمس قال هرمس أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه المحمود بسنخه المرضي في عادته المرجو في عاقبته تعظيم الله عز وجل وشكره على معرفته وبعد ذلك فللناموس عليه حق الطاعة له والاعتراف بمنزلته وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد ولنفسه عليه حق الاجتهاد والدأب في فتح باب السعادة ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالود والتسارع اليهم بالبذل فاذا أحكم هذه الاسس لم يبق عليه الا كف الاذى عن العامة وحسن المعاشرة بسهولة الخلق انظروا معاشر الصابئة كيف عظم أمر الرسالة حتى قرن طاعة الرسول الذي عبر عنه بالناموس بمعرفة الله عز وجل ولم يذكر هاهنا تعظيم الروحانيات ولا تعرض لها وان كانت هي من الواجبات وسئل بماذا يحسن رأى الناس في الانسان قال بان يكون لقاؤه لهم لقاء جميلا ومعاملته اياهم معاملة حسنة وقال مودة الاخوان أولا يكون لرجاء منفعة أو لدفع مضرة ولكن لصلاح فيه وطباع له وقال أفضل ما في الانسان من الخير العقل وأجدر الاشياء أن لا يندم عليه صاحبه العمل الصالح وأفضل ما يحتاج اليه في تدبير الامور الاجتهاد وأظلم الظلمات الجهل وأوبق الاشياء الحرص وقال من أفضل البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسرة والعفو عند المقدرة وقال من لم يعرف عيب نفسه فلا قدر لنفسه عنده وقال الفضل بين العاقل والجاهل أن العاقل منطقه له والجاهل منطقه عليه وقال لا ينبغي للعاقل أن يستخف بثلاثة أقوام السلطان والعلماء والاخوان فان من استخف بالسلطان أفسد عليه عيشه ومن استخف بالعلماء أفسد عليه دينه ومن استخف بالاخوان أفسد عليه مروءته وقال

لاستخفاف بالموت هو احد فضائل النفس قال المرء حقيق أن يطلب الحكمة ويشتهي انفسه أولا لئلا يخرج من المصائب التي تتم لاخيار ولا يأخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف ولا يعير أحدا بما هو فيه ولا يغيره الغناء والسلطان وان يعدل بين نيته وقوله حتى لا يتفاوت ويكون سنته مالا عيب فيه ودينه مالا يختلف فيه وحجته مالا ينتقض وقال أنفع الامور للناس

لنفي الموت فلهم لا ينفكون من هذا البتة واما نحن فلولا النص الوارد بعليم وقدير وعالم الغيب والشهادة وقادر على ان يخلق مثلهم والحي لما جاز ان يسمى الله تعالى بشيء من هذا اصلا ولا يجوز ان يقال حي بحياة البته فان قالوا كيف يكون حي بلا حياة قلنا لهم وكيف يكون حي غير حساس ولا متحرك بارادة ولا ساكن بارادة هذا مالا يعقل البتة ولا يعرف ولا يتوهم وهم يجرون عليه تعالى الحس ولا الحركة ولا السكون فان قالوا ان تسميتنا اياه حكيما ينفي عن عاقل وكريما ينفي عن سخي وجبارا متكبرا ينفي عن متجبر ومستكبر وتياه وزاه وقويا ينفي عن شجاع وجلد قلنا هذا ترك منكم لما اصلتموه من اطلاق السمع والبصر والحياة والارادة وانه متكلم واحتجاجكم بان من كان سميعا فلابد له من سمع ومن كان بصيرا فلا بد له من بصر ومن كان حيا فلابد له من حياة ومن كان مريدا فلابد له من ارادة ومن كان له كلام فهو متكلم فاطلقتم كل هذا على الله عز وجل بلا برهان فان ناب عندكم ما ورد به النص من حكيم وقوي وكريم ومتكبر وجبار عن عاقل وشجاع وسخي ومتجبر ومستكبر وتياه وزاه فلم تجيزوا ان تسموا الباري عز وجل بشيء من هذا فكذلك فقولوا كما قلنا نحن ان سميعا وبصيرا وحيا وله كلام ويريد ينفي عن تجويز ذكر السمع والبصر والارادة ومتكلم ولا فرق هذا على ان قولكم ان قويا ينفي عن شجاع خطأ فرب قوي غير شجاع وشجاع غير قوي وكذلك ايضا كان الرحمن ينفي عن رحيم والخالق ينفي عن الباري وعن المصور فان قالوا لا يجوز الاقتصار على بعض ما اتى به النص ولا يجوز التعدي الى ما لم يأت به النص قلنا لهم قد اهتديتم ووفقتم لرشدكم ولقيتم ربكم تعالى بحجة ظاهرة في انكم لم تتعدوا حدوده ولا الحدتم في اسمائه ولا خالفتم ما امركم به وبالله تعالى التوفيق مع ان الذي الزمناهم هو الزمهم مما التزموه لان بالضرورة نعلم نحن وهم ان الفعل لا يقوم بنفسه ولابد له ضرورة من ان يضاف الى فاعله فلابد ايضا من اضافة الفاعل اليه على معنى وصفه بان فعله هذا مالا يقوم في العقل وجود شيء في العالم بخلاف هذه الرتبة وقد وجدنا في العالم اشياء كثيرة لا نحتاج الى وصفها بصفة لتنفي عنها ضد تلك الصفة كالسماء والارض لا يجوز ان يوصف منها شيء بالبصر لنفي العمى ولا بالعمى لنفي البصر فاذا لم نضطر الى ذلك في وصف الاشياء فبما بينا بطل قياسهم الباري تعالى على بعض ما في العالم وكان اطلاق شيء من جميع الصفات على خالق الصفات والموصوفين أبعد واشد امتناعا الا بما سمى به نفسه فنقر بذلك وندري انه حق ولا نتعداه الى ما سواه فلا يستحي من التزم اذا وجد اشياء من العالم توصف بالحياة لنفي الموت وبالبصر لنفي العمى ولم يجر على قياسه هذا الفاسد من ان يأتي بتسميته مستهزئا وكيادا وقد قال تعالى انه يستهزىء ويكيد فهلا اذ وفقه الله تعالى للامساك عن تصريف الفعل ههنا جرى على ذلك التوفيق فلم يزد على نص الله تعالى من سميع وبصير وحي شيئا اصلا ولكن التناقض سهل من لم يعتصم

القناعة والرضى وأضرها الشره والسخط وانما يكون كل السرور بالقناعة والرضى وكل الحزن بالشره والسخط * ويحكى عنه فيما كتبه أن أصل الضلال والهلكة لاهله ان يعد ما في العالم من الخير من عطية الله عز وجل ومواهبه ولا يعد ما فيه من الشر والفساد عمل الشيطان ومكايده ومن افترى على أخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجازى به فكيف يخلص أعظم الفرية على الله عز وجل أن جعله سببا للشرور وهو معدن الخير وقال الخير والشر واصلان الى أهلهما لا محالة فطوبى والويل لمن جرى وصولهما الى من وصلا اليه وعلى يديه وقال الاخاء الدائم الذي لا يقطعه شيء اثنان احداهما محبة المرء نفسه في آخر معاده وتهذيبه اياها في العلم الصحيح والعمل الصالح والآخر مودته لاخيه في دين الحق فان ذاك مصاحب أخاه في الدنيا بجسده وفي الآخرة بروحه

وقال الغضب سلطان الفظاظة والحرص سلطان الفاقة وهما مدشا كل سيئة ومفسدا كل جسد ومهلكا بكتاب كل روح وقال كل شيء يطاق تغييره الي الطباع وكل شيء يقدر على اصلاحه غير الخلق السوء وكل شيء يستطاع دفعه الا القضاء وقال الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن لان هذين خلاء

بكتاب الله عزوجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واستعمل رأيه وقياسه فى دينه وفيما يجريه على الله تعالى نعوذ بالله من الضلال والخذلان وبهذا يبطل الزام من اراد من المعتزلة الزامنا ان نسمى الله تعالى مسياء لخلقه السيئات وشرير الشرور لخلقه

(قال ابو محمد) وقد شغب بعضهم فيما ادعوه من ان كل صفة اضافوها الى الله تعالى فهو غير سائر صفاته بان الله تعالى موصوف بانه يعلم نفسه ولا يوصف بالقدرة على نفسه قالوا فلو كان العلم والقدرة واحدا لجريا فى الاطلاق مجرى واحدا

(قال ابو محمد) وقد بينا بطلان هذا فى كلامنا قبل بعون الله عز جل ونزيد بعون الله عز وجل بيانا فنقول وبه تتأيد التغاير انما يقع فى المعلومات والمقدورات لا فى القادر ولا فى العالم ولا شك عندنا وعندهم فى ان العلم والقدير واحد وهو تعالى عليم بنفسه ولا يقال عندهم قدير على نفسه فاذا لم يوجب هذا الحكم ان يكون القدير غير العليم فهو غير موجب ان يكون العلم غير القدرة بلا شك ثم نقول لهم اخبرونا عن علم الله تعالى بحياة زيد قبل موته وبايمانه قبل كفره هل هو العلم بكفره وموته اوهو غير العلم بذلك فان قالوا ان العلم بموت زيد هو غير العلم بحياته وعلمه بايمانه هو غير علمه بكفره لزمهم تغاير العلم والقول بحدوثه وهم لا يقولون هذا وان قالوا علمه تعالى بايمان زيد هو علمه بكفره وعلمه بحياة زيد هو علمه بموته قيل فاذا تغاير المعلوم تحت العلم لا يوجب تغاير العلم فى ذاته عندكم فمن اين اوجبتم ان تغاير المعلوم والمقدور موجب لتغاير العلم والقدرة والحقيقة من كل ذلك انه لا حقيقة اصلا الا الخالق تعالى وخلقه وان كل مالم ينص الله تعالى عليه من وصفه لنفسه ومن اسمائه فلا يحل لاحد ان يخبر عنه تعالى وان كل مانص الله عز وجل عليه من اسمائه وما أخبر به تعالى عن نفسه فهو حق ندين الله تعالى بالاقرار به ونعلم ان المراد بكل ذلك هو الله لا شريك له وانها كلها اسماء يعبر بها عنه تعالى ولا يرجع منها شيء الى غير الله تعالى البتة تعالى الله ان يكون معه شيء آخر غيره واقر بعضهم بحضرتى ان مع الله تعالى سبعة عشر شيئاً متغايرة كلها قديم لم تزل وكلها غير الله تعالى ورأيت فى كتاب لبعضهم انها خمسة عشر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وذكروا ان تلك الاشياء هى السمع والبصر والعين واليد والوجه والكلام والعلم والقدرة والارادة والعزة والرحمة والامر والعدل والحياة والصدق

(قال ابو محمد) لقد قصروا من طريق النص ومن طريق العقل ايضا عن أصولهم فاين هم عن النفس والجلال والاكرام والجبروت والكبرياء واليدين والاعين والايدى والقدم والحمد والقوة فهذه كلها منصوص عليها كالعلم والقدوة واين هم عن الحلم من حليم والكرم من كريم والعظمة من عظيم والتوبة من تواب والهبة من وهاب والقرب من قريب

النفس وهذين خلاء البدن وقال احمد الاشياء عند أهل السماء والارض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق فى الجماعة وقال ادحض الناس حجته من شهد على نفسه بدحوض حجته * وقال من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الاذى فدينه دين الله عزوجل وخصمه له شاهد نفاج الحجة ومن كان دينه الاهلاك والفظاظة والاذى فدينه دين الشيطان وهو بدحوض حجته شاهد على نفسه وقال الملوك تحتمل الاشياء كلها الا ثلاثة قدح فى الملك وافشاء للسر وتعرض للحرمة وقال لا تكن ايها الانسان كالصبى اذا جاع صغى ولا كالعبد اذا شبع طغى ولا كالجاهل اذا ملك بغى وقال لا تشيرون على عدو ولا صديق الا بالنصيحة اما الصديق فيقضى بذلك من واجبه واما العدو فانه اذا عرف نصيحتك اياه هابك وحسدك وان صح عقله استحى منك وراجعك وقال يدل على غريزة الجود السماحة عند العسرة وعلى غريزة الورع الصدق عند الشره وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب وقال من سره مودة الناس له ومعونتهم اياه وحسن القول منهم فيه حقيق بان يكون مثل ذلك لهم وقال لا يستطيع أحد ان يجوز الخير والحكمة ولا ان يخلص نفسه من المعائب الا ان يكون له ثلاثة اشياء وزير وولى وصديق فوزيره عقله ووليه عفته وصديقه عمله الصالح وقال كل انسان موكل باصلاح قدر باع من الارض فانه اذا اصلح قدر ذلك الباع صلحت له اموره كلها واذا اضاعه اضاع الجميع وقدر ذلك نفسه وقال لا يمدح بكمال العقل من لا يكمل عفته ولا بكمال العلم من لا يكمل عقله وقال من افضل اعمال العلماء ثلاثة اشياء ان يبدلوا العدو صديقا والجاهل عالما والفاجر برا وقال الصالح من خيره خير لكل احد ومن يدخير كل احد لنفسه خيرا وقال ليس بحكمة مالم يعاد الجهل ولا بنور مالم يمحق الظلمة ولا بطبيب

واللطف من لطيف والسعة من واسع والشكر من شاكر والمجد من مجيد والود من ودود والقيام من قيوم وهذا كثير جدا ويتجاوز اضعاف الاعداد التى اقتصروا عليها بتحكيمهم بالضلال والالحاد فى اسمائه عز وجل وقد زاد بعضهم فيما ادعوه من صفات الذات الاستوى والتكليم والقدم والبقاء ورايت للاشعرى فى كتابه المعروف بالموجز ان الله تعالى اذ قال انك باعيننا انما اراد عينين وبالجملة فكل من لم يخف الله عز وجل فيما يقول ولم يستحى من الباطل لم يبال بما يقول، وقد قلنا انه لم يات نص بلفظ الصفة قط بوجه من الوجوه لكن الله تعالى اخبرنا بان له علما وقوة وكلاما وقدرة فقلنا هذا كله حق لا يرجع منه شيء الى غير الله تعالى اصلا وبه تعالى نتأيد

(قال ابو محمد) ويقال لمن قال انما سمى الله تعالى عليما لانه له علما وحكيما لان له حكمة وهكذا فى سائر اسمائه وادعى ان الضرورة توجب انه لا يسمى عالما الا من له علم وهكذا فى سائر الصفات اذا قسم الغائب بزعمكم تريدون الله عز وجل على الحاضر منكم فبالضرورة ندرى انه لا علم عندنا الا ما كان فى ضمير ذى خواطر وفكر تعرف به الاشياء على ماهى عليه فان وصفتم ربكم تعالى بذلك الحدتم ولا خلاف فى هذا من احد وتركتم اقوالكم وان منعتم من ذلك تركتم اصلكم فى اشتقاق اسمائه تعالى من صفات فيه وايضا فان عليما وحكيما ورحيما وقديرا وسائر ماجرى هذا المجرى لا يسمى فى اللغة الا نعوتا واوصافا ولا تسمى اسماء البتة واما اذا سمى الانسان حليما اوحكيما او رحيما او حيا وكان ذلك اسما له فهو حينئذ اسماء اعلام غير مشتقة بلا خلاف من احد وكل هذه فانما هى لله عز وجل اسماء بنص القرآن ونص السنة والاجماع من جميع اهل الاسلام قال الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ماكانوا يعملون * وقال قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى * وقال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر ولم يختلف احد من اهل الاسلام فى انها اسماء لله تعالى ولا فى انها لا يقال انها نعوت له عز وجل ولا اوصاف الله ولو وجد فى المتأخرين من يقول ذلك لكان قولا باطلا ومخالفة لقول الله تعالى ولا حجة لاحد فى الدين دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذ لاشك فيما قلنا فليست مشتقة من صفة اصلا ويقال لهم اذا قلتم انها مشتقة فقولوا لنا من اشتقها فان قالوا ان الله تعالى اشتقها لنفسه قلنا لهم هذا هو القول على الله تعالى بالكذب الذى لم يخبر به عن نفسه وقفوتم فى ذلك ما لم يأتكم به علم وان قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتقها قلنا كذبتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

مالم يدفع النتن ولا بصدق مالم يدحض الكذب ولا بصالح مالم يخالف الطالح اصحاب الهياكل والاشخاص وهؤلاء من فرق الصابئة وقد ادرجنا مقالتهما فى المناظرات جملة ونذكرها هاهنا تفصيلا اعلم ان اصحاب الروحانيات لما عرفوا ان لابد للانسان من متوسط ولابد للمتوسط من ان يرى فيتوجه اليه ويتقرب به ويستفاد منه فزعوا الى الهياكل التى هى السيارات السبع فتعرفوا اولا بيوتها ومنازلها وثانيا مطالعها ومغاربها وثالثا اتصالاتها على اشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها ورابعا تقسيم الايام والليالي والساعات عليها وخامسا تقدير الصور والاشخاص والاقاليم والامصار عليها فعملوا الخواتيم وتعلموا العزائم والدعوات وعينوا اليوم زحل مثلا يوم السبت وراعوا فيه ساعته الاولى وتختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنعته ولبسوا اللباس الخاص به وبخروا ببخوره الخاص ودعوا بدعواته الخاصة وسألوا حاجتهم منه الحاجة التى تستدعى من زحل من افعاله وآثاره الخاصة به فكان يقضى حاجتهم ويحصل فى الاكثر مرامهم وكذلك رفع الحاجة التى تختص بالمشترى فى يومه وساعته وجميع الاضافات التى ذكرنا اليه وكذلك سائر الحاجات الى الكواكب وكانوا يسمونها اربابا آلهة والله تعالى هو رب الارباب واله الآلهة ومنهم من جعل الشمس اله الالهة ورب الارباب فكانوا يتقربون الى الهياكل ولقد تقربا الى الروحانيات ويتقربون الى الروحانيات تقربا الى البارى تعالى لاعتقادهم بان الهياكل ابدان الروحانيات ونسبتها الى الروحانيات نسبة اجسادنا الى ارواحنا فهم الاحياء الناطقون بحياة الروحانيات وهى تتصرف فى ابدانها تدبيرا وتصريفا وتحريكا كما يتصرف فى ابداننا ولاشك ان من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة

ولقد سمى الله بها نفسه قبل ان يخلق رسوله صلى الله عليه وسلم اوحى بها اليه فقط فصح يقينا ان القول بانها مشتقة فرية على الله تعالى وكذب عليه ونعوذ بالله من ذلك وصح بهذا البرهان الواضح انه لايدل حينئذ عليم على علم ولاقدير على قدرة ولا حي على حياة وهكذا في سائر ذلك وانما قلنا بالعلم والقدرة والقوة والعزة بنصوص أخر يجب الطاعة لها والقول بها ووجدنا المتأخرين من الاشعرية كالباقلاني وابن فورك وغيرهما قالوا ان هذه الاسماء ليست اسماء لله تعالى ولكنها تسميات له وانه ليس لله الا اسم واحد لكنه قول الحاد ومعارضة لله عز وجل بالتكذيب بالآيات التي تلونا ومخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نص عليه من عدد الاسماء وهتك لاجماع اهل الاسلام عامهم وخصهم قبل ان تحدث هذه الفرقة (١) ومما احدثه اهل الاسلام في اسماء الله عز وجل القديم

(قال ابو محمد) وهذا لايجوز البتة لانه لم يصح به نص البتة ولايجوز ان يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه وقد قال تعالى * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * فصح ان القديم من صفات المخلوقين فلايجوز ان يسمى الله تعالى بذلك وانما يعرف القديم في اللغة من القدمية الزمانية اي ان هذا الشيء اقدم من هذا بمدة محصورة وهذا منفي عن الله عز وجل وقد اغنى الله عز وجل عن هذه التسمية بلفظة اول فهذا هو الاسم الذي لايشاركه تعالى فيه غيره وهو معنى انه لم يزل وقد قلنا بالبرهان ان الله تعالى لايجوز ان يسمى بالاستدلال ولا فرق بين من قال انه يسمى ربه جسما اثباتا للوجود ونفيا للعدم وبين من سماه قديما اثباتا لانه لم يزل ونفيا للحدوث لان كلا اللفظتين لم يات به نص فان قال من سماه جسما الحد لانه جعله كالاجسام قيل له ومن سماه قديما قد الحد في اسمائه لانه جعله كالقدماء فان قال ليس في العالم قدماء أكذبه القرآن بما ذكرنا واكذبته اللغة التي بها نزل القرآن اذ يقول كل قائل في اللغة هذا الشيء اقدم من هذا وهذا امر قديم وزمان قديم وشيخ قديم وبناء قديم وهكذا في كل شيء واما نفي خلق الايمان فهذا اعجب ما اتوا به وهل الايمان الا فعل المؤمن الظاهر منه يزيد وينقص ويذهب البتة وهو خلق الله تعالى وهذه صفات الحدوث نفسها فان قالوا ان الله هو المؤمن قلنا لهم نعم هو المؤمن المهيمن المصور فاسماؤه بذلك اعلام لامشتقة من صفات محمولة فيه عز وجل تعالى الله عن ذلك الا ما كان مسمى له عز وجل لفعل فعله فهذا ظاهر كالخالق والمصور فان قلتم في هذا ايضا انها صفات لم تزل لزمكم انه تعالى المصور بتصوير لم يزل وهذا قول اهل الدهر المجرد والله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقال بعضهم ان قولنا سميع بسمع بصير ببصر حي بحياة لايوجب تشابها ولا

(١) قوله ومما احدثه الخ في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عد القديم في التسعة والتسعين فلم يطلع على هذه الرواية فقال ماقال اه

عمل الكواكب ماكان يقضي منه العجب وهذه الطلسمات المذكورة في الكتب والسحر والكهانة والتنجيم والتعزيم والخواتيم والصور كلها من علومهم وأما أصحاب الأشخاص فقالوا اذا كان لابد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع اليه والروحانيات وان كانت هي الوسائل لكنا اذا لم نرها بالابصار ولم نخاطبها بالالسن لم (١١٧) يتحقق التقرب اليها الا بهياكلها ولكن الهياكل قد ترى في وقت ولاترى في وقت لان لها طلوعا وأفولا وظهورا بالليل وخفاء بالنهار فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه اليها فلابد لنا من صور وأشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا فنعكف عليها ونتوسل بها الى الهياكل فنتقرب بها الى الروحانيات ونتقرب بالروحانيات الى الله سبحانه وتعالى فنعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاتخذوا أصناما اشخاصا على مثال الهياكل السبعة كل شخص في مقابلة هيكل وراعوا في ذلك جوهر الهيكل اعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره وصوروه بصورته على الهيئة التي تصدر أفعاله عنه وراعوا في ذلك الزمان والوقت والساعة والدرجة والدقيقة وجميع الاضافات النجومية من اتصال محمود يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعى منه فتقربوا اليه في يومه وساعته وتبخروا بالبخور الخاص به وتختموا بخاتمه ولبسوا ثيابه وتضرعوا بدعائه وعزموا بعزائمه وسألوا حاجتهم منه فيقولون كان يقضي حوائجهم بعد رعاية هذه الاضافات كلها وذلك هو الذي أخبر التنزيل عنهم بانهم عبدة الكواكب اذ قالوا الهتها كما شرحنا وأصحاب الاشخاص هم عبدة الاوثان اذ سموها آلهة في مقابلة الآلهة السماوية وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقد ناظر الخليل عليه الصلاة والسلام هؤلاء الفريقين فابتدأ بكسر مذاهب أصحاب الاشخاص وذلك قوله تعالى * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان

يكون الشيء شبها للشيء الا اذا ناب منابه وسد مسده

(قال ابو محمد) وهذا كلام فى غاية السخافة لانه دعوى بلا برهان لا من شريعة ولا من طبيعة وما اختلفت قط اللغات والطبائع والامم فى ان النسبة بين المشبهات انما هو بصفاتها فى الاجسام وبذواتها فى الاعراض وقد قال الله تعالى * وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم * فليت شعري هل قال ذومسكة من عقل ان الحمير والكلاب والخنافس تنوب منابنا أو تسدنا وقال تعالى حاكيا عن الانبياء عليهم السلام انهم قالوا * ان نحن الا بشر مثلكم * فهل قال قط مسلم ان الكفار ينوبنا عن الانبياء ويسدون مسدهم وقال تعالى * كانهن الياقوت والمرجان * فهل قال ذومسكة من عقل ان الياقوت ينوب مناب الحور العين ويسد مسدهن ومثل هذا فى القرآن كثير جدا وفى كلام كل امة والعجب انهم بعد ان اتوا بهذه العظيمة نسوا انفسهم فجعلوا التشابه فى بعض الاحوال يوجب شرع الشرائع قياسا وهذا دين لم يأذن به الله تعالى فهم ابدا فى الشيء وضده والبناء والهدم ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وحقيقة التماثل والتشابه هو ان كل جسمين اشتبها فانما يشتبهان بصفة محمولة فيهما وكل عرضين فانما يشتبهان بوقوعهما تحت نوع واحد كالحمرة والحمرة اوالحمرة والخضرة وهذا امر يدرك بالعيان واول الحس والعقل وبالله التوفيق

(الكلام فى الحياة)

(قال أبو محمد) وقالوا ان الدليل اوجب ان البارى تعالى حى لان افعال الحكمة لاتقع الا من الحى وايضا فانه لايعقل الا حي او ميت قلنا امكان وقوع الفعل من الميت صح وقوعه من الحى ولا بد ثم انقسم هولاء قسمين فطائفة قالت هو تعالى حى لابحياة وطائفة قالت بل هو تعالى حى بحياة واحتجت انه لايعقل احد حياً الا بحياة ولم يكن الحى حيا الا لان له حياة ولولا ذلك لم يكن حيا قالوا ولو جاز ان يكون حى لابحياة لجاز ان يكون حياة لابحى وقالت الطائفة الاولى لم يكن الحي حيا لان له حياة لكن لانه فاعل فقط عالم قادر ولايكون العالم القادر الفاعل الا حيا

(قال ابو محمد) وكلا القولين فى غايه الفساد لاتفاق الطائفتين علي ان سموا ربهم تعالى حياً من طريق الاستدلال اما النفى الموت والجمادية عنه واما لانه فاعل قادر عالم ولا يكون الفاعل القادر العالم الاحيا يلزمهم ان يطردوا استدلالهم هذا و إلافهم متناقطون وإذا طردوا استدلالهم هذا لزمهم ولا بد ان يقولوا انه تعالى جسم لانهم لم يعقلوا قط فاعلا ولا حكيما ولا عالما ولا قادرا الا جسما فاذا لم يكن هذا دليلا علي انه جسم فليس دليلا على انه حى وايضا فان اتفاقهم علي ماذكرنا موجب علي الطائفة الاولى ان يطردوا ايضا استدلالهم والا فهو فاسد فنقول انه لايكون القادر العالم

ربك حكيم عليم * وتلك الحجة ان كسرهم قولا بقوله * أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون * ولما كان ابوه آزر هو أعلم القوم بعمل الاشخاص والاصنام ورعاية الاضافات النجومية فيها حق الرعاية ولهذا كانوا يشترون منه الاصنام لامن غيره كان اكثر الحجج معه واقوى الالزامات عليه اذ قال لابيه آزر * اتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين * وقال * ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا * لانك جهدت كل الجهد واستعملت كل العلم حتى عملت اصناما فى مقابلة الاجرام السماوية فما بلغت قوتك العلمية والعملية الى أن تحدث فيها سمعا وبصرا وان تغنى عنك وتضر وتنفع وانك بفطرتك وخلقتك اشرف درجة منها لانك خلقت سميعا بصيرا ضاراً نافعا والآثار السماوية فيك اظهر منها فى هذا المتخذ تكلفا والمعمول تصنعا فيالها من حيرة اذ صار المصنوع بيديك معبودا لك والصانع أشرف من المصنوع ياأبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن ثم دعاه الى الحنيفية الحقة * ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا قال اراغب أنت عن آلهتى ياابراهيم * فلم يقبل حجته القولية فعدل عليه السلام الى الكسر بالفعل * فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم. فقالوا من فعل هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون فافحمهم بالفعل حيث احال الفعل على كبيرهم كما افحمهم بالقول وحيث احال الفعل منهم فيما وكل ذلك على طريق الالزام عليهم والا فما كان الخليل كاذبا قط ثم عدل الى كسر مذاهب أصحاب الهياكل وكما اراد الله سبحانه

وتعالى الحجة على قومه قال • وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فاطلعه على ملكوت الكونين والعالمين تشريفا له على الروحانيات وهياكلها وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة وتقريراً ان الكمال في الرجال فاقبل على ابطال مذهب اصحاب الهياكل فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي على ميزان الزامه على أصحاب الاصنام بل فعله كبيرهم هذ والا فما كان الخليل عليه السلام كاذباً في هذا القول ولا مشركا في تلك الاشارة ثم استدل بالافول والزوال والتغير والانتقال بانه لا يصلح أن يكون ربا آلها فان الآله القديم لا يتغير واذا تغير فاحتاج الى مغير وهذا لو اعتقدتموه ربا قديما والها ازليا ولو اعتقدتموه واسطة وقبلة وشفيعا ووسيلة فالافول والزوال ايضا يخرجه عن الكمال وعن هذا ما استدل عليهم بالطلوع وان كان الطلوع اقرب الى الحدوث من الافول فانهم انما انتقلوا الى عمل الاشخاص لما راموا من التحير بالافول فاتاهم الخليل عليه السلام من حيث تحيرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته وذلك أبلغ في الاحتجاج * ثم لما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين * فيا عجبا ممن لا يعرف ربا كيف يقول لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين رؤية الهداية من الرب تعالى غاية التوحيد ونهاية المعرفة والواصل الى الغاية والنهاية كيف يكون في مدارج البداية دع هذا كله خلف قاف وارجع بنا الى ما هو شاف كاف فان الموافقة في العبارة على طريق الالزام على الخصم من ابلغ الحجج واوضح المناهج وعن هذا قال * لما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر * لاعتقاد القوم ان الشمس ملك الفلك وهو رب الارباب الذين يقتبسون

فيا يبينا الا ذا حياة ولا يكون حيا الا بحياة لا يعقل غير هذا اصلا ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم فقال اذا كان الحي لا يجب ان يقال ان له حياة من اجل انه حي ولا انه اذا كان حيا وجب ان يكون له حياة ولا انه سمي الحي حيا لان له حياة فكذلك لم يجب ان يكون الفاعل فاعلا لانه حي لكن لان له فعلا فقط ولا وجب ان يكون الفاعل فاعلا لانه عالم قادر لكن لان له فعلا وكذلك المولف لم يسم مؤلفا لان فيه تاليفا ولا سمي الحكيم حكيما لاحكامه الفعل ولا وجب المؤلف ان يكون محدثا للتاليف الذي فيه على ان من قال ببعض هذه القضايا فهو اصح قولا ممن قال ان يكون الحي حيا لا يقتضي بذلك الاستدلال ان يكون له حياة لانا لم نجد قط حيا الا بحياة ولا توهمنا ذلك الا بالعقل ولا يتشكل في العقل البتة ولا يدخل في الممكن بدليل وقد وجدنا العنكبوت والنحل والخطاف تحكم افعالها وبنائها بالطين وبالشمع مسدسا على رتبة واحدة وبالنسج ثم لا يجوز ان يسمي شيء منها حكيما فان قال انما اقول انه حي استدلالا بانه لا يموت فقط كان قد اتى باسخف قول وذلك يلزمه ان يقول اننا لسنا احياء لاننا نموت وانه لا حي في العالم لان من قول هذا القائل ان الملائكة تموت فليس في العالم حي على قوله وقد اتي بعضهم بهذيان ظريف فقال قد وجدنا شيئا فيه حياة وليس حيا هو يد الانسان ورجله

(قال أبو محمد) ولقد كان ينبغي لمن هذا مقداره من الجهل ان يتعلم قبل ان يتكلم أما علم اجاهل ان الحياة انما هي للنفس لا للجسد وان الحي انما هي النفس لا الجسد اما سمع قول الله عز وجل * فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور * وليت شعري لو عكس عليه هذا السخف فقيل له بل يد الانسان حية ولا حياة فيها بماذا كان ينفصل من هذا الجنون المطابق لجنونه ثم اذ قد بطل قول هؤلاء فنقول بحول الله تعالى وقوته للطائفة الاخرى التي قالت انه تعالى حي بحياة استدلالا بالشاهد ما الفرق بينكم وبين من قال هو تعالى جسم لان الافعال لا تقع الا من جسم فانه على اصولكم لا يعقل الا جسم وعرض فلما بطل امكان الفعل من العرض صح وقوعه من الجسم فقط ولا بد ولما صح ان العالم لا يكون الا جسما ذا ضمير صح انه تعالى جسم ذو ضمير ولما صح انه قادر والقادر لا يكون الا جسما صح انه جسم فباي شيء راموا الانفصال به عكس عليهم مثله سواء بسواء في استدلالهم وما الزموه لزمهم فان قالوا انه تعالى اخبر انه حي و لم يخبر انه جسم قلنا لهم وبالله التوفيق وان الله تعالى لم يخبر بان له حياة فان قالوا ان الحي يقتضي ان له حياة قلنا لهم والحي يقتضي انه جسم وهكذا ابداً فان قالوا انه تعالى قال * وتوكل على الحي الذي لا يموت * فوجب ان يكون حيا بحياة قيل لهم وان وجب هذا فقال تعالى * لا تأخذه سنة ولا نوم * فقولوا انه تعالى يقظان فان قالوا لم ينص تعالى على انه يقظان قيل لهم ولا نص تعالى على

منه الانوار ويقبلون منه الآثار * فلما افلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين * قرر مذهب الحنفاء وابطل مذهب الصابئة وبين ان الفطرة هى الحنيفية وان الطهارة فيها وان الشهادة بالتوحيد مقصورة عليها والا النجاة والخلاص متعلقة بها وان الشرائع والاحكام مشارع ومناهج اليها وان الانبياء والرسل مبعوثة لتقريرها وتقديرها وان الفاتحة والخاتمة والمبدأ والكمال منوطة بتلخيصها وتحريرها ذلك الدين القيم والصراط المستقيم والمنهج الواضح والمسلك اللائح قال الله سبحانه وتعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا اشيعا كل حزب بما لديهم فرحون *(الحربانية) وهم جماعة من الصابئة قالوا الصانع المعبود واحد كثير اما الواحد ففي الذات والاول والاصل والازل واما الكثير فلانه يتكثر بالاشخاص في رأى العين وهى المدبرات السبع والاشخاص الارضية الخيرة العالمة الفاضلة فانه يظهر بها ويتشخص باشخاصها ولا تبطل وحدته فى ذاته وقالوا هو ابدع الفلك وجميع مافيه من الاجرام والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم وهم الآباء والعناصر امهات والمركبات مواليد والآباء احياء ناطقون يؤدون الآثار الى العناصر فتقبلها العناصر في ارحامها فيحصل من ذلك المواليد ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها ويحصل مزاج كامل الاستعداد فيتشخص الاله به في العالم ثم ان طبيعة الكل تحدث في كل اقليم من الاقاليم المسكونة على راس كل ستة وثلاثين الف سنة واربعمائة وخمس وعشرين سنة زوجين من كل

ان له حياة فان قالوا الحي يقتضي حياة قيل لهم ومن ليس نائما ولا وسنان فهو يقظان ولا فرق ويقال لهم اخبرونا ماذا نفيتم عنه تعالى بايجاب الحياة له انفيتم عنه بذلك الموت المعهود والمواتية المعهودة ام موتا غير معهود ومواتية غير معهودة ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا انفينا عنه الموت المعهود والمواتية المعهودة قلنا لهم ان الموت المعهود والمواتية المعهودة لا ينتفيان البتة الا بالحياة المعهودة التي هى الحس والحركة والسكون الاراديان وهذا خلاف قولكم ولو قلتموه لابطلنا قولكم بما أبطلنا به قول المجسمة وان قالوا مانفينا عنه تعالى الا موتا غير معهود ومواتية غير معهودة قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق هذا لا يعقل ولا يتوهم ولا قام به دليل ولا يجوز ان ينتفي ماذكرتم بحياة يقتضيها اسم الحي المعقول وهكذا نقول في قولهم سميناه تعالى سميعا لنفي الصمم وبصيرا لنفي العمى ومتكلما لنفي الخرس فنسالهم هل نفيتم بذلك كله الخرس المعهود والصمم المعهود والعمى المعهود ام صمما لا يعهد وعمى غير المعهود وخرسا غير المعهو فان قالوا نفينا المعهود من كل ذلك قلنا ان الصمم المعهود لا ينفى الا بالسمع المعهود الذى هو باذن سالمة والعمى المعهود لا ينتفي الا بالبصر المعهود الذى هو حدقة سالمة والخرس المعهود لا ينتفي الا بالكلام المعهود الذى هو صوت من لسان وحنك وشفتين فان قالوا بل نفينا من كل ذلك غير المعهود قلنا هذا لا يعقل ولا يتوهم ولا يصح به دليل ولا ينتفي بما اردتم نفيه به وايضا فان البارى تعالى لو كان حيا بحياة لم يزل وهى غيره لوجب ضرورة ان يكون تعالى مؤلفا مركبا من ذاته وحياته وسائر صفاته ولكان كثيرا لا واحدا وهذا ابطال الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) واما قولهم انما خاطبنا الله بما نعقل ودعواهم ان في بديهة العقول ان الفاعل لا يكون الا عالما بعلم هو غيره حيا بحياة هى غيره قادرا بقدرة هى غيره متكلما بكلام هو غيره سميعا بسمع هو غيره بصيرا ببصر هو غيره فانا نقول وبالله تعالى نتايد ان هذه القضية كما ذكروا مالم يقم برهان على خلاف ذلك ثم نسالهم هل عقلتم قط او توهمتم نارا محرقة تنبت في الشجر المثمر وهذه صفة جهنم التي ان انكرتموها كفرتم وهل عقلتم قط طيرا حيا يؤكل دون ان يموت او يعاني بنار وهذه صفة الجنة التي ان انكرتموها كفرتم ومثل هذا كثير وانما الحق ان لانخرج عما عهدناه وما عقلناه الا ان ياتي برهان فان قنعوا بهذا القدر من الدعوى فليقنعوا بمثل هذا من المجسمة اذ قالوا انما خاطبنا الله تعالى بما نفهم ونعقل لا بما لا يعقل وقد اخبرنا الله تعالى ان له عينا ويدا ووجها وانه ينزل ويجيء في ظلل من الغمام قالوا فكل هذا محمول على ماعقلنا من انها جوارح وحركات وانها اجسام واقنعوا به منهم ايضا اذ قالوا ببديهة العقل واوله عرفنا ووجب انه لا يكون الفاعل الا جسما في مكان وبضرورة العقل علمنا انه لا شيء الا جسم او عرض وما لم يكن كذلك فهو عدم وان ما لم يكن عرضا

عرضا فهو جسم والبارى تعالى ليس عرضا فهو جسم ولا بد واقنعوا بمثل هذا من المعتزلة اذ قالوا في ابطال الرؤية بضرورة العقل عرفنا انه لا يرى الا جسم ملون وما كان في حيز واذ قالوا بضرورته وبديهته علمنا ان كل من فعل شيئا فانما يوصف به وينسب اليه فلو انه تعالى خلق الشر والظلم المسب اليه ووصف بهما واقنعوا بهذا من الدهرية اذ قالوا بضرورة العقل علمنا انه لا يكون شيئا الا من شيء او في شيء (قال ابو محمد) فكل طائفة من هذه الطوائف تدعى الباطل على العقول والحقيقة في هذا هو ان كل من ادعى في شيء ما انه يعرف ببديهة العقل وضرورته واوله ان ينظر في تلك الدعوى فان كانت مما ترجع الى الحواس المشاهدة فهي دعوى كاذبة فاسدة لان العقول توجب اشياء لا تشكل في الحواس كالالوان التي لا يتوهمها الاعمى ولا يتشكلها بحاسة وهو موقن بها بضرورة عقله لصحة الخبر وتواتره عليه بوجودها وكالصوت الذي لا يتوهمه البتة ولا يتشكله من ولد اصم اصلع وهو موقن بعقله بصحة الاصوات لتواتر الخبر عليه بصحتها وان كانت تلك الدعوى ترجع الى مجرد العقل دون توسط الحواس فهي دعوى صادقة وهذه الدعاوى التي ذكرنا عن الاشعرية والمجسمة والمعتزلة والدهرية فانما غلطوا فيها لانهم نسبوا الى اول العقل ما ادركوه بحواسهم وقد قلنا ان العقل يوجب ولا بد معرفة اشياء لا تدرك بالحواس ولا سيما دعوى الدهرية فانها تعارض بمثلها من ان بضرورة العقل واوله علمنا انه لا يمكن وجود جسم وعرض في زمان لا اول له وهذا هو الحق لا دعواهم التي عولوا فيها على ما شاهدوا بحواسهم فقط وبالله تعالى التوفيق وايضا فيقال لهم اذا سميتموه حيا لنفي الموت والمواتية عنه تعالى وقادرا لنفي العجز وعالما لنفي الجهل فيلزمكم ولا بد ان تسموه حساسا لنفي الخدر عنه وسماعا لنفي الجسم عنه ومتحركا لنفي السكون والجمادية عنه وعاقلا لنفي ضد العقل عنه وشجاعا لنفي الجبن عنه فان امتنعوا من ذلك كانوا قد ناقضوا في استدلالهم في تسميتهم اياه حيا عالما قادرا جوادا فان قالوا انه لا يجوز ان يسمى بشيء مما ذكرنا لانه لم يأت به نص قيل لهم وكذلك لم يأت نص بان له تعالى حينئذ لا بانه انما سمي حيا عالما قادرا لنفي اضداد هذه الصفات عنه لكن لما جاء النص بانه تعالى يسمى الحي العالم القدير سميناه بذلك ولولا النص ما جاز لاحد ان يسمى الله تعالى بشيء من ذلك لانه كان يكون مشبها له بخلقه لا سيما لفظة الحي تقع في اللغة على العالم المميز بالحقائق قال تعالى * لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين * فاراد بالحي هاهنا العلم المميز بالايمان المقر به وايضا فانهم يدعون انهم ينكرون التشبيه ثم يركبونه اتم ركوب فيقولون لما لم يكن الفعال عندنا الا حيا عالما قادرا وجب ان يكون البارى الفاعل للاشياء حيا عالما قادرا وهذا نص قياسهم له على المخلوقات وتشبيهه تعالى بهم ولا يجوز عند القائلين

نوع من اجناس الحيوانات ذكرا وانثى من الانسان وغيره فيبقى ذلك النوع تلك المدة ثم اذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الانواع نسلها وتوالدها فيبتدى دور آخر ويحدث قرن آخر من الانسان والحيوان والنبات وكذلك ابد الدهر قالوا وهذه هي القيامة الموعودة على لسان الانبياء والا فلا دار سوى هذه الدار وما يهلكنا الا الدهر (١٢١) ولا يتصور احياء الموتى وبعث من في القبور ايعدكم انكم اذ متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون وهم الذين اخبر التنزيل عنهم بهذه المقالة وانما نشا اصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم فان التناسخ هو ان يتكرر الاكوار والادوار الى ما لا نهاية لها ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الاول والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار اخرى لا عمل فيها والاعمال التي نحن فيها انما هي اجزية على اعمال سلفت منا في الادوار الماضية والراحة والسرور والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على اعمال البر التي سبقت منا والغم والحزن والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على اعمال الفجور التي سبقت منا وكذا كان في الاول وكذا يكون في الآخر والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم واما الحلول فهو التشخص الذي ذكرناه وربما يكون ذلك بحلول ذاته وربما يكون بحلول جزء من ذاته على قدر

استعداد مزاج الشخص وربما قالوا انما تشخص بالهياكل السماوية بكلها وهو واحد وانما يظهر فعله في واحد واحد بقدر آثاره فيه وتشخصه به فكان الهياكل السبعة اعضاؤه السبعة وكان اعضاؤنا السبعة هياكله السبعة فيها يظهر فينطق بلساننا ويبصر باعيننا ويسمع باذاننا ويقبض ويبسط بايدينا ويجيء ويذهب بارجلنا ويفعل بجوارحنا وزعموا ان الله تعالى اجل من ان يخلق الشرور والقبائح والاقذار والخنافس والحيات والعقارب بل هي كلها وامة

ضرورة اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة واجتماعات العناصر صفوة وكدورة فما كان من سعد وخير وصفوة فهو المقصود من الفطرة فينسب الى البارى سبحانه وتعالى وما كان من نحوسة وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب اليه بل هي اما اتفاقيات وضروريات واما مستندة الى اصل الشرور والاتصال المذموم (والحربانية) ينسبون مقالتهم الى عاذيمون وهرمس واعيانا واواذي اربعة من الانبياء ومنهم من ينسب الى سولون جد افلاطون لامه ويزعم انه كان نبيا وزعموا ان اواذى حرم عليهم البصل والحريث والباقلى والصابئون كلهم يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت وحرموا اكل الخنزير والجزور والكلب ومن الطير كل ماله مخلب والحمام ونهوا عن السكر فى الشراب وعن الاختتان وامروا بالتزويج بولى وشهود ولا يجوزون الطلاق الا بحكم الحاكم ولا يجمعون بين امرأتين واما الهياكل التى بناها الصابئة على اسماء الجواهر العقلية الروحانية واشكال الكواكب السماوية فنها هيكل العلة الاولى ودونها هيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس مدورات الشكل وهيكل زحل مسدس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مربع مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل الزهرة مثلث فى جوف مربع وهيكل عطارد مثلث فى جوفه مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن وقد (الفلاسفة) الفلسفة باليونانية محبة الحكمة والفيلسوف هو فيلا وسوفا وفيلا هو المحب وسوفا هو الحكمة اى هو محب الحكمة والحكمة قولية وفعلية اما الحكمة القولية وهى العقلية ايضا كل ما يعقلها العاقل بالحد وما يجرى مجراه مثل الرسم وبالبرهان وما يجرى مجراه مثل الاستقراء فيعبر عنه بهما واما الحكمة الفعلية فكل ما يفعله الحكيم

بالقياس ان يقاس الشيء الا على نظيره واما ان يقاس الشيء على خلافه من كل جهة وعلى مالا يشبهه فى شيء البته فهذا مالا يجوز اصلا عند احد فكيف والقياس كله باطل لا يجوز وايضا فان الحياة التى لا يعرف احد بالعقل حياة غيرها انما هى الحس والحركة الارادية ولا يعرف احد الحي الا بالحساس المتحرك بارادة وهذا امر يعرف بالضرورة فمن انكر ذلك فقد انكر الحس والمشاهدة والضرورة وخرج عن ان يكلم فان قال قائل منهم ان الموات قد يتحرك فلم يزد على ان ابان عن قوة جهله لانه انما قلنا الحركة الاراديه فاذا لم يفرق هذا الجاهل بين الحركة الارادية والاضطرارية فينبغى له ان يتعلم قبل ان يتكلم وكل حركة ظهرت من غير حى فليست حركة ارادية له لكنها تحريك المحرك له اما البارى تعالى واما من دونه ومما يبطل قولهم ضرورة انه انما سمى تعالى حيا لانه عالم قادر وجودنا احياء كثيرة ليسوا علماء ولا قادرين كالاطفال حين ولادتهم وكالنائم المستثقل وكالمخدور من المجانين وكضعاف الدود والصوداب ومالا ينتقل عن محله كالوصل وغيره وكالمريض من سائر الحيوان فهذه كلها احياء ليس شيء منها عالما ولا قادرا فصح ضرورة انه لا معنى للحياة يرتبط بالعلم والقدرة لان الحق فى ذلك ان بعض الاحياء عالم قادر وليس كل حى عالما قادرا ولا سبيل الى وجود حى غير حساس ولا متحرك بارادة فان ذكروا المغمى عليه فذلك عائد عليهم لانه ليس عالما ولا قادرا واما الحس ففيه بالضرورة ولو جش جشا قويا لتألم ولاخبر بذلك عند انتباهه وكذلك الحس والحركة الارادية باقيان لابد فى بعض اعضاء المخدور والمغمى عليه ولابد وقد بينا الواجب فى هذا وهو انه لا يسمى الله عز وجل ولا نخبر عنه من طريق الاستدلال باسم يشاركه فيه شيء من خلقه ولا بخبر يشاركه فيه شيء من خلقه ولكنا نقول انه تعالى لا يجهل شيئا اصلا وهذه صفة لا يستحقها احد دونه تعالى ونقول لا يغفل البتة ولا يضل ولا يسهو ولا ينام ولا يتحير ولا ينحل ولا يخفى عليه متوهم ولا يعجز عن مسئول عنه ولا ينسى وكل هذا فلا يستحقه مخلوق دونه تعالى اصلا ثم نقر بما جاء به القرآن والسنن كما جاء لا نزيد ولا ننقص منه ولا نحيله فنؤمن بانه بخلاف المعهود فيما يقع عليه ذلك اللفظ من خلقه واما لفظ الصفة فى اللغة العربيه وفى جميع اللغات فانما هو عبارة عن معنى محمول فى الموصوف بها لا معنى للصفة غير هذا البتة وهذا امر لا يجوز اضافته الى الله تعالى البتة الا ان ياتى نص بشيء اخبر الله تعالى به عن نفسه فنؤمن به وندرى حينئذ انه اسم علم لا مشتق من صفة اصلا وانه خبر عنه تعالى لا يراد به غيره عز وجل ولا يرجع منه الى سواه البتة والعجب كل العجب انهم يسمون الله حيا لانهم لم يجدوا الفعل يقع الا من حي ثم يقولون انه لا كالاحياء فعادوا الى دليلهم فافسدوه لانهم اذا اوجبوا وقوع الفعل من حى ليس كالاحياء الذين لا تقع الافعال الا منهم فقد ابطلوا ان يكون ظهور الافعال دليلا على انها من حى كما عهدوه

وقد علمنا يقينا ان القدرة من كل قادر في العالم فانما هي عرض فيه وان الحياة في الحي المعهود بضرورة العقل عرض فيه ايضا وان العلم في كل عالم في العالم كذلك وقد وافقونا على ان الباري تعالى بخلاف ذلك فاذ قد بطل ان يكون هذا موصوفا بصفة القادر فيما بيننا والعالم منا التي لولاها لم يكن العالم عالما والقادر قادرا فان الفعل فيما بيننا لا يقع الا من اهل تلك الصفة فقد بطل ضرورة ان يسمى الباري تعالى باسم قادر وعالم او حي استدلالا بان الفعل فيما بيننا لا يقع الا من عالم قادر واذ قد جوزوا وجود علم ليس عرضا وحياة ليست عرضا وهذا امر غير معقول اصلا فلا ينكروا وجود حي لا بحياة وسميع لا بسمع وبصير لا ببصر وكل هذا خروج عن المعهود ولا فرق وانما يستجاز الخروج عن المعهود اذا جاء به نص من الخالق عز وجل او قام به برهان ضروري والا فلا ولم يأت نص قط بلفظ الحياة ولا الارادة ولا السمع ولا البصر واحتج بعضهم في معارضة من قال ان الحي لا يكون الا حساسا متحركا بارادة لاننا لم نشاهد قط حيا الا حساسا متحركا بارادة فقال هذا المعترض ان من اتفق له ان لا يرى نباتا الا اخضر ولا اخضر الا نباتا فقطع بان كل اخضر فهو نبات فقد اخطأ

(قال ابو محمد) فاول ما يقال له قل هذا لنفسك في استدلالك بانك لم تر قط فعالا الا حيا عالما قادرا ولا فرق ثم نعود بعون الله تعالى الى بيان ما شغب به مما لا يعرفون الفرق بينه وبين ما يقع عليه فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الاعراض تنقسم الى قسمين احدهما ذاتي لا يتوهم بطلانه الا ببطلان حامله كالحس والحركة الارادية للحي وكذلك احتمال الموت للانسان مع امكان التميز للعلوم والتصرف في الصناعات وما اشبه هذا ومن هذه الاعراض تقوم فصول الاشياء وحدودها التي تفرق بينها وبين غيرها من الانواع التي تقع معها تحت جنس واحد فهذا القسم مقطوع على وجوده في كل ما وقع اسم حامله عليه والقسم الثاني غيري وهو ما يتوهم بطلانه ولا يبطل بذلك ما هو فيه كاجترار البعير وحلاوة العسل وسواد الغراب فان وجد عسل مر وقد وجدناه لم يبطل بذلك ان يكون عسلا وكذلك لو وجد غراب ابيض وقد وجد لم يبطل بذلك ان يكون غرابا فمثل هذا القسم لا يقطع على انه موجود ولا بد ابدا فهذا الفرق بين ما شغب به من النبات لانه ان توهم النبات احمر او اصفر لم يبطل ان يسمى نباتا ولكنه ان توهم ان يكون النبات غير نام من الارض ولا متغذ برطوباتها منجذبا بحر الهواء ورطوبته فانه لا يكون نباتا اصلا وايضا فقد قال بعضهم انه قد يعرفه الباري حيا من لا يعرفه حساسا متحركا بارادة قيل له وقد يعرفه حيا من لا يعرف انه لا حياة له وقد يعرفه جسما من لا يعرفه مؤلفا ولا محدثا وليس توهم الجهال لما توهموه من الحماقات حجة على أهل العقول والعلوم والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وبرهان ضروري وهو ان كل صفة في العالم فهي ضرورة ولا بد عرض

لغاية كمالية فالاول الازلي لما كان هو الغاية والكمال فلا يفعل فعلا لغاية دون ذاته والا فيكون الغاية والكمال هو الحامل والاول محمول وذلك محال فالحكمة في فعله وقعت تبعا لكمال ذاته وذلك هو الكمال المطلق في الحكمة وفي فعل غيره من المتوسطات وقعت مقصوداً للكمال المطلوب وكذلك في أفعال الناس ثم أن الفلاسفة اختلفوا في الحكمة القولية المقدية اختلافا لا يحصى كثرة والمتأخرون منهم خالفوا الاوائل في أكثر المسائل وكانت مسائل الاولين محصورة في الطبيعيات والالهيات وذلك هو الكلام في الباري والعالم ثم زادوا فيها الرياضيات وقالوا العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام علم ماهية وعلم كيف وعلم كم فالعلم الذي يطلب فيه ماهيات الاشياء هو العلم الالهي والعلم الذي يطلب فيه كيفيات الاشياء هو العلم الطبيعي والعلم الذي يطلب فيه كميات الاشياء هو العلم الرياضي سواء كانت الكميات مجردة عن المادة أو كانت مخالطة فاحدث بعدهم ارسطوطاليس الحكيم علم المنطق وسماه تعليميات وانما هو جرده عن كلام القدماء والا فلم تخل الحكمة عن قوانين المنطق قط وربما عدها آلة العلوم فقال الموضوع في العلم الالهي هو الوجود المطلق ومسئلة البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود والموضوع في العلم الطبيعي هو الجسم ومسئلة البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم والموضوع في العلم الرياضي هو الابعاد والمقادير وبالجملة الكمية من حيث انها مجردة عن المادة ومسئلة البحث عن أحوال الكمية من حيث هي الكمية والموضوع في العلم المنطقي هي المعاني التي في ذهن الانسان من حيث يتأدى بها الى غيرها من العلوم ومسئلة البحث عن أحوال تلك المعاني من حيث هي كذلك قالت الفلاسفة ولما كانت السعادة هي المطلوبة لذاتها وانما يكدح الانسان لنيلها والوصول اليها وهي لا تنال الا بالحكمة فالحكمة تطلب اما ليعمل بها واما ليعلم فقط فانقسمت الحكمة الى قسمين علمي وعملي ثم منهم من قدم العملي على العلمي ومنهم من اخر كما سيأتي في القسم

العملي هو عمل الخير والقسم العلمي هو علم الحق قالوا وهذان القسمان مما يوصل اليه بالعقل الكامل والرأي الراجح غير أن الاستعانة بالقسم العملي منه بغيره أكثر والانبياء أيدوا بامداد روحانية لتقرير القسم العملي وبطرف ما من القسم العلمي والحكماء تعرضوا لامداد عقلية تقرير القسم العلمي وبطرف ما من القسم العملي فغاية الحكيم هو أن يتجلى لعقله كل الكون ويتشبه بالاله الحق تعالى غاية الامكان وغاية النبي أن يتجلى له نظام الكون فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم وينتظم مصالح العباد وذلك لا يتأتى الا بترغيب وترهيب وتشكيل وتخييل فكل ما وردت به أصحاب الشرائع والملل مقدر على ما ذكرناه عند الفلاسفة الا من أخذ علمه من مشكاة النبوة فانه ربما يبلغ الى حد التعظيم لهم وحسن الاعتقاد في كمال درجتهم فمن الفلاسفة حكماء الهند من البراهمة لا يقولون بالنبوات أصلا ومنهم حكماء العرب وهم شرذمة قليلة لأن أكثر حكمهم فلتات الطبع وخطرات الفكر وربما قالوا بالنبوات ومنهم حكماء الروم وهم منقسمون الى القدماء الذين هم أساطين الحكمة والى المتأخرين منهم وهم مشاؤون وأصحاب الرواق وأصحاب ارسطوطاليس والى فلاسفة الاسلام الذين هم حكماء العجم والا فلم ينقل عن العجم قبل الاسلام مقالة في الفلسفة اذ حكمهم كلها كانت متلقاة من النبوات أما من الملة القديمة وأما من سائر الملل غير أن الصابئة كانوا يخلطون الحكمة بالصبوة فنحن نذكر مذاهب الحكماء القدماء من الروم واليونانيين في الترتيب الذي نقل في كتبهم ونعقب ذلك بذكر سائر الحكماء فان الاصل في الفلسفة والمبدأ في الحكمة للروم وغيرهم كالعيال لهم الحكماء السبعة الذين هم أساطين الحكمة من الملطية وساميا واثينية وهي بلادهم وأما اسماؤهم فثاليس الملطي وانكساغورس وانكسمانس وانبذقلس وفيثاغورس وسقراط وافلاطون وتبعهم جماعة من الحكماء مثل فلوطرخيس وبقراط

بغير

بين الطرفين او احداث ذينك الطرفين واما ذات ضد فحاملها بالضرورة قابل للاضداد فلا عالم في العالم الا والجهل منه متوهم ولا قادر في العالم الا والعجز منه متوهم ولا حي في العالم الا والسكون والحركة والحس والخدر متوهمات كلها منه وقد علمنا ان الله تعالى ارحم الراحمين حقا لا مجازا من انكر هذا فهو كافر حلال دمه وماله وهو تعالى يبتلي الاطفال بالجدري والآكال والجن والذبحة والاوجاع حتى يموتوا وبالجوع حتى يموتوا كذلك ويفجع الآباء بالابناء وكذلك الامهات والاحباء بعضهم ببعض حتى يهلكوا ثكلا ووجدا وكذا الطير باولادها وليست هذه صفة الرحمة بيننا فصح يقينا انها اسماء الله سمى الله تعالى بها نفسه غير مشتقة من صفة محمولة فيه تعالى حاشا له من ذلك فان قالوا ان العالم القادر الحي الاول الرحيم خلاف هذا قيل لهم صدقتم وهذا ابطال منكم لاستدلالكم بالشاهد بينكم على تسمية الباري وصفاته

(قال ابو محمد) واما وصفنا الباري تعالى بانه الواحد الاول الحق الخالق من طريق الاستدلال فانه لا لزمنا في ذلك شيء مما الزمناه خصومنا لانه قد قام البرهان بانه خالق ماسواه وليس في العالم خالق البتة بوجه من الوجوه وقد قام البرهان على انه تعالى واحد لا واحد في العالم غيره البتة بوجه من الوجوه وكل ما في العالم فتكثر باحتمال القسمة والتجزي وقد قام البرهان على انه تعالى الاول والاول في العالم البتة بوجه من الوجوه وكل ما في العالم ينافي الاول وقام البرهان بأنه تعالى الحق بذاته وان كل ما في العالم فانما هو محقق له تعالى وانما كان حقا بالباري جل وعز لولاه لم يكن حقا فهذا هو البرهان الصحيح الثابت الذي لا يعارض ببرهان البتة وهذا هو نفي التشبيه ثم اننا ننفي عن الباري تعالى جميع صفات العالم فنقول انه تعالى لا يجهل اصلا ولا يغفل البتة ولا يسهو ولا ينام ولا يحس ولا يخفى عليه متوهم ولا يعجز عن مسؤول عنه لاننا قد بينا فيما خلا من كتابنا هذا ان الله تعالى بخلاف خلقه من كل وجه فاذ ذلك كذلك فواجب نفي كل ما يوصف به شيء مما في العالم عنه تعالى على العموم واما اثبات الوصف او التسمية له تعالى فلا يجوز الا بنص ونخبر عنه تعالى بافعاله عز وجل فنقول انه تعالى محي الموتى ومميت الاحياء الا ان لا يثبت اجماع في اباحة شيء من ذلك ولولا الاجماع على اباحة اطلاق بعض ذلك ها هنا لما اجزناه ونقول أنه تعالى بكل شيء عليم لم يزل كذلك والمعنى في هذا انه لم يزل يعلم انه سيخلق الاشياء على حسب هيئة كل مخلوق منها لا على ان الاشياء لم تزل موجودة في علمه معاذ الله من هذا ولكن نقول لم يزل تعالى يعلم انه سيحدث كل ما يكون شيئا اذا احدثه على ما يكون عليه اذا كان وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ونجمع ان شاء الله تعالى ها هنا بيان الرد على من اقدم ان يسمي الله تعالى

بغير نص لكن بما دله عليه عقله وظنه انه حسن ومدح او استدلالا بما سمى به تعالى نفسه او تصريفا من ذلك او قياسا على ماشاهد من خلقه فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى سمى نفسه الرحمن الرحيم فسمه انت الرقيق من رقة النفس التى هى الرحمة فان قال الرحيم يغنى عن ذلك قيل له نقضت اصلك لان الحى يغنى على هذا عن ان يقال له حياة و ايضا فان الرحمن يغنى عن الرحيم فان قال قدورد النص به قيل له صدقت ولا تتعد ما جاء به النص وامنع ما سواه وسمى نفسه العليم فسمه الدارى الحبر الفهم الزكى العارف النبل فكل هذا مدح ومعناه فى اللغة بمعنى عليم ولا فرق وسمى نفسه الكريم فسمه السخي والجواد وسمى نفسه الحكيم فسمه الناقد العاقل وسمى نفسه العظيم فسمه الفخم الضخم وسمى نفسه الحليم فسمه المحتمل المتأنى الصابر الصبور الصبار واخبر انه قريب فسمه الدانى المجاور المباشر وسمى نفسه الواسع فسمه الرحب العريض وسمى نفسه العزيز فسمه الرئيس واخبر انه شاكر وشكور فسمه الحامد الحماد وسمى نفسه القهار فسمه الظافر وسمى نفسه الآخر فسمه الثانى والتالى والخاتم وسمى نفسه الظاهر فسمه العارف و الدارى وسمى نفسه الكبير فسمه الرئيس والمتقدم وسمى نفسه القدير فسمه المطيق والمستطيع وسمى نفسه العلى فسمه العالى والرفيع والسامى وسمى نفسه البصير فسمه المعاين وسمى نفسه الجبار فسمه المتجبر الزاهى التياه وسمى نفسه المتكبر فسمه المستكبر المتعاظم المتنحى وسمى نفسه البر الزاكى فسمه المتواصل وسمى نفسه المتعالى فسمه المتعظم المترفع وسمى نفسه الغنى فسمه الموسر الملى المكثر الوافر وسمى نفسه الولى فسمه الصديق المصادق الوالى الحبيب وسمى نفسه القوى فسمه الجلد النجد الشجاع الجليد الشديد الباطش وسمى نفسه الحى واخبر ان له نفسا فسمه المتحرك الحساس واقطع بان له روحا بمعنى لنفس وسمى نفسه السميع البصير فسمه الشمام الذواق وسمى نفسه المجيد فسمه الشريف الماجد وسمى نفسه الحميد فسمه المحمد المحمود الممدوح وسمى نفسه الودود فسمه الواد المحب الحبيب الوديد وسمى نفسه الصمد فسمه المصمت وسمى نفسه الحق فسمه الصحيح الثابت وسمى نفسه اللطيف فسمه الخفيف وذكر تعالى ان له مكرا وكيدا فقل ان له دهاء ونكرا وحيلا وتحليلا وخدائع فهذا كله فى اللغة و فيما بيننا سواء وسمى نفسه المبين فسمه الواضح البين اللائح البادى وسمى نفسه المؤمن فسمه المسلم المصدق وسمى نفسه الباطن فسمه الخفى الغائب المتغيب وسمى نفسه الملك والمليك فسمه السلطان وصح بالسنة انه يسمى جميلا فسمه الصبيح الحسن

(قال ابو محمد) فان ابى من كل هذا نقض اصله وكذلك ان قال ان بعض ذلك يغنى عن بعض لزمه اسقاط الحياة لان الحى يغنى عن ذكر الحياة على هذا الاصل ولزمه ان لا يقول انه

وديمقراطيس والشعراء والنساك وانما يدور كلامهم فى الفلسفة على ذكر وحدانية البارى تعالى واحاطته علما بالكائنات كيف هى وفى الابداع وتكوين العالم وان المبادى الاول ماهى وكم هى وأن المعاد ماهو ومتى هو وربما تكلموا فى البارى عز وعلا بنوع حركة وسكون وقد أغفل المتأخرون من فلاسفة الاسلام ذكرهم وذكر مقالتهم رأسا الا نكتة شاذة نادرة بما اعترت على أبصار أفكارهم أشاروا اليها تزييفا ونحن تتبعناها نقلا وتعقبناها نقدا والقينا زمام الاختيار اليك فى المطالعة والمناظرة بين كلا الاوائل والاواخر رأى تاليس وهو أول من تفلسف فى الملطية قال ان للعالم مبدعا لا تدرك صفته العقول من جهة جوهريته وانما يدرك من جهة آثاره وهو الذى لا يعرف اسمه فضلا من هويته الا من نحو افاعيله وابداعه وتكوينه الاشياء فلسنا ندرك له اسما من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا ثم قال أن القول الذي لا مرد له هو أنه المبدع ولا شئ مبدع فابدع الذى أبدع ولا صورة له عنده فى الذات لان قبل الابداع انما هو فقط واذا كان هو فقط فليس يقال حينئذ جهة وجهة حتى يكون هو وصورة أو حيث وحيث حتى يكون هو ذو صورة والوحدة الخالصة تنافى هذين الوجهين والابداع هو تأييس ماليس بأيس واذا كان هو مؤيس الآيسات فالتاييس لا من شيء متقادم فمؤيس الاشياء لا يحتاج الى أن يكون عنده صورة الآيس بالآيسة والا فقد لزمه ان كانت الصورة عنده أن يكون منفردا عن الصورة التى عنده فيكون هو وصورة وقد بينا أنه قبل الابداع انما هو فقط وأيضا فلو كانت الصورة عنده لكانت مطابقة للوجود الخارج أم غير مطابقة فان كانت مطابقة فليتعدد الصورة بعدد الموجودات وليكن كلياتها مطابقة للكليات وجزئياتها مطابقة للجزئيات وليتغير بتغيير ها كما تكثرت بتكثرها وكل ذلك محال لانه ينافى الوحدة الخالصة وان لم يطابق الموجود الخارج فلا ... الصورة عنه وانما هو شيء آخر قال لكنه أبدع العنصر الذى

فيه صور الموجودات والمعلومات كلها فانبعث من كل صورة موجودا في العلم على المثال الذي كالعلم في العنصر الاول فحل الصورة
ومنبع الموجودات كلها وذات العنصر ومامن موجود في العالم العقلي والعالم الحسي الا وفي ذات العنصر صورة له ومثال عنه قال ومن
كمال ذات الاول الحق أنه أبدع (١٢٦) مثل هذا العنصر فما يتصوره العامة في ذاته تعالى ان فيها الصور يعني صور المعلومات

متكلم لان الكلام مغن عن ذلك ولزمه ايضا اسقاط السمع والبصر لانه استغنى بالسميع والبصير ولزمه ايضا اسقاط ماجاء به النص اذا كان بعضه يغني عن بعض والملك يغني عن مليك أو واحد يغني عن احد وجبار يغني عن متكبر وخالق يغني عن الباري وهكذا يسمى الله عز وجل القديم ولا الحنان ولا المنان ولا الفرد ولا الدايم ولا الباقي ولا الخالد ولا العالم ولا الداني ولا الرائي ولا السامع ولا المتلي ولا العالي ولا المتبارك ولا الطالب ولا الغالب ولا الضار ولا النافع ولا المدرك ولا المبدئ ولا المعيد ولا الناطق ولا القادر ولا الوارث ولا الباعث ولا القاهر ولا الجليل ولا المعطي ولا المنعم ولا المحسن ولا الحكم ولا الحاكم ولا الواهب ولا الغفار ولا المضل ولا الهادي ولا العدل ولا الرضي ولا الصادق ولا المتطول ولا المتفضل ولا المنان ولا الخبير ولا الحافظ ولا البديع ولا الاله ولا المجمل ولا المحيي ولا المميت ولا المنصف ولا بشيء لم يسم به نفسه اصلا وان كان في غاية المدح عندنا او كان متصرفا من افعاله تعالى الى ان نخبر عنه بكل هذا الذي ذكرنا بالاضافة الى ما نذكر مع الوصف حينئذ والاخبار عن فعله تعالى فهذا جائز حينئذ فيجوز ان يقال عالم الخفيات عالم بكل شيء عالم الغيب والشهادة غالب على امره غالب على كل من طغى ونحو هذا القادر على مايشاء القاهر للملوك وارث الارض ومن عليها المعطي لكل ما بايدينا الواهب لنا كل ماعندنا المنعم على خلقه المحسن الى اوليائه الحاكم بالحق المبدي لخلقه المعيد له المضل لاعدائه الهادي لاوليائه العدل في حكمه الصادق في قوله الراضي عمن اطاعه الغضبان على من عصاه الساخط على اعدائه الكاره لما نهى عنه بديع السموات والارض الاله الخلق محيي الاحياء والموتى مميت الاحياء والموتى المنصف ممن ظلم باني الدنيا وداحيها ومسويها ونحو هذا لان كل هذا اخبار عن فعله تعالى وهذا مباح لنا بالاجماع وهو من تعظيمه تعالى ومن دعائه عزوجل وليس لنا ان نسميه الا بنص وكذلك نقول ان لله تعالى كيدا ومكرا وكبرياء وليس هذا من المدح فيما بيننا بل هو فيما بيننا ذم ولا يحل ان نقول ان لله تعالى عقلا وشجاعا وعفة ودهاء وفهماً وذكاء وهذا غاية المدح فيما بيننا فبطل ان يراعى فيما يخبر به عن الله تعالى ما هو مدح عندنا او ما هو ذم عندنا بل النص فقط وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان على هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من احصاها دخل الجنة فلو كانت هذه الاسماء التي منعنا منها جائزاً ان تطلق لكانت اسماء الله تعالى اكثر من مائة ونيف وهذا باطل لان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة غير واحد مانع من ان يكون له اكثر من ذلك ولو

فهو في مبدعه ويتعالى بوحدانيته وهويته عن أن يوصف بما يوصف به مبدعه ومن العجب أنه نقل عنه ان المبدع الاول هو الماء قال الماء قابل لكل صورة ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوة الماء تكونت النار ومن الدخان والابخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الاثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها اليه قال الماء ذكر والارض انثى وهما يكونان سفلا والنار ذكر والهواء انثى وهما يكونان علوا وكان يقول ان هذا العنصر الذي هو أول وآخر اي هو المبدأ والكمال
هو عنصر الجسمانيات والجرميات لا انه عنصر الروحانيات
جاز
البسيطة ثم ان هذا العنصر له صفوة وكدر فما كان من صفوه لانه يكون جسما وما كان من كدره فانه يكون جرما فالجرم يدثر والجسم لا يدثر والجرم كثيف ظاهر والجسم لطيف باطن وفي النشأة الثانية يظهر الجسم ويدثر الجرم ويكون الجسم

جاز ذلك لكان قوله عليه السلام (١) كذبا وهذا كفر ممن اجازه وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى وعلم آدم الاسماء كلها فنماؤه بلا شك كما هي داخلة فيما علمه آدم عليه السلام وتخصيص كلامه عليه السلام لايحل فاذ ذلك كذلك فمن هو الذى اشتقها من الصفات فان قالوا هو اشتقها كذبوا على الله تعالى جهارا اذ اخبروا عنه بما لم يخبر به تعالى عن نفسه وهذا عظيم نعوذ بالله منه وهذه كلها براهين كافية لمن عقل وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين

(الكلام فى الوجه واليد والعين والجنب والقدم والتنزل والعزة والرحمة والامر والنفس والذات والقوة والقدرة والاصابع)

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * فذهبت المجسمه الى الاحتجاج بهذا فى مذهبهم وقال الآخرون وجه الله تعالى انما يراد به الله عز وجل

(قال ابو محمد) وهذا هو الحق الذى قام البرهان بصحته لما قدمنا من ابطال القول بالتجسيم وقال ابو الهذيل وجه الله هو الله

(قال ابو محمد) وهذا لا ينبغى ان يطلق لانه تسمية وتسمية الله تعالى لاتجوز الا بنص ولكنا نقول وجه الله ليس هو غير الله تعالى ولا نرجع منه الى شىء سوى الله تعالى برهان ذلك قول الله تعالى حاكيا عمن رضى قوله * انما نطعمكم لوجه الله * فصح يقينا انهم لم يقصدوا غير الله تعالى وقوله عز وجل * اينما تولوا فثم وجه الله * انما معناه فثم الله تعالى بعلمه وقبوله لمن توجه اليه وقال تعالى * يد الله فوق ايديهم * وقال تعالى * لما خلقت بيدى * وقال تعالى * مما عملت ايدينا انعاما * وقال * بل يداه مبسوطتان * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين فذهبت المجسمة الى ما ذكرنا مما قد سلف من بطلان قولهم فيه وذهبت المعتزلة الى ان اليد النعمة وهو ايضا لامعنى له لانه دعوى بلا برهان وقال الاشعرى ان المراد بقول الله تعالى ايدينا انما معناه اليدان وان ذكر الاعين انما معناه عينان وهذا باطل مدخل فى قول المجسمة بل نقول ان هذا اخبار عن الله تعالى لا يرجع من ذكر اليد الى شىء سواه تعالى ونقر ان لله تعالى كما قال يدا ويدين وايدى وعين واعينا كما قال عز وجل * لتصنع على عينى * وقال تعالى * فانك باعيننا * ولا يجوز لاحد ان يصف الله عز وجل بان له

(١) قوله كذبا لا يلزم الكذب لجواز ان العدد للخصوصية التى هى دخول الجنه فيكون معنى الحديث ان لله مائة اسم من بين اسمائه من احصاها دخل الجنة ولا يلزم ان لا يكون له غير هذه الاسماء ويؤيد ذلك انك لو تتبعت روايات هذا الحديث لوجدت الاسماء تزيد عن مائة فضلا عن الاحاديث الاخر فلا يلزم ما هول به فتامل ذلك اه مصححه

اللطيف ظاهرا والجرم الكثيف داثرا او كان يقول ان فوق السماء عوالم مبدعة لايقدر المنطق ان يصف تلك الانوار ولايقدر العقل على ادراك ذلك الحسن والبهاء وهى مبدعة من عنصر لايدرك غوره ولا يبصر نوره والمنطق والنفس والطبيعة تحته ودونه وهو الدهر المحض من نحو آخره لامن نحو اوله واليه تشتاق العقول والانفس وهو الذى سميناه الديمومة والسرمد والبقاء فى حد النشأة الثانية وظهر بهذه الاشارات أنه انما اراد بقوله الماء هو المبدع الاول اى هو مبدأ المركبات الجسمانية لا المبدأ الاول فى الموجودات العلوية لكنه لما اعتقد ان العنصر الاول هو قابل كل صورة اى منبع الصور كلها فاثبت فى العالم الجسمانى له مثالا يوازيه فى قبول الصور كلها ولم يجد عنصرا على هذا النهج مثل الماء فجعله المبدع الاول فى المركبات وانشا منه الاجسام والاجرام السماوية والارضية وفى التوراة فى السفر الاول مبدا الخلق هو جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت ماء ثم ثار من الماء بخار مثل الدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال وكان تاليس الملطى انما تلقى مذهبه من هذه المشكاة النبوية والذى اثبته من العنصر الاول الذى هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ المذكور فى الكتب الالهية اذ فيه جميع احكام المعلومات وصور الموجودات والخبر عن الكائنات والماء على القول الثانى شديد الشبه بالماء الذى عليه العرش وكان عرشه على الماء رأى (انكساغورس) وهو ايضا من الملطية راى فى الواحدانية مثل ما راى تاليس وخالفه فى المبدأ الاول قال ان مبدأ الموجودات هو متشابه الاجزاء وهى اجزاء لطيفة لايدركها الحس ولاينالها العقل منها كون الكون كله العلوى منه والسفلى لان المركبات مسبوقة بالبسايط والمختلفات ايضا مسبوقه

بالمتشابهات اليست المركبات كلها انما امتزجت وتركبت من العناصر وهي بسائط متشابهة الاجزاء وليس الحيوان والنبات وكل مايغتذى من اجزاء متشابهة اوغير متشابهة فتجتمع في المعدة فتصير متشابهة ثم تجرى في العروق والشريانات فتستحيل أجزاء مختلفة مثل الدم واللحم والعظم وحكي (١٢٨) عنه ايضا انه وافق سائر الحكماء في المبدأ الاول انه العقل الفعال غير انه خالفهم في قوله ان الاول الحق ساكن غير متحرك وسنشرح القول في السكون والحركة له تعالى ونبين اصطلاحهم في ذلك وحكي (فرفوريوس) عنه انه قال ان اصل الاشياء جسم واحد موضوع للكل لانهاية له ولم يبين ماذلك الجسم اهو من العناصر ام خارج من ذلك قال ومنه يخرج جميع الاجسام والقوى الجسمانية والانواع والاصناف وهو اول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الاشياء كلها كامنة في الجسم الاول وانما الوجود ظهورها من ذلك الجسم نوعا وصنفا ومقدارا وشكلا وتكاثفا وتخلخلا كما تظهر السنبلة من الحبة الواحدة والنخلة الباسقة من النواة الصغيرة والانسان الكامل الصورة من النطفة المهينة والطير من البيض وكل ذلك ظهور عن كمون وفعل عن قوة وصورة عن استعداد مادة وانما الابداع واحد ولم يكن لشيء آخر سوى ذلك الجسم الاول وحكى عنه انه قال كانت الاشياء ساكنة ثم ان العقل رتبها ترتيبا على احسن نظام فوضعها مواضعها من عال ومن سافل ومن متوسط ثم من متحرك ومن ساكن ومن مستقيم في الحركة ومن دائر ومن افلاك متحركة على الدوران ومن عناصر متحركة على الاستقامة وهي كلها بهذا الترتيب مظاهر لما في الجسم الاول من الموجودات ويحكى عنه أن المرتب هو الطبيعة وربما يقول المرتب هو البارى تعالى واذا كان المبدأ الاول عنده ذلك الجسم فمقتضى مذهبه ان يكون

عينين لان النص لم يات بذلك ونقول ان المراد بكل ماذكرنا الله عزوجل لاشيء غيره وقال تعالى حاكيا عن قول قائل * قال ياحسرتا على مافرطت في جنب الله * وهذا معناه فيما يقصد به الى الله عز وفي جنب عبادته وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلتا يديه يمين وعن يمين الرحمن فهو مثل قوله * وماملكت ايمانكم * يريد وما ملكتم ولما كانت اليمين في لغة العرب يراد بها الحظ للافضل كما قال الشماخ

إذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

يريد انه يتلقاها بالسعي الاعلى كان قوله وكلتا يديه يمين اى كل مايكون منه تعالى من الفضل فهو الاعلى وكذلك صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان جهنم لاتملأ حتى يضع فيها قدمه وصح ايضا في الحديث حتى يضع فيها رجله ومعنى هذا ماقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر صحيح اخبر فيه ان الله تعالى بعد يوم القيامة يخلق خلقا يدخلهم الجنة وانه يقول للجنة والنار لكل واحدة منكما ملؤها فمعنى القدم في الحديث المذكور انما هو كما قال تعالى * ان لهم قدم صدق عند ربهم * يريد سالف صدق فمعناه الامة التي تقدم في علمه تعالى انه يملأ بها جهنم ومعنى رجله نحو ذلك لان الرجل الجماعة في اللغة اى يضع فيها الجماعة التي قد سبق في علمه تعالى انه يملأ جهنم بها وكذلك الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الله عز وجل اي بين تدبيرين ونعمتين من تدبير الله عز وجل ونعمه اما كفاية تسره واما بلاء يأجره عليه والاصبع في اللغة النعمة وقلب كل احد بين توفيق الله وخذلانه وكلاهما حكمة عزوجل واخبر عليه السلام ان الله يبدو للمؤمن يوم القيامة في غير الصورة التي عرفوها وهذا ظاهر بين وهو انهم يرون صورة الحال من الهول والمخافة غير التي يظنون في الدنيا وبرهان صحة هذا القول قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور غير الذي عرفتموه بها وبالضرورة نعلم اننا لم نعلم لله عز وجل في الدنيا صورة اصلا فصح ماذكرناه يقينا وكذلك القول في الحديث الثابت خلق الله آدم على صورته فهذه اضافة ملك يريد الصورة التي تخيرها الله سبحانه وتعالى ليكون آدم مصورا عليها وكل فاضل في طبقته فانه ينسب الى الله عز وجل كما يقول بيت الله تعالى عن الكعبة والبيوت كلها بيوت الله تعالى ولكن لا يطلق على شيء منها هذا الاسم كما يطلق على المسجد الحرام وكما نقول في جبريل وعيسى عليهما السلام روح الله والارواح كلها لله عزوجل ملك له وكالقول في ناقة صالح عليه السلام بانه لله والنوق كلها لله عز وجل فعلى هذا المعنى قيل على صورة الرحمن والصور كلها لله تعالى هي ملك له وخلق له وقد رايت لابن فورك وغيره من الاشعرية في الكلام في هذا الحديث انهم قالوا في معنى قوله عليه السلام ان الله خلق

آدم

آدم على صورته انما هو علي صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار واجتماع صفات الكمال فيه واسجد له ملائكته كما اسجدهم لنفسه وجعل له الامر والنهى على ذريته كما كان لله كل ذلك

(قال ابو محمد) هذا نص كلام ابى جعفر السمنانى عن شيوخه حرفا حرفا وهذا كفر مجرد لامرية فيه لانه سوى (١) بين الله عز وجل وآدم فى الحياة والعلم والاقتدار واجتماع صفات الكمال فيهما والله يقول ليس كمثله شيء ثم لم يقنعوا بها حتى جعلوا سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل ولا خلاف بين أحد من اهل الاسلام فى ان سجودهم لله تعالى سجود عبادة ولآدم سجود تحية واكرام ومن قال ان الملائكة عبدت آدم كما عبدت الله عز وجل فقد اشرك ثم زاد فى الامر والنهى لآدم على ذريته كما هو الله تعالى وهذا شرك لاخفاء به ولوددنا ان نعرف ماهى صفات الكمال التى ذكر هذا الانسان انها اجتمعت فى آدم كما اجتمعت فى الله عز وجل ان هذا الالحاد والاستخفاف بالله تعالى لا ندرى كيف تكلم وانطلق لسانه من يعرف ان الله تعالى لم يكن له كفواً احد ووالله ان صفات الكمال فى الملائكة لاكثر منها فى آدم وان صفات الاثنين التى شاركوا فيها آدم عليه السلام كصفات الجن ولا فرق بين الحياة والعلم والقوة والتناسل وغير ذلك فالكل على هذا على صورة الله تعالى هذا القول الملعون قائله ونعوذ بالله من الضلال وكذلك ماصح عن النبى صلى الله عليه وسلم عن يوم القيامة ان الله عز وجل يكشف عن ساق فيخرون سجدا فهذا كما قال الله عز وجل فى القرآن * يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود * وانما هو اخبار عن شدة الامر وهو الموقف كما تقول العرب قد شمرت الحرب عن ساقها قال جرير

الادب سامي الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

والعجب ممن ينكر هذه الاخبار الصحاح وإنما جاءت بما جاء به القرآن نصاً ولكن من ضاق عليه أنكر مالا علم له به وقد عاب الله هذا فقال * بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله * واختلف الناس فى الامر والرحمة والعزة فقال قوم هى صفات ذات لم تزل وقال آخرون لم يزل الله تعالى العزيز الرحمن الرحيم بذاته واما الرحمة والامر فمخلوقان

(١) قوله لانه سوى الخ لايلزم من ان يكون خلقه على صفته من كونه فيه حياة وعلم وقدرة ان تكون تلك الصفات مساوية لصفاته تعالى كيف والله وصفاته قديم والانسان وصفاته حادث انما ارادوا بهذا الكلام ان فى الانسان انموذجا من الكمال يصلح به ان يكون خليفة فى الارض ويعلم به كمال خالقه لانهم متساوون من كل الوجوه حتى يلزم الكفر الذى قاله فتأمل انتهى مصححه

المعاد الى ذلك الجسم واذا كانت النشاة الاولى هي الظهور فيقتضى أن تكون النشاة الثانية هي الكمون وذلك قريب من مذهب من يقول بالهيولى الاولى التى حدثت فيها الصور الا أنه أثبت جسما غير متناه بالفعل هو متشابه الاجزاء وأصحاب الهيولى لايثبتون جسما بالفعل وقد ردت عليه الحكماء المتأخرون فى اثباته جسما مطلقا لم يعين لها صورة سماوية أو عنصرية وفى نفيه النهاية عنه وفى قوله بالكمون والظهور وفى بيانه سبب الترتيب وتعيينه المرتب وانما عقبت مذهبه برأى تاليس لانهما من أهل ملطية متقاربون فى اثبات العنصر الاول والصور فيه متمثلة والجسم الاول والموجودات فيه كامنة وحكى ارسطو طاليس عنه أن الجسم الذى تكون منه الاشياء غير قابل للكثرة قال واومى الى أن الكثرة جاءت من قبل البارى تعالى (رأي انكسمانس) وهو من الملطيين المعروف بالحكمة المذكور بالخير عندهم قال أن البارى تعالى أزلى لا أول له ولا آخر هو مبدأ الاشياء ولا بدو له هو المدرك من خلقه أنه هو فقط وانه لاهوية تشبهه وكل هوية فبدعة منه هو الواحد ليس واحد الاعداد لان واحد الاعداد يتكثر وهو لا يتكثر وكل مبدع ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته فى علمه الاول والصور عنده بلا نهاية قال ولا يجوز فى الرأى الا أحد قولين اما أن نقول أبدع ما فى علمه وانما نقول انما أبدع أشياء لا يعلمها وهذا من القول المستبشع وان قلنا ابدع ما فى علمه فالصورة أزلية بازليته وليس يتكثر ذاته بتكثر المعلومات ولا يتغير بتغيرها قال ابدع بوحدانيته صورة العنصر ثم صورة العقل انبعثت عنها ببدعة البارى تعالى فرتب العنصر فى العقل ألوان الصور على قدر ما فيهما من طبقات الانوار وأصناف

(قال ابو محمد) والرجوع عند الاختلاف انما هو الى القرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى * فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * ففعلنا فوجدنا الله تعالى يقول * وكان امر الله مفعولا * والمفعول مخلوق بلا خلاف وقال الله تعالى * والله غالب على امره * وبلا شك فى ان المغلوب عليه مخلوق وانه غير الغالب عليه وقال تعالى * لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا * وهذا بيان جلي لا اشكال فيه على ان الامر محدث وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحدث من امره ماشاء فصح بيقين ان امر الله تعالى محدث مخلوق وقال الاشعرية لم يزل الله تعالى آمر الكل من امره بما يأمره به اذا وجد

(قال ابو محمد) وهذا باطل متيقن لانه لو كان كذلك لكان الله تعالى لم يزل آمرا لنا بالصلاة الى بيت المقدس لم يزل آمرا لنا بان لا نصلى الى بيت المقدس لكن الى الكعبة فيكون آمرا بالفعل للشىء والترك له معا وهذا تخليط جل الله تعالى عنه وايضا فانه يلزمهم فى نهي الله تعالى عما نهى عنه انه لم يزل لانه لافرق بين امره تعالى وبين نهيه فان قالوا بل نهيه محدث وامره قديم قلنا لهم ماقولكم فيمن عكس عليكم فقال بل نهيه لم يزل واما امره فمحدث وكلا القولين تخليط وايضا فانهم مقرون بان القديم لايتغير ولا يبطل وقد صح امره تعالى لنا بالصلاة الى بيت المقدس ثم قد بطل الامر بذلك وعدم وانقطع فلو كان امره تعالى لم يزل لوجب ان لا يبطل ولا يعدم وهذا كفر مجرد ممن اجازه وان قالوا ان امره تعالى لنا بالصلاة الى بيت المقدس باق ابدا لم يسقط ولا نسخ ولا بطل ولا احاله تعالى بامر آخر كفروا بلا خلاف والذى يدخل على هذا القول الفاسد اكثر من هذا وقال تعالى * قل الروح من امر ربى * فلو كان الامر غير مخلوق ولم يزل لكان الروح كذلك لانه منه ومعاذ الله من هذا ولا خلاف بين المسلمين فى ان ارواحهم مخلوقة وكيف لايكون كذلك وهى معذبة فى النار او منعمة فى الجنة وقال * يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الامن اذن له الرحمن وقال صوابا * وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبوح قدوس رب الملائكة والروح

(قال ابو محمد) والمربوب مخلوق بلا شك فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * الا له الخلق والامر * ورام بهذا اثبات ان الخلق غير الامر فلا حجة له فى هذا لان الله عز وجل قال * يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ماشاء ركبك * فقد فرق الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية بين الخلق والتسوية والتعديل والتصوير ولا خلاف فى ان كل هذا خلق مخلوق وقال تعالى * خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فعطف تعالى الرزق والاماتة والاحياء على الخلق بلفظة ثم فلو كان عطف الامر على الخلق دليلا على ان الامر غير الخلق لوجب ولا بد ان يكون الرزق والاماتة والاحياء والتصوير كلها غير الخلق وغير

محلوقات

الآثار وسائر تلك الطبقات صورا كثيرة دفعة واحدة كما تحدث الصورة فى المرآة الصقيلة بلا زمان ولا ترتيب بعض على بعض غير ان الهيولى لاتحتمل القبول دفعة واحدة الا بترتيب وزمان فحدثت تلك الصور فيها على الترتيب ولم يزل فى العالم بعد العالم على قدر طبقات العوالم حتى قلت أنوار الصور فى الهيولى وقلت الهيولى وصارت منها هذه الصورة الرذلة الكثيفة التى لم تقبل نفسا روحانية ولا نفسا حيوانية ولا نباتية وكل ما هو على قبول حياة وحس فهو بعد فى آثار تلك الانوار وكان يقول أن هذا العالم يدثر ويدخله الفساد والعدم من أجل أنه سفل تلك العوالم وثقلها ونسبتها اليه نسبة اللب الى القشر والقشر يرمى قال وانما ثبات هذا العالم بقدر مافيه من قليل نور ذلك العالم والا لما ثبت طرفة عين ويبقى ثباته الى أن يصفى العقل جزؤه والممتزج به والى أن يصفى النفس جزؤها المختلط فيه فاذا أصفى الجزءان عنه دثرت أجزاء هذا العالم وفسدت وبقيت مظلمة قد عدمت ذلك التعليل من النور فيها وبقيت الانفس الدنسة الخبيثة فى هذه الظلمة بلا نور ولا سرور ولا روح ولا راحة سكون ولا سلوة ونقل عنه أيضا أن أول الاوائل من المبدعات هو الهواء ومنه يكون جميع مافى العالم من الاجرام العلوية والسفلية قال ما كون من صفوه الهواء المحض لطيف روحانى لا يدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث وما كون من كدر الهواء كثيف جسمانى يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه وذلك عالم الروحانيات وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره وذلك عالم الجسمانيات كثير الاوساخ والاوضاد يتشبث به من سكن اليه فيمنعه من أن يرتفع علوا ويتخلص منه من لم يسكن اليه فصعد الى عالم كثير اللطافة دائم السرور ولهذا جعل الهواء أول الاوائل

لموجودات العالم الجسماني كما جعل العنصر أول الاوائل لموجودات العالم الروحاني وهو على مثل مذهب ثاليس اذا ثبت العنصر والماء في مقابلته وهو قد أثبت العنصر والهواء في مقابلته ونزل العنصر منزلة القلم الاول والعقل منزلة اللوح القابل لنقش الصور ورتب الموجودات على ذلك الترتيب وهو أيضا من مشكاة النبوة اقتبس وبعبارات القوم التبس (رأي انبذقلس)

مخلوقات وهذا لا يقوله مسلم فبطل استدلالهم على ان الامر غير مخلوق لعطفه على الخلق وقد عطف تعالى جبريل على الملائكة فليس العطف على الشيء مخرجا له عنه اذا قام برهان على انه داخل فيه وقد قام برهان النص بان امر الله تعالى مخلوق وانه قدر مقدور مفعول واما اذا لم يات برهان يدخل المعطوف في المعطوف عليه فهو غيره بلا شك هذا حكم اللغة وبالله تعالى التوفيق واما العزة فقد قال الله تعالى * سبحان ربك رب العزة عما يصفون *

(قال ابو محمد) والمربوب مخلوق بلا شك ليس قوله تعالى * فلله العزة جميعا * بموجب ان العزة لم تزل لانه تعالى قال * فلله المكر جميعا * وقال تعالى * قل لله الشفاعة جميعا * وليس هذان النصان بلا خلاف موجبين ان الشفاعة غير مخلوق الا ان ههنا عزة ليست غير الله تعالى فهى غير مخلوقة وهى التى صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام حلف بها فقال وعزتك في حديث خلق الجنة والنار

(قال ابو محمد) ومن الباطل ان يحلف جبريل بغير الله عز وجل واما الرحمة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق مائة رحمة فقسم في عباده رحمة واحدة فيها يتراحمون ورفع التسعة وتسعين ليوم القيامة يرحم بها عباده اوكما قال عليه السلام وهذا رفع للاشكال جملة في ان الرحمة مخلوقة ولا خلاف بين احد من الامة في ان ادخال الله عز وجل الجنة من ادخله فيها برحمته تعالى وان بعثته محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لمن آمن به وكل ذلك مخلوق بلا شك واما القدرة والقوة فقد قال عز وجل * الم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة * وحدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني حدثنا ابراهيم بن احمد البلخي حدثنا الفربري حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا معن بن عيسى حدثنا عبد الرحمن بن ابي الموال سمعت محمد بن المنكدر يحدث عبد الله بن الحسن قال اخبرني جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه الاستخارة فذكر الحديث وفيه اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك

(قال ابو محمد) والقول في القدرة والقوة كالقول في العلم سواء بسواء في اختلاف الناس على تلك الاقوال وتلك الحجاج ولا فرق وقولنا في هذا هو ما قلناه هنالك من ان القدرة والقوة لله تعالى حقا وليستا غير الله تعالى ولا يقال هما الله تعالى وقال تعالى * كتب على نفسه الرحمة * وقال تعالى ويحذركم الله نفسه * فنفس الله تعالى اخبار عنه لا عن شيء غيره اصلا فان ذكر ذاكر قول الله عز وجل حكاية عن عيسى عليه السلام انه يقول لربه تعالى * تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب * قلنا هذا على ظاهره وعلى الحقيقة لان كل غيب فهو معلوم في علم الله العليم بكل شيء فجرى الكلام على ما يتخاطب به الناس مما لا يتوصلون

وهو من الكبار عند الجماعة دقيق النظر في العلوم دقيق الحال في الاعماد وكان في زمن داود النبي عليه السلام مضى اليه وتلقى منه واختلف الى لقمان الحكيم واقتبس منه الحكمة ثم عاد الى اليونان وأفاد قال ان البارى تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الارادة المحضة وهو الجود والعز والقدرة والعدل والخير والحق لا أن هناك قوى مسماة بهذه الاسماء بل هي هو وهو هذه كلها مبدع فقط لانه أبدع من شيء ولا أن شيئا كان معه فابدع الشيء البسيط الذى هو أول البسيط المعقول وهو العنصر الاول ثم كثر الاشياء المبسوطة من ذلك النوع البسيط الواحد الاول ثم كون المركبات من المبسوطات وهو مبدع الشيء واللاشيء العقلي والفكري والوهمي أى مبدع المتضادات والمتقابلات المعقولة والخيالية والحسية وقال إن البارى تعالى أبدع الصور لا بنوع ارادة مستأنفة بل بنوع انه علة فقط وهو العلم والارادة فاذا كان المبدع انما أبدع الصور بنوع أنه علة لها فالعلة ولا معلول والا فالمعلول مع العلة معية بالذات فان جاز أن يقال أن معلولا مع العلة فالمعلول حينئذ ليس هو غير العلة وان يكون المعلول ليس أولى بكونه معلولا من العلة ولا العلة بكونها معلولا أولى من المعلول فالمعلول اذا تحت العلة وبعدها والعلة علة العلل كلها أى علة كل معلول تحتها فلا محالة أن المعلول لم يكن مع العلة بجهة من الجهات البتة وإلا فقد بطل اسم العلة والمعلول فالمعلول الاول هو العنصر والمعلول الثاني

الي العبارة عما يريدون إلابه وهذا معهود من القول ان يقول القائل نفس الشيء وحقيقته يراد بذلك الشيء لاماسواه وكذلك القول في الذات ولا فرق فقوله عليه السلام ولا اعلم ما في نفسك انما معناه بلا شك ولا اعلم ماعندك وماني عليك وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر ان الله تعالى ينزل كل ليلة اذا بقي ثلث الليل الى سماء الدنيا

(قال أبو محمد) وهذا انما هو فعل يفعله الله تعالى في سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وان تلك الساعة من مظان القبول والاجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين وهذا معهود في اللغة تقول نزل فلان عن حقه بمعنى وهبه لى وتطول به علي ومن البرهان على أنه صفة فعل لاصفة ذات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق التنزل المذكور بوقت محدود فصح أنه فعل محدث في ذلك الوقت مفعول حينئذ وقد علمنا ان مالم يزل فليس متعلقا بزمان البتة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ألفاظ الحديث المذكور ماذلك الفعل وهو أنه ذكر عليه السلام أن الله يامر ملكا ينادي في ذلك الوقت بذلك وأيضا فان ثلث الليل مختلف في البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى في ذلك الوقت لاهل كل أفق وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله في أبطال القول بالجسم بعون الله وتاييده ولو انتقل تعالي لكان محدودا مخلوقا مؤلفا شاغلا لمكان وهذه صفة المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد حمد الله ابراهيم خليله ورسوله وعبده صلى الله عليه وسلم اذ بين لقومه بنقلة القمر أنه ليس ربا فقال * فلما أفل قال لا احب الآفلين * وكل منتقل عن مكان فهو آفل عنه تعالى الله عن هذا وكذلك القول في قوله تعالى * وجاء ربك والملك صفا صفا * وقوله تعالي * هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر * فهذا كله علي ما بينا من ان المجيء والاتيان يوم القيامة فعل يفعله الله تعالى في ذلك اليوم يسمى ذلك الفعل مجيئا واتيانا وقد روينا عن احمد بن حنبل رحمه الله انه قال وجاء ربك انما معناه وجاء امر ربك

(قال أبو محمد) لاتعقل الصفة والصفات في اللغة التي بها نزل القرآن وفي سائر اللغات وفي وجود العقل وفي ضرورة الحس الا اعراضا محمولة في الموصوفين فاذا جوزوها غير اعراض بخلاف المعهود فقد تحكموا بلا دليل اذ انما يصار الى مثل هذا فيما ورد به نص ولم يرد قط نص بلفظ الصفات ولا بلفظ الصفة فمن المحال أن يؤتى بلفظ لا نص فيه يعبر به عن خلاف المعهود وقال تعالى * للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم * ثم قال تعالى * فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لاتعلمون * فلو ذكروا الامثال مكان الصفات لذكر الله تعالى لفظة المثل لكان أولى ثم قد بين الله تعالى غاية البيان فقال فلا تضربوا لله الامثال وقد اخبر الله تعالى بأن له المثل الاعلي فصح ضرورة انه لايضرب له مثل الا ما اخبر به تعالى فقط ولا يحل ان يزاد على ذلك شيء اصلا وبالله تعالي التوفيق

(الكلام في المائية)

(قال ابو محمد) ذهب طوائف من المعتزلة الى ان الله تعالي لامائية له وذهب اهل السنة وضرار بن عمرو الى ان لله تعالى مائية قال ضرار لا يعلمها غيره

بتوسطه العقل والثالث بتوسطها النفس وهذه بسائط ومبسوطات وبعدها مركبات وذكر ان المنطق لايعبر عما عند العقل لان العقل أكبر من المنطق من أجل انه بسيط والمنطق مركب والمنطق يتجزى والعقل يتحد ويجد فيجمع المتجزيات فليس للمنطق اذا أن يصف الباري تعالى الا صفة واحدة وذلك انه هو ولاشيء من هذه العوالم بسيط ولا مركب فاذا قال هو ولاشيء فقد كان الشيء واللاشيء مبدعين ثم قال انبذقلس العنصر الاول بسيط من نحو ذات العقل الذى دونه وليس هو دونه بسيطا مطلقا أي واحدا بحتا من نحو ذات العلة فلا معلول الا وهو مركب تركيبا عقليا أو حسيا فالعنصر في ذاته مركب من المحبة والغلبة وعنهما ابدعت

(قال ابو محمد) والذى نقول به وبالله تعالي التوفيق ان له مائيةهى انيته نفسهاوانه لا جواب لمن سأل ماهو البارى الاما اجاب به موسى عليه السلام اذ ساله فرعون ومارب العالمين ونقول انه لاجواب هاهنا لافى علم الله تعالى ولاعندنا الا ما اجاب به موسى عليه السلام لان الله تعالى حمد ذلك منه وصدق فيه ولولم يكن جوابا صحيحاتاما لا نقص فيه لما حمده الله واحتج من انكر المائية بان قال لا تخلو المائية من ان تكون هي الله اوتكون غيره فان كانت غيره والمائية لم يزل فلم يزل مع الله تعالى غيره وهذا شرك وكفر قالوا وان كانت هو هى وكنا لا نعلمها فقد صرنا لا نعلم الله عز وجل وهذا اقرار باننا نجهله والجهل بالله تعالى كفر به وقالوا لو امكن ان تكون له مائية لكانت له كيفية

(قال ابو محمد) وهذا من جهلهم بحدود الكلام وبمواقع الاسماء على المسميات اذ مائية الشيء انما هي الجواب في سؤال السائل بماهو وهذا سؤال عن حقيقة الشيء وذاته فمن ابطل المائية فقد ابطل حقيقة الشيء المسئول عنه بما هو لكن اول مراتب الاثبات فيما بيننا هى الانية وهى اثبات وجود الشيء فقط وهذا امر قد علمناه واحطنا به ولا يتبعض العلم بذلك فيعلم بعضه ويجهل بعضه ثم يتلو الانية التى هى جواب السائل بهل فيما بيننا السؤال بما هو واما فى البارى تعالى فالسؤال بما هو هو السؤال بهل هو والجواب فى كليهما واحد فنقول هو حق واحد اول خالق لا يشبهه شيء من خلقه وانما اختلفت الانية والمائية فى غير الله تعالى لاختلاف الاعراض فى المسئول عنه وليس الله تعالى كذلك ولا هو حامل اعراضا اصلا هاهنا نقف ولا نعلم اكثر ولا هاهنا ايضا شيء غير هذا الا ما علمنا ربنا تعالى من سائر اسمائه كالعليم والقدير والمؤمن والمهيمن وسائر اسمائه وقد اخبر تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ان له تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد قال تعالى ولا يحيطون به علما

(قال أبو محمد) وهذا كلام صحيح على ظاهره اذ كل ما احاط به العلم فهو متناه محدود وهذا منفى عن الله عز وجل وواجب فى غيره لوقوع العدد المحاط به فى اعراض كل مادونه تعالى ولا يحاط بما لا حدود له ولا عدد له فصح يقينا اننا نعلم الله عز وجل حقا ولا نحيط به علما كما قال تعالى

(قال ابو محمد) فالانية فى الله تعالى هي المائية التى انكرها اهل الجهل بحقائق الامور وبالقرآن وبالسنن نحمد الله عز وجل على مامن به علينا من تيسيرنا الاتباع كتابه وتدبره وطلب سنن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والوقوف عندهما ومعرفتنا بان العقل لا يحكم به على خالقه لكن يفهم به أوامره تعالى ويميز به حقائق ماخلق فقط وما توفيقنا الا بالله وأما قولهم لو كانت له مائية لكانت له كيفية فكلام قوم جهال بالحقائق وقد بينا وبان لكل ذى عقل ان السؤال بما هو الشيء غير السؤال بكيف هو الشيء وان المسؤل عنه باحدي اللفظتين المذكورتين غير المسؤل عنه بالاخرى وان الجواب عن احداهما غير الجواب عن الاخرى وبيان ذلك أن السؤال بما هو انما هو سؤال عن ذاته واسمه وان السؤال بكيف هو انما هو سؤال عن حاله واعراضه وهذا لا يجوز أن يوصف به البارى تعالى فلاح الفرق ظاهرا وبالله تعالى التوفيق

الجواهر البسيطة الروحانية والجواهر المركبة الجسمانية فصارت المحبة والغلبة صفتين أوصورتين لعنصر مبدأين لجميع الموجودات فانطبعت الروحانيات كلها على المحبة الخالصة والجسمانيات كلها على الغلبة والمركبات منها على طبيعتى المحبة والغلبة والازدواج والتضاد وبمقدارهما فى المركبات يعرف مقادير الروحانيات فى الجسمانيات قال وهذا المعنى ائتلفت الموجودات بعضها ببعض نوعا بنوع وصنفا بصنف واختلف المتضادات فتنافر بعضها عن بعض نوعا عن نوع وصنفا عن صنف فما كان فيها من الائتلاف والمحبة يجتمعان فى نفس واحدة باضافتين مختلفتين وربما أضاف المحبة الى المشتري والزهرة والغلبة الى زحل والمريخ وكأنهما

(مسائل فى السخط والرضا والعدل والصدق والملك والخلق
والجود والارادة والسخاء والكرم ومايخبر عنه تعالى
بالقدرة عليه وكيف يصح السؤال فى ذلك كله)

(قال أبو محمد) نقول لم يزل الله تعالى عالما بانه سيسخط على الكفار وسيرضى على المؤمنين وسيعذب بالنار من عصاه وسينعم بالجنة من أطاعه وسيعدل اذا حكم وسيصدق اذا أخبر ولم يزل عالما بانه سيخلق مايخلق وانه رب مايخلق من العالمين ومالك كل شيء ويوم الدين وأن له ملك كل مايخلق لان كل ماذكرنا يقتضى وجود كل ماعلق به وكل ماعلق به محدث لم يكن ثم كان ولم يزل تعالى عليما بكل ذلك وانه سيكون كل مايكون على ماهو كائن عليه اذا كونه وأما الارادة فقد اثبتها قوم من صفات الذات وقالوا لم تزل الارادة ولم يزل الله تعالى

(قال أبو محمد) وهذا خطا لبرهانين ضروريين احدهما أن الله تعالى لم ينص على أنه مريد ولا على أن له ارادة وقد قدمنا البرهان فيما سلف من كتابنا على أنه لايجوز أن يشتق لله أسماء ولا صفات وأوردنا من ذلك أنه لايقال انه تعالى متبارك ويقال تبارك الله ولا يقال انه مستهزيء ويقال الله يستهزيء بهم ولا انه عاقل وكذلك لايجوز ان يقال انه تعالى باق ولا دائم ولا ثابت ولاسخى ولاجواد لانه تعالى لم يسم به نفسه لكن يقال المتعالى كما قال تعالى ويقال هو الكريم الغنى ولا يقال الموسر ويقال هو القوى ولا يقال الجلد ويقال لم يزل ولا زال هو الاول والاخر والظاهر والباطن ولا يقال هو الخفى ولا الغائب ولا البارز ولا المشتهر ويقال هو الغالب على أمره ولا يقال هو الظافر والمعنى فى كل ماذكرنا من اللغة واحد فمن أطلق عليه تعالى بعض هذه الصفات والاسماء ومنع من بعضها فقد ألحد فى أسمائه عز وجل وأقدم اقداما عظيما نعوذ بالله من ذلك وأيضا فان الارادة من الله تعالى (١) لوكانت لم تزل لكان المراد لم يزل بنص القرآن لان الله عزوجل قال * انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فاخبر تعالى انه اذا أراد الشيء كان وأجمع المسلمون على تصويب قول من قال ماشاء الله كان والمشيئة هى الارادة فصح بما ذكرنا صحة لاشك فيها أن الواجب أن يقال أراد الله كما قال تعالى * اذا اراد شيئا * ونقول انه تعالى يريد ما اراد ولا يريد مالم يرد كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر * وقال تعالى * أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم واذا أراد الله بقوم سوءا * وقال تعالى * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجاً * فنحن نقول كما قال الله تعالى اراد ويريد ولم يرد ولا يريد ولا نقول ان له ارادة ولا أنه مريد لانه لم يات نص من الله تعالى بذلك ولا من رسوله ﷺ ولا جاء ذلك قط من احد من السلف رضى الله عنهم وانما أطلق هذا الاطلاق الفاحش قوم من الخوالف المسمين بالمتكلمين الخوف عليهم اقوى من رجاء

(١) قوله لو كانت لم تزل الخ لايلزم من وجود الارادة فى الازل أن يكون المراد ازليا لان وجود المراد تابع لتعلقها به لا لوجودها كما ان المقدور تابع لتعلق القدرة لا لوجودها فلا يلزم من القول بالارادة مخالفة للقرآن أو الاجماع ولم يبق غير البحث اللفظي وهم لا يتحاشون الاطلاق مع ورود المادة فى القرآن والسنة فتامل ذلك اه

تشخصا بالسعدين والنحسين ولكلام انبذقلس مساق آخر قال ان النفس النامية قشر النفس المنطقية والمنطقية قشر العقلية وكل ماهو أسفل فهو قشر لما هو أعلى والاعلى لبه وربما يعبر عن القشر واللب بالجسد والروح فيجعل النفس النامية جسدا للنفس الحيوانية وهذه روح اله وعلى ذلك حتى ينتهي الى العقل وقال لما صور العنصر الاول فى العقل ماعنده من الصور المعقولة الروحانية وصور العقل فى النفس مااستفاد من العنصر صورت النفس الكلية فى الطبيعة الكلية مااستفادت من العقل فحصلت قشور فى الطبيعة لا تشبهها ولاهى شبيهة بالعقل الروحاني اللطيف فلما نظر العقل اليها وأبصر الارواح واللبوب فى

السلامة لهم لاقدم صدق لهم فى الاسلام ولا فى الورع ولا فى الاجتهاد فى الخير ولا فى العلم بالقرآن ولا بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بما أجمع عليه المسلمون ولا بما اختلفوا فيه ولا باقوال الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ولا بحدود الكلام وحقائق ماثيات المخلوقات وكيفياتها فهم يتبعون ما ترآى لهم ويقتحمون المهالك بلا هدى من الله عز وجل نعوذ بالله من ذلك وقد قال تعالى * ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم * فنص تعالى على أن من لم يرد ما اختلف فيه الى كتابه والى كلام رسوله صلى الله عليه وسلم والى اجماع العلماء من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين ولا من سلك سبيلهم بعدهم فلم يعلم ما استنبطه بظنه ورأيه وليس ننكر الحاجة على القصد الى تبيين الحق وتبينه بل هذا هو العمل الفاضل الحسن وانما ننكر الاقدام فى الدين بغير برهان من قرآن أو سنة أو اجماع بعد أن أوجبه برهان الحس وأول بديهة العقل والنتائج الثابتة من مقدماته الصحيحة من صحة التوحيد والنبوة فاذا ثبتا بما ذكرنا فضرورة العقل توجب الوقوف عند جميع ماقاله لنا الرسول الذى بعثه الله تعالى الينا وامرنا بطاعته وان لا يعترض عليه بالظنون الكاذبة والاراء الفاسدة والقياسات السخيفة والتقليد المهلك فان قال قائل وما الذى يمنع من أن نقول لم يزل الله مريدا لما اراد كونه اذا كونه قلنا وبالله تعالى التوفيق يمنع من ذلك ان الله عز وجل اخبر نصاً بانه اذا اراد شيئا كونه فكان فلو كان تعالى لم يزل مريدا لكان لم يزل ما يريد وهذا الحاد ويقال لهم أيضا وما الفرق بينكم وبين من عكس قولكم فقال لم يزل الله تعالى غير مريد لان يخلق حتى خلق وهذا لا انفكاك منه

(قال أبو محمد) ولو ان قائلا يقول ان الخلق هو المراد كونه من الله تعالى فهو مراد الله تعالى وهو الارادة نفسها وانه لا ارادة له الا ما خلق لما أنكرنا ذلك وانما ننكر قول من يجعل الارادة صفة ذات لم تزل لانه يصف الله تعالى بما لم يصف الله تعالى به نفسه وقول من يجعلها صفة فعل وانها غير الخلق لانه يلزمه أن تلك الارادة اما مرادة مخلوقة واما غير مرادة ولا مخلوقة فان قال هى مرادة مخلوقة قيل له أهي مرادة بارادة هى غيرها ومخلوقة بخلق هو غيرها أم لا بارادة ولا بخلق فان قال هى مرادة بلا ارادة اتي بالمحال الذى يبطله العقل ولم يأت به نص فيلزمه الوقوف عنده وكذلك قوله مخلوقة بغير خلق وان قال هى مرادة بارادة هى غيرها ومخلوقة بخلق هو غيرها الزمه فى ارادة الارادة وخلق خلقها ما الزمناه في الارادة وفى خلقها وهكذا أبدا وهذا يوجب وجود محدثات لا نهاية لعددها وهذا هو قول الدهرية الذى أبطله الله تعالى بضرورة العقل والنص على ما بينا في صدر كتابنا وبالله تعالى التوفيق فان قال ان الارادة ليست مرادة ولا مخلوقة أتي بقول يبطله ضرورة العقل لان القول بارادة غير مرادة محال غير موجود لا بحس فيما بيننا ولا بدليل فيما غاب عنا فهو قول بمجرد الدعوى فهو باطل ضرورة وكذلك يلزمه از قال انها محدثة غير مخلوقة ما يلزم من قال ان العالم محدث لا محدث له وقد تقدم بطلان هذا القول بالبراهين الضرورية وبالله تعالى التوفيق واما تسمية الله عز وجل جوادا سخيا أو صفته تعالى بانه تعالى جودا وسخاء فلا يحل ذلك البتة ولو أن المنزلة المقدمين على تسمية ربهم جوادا يكون لهم علم بلغة العرب أو بحقيقة الاسماء ووقوعها على المسميات أو بمعانى الاسماء والصفات ما أقدموا على هذه العظيمة ولا وقعوا فى الانتساء

الاجساد والقشور ساح عليها من الصور الحسنة الشريفة البهية وهى صور النفوس المشاكلة للصور العقلية اللطيفة الروحانية حتى يدبرها ويتصرف فيها بالتمييز بين القشور واللبوب فيصعد باللبوب الى عالمها وكانت النفوس الجزئية أجزاء النفس الكلية كاجزاء الشمس المشرقة على منافذ البيت والطبيعة الكلية معلولة للنفس وفرق بين الجزء وبين المعلول فالجزء غير والمعلول ثم قال وخاصية النفس الكلية المحبة لانها لما نظرت الى العقل وحسنه وبهائه احبته حب وامق عاشق لمشوقه فطلبت الاتحاد به وتحركت نحوه وخاصية الطبيعة الكلية الغلبة لانها لما وجدت لم يكن لها نظر وبصر تدرك بها النفس والعقل فتحبهما وتعشقهما بل انبجست

بالكفار القائلين ان علة خلق الله تعالى لما خلق انما هي جودة حتى أوقعهم ذلك في القول بان العالم لم يزل ولكن المعتزلة معذورون بالجهل عزرا يبعدهم عن الكفر ولا يخرجهم عن الايمان لا عزرا يسقط عنهم الملامة لان التعلم لهم معروض ممكن ولكن لا هادي لمن اضل الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد)* والمانع من ذلك وجهان احدهما انه تعالى لم يسم بذلك ولا وصف به نفسه ولا يحل لاحد ان يتعدى حدود الله لاسيا فيما لا دليل فيه الا النص فقط والوجه الثاني ان الجود والسخاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم مرادنا انما هما لفظان واقعان على بذل الفضل عن الحاجة لا يعبر بلفظ الجود والسخاء الا عن هذا المعنى وهذا المعنى مبعد عن الله عز وجل لانه تعالى لا يحتاج الى شيء فيكون له فضل يبذله فيسمى ببذله له سخيا وجودا ويوصف من اجل بذله بجود وسخاء او يكون بمنعه بخيلا او شحيحا او موصوفا ببخل او شح

(قال ابو محمد) ولا يختلف اثنان من كل من في العالم في ان امرء له ماء عذب حاضر لا يحتاج اليه وطعام عظيم فاضل لا حاجة به اليه ورأى رجلا من عرض الناس او عبدا من عبيده يموت جوعا وعطشا فلم يسقه ولا أطعمه فانه في غاية البخل والشح والقسوة والظلم والله تعالى يرى كثيرا من عباده واطفالا من اطفالهم لا ذنب لهم يموتون جوعا وعطشا وعنده مخادع السموات وخزائن الارض ولا يرحمهم بنقطة ماء ولا لقمة طعام حتى يموتوا كذلك ولا يوصف من اجل ذلك بشح ولا بخل ولا ظلم ولا قسوة بل هو أرحم الراحمين والرحيم الكريم والذي لا يظلم ولا يجور كما سمى نفسه فبطل قياسهم الفاسد في الصفات الغائب عندهم على الشاهد وبطل ان يوصف الله عز وجل بشيء من ذلك وليس لاحد ان يحيل الاسماء اللغوية عن موضعها في اللغة الا ان يأتي نص باحالة شيء من ذلك فيوقف عنده ومن تعدى هذا الحكم فانه مبطل للتفاهم كله نعم وللحقائق باسرها الا انه لا يعجز احد عن ان يسمي الباطل حقا والحق باطلا وان يحيل الاسماء كلها عن مواضعها وهذا خروج عن الشرائع والمعقول ولكننا نقول انه كريم كما قال تعالى ولا يبعد عنا ان تسمي نعم الله على عباده كرما وان الله تعالى كريما نستحسن اطلاق ذلك ونسميها ايضا فضلا* قال الله تعالى* ذلك فضل الله* وقد ثبت النص بانه تعالى كرما وحدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد انا ابراهيم بن احمد انبأنا الفربري انا البخاري قال لي خليفة بن خياط انا يزيد بن زريع انا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك وعن معتمر بن سليمان سمعت ابي يحدث عن قتادة عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قد قد بعزتك وكرمك

(قال ابو محمد) وقد اضطرب الناس في السؤال عن اشياء ذكروها وسألوا هل يقدر الله تعالى عليها ام لا واضطربوا ايضا في الجواب عن ذلك

(قال ابو محمد) ونحن مبينون بحول الله وقوته وجه تحقيق السؤال عن ذلك وتحقيق الجواب فيه دون تخليط ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فنقول وبالله تعالى التوفيق ان السؤال اذا حقق

بلفظ

منها قوى متضادة أماني بسائطها فتضادات الاركان وأماني مركباتها فمتضادات القوى المزاجية والطبيعية والنباتية والحيوانية فردت عليها لبعدها عن كليتها وطاوعتها الاجزاء النفسانية مفترة بعالمها الفرار فركنت الى لذات حسية من مطعم مري ومشرب هني وملبس طري ومنظر بهي ومنكح شهي ونسيت ما قد طبعت عليه من ذلك البهاء والحسن والكمال الروحاني النفساني العقلي فلما رأت النفس الكلية تمردها واغترارها اهبطت اليها جزءا من أجزائها هو أزكى والطف وأشرف من هاتين النفسين البهيمية والنباتية ومن تلك النفوس المفترة بهما فتكسر النفسين عن تمردها وتحبب الى النفس المفترة عالمها وتذكرها ما قد نسيت

بلفظ يفهم السائل منه مراد نفسه ويفهم المسؤل مراد السائل عنه فهو سؤال صحيح والجواب عنه لازم ومن اجاب عنه بان هذا سؤال فاسد وانه محال فانما هو جاهل بالجواب منقطع متسلل عنه واما السؤال الذي يفسد بعضه بعضا وينقض آخره اوله فهو سؤال فاسد لم يحقق بعد وما لم يحقق السؤال عنه فلم يسائل عنه ومالم يسال عنه فلا يلزم عنه جواب على مثله فهاتان قضيتان جامعتان وكافيتان في هذا المعنى لا يشذ عنهما شيء منه الا انه لابد من جواب بيان حواله لا على تحقيقه ولا على تشكله ولا على توهمه وبالله تعالى التوفيق * ثم نحد المسؤل عنه في هذا الباب بحد جامع بحول الله تعال وقوته فيرتفع الاشكال في هذه المسالة ان شاء الله تعالى فنقول وبالله تعالى التوفيق وبه نتايد ان الشيء المسئول عنه في هذا الباب ان كان انما سال السائل عن القدرة على احداث فعل مبتدأ او على اعدام فعل مبتدأ فالمسئول عنه مقدور عليه ولا تحاشي شيئا والسؤال صحيح والجواب عنه بنعم لازم وان كان المسؤل عنه مالا ابتداء له فالسؤال عن تغييره او احداثه او اعدامه سؤال متفاسد لا يمكن السائل عنه فهم معنى سؤاله ولا تحقيق سؤاله وما كان هكذا الا يلزم الجواب عنه على تحقيقه ولا على تشكله لان الجواب عن التشكل لا يكون الا عن سؤال وليس هاهنا سؤال أصلا ثم نقول وبالله تعالى نتايد ان من الواجب ان نبين بحول الله تعالى وقوته ما المحال وعلى أي معنى تقع هذه اللفظة وعماذا يعبر بها عنه فان من قام بشيء ولم يعرف تحقيق معناه فهو في غمرات من الجهل فنقول وبالله تعالى نتايد ان المحال ينقسم اربعة اقسام لا خامس لها احدها محال بالاضافة والثاني محال في الوجود والثالث محال فيما بيننا في بنية العقل عندنا والرابع محال مطلق فالمحال بالاضافة مثل نبات اللحية لابن ثلاث سنين واحباله امرأة وكلام الابله الغبي في دقائق المنطق وصوغه الشعر العجيب وما اشبه هذا فهذه المعاني موجودة في العالم ممن هي ممكنة منه ممتنعة من غيرهم واما المحال في الوجود فكانقلاب الجماد حيوانا والحيوان جمادا او حيوانا آخر وكنطق الحجر واختراع الاجسام وما اشبه هذا فان هذا كله ليس ممكنا عندنا البتة ولا موجودا ولكنه متوهم في العقل متشكل في النفس كيف كان يكون لو كان وبهذين القسمين تاتي الانبياء عليهم السلام في معجزاتهم الدالة على صدقهم في النبوة واما المحال فيما بيننا في بنية العقل فكون المرء قائما قاعدا معا في حين واحد وكسؤال السائل هل يقدر الله تعالى على ان يجعل المرء قاعدا لا قاعدا معا او سائر ما لا يتشكل في العقل فيما يقع فيه التاثير لو أمكن فيما دون الباري عز وجل فهذه الوجوه الثلاثة من سأل عنها ايقدر الله تعالى عليها فهو سؤال صحيح مفهوم معروف وجهه يلزم الجواب عنه بنعم ان الله قادر على ذلك كله الا ان المحال في بنية العقل فيما بيننا لا يكون البتة في هذا العالم لا معجزة لنبي ولا بغير ذلك البتة هذا واقع في النفس بالضرورة ولا يبعد ان يكون الله تعالى يفعل هذا في عالم له آخر واما المحال المطلق فهو كل سؤال اوجب على ذات الباري تغييرا فهذا هو المحال لعينه الذي ينقض بعضه بعضا ويفسد آخره اوله وهذا النوع لم يزل محالا في علم الله تعالى ولا هو ممكن فهمه لاحد وما كان هكذا فليس سؤالا ولا سأل سائله عن معنى اصلا واذا لم يسأل فلا يقتضي جوابا على تحقيقه او توهمه لكن يقتضي جوابا بنعم اولا لئلا ينسب بذلك الى وصفه تعالى بعدم القدرة الذي هو العجز بوجه اصلا وان كنا موقنين بضرورة العقل بان الله تعالى لم يفعله

وتعلمها ما جهلت وتطهرها عما ادنست فيه وتزكيها عما تنجست به وذلك الجزء الشريف هو النبي المبعوث في كل دور من الادوار فيجري على سنن العقل والعنصر الاول من رعاية المحبة والغلبة فيتألف بعض النفوس بالحكمة والموعظة الحسنة ويشدد على بعضها بالقهر والغلبة وتارة يدعو بالاسان من جهة المحبة لطفا وتارة يدعو بالسيف من جهة الغلبة عنفا فيخلص النفوس الجزئية الشريفة التي اغترت بتمويهات النفسين المزاجيتين عن التمويه الباطل والتسويل الزايل وربما يكسو النفسين السافلتين كسوة النفس الشريفة فتنقلب صفة الشهوية الى المحبة محبة الخير والحق والصدق وتنقلب صفة الغضبية الى الغلبة

قط ولا يفعله ابدا وهذا مثل من سال ايقدر الله تعالى على نفسه او على ان يجهل او على ان يعجز أو على ان يحدث مثله او على احداث ما لا اول له فهذه سؤالات تفسد بعضها بعضا تشبه كلام الممرورين والمجانين وكلام من لا يفهم وهذا النوع لم يزل الله تعالى يجعله محالا ممتنعا باطلا قبل حدوث العقل و بعد حدوثه ابدا واما المحال فى العقل وهو القسم الثالث الذى ذكرنا قبل فان العقل مخلوق محدث خلقه الله تعالى بعد ان لم يكن وانما هو قوة من قوى النفس عرض محمول فيها احدثه الله تعالى واحدث رتبه على ما هى عليه مختارا لذلك تعالى و بضرورة العقل نعلم ان من اخترع شيئا لم يكن قط لا على مثال سالف ولا عن ضرورة اوجبت عليه اختراعه لكن اختار ان يفعله فانه قادر على ترك اختراعه قادر على اختراع غيره مثله اوخلافه ولا فرق بين قدرته على بعض ذلك و بين قدرته على سائره فكل ما خلقه الله تعالى محالا فى العقل فقط فانما كان محالا مذ جعله الله تعالى محالا وحين احدث صورة العقل لا قبل ذلك فلو شاء تعالى ان لا يجعله محالا لما كان محالا وكذلك من سال هل يقدر الله تعالى على ان يجعل شيئا موجودا معدوما معا فى وقت واحد اوجسما فى مكانين اوجسمين فى مكان وكل ما اشبه هذا فهو سؤال صحيح والله تعالى قادر على كل ذلك لوشاء ان يكونه لكونه ومن البرهان على ذلك ما نراه فى منامنا مما لا شك انه محال فى حال اليقظة ممتنع يقينا ونراه فى منامنا ممكنا محسوسا مرئيا ببصر النفس مسموعا بسمعها فبالضرورة يدرى كل ذى حس ان الذى جعل المحال ممكنا فى النوم كان قادرا على ان يوجده ممكنا فى اليقظة وكذلك من سال هل الله تعالى قادر على ان يتخذ ولدا فالجواب انه تعالى قادر على ذلك(١) وقد نص عز وجل على ذلك فى القرآن قال الله تعالى *لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء* وكذلك قال تعالى *لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين

(قال أبو محمد) ومن لم يطلق ان الله عزوجل يقدر على ذلك وحسن قوله بان قال لا يوصف الله بالقدرة على ذلك فقد قطع بان الله عز وجل لا يقدر اذ لا واسطة فيمن يوصف بالقدرة على شيء ما ثم وصف فى شيء آخر بانه لا يقدر عليه فقد خرج من أنه لا يقدر عليه واذا وجب ان لا يقدر فقد ثبت انه عاجز ضرورة عما لا يقدر عليه ولا بد ومن وصف الله تعالى بالعجز فقد كفر وايضا فان من قال لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال فقد جعل قدرته سبحانه وتعالى متناهية وجعل قوته عز وجل منقطعة محدودة وملزومة بذلك ضرورة ان قوته تعالى متناهية عرض وانه تعالى فاعل بطبيعة فيه متناهية وهذا تحديد للبارى عزوجل وكفر به مجرد وادخال له فى جملة المخلوقين ومعنى قولنا ان الله تعالى يقدر على المعدوم وعلى المحال انما هو ما نبينه ان شاء الله تعالى وهو ان سؤال السائل عن المحال وعن المعدوم هو بلا شك سؤال موجود مسموع ملفوظ به فجوابنا

فيغلب الشر والباطل والكذب فتصعد النفس الجزئية الشريفة الى عالم الروحانيين بهما جميعا فيكونان جسدا لها فى ذلك العالم كما كانتا جسدا فى هذا العالم وقد قيل ان كانت الدولة والحد لاحد أحبه أشكاله فيغلب بمحبتهم له أضداده ومما نقل من انبذقلس انه قال العالم مركب من الاستقساط الاربع فانه

(١) قوله قادر على ذلك الخ كيف هذا مع انه من المحال المطلق الذى يوجب على الله تغييرا لان وجود ولد له يؤدى الى الحدوث وهو قد قرر ان ما اوجب ذلك لا يستحق جوابا لانه سؤال يفسد بعضه بعضا وما استدل به من الآيات لا يقتضى ذلك لانها شرطيات ومن المقرر ان الشرطية لا تقتضى الوقوع ولا الامكان فتامل جدا فى هذا المقام فانه خالف فيه جماهير الامة اهـ

هوانا حققنا ان الله تعالى قادر على ان يخلق لذلك اللفظ معنى يوجده وهـذا جواب صحيح معقول وهذا قولنا وليس الا هـذا القول وقول على الاسوارى الذى يقول ان الله تعالى لايقدر على غير ماعلم انه يفعله جملة وامامن خالفنا وخالف الاسواري فلا بد لهمن الرجوع الى قولنا او الوقوع فى قول الاسوارى وان زعم لانه متى ماوصف الله تعالى بالقدرة على شيء لم يفعلهمن ابراء مريض أو خلق شيء أوتحريك شيءساكن فانه قدر وصفه بالقدرة على احالة علمهوتكذيب حكمه وهذاهو المحال فقد قال بقولنا ولابد أو بقول الاسوارى ولابد وأماكلسؤال أدي الى القول فيذاته عز وجل فاننا نقول إن كل ماسال عنه سائل لانحاشى شيئا فان الله تعالى قادر عليه غير عاجز عنه الاأن من السؤالات سؤالات لايستحل سماعها ولايستحل النطق بها ولايحل الجلوس حيث يلفظ بها وهى كل مافيها كفر بالباري تعالى واستخفاف بهأوبنبي من أنبيائه اوبملك من ملائكته اوباية من آياته عزوجل قال عز وجل ﴿اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حـديث غيره انكم اذا مثلهم﴾ وقال عز وجل ﴿ قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم﴾

(قال ابو محمد) ولو ان سائلا سالنا هل الله قادر على ان يمسخ هذا الكافر قرداوكلبا لقلنا نعم ولوانه اراد ان يسألنا هذا السؤال فيمن يلزمنا تعظيمه من ملك اونبي اوصاحب نبي او مسلم فاضل لم يحل لنا الاستماع اليه ولكننا قد اجبناه جوابا كافيا لان الله تعالى قادر على كل مايسال عنه لانحاشي شيئا فمن تمادى بعد هذا الجواب الكافى فانما غرضه التشنيع فقط والتمويه وهذان من دلائل العجز عن المناظرة والانقطاع والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) والناس في هذا الباب على اقسام فمبدؤها قول من قال لايوصف الله تعالى بالقدرة على غير مايفعل وهو قول علي الاسوارى احد شيوخ المعتزلة واعلموا انه لابد لكل من منع من ان يقدر الله تعالى على محال او على شيء مما يسأل عنه السائل فلا بد ضرورة من المصير إلى هذا القول اوظهور تناقضه وتفاسد قوله وخروجه الى المحال البحت الذى فر عنه بزعمه على مانبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) وقد قالت طائفة بمعنى هذا القول الا انها استشنعت عبارة الاسوارى فقالت ان الله تعالى قادر على كل شيء ولكن ان سالنا سائل فقال ايقدر الله تعالى على امر كذا مع تقدم علمه بانه لايكون قالوا فالجواب انه تعالى لايوصف بالقدرة على ذلك

(قال ابو محمد) وهذا لاخفاء لانهم اوجبوا قدرته واعدموها على شيء واحد وهو الباطل بلاخفاء وقالت طائفة ان الله تعالى قادر على غير مافعل الا انه لايوصف بالقدرة على اصلح مما فعل بعباده وهو قول جمهور المعتزلة وقالت طائفة ان الله تعالى قادر على غير مافعل الا انه لايقدر على الظلم ولا على الجور ولا على اتخاذ الولد ولا على اظهار معجزة على يد كذاب ولا على شيء من المحال ولا على نسخ التوحيد وهذا قول النظام واصحابه والاشعرية وان كانوا مختلفين فى مائية الظلم وقالت طائفة ان الله تعالى قادر على غير مافعل وعلى الجور والظلم والكذب الا انه لايقدر على المحال مثل ان يجعل الشيء

ليس وراها شيء أبسط منها وان الاشياء كامنة بعضها فى بعض وابطل الكون والاستحالة والفساد والنمو وقال الهواء لايستحيل نارا ولا الماء هواء ولكن ذلك بتكاثف وتخلخل وبكون وظهور وتركب وتحلل وانما التركب فى المركبات بالمحبة يكون والتحلل فى المتحللات بالغلبة يكون ومما

معدوماً موجودا معا وقائما قاعدا معا اوفى مكانين معا وهذا قول البلخى وطوائف من المعتزلة

(قال ابو محمد) والذى عليه اهل الاسلام كلهم ومن سلف من الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم قبل ان تحدث هذه الضلالات وهذا الاقدام الشنيع الذى لولا ضلال من ضل به ما انطلقت السنتنا به ولا سمحت ايدينا بكتابته ولكنا نحكيه حكاية الله ضلال من ضل فقال المسيح ابن الله والعزيز ابن الله ويد الله مغلولة والله فقير ونحن اغنياء واذ قال للانسان اكفر وكما انذر رسوله صلى الله عليه وسلم بان الناس لايزالون يتساءلون فيما بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فقول اهل الاسلام عامتهم وخاصتهم قبل ماذكرنا هو ان الله تعالى فعال لما يشاء وعلى كل شيء قدير وبهذا جاء القرآن وكل مسئول عنه وان بلغ الغاية من المحال فهم اولم يفهم فالله تعالى قادر عليه

(قال ابو محمد) وقال لى بعضهم ان القرآن انما جاء بان الله تعالى يفعل مايشاء ونحن لاننكر هذا وانما نمنع من ان يوصف الله تعالى بالقدرة على مالايشاء وبالقدرة على ماليس بشيء فقلت له قد قال الله تعالى يرزق من يشاء ويقدر فعم عز وجل ولم يخص فلا يحل لاحد تخصيص قدرته تعالى اصلا وقال تعالى * قل ان الله قادر على ان ينزل آية * وقال تعالى * ولوتقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقال تعالى * انا لقادرون على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون * وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * وقال تعالى * اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى * وقال تعالى عن نوح النبى ﷺ انه قال * استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا * مع قوله تعالى * انه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن * قال تعالى * قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم اومن تحت ارجلكم * وقال تعالى ، عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فهذا نص على ان يفعل خلاف ماسبق فى علمه من هدى من علم انه لايهديه ومن تعذيب من علم انه لايعذب ابدا وتبديل ازواج قد علم انه لايبدلهن ابدا وكل هذا نص على قدرته على ابطال علمه الذي لم يزل وعلى تكذيب قوله الذى لايكذب ابدا ومثل هذا فى القرآن كثير فمن اعجب قولا واتم ضلالة ممن يوجب بقوله ان الله تعالى كذب وانه تعالى مع ذلك غير قادر على الكذب مع قوله تعالى ، عند مليك مقتدر ، وقال تعالى ، هو العليم القدير ، وقوله تعالى ، وكان الله عليما قديرا ، فاطلق تعالى لنفسه القدرة وعم ولم يخص فلا يجوز تخصيص قدرته بوجه من الوجوه (قال ابو محمد) فان قال قائل فما يؤمنكم اذ هو تعالى قادر على الظلم والكذب والمحال من ان يكون قدفعله اولعله سيفعله فتبطل الحقائق كلها ولا تصح ويكون كل ما اخبرنا به كذبا

(قال ابو محمد) وجوابنا فى هذا هو ان الذى امننا من ذلك ضرورة المعرفة التى قد وصفها الله تعالى فى نفوسنا كمعرفتنا ان ثلاثة اكثر من اثنين وان المميز مميز والاحمق احمق وان النخل لايحمل زيتونا

نقل عنه أيضا انه تكلم فى البارى تعالى بنوع حركة وسكون فقال انه متحرك بنوع سكون لان العقل والعنصر متحركان بنوع سكون وهو مبدعهما ولا محالة المبدع اكبر لانه علة كل متحرك وساكن وشايعه على هذا الرأى فيتاغورس ومن بعده من الحكماء الى افلاطن واما زيتون الاكبر وذيمقراط والشاعريون

وان الحير لا يحمل جبالا وان البغال لا تتكلم في النحو والشعر والفلسفة وسائر ما استقر في النفوس علمه ضرورة والا فليخبرونا ما الذي أمنهم ماذكرنا ولعله قد كان او سيكون ولا فرق فاذ قد صح اطباق كل من يقر بالله من جميع الملل ان هـذا العالم ليس في بنيته كون المحال المذكور فيه مع موافقته اكثر المخالفين لنا على ان هـذا كله فان الله تعالى قادر عليه ولـكن لا يفعله فالذي أمنهم من أنه تعالى يفعله هو الذي أمننا من ان نفعل ما قالوا لنا فيه لعله قد فعله او سيفعله ولا فرق وان هذا العالم ليس في بنيته كون المحال المذكور فيه وانه تعالى لا يجور ولا يكذب وبالضرورة الموجبة علمنا القول بحدوث العالم وبان له صانعاً لا يشبهه لم يزل وبان ما ظهر من الانبياء عليهم السلام فمن عنده تعالى وان تلك المعجزات موجبة تصديقهم وهم اخـبرونا ان الله تعالى لا يكذب ولا يظلم وانه تعالى قد اخبرنا بانه قد تمت كلماته صدقا وعدلا لا مبدل لـكلماته وانه تعالى قادر وليس كل ما يقدر عليه يفعله فان كان السائل من هـذا متدينا بدين الاسلام او النصارى او اليهود او المجوس او الصابئين او البراهمـة او كل من يدين بان الله حق فانهم مجمعون على انه تعالى لا يكذب ولا يظلم وكل من نفى الخالق فليس فيهم احد يقول انه يظلم او يكذب فقد صح اطباق جميع سكان الارض قديما وحديثا لا نحاشي احدا على ان الله تعالى لا يظلم ولا يكذب فلو لم يكونوا مضطرين الى القول بهذا لوجد فيهم ولو واحـد يقول بخلاف ذلك ومن المحال ان تجتمع طبائعهم كلهم على هذا الا لضرورة وضعها الله عز وجـل في نفوسهم كضرورتهم الى معرفة ما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهـم وايضا فنقول لمن سأل هـذا السؤال ايمكن ان يكون انسان في الناس قد توسوس واوهمته ظنونه الـكاذبة وتخيله الفاسد وهوسه أن الاشياء على خلاف ما هي عليه وأن الناس على خلاف ما هم عليه ويتصور عنده هذا الظن الفاسد أنه حق لا يشك فيه ام ليس يمكن ان يكون هـذا في العالم فان قالوا لا يمكن ان يكون هذا في العالم اتوا بالمحال البحت وكابروا وان قالوا بل هو ممكن موجود في الناس كثير من هذه صفته قيل لهم فما يؤمنكم من ان تكونوا بهذه الصفة ونقول لمن يؤمن بالله العظيم منهم ايقدر الله تعالى على ان يحيل حواسك كما فعل بصاحب الصفراء الذي يجد العسل مرا كالعلقم وبصاحب ابتداء الماء النازل في عينيه فيرى خيالات لا حقيقة لها وكمن في سمعه آفة فهو يسمع طنينا لا حقيقة له ام لا يقدر فان قالوا يقدر قيل له فما يؤمنك من انك بهذه الصفة فان قال ان كل من يحضرني يخبرني بأن لست من أهل هذه الصفة قيل له وهكذا يظن ذلك الموسوس ولا فرق فانه لابد ان يقول اني أرى انى بخلاف هذه الصفة ضرورة وعلما يقينا قلنا له بمثل هذا سواء بسواء أمنا ان يكون الله يظلم او يكذب او يحيل طبيعة لغير نبي يفعل المحال مع قدرته على ذلك ولا فرق

(قال ابو محمد) ويقال لجميع هذه الفرق حاشا من قال بقول على الاسوارى هل شنعتم على على الاسوارى لانه اذا وصف الله تعالى بانه لا يقدر على غير ما فعـل فقد وصفه تعالى بالعجز ولا بد فلابد من نعم فيقال لهم فان هذا نفسه لازم لكم في قولكم بانه لا يقدر على الظلم والكذب ولا على المحال ولا على نفسه اولا اصلح مما فعل بعباده ضرورة لا ينفكون من ذلك فان قالتم ان هذا لا يلزمنا قيل لـكم ولا يعجز على الاسوارى عن ان يقول ايضا ان هـذا لا يلزمنى وهذا الا انفكاك منه ويقال لهم اذا اخبر الله عز وجل انه سيقيم الساعة وسيميت زايدا يوم

فصاروا الى انه تعالى متحرك وقد سبق النقل عن انكساغورس انه قال هو ساكن لا يتحرك لان الحركة لا تكون الا محدثة قال الان يقـولوا ان تلك الحركة فوق هذه الحركة كما ان ذلك السكون فوق هذا السكون وهؤلاء ما عنوا بالحركة والسكون النقلة عن مكان واللبث في مكان ولا بالحـركة التغير

كذا ايقدر ان لا يميته في ذلك اليوم وعلى ان يميته قبل ذلك اليوم ام لا فان قالوا لا لحقوا بقول الاسوارى وان قالوا نعم اقروا انه يقدر على تكذيب قوله وهذا هو القدرة على الكذب التى ابطلوا ونسألهم ايضا اذ امرنا الله تعالى بالدعاء ومنه ماقد علم انه لا يجيب الداعي به هل امرنا بالدعاء من ذلك فيما لا يستطيع ولا يقدر عليه ام فيما يقدر عليه فان قالوا فيما لا يقدر عليه لحقوا بالاسوارى واوجبوا على الله تعالى القول بالمحال اذ زعموا انه امرنا بان نرغب اليه فى ان يفعل مالا يقدر عليه تعالى الله عن ذلك وان قالوا بل فيما يقدر عليه اقروا انه يقدر على ابطال علمه والذى يدخل هذا الذي هو الكفر المجرد من ابطال دلائل التوحيد وابطال حدوثه العالم وخلاف الاجماع غير قليل فان قال على الاسواري لا يلزمنى اثبات العجز بنفي القدرة بل انفى عنه الامرين جميعا كما قلتم انتم ان نفيكم عنه تعالى الحركة لا يلزمه السكون ونفي السكون لا يلزمه الحركة كما تنفون عنه الضدين جميعا من الشجاعة والجبن وسائر الصفات التى نفيتموها واضدادها

(قال أبو محمد) فنقول وبالله التوفيق ان هذا تمويه ضعيف لاننا نحن في نفي هذه الصفات عنه تعالى جارون على سنن واحد في نفي جميع صفات المخلوقين عنه كلها وأنتم قد أثبتم له قدرة على اشياء ونفيتم عنه قدرة على غيرها فوجب ضرورة اثبات العجز عنه في الاشياء التى وصفتموه بعدم القدرة عليها وأما نحن فلو وصفناه بالشجاعة في شيء أو بالحركة في وجه ما أو وصفناه بالعقل فى شيء مالزمنا نفينا عنه الصفات في وجه آخر للزمنا حيث وصفناه بشيء منها نفي ضدها وللزمنا حيث نفيناعنه ضدها أن نثبتها له ولابد كما نعلنا في الرحمة والسخط فاننا اذا وصفناه بالرحمة لابى بكر الصديق فقد نفينا عنه عز وجل السخط عليه واذا نفينا عنه الرحمة لابى جهل فقد أثبتنا له بذلك السخط عليه وهذا برهان ضروري فان موه مموه فقال ألستم تقولون ان الله تعالى لا يعلم الحي ميتا فهل تثبتون له بنفي العلم هاهنا الجهل قلنا له وهذا أيضا تمويه آخر بل أوجبنا له بذلك العلم حقا لاننا اذا نفينا عنه العلم ما الاشياء فقد أثبتنا له تعالى العلم بحقيقة ما الاشياء وهل هاهنا شيء يجهل اصلا وانما الجهل بشيء حق الجاهل به فقط

(قال أبو محمد) وقد قلنا لمن نظرنا منهم انكم تنسبون لله تعالى علما لم يزل فاخبرونا هل يقدر الله تعالى على أن يميت اليوم من علم انه لا يميته الا غدا وهل يقدر ربكم على أن يزيل الآن بنية عن مكان قد علم انها لا تزول عنه الا غدا وعلى رحمة من مات مشركا مع قوله تعالى انه لا يرحمه أصلا أم لا يقدر على ذلك فقال لنا منهم قائل ان الله تعالى قادر على ذلك فقلنا له قد اقررتم انه يقدر على احاطة علمه الذى لم يزل وعلى تكذيب كلامه وهذا إبطال قولكم صراحا وقال منهم قائلون انه تعالى قادر على ذلك ولو فعله لكان قد سبق فى علمه انه سيكون كما فعل فقلنا لهم لم نسألكم الاعمل يقدر على ذلك مع تقدم علمه انه لا يكون فضجروا هاهنا وانقطعوا ولجأ بعضهم الى القطع بقول على الاسوارى فى انه لا يقدر على ذلك فقلنا لهم اذا كان تعالى لا يقدر على شيء غير ما فعل ولا على نقل بنية عن موضعها فهو اذا مضطر مجبر أو ذو طبيعة جارية على سنن واحد نعم ويلزم الاسوارى ومن قال بقوله ان استطاعة الله ليست قبل فعله البتة وانما هي مع فعله ولابد لانه لو كان مستطيعا قبل الفعل لكان قادرا على أن يفعل في الوقت الذي علم انه لا يفعل فيه وهذا خلاف قوله نصا وهو يقول ان الانسان

والاستحالة وبالسكون ثبات الجوهر والدوام على حالة واحدة فان الازلية والقدم ينافى هذه المعانى كلها ومن يحترز ذلك الاحتراز عن التكثر فكيف يجازف هذه المجازفة فى التغير فاما الحركة والسكون فى العقل والنفس فانما عنوا به الفعل والانفعال وذلك ان العقل لما كان موجودا كاملا بالفعل قالوا هو ساكن واحد مستغن عن حركة يصير بها فاعلا

مستطيع قبل الفعل فهو أتم طاقة وقدرة من الله تعالى ويلزمه ايضا القول بحدوث قدرة الله تعالى ولا بد اذ لوكانت قدرته لم تزل لكان قادرا على الفعل قبل أن يفعل ولا بد وهذا خلاف قوله وهذا كفر مجرد اذ يقول أن الانسان قادر على غير ما علم الله تعالى ان يفعله والله تعالى لا يقدر على ذلك فان هؤلاء جمعوا الى تعجيز ربهم القول بانهم أقوى منه وهـذا على أشد مايكون من الكفر والشرك والحماقة

(قال أبو محمد) وكلهم يقول بهذا المعنى لان جميعهم يقول ان كل مخلوق فهو قادر على كل مايفعله من اتخاذ ولد وحركة وسكون وغير ذلك وان البارى تعالى لا يقدر على شيء من ذلك وهذا كفر وحش جدا

(قال أبو محمد) وسألناهم أيضا فقلنا لهم أتقرون أن الله تعالى لم يزل قادرا على أن يخلق أم تقولون انه لم يزل غير قادر على أن يخلق ثم قدر فقول كل من لقينا منهم وقول جميع أهل الاسلام أن الله عز وجل لم يزل قادرا على أن يخلق

(قال ابو محمد) وهم وجميع أهل الاسلام منكرون على من قال من أهل الالحاد ان الله تعالى لم يزل خالقا قاطعون بان لم يزل يخلق محال متفاسد

(قال ابو محمد) صدقوا فى ذلك الا انهم اذا قروا أن قول من قال انه لم يزل يخلق محال واقروا انه لم يزل قادرا على ذلك فقد أقروا بصحة قولنا وانه تعالى قادر على المحال ولا بد من هذا والكفر والقول بانه تعالى لم يزل غير قادر والحمد لله على هداه لنا الى الحق

(قال ابو محمد) وسألناهم ايضا فقلنا لهم هل يجوز عندكم ان يدعى الله تعالى فى ان يفعل مالا يقدر على سواه او فى ان لا يفعل مالا يقدر على فعله فان قالوا نعم اتوا بالمحـال وان قالوا لا يجوز ذلك قيل لهم فقد امرنا الله تعالى ان ندعوه فنقول رب احكم بالحق ولا تحملنا مالا طاقة لنا به وهو عندكم لا يقدر على الحكم بغير الحق ولا أن يحملنا مالا طاقة لنا به

(قال ابو محمد) ومن عجائب الدنيا انهم يسمعون الله تعالى يقول * وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وان الله ثالث ثلاثة وان الله هو المسيح بن مريم والله فقير ونحن اغنيـاء ويد الله مغلولة وكمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر * ولا يشك مسلم فى ان هذا كله كذب فاى حماقة اشنع من قول من قال ان الله قادر على ان يقول كل ذلك حاكيا ولا يقدر ان يقوله من غير ان يقول ماقيل هذه الاقوال من اضافتها الى غيره وهذا قول يغنى ذكره وسخافته عن تكلف الرد عليه

(قال ابو محمد) ثم سألناهم فقلنا لهم من اين علمتم ان الله تعالى لا يقدر على الكذب او المحال او الظلم او غير مافعل فلم تكن لهم حجة اصلا الى ان قالوا لو قدر على شيء من ذلك لما امنا ان يكون فعله او لعله سيفعله فقلنا لهم ومن اين امنتم ان يكون قد فعله او لعله سيفعله فلم تكن لهم حجة اصلا الا ان قالوا لانه لا يقدر على فعله

(قال ابو محمد) فحصل من هذا ان حجتهم انه تعالى لا يقدر على الظلم والكذب والمحال وغير مافعل انه لا يقدر على شيء من ذلك فاستدلوا على قولهم بذلك القول نفسه وهذه سفسطة تامة وحماقة ظاهرة وجهل قوى لا يرضى به لنفسه الا سخيف العقل ضعيف الدين فلا ضرورة من ان يرجعوا الى قولنا فى انه بالضرورة علمنا انه تعالى لا يفعل شيئا من ذلك كما

والنفس لما كانت ناقصة متوجهة الى الكمال قالوا هى متحركة طالبة درجة العقل ثم قالوا العقل ساكن بنوع حركة اى هو فى ذاته كامل بالفعل فاعل مخرج للنفس من القوة الى الفعل والفعل نوع حركة فى سكون والكمال نوع سكون فى حركة اى هو كامل ومكمل غيره فعلى هذا القول يجوز على قضية مذهبهم اضافة الحركة والسكون الى البارى تعالى

علمنا ان زريعة العنب لايخرج منها الجوز وان ماء الفرس لايتولد منها جمل
(قال ابو محمد) واما نحن فان برهاننا على صحة قولنا ان البرهان قد قام على انه تعالى لايشبهه شيء من خلقه في شيء من الاشياء والخلق عاجزون عن شيء كثير من الامور والعجز من صفة المخلوقين فهو منفي عن الله عز وجل جملة وليس في الخلق قادر بذاته على كل مسئول عنه فوجب ان البارى تعالى هو الذي يقدر على كل مسئول عنه وكذلك الكذب والظلم من صفات المخلوقين فوجب يقينا انهما منفيان عن البارى تعالى فهذا هو الذى آمننا من ان يظلم او يكذب او يفعل غير ما علم انه يفعله وان كان تعالى قادرا على ذلك وقلنا لهم ايضا اذا كان عز وجل لايوصف بالقدرة على ابطال علمه فكان لايوصف بالقدرة على اماتته اليوم من علم انه لايميته الا غدا لانه لاقدرة له على ذلك ولو كان له على ذلك قدرة لوصف بها فاذا جاء غد فاماته فله قدرة على اماتته حينئذ فقد حدثت له قدرة بعد ان لم تكن وهذا يوجب ان قدرته تعالى حادثة (١) وهذا خلاف قولهم
(قال ابو محمد) وفي هذا ايضا محال آخر وهو انه اذا حدثت له قدرة بعد ان لم تكن فمن احدثها له اهو احدثها لنفسه ام غيره احدثها له ام حدثت بلا محدث فان قالوا هو احدثها لنفسه سئلوا بلا قدرة واحدث لنفسه القدرة ام بقدرة اخرى فان قالوا احدث لنفسه قدرة بلا قدرة اتوا بالمحال وان قالوا بل بقدرة اثبتوا قدرة لم تزل بخلاف قولهم وان قالوا غيره احدثها له اوحدثت بلا محدث لحقوا بقول الدهرية وكفروا وفي قولهم هذا من خلاف المعقول وخلاف القرآن وخلاف البرهان ما يضيق به نفوس المؤمنين والحمد لله على معافاته لنا مما ابتلاهم به وقالوا لوفعل تعالى كل ذلك كيف كان يسمى فقلنا هذا سؤال سخيف عما لايكون ابدا وهو كمن سأل لوطار الانسان كم ريشة كانت تكون له وماشبه هذا من الحماقة المأمون كونها وتسمية البارى تعالى اليه تعالى لا الينا وبالله تعالى التوفيق وقال ابو الهذيل العلاف ان لما يقدر الله تعالى عليه كلا وآخرا كما له اول فلو خرج آخره الى الفعل ولا يخرج لم يكن الله تعالى قادرا على شيء اصلا ولا على فعل شيء بوجه من الوجوه وقال عبد الله بن احمد بن محمود الكعبي مانعلم احدا يعتقد هذا اليوم الايحيي بن بشر الارجاني وادعى ان ابا الهذيل تاب عن هذا القول (قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد لاخفاء به لانه يجوز على ربه تعالى الكون في صفة الجماد او المخدور المفلوج مع صحة الاجماع

ومن العجب أن مثل هذا الاختلاف قد وجد في أرباب الملل حتى صار بعض الى أنه مستقر في مكان ومستو على مكان وذلك اشارة الى السكون وصار بعض الى انه يجيء ويذهب وينزل ويصعد وذلك عبارة عن الحركة الا أن يحمل على معنى صحيح لائق بجناب القدس حقيق بجلال الحق ومما نقل عن أنبذقلس في أمر المعاد قال يبقى هذا العالم

(١) قوله حادثة الخ لايلزم ذلك على قولهم فانهم يقولون ان القدرة القديمة لها تعلقات حادثة ولا يلزم من حدوث التعلقات حدوث القدرة وقد اطال المؤلف في هذا المبحث اطالة لاتجدي فاننا لو قلنا ان القدرة تتعلق بالمستحيلات او بالواجبات للزم قلب الحقائق اذ يصير الواجب والمستحيل جائزا ويلزم على ذلك من البشاعة مالا يدخل تحت حصر اذ لوجاز تعلق القدرة بالواجب لجاز ان تتعلق باعدامه تعالى وما جاز عدمه لايكون واجب الوجوب بل ممكنا فقد ادى ذلك الى امكانه ولا ينفعه في التخلص عدم التعلق بالفعل بل جواز التعلق يؤدى الى هذا وهكذا القول في الشريك فكان القول بذلك مؤديا للمستحيل وماادى للمستحيل باطل فلا يلتفت لما طال به المؤلف في هذا المبحث انتهى
مصححه

على خلاف هذا القول الفاسد مع خلافه للقرآن ولموجب العقل وبديهته كذا عنده واظنه لقد شبهه تعالى بالمخلوقين

(قال ابو محمد) واما الاسوارى فجعل ربه تعالى مضطرا بمنزلة الجماد ولا فرق لاقدرة له على غير مافعل وهذه حال دون حال البق والبراغيث واما ابو الهذيل فجعل قدرة ربه تعالى متناهية بمنزلة المختارين من خلقه وهذا هو التشبيه حقا وأما النظام والاشعرية فكذلك ايضا وجعلوا قدرة ربهم تعالى متناهية يقدر على شيء ولايقدر على آخر وهذه صفة اهل النقص واما سائر المعتزلة فوصفوه تعالى بانه لانهاية لما يقدر عليه من الشر وان قدرته على الخير متناهية وهذه صفة شر وطبيعة خبيثة جدا نعوذ بالله منها الا بشر بن المعتمر فقوله فى هذا كقول اهل الحق وهو ان لاتتناهي قدرته اصلا والحمد لله رب العالمين

(تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث ان شاء الله أوله الكلام فى الرؤية)

على الوجه الذى عقدناه من النفوس التى تشبثت بالطبائع والارواح تعلقت بالشباك حتى تستغيث فى آخر الامر الى النفس الكلية التى هي كلها فتتضرع النفس الى العقل ويتضرع العقل الى البارى تعالى فيسبح البارى الى العقل ويسبح العقل على النفس ويسبح النفس على هذا العالم بكل نورها فتستضيء الانفس الجزئية وتشرق الارض والعالم بنور

فهرست الجزء الثانى من كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل
للامام ابى محمد على بن حزم الظاهرى

(فهرست الجزء الثانى من الملل والنحل للشهرستاني)

تم الفهرست

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

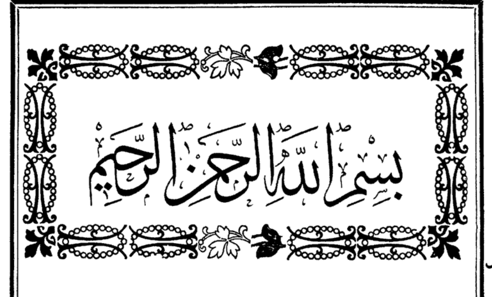
للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

الجزء الثالث

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكي ت ٣١٠٧٣



(الكلام في الرؤية)

(قال ابو محمد) ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان الى ان الله تعالى لا يرى فى الآخرة، وقد روينا هذا القول عن مجاهد وعذره فى ذلك ان الخبر لم يبلغ اليه، وروينا هذا القول ايضا عن الحسن البصرى وعكرمة وقدروى عن عكرمة والحسن ايجاب الرؤية له تعالى، وذهبت المجسمة الى ان الله تعالى يرى فى الدنيا والآخرة، وذهب جمهور اهل السنة والمرجئة وضرار ابن عمرو من المعتزلة الى ان الله تعالى يرى فى الآخرة ولا يري فى الدنيا اصلا، وقال الحسن ابن محمد النجار هو جائز ولم يقطع به

(قال ابو محمد) اما قول المجسمة ففاسد بما تقدم من كلامنا فى هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين وعمدة من انكر ان الرؤيا المعهودة عندنا لا تقع الا على الالوان لا على ماعداها البتة، وهذا مبعد عن البارى عزوجل، وقد احتج من انكر الرؤية علينا بهذه الحجة بعينها، وهذا سوء وضع منهم، لاننا لم نقل قط بتجويز هذه الرؤية على البارى عزوجل وانما قلنا انه تعالى يرى فى الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة فى العين الآن لكن بقوة موهوبة من الله تعالى وقد سماها بعض القائلين بهذا القول الحاسة السادسة، وبيان ذلك اننا نعلم الله عز وجل بقلوبنا علماً صحيحا، هذا مالا شك فيه، فيضع الله تعالى فى الابصار قوة تشاهد بها الله وترى بها كالتى وضع فى الدنيا فى القلب، وكالتى وضعها الله عز وجل فى أذن موسى صلى الله عليه وسلم حتى شاهد الله وسمعه مكلما له، واحتجت المعتزلة بقول الله عز وجل لا تدركه الابصار

(قال ابو محمد) هذا لا حجة لهم فيه، لان الله تعالى انما نفى الادراك والادراك عندنا فى اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الاحاطة وليس هذا المعنى فى النظر والرؤية فالادراك منفى عن الله تعالى على كل حال فى الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله عزوجل فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين * ففرق الله عزوجل بين الادراك والرؤية فرقا جليا، لانه تعالى اثبت الرؤية بقوله فلما تراءى الجمعان واخبر تعالى انه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤية لبنى اسرائيل ونفى الله الادراك بقول موسى عليه السلام لهم كلا ان معى ربى سيهدين. فاخبر الله تعالى انه رأى اصحاب

فرعون

ربها حتى يباين الجزئيات كلها فيستخلص من الشبكة فيتصل بكلياتها وتستقر فى عالمها مسرورة محبورة ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور رأى (فيثاغورس ابن منسارخس) من أهل ساميا وكان فى زمن سليمان عليه السلام قد أخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذو الرأى المتين والعقل الرصين يدعى أنه شاهد العوالم بحسه وحدسه وبلغ فى الرياضة الى أن سمع خفيف الفلك ووصل الى مقام الملك وقال سمعت شيئا قط الذ من حركاتها ولا رأيت شيئاً ابهى من صورها وهيآتها وقوله فى الالهيات أن البارى سبحانه وتعالى واحد كالآحاد ولا يدخل فى العدد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس فلا الفكر العقلى يدركه ولا

فرعون بنى اسرائيل ولم يدركوهم، ولاشك فى ان ما نفاه الله تعالى عز وجل فهو غير الذى اثبته، فالادراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * واعترض بعض المعتزلة وهوابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى فقال ان الى هاهنا ليست حرف جر لكنها اسم وهى واحدة الآلاء وهى النعم فهى فى موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة

(قال ابو محمد) وهذا بعيد لوجهين، احدهما ان الله تعالى اخبر ان تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمة والنعمة نعمة، فاذا حصلت لها النعمة فبعيد ان ينتظر ماقد حصل لها وانما ينتظر مالم يقع بعد، والثانى تواتر الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ببيان ان المراد بالنظر هو الرؤية لا ما تاوله المتاولون وقال بعضهم ان معناها الى ثواب ربها ناظرة اى منتظرة

(قال ابو محمد) هذا فاسد جدا لانه لايقال فى اللغة نظرت الى فلان بمعنى انتظرته

(قال ابو محمد) وحمل الكلام على ظاهره الذى وضع له فى اللغة فرض لايجوز تعديه الا بنص او اجماع، لان من فعل غير ذلك افسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله، فان قال قائل ان حمل اللفظ على المعهود اولى من حمله على غير المعهود قيل له الاولى فى ذلك حمل الامور على معهودها فى اللغة مالم يمنع من ذلك نص او اجماع اوضرورة، لم يات نص ولا اجماع ولا ضرورة تمنع ماذكرنا فى معنى النظر، وقد وافقتنا المعتزلة على انه لا عالم عندنا الا بضمير وانه لافعال الا بمعاناة، ولارحيم الا برقة قلب، ثم اجمعوا معنا على ان الله تعالى عالم بكل مايكون بلا ضمير، وانه عز وجل فعال بلا معاناة ورحيم بلا رقة، فاى فرق بين تجويزهم ماذكرنا وبين تجويزهم رؤية ونظرا بقوة غير القوة المعهودة لولا الخذلان ومخالفة القرآن والسنن نعوذ بالله من ذلك وقد قال بعض المعتزلة اخبرونا اذا رؤى البارى اكله يرى ام بعضه

(قال ابو محمد) وهذا سؤال تعلموه من الملحدين اذ سألونا نحن والمعتزلة فقالوا اذا علمتم البارى تعالى اكله تعلمونه ام بعضه

(قال ابو محمد) وهذا سؤال فاسد مغالط به لانهم اثبتوا كلا وبعضا حيث لا كل ولا بعض والكل والبعض لايقعان الا فى ذى نهاية والبارى تعالى خالق النهاية والمتناهي فهو عز وجل لامتناه ولانهاية فلا كل له ولا بعض

(قال ابو محمد) والآية المذكورة والاحاديث الصحاح المأثورة فى رؤية الله تعالى يوم القيامة موجبة القبول لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا أحرمنا الله ذلك بفضله ومحال ان تكون هذه الرؤية رؤية القلب لان جميع العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار فى الآخرة بلا شك فان قال قائل انما اخبر تعالى بالرؤية عن الوجه قيل وبالله تعالى التوفيق معروف فى اللغة التى بها خوطبنا ان تنسب الرؤية الى الوجه والمراد بها العين قال بعض الاعراب

انافس من ناجاك مقدار لفظة   وتعتاد نفسى ان نات عنك معينها
وان وجوها يصطحبن بنظرة   اليك لمحسود عليك عيونها

(الكلام فى القرآن وهو القول فى كلام الله تعالى)

المنطق النفسى يصفه فهو فوق الصفات الروحانية غير مدرك من نحو ذاته وانما يدرك بآثاره وصنائعه وأفعاله وكل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التى تظهر فيه فينعته ويصفه بذلك القدر الذى خصه من صنعه فالموجودات فى العالم الروحانى قد خصت بآثار خاصة روحانية فينعته من حيث تلك الآثار ولا شك أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التى جبل الحيوان عليها وهداية الانسان مقدرة على الآثار التى فطر الانسان عليها وكل يصفه من نحو ذاته ويقدسه عن خصائص صفاته ثم قال الوحدة تنقسم الى وحدة غير مستفادة من الغير وهى وحدة البارى تعالى ووحدة الاحاطة بكل شئ ووحدة الحكمة على كل شيء ووحدة

(قال ابو محمد) واختلفوا فى كلام الله عز وجل بعد ان أجمع اهل الاسلام كلهم ان لله تعالى كلاما وعلى ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل والزبور والصحف فكل هذا لا اختلاف فيه بين احد من اهل الاسلام ثم قالت المعتزلة ان كلام الله تعالى صفة فعل مخلوق وقالوا ان الله عز وجل كلم موسى بكلام احدثه فى الشجرة وقال اهل السنة ان كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل وانه غير مخلوق وهو قول الامام احمد بن حنبل وغيره رحمهم الله وقالت الاشعرية كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله تعالى وانه ليس لله تعالى الا كلام واحد

(قال ابو محمد) واحتج اهل السنة بحجج منها أن قالوا ان كلام الله تعالى لو كان غير الله لكان لا يخلوا من ان يكون جسما او عرضا فلو كان جسما لكان فى مكان واحد ولو كان ذلك لكنا لم يبلغ الينا كلام الله عز وجل ولا كان يكون مجموعا عندنا في كل بلد كذلك وهذا كفر ولو كان عرضا لاقتضى حاملا ولكان كلام الله تعالى الذى هو عندنا هو غير كلامه الذى عند غيرنا وهذا محال ولكان ايضا يفنى بفناء حامله وهذا لا يقولونه والله تعالى التوفيق قالوا ولو سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى من غير الله تعالى لما كان له عليه السلام فى ذلك فضل علينا لاننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره فصح ان لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو انه عليه السلام سمع كلام الله بخلاف من سواه وايضا فقد قامت الدلائل على ان الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعاني فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقا وجب ضرورة ان يكون كلام الله تعالى ليس مخلوقا وليس غير الله تعالى كما قلنا فى العلم سواء بسواء

(قال ابو محمد) واما الاشعرية فيلزمهم فى قولهم ان كلام الله غير الله ماألزمناهم فى العلم وفي القدرة سواء سواء مما قد تقصيناه قبل هذا والحمد لله رب العالمين واما قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد فخلاف مجرد لله تعالى ولجميع اهل الاسلام لان الله عز وجل يقول * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى * ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله *

(قال ابو محمد) ولا ضلال اضل ولا حياء اعدم ولا مجاهرة اطم ولا تكذيب لله اعظم ممن سمع هذا الكلام الذى لا يشك مسلم انه خبر الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بان لله كلمات لا تنفد ثم يقول هو من رأيه الخسيس انه ليس لله تعالى الا كلام واحد (١) فان ادعوا انهم فروا من ان يكثروا مع الله اكذبهم قولهم ان ههنا خمسة عشر شيئا كلها متغايرة وكلها غير الله وخلاف الله وكلها لم تزل مع الله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

(١) قوله الا كلام واحد الخ هذا الرجل ان ذهب الى ان الكلام هو العلم كيف يجعله متكثرا وهو يقول علم الله ليس غيره وان ذهب الى ان كلام الله غير العلم فكيف ينكر على من يطلقه على صفة تكون امرا ونهيا وغير ذلك من سائر معاني الكلام هذا مما لا يظهر له معنى

تصدر عنه الآحاد الموجودات والكثرة فيها والى وحدة مستفادة وذلك وحدة المخلوقات وربما يقول الوحدة على الاطلاق تنقسم الى وحدة قبل الدهر ووحدة مع الدهر ووحدة بعد الدهر ووحدة قبل الزمان ووحدة مع الزمان فالوحدة التى قبل الدهر وحدة البارى تعالى والوحدة التى هى مع الدهر وحدة العقل الاول والوحدة التى هى بعد الدهر وحدة النفس والوحدة التى هى مع الزمان وحدة العناصر والمركبات وربما يقسم الوحدة قسمة اخرى فيقول الوحدة تنقسم الى وحدة بالذات والى وحدة بالعرض فالوحدة بالذات ليست الا المبدع الكل الذى تصدر منه الوحدانية فى العدد

(قال ابوا محمد) وقالت ايضا هذه الطائفة المنتمية الى الاشعرية ان كلام الله تعالى عز وجل لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وانما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى وان الذى نقرا فى المصاحف ويكتب فيها ليس شيء منها كلام الله وان كلام الله تعالى الذى لم يكن ثم كان ولايحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى لايزايل البارى ولا يقوم بغيره ولايحل فى الاماكن ولا ينتقل ولاهو حروف موصلة ولا بعضه خير من بعض ولا افضل ولا اعظم من بعض وقالوا لم يزل الله تعالى قائلا لجهنم هل امتلات وقائلا للكفار اخسؤا فيها ولا تكلمون ولم يزل تعالى قائلا لكل ماأراد تكوينه كن

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد بلا تاويل وذلك اننا نسالهم عن القرآن اهو كلام الله ام لافان قال ليس هو كلام الله كفروا باجماع الامة وان قالوا بل هو كلام الله سالناهم عن القرآن أهو الذى يتلى فى المساجد ويكتب فى المصاحف ويحفظ فى الصدور ام لافان قالوا لا كفروا باجماع الامة وان قالوا نعم تركوا قولهم الفاسد وقروا ان كلام الله تعالى فى المصاحف ومسموع من القراء ومحفوظ فى الصدور كما يقول جميع اهل الاسلام

(قال ابو محمد) وقال قوم فى اللفظ بالقرآن ونسبوا الى اهل السنة انهم يقولون ان الصوت غير مخلوق والخط غير مخلوق

(قال ابو محمد) وهذا باطل وما قال قط مسلم ان الصوت الذي هو الهواء غير مخلوق وان الخط غير مخلوق

(قال ابو محمد)و الذى نقول به و بالله تعالي التوفيق هو ما قاله الله عز وجل و نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانزيد علي ذلك شيئا وهو ان قول القائل القرآن وقوله كلام الله كلاهما معنى واحد واللفظان مختلفان والقرآن هو كلام الله عز وجل علي الحقيقة بلامجاز ونكفر من لم يقل ذلك و نقول ان جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى على الحقيقة على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى * نزل به الروح الامين علي قلبك لتكون من المنذرين * ثم نقول ان قولنا القرآن وقولنا كلام الله لفظ مشترك يعبر به عن خمسة اشياء فنسمى الصوت المسموع الملفوظ به قرآنا ونقول انه كلام الله تعالى علي الحقيقة وبرهان ذلك هو قول الله عز وجل * وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله * وقوله تعالى * وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه * وقوله تعالى * فاقرؤا ماتيسر من القرآن * وانكر على الكفار وصدق مؤمنى الجن فى قولهم * انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد * فصح ان المسموع وهو الصوت الملفوظ به هو القرآن حقيقة وهو كلام الله تعالي حقيقة من خالف هذا فقد عاند القرآن ويسمى المفهوم من ذلك الصوت قرآنا وكلام الله علي الحقيقة فاذا فسرنا الزكاة المذكورة فى القرآن والصلاة والحج وغير ذلك قلنا فى كل هذا كلام الله وهو القرآن ونسمى المصحف كله قرآنا وكلام الله وبرهاننا علي ذلك قول الله عز وجل * انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض الحرب لئلا يناله العدو وقوله تعالى * لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة * وكتاب الله تعالى هو القرآن باجماع الامة فقد سمى

والمعدود والوحدة بالعرض تنقسم الى ماهو مبدأ العدد وليس داخلا فى العدد والى ماهو مبدأ للعدد وهو داخل فيه والاول كالواحدية للعقل الفعال لانه لا يدخل فى العدد والمعدود والثاني ينقسم الى مايدخل فيه كالجزء له فان الاثنين انما هو مركب من واحدين وكذلك كل عدد فمركب من آحاد لامحالة وحيث ماارتقى العدد الى اكثر نزل نسبة الوحدة اليه الى أقل والى مايدخل فيه كاللازم له لا كالجزء فيه وذلك لان كل عدد معدود لن يخلو قط عن وحدة ملازمة فان الاثنين والثلاثة فى كونهما اثنين وثلاثة واحد وكذلك المعدودات من المركبات والبسائط واحدة اما فى الجنس أو فى النوع أو فى الشخص كالجوهر فى أنه جوهر على الاطلاق

رسول الله صلى الله عليه وسلم المصحف قرآنا والقرآن كلام الله تعالى باجماع الامة فالمصحف كلام الله تعالى برهاننا على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر بتعاهد القرآن وقال عليه السلام انه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وقال الله تعالى * بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم * فالذى فى الصدور هو القرآن وهو كلام الله على الحقيقة لا مجازاً ونقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية الكرسى اعظم آية فى القرآن وان ام القرآن فاتحة الكتاب لم ينزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الانجيل مثلها وان قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقال الله عز وجل * ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها * فان قالوا انما يتفاضل الاجر على قراءة ذلك قلنا لهم نعم ولا شك فى ذلك ولا يكون التفاضل فى شىء مما يكون فيه التفاضل الا فى الصفات التى هى اعراض فى الموصوف بها واما فى الذوات فلا ونقول ايضا ان القرآن هو كلام الله تعالى وهو علمه وليس شيئا غير البارى تعالى برهان ذلك قول الله عز وجل * ولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم * وقال تعالى * وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته * وباليقين يدرى كل ذى فهم انه تعالى انما عنى سابق علمه الذى سلف بما ينفذه ويقضيه

(قال ابو محمد) فهذه خمسة معان يعبر عن كل معنى منها بانه قرآن وانه كلام الله ويخبر عن كل واحد منها اخباراً صحيحا بانه القرآن وانه كلام الله تعالى بنص القرآن والسنة للذين اجمع عليهما جميع الامة واما الصوت فهو هواء مندفع من الحلق والصدر والحنك واللسان والاسنان والشفتين الى آذان السامعين وهو حروف الهجاء والهواء وحروف الهجاء والهواء كل ذلك مخلوق بلا خلاف قال الله عز وجل * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * وقال تعالى * بلسان عربى مبين * واللسان العربي ولسان كل قوم هى لغتهم واللسان واللغات كل ذلك مخلوق بلا شك والمعانى المعبر عنها بالكلام المؤلف من الحروف المؤلفة انما هى الله تعالى والملائكة والنبيون وسموات وارضون ومافيهما من الاشياء وصلاة وزكاة وذكر امم خالية والجنة والنار وسائر الطاعات وسائر اعمال الدين وكل ذلك مخلوق حاشا الله وحده لا شريك له خالق كل مادونه واما المصحف فانما هو ورق من جلود الحيوان ومركب منها. من مداد مؤلف من صمغ وزاج وعفص وماء وكل ذلك مخلوق وكذلك حركة اليد فى خطه وحركة اللسان فى قراءته واستقرار كل ذلك فى النفوس هذه كلها اعراض مخلوقة وكذلك عيسى عليه السلام هو كلمة الله وهو مخلوق بلا شك قال الله تعالى * بكلمة منه اسمه المسيح * واما علم الله تعالى فلم يزل وهو كلام الله تعالى وهو القرآن وهو غير مخلوق . ليس هو غير الله تعالى اصلا ومن قال ان شيئا غير الله تعالى لم يزل مع الله عز وجل فقد جعل لله عز وجل شريكا ونقول ان لله عز وجل كلاما حقيقة وانه تعالى كلم موسى ومن كلم من الانبياء والملائكة عليهم السلام تكليما حقيقة لا مجازا ولا يجوز ان يقال البتة أن الله تعالى متكلم لانه لم يسم بذلك نفسه ومن قال أن الله تعالى مكلم موسى لم ننكره لانه يخبر عن فعله تعالى الذى لم يكن ثم كان ولا يحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى كلاما لنفى الخرس عنه لما ذكرنا قبل من أنه ان كان يعنى الخرس المعهود فانه لا ينتفى الا بالكلام المعهود الذى هو حركة اللسان والشفتين وان كان انما ينفى خرسا غير معهود فهذا لا يعقل اصلا ولا يفهم

والانسان فى أنه انسان والشخص المعين مثل زيد فى أنه ذلك الشخص بعينه واحد فلم تنفك الوحدة من الموجودات قط وهذه وحدة مستفادة من وحدة البارى تعالى ومن الموجودات كلها وان كانت فى ذواتها متكثرة وانما شرف كل موجود بغلبة الوحدة فيه وكل ما هو أبعد من الكثرة فهو أشرف وأكمل ثم إن لفيثاغورس رأيا فى العدد والمعدود قد خالف فيها جميع الحكماء قبله وخالفه فيها من بعده وهو أنه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة وتصوره موجوداً محققا وجود الصورة وتحققها وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو أول مبدع أبدعه البارى فاول العدد هو الواحد وله اختلاف رأى فى أنه هل

وايضا

وايضا فيلزمه ان يسميه تعالى شماما لنفي الخشم عنه ومتحركا لنفي الخدر وهذا كله الحاد في اسمائه عز وجل لكن لما قال الله تعالى انه كلاما قلناه واقررنا به ولو لم يقله عز وجل لم يحل لاحد ان يقوله وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة اشياء وقوعا مستويا صحيحا منها اربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق لم يجز البتة لاحد ان يقول ان القرآن مخلوق ولا ان يقال ان كلام الله مخلوق لان قائل هذا كاذب اذ أوقع صفة الخلق على ما لا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن واسم كلام الله عز وجل ووجب ضرورة ان يقال إن القرآن لا خالق له ولا مخلوق وان كلام الله تعالى لا خالق ولا مخلوق لان الاربعة المسميات منه ليست خالقة ولا يجوز أن نطلق على القرآن ولا على كلام الله تعالى اسم خالق ولان المعنى الخامس غير مخلوق ولا يجوز ان توضع صفة البعض على الكل الذي لا تعمه تلك الصفة بل واجب ان يطلق نفي تلك الصفة التي للبعض على الكل وكذلك لو قال قائل ان الاشياء كلها مخلوقة او قال للحق مخلوق او قال كل موجود مخلوق لقال الباطل لان الله تعالى شيء موجود حق ليس مخلوقا لكن اذا قال الله تعالى خالق كل شيء جاز ذلك لانه قد اخرج بذكر الله تعالى ان المخلوق في كلامه الاشكال ومثال ذلك فيما بيننا ان ثيابا خمسة الاربعة منها حمر والخامس غير احمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذبا ولكان من قال هذه الثياب ليست حمرا صادقا وكذلك من قال الانسان طبيب يعني كل انسان لكان كاذبا ولو قال ليس الانسان طبيبا يعني كل انسان لكان صادقا وكذلك لا يجوز ان يطلق ان الحق مخلوق ولا ان العلم مخلوق لان اسم الحق يقع على الله تعالى وعلى كل موجود واسم العلم يقع على كل علم وعلى علم الله عز وجل وهو غير مخلوق لكن يقال الحق غير مخلوق والعلم غير مخلوق هكذا جملة فاذا بين فقيل كل حق دون الله تعالى فهو مخلوق وكل علم دون الله تعالى فهو مخلوق فهو كلام صحيح وهكذا لا يجوز ان يقال ان كلام الله مخلوق ولا أن القرآن مخلوق ولكن يقال علم الله غير مخلوق وكلام لله غير مخلوق والقرآن غير مخلوق ولو أن قائلا قال إن الله مخلوق وهو يعني صوته المسموع او الالف واللام والهاء او الحبر الذى كتبت هذه الكلمة به لكان في ظاهر قوله عند جميع الامة كافرا ما لم يبين فيقول صوتي او هذا الخط مخلوق

(قال ابو محمد) فهذه حقيقة البيان في هذه المسألة الذى لم نتعد فيه ما قاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم واجمعت الامة كلها على جملته واوجبته الضرورة والحمد لله رب العالمين فان سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضي ان اللفظ المسموع هو غير القرآن وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه وهو كلام الله عز وجل نفسه كما قال تعالى * حتى يسمع كلام الله * وكلام الله تعالى غير مخلوق لما ذكرنا واما من افرد السؤال عن الصوت وحروف الهجا والحبر فكل ذلك مخلوق بلا شك

(قال ابو محمد) ونقول ان الله تعالى قد قال ما اخبرنا انه قاله وانه تعالى لم يقل بعد ما اخبرنا انه سيقول في المستأنف ولكن سيقوله ومن تعدى هذا فقد كذب الله جهلا واما من قال ان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكل ما كونه أو يريد تكوينه فان هذا قول فاحش موجب ان العالم لم يزل لان الله تعالى اخبرنا انه تعالى * اذا اراد شيئا فانما امره ان يقول له كن

يدخل في العدد كما سبق وميله أكثر الى انه لا يدخل في العدد فيبتدي العدد من اثنين ويقول هو منقسم الى زوج وفرد فالعدد البسيط الاول اثنان والزوج البسيط أربعة وهو المنقسم بمتساويين ولم يجعل الاثنين زوجا فانه لو انقسم الى واحدين كان الواحد داخلا في العدد ونحن ابتدأنا في العدد من اثنين والزوج قسم من اقسامه فكيف يكون نفسه والفرد البسيط الاول ثلاثة قال وتتم القسمة بذلك وما وراء فهو قسمة القسمة فالاربعة هي نهاية العدد وهي الكمال وعن هذا كان يقسم بالرباعية لا وحق الرباعية التي هي مدبر أنفسنا التي هي أصل الكل وما وراء ذلك فزوج الفرد وزوج الزوج وزوج الزوج والفرد ويسمى الخمسة عددا

فيكون * فصح ان كل مكون فهو كائن اثر قول الله تعالى له كن بلا مهلة فلو كان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكان كل مكون لم يزل وهذا قول من قال ان العالم لم يزل وله مدبر خالق لم يزل وهكذا كفر مجرد نعوذ بالله منه وقول الله تعالى هو غير تكليمه لان تكليم الله تعالى من كلم فضيلة عظيمة

(قال ابو محمد) قال الله تعالى * منهم من كلم الله * واما قوله فقد يكون سخطا قال تعالى انه قال لاهل النار * اخسئوا فيها ولا تكلمون * و قال لابليس * مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى * قال اخرج منها ولا يجوز ان يقال ابليس كليم الله ولا ان اهل النار كلماء الله فقول الله عز وجل محدث بالنص وبرهان ذلك ايضا قول الله تعالى * ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * ثم قال تعالى انه قال لهم * اخسئوا فيها ولا تكلمون * وقال تعالى انهم قالوا * ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون * فنص تعالى على انه لايكلمهم وانه يقول لهم فثبت يقينا ان قول الله تعالى هو غير كلامه وغير تكليمه لكن يقول كل كلام وتكليم فهما قول وليس كل قول منه تعالى كلاما ولا تكليما بنص القرآن ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى اخبرنا انه كلم موسى وكلم الملائكة عليهم السلام وثبت يقينا انه كلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله * فخص تعالى بتكليمه بعضهم دون بعض كما ترى وقال تعالى * وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء * ففى هذه الآيات والحمد لله اكبر نص على تصحيح كل ما قلناه فى هذه المسئلة وما توفيقنا الا بالله واخبرنا تعالى فى هذه الآية انه لايتكلم بشرا الا باحد هذه الوجوه الثلاثة فقط فنظرنا فيها فوجدناه تعالى قد سمى ما تأتينا به الرسل عليهم السلام تكليما انتقل منه للبشر فصح بذلك ان الذى اتتنا به رسله عليهم السلام هو كلام الله وانه تعالى قد كلمنا بوحيه الذى اتتنا به رسله عليهم السلام واننا قد سمعنا كلام الله عز وجل الذى هو القرآن الموحى الى النبى بلا شك والحمد لله رب العالمين ووجدناه تعالى قد سمى وحيه الى انبيائه عليهم السلام تكليما لهم ووجدناه عز وجل قد ذكر وجها ثالثا وهو التكليم الذى يكون من وراء حجاب وهو الذى فضل به بعض النبيين على بعض وهو الذى يطلق عليه تكليم الله عز وجل دون صلة كما كلم موسى عليه السلام * من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة * واما القسمان الاولان فانما يطلق عليهما تكليم الله عز وجل بصلة لامجردا فنقول كلم الله جميع الانبياء بالوحى اليهم ونقول فى القسم الثانى كلمنا الله تعالى فى القرآن على لسان نبيه عليه السلام بوحيه اليه ونقول قال لنا الله عز وجل * اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة * ونقول اخبرنا الله تعالى عن موسى وعيسى وعن الجنة والنار فى القرآن وفيما اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ولو قال قائل حدثنا الله تعالى عن الامم السالفة وعن الجنة والنار فى القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لكان قولا صحيحا لامدفع له لان الله تعالى يقول * ومن اصدق من الله حديثا * وكذلك

دائرا فانها اذا ضربتها فى نفسها أبدا عادت الخمسة من رأس ويسمى الستة عددا تاما فان أجزاءها متساوية بجملتها والسبعة عددا كاملا فانها مجموع الفرد والزوج وهى نهاية والثمانية مبتدأة مركبة من زوجين والتسعة من ثلاثة أفراد والعشرة وهى نهاية اخرى من مجموع العدد من الواحد الى الاربعة وهى نهاية اخرى فللعدد أربع نهايات اربعة وسبعة وتسعة وعشرة ثم يعود الى الواحد فنقول احد عشر وتعدو التركيبات فيما وراء الاربعة على انحاء شتى فالخمسة على مذهب من لا يرى الواحد فى العدد فهى مركبة من عدد وفرد وعلى مذهب من يرى ذلك فهى مركبة من فرد وزوجين وكذلك الستة على الاول فركبة من فردين أو عدد وزوج وعلى الثانى

يقول قص الله علينا اخبار الامم فى القرآن قال تعالى * نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن * ونقول سمعنا كلام الله تعالى فى القرآن على التحقيق لا مجازا وفضل علينا الملائكة والانبياء عليهم السلام في هذا بالوجه الثاني الذي هو تكليمهم بالوحي اليهم فى النوم واليقظة دون وسيطة وبتوسط الملك ايضا وفضل جميع الملائكة وبعض الرسل على جميعهم عليهم السلام بالوجه الثالث الذى هو تكليم في اليقظة من وراء حجاب دون وسيطة ملك لكن بكلام مسموع بالآذان معلوم بالقلب زائد على الوحي الذى هو معلوم بالقلب فقط او مسموع من الملك عن الله تعالى وهذا هو الوجه الذى خص به موسى عليه السلام من الشجرة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام وسائر من كلم الله تعالى كذلك من النبيين والملائكة عليهم السلام قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * وقال تعالى * واذ قال ربك للملائكة انى جاعل * ولا يجوز ان يكون شيء من هذا بصوت اصلا لانه كان يكون حينئذ يفيد بوسيطة مكلم غير الله تعالى وكان ذلك الصوت بمنزلة الرعد الحادث فى الجو والقرع الحادث فى الاجسام والوحي اعلي من هذه منزلة والتكليم من وراء حجاب اعلي من سائر الوحي بنص القرآن لان الله تعالى سمى ذلك تفضيلا كما تلونا وكل ماذكرنا وان كان يسمى تكليما فالتكليم المطلق اعلى فى الفضيلة من التكليم الموصل كما ان كل روح فهو روح الله تعالى على الملك لكن اذا قلنا روح الله على الاطلاق يعنى بذلك جبريل او عيسى عليهم السلام كان ذلك فضيلة عظيمة لهما

(قال ابو محمد) واذا قرأنا القرآن قلنا كلامنا هذا هو كلام الله تعالى حقيقة لا مجازا ولا يحل حينئذ لاحد أن يقول ليس كلامى هذا كلام الله تعالى وقد انكر الله عز وجل هذا على من قاله اذ يقول تعالى * سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر * الى قوله تعالى فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر ساصليه سقر *

(قال ابو محمد) وكذلك يقول احدنا دينى دين محمد صلي الله عليه وسلم واذا عمل عملا اوجبته سنة قال عملى هذا عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحل لاحد من المسلمين ان يقول دينى غير دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ذلك لوجب قتله بالردة وكذلك ليس له ان يقول اذا عمل عملا جاءت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غير عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قاله لادب ولكان كاذبا وكذلك يقول احدنا دينى هو دين الله عز وجل يريد الذى امر به عز وجل ولو قال دينى غير دين الله عز وجل لوجب قتله بالردة وكذلك يقول اذا حدث احدنا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا كلام هذا هو نفس كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ان كلامى هذا هو غير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان كاذبا وهذه اسماء اوجبتها ملة الله عز وجل واجمع عليها اهل الاسلام ولم يخف علينا ولا على من سلف من المسلمين ان حركة لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير حركة السنتنا وكذلك حركة اجسامنا فى العمل وكذلك ما توصف به النفوس من العلم ولكن التسمية فى الشريعة ليست الينا انما هى لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن خالف هذا كان كمن قال فرعون وابو جهل

فمركبة من ثلاثة أزوج والسبعة على الاول فمركبة من فرد وزوج وعلى الثانى من فرد وثلاثة أزواج والثمانية على الاول فمركبة من زوجين وعلى الثانى فمركبة من أربعة أزواج والتسعة على الاول فمركبة من ثلاثه أفراد وعلى الثانى من فرد وأربعة أزواج والعشرة على الاول فمركبة من عدد وزوجين أو زوج وفردين وعلى الثاني فيما يحسب من الواحد الى الاربعة وهو النهاية والكمال ثم الاعداد الاخر فقياسها هذا القياس قال وهذه هي أصول الموجودات ثم أنه ركب العدد على المعدود والمقدار على المقدور فقال المعدود الذى فيه اثنينية وهو أصل المعدودات ومبدأها العقل باعتبار أن فيه اعتبارين اعتبار من حيث ذاته وانه ممكن

مؤمنان وموسى ومحمد كافران فاذا قيل له في ذلك قال اوليس ابو جهل وفرعون مؤمنين بالكفر ومحمد وموسى كافران بالطاغوت فهذا وان كان لكلامه مخرج فهو عند اهل الاسلام كافر لتعديه ما اوجبته الشريعة من التسمية وقد شهدت العقول بوجوب الوقوف عند ما اوجبه الله تعالى في دينه فمن عد عن ذلك وزعم انه اتبع دليل عقله في خلاف ذلك فليعلم انه فارق قضية العقل الصادقة الموجبة للوقوف عند حكم الشريعة وخالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم قال تعالى *ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا* نعوذ بالله من ذلك

(قال ابو محمد) قال بعضهم فاذا سمعنا نحن كلام الله تعالى وسمعه موسى عليه السلام فاى فرق بينه وبيننا قلنا اعظم الفرق وهو ان موسى والملائكة عليهم السلام سمعوا الله تعالى يكلمهم ونحن سمعنا كلام الله تعالى من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اذ امره ان يقرأ عليه القرآن فقال له ابن مسعود يا رسول الله اقرأ. عليك وعليك أنزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى فصح يقينا ان القرآن الذى انزله الله تعالى نفسه فسمعه من غيره وقالوا فكلام الله تعالى اذاً يحل فينا قلنا هذا تهويل بارد ونعم اذا سمى الله تعالى كلامنا اذا قرأنا كلامه له تعالى فنحن نقول بذلك ونقول ان كلام الله فى صدورنا وجار على السنتنا ومستقر فى مصاحفنا ونبرأ ممن انكر ذلك بقوله الفاسد المخرج له عن الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

(الكلام فى اعجاز القرآن)

(قال ابو محمد) قد ذكرنا قيام البرهان عن ان القرآن معجز قد اعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الانس والجن بتعجيز رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من ذكرنا عن ان يأتوا بمثله وتبكيتهم بذلك فى محافلهم وهذا امر لا ينكره احد لا مؤمن ولا كافر واجمع المسلمون على ذلك ثم اختلف اهل الكلام فى خمسة انحاء من هذه المسألة فالنحو الاول قول روى عن الاشعرى وهو ان المعجز الذي تحدى الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل الينا ولا سمعناه وهذا كلام فى غاية النقصان والبطلان اذ من المحال ان يكلف احد ان يجيء بمثل ما لم يعرفه قط ولا سمعه وايضا فيلزمه ولا بد بل هو نفس قوله انه اذا لم يكن المعجز الا ذلك فان المسموع المتلو عندنا ليس معجزا بل مقدورا على مثله وهذا كفر مجرد لا خلاف فيه لاحد فانه خلاف للقرآن لان الله تعالى الزمهم بسورة او عشر سور منه وذلك الكلام الذى هو عند الاشعري هو المعجز ليس له سوراً ولا كثيرا بل هو واحد فسقط هذا القول والحمد لله رب العلمين وله قول كقول جميع المسلمين أن هذا المتلو هو المعجز والنحو الثانى هل الاعجاز متماد ام قد ارتفع بتمام قيام الحجة به فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض أهل الكلام أن الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضته ولو عورض الآن لم تبطل بذلك الحجة التى قد صحت كما ان عصى موسى اذ قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت وكذلك سائر الآيات وقال جمهور أهل الاسلام ان الاعجاز باق الى يوم القيامة والآية بذلك باقية ابدا كما كانت

(قال أبو محمد) وهذا هو الحق الذى لا يحل القول بغيره لانه نص قول الله تعالى اذ

يقول

الموجود بذاته واعتبار من حيث مبدعه وانه واجب الوجود به فقابله الاثنان والمعدود الذى فيه ثلثية هو النفس اذا زاد على الاعتبارين اعتبارا ثالثا والمعدود الذى فيه أربعية هو الطبيعة اذ زاد على الثلاثة رابعا ثم النهاية يعنى نهاية المبادي وما بعده المركبات فما من وجود مركب الا وفيه من العناصر والنفس والعقل شئ اما عين أو أثر حتى ينتهى الى السبع فبقدر المعدودات على ذلك وينتهى الى العشرة وبعد العقل والنفوس التسعة بافلاكها التى هى أبدانها وعقولها المفارقة وكالجوهر وتسعة أعراض وبالجملة انما يتعرف حال الموجودات من العدد والمقادير الاول ويقول البارى تعالى عالم بجميع المعلومات على طريق الاحاطة بالاسباب التى

يقول * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا *

(قال أبو محمد) فهذا نص جرى على أنه لايأتون بمثله بلفظ الاستقبال فصح يقيناان ذلك على التأبيد وفى المستأنف أبدا ومن ادعى أن المراد بذلك الماضى فقد كذب لانه لايجوز ان تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل الى معنى الماضى الا بنص آخر جلى وارد بذلك أو باجماع متيقن أن المراد به غير ظاهره أو ضرورة ولا سبيل فى هذه المسالة الى شئ من هذه الوجوه وكذلك قوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا * عموم لكل انس وجن أبدا *لايجوز تخصيص شىء من ذلك أصلا بغير ضرورة ولا اجماع

(قال ابو محمد) ومن قال بالوقف وانه ليس للعموم صيغة ولا للظاهر فلاحجة هاهنا تقوم له على الطائفة المذكورة فصح ان اعجاز القرآن باق الى يوم القيامة والحمدلله رب العالمين والنحو الثالث ماالمعجز منه انظمه ام مافى نصه من الانذار بالغيوب فقال بعض اهل الكلام ان نظمه ليس معجزاً وانما اعجازه مافيه من الاخبار بالغيوب وقال سائر اهل الاسلام بل كلا الامرين معجزا وانما اعجازه مافيه من الاخبار بالغيوب وقال سائر اهل الاسلام بل كلا الامرين معجز نظمه وما فيه من الاخبار بالغيوب وهذاهوالحق الذى ماخالفه فهو ضلال وبرهان ذلك قول الله تعالى * فأتوا بسورة من مثله * فنص تعالى على انهم لايا تون بمثل سورة من سوره وأكثر سوره ليس فيها أخبار بغيب فكان من جعل المعجز الأخبار الذى فيه بالغيوب مخالفاً لمانص الله تعالى على انه معجز من القرآن فسقطت هذه الأقاويل الفاسدة والحمد لله رب العلمين * والنحو الرابع ماوجه اعجازه فقالت طائفة وجه اعجازه كونه فى أعلى مراتب البلاغة وقالت طوائف انما وجه اعجازه ان الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط فأما الطائفة التى قالت انما اعجازه لأنه فى اعلى درج البلاغة فانهم شغبوا فى ذلك بان ذكروا آيات منه مثل قوله تعالى * ولكم فى القصاص حياة * ونحو هذا وموه بعضهم بان قال لوكان كما تقولون من ان الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب ان يكون أغث ما يمكن ان يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ

(قال أبو محمد) ما نعلم لهم شغبا غير هذين وكلاهما لاحجة لهم فيه اما قولهم لوكان كما نلنا لوجب ان يكون أغث مايمكن ان يكون من الكلام وكانت تكون الحجة أبلغ فهذا هو الكلام الغث حقا لوجوه أحدها انه قول بلابرهان لانه يعكس عليه قوله بنفسه فيقال له بل لو كان اعجازه لكونه فى أعلى درج البلاغة لكان لاحجة فيه لان هذا يكون فى كل من كان فى أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم وثانيها انه لايسأل الله تعالى عما يفعل ولا يقال له لم عجزت بهذا النظم دون غيره ولم ارسلت هذا الرسول دون غيره ولم قلبت عصاموسى حية دون ان تقلبها اسدا وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجبه قط عقل وحسب الآية ان تكون خارجة عن المعهود فقط وثالثها انهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم ان يقولوا هلاكان هذا الاعجاز فى كلام يجمع اللغات فيستوى فى معرفة اعجازه العرب والعجم لان العجم لايعرفون اعجاز القرآن الا باخبار

هى الاعداد والمقادير وهى لاتختلف فعلمه لا يختلف وربما يقول المقابل للواحد هوالعنصر الاول كاقال (انكسمانيسر) ويسميه الهيولى الاولى وذلك هوالواحدالمستفادلان الواحدالذى هولا كالآحاد وهوواحد يصدر عنه كل كثرة وتستفيد الكثرة منه الوحدة التى تلازم الموجودات فلا يوجد موجودالاوفيه من وحدته حظ على قدر استعداده ثم من هداية العقل حظ على قدرقبوله ثم من قوة النفس حظ على قدر تهيئه وعلى ذلك آثار المبادى فى المركبات فان كل مركب لن يخلو عن مزاج ما وكل مزاج لايعرى عن اعتدال ما وكل اعتدال عن كمال أو قوة كمال أما طبيعى الى هو مبدأ الحركة وأما عن كمال نفسانى هو مبدأ الحس فاذا بلغ المزاج

العرب فقط فبطل هذا الشغب الغث والحمد لله رب العالمين
(قال أبو محمد) وأما ذكرهم * ولكم فى القصاص حياة * وماكان نحوها من الآيات فلا حجة لهم فيها ويقال لهم ان كان كما تقولون ومعاذ الله من ذلك فانما المعجز منه على قولكم هذه الآيات خاصة واما سائره فلا وهذا كفر لا يقوله مسلم فان قالوا جميع القرآن مثل هذا الآيات فى الاعجاز قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرها اذاً وهل هذا منكم الا ايهام لاهل الجهل ان من القرآن معجزا وغير معجز ثم نقول لهم قول الله تعالى وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا أمعجز هو على شروطكم فى كونه فى أعلى درج البلاغة أم ليس معجزا فان قالوا ليس معجزا كفروا وان قالوا انه معجز صدقوا وسئلوا هل على شروطكم فى أعلى درج البلاغة فان قالوا نعم كابروا وكفوا مؤنتهم لانها أسماء رجال فقط ليس على شروطهم في البلاغة وأيضاً فلو كان اعجاز القرآن لانه فى أعلى درج البلاغة لكان بمنزلة كلام الحسن وسهل بن هرون والجاحظ وشعر امرىء القيس ومعاذ الله من هذا لان كل ما يسبق فى طبقته لم يؤمن أن ياتي من يماثله ضرورة فلا بد لهم من هذه الخطة أو من المصير الى قولنا ان الله تعالى منع من معارضته فقط وأيضا فلو كان اعجازه من أنه فى أعلى درج البلاغة المعهودة لوجب أن يكون ذلك الآية ولما هو أقل من آية وهذا ينقض قولهم ان المعجز منه ثلاث آيات لا أقل فان قالوا فقولوا أنتم هل القرآن موصوف بانه فى أعلي درج البلاغة ام لا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تريدون ان الله قد بلغ به ما أراد فنعم هو فى هذا المعنى فى الغاية التى لا شيء ابلغ منها وان كنتم تريدون هل هو فى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين فلا لانه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من اعلاه ولا من ادناه ولا من اوسطه وبرهان هذا ان انسانا لو ادخل فى رسالة له اوخطبة اوتأليف اوموعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك فصح انه ليس من نوع بلاغة الناس اصلا وان الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الاعجاز وسلبه جميع كلام الخلق برهان ذلك ان الله حكى عن قوم من أهل النار انهم يقولون اذا سئلوا عن سبب دخولهم النار * لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى آتانا اليقين * وحكى تعالى عن كافر قال * ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر * وحكى عن آخرين انهم قالوا * لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتى بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه * فكان هذا كله اذ قاله غير الله عز وجل غير معجز بلا خلاف اذلم يقل احد من اهل الاسلام ان كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له صار معجزا ومنع من مماثلته وهذا برهان كاف لا يحتاج الى غيره والحمد لله * والنحو الخامس مامقدار المعجز منه فقالت الاشعرية ومن وافقهم ان المعجز انما هو مقدار اقل سورة منه وهو انا اعطيناك الكوثر فصاعدا وان مادون ذلك ليس معجزاً واحتجوا فى

الانساني الى حد قبول هذا الكمال أفاض عليه العنصر وحدته والعقل هدايته والنفس نطقه وحكمته قال ولما كانت التأليفات الهندسية مرتبة على المعادلات العددية عددناها أيضا من المبادي فصارت طائفة من الفيثار غوريين الى أن المبادى هى التاليفات الهندسية على مناسبات عددية ولهذا صارت المتحركات السماوية ذات حركات مناسبة لحينة هى أشرف الحركات وألطف التاليفات ثم تعدوا من ذلك الى الاقوال حتى صارت طائفة منهم الى أن المبادى هى الحروف المجردة عن المادة وأوقعوا الالف فى مقابلة الواحد والباء فى مقابلة الاثنين الى غير ذلك من المقابلات ولست أدرى قدروها على أي لسان ولغة فان الالسن تختلف

ذلك بقول الله تعالى قل فاتوا بسورة من مثله قالوا ولم يتحد تعالى باقل من ذلك وذهب سائر اهل الاسلام الى ان القرآن كله قليله وكثيره معجز وهذا هو الحق الذي لا يجوز خلافه ولا حجة لهم في قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله لانه تعالى لم يقل ان مادون السورة ليس معجزا بل قد قال تعالى على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ولا يختلف اثنان في ان كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز ثم تعارضهم في تحديدهم المعجز بسورة فصاعدا فنقول أخبرونا ماذا تعنون بقولكم ان المعجز مقدار سورة أسورة كاملة لا اقل ام مقدار الكوثر في الآيات ام مقدارها في الكلمات ام مقدارها في الحروف ولا سبيل الى وجه خامس فان قالوا المعجز سورة تامة لا اقل لزمهم ان سورة البقرة حاشا آية واحدة او كلمة واحدة من آخرها او من أولها ليست معجزة وهكذا كل سورة وهذا كفر مجرد لا خفاء به إذ جعلوا كل سورة في القرآن سوى كلمة من أولها او من وسطها او من آخرها لمقدور على مثلها وان قالوا بل مقدارها من الآيات لزمهم ان آية الدين ليست معجزة لانها ليست ثلاث آيات ولزمهم مع ذلك ان والفجر وليال عشر والشفع والوتر معجز كآية الكرسي وآيتان اليها لانها ثلاث آيات وهذا غير قولهم ومكابرة ايضا ان تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كله غير معجزة ولزمهم ايضا ان والضحى والفجر والعصر هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات لانهن ثلاث آيات فان قالوا هن متفرقات غير متصلات لزمهم اسقاط الاعجاز عن الف آية متفرقة وامكان المجيء بمثلها ومن جعل هذا ممكنا فقد كابر العيان وخرج عن الاسلام وابطل الاعجاز عن القرآن وفي هذا كفاية لمن نصح نفسه ولزمهم ايضا ان ولكم في القصاص حياة ليس معجزا وهذا نقض لقولهم في انه في اعلى درج البلاغة وكذلك كل ثلاث آيات غير كلمة وهذا خروج عن الاسلام وعن المعقول وان قالوا بل في عدد الكلمات او قالوا عدد الحروف لزمهم شيئان مسقطان لقولهم احدهما ابطال احتجاجهم بقوله تعالى بسورة من مثله لانهم جعلوا معجزا ما ليس سورة ولم يقل تعالى بمقدار فلاح تمويههم والثاني ان سورة الكوثر عشر كلمات اثنان واربعون حرفا وقد قال الله تعالى وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان اثنتا عشرة كلمة اثنان وسبعون حرفا وان اقتصرنا على الاسماء فقط كانت عشرة كلمات اثنين وستين حرفا فهذا أكثر كلمات وحروفا من سورة الكوثر فينبغي ان يكون هذا معجزا عندكم ويكون ولكم في القصاص حياة غير معجز فان قالوا ان هذا غير معجز تركوا قولهم في اعجاز مقدار أقل سورة في عدد الكلمات وعدد الحروف وان قالوا بل هو معجز تركوا قولهم في أنه في اعلى درج البلاغة ويلزمهم ايضا اننا ان اسقطنا من هذه الاسماء اسمين ومن سورة الكوثر كلمات أن لا يكون شيء من ذلك معجزا فظهر سقوط كلامهم وتخليطه وفساده وايضا فاذا كانت الآية منه او الآيتان غير معجزة وكانت مقدورا على مثلها واذا كان ذلك فكله مقدور على مثله وهذا كفر فان قالوا اذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم ان اعجازه انما هو من طريق البلاغة لان طريق البلاغة في الاية كهو في الثلاث ولا فرق والحق من هذا هو ما قاله الله تعالى

باختلاف الامصار والمدن أو على أي وجه من التركيب فان التركيبات أيضا مختلفة فالبسائط من الحروف مختلف فيها والمركبات كذلك ولا كذلك عدد فانه لا يختلف أصلا وصارت جماعة منهم أيضا الى أن مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة والجسم مركب عنها وأوقع النقطة في مقابلة الواحد والخط في مقابلة الاثنين والسطح في مقابلة الثلاثة والجسم في مقابلة الاربعة وراعوا هذه المقابلات في تراكيب الاجسام وتضاعيف الاعداد ومما ينقل عن فيثاغورس أن الطبايع أربعة والنفوس التي فينا أيضا اربعة العقل والرأى والعلم والحواس ثم ركب فيه العدد على المعدود والروحاني على الجسماني قال أبو علي بن سينا وامثل ما يحمل عليه هذا القول أن يقال كون الشيء

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وان كل كلمة قائمة المعنى يعلم اذا تليت انها من القرآن فانها معجزة لا يقدر احد على المجيء بمثلها ابدا لان الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك كمن قال ان آية النبوة ان الله تعالى يطلقني على المشي فى هذه الطريق الواضحة ثم لا يمشي فيها احد غيري ابدا اومدة يسميها فهذا اعظم مايكون من الايات وان الكلمة المذكورة انهاتى ذكرت فى خبر على انها ليست قرآنا فهي غير معجزة وهذا هو الذى جاء به النص والذى عجز عنه اهل الارض مذار بمداية عام واربعين عاما ونحن نجد فى القرآن ادخال معنى بين معنيين ليس بينهما كقوله تعالى * وما تتنزل الا بامر ربك له مابين ايدينا وماخلفنا ومابين ذلك * وليس هذا من بلاغة الناس فى ورد ولا فى صدر ومثل هذا فى القرآن كثير والحمد لله رب العالمين

(الكلام فى القدرة)

قال ابو محمد) اختلف الناس فى هذا الباب فذهبت طائفة الى ان الانسان مجبر على افعاله وانه لا استطاعة له اصلا وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الازارقة وذهبت طائفة اخرى الى ان الانسان ليس مجبرا واثبتوا له قوة واستطاعة بها يفعل مااختار فعله ثم افترقت هذه الطائفة على فرقتين فقالت احداها الاستطاعة التى يكون بها الفعل لا تكون الا مع الفعل ولا يتقدمه البتة وهذا قول طوائف من اهل الكلام ومن وافقهم كالنجار والاشعرى ومحمد بن عيسى برغوث الكاتب وبشر بن غياث المريسى وابى عبد الرحمن العطوى وجماعة من المرجئة والخوارج وهشام بن الحكم وسليمان بن جرير واصحابهم وقالت الاخرى ان الاستطاعة التى يكون بها الفعل هي قبل الفعل موجودة في الانسان وهو قول المعتزلة وطوائف من المرجئة كمحمد بن شبيب ومؤنس بن عمران وصالح قبة والناشي وجماعة من الخوارج والشيعة ثم افترق هؤلاء على فرق فقالت طائفة ان الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل ايضا للفعل ولتركه وهو قول بشر بن المعتمر البغدادى وضرار بن عمرو الكوفى وعبد الله بن غطفان ومعمر بن عمرو العطار البصرى وغيرهم من المعتزلة وقال ابو الهذيل محمد بن الهذيل العبدى البصرى العلاف لا تكون الاستطاعة مع الفعل البتة ولا تكون الا قبله ولا بد وتفنى مع اول وجود الفعل وقال ابو اسحاق بن ابراهيم بن سيار النظام وعلي الاسوارى وابو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان الاصم ليست الاستطاعة شيئا غير نفس المستطيع وكذلك ايضا قالوا فى العجز انه ليس شيئا غير العاجز الا النظام فانه قال هو آفة دخلت على المستطيع

(قال ابو محمد) فامامن قال بالاجبار فانهم احتجوا فقالوا لما كان الله تعالى فعالا وكان لا يشبهه شيء من خلقه وجب ان لا يكون احد فعالا غيره وقالوا ايضا معنى اضافة الفعل الى الانسان انما هو كما تقول مات زيد وانما اماته الله تعالى وقام البناء وانما اقامه الله تعالى

(قال ابو محمد) وخطأ هذه المقالة ظاهر بالحس والنص وباللغة التى بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم فاما النص فان الله عز وجل قال فى غير موضع من القرآن * جزاء بما كنتم تعملون لم تقولون مالا تفعلون وعملوا الصالحات * فنص تعالى على اننا نعمل ونفعل ونصنع واما الحس فان بالحواس وبضرورة العقل وبديهة علمنا يقينا علماً لا يخالج فيه الشك ان

واحدا غير كونه موجودا أو انسانا وهو فى ذاته اقدم منهما فالحيوان الواحد لا يحصل واحدا الا وقد تقدمه معنى الوحدة التى صار به واحدا ولولاه لم يصح وجوده فاذا هو الاشرف الابسط الاول وهذه صورة العقل فالعقل يجب أن يكون الواحد من هذه الجهة والعلم دون ذلك فى الرتبة لانه بالعقل ومن العقل فهو الاثنان الذى يتفرد الى الواحد ويصدر منه كذلك العلم يؤول الى العقل ومعنى الظن والرأى عدد السطح والحس عدد المصمت أن السطح لكونه ذا ثلاث جهات هو طبيعة الظن الذى هو أعم من العلم مرتبة وذلك لان العلم يتعلق بمعلوم معين والظن والرأى يتجذب الى الشيء ونقيضه والحس أعم من الظن فهو المصمت أى جسم له أربع

بين الصحيح الجوارح وبين من لاصحه بجوارحه فرقا لانحا لجوارحه لان الصيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختارا لها دون مانع والذى لاصحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله اصلا ولا بيان ابين من هذا الفرق والجبر فى اللغة هو الذى يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده فاما من وقع فعله باختياره وقصده فلايسمى فى اللغة مجبرا واجماع الامة كلها على لاحول ولا قوة الا بالله مبطل قول المجبرة ووجب ان لنا حولا وقوة ولكن لم يكن لنا ذلك الا بالله تعالى ولوكان ماذهب اليه الجهميه لكان القول لاحول ولا قوة الا بالله لامعنى له وكذلك قوله تعالى * لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فنص تعالى على ان لنا مشيئة الا انها لاتكون منا الا ان يشاء الله كونها وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ومن عرف عناصر الاشياء من الواجب والممتنع والممكن ايقن بالفرق بين صحيح الجوارح وغير صحيحها لان الحركة الاختيارية باول الحس هى غير الاضطرارية وان الفعل الاختيارى من ذى الجوارح المؤوفة ممتنع وهو من ذي الجوارح الصحيحة ممكن واننا بالضرورة نعلم ان المقعد لو رام القيام جهده لما امكنه و نقطع يقينا انه لايقوم وان الصحيح الجوارح لاندرى اذا رأيناه قاعدا يقوم ام يتكىء ام يتمادى على قعوده وكل ذلك منه ممكن واما من طريق اللغة فان الاجبار والاكراه والاضطرار والغلبة اسماء مترادفة وكلها واقع على معنى واحد لايختلف وقوع الفعل ممن لايؤثره ولا يختاره ولا يتوهم منه خلافه البتة واما من آثر مايظهر منه من الحركات والاعتقاد ويختاره ويميل اليه هواه فلا يقع عليه اسم اجبار ولا اضطرار لكنه مختار والفعل منه مراد متعمد مقصود ونحو هذه العبارات عن هذا المعنى فى اللغة العربية التى نتفاهم بها فان قال قائل فلم ابيتم هاهنا من اطلاق لفظة الاضطرار واطلقتموها فى المعارف فقلتم انها باضطرار وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى فى الانسان فالجواب ان بين الامرين فرقا بينا وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله وممكن ذلك منه وليس كذلك ماعرفه يقينا ببرهان لانه لايتوهم البتة انصرافه عنه ولا يمكنه ذلك اصلا فصح انه مضطر اليها وايضا فقد اثنى الله عز وجل على قوم دعوه فقالوا * ولا تحملنا مالاطاقة لنا به * وقد علمنا ان الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة فى اللغة العربية ألفاظ مترادفة كلها واقع على معنى واحد وهذه صفة من يمكن عنه الفعل باختياره أو تركه باختياره ولا شك فى أن هؤلاء القوم الذين دعوا هذا الدعاء قد كلفوا شيا من الطاعات والاعمال واجتناب المعاصى فلو لا ان هاهنا أشياء لهم بها طاقة لكان هذا الدعاء حمقا لانهم كانوا يصيرون داعين الله عز وجل فى أن لا يكلفهم مالا طاقة لهم به وهم لا طاقة لهم بشىء من الاشياء فيصير دعاؤهم فى أن لا يكلفوا ماقد كلفوه وهذا محال من الكلام والله تعالى لايثنى على المحال فصح بهذا أن هاهنا طاقة موجودة على الافعال وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاجهم بان الله تعالى لما كان فعالا وجب أن لا يكون فعال غيره فخطا من القول لوجوه أحدها أن النص قد ورد بان للانسان أفعالا وأعمالا قال تعالى * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * فاثبت

جهات ومما نقل عن فيثاغورس أن العالم انما ألف من اللحون البسيطة الروحانية وبتكرار الاعداد الروحانية غير منقطعة بل أعداد متحدة تتجزى من نحو العقل ولاتتجزى من نحو الحواس وعدعوالم كثيرة فمنه عالم هو سرور محض فى أصل الابداع وابتهاج وروح فى وضع الفطرة ومنه عالم هو دونه ومنطقها ليس مثل منطق العوالم العالية فان المنطق قد يكون باللحون الروحانية البسيطة وقد يكون باللحون الروحانية لمركبة والاول يكون سرورها دائما غير منقطع ومن اللحون ماهو بعد ناقص فى التركيب لان المنطق بعد لم يخرج الى الفعل فلا يكون السرور بغاية الكمال لان اللحن ليس بغاية الاتفاق وكل عالم هو دون الاول بالرتبة ويتفاضل العوالم بالحسن

الله لهم الفعل وكذلك نقول ان الانسان يصنع لان النص قد جاء بذلك ولولا النص ما
أطلقنا شيئاً من هذا وكذلك لما قال الله تعالى * وفاكهة مما يتخيرون * علمنا ان للانسان
اختياراً لان أهل الدنيا وأهل الجنة سواء في أنه تعالى خالق أعمال الجميع على أن الله
تبارك وتعالى قال * وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة * فعلمنا أن الاختيار
الذي هو فعل الله تعالى وهو منفي عن سواه هو غير الاختيار الذي أضافه الى خلقه
ووصفهم به ووجدنا هذا أيضا حسا لان الاختيار الذي توحد الله تعالى به هو أن
يفعل ما شاء كيف شاء واذا شاء وليست هذه صفة شيء من خلقه وأما الاختيار الذي
أضافه الله تعالى الى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل الى شيء ما والايثار له على غيره
فقط وهنا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق ومنها أن الاشتراك في الاسماء لا يقع من أجله التشابه
ألا ترى أنك تقول الله الحي والانسان حي والانسان حليم كريم عليم والله تعالى حكيم كريم عليم
فليس هذا يوجب اشتباها بالاخلاف وانما يقع الاشتباه بالصفات الموجودة في الموصوفين والفرق
بين الفعل الواقع من الله عز وجل والفعل الواقع منا هو أن الله تعالى اخترعه وجعله
جسما أو عرضا أو حركة أو سكونا أو معرفة أو ارادة أو كراهية وفعل عز وجل كل
ذلك فينا بغير معاناة منه وفعل تعالى لغيره علة واما نحن فانما كان فعلا لنا لانه عز وجل
خلقه فينا وخلق اختيارنا له وأظهره عز وجل فينا محمولا لاكتساب منفعة أو لدفع
مضرة ولم نخترعه نحن واما من قال بالاستطاعة قبل الفعل فعمدة حجتهم أن قالوا
لا يخلو الكافر من أحد أمرين اما أن يكون مأمورا بالايمان أو لا يكون مامورا به فان
قلتم أنه غير مامور بالايمان فهذا كفر مجرد وخلاف للقرآن والاجماع وان قلتم هو
مامور بايمان وهكذا تقولون فلا يخلو من أحد وجهين اما أن يكون أمر وهو يستطيع
ما أمر به فهذا قولنا لا قولكم أو يكون أمر وهو لا يستطيع ما أمر به فقد نسبتم الى الله عز
وجل تكليف ما لا يستطاع ولزمكم أن تجيزوا تكليف الاعمى أن يرى والمقعد أن يجري
أو يطلع الى السماء وهذا كله جور وظلم والجور والظلم منفيان عن الله عز وجل وقالوا اذ لا
يفعل المرء فعلا الا باستطاعة موهوبة من الله عز وجل ولا تخلو تلك الاستطاعة من أن
يكون المرء أعطيها والفعل موجود أو أعطيها والفعل غير موجود فان كان أعطيها والفعل
موجود فلا حاجة به اليها اذ قد وجد الفعل منه الذي يحتاج الى الاستطاعة ليكون ذلك الفعل
بها وان كان أعطيها والفعل غير موجود فهذا قولنا ان الاستطاعة قبل الفعل قالوا والله تعالى
يقول * ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا * قالوا فلو لم تتقدم الاستطاعة
الفعل لكان الحج لا يلزم أحدا قبل أن يحج وقال تعالى * وعلى الذين يطيقونه فدية طعام
مسكين * وقال تعالى * فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا * فلو كانت الاستطاعة للصوم
لا تتقدم الصوم ما لزمت أحدا الكفارة به وقال تعالى * يحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون * فصح أن استطاعة الخروج موجودة مع
عدم الخروج وقال تعالى * فاتقوا الله ما استطعتم * ولهم أيضا في خلق الافعال اعتراض
نذكره ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

والبهاء والزينة والآخر
ثقل العوالم وثقلها وسفلها
وكذلك لم تجتمع كل
الاجتماع ولم تتحد الصورة
بالمادة كل الاتحاد وجاز
على كل جزء منه الانفكاك
عن الجزء الآخر الا أن
فيه نورا قليلا من النور
الاول فلذلك النور وجد
فيه نوع ثبات ولولا ذلك
لم يثبت طرفة عين وذلك
النور القليل جسم النفس
والعقل الحامل لمعانيها في هذا
العالم وذكر ان الانسان
بحكم الفطرة واقع في مقابلة
العالم كله وهو عالم صغير
والعالم انسان كبير ولذلك
صار حظه من النفس
والعقل أوفر فمن أحسن
تقويم نفسه وتهذيب
اخلاقه وتزكية أحواله
أمكنه أن يصل الى معرفة
العالم وكيفية تأليفه ومن
ضيع نفسه ولم يقم بمصالحها
من التهذيب والتقويم

باب ما الاستطاعة

(قال أبو محمد) أن الكلام علي حكم لفظة قبل تحقيق معناها ومعرفة المراد بها وعن أى شيء يعبر بذكرها طمس للوقوف على حقيقتها فينبغى أولا أن نوقف على معنى الاستطاعة فاذا تكلمنا عليه وقررناه بحول الله تعالى وقوته سهل الاشراف علي صواب هذه الاقوال من خطئها بعون الله تعالى وتأييده فنقول وبالله تعالي نتأيد ان من قال ان الاستطاعة هى المستطيع قول في غاية الفساد ولوكان لقائله اقل علم باللغة العربية ثم بحقائق الاسماء والمسميات ثم بماهية الجواهر والاعراض لم يقل هذا السخف أما اللغة فان الاستطاعة انما هى مصدر استطاع يستطيع استطاعة والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب الذى هو فعل الضارب والحمرة التى هي صفة الاحمر والاحمرار الذى هو صفة المحمر وماأشبه هذا والصفة والفعل عرضان بلا شك فى الفاعل منا وفى الموصوف والمصادر هى احداث المسمين بالاسماء باجماع من اهل كل لسان فاذا كانت الاستطاعة فى اللغة التى بها نتكلم نحن وهم انما هى صفة فى المستطيع فبالضرورة نعلم ان الصفة هى غير الموصوف لان الصفات تتعاقب عليه فتمضى صفة وتاتي أخرى فلوكانت الصفة هى الموصوف لكان الماضى من هذه الصفات هو الموصوف الباقى ولا سبيل الى غير هذا البتة فاذ لاشك فى ان الماضى هو غير الباقى فالصفات هي غير الموصوف بها وماعدا هذا فهو من المحال والتخليط فان قالوا ان الاستطاعة ليست مصدر استطاعة ولاصفة المستطيع كابروا وأتوا بلغة جديدة غير اللغة الذى نزل بها القرآن والتى لفظة الاستطاعة التى فيها نتنازع انما هى كلمة من تلك اللغة ومن احال شيئا من الالفاظ اللغوية عن وضوعها فى اللغة بغير نص محيل لها ولاباجماع من اهل الشريعة فقد فارق حكم اهل العقول والحياء وصار فى نصاب من لايتكلم معه ولايعجز احد ان يقول الصلاة ليست ماتدينون بها وانما هى امر كذا والماء هو الخمر وفى هذا بطلان الحقائق كلها وأيضا فاننا نجد المرء مستطيعا ثم نراه غير مستطيع لخدر عرض فى اعضائه أولتكتيف وضبط أولاغما وهو بعينه قائم لم ينتقص منه شيء فصح بالضرورة ان الذى عدم من الاستطاعة هو غير المستطيع الذى كان ولم يعدم هذا أمر يعرف بالمشاهدة والحس وبهذا أيقنا ان الاستطاعة عرض من الاعراض تقبل الاشد والاضعف فنقول استطاعة أشد من استطاعة واستطاعة أضعف من استطاعة وايضا فان الاستطاعة لها ضد وهو العجز والاضداد لاتكون الأعراضا تقتسم طرفى البعد كالخضرة والبياض والعلم والجهل والذكر والنسيان وماأشبه هذا وهذا كله أمر يعرف بالمشاهدة ولاينكره الاعمى القلب والحواسي ومعاند مكابر للضرورة والمستطيع جوهر والجوهر لاضد له فصح بالضرورة ان الاستطاعة هى غير المستطيع بلاشك وايضا فلوكانت الاستطاعة هي المستطيع لكان العجز ايضا هو العاجز والعاجز هو المستطيع بالامس فعلى هذا يجب ان العجز هو المستطيع فان تمادوا علي هذا لزمهم ان العجز عن الامر هو الاستطاعة عليه وهذا محال ظاهر فان قالوا ان العجز غير المستطيع وهو آفة دخلت علي المستطيع سئلوا عن الفرق الذى من اجله

خرج من عداد العدد والمعدود وانحل عن رباط القدر والمقدور صار ضياعا هملا وربما يقول النفس الانسانية تأليفات عددية أولحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان والتذت بسماعها وطاشت وتواجدت بسماعها وجاشت ولقد كانت قبل اتصالها بالابدان قد أبدعت من تلك التأليفات العددية الاولى ثم اتصلت بالابدان فان كانت التهذيبات الخلقية علي تناسب الفطرة وتجردت النفوس عن المناسبات الخارجة اتصلت بعالمها وانخرطت فى سلكها على هيئة أجمل وأكمل من الاول فان التأليفات الاول

قالوا ان الاستطاعة هى المستطيع ومنعوا ان يكون العجز هو العاجز ولا سبيل الى وجود فرق في ذلك وبهذا نفسه يبطل قول من قال ان الاستطاعة هي بعض المستطيع سوآء بسوآء لان العرض لايكون بعضا للجسم وأما من قال ان الاستطاعة كل ماتوصل به الى الفعل كالابرة والدلو والحبل ومأأشبه ذلك فقول فاسد تبطله المشاهـدة لانه قد توجد هذه الالات وتعدم صحة الجوارح لايمكن الفعل فان قالوا قد تعدم هذه الآلات وتوجد صحة الجوارح ولا يمكن الفعل قلنا صدقتم وبوجود هذه الآلات تم الفعل الا ان لفظة الاستطاعة التى فى معناها نتنازع هى لفظة قد وضعت فى اللغة التى بها نتفاهم ونعبر عن مرادنا على عرض فى المستطيع فليس لاحد أن يصرف هذه اللفظة عن موضوعها فى اللغة برايه من غير نص ولا اجمـاع ولو جاز هذا لبطلت الحقائق ولم يصـح تفاهم ابدا وقد علمنا يقينا أن لفظة الاستطاعة لم تقع قط فى اللغة التى بها نتفاهم علي حبل ولا على مهماز ولا علي ابرة فان قالوا قد صح عن ائمة اللسان كابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما ان الاستطاعة زاد وراحلة قيل لهم نعم قد صح هذا ولا خلاف بين احد له فهم باللغة أنهما عنيا بذلك القوة على وجود زاد وراحلة وبرهان ذلك ان الزاد والرواحل كثير فى العالم وليس كونهما عنيا فى العالم موجبا عندهما فرض الحج على مالا يجدهما فصح ضرورة انهما عنيا بذلك القوة على احضار زاد وراحلة والقوة على ذلك عرض كما قلنا وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول ايضا ان ذكروا قول الله عز وجل * واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم * لان هذا هو نص قولنا ان القوة عرض ورباط الخيل عرض فسقط هـذا القول والحمد لله رب العالمين فاذ قد سقطت هـذه الاقـوال كلها وصح ان الاستطاعة عرض من الاعراض فواجب علينا معرفة ماتلك الاعراض فنظرنا ذلك بعون الله عز وجل وتأييده فوجدنا بالضرورة الفعل لايقع باختيار الا من صحيح الجوارح التى يكون بها ذلك الفعل فصح يقينا ان سلامة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة ثم نظرنا سالم الجـوارح لايفعل مختارا الا حتى يستضيف الى ذلك ارادة الفعل فعلمنا ان الارادة ايضا محركة للاستطاعة ولا نقول ان الارادة استطاعة لان كل عاجز عن الحركة فهو مريد لها وهو غير مستطيع وقد علمنا ضرورة ان العاجز عن الفعل فليس فيه استطاعة للفعل لانهما ضدان والضدان لايجتمعان معا ولا يمكن ايضا ان تكون الارادة بعض الاستطاعة لانه كان يلزم من ذلك ان فى تعاجز المريد استطاعة ما لان بعض الاستطاعة استطاعة وبعض العجز عجز ومحـال ان يكون فى العـاجز عن الفعل استطاعة له البتة فالاستطاعة ليست عجزا فمن استطاع علي شيء وعجز عن اكثر منه ففيه استطاعة على مايستطيع عليه هى غير الاستطاعة التى فيه على مااستطاع عليـه وبالله تعالى التوفيق ثم نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لايقدر معه على الفعل اصلا فعلمنا ان هاهنا شئيا آخر به تتم الاستطاعة ولابد وبه يوجد الفعل فعلمنا ضرورة ان هذا الشيء اذ هو تمام الاستطاعة ولا تصح الاستطاعة الا به فهو باليقين قوة اذ الاستطاعه قوة وان ذلك الشيء قوة بلا شك فقد علمنا انه ماتى به من عند الله تعالى لانه تعالى مؤتي القوى اذ لا يمكن ذلك لاحد دونه عز وجل فصح ضرورة ان الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع

قد كانت ناقصة من وجه حيث كانت بالقوة وبالرياضة والمجاهدة فى هـذا العالم بلغت الى حـد الكمال خارجة من حد القوة الى حد الفعل قال والشرائع التى وردت بمقادير الصلاة والزكاة وسائر العبادات انما هى لايقاع هـذه المناسبات في مقابلة تلك التأليفات الروحانية وربما يبالغ فى تقرير التاليف حتى يكاد يقول ليس فى العـالم سوى التاليف والاجسام والاعراض تاليفـات والنفوس والعقول تاليفات ويعسر كل العسر تقرير ذلك نعم تقدير التاليف علي المؤلف والتقدير علي المقدر

وهذان الوجهان قبل الفعل وقوة اخرى من عند الله عزوجل وهذا الوجه مع الفعل باجتماعهما يكون الفعل وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان على صحة هذا القول اجماع الامة كلها على سؤال الله تعالى التوفيق والاستعاذة به من الخذلان فالقوة التي ترد من الله تعالى على العبد فيفعل بها الخير تسمى بالاجماع توفيقا وعصمة وتأييدا والقوة التي ترد من الله تعالى فيفعل العبد بها الشر تسمى بالاجماع خذلانا والقوة التي ترد من الله تعالى على العبد فيفعل بها ما ليس طاعة ولا معصية تسمى عونا او قوة او حولا وتبين من صحة هذا صحة قول المسلمين لا حول ولا قوة الا بالله والقوة لا تكون لاحد البتة فعل الا بها فصح انه لا حول ولا قوة لاحد الا بالله العلي العظيم وكذلك يسمى تيسيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقد وافقنا جميع المعتزلة على ان الاستطاعة فعل الله عز وجل وانه لا يفعل احد خيرا ولا شرا الا بقوة اعطاه الله تعالى اياها الا انهم قالوا يصلح بها الخير والشر معا (قال ابو محمد) فجملة القول فى هذا بان عناصر الاخبار ثلاثة وهو ممتنع او واجب او ممكن بينهما هذا امر بضرورة الحس والتمييز فاذا الامر كذلك فان عدمت صحة الجوارح كان له مانع الى الفعل واما الصحيح الجوارح المرتفع الموانع فقد يكون منه الفعل وقد لا يكون فهذه هي الاستطاعة الموجودة قبل الفعل برهان ذلك قول الله عز وجل حكاية عن القائلين *لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون* فاكذبهم الله فى انكارهم استطاعة الخروج قبل الخروج وقوله تعالى* ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا* فلو لم تكن هنا استطاعة قبل فعل المرء الحج لما لزم الحج الا من حج فقط ولما كان احد عاصيا بترك الحج لانه ان لم يكن مستطيعا للحج حتى يحج فلا حج عليه ولا هو مخاطب بالحج وقوله تعالى* فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا* فلو لم يكن على الظاهر العائد لقوله استطاعة على الصيام قبل أن يصوم لما كان مخاطبا بوجوب الصوم عليه اذا لم يجد الرقبة اصلا ولكان حكمه مع عدم الرقبة وجوب الاطعام فقط وهذا باطل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بايعه فمن لم يستطع فقاعدا فمن لم يستطع فعلى جنب وهذا اجماع متيقن لا شك فيه فلو لم يكن الناس مستطيعين للقيام قبل القيام لما كان احد مامورا بالصلاة قبل ان يصليها كذلك ولكان معذورا ان صلى قاعدا وعلى جنب بكل وجه لانه اذا صلى كذلك لم يكن مستطيعا للقيام وهذا باطل وقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشئ فاتوا به ما استطعتم فلو لم يكن هاهنا استطاعة لشئ مما امرنا به ان نفعله لما لزمنا شيء مما امرنا به مما لم نفعله ولكننا غير عصاة بالترك لاننا لم نكلف بالنص الا ما استطعنا وقوله صلى الله عليه وسلم اتستطيع ان تصوم شهرين قال فلو لم يكن احد مستطيعا للصوم الا حتى يصوم لكان هذا السؤال منه عليه السلام محالا وحاشا له من ذلك ومما يتبين صحة هذا وان المراد فى كل ما ذكرنا صحة الجوارح وارتفاع الموانع قول الله تعالى* ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون* فنص تعالى على ان فى عدم السلامة بطلان الاستطاعة وان وجود السلامة بخلاف ذلك فصح ان سلامة الجوارح استطاعة واذا صح هذا فبيقين ندرى ان سلامة الجوارح يكون بها الفعل وضده والعمل وتركه والطاعة والمعصية لان كل هذا يكون بصحة الجوارح فان قال قائل فان

أمر يهتدي به ويعول عليه وكان (خرينوس وزينون الشاعر) متابعين لفيثاغورس على رأيه فى المبدع والمبدع الا انهما قال البارى تعالى أبدع النفس والعقل دفعة واحدة ثم أبدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفى بدؤ ما ابدعهما لا يموتان ولا يجوز عليهما الدثور والفناء وذكرا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية من كل دنس صارت فى العالم الاعلى الى مسكنها الذى يشاكلها ويجانسها وكان الجسم الذى هو من النار والهواء جسمها فى ذلك العالم مهذبا من كل ثقل وكدر فاما الجرم الذى من الماء

سلامة الجوارح عرض والعرض لا يبقى وقتين قيل له هذه دعوى بلا برهان والآيات المذكورات مبطلة لهذه الدعوى وموجبة ان هذه الاستطاعة من سلامة الجوارح وارتفاع الموانع موجودة قبل الفعل ثم لو كان ماذكرتم ما كان فيه دفع لما قاله عز وجل من ذلك ثم وجدنا الله تعالى قد قال* وكانوا لا يستطيعون سمعا* وقال تعالى حاكيا قول الخضر لموسى عليه السلام* انك لن تستطيع معى صبرا* وقال* ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا* وعلمنا ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف قال الله تعالى* ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا* فتيقنا ان الاستطاعة التى اثبتها الله تعالى قبل الفعل هى غير الاستطاعة التى نفاها مع الفعل ولا يجوز غير ذلك البتة فاذ ذلك كذلك فالاستطاعة كما قلنا شيئان أحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثانى لا يكون الا مع الفعل وهو القوة الوارة من الله تعالى بالعون والخذلان وهو خلق الله تعالى للفعل فيمن ظهر منه وسمى من اجل ذلك فاعلا لما ظهر منه اذ لا سبيل الى وجود معنى غير هذا البتة فهذا هو حقيقة الكلام فى الاستطاعة بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والاجماع وضرورة الحس وبديهة العقل فعلى هذا التقسيم بنا الكلام فى هذا الباب فاذا نفينا وجود الاستطاعة قبل الفعل فانما نعنى بذلك الاستطاعة التى بها يقع الفعل ويوجد واجبا ولا بد وهى خلق الله تعالى للفعل فى فاعله واذا اثبتنا الاستطاعة قبل الفعل فانما نعنى بها صحة الجوارح وارتفاع الموانع التى يكون الفعل بها ممكنا متوهما لا واجبا ولا ممتنعا وبها يكون المرء مخاطبا مكلفا مامورا منهيا وبعد معها يسقط عنه الخطاب والتكليف ويصير الفعل منه ممتنعا ويكون عاجزا عن الفعل

(قال ابو محمد) فاذ قد تبين ما الاستطاعة فنقول بعون الله عز وجل فيما اعترضت به المعتزلة الموجبة للاستطاعة جملة قبل الفعل ولا بد فنقول وبالله تعالى التوفيق انهم قالوا اخبرونا عن الكافر المأمور بالايمان أهو مامور بما لا يستطيع ام بما يستطيع فجوابنا وبالله تعالى تأيد اننا قد بينا آنفا ان صحة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة وحامل هذه الصفة مستطيع بظاهر حاله من هذا الوجه وغير مستطيع مالم يفعل الله عز وجل فيه ما به يكون تمام استطاعته ووجود الفعل فهو مستطيع من وجه غير مستطيع من وجه آخر وهذا مع انه نص القرآن كما اوردنا فهو ايضا مشاهد كالبناء المجيد فهو مستطيع بظاهر حاله ومعرفته بالبناء غير مستطيع للآلات التى لا يوجد البناء الا بها وهكذا فى جميع الاعمال وأيضا فقد يكون المرء عاصيا لله تعالى فى وجه مطيعا له فى آخر مؤمنا بالله كافرا بالطاغوت فان قالوا فقد نسبتم لله تكليف ما لا يستطاع قلنا هذا باطل ما نسبنا اليه تعالى الا ما اخبر به عن نفسه انه لا يكلف احدا الا ما يستطيع بسلامة جوارحه وقد يكلفه ما لا يستطيع فى علم الله تعالى لان الاستطاعة التى بها يكون الفعل ليست فيه بعد ولا يجوز ان يطلق على الله تعالى أحد القسمين دون الآخر واما قولهم ان هذا كتكليف المقعد الجرى او الاعمى النظر وادراك الالوان والارتفاع الى السماء فان هذا باطل لان هؤلاء ليس فيهم شيء من قسمى الاستطاعة فلا استطاعة لهم اصلا واما الصحيح الجوارح ففيه احد قسمى الاستطاعة وهو سلامة الجوارح ولولا ان الله عز وجل آمننا بقوله تعالى* ماجعل عليكم فى الدين من حرج*

والارض فان ذلك يدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوى لان الجسم السماوى لطيف لا وزن له ولا يلمس فالجسم في هذا العالم مستبطن فى الجرم لانه أشد روحانية وهذا العالم لا يشاكل الجسم بل الجرم يشاكله وكل ما هو مركب والاجزاء النارية والهوائية عليه أغلب كانت الجسمية أغلب وهو مركب والاجزاء المائية والارضية عليه أغلب كانت الجرمية أغلب وهذا العالم عالم الجرم وذلك العالم عالم الجسم فالنفس فى ذلك العالم تحشر فى بدن جسمانى لا جرمانى دائما لا يجوز

لكان غير منكر ان يكلف الله تعالى الاعمى ادراك الالوان والمقعد الجرى والطلوع الى السماء ثم يعذبهم عند عدم ذلك منهم ولله تعالى ان يعذب من شاء دون ان يكلفه وان ينعم من شاء دون ان يكلفه كما رزق من شاء العقل وحرمه الجماد والحجارة وسائر الحيوان وجعل عيسى بن مريم نبيا فى المهد حين ولادته وشد على قلب فرعون فلم يؤمن قال تعالى * لا يسأل عما يفعل وهم يسالون * وليس فى بداية العقول حسن ولا قبيح لعينه ألبتة وقالت المعتزلة متى اعطى الانسان الاستطاعة أقبل وجود الفعل فان كان قبل وجود الفعل قالوا فهذا قولنا وان كان حين وجود الفعل فاحاجتنا اليها فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الاستطاعة قسمان كما قلنا فاحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثانى مع الفعل وهو خلق الله للفعل فى فاعله ولولاها لم يقع الفعل كما قال الله عزوجل ولو كانت الاستطاعة لا تكون الا قبل الفعل ولابد ولا تكون مع الفعل اصلا كما زعم ابو الهزيل لكان الفاعل اذا فعل عديم الاستطاعة وفاعلا فعلا لا استطاعة له على فعله حين فعله واذ لا استطاعة له عليه فهو عاجز عنه فهو فاعل عاجز عما يفعل معا وهذا تناقض ومحال ظاهر

(قال ابو محمد) ولهم الزامات سخيفة هى لازمة لهم كما تلزم غيرهم سواء بسواء منها قولهم متى احرقت النار العود افى حال سلامته ام وهو غير محترق فان كانت احرقته فى حال سلامته فهو اذا محرق غير محرق وان كانت احرقته وهو محرق فما الذى فعلت فيه وكسؤالهم متى كسر المرء العود أكسره وهو صحيح فهو اذا مكسور صحيح اوكسره وهو مكسور فما الذى احدث فيه وكسؤالهم متى اعتق المرء عبده افى حال رقه فهو حر عبد معا اوفى حال عتقه فاى معنى لعتقه اياه ومتى طلق المرء زوجته اطلقها وهى غير مطلقة فهى مطلقة لا مطلقة معا ام طلقها وهى مطلقة فما الذى اثر فيها طلاقه ومتى مات المرء فى حياته مات ام وهو ميت ومثل هذا كثير

(قال ابو محمد) وكل هذه سفسطة وسؤالات سخيفة مموهة والحق فيها ان تفريق النار اجزاء ما عملت فيه هو المسمى احراقا وليس للاحراق شىء غير ذلك فقولهم هل احرقت وهو محرق تخليط لان فيه ايها ما ان الاحراق غير الاحراق وهذه سخافة وكذلك كسر العود انما هو اخراجه عن حال الصحة والكسر نفسه هو حال العود حينئذ وكذلك اخراج العبد من الرق الى عتقه هو عتقه ولا مزيد ليست له حال اخرى وكذلك خروج المرأة من الزوجية الى الطلاق هو تطليقها نفسه وكذلك فراق الروح للجسد وهو الاماتة والموت نفسه ولا مزيد وليست هاهنا حال اخرى وقع الفعل فيها وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى ان اتمام الاستطاعة لا يكون الا مع الفعل لا قبله)

(قال ابو محمد) يقال لمن قال ان الاستطاعة كلها ليست الا قبل الفعل وانها قبل الفعل بتمامها وتكون ايضاً مع الفعل اخبرونا عن الكافر هل يقدر قبل ان يؤمن فى حال كفره على الايمان قدرة تامة أم لا وعن تارك الصلاة هل يقدر قدرة تامة على الصلاة فى حال تركه وعن الزانى هل يقدر فى حال زناه على ترك الزنا بان لا يكون منه زنا اصلا ام لا وبالجملة فلا وامر كلها انما هى امره بحركة او امر بسكون أو امر باعتقاد اثبات شىء ما أو

عليه الفناء والدثور ولذته تكون دائمة لا يملها الطباع والنفوس وقيل لفيثاغورس لم قلت بابطال العالم قال لانه يبلغ العلة التى من أجلها كان فاذا بلغها سكنت حركته وأكثر اللذات العلوية هى التاليفات اللحنية وذلك كما يقال التسبيح والتقديس غذاء الروحانيين وغذاء كل موجود هو مما خلق منه ذلك الموجود وأما (ابراقليطس وأباسيس) كانا من الفيثاغورسيين وقالوا ان مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحجر فهو الارض وما تحلل من الارض بالنار صار ماء وما تحلل من الماء

امر باعتقاد ابطال شيء ما وهذا كله بجمعه فعل أو ترك فاخبرونا هل يقدر الساكن المامور بالحركة على الحركة حال السكون أو يقدر المتحرك المأمور بالسكون على السكون فى حال الحركة وعن معتقد ابطال شيء ما وهو مامور باعتقاد اثباته هل يقدر فى حال اعتقاده ابطاله على اعتقاد اثباته ام لا وعن معتقد اثبات شيء ما وهو مامور باعتقاد ابطاله هل يقدر فى حال اعتقاده اثباته على اعتقاد ابطاله ام لا وعن المامور بالترك وهو فاعل ما امر بتركه أيقدر على تركه فى حال فعله فيكون فاعلا لشيء تاركا لذلك الشيء معا ام لا فان قالوا نعم هو قادر على ذلك كابروا العيان وخالفوا المعقول والحس واجازوا كل طاعة من كون المرء قاعدا قائما معا ومؤمنا بالله كافرا به معا وهذا اعظم ما يكون من المحال الممتنع وان قالوا انه لا يقدر قدرة تامة يكون بها الفاعل لشيء هو فاعل لخلافه قالوا الحق و رجعوا الى انه لا يستطيع احد استطاعة تامة يقع بها الفعل الا حتى يفعله وكل جواب اجابوا به هاهنا فانما هو ايهام ولواذو مدافعة بالروح لانه الزام ضرورى حسي متيقن لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قالوا لسنا نقول انه يقدر على ان يجمع بين الفعلين المتضادين معا ولكننا قلنا انه قادر على ان يترك ماهو فيه ويفعل ما امر به قيل لهم هذا هو نفسه الذى اردنا منكم وهو انه لا يقدر قدرة تامة ولا يستطيع استطاعة تامة على فعل مادام فاعلا لما ينافيه فاذا ترك كل ذلك وشرع فيما امر به فحينئذ تمت قدرته واستطاعته لا بد من ذلك وهذا هو نفس ما موهوا به فى سؤالهم لناهل امر الله تعالى العبد بما يستطيع قبل ان يفعله ام بما لا يستطيع حتى يفعله وهذا لهم لازم لانهم شنعوه وعظموه وانكروه ونحن لا ننكره ولا نرى ذلك الزاما صحيحا فقبحه عائد عليهم وانما يلزم الشيء من يصححه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقد اجاب فى هذه المسالة عبدالله بن احمد الكعبي البلخي احد رؤساء الاصلح من المعتزلة بان قال انا لا نختلف فى ان الله عز وجل قادر على تسكين المتحرك وتحريك الساكن وليس يوصف بالقدرة على ان يجعله ساكنا متحركا معا

(قال ابو محمد) وليس كما قال الجاهل الملحد فيما وصف الله تعالى به بل الله تعالى قادر على ان يجعل الشيء ساكنا متحركا معا فى وقت واحد من وجه واحد ولكن كلام البلخي هذا لازم لمن التزم هذه الكفرة الصلعاء (١) من ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال ويقال لهم لم لا يوصف بالقدرة على ذلك لان له قدرة على ذلك ولا يوصف بها ام لانه لا قدرة له على ذلك ولا محيد لهم عن هذا وهذه طائفة جعلت قدرة الله تعالى متناهية بل قطعوا قطعا بانه تعالى لا يقدر على الشيء حتى يفعله وهذا كفر مجرد لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) ويقال للمعتزلة ايضا انتم مقرون ايضاً معنا بان الله تعالى لم يزل عليما بان كل كائن فانه سيكون على ماهو عليه اذا كان ولم يزل الله تعالى يعلم ان فلانا سيطا فلانة فى وقت كذا فتحمل منه بولد يخلقه الله تعالى من منيهما الخارج منهما عند جماعه اياها وانه يعيش

بالنار صار هواء فالنار مبدأ وبعدها الارض وبعدها الماء وبعدها الهواء وبعدها النار والنار هى المبدأ واليها المنتهي فمنها التكون واليها الفساد وأما (ابيقورس) الذي تفلسف فى أيام ديمقراطيس وكان يرى أن مبادى الموجودات أجسام تدرك عقلا وهى كانت تتحرك من الخلاف الخلا لا نهاية له الا ان لها ثلاثة اشياء الشكل والعظم والثقل وديمقراطيس كان يرى ان لها شيئين العظم والشكل فقط وذكران تلك الاجسام لا تتجزى أي لا تنفعل ولا تنكسر وهى معقولة أى موهومة غير محسوسة فاصطكت تلك

(١) قوله الكفرة الخ تقدم له هذا الكلام مرارا وتقدم لنا ان هذه مقالة الاشعرية وانهم قالوها فرارا من المحال لكل لو تعلقت القدرة بكل شيء حتى الواجب والمستحيل لكان الواجب ممكنا لان من تحت القدرة لا بد ان يكون ممكنا حتى تغيره القدرة من حال الى حال وكذا شريك البارى لا يكون مستحيلا بل ممكنا وهذا من اشنع المقالات فليتامل اه مصححه

ثمانين سنة ويملك ويفعل ويصنع فاذا قلتم ان ذلك العلان يقدر قدرة تامة على ترك ذلك الوطء الذى لم يزل الله تعالى يعلم انه سيكون وانه يخلق ذلك الولد منه فقد قطعتم بانه قادر على ان يمنع الله من خلق ماقدعلم انه سيخلقه وانه قادر قدرة تامة على ابطال علم الله عزوجل وهذا اكفر ممن اجازه فان قال قائل فانكم انتم تطلقون ان المرء مستطيع قبل الفعل لصحة جوارحه فهذا يلزمكم قلنا هذا لا يلزمنا لاننا لم نطلق ان له قدرة تامة على ذلك اصلا بل قلنا انه لا يقدر على ذلك قدرة تامة البتة ومعنى قولنا انه مستطيع بصحة جوارحه اى انه متوهم منه ذلك لو كان ونحن لم نطلق الاستطاعة الا على هذا الوجه حيث اطلقها الله عزوجل فان قالوا إن الله تعالى قادر على كل ذلك ولا يوصف بالقدرة على فسخ علمه الذى لم يزل قلنا وهذا ايضا مما تكلمنا فيه آنفا بل الله تعالي قادر على كل ذلك بخلاف خلقه على ماقد مضى كلامنا فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقد نص الله تعالى علي ماقلنا بقوله عزوجل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون * الى قوله * ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * فاكذبهم الله تعالى فى نفيهم عن انفسهم الاستطاعة التى هى صحة الجوارح وارتفاع الموانع ثم نص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا أمر تكوين لا امر بالقعود لانه تعالى ساخط عليهم لقعودهم وقد نص تعالى على انه * انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فقد ثبت يقينا انهم مستطيعون بظاهر الامر بالصحة فى الجوارح وارتفاع الموانع وان الله تعالى كون فيهم قعودهم فبطل ان يتم استطاعتهم لخلاف فعلهم الذى ظهر منهم وقال عز وجل * من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * فبين عز وجل بيانا جليا ان من اعطاه الهدى اهتدى ومن اضله فلا يهتدى فصح يقينا ان بوقوع الهدى له من الله تعالى وهو التوفيق يفعل العبد ما يكون به مهتديا وان بوقوع الاضلال من الله تعالى وهو الخذلان وخلق ضلال العبد يفعل المرء ما يكون به ضالا فان قال قائل معنى هذا من سماه الله مهتديا ومن سماه ضالا قيل له هذا باطل لان الله تعالى نص على ان من اضله الله فلن تجد له وليا مرشدا فلو اراد الله تسميته كما زعمتم لكان هذا القول منه عز وجل كذبا لان كل ضال فله اولياء على ضلاله يسمونه مهتديا وراشدا وحاشا الله من الكذب فبطل تاويلهم الفاسد وصح قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وقال الله تعالى مخبرا عن الخضر الذى آتاه الله تعالى العلم والحكمة والنبوة حاكيا عن موسى عليه السلام وفتاه . فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * وقال تعالى مخبرا عنه ومصدقا عنه . وما فعلته عن أمرى . فصح أن كل ماقال الخضر عليه السلام فمن وحى الله عزوجل ثم أخبر عزوجل بان الخضر قال لموسى عليه السلام * انك لن تستطيع معى صبرا * فلم ينكر الله تعالى كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام لكن أجابه بقوله * ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا * فلم يقل له موسي عليه السلام انى مستطيع للصبر بل صدق قوله فى ذلك اذ أقره ولم ينكره ورجا ان يجد الله له استطاعة على الصبر فيصبر ولم يوجبه موسى عليه السلام أيضا لنفسه الا أن يشاء الله تعالى ثم كرر عيه الخضر بعد ذلك مرات انه غير مستطيع للصبر اذ لم يصبر فلم ينكر ذلك موسى عليه السلام فهذه شهادة ثلاثة انبياء محمد وموسى والخضر صلى الله عليه وسلم واكبر من شهادتهم شهادة الله عز وجل

الاجزا فى حركاتها اضطرارا واتفاقا فحصل من اصطكاكها صور هذا العالم واشكالها وتحركت على انحناء من جهات التحرك وذلك هو الذى يحكي عنهم انهم قالوا بالاتفاق فلم يثبتوا لها صانعا أوجب الاصطكاك واوجد هذه الصورة وهؤلاء قد أثبتوا الصانع واثبتوا اسبب حركات تلك الجواهر واما اصطكاكها فقد قالوا فيها بالاتفاق فلزمهم حصول العالم بالاتفاق والخطة وكان لفيثاغورس تلميذان رشيدان يدعي احدهما فلنكس ويعرف بمرزنوش قد دخل فارس ودعا الناس الى حكمة فيثاغورس واضاف

بتصديقهم فى ذلك اذ قد نصه الله تعالى علينا غير منكر له بل مصدقا لهم وهذا لايرده الامخذول وقال عزوجل * وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا * فنص تعالى نصا جليا على انهم كانوا لا يستطيعون السمع الذى أمروا به وانهم مع ذلك كانت أعينهم فى غطاء عن ذكر الله عزوجل ومع ذلك استحقوا على ذلك جهنم وكانوا فى ظاهر الامر مستطيعين بصحة جوارحهم وهذا نص قولنا بلا تكلف والحمد لله رب العالمين على هداه لنا وتوفيقه ايانا لااله الا هو وقال تعالى * اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * فنفى الله عزوجل عنهم استطاعة شىء من السبل غير سبيل الضلال وحده وفى هذا كفاية لمن عقل وقال تعالى * وماكان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * فنص تعالى على ان من لم يأذن له فى الايمان لم يؤمن وان من أذن له فى الايمان آمن وهذا الاذن هو التوفيق الذي ذكرنا فيكون به الايمان ولا بد وعدم الاذن هو الخذلان الذى ذكرنا نعوذ بالله منه وقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ومصدقا له اذ يقول * والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فنص تعالى على ان رسوله صلى الله عليه وسلم ان لم يعنه بصرف الكيد عنه صبا وجهل وانه تعالى صرف الكيد عنه فسلم وهذا نص جلى على انه اذا وفقه اعتصم واهتدى وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم خليله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومصدقا له * لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين * فهذا نص على ان من أعطاه الله عزوجل قوة الايمان آمن واهتدى وان من منعه تلك القوة كان من الضالين وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى * واصبر وماصبرك الا بالله * فنص تعالى على انه أمره بالصبر ثم أخبره انه لا صبر له الا بعون الله تعالى فاذا أعانه بالصبر صبر وقال تعالى * ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل * وهذا نص جلى على ان من أضله الله تعالى بالخذلان له فلا يكون مهتديا وقال تعالى * واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا * فهذا نص لا اشكال فيه على ان الله عزوجل منعهم ان يفقهوه * فان قال قائل انما قال تعالى انه يفعل ذلك بالذين لا يؤمنون ولذلك قال تعالى * ومايضل به الا الفاسقين، وكذلك يطبع الله على قلوب الكافرين، قيل له وبالله تعالى التوفيق لو صح لك هذا التاويل لكان حجة عليك لانه تعالى قد منعهم التوفيق وسلط عليهم الخذلان وأضلهم وطبع على قلوبهم فاجعله كيف شئت فكيف وليس ذلك على ماتاولت ولكن الايات ظواهرها وعلى مايقتضيه لفظها دون تكلف هو ان الله تعالى لما أضلهم صاروا ضالين فاسقين حين أضلهم لاقبل ان يضلهم وكذلك انما صاروا لا يؤمنون حين جعل بينهم وبينه حجابا وحين جعل على قلوبهم أكنة وفى آذانهم الوقر لاقبل ذلك وانما صاروا كافرين حين طبع على قلوبهم لاقبل ذلك وقال تعالى * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا * فنص تعالى على انه لولا أن ثبت نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوفيق لركن اليهم فانما يثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ثبته الله عزوجل لاقبل ذلك ولو لم يعطه التثبيت وخذله لركن اليهم وضل واستحق العذاب على ذلك ضعف الحياة وضعف الممات فتبا لكل مخذول يظن فى نفسه الخسيسة انه مستغن عما افتقر اليه محمد صلى الله عليه وسلم من توفيق الله وتثبيته وانه قد استوفى من الهدى مالا مزيد عليه وانه ليس عنده أفضل مما أعطاه بعد ولا أكثر وقد

حكمه الى مجوسية القوم والآخر يدعى قلانوس ودخل الهند ودعا الناس الى حكمه واضاف حكمه الى برهمية القوم الا ان المجوس كما يقال اخذوا جسمانية قوله و الهند اخذوا روحانيته ومما اخبر عنه فيثاغورس واوصى به قال انى عاينت هذه العوالم العلوية بالحس بعد الرياضة البالغة وارتفعت عن عالم الطبائع الى عالم النفس وعالم العقل فنظرت الى مافيها من الصور المجردة ومالها من الحسن والبهاء والنور وسمعت مالها من اللحون الشريفة والاصوات الشجية الروحانية وقال ان ما فى هذا العالم يشتمل على مقدار

أمرنا عز وجل أن نقول * إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * فنص تعالى على أمرنا بطلب العون منه وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين فلو لم يكن هاهنا عون خاص من آتاه الله اياه اهتدى ومن حرمه اياه وخذله ضل لما كان لهذا الدعاء معنى لان الناس كلهم كانوا يكونون معانين منعما عليهم مهديين وهذا بخلاف النص المذكور وقال تعالى * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم * فنص تعالى على انه ختم على قلوب الكافرين وان على سمعهم وأبصارهم غشاوة حائلة بينهم وبين قول الحق فمن هو الجاعل هذه الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم الا الذى ختم على قلوبهم عز وجل وهذا هو الخذلان الذى ذكرنا ونعوذ بالله منه وهذا نص على أنهم لا يستطيعون الايمان مادام ذلك الختم على قلوبهم والغشاوة على أبصارهم وأسماعهم فلو ازالها تعالى لآمنوا الا ان يعجزوا ربهم عز وجل عن ازالة ذلك فهذا خروج عن الاسلام وقال تعالى . ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا . فنص تعالى كما ترى على انه من لم يتفضل عليه ولم يرحمه اتبع الشيطان ضرورة فصح ان التوفيق به يكون الايمان وان الخذلان به يكون الكفر والعصيان وهو اتباع الشيطان ومعنى قوله تعالى الا قليلا على ظاهره وهو استثناء من المنعم عليهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمة الله تعالى لهم أى لاتبعتم الشيطان الا قليلا لم يرحمهم الله فاتبعوا الشيطان اذ رحمكم أنتم فلم تتبعوه وهذا نص قولنا ولله تعالى الحمد وقال تعالى . فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا وهذا نص ما قلنا ان من اضله الله تعالى لا سبيل له الى الهدى وان الضلال وقع مع الاضلال من الله تعالى للكافر والفاسق وقال تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده فاخبر تعالى ان عنده هدى يهدى به من يشاء من عباده فيكون مهتديا وهذا تخصيص ظاهر كما ترى وقال تعالى . فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء . فهذا نص ما قلنا وان الله تعالى قد نص قائلا ان من أراد هداه شرح صدره للاسلام فآمن بلا شك وان من أراد اضلاله ولم يرد هداه ضيق صدره واحرجه حتى يكون كمريد الصعود الى السماء فهذا لا يؤمن البتة ولا يستطيع وهو فى ظاهره مستطيع بصحة جوارحه

﴿ قال أبو محمد ﴾ ان الضال لمن ضل بعد ما ذكرنا من النصوص التى لا تحتمل تأويلا ومن شهادة خمسة من الانبياء ابراهيم وموسى ويوسف والخضر ومحمد عليهم السلام بانهم لا يستطيعون فعل شيء من الخير الا بتوفيق الله تعالى لهم وانهم ان لم يوفقهم ضلوا جميعا مع ما أوردنا من البراهين الضرورية المعروفة بالحس وبديهة العقل

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن عرف تراكيب الاخلاق المحمودة والمذمومة علم انه لا يستطيع احد غير ما يفعل مما خلقه الله عز وجل فيه فتجد الحافظ لا يقدر على تأخر الحفظ والبليد لا يقدر على الحفظ والفهم لا يقدر على الغباوة والغبي لا يستطيع ذكاء الفهم والحسود لا يقدر على ترك الحسد والنزيه النفس لا يقدر على الحسد والحريص لا يقدر على ترك الحرص والبخيل لا يقدر على البذل والجبان لا يقدر على الشجاعة والكذاب لا يقدر على ضبط نفسه عن الكذب

يسير من الحسن لكونه مملول الطبيعة وما فوقه من العوالم أبهى وأشرف وأحسن الى أن يصل الوصف الى عالم النفس والعقل فيقف فلا يمكن المنطق وصفه مافيها من الشرف والكرم والحسن والبهاء فليكن حرصكم واجتهادكم على الاتصال بذلك العالم حتى يكون بقاؤكم ودوامكم طويلا بعد مالكم من الفساد والدثور وتصيرون الى عالم هو حسن كله وبهاء كله وسرور كله وعز وحق كله ويكون سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة قال ومن كانت الوسائط بينه وبين مولاه أكثر

كذلك يوجدون من طفوليتهم والسيء الخلق لا يقدر على الحلم والحي لا يقدر على القحة والوقح لا يقدر على الحياء والعي لا يقدر على البيان والطيوش لا يقدر على الصبر والغضوب لا يقدر على الحلم والصبور لا يقدر على الطيش والحليم لا يقدر على الغضب والعزيز النفس لا يقدر على المهانة والمهين لا يقدر على عزة النفس وهكذا في كل شيء فصح انه لا يقدر احد الا على ما يفعل عما يتم الله تعالى فيهم القوة على فعله وان كان خلاف ذلك متوهما منهم بصحة البنية وعدم المانع

(قال أبو محمد) والملائكة والحور العين والجن وجميع الحيوان كله في الاستطاعة سواء كما ذكرنا ولا فرق بين شيء في ذلك كله وكلهم قد خلق الله عز وجل فيهم الاستطاعة الظاهرة بصحة الجوارح ولا يكون منهم فعل الا بعون وارد من الله تعالى اذا ورد كان الفعل معه ولا بد قد خلق الله عز وجل فيهم اختيارا وارادة وحركة وسكونا هما افعالهم على غيرها والملائكة وحور العين معصومون لم يخلق الله تعالى فيهم معصية اصلا لا طاعة ولا معصية وأما الذي يقدر على كل ما يفعل وما لا يفعل ولم يزل قادرا على كل ما يخطر بالقلب فهو واحد لا شريك له وهو الله عز وجل ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحد وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في الهدى والتوفيق)

(قال أبو محمد) احتجت المعتزلة بقول الله عز وجل * وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى . وبقوله تعالى . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا .

(قال ابو محمد) وهذا حق وقد قال تعالى * ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة * فاخبر تعالى ان الذين هدى بعض الناس لا كلهم وقال تعالى * ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل * وهي قراءة مشهورة عن عاصم بفتح الياء من يهدى وكسر الدال فاخبر تعالى ان في الناس من لم يهده وقال تعالى * من يضلل الله فلا هادي له * فاخبر تعالى ان الذين اضل فلم يهدهم وقال تعالى * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء * فاخبر تعالى ان الذين هدى غير الذي أضل ومثل هذا كثير وكل ذلك كلام الله عز وجل وكله حق لا يتعارض ولا يبطل بعضه بعضا قال الله تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح يقينا ان كل ما أوردنا من الآيات فكلها متفق لا تختلف فنظرنا في الآيات المذكورة فوجدناها ظاهرة لائحة وهو ان الله تعالى اخبر انه هدى ثمود فلم يهتدوا وهدى الناس كلهم السبيل ثم م بعد اما شاكر واما كفور وأخبر تعالى في الآيات الاخر انه هدى قوما فاهتدوا ولم يهد آخرين فلم يهتدوا فعلمنا ضرورة ان الهدى الذي أعطاه الله عز وجل جميع الناس هو غير الذي اعطاه بعضهم ومنعه بعضهم فلم يعطهم اياه هذا

فهو في رتبة العبودية انقص وان كان البدن مفتقرا في مصالحه الى تدبير الطبيعة مفتقرة في تأدية أفعالها الى تدبير النفس وكانت النفس مفتقرة في في اختيارها الافضل الى ارشاد العقل ولم يكن فوق العقل فاتح الا الهداية الالهية فبالحرى أن يكون المستعين بصريح العقل في كافة المصارف مشهودا له بفطنة الاكتفاء بمولاه وأن يكون التابع لشهوة البدن المنقاد لدواعي الطبيعة والموانى لهوى النفس بعيدا من مولاه ناقصا في رتبته

(رأي سقراط ابن سفرنيسقوس) الحكيم

أمر معلوم بضرورة العقل وبديهته فاذ لاشك فى ذلك فقد لاح الامر وهو ان الهدى فى اللغة العربية من الاسماء المشتركة وهى التى يقع الاسم منها على مسميين مختلفين بنوعهما فصاعدا فالهدى يكون بمعنى الدلالة تقول هديت فلانا الطريق بمعنى أريته اياه ووقفته عليه وأعلمته اياه سواء سلكه أو تركه وتقول فلان هاد بالطريق أى دليل فيه فهذا الهدى الذى هداه الله ثمود وجميع الجن والملائكة وجميع الانس كافرهم ومؤمنهم لانه تعالى دلهم على الطاعات والمعاصى وعرفهم مايسخط مما يرضي فهذامعنى ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون على الخير والتيسير له وخلقه لقبول الخير فى النفوس فهذا هو الذى اعطاه الله عز وجل الملائكة كلهم والمهتدين من الانس والجن ومنعه الكفار من الطائفتين والفاسقين فيما فسقوا فيه ولو اعطاهم اياه تعالى لما كفروا ولا فسقوا وبالله تعالى التوفيق ومما يبين هذا قوله تعالى فى الآيات المذكورة * انا هديناه السبيل * فبين تعالى ان الذى هداهم له فهو الطريق فقط وكذلك ايضا قوله تعالى * الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين * فهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وكذلك قوله تعالى * ولوشئنا لا تينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين * وقوله تعالي . ولوشاء الله لجمعهم على الهدى . وهذا بلاشك غير ماهدي جميعهم عليه من الدلالة والتبيين للحق من الباطل

(قال ابو محمد) وقوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم

(قال ابو محمد) فهذا نص جلى على ماقلنا وبيان ان الدلالة لهم على طريق جهنم يحملون فيه اليها هدى لهم الى تلك الطريق ونفى عنهم تعالي فى الا خرة كل هدى الى شيء من الطرق الا طريق جهنم ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) وقال بعض من يتعسف القول بلاعلم ان قول الله عز وجل . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي على الهدى . وقوله تعالى . اناهديناه السبيل . وقوله تعالى . وهديناه النجدين انما أراد تعالى بكل ذلك المؤمنين خاصة

(قال ابو محمد) وهذا باطل لوجهين احدهما تخصيص الآيات بلا برهان وماكان هكذا فهو باطل والثانى ان نص الا يات يمنع من التخصيص ولابد وهو ان الله تعالى قال . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فرد تعالى الضمير فاستحبوا العمي على الهدي الى المهديين انفسهم فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا وايضا فان الله تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء . وقال له تعالى . وانك لتهدى الى صراط مستقيم . فصح يقينا ان الهدي الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم هو الدلالة وتعليم الدين وهو غير الهدى الذى ليس هو عليه وانما هو لله تعالى وحده فان ذكر ذاكر قول الله عز وجل * ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون * فليس هذا على ماظنه من لا ينعم النظر من ان الله وحده لو اسمعهم لم يسمعوا بذلك بل ظاهر الآية مبطل لهذا الظن لانه تعالى قال ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فصح يقينا ان من علم الله تعالى فيه خيرا اسمعه وثبت ان فيه خيرا ثم قال تعالي * ولو اسمعهم لتولوا

الفاضل الزاهد من أثينيه وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وارسالاوس واقتصر من أصنافها على الالهيات والاخلاقيات واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الاخلاق واعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل الى الجبل وأقام فى غار به ونهى الرؤساء الذين كانوا فى زمانه عن الشرك وعبادة الاوثان فثوروا عليه الغاغة والجاؤا الملك الى قتله فحبسه الملك ثم سقاه السم وقصته معروفة قال سقراط أن البارى تعالى لم يزل هويته فقط وهو جوهر فقط واذا رجعنا الى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق

وهم معرضون . فصح يقينا انه اراد بلاشك انه لوأسمعهم لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لايجوز غيرهذا اصلا لانه تعالى قد نص على أن اسماعه لايكون الالمن علم فيه خيرا ومن المحال الباطل ان يكون من علم الله تعالى فيه خيرا يتولى عن الخير و يعرض عنه فبطل ماحرفوه بظنونهم من كلام الله عز وجل وكذلك قوله تعالى . انا هديناه السبيلا اما شاكرا واما كفورا . فانه تعالى قسم من هدى السبيل قسمين كفورا وشاكرا فصح ان الكفور أيضا هدى السبيل فبطل ماتوهموه من الباطل ولله تعالى الحمد وصح ماقلنا

ـ﴿ الكلام فى الاضلال ﴾ـ

(قال ابو محمد) وقد تلونا من كلام الله تعالى فى الباب الذى قبل هذا والباب الذى قبله متصلا به نصوصا كثيرة بان الله تعالى اضل من شاء من خلقه وجعل صدورهم ضيقة حرجة فان اعترضوا بقول الله تعالى عن الكفار انهم قالوا * وما اضلنا الا المجرمون * فلا حجة لهم فى هـذه الوجوه احدها انه قول كفار قد قالوا الكذب وحكى الله تعالى حينئذ * والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون * فان ابوا الا الاحتجاج بقول الكفار فليجعلوه الى جنب قول ابليس * رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض * والوجه الثانى انا لانكر اضلال المجرمين واضلال ابليس لهم ولكنه اضلال آخر ليس اضلال الله تعالى لهم والثالث انه لاعذر لاحد فى ان الله تعالى اضله ولالوم على الخالق تعالى فى ذلك واما من أضل آخر من دون الله تعالى فهو ملوم وقد فسر الله تعالى اضلاله لمن يضل كيف هو وفسر تعالى ذلك الاضلال تفسيرا اغنانا به عن تفسير الخلعاء العيارين كالنظام والعلاف وثمامة وبشر بن المعتمر والجاحظ والناشى وما هنالك من الاحزاب ومن تبعهم من الجهال فبين تعالى فى نص القرآن أن اضلاله لمن أضل من عباده انما هو ان يضيق صدره عن قبول الايمان وأن يحرجه حتى لايرغب فى تفهمه والجنوح اليه ولايصبر عليه ويوعر عليه الرجوع الى الحق حتى يكون كانه يتكلف فى ذلك الصعود الى السماء وفسر ذلك ايضا عز وجل فى آية اخرى قد تلوناها آنفا بانه يجعل اكنة على قلوب الكافرين يحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والاصاخة لبيانه وهداه وان يفقهوه وانه جعل تعالى بينهم وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم حجابا مانعا لهم من الهدى وفسره ايضا تعالى بانه ختم على قلوبهم وطبع عليها فامتنعوا بذلك من وصول الهدى اليها وفسر تعالى اضلال من دونه فقال تعالى انه جعلهم ائمة يدعون الى النار وفسر تعالى ايضا القوة التى اعطاها المؤمنين وحرمها الكافرين بانها تثبيت على قبول الحق وانه تعالى يشرح صدورهم لفهم الحق واعتقاده والعمل به وانه صرف لكيد الشيطان ولفتنته عنهم نسأل الله أن يمدنا بهذه العطية وان يصرف عنا الاضلال بمنه وأن لايكلنا الى انفسنا فقد خاب وخسر من ظن فى نفسه انه قد استكمل القوى حتى استغنى عن أن يزيده الله تعالى توفيقا وعصمة ولم يحتج الى خالقه فى ان يصرف عنه فتنته ولا كيده لاسيما من جعل نفسه اقوى على ذلك من خالقه تعالى ولم يجعل عند خالقه قوة يصرف بها عنه كيد الشيطان نعوذ بالله مما امتحنهم به ونبرأ الى الله خالقنا تعالى من الحول والقوة كلها الاما اتانا منها متفضلا علينا وأما كل ماجاء فى القرآن من اضلال الشياطين للناس وانسائهم ايام ذكر الله تعالى وتزيينهم لهم

والعقل قاصرا عن اجتناء وصفه وتحققه وتسميته وادراكه لان الحقائق كلها من تلقاء جوهره فهو المدرك حقا والواصف لكل شىء وصفا والمسمى لكل موجود اسما فكيف يقدر المسمى أن يسميه اسما وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفا فيرجع فيصفه من جهة اثاره وأفعاله وهى أسماء وصفات الا انها ليست من الاسماء الواقعة على الجوهر المخبر عن حقيقته وذلك مثل قولنا انه أى واضع كل شىء وخالق أى مقدر كل شىء وعزيز أى ممتنع أن يضام وحكيم أى محكم أفعاله على النظام وكذلك سائر

ووسوستهم وفعل بعض الناس ذلك ببعض فصحيح كما جاء فى القرآن دون تكلف وهذا كله القاء لما ذكرنا فى قلوب الناس وهو من الله تعالى خلق لكل ذلك فى القلوب وخالق لافعال هؤلاء المضلين من الجن والانس وكذلك قوله تعالى * حسدا من عند انفسهم * لانه فعل اضيف الى النفس لظهوره منها وهو خلق الله تعالى فيها فان ذكروا قول الله تعالى * وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون * فهو كما قال الله عز وجل وهو حجة على المعتزلة لان الله تعالى اخبر انه لا يضل قوما حتى يبين لهم ما يتقون وما يلزمهم وصدق الله عز وجل لان المرء قبل ان يأتيه خبر الرسول غير ضال بشيء مما يفعل اصلا فانما سمي الله تعالى فعله فى العبد اضلالا بعد بلوغ البيان اليه لا قبل ذلك وبالله التوفيق فصح بهذه الآية انه تعالى يضلهم بعد ان يبين لهم وقد فسر بعضهم الاضلال بانه منع اللطف الذى يقع به الايمان فقط

(قال أبو محمد) ونصوص القرآن تزيد على هذا المعنى زيادة لا شك فيها وتوجب أن الاضلال معنى زائد أعطاه الله للكفار والعصاة وهو ما ذكرنا من تضييق الصدور وتحريجها والختم على القلوب والطبع عليها واكنانها عن أن يفقهوا الحق فان قالوا ان هذا فعل النفوس كلها ان لم يمدها الله تعالى بتوفيق قلنا لهم من خلقها هذه الخلقة المفسدة فان لم يؤيدها بالتوفيق فان قالوا الله تعالى هو خلقها كذلك أقروا بان الله تعالى أعطاها هذه البلية وركب فيها هذه الصفة المهلكة فان فروا الى قول معمر والجاحظ ان هذا كله فعل الطبيعة لم يتخلصوا من سؤالنا وقلنا لهم فمن خلق النفس وخلق فيها هذه الطبيعة الموجبة لهذه الافاعيل فان قالوا الله سبحانه وتعالى اقروا بان الله أعطاها هذه الصفة المهلكة لها ان لم يمدها بلطف وتوفيق وكذلك ان قالوا ان النفس هى فعلت الطبيعة الموجبة لهذه المهالك كانوا مع خروجهم من الاسلام بهذا القول محيلين ايضا محالا ظاهرا لان النفس لو فعلت هى طبيعتها لكانت اما مختارة لفعلها واما مضطرة الى فعلها على ما هى عليها فان كانت مختارة فقد يجب أن تقع طبيعتها مرارا بخلاف ما لا توجد الا عليه وان كانت مضطرة فمن خلقها مضطرة الى هذا الفعل فلا بد من انه الله تعالى فرجعوا ضرورة الى أن الله تعالى هو الذى اعطاها هذه الصفة المهلكة التى بها كانت المعصية مع انه لم يقل احد من المسلمين ان النفس احدثت طبيعتها مع انه ايضا قول يبطله الحس والمشاهدة وضرورة العقل

(قال أبو محمد) وأما القائلو بالاصلح من المعتزلة فانهم انقطعوا هاهنا وقالوا لا ندرى ما معنى الاضلال ولا معنى الختم على قلوبهم ولا الطبع عليها وقال بعضهم معنى ذلك ان الله تعالى سماهم ضالين وحكم انهم ضالون وقال بعضهم معنى اضلهم اتلفهم كما تقول ضللت بعيري وهذه كلها دعاوى بلا برهان

(قال أبو محمد) لم نجد لهم تأويلا اصلا فى قول الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام انه قال * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء *

(قال أبو محمد) وهذا هو الضلال حقا وهو ان يحملهم اللجاج والعمى فى لزوم أصل قد ظهر فساده وتقليد من لا خير فيه من اسلافهم على ان يدعوا انهم لا يعرفون ما معنى الاضلال والختم

الصفات وقال أن علمه وقدرته وجوده وحكمته بلانهاية ولا يبلغ العقل ان يصفها ولو وصفها لكانت متناهية فالزم عليك انك تقول انها بلا نهاية ولا غاية وقد نرى الموجودات متناهية فقال انما تناهيها بحسب احتمال القوابل لا بحسب القدرة والحكمة والوجود ولما كانت المادة لم تحتمل صورا بلانهاية فتناهت الصور لا من جهة بخل فى واهب بل لقصور فى المادة وعن هذا اقتضت الحكمة الالهية انها وان تناهت ذاتا وصورة وحيزا ومكانا الا انها لا تتناهى زمانا فى آخرها الا من نحو أولها وان لم يتصور بقاء شخص

والطبع والأكنة على القلوب وقد فسر الله كل ذلك تفسيراً جليا وأيضا فانها الفاظ عربية معروفة المعاني في اللغة التي نزل بها القرآن فلا يحل لاحد صرف لفظة معروفة المعنى في اللغة عن معناها الذي وضعت له في اللغة التي بها خاطبنا الله تعالى في القرآن الى معنى غير ما وضعت له الا أن يأتي نص قرآن أو كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجماع من علماء الامة كلها على أنها مصروفة عن ذلك المعنى الى غيره أو يوجب صرفها ضرورة حس أو بديهة عقل فيوقف حينئذ عندما جاء من ذلك ولم يات في هذه الالفاظ التي اضلهم الله تعالى فيها وخيرهم الشيطان عن فهمها نص ولا اجماع ولا ضرورة بانها مصروفة عن موضعها في اللغة بل قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له فبين عليه السلام أن الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى للخير الذي له خلقه وان الخذلان تيسيره الفاسق للشر الذي له خلقه وهذا موافق للغة والقرآن والبراهين الضرورية العقلية ولما عليه الفقهاء والائمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعامة المسلمين حاشا من أضله الله على علم من أتباع العيارين الخلفاء كالنظام وثمامة والعلاف والجاحظ

(قال أبو محمد) ونبين هذا أيضا بيانا طبيعيا ضروريا لاخفاء به بعون الله تعالى وتاييده على من له أدنى بصر بالنفس واخلاقها وقدرة الله تعالى في اختراعها فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الله عز وجل خلق نفس الانسان مميزة عاقلة عارفة بالاشياء على ماهي عليه فهمة بما تخاطب به وجعلها مامورة منهية فعالة منعمة معذبة ملتذة آلمة حساسة وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين في التاثير وهما التميز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبة على اثار النفس فالتميز هو الذي خص نفس الانسان والجن والملائكة دون الحيوان الذي لايكلف والذي ليس ناطقا والهوى هو الذي يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان الذي ليس ناطقا من حب اللذات والغلبة

(قال ابو محمد) وهذه القوة في كل الحيوان حاشا الملائكة فانما فيها قوة التميز فقط ولذلك لم يقع منها معصية اصلا بوجه من الوجوه فاذا عصم الله النفس غلب التميز بقوة من عنده هي له مدد وعون فجرت افعال النفس على مارتب الله عز وجل في تميزها من فعل الطاعات وهذا هو الذي يسمى العقل واذا خذل جل وعز النفس امد الهوى بقوة هي الاضلال فجرت افعال النفس على مارتب الله عز وجل في هواها من الشهوات وحب الغلبة والحرص والبغي والحسد وسائر الاخلاق الرذلة والمعاصي وقد قامت البراهين على ان النفس مخلوقة وكذلك جميع قواها المنتجه عن قوتيها الاولتين التميز والهوى وكل ذلك مخلوق مركب في النفس مرتب على ماهو عليه فيها كل جار على طبيعته المخلوق لجرى كيفياته بها على ماهي عليه فاذ قد صح ان كل ذلك خلق الله تعالى فلا مغلب لبعض ذلك على بعض الا الخالق الكل وحده لاشريك له وقد نص الله تعالى على ذم النفس جملة الا من رحمها الله تعالى وعصمها قال جل وعز * ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي * فاخبر عز وجل بنص ما قلنا فصح ان المرحومة المستثناة لا تأمر بسوء وبالله تعالى التوفيق قال الله تعالى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى . وذم الله تعالى الهوى في غير ما موضع من كتابه وهذا نص ماقلنا وحسبنا الله ونعم الوكيل

فاقتضت الحكمة استيفاء الاشخاص ببقاء الانواع وذلك تجدد أمثالها ليستحفظ الشخص ببقاء النوع واستبقى النوع بتجدد الاشخاص فلا يبلغ القدرة الى حد النهاية ولا الحكمة تقف على غاية ثم من مذهب سقراط ان أخص مايوصف به الباري تعالى هو كونه حيا قيوما لان العلم والقدرة والجود والحكمة تندرج تحت كونه حيا والحياة صفة جامعة للكل والبقاء والسرمد والدوام تندرج تحت كونه قيوما والقيومية صفة جامعة للكل وربما يقول هو حي ناطق من جوهره أي من ذاته وحياتنا ونطقنا لا من

الكلام

الكلام فى القضاء والقدر

(قال ابو محمد) ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين الى ان ظنوا ان فيهما معنى الاكراه والاجبار وليس كما ظنوا وانما معنى القضاء في لغة العرب التى بها خاطبنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا انه الحكم فقط ولذلك يقولون القاضى بمعنى الحاكم وقضى الله عز وجل بكذا أى حكم به ويكون أيضاً بمعنى امر قال تعالى . وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه * انما معناه بلا خلاف انه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ويكون أيضا بمعنى أخبر قال الله تعالى * وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * بمعنى اخبرناه ان دابرهم مقطوع بالصباح وقال تعالى * وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * أى أخبرناهم بذلك ويكون أيضا بمعنى أراد وهو قريب من معنى حكم قال الله تعالى * اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه ومعنى القدر فى اللغة العربية الترتيب والحد الذى ينتهى اليه الشيء تقول قدرت البناء تقديرا اذا رتبته وحددته قال تعالى * وقدر فيها اقواتها * بمعنى رتب اقواتها وحددها وقال تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * يريد تعالى برتبة وحد فمعنى قضى وقدر حكم ورتب ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى فى شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا والى وقت كذا فقط وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى البدل

(قال أبو محمد) قال بعض القائلين بالاستطاعة مع الفعل اذا سئل هل يستطيع الكافر ما امر به من الايمان أم لا يستطيعه فاجاب أن الكافر مستطيع للايمان على البدل بمعنى ان لا يتمادى فى الكفر لكن يقطعه ويبدل منه الايمان

(قال أبو محمد) والذى يجب أن يجيب به هو الجواب الذى بينا صحته بحول الله تعالى وقوته فى كلامنا فى الاستطاعة وهو أن تقول هو مستطيع فى ظاهر الامر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه غير مستطيع للجمع بين الايمان والكفر مادام كافرا ومادام لا يؤتيه الله جل وعز العون فاذا آتاه اياه تمت استطاعته وفعل ولا بد فان قيل فهو مكلف مامور قلنا نعم فان قيل أهو عاجز عما هو مامور به ومكلف أن يفعله قلنا وبالله التوفيق هو غير عاجز بظاهر بنيته لسلامة جوارحه وارتفاع الموانع وهو عاجز عن الجمع بين الفعل وضده مالم يزل الله تعالى له العون فيتم ارتفاع العجز عنه ويوجد الفعل ولا بد وتقول ان العجز فى اللغة انما يقع على الممنوع بآفة على الجوارح أو بمانع ظاهر الى الحواس والمامور بالفعل ليس فى ظاهر امره عاجزا اذ لا آفة فى جوارحه ولا مانع له ظاهرا وهو فى الحقيقة عاجز عن الجمع بين الفعل وضده وبين الفعل وتركه وعن فعل مالم يؤته الله عونا عليه وعن تكذيب علم الله تعالى الذى لم يزل بانه لم يفعل الا ماسبق علمه تعالى فيه هذه حقيقة الجواب فى هذا الباب والحمد لله رب العالمين فان قيل فهو مختار لما يفعل قلنا نعم اختيارا صحيحا لا مجازا لانه مريد لكونه منه محب له مؤثر على تركه وهذا معنى لفظة الاختيار على الحقيقة وليس مضطرا ولا مجبرا ولا مكرها لان هذه الفاظ فى اللغة لا تقع الا على الكاره لما يكون منه فى هذه الحال وقد يكون المرء مضطرا مختارا مكرها فى حالة واحدة كانسان فى رجله اكلة لا دواء له الا بقطعها

جوهرنا ولهذا يتطرق الى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق ذلك الى حياته ونطقه تعالى وتقدس وحكى (فلوطرخيس) عنه فى المبادى انه قال أصول الاشياء ثلاثة وهى العلة الفاعلة والعنصر والصورة فالله تعالى هو الفاعل والعنصر هو الموضوع الاول للكون والفساد والصورة جوهر لا كون وقال الطبيعة امة للنفوس والنفس امة للعقل والعقل امة للمبدع الاول من أجل أن أول مبدع أبدعه المبدع الاول صورة العقل وقال المبدع لا غاية له ولا نهاية وماليس له نهاية ليس له

فيامر اعوانه مختارالامره اياهم بقطعها وبحسمها بالنار بعد القطع ويامرهم بامساكه وضبطه وان لايلتفتوا الى صياحه ولا الى أمره لهم بتركه اذا احس الالم ويتوعدهم على التقصير في ذلك بالضرب والنكال الشديد فيفعلون به ذلك فهو مختار لقطع رجله اذ لو كره ذلك كراهة تامة لم يكرهه أحد على ذلك وهو بلا شك كاره لقطعها مضطر اليه اذ لو وجد سبيلا بوجه من الوجوه دون الموت الى ترك قطعها لم يقطعها وهو مجبر مكره بالضبط من أعوانه حتى يتم القطع والحسم اذ لو لم يضبطوه ويعسروه ويقهروه ويكرهوه ويجبروه لم يمكن من قطعها البتة وانما اتينا بهذا لئلا ينكر الجاهلون أن يكون أحد يوجد مختارا من وجه مكرها من وجه آخر عاجزا من وجه مستطيعا من آخر قادرا من وجه ممنوعا من آخر وبالله تعالى نتأيد

الكلام في خلق الله عز وجل لافعال خلقه

(قال ابو محمد) اختلفوا في خلق الله تعالى لافعال عباده فذهب اهل السنة كلهم وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل كالمريسي وابن عون والنجارية والاشعرية والجهمية وطوائف من الخوارج والمرجئة والشيعة الى ان جميع افعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل في الفاعلين لها ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة ضرار بن عمرو وصاحبه ابو يحيى حفص الفرد وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة الى ان افعال العباد محدثة فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل على تخليط منهم في مائية افعال النفس الا بشر بن المعتمر عطف فقال الا انه ليس شيء من افعال العباد الا ولله تعالى فيه فعل من طريق الاسم والحكم يريد بذلك انه ليس للناس فعل الا ولله تعالى فيه حكم بانه صواب أو خطأ ونسميه بانه حسن أو قبيح طاعة أو معصية

(قال ابو محمد) وقد ادى هذا القول الفاحش الملعون رجلا من كبار المعتزلة وهو عباد بن سليمان تلميذ هشام بن عمرو الفوطي الى ان قال ان الله تعالى لم يخلق الكفار لانهم ناس وكفر معا لكن خلق أجسامهم دون كفرهم

(قال ابو محمد) ويلزمه مثل هذا نفسه في المؤمنين وفي جميع الملائكة والجن لانه ليس الا مؤمن وكافر والمؤمن انسان وايمانه أو ملك وايمانه أو جني وايمانه وكفره فعلى قول هذا البائس السخيف لايجوز ان يقال ان الله تعالى خلق من الناس ولا الجن ولا الملائكة سعيد بل يكون القول بهذا كذبا وحسبك بهذا القول خلافا للقرآن وللمسلمين وقال معمر والجاحظ ان افعال العباد كلها لافعل لهم فيها وانما نسب اليهم مجازا لظهورها منهم وانها فعل الطبيعة حاشا الارادة فقط فانه لا فعل للانسان غيرها البتة

(قال ابو محمد) ومن تدبر هذا القول علم انه أقبح من قول جهم وجميع المجبرة لانهم جعلوا افعال العباد طبيعة اضطرارية كفعل النار للاحراق بطبعها وفعل الثلج للتبريد بطبعه وفعل السقمونيا في احدارها الصفراء بطبعها وهذه صفة الاموات لاصفة الاحياء المختارين واذا لم يبق على قول هذين الرجلين للانسان فعل الا الارادة فقد وجدنا الارادة لايقدر الانسان على صرفها ولا احالتها ولا على تبديلها بوجه من الوجوه وانما يظهر من المرء تبديل حركاته وسكونه واما ارادته فلا حيلة له فيها ونحن نجد كل قوى الآلة من الرجال

شخص وصورة وقال اللانهاية في سائر الموجودات لو تحققت لكان لها صورة واقعة ووضع وترتيب وما تحقق له صورة ووضع وترتيب صار متناهيا فالموجودات ليست بلا نهاية والمبدع الاول ليس بذي نهاية ليس على انه ذاهب في الجهات بلانهاية كما يتخيله الخيال والوهم بل لا يرتقي اليه الخيال حتى يصفه بنهاية ولا نهاية فلانهاية له من جهة العقل اذ ليس يحده ولا من جهة الحس فليس يحده فهو ليس له نهاية فليس له شخص وصورة خيالية أو وجودية حسية أو عقلية تعالى وتقدس ومن مذهب (سقراط) ان النفوس

يحب وطء كل جميلة يستمتع بها لولا التقوى ويحب النوم عن الصلاة فى الليالى القارة والهواجر الحارة ويحب الاكل فى ايام الصوم ويحب امساك ماله عن الزكاة وانما ياتى خلاف مايريد مغالبة لارادته وقهرا لها واماصرفالها فلا سبيل له اليه فقد تم الاخبار صحيحا على قول هذين الرجلين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال أبو محمد) والبرهان على صحة قول من قال ان الله تعالى خلق أعمال العباد كلها نصوص من القرآن و براهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحس لايغيب عنها الا جاهل وبالله تعالى التوفيق فمن النصوص قول الله عز وجل * هل من خالق غير الله

(قال أبو محمد) هذا كاف لمن عقل واتقى الله وقد قال لى بعضهم انما انكر الله تعالى ان يكون هاهنا خالق غيره يرزقنا كمافى نص الآية

(قال أبو محمد) وجواب هذا انه ليس كاظن هذا القائل بل القضية قد تمت فى قوله غير الله ثم ابتدأ عز وجل بتعديد نعمه علينا فاخبرنا انه يرزقنا من السماء والارض وقال تعالى . فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . وهذا برهان جلى على ان الدين مخلوق لله عز وجل وقال تعالى . والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا

(قال أبو محمد) ومنهم من يعبد المسيح وقالت الملائكة وصدقوا بل كانوا يعبدون الجن فصح ان كل ماعبدوه ومنهم المسيح والجن لايخلقون شيئا ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فثبت يقينا انهم مصرفون مدبرون وان أفعالهم مخلوقة لغيرهم وقال تعالى . افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون .

(قال ابو محمد) وهذا نص جلى على ابطال ان يخلق احد دون الله تعالى شيئا لانه لو كان هاهنا احد غيره تعالى يخلق لكان من يخلق موجودا جنسا فى حيز ومن لا يخلق جنسا آخر وكان الشبه بين من يخلق موجودا وكان من لا يخلق لا يشبه من يخلق وهذا الحاد عظيم فصح بنص هذه الآية ان الله تعالى هو يخلق وحده وكل من عداه لا يخلق شيئا فليس احد مثله تعالى فليس من يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه وقال تعالى . ولكل وجهة هو موليها . وهذا نص جلى من كذبه كفر وقد علمنا انه تعالى لم يأمر بتلك الوجهات كلها بل فيها كفر قد نهى الله عز وجل عنه فلم يبق اذ هو مولى كل وجهة الا انه خالق كل وجهة لا احدا من الناس وهذا كاف لمن عقل ونصح نفسه ومنها قول الله عز وجل . هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه . وهذا ايجاب لان الله تعالى خلق كل مافي العالم وان كل من دونه لايخلق شيئا اصلا ولو كان هنا خالق لشيء من الاشياء غير الله تعالى لكان جواب هؤلاء المقررين جوابا قاطعا ولقالوا له نعم نريك افعالنا خلقتها من دونك ونعم هاهنا خالقون كثير وهم نحن لافعالنا وقوله عز وجل * أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء * وهذا بيان واضح لاخفاء به لان الخلق كله جواهر واعراض ولا شك فى انه لا يفعل الجواهر احد دون الله تعالى وانما يفعله الله عز وجل وحده فلم تبق الا الاعراض فلو كان الله عز وجل خالقا لبعض الاعراض ويكون الناس خالقين

الانسانية كانت موجودة قبل وجود الابدان على نحو من انحاء أما متصلة بكلها أو متمايزة بذواتها وخواصها فاتصلت بالابدان استكمالا واستدامة والابدان قوالبها وآلاتها فتبطل الابدان وترجع النفوس الى كليتها وعن هذا كان يخوف بالملك الذى حبسه انه يريد قتله قال ان سقراط فى حب والملك لايقدر الاعلى كسر الحب فالحب يكسر ويرجع الماء الى البحر ولسقراط أقاويل فى المسائل الحكمية والعامية والعملية ومما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط أن الحكمة قبل الحق أم الحق قبل الحكمة واوضح القول فيه بان الحق اعم من الحكمة الا انه قد يكون جليا وقد يكون خفيا واما الحكمة فهى أخص من

لبعضها لكانوا شركاء في الخلق ولكانوا قد خلقوا كخلقه خلق اعراضا وخلقوا اعراضا وهذا تكذيب لله تعالى ورد للقرآن مجرد فصح انه لا يخلق شيئا غير الله عز وجل وحده والخلق هو الاختراع فالله مخترع افعالنا كسائر الاعراض ولا فرق فان نفوا خلق الله تعالى لجميع الاعراض لزمهم ان يقولوا انها افعال لغير فاعل أو انها فعل لمن ظهرت منه من الاجرام الجمادية وغيرها فان قالوا هي افعال لغير فاعل فهذا قول اهل الدهر نصا ويكلمون حينئذ بما يكلم به اهل الدهر وان قالوا انها افعال الاجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة وهذا باطل محال وهو ايضا غير قولهم فالطبيعة لا تفعل شيئا مخترعة له وانما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر منها ما ظهر فهو خالق الكل ولا بد ولله الحمد ومنها قوله تعالى . أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون. انه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التي تعمل وهذا نص جلي على انه تعالى خلق اعمالنا وقد فسر بعضهم قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون منها الاوثان

(قال ابو محمد) وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه لانه لا يقول احد في اللغة التي بها خوطبنا في القرآن وبها تفاهم فيما بيننا ان الانسان يعمل العود والحجر هذا مالا يجوز في اللغة أصلا ولا في المعقول وانما يستعمل ذلك موصولا فنقول عملت هذا العود صنما وهذا الحجر وثنا فانما بين تعالى خلقه الصنمية التي هي شكل الصنم ونص تعالى على ذلك بقوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فانما عملنا النحت بنص الاية وبضرورة المشاهدة فهي التي عملنا وهي التي اخبرنا تعالى أنه خلقها

(قال ابو محمد) وقد ذكر عن كبير منهم وهو محمد بن عبد الله الاسكافي انه كان يقول ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا الطنابير ولا المزامير ولقد يلزم المعتزلة ان توافقه على هذا لان الخشبة لا تسمى عودا ولا طنبورا ولو حلف انسان لا يشترى طنبورا فاشترى خشبا لم يحنث وكذلك لو حلف ان لا يشترى خشبا فاشترى طنبورا لم يحنث ولا يقع في اللغة على الطنبور اسم خشبة وقال تعالى * خلق السموات والارض . فهي مخلوقة بنص القرآن وقد قال بعضهم انما قال تعالى . خلق السموات والارض ومابينهما في ستة ايام فكانت اعمال الناس مخلوقة في تلك الايام

(قال أبو محمد) لم ينف الله عز وجل ان يخلق شيئا بعد الستة أيام بل قد قال عز وجل يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق . وقال تعالى . ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين . فكان هذا كله في غير تلك الستة الايام فاذ قد جاء النص بأن الله تعالى يخلق بعد تلك الايام أبدا ولا يزال يخلق بعد ناشئة الدنيا ثم لا يزال يخلق نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أبدا بلا نهاية الاان عموم خلقه تعالى للسموات والارض ومابينهما باق على كل موجود وقال بعضهم لا نقول ان أعمالنا بين السماء والارض لانها غير مماسة للسماء والارض

(قال أبو محمد) وهذا عين التخليط لان الله تعالى لم يشترط المماسة في ذلك وقد قال تعالى . والسحاب المسخر بين السماء والارض . فصح ان السحاب ليست مماسة للسماء

ولا

الحق الا انها لا تكون الا جلية فاذا الحق مبسوط في العالم مشتمل على الحكمة المستفيضة في العالم والحكمة موضحة للحق المبسوط في العالم والحق ما به الشيء والحكمة ما لاجله الشيء ولسقراط الغاز ورموز القاها الى تلميذه اذخانس وحلها في كتاب فاذن ونحن نوردها مرسلة معقودة منها قوله عند ما فتشت عليه الحياة القيت الموت وعند ما وجدت الموت القيت الحياة الدائمة ومنها اسكت عن الضوضاء الذي في الهواء وتكلم بالليالي حيث لا يكون اعشاش الخفافيش واسدد الخمس الكوى ليضيء مسكن الملاء وأملاء الوغاطيبا وأفرغ على المثلث من القلاع الفارغة وأجلس على باب الكلام وأمسك مع الحذر اللحام الرخو لئلا يصعب فترى

للارض فهى اذا على قول هذا الجاهل غير مخلوقة ويلزمه أيضا ان يقول بقول معمر والجاحظ فى أن الله تعالى لم يخلق الالوان ولاالطعوم ولاالروائح ولاالموت ولاالحياة لان كل هذاغير مماس للسماء ولا للارض

(قال ابو محمد) وأما قول معمر والجاحظ ان كل هذا فعل الطبيعة فغباوة شديدة وجهل بالطبيعة ومعنى لفظ الطبيعة انما هى قوة الشيء تجرى بها كيفياته على ماهى عليه وبالضرورة نعلم ان تلك القوة عرض لا يعقل وكل ماكان مما لا اختيار له من جسم أو عرض كالحجارة وسائر الجمادات فمن نسب الى مايظهر منها انها أفعالها مخترعة لها فهو فى غاية الجهل وبالضرورة نعلم ان تلك الافعال خلق غيرها فيها ولا خالق هاهنا الا خالق الكل وهو الله لا اله الا هو

(قال أبو محمد) ومن بلغ ههنا فقد كفانا الله تعالى شانه لمجاهرته بالجهل العظيم والكفر المجرد فى موافقته أهل الدهر وتكذيبه القرآن اذ يقول الله تبارك وتعالى . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا . وقوله تعالى . تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل . فاخبر تعالى ان تفاضلها فى الطعوم من فعله عزوجل نعوذ بالله مما ابتلام به وأقحمهم فيه وقال معمر معنى قوله تعالى . خلق الموت والحياة . انما معناه الاماتة والاحياء

(قال أبو محمد) فما زاد على انه أبدى تمام جهله بوجهين بينين أحدهما احالته النص من كلام ربه تعالى بلا دليل والثاني انه لم يزل عما الزمه لان الموت والحياة هما الاماتة والاحياء بلا شك لان الحياة والاحياء هو جمع النفس مع الجسد المركب الارضى والموت والاماتة شيء واحد وهو التفريق بين النفس والجسد المذكور فقط فاذا كان جمع النفس والجسد وتفريقهما مخلوقين لله تعالى فقد صح ان الموت والحياة مخلوقان له تعالى يقينا وبطل تمويه هذا المجنون

(قال أبو محمد) ومن النصوص القاطعة فى هذا قول الله تعالى . انا كل شيء خلقناه بقدر فلجأ بعضهم الى دعوى الخصوص وذكر قول الله تعالى . تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الامساكنهم . وقوله تعالى . وأوتيت من كل شيء . وقوله . ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا

(قال أبو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه لان قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها بيان جلى على انها انما دمرت كل شيء أمرها الله تعالى بتدميره لا مالم يأمرها فهو عموم لكل شيء أمرها به وقوله تعالى وأوتيت من كل شيء فمن للتبعيض فمن أتاه الله شيئا من الاشياء فقد أتاه من كل شيء لانه قد أتاه بعض الاشياء وأما قوله تعالى ففتحنا عليهم أبواب كل شيء فحق ونحن لا ندرى كيفية ذلك الفتح الا أننا ندرى أن الله تعالى صدق فيما قال وانه تعالى انما أتاهم بعض الاشياء التى فتح عليهم أبوابها ثم لو صح برهان فى بعض هذا العموم انه ليس على ظاهره وانما أريد به الخصوص لما وجب من ذلك ان يحمل كل عموم على خلاف ظاهره بل كل عموم فعلى ظاهره حتى يقوم برهان بانه مخصوص أو انه منسوخ فيوقف عنده ولا يتعدى بالتخصيص وبالنسخ الى مالم يقم برهان بانه منسوخ أو مخصوص ولو كان غير هذا لما صحت

نظام الكواكب ولا تأكل الاسود الذئب ولا تجاوز الميزان ولا تستوطن النار بالسكين ولا تجلس على المكيال ولا تشم التفاحة وامت الحى يحيي بموته وكن قاتله بالسكين المرين أو غير المرين واحذر الاسود ذا الاربع ومن جهة العلة كن أرنبا وعند الموت لا تكن نملة وعند مايذكر دوران الحياة امت الميت ليكون ذاكرا وكن مقضضا ولا تكن صديق شرايطى ولا تكن مع اصدقائك قوسا ولا تنعس على باب اعدائك واثبت على ينبوع واحد متكئا على يمينك وينبغى أن تعلم انه ليس زمان من الازمنة يفقد فيه زمان الربيع وافحص عن ثلاث سبل فاذا لم تجدها فارض بان تنام لها نوم المستغرق واضرب الاترجة بالرمانة

حقيقة في شيء من أخبار الله تعالى ولا صحت شريعة أبداً لانه لا يعجز أحد في أمر من أوامر الله تعالى وفي كل خبر من أخباره عز وجل ان يحمله على غير ظاهره وعلى بعض ما يقتضيه عمومه وهذا عين السفسطة والكفر والحماقة ونعوذ بالله من الخذلان ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر

(قال أبو محمد) ومن ذلك قوله تعالى * ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم *

(قال ابو محمد) فنص الله على انه برأ المصائب كلها فهو بارىء لها والبارىء هو الخالق نفسه بلا شك فصح يقينا ان الله تعالى خالق كل شيء اذ هو خالق كل ما أصاب في الارض وفي النفوس ثم زاد تعالى بيانا برفع الاشكال جملة بقوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فبين تعالى أن ما أصاب الاموال والنفوس من المصائب فهو خالقها وقد تكون تلك المصائب افعال الظالمين باتلاف الاموال وأذى النفوس فنص تعالى على أن كل ذلك خلق له تعالى وبه عز وجل التوفيق وأما من طريق النظر فان الحركة نوع واحد وكل ما يقال على جملة النوع فهو يقال مقول على أشخاص ذلك النوع ولا بد فان كان النوع لمخلوقا فاشخاصه مخلوقة وأيضا فلو كان في العالم شيء غير مخلوق لله عز وجل لكان من قال العالم مخلوق والاشياء مخلوقة وما دون الله تعالى مخلوق كاذب لان في كل ذلك عندهم ما ليس بمخلوق ولكان من قال العالم غير مخلوق ولم يخلق الله تعالى الاشياء صادقا ونعوذ بالله تعالى من كل قول أدى الى هذا ونسألهم هل الله تعالى اله العالم ورب كل شيء أم لا فان قالوا نعم سئلوا اعموماً أو خصوصا فان قالوا بل عموما صدقوا ولزمهم ترك قولهم اذ من المحال أن يكون تعالى الها لما لم يخلق وان قالوا بل خصوصا قيل لهم ففي العالم اذا ما ليس الله الها له وما لا رب له وان كان هذا فان من قال ان الله تعالى رب العالمين كاذب وكان من قال ليس الله الها للعالمين ولا برب العالمين صادقا وهذا خروج عن الاسلام وتكذيب لله تعالى في قوله انه رب العالمين وخالق كل شيء وقد وافقونا على أن الله تعالى خالق حركات المختارين من سائر الحيوان غير الملائكة والانس والجن وبالضرورة ندري الحركات الاختيارية كلها نوع واحد فمن المحال الباطل ان يكون بعض النوع مخلوقا وبعضه غير مخلوق

(قال أبو محمد) واعترضوا باشياء من القرآن وهي انهم قالوا قال الله عز وجل * فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . وقال تعالى . لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله . وقال تعالى . فتبارك الله أحسن الخالقين . وقوله تعالى . وتخلقون افكا . وقوله تعالى * صنع الله الذي اتقن كل شيء . وقوله . الذي أحسن كل شيء خلقه . وقوله . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . واعترضوا باشياء من طريق النظر وهي ان قالوا ان كان الله تعالى خلق أعمال العباد فهو اذا يغضب مما خلق ويكره ما فعل ويسخط فعله ولا يرضى ما فعل ولا ما دبر وقالوا أيضا كل من فعل شيئا فهو مسمى به ومنسوب اليه لا يعقل غير ذلك فلو خلق الله الخطاء والكذب والظلم والكفر لنسب كل ذلك اليه تعالى الله عن ذلك وقالوا ايضا لا يعقل فعل واحد من فاعلين

واقتل العقرب بالصوم وان أحببت أن تكون ملكا فكن حمار وحش وليست التسعة باكمل من الواحد وبالاثنى عشر اقتنى اثنى عشر وازرع بالاسود واحصد بالابيض ولا تسلبن الاكاليل ولا تهتكه ولا تقفن راضيا بعدمك للخير وأنت موجود ذلك لك في أربعة وعشرين مكانا وان سألك سائل أن تعطيه من هذا الغذاء فيزه وان كان مستحقا للغذاء المرى فاعطه وان احتاج الى غذاء يمينك فاصنعه لان اللون الذى يطلب ذلك من كمال الغذاء فهو للبالغين وقال يكفى من تاجج النار نورها وقال له رجل من أين لى هذا المشار اليه واحد فقال لانى أعلم أن الواحد بالاطلاق غير محتاج الى الثانى فمتى فرضته قريبا للواحد كنت

هذا

هذا فعله كله أو هذا فعله كله وقالوا أيضا انتم تقولون ان الله تعالى خلق الفعل وان العبد اكتسبه فاخبرونا عن هذا الاكتساب الذى انفرد به العبد أهو خلق أم هو غيره فان قلتم هو خلق الله لزمكم انه تعالى اكتسبه وانه مكتسب له اذ الكسب هو الخلق وان قلتم ان الكسب هو غير الخلق وليس خلقا لله تعالى تركتم قولكم ورجعتم الى قولنا وقالوا أيضا اذا كانت أفعالكم مخلوقة لله تعالى وانتم تقولون انكم مستطيعون على فعلها وعلى تركها فقد اوجبتم أنكم مستطيعون على ان لا يخلق الله تعالى بعض خلقه وقالوا أيضا اذا كان فعلكم خلقا لله تعالى وعذبكم على فعلكم فقد عذبكم على ما خلق وقالوا ايضا قد فرض الله علينا الرضا بما خلق فان كان الظلم والكفر والكذب مما خلق ففرض علينا الرضا بالكفر والظلم والكذب

(قال ابو محمد) هذه عمدة اعتراضاتهم التى لا يشذ عنها شىء من تفريعاتهم وكل ما ذكروا لا حجة لهم فيه على ما نبين ان شاء الله تعالى بعونه وتأييده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فنقول وبالله تعالى نستعين أما قول الله تعالى * ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله * فلا حجة لهم فى هذا لان اول الآية فى قوم كتبوا كتابا وقالوا هذا من عند الله فاكذبهم الله تعالى فى ذلك واخبر انه ليس منزلا من عنده ولا مما امر به عز وجل ولم يقل هؤلاء القوم ان هذا الكتاب مخلوق فاكذبهم الله تعالى فى ذلك وقال تعالى ان ذلك الكتاب ليس مخلوقا لله تعالى فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة ولا شك عند المعتزلة وعندنا فى ان ذلك الكتاب مخلوق لله تعالى لانه قرطاس او اديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلا شك واما قوله تبارك وتعالى * الله احسن الخالقين * فقد علمنا ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يتدافع * وقال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاذ لا شك فى هذا فقد وجدناه تعالى انكر على الكافرين * فقال تعالى * ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار * فهذه الآية بينت ما تعلق به المعتزلة وذلك ان قوما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فجعلوهم خالقين فانكر الله تعالى ذلك فعلى هذا خرج * قوله تعالى * تبارك الله أحسن الخالقين * كما قال تعالى * يكيدون كيدا واكيد كيدا * وقال * ومكروا ومكر الله * ويبين بطلان ظنون المعتزلة فى هذه الآية قول الله تعالى * ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد * أفيكون مسلما من اوجب لله تعالى شركاء من اجل قول الله تعالى للكفار الذين جعلوا له شركاء أين شركائى ولا شك فى ان هذا الخطاب انما خرج جوابا عن ايجابهم له الشركاء تعالى الله عن ذلك وكذلك قوله تعالى * ذق انك انت العزيز الكريم * وقد علمنا ان كلام الله تعالى كله هو على حكم ذلك المعذب لنفسه فى الدنيا انه العزيز الكريم وقد علمنا بضرورة العقل والنص انه ليس لله تعالى شركاء وانه لا خالق غيره عز وجل وانه خالق كل شىء فى العالم من عرض او جوهر وبهذا خرج قوله تعالى * احسن الخالقين * مع * قوله تعالى * افمن يخلق كمن لا يخلق * فلو امكن ان يكون فى العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئا لما انكر ذلك عز وجل اذ هو عز وجل لا ينكر وجود الموجودات وانما ينكر الباطل فصح ضرورة لا شك فيها انه لا خالق غير الله تعالى فاذ لا شك فى هذا فليس فى قول الله تعالى احسن الخالقين اثبات لان فى العالم خالقا غير الله تعالى يخلق شيئا وبالله تعالى التوفيق واما قوله وتخلقون افكا وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام

كواضع مالا يحتاج اليه البتة الى جانب مالا بد منه البتة وقال الانسان له مرتبة واحدة من جهة واحدة وثلاث مراتب من جهة هيئته وقال للقلب آفتان الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر وقال الحكمة اذا اقبلت خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات وقال لا تكرهوا اولادكم على آثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم وقال ينبغى ان تغتم بالحياة وتفرح بالموت لانا نحيي لنموت ونموت لنحيى وقال قلوب المترفين فى المعرفة بالحقائق منابر الملائكة وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة وقال للحياة حدان احدهما الامل والثانى الاجل فبالاول بقاؤها وبالآخر فناؤها وقال النفس الناطقة جوهر

انه قال * انی اخلق لکم من الطين كهيئة الطير * وقول زهير بن ابي سلمى المزنى

وأراك تخلق ما فريت * وبعض القوم يخلق ثم لايفرى

فقد قلنا ان كلام الله تعالى لايختلف وقد قال تعالى * أفمن يخلق كمن لا يخلق * وقال تعالى * ام اتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون * وبيقين علم كل ذى عقل ان من جملة اولئك الآلهة الذين اتخذهم الكفار الملائكة والجن والمسيح عليه السلام قال تعالى * لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال الله تعالى حاكيا عن الملائكة انهم قالوا عن الكفار * بل كانوا يعبدون الجن * فقد صح يقينا بنص هذه الآية ان الملائكة والجن والمسيح عليه السلام لايخلقون شيئا اصلا ولا يختلف اثنان فى ان جميع الانس فى فعلهم كمن ذكرنا ان كانوا هؤلاء يخلقون افعالهم فسائر الناس يخلقون افعالهم وان كان هؤلاء لايخلقون شيئا من افعالهم فسائر الناس لايخلقون شيئا من افعالهم فان ذلك وكلام الله عز وجل لا يختلف فاذ لاشك فى هذا فاذ الخلق الذى اثبته الله عز وجل للمسيح عليه السلام فى الطير وللكفار فى الافك هو غير الخلق الذى نفاه عنهم وعن جميع الخلق لايجوز البتة غير هذا فاذ هذا هو الحق بيقين فالخلق الذي اوجبه الله تعالى لنفسه ونفاه عن غيره هو الاختراع والابداع واحداث الشىء من لاشىء بمعنى من عدم الى وجود وأما الخلق الذى اوجبه الله تعالى فانما هو ظهور الفعل منهم فقط وانفرادهم به والله تعالى خالقه فيهم وبرهان ذلك ان العرب تسمي الكذب اختلاقا والقول الكاذب مختلقا وذلك القول بلاشك انما هو لفظ ومعنى واللفظ مركب من حروف الهجاء وقد كان كل ذلك موجود النوع قبل وجود اشخاص هؤلاء المختلقين وهذا كقوله عز وجل * أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وكقوله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى * فبيقين يدري كل ذى حس يؤمن بالله تعالى وبالقرآن ان الزرع والقتل والرمي الذى نفاه عن الناس وعن المؤمنين وعن رسول الله ﷺ هو غير الزرع والقتل والرمي الذى اضافه اليهم لا يمكنه البتة غير ذلك لانه تعالى لا يقول الا الحق فاذ ذلك كذلك قال الذى نفاه عمن ذكرنا هو خلق كل شيء واختراعه وابداعه وتكوينه واخراجه من عدم الى وجود والذى اوجب لهم منه ظهوره فيهم ونسبة ذلك كله اليهم كذلك فقط وبالله تعالى التوفيق وقول زهير . وأراك تخلق مافريت . لايشك من له اقل فهم بالعربية انه لم يعن الابداع ولا اخراج الخلق من عدم الى وجود وانما اراد النفاذ فى الامور فقط فقد وضح ان لفظة الخلق مشتركة تقع علي معنيين أحدهما لله تعالي لا لاحد دونه وهو الابداع من عدم الى وجود والثاني الكذب فيما لم يكن اوظهور فعل لم يتقدم لغيره او نفاذ فيما حاول وهذا كله موجود من الحيوان ولله تعالى خالق كل ذلك وبالله تعالى التوفيق وبهذا تتألف النصوص كلها واما قوله تعالي * صنع الله الذى اتقن كل شيء * فهو عليهم لا لهم لان الله تعالى اخبران بصنعه اتقن كل شيء وهذا علي عمومه وظاهره فالله تعالي صانع كل شيء واتقانه له ان خلقه جوهرا او عرضا جاريين علي رتبة واحدة ابدا وهذا عين الاتقان واما قوله تعالي * احسن كل شيء خلقه * فانها قراءتان مشهورتان من قرآآت المسلمين احداهما احسن كل شيء خلقه باسكان اللام فيكون

بسيط ذو سبع قوى يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فاما حركتها المفردة فاذا تحركت نحو ذاتها ونحو العقل واما حركتها المختلفة فاذا تحركت نحو الحواس الخمس واليونانيون بنوا ثلاثة ابيات على طوالع مقبولة احدها بيت بانطاكية علي جبلها كانوا يعظمونه ويقربون القرابين فيه وقد خرب والثانى من جملة الاهرام التي بمصر بيت كانت فيه اصنام تعبد وهي التى نهاهم سقراط عن عبادتها والثالث بيت المقدس الذى بناه داود وابنه سليمان ويقال ان سليمان هو الذي بناه والمجوس يقول ان الضحاك بناه وقد عظمتهم اليونانيون تعظيم اهل الكتاب (رأى افلاطن الالهى ابن ارسطن بن ارسطوقليس) من آثينية وهو آخر المتقدمين الاوائل

خلقة بدلا من كل شيء بدل البيان فهذه القراءة حجة عليهم لان معناها ان الله تعالى احسن خلقه لكل شيء وصدق الله عزوجل وهكذا نقول ان خلق الله تعالى لكل شيء حسن والله تعالى محسن فى كل شيء والقراءة الاخرى خلقه بفتح اللام وهذه ايضا لاحجة لهم فيها لانه ليس فيها ايجاب لان ها هنا شيئا لم يخلق الله عزوجل ومن ادعى ان هذا فى اقتضاء الآية فقد كذب وانما يقتضى لفظة الآية ان كل شيء فالله خلقه كما فى سائر الآيات والله تعالى احسنه اذ خلقه وهذا قولنا وكذا نقول ان الانسان لا يفعل شيئا الا الحركة او السكون والاعتقاد والارادة والفكر وكل هذه كيفيات واعراض حسن خلقها من الله عزوجل قد حسن رتبتها وايقاعها فى النفوس والاجساد وانما قبح ماقبح من ذلك من الانسان لان الله تعالى سمى وقوع ذلك أو بعضها ممن وقعت منه قبيحا وسمى بعض ذلك حسنا كما كانت الصلاة الى بيت المقدس حركة حسنة ايمانا ثم سماها تعالى قبيحة كفرا وهذه تلك الحركة نفسها فصح انه ليس فى العالم شيء حسن لعينه ولا شيء قبيح لعينه لكن ماسماه الله تعالى حسنا فهو حسن وفاعله محسن قال الله تعالى * ان احسنتم احسنتم لانفسكم * وقال تعالى * هل جزاء الاحسان الا الاحسان * وماسماه الله تعالى قبيحا فهو حركة قبيحة وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء فى العالم حسنا فهو كله من الله تعالى حسن وسمى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء فبعض ذلك قبحه فهو قبيح وبعض ذلك حسنه فهو حسن وبعد ذلك قبحه ثم حسنه فكان قبيحا ثم حسنا وبعض ذلك حسنه ثم قبحه فكان حسنا ثم قبح كما صارت الصلاة الى الكعبة حسنة بعد ان كانت قبيحة وكذلك جميع افعال الناس التى خلقها الله تعالى فيهم كالوطء قبل النكاح وبعده وكسبي من نقض الذمة وسائر الشريعة كلها وقد اتفقت المعتزلة معنا على ان خلق الله تعالى للخمر والخنازير والحجارة المعبودة من دونه حسن بلا شك وهو سماه قبائح وارجاسا وحراما ونجسا وسيئا وخبيثا وهكذا القول فى خلقه للاعراض فى عباده ولا فرق وكذلك وافقنا اكثرهم على انه تعالى خلق فساد الدماغ والجنون المتولد منه والجذام والعمى والصمم والفالج والحدبة والادرة وكل هذا من خلق الله تعالى له حسن وكله فيما بيننا قبيح ردىء جدا يستعاذ بالله منه وقد نص الله تعالى على انه خلق المصائب كلها فقال عزوجل * ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير * فنص تعالى على انه برأ المصايب كلها وبرأ هو خلق بلا خلاف من أحد ولا فرق بين الزامهم ايانا ان الله تعالى احسن الكفر والظلم والجور والكذب والقبائح اذ خلق كل ذلك وبين اقرارهم معنا ان الله تعالى قد احسن الخمر والخنازير والدم والميتة والعذرة وابليس وكل ماقال انا اله من دون الله تعالى والاوثان المعبودة من دون الله تعالى والمصايب كلها والامراض والعاهات اذ خلق كل ذلك فاى شيء قالوه فى هذه الاشياء فهو قولنا فى خلق الله تعالى للكفر به ولشتمه والظلم والكذب ولا فرق كل ذلك قد أحسن الله خلقه اذ حركة او سكونا او ضميرا فى النفس وسمي ظهوره من العبد قبيحا موصوفا به الانسان وأما قوله تعالى * ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت * فلا حجة لهم فى هذا ايضاً لان التفاوت المعهود هو مانافر النفوس او خرج عن المعهود فنحن نسمي الصورة المضطربة بان فيها تفاوتاً فليس هذا التفاوت الذى نفاه الله تعالي عن خلقه فاذ ليس هو هذا

الاساطين معروف بالتوحيد والحكمة ولد فى زمان ازدشير ابن دارا فى سنة ست عشر من ملكه كان حديثا متعلما يتلمذ لسقراط ولما اغتيل سقراط السم ومات قام مقامه وجلس على كرسيه قد اخذ العلم من سقراط وطيماوس والغريبين غريب اثينية وغريب الناطس وضم اليه العلوم الطبيعية والرياضية حكى عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل ارسطاطوليس وطيماوس وثاوفرسطوس انه قال ان للعالم محدثا مبدعا ازليا واجبا بذاته عالما بجميع معلوماته على نعت الاسباب الكلية كان فى الاول ولم يكن فى الوجود رسم ولا طلل الا مثال عند البارى وربما يعبر عنه بالعنصر والهيولى ولعله يشير الى صور المعلومات فى علمه قال فا بدع العقل الاول

الذى يسميه الناس تفاوتا فلم يبق الا ان التفاوت الذى نفاه الله تعالى عما خلق هو شيء غير موجود فيه البتة لانه لو وجد فى خلق الله تعالى تفاوتا لكذب قول الله عز وجل ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولا يكذب الله تعالى الا الكافر فبطل ظن المعتزلة ان الكفر والظلم والكذب والجور تفاوت لان كل ذلك موجود فى خلق الله عز وجل مرئى فيه مشاهد بالعيان فيه فبطل احتجاجهم والحمد لله رب العالمين فان قال قائل فما هذا التفاوت الذى اخبر الله عز وجل انه لا يرى فى خلقه قيل لهم نعم وبالله التوفيق هو اسم لا يقع على مسمى موجود فى العالم اصلا بل هو معدوم جملة اذ لو كان شيئا موجودا فى العالم لوجد التفاوت فى خلق الله تعالى والله تعالى قد اكذب هذا واخبر انه لا يرى في خلقه ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان العالم كله مادون الله تعالى وهو كله مخلوق لله تعالى اجسامه واعراضه كلها لا نحاشى شيئا منها ثم اذا نظر الناظر فى تقسيم انواع اعراضه وانواع اجسامه جرت القسمة جريا مستويا فى تفصيل اجناسه وانواعه بحدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة وهيئة واحدة الى ان يبلغ الى الاشخاص التى تلى أنواع الانواع لا تفاوت في شيء من ذلك البتة بوجه من الوجوه ولا تخالف فى شيء منه أصلا ومن وقف على هذا علم ان الصورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتان معا تحت نوع الشكل والتخطيط ثم تحت نوع الكيفية ثم تحت اسم العرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت فى هذا بوجه من التقسيم وكذلك ايضا نعلم ان الكفر والايمان بالقلب واقعان تحت نوع الاعتقاد ثم تحت فعل النفس ثم تحت الكيفية والعرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت من هذا الوجه من التقسيم وكذلك ايضا نعلم ان الايمان والكفر باللسان واقعان تحت نوع فرع الهواء بآلات الكلام ثم تحت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية وتحت اسم العرض وقوعا حقا مستويا لا تفاوت فيه ولا اختلاف وهكذا القول فى الظلم والانصاف وفى العدل والجور وفى الصدق والكذب وفي الزنا والوطء الحلال وكذلك كل مافى العالم حتى يرجع جميع الموجودات الى الرؤس الاول التى ليس فوقها رأس يجمعها الا كونها مخلوقة لله تعالى وهى الجوهر والكم والكيف والاضافة على مابينا فى كتاب التقريب والحمد لله رب العالمين فانتفى التفاوت عن كل ماخلق الله تعالى وعادت الآية المذكورة حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها وهى انه لو كان وجود الكفر والكذب والظلم تفاوتا كما زعموا لكان التفاوت موجودا فى خلق الرحمن وقد كذب الله تعالى ذلك ونفى أن يرى فى خلقه تفاوت وأما اعتراضهم من طريق النظر بان قالوا انه تعالى ان كان خلق الكفر والمعاصى فهو اذا يغضب مما فعل ويغضب مما خلق ولا يرضى ماصنع ويسخط مافعل ويكره مايفعل وانه يغضب ويسخط من تدبيره وتقديره فهذا تمويه ضعيف ونحن لا ننكر ذلك اذ أخبرنا الله عز وجل بذلك وهو تعالى قد أخبرنا انه يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه وانه يكره كل ذلك ويغضب منه فليس الا التسليم لقول الله تعالى نعم نعكس عليهم هذا السؤال نفسه فنقول لهم أليس الله خلق ابليس وفرعون والخمر والكفار فلا بد من نعم فنقول لهم أيرضى عز وجل عن هؤلاء كلهم أم هو ساخط لهم فلا بد من انه ساخط لهم كاره لهم غضبان عليهم غير راض

وبتوسط النفس الكلي قد انبعثت عن العقل انبعاث الصورة فى المرآة وبتوسطها العنصر (ويحكى) عنه ان الهيولى التى هى موضوع الصور الحسية غير ذلك العنصر ويحكى عنه انه ادرج الزمان فى المبادي وهو الدهر واثبت لكل موجود مشخص فى العالم الحسى مثالا موجودا غير مشخص فى العالم العقلى يسمى ذلك المثل الافلاطونية فالمبادى الاول بسائط والمثل مبسوطات والاشخاص مركبات فالانسان المركب المحسوس جزئى ذلك الانسان المبسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن قال والموجودات فى هذا العالم آثار الموجودات فى ذلك العالم ولا بد لكل اثر من مؤثر يشابهه نوعا من المشابهة قال

عنهم فنقول لهم هذا نفس ما انكرتم من انه تعالى سخط تدبيره وغضب من فعله وكره ما خلق ولعنه فان قالوا لم يكره عين الكافر ولا سخط شخص ابليس ولا كره عين الخمر لم نسلم لهم ذلك لانه تعالى قد نص على أنه تعالى لعن ابليس والكفار وانهم مسخوطون ملعونون مكروهون من الله تعالى مغضوب عليهم وكذا الخمر والاوثان وقال * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه * وقال تعالى * ولحم خنزير فانه رجس . وقد سمى الله تعالى كل ذلك رجساً ثم امر بعد ذلك باجتنابه وأضاف كل ذلك الى عمل الشيطان ولا خلاف فى انه عزوجل خالق كل ذلك فهو خلق الرجس بالنص ولا فرق فى المعقول بين خلق الرجس وخلق الكفر والظلم والكذب وقوله تعالى . ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها . فعلى قول هؤلاء المخاذيل انه تعالى يغضب مما الهم ويكرهه والهامه فعله بلاشك ضرورة فقد صح عليهم ماشنعوا به من انه يغضب من فعله ايضا فيقال لهم هل الله تعالى قادر على منع الظالم من المظلوم وعلى منع الذين قتلوا رسل الله صلى الله عليه وسلم وعلى ان يحول بين الكافر وكفره وان يميته قبل ان يبلغ وبين الزانى وزناه باضعاف جارحته او بشيء يشغله به او تيسير انسان يطل عليهما ام هو عاجز عن ذلك كله قادر على شيء منه ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا هو غير قادر على شيء من ذلك عجزوا ربهم وكفروا وبطلت اداتهم على احداث العالم اذا أضعفوا اقدرته عن هذا اليسير السهل وان قالوا بل هو قادر على ذلك كله فقد أقروا ايضا على انه تعالى رأى المنكر والكفر والزنا والظلم فاقره ولم يغيره وأطلق ايدى الكفار على قتل رسله وضربهم ومع اقراره لكل ذلك فلم يكتفى بكل ذلك الاحق قوام بجوارحهم وآلاتهم وكف كل مانع وهذا على قولهم انه رضا منه تعالى بالكفر واختيارا منه تعالى لكل ذلك وهذا كفر مجرد وأما انه يغضب مما أقر ويسخط مما أعان عليه ويكره ما فعل من اقرارهم على كل ذلك وهذا هو الذى شنعوا به لابد من احد الوجهين ضرورة وكلاهما خلاف قولهم الا ان هذا لازم لهم على اصولهم ولا يلزمنا نحن شيء منه لاننا لانقبح الا ماقبح الله تعالى ولانحسن الاماحسن الله تعالى فان قالوا انما اقره لينتقم منه وانما يكون سفها وعبثا لواقره ابدا قيل لهم اى فرق بين اقراره تعالى الكفر والظلم والكذب ساعة وبين ابقائه اياه ساعة بعد ساعة وهكذا أبدا بلا نهاية او بنهاية فى الحسن والقبح والا فعرفونا الامد الذى يكون اقرار الكفر والكذب والظلم اليه حكمة وحسنا واذا تجاوزه صار عبثا وعيبا وسفها فان تكلفوا أن يحدوا فى ذلك حدا اتوا بالجنون والسخف والكذب والدعوى التى لايعجز عنها احد وان قالوا لاندرى وردوا الامر فى ذلك الى الله عز وجل صدقوا وهذا هو قولنا ان كل مافعله الله تعالى من تكليف مالايطلق وتعذيبه عليها وخلقه الكفر والظلم فى الكافر والظالم واقراره كل ذلك ثم تعذيبهما عليه وخلقه الكفر وغضبه منه وسخطه اياه كل ذلك من الله تعالى حكمة وعدل وحق وممن دونه تعالى سفه وظلم وباطل لا يسال عما يفعل وهم يسالون واما قولهم ان من فعل شيئا وجب ان ينسب اليه ويسمى به نفسه وانه لايعقل ولايوجد غير هذا واحتجاجهم بهذا الاستدلال ان يسمى الله تعالى ظالما لانه خلق الظلم وكذلك من الكفر والكذب فهذا ينتقض عليهم من وجهين احدهما ان هذا تشبيه محض لانهم يريدون ان يحكموا على البارى تعالى بالحكم الموجود الجارى على

ولما كان العقل الانساني من ذلك العالم ادرك من المحسوس مثالا منتزعا من المادة معقولا يطابق المثال الذى فى عالم العقل بكليته ويطابق الموجود الذى فى عالم الحس بجزئيته ولولا ذلك لما كان لما يدركه العقل مطابقا مقابلا من خارج فما يكون مدركا لشيء يوافق ادراكه حقيقة المدرك قال والعالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم الحس وفيه الاشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التى تنطبع فيها صور المحسوسات فان الصور فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر فى ذلك العالم مرآت لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور غير ان الفرق ان المنطبع فى المرآة الحسية صورة خيالية يرى انها موجودة يتحرك بحركة

خلقه ويقال لهم اذ لم تجدوا فاعلا في الشاهد الاجسما ولاعالما الا بعلم هو غيره ولاحيا الا بحياة هي عرض فيه ولامخبرا عنه الاجسما اوعرضا ومالم يكن كذلك فهومعدوم ولا يتوهم ولايعقل ثم رأيتم البارى تعالى بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجدتم فقد وجب ضرورة ان لايحكم عليه تعالى بالحكم علينا في ان يسمي من افعاله ولافى ان ينسب اليه كما ينسب الينا بلا خلاف ذلك بالبرهان الضرورى وهو ان الله عز وجل خلق كل ماخلق من ذلك مخترعا له كيفية مركبة في غيره فهكذا هو فعل الله تعالى فيما خلق واما فعل عباده لما فعلوا فانما معناه انه ظهر ذلك الفعل عرضا محمولا في فاعله لانه اما حركة في متحرك واما سكون في ساكن اواعتقاد في معتقد اوفكر في متفكر اوارادة في مريد ولا مزيد فبين الامرين بون بائن لايخفى علي من له اقل فهم واما المدح والذم واشتقاق اسم الفاعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو انه لايستحق احدمدحا ولاذما الامن مدحه الله تعالى اوذمه وقد أمرنا الله تعالى بحمده والثناء عليه فهوعزوجل محمود علي كل مافعله محبوب لذلك وأما من دونه تعالى فمن حمد الله تعالى فعله الذى أظهره فيه فهو ممدوح محمود ومن ذم عزوجل فعله الذى اظهره فيه فهومذموم ولامزيد وبرهان هذا اجماع اهل الاسلام على انه لايستحق الحمد والمدح الامن اطاع الله عز وجل ولا يستحق الذم الامن عصاه وقد يكون المرء مطيعا محمودا اليوم ممدوحا بفعله ان فعله اليوم وكافرا مذموما به ان فعله غدا كالحج في اشهر الحج وفى غير اشهر الحج ولصوم يوم الفطر والاضحى وصوم رمضان وكالصلاة في الوقت وقبل الوقت وبعدالوقت وكسائر الشرائع كلها وقد وجدنا فاعلا للكذب قائلا له وفاعلا للكفر قائلا به وهماغيرمذمومين ولايسمي واحد منهما كاذبا ولا كافرا وهما الحاكى والمكره فبطل ماظنت المعتزلة من انه كل من فعل الكذب فهوكاذب ومن فعل الكفر فهو كافر ومن فعل الظلم فهو ظالم وصح انه لايكون كاذبا ولا كافرا ولاظالما الامن سماه الله تعالى كافرا وكاذبا وظالما وانه لا كفر ولاظلم ولا كذب الاماسماه الله كفرا وكذبا وظلما وصح بالضرورة التى لامحيد عنها انه ليس في العالم شيء محمود ممدوح لعينه ولامذموم لعينه ولا كفر لعينه ولاظلم لعينه واما مالايقع عليه اسم طاعة ولامعصية ولاحكمها وهو الله تعالى فلايجوز ان يوقع عليه مدح ولاحمد ولاذم الابنص من قبله فنحمده كما امرنا ان نقول الحمد لله رب العالمين وامامن دونه ممن لاطاعة تلزمه ولامعصية كالحيوان من غيرالملائكة وكالحور العين والانس والجن وكالجمادات فلا يستحق حمدا ولاذما لان الله لم يامر بذلك فيها فان وجدناه تعالى امر بمدح شيء منها او ذمه وجب الوقوف عندامره تعالى كامره تعالى بمدح الكعبة والمدينة والحجر الاسود وشهر رمضان والصلاة وغير ذلك وكامره تعالى بذم الخمر والخنزير والميتة والكنيسة والكفر والكذب وماأشبه ذلك واما ماعدا هذين القسمين فلا حمد ولا ذم وأما اشتقاق اسم الفاعل من فعله فكذلك أيضا ولافرق وليس لاحدان يسمي شيئا الابما أباحه الله تعالى في الشريعة أوفى اللغة التى امرنا بالتخاطب بها وقد وجدناه تعالى اخبرنا بان له كيدا ومكرا ويمكر ويكيد ويستهزيء وينسى من نسيه وهذا لاتدفعه المعتزلة ولودفعته لكفرت لردها نص القرآن وهم مجمعون معنا علي انه لايسمي باسم مشتق

الشخص وليس في الحقيقة كذلك فان المتمثل في المرآة العقلية صور حقيقية روحانية هي موجودة بالفعل تحرك الاشخاص ولا تتحرك فنسبة الاشخاص اليها نسبة الصور في المرآة الى الاشخاص فلها الوجود الدائم ولها الثبات القائم وهي تتمايز في حقائقها تمايز الاشخاص في ذواتها قال وانما كانت هذه الصور موجودة كلية باقية دائمة لان كل مبدع ظهرت صورته في حد الابداع فقد كانت صورته في علم الاول الحق والصور عنده بلانهاية ولولم تكن الصور معه في ازليته في علمه لم تكن لتبقى ولم تكن دائمة دوامها لكانت تدثر بدثور الهيولى ولوكانت تدثر مع دثور الهيولى لما كانت رجاء ولاخوف ولكن لماصارت الصور الحسية على رجا وخوف استدل على بقائها وانما تبقى اذاكانت لها صور

من ذلك فلا يقال ماكر من اجل ان له مكرا ولا انه كياد من اجل انه يكيد وان له كيدا ولا يسمى مستهزئا من اجل انه يستهزىء بهم فقد ابطل ما اصلوه من ان كل فعل فانه يسمى منه وينسب اليه ولا يشغب هاهنا مشغب مع من لا يحسن المناظرة فيقول انما قلنا انه يكيد ويستهزىء ويمكر وينسى على المعارضة بذلك فانا نقول له صدقت ولم نخالفك في هذا لكن الزمناك ان تسميه تعالى كيادا وماكرا ومستهزئا وناسيا على معنى المعارضة كما تقول فان ابي من ذلك وقال ان الله تعالى لم يسم بشيء من ذلك نفسه فقد رجع الى الحق ووافقنا في ان الله تعالى لا يسمى ظالما ولا كافرا ولا كاذبا من اجل خلقه الظلم والكفر والكذب لانه تعالى لم يسم بذلك نفسه وان انكر ذلك تناقض وظهر بطلان مذهبه (قال ابو محمد) وقد وافقونا على ان الله تعالى خلق الخمر وحبل النساء ولا يجوز ان يسمى خمارا ولا محبلا وانه تعالى خلق اصباغ القهاري والدهاهد والحجل وسائر الالوان ولا يسمى صباغا وانه تعالى بنى السماء والارض ولا يسمى بناء وانه تعالى سقانا الغيث ومياه الارض ولا يسمي سقاء ولا ساقيا وانه تعالى خلق الخمر والخنازير وابليس ومردة الشياطين وكذلك كل سوء وسيء وخبيث ورجس وشر ولا يسمي من اجل ذلك مسيئا ولا شريرا فاى فرق بين هذا كله وبين ان يخلق الشر والظلم والكفر والكذب ومعاصي عباده ولا يسمى بذلك مسيئا ولا ظالما ولا كافرا ولا كاذبا ولا شريرا ولا فاحشا والحمد لله على ما من به من الهدي والتوفيق وهو المستزاد من فضله لا اله الا هو ويقال لهم ايضا انتم تقرون بانه خلق القوة التى بها يكون الكفر والظلم والكذب وهيأها لعباده ولا يسمونه من اجل ذلك مغريا على الكفر ولا معينا للكافر في كفره ولا مسببا للكفر ولا واهبا للكفر وهذا بعينه هو الذى عبتم وانكرتم ويقال لهم ايضا اخبرونا عن تعذيبه اهل جهنم في النيران أمحسن هو بذلك اليهم أم مسيء فان قالوا بل محسن اليهم قالوا الباطل وخالفوا اصلهم وسألناهم ان يسألوا الله عز وجل لانفسهم ذلك الاحسان نفسه وان قالوا انه مسيء اليهم كفروا به وان قالوا ليس مسيئا اليهم قلنا لهم فهم في اساءة او في احسان فان قالوا ليسوا في اساءة كابروا العيان وان قالوا بل هم في اساءة قلنا لهم هذا الذي انكرتم ان يكون منه تعالى اليهم حال هي غاية الاساءة ولا يسمى بذلك مسيئا واما نحن فنقول لهم انهم في غاية المساءة والاساءة والسخط اليهم وعليهم وليس السخط احسانا الى المسخوط عليه وكذلك اللعنة للملعون وانه تعالى محسن على الاطلاق ولا نقول انه مسيء اصلا وبالله تعالى التوفيق والاصل في ذلك ماقلناه من انه لا يجوز ان يسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه الا بما اخبر به عن نفسه ولا مزيد فان قالوا اذا جوزتم ان يفعل الله تعالى فعلا ما هو ظلم بيننا ولا يكون بذلك ظالما فجوزنا ان نخبر بالشيء على خلاف ماهو ولا يكون بذلك كاذبا وان لا يعلم مايكون ولا يكون بذلك جاهلا وان لا يقدر على الشيء ولا يكون بذلك عاجزا قيل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال من وجهين احدهما انا قد اوضحنا انه ليس في العالم ظلم لعينه ولا بذاته البتة وانما الظلم بالاضافة فيكون قتل زيد اذا نهى الله عنه ظلما وقتله اذا أمر الله بقتله عدلا واما الكذب فهو كذب لعينه وبذاته فكل من اخبر بخبر بخلاف ماهو فهو كاذب الا انه لا يكون ذلك اثما ولا مذموما الا حيث اوجب الله تعالى فيه الاثم والذم فقط

عقلية في ذلك العالم ترجو اللحوق بهـا ونخاف التخلف قال واذا اتفقت العقلاء ان حسا ومحسوسا وعقلا ومعقولا وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات وهي محدودة محصورة بالزمان والمكان فيجب أن يشاهد بالعقل جميع المعقولات وهي غير محدودة ومحصورة بالزمان والمكان فيكون مثلا عقلية وما يثبته افلاطن موجودات محققة بهذا التقسيم قال انا نجد النفس تدرك امور البسائط والمركبات ومن المركبات انواعها واشخاصها ومن البسائط ماهي هيولانية وهي التى تعري عن الموضوع وهي رسوم الجزويات مثل النقطة والخط والسطح والجسم التعليمي قال وهذه اشياء موجودة بذواتها وكذلك توابع الجسم مفردة مثل الحركة والزمان والمكان والاشكال فانا نلخصها باذهاننا بسائط مرة ومركبة

وكذلك القول في الجهل والعجز انهما جعل لعينه وعجز لعينه فكل من لم يعلم شيئا فهو جاهل به ولابد وكل من لم يقدر على شيء فهو عاجز عنه ولابد والوجه الثاني ان بالضرورة التي بها علمنا من نوى التمر لا يخرج منها زيتونة وان الفرس لا ينتج جملا بها عرفنا ان الله تعالى لا يكذب ولا يعجز ولا يجهل لان كل هذه من صفات المخلوقين عنه تعالى منفية الا ما جاء نص بان يطلق الاسم خاصة من اسمائها عليه تعالى فيقف عنده وايضا فان أكثر المعتزلة يحقق قدرة الباري تعالى على الظلم والكذب ولا يجيزون وقوعهما منه تعالى وليس وصفهم اياه عز وجل بالقدرة على ذلك بموجب امكان وقوعه منه تعالى فلا ينكروا علينا ان نقول ان الله عز وجل فعل افعالا هي منه تعالى عدل وحكمة وهي منا ظلم وعبث وليس يلزمنا مع ذلك ان نقول انه يقول الكذب ويجهل فبطل هذا الالزام والحمد لله رب العالمين وايضا فانا لم نقل انه تعالى يظلم ولا يكون ظالما ولا قلنا انه يكفر ولا يسمى كافرا ولا قلنا انه يكذب ولا يسمى كاذبا فيلزمنا ما أرادوا والزامنا اياه وانما قلنا انه خلق الظلم والكذب والكفر والشر والحركة والطول والعرض والسكون اعراضا في خلقه فوجب ان يسمى خالقا لكل ذلك كما خلق الجوع والعطش والشبع والري والسمن والهزال واللغات ولم يجز ان يسمى ظالما ولا كاذبا ولا كافرا ولا شريرا كما لم يجز عندنا وعندهم ان يسمى من اجل خلقه لكل ماذكرناه متحركا ولا ساكنا ولا طويلا ولا عريضا ولا عطشان ولا ريان ولا جائعا ولا شابعا ولا سمينا ولا هزيلا ولا لغويا وهكذا كل ما خلق الله تبارك وتعالى فانما يخبر عنه بانه تعالى خالق له فقط ولا يوصف بشيء مما ذكرنا الا من خلقه الله تعالى عرضا فيه واما قولهم لا يفعل فعل من فاعلين هذا فعله كله وهذا فعله فان هذا تحكم ونقصان من القسمة اوقعهم فيها جهلهم وتناقضهم وقولهم انما يستدل بالشاهد على الغايب وهذا قول قد أفسدناه في كتابنا في الاحكام في اصول الاحكام بحمد الله تعالى ونبين هاهنا فساده بايجاز فنقول وبالله تعالى التوفيق انه ليس عن العقل الذي هو التمييز شيء غائب اصلا وانما يغيب بعض الاشياء من الحواس وكل ما في العالم فهو مشاهده في العقل المذكور لان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول فيه وكلاهما يقتضي خالقا أولا واحدا لا يشبهه شيء من خلقه في وجه من الوجوه فان كانوا يعنون بالغائب الباري عز وجل فقد لزمه تشبيهه بخلقه اذ حكموا بتشبيه الغائب بالحاضر وفي هذا كفاية بل مادل الشاهد كله الا ان الله تعالى بخلاف كل من خلق من جميع الوجوه وحاشا الله ان يكون جل وعز غائبا عنا بل هو شاهد بالعقل كما نشاهد بالحواس كل حاضر ولا فرق بين صحة معرفتنا به عز وجل بالمشاهدة بضرورة العقل وبين صحة معرفتنا لسائر ما نشاهده ثم نرجع ان شاء الله تعالى الى انكارهم فعلا واحدا من فاعلين فنقول وبالله تعالى التوفيق انما امتنع ذلك فيما بيننا في الاكثر لا على العموم لما شاهدناه من انه لا تكون حركة واحدة في الاغلب لمتحركين ولا اعتقاد واحد لمعتقدين ولا ارادة واحدة لمريدين ولا فكرة واحدة لمفتكرين ولكن لو اخذ اثنان سيفا واحدا اورمحا واحدا فضربا به انسانا فقطعاه اوطعناه به لكانت حركة واحدة غير منقسمة لمتحركين بها وفعلا واحدا غير منقسم لفاعلين هذا امر يشاهد بالحس والضرورة وهذا منصوص في القرآن من انكره كفر وهو ان القراءة المشهورة عند المسلمين * انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * وليهب لك غلاما زكيا كلا القراءتين

اخرى ولها حقائق في ذواتها من غير حوامل ولا موضوعات ومن البسائط ماليست هي هيولانية مثل الوجود والوحدة والجوهر والعقل يدرك القسمين جميعا متطابقين عالمين متقابلين عالم العقل وفيه المثل العقلية التي تطابقها الاشخاص الحسية وعالم الحس وفيه المتمثلات الحسية التي تطابقها المثل العقلية فاعيان ذلك العالم آثار في هذا العالم واعيان هذا العالم آثار في ذلك العالم وعليه وضع الفطرة والتقدير ولهذا الفصل شرح وتقرير وجماعة المشايين وارسطوطاليس لا يخالفونه في هذا المعنى الكلي الا انهم يقولون هو معنى في العقل موجود في الذهن والكلي من حيث هو كلي لا وجود له في الخارج عن الذهن اذ لا يتصور ان يكون شيء واحد ينطلق على زيد

بنقل الكواف عن رسول الله ﷺ عن جبريل صلى الله عليه وسلم فاذا قرئت بالهمز فهو اخبار جبريل رسول الله ﷺ الروح الامين انه هو الواهب لماعيسي عليه السلام واذا قرئت بالياء فهو من اخبار جبريل عن الله عز وجل بان الله تعالى هو الواهب لماعيسي عليه السلام فهذا فعل من فاعلين نسب الى الله عز وجل الهبة لانه تعالى هو الخالق لتلك الهبة ونسبت الهبة ايضا الي جبريل لانه منه ظهرت اذ أتى بها وكذلك قوله عز وجل * ومارميت اذرميت ولكن الله رمى * فاخبر تعالى انه رمى وان نبيه رمى فاثبت تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الرمى ونفاه عنه معا وبالضرورة ندرى ان كلام الله عزوجل لايتناقض فعلمنا ان الرمى الذي نفاه الله عزوجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم هو غير الرمي الذى أثبته له لايظن غير هذا مسلم البتة فصح ضرورة ان نسبة الرمى الى الله عزوجل لانه خلقه وهو تعالى خالق الحركة التي هي الرمي وممض الرمية وخالق مسير الرمي وهذا هو المنفى عن الرامي وهو النبى صلى الله عليه وسلم وصح ان الرمى للذى اثبته الله عزل جل لنبيه صلى الله عليه وسلم هو ظهور حركة الرمي منه فقط وهذا هو نص قولنا دون تكلف وكذلك قوله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم * والقول في هذا كالقول في الرمي ولافرق وكذلك قوله تعالى * زينا لكل امة عملهم * وقوله تعالى * فزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون * ضررة ان تزيين الله لكل أمة عملها انما هو خلقه لمحبة أعمالهم في نفوسهم وان تزيين الشيطان لهم أعمالهم انما هو بظهور الدعاء اليها وبوسوسة وقال تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام انه قال . اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتي باذن الله . افليس هذا فعلا من فاعلين من الله تعالى ومن المسيح عليه السلام بنص الآية وهل خالق الطير ومبرىء الاكمه والابرص الا الله وقد اخبر عيسى اذ يخلق ويبرىء فهو فعل من فاعلين بلاشك وقال عزوجل مخبرا عن نفسه انه يحيي ويميت وقال عيسى عليه السلام عن نفسه واحيي الموتي باذن الله فبالضرورة نعلم ان الميت الذى أحياه عليه السلام والطير الذى خلق بنص القرآن فان الله تعالى احياه وخلقه وعيسى عليه الصلاه والسلام احياه وخلقه بنص القرآن فهذا كله فعل من فاعلين بلاشك وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول في قوله تعالى وأحلوا قومهم دار البوار جهنم . وقد علمنا يقينا ان الله تعالى هو الذى أحلهم فيها بلاشك لكن لما ظهر منهم السبب الذى حلوا به دار البوار أضيف ذلك اليهم كما قال تعالى عن إبليس . كما اخرج ابويكم من الجنة . وقد علمنا يقينا ان الله تعالى هو اخرجهما واخرج ابليس معهما لكن لما ظهر من ابليس السبب في خروجهما اضيف ذلك اليه وكما قال تعالي . لتخرج الناس من الظلمات الى النور . فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخرجنا من الظلمات الى النور وقد علمنا ان المخرج له عليه السلام ولنا هو الله تعالى لكن لما ظهر السبب في ذلك منه عليه السلام اضيف الفعل اليه فهذا كله لايوجب الشركة بينهم وبين الله تعالى كما توهم المعتزلة وكل هذا فعل من فاعلين وكذلك سائر الافعال الظاهرة من الناس ولافرق وقال تعالى * انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى . واملى لهم ان كيدي متين * وقال تعالى . الشيطان سول لهم واملى لهم . فعلمنا ضرورة ان إملاء الله تعالى انما هو تركه اياهم دون تعجيل عقاب بل بسط لهم من الدنيا ومد لهم من العمر

وعمرو وهو في نفسه واحد وافلاطن يقول ذلك المعنى الذى اثبته في العقل يجب ان يكون له شيء يطابقه في الخارج فينطبق عليه وذلك هو المثال الذى في العقل وهو جوهر لاعرض اذ تصور وجوده لا في موضوع وهو متقدم على الاشخاص الجزئية تقدم العقل على الحس وهو تقدم ذاتي وشرفي معا وتلك المثل مبادى الموجودات الحسية منها بدأت واليها تعود ويتفرع علي ذلك ان النفوس الانسانية هي متصلة بالابدان اتصال تدبير وتصرف وكانت هي موجودة قبل وجود الابدان وكان لها نحو من من انحاء الوجود العقلى وتمايز بعضها عن بعض تمايز الصور المجردة عن المواد بعضها عن بعض وخالفه في ذلك تلميذه ارسطوطاليس ومن بعده

ماكان لهم عونا على الكفر والمعاصى وعلمنا ان إملاء الشيطان انما هو بالوسوسة وانساء العقاب والحض لهم على المعاصى وقال تعالى * افرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . فهذا فعل من فاعلين ضرورة نسب الى الله تعالى لانه اخترعه وخلقه وأنماه ونسب الينا لاننا تحركنا فى زرعه فظهرت الحركة المخلوقة فينا فهذه كلها افعال خلقها الله تعالى واظهرها فى عباده فقط وبالله تعالى تأيد

(قال ابو محمد) وتحقيق هذا القول فى الافعال هو ان الله سبحانه وتعالى خلق كل ماخلق قسمين فقط جوهرا حاملا وعرضا محمولا ناطقا وغير ناطق نغير الحى هو الجماد كله والناطق هو الملائكة وحور العين والجن والانس فقط وغير الناطق هو كل ماعدا ذلك من الحيوان ثم خلق تعالى فى الجمادات وفى الحى غير الناطق وفى الحى الناطق حركة وسكونا وتأثيرا قد ذكرناه آنفا فالفلك يتحرك والمطر ينزل والوادى يسيل والجبل يسكن والنار تحرق والثلج يبرد وهكذا فى كل شيء بهذا جاء القرآن وجميع اللغات قال تعالى * تلفح وجوههم النار * وقال تعالى فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا * وقال تعالى * فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض * وقال تعالى * والفلك تجرى فى البحر بامره والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس . ومثل هذا كثير جدا وبهذا جاءت اللغات فى نسبة الافعال الظاهرة فى الجمادات اليها لظهورها فيها فقط لايختلف لغة فى ذلك وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه السلام انه قال . اجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس . فاخبر ان الاصنام تضل وقال تعالى . تذروه الرياح وهذا اكثر من ان يحصى والاعراض ايضا تفعل كما ذكرنا قال عزوجل . والعمل الصالح يرفعه وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم . فالظن يردى والعمل يرفع ولم تختلف أمة فى صحة القول أعجبنى عمل فلان وسرنى خلق فلان ومثل هذا كثير جدا وقد وجدنا الحر يحلل ويصعد والبرد يجمد ومثل هذا كثير جدا وقد بيناه والكل خلق الله عزوجل وأما حركة الحى غير الناطق والحى الناطق وسكونهما وتأثيرهما فظاهر أيضا ثم خلق الله سبحانه وتعالى فى الحى غير الناطق وفى الحى الناطق قصدا ومشيئة لم يخلق ذلك فى الجماد كارادة الحيوان الرعى وتركه والمشى وتركه والاكل وتركه وماأشبه هذا ثم خلق تعالى فى الحى الناطق تمييزا لم يخلقه فى الحى غير الناطق ولا فى الجماد وهو التصرف فى العلوم والمعارف هذا كله امر مشاهد وكل ذلك خلق الله تعالى فيما خلقه فيه ونسب الفعل فى كل ذلك الى من أظهره الله تعالى منه فقط فخلق تعالى كما ذكرنا فى الحى الناطق الفعل والاختيار والتمييز وخلق فى الحى غير الناطق الفعل والاختيار فقط وخلق فى الجماد الفعل فقط وهو الحركة والسكون والتأثير كما ذكرنا وبالجملة فلا فرق بين من كابر وجاهر فانكر فعل المطبوع بطبعه وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وبين آخر جاهر وكابر فانكر فعل المختار باختياره وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وكلا الامرين محسوس بالحس معلوم باول العقل وضرورته انه فعل لما ظهر منه ومعلوم كل ذلك بالبرهان الضرورى انه خلق الله تعالى فى المطبوع وفى المختار فان فروا الى القول بان الله تعالى لم يخلق فعل المختار وانه فعل المختار فقط قلنا قد بينا بطلان هذا قبل ولكن نعارضكم هاهنا بان منكم من يقول بان الله تعالى أيضا لم يخلق فعل المطبوع وانه فعل المطبوع

فقط

من الحكماء وقالت اى النفوس حدثت مع حدوث الابدان وقد رأيت فى كلام ارسطوطاليس كما يأتى حكايته انه ربما يميل الى مذهب افلاطن فى كون النفوس موجودة قبل وجود الابدان الا أن نقل المتأخرون ما قدمنا ذكره وخالفه ايضا فى حدوث العالم فان افلاطن يخيل وجود حوادث لا اول لها لانك اذا قلت حادث فقد اثبت الاولية لكل واحد ومتى ثبت لكل واحد ثبت للكل وقال ان صورها الابدوان تكون حادثة لكن الكلام فى هيولاها وعنصرها فاثبت عنصرا قبل وجودها فظن بعض العقلاء انه حكم عليه بالازلية والقدم وهو اذا اثبت واجب الوجود لذاته واطلق لفظ الابداع على العنصر فقد اخرجه

فقط كمعمر وغيره من كبار المعتزلة فان قالوا اخطأ من قال هذا وكفر قلنا لهم واخطأ أيضا
وكفر من قال ان افعال المختار لم يخلقها الله تعالى ولا فرق فان قالوا ان الله تعالى هو خالق
الطبيعة والمطبوع الذين ينسبون الفعل اليها فهو خالق ذلك الفعل قلنا لهم والله عز وجل
ايضا هو خالق المختار وخالق اختياره وخالق قوته وهم الذين ينسبون الفعل اليهم فهو
عز وجل خالق ذلك الفعل ولا فرق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الذى ذكرنا من اضافة التأثير وجميع الافعال الى كل من
ظهرت منه من جماد أو عرض أو حى أو ناطق أو غير ناطق فهو الذى تشهد به الشريعة
وبه جاء القرآن والسنن كلها وبه تشهد البينة لانه امر محسوس مشاهد وبه تشهد جميع
اللغات من جميع أهل الارض قاطبة لانقول لغة العرب فقط بل كل لغة لا نحاشى
شيئا منها وماكان هكذا فلا شيء أصح منه فان قالوا تسمون الجماد والعرض كاسبا
قلنا لا لانا لا نتعدي ماجاءت به اللغة من أحال اللغة التى بها نزل القرآن برأيه
فقد دخل فى جملة من قال الله تعالى فيه * يحرفون الكلم عن مواضعه * ولحق
بالسوفسطائية فى ابطالهم التفاهم ولوجاءت اللغة بذلك لقلناه كما نقول ان الله عز وجل فاعل
ذلك ولا نسميه كاسبا فان قيل اتقولون ان الجمادات والعرض عامل قلنا نعم لان اللغة
جاءت بذلك وبه نقول الحديد يعمل والحر يعمل فى الاجسام وهكذا في غير ذلك فان
قيل اتقولون للجماد والعرض استطاعة وقوة وطاقة وقدرة قلنا انما نتبع اللغة فقط فنقول
ان الجمادات والاعراض قوى يظهر بها ماخلق الله تعالى فيها من الافعال وفيها طاقة
لها ولانقول فيها قدرة ولا نمنع من ان نقول فيها طاقة قال الله تعالى * وانزلنا الحديد
فيه بأس شديد * فنقول الحديد ذو بأس شديد وذو قوة عظيمة وذو طاقة وقد قلنا انا لا
نتعدى فى التسمية والعبارة جملة ما جاءت به اللغة ولا نتعدى فى تسمية الله تعالى والخبر عنه ماجاء
به القرآن ونص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذى صح به البرهان وما عداه فباطل
وضلال وبالله تعالى التوفيق واما اعتراضهم بهل الخلق هو الكسب أو غيره فنعم
كسبنا لما ظهر منا وبطن وكل صنعنا وجميع اعمالنا وافعالنا لذلك هو خلق الله عز وجل فينا
كما ذكرنا لان كل ذلك شيء وقال تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * ولكننا لا نتعدى
باسم الكسب حيث اوقعه الله تعالى مخبرا لنا باننا نجزى بما كسبت ايدينا وبما كسبنا فى غير
موضع من كتابه ولا يحل ان يقال انه كسب لله تعالى لانه تعالى لم يقله ولا اذن فى قوله
ولا يحل ان يقال انها خلق لنا لان الله تعالى لم يقله ولا اذن فى قوله لكن نقول هى خلق لله
كما نص على انه خالق كل شيء ونقول هى كسب لنا كما قال تعالى * لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت * ولا نسميه فى الشريعة ولا فيما يخبر به عن الله عز وجل لان الله خالق
الالسنة الناطقة بالاسماء وخالق الاسماء وخالق المسميات حاشاه تعالى وخالق
الهواء الذى ينقسم على حروف الهجاء فتتركب منها الاسماء فاذا كانت الاسماء مخلوقة لله
والمسميات دونه تعالى مخلوقة لله عز وجل والمسمون الناطقون بها لانهم مخلوقين لله عز
وجل فليس لاحد ايقاع اسم على مسمى لم يوقعه الله تعالى عليه فى الشريعة او اباح ايقاعه
عليه باباحته الكلام باللغة التى امرنا الله عز وجل بالتفاهم بها وبان نتعلم بها ديننا ونعلمه

عن الازلية بذاته بل يكون
وجوده بوجود واجب
الوجود كسائر المبادى التى
ليست زمانية ولا
وجودها ولا حدوثها
حدوث زماني والمركبات
حدوثها بوسائط البسائط
حدوث زمانى وقال ان
العالم لا يفسد فسادا كليا
ويحكي عنه فى سؤاله عن
طيماوس ما الشىء لا حدوث
له وما الشيء الحادث
وليس بباق وما الشيء
الموجود بالفعل وهو ابدا
بحال واحد وانما يعنى
بالاول وجود الباري وبالثانى
وجود الكائنات الفاسدات
التى لا تثبت على حالة واحدة
وبالثالث وجود المبادى
والبسائط التى لا يتغير ومن
اسئلته ما الشى الكائن ولا
وجود له وما الشيء
الموجود ولا كون له يعنى
بالاول الحركة المكانية والزمان
لانه لم يؤهله لاسم الوجود
ويعنى بالثانى الجواهر العقلية

بها وقد نص تعالى على هذا القول منكرا على قوم اوقعوا الاسماء على مسميات لم يأذن الله تعالى بها ولا بايقاعها عليها * ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وماتهوى الانفس ولقدجاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ماتمنى * فاخبر عز وجل ان من أوقع اسما على مسمى لم يات به نص بايجابه أو بالاذن فيه بالشريعة أو بجملة اللغة فانما يتبع الظن والظن اكذب الحديث وانما يتبع هواء وقدحرم الله تعالى اتباع الهوى واخبر تعالى ان الهدى قدجاء من عنده وقال تعالى * وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة * فليس لاحدأن يتعدى القرآن والسنة اللذين هماهدي الله عزوجل وبه التوفيق فصح ضرورة انه ليس لاحدأن يقول ان افعالنا خلق لنا ولا انها كسب لله عزوجل ولكن الحق الذي لايجوز خلافه هوانها خلق لله تعالى كسب لنا كماجاء في هدي الله الذي هو القرآن وقدبينا أيضا ان الخلق هو الابداع والاختراع وليس هذا لنا اصلا فافعالنا ليست خلقا لنا والكسب انما هو استضافة الشيء الى جاعله اوجامعه بمشيئته وليس يوصف الله تعالى بهذا في افعالنا فلا يجوز ان يقال هي كسب له تعالى وبه تتايد وايضا فقدوافقونا كلهم على تسمية الباري تعالى بانه خالق للاجسام وكلهم حاشا معمر اوعمرو بن بحر الجاحظ موافقون لنا على تسمية الباري تعالى بانه خالق للاعراض كلها حاشا افعال المختارين وكلهم ومعمر والجاحظ ايضا موافقون لنا على تسمية الباري تعالى بانه خالق الاماتة والاحياء وكلهم موافقون لنا على انه تعالى انما سمي خالقا لكل ماخلق لابداعه اياه وكم يكن قبل ذلك فاذا ثبت بالبرهان اختراعه تعالى لسائر الاعراض التي خالفونا فيها وجب ان يسمى خلقا له عزوجل ويسمى هو تعالى خالقا لها واما اعتراضهم بانه اذا كانت افعالنا خلقا لله تعالى وكان متوهما منا ومستطاعا عليه في ظاهر امرنا بسلامة جوارحنا ان لا تكون تلك الافعال فقدادعينا اننا مستطيعون في ظاهر الامر بسلامة الجوارح وانه متوهم منا منع الله من ان يخلقها وهذا كفر مجرد ممن اجازه

(قال ابو محمد) وهذا لازم للمعتزلة على الحقيقة لالنا لانهم القائلون انهم يقدرون ويستطيعون على الحقيقة على ترك افعالهم وعلى ترك الوطء الذي قدعلم الله تعالى انه لابد ان يكون وان يخلق منه الولد وعلى ترك الضرب الذي قدعلم الله انه لا بد ان يكون وانه يكون منه الموت وانقضاء الاجل المسمى عنده وعلى ترك الحرث والزرع الذي قدعلم الله تعالى انه لابد ان يكون وان يكون منه النبات الذي تكون منه الاقوات والمعاش فيلزمهم ولابد انهم قادرون على منع الله تعالى مما قد علم وقال انه سيفعل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن بلغ ههنا فلابد ان يرجع اما تائبا محسنا الى نفسه أو خاسئا غاويا مقلدا منقطعا أو يتمادى على طرد قوله فيكفر ولا بد مع خلافه لضرورة الحس والمشاهدة وضرورة العقل والقرآن وبالله تعالى التوفيق واما نحن فجوابنا هاهنا اننا لم نستطع قط على فعل مالم يعلم الله اننا سنفعله ولا على ترك ماعلم اننا نفعله ولا على فسخ علم الله تعالى أصلا ولا على تكذيبه عز وجل في فعل ماامر تعالى به وان كنا في ظاهر الامر نطلق ماالطلق الله تعالى من الاستطاعة التي لايكون بها الا ماعلم الله تعالى انه يكون ولا مزيد وهي استطاعة باضافة لا استطاعة على الاطلاق لكن نقول هو مستطيع بصحة جوارحه أي انه متوهم كون الفعل منه فقط فان قالوا افأمركم الله تعالى بان تكذبوا قوله وتبطلوا علمه اذ أمركم بفعل ماعلم انه لا تفعلونه قلنا عند

التي هي فوق الزمان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود اذ لها السرمد والبقاء والدهر ويحكى عنه انه قال الاستقسات لم تزل تتحرك حركة مشوهة مضطربة غير ذات نظم وان الباري تعالى نظمها ورتبها وكان هذا العالم وربما عبر عن الاستقسات بالاجزاء اللطيفة وقيل انه عنى بها الهيولى الازلية العارية عن الصور حتى اتصلت الصور والاشكال بها وترتبت وانتظمت ورأيت في رموز له انه قال ان النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها ومافيه من الروح والبهجة والسرور فاهبطت الى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد ما ليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية فسقطت رياشها قبل الهبوط واهبطت حتى يستوي ريشها وتطير الى عالمها باجنحة مستفادة من هذا

تحقيق الامر فان امره عز وجل لمن علم انه لايفعل ماأمر به أمر تعجيز كقوله * قل كونوا حجارة أوحديدا * وكقوله * من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ

(قال ابو محمد) وقد تحيرت المنزلة هاهنا حتى قال بعضهم لولم يقتل زيد لعاش وقال أبو الهذيل لولم يقتل لمات وشغب القائلون بانه لو لم يقتل لعاش بقول الله عز وجل* ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ فى اجله فليصل رحمه

(قال ابو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فيه بل هو بظاهره حجة عليهم لان النقص فى اللغة التى بها نزل القرآن انما هو من باب الاضافة وبالضرورة علمنا ان من عمر مائة عام وعمر آخر ثمانين سنة فان الذى عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاما فهذا هو ظاهر الآية ومقتضاها على الحقيقة لامايظنه من لاعقل له من أن الله تعالى جار تحت احكام عباده ان ضربوا زيدا اماته وان لم يضربوه لم يمته ومن ان علمه غير محقق فربما اعاش زيدا ماية سنة وربما اعاشه اقل وهذا هو البداء بعينه ومعاذ الله تعالى من هذا القول بل الخلق كله مصرف تحت أمر الله عزوجل وعلمه فلايقدر احد على تعدى ماعلم الله تعالى انه يكون ولايكون البتة الاماسبق فى علمه انيكون والقتل نوع من انواع الموت فمن سأل عن المقتول لولم يقتل لكان يموت أويعيش فسؤاله سخيف لانه انما يسال لولم يمت هذا الميت اكان يموت أوكان لايموت وهذه حماقة جدا لان القتل علة لموت المقتول كما ان الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الامراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولافرق واما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا فى أجله فليصل رحمه فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وانما معناه ان الله عزوجل لم يزل يعلم ان زيدا سيصل رحمه وان ذلك سبب الى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا كل حى فى الدنيا لان من علم الله تعالى ان سيعمره كذا وكذا من الدهر فانه تعالى قد علم وقدر انه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التى لابد من استيفائها والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق فى علم الله عزوجل كما هو لايبدل قال تعالى *مايبدل القول لدى* ولوكان على غير هذا لوجب البداء ضرورة ولكان غير عليم بمايكون متشككا فيه لايكون أم لا يكون جاهلا به جملة وهذه صفة المخلوقين لاصفة الخالق وهذا كفر ممن قال به وهم لا يقولون بهذا (قال ابو محمد) ونص القرآن يشهد بصحة ماقلنا قال الله تعالى عزوجل* لوكنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم * وقال تعالى * قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل *وقال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولوكنتم فى بروج مشيدة* وقال تعالى منكر القول قوم جرت المنزلة فى ميدانهم * الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لواطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين* وقال تعالى* ياايها الذين امنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزا لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيي ويميت * وقال تعالى * وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا *

العالم وحكى ارسطوطاليس عنه انه أثبت المبادى خمسة أجناس الجوهر والاتفاق والاختلاف والحركة والسكون ثم فسر كلامه فقال اما الجوهر فيعنى به الوجود وأما الاتفاق فلان الاشياء متفقة بانها من الله تعالى وأما الاختلاف فلانها مختلفة فى صورها وأما الحركة فان لكل شيء من الاشياء فعلا خاصا وذلك نوع من الحركة لاحركة النقلة واذا تحركت نحو الفعل وفعل فله سكون بعد ذلك لا محالة قال وأثبت البخت أيضا سادسا وهو نطق عقلي وناموس لطبيعة الكل وقال جرجيس انه قوة روحانية مدبرة للكل وبعض الناس يسميه جدا وزعم الرواقيون انه نظام لعلل الاشياء وللاشياء المعلولة وزعم بعضهم أن علل الاشياء ثلاثة المشتري

(قال ابو محمد) وهذه نصوص لا يبعد من ردها بعد ان سمعها عن الكفر نعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وموه بعضهم بان ذكر قول الله تعالى * ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده

(قال ابو محمد) وهذه الآية حجة عليهم لانه تعالى نص على انه قضى اجلا ولم يقل لشيء دون شيء لكن على الجملة ثم قال تعالى * واجل مسمى عنده * فهذا الاجل المسمى عنده هو الذى قضى بلا شك اذلوكان غيره لكان احدهما ليس اجلا اذا امكن التقصير عنه اومجاوزته ولكن البارى تعالى مبطلا اذ سماه اجلا وهذا كفر لا يقوله مسلم وأجل الشيء هو ميعاده الذى لا يتعداه والافليس يسمى أجلا البتة ولم يقل تعالى ان الاجل المسمى عنده هو غير الاجل الذى قضى فاجل كل شيء منقضى امره بالضرورة نعلم ذلك ويبين ذلك قوله تعالى * فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون * قال * ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها * وقد اخبرنا تعالى بذلك ايضا فقال * وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا * فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذى هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق واما الارزاق فان الله تعالى اخبرنا فقال * الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم * وقال تعالى * وخلقناكم ازواجا . فكل مال حلال فانما نقول انه تعالى رزقنا اياه وكل امرأة حلال فانا نقول ان الله تعالى زوجنا اياها اوملكنا اياها واما من اخذ مالا بغير حق اوامرأة بغير حق فلا يجوز ان نقول انه تعالى رزقنا اياه ولا ان الله تعالى ملكنا اياه ولا ان الله اعطانا اياه ولا ان الله تعالى زوجنا اياها ولا ان الله تعالى ملكنا اياها ولا انكحنا اياها لان الله تعالى لم يطلق لنا ان نقول ذلك وقد قلنا ان الله تعالى له التسمية لا لنا لكن نقول ان الله ابتلانا بهذا المال وبهذه المرأة وامتحننا بهما واضلنا بهما وخلق تملكنا اياهما ونكاحها لنا واستعمالنا اياها ولا نقول انه اطعمنا الحرام ولا اباح لنا الحرام ولا وهب لنا الحرام ولا آتانا الحرام كما ذكرنا من التسمية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وأما قولهم أليس اذا كانت أفعالكم لكم ولله تعالى فقد وجب انكم شركاؤه فيها فالجواب وبالله تعالى التوفيق انهذا من ابرد ماموهوا به وهو عايد عليهم لانهم يقولون انهم يخترعون افعالهم ويخلقونها وهى بعض الاعراض وان الله تعالى يفعل سائر الاعراض ويخلقها ويخترعها فهذا هو عين الاشراك والتشبيه فى حقيقة المعنى وهو الاختراع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأما نحن فلا يلزمنا ايجاب الشركة لله تعالى فيها قلنا لان الاشراك لا يجب بين المشتركين الا باتفاقهما فيما اشتركا فيه وبرهان ذلك ان أموالنا ملك لنا وملك لله عز وجل باجماع منا ومنهم وليس ذلك بموجب ان تكون شركاؤه فيها لاختلاف جهات الملك لان الله تعالى انما هو مالك لها لانها مخلوقة له تعالى وهو مصرفنا فيها وناقلها عنا وناقلنا عنها كيف شاء الله تعالى وهى ملكنا لانها كسب وملزمون احكامها ومباح لنا التصرف فيها بالوجوه التى اباحها الله تعالى لنا وايضا فنحن عالمون بان محمدا رسول الله والله تعالى عالم بذلك وليس ذلك موجبا لان نكون شركاءه فى ذلك العلم لاختلاف الامر فى ذلك لان علمنا عرض محمول فينا وهو غيرنا وعلم الله تعالى ليس هو غيره ومثل هذا كثير جدا لا يحصى فى دهر طويل بل لا يحصيه مفصلا الا الله وحده لا شريك له

والطبيعة والبخت وقال أفلاطن ان فى العالم طبيعة عامة تجتمع الكل وفى كل واحد من المركبات طبيعة خاصة وحد الطبيعة بانها مبدأ الحركة والسكون فى الاشياء أى مبدأ التغير وهو قوة سارية فى الموجودات كلها تكون السكنات والحركات بها فطبيعة الكل محركة الكل والمحرك الاول يجب أن يكون ساكنا والا تسلسل القول فيه الى مالا نهاية له وحكى ارسطوطاليس فى مقالة الالف الكبرى من كتاب مابعد الطبيعة أن افلاطن كان يختلف فى حداثته الى اقراطولس فكتب عنه ماروى عن ارقطس أن جميع الاشياء المحسوسة فاسدة وان العلم لا يحيط بها ثم اختلف بعده الى سقراط وكان من مذهبه طلب الحدود دون النظر فى طبائع المحسوسات

فكيف لم يجب الاشتراك البتة بين الله تعالى وبيننا عندم في هذه الوجوه كلها ووجب ان يكون شركاءه في شيء ليس للاشتراك البتة فيه مدخل وهو خلقه تعالى لافعالنا هو فاعل لها بمعنى مخترع لها ونحن فاعلون لها بمعنى ظهورها محمولة فينا وهذا خلاف فعل الله تعالى لها وقد قال بعض اصحابنا بأن الافعال لله تعالى من جهة الخلق وهي لنا من جهة الكسب (قال ابو محمد) وقد تذاكرت هذا مع شيخ طرابلسي يكنى ابا الحسن معتزلي فقال لي وللافعال جهات وزاد بعضهم فقال او ليست اعراضا والعرض لا يحمل العرض والصفة لا تحمل الصفة

(قال ابو محمد) وهذا جهل من قائله وقضية فاسدة من اهذار المتكلمين ومشاغبهم وقول يرده القرآن والمعقول والاجماع من جميع اللغات والمشاهدة فاما القرآن فان الله تعالى يقول * عذاب عظيم وعذاب اليم ولنذ يقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر * وقال تعالى * وانبتها نباتا حسنا * وقال تعالى * ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال تعالى * ومكروا مكرا كبارا * وقال تعالى * ان كيدكن عظيم * وقال تعالى وجاؤا بسحر عظيم * وقال تعالى * صفراء فاقع لونها * وقال تعالى * قد بدت البغضاء من افواههم * وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى * وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم * وقال تعالى * اتبعوا ما أسخط الله * وقال تعالى * فلما اضاءت ماحوله * وقال تعال * تلفح وجوههم النار * وقال تعالى * فاخذتكم الصاعقة * وقال تعالى * مما تنبت الارض * وقال تعالى لما يتفجر منه الانهار * وقال تعالى . فيخرج منه الماء . وقال تعالى . فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض .وقال تعالى. والفلك تجرى في البحر بما ينفع الناس .

(قال ابو محمد) فوصف الله تعالى العذاب بالعظم وبالايلام وبان فيه أكبر وادنى ووصف النبات بالحسن وكيد الشيطان بالضعف وكيد النساء بالعظم والمكر بالكبر والسحر بالعظم واللون بالفقوع وذكر ان البغضاء تبدو وان الكلام الطيب يصعد اليه تعالى وان الاعمال الصالحة ترفع الكلام الطيب وان الظن يردى وان العمل الردىء يسخط الله تعالى ومثل هذا في القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ان يجمع الا في جزء ضخم فكيف يساعد امرأ مسلما لسانه على انكار شيء من هذا بعد شهادة الله عز وجل بما ذكرنا واما اجماع اللغات فكل لغة لا ينكر احد فيها القول بصورة حسنة وصورة قبيحة وحمرة مشرقة وحمرة مضيئة وحمرة كدرة ولا يختلف احد من اهل الارض في ان يقول صف لي عمل فلان وهذا عمل موصوف وصفة عمل كذا وكذا وهذا هو الذى انكروا بعينه وهو أكثر من ان يحصى واما الحس والعقل والمعقول فبيقين يدرى كل ذى فهم ان الكيفيات تقبل الاشد والاضعف هذه خاصة الكيفية التي توجد في غيرها وكل هذا عرض يحمل عرضا وصفة تحمل صفة

(قال ابو محمد) وقد عارضني بعضهم في هذا فقال لو أن العرض يحمل العرض لحمل ذلك العرض عرضا آخر وهكذا أبدا وهذا يوجب وجود أعراض لا نهاية لها وهذا باطل

(قال ابو محمد) فقلت ان المشاهدات لا تدفع بهذه الدعوى الفاسدة وهذا الذى ذكرت

وغيرها فظن افلاطن ان نظر سقراط في غير الاشياء المحسوسة لان الحدود ليست للمحسوسات لانها انما تقع على أشياء دائمة كلية أعني الاجناس والانواع فمنذ ذلك ماسمى افلاطن الاشياء الكلية صورا الا انها واحدة ورأى أن المحسوسات لا تكون الا بشاركة الصور اذا كانت الصور رسوما ومثالات لها متقدمة عليها وانما وضع سقراط الحدود مطلقا لا باعتبار المحسوس وغير المحسوس وافلاطن ظن انه وضعها لغير المحسوسات فانها مثلا عامة وقال افلاطن في كتاب النواميس إن أشياء لا ينبغي للانسان ان يجهلها منها ان له صانعا وان صانعه يعلم أفعاله وذكر أن الله تعالى انما يعرف بالسلب أي لاشبيه له ولا مثال وانه أبدع العالم من

لا يلزم لاننا لم نقل ان كل عرض فواجب أن يحمل أبداً لكنا نقول ان من الاعراض ما يحمل الاعراض كالذي ذكرناو منها ما لا يحمل الاعراض وكل ذلك جار على ما رتبه الله عز وجل وعلى ما خلقه وكل ذلك له نهاية تقف عندها ولا يزيد ونحن اذا وجدنا فيما بيننا جسم يزيد على جسم آخر زيادة ما في طوله أو عرضه فليس يجب من ذلك أن الزيادة موجودة الى ما لا نهاية له لكن تنتهي الزيادة الى حيث رتبها الله عز وجل وتقف وانما العلم كله معرفة الاشياء على ماهي عليه فقط ونقول لهم أتخالف حمرة التفاحة حمرة الخوخة أم لا فلا بد لهم من أن يقولوا بأنها قد تخالفها فى صفة ما الا أن ينكروا العيان فنقول لهم أتخالف الحمرة والصفرة أم لا فلا بد أيضا من نعم فنقول لهم أخلاف الحمرة للحمرة هو خلاف الحمرة للصفرة أم لا فلا بد من لا ولو قالوا نعم للزمهم ان الصفرة هي الحمرة اذ كانت الصفرة لا تخالفها الحمرة الا بما تخالف فيه الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فاذا فى الحمرة والصفرة صفتان بهما يختلفان غير الصفة التى بها تخالف الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فقد صح يقيناً ان الصفة قد تحمل الصفة وان العرض قد يحمل العرض بضرورة المشاهدة على حسب ما رتبه الله تعالى وكل ذلك ذو نهاية ولا بد وتحقيق الكلام فى هذه المعاني وتناهيها هو ان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد والجوهر أجناس وأنواع والعرض أجناس وأنواع والاجناس محصورة ببراهين قد ذكرناها فى كتاب التقريب عمدتها ان الاجناس أقل عددا من الانواع المنقسمة تحتها بلا شك والانواع اكثر عددا من الاجناس اذ لا بد من أن يكون تحت كل جنس نوعان أو اكثر من نوعين والكثرة والقلة لا يقعان ضرورة الا فى ذى نهاية من مبدئه ومنتهاه لان ما لا نهاية له فلا يمكن ان يكون شيء اكثر منه ولا اقل منه ولا مساويا له لان هذا يوجب النهاية ولا بد فالعالم اذا ذو نهاية لانه ليس شيئاً غير الاجناس والانواع التى للجواهر والاعراض فقط والمعاني انما هي للاشياء المعبر عنها بالالفاظ فقط فاذ هذا كما ذكرنا فانما نفس الاشياء بصفاتها التى تقوم منها حدودها مثل ان نقول ما الانسان فنقول جسم ملون ونفس فيه ممكن أن تكون متصرفه فى العلوم والصناعات يقبل الحياة والموت فيقال ما الجسم وما النفس وما اللون وما الصناعات وما العلوم وما الحياة وما الموت فاذا فسرت جميع هذه الالفاظ ورسمت كل ما يقع عليه وفعلت كذلك فى جميع الاجناس والانواع فقد انتهت المعانى وانقطعت ولا سبيل الى التمادى بلا نهاية أصلا لان كل ما ينطق به او يعقل فانه لا يعدو الاجناس والانواع ألبتة والانواع والاجناس محصورة كما بينا وكل ما خرج من الاشخاص الى حد الفعل فقد حصره العدد لانه ذو مبدأ وكل ما حصره العدد فتناه ضرورة فجميع المعاني من الاعراض وغيرها محصورة بما ذكرنا من البرهان الصحيح الذى ذكرنا أن كل ما فى العالم مما خرج الى الوجود فى الدهر مذ كان العالم من جنس أو عرض فهو كله محصور عدده متناه أمده ذو غاية فى ذاته فى مبدئه ومنتهاه وعدده وبالله تعالى التوفيق وقد نعجز نحن عن عد شعور اجسامنا ونوقن انها ذات عدد متناه بلا شك فليس قصور قولنا عن احصاء عدد ما فى العالم بمعترض على وجوب وجود النهاية فى جميع أشخاص جواهره وأعراضه وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وأما قولهم اذا كان فعلنا خلقاً لله عز وجل ثم عذبنا عليه فانما عذبنا على خلقه فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا لا يلزم ولو لزمنا للزمهم اذا كان تعالى يعذبنا على ارادتنا وحركتنا

لا انظام الى نظام وان كل مركب فهو للانحلال وانه لم يسبق العالم زمان ولم يبدع عن شيء ثم إن الاوائل اختلفوا فى الابداع والمبدع هل هما عبارتان عن معبر واحد أم الابداع نسبة الى المبدع ونسبة الى المبدع وكذلك فى الارادة انها المراد والمريد على حسب اختلاف متكلمي الاسلام فى الخلق والمخلوق والارادة انها خلق أم مخلوقة أم صفة فى الخالق قال انكساغورس بمذهب فلوطرخيس ان الارادة ليست هي غير المراد ولا غير المريد وكذلك الفعل لانهما لا صورة لهما ذاتية وانما يقومان بغيرها فالارادة مرة مستنبطة فى المريد ومرة ظاهرة فى المراد وكذلك الفعل وأما افلاطن وارسطوطاليس فلا يقبلون هذا القول وقالا ان صورة

وحركتنا الواقعتين منا أن يعذبنا علي كل حركة لنا أو علي كل ارادة لنا بل علي كل حركة فى العالم وعلى كل ارادة فان قالوا لا يعذبنا الا علي حركتنا ولرادتنا الواقعين منا بخلاف امره عز وجل وكذلك نقول نحن انه لا يعذبنا الا على خلقه فينا الذى هو ظاهر منا بخلاف أمره وهو منسوب الينا ومكتسب لنا لايثارنا اياه المخلوق فينا فقط لا علي كل ماخلق فينا أو فى غيرنا ولا فرق ولو أخبرنا تعالى انه يعذبنا على ماخلق فى غيرنا لقلنا به ولصدقناه كما نقر انه يعذب أقواما على مالم يفعلوه قط ولا أمروا به لكن علي مايفعله غيرهم ممن جاء بعدهم بألف عام لان أولئك كانوا أول من فعل مثل ذلك الفعل قال الله تعالى * وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * وقال تعالى * حاكيا عن أحد ابنى آدم عليه السلام انه قال * انى أريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار * وقال تعالى * ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون * وليس هذا معارضا لقوله تعالى * وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء * بل كلا الآيتين متفقة مع الاخري لان الخطايا التى نفى الله عز وجل أن يحملها أحد عن احدهى بمعنى ان يحط حمل هذا لها من عذاب العامل بها شيئا فهذا لا يكون لان الله عز وجل نفاه وأما الحمل لمثل عقاب العامل للخطيئة مضاعفا زائدا الى عقابه غير حاط من عقاب الآخر شيئا فهو واجب موجود وكذلك اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من سن سنة فى الاسلام سيئة كان عليه مثل وزر من عمل بها ابدا لا يحط ذلك من اوزار العاملين لها شيئا ولو أن الله تعالى أخبرنا انه يعذبنا على فعل غيرنا دون أن نسنه وانه يعذبنا علي غير فعل فعلناه أو على الطاعة لكان كل ذلك حقا وعدلا ولوجب التسليم له ولكن الله تعالى وله الحمد قد آمننا من ذلك بقوله تعالي * لا يضركم من ضل اذا اهتديتم * ولحكمه تعالى اننا لا نجزى الا بما عملنا أو كنا مبتدئين له فأمنا ذلك ولله تعالى الحمد وقد أيقنا أيضا انه تعالى يأجرنا علي ماخلق فينا من المرض والمصائب وعلي فعل غيرنا الذى لا أثر لنا فيه كضرب غيرنا لنا ظلما وتعذيبهم لنا وعلى قتل القاتل لمن قتل ظلما وليس ها هنا من المقتول صبر ولا عمل اصلا فانما أجر علي فعل غيره مجردا اذا احدثه فيه وكذلك من أخذ غيره ماله والمأخوذ ماله لا يعلم بذلك الى ان مات فاي فرق بين أن يأجرنا على فعل غيرنا وعلي فعله تعالى فى احراق مال من لم يعلم باحتراق ماله وبين أن يعذبنا على ذلك لو شاء عز وجل وأما قولهم فرض الله عز وجل الرضا بما قضي وبما خلق فان كان الكفر والزنا والظلم مما خلق ففرض علينا الرضا بذلك فجوابنا ان الله عز وجل لم يلزمنا قط الرضا بما خلق وقضي بكل ماذكر بل فرض الرضا بماقضى علينا من مصيبة فى نفس أو فى مال مظهر تمويههم بهذه الشبهة

(قال ابو محمد) فان احتجوا بقول الله عز وجل * ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * فالجواب ان يقال لهم وبالله تعالى التوفيق ان هذه الآية اعظم حجة علي اصحاب الاصلح وهم جمهور المعتزلة فى ثلاثة أوجه وهى حجة على جميع المعتزلة فى وجهين لان فى هذه الآية أن ما اصاب الانسان من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه وهم كلهم لا يفرقون بين الامرين بل الحسن والقبيح من افعال المرء كل ذلك عندهم من نفس المرء لا خلق الله تعالي فى شيء من فعله لا حسنه ولا قبيحه فهذه الآية مبطلة لقول جميعهم فى هذا الباب والوجه الثاني انهم كلهم قائلون انه لا يفعل المرء حسنا ولا قبيحا البتة الا بقوة موهوبة

الارادة وصورة الفعل قائمتان وهما أبسط من صورة المراد كالقاطع للشيء هو المؤثر وأثره في الشيء والمقطوع هو المؤثر فيه القابل للاثر ليس هو المؤثر ولا المؤثر فيه والا انعكس حتى يكون المؤثر هو الاثر والمؤثر فيه هو الاثر وهو محال فصورة المبدع فاعلة وصورة المبدع مفعولة وصورة الابداع متوسطة بين الفاعل والمفعول فللفعل صورة وأثر فصورته من جهة المبدع وأثره من جهة المبدع والصورة من جهة المبدع فى حق البارى تعالى ليست زائدة علي ذاته حتى يقال صورة ارادة وصورة تأثير مفترقان بل هما حقيقة واحدة وأما برميندس الاصغر فقد أجاز قولهم فى الارادة ولم يجزه فى الفعل وقال ان الارادة يكون بلا توسط

من الله تعالى مكنه بها من فعل الخير والشر والطاعة والمعصية ممكنا مستويا وهى الاستطاعة على اختلافهم فيها فهم متفقون على ان البارى تعالى خالقها وواهبها كانت نفس المستطيع او بعضها اوعرضا فيه وفى هذه الآية فرق بين الحسن والسيء كاترى وأما الوجه الثالث الذي خالف فيه القائلون بالاصلح خاصة هذه الآية فانهم يقولون ان الله تعالى لم يؤيد فاعل الحسنة بشيء من عنده تعالى ولم يؤيد فاعل السيئة والآية مخبرة بخلاف ذلك فصارت الآية حجة عليهم ظاهرة مبطلة لقولهم وأما قولنا نحن فيها فهو ماقاله الله عز وجل اذ يقول متصلا بهذه الآية دون فصل * قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك * ثم قال تعالى بأثر ذلك بعد كلام يسير * أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح بما ذكرنا ان كل هذا الكلام متفق لا مختلف فقدم الله تعالى ان كل شيء من عنده فصح بالنص انه تعالى خالق الخير والشر وخالق كل ماأصاب الانسان ثم أخبر تعالى ان ماأصابنا من حسنة فمن عنده وهذا هو الحق لانه لايجب لنا تعالى عليه شيء فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لاشيء لنا فيه واحسان منه الينا لن نستحقه قط عليه واخبر عز وجل ان ماأصابنا من مصيبة فمن انفسنا بعد ان قال ان الكل من عند الله تعالى فصح اننا مستحقون بالنكال لظهور السيئة منا واننا عاصون بذلك كما حكم علينا تعالى فحكمه الحق والعدل ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق فان قالوا فاذا كان الله خالقكم وخالق افعالكم فانتم والجمادات سواء قلنا كلا لان الله تعالى خلق فينا علما نعرف به انفسنا الاشياء على ماهي عليه وخلق فينا مشيئة لكل ماخلق فينا يسمى فعلا لنا فخلق فيه استحسان مايستحسنه واستقباح مايستقبحه وخلق تصرفا فى الصناعات والعلوم ولم يخلق فى الجمادات شيئا من ذلك فنحن مختارون قاصدون مريدون مستحسنون أوكارهون متصرفون علما بخلاف الجمادات فان قيل فانتم مالكون لامور كم مفوض اليكم أعمالكم مخترعون لافعالكم قلنا لا لان الملك والاختراع ليس هو لاحد غير الله تعالى اذ الكل مما فى العالم مخترع له وملك له عز وجل والتفويض فيه معنى من الاستغناء ولا غنى باحد عن الله عز وجل وبه نتايد

(قال ابو محمد) فاذ قد ابطلنا بحول الله تعالى وقوته كل ما شغب به المعتزلة فى ان افعال العباد غير مخلوقة لله تعالى فلنأت ببرهان ضرورى ان شاء الله تعالى على صحة القول بانها مخلوقة لله تعالى فنقول وبه عز وجل نتايد ان العالم كله مادون الله تعالى ينقسم قسمين جوهر وعرض لاثالث لهما ثم ينقسم الجوهر الى اجناس وانواع ولكل نوع منها فصل يتميز به مما سواه من الانواع التى يجمعها واياه جنس واحد وبالضرورة نعلم ان مالزم الجنس الاعلى لزم كل ماتحته اذ محال ان تكون نار غير حارة اوهواء راسب بطبعه او انسان صهال بطبعه وماأشبه هذا ثم بالضرورة نعلم ان الانسان لايفعل شيئا الا الحركة والسكون والفكر والارادة وهذه كلها كيفيات يجمعها مع اللون والطعم والمحبة والاشكال جنس الكيفية فمن المحال الممتنع ان يكون بعض ماتحت النوع الواحد والجنس الواحد مخلوقا وبعضه غير مخلوق وهذا امر يعلمه باطلا من له ادنى علم بحدود العالم وانقسامه وحركتنا وسكوننا يجمع كل ذلك مع كل حركة فى العالم وكل سكون فى العالم نوع من الحركة ونوع من السكون ثم ينقسم كل ذلك قسمين ولا مريد حركة

من البارى تعالى فجائز ماوضعه الله واما الفعل فيكون بتوسط منه وليس ماهو بلا توسط كالذى يكون بتوسط بل الفعل قط لن يتحقق الا بتوسط الارادة ولا ينعكس فاما الاولون مثل ثاليس وانبذقلس قالوا الارادة من جهة المبدع هى المبدع ومن جهة المبدع هى المبدع وفسروا هذا بان الارادة من جهة الصورة هى المبدع ومن جهة الاثر هى المبدع ولا يجوز أن يقال انها من جهة الصورة هى المبدع لان صورة الارادة عند المبدع قبل أن يبدع فغير جائز ان يكون ذات صورة الشيء الفاعل هى المفعول بل من جهة أثر ذات الصورة هى المفعول ومذهب افلاطن وارسطوطاليس هذا بعينه وفى الفصل انفلاق

اضطرارية وحركة اختيارية وسكونا اختياريا وسكونا اضطراريا وكل ذلك حركة تحد محد الحركة وسكون محد محد السكون ومن المحال ان يكون بعض الحركات مخلوقا لله تعالى وبعضها غير مخلوق وكذلك السكون ايضا فان لجؤا الى قول معمر فى ان هذه الاعراض كلها فعل ماظهرت فيه بطباع ذلك الشيء سهل امرهم بعون الله تعالى وذلك انهم اذا اقروا ان الله تعالى خالق المطبوعات ومرتب الطبيعة على ماهي عليه فهو تعالى خالق ماظهر منها لانه تعالى هو رتب كونه وظهوره على ماهو عليه رتبة لايوجد بخلافها وهذا هو الخلق بعينه ولكنهم قوم لايعلمون كالمتكسع فى الظلمات وكما قال تعالى * كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا * نعوذ بالله من الخذلان وايضا فان نوع الحركات موجود قبل خلق الناس فمن المحال البين ان يخلق المرء ماقد كان نوعه موجودا قبله وايضا فان عمدتهم فى الاحتجاج على القائلين بان العالم لم يزل انما هى مقارنة الاعراض للجواهر وظهور الحركات ملازمة للمتحرك بها فاذا كان ذلك دليلا باهرا على حدوث الجواهر وان الله تعالى خلقها فما المانع من ان يكون ذلك دليلا باهرا ايضا على حدوث الاعراض وان الله تعالى خلقها لولا ضعف عقول القدرية وقلة علمهم نعوذ بالله مما امتحنهم به ونسأله التوفيق لااله الا هو وايضاً فان الله تعالى قال * اذاً لذهب كل اله بما خلق * فاثبت تعالى ان من خلق شيئا فهو له فيلزمهم بالضرورة انهم آلهة لافعالهم التى خلقوها وهذا كفر مجرد ان طردوه والا لزمهم الانقطاع وترك قولهم الفاسد وايضا فان من خلق شيئا لم يعنه غيره عليه لكن انفرد بخلقه فبالضرورة يعلم انه يصرف ماخلق كما يفعله اذا شاء ويتركه اذا شاء ويفعله حسنا اذا شاء وقبيحا اذا شاء فاذ هم خلقوا حركاتهم وارادتهم منفردين بخلقها فليظهروها الى ابصارنا حتى نراها اولنلمسها اوليزيدوا فى قدرها وليخالفوها عن رتبتها فان قالوا لانقدر على ذلك فليعلموا انهم كاذبون فى دعاويهم خلقها لانفسهم فان قالوا انما نفعلها كما قوانا الله على فعلها فليعلمون ان الله تعالى اذ هو المقوى على فعل الخير والشر فان به عزوجل كان الخير والشر واذ لولاه لم يكن خير ولاشر وبه كانا فهو كونهما واعان عليهما واظهرهما واخترعهما وهذا معنى خلقه تعالى لهما وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان ان الله تعالى خالق افعال خلقه قوله تعالى حاكيا عن سحرة فرعون مصدقا لهم ومثنيا عليهم فى قولهم . ربنا افرغ علينا صبرا . فصح انه خالق مايفرغه من الصبر الذى لولم يفرغه على الصابر لم يكن له صبر وايضا فان جنس الحركات كلها والسكون كله والمعارف كلها جنس واحد وكل ماقيل على الكل قيل على جميع اجزائه وعلى كل بعض من ابعاضه فنسالهم عن حركات الحيوان غير الناطق وسكونه ومعرفته بما يعرف من مضاره ومنافعه فى اكله وشربه وغير ذلك اكل ذلك مخلوق لله تعالى ام هو غير مخلوق فان قالوا كل ذلك مخلوق كانوا قد نقضوا هذه المقدمات التى يشهد العقل والحس بتصديقها وظهر فساد قولهم فى التفريق بين معرفتنا ومعرفة سائر الحيوان بما عرفه وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان وبين سكوننا وسكونه وهذه مكابرة ظاهرة ودعوى بلا برهان وان قالوا بل كل ذلك غير مخلوق ألزمناهم مثل ذلك فى سائر الاعضاء كلها فان تناقضوا كفونا انفسهم وان تمادوا الزمهم انه تعالى لم يخلق شيئا من الاعراض وهذا الحاد ظاهر وابطال للخالق وكفى بهذا اضلالا ونعوذ بالله من الخذلان ويكفى من هذا ان

الحكماء الاصول الذين هم من القدماء الا أنا ربما لم نجد لهم رأيا في المسائل المذكورة غير حكم مرسلة عملية أوردناها لئلا تشذ مذاهبهم عن القسمة ولا يخلو الكتاب عن تلك الفوائد فمنهم الشعراء الذين يستدلون بشعرهم وليس شعرهم على وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن فى الشعر عندهم بل الركن فى الشعر ايراد المقدمات المخيلة فحسب ثم يكون الوزن والقافية معينين فى التخيل فان كانت المقدمة التى يوردها فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان انضم اليها قول اقناعى تركبت المقدمة من معينين شعرى واقناعى وان كان الضميم اليه قولا يقينا تركبت المقدمة من شعرى وبرهانى ومنهم النساك ونسكهم

الاعراض تجرى على صفات الفاعل ونحن نجد الحكيم لايقدر على الطيش والبذاء وان الطياش البذى لايقدر على الحياء والصبر والسيء الخلق لايقدر على الحلم والحليم لايقدر على النزق والسخى لايقدر على المنع والشحيح لايقدر على الجود وقال تعالى * ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فصح ان من الناس موقى شح نفسه مفلحا وغير موقى ولا مفلح وكذلك الزكى لايقدر على البلادة والبليد لايقدر على الزكا والحافظ لايقدر على النسيان والناسى لايقدر على ثبات الحفظ والشجاع لايقدر على الجبن والجبان لايقدر على الشجاعة هكذا فى جميع الاخلاق التى عنها تكون الافعال فصح ان ذلك خلق لله تعالى لايقدر المرء على احاطة شيء من ذلك أصلا حتى ان مخرج صوت احدنا وصفة كلامه لايقدر البتة على صرفه كما خلق عليه من الجهارة والخفاء أو الطيب والسماحة وكذلك خطه لايمكنه صرفه عما رتبه الله تعالى عليه ولو جهد وهكذا جميع حركات المرء حتى وقع قدميه ومشيه فلو كان هو خالق كل ذلك لصرفه كما يشاء فاذا ليس فيه قوة على صرف شيء من ذلك عن هيئته فقد ثبت ضرورة انه خلق الله تعالى فيمن نسب فى اللغة الى انه فاعله وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واكثرت المعتزلة فى التولد وتحيرت فيه حيرة شديدة فقالت طائفة مايتولد عن فعل المرء مثل القتل والالم المتولد عن رمي السهم وماأشبه ذلك فانه فعل الله عز وجل وقال بعضهم بل هو فعل الطبيعة وقال بعضهم بل هو فعل الذى فعل الفعل الذى عنه تولد وقال بعضهم هو فعل لافاعل له وقال جميع اهل الحق انه فعل الله عز وجل وخلقه فالبرهان فى ذلك هو البرهان الذى ذكرنا فى خلق الافعال من أن الله تعالى خالق كل شيء وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى التعديل والتجوير

(قال ابو محمد) رحمه الله هذا الباب هو اصل ضلالة المعتزلة نعوذ بالله من ذلك على انا رأينا منهم من لايرضى عن قولهم فيه

(قال ابو محمد) وذلك ان جمهورهم قالوا وجدنا من فعل الجور فى الشاهد كان جائرا ومن فعل الظلم كان ظالما ومن أعان فاعلا على فعله ثم عاقبه عليه كان جائرا عابثا قالوا والعدل من صفات الله تعالى والظلم والجور منفيان عنه قال تعالى * وما ربك بظلام للعبيد * وقال تعالى * وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * وقال تعالى * فما كان الله ليظلمهم . وقال تعالى . لاظلم اليوم .

(قال أبو محمد) وقد علم المسلمون ان الله تعالى عدل لايجور ولايظلم ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ولكن ليس هذا على ماظنه الجهال من ان عقولهم حاكمة على الله تعالى فى ان لايحسن منه الاما حسنت عقولهم وانه يقبح منه تعالى ماقبحت عقولهم وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه اذ حكموا عليه بانه تعالى يحسن منه ماحسن منا ويقبح منه ماقبح منا ويحكم عليه فى العقل بما يحكم علينا

(قال ابو محمد) وهذا مذهب يلزم كل من قال لما كان الحى فى الشاهد لايكون الا بحياة وجب ان يكون البارى تعالى حيا بحياة وليس بين القولين فرق وكلاهما لازم لمن التزم

احدهما

وعباداتهم عقلية لاشرعية ويقتصر ذلك على تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وسياسة المدينة الفاضلة التى هى الجنة الانسانية وربما وجدنا لبعضهم رأيا فى بعض المسائل المذكورة عن المبدع والابداع وانه عالم وان أول ماأبدعه ماذا وان المبادى كم هى وان المعاد كيف يكون وصاحب الرأى موافق للاوائل المذكورين أوردنا اسمه وذكرنا مقالته وان كانت كالمكررة ونبتدى بهم ونجعل فلوطرخيس مبدأ آخر

رأى (فلوطرخيس) قيل أنه أول من شهر بالفلسفة ونسبت اليه الحكمة تفلسف بمصر ثم سار الى ملطية وأقام بها وقد بعد من الاساطين قال ان البارى تعالى لم يزل بالازلية التى هى أزلية الازليات وهو مبدع فقط وكل مبدع

احدهماوكلاهما اضلال وخطأ وانما الحق هوان كل مافعله الله عزوجل اى شى كان فهو منه عزوجل حق وعدل وحكمة وان كان بعض ذلك مناجورا وسفها وكل مالم يفعله الله عز وجل فهو الظلم والباطل والعبث والتفاوت واما اجراؤهم الحكم على البارى تعالى بمثل مايحكم به بعضنا على بعض فضلال بين وقول سبق له اصل عند الدهرية وعند المنانية وعند البراهمة وهوان الدهرية قالت لما وجدنا الحليم فيما بيننا لا يفعل الا لاجتلاب منفعة او لدفع مضرة ووجدنا من فعله مالا فائدة فيه فهو عابث هذا الذى لايعقل غيره قالوا ولما وجدنا فى العالم ضرا وشرا وعبثا واقذارا ودودا ودبابا ومفسدين انتفى بذلك ان يكون له فاعل حكيم وقالت طائفة منهم مثل هذا سواء بسواء الا انهم زادوا فقالوا علمنا بذلك ان للعالم فاعلا سفيها غير البارى تعالى وهو النفس وان البارى الحكيم خلاها تفعل ذلك ليريها فساد ماتخيلته فاذا استبان ذلك لها افسده البارى الحكيم تعالى حينئذ وابطله ولم تعد النفس الى فعل شىء بعدها

(قال ابو محمد) وابطال هذا القول يثبت بما يبطل به قول المنتزلة سواء بسواء ولا فرق وقالت المنانية بمثل ماقالت به الدهرية سواء بسواء الا انها قالت ومن خلق خلقا ثم خلق من يضل ذلك الخلق فهو ظالم عابث ومن خلق خلقا ثم سلط بعضهم على بعض واغرى بين طالع خلقه فهو ظالم عابث قالوا فعلمنا ان خالق الشر وفاعله هو غير خالق الخير

(قال ابو محمد) وهذا نص قول المنتزلة الا انها زادت قبحا بان قالت ان الله تعالى لم يخلق من افعال العباد لا خيرا ولا شرا ولا اوان خالق الافعال الحسنة والقبيحة هو غير الله تعالى لكن كل احد يخلق فعل نفسه ثم زادت تناقضا فقالت ان خالق عنصر الشر هو ابليس ومردة الشياطين وفعله كل شر وخالق طباعهم على تضادها هو الله تعالى وقالت البراهمة ان من العبث وخلاف الحكمة ومن الجور البين ان يعرض الله تعالى عباده لما يعلم انهم يعطبون عنده ويستحقون العذاب ان وقعوا فيه يريدون بذلك ابطال الرسالة والنبوات كلها

(قال ابو محمد) وبالضرورة نعلم انه لا فرق بين خلق الشر وبين خلق القوة التى لا يكون الشر الا بها ولا بين ذلك وبين خلق من علم الله عزوجل انه لا يفعل الا الشر وبين خلق ابليس وانظاره الى يوم القيامة وتسليطه على اغواء العباد واضلالهم وتقويته على ذلك وتركه يضلهم الا من عصم الله منهم فان قالوا ان خلق الله تعالى ابليس وقوى الشر وفاعل الشر خير وعدل وحسن صدقوا وتركوا اصلهم الفاسد ولزمهم الرجوع الى الحق فى ان خلقه تعالى للشر والخير ولجميع افعال عباده وتعذيبه من شاء منهم ممن لم يهده واضلاله من اضل وهداه من هدى كل ذلك حق وعدل وحسن وان أحكامنا غير جارية عليه لكن احكامه جارية علينا وهذا هو الحق لذى لايخفى الا على من اصله الله تعالى نعوذ بالله من اضلاله لنا ولا فرق بين شىء مما ذكرناه فى العقل البته وبرهان ضرورى

(قال ابو محمد) يقال لمن قال لا يجوز ان يفعل الله تعالى الا ماهو حسن فى العقل منا ولا ان يخلق ويفعل ماهو قبيح فى العقل فيما بيننا ياهؤلاء انكم اخذتم الامر من عند انفسكم ثم عكستموه فعظم غلطكم وانما الواجب انتم مقرون بان الله تعالى لم يزل واحدا وحده ليس معه خلق اصلا ولا شىء موجود لا جسم ولا عرض ولا جوهر ولا عقل ولا معقول ولا سفه ولا غير

ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته عنده أى كانت معلولة له والصور عنده بلا نهاية أى المعلومات بلانهاية قال ولو لم تكن الصور عنده ومعه لما كان ابداع ولا ابقاء للمبدع ولو لم تكن باقية قائمة لكانت تدثر بدثور الهيولى ولو كان كذلك لارتفع الرجاء والخوف ولكن لما كانت الصور باقية دائمة ولها الرجاء والخوف كان دليلا على انها لا تدثر ولما عدل عنها الدثور ولم يكن له قوة عليها كان ذلك دليلا على أن الصور أزلية فى علمه تعالى قال ولا وجه الا القول باحد الاقوال أما أن يقال البارى تعالى لا يعلم شيئا البتة وهذا من المحال الشنيع وأما أن يقال يعلم بعض الصور دون بعض وهذا من النقص الذي لا يليق بكمال الجلال

ذلك ثم اقررتم بلا خلاف منكم انه خلق النفوس واحدثها بعد ان لم تكن وخلق لها العقول وركبها في النفوس بعد ان لم تكن العقول البتة ان لا تحدثوا على الباري تعالى حكما لا زماله من قبل بعض خلقه فليس في الجنون أفحش من هذا البتة ثم اخبرونا اذا كان الله وحده لا شيء موجود معه ففي أي شيء كانت صورة الحسن حسنة وصورة القبيح قبيحة وليس هنالك عقل اصلا يكون فيه الحسن حسنا والقبيح قبيحا ولا كانت هنالك نفس عاقلة أو غير عاقلة فيقبح عندها القبيح ويحسن الحسن فأي شيء قال تحسين الحسن وتقبيح القبيح وهما عرضان لا بد لهما من حامل ولا حامل أصلا ولا محمول ولا شيء حسن ولا شيء قبيح حتى احدث الله تعالى النفوس وركب فيها العقول المخلوقة وقبح فيها على قولكم ما قبح وحسن فيها على قولكم ما حسن فاذ لا سبيل الى أن يكون مع الباري تعالى في الازل شيء موجود اصلا قبيح ولا حسن ولا عقل يقبح فيه شيء او يحسن فقد وجب يقينا ان لا يمتنع من قدرة الله تعالى وفعله شيء يحدثه لقبح فيه ووجب ان لا يلزمه تعالى شيء لحسنه اذ لا قبح ولا حسن البتة فيما لم يزل فبالضرورة وجب ان ما هو الآن عندنا قبيح فانه لم يقبح بلا اول بل كان لقبحه أول لم يكن موجودا قبله فكيف ان يكون قبيحا قبله وكذلك القول في الحسن ولا فرق ومن المحال الممتنع جملة ان يكون ممكنا ان يفعل الباري تعالى حينئذ شيئا ثم يمتنع منه فعله بعد ذلك لان هذا يوجب اما تبدل طبيعة والله تعالى منزه عن ذلك واما حدوث حكم عليه فيكون تعالى متعبدا وهذا هو الكفر السخيف نعوذ بالله منه فان قالوا لم يزل القبيح قبيحا في علم الله عز وجل ولم يزل الحسن حسنا في علمه تعالى قلنا لهم هبكم ان هذا كما قلتم فعليكم في هذا حكمان مبطلان لقولكم الفاسد احدهما انكم جعلتم الحكم في ذلك لما في المعقول لا لما سبق في علم الله عز وجل فلم تجعلوا المنع من فعل ما هو قبيح عندكم الا لان العقول قبحته فاحطتم في هذا والثاني انه تعالى أيضا لم يزل يعلم ان الذي يموت مؤمنا فانه لا يكفر ولم يزل تعالى يعلم ان الذي يموت كافرا لا يؤمن فلم جوزتم قدرته على احالة ما علم من ذلك وتبديله ولم تجوزوا قدرته تعالى على احالة ما علم حسنا الى القبح واحالة ما علم قبيحا الى الحسن ولا فرق بين الامرين اصلا فاذا ثبت ضرورة انه لا قبيح لعينه ولا حسن لعينه البتة وانه لا قبيح الا ما حكم الله تعالى بانه قبيح ولا حسن الا ما حكم بانه حسن ولا مزيد وأيضا فان دعواكم ان القبيح لم يزل قبيحا في علم الله تعالى ما دليلكم على هذا بل لعله تعالى لم يزل عالما بان امر كذا يكون حسنا برهة من الدهر ثم يقبحه فيصير قبيحا اذا قبحه لا قبل ذلك كما فعل تعالى بجميع الملل المنسوخة وهذا أصح من قولكم لظهور براهين هذا القول وبالله التوفيق ولم يزل سبحانه وتعالى عليما ان عقد الكفر والقول به قبيح من العبد اذا فعلها معتقدا لهما لان الله قبحهما لا لانهما حركة او عرض في النفس وهذا هو الحق لظهور براهين هذا أيضا لا لان ذلك قبيح لعينه ويقال لهم أيضا أخبرونا من حسن الحسن في العقول ومن قبح القبح في العقول فان قالوا الله عز وجل قلنا لهم أفكان الله تعالى قادر على عكس تلك الرتبة اذ رتبها على أن يرتبها بخلاف ما رتبها عليه فيحسن فيها القبيح ويقبح فيها الحسن فان قالوا نعم اوجبوا انه لم يقبح شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بقبحه ولم يحسن شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بحسنه وانه كان له تعالى ان يفعل بخلاف ما فعل وله

واما أن يقال بعلم جميع الصور والمعلومات وهذا هو الرأى الصحيح ثم قال ان أصل المركبات هو الماء فاذا تخلخل صافيا وجد النار واذ تخلخل وفيه بعض الثقل صار هواء واذا تكاثف تكاثفا مبسوطا صار أرضا وحكى فلوطرخيس أن ابرقليطس زعم أن الاشياء انما انتظمت بالبخت وجوهر البخت هو نطق عقلي ينفذ في الجوهر الكلي (رأى اكسنو فانس كان يقول ان المبدع الاول هو آنية أزلية دائمة ديمومية لقدم لا تدرك بنوع صفة منطقية ولا عقلية مبدع كل صفة وكل نعت نطقي وعقلي فاذا كان هذا هكذا فقولنا ان صورنا في هذا العالم المبدعة لم تكن عنده أو كانت أوكيف أبدع محال فان العقل مبدع والمبدع

ذلك الآن وابدا وبطل ان يكون تعالى متعبدا لنفسه وموجبا عليه مايكون ظالما مذموما ان خالفه وان قالوا لا يوصف تعالى بالقدرة علي ذلك عجزوا ربهم تعالى ولزمهم القول بمثل قول علي الاسواري من انه تعالى لا يقدر علي غير مافعل فحكم هذا الردى الدين والعقل بانه أقدر من ربه تعالى وأقوى لانه عند نفسه الخسيسة يقدر علي مافعل وعلى مالم يفعل وربه تعالى لا يقدر الاعلى مافعل ولو علم المجنون انه جعل ربه من الجمادات المضطرة الى مايبدو منها ولا يمكن ان يظهر منها غير مايظهر لسخنت عينه ولطال عويله على عظم مصيبته نعوذ بالله من الخذلان ومن عظم ما حل بالقدرية المتنطعين بالجهل والعمى والحمد لله على توفيقه ايانا حمدا كثيرا كما هو أهله

(قال أبو محمد) ويقال لهم هبكم شنعتم في قبيح انه قبيح فلم نفيتم عن الله عز وجل خلق الخير كله وخلق الحسن كله فقلتم لم يخلق الله تعالى الايمان ولا الاسلام ولا الصلاة ولا الزكاة ولا النية الحسنة ولا اعتقاد الخير ولا إيتاء الزكاة ولا الصدقة ولا البر لان خلق هذا قبيح أم كيف الامر فبان تمويهكم بذكر خلق الشر وأنتم قد استوى عندكم الخير والشر فى أن الله تعالى لم يخلق شيئا من ذلك كله فدعو التمويه الضعيف

(قال أبو محمد) وقرأت في مسائل لابى هاشم عبد السلام ابن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي رئيس المعتزلة وابن رئيسهم كلاما له يردد فيه كثيرا دون حياء ولا رقبة يجب على الله أن يفعل كذا كانه المجنون يخبر عن نفسه اوعن رجل من عرض الناس فليت شعري اما كان له عقل أو حس يسائل به نفسه فيقول ليت شعرى من أوجب على الله تعالى هذا الذي قضي بوجوبه عليه ولا بد لكل وجوب وايجاب من موجب ضرورة والا كان يكون فعلا لا فاعل له وهذا أكفر مما أجازه فمن هذا الموجب على الله تعالى حكما ماوهذا لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكون أوجبه تعالى عليه بعض خلقه اما العقل وأما العاقل فان كان هذا فقد رفع القلم عنه وأف لكل عقل يقوم فيه انه حاكم علي خالقه ومحدثه بعد ان لم يكن ومرتبه على ماهو عليه ومصرفه على مايشاء واما ان يكون تعالى اوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يزل غير موجب له على نفسه فان قال بهذا قيل له فقد كان غير واجب عليه حتى اوجبه فاذهو كذلك فقد كان مباحا له ان يعذب من لم يقدره على ترك ماعذبه عليه وعلى خلاف سائر ماذكرت انه اوجبه على نفسه واذا وجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن واجبا عليه فممكن له ان يسقط ذلك الوجوب عن نفسه واما ان يكون تعالى لم يزل موجبا ذلك على نفسه فان قال بهذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الاسلام وعن جميع الشرائع وهما ان البارى تعالى لم يزل فاعلا ولم يزل فعله معه لان الايجاب فعل ومن لم يزل موجبا فلم يزل فاعلا وهذا قول اهل الدهر نفسه

(قال أبو محمد) ولا يمانع بين جميع المعتزلة فى اطلاق هذا الجنون من انه يجب على الله ان يفعل كذا ويلزمه ان يفعل كذا فاعجبوا لهذا الكفر المحض وبهذا يلوح بطلان ما يتاولونه فى قول الله تعالى * وكان حقا علينا نصر المؤمنين * وقوله تعالى * كتب على نفسه الرحمة * وقوله عليه السلام حق العباد على الله ان لا يعذبهم يعنى اذا قالوا لا اله الا الله وحق علي الله ان يسقيه من طينة الخبال يعنى عن شارب الخمر وان كل هذا انما هو ان الله تعالى قضى بذلك وجعله حتما واجبا وكونه حقا فوجب ذلك منه

مسبوق بالمبدع والمسبوق لا يدرك السابق ابدا فلا يجوز أن يصف المسبوق السابق بل يقول ان المبدع أبدع كيف ما احب وكيف ماشاء فهو هو ولا شيء معه وهذه الكلمة أعنى هو ولا شيء بسيط لا مركب معه وهو يجمع كل مايطلبه من العلم لانك اذا قلت ولا شيء معه فقد نفيت عنه ازلية الصورة والهيولى وكل مبدع من صورة وهيولى وكل مبدع من صورة فقط ومن قال ان الصور ازلية مع انيته فليس هو فقط بل هو واشياء كثيرة فليس هو مبدع للصور بل كل صورة انما ظهرت ذاتها فعند اظهارها ذاتها ظهرت هذه العوالم وهذا اشنع مايكون من القول وكان هرمس وعاذيمون يقول ليست أوائل البتة ولا معقول قبل المحسوس بحال

تعالى لا عليه فابدلت من من على وحروف الجر يبدل بعضها من بعض ثم نقول لهم من خلق ابليس ومردة الشياطين والخمر والخنازير والحجارة المعبودة والميسر والاصنام والازلام وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب فمن قولهم وقول كل مسلم أن الله تعالى خالق هذا كله فلنسألهم اشيء حسن هو كل ذلك أم رجس وقبيح وشر فان قالوا بل رجس وقبيح ونجس وشر وفسق صدقوا وأقروا انه تعالى خلق الانجاس والرجس والشر والفسق وما ليس حسنا فان قالوا بل هي حسان في اضافة خلقها الى الله تعالى وهي رجس ونجس وشر وفسق تسمية الله تعالى لها بذلك قلنا صدقتم وهكذا نقول ان الكفر والمعاصي هي في انها اعراض وحركات خلق لله تعالى حسن من خلق الله تعالى كل ذلك وهي من العصاة باضافتها اليهم قبايح ورجس وقال عز وجل * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان * وقال تعالى * ولحم خنزير فانه رجس * فليخبرونا بأي ذنب كان من هذه الاشياء وجب ان يسخطها الله تعالى وان يرجسها ويجعل غيرها طيبات هل ها هنا الا انه تعالى فعل ما يشاء واى فرق بين ان يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعقل ويرضى عما شاء من ذلك فيعلي قدره ويأمر بتعظيمه كناقة صالح والبيت الحرام وبين ان يفعل ذلك أيضا فيمن يعقل فيقرب بعضا كما شاء ويبعد بعضا كما شاء وهذا ما لا سبيل الى وجود الفرق فيه أبدا ثم نسألهم هل حابي الله تعالى من خلقه في ارض الاسلام بحيث لا يلقى الا داعيا الى الدين ومحسنا له على من خلقه في أرض الزنج والصين والروم بحيث لا يسمع الا ذاما لدين المسلمين مبطلا له وصادا عنه وهل رأوا قط وسمعوا بمن خرج من هذه البلاد طالبا لصحة البرهان على الدين فمن انكر هذا كابر العيان والحس ومن اذعن لها ترك قول المعتزلة الفاسد

(قال ابو محمد) والقول الصحيح هو ان العقل الصحيح يعرف بصحته ضرورة ان الله تعالى حاكم على كل ما دونه وانه تعالى غير محكوم عليه وان كل ما سواه تعالى فمخلوق له عز وجل سواء كان جوهرا حاملا او عرضا محمولا لا خالق سواه وانه يعذب من يشاء ان يعذبه ويرحم من يشاء ان يرحمه وانه لا يلزم احدا الا ما ألزمه الله عز وجل ولا قبيح الا ما قبح الله ولا حسن الا ما حسن الله وانه لا يلزم لاحد على الله تعالى حق ولا حجة ولله تعالى على كل من دونه وما دونه الحق الواجب والحجة البالغة لو عذب المطيعين والملائكة والانبياء في النار مخلدين لكان ذلك له ولكان عدلا وحقا منه ولو نعم ابليس والكفار في الجنة مخلدين كان ذلك له وكان حقا وعدلا منه وان كل ذلك اذ أباه الله تعالى واخبر انه لا يفعله صار باطلا وجورا وظلما وانه لا يهتدي احد الا من هداه الله عز وجل ولا يضل احد الا اضله الله عز وجل ولا يكون في العالم الا ما اراد الله عز وجل كونه من خير او شر وغير ذلك وما لم يرد عز وجل كونه فلا يكون البتة وبالله تعالى التوفيق ونحن نجد الحيوان لا يسمى عدوان بعضها على بعض قبيحا ولا ظالما ولا يلام على ذلك ولا يلام على من ربى شيئا منها على العدوان عليها فلو كان هذا النوع قبيحا لعينه وظلما لعينه لقبح متى وجد فلما لم يكن كذلك صح انه لا يقبح شيء لعينه البتة لكن اذا قبحه الله عز وجل فقط فاذ قد بطل قولهم بالبرهان الكلي الجامع لاصلهم الفاسد فلننتقل بحول الله تعالى وقوته في ابطال اجزاء مسائلهم وبالله تعالى نستعين فاول ذلك ان نسألهم فنقول عرفونا

ما

بل مثل بدعة الاشياء مثل الذي يفرج من ذاته بلا حدث ولا فعل ظاهر فلا يزال يخرجه من القوة الى الفعل حتى يوجد فيكمل فيحسه ويدركه وليس شيء معقول البتة والعالم دائم لا يزول ولا يفنى فان المبدع لا يجوز ان يفعل فعلا يدثر الا وهو داثر مع دثور فعله وذلك محال (رأي زينون الاكبر) كان يقول ان المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التي فيه من حد الابداع غير متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فالعوالم في كل حين ودهر فما كان منها مشاكلا لنا ادركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه الا انه ذكر وجه

ماهذا القبيح فى العقل أعلى الاطلاق فقال قائلون من زعمائهم منهم الحارث بن على الوراق البغدادى وعبدالله بن احمد بن محمود الكعبى البلخى وغيرهما ان كل شىء حسن بوجه ماقلت يمتنع وقوع مثله من الله تعالى لانه حينئذ يكون حسنا اذ ليس قبيحا البتة على كل حال واما ما كان قبيحا على كل حال فلا يحسن البتة فهذا منفى عن الله عز وجل ابدا قالوا ومن القبيح على كل حال ان تفعل بغيرك مالا تريد ان يفعل بك وتكليف مالا يطاق ثم التعذيب عليه

(قال ابو محمد) وظن هؤلاء المبطلون اذا توابهذه الحماقة انهم اغربوا او قرطسوا وهم بالحقيقة قد هذوا وهدروا وهذا عين الخطاء وانما قبح بعض هذا النوع اذ قبحه الله عز وجل وحسن بعضه اذ حسنه الله عز وجل والعجب من مباهتتهم فى دعواهم ان المحاباة فيما بيننا ظلم ولا ندرى فى اى شريعة ام فى اى عقل وجدوا ان المحاباة ظلم وان الله تعالى قد اباحها الاحيث شاء وذلك ان الرجل ان ينكح امرأتين وثلاثا واربعا من الزوجات وذلك له مباح حسن وان يطا من امائه اى عدد احب وذلك له مباح حسن ولا يحل للمرأة ان تنكح غير واحد ولا يكون عبدها وهذا منه حسن وبالضرورة ندرى ان فى قلوبهن من الغيرة كما فى قلوبنا وهذا محظور فى شريعة غيرنا والنفار منه موجود فى بعض الحيوان بالطبع والحر المسلم ملكه ان يستعبد اخاه المسلم ولعله عند الله تعالى خير من سيده فى دينه وفى اخلاقه وقنوته ويبيعه ويهبه ويستخدمه ولا يجوز ان يستعبده هو احد لا عبده ذلك ولا غيره وهذا منه حسن وقد احب رسول الله ﷺ لنفسه المقدسة ما اكرمه الله تعالى به من ان لا ينكح احد من بعده من نسائه امهاتنا رضوان الله عليهن واحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعد ازواجهن وكل ذلك حسن جميل صواب ولو احب ذلك غيره كان مخطىء الارادة قبيحا ظالما ومثل هذا ان تتبع كثير جدا اذ هو فاش فى العالم وفى اكثر الشريعة فبطل هذا القول الفاسد منهم وقد نص الله تعالى على اباحة ماليس عدلا عند المعتزلة بل على الاطلاق وعلى المحاباة حيث شاء وكل ذلك عدل منه قال عز وجل * ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل * وقال تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم * فاباح تعالى لنا ان لا نعدل بين ما ملكت ايماننا واباح لنا محاباة من شئنا منهن فصح أن لاعدل الا ما سماه الله عدلا فقط وان كل شىء فعله الله فهو العدل فقط لاعدل سوى ذلك وكذلك وجدنا الله تعالى قد اعطى الابن الذكر من الميراث حظين وان كان غنيا مكتسبا واعطى البنت حظا واحدا وان كانت صغيرة فقيرة فبطل قول المعتزلة وصح ان الله تعالى يحابى من يشاء ويمنع من يشاء وان هذا هو العدل لا ماتظنه المعتزلة عدلا بجهلها وضعف عقولها واما تكليف مالا يطاق والتعذيب عليه فانما قبح ذلك فيما بيننا لان الله تعالى حرم ذلك علينا فقط وقد علمت المعتزلة كثرة عدد من يخالفهم فى ان هذا لا يقبح من الله تعالى الذى لا امر فوقه ولا يلزمه حكم عقولنا وما دعواهم على مخالفيهم فى هذه المسئلة انهم خالفوا قضية العقل ببديهته الا كدعوى المجسم عليهم انهم خالفوا قضية العقل ببديهته اذ اجازوا وجود الفعل مما ليس جسما واذ اجازوا حيا بلا حياة وعالما الا بعلم

(قال ابو محمد) وكلتا الدعويين على العقول كاذبة وقد بينا فيما سلف من كتابنا هذا غلط من ادعى فى العقل ماليس فيه وبينا ان العقل لا يحكم به على الله الذى خلق العقل ورتبه على ماهو

التجدد فقال ان الموجودات باقية دائرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها واما دثورها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الاخرى وذكر ان الدثور قد يلزم الصور والهيولى وقال ايضا ان الشمس والقمر والكواكب يستمد القوة من جوهر السماء فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم ايضا ثم هذه الصور كلها بقاؤها ودثورها فى علم البارى تعالى والعلم يقتضى بقاءها دائما وكذلك الحكمة تقتضى ذلك لان بقاءها على هذا الحال افضل والبارى تعالى قادر على ان يفنى العوالم يوما ان اراد وهذا الرأى قد مال اليه الحكماء المنطقيون والجدليون ذو الالهيين وحكي فلوطرخيطس أن زينون كان يزعم أن الاصول هو الله تعالى والعنصر فقط فالله تعالى

به ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق وقال بعض المعتزلة ان من القبيح بكل حال والمحظور فى العقل بكل وجه كفر نعمة المنعم وعقوق الاب

(قال ابو محمد) وهذا غاية الخطأ لان العاقل المميز بالامور اذا تدبر ها علم يقينا انه لا منعم على احد الا الله وحده لا شريك له الذى اوجده من عدم ثم جعل له الحواس والتمييز وسخر له ما فى الارض وكثيرا مما فى السماء وخوله المال وان كل منعم دون الله عز وجل فان كان منعما بمال فانما اعطى من مال الله عز وجل فالنعمة لله عز وجل دونه وان كان ممرضاً او معتقا او خائفا من مكروه فانما صرف فى ذلك كلها وهبه الله عز وجل من الكلام والقوة والحواس والاعضاء وانما تصرف بكل ذلك فى ملك الله عز وجل وفيما هو تعالى اولى به منه فالنعمة لله عز وجل دونه فالله تعالى هو ولى كل نعمة فاذ لا شك فى ذلك فلا منعم الا من سماه الله تعالى منعما ولا يجب شكر منعم الا بعد ان يوجب الله تعالى شكره فحينئذ يجب والا فلا ويكون حينئذ من لم يشكره عاصيا فاسقا اتى كبيرة لخلاف امر الله تعالى بذلك فقط ولا فرق بين تولدنا من منى ابوينا وبين تولدنا من التراب الارضى ولا خلاف فى انه لا يلزمنا بر التراب ولا له علينا حق ليس ذلك الا لان الله تعالى لم يجعل له علينا حقاً وقد يرضع الصغير شاة فلا يجب لها عليه حق لان الله تعالى لم يجعله لها وجعله للابوين وان كانا كافرين مجنونين ولم يتوليا تربيتنا بل اشتغلا عنا بلذاتهما ليس هنا الا امر الله تعالى فقط وبرهان آخر ان امرأ لو زنى بامرأة عالماً بتحريم ذلك اوغير ذلك عالم الا انه ممن لا يلحق به الولد المخلوق من نطفته النازلة من ذلك الوطء فان بره لا يلزم ذلك الولد اصلا ويلزمه بر أمه لان الله تعالى امره بذلك لها ولم يامره بذلك فى الذى تولد من نطفته فقط ولا فرق فى العقل بين الرجل والمرأة فى ذلك ولا فرق فى المعقول وفى الولادة تولد الجنين من نطفة الواطئ لامه بين اولاد الزنا واولاد الرشدة لكن لما الزم الله تعالى اولاد الرشدة المتولدين عن عقد نكاح او ملك يمين فاسدين او صحيحين بر آبائهم وشكرهم وجعل عقوقهم من الكبائر لزمنا ذلك ولما لم يلزم ذلك اولاد الزانية لم يلزمهم وقد علمنا نحن وهم يقينا ان رجلين مسلمين لو خرجا فى سفر فاغار احدهما على قرية من قرى دار الحرب فقتل كل رجل بالغ فيها واخذ جميع اموالهم وسبى ذراريهم ثم خمس ذلك بحكم الامام العدل ووقع فى حظه اطفال قد تولى هو قتل ابائهم وسبى امهاتهم ووقعن ايضاً بالقسمة الصحيحة فى حصته فنكحهن وصرف اولادهن فى كنس حشوشه وخدمة دوابه وحرثه وحصاده ولم يكلفهم من ذلك الا ما يطيقون وكساهم وانفق عليهم بالمعروف كما امر الله تعالى فان حقه واجب عليهم بلا خلاف ولو اعتقهم فانه منعم عليهم وشكره فرض عليهم وكذلك لو فعل ذلك بمن اشتراه وهو مسلم بعد واغار الثانى على قرية للمسلمين فاخذ صبيا نا من صبيانهم فاسترقهم فقط ولم يقتل احدا ولا سبى لهم حرمة فربى الصبيان احسن تربية وكانوا فى قرية شقاء وجهد وتعب وشظف عيش وسوء حال فرفه معايشهم وعلمهم العلم والاسلام وخولهم المال ثم اعتقهم فلا خلاف فى انه لا حق له عليهم وان ذمه وعداوته فرض عليهم وانه لو وطىء امرأة منهن وهو محصن وكان احدهم قد ولى حكما للزمه شدخ رأسه بالحجارة حتى يموت افلا يتبين لكل ذى عقل من اهل الاسلام انه لا محسن ولا منعم الا الله تعالى وحده لا شريك له الا من سماه الله تعالى محسنا او منعما ولا شكر لازما لاحد على

هو العلة الفاعلة والعنصر هو المنفعل حكمه قال اكثروا من الاخوان فان بقاء النفوس ببقاء الاخوار كما ان شفاء الابدان بالادوية وقيل رأى زينون فتى على شاطىء البحر محزونا يتلهف على الدنيا فقال له يافتى مايلهفك على الدنيا لو كنت فى غاية الغنى وانت راكب فى لجة البحر قد انكسرت السفينة وأشرفت على الغرق كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما فى يدك قال نعم قال لو كنت ملكا على الدنيا وأحاط بك من يريد قتلك كان مرادك النجاة من يده قال نعم قال فانت الغنى وأنت الملك الان فتسلى الفتى وقال لتلميذه كن بما يأتى من الخير مسرورا وبما يجتنب من الشر محبورا وقيل له أى الملوك أفضل ملك اليونيين

احد

احد الامن الزمه الله تعالى شكره ولاحق لاحد على احد الامن جعل الله تعالى له حقافيجب كل ذلك اذأوجبه الله تعالى والافلا وقداجمعوا معناعلى ان من افاض احسان الدنيا على انسان أفاضه بوجه حرمه الله تعالى فانه لايلزمه شكره وان من احسن الى آخر غاية الاحسان فشكره بان اعانه فى دنياه بمالايجوز فى الدين فانه مسىء اليه ظالم فصح يقينا انه لايجب شىء ولايحسن شيء ولا يقبح شيء الاما اوجبه الله تعالى فى الدين اوحسنه الله فى الدين او قبحه الله فى الدين فقط وبالله تعالى نتأيد وقال بعضهم الكذب قبيح على كل حال

(قال ابو محمد) وهذا كالاول وقد أجمعوا معنا على بطلان هذا القول وعلى تحسين الكذب فى مواضع خمسة اذحسنه الله تعالى وذلك نحو انسان مسلم مستتر من امام ظالم يظلمه ويطلبه فسال ذلك الظالم هذا الذى استتر عنده المطلوب وسال ايضا كل من عنده خبره وعن ماله فلاخلاف بين احد من المسلمين فى انه ان صدقه ودله على موضعه وعلى ماله فانه عاص لله عز وجل فاسق ظالم فاعل فعلا قبيحا وانه لو كذبه وقال له لا ادرى مكانه ولامكان ماله فانه ماجور محسن فاعله فعلا حسنا وكذلك كذب الرجل لامرأته فيما يستجر به مودتها وحسن صحبتها والكذب فى حرب المشركين فيما يوجد به السبيل الى اهلاكهم وتخليص المسلمين منهم فصح انه انما قبح الكذب حيث قبحه الله عز وجل ولولا ذلك ما كان قبيحا بالعقل اصلا اذ ماوجب بضرورة العقل فمحال ان يستحيل فى هذا العالم البتة عمارتبه الله عز وجل فى وجود العقل اياه كذلك فصح كذبهم على المقول وقال بعضهم الظلم قبيح

(قال ابو محمد) وهذا كالاول ونسالهم مامعنى الظلم فلا يجدون الا ان يقولوا انه قتل الناس واخذ اموالهم واذاهم وقتل المرء نفسه أو التشويه بها او اباحة حرمه للناس ينكحونهن وكل هذا فليس شيء منه قبيحا لعينه وقد أباح الله عز وجل اخذ اموال قوم بخراسان من اجل ابن عمهم قتل بالاندلس رجلا خطأ لم يرد قتله لكن رمى صيدا مباحا له أو رمى كافرا فى الحرب فصادف المسلم السهم وهو خارج من خلف جبل فمات ووجدناه تعالى قد أباح دم من زنى وهو محصن ولم يطا امرأة قط الازوجة له عجوزا شعرها سوداء وطئها مرة ثم ماتت ولايجد من ان ينكح ولامن ان يتسرى وهو شاب محتاج الى النساء وحرم دم شيخ زنى وله مماية جارية كالنجوم حسنا الا انه لم يكن له قط زوجة واما قتل المرء نفسه فقد حسن الله تعالى تعريض المرء نفسه للقتل فى سبيل الله عز وجل وصدمة الجموع التى يوقن انه مقتول فى فعله ذلك وقد أمر عز وجل من قبلنا بقتل نفسه قال تعالى *فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم* ولو امرنا عز وجل بمثل ذلك لكان حسنا كما كان حسنا أمره عز وجل بذلك بنى اسرائل وأما التشويه بالنفس فان الختان والاحرام والركوع والسجود لولا امر الله تعالى بذلك وتحسينه اياه لكان لامعنى له ولكان على اصولهم تشويها ودليل ذلك ان امرا أمن الناس لو قام ثم وضع رأسه فى الارض فى غير صلاة بحضرة الناس لكان عابثا بلاشك مقطوعا عليه بالهوس وكذلك لو تجرد المرء من ثيابه امام الجموع فى غير حج ولاعمرة وكشف رأسه ورمى بالحصى وطاف ببيت مهرولا مستديرا به لكان مجنونا بلاشك لاسيما ان امتنع من قبل قملة ومن فلى رأسه ومن قص اظفاره وشاربه لكن لما امر الله عز وجل بما امر به من ذلك كان فرضا واجبا

أم ملك الفرس قال من ملك شهوته وغضبه وسئل بعد أن هرم ماحالك قال أميز الصوت قليلا قليلا على مهل وقيل له اذا امت من يدفنك قال من يؤذيه نتن جيفتى وسئل ما الذى يهرم قال الغضب والحسد وأبلغ منها الغم وقال الفلك تحت تدبيرى ونعى اليه ابنه فقال ماذهب ذلك على انما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت وقال لاتخف موت البدن وقال ولكن يجب عليك أن تخاف موت النفس فقيل له لم قلت خف موت النفس والنفس الناطقة عندك لاتموت فقال اذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق الى حد البهيمية وان كان جوهرها لا يبطل فقد ماتت من العيش العقلى وقيل اعط الحق من نفسك فان الحق يخصمك ان لم تعطه حقه وقال محبة

وحسنا وكان تركه قبيحا وانكاره كفرا واما اباحة المرء حرمه للنكاح فهذا أعجب ماأتوا به أما علموا ان الله تعالى خلى بين عبده وامائه يفجر بعضهم ببعض وهو قادر على منعهم من ذلك فلم يفعل بل قوى آلاتهم وقوى شهواتهم على ذلك باقرار المعتزلة فهذا من الله حسن ومن عباده قبيح لان الله قبحه ولا مزيد ولو حسنه تعالى لحسن أما شاهدوا انكاح الرجال بناتهم من رجال ثم يطلق الرجل منهم المرأة فمن آخر ثم آخر وهكذا ما أمكنهم وكذلك ان مات عنها فاى فرق فى العقول بين اباحة وطئها بلفظ زوجتك اوانكحتك وبين حظر وطئها بالاطلاق عليه بلفظة قم فطاها فهل هاهنا قبيح الا ما قبحه الله عز وجل أوحسن الا ما حسن الله عز وجل وقال بعضهم الكفر قبيح على كل حال

(قال ابو محمد) وهذا كالاول وما قبح الكفر الالان الله قبحه ونهى عنه ولولا ذلك ماقبح وقد اباح الله عز وجل كلمة الكفر عند التقية واباح بها الدم فى غير التقية ولوان امرأ اعتقد أن الخمر حرام قبل ان ينزل تحريمها لكان كافرا ولكان ذلك منه كفرا ان كان عالما باباحة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم صار ذلك الكفر ايمانا وصار الآن من اعتقد تحليلها كافرا وصار اعتقاد تحليلها كفرا فصح ان لا كفر الا ماسماه الله عز وجل كفرا ولا ايمانا الا ماسماه ايمانا وان الكفر لايقبح الابعد ان قبحه الله عز وجل ولا يحسن الايمان الابعد ان حسنه الله عز وجل فبطل كل ماقالوه فى الجور والكفر والظلم وصح انه لاظلم الا مانهى الله عنه ولا جور الا ما كان كذلك ولا عدل الا ماامر الله تعالى به اواباحه أى شىء كان وبالله تعالى التوفيق فاذ هذا كاذكرنا فقد صح انه لاظلم فى شىء من فعل البارى تعالى ولوانه تعالى عذب من لم يقدر على ماأمر به من طاعته لما كان ذلك ظلما اذلم يسمه تعالى ظلما وكذلك ليس ظلما خلقه تعالى للافعال التى هى من عباده عز وجل كفر وظلم وجور لانه لا آمر عليه تعالى ولا ناهيا بل الامر أمره والملك ملكه وقالوا تكليف مالا يطاق ثم التعذيب عليه قبيح فى العقول جملة لايحسن بوجه من الوجوه فيما بيننا فلا يحسن من البارى تعالى اصلا

(قال أبو محمد) نسى هؤلاء القوم مالا يجب ان ينسى ويقال لهم أليس قول القائل فيما بيننا أعبدونى أسجدوالى قبيحا لايحسن بوجه من الوجوه ولا على حال من الاحوال فلا بد من نعم فيقال لهم أوليس هذا القول من الله تعالى حسنا وحقا فلابد من نعم فان قالوا انما قبح ذلك منا لاننا لانستحقه قيل لهم وكذلك انما قبح منا تكليف مالا يطاق والتعذيب عليه لاننا لانستحق هذه الصفة واى شىء أتوا به من الفرق فهو راجع عليهم فى تكليف مالا يطاق ولا فرق وكذلك المتمن باحسانه الجبار المتكبر ذو الكبرياء قبيح فيما بيننا على كل حال وهو من الله تعالى حسن وحق وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وأخبر أن له كبرياء وهو تعالى يمن باحسانه فان قالوا احسن ذلك منه لان الكل خلقه قيل لهم وكذلك حسن منه تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه لان الكل خلقه وكذلك فيما بيننا من عذب حيوانا بالنتف والضرب ثم احسن علفه ورفهه فهو قبيح على كل وجه وفاعله عابث وهم يقولون أن البارى تعالى أباح ذلك فى الحيوان من أكلها وذبحها ثم يعوضها على ذلك وهذا منه عز وجل حسن الاان يلجؤا الى أنه تعالى لايقدر على تعويض الحيوان الابعد ايلامها وتعذيبها فهذا أقبح قول وابينه كذبا وأوضحه نخبة وأتمه كفرا وأذمه للبارى تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان ايلام الحيوان قد يحسن فيما

بيننا

المال وتد الشر لان سائر الآفات يتعلق بها ومحبة الشرف وتد العيوب لان سائر العيوب متعلقة بها وقال احسن مجاورة النعم فتنعم ولا تسىء بها فتسىء بك وقال اذا ادركت الدنيا الهارب منها جرحته واذا أدركها الطالب لها قتلته وقيل له وكان لايقتنى الاقوت يومه ان الملك يبغضك فقال وكيف يحب الملك من هو اغنى منه وسئل باى شىء تخالف الناس فى هذا الزمان البهائم قال بالشرازة قال وما رأينا العقل قط الاخادما للجهل وفى رواية للسنجرى الا خادما للجد والفرق بينهما ظاهر فان الطبيعة ولوازمها اذا كانت مستولية على العقل لستخدمه الجهل واذا كان ماقسم للانسان من الخير والشر فوق تدبيره العقلى كان الجد مستخدما للعقل ويعظم جد الانسان بالعقل وليس يعظم العقل بالجد

بيننا مثل ان يسقي الانسان من يحب ماء الادوية الكريهة ويحجمه ويكويه ليوصله بذلك الى منافع لولا هذا المكروه لم يكن ليصل اليها

(قال أبو محمد) وهذا تمويه لم ينفكوا به مما سألهم عنه اصحابنا في هذه المسالة ونحن لم نسألهم عمن لا يقدر على نفعه الا بعد الاذى الذي هو أقل من النفع الذي يصل اليه بعد ذلك الاذى انما سألناهم عمن يقدر على نفعه دون ان يبتديه بالاذى ثم لا ينفعه الا حتى يؤذيه

(قال أبو محمد) وكذلك تكليف من يدري المرء انه لا يطيقه وانه اذا لم يطقه عذبه قبيح فيما بيننا فقال قائل منهم ان هذا قد يحسن فيما بيننا وذلك ان يكون المرء يريد ان يقرر عند صديقه معصية عبده له فيأمره وهو يدري انه لا يطيعه فان نهيه له حسن

(قال أبو محمد) وهذا كالاول ولا فرق ولم نسئلهم عمن لم يقدر على تعريف صديقه معصية غلامه له الا بتكليفه امامه مالا يطيعه فيه ولا عمن لا يقدر على منع العاصي له باكثر من النهي وانما سالهم عمن لا منفعة له في ان يعلم زيدا معصية غلامه له وعمن يقدر على ان يعرف زيدا بذلك ويقرره عنده بغير ان يامر من لا يطيعه وعمن يقدر على منعه من المعصية فلا يفعل ذلك الا ان يعجزوا ربهم كما ذكرنا فهذا مع أنه كفر فهو أيضا كذب ظاهر لانه تعالى قد أخبر عن أهل النار أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فتقرر هذا عندنا تقررا لو رأينا ذلك عيانا ما زادنا علما بصحته وكذلك قد شاهدنا قوما آخرين ارادوا ضروبا من المعاصي فحال الله تعالى بينهم وبينها بضروب من الحوايل وأطلق آخرين ولم يحل بينهم وبينها بل قوى الدواعي لها ورفع الموانع عنها جملة حتى ارتكبوها فلاح كذب المعتزلة وعظيم اقدامهم على الافتراء على الله تعالى وشدة مكابرتهم العيان ومخالفتهم للمعقول وقوة جهلهم وتناقضهم نعوذ بالله من الخذلان ثم بعد هذا كله فاي منفعة لنا في تعريفنا ان فرعون يعصي ولا يؤمن وما الذى ضر الاطفال اذا ماتوا قبل ان يعرفوا من أطاع ومن عصى ونسألهم أيضا عمن أعطى آخر سيوفا وخناجر وعتلا للنقب وكل ذلك يصلح للجهاد ولقطع الطريق والتلصص وهو يدرى انه لا يستعمل شيئا من ذلك في الجهاد الا في قطع الطريق والتلصص وعمن مكن آخر من خمر وامرأة عاهر وبغاء واخلى له منزلا مع كل ذلك اليس عابثا ظالما بلا خلاف فلا بد من نعم ونحن وهم نعلم أن الله عز وجل وهب لجميع الناس القوى التي بها عصوا وهو يدرى انهم يعصونه بها وخلق الخمر وبثها بين ايديهم ولم يحل بينهم وبينها وليس ظالما ولا عابثا فان عجزوه تعالى عن المنع من ذلك بلغوا الغاية من الكفر فان من عجز نفسه منا عن منع الخمر من شاربها وهو يقدر على ذلك لفي غاية الضعف والمهانة او مريد لكون ذلك كما شاء لا معقب لحكمه وهذا قولنا لا قولهم

(قال أبو محمد) فانقطعوا عند هذه ولم يكن لهم جواب الا أن بعضهم قال انما قبح ذلك منا لجهلنا بالمصالح ولعجزنا عن التعويض ولان ذلك محظور وهذا محظور علينا ولو أن امر الله مناعبيد وقد صح عنده باخبار النبي عليه الصلاة والسلام أنهم لا يؤمنون أبدا فان كسوتهم وإطعامهم مباح له

(قال أبو محمد) وهذا عليهم لا لهم واقرار منهم بانه انما قبح ذلك منا لانه محرم علينا وكذلك كسوة العبيد الذين يوقن انهم لا يؤمنون وانما حسن ذلك لا ننا مأمورون بالاحسان الى العبيد وان كانوا كفارا ولو فعلنا ذلك باهل دار الحرب لكنا عصاة لا ننا نهينا عن ذلك ليس هاهنا شيء يقبح ولا يحسن الا ما أمر الله تعالى فقط واما قولهم ان ذلك قبح منا لجهلنا بالمصالح

وهذا خيف على صاحب الجدما لم يخف على صاحب العقل والجدأصم أخرس لا يفقه ولا ينقه وانما هو ريح تهب ويرقع يلمع ونار تلوح وصحو يعرض وحلم يمنع وهذا اللفظ أولى فانه عمم الحكم فقال ما رأينا العقل قط وقد يعرض العقل أن يرى ولا يستخدمه الجهل وذلك هو الاكثر وقال زينون في الجرادة خلقة سبعة جبابرة رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحاها جناحا نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية (رأى ذيمقراطيس وشيعته) فانه كان يقول في المبدع الاول انه ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط بل الاخلاط الاربعة وهي الاستقسات أوائل الموجودات كلها دفعة واحدة وأما المركبة

فليقنعوا بهذا فمن اجابهم بهذا بعينه فى الفرق بين حسن تكليف الله تعالى مالا يطاق وتعذيبه عليه منه وقبح ذلك منا وانه انما قبح منا لجهلنا بالمصالح

(قال ابو محمد) واما نحن فكلا الجوابين عندنا فاسد ولا مصلحة فيما ادى الى النار والخلود فيها بلا نهاية ولكنا نقول قبح منا ما نهانا الله عنه وحسن منا ما امرنا به وكل ما فعله ربنا تعالى الذى لا آمر فوقه فهو عدل وحسن وبالله تعالى التوفيق وسألهم اصحابنا فقالوا ان المعهود بيننا ان الحكيم لا يفعل الا لاجتلاب منفعة اودفع مضرة ومن فعل لغير ذلك فهو سفيه والبارى تعالى يفعل لغير اجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وهو حكيم فقالت طائفة من المعتزلة ان البارى تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الى عباده ودفع المضار عنهم وقالت طايفة منهم لم يكن الحكيم فيما بيننا حكيما لانه يفعل لاجتلاب المنافع ودفع المضار لانه قد يفعل ذلك كل ملتذ وكل متشف وان لم يكن حكيما وانما سمى الحكيم حكيما لاحكامه عمله

(قال ابو محمد) وكل هذا ليس بشيء لان الحيوان ما يحكم عمله مثل الخطاف والعنكبوت والنحل ودود القز ولا يسمي شيء من ذلك حكيما ولكن انما سمي الحكيم حكيما علي الحقيقة لالتزامه الفضائل واجتنابه الرزائل فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيما عاقلا وهكذا هو فى الشريعة لان جميع الفضائل انما هى طاعات الله عز وجل والرزائل انما هى معاصيه فلا حكيم الا من اطاع الله عز وجل واجتنب معاصيه وعمل ما امره به عز وجل وليس من اجل هذا يسمى البارى حكيما انما سمى حكيما لانه سمى نفسه حكيما فقط ولو لم يسم نفسه حكيما ما سميناه حكيما كما لم نسمه عاقلا اذ لم يسم بذلك ثم نقول لهم واما قولكم انما سمى الله حكيما لفعله الحكمة فانتم مقرون انه اعطي الكفار قوة الكفر ولا يسمى مع ذلك مقويا علي الكفر واما من قال منهم انه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الي عباده ودفع المضار عنهم فكلام فاسد اذا قيل على عمومه لان كل مستضر يفعله فى دنياه واخراه لم يصرف الله تعالى عنه تلك المضرة وقد كان قادرا علي صرفها عنه الا ان يعجزوه عن ذلك فيكفروا وسالهم أصحابنا فقالوا اذا كان الله عز وجل لا يفعل الا ما هو عدل بيننا فلم حلق من يدرى انه يكفر به وانه سيخلده بين اطباق النيران ابدا فاجابوا عن هذا باجوبة فمن اظرفها ان كثيرا منهم قالوا لو لم يخلق من يكفر به ويخلده فى نار جهنم لما استحق العذاب احد ولا دخل النار احد

(قال ابو محمد) وتكفى من الدلالة على ضعف عقل هذا الجاهل هذا الجواب ونقول له ذلك ما كنا نبغى وهل الخير كله على ما بيننا الا ان لا يعذب احد بالنار وهل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذى لا عدل عندنا سواه الا نجاة الناس كلهم من الاذى واجتماعهم فى النعيم الدائم ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون واجاب بعضهم فى هذا بان قال لو كان هذا السلم الجميع من اللوم ولكان لا شيء اوضع ولا اخس من العقل لان الذى لا عقل له سالم من العذاب واللوم والامم كلها مجمعة على فضل العقل

(قال ابو محمد) لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لم يجب بهذا السخف لان العقل على الحقيقة انما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصي وما عدا هذا فليس عقلا بل هو سخف وحمق قال الله عز وجل حكاية عن الكفار انهم قالوا * لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير * ثم صدقهم الله عز وجل فى هذا فقال * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير * فصدق الله من عصاه انه لا يعقل ثم نقول لهم نعم لا منزلة أخس ولا أوضع ولا اسقط من منزلة وموهبة ادت الى الخلود

فانها كانت دائمة دائرة لا أن ديمومتها بنوع ودثورها بنوع ثم إن العالم بجملته باق غير دائر لانه ذكر ان هذا العالم متصل بذلك العالم الاعلي كما ان عناصر هذه الاشياء متصلة بلطيف أرواحها الساكنة فيها والعناصر وان كانت تدثر فى الظاهر فان صفوفها من الروح البسيط الذى فيها فاذا كان كذلك فليس يدثر إلا من جهة الحواس فاما من نحو العقل فانه ليس يدثر فلا يدثر هذا العالم اذا كان صفوها فيه وصفوه متصل بالعوالم البسيطة وانما شنع عليه الحكماء من جهة قوله إن أول مبدع هو العناصر وبعدها أبدعت البسائط الروحانية فهو يرتقى من الاسفل الى الاعلى ومن الاكدر الى الاصفى ومن شيعته (قلموخوس) الا انه خالفه فى المبدع الاول

فى النيران عقلا كانت او غير عقل قولكم فى العقل لو كان كون الانسان حشرة اودودة اوكلبا كان احظى له واسلم وافضل عاجلا وآجلا واحب الى كل ذى عقل صحيح وتمييز غير مدخول واذا كان عند هؤلاء القوم العقل الموهوب وبالا على صاحبه وسببا الى تكليفه امورا لم يات بها فاستحق النار فلا شك عند كل ذى حس سليم فى ان عدمه خير من وجوده فان قالوا ان التكليف لم يوجب عليه دخول النار قلنا نعم ولكنه كان سببا الى ذلك ولولا التكليف لم يدخل النار اصلا وقد شهد الله عز وجل بصحة هذا القول شهادة لا تخفى على مسلم وهي قوله تعالى * انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا * فحمد الله تعالى اباءة الجمادات من قبول التمييز الذى به وقع التكليف وتحمل امانة الشرائع وذم عز وجل اختيار الانسان لتحملها وسمى ذلك منه ظلما وجهلا وجورا وهذا معروف فى بنية العقل والتمييز ان السلامة المضمونة لا يعدل بها التغرير المؤدي الى الهلاك او الى الغنم وقال بعضهم خلق الله عز وجل من يكفر ومن يعلم انه يخلده فى النار ليعظ بذلك الملائكة وحور العين (قال ابو محمد) وهذا خبط لا عهد لنا بمثله وهذا غاية السخف والعبث والظلم فاما العبث فان فى العقول منا ان من عذب واحدا ليعظ به آخر فغاية العبث والسخف وأما الجور فأي جور اعظم فيما بيننا من ان يخلق قوما قد علم انه يعذبهم ليعظ بهم آخرين من خلقه مخلدين فى النعم فهلا عذب الملائكة وحور العين ليعظ بهم الجن والانس وهل هذا على اصولهم الا غاية المحاباة والظلم والعبث تعالى الله عن ذلك يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه وسألهم اصحابنا عن ايلام الله عز وجل الصغار والحيوان واباحته تعالى ذبحها فوجموا عند هذه وقال بعضهم لان الله تعالى يعوضهم على ذلك

(قال ابو محمد) وهذا غاية العبث فيما بيننا ولا شيء اتم فى العبث والظلم ممن يعذب صغيرا ليحسن بعد ذلك اليه فقالوا ان تعويضه بعد العذاب بالجدرى والامراض أتم والذ من تنعيمه دون تعذيب

(قال ابو محمد) وفى هذا عليهم جوابان احدهما ان يقول لهم اكان الله تعالى قادرا على ان يوفى الاطفال والحيوان ذلك النعيم دون ايلام أوكان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر جمعوا مع الكفر الجنون لان ضرورة العقل يعلم بها انه اذا قدر على ان يعطيهم مقدارا ما من النعيم بعد الايلام فلا شك فى انه قادر على ذلك المقدار نفسه دون ايلام يتقدمه ليس فى العقل غير هذا اصلا اذ ليس هاهنا منزلة زائدة فى القدرة ولا فلان مختلفان وانما هو عطاء واحد لشيء واحد فى كلا الوجهين وان قالوا انه قادر على ذلك فقد وجب العبث على اصولهم اذ كان قادرا على ان يعطيهم دون ايلام مالم يعطهم الا بعد غاية الايلام والجواب الثاني ان نريهم صبيانا وحيوانا اماتهم فى خير دون ايلام وهذه محاباة وظلم للمؤلم منهم فقالوا ان المؤلم لم يزد فى نعيمه لاجل ايلامه فقلنا لهم فهذه محاباة بزيادة النعيم للمؤلم فهلا آلم الجميع ليسوى بينهم فى النعيم اوهلا يسوى بينهم فى النعيم بان لا يؤلم منهم احدا وهذا مالا انفكاك منه البتة وقال بعضهم فعل ذلك ليعظ بهم غيرهم

(قال ابو محمد)وهذا غاية الجور بيننا ولا عبث اعظم من ان يعذب انسانا لا ذنب له ليوعظ بذلك آخرون مذنبون وغير مذنبين والله تعالى قد انكر هذا بقوله تعالى *

وقال بقول سائر الحكماء غير انه قال إن المبدع الاول هو مبدع الصور فقط دون الهيولى فانها لم تزل مع المبدع فانكروا عليه وقالوا ان الهيولى لوكانت أزلية قديمة لما قبلت الصور ولما تغيرت من حال الى حال ولما قبلت فعل غيرها اذ الازلى لا يتغير وهذا الرأى مما كان يعزى الى افلاطون الآلهى والرأى فى نفسه مزيف والعزوة اليه غير صحيحة ومما نقل عن (ذيمقراطيس وزينون الاكبر وفيثاغورس)انهم كانوا يقولون ان الباري تعالى متحرك بحركة فوق هذه الحركة الزمانية وقد اشرنا الى المذهبين وبينا ان المراد باضافة الحركة والسكون اليه تعالى وتزيده شرحا من احتجاج كل فريق على صاحبه قال اصحاب السكون إن الحركة

ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازره وزر اخرى* فقدانتفى عن الله عز وجل هذا الظلم حقا ولقد كان على اصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة وايلامه البغاة ليعظ بذلك غيرهم ادخل فى العدل والحكمة من ان يؤلم طفلا اوحيوانا لاذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل امل هذا الوجه قد صار سبيلا الى كفر كثير من الناس واجاب بعضهم فى ذلك بان قال انما فعل ذلك عز وجل بالاطفال ليؤجر آباءهم

(قال ابو محمد) وهذا كالذى قبله فى الجور سوء بسواء ان يؤذى من لا ذنب له ليا جر بذلك مذنبا اوغير مذنب حاشا الله من هذا الان فى هذا مزية من التناقض لان هذا التعليل ينقض عليهم فى اولاد الكفار واولاد الزنا ممن قد ماتت امه وفى اليتامى من آبائهم وامهاتهم ورب طفل قد قتل الكفار أو الفساق اباه وامه وتركاه هو بدار مضيعة حتى مات هزلا او اكلته السباع فليت شعرى من وعظ بهذا أو من اوجر به مع ان هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا البتة بوجه من الوجوه يعنى ان تؤذى انسان لاذنب له لينتفع بذلك آخرون وهم يقولون ان الله تعالى فعل هذا فكان حسنا وحكمة ولجأ بعضهم الى ان قال ان لله عز وجل فى هذا سرا من الحكمة والعدل يوقن به وان كنا لا نعلم لما هو ولا كيف هو

(قال ابو محمد) واذ قد بلغوا ههنا فقد قرب امرهم بعون الله تعالى وهو انه يلزمهم تصديق من يقول لهم ولله تعالى فى تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه عليه سر من الحكمة يوقن به ولا نعلمه

(قال ابو محمد) واما نحن فلا نقول بهذا بل نقول انه لا سر ههنا اصلا بل كل ذلك كما هو عدل من الله عز وجل لا من غيره ولله الحجة البالغة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال ابو محمد) ولجأت طائفتان منهم الى أمرين أحدهما قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه قال ان الاطفال لا يألمون البتة

(قال ابو محمد) ولا ندرى لعله يقول مثل ذلك فى الحيوان

(قال ابو محمد) وهذا انقطاع سمج ولجاج فى الباطل قبيح ودفع للعيان والحس وكل احدمنا قد كان صغيرا ويوقن اننا كنا نألم الالم الشديد الذى لا طاقة لنا بالصبر عليه والثانية احمد بن حابط البصرى والفضل الحربى وكلاهما من تلاميذ النظام فانهما قالا ان ارواح الاطفال وارواح الحيوان كانت فى اجساد قوم عصاة فعوقبت بان ركبت فى اجساد الاطفال والحيوان لتؤلم عقوبة لها

(قال ابو محمد) ومن هرب عن الاذعان للحق أو عن الاقرار بالانقطاع الى الكفر والخروج عن الاسلام فقد بلغ الى حالة ما كنا نريد أن يبلغها لكن اذ آثر الكفر فالى لعنة الله وحر سعيره ونعوذ بالله من الخذلان وانما كلامنا هذا مع من يتقى مخالفة الاسلام فاما اهل الكفر فقدتم ولله الحمد ابطالنا لقولهم وقد ابطلنا قول اصحاب التناسخ فى صدر كتابنا هذا والحمد لله فاغنى عن اعادته واذا بلغ خصمنا الى مكابرة الحس أو الى مفارقة الاسلام فقد انقطع وظهر باطل قوله ولله تعالى الحمد

(قال ابو محمد) فان لجؤا الى قول معمر والجاحظ وقالوا ان آلام الاطفال هي فعل الطبيعة لا فعل الله تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع بل نقول لهم هل الله عز وجل قادر على معارضة

ابدا لا تكون إلا ضد السكون والحركة لا تكون الا بنوع زمان اما ماض واما مستقبل والحركة لا تكون الا مكانية منتقلة واما مستوية ومن المستوية يكون الحركة المستقيمة والمنفرجة والمكانية تكون مع الزمان فلو كان البارى تعالى متحركا لكان داخلا فى الدهر والزمان قال اصحاب الحركة ان حركته اعلى من جميع ماذكرتموه وهو مبدع الدهر والمكان وابداعه ذلك هو الذى يعنى بالحركة والله اعلم (رأى فلاسفة اقا ذاميا) فانهم كانوا يقولون ان كل مركب ينحل ولا يجوز أن يكون مركبا من جوهر بن متفقين فى جميع الجهات والافليس بمركب فاذا كان هذا هكذا فلا محالة انه اذا انحل المركب دخل كل جوهر فاتصل بالاصل الذى منه كان فا

هذه الطبيعة المقطعة لحم هذا الصبي بالجدري والآكلة والخنازير المدية له ووجع الحصاة واحتباس البول أو الغائط أو انطلاق البطن حتى يموت والعدو القاسي القلب يرحمه ويتقطع له لعظيم مايرى به من التضور والاوجاع بقوة من عنده تعالى يفرج بها عن هذا الطفل المسكين المعذب أم هو تعالى غير قادر على ذلك فان قالوا هو غير قادر على ذلك فما في العالم اعجز ممن تغلبه طبيعة هو خلقها وطبعها ووضعها فيمن هي فيه وربما غلبها طبيب ضعيف من خلقه بعقار ضعيف من خلقه فهل في الجنون والكفر اكثر من هذا القول ان يكون هو خلق الطبيعة ووضعها فيمن هي فيه ثم لايقدر على كف عملها الذي هو وضعه فيها وان قالوا بل هو قادر على صرف الطبيعة وكفها ولم يفعل دخل في نفس ما انكر واقر على ربه على اصله الفاسد بالظلم والعبث وبالضرورة ندري ان من رأى طفلا في نار أو ماء وهو قادر على استنقاذه بلا مؤنة ولم يفعل فهو عابث ظالم ولكن الله تعالى يفعل ذلك وهو الحكم العدل في حكمه لا العابث ولا الظالم وهذا هو الذي اعظموا من ان يكون قادرا على هدى الكفار ولا يفعل ولجأ بعضهم الى ان قال لو عاش هذا الطفل لكان طاغيا قلنا لهم لم نسئلكم بعد عمن مات طفلا انما سألناكم عن ايلامه قبل بلوغه ثم نجيبهم عن قولهم فيمن مات من الاطفال انه لو عاش لكان طاغيا فنقول لهم هذا أشد في الظلم ان يعذبه على مالم يفعل بعد

(قال ابو محمد) قد وجدنا الله عز وجل قد حرم ذبح بعض الحيوان واكله واباح ذبح بعضه واوجب ذبح بعضه اذا نذر الناذر ذبحه قربانا فنقول للمعتزلة اخبرونا ماكان ذنب الذي ابيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار واكله وما كان ذنب الذي حرم كل ذلك فيه حتى حرم العوض الذي تدعونه وما كان بخت الذي حرم ايلامه ووجدناه عز وجل قد اباح ذبح صغار الحيوان مع مايحدث لامهاتها من الحنين والوله كالابل والبقر فاي فرق بين ذبحنا لمصالحنا أو لتعوض هي وبين ماحرم من ذبح اطفالنا وصغار اولاد اعدائنا لمصالحنا أو ليعوضوا فان طردوا دعواهم في المصلحة لزمهم ان كل من له مصلحة في قتل غيره كان له قتله فان قالوا لايجوز ذلك الاحيث أباحه الله عز وجل تركوا قولهم ووفقوا للحق

(قال ابو محمد) وجدناه تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له الصاحبة والولد ويهود ومجوس اذا اعطونا دينارا او اربعة دنانير في العام وهم يكفرون بالله تعالى واباح قتل مسلم فاضل قد تاب واصلح لزنا سلف منه وهو محصن ولم يبح لنا استبقاء مشركي العرب من عباد الاوثان الا ان يسلموا ولابد فاي فرق بين هؤلاء الكفار وبين الكفار الذين افترض علينا ابقاؤهم لذهب ناخذه منهم في العام

(قال ابو محمد) وقالوا لنا هل في افعال الله تعالى عبث وضلال ونقص ومذموم فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اما ان يكون في افعاله تعالى عبث يوصف به او عيب مضاف اليه او ضلال يوصف به او نقص ينسب اليه او جور منه او ظلم منه أو مذموم منه فلا يكون ذلك اصلا بل كل افعاله عدل وحكمة وخير وصواب وكلها حسن منه تعالى ومحمود منه ولكن فيها عيب على من ظهر منه ذلك الفعل وعبث منه وضلال منه وظلم منه ومذموم منه ثم نسالهم فنقول لهم هل في افعاله تعالى سخف وجنون وحمق وفضائح ومصائب وقبح وسخام واقذار وانتان ونجس وسخنة للعين وسواد الوجه فان قالوا لا اكذبهم الله عز وجل بقوله تعالى * ما اصاب من مصيبة في الارض

كان منها بسيطا روحانيا لحق بعالمه الروحاني البسيط والعالم الروحاني باق غير داثر وما كان منها جاسيا غليظا لحق بعالمه أيضا وكل جاسي اذا انحل فانما يرجع حتى يصل الى الطف من كل لطيف فاذا لم يبق من اللطافة شيء اتخذ باللطيف الاول المتحد به فيكونان متحدين الى الابد واذا اتحدت الاواخر بالاوائل وكان الابدع هو أول مبدع ليس بينه وبين مبدعه جوهر آخر متوسط فلا محالة ان ذلك المبدع الاول متعلق بنور مبدعه فيبقى خالداً دهر الدهور وهذا الفصل قد نقل وهو يتعلق بالمعاد لا بالمبدأ وهؤلاء يسمون مشائين اقاذاميا وأما (المشاؤن) المطلق م أهل لوقين وكان افلاطون يلقن الحكمة ماشيا تعظيما لما تابعه على ذلك

ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها * وموت الانبياء وفرعون وابليس وكل ذلك مخلوق وان قالوا ان الله تعالى خالق كل ذلك ولكن لا يضاف شيء منه الى الله عز وجل على الوجه المذموم ولكن على الوجه المحمود قلنا هذا قولنا فيما سألتمونا عنه ولا فرق فان قالوا اترضون بافعال الله عز وجل وقضائه قلنا نعم بمعنى اننا مسلمون لفعله وقضائه ومن الرضى بفعله وقضائه ان نكره ما كره الينا قال تعالى * وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان * ثم نسألهم عن هذا بعينه فنقول لهم اترضون بفعل الله تعالى وقضائه فان قالوا نعم لزمهم الرضى بقتل من قتل من الانبياء وبالخمور والانصاب والازلام وبابليس ويلزمهم ان يرضى منهم بالخلود فى النار من خلد فيها وفى هذا ما فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وسأل بعض اصحابنا بعض المعتزلة فقال اذا كان عندكم انما خلق الله تعالى الكفار وهو يعلم انهم لا يؤمنون وانه سيعذبهم بين اطباق النيران ابدا ليعظ بهم الملائكة وحور العين فقد كان يكفى من ذلك خلق واحد منهم فقال له المعتزلى ان المؤمنين الذين يدخلون الجنة والملائكة وحور العين وجميع من لا عذاب عليه ومن الاطفال اكثر من الكفار بكثير جدا

(قال ابو محمد) ولم يخرج بهذا الموت مما الزمه السائل لان الموعظة كانت تتم بخلق واحد هذا لو كان يخلق من يعذب ليوعظ به آخر وجه فى الحكمة بيننا وايضا فلولا ذكره الملائكة لكان كاذبا فى ظنه ان عدد الداخلين فى الجنة من الناس اكثر من الداخلين النار لان الامر بخلاف ذلك لان الله عز وجل يقول * فابى اكثر الناس الا كفورا * وقال تعالى * وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وقال تعالى * وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله * وقال تعالى * الا الذين عملوا الصالحات وقليل ما هم * فليت شعرى فى اى حكمة وجدوا فيما بينهم او بيننا او فى اى عدل خلق من يكون اكثرهم مخلدين فى جهنم على اصول هؤلاء الجهال واما نحن فانه لو عذب اهل السموات كلهم وجميع من عمر الارض لكان عدلا منه وحقا له وحكمة منه ولو لم يخلق النار وادخل كل من خلق الجنة لكان حقا منه وعدلا وحكمة منه لا عدل ولا حكمة ولا حق الا ما فعل وما امر به

(قال ابو محمد) ولجأ قوم منهم الى ان قالوا ان الله تعالى لم يعلم من يكفر ومن يؤمن واقروا انه لو علم من يموت كافرا لكان خلقه له جورا وظلما

(قال ابو محمد) وهؤلاء ايضا مع عظيم ما اتوا به من الكفر فى تجهيل ربهم تعالى فلم يتخلصوا مما الزمهم اصحابنا لانه ليس من الحكمة خلق من لا يدرى ايموت كافرا فيعذبه ام لا وهذا هو التغرير بمن خلق وتعريضهم للهلكة على جهلة وهذا ليس من الحكمة ولا من العدل فيما بيننا لمن يمكنه ان لا يغرر وقد كان البارى تعالى قادرا على ان لا يخلق كما قد كان لم يزل لا يخلق ثم خلق الآن يلجأ الى انه تعالى لا يقدر على ان لا يخلق فيجعلوه مضطرا ذا طبيعة غالبة وهذا كفر مجرد محض ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) واذا أقرت المعتزلة ان اطفال بنى آدم كلهم اولاد المشركين واولاد المسلمين فى الجنة دون عذاب ولا تقرير تكليف فقد نسوا قولهم الفاسد ان العقل افضل من عدمه بل ما نرى السلامة على قولهم وضمانها والحصول على النعيم الدائم فى الآخرة بلا تقرير الا فى عدم العقل فكيف فارقوا هذا الاستدلال واما نحن فنقول

ارسطوطاليس فيسمى هو وأصحابه المشائين وأصحاب لرواقهم أهل الظلال وكان لافلاطون تعليمان أحدهما تعليم كليس وهو الروحانى الذى لا يدرك بالبصر ولكن بالفكرة اللطيفة وتعليم كليس وهو الهيولانيات

(رأى هرقل الحكيم) وانه كان يقول ان أول الاوائل النور الحق لا يدرك من جهة عقولنا لانها أبدعت من ذلك النور الازلى الحق وهو الله حقا وهو اسم الله باليونانية انما يدل على انه مبدع الكل وهذا الاسم عندهم شريف جدا وكان يقول ان بدو الخلق وأول شيء ابدع والذى هو اول لهذه العالم هو المحبة والمنازعة ووافق فى هذا الرأى انبذقلس حيث قال الاول الذى أبدع هو المحبة والغلبة وقال هرقل السماء متحركة من ذاتها

ان من اسعده الله تعالى من الملائكة فلم يعرضهم لشيء من الفتن أعلى حالا من كل خلق غيرهم ثم بعدهم الذين عصم الله تعالى من النبيين عليهم الصلاة والسلام وآمنهم من المعاصي ثم من سبقت لهم من الله تعالى الحسنى من مؤمني الجن والانس الذين لا يدخلون النار والحور العين اللاتي خلقن لاهل الجنة على ان لهؤلاء المذكورين حاشا الحور العين حالة من الخوف طول بقائهم في الدنيا يوم الحشر في هول المطلع وشنعة ذلك الموقف الذي لا يفي به شيء الا السلامة منه ولا يهنا معه عيش حتى يخلص منه وقد تمنى كثير من الصالحين العقلاء الفضلاء ان لو كانوا نسيا منسيا في الدنيا ولا يعرضوا لما عرضوا له على انهم قدآمنوا بالضمان التام الذي لاينجس ولقداصابوا في ذلك اذ السلامة لا يعدلها شيء الا عند المعتزلة القائلين بان الثواب والنعيم بعد الضرب بالسياط والضغط بانواع العذاب والتعريض لكل بلية أطيب وألذ وأفضل من النعيم السالم من ان يتقدمه بلاء ثم الاطفال الذين يدخلون الجنة دون تكليف ولا عذاب ومن بلغ ولا تمييز له ثم منزلة من دخل النار ثم اخرج منها بعد ان دخل فيها على ما فيها من البلاء نعوذ بالله منه وأما من يخلد في النار فكل ذي حس سليم توقن نفسه يقين ضرورة ان الكلب والدود والقرد وجميع الحشرات احسن حالا في الدنيا والآخرة منه وأعلى مرتبة وأتم سعدا وأفضل صفة واكرم عناية من عند الباري تعالي ويكفي من هذا اخبار الله تعالى اذ يقول * ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا * فنص تعالى على ان حال الجمادية احسن منه حالة فاعجبوا للمعتزلة القائلين ان الله تعالى اعطي من يتمنى يوم القيامة ان يكون ترابا افضل عطية عنده ولم يترك في قدرته اصلح مما عمل به وان خلقه له كان خيرا له من ان لا يخلقه ونحن نعوذ بالله لانفسنا من ان يعمل بنا ما عمل بهم

(قال أبو محمد) ومن عجائبهم قولهم ان الله تعالى لم يخلق شيئا لا يعتبر به احد من المكلفين

(قال ابو محمد) فنقول لهم ما دليلكم على هذا وقد علمنا بضرورة الحس ان الله تعالى في قعور البحار وأعماق الارض أشياء كثيرة لم يرها انسان قطعا لم يبق الأن يدعو عوض الملائكة والجن في عمق الجبال وقعور البحور فهذه دعوى مفتقرة الى دليل والا فهي باطلة قال عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وايضا فما تبطل به دعوى هؤلاء القائلين بغير علم على الله ان الله تعالى اذا خلق زيدا له من الطول كذا او كذا فانه لو خلقه على اقل من ذلك الطول باصبع لكان الاعتبار بخلقه سواء كما هو الآن ولا مزيد وهكذا كل مقدار من المقادير فان ادعوا ان الزيادة في العدد زيادة في العبرة لزمهم ان لزموا ربهم تعالى ان يزيد في مقدار طول كل ما خلق لانه كان زيادة في الاعتبار والا فقد قصر وبالجملة فهوسهم لا يحصيه الا الذي خلقهم نعوذ بالله مما ابتلاهم به

(قال ابو محمد) وهم مقرون ان العقول معطاة من عند الله عز وجل فنسألهم افاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقول أم لا فان قالوا لا كابروا الحس ولزمهم مع ذلك ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم وتمييزه وعقل عيسى وابراهيم وموسى وايوب وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمييزهم وعقل مريم بنت عمران وتمييزها بل تمييز جبريل وميكائيل وسائر الملائكة ثم تمييز ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعقولهم وتمييز امهات المؤمنين وبنات النبي صلى الله عليه

والارض مستديرة ساكنة جامدة بذاتها والشمس حللت كل مافيها من الرطوبة فاجتمعت فصار البحر والذى حجرت الشمس ونفذت فيه حتى لم تذر فيه شيئا من الرطوبة صار منه الحصى والحجارة والجبل ومالم ينفذ فيه الشمس أكثر ولم ينزع عنه الرطوبة كلها فهو التراب وكان يقول ان السماء في النشأة الاخرى تصير بلا كواكب لان الكواكب تهبط سفلا حتى تحيط بالارض وتلتهب فيصير متصلا بعضها ببعض حتى تكون الدائرة حول الارض وانما هبط منها ما كان من أجزائها نارا محضة ويصعد ماكان نورا محضا فتبقى النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة في هذا العالم الذى أحاط به النار الى الابد في عقاب السرمد وتصعد النفوس الشريفة

وسلم ورضوان الله على جميع من ذكرنا وعقولهن ثم تميز سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وعقولهم ليس شيء من ذلك افضل من العقل والتمييز المعطيين لهذا المخنث اللفاء الرقان ولهذه الزانية الخليقة المتبرجة السحاقة ولهذا الشيخ الذي يلعب مع الصبيان بالكعاب في الخابات ويصفهم اذا قدر ومن بلغ هذا المبلغ وساوى بين من اعطي الله عز وجل كل من ذكرنا من العقل والتمييز فقد كفى خصمه مؤنته وان قالوا بل الله تعالى فاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقل والتمييز قيل لهم صدقتم وهذا هو المحاباة والجور على اصولكم ولا محاباة على الحقيقة اكثر من هذا وهي عندنا حق وعدل منه تعالى لا يسال عما يفعل ولعمري ان فيهم لعجبا اذ يقولون ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه الا ما اعطى سائرهم فهلا كانوا صادقين ساوى جميعهم ابراهيم النظام وابا الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر والجبائي في دقة نظرهم وقوتهم على الجدال اذ كلهم فيما منحهم الله عز وجل من ذلك سواء فاذ لا شك في عجزهم عن بلوغ ذلك فلا شك في ان كل احد لا يقدر ان يزيد فيما منحه الله تعالى به وليس يمكنهم اصلا ان يدعوا ههنا انهم كلهم قادرون على ذكاء الذهن وحدة النظر وقوة الفطنة وجودة الحفظ والبتة لدقيق الحجة وان لم يظهر وكما ادعوا ذلك في الاعمال الصالحة فصحت المحاباة من الله تعالى يقينا عيانا لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قروا ان العقول والذكاء وقبول العلم وذكاء الخاطر ودقة الفهم غير موهوبة من الله تعالى عز وجل قلنا لهم فمن خلقها فان قالوا هي فعل الطبيعة قلنا لهم ومن خلق الطبيعة التي فعلت العقول وكل ذلك بذلتها متفاضلة فمن قولهم ان الله تعالى خلقها فيقال لهم فهو موجب المحاباة اذ رتب الطبيعة رتبة المحاباة ولابد وان قالوا لم تخلق الطبيعة ولا العقول لحقوا بالدهرية وصاروا الى ما لم يرد لهم المصير اليه وهذا لا مخلص لهم منه اصلا وبالله تعالى التوفيق وبالضرورة ندري ان من كان تميزه اتم كان اهتداؤه واعتصامه اتم على اصولهم وهذا هو المحاباة التي انكروها وسموها ظلما وجورا

(قال ابو محمد) ومهما امكنهم من الدفاع والقحة في شيء فانه لا يمكنهم اعتراض اصلا في ان فضل الله تعالى على المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام وعلى يحيي بن زكريا اذ جعل عيسى نبيا ناطقا عاقلا في المهد رسولا حين سقوطه من بطن أمه واذ آتى يحيي الحكم صبيا اتم واعلا واكثر من فضله على من ولد في اقاصي بلاد الخزر والزنج حيث لم يستمع قط ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الا متبعا اقبح الذكر من التكذيب وانه كان متخيلا واكثر من فضله بلا شك على فرعون اذ دعا موسى عليه الصلاة والسلام فقال * ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد اجيبت دعوتكما *

(قال ابو محمد) ان من ضل بعد هذا لضال وان من قال ان فضل الله عز وجل وعطاءه لموسى وعيسى ويحيي ومحمد صلى الله عليه وسلم وعصمته لهم كفضله وعطائه على فرعون وملئه وعصمته لهم الذين نص عز وجل على انه شد على قلوبهم شدا منعهم الايمان حتى يروا العذاب الاليم فلا ينفعهم أيمانهم حينئذ لضعيف العقل قليل العلم مهلهل اليقين ولا بيان ابين من هذه الآية في تفضيل الله عز وجل بعض خلقه على بعض خلقه واختصاص بعضهم بالهدى والرحمة دون بعض ومحاباته من شاء منهم واضلالهم من ضل منهم وأيضا فانهم لا

يستطيعون

الخالصة الطيبة الى العالم الذي يمحض نورا وبهاء وحنا في ثواب السرمد وهناك الصور الحسان لذات البصر والالحان الشجية لذات السمع ولانها أبدعت بلا توسط مادة وتركب استقسات فهي جواهر شريفة روحانية نورانية وقال ان الباري يمسح تلك الانفس في كل دهر مسحة فيتجلى لها حتى تنظر الى نوره المحض الخارج من جوهره الحق فحينئذ يستلذ عشقها وشوقها ووجدها فلا يزال ذلك دائما أبد الابد

(رأي أبيقورس) خالف الاوائل في الاوائل قال المبادي اثنان الخلاء والصور أما الخلاء فمكان فارغ وأما الصور فهي فوق المكان والخلاء ومنها ابدعت الموجودات وكل ما كون منها فانه ينحل اليها فمنها

يستطيعون ان الله عز وجل فضل بنى آدم علي كثير ممن خلق قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * وقال تعالى * ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض * وقال تعالى . ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وهى المحاباة بعينها التى هى عند المعتزلة جور وظلم فيقال لهم على اصلكم الفاسد هل لا رزق الله العقل سائر الحيوان فيعرضهم بذلك للمراتب السنية التى عرض لها بنى آدم وهلا ساوى بين الحيوان وبيننا في ان لا يعرضنا كلنا للمهالك والفتن فهل هذا الا محاباة مجردة وفعل لما يشاء لا معقب لحكمه لا يسأل عما يفعل

(قال ابو محمد) وقد ذكر بعضهم ان الله تعالى قبح في عقول بنى آدم اكل ما يعطيهم واكل اموال غيرهم ولم يقبح ذلك في عقول الحيوان

(قال ابو محمد) فاقر هذا الجاهل بان الله تعالى هو المقبح والمحسن فاذ ذلك كذلك فلا قبيح الا ما قبح الله ولا محسن الا ما حسن وهذا قولنا ولم يقبح الله تعالى قط خلقه لما خلق وانما قبح منا كون ذلك الذى خلق من المعاصى فينا فقط وبالله تعالى التوفيق وان الامر لابين من ذلك ألم تروا ان الله خلق الحيوان فجعل بعضه افضل من بعض بلا عمل أصلا ففضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق نعم وعلى نوق الانبياء الذين هم افضل من صالح وانما اتينا بهذا لئلا يقولوا انه تعالى انما فضلها تفضيلا لصالح عليه السلام وجعل تعالى الكلب مضروبا به المثل فى الخساسة والرزالة وجعل القردة والخنازير معذبا بعض من عصاه بتصويره فى صورتها فلو لا ان صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب فى صورتها أشد ما يكون من عذاب الدنيا ونكالها وجعل بعض الحيوان متقربا الي الله عز وجل بذبحه وبعضه محرما ذبحه وبعضه ماواه الرياض والاشجار والخضر وبعضه ماواه الحشوش والرداع والدبر وبعضه قويا وبعضه ضعيفا وبعضه منتفعا به فى الاودية وبعضه سما قاتلا وبعضه قويا على الخلاص ممن اراد بطيرانه وعدوه أو قوته وبعضه مهينا لا مخلص عنده وبعضه خيلا فى نواصيها الخير يجاهد عليها العدو وبعضه سباعا ضارية مسلطة على سائر الحيوان ذاعرة لها قاتلة لها آكلة لها وجعل سائر الحيوان لا ينقصر منها وبعضها حياة عادية مهلكة وبعضه ماكولا علي كل حال فاى ذنب كان لبعضه حتى سلط عليه غيره فاكله وقتله وابيح ذبحه وقتله وان لم يؤكل كالقمل والبراغيث والبق والوزغ وسائر الهوام ونهى عن قتل النحل وعن قتل الصيد فى الحرمين والاحرام وأباحه فى غير الحرمين والاحرام فان قالوا ان الله تعالى يعوض ما اباح ذبحه وقتله منها قيل له فهلا أباح ذلك فيما حرم قتله ليعوضه أيضا وهذه محاباة لا شك فيها مع انه في المعهود من المعقول عين العبث الا ان يقولوا انه تعالى لا يقدر على نعيمها الا بتقديم الاذى فانهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لها علي من لم يبح ذلك فيها من سائر الحيوان مع انه تعجيز لله عز وجل ويقال لهم ما لذى عجزه عن ذلك واقدره علي تنعيم من تقدم له الاذى فى الدنيا أطبيعة فيه جارية على بنيتها ام فوقه واهب له تلك القدرة ولا بد من احد هذين القولين وكلاهما كفر مجرد وايضا فان قولهم يبطل بتنعيم الله عز وجل الاطفال الذين ولدوا احياء وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم ولا تعذيب فهلا فعل بجميع الحيوان كذلك على اصولكم

المبدأ واليها المعاد وربما يقول الكل بفسدو ليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر والانسان كالحيوان مرسل مهمل فى هذا العالم والحالات التى ترد على الانفس في هذا العالم كلها من تلقائها علي قدر حركاتها وأفاعيلها فان عملت خيرا وحسنا فيرد عليها سرور وفرح وان فعلت شرا وقبيحا فيرد عليها حزن وترح وانما سرور كل نفس بالانفس الاخرى وكذا حزنها مع الانفس الاخرى بقدر مايظهر لها من أفاعيلها وتبعه جماعة من التناسخية على هذا الرأى (حكم سولون الشاعر) وكان عند الفلاسفة من الانبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط واجمعوا على تقديمه والقول بفضائله قال سولون لتلميذه

وايضا فقد كان عز وجل قادرا على ان يجعل غذاءنا فى غير الحيوان لكن فى النبات والثمار كعيش كثير من الناس فى الدنيا لايأكلون لحما فما ضرهم ذلك فى عيشهم شيئا فهل هاهنا الا ان الله تعالى لا يجوز الحكم على افعاله بما يحكم به على افعالنا لاننا مامورون منهيون وهو تعالى أمرنا لا مامور ولا منهى فكل ما فعل فهو عدل وحكمة وحق وكل ما فعلناه فانه ان وافق امره عز وجل كان عدلا وحقا وان خالف امره عز وجل كان جورا وظلما

(قال ابو محمد) واما الحيوان فان قولنا فيه هو نص ما قاله الله عز وجل ورسوله ﷺ اذ يقول عز وجل * ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم مافرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون * وقال عز وجل * واذا الوحوش حشرت * فنحن نوقنون ان الوحوش كلها وجميع الدواب والطير تحشر كلها يوم القيامة كما شاء الله تعالى ولما شاء عز وجل واما نحن فلاندرى لماذا والله اعلم بكل شىء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء فنحن نقر بهذا وبأنه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء ولا ندرى مايفعل الله بها بعد ذلك الا انا ندرى يقينا انها لا تعذب بالنار لان الله تعالى قال * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * وبيقين ندرى ان هذه الصفة ليست الا فى الجن والانس خاصة ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى وقد ايقنا ان سائر الحيوان الذى فى هذا العالم ماعدا الملائكة والحور والانس والجن فانه غير متعبد بشريعته واما الجنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة والحيوان حاشى من ذكرنا لا يقع عليهم اسم مسلمين لان المسلم هو المتعبد بالاسلام والحيوان المذكور غير متعبد بشرع فان قال قائل انكم تقولون ان اطفال المسلمين واطفال المشركين كلهم فى الجنة فهل يقع على هؤلاء اسم مسلمين فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول نعم كلهم مسلمون بلاشك لقول الله تعالى * واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى * وقوله تعالى * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله * ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وروى على الملة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه او يشركانه ولقوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فصح لهم كلهم اسم الاسلام والحمد لله رب العالمين وقد نص عليه السلام على انه رأى كل من مات طفلا من اولاد المشركين وغيرهم فى روضة مع ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم واما المجانين ومن مات فى الفترة ولم تبلغه دعوة نبى ومن ادركه الاسلام وقد هرم او اصم لا يسمع فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تبعث لهم يوم القيامة نار موقدة ويؤمرون بدخولها فمن دخلها كانت عليه بردا ودخل الجنة او كلاما هذا معناه فنحن نؤمن بهذا ونقر به ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) واذ قد بلغ الكلام هاهنا فلنصله ان شاء الله تعالى راغبين فى الاجر من الله عز وجل على بيان الحق فنقول وبالله تعالى نتأيد ان الله تعالى قد نص كما ذكرنا انه آخذ من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وهذا نص جلى على انه عز وجل خلق انفسنا كلها من عهد آدم عليه السلام لان الاجساد حينئذ بلاشك كانت ترابا وماء وايضا فان المكلف المخاطب انما هو النفس لا الجسد فصح يقينا ان نفوس كل من يكون من بنى آدم الى يوم القيامة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلاشك ولم

يقل

تزود من الخير وأنت مقبل خير لك من أن تتزود وأنت مدبر وقال من فعل خيرا فليجتنب ماخالفه والا دعى شريرا وقال أن أمور الدنيا حق وقضاء فمن أسلف فليقض ومن قضى فقد وفى وقال اذا عرضت لك فكرة سوء فادفعها عن نفسك ولا ترجع بالائمة على غيرك الكريم رأيك بما أحدث عليك وقال ان فعل الجاهل فى خطائه أن يذم غيره وفعل طالب الادب أن يذم نفسه وفعل الاديب أن لا يذم نفسه ولا غيره وقال اذا انصب الدهن وأريق الشراب وانكسر الاناء فلا تغتم بل قل كما ان الارباح لا يكون الا فيما يباع ويشتري كذلك الخسران لا يكون الا فى الموجودات فانف الغم والخسارة عنك فان لكل ثمنا وليس يجىء

يقل الله عز وجل انه افنانا بعد ذلك ونص تعالى على انه خلق الارض والماء حينئذ
بقوله تعالى * انه جعل من الماء كل شيء حي * وقوله تعالى * خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش * واخبر عز وجل انه خلقنا من طين والطين هو
التراب والماء وانما خلق تعالى من ذلك اجسامنا فصح ان عنصر اجسامنا مخلوق منذ اول
خلقه تعالى السموات وان ارواحنا وهي انفسنا مخلوقة منذ اخذ الله تعالى عليها العهد
وهكذا قال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وثم توجب
في اللغة التي بها نزل القرآن التعقيب بمهلة ثم يصور الله تعالى من الطين اجسامنا من اللحم
والدم والعظام بان يحيل اعراض التراب والماء وصفاتهما فتصير نباتا وحبا وثمارا يتغذى
بها فتستحيل فينا لحما وعظاما ودما وعصبا وجلدا وغضاريف وشعرا ودماغا ونخاعا وعروقا
وعضلا وشحما ومنيا ولبنا فقط وكذلك تعود اجسامنا بعد الموت ترابا ولابد وتصعد
رطوباتها المائية واما جمع الله تعالى الانفس الى الاجساد فهي الحياة الاولى بعد افتراقها
الذي هو الموت الاول فتبقى كذلك في عالم الدنيا الذي هو عالم الابتلاء ماشاء الله تعالى ثم
ينقلنا بالموت الثاني الذي هو فراق الانفس للاجساد ثانية الى البرزخ الذي تقيم فيه الانفس
الى يوم القيامة وتعود اجسامنا ترابا كما قلنا ثم يجمع الله عز وجل يوم القيامة بين انفسنا
واجسادنا التي كانت بعد ان يعيدها وينشرها من القبور وهي المواضع التي استقرت اجزاؤها
فيها لايعلمها غيره ولايحصيها سواه عز وجل لا اله الا هو فهذه الحياة الثانية التي لاتبيد ابدا
ويخلد الانس والجن مؤمنهم في الجنة بلانهاية وكافرهم في النار بلانهاية واما الملائكة وحور
العين فكلهم في الجنة فيها خلقوا من النور وفيها يبقون ابدا بلانهاية ولم ينقلوا عنها قط ولا ينقلون
هذا كله نص قول الله عز وجل اذ يقول * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم * واذ يقول تعالى مصدقا للقائلين * ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * فلا يشذ عن
هذا احد الا من أبانه الله تعالى بمعجزة ظهرت فيه كمن أحياه الله عز وجل آية لنبي كالمسيح
عليه السلام وكالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
فهؤلاء والذي اماته الله مائة عام ثم احياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثلاث مرات واما
من ظن ان الصعقة التي تكون يوم القيامة موت فقد أخطا بعض القرآن الذي ذكرنا لانها
كانت تكون حينئذ لكل احد ثلاث موتات وثلاث احياآت وهذا كذب وباطل وخلاف
للقرآن وقد بين عز وجل هذا نصا فقال تعالى * ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله * فبين تعالى ان تلك الصعقة انما هي فزع لاموت وبين
ذلك بقوله تعالى في صورة الزمر * ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام الله ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع
الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء * الآية فبين تعالى ان تلك الصعقه مستثنى منها من شاء
الله عز وجل وفسر بها الآية التي ذكرنا قبل وبينت انها فزعة لاموتة وكذلك فسرها النبي
عليه الصلاة والسلام بانه اول من يقوم فيرى موسى عليه السلام قائما فلايدري اكان ممن
صعق فافاق ام جوزي بصعقة الطور فسماها افاقة ولو كانت موتة ماسماها افاقة بل احياء
فكذلك كانت صعقة موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور فزعة لاموتا قال تعالى * وخر

بالجان وسئل أيما أحمد في
الصبا الحياء أم الخوف
قال الحياء لان الحياء يدل
على العقل والخوف يدل
على المقفة والشهوة وقال
لابنه دع المزاح فان المزاح
لقاح الضغائن وساله رجل
قال هل ترى أن أتزوج أو
ادع قال أى الامرين فعلت
ندمت عليه وسئل أى شيء
أصعب على الانسان قال
أن لا يعرف عيب نفسه
وأن يمسك عما لا ينبغي
أن يتكلم به ورأى رجلا
عثر فقال له تعثر برجلك
خير من أن تعثر بلسانك
وسئل ما الكرم فقال النزاهة
عن المساوي وقيل له
ما الحياة قال التمسك بامر
الله تعالى وسئل ما النوم
فقال النوم موتة خفيفة
والموت نومة طويلة وقال
ليكن اختيارك من الاشياء
جديدها ومن الاخوان
أنفعهم وقال أنفع العلم

موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك * هذا ما لا خلاف فيه
(قال أبو محمد) فصح بما ذكرنا ان الدور سبع وهى عالمون كل عالم منها قائم بذاته فاولها دار الابتداء وعالمه وهو الذى خلق عزوجل فيه الانفس جملة واحدة وأخذ عليها العهد هكذا نص تعالى على انها الانفس بقوله عزوجل * واشهدهم على انفسهم ألست بربكم * وهى دار واحدة لانهم كلهم فيها مسلمون وهى دار طويلة على آخر النفوس جدا الا على اول المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدا وثانيها وهى دار الابتلاء وعالمه وهى التى نحن فيها وهى التى يرسل الله تعالى النفوس اليها من عالم الابتداء فتقيم فيه فى اجساد هامتعبدة ما اقامت حتى تفارقه جيلا بعد جيل حتى تستوفى جميع الانفس المخلوقة بسكناها الموفق لها فيه ثم ينقضي هـذا العالم وهى دار قصيرة جدا على كل نفس فى ذاتها لان مدة عمر الانسان فيها قليل ولو عمر الف عام فكيف باعمار جمهور الناس التى هى من ساعة الى حدود المائة عام ثم داران اثنتان للبرزخ وهما اللتان ترجع اليهما النفوس عند خروجها من هذا العالم وفراقها اجسادها وهما عند سماء الدنيا نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر انه رأى ليلة اسرى به عليه الصلاة والسلام آدم في سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فسأل عنها فاخبر انها نسم بنيه وان الذين عن يمينه ارواح اهـل السعادة والذين عن يساره ارواح اهل الشقاء وقد نص الله تعالى على هذا انصا فقال تعالى * وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشامة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون اؤلئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين * وقال تعالى * فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحـاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو الحق اليقين * وقال تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة *
(قال أبو محمد) رضى الله عنه هكذا نص رسول صلى الله عليه وسلم على ان ارواح الشهداء فى الجنة وكذلك الانبياء بلا شك فن الباطل ان يفوز الشهداء بفضل يحرمه الانبياء وهم المقربون الذين ذكر الله تعالى انهم فى الجنة اذ يقول تعـالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحـان وجنة نعيم فهاتان داران قائمتان لم يدخـل اهلها بعد لا جنة ولا نارا بنص القرآن والسنة وقال تعـالى * النار يعرضون عليها غـدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * وقال تعالى حاكيا عن الكفار انهم يقولون يوم البعث * ياويلنا من بعثنا من مرقدنا * فصح انهم لم يعذبوا فى النار بعد وهكذا جاءت الاخبار كلها بان الجميع يوم القيامة يصيرون الى الجنة والى النار لا قبل ذلك حاشى الانبياء والشهداء فقط ولا ينكر خروجهم من الجنة لحضور الحساب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثم خرج عنها قال تعالى * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وهما داران طويلتان على أول النفوس جدا حاشى آخر المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدا وانما استقصرها الكفار كما قال عزوجل فى القرآن لانهم انتقلوا عنها الى عذاب النار نعوذ بالله منها فاستقلوا تلك المدة وان كانت طويلة حتى ظنها بعضهم لشدة ما صاروا اليه يوما أو بعض

ما أصابته الفكرة وأقله نفعا ما قلته بلسانك وقال ينبغى أن يكون المرء حسن الشكل فى صغره وعفيفا عند ادراكه وعدلا فى شبابه وذا رأي فى كهولته وحافظا للسنن عند الفناء حتى لا يلحقه الندامة وقال ينبغى للشاب أن يستعد لشيخوخته مثل ما يستعد الانسان للشتاء من البرد الذي يهجم عليه وقال يا بنى احفظ الامانة تحفظك وصنها حتى تصان وقال جوعوا الى الحكمة واعطشوا الى عبادة الله تعالى قبل أن يأتيكم المانع منها وقال لتلامذته لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ولا تتصلوا بالاشراف فتعدوا فيهم ولا تعتمدوا الغنى ان كنتم تلامذة الصدق ولا تهملوا من انفسكم فى ايامكم ولياليكم ولا تستخفوا بالمساكين فى جميع أوقاتكم وكتب اليه بعض

يوم وقال بعضهم ان لبثتم الا عشرا ثم الدار الخامسة هي عالم البعث وهو يوم القيامة وهو عالم الحساب ومقداره خمسون الف سنة قال تعالى * في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه . فصح انه يوم القيامة وبهذا أيضا جاءت الاخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الايام التي قال الله تعالى فيها ان اليوم منها الف سنة فهي آخر قال تعالى . يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون . وقال تعالى . وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون * فهي أيام اخر بنص القرآن ولا يحل احالة نص عن ظاهره بغير نص آخر أو اجماع بيقين أو ضرورة حس ثم الدار السادسة والسابعة داران للجزاء وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ولا فناء لهما ولا لمن فيهما نعوذ بالله من سخطه الموجب للنار ونسأله الرضى منه الموجب للجنة وما توفيقنا الا بالله الرحيم الكريم وأما من قال ان قوله تعالى في يوم القيامة انما هو مقدار خمسين الف سنة لو تولى ذلك الحساب غيره فهو مكذب لربه تعالى مخالف للقرآن ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في طول ذلك اليوم و بضرورة العقل ندري انه لو كلف جميع اهل الارض محاسبة اهل حصر واحد فيما أضمروه وفعلوه وموازنة كل ذلك ما قاموا به في الف عام فبطل هذا القول الكاذب بيقين لا شك فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واذ قد بينا بطلان قول المعتزلة في تحكمهم على ربهم وايجابهم عليه ما أوجبوا بآرائهم السخيفة وتشبيههم اياه بانفسهم فيما يحسن منهم ويقبح وتجويزهم اياه فيما فعل وقضى وقدر فلنبين بحول الله وقوته انهم المجورون له على الحقيقة لا نحن ثم نذكر ما نص الله تعالى عليه مصدقا لقولنا ومكذبا لقولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عزوجل نتايد ان من المحال البين ان يقول المعتزلة لنا نجور الله تعالى ونحن نقول انه لا يجور البتة ولا جار قط وان كل ما فعل او يفعل أي شيء كان فهو العدل والحق والحكمة على الحقيقة لا شك في ذلك وانه لا جور الا ما سماه الله عزوجل جورا وهو ما ظهر في عصاة عباده من الجن والانس مما خالف امره تعالى وهو خالقه فيهم كما شاء فكيف يكون مجور اليه عزوجل من هذه هي مقالته وانما المجور لربه تعالى من يقول فيما اخبر الله عزوجل انه خلقه هذا جور وظلم فان قائل هذا القول لا يخلو ضرورة من احد وجهين لا ثالث لهما اما انه مكذب لربه عزوجل في اخباره في القرآن انه برأ المصائب كلها وخلقها وانه تعالى خلقنا وما نعمل وانه خالق كل شيء بقدر محرف لكلام ربه تعالى الذي هو غاية البيان عن مواضعه مبدل له بعد ما سمعه وقد نص الله تعالى فيمن يحرف الكلم عن مواضعه ويبدله بعد ما سمعه ما نص فهذا خطة كفر ان التزمها والثانية وهي تصديق الله عزوجل في اخباره بذلك وتجويزه في فعله لا بدله من ذلك وهذه ايضا خطة كفر ان التزمها أو الانقطاع والتناقض والثبات على اعتقاد الباطل بلا حجة تقليدا للعيارين الشطار الفساق كالنظام والعلاف وبشر نخاس الرقيق ومعمر المتهم عندهم في دينه وثمامة الخليع المشهور بالقبايح والجاحظ وهو من عرف هزلا وعيارة وانهما لا وهذه اسلم الوجوه لهم ونعوذ بالله من مثلها ثم بعد هذا صنفان أصحاب الاصلح واصحاب اللطف فاما اصحاب اللطف فان اصحاب الاصلح يصفونهم بأنهم مجورون

الحكماء يستوصفه أمر عالمي العقل والحس فقال اما عالم العقل فدار ثبات وثواب وأما عالم الحس فدار بوار وغرور وسئل ما فضل علمك على علم غيرك قال معرفتي بان علمي قليل وقال اخلاق محمودة وجدتها في الناس الا انها انما توجد في قليل صديق يحب صديقه غائبا كمحبته حاضرا وكريم يكرم الفقراء كما يكرم الاغنياء ومقر بعيوبه اذا ذكر ذا كر يوم نعيمه في يوم بؤسه ويوم بؤسه في يوم نعيمه وحافظ السانه عند غضبه (حكم أوميرس الشاعر) وهو من القدماء الكبار الذي يجريه أفلاطون وارسطوطاليس في أعلى المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من اتفاق المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأي وجزالة اللفظ فمن ذلك

لله مجهولون له واصحاب الاصلح يصفهم اصحاب اللطف بأنهم معجزون لله تعالى مشبهون له بخلقه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقد نص الله تعالى على انه يفعل مايشاء بخلاف ماقالت المعتزلة فقال عز وجل . كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء . وامرنا عز وجل ان ندعوه فنقول . ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالاطاقة لنابه .

(قال ابو محمد) وهذه غاية البيان في انه عزوجل له ان يكلفنا مالاطاقة لنابه وانه لوشاء ذلك لكان من حقه ولولم يكن له ذلك لما امرنا بالدعاء فى ان لايحملنا ذلك ولكان الدعاء بذلك كالدعاء فى ان يكون الها خالقا على أصولهم ونص تعالى كما تلونا على انه قد حمل من كان قبلنا الاصر وهو الثقل الذى لايطاق وامرنا ان ندعوه بان لايحمل ذلك علينا وايضا فقد امرنا تعالى فى هذه الآية ان ندعوه فى ان لايؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا وهذا هو تكليف مالايطاق نفسه لان النسيان لايقدر احد على الخلاص منه ولا يتوهم التحفظ منه ولا يمكن احدا دفعه عن نفسه فلو لا ان له تعالى ان يؤاخذ بالنسيان من شاء من عباده لما امرنا بالدعاء فى النجاة منه وقد وجدنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤاخذين بالنسيان منهم ابونا آدم صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى . ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى * يريد نسيانه عداوة ابليس له الذى حذره الله تعالى منها ثم آخذه على ذلك واخرجه من الجنة ثم تاب عليه وهذا كله على اصول المعتزلة جور وظلم تعالى الله عن ذلك وقال عز وجل . ولوشاء الله ماأشركوا . ولو فى اللغة التى بها نزل القرآن حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح يقينا ان ترك الشرك من المشركين ممتنع لامتناع مشيئة الله تعالى لتركه وقال تعالى * وماكان لنفس ان تؤمن الا باذن الله . ومشيئة الله هي تفسير اذن الله وقال تعالى . ولواننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله فهذا نص جلي على انه لا يمكن احد ان يؤمن الا باذن الله عزوجل له فى الايمان فصح يقينا ان كل من آمن فلم يؤمن الا باذن الله عز وجل وانه تعالى شاء ان يؤمن وان كل من لم يؤمن فلم ياذن الله تعالى له فى الايمان ولاشاء ان يكون منه الايمان هذا نص هاتين الآيتين اللتين لايحتملان تاويلا غيره اصلا وليس لاحد ان يقول انه تعالى عنى الاكراه على الايمان لان نص الآيتين مانع من هذا التاويل الفاسد لانه تعالى اخبر ان كل من آمن فانما آمن باذن الله عزوجل وان من لم يؤمن فان الله تعالى لم يشاء ان يؤمن فيلزمهم على هذا ان كل مؤمن فى العالم فمكره على الايمان وهذا شر من قول الجهمية واشد فان قالوا ان اذن الله تعالى هاهنا انما هو أمر لزمهم ضرورة احد وجهين لابد منهما اما ان يقولوا ان الله تعالى لم يامر الكفار بالايمان لان النص قد جاء بانه تعالى لو اذن لهم لآمنوا واما ان يقولوا ان كل من فى العالم فهم مؤمنون لانهم عندهم ماذون لهم فى الايمان اذا كان الاذن هو الامر وكلا القولين كفر مجرد ومكابرة للعيان ونعوذ بالله من الضلال

﴿قال ابو محمد﴾ الاذن هاهنا ومشيئته تعالى هو خلق الله تعالى للايمان فيمن آمن وقوله لايمانه كن فيكون وعدم اذنه تعالى وعدم مشيئته للايمان هو ان لايخلق فى المرء الايمان فلا يؤمن لايجوز غير هذا البتة اذ قد صح ان الاذن هاهنا ليس هو الامر وقال عزوجل * ولقد

بعثنا

قوله لا خير في كثرة الرؤساء وهذه كلمة وجيزة تحتها معان شريفة لما فى كثرة الرؤساء من الاختلاف الذى يأتى على حكمة الرئاسة بالابطال ويستدل بها فى التوحيد أيضا لما فى كثرة الالهة من المخالفات التى تكر على حقيقة الالهية بالافساد وبالجملة لوكان أهل بلد كلهم رؤساء ماكان رئيس البتة ولو كان أهل بلد كلهم رعية لما كان رعية البتة ومن حكمه قال اني لاعجب من الناس اذ كان يمكنهم الاقتداء بالله فيدعون ذلك الى الاقتداء بالبهائم ثم قال له تلميذه لعل هذا انما يكون لانهم قد رأوا إنهم يموتون كما يموت البهائم فقال له بهذا السبب يكثر تعجبي منهم من قبل انهم يحسبون بانهم لا يسون بدنا ميتا ولا يحسبون ان في ذلك البدن نفسا غير

بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة * فاخبر تعالى انه هدى بعضهم دون بعض وهذا عند المعتزلة جور وقال تعالى * ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس * فنص على انه خلقهم ليدخلهم النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى * ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء . وأمر تعالى ان ندعوه فنقول . ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا . فنص تعالى على زيغ قلوب من لم يهدهم من الذين زاغوا اذ ازاغ الله قلوبهم وقال تعالى . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون . فقطع تعالى على ان كلماته قد حقت على الفاسقين انهم لا يؤمنون فمن الذى حقق عليهم ان لايؤمنوا الا هو عز وجل وهذا جور عند المعتزلة

(قال ابو محمد) وكل آية ذكرناها في باب الاستطاعة منهن حجة عليهم في هذا الباب وكل آية نتلوها ان شاء الله عز وجل في باب اثبات ان الله عز وجل اراد كون الكفر والفسق بعد هذا الباب منهي أيضا حجة عليهم في هذا الباب وكذلك كل آية نتلوها ان شاء الله عز وجل في ابطال قول من قال ليس عند الله تعالى شيء اصلح مما اعطاه الله اباجهل وفرعون وأبالهب مما يستدعي الى الايمان فانها حجة عليهم في هذا الباب وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى . وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق . وبقوله تعالى . وماربك بظلام للعبيد . وبقوله تعالى . وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . وبقوله تعالى . وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون . وبقوله تعالى . وماربك بظلام للعبيد . وبقوله تعالى . ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولوعلم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون .

(قال ابو محمد) وهذه حجة لنا عليهم لانه تعالى اخبر انه قادر على ان يسمعهم والاسماع هاهنا الهدى بلاشك لان آذانهم كانت صحاحا ومعنى قوله تعالى . ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون . إنما معناه بلا شك لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لايجوز غير هذا لانه محال أن يهديهم الله وقد علم من قلوبهم خيرا فلا يهتدوا هذا تناقض قد تنزه كلامه عز وجل عنه فصح انه كما ذكرنا يقينا

(قال ابو محمد) وسائرها لاحجة لهم في شيء منه بل هو حجة لنا عليهم وهو نص قولنا انه خلق السموات والارض وما بينهما بالحق وافعال العباد بين السماء والارض بلاشك فالله تعالى خلقها بالحق الذي هو اختراعه لها وكل مافعل تعالى حق واضلاله من اضل حق له ومنه تعالى وهداه من هدى حق منه تعالى ومحاباته من حابى بالنبوة وبالطاعة حق منه ونحن نبرأ الى الله تعالى من كل من قال ان الله تعالى خلق شيئا بغير الحق أو انه تعالى خلق شيئا لاعبا او انه تعالى ظلم احدا بل فعله عدل وصلاح ولقد ظهر لكل ذي فهم انا قائلون بهذه الآيات على نصها وظاهرها فاي حجة لهم علينا في هذه النصوص لو عقلوا واما المعتزلة فيقولون انه تعالى لم يخلق كثيرا مما بين السموات والارض لاسيما عباد بن سليمان منهم تلميذ هشام بن عمرو الفوطي القائل ان الله تعالى لم يخلق الجدب ولا الجوع ولا الامراض ولا الكفار ولا الفساق ومحمد بن عبدالله الاسكافي تلميذ جعفر بن حرب القائل ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا المزامير ولا الطنابير وكل ذلك ليس بخلق من خلق الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهم يقولون ان الله عز وجل لو حابى احدا لكان ظالما لغيره وقد صح ان الله تعالى حابى موسى وابراهيم

ميتة وقال من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة والموت معتق مطلق آثر الموت على الحياة وقال العقل نحوان طبيعى وتجربى وهما مثل الماء والارض وكما أن النار تذيب كل صامت وتخلصه وتمكن من العمل فيه كذلك العقل يذيب الامور ويخلصها ويفصلها ويعدها للعمل ومن لم يكن لهذين النحوين فيه موضع فان خير أموره له قصر العمر وقال ان الانسان الخير أفضل من جميع ماعلى الارض والانسان الشرير أخس وأوضع من جميع ماعلى الارض وقال لن تنبل واحلم تعز ولا تكن معجبا فتمتهن واقهر شهوتك فان الفقير من نحط الى شهواته وقال الدنيا دار تجارة والويل لمن تزود عنها الخسارة وقال الامراء ثلاثة أشياء

و يحيى و محمدا صلوات الله عليهم دون غيرهم ودون ابى لهب وابى جهل وفرعون والذى حاج ابراهيم فى ربه فعلى قول المعتزلة يجب ان الله تعالى ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم وهذا مالا مخلص لهم منه الا بترك قولهم الفاسد واما قوله تعالى * وماخلقت الجن والانس الاليعبدون * فهكذا نقول ماخلقهم الله تعالى الا ليكونوا له عبادا مصرفين بحكمه فيهم منقادين لتدبيره اياهم وهذه حقيقة العبادة والطاعة أيضا عبادة وقال تعالى حاكيا عن القائلين * انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * وقد علم كل احدان قوم موسى عليه السلام لم يعبدوا قط فرعون عبادة تدين لكن عبدوه عبادة تذلل فكانوا له عبيدا فهم له عابدون وكذلك قول الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن وقد علم كل احد انهم لم يعبدوا الجن عبادة تدين لكن عبدوهم عبادة تصرف لامرهم واغوائهم فكانوا لهم بذلك عبيدا فصح القول بانهم يعبدونهم وهذا بين وقال بعض اصحابنا معنى هذه الاية انه تعالى خلقهم ليامرهم بعبادته ولسنا نقول بهذا لان فيهم من لم يامره الله تعالى قط بعبادته كالاطفال والمجانين فصار تخصيصا للآية بلا برهان والذي قلناه هو الحق الذى لاشك فيه لانه المشاهد المتيقن العام لكل واحد منهم واما ظن المعتزلة فى هذه الآية فباطل يكذبه اجماعهم معنا ان الله تعالى لم يزل يعلم ان كثيرا منهم لايعبدونه فكيف يجوز ان يخبر انه خلقهم لامر قد علم انه لايكون منهم الا ان يصيروا الى قول من يقول انه تعالى لايعلم الشىء حتى يكون فيتم كفرهم الجالى هذا ولا يخلصون مع ذلك من نسبة العبث الى الخالق تعالى اذ غررمن خلق فيما لا يدرى ايعطبون فيه أم يفوزون وتحيرت المعتزلة القائلون بالاصلح و بابطال المحاباة فى وجه العدل فى ستة عشر بابا وهى العدل فى اداة العذاب العدل فى ايلام الحيوان العدل فى تبليغ من فى المعلوم انه يكفر العدل فى المخلوق العدل فى اعطاء الاستطاعة العدل فى الارادة العدل فى البدل العدل فى الامر العدل فى عذاب الاطفال العدل فى استحقاق العذاب العدل فى المعرفة العدل فى اختلاف احوال المخلوقين العدل فى اللطف العدل فى الاصلح العدل فى نسخ الشرائع العدل فى النبوة

الكلام فى هل شاء الله عز وجل كون الكفر والفسق

(واراده تعالى من الكافر والفاسق ام لم يشاء ذلك ولا أراد كونه)

(قال ابو محمد) قالت المعتزلة ان الله تعالى لم يشاء ان يكفر الكافر ولا ان يفسق الفاسق ولا ان يشتم تعالى ولا ان يقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول الله عز وجل * ولا يرضى لعباده الكفر * وبقوله تعالى . اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم * وقالوا من فعل ما أراد الله فهو مأجور محسن فان كان الله تعالى أراد أن يكفر الكافر وان يفسق الفاسق فقد فعلا جميعا ما أراد الله تعالى منهما فهما محسنان ماجوران و ذهب اهل السنة ان لفظة (شاء) وأراد لفظة مشتركة تقع على معنيين احدهما الرضى والاستحسان فهذا منفى عن الله تعالى انه اراده أوشاءه فى كل مانهى عنه والثاني ان يقال أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده فهذا هو الذى نخبر به عن الله عز وجل فى كل موجود فى العالم من خير او شر فسلكت المعتزلة سبيل السفسطة فى التعلق بالالفاظ المشتركة الواقعة على معنيين فصاعدا والتمويه الذى يضمحل اذا فتش ويفتضح اذا بحث

الزيادة والنقصان فى الطبائع الاربع ومايهيجه الاحزان فشفاء الزائد والناقص فى الطبائع الادوية وشفاء مايهيجه الاحزان كلام الحكماء والاخوان وقال العمى خير من الجهل لان أصعب مايخاف من العمى التهور فى بئر ينهد منه الجسد والجهل يتوقع منه هلاك الابد وقال مقدمة المحمودات الحياء ومقدمة المذمومات القحة وقال برقليطس ان أوميرس الشاعر لما رأى تضاد الموجودات دون فلك القمر قال بالتيه هلك التضاد من هذا العالم ومن الناس والسادة يعنى النجوم واختلاف طبائعها وأراد بذلك ان يبطل التضاد والاختلاف حتى يكون هذا العالم المتحرك المنتقل داخلا فى العالم الساكن القائم الدائم ومن مذهبه أن بهرام واقع

عنه وهذه سبيل الجهال الذين لا حيلة بايديهم الا المخرقة وقال اهل السنة ليس من فعل ما أراد الله تعالى وما شاء الله كان محسنا وانما المحسن من فعل بما أمره الله تعالى به ورضيه منه

(قال ابو محمد) ونسألهم فنقول لهم اخبرونا أكان الله تعالى قادرا علي منع الكافر من الكفر والناسق من الفسق وعلي منع من شتمه من النطق به ومن اصراره علي خاطره وعلى المنع من قتل من قتل من انبيائه عليهم الصلاة والسلام أم كان عاجزا عن المنع من ذلك فان قالوا لم يكن قادرا علي المنع من شيء من ذلك فقد اثبتوا له معنى العجز ضرورة وهذا كفر مجرد ولبطال لالاهيته تعالى وقطع عليه بالضعف والنقص وتناهي القوة وانقطاع القدرة مع التناقض الفاحش لانهم مقرون انه تعالى هو اعطاهم القوة التي بها كان الكفر والفسق وشتمه تعالى وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن المحال المحض ان يكون تعالى لا يقدر علي ان لا يعطيهم الذى اعطاهم وهذه صفة المضطر المجبر وان قالوا بل هو قادر على منعهم من كل ذلك اقروا ضرورة انه مريد لبقائهم على الكفر وانه المبقي للكافر وللكفر وحالف الزمان الذى امتد فيه الكافر على كفره والفاسق علي فسقه وهذا نفسه هو قولنا انه اراد كون الكفر والفسق والشتم له وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يرض عن شيء من ذلك بل سخطه تعالى وغضب علي فاعله وقالت المعتزلة ان كان الله تعالى أراد كون كل ذلك فهو اذن يغضب مما أراد

(قال ابو محمد) ونحن نقر انه تعالى يغضب على فاعل ما اراد كونه منه ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم فاذ هذا عندكم منكر وانتم مقرون بانه قادر على المنع منه فهو عندكم يغضب مما أقر ويسخط مايقره ولا يغيره ويثبت ما لا يرضي وهذا هو الذى شنعوا فيه ولا يقدرون علي دفعه والشناعة عليهم راجعة لانهم انكروا ما الزمهم وبالضرورة ندرى ان من قدر علي المنع من شيء فلم يفعل ولا منع منه فقد اراد وجود كونه ولو لم يرد كونه لغيره ولمنع منه ولما تركه يفعل فان قالوا انه حكيم وخلاهم دون منع لسر من الحكمة له فى ذلك قيل لهم فاقنعوا بمثل هذا الجواب ممن قال لكم انه اراد كونه لانه حكيم كريم عزيز وله فى ذلك سر من الحكمة

(قال أبو محمد) واما نحن فنقول انه تعالى اراد كون كل ذلك ولا سر ها هنا وان كل ما فعل فهو حكمة وحق وان قولهم هذا هادم لمقدمتهم الفاسدة انه يقبح من البارى تعالى مايقبح منا وفيما بيننا وما علم قط ذو عقل ان من خلى من عدوه منطلق اليد على وليه واحب الناس اليه يقتله ويعذبه ويلطمه ويهينه ويتركه ينطلق على عبيده وامائه يفجر بهم وبهن طوعا وكرها والسيد حاضر يرى ويسمع وهو قادر علي المنع من ذلك فلا يفعل بل لا يقنع بتركهم الا حتى يعطى عدوه القوة علي كل ذلك والآلات المعينة له ويمده بالقوى شيئا بعد شيء فليس حكيما ولا حليما ولكنه عابث ظالم جائر فيلزمهم علي اصلهم الفاسد ان يحكموا علي الله تعالى بكل هذا لانهم معترفون بانه تعالى فعل كل هذا وهذا لا يلزمنا لاننا نقول ان الله تعالى يفعل مايشاء وان كل ما فعل مما ذكرنا وغيره فهو كله منه تعالى حكمة وحق وعدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فبطل بضرورة المشاهدة قولهم ان الله تعالى لم يرد كون الكفر أو كون الفسق أو كون شتمه تعالى وقتل أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ولو

الزهرة فتولدت من بينها طبيعة هذا العالم وقال ان الزهرة هى علة التوحد والاجتماع وبهرام علة التفرق والاختلاف والتوحد ضد التفرق فلذلك صارت الطبيعة ضدا تركب وتنقض وتوحد وتفرق وقال الخط شيء اظهره العقل بوساطة القلم فلما قابل النفس عشقته بالعنصر هذا حكمه وأما مقطعات أشعاره قال ينبغى للانسان أن يفهم الامور الانسانية ان الادب للانسان ذخر لا يسلب . ادفع من عمرك مايجريك . إن أمور العالم تعلمك العلم ان كنت ميتا فلا تحقر عداوة من لا يموت كل مايختار فى وقته يفرح به ان الزمان يبين الحق وينيره اذكر نفسك أبدا انك انسان ان كنت انسانا فافهم كيف تضبط

لم يرد كونه لمنع من ذلك كما منع من كون كل ما لم يردان يكون

(قال ابو محمد) ويكفى من هذا كله اجماع الامة على قول ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فهذا على عمومه موجب ان كل ما فى العالم كان او يكون اى شيء كان فقد شاءه الله تعالى وكل مالم يكن ولا يكون فلم يشأه الله تعالى نصا لا يحتمل تاويلا على انه تعالى اراد كون كل ذلك فمن ذلك قوله تعالى * لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فنص تعالى نصا جليا على انه لا يشاء احد استقامة على طاعته تعالى الا ان شاء الله تعالى ان يستقيم فلو صح قول المعتزلة ان الله تعالى شاء ان يستقيم كل مكلف لكان بنص القرآن كل مكلف مستقيم لان الله تعالى عندهم قد شاء ذلك وهذا تكذيب مجرد لله تعالى نعوذ بالله من مثله فصح يقينا لا مدخل للشك فى صحته انه تعالى شاء خلاف الاستقامة منهم ولم يشا ان يستقيموا بنص القرآن وقال تعالى * وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء *

(قال ابو محمد) وهذه الاية غاية فى البيان فى ان الله تعالى جعل عدة ملائكة النار فتنة للذين كفروا وليقولوا ماذا اراد الله بهذا مثلا فاخبر تعالى أنه أراد ان يفتن الذين كفروا وان يضلهم فيضلوا وانه تعالى قصد اضلالهم وحكم بذلك كما قصد هدى المؤمنين واراده وكذلك قال تعالى * ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى *

(قال ابو محمد) فنص تعالى على انه نزل القرآن هدى للمؤمنين وعمى للكفار وبيقين ندرى انه تعالى اذا نزل القرآن اراد أن يكون كما قال تعالى عمي للكفار وهدى للمؤمنين وقال تعالى * ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * هكذا هى الآية كلها موصولة بعضها ببعض فنص تعالى على انه لوشاء لآمن الناس والجن وهم أهل الارض كلهم ولو فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله عزوجل ليفهمنا حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح يقينا ان الله تعالى لم يشأ ان يؤمن كل من فى الارض واذ لاشك فى ذلك فباليقين ندرى انه شاء منهم خلاف الايمان وهو الكفر والفسق لا بد ولو كان الله تعالى اذن للكافرين فى الايمان على قول المعتزلة لكان كل من فى الارض قد آمن لانه تعالى قد نص على أنه لا يؤمن أحد الا باذنه وهذا أمر من المعتزلة يكذبه العيان فصح ان المعتزلة كذبت وان الله تعالى صدق وانه لم ياذن قط لمن مات كافرا فى الايمان وان من عمى عن هذه لأعمى القلب وكيف لا يكون أعمى القلب من أعمى الله قلبه عن الهدى وبالضرورة ندرى ان قول الله تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * حق وان من لم ياذن الله تعالى له فى الايمان فانه تعالى لم يشا ان يؤمن واذ لم يشأ أن يؤمن فبلاشك انه تعالى شاء ان يكفر هذا مالا انفكاك منه وقال تعالى * ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله * فبين تعالى اتم بيان على ان الآيات لا تغنى شيئا ولا النذر وهم الرسل وانه لا يؤمن شيء

غضبك . اذا نالتك مضرة فاعلم انك كنت أهلها . اطلب رضى كل أحد لا رضى نفسك فقط . ان الضحك فى غير وقته هو ابن عم البكاء . إن الارض تلد كل شيء ثم تسترده . ان الرأى من الجبان جبان انتقم من الاعداء نقمة لاتضرك . كن مع حسن الجراة ولا تكن متهورا . ان كنت ميتا فلا تذهب مذهب من لا يموت . ان أردت أن تحي فلا تعمل عملا يوجب الموت . ان الطبيعة كونت الاشياء بارادة الرب تعالى . من لا يفعل شيئا من الشر فهو الهى . آمن بالله فانك توفق فى أمورك . إن مساعدة الاشرار على أفعالهم كفر بالله . ان المغلوب من قاتل الله والبحث أعرف الله والامور الانسانية اذا أراد الله خلاصك عبرت

من ذلك الا من شاء الله عز وجل ان يؤمن فصح يقينا انه لا يؤمن الا من شاء الله ايمانه ولا يكفر الا من شاء الله كفره فقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام انه قال * وان لا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فبالضرورة نعلم أن من صبا وجهل فان الله تعالى لم يصرف عنه الكيد الذى صرفه برحمته عمن لم يصب ولم يجهل واذ صرفه تعالى عن بعض ولم يصرفه عن بعض فقد أراد تعالى اضلال من صبا وجهل وقال تعالى * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا * فليت شعري اذ قال تعالى انه جعل قلوب الكافرين فى أكنة أن يفقهوا القرآن وجعل الوقر فى آذانهم أتراه أراد أن يفقهوه أو أراد أن لا يفقهوه وكيف يسوغ فى عقل احد ان يخبر تعالى انه فعل عز وجل شيئا لم يرد أن يفعله ولا أراد كونه ولا شاء ايجاده وهذا تخليط لا يتشكل فى عقل كل ذى مسكة من عقل فصح يقينا ان الله تعالى أراد كون الوقر فى آذانهم وكون الاكنة على قلوبهم وقال تعالى * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء * فنص تعالى على انه لم يرد أن يجعلنا امة واحدة ولكن شاء ان يضل قوما ويهدى قوما فصح يقينا انه تعالى شاء اضلال من ضل وقال تعالى مثنيا على قوم ومصدقا لهم فى قولهم * قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا * فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام واتباعهم قول الحق الذى شهد الله عز وجل بتصديقه انهم انما خلصوا من الكفر بان الله تعالى نجاهم منه ولم ينج الكافرين منه وان الله تعالى ان شاء أن يعودوا فى الكفر عادوا فيه فصح يقينا انه تعالى شاء ذلك ممن عاد فى الكفر وقد قالت المعتزلة فى هذه الآية معنى هذا الا أن يأمرنا الله بتعظيم الاصنام كما أمرنا بتعظيم الحجر الاسود والكعبة

(قال أبو محمد) وهذا فى غاية الفساد لان الله تعالى لو امرنا بذلك لم يكن عودا فى ملة الكفر بل كان يكون ثابتا على الايمان وتزايدا فيه وقال تعالى * فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * فليت شعرى اذ زادهم الله مرضا أتراه لم يشا ولا أراد ما فعل من زيادة المرض فى قلوبهم وهو الشك والكفر وكيف يفعل الله ما لا يريد ان يفعل وهل هذا الا الحاد مجرد ممن قاله وقال تعالى * * ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد * فنص تعالى على انه لو شاء لم يقتتلوا فوجب ضرورة انه شاء وأراد ان يقتتلوا وفى اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك فقد شاء الله تعالى كون الضلال ووجوده بنص كلامه تعالى وقال عز وجل * ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا * فنص تعالى على انه أراد فتنة المفتتنين وهم الكفار وكفرهم الذين لم يملك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله شيئا فهذا نص على أن الله تعالى أراد كون الكفر من الكفار وقال تعالى * أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم *

(قال ابو محمد) وهذا غاية البيان فى انه تعالى لم يرد ان يطهر قلوبهم وبالضرورة ندرى ان من لم يرد الله ان يطهر قلبه فقد أراد فساد دينه الذى هو ضد طهارة القلب وقال تعالى * ولو شاء الله لجمعهم على الهدى * وهذا غاية البيان فى أن الله تعالى لم يرد هدى الجميع واذا لم يرد هداهم فقد

البحر على البادية. ان العقل الذى يناطق الله لشريف أن قوام السنة بالرئيس أن لفيف الناس وان كانت لهم قوة فليس لهم عقل ان السنة توجب كرامة الوالدين مثل كرامة الاله. رأى ان والديك آلهة لك أن الاب من هو ربى لا من ولد. ان الكلام فى غير وقته يفسد العمر كله. اذا حضر البخت تمت الامور أن سنن الطبيعة لا يتعلم ان اليد تغسل اليد والاصبع الاصبع وليكن فرحك بما تدخره لنفسك دون ما تدخره لغيرك. يعنى بالمدخر لنفسه العلم والحكمة والمدخر لغيره المال والكرم يحمل ثلاثة عناقيد عنقود الالتذاذ وعنقود الشكر وعنقود الشيم خير أمور العالم الحسى أوساطها وخير أمور العالم

أراد كون كفرهم الذي هو ضد الهدى وقال تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين *

(قال ابو محمد) هذا غاية البيان فى انه تعالى لم يشأ هدى الكفار لكن حق قوله بانهم لابد من ان يكفروا فيكونوا من اهل جهنم وقال تعالى * من يشأ الله يضلله ومن لم يشأ يجعله على صراط مستقيم * فاخبر تعالى انه شاء ان يضل من اضله وشاء ان يهدى من جعله على صراط مستقيم وهم بلاشك غير الذين لم يجعلهم على صراط مستقيم واراد فتنتهم وان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا من اصحاب النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه قال * لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فشهد الخليل عليه السلام ان من لم يهده الله تعالى ضل وصح ان من ضل فلم يهده الله عزوجل ومن لم يهده الله وهو قادر على هداه فقد اراد ضلاله واضلاله ولم يرد هداه وقال تعالى. ولو شاء الله ما اشركوا . فصح يقينا لا اشكال فيه ان الله تعالى شاء ان يشركوا اذ نص على انه لو شاء ان لا يشركوا ما اشركوا وقال تعالى. يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه * وهذا نص على انه تعالى شاء ان يفعلوه اذ أخبر انه لو شاء ان لا يفعلوه ما فعلوه وقال تعالى . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه * فنص تعالى على انه لو لم يشا ان يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ما اوحوه ولو شاء ان لا يلبس بعضهم دين بعض وان لا يقتلوا اولادهم ما لبس عليهم دينهم ولا قتلوا اولادهم فصح ضرورة انه تعالى شاء ان يلبس دين من التبس دينه واراد كون قتلهم اولادهم وان يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالي . ولو شاء الله لسلطهم عليكم . فصح يقينا انه تعالى سلط ايدى الكفار على من قتلوه من الانبياء والصالحين وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء . فنص على انه يريد هدى قوم فيهديهم ويشرح صدورهم للايمان ويريد ضلال آخرين فيضلهم بان يضيق صدورهم ويحرجها فكانهم كلفوا الصعود الي السماء فيكفروا وقال تعالى . واصبر وما صبرك الا بالله . فنص تعالى على ان من صبر فصبره ليس الا بالله فصح ان من صبر فان الله أتاه الصبر ومن لم يصبر فان الله عزوجل لم يؤته الصبر وقال تعالي . ولا تنازعوا . فنهانا عن الاختلاف وقال تعالى . ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . فنص تعالى انه خلقهم للاختلاف الا من رحم الله منهم ولو شاء لم يختلفوا فصح يقينا ان الله خلقهم لما نهاهم عنه من الاختلاف واراد كون الاختلاف منهم وقال عزوجل . تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير * وقال تعالى * بعثنا عليكم عبادا لنا أولى باس شديد فجاسوا اخلال الديار وكان وعدا مفعولا . الى قوله تعالى . وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة . فنص تعالى على انه اغرى الكفار وسلب المؤمنين فى الملك وانه بعث اولئك الذين دخلوا المسجد ودخوله مسخط لله تعالي بلاشك فصح يقينا انه تعالى خلق كل ذلك واراد كونه وقال عزوجل . الم اتر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك . فهذا نص جلى على ان الله اتى ذلك الكافر فصح يقينا ان الله

تعالى

العقلى أفضلها وقيل ان وجود الشعر فى امة اليونان كان قبل الفلسفة وانما أبدعه أوميرس وثاليس كان بعده ثلاثمائة واثنين وثمانين سنة وأول فيلسوف كان منهم فى سنة تسعمائة واحدى وخمسين من وفاة موسى عليه السلام وهذا ما خبر به كورفس فى كتابه وذكر فرفوريوس أن ثاليس ظهر فى سنة ثلاث وعشرين ومائة من ملك بختنصر (حكم بقراط) واضع الطب الذى قال بفضله الاوائل والاواخر كان اكثر حكمته فى الطب وشهرته به فبلغ خبره بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسف وكتب الى فيلاطس ملك قوة وهو بلد من بلاد اليونانيين يأمر بتوجيه بقراط اليه وأمر له بقناطير من الذهب فابي ذلك وتلكأ عن الخروج اليه ضنا بوطنه

تعالى فعل تمليكه وملكه على أهل الايمان ولا خلاف بين احد من الامة فى ان ذلك يسخط الله عز وجل ويغضبه ولا يرضاه وهو نفس الذى انكرته المعتزلة وشنعت به

(قال ابو محمد) ونسالهم عما مضت الدنيا عليه مذ كانت من اولها الى يومنا هذا من النصر النازل على ملوك اهل الشرك والملوك الجورة والظلمة والغلبة المعطاة لهم على من ناوأهم من اهل الاسلام واهل الفضل واحترام من ارادهم بالموت أو باضطراب الكلمة ويانى النصر لهم بوجوه الظفر الذى لاشك فى ان الله تعالى فاعله من أماتة اعدائهم من اهل الفضل وتاييدهم عليهم وهذا مالا مخلص لهم فى ان الله تعالى اراد كونه وقال عز وجل . ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . فنص تعالى نصا جليا لا يحتمل تاويلا على انه كره ان يخرجوا فى الجهاد الذى افترض عليهم الخروج فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كره تعالى كون ما اراد ونص على انه ثبطهم عن الخروج فى الجهاد ثم عذبهم على التثبيط الذى اخبر تعالى انه فعله ونص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا يقين ليس بامر الزام لان الله تعالى لم يامرهم بالقعود عن الجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم بل لعنهم وسخط عليهم اذ قعدوا فاذ لاشك فى هذا فهو ضرورة امر تكوين فصح ان الله تعالى خلق قعودهم المغضب له الموجب لسخطه واذا نص تعالى على امر فلا اعتراض لاحد عليه وقال عز وجل . فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون . وهذا نص جلى على انه عز وجل اراد ان يموتوا وهم كافرون وانه تعالى اراد كفرهم والقاف من تزهق مفتوحة بلا خلاف من احد من القراء معطوفة على ما اراد الله عز وجل من ان يعذبهم بها فى الدنيا والواو تدخل المعطوف فى حكم المعطوف عليه بلا خلاف من احد فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى

(قال أبو محمد) فان قال قائل فان الله عز وجل قال فى الذين قعدوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم . فلهذا ثبطهم قلنا لا عليكم اكانوا مامورين بالخروج معه عليه السلام متوعدين بالنار ان قعدوا لغير عذرام كانو غير مامورين بذلك فاذ لاشك فى انهم كانوا مامورين فقد ثبطهم الله عز وجل عما أمرهم به وعذبهم على ذلك وخلق قعودهم عما أمرهم به ثم نقول لهم اكان تعالى قادرا على ان يكف عن اهل الاسلام خبالهم وفتنتهم لو خرجوا معهم أم لا فان قالوا لم يكن قادرا على ذلك عجزوا ربهم تعالى وان قالوا انه تعالى كان قادرا على ذلك رجعوا الى الحق واقروا ان الله تعالى ثبطهم وكره كون ما افترض عليهم وخلق قعودهم الذى عذبهم عليه ولامهم عليه كما شاء لا معقب لحكمه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) فاذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لا تحتمل تأويلا بانه عز وجل اراد ضلال من ضل وشاء كفر من كفر فقد علمنا ضرورة ان كلام الله تعالى لا يتعارض فلما اخبر عز وجل انه لا يرضى لعباده الكفر فبالضرورة علمنا ان الذى نفى عز وجل هو غير الذى أثبت فاذ لاشك فى ذلك فالذى نفى تعالى هو الرضى بالكفر والذى أثبت هو الارادة لكونه والمشيئة لوجوده وهما معنيان متغايران بنص القرآن وحكم اللغة فان أبت المعتزلة من قبول كلام ربهم وكلام نبيهم صلى الله عليه وسلم وكلام ابراهيم ويوسف وشعيب وسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم وأبت

وقومه وكان لا ياخذ على المعالجة اجرة من الفقراء وأواسط الناس وقد شرط أن ياخذ من الاغنياء أحد ثلاثة أشياء طوقا أو اكليلا أو سوارا من ذهب فمن حكمه ان قال استهينوا بالموت فان مرارته فى خوفه وقيل له اى العيش خير قال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف وقال الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ولكن يحفظها آراء الرجال وتدبير الحكماء وقال يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة متطلعة الى هوائها ونازعة الى غذائها ولما حضرته الوفاة قال خذوا جامع العلم منى من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال لو خلق الانسان من

أيضا من قبول اللغة وما أوجبته البراهين الضرورية مما شهدت به الحواس والعقول من الله تعالى لو لم يرد كون ما هو موجود كائن لمنع منه وقد قال تعالى * الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين * فشهد الله تعالى بتكذيبهم واستعاضته من ذلك باصول المانية ان الحكيم لا يريد كون الظلم ولا يخلقه فلبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولقد لجأ بعضهم الى ان قال ان لله تعالى فى هذه الايات معنى ومرادا لا نعلمه

(قال أبو محمد) وهذا تجاهل ظاهر وراجع لنا عليهم سواء بسواء فى خلق الله تعالى أفعال عباده ثم يعذبهم عليها ولا فرق فكيف وهذا كله لا معنى له بل الايات كلها حق على ظاهرها لا يحل صرفها عنه لان الله تعالى قال * افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها * وقال تعالى * قرآنا عربيا * وقال تعالى * تبيانا لكل شيء * وقال تعالى . اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . وقال تعالى . وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم . فاخبر تعالى ان القرآن تبيان لكل شيء فقالت المعتزلة انه لا يفهمه أحد وانه ليس بيانا نعوذ بالله من مخالفة الله عز وجل ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولا فرق بين ما تلونا من الآيات فى أن الله تعالى شاء كون الكفر والضلال وبين قوله تعالى. قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير . وقوله تعالى . ان الله يفعل مايشاء . وقال تعالى . يجتبي من رسله من يشاء * وقوله * يرزق من يشاء . وقوله تعالى يختص برحمته من يشاء . وقوله تعالى . فعال لما يريد . فهذا العموم جامع لمعانى هذه الآيات ونص القرآن واجماع الامة على أن الله عز وجل حكم بان من حلف فقال ان شاء الله او الا ان يشاء الله على أى شيء حلف فانه ان فعل ما حلف عليه أن لا يفعله فلا حنث عليه ولا كفارة تلزمه لان الله تعالى لو شاء لانفذه وقال عز وجل . ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله .

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله عز وجل وقالوا * لو شاء الرحمن ماعبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون * فلا حجة لهم فى هذه الآية لان الله عز وجل لا يتناقض كلامه بل يصدق بعضه بعضا وقد اخبر تعالى انه لو شاء ان يؤمنوا لآمنوا وانه لو لم يشاء ان يشركوا ما اشركوا وانه شاء اضلالهم وانه لا يريد ان يطهر قلوبهم فمن المحال الممتنع ان يكذب الله عز وجل قوله الذى أخبر به وصدقه فاذا لا شك فى هذا فان فى الآية التى ذكروا بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان وهو أنه لم يقل تعالى انهم كذبوا فى قولهم * لو شاء الرحمن ما عبدناهم * فكان يكون لهم حينئذ فى الآية متعلق وانما اخبر تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم عندهم لكن تخرصا ليس فى هذه الآية معنى غير هذا اصلا وهذا حق وهو قولنا ان الله تعالى لم ينكر قط فيها ولا فى غيرها معنى قولهم لو شاء الرحمن ماعبدناهم بل صدقه فى الايات الاخر وانما انكر عز وجل ان قالوا ذلك بغير علم لكن بالتخرص وقد اكذب الله عز وجل من قال الحق الذى لا حق احق منه اذ قاله غير معتقد له قال عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون *

(قال ابو محمد) فلما قالوا أصدق الكلام وهو الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه رسول غير معتقدين لذلك سماهم الله تعالى كاذبين وهكذا فعل عز وجل فى قولهم لو شاء الرحمن ماعبدناهم

مالهم

طبيعة واحدة لما مرض لانه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض ودخل على عليل فقال له انا وانت والعلة ثلاثة فان اعنتني علىها بالقبول لما تسمع منى صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلبا وسئل مابال الانسان اثور ما يكون بدنه اذا شرب الدواء قال مثل ذلك مثل البيت أكثر مايكون غبارا اذا كنس وحديث ابن الملك اذ عشق جارية من حظايا أبيه فنهك بطنه واشتدت علته فاحضر بقراط فجس نبضه ونظر الى تفسرته فلم ير أثر علة فذاكره حديث العشق فرآه يهش لذلك ويطرب فاستخبر الحال من خاصته فلم يكن عندها خبر وقالت ماخرج قط من الدار فقال بقراط للملك مر رئيس

ماهم بذلك من علم لما قالوا هذا الكلام الذى هو الحق غير عالمين بصحته انكر تعالى عليهم ان يقولوه متخرصين وبرهان هذا قول الله تعالي أثر هذه الاية نفسها * ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون . فبين تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم من كتاب أتاهم وان الذين قالوا معتقدين له انما هو انهم اهتدوا باتباع آثار آبائهم فهذا هو الذى عقدوا عليه وهذا الذى انكر تعالى عليهم لا قولهم لو شاء الرحمن ماعبدناهم فبطل ان يكون لهم فى الاية متعلق اصلا والحمد لله رب العالمين فان اعترضوا بقول الله عزوجل . وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين .

(قال ابو محمد) فان سكتوا ههنا لم يهنهم التمويه وقلنا لهم صلوا القراءة وأتموا معنى الآية فان بعد قوله تعالى فهل على الرسل الى البلاغ المبين متصلا به . ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة .

(قال ابو محمد) فآخر هذه الآية يبين اولها وذلك ان الله تعالى ايضا لم يكذبهم فيما قالوه من ذلك بل حكي عزوجل انهم قالوا . لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه شيء . ولم يكذبهم فى ذلك اصلا بل حكى هذا القول عنهم كما حكي تعالى ايضا قولهم . ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . ولو انكر عزوجل قولهم ذلك لاكذبهم فاذ لم يكذبهم فلقد صدقهم فى ذلك والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) فان اعترضوا بقول الله عزوجل . سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا .

(قال ابو محمد) انما تلونا جميع الآيات على نسقها فى القرآن واتصالها خوف ان يعترضوا بالآية ويسكتوا عند قوله يخرصون فكثيرا ما احتجنا الى بيان مثل هذا من الاقتصار على بعض الآية دون بعضها من تمويه من لا يتقى الله عزوجل

(قال ابو محمد) وهذه الآية من أعظم حجة علي القدرية لانه تعالى لم ينكر عليهم قولهم . ولو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . ولو انكره لكذبهم فيه وانما انكر تعالى قولهم ذلك بغير علم وان وافقوا الصدق والحق كما قدمنا آنفا وقد بين تعالى انه انما انكر عليهم ذلك بقوله عزوجل فى الآية نفسها ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ثم لم يدعنا تعالى فى لبس من ذلك بل واتبع ذلك نسقا واحدا بان قال . فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين . نصدقهم عز وجل فى قولهم انه لو شاء ما اشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا ماحرموا واخبر تعالى انه لو شاء لهداهم فاهتدوا وبين تعالى ان له الحجة عليهم فى ذلك ولا حجة لاحد عليه تعالى وانكر عزوجل ان اخرجوا ذلك فخرج العذر لأنفسهم او فخرج الاحتجاج علي الرسل عليهم السلام كما تفعل المعتزلة ثم بين تعالى انه انما انكر ايضا تكذيبهم رسله

الخصيان بطاعتى فامره بذلك فقال اخرج على النساء فخرجن وبقراط واضع أصبعه علي نبض الفتى فلما خرجت الحظية اضطرب عرقه وطار قلبه وحار طبعه فعلم بقراط انها المعينة لهواه فسار الى الملك فقال ابن الملك قد عشق لمن الوصول اليها اصعب قال الملك ومن ذاك قال هو يحب حليلتى قال انزل عنها ولك عنها بدل فتحازن بقراط وجم وقال هل رأيت أحدا كلف أحد اطلاق أمر أنه لاسيما الملك فى عدله ونصفته يامرني بمفارقة حليلتى ومفارقتها مفارقة روحى قال الملك انى وثرولدى عليك وأعوضك من هو احسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد بالسيف قال بقراط ان الملك لايسمى عدلا حتى

بقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم بالذال المشددة بلا خلاف من القراء ودعواهم ان الله تعالى حرم ماادعوا تحريمه وهم كاذبون بقوله تعالى ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا. فوضح بكل ماذكرنا بطلان قول المعتزلة الجهال وبان صحة قولنا ان الله تعالى شاء كون كل مافى العالم من ايمان وشرك وهدى وضلال وان الله تعالى اراد كون ذلك كله وكيف يمكن ان ينكر تعالى قولهم لوشاء الله ما اشركنا وقد اخبرنا عز وجل بهذا نصافى قوله فى السورة نفسها * اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا * فلاح يقينا صدق ما قلنا من انه تعالى لم يكذبهم في قولهم لوشاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء وهذا مثل ما ذكره الله تعالى من قولهم * انطعم من لو يشاء الله اطعمه * فلم يورد الله عز وجل قولهم هذا تكذيبا بل صدقوا فى ذلك بلا شك ولو شاء الله لأطعم الفقراء والمجاويع وما ارى المعتزلة تنكر هذا وانما اورد الله تعالى قولهم هذا لاحتجاجهم به فى الامتناع من الصدقة واطعام الجائع وبهذا نفسه احتجت المعتزلة على ربها اذ قالت يكلفنا مالا يقدرنا عليه ثم يعذبنا بعد ذلك على ما اراد كونه منا فسلكوا مسلك القائلين لم كلفنا الله عز وجل اطعام هذا الجائع ولو اراد اطعامه لاطعمه (قال ابو محمد) تبا لمن عارض أمر ربه تعالى واحتج عليه بل لله الحجة البالغة ولوشاء لأطعم من الزمنا اطعامه ولوشاء لهدى الكافرين فآمنوا ولكنه تعالى لم يرد ذلك بل أراد ان يعذب من لا يطعم المسكين ومن أضله من الكافرين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وحسبنا الله ونعم الوكيل وقالت المعتزلة معنى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولآمن من فى الارض وسائر الايات التى تلوتهم انما هو لو شاء عز وجل لاضطرهم الى الايمان فآمنوا مضطرين فكانوا لا يستحقون الجزاء بالجنة

(قال أبو محمد) وهذا تاويل جمعوا فيه بلايا جمة اولها انه قول بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو ساقط ويقال لهم ما صفة الايمان الضروري الذى لا يستحق عليه الثواب عندكم وما صفة الايمان غير الضروري الذى يستحق به الثواب عندكم فانهم لا يقدرون على فرق أصلا الا ان يقولوا هو مثل ما قال الله عز وجل اذ يقول تعالى * يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا * ومثل قوله تعالى * ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون * ومثل حالة المحتضر عند المعاينة التى لا يقبل فيها ايمانه وكما قيل لفرعون * آلآن وقد عصيت قبل *

(قال أبو محمد) فيقال لهم كل هذه الآيات حق وقد شاهدت الملائكة تلك الآيات وتلك الاحوال ولم يبطل بذلك قبول ايمانهم فهلا على اصولكم صار ايمانهم ايمان اضطرار لا يستحقون عليه جزاء فى الجنة ام صار جزاؤهم عليه أفضل من جزاء كل مؤمن دونهم وهذا لا مخلص لهم منه اصلا ثم نقول لهم اخبرونا عن ايمان المؤمنين اذ صح عندهم صدق النبى بمشاهدة المعجزات من شق القمر واطعام النفر الكثير من الطعام اليسير ونبعان الماء الغزير من بين الاصابع وشق البحر واحياء الموتى واوضح كل ذلك بنقل التواتر الذى به صح ماكان قبلنا من الوقائع والملوك وغير ذلك مما يصير فيه من بلغه كمن شاهده ولا

فرق

ينصف من نفسه ماينتصف من غيره أرأيت لوكانت العشيقة حظية الملك قال يابقراط عقلك أتم من معرفتك فنزل عنها لابنه وبريء الفتى وقال بقراط إن تاكل ماتستمريء ومالا تستمريء فانه ياكلك وقيل لبقراط لم ثقل الميت قال لانه كان اثنين احدهما خفيف رافع والآخر ثقيل واضع فلما انصرف أحدهما وهو الخفيف الرافع ثقل الثقيل الواضع وقال الجسد يعالج جملة على خمسة اضرب مافى الرأس بالغرغرة ومافى المعدة بالقيء ومافى البدن باسهال البطن وما بين الجلدتين بالعرق ومافى العمق وداخل العروق بارسال الدم وقال الصفراء بيتها المرارة وسلطانها فى الكبد والبلغم بيته المعدة وسلطانه في الصدر والسوداء بيتها

فرق فى صحة اليقين لكونه هل ايمانهم الا ايمان يقين قد صح عندهم وانه حق ولم يتخالجهم فيه شك فان علمهم به كعلمهم ان ثلاثة أكثر من اثنين وكعلمهم ماشاهدوه بحواسهم فى انه كله حق وعلموه ضرورة ام ايمانهم ذلك ليس يقينا مقطوعا بصحة ما آمنوا به عنده كقطعهم على صحة ما علموه بحواسهم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا بل هو الان يقين قد صح علمهم بانه حق لا مدخل للشك فيه عندهم كتيقنهم صحة ما علموه بمشاهدة حواسهم قلنا لهم نعم هذا هو الايمان الاضطرارى بعينه والا ففرقوا وهذا الذى موهتم بانه لا يستحق عليه من الجزاء كالذى يستحق على غيره وبكل تمويهكم بحمد الله تعالى اذ قلتم ان معنى قوله تعالى * لجمعهم على الهدى ولآمن من فى الارض * انه كان يضطرهم الى الايمان فان قالوا بل ليس ايمان المؤمنين هكذا ولاعلمهم بصحة التوحيد والنبوة على يقين وضرورة قيل لهم قد اوجبتم ان المؤمنين على شك فى ايمانهم وعلى عدم يقين فى اعتقادهم وليس هذا ايمانا بل كفر مجرد ممن كان دينه هكذا فان كان هذا صفة ايمان المعتزلة فهم اعلم بانفسهم واما نحن فايماننا ولله الحمد ايمان ضرورى لا مدخل للشك فيه كعلمنا ان ثلاثة أكثر من اثنين وان كل بناء فبنى وكل من اتي بمعجزة فمحق فى نبوته ولا نبالى إن كان ابتداء علمنا استدلالا ام مدركا بالحواس اذ كانت نتيجة كل ذلك سواء فى تيقن صحة الشيء المعتقد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم عن الذين يرون بعض آيات ربنا يوم لا ينفع نفسا ايمانها الكان الله تعالى قادرا على ان ينفعهم بذلك الايمان ويجزيهم عليه جزاءه لسائر المؤمنين ام هو تعالى غير قادر على ذلك فان قالوا بل هو قادر على ذلك رجعوا الى الحق والتسليم لله عزوجل وانه تعالى منع من شاء واعطى من شاء وانه تعالى ابطل ايمان بعض من آمن عند رؤية آية من آياته ولم يبطل ايمان من آمن عند رؤية آية اخرى وكلها سواء فى باب الاعجاز وهذا هو المحاباة والمحضة والجور البين عند المعتزلة فان عجزوا ربهم تعالى عن ذلك احالوا وكفروا وجعلوه تعالى مضطرا مطبوعا محكوما عليه تعالى الله عن ذلك (قال ابو محمد) وقد قال عزوجل * فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين * فهؤلاء قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فقبل الله عزوجل منهم ايمانهم وآمن فرعون وسائر الامم المعذبة لما رأوا العذاب فلم يقبل الله عز وجل منهم ففعل الله تعالى ماشاء لا معقب لحكمه فظهر فساد قولهم فى ان الايمان الاضطرارى لا يستحق عليه جزاء جملة وصح ان الله تعالى يقبل ايمان من شاء ولا يقبل ايمان من شاء ولا مزيد ثم يقال لهم وبالله تعالى التوفيق هبكم لو صح لكم هذا الباطل الغث الذى هديتم به من ان معنى قوله تعالى * لجمعهم على الهدى انما هو لاضطرهم الى الايمان فاخبرونا لو كان ذلك فاى ضرر كان يكون فى ذلك على الناس والجن بل كان يكون فى ذلك الخير كله وماذا ضر الاطفال اذ لم يكن لهم ايمان اختيارى كما تزعمون وقد حصلوا على أفضل المواهب من السلامة من النار بالجملة ومن هول المطلع وصعوبة الحساب وفظاعة تلك المواقف كلها ودخل الجنة جميعهم بسلام آمنين منعمين لم يروا فزعا رآه غيرهم وأيضا فان دعواهم هذه التى كذبوا فيها على الله عزوجل اذ وصفوا عن مراد الله تعالى مالم يقله تعالى فقد خالفوا فيها القرآن واللغة لان اسم الهدى والايمان لا يقعان البتة على معنى غير المعنى المعهود فى القرآن واللغة وهما طاعات الله عزوجل والعمل بها والقول بها والتصديق بجميعها الموجب كل ذلك بنص القرآن رضى الله عزوجل وجنته ولا يسمى الجماد والحيوان غير الناطق ولا المجنون ولا الطفل

الطحال وسلطانها فى القلب والدم بيته القلب وسلطانه فى الرأس وقال لتلميذ له ليكن أفضل وسيلتك الى الناس محبتك لهم والتفقد لامورهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف اليهم ويحكى عن بقراط قوله المعروف العمر قصير والصناعة طويلة والزمان جديد والتجربة خطر والقضاء عسر وقال لتلاميذه اقسموا الليل والنهار ثلاثة أقسام فاطلبوا فى القسم الاول العقل الفاضل واعملوا فى القسم الثانى بما أحرزتم من ذلك العقل ثم عاملوا فى القسم الثالث من لا عقل له وانهزموا من الشر ما استطعتم وكان له ابن لا يقبل الادب فقالت امرأته أن إبنك هو منك فادبه فقال لها هو منى طبعا ومن غيري نفسا فما اصنع به وقال ما كان كثيرا فهو مضادا للطبيعة فليكن الاطعمة والاشربة والنوم والجماعة والتعب قصدا وقال ان محبة البدن اذا

مؤمنا ولا مهتديا الا على معنى جرى احكام الايمان على المجنون والطفل خاصة وبرهان ما قلنا قول الله تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين . فصح أن الهدى الذي لو أراد الله تعالى جمع الناس عليه هو المنقذ من النار والذي لا يملا جهنم من أهله وكذلك قوله تعالى . وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله . فصح ان الايمان جملة شيء واحد وهو المنقذ من النار الموجب للجنة وأيضا فان الله عز وجل يقول * من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . ويقول . انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . ويقول تعالى . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء . فهذه الآيات مبنية على ان الهدى المذكور هو الاختياري عند المعتزلة لانه تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم . ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وقال تعالى . لا اكراه في الدين . فصح يقينا ان الله تعالى لم يرد قط بقوله لجمعهم على الهدى ولآمن من في الارض ايمانا فيه اكراه فبطل هذرهم والحمد لله رب العالمين فان قالوا لنا فاذا أراد الله تعالى كون الكفر والضلال فاريدوا ما أراد الله تعالى من ذلك قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ليس لنا ان نفعل مالم نؤمر به ولا يحل لنا ان نريد مالم يامرنا الله تعالى بارادته وانما علينا ما امرنا به فنكره ما أمرنا بكراهيته ونحب ما أمرنا بمحبته ونريد ما أمرنا بارادته ثم نسالهم هل أراد الله تعالى امراض النبي ﷺ اذ أمرضه وموته صلى الله عليه وسلم اذ أماته وموت ابراهيم ابنه اذ أماته أو لم يرد الله شيئا من ذلك فلابد من ان الله تعالى أراد كون كل ذلك فيلزم ان يريدوا موت النبي صلى الله عليه وسلم ومرضه وموت ابنه ابراهيم لان الله تعالى أراد كل ذلك فان اجابوا الى ذلك ألحدوا بلا خلاف وعصوا الله ورسوله وان أبوا من ذلك بطل ما أرادوا الزامنا اياه الا انه لازم لهم على أصولهم الفاسدة لا لنا لانهم صححوا هذه المسالة ونحن لم نصححها ومن صحح شيئا لزمه ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق لسنا ننكر في حال ما ايباح لنا فيه ارادة الكفر من بعض الناس فقد أثنى الله عز وجل على ابن آدم في قوله لاخيه . اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فهذا ابن آدم الفاضل قد أراد ان يكون أخوه من أصحاب النار وان يبوء باثمه مع اثم نفسه وقد صوب الله عز وجل قول موسى وهارون عليهما السلام . ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم . قال قد اجيبت دعوتكما . فهذا موسى وهارون عليهما السلام قد ارادا وأحبا ان لا يؤمن فرعون وان يموت كافرا الى النار وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا على عتبة بن ابي وقاص ان يموت كافرا الى النار فكان كذلك

(قال ابو محمد) واصدق الله عز وجل أنا عن نفسي التي هو اعلم بما فيها مني ان الله تعالى يعلم أني لاسر بموت عقبة بن ابي معيط كافرا وكذلك أمر ابي لهب لاذاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتتم كلمة العذاب عليهما وان المرء ليسر بموت من استباغ في اذاه ظلما بان يموت على اقبح طريقة وقد روينا هذا عن بعض الصالحين في بعض الظلمة ولا حرج على من ائتسى بمحمد وبموسى وبافضل ابني آدم صلى الله عليه وسلم وليت شعري أي فرق بين لعن الكافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب في النار وبين الدعاء عليه بان يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الامرين وحسبنا الله ونعم الوكيل وقال عز وجل * ولو شاء الله

كان في الغاية كان أشد خطرا وقال إن الطب هو حفظ الصحة بما يوافق الاصحاء ودفع المرض بما يضاده وقال من سقى السم من الاطباء والقى الجنين ومنع الحبل واجترأ على المريض فليس من شيعتي وله ايمان معروفة على هذه الشرائط وكتبه كثيرة في الطب وقال في الطبيعة انها القوة التي تدبر جسم الانسان فتصوره من النطفة الى تمام الخلقة خدمة للنفس في اتمام هيكلها ولايزال هو المدبر له غذاء من الثدي وبعده مما به قوامه من الاغذية ولها ثلاث قوى المولدة والمربية والحافظة ويخدم الثلاث أربع قوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة (حكم ديمقراطيس) وكان من الحكماء المعتبرين في زمان بهمن بن اسفنديار وهو وبقراط كانا في زمان واحد قبل أفلاطون وله آراء في الفلسفة وخصوصا في مبادىء الكون والفساد وكان أرطوطاليس يؤثر

لسلطهم عليكم * وقال تعالى * وما النصر الا من عند الله * وقال تعالى * اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقال تعالى * هو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة * فصح يقينا ان الله تعالى سلط الكفار على من سلطهم عليهم من الانبياء وعلى اهل بئر معونة ويوم احد ونصرهم املاء لهم وابتلاء للمؤمنين والافيقال لمن انكر هذا اتراه تعالى كان عاجزا عن منعهم فان قالوا نعم كفروا وناقضوا لان الله تعالى قد نص على انه كف ايدى الكفار عن المؤمنين اذ شاء وسلط ايديهم على المؤمنين ولم يكفها اذ شاء

(قال ابو محمد) وقال بعض شيوخ المعتزلة ان اسلام الله تعالى من أسلم من الانبياء الى اعدائه فقتلوهم وجرحوهم واسلام من اسلم من الصبيان الى اعدائه يخضونهم ويغلبونهم على انفسهم بركوب الفاحشة اذا كان ليعوضهم أفضل الثواب فليس خذلانا فقلنا دعونا من لفظة الخذلان فلسنا نجيزها الا ان الله تعالى لم يذكرها في هذا الباب لكنا نقول لكم اذا كان قتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اعظم مايكون من الكفر والظلم وكان الله عز وجل بقولكم قد اسلم انبياءه صلوات الله عليهم الى اعدائهم ليعوضهم اجل عوض فقد اقررتم بزعمكم أن الله عز وجل اراد اسلامهم الى اعدائهم واذا أراد الله عز وجل ذلك باقراركم فقد أراد باقراركم كون اعظم مايكون من الكفر وشاء وقوع اعظم الضلال ورضى ذلك لانبيائه عليهم السلام على الوجه الذى تقولون كائنا ما كان وهذا مالا مخلص لهم منه وأيضا فنقول لهذا القائل إذا كان اسلام الانبياء الى اعداء الله عز وجل يقتلونهم ليس ظلما وعبثا على توجيهكم المناقض لاصولكم في انه أدى الى أجزل الجزاء فليس خذلانا وكذلك اسلام المسلم الى عدوه يخضه ويرتكب فيه الفاحشة فهو على اصولكم خير وعدل فيلزمكم ان تتمنوا ذلك وان تسروا بما نيل من الانبياء عليهم السلام في ذلك وان تدعوا فيه الى الله تعالى وهذا خلاف قولكم وخلاف اجماع اهل الاسلام وهذا مالا مخلص لهم منه ولا يلزمنا نحن ذلك لاننا لا نسر الا بما أمرنا الله تعالى بالسرور به ولا نتمنى الا ماقد اباح لنا تعالى ان ندعوه فيه وكل فعله عز وجل وان كان عدلا منه وخيرا فقد افترض تعالى علينا ان ننكر من ذلك ماسماه من غيره ظلما وان نبرأ منه ولا نتمناه لمسلم فانما نتبع ماجاءت به النصوص فقط وبالله تعالى التوفيق وقال قائل من المعتزلة اذا حملتم قوله تعالى * والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى * فما يدريكم لعله عليكم عمى

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى قد نص على انه لايكون عمى الا على الذين لايؤمنون ونحن مؤمنون ولله تعالى الحمد فقد أمنا ذلك وقد ذم الله تعالى قوما حملوا القرآن على غير ظاهره فقال تعالى * يحرفون الكلم عن مواضعه * فهذه صفتكم على الحقيقة الموجودة فيكم حسا فمن حمل القرآن على ماخوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن له هدى وشفاء ومن بدل كلمه عن مواضعه وادعى فيه دعاوي برأيه وكهانات بطنه واسرارا واعرض عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم المبين عن الله تعالى بامره ومال الى قول المنانية فهو الذى عليه القرآن عمى وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ومن نوادر المعتزلة وعظيم جهلها وحماقتها واقدامها انهم قالوا ان الشهادة

قوله على قول أستاذه افلاطون الالهى وما أنصف قال ديمقراطيس ان الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالاصباغ ولكن الجمال الباطن لايشبه به الا من هو له بالحقيقة وهو مخترعة ومنشأة وقال ليس ينبغي أن تعد نفسك من الناس مادام الغيظ يفسد رأيك ويتبع شهوتك وقال ليس ينبغي أن تمتحن الناس في وقت ذلتهم بل في وقت عزتهم وتملكهم وكما أن الكير يمتحن به الذهب كذلك الملك يمتحن به الانسان فيتبين خيره من شره وقال ينبغي أن تأخذ في العلوم بعد أن تنقى نفسك عن العيوب وتعودها الفضائل فانك ان لم تفعل هذا لم تنتفع بشيء من العلوم وقال من أعطى أخاه المال فقد أعطاه خزائنه ومن أعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه وقال لاينبغي أن تعد النفع الذى فيه الضرر العظيم نفعا ولا الضرر

التي غبط الله تعالى بها الشهداء واوجب لهم بها افضل الجزاء وتمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وفضلاء المسلمين ليس هي قتل الكافر للمؤمن ولا قتل الظالم للمسلم البرئ

(قال ابو محمد) وجنون المعتزلة وجهلهم وإهذارهم ووساوسهم لاقياس عليها وحق لمن استغنى عن الله عزوجل وقال انه يقدر على مالا يقدر عليه ربه تعالى وقال ان عقله كعقول الانبياء عليهم السلام سواء بسواء ان يخذله الله عزوجل مثل هذا الخذلان نعوذ بالله من خذلانه ونسئله العصمة فلا عاصم سواه أما سمعوا قول الله عز وجل * ان اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا * وقوله تعالى * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء * ثم انهم فسروا الشهادة بمقولهم فقالوا انما الشهادة الصبر علي الجراح المؤدية الى القتل والعزم على التقدم الى الحرب

(قال ابو محمد) وفي هذا الكلام من الجنون ثلاثة اضرب احدها انه كلام مبتدع لم يقبله احد قبل متاخريهم المنساخين من الخير جملة والثاني انه لو وضح ما ذكروا لكانت الشهادة في الحياة لا بالموت لان الصبر على الجراح والعزم علي التقدم لا يكونان الا في الحياة والشهادة في سبيل الله لا تكون بنص القرآن وصحيح الاخبار واجماع الامة الا بالقتل والثالث ان الذي منه هربوا فيه وقعوا بعينه وهو ان الشهاده التي تمنى المسلمون بها ان كانت العزم علي التقدم الى الحرب والصبر على الجراح المودية الى القتل فقد حصل تمنى قتل الكفار المسلمين وتمنى ان يجرحوا المسلمين جراحا تؤدى الى القتل وتمنى ثبات الكفار علي الكفر حتى يجرحوا اهل الاسلام جراحا قاتلة وحرب الكفار للمسلمين وثباتهم لهم وجراحهم اياهم معاص وكفر بلاشك فقد حصلوا على تمنى المعاصى وهو الذى به شنعوا وبالله تعالى التوفيق فبطل كل ماشنعت به المعتزلة والحمد لله رب العالمين

(الكلام في اللطف والاصلح)

(قال ابو محمد) وضل جمهور المعتزلة في فصل من القدر ضلالا بعيدا فقالوا باجمعهم حاشا ضرار بن عمرو وحفصا الفرد وبشر بن المعتمر ويسيرا ممن اتبعهم انه ليس عند الله تعالى شيء اصلح مما اعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم ولا عنده هدى اهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن هدا مستويا وانه ليس يقدر على شيء هو اصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين ثم اختلف هؤلاء فقال جمهورهم انه تعالى قادر علي امثال ما فعل من الصلاح بلا نهاية وقال الاقل منهم وهم عباد ومن وافقه هذا باطل لانه لا يجوز ان يترك الله تعالى شيئا يقدر عليه من الصلاح من اجل فعله لصلاح ما وحجتهم في هذا الكفر الذى أتوا به انه لو كان عنده أصلح أو أفضل مما فعل بالناس ومنعهم اياه لكان بخيلا ظالما لهم ولو أعطى شيئا من فضله بعض الناس دون بعض لكان محابيا ظالما والمحاباة جور ولو كان عنده ما يؤمن به الكفار اذا أعطاهم اياه ثم منعهم اياه لكان ظالما لهم غاية الظلم قالوا وقد علمنا ان انسانا لو ملك اموالا عظيمة تفضل عنه ولا يحتاج اليها فقصده جار فقير له تحل له الصدقة فساله درهما يحيى به نفسه وهو يعلم فقره اليه ويعلم انه يتدارك به رمقه فمنعه لا لمعنى فانه بخيل قالوا فلو علم انه اذا أعطاه الدرهم سهلت عليه افعال كلفه اياها فمنعه من ذلك لكان بخيلا ظالما فلو علم انه لا يصل الى

الذي فيه النفع العظيم ضررا ولا الحياة التي لا تحمد أن تعد حياة وقال مثل من قنع بالاسم كمثل من قنع عن الطعام بالرائحة وقال عالم معاند خير من جاهل منصف وقال ثمرة العزة التواني وثمرة التوانى الشقاء وثمرة الشقاء ظهور البطالة وثمرة البطالة السفه والعنت والندامة والحزن وقال يجب على الانسان أن يطهر قلبه من المكر والخديعة كما يطهر بدنه من أنواع الخبث وقال لا تطمع أحدا أن يطا عقبك اليوم فيطاؤك غدا وقال لا تكن حلوا جدا لئلا تبلغ ولا مرا جدا لئلا تلفظ وقال ذنب الكلب يكسب له الطعام وفمه يكسب الضرب وكان بأثينية نقاش غير حاذق فاتى ديمقراطيس وقال جصص بيتك فاصوره قال صوره أولا حتى أجصصه وقال مثل العلم مع من لا يقبل وان قبل لا يعلم كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوى به وقيل له

ماكلفه الابذلك الدرم فنعه لكان بخيلا ظالما سفيها فهذا كل مااحتجوا به لاحجة لهم غير هذه البتة وذهب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وبشر بن المعتمر ومن وافقهم وهم قليل منهم الي ان عندالله عزوجل الطافاكثيرة لانهاية لهالو اعطاها الكفار لآمنوا ايمانااختياريا يستحقون به الثواب بالجنة وقد أشار الى نحو هذاولم يحققه ابو علي الجبائي وابنه ابوهاشم وكان بشر بن المعتمر يكفر من قال بالاصلح والمعتزلة اليوم تدعي ان بشرا تاب عن القول باللطف ورجع الى القول بالاصلح

(قال ابو محمد) وحجة هؤلاء انه تعالى قد فعل بهم مايؤمنون عنده لو شاؤا فليس لهم عليه غير ذلك ولا يلزمه اكثر من ذلك فعارضهم اصحاب الاصلح بان قالوا ان الاختيار هو مايمكن فعله ويمكن تركه فلوكان الكفار عند اتيان الله تعالى بتلك الالطاف يختارون الايمان لامكن ان يفعلوه وان لا يفعلوه ايضا فعادت الحال الى ماهي عليه الان يقولوا أنهم كانوا يؤمنون ولا بد فهذا اضطرار من الله تعالى لهم الى الايمان لا اختيار قالو ونحن لا ننكر هذا بل الله تعالى قادر علي ان يضطرهم الى الايمان كما قال تعالى *يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل* قالوا فالذى فعل تعالى بهم أفضل وأصلح

(قال ابو محمد) هذا الازم لمن لم يقل ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لزوما لا ينفكون عنه وأما نحن فلا يلزمنا وانما سألناهم هل الله تعالى قادر علي ان ياتي الكفار بالطاف يكون منهم الايمان عندها باختيار ولابد ويثيبهم علي ذلك أتم ثواب يثيبه عبدا من عباده أم لا فقالوا الا

(قال ابو محمد) كأن أصحاب الأصلح غيب عن العالم أو كأنهم اذا حضروا فيه سلبت عقولهم وطمست حواسهم وصدق الله فقد نبه على مثل هذا اذ يقول تعالى * لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها * أترى هؤلاء القوم ماشاهدوا أن الله عزوجل منع الاموال قوما واعطاها آخرين ونبأ قوما وأرسلهم الى عباده وخلق قوما آخرين في أقاصي أرض الزنج يعبدون الاوثان وأمات قوما من أوليائه ومن أعدائه عطشا وعنده مجادح السموات وسقى آخرين الماء العذب أماهذه محاباة ظاهرة فان قالوا ان كل مافعل من ذلك فهو أصلح بمن فعله به سالناهم عن أماتته تعالى الكفار وهم يصيرون الى النار وأعطائه تعالى قوما مالا ورياسة فبطروا وهلكوا وكانوا مع القلة والخمول صالحين وأفقر أقواما فسرقوا وقتلوا كانوا في حال الغنى صالحين وأصح أقواما وجمل صورهم فكان ذلك سببا لكون المعاصي منهم وتركوها إذأسنوا وأمرض أقواما فتركوا الصلاة عمدا وضجروا وثربوا وتكلموا بما هو الكفر اوقريب منه وكانوا في صحتهم شاكرين لله يصلون ويصومون أهذا الذى فعل الله بهم كان اصلح لهم فان قالوا نعم كابروا المحسوس وان قالوا لو عاشوا لازدادوا قلنالهم فاما كان أصلح لهم ان يخترمهم الله عز وجل قبل البلوغ أو أن يطيل اعمارهم في الكفر ويملكهم الجيوش فيهلكوا بها أرض الاسلام ويقوي اجسادهم واذهانهم فيضل بهم جماعة كما فعل لسعيد الفيومي اليهودى وأباريطا اليعقوبي النصراني والمحققين بالكلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية اما كان أصلح لهم ولمن ضل منهم ان يميتهم صغارا

(قال ابو محمد) فانقطعوا فلجأ بعضهم الى أن قال لعله قدسبق في علم الله تعالى أنه لو أماتهم صغارا لكفر خلق من المؤمنين

لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم وضع يده على شفتيه قيل له لا تعلم قال لا أقدر انما أراد به أن البواطن لا تندرج تحت الاختيار فاشار الى ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الانسان مضطر الحدوث كان معزول الولاية عن قلبه وهو بقلبه أكثر منه بسائر جوارحه فلهذا لم يستطع أن يتصرف في أصله لاستحالة أن يكون فاعل أصله ولهذا الكلام شرح آخر وهو انه أراد التمييز بين العقل والحس فان الادراك العقلي لا يتصور الانفكاك عنه واذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والاعراض عنه بخلاف الادراك الحسي وهذا يدل على ان العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من حيز البدن وقد قيل أن الاختيار في الانسان مركب من انفعالين أحدهما انفعال نقيصة والثاني انفعال تكامل وهو الى الانفعال

(قال أبو محمد) وفي هذا الجواب من السخافة وجوه جمة أولها انه دعوى بلا دليل والثاني انهم لا ينفكون به مما الزمناهم ونقول لهم كان الله عز وجل قادرا على ان يميتهم ولا يوجب موتهم كفر احد فان قالوا لا عجزوا ربهم تعالى وان قالوا بل كان قادرا على ذلك ألزموه الجور والظلم على أصولهم ولا بد من احد الامرين والثالث انه ما يسمع في العالم اسخف من قول من قال ان انسانا ، تومنا يكفر من أجل صغير مات فهذا أمر ما شوهد قط في العالم ولا توهم ولا يدخل في الامكان ولا في العقل وكم طفل يموت كل يوم مذ خلق الله تعالى الدنيا الى يوم القيامة فهل كفر احد قط من اجل موت ذلك الطفل وانما عهدنا الناس يكفرون عند ما يقع لهم من الغضب الذي يخلقه الله عز وجل في طبائعهم وبالعصبية التي أتام الله عز وجل اسبابها وبالملك الذي أتام الله اياه اذا عارضهم فيه عارض والرابع انه ليس في الجور ولا في العبث ولا في الظلم ولا في المحاباة أعظم من أن يبقى طفلا حتى يكفر فيستحق الخلود في النار ولا يميته طفلا فينجو من النار من أجل صلاح قوم لولا كفر هذا المنحوس لكفر أولئك وما في الظلم والمحاباة اقبح من هذا وهل هذا الا كمن وقف انسانا للقتل فاخذه وآخر من عرض الطريق فقتله مكانه فظهر فساد هذا القول السخيف الملعون

(قال ابو محمد) وقال بعضهم قد يخرج من صلبه مؤمنون

(قال أبو محمد) وقد يموت الكافر عن غير عقب وقد يلد الكافر كفارا اضر على الاسلام منه ومع هذا فكل ما ذكرنا يلزم ايضا في هذا الجواب السخيف وايضا فقد يخرج من صلب المؤمن كافر طاغ وظالم باغ يفسد الحرث والنسل ويثير الظلم ويميت الحق ويؤسس القتالات والمنكرات حتى يضل بها خلق كثير حتى يظنوا انها حق وسنة فاي وجه لخلق هؤلاء على اصول المعتزلة الضلال ثم واي معنى واي صلاح في خلق ابليس ومردة الشياطين واعطائهم القوة على اضلال الناس من الحكمة المعهودة بيننا وبالضرورة نعلم ان من نصب المصايد للناس في الطرقات وطرح الشوك في ممشاهم فانه عائث سفيه فيما بيننا والله تعالى خلق كل ما ذكرنا باقرارهم وهو الحكيم العليم ثم وجدناه تعالى قد شهد للذين بايعوا تحت الشجرة بانه علم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم ثم أمات منهم من ولي منهم أمور المسلمين سريعا وهن وقوى بعضهم وملك عليهم زيادا والحجاج وبغاة الخوارج فاي مصلحة في هذا للحجاج ولقطري او لسائر المسلمين لو عقلت المعتزلة ولكن الحق هو قولنا وهو ان كل ذلك عدل من الله وحق وحكمة وهلاك ودمار واضلال للحجاج المسلط ولقطري ونظائرهما اراد الله تعالى بذلك هلاكهم في الاخرة ونعوذ بالله من الخذلان ثم نسألهم ماذا تقولون اذا أمر الله عز وجل بجلد الحرة في الزنا مائة وبجلد الامة نصف ذلك أليس هذا محاباة للامة واذ خول الله عز وجل قوما اموالا جمة فعاثوا فيها وحرم آخرين اما هذا عين المحاباة والجور على اصلهم الفاسد فيمن منع جاره الفقير الا ان يطردوا قولهم فيصيروا الى قول من ذكر ان الواجب يواسي الناس في الاموال والنساء على السواء وبالجملة فان القوم يدعون نفي التشبيه ويكفرون من شبه الله تعالى بخلقه ثم لا نعلم أحدا أشد تشبيها لله تعالى بخلقه منهم فيلزمونه الحكم ويجرون عليه الامر والنهي ويشبهونه بخلقه تعالى فيما يحسن منه ويقبح ثم نقضوا اصولهم اذ من قولهم ان ما صلح بيننا بوجه من الوجوه فلسنا نعبده عن الباري تعالى ونحن نجد فيما بيننا من يحابي

احد

الاول أميل بحكم الطبيعة والمزاج والآخر ضعيف فيه الا اذا وصل اليه مدد من جهة العقل والتمييز والنطق فينشيء الرأي الثاقب ويحدث الحزم الصائب فيحب الحق ويكره الباطل فمتى وقف هذا المدد من القوة الاختيارية كانت الغلبة للانفعال الآخر ولولا تركب الاختيار عن هذين الانفعالين وانقسامه الى هذين الوجهين لتأتى للانسان جميع ما يقصده بالاختيار بلا مهلة ولا ترجح ولا هنية ولا ترنح ولا استشارة ولا استخارة وهذا الرأي الذي رآه هذا الحكيم لم أجد أحدا أبدله ولا عثر عليه أو حكم به وأومى اليه (حكم أوقليدس) وهو أول من تكلم في الرياضات وأفرده علما نافعا في العلوم منقحا للخاطر ملقحا للفكر وكتابه معروف باسمه وذلك حكمته وقد وجدنا له حكما متفرقة فأوردناها على سوق مرامنا وطرد كلامنا فمن ذلك

أحد عبيده على الآخر فيجعل احدهم مشرفا على ماله وعياله وحاضنا لولده ويرتضيه لذلك من صغره بان يعلمه الكتاب والحساب ويجعل الآخر رائضا لدابته وجامعا الزبل لبستانه ومنقيا لحشه ويرتضيه لذلك من صغره وكذلك الاماء فيجعل احداهن محل ازاره ومطلبا لولده ويجعل الثانية خادما لهذه في الطبخ والغسل وهذا عدل باجماع المسلمين كلهم فلم انكروا ان يحابي الباري عزوجل من شاء من عباده بما احب من التفضيل ووجدوا في الشاهد من يعطي المحاويج من ماله فيعطي أحدهم ما يغنيه ويخرجه عن الفقر وذلك نحو الف دينار ثم يعطي آخر مثله ألف دينار ويزيده ألف دينار فانه وان حابى فحسن غير ملوم فلم منعوا ربهم من ذلك وجوره اذا فعله وهو تعالى بلا شك اتم ملكا لكل ما في العالم من احدنا لما خوله عز وجل من الاملاك ونقضوا أصلهم في ان ما حسن في الشاهد بوجه من الوجوه لم يمنعوا وقوعه من الباري عزوجل ووجدوا في الشاهد من يدخر اموالا عظيمة فيؤدي جميع الحقوق اللازمة له حتى لا يبقى بحضرته محتاج ثم يمنع سائر ذلك فلا يسمى بخيلا فلأي شيء منعوا ربهم عزوجل من مثل ذلك وجوروه وبخلوه اذا لم يعط أفضل ما عنده وهذا كله بين لا اشكال فيه

(قال ابو محمد) ونسالهم عن قول لهم عجيب وهو انهم اجازوا ان يخلق الله عز وجل أضعف الاشياء ثم لا يكون قادرا على اضعف منه فهكذا هو قادر فاعل اصلح الاشياء ثم لا يكون قادرا على اصلح منه وعلى اصغر الاشياء وهو الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقدر على اصغر منه

(قال ابو محمد) هذا ايجاب منهم لتناهي قدرة الله عزوجل وتعجيز له تعالى وايجاب لحدوثه وابطال الهيته اذ التناهي في القوة صفة المحدث المخلوق لا صفة الخالق الذي لم يزل وهذا خلاف القرآن واجماع المسلمين وتشبيه الله تعالى بخلقه في تناهي قدرتهم

(قال ابو محمد) ولكنه لازم لكل من قال بالجزء الذي لا يتجزأ وبالقياس لزوما صحيحا لا انفكاك لهم منه ونعوذ بالله من هذه المقالات المهلكة بل نقول ان الله تعالى كل ما خلق شيئا صغيرا أو ضعيفا أو كبيرا او قويا او مصلحة فانه ابدا بلا نهاية قادر على خلق أصغر منه واضعف وأقوى وأصلح

(قال ابو محمد) ونسالهم ايقدر الله تعالى على ما لو فعله لكفر الناس كلهم فان قالوا لا لحقوا بعلي الاسواري وهم لا يقولون بهذا ولو قالوه لاكذبهم الله تعالى اذ يقول * ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض * وبقوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة * وان قالوا نعم هو قادر على ذلك قلنا لهم فقد قطعتم بانه تعالى يقدر على الشر ولا يقدر على الخير هذه مصيبة على اصولهم ولزمهم ايضا فساد اصلهم في قولهم ان من يقدر على شيء قدر على ضده لانهم يقولون ان الله تعالى يقدر على ما يكفر الناس كلهم عنده ولا يقدر على ما يؤمن جميعهم عنده

(قال ابو محمد) ونسال من قال منهم انه تعالى يقدر على مثل ما فعل من الصلاح بلا نهاية لا على اكثر من ذلك فنقول لهم ان على اصولكم لم تنفكوا من تجوير الباري عزوجل لان بضرورة الحس ندري انه اذا استضافت المصالح بعضها الى بعض كانت أصلح من انفراد كل مصلحة عن الاخرى فاذا هو قادر عندكم على ذلك ولم يفعله بعبادة فقد لزمه ما الزمتموه لو كان قادرا على اصلح مما فعل ولم يفعله فقالوا هذا كالدواء والطعام والشراب لكل

قوله الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية وقال له رجل يهدده اني لا آلوا جهدا في أن افقدك حياتك قال أوقليدس وأنا لا آلوا جهدا في أن افقدك غضبك وقال كل أمر تصرفنا فيه وكانت النفس الناطقة هي المقدرة له فهو داخل في الافعال الانسانية وما لم تقدره النفس الناطقة فهو داخل في الافعال البهيمية قال ومن أراد أن يكون محبوبه محبوبك وافقك على ما يحب فاذا اتفقتما على محبوب واحد صرتما الى الاتفاق وقال افزع الى ما يشبه الرأي العام التدبيري العقلي وانهم ما سواء وقال ما أستطيع على خلعه ولم يضطر الى لزومه المرء فلم الاقامة على مكروهة وقال الامور جنسان أحدهما يستطاع خلعه والمصير الى غيره والآخر توجبه الضرورة فلا يستطاع الانتقال عنه والاغتمام والاسف على كل واحد منهما غير سائغ في الرأي وقال ان كانت الكائنات

ذالم مقدار يصلح به من اعطيه فاذا استضافت اليه امثالكان ضرورا قال على رضى الله عنه ولم يقل قط ذوعقل ومعرفة بحقائق الامور ان غفار كذا مصلحة جملة وعلى كل حال ولان الاكل مصلحة ابدا وعلى الجملة ولان الشراب مصلحة بكل وجه ابدا وانما الحق ان مقدارا من الدواء مصلحة لعلة كذا فقط فان زاد اونقص او تعدى به تلك العلة كان ضررا وكذلك الطعام والشراب هما مصلحة فى حال ما وبقدر ما فمازاد او تعدى به وقته كان ضررا وما نقص عن الكفاية كان ضررا ليس اطلاق اسم الصلاح فى شيء من ذلك اولى من اطلاق اسم الضرر لان كلا الامرين موجود فى ذلك كما ذكرنا وليس الصلاح من الله عزوجل للعبد والهدي له والخير من قبله عزوجل كذلك بل على الاطلاق والجملة وعلى كل حال بل كلما ازداد الصلاح وكثر وزاد الهدى وكبر وزاد الخير وكبر فهو افضل فان قالوا نجد الصلاة والصيام اثما فى وقت ما واجرا فى آخر قلنا ما كان من هذا منهيا عنه فليس صلاحا البتة ولا هو هدى ولا خير بل هو اثم وخذلان وضلال وليس في هذا كلما نكم لكن فيما هو صلاح حقيقة وهدى حقيقة وخير حقيقة وهذا ما لا مخلص لهم منه

(قال ابو محمد) وقال اصحاب الاصلح منهم ان من علم الله تعالى انه يؤمن من الاطفال ان عاش أو يسلم من الكفار ان عاش أو يتوب من الفساق ان عاش فانه لا يجوز البتة ان يميته الله قبل ذلك قالوا وكذلك من علم الله تعالى انه ان عاش فعل خيرا فلا يجوز البتة ان يميته الله قبل فعله قالوا ولا يميت الله تعالى احدا الا وهو يدري انه ان ابقاه طرفة عين فما زاد فانه لا يفعل شيئا من الخير أصلا بل يكفر أو يفسق ولا بد

(قال ابو محمد) وهذا من طوامهم التي جمعت الكفر والسحق ولم ينفكوا بها فافروا عنه من تجوير البارى تعالى بزعمهم واما الكفر فانه يلزمهم ان ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بلغ لكفر أو فسق وليت شعرى اذ هذا عندهم كما زعموا فلم امات بعضهم اثر ولادته ثم آخر بعد ساعة ثم يوم ثم يومين وهكذا شهرا بعد شهر وعاما بعد عام الى ان امات بعضهم قبل بلوغه بيسير وكلهم عندهم سواء فى انهم لو عاشوا لكفروا او فسقوا كلهم واذعنى بهم هذه العناية فلم ابقى من الاطفال من درى انه يكفر ويفسق نعم ويؤتيهم القوى والتدقيق فى الفهم كالفيومى سعيد ابن يوسف والمعمس داود بن قزوان وابراهيم البغدادى وأبى كثير الطبرانى متكلمى اليهود وأبى ربطة اليعقوبي ومقرونيش الملكى من متكلمى النصارى وقردان بخت المثاني حتى اضلوا كثيرا بشبههم وتمويهاتهم ومخارفتهم ولا سبيل الى وجود فرق اصلا وهذا محاباة وجور على اصولهم ثم نجده تعالى قد عذب بعض هؤلاء الاطفال باليتم والقمل والعرى والبرد والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والاوجاع حتى يموتوا كذلك وبعضهم مرفه مخدوم منعم حتى يموت كذلك ولعله لا اب وام وكذلك يلزمهم ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وسائر الصحابة رضي الله عنهم نعم ومحمدا صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسى وابراهيم وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام ان كل واحد منهم لو عاش طرفة عين على الوقت الذي مات فيه لكفر او فسق ولزمهم مثل هذا فى جبريل وميكائيل وحملة العرش عليهم السلام ان كانوا يقولون بانهم يموتون فان تمادوا على هذا كفروا وقد صرح بعضهم بذلك جهارا وان ابوا تناقضوا ولزمهم ان الله تعالى يميت من يدرى انه يزداد خيرا ويبقى من يدرى انه يكفر وهذا

من المضطرة فما الاهتمام بالمضطر اذ لا بد منه وان كانت غير مضطرة فلم انهم فيما يجوز الانتقال عنه وقال الصواب اذا كان عاميا كان أفضل لان الخاص يقع بالتحرى وتلقاء امر ما وقال العمل على الانصاف ترك الاقامة على المكروه وقال اذا يضطرك الى الاقامة عليه شيء فان اقمت رجعت باللائمة عليك وقال الحزم هو العمل على ان لا تثق بالامور التى فى الامكان عسيرها ويسيرها وقال كل فائت وجدت فى الامور منه عوضا وامكنك اكتساب مثله فما الاسف على فوته وان لم يكن منه عوض ولا يصادف له مثل فما الاسف على ما لا سبيل الى مثله ولا امكان فى دفعه وقال لما علم العاقل انه لا ثقة بشيء من امر الدنيا التى منها ما منه بد واقتصر على ما لا بد منه وعمل بما يوثق به بابلغ ما قدر عليه وقال اذا كان الامر ممكنا فيه التصرف فوقع بحال ما تحب فاعتده ربحا وان

عندهم على اصولهم عن الظلم والعبث
(قال ابو محمد) واجاب بعضهم في هذا السؤال بان قال ان النبي صلى الله عليه وسلم امتحنه الله عز وجل قبل موته بما بلغ ثوابه على طاعته فيه مبلغ ثوابه على كل طاعة تكون منا لو عاش الى يوم القيامة
(قال ابو محمد) وهذا جنون ناهيك به لوجوه أولها انه محاباة مجردة له عليه السلام على غيره وهلا فعل ذلك بغيره وعجل راحتهم من الدنيا ونكدها وثانيها ان هذا القول كذب بحت وذلك ان المحن في العالم معروفة وهي اما في الجسم بالعلل واما في المال بالاتلاف واما في النفوس بالخوف والهوان والهم بالاهل والاحبة والقطع دون الامل لامحنة في العالم تخرج عن هذه الوجوه الا المحنة في الدين فقط نعوذ بالله من ذلك فاما المحنة في الجسم فكذبوا ومامات عليه السلام الا سليم الاعضاء سويها معافى من مثل محنة ايوب عليه السلام وسائر اهل البلاء نعوذ بالله منه واما في المال فما شغله الله عز وجل منه بما يقتضي محنته في فضوله ولا احوجه الى احد بل اقامه على حد الغنى بالقوت ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقربه من ربه عز وجل واما النفس فاي محنة لمن قال الله عز وجل له * والله يعصمك من الناس * ولمن رفع له ذكره وضمن له اظهار دينه على الدين كله ولو كره اعداؤه وجعل شانئه الابتر واعزه بالنصر على كل عدو فاي خوف واي هوان يتوقعه عليه السلام واما اهله واحبته فاخترم بعضهم فاجره فيهم كابراهيم ابنه وخديجة وحمزة وجعفر وزينب وأم كلثوم ورقية بناته رضي الله عنهم وأقر عينه ببقاء بعضهم وصلاحه كعائشة وسائر امهات المؤمنين وفاطمة ابنته وعلي والعباس والحسن والحسين واولاد العباس وعبدالله بن جعفر وابي سفيان بن الحارث رضي الله عن جميعهم فاي محنة ههنا أليس قد اعاذه الله تعالى من مثل محنة حبيب بن عدي سمية ام عمار رضي الله عنهم أليس من قتل من الانبياء عليهم السلام ومن انشر بالمنشار واحرق بالنيران اعظم محنة ومن خالفه قومه فلم يتبعه منهم الا اليسير وعذب الجمهور كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم اعظم محنة وهل هذه الا مكابرة وحماقة وقحة واي محنة تكون لمن اوجب الله عز وجل على الجن والانس طاعته واكرمه برسالته وأمنه من كل الناس واكب عدوه لوجهه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهل هذه الا نعم وخصائص وفضائل وكرامات ومحاباة مجردة له على جميع الانس والجن وهل استحق عليه السلام هذا قط على ربه تعالى حتى ابتدأه بهذه النعمة الجليلة وقد تحنث قبله زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى العدوي وقيس بن ساعدة الايادي وغيرهما فما اكرموا بشيء من هذا ولكن نوك المعتزلة ليس عليه قياس
(قال ابو محمد) ومما سئلوا عنه أن قيل لهم أليس قد علم الله أن فرعون والكفار ان أعاشهم كفروا فمن قولهم نعم فيقال لهم فلم أبقاهم حتى كفروا واخترم على قولهم من علم انه ان عاش كفر وهذا تخليط لا يعقل ونقول لهم ايضاً أما كان اصلح للجميع لاسيما لاهل النار خاصة ان يخترعنا الله تعالى كلنا في الجنة كما فعل بالملائكة وحور العين ام ما فعل بنا من خلقنا في الدنيا والتعريض للبلاء فيها وللخلود في النار
(قال ابو محمد) فلجوا عند هذه فقال بعضهم لم يخلق الجنة بعد فقلنا لهم هبكم ان الامر كما قلتم فانما كان اصلح للجميع ان يعجل الله عز وجل خلقها ثم يخلقنا فيها او يؤخر خلقنا

وقع بمحال ما تكره فلا تحزن فانك قد عملت فيه على غير ثقة بوقوعه على ما تحب وقال لم أر أحدا الا ذا مال للدنيا وأمورها اذهى على ما هي من التغير والتنقل فالمستكثر منها يلحقه أن يكون أشد اتصالا بما يذم الانسان ما يكره والمستقل مستقل مما يكره واذا استقل مما يكره كان ذلك أقرب الى ما يحب وقال أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يثق به أحد لسوء فعله وقال الجشع بين شرين والاعدام يخرجه الى التسفه والجدة تخرجه الى الشر وقال لا تعن أخاك على أخيك في خصومة فانهما يصطلحان على قليل وتكتسب المذمة (حكم بطليموس) وهو صاحب المجسطي الذي تكلم في هيئة الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل فمن حكمه انه قال ما أحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهي وأحسن منه أن لا يشتهي الى ما ينبغي وقال الحكيم

حتى يخلقها ثم يخلقنا منها أم خلقه لناحيث خلقنا فان عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهى القدرة ومشبها لخلقه وأبطلوا الاهيته وجعلوه محيز اضعيفا وهذا كفر مجرد ونفي السؤال أيضا مع ذلك بحسبه في ان يجعلنا كالملائكة وان يجعلنا كلنا انبياء كأفضل بعيسى ويحيي عليهما السلام وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال بعضهم ليس جهلنابوجه المصلحة في ذلك مما يخرج هذا الامرعن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكم ليس جهلنا بوجه المصلحة والحكمة في خلق الله تعالى لافعال عباده وفي تكليفه الكافر والفاسق مالا يطيق ثم يعذبهما على ذلك ممايخرجه عن الحكمة وهذالامخلص لهم منه

(قال أبو محمد) وأما نحن فلا نرضى بهذا بل ما جهلنا ذلك لكن نقطع على ان كل مافعله الله تعالى فهو عين الحكمة والعدل وان من أراد اجراء افعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا والعدل المعهود بيننا فقد الحدوا حظار ضل وشبه الله عز وجل بخلقه لان الحكمة والعدل بيننا انما هما طاعة الله عز وجل فقط لاحكمة ولاعدل غير ذلك الاماامرنا به اى شيء كان فقط واما الله تعالى فلا طاعة لاحد عليه فبطل ان تكون افعاله جارية على احكام العبيد المامورين المربوبين المسؤلين عما يفعلون لكن افعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم له وان لايسأل عمايفعل ولا مزيد كما قال تعالى وقد خاب من خالف ماقال الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث على اصولهم على ربهم تعالى عن ذلك وقال متكلموهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك وكنا ايضا نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وادخالنا الجنة بعد استحقاقنا لهم اتم في النعمة وابلغ في اللذة وايضافلو خلقنا في الجنة لم يكن بدمن التوعد علي ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وايضا فان الله تعالى قدعلم ان بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة

(قال ابو محمد) هذا كل ماقدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنافنقول وبالله تعالى التوفيق اماقولهم لوخلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك فاننا نقول وبالله تعالى نتايد أكان الله تعالى قادر على ان يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا في ذلك أكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة أو كعلمنا ذلك ام كان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر على ذلك عجزوا ربهم تعالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على امر ما ولا يقدر على غيره وهذا لايكون الالعرض داخل او لبنية متناهية القوة وهذا كفر مجرد وان قالوا كان الله قادرا على ذلك اقروا بانه عز وجل لم يفعل بهم اصلح ماعنده وان عنده اصلح ممافعل بهم وايضا فان كانوا ارادوا بذلك ان اللذة تعقب البلاء والتعب اشد سرورا وابلغ لزمهم ان يبطلوا نعم الجنة جملة لانه ليس نعيمها البتة مشوبا بالم ولا تعب وكل الم بعد العهد به فانه ينسى كما قال القائل

كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يفتقر يوما اذا ماتمولا

فلزم على هذا الاصل ان يجدد الله عز وجل لاهل الجنة آلاما فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللذة وهذا خروج عن الاسلام ويلزمهم ايضا ان يدخل النبيين والصالحين النار ثم يخرجهم منها الى الجنة فتضاعف اللذة والسرور اضعافا بذلك ويقال لهم كنا نكون

الذي اذا صدق صبر لا الذى اذا قذف كظم وقال لمن يغني الناس ويسأل أشبه بالملوك ممن يستغني بغيره ويسال وقال لان يستغني الانسان عن الملك أكرم له من أن يستغني به وقال موضع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب من ظهر الحمار وسمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه فهز رمحا كان بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وان يتباعدوا عنه قيد رمح ثم يقولوا ماأحبوا اقال العلم في موطنه كالذهب في معدنه لايستنبط الا بالدؤوب والتعب والكد والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار وقال بطلميوس دلالة القمر في الايام أقوى ودلالة الشمس والزهرة في الشهور أقوى ودلالة المشتري وزحل في السنين أقوى ومما ينقل عنه انه قال نحن كائنون في الزمن الذي يأتي بعد هذا زمن الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقي ذلك

كالملائكة والحور العين فان كانوا عالمين بمقدار ماهم فيه من نعيم ولذة فكنا نحن كذلك وان كانوا غير عالمين بمقدار ماهم فيه من اللذة والنعيم فهلا اعطاهم هذه المصلحة ولاى شيء منعهم هذه الفضيلة التي اعطاها لنا وهم اهل طاعته التي لم تشب بمعصية فان قالوا ان الملائكة وحور العين قد شاهدوا عذاب الكفار في النار فقام لهم مقام الترهيب قلنا لهم وهل المحاباة والجور الا ان يعرض قوما للمعاطب ويبقيهم حتى يكفروا فيخلدوا فى النار ليوعظ بهم قوم آخرون خلقوا فى الجنة والرفاهية سرمدا ابد الابد وهل عين الظلم الا هذا فيما بيننا على اصول المعتزلة وكمن يقول من الطغاة قتل الثلث فى صلاح الثلثين صلاح وهل فى الشاهد عبث وسفه اعظم من عبث من يقول لآخر هات اضربك بالسياط وارد لك من جبل واصفع فى قفاك وانتف سبالك وامشيك فى طريق ذات شوك دون راحة فى ذلك ولا منفعة ولكن لاعطيك بعد ذلك ملكا عظيما ولعلك فى خلال ضربى اياك ان تتضرر فتقع فى بئر منتنة لايخرج منها ابدا فاي مصلحة عند ذي عقل فى هذا الحال لاسيا وهو قادر على ان يعطيه ذلك الملك دون ان يعرضه لشيء من هذا البلاء فهذه صفة الله عز وجل عند المعتزلة لا يستحقون من ان يصفوا انفسهم بان يصفوا الله تعالى بالعدل والحكمة

(قال ابو محمد) وأما نحن فنقول لو ان الله تعالى اخبرنا انه يفعل هذا كله بعينه ما انكرناه ولعلمنا انه منه تعالى حق وعدل وحكمة

(قال ابو محمد) ومن العجب ان يكون الله تعالى يخلقنا يوم القيامة خلقا لانجوع فيه ابدا ولا نعطش ولا نبول ولا نمرض ولا نموت وينزع ما فى صدورنا من غل ثم لا يقدر على ان يخلقنا فيها ولا على ان يخلقنا خلقا نلتذ معه بابتدائنا فيها كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد فهل يفرق بين شيء من هذا الامن لاعقل له او مستخف بالبارى تعالى وبالدين وأما قولهم لو خلقنا الله تعالى فى الجنة لكنا غير مستحقين لتلك النعيم فانا نقول لهم اخبرونا عن الأعمال التى استحققتم بها الجنة عند أنفسكم أفبضرورة العقل علمتم ان من عملها فقد استحق الجنة دينا واجبا على ربه تعالى ام لم تعلموا ذلك ولا وجب ذلك الاحتى أعلمنا الله عز وجل انه يفعل وجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال فان قالوا بالعقل عرفنا استحقاق الجنة على هذه الاعمال كابروا وكذبوا على العقل وكفروا لانهم بهذا القول يوجبون الاستغناء عن الرسل عليهم الصلاة والسلام ولزمهم ان الله تعالى لم يجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال لكن وجب ذلك عليه حتما لاباختياره ولا بانه لوشاء غير ذلك لكان له وهذا كفر مجرد وايضا فان شريعة موسى عليه السلام فى السبت وتحريم الشحوم وغير ذلك قد كان الجنة جزاء على العمل بها ثم صارت الآن جهنم جزاء على العمل بها فهل ههنا الا ان الله تعالى اراد ذلك فقط ولو لم يرد ذلك لم يجب من ذلك شيء فان قالوا بل ماعلمنا استحقاق الجنة بذلك إلا بخبر الله تعالى انه حكم بذلك فقط قيل لهم فقد كان الله تعالى قادرا على ان يخبرنا انه جعل الجنة حقا لنا يخترعنا فيها كما فعل بالملائكة وحور العين وايضا فقد كذبوا فى دعواهم استحقاق الجنة باعمالهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن احد ينجيه عمله اويدخله الجنة عمله قيل ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمة منه اوكلاما هذا معناه وأيضا فبضرورة العقل ندرى ان مازاد على المماثلة فى الجزاء فيما بيننا فانه تفضل مجرد فى الاحسان وجور فى الاساءة هذا حكم للمعهود

الكون والوجود فى ذلك العالم (حكماء أهل لمطال وهم خروسيس وزينون) قولهما الخالص إن البارى الاول واحد محض هو هوان فقط أبدع العقل أو النفس دفعة واحدة ثم أبدع جميع ماتحتهما بتوسطهما وفى بدوما أبدعهما أبدعهما جوهرين لايجوز عليهما الدثور والفناء وذكروا أن للنفس جرمين جرم من النار والهواء وجرم من الماء والارض فالنفس متحدة بالجرم الذى من النار والهواء والجرم الذى من النار والهواء متحد بالجرم الذى من الماء والارض فالنفس تظهر أفاعيلها فى ذلك الجرم وذلك الجرم ليس له طول ولا عرض ولا قدر مكانى وباصطلاحنا سميناه جسما وأفاعيل النفس فيها نيرة بهية ومن الجسم الى الجرم ينحدر النور والحسن والبهاء ولما ظهرت أفاعيل النفس عندنا بمتوسطين كانت اظلم ولم يكن لها نور شديد

فى العقل فعل أصول المعتزلة يلزمهم ان بقاء احدنا في الجنة او فى النار اكثر من احسانه او اساءته جزاء على ماسلف منه فضل مجرد وعقاب زايد على مقدار الجرم وقد فعله الله عزوجل بلاشك وهوعدل وحكمة وحق

(قال ابو محمد) واما قولهم ان دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل اعلى درجة واسنى رتبة من دخولها بالتفضل المجرد فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق هذا خطأ محض لا نناقد علمنا ان هذا الحكم انما يقع بين الاكفاء والمتماثلين واما الله تعالى فليس له كفوا أحد ومن كان عبدا لآخر فان اقبال السيد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة اسنى له واعلى واشرف لرتبته وارفع لدرجته من ان لا يعطيه شيئا بمقدار مايستحقه لخدمته ويستخبره اياه هذا ماينكره الامعاند فكيف وليس لاحد على الله حق وحينئذ كل ماوهبه الله تعالى لاحد بين انبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما أخبر تعالى انه اوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقا لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من الله عزوجل واختصاص مبدأ لو لم ينعم به عزوجل لم يجب عليه شيء منه لا يقول غير هذا الامدخول الدين فاسد العقل

(قال ابو محمد) وهم يقرون ان الملائكة أفضل من الانبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا فى هذا ثم نقضوا هذا الاصل باصلهم هذا السخيف من قولهم ان من دخل الجنة بعد التعريض للبلاء فهو أفضل من ابتداء النعمة والتقريب فنحن على قولهم افضل من الملائكة على جميعهم السلام وقد قالوا ان الملائكة افضل من الانبياء فعلى هذا التغريب ان يكون نحن افضل من الملائكة بدرجة وافضل من النبيين بدرجتين وهذا كفر مجرد وتناقض ظاهر واما قولهم انا لو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد والتحذر فاننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق حتى لو كان مايقولون لما منع من ذلك ان يخلقوا في الجنة ثم يطلعوا منها فيروا النار ويعاينوا وحشتها وهو لها وقبحها ونفار النفوس عنها كالذى يعرض لنا عند الاطلاع على النيران العقيمة المظلمة وان كنا قط لم نقع فيها ولا شاهدنا من وقع فيها بل ذلك كان يكون ابلغ فى التحذر من وصفها دون رؤية لكن كما فعل بالملائكة وحور العين فيكون ذلك ادعى لهم الى الشكر والحمد والاغتباط بمكانهم واجتناب مانهوا عنه خوف مفارقة ماقد حصلوا عليه ثم نقول لهم ايضا قولوا هذا فيهم بعد دخولهم الجنة امباح لهم الكفر والشتم والضرب فيما بينهم ام محظور عليهم لزمهم تمادي التوعد والتحذير هنالك قلنا نكون لو اخترعنا فيها على الحال التى تكون فيها يوم القيامة ولا فرق وكان يكون أصلح لجميعنا بلاشك فان قالوا قد سبقت الطاعة فى الدنيا قيل لهم وكذلك كانت تسبق منهم فى الجنة كالملائكة سواء بسواء وهم لا يقولون ان المعاصي والتضارب والتلاطم والتراكض والتشاتم مباح لهم فى الجنة ولا يقولون هذا احد فيحتاج الى كسر هذا القول فان لجؤا الى قول ابى الهذيل ان اهل الجنة مضطرون لا يختارون قيل لهم وكنا نكون فيها كذلك ايضا كما نكون يوم القيامة فيها فهذا اكان صلح للجميع بلاشك وهذا ما لا انفكاك لهم منه

(قال ابو محمد) واما قولهم ان الله علم ان بعضهم يكفر ولابد فيجب عليه الخروج من الجنة قلنا لهم ايقدر الله على خلاف ماعلم ام لا فان قالوا نعم يقدر ولكن لا يفعل اقروا انه فعل من ترك ابتدائنا في الجنة امضاء لما سبق فى علمه غير ماكان اصلح لنا بلاشك ورجعوا الى الحق الذى هو

وذكروا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية استصحبت الاجزاء النارية والهوائية وهى جسمها فى ذلك العالم جسما روحانيا نورانيا علويا طاهرا مهذبا من كل ثقل وكدر وأما الجرم الذى من الماء والارض فيدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوى لان ذلك الجسم خفيف لطيف لا وزن له ولا تلمس وانما يدرك من البصر فقط كما يدرك الاشياء الروحانية من العقل فألطف مايدرك الحس البصرى من الجواهر النفسانية وألطف مايدرك من ابداع البارى تعالى الا ثار التى عند العقل وذكروا أن النفس اذا هى مستطيعة ماخلاها البارى تعالى أن تفعل واذا ربطها فليست بمستطيعة كالحيوان الذى اذا خلاه مدبره أعنى الانسان كان مستطيعا فى كل مادعا اليه وتحرك اليه واذا ربطه لم يقدر حينئذ أن يكون مستطيعا وذكروا ان دنس

قولنا انه تعالى فعل ماسبق فى علمه من تكليف مالا يطاق ومن خلقه تعالى الكفر والظلم وانعامه علي من شاء وحده لاشريك له وتركوا قولهم فى الاصلح وان قالوا لا يقدر على غير ماعلم ان يفعله جعلوه مجبراً مضطراً عاجزاً متناهي القوة ضعيف القدرة محدثا في اسوأ حالة منهم وهذا كفر وخلاف للقرآن ولاجماع المسلمين نعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) ونسألهم أي مصلحة للحشرات والكلاب والبق والدود فى خلقها حشرات ولم يخلقها ناساً مكلفين معرضين لدخول الجنة فان قالوا لو جعلها ناساً لكفروا قيل لهم فقد جعل الكفار ناسا فكفروا فهلا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا فكان اصلح لهم على قولكم وهذا مالا مخلص منه

(قال ابو محمد) ونسألهم فنقول لهم اذا قلتم ان الله تعالى لا يقدر على لطف لو اتي به الكفار لا منوا ايمانا يستحقون معه الجنة لكنه قادر على ان لا يضطرهم الى الايمان أخبرونا عن ايمانكم الذى تستحقون به الثواب هل يشوبه عندكم شك أم يمكن بوجه من الوجوه ان يكون عندكم باطلا فان قالوا نعم يشوبه شك ويمكن ان يكون باطلا أقروا على انفسهم بالكفر وكفونا مؤنتهم وان قالوا لا يشوبه شك ولا يمكن ألبتة ان يكون باطلا قلنا لهم هذا هو الاضطرار بعينه ليست الضرورة فى العالم شيئا غير هذا انما هو معرفة لا يشوبها شك لا يمكن اختلاف ما عرف بها فهذا هو علم الضرورة نفسه وما عداها فهو ظن وشك فان قالوا ان الاضطرار ما علم بالحواس أو باول العقل وما عداه فهو ما عرف بالاستدلال قلنا هذه دعوي فاسدة لانها بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل وتقسيمنا هو الحق الذى يعرف ضرورة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ونسالهم ايما كان اصلح للعالم ان يكون بريا من السباع والافاعى والدواب العادية أو ان يكون فيه كما هي مسلطة على الناس وعلى سائر الحيوان وعلى الاطفال فان قالوا خلق الله الافاعى والسباع كخلق الحفر والحرث ومزجرة للكفار

(قال ابو محمد) وهذا من ظريف الجنون ولقد ضل بخلقتها جمع من المخذ ولين ممن جري مجرى المعتزلة فى ان يتعقبوا على الله عز وجل فعله كالمنانية والمجوس اللذين جعلوا الها خالقا غير الحكيم العدل ثم تقول للمعتزلة ان كانت كما تقولون مصلحة فكان الاستكثار من المصلحة اصلح وابلغ في الزجر والتحريف وكل هذه الدعاوى منهم حماقات ومكابرات بلا برهان ليست اجوبتهم فيها باصح من اجوبة المنانية والمجوس واصحاب التناسخ بل كلها جارية في ميدان واحد من انها كلها دعوى فاسدة بلا برهان بل البرهان ينقضها وكلها راجعة الى اصل واحد وهو تعليل افعال الله عز وجل الذى لا علة لها اصلا والحكم عليه بمثل الحكم على خلقه فيم يحسن منه ويقبح تعالى الله عن ذلك

(قال أبو محمد) ويقال لاصحاب الاصلح خاصة ما معنى دعائكم فى العصمة وانتم تقولون ان الله تعالى قد عصم الكفار كما عصم المؤمنين فلم يعتصموا وما معنى دعائكم فى الاعاذة من الخذلان وفى الرغبة فى التوفيق وانتم تقولون انه ليس عنده افضل مما قد اعطاكموه ولا فى قدرته زيادة على ما قد فعله بكم واى معنى لدعائكم فى التوبة وانتم تقطعون على انه لا يقدر على ان يعينكم فى ذلك بمقدار شعرة زائدة على ما قد اعطاكموه فهل دعاؤكم فى ذلك الاضلال وهزل وهزء كمن دعا الى الله ان يجعله من بنى آدم او ان يجعل النبي

النفس وأوساخ الجسد انما تكون لازمة للانسان من جهة الاجزاء وأما التطهير والتهذيب فمن جهة الكل لانه اذا انفصلت النفس الكلية من النفس الجزئية والعقل الجزئى من العقل الكلي غلظت وصارت من حيز أجرم لانها كلما سفلت اتحدت بالجرم من حيز الماء والارض وهما ثقيلان يذهبان سفلا وكلما اتصلت النفس الجزئية بالنفس الكلية والعقل الجزئى بالعقل الكلي ذهبت علوا لانها تتحد بالجسم من حيز النار والهواء وكلاهما لطيفان يذهبان علوا وهذان الجرمان مركبان وكل واحد منهما من جوهرين واجتماع هذين الجرمين يوجب الاتحاد شيئا واحدا عند الحسن البصري فاما عند الحواس الباطنة وعند العقل فليست شيئا واحدا فى هذا العالم مستبطن فى الجرم لانه أشد روحانية ولان هذا العالم ليس مشاكلا ولا مجانسا والجرم

نبيا والحجر حجرا وهل بين الامرين فرق فان الدعاء عمل امرنا الله تعالى به فقيل لهم ان اوامره تعالى من جملة افعاله بلا شك وافعاله عندكم تجرى على ما يحسن فى العقل ويقبح فيه فى المعهود وفيما بيننا وعلى الحكمة عندكم وقد علمنا انه لا يحسن فى الشاهد بوجه من الوجوه أن يامر احدا يرغب اليه فيما ليس بيده ولا فيما قد اعطاه اياه وكلا هذين الوجهين عبث وسفه وهم مقرون باجمعهم ان الله تعالى حكم بهذا وفعله وهو امره لهم بالدعاء اليه اما فيما لا توصف عندهم بالقدرة عليه واما فيما قد اعطاهم اياه وهو عندهم عدل وحكمة فنقضوا اصلهم الفاسد بلا شك واما نحن فاننا نقول ان الدعاء عمل امرنا الله عز وجل به فيما يقدر عليه ثم ان شاء اعطانا وان شاء منعنا اياه لا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل

(قال أبو محمد) وان فى ابتداء الله عز وجل كتابه المنزل الينا بقوله تعالى آمرا لنا ان نقوله راضيا منا أن نقوله * إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * ثم ختمه تعالى كتابه آمرا لنا ان نقوله راضيا بقوله * قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس * لا بين بيان فى تكذيب القائلين بانه ليس عند الله تعالى اصلح مما فعل وانه غير قادر على كف وسوسة الشيطان ولا على هدى الكفار هدى يستحقون به الثواب كما وعد المهتدين لأنه عز وجل نص على انه هو المطلوب منه العون لنا والهدي الى صراط من خصه بالنعمة عليه تعالى وضل فلولا انه تعالى قادرا على الهدى المذكور وان عنده عونا على ذلك لا يؤتيه الا من شاء دون من لم يشأ وانه تعالى انعم على قوم بالهدى ولم ينعم به على آخرين لما امرنا ان نسأله من ذلك ما ليس يقدر عليه او ما قد اعطاه اياه ونص تعالى على انه قادر على صرف وسوسة الشيطان فلولا انه تعالى يصرفها عمن يشاء لما امرنا عز وجل ان نستعيذ مما لا يقدر على الاعاذة منه او مما قد اعاذنا بعد منه

(قال ابو محمد) ولا مخلص لهم من هذا اصلا ثم نسألهم اى مصلحة للعصاة فى ان جعل بعض حركاتهم وسكونهم كبائر يستحقون عليها النار وجعل بعض حركاتهم وسكونهم صغائر مغفورة ولقد كان اصلح ان يجعلها كلها صغائر مغفورة ولقد اصلح ان يجعلها كلها صغائر مغفورة فان قالوا هذا أزجر عن المعاصى واصلح قيل لهم فهلا اذ هو كما تقولون جعلها جميعها كبائر زاجرة فهو ابلغ فى الزجر

(قال ابو محمد) وقد نص الله تعالى فى القرآن آيات كثيرة لا يحتمل تاويلا بتكذيب المعجزين لربهم تعالى وليس يمكنهم وجود آية ولا سنة يتعلقون بها أصلا فمنها قوله تعالى * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * أفلم يكن عنده أصلح من فتنة يضل بها بعض خلقه حاشى لله من هذا الكفر والتعجيز وقال تعالى حاكيا عن الذين اثنى عليهم من مؤمنى الجن انهم قالوا * وأنا لا ندري اشرار يد بمن فى الارض أم اراد بهم ربهم رشدا *

(قال ابو محمد) وصدقهم الله عز وجل فى ذلك اذ لو انكره لما أورده مثنيا عليهم بذلك وهذا فى غاية البيان الذي قد هلك من خالفه وبطل به قول الضلال الملحدين القائلين ان الله تعالى أراد رشد فرعون وابليس وانه ليس عنده أصلح ولا يقدر لهما على هدى

مشاكل ومجانس لهذا العالم فصار الجرم أظهر من الجسم لمجانسة هذا العالم وتركيبه وصار الجسم مستبطنا فى الجرم لان هذا العالم غير مشاكل له وغير مجانس فاما فى ذلك العالم فالجسم ظاهر على الجرم لان ذلك العالم عالم الجسم لانه مجانس ومشاكل له ويكون لطيف الجرم الذى من لطيف الماء والارض المشاكل لجوهر النار والهواء مستبطنا فى الجسم كما كان الجسم مستبطنا فى هذا العالم فى الجرم فاذا كان هذا فيما ذكروا هكذا كان ذلك الجسم باقيا دائما لا يجوز عليه الدثور والفناء ولذته دائمة لا تملها النفوس ولا العقول ولا ينفد ذلك السرور والحبور ونقلوا عن افلاطون أستاذهم لما كان الواحد لابدء له صار نهاية كل متناه وانما صار الواحد لانهاية له لانه لابدء له لا لانه لانهاية له وقال ينبغي للمرء أن ينظر كل يوم الى وجهه فى المرآة فان

أصـلا * وقال تعالى * ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس * فليت شعرى اى مصلحة لهم فى ان يذأرم لجهنم نعوذ بالله من هذه المصلحة * وقال تعالى *وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فصح انه تعالى هو الذى يقى السيئـات وان الذى رحمه هو الذى وقاه السيئات لان من لم يقه السيئـات فلم يرحمه وبلا شك ان من وقاه السيئات فقد فعل به أصلح مما فعل بمن لم يقه اياها هذا مع * قوله تعالى * ولو شئنـا لآتينا كل نفس هداها ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا * ولا يشك من لدماغه أقل سلامة او فى وجهه من برد الحيـاء شيء فى ان هذا كان أصلح بالكفار من إدخالهم النـار بان لا يؤتيهم ذلك الهدى وان كانوا كما يقولون من دخولهم الجنـة بغير استحقاق * وقال تعالى * وحبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * فليت شعرى أين فعله تعالى بهؤلاء . نسال الله ان يجعلنا منهم من فعله بالذين قال فيهم انه ختم على قلوبهم وزين لهم سوء افاعيالهم وجعل صدورهم ضيقة حرجة ان من ساوى بين الامرين وقال ان الله تعالى لم يعط هؤلاء الا ما أعطى هؤلاء ولا أعطى من الهدى والاختصاص محمد وابراهيم وموسى وعيسى ويحيي والملائكة عليهم السلام الا ما أعطى إبليس وفرعون وأبا جهل وأبا لهب والذى حاج ابراهيم فى ربه واليهود والنصارى والمجوس والمتقيلين والشرط والبغائيين والعوهر وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد بل سوى فى التوفيق بين جميعهم ولم يقدر لهم على مزيد من الصلاح لقليل الحياء عديم الدين وماجوابه الا قوله تعالى * ان ربك لبالمرصاد *وقال عز وجل * كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين

(قال أبو محمد) فايما كان أصلح للـكفار المخلدين فى النار أن يكونوا مع المؤمنين امة واحدة لاعذاب عليهم أم بعثـة الرسل اليهم وهو عز وجل يدرى انهم لايؤمنون فيكون ذلك سببا الى تخليدهم فى جهنم وقال تعالى * وأملى لهم ان كيدي متين. وقال تعالى. ولايحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين .وقال تعالى . أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون.وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون

(قال أبو محمد) وهـذا غاية البيان فى ان الله عز وجل أراد بهم وفعل بهم ما فيه فساد أديانهـم وهلاكهم الذى هو ضد الصلاح والافاى مصلحـة لهم فى أن يستدرجوا الى البلاد من حيث لا يعلمون وفى الاملاء لهم ليزدادوا إثما ونص تعالى أن كل ذلك الذى فعـله ليس مسارعة لهم فى الخير فبطل قول هؤلاء الهلـكى جملة والحمد لله رب العالمين وقال تعالى . واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . فهل بعد هذا بيان فى أن الله عز وجل أراد هلاكهم ودمارهم ولم يرد صلاحهم فامر مترفيها باوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميرا فايما كان أصلح لهم ان لايؤمروا فيسلموا أوان يؤمروا وهو تعالى يدري انهم لاياتمرون فيدخلون النار فان قالوا فاحملوا قوله تعالى امرنا مترفيها على ظاهره قلنا نعم هكذا نقول ولم يقل تعالى انه أمرهم بالفسق وانما قال تعالى أمرناهم فقط وقد نص تعالى

كان قبيحا لم يفعل قبيحا فيجمع بين قبيحين وان كان حسنا لم يشنه بقبيح وقال انك لن تجد الناس الا رجلين اما مؤخرا فى نفسه قدمه حظه او مقدما فى نفسه أخره دهره فارض بما أنت فيه اختيارا والا رضيت اضطرارا الحكماء الذين تلوهم فى الزمان وخالفوهم فى الرأى مثل ارسطوطاليس ومن تابعه على رأيه مثل الاسكندر الرومى والشيخ اليونانى وديوجانس الكلبي وغيرهم وكلهم على رأى ارسطوطاليس فى المسائل التى نوردها عن القدماء ونحن نذكر من آرائه ما يتعلق بغرضنا من المسائل التى شرعت فيها الاوائل وخالفهم المتأخرون وخصوها فى ستة عشر مسئلة رأى (ارسطوطاليس) بن نيقوماخوس من أهل اسطاخوا وهو المقـدم المشهور والمعلم الاول والحكيم المطلق عندهم وانما ولد فى أول سنة من ملك ازدشير بن دارا فلما

علي انه لا يامر بالفحشاء فصح قولنا ايضا وقال عز وجل* وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم* فنص تعالى علي ان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو تولوا لا يدل قوما غيرهم لا يكونون امثالهم وبالضرورة نعلم انه عز وجل انما اراد خيرا منهم فقد صح انه عز وجل قادر علي ان يخلق اصلح منهم وقال تعالى* انا القادرون على ان نبدل خيرا منهم* وفى هذا كفاية وقال تعالى* عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن* فهل فى البيان فى ان الله تعالى قادر علي ان يفعل اصلح مما فعل وان عنده تعالى اصلح مما اعطي خلقه ابين او اوضح او اصح من اخباره تعالى انه قادر علي ان يبدل نبيه صلى الله عليه وسلم الذى هو احب الناس اليه خيرا من الازواج اللواتى اعطاه واللواتى هن خير الناس بعد الانبياء عليهم السلام

(قال ابو محمد) فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الاصلح فى انه تعالى لا يقدر على اصلح مما فعل بعباده

(قال ابو محمد) نسأل الله العافية مما ابتلاهم به ونساله الهدى الذى حرمهم اياه وكان قادراً على ان يتفضل عليهم به فلم يرد وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) كل من منع قدرة الله عز وجل عن شيء مما ذكرنا فلا شك فى كفره لانه عجزر به تعالى وخالف جميع اهل الاسلام

(قال أبو محمد) وقالوا اذا كان عنده اصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا اياه وليس بخيلا وخلق افعال عباده وعذبهم عليها ولم يكن ظالمــا فلا تنكروا على من قال انه جسم ولا يشبه خلقه وانه يقول غير الحق ولا يكون كاذباً

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه تعالى لم يقل انه جسم ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيها له بخلقه ولم يقل تعالى ان يقول غير الحق بل قد ابطل ذلك وقطع بان قوله الحق فمن قال على الله مالم يقله فهو ملحد كاذب علي الله عز وجل وقد قال تعالى انه خلق كل شيء وخلقنا وما نعمل وانه لوشاء لهدى كل كافر وانه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك فقلنا ما قال من كل ذلك ولم نقل مالم يقل وقلنا ماقام به البرهان العقلى من انه تعالى خالق كل موجود دونه وانه تعالى قادر على كل مايسال عنه وانه لا يوصف بشيء من صفات العباد لا ظلم ولا بخل ولا غير ذلك ولم نقل ما قد قام البرهان العقلى على انه باطل من انه جسم او انه يقول غير الحق وقال بعض اصحاب الاصلح وهو ابن بدد الغزال تلميذ محمد بن شبيب تلميذ النظام بلى ان عند الله الطافا لو اتى بها الكفار لا منوا ايمانا يستحقون معه الثواب الا ان الثواب الذى يستحقونه على ما فعل بهم اعظم واجل فلهذا منعهم تلك الالطاف

(قال ابو محمد) وهذا تمويه ضعيف لاننا انما سالناهم هل يقدر الله تعالى علي الطاف اذا اتي بها اهل الكفر آمنوا ايمانا يستحقون به مثل هذا الثواب الذى يؤتيهم علي الايمان اليوم او اكثر من ذلك الثواب فلا بد له من ترك قوله او يعجز ربه تعالي

(قال ابو محمد) ونسال جميع اصحاب الاصلح فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن كل من شاهد براهين الانبياء عليهم السلام ممن لم لا يؤمن به وصحت عنده بنقل التواتر هل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها انها شواهد موجبة صدق نبوتهم أم لم يصح ذلك عندهم الا بغالب الظن وبصفة انها مما يمكن ان يكون تخييلا أو سحرا أو نقلا مدخولا ولا بد من أحد الوجهين فان قالوا بل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها وثبت ذلك فى عقولهم بلا شك

أتت عليه سبعة عشر سنة أسلمه أبوه الى افلاطون فمكث عنده نيفا وعشرين سنة وانما سموه بالمعلم الاول لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمها حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعانى التى فى الذهن نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر وهو واضع لا بمعنى انه لم يكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقومها بل بمعنى انه جرد آلة عن المادة فقومها تقريبا الى أذهان المتعلمين حتى يكون كالميزان عندهم يرجعون اليه عند اشتباه الصواب بالخطا والحق بالباطل الا انه أجمل القول اجمال الممهدين وفصله المتاخرون تفصيل الشارحين وله حق السبق وفضيلة التمهيد وكتبه فى الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة ونحن خترنا فى انقل مذهبه شرح ثامسطيوس الذى اعتمده مقدم المتاخرين ورئيسهم أبو

قلنالهم هـذا هوالاضطرار نفسه الذى لااضطرار فى العالم غيره وهـذه صفة كل من ثبت عنده شيء ثباتا متيقنا كمن يتيقن بالخبر الموجب للعلم موت فلان وكون صفين والجمل وكسائر مالم يشاهدالمرء بحواسه فالكل على هذا مضطرون الى الايمان لايختارون له وان قالوا لم يصح عندهم شيء من ذلك هـذه الصحة قلنالهم فماقامت عليهم حجةالنبوةقط ولا صحت لله تعالى عليهم حجة ومن كان هكذا فاختياره للايمان انمـاهو استحباب وتقليد واتباع لمامالت اليه نفسه وغلب فى ظنه فقط وفى هذا بطلان جميع الشرائع وسقوط حجة الله تعالى وهذا كفر مجرد

الكلام فى هل لله تعالى نعمة على الكفار أم لا

(قال ابو محمد) اختلف المتكلمون فى هذه المسئلة فقالت المعتزلة ان نعم الله تعالى على الكفار فى الدين والدنيا كنعمه على المؤمنين ولا فرق وهذا قول فاسد قد نقضناه آنفا ولله الحمد وقالت طائفة أخرى ان الله تعالى لا نعمة له على كافر اصلا لا فى دين ولا دنيا وقالت طائفة له تعالى عليهم نعم فى الدنيا فاما فى الدين فلا نعمة له عليهم فيه أصلا

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر *

(قال ابو محمد) فوجدنا الله عز وجل يقول * الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون * وقال تعالى * الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم *

(قال ابو محمد) فهذا عموم بالخطاب بانعام الله تعالى على كل من خلق الله تعالى وعموم لمن يشكر من الناس والكفار من جملة ماخلق الله تعالى بلا شك واما اهل الاسلام فكلهم شاكر لله تعالى بالاقرار به ثم يتفاضلون فى الشكر وليس احد من الخلق يبلغ كل ماعليه من شكر الله تعالى فصح ان نعم الله تعـالى فى الدنيا على الكفار كهى على المؤمنين وربمـا اكثر فى بعضهم فى بعض الاوقات قال تعالى * بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار * وهذا نص جلى على نعم الله تعالى على الكفار وانهم بدلوها كفرا فلا محل لاحد ان يعارض كلام ربه تعالى برأيه الفاسد واما نعمة الله فى الدين فان الله تعالى ارسل اليهم الرسل هادين لهم الى مايرضى الله تعالى وهذه نعمة عامة بلا شك فلما كفروا وجحدوا نعم الله تعالى فى ذلك أعقبهم البلاء وزوال النعمة كما قال عز وجل * ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم * وبالله تعالى نتايد وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتاب الايمان

(والكفر والطاعات والمعاصى والوعد والوعيد)

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى ماهية الايمان فذهب قوم الى ان الايمان انما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط وان أظهر اليهودية والنصرانية وسائر انواع الكفر بلسانه وعبادته فاذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز الجهم بن صفوان وابى

على بن سينا وأوردنا نكتا من كلامه فى الالهيات وأحلنا باقى مقالاته فى المسائل على نقل المتأخرين اذ لم يخالفوه فى رأي ولا نازعوه فى حكم كالمقلدين له المتهالكين عليه وليس الامر على ما مالت اليه ظنونهم . المسئلة الاولى فى اثبات واجب الوجود الذى هو المحرك الاول وقال فى كتاب اثولوجيا من حرف اللام ان الجوهر يقال على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غـير متحرك قال أنا وجـدنا المتحركات على أثر اختلاف جهاتها وأوضاعها ولابد لكل متحرك من محرك فاما أن المحرك يكون متحركا فيتسلسل القول ولا ينحصر والا فيستند الى محرك غـير متحرك ولا يجوز أن يكون فيه شيء مابالقوة فانه يحتاج الى شيء آخر يخرجه من القوة الى الفعل فالفعل اذا اقدم على مابالقوة وكل جائز وجوده ففى طبيعته معنى مابالقوة وهو الامكان

الحسن الاشعرى البصري واصحابهما وذهب قوم الى ان الايمان هو اقرار باللسان بالله تعالى وان اعتقد الكفر بقلبه فاذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا قول محمد بن كرام السجستاني واصحابه وذهب قوم الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان معا فاذا عرف المرء الدين بقلبه واقر بلسانه فهو مسلم كامل الايمان والاسلام وأن الاعمال لا تسمى ايمانا ولكنها شرائع الايمان وهذا قول ابى حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من الفقهاء وذهب سائر الفقهاء واصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب بالدين والاقرار به باللسان والعمل بالجوارح وان كل طاعة وعمل خير فرضا كان او نافلة فهي ايمان وكل ما ازداد الانسان خيرا ازداد ايمانه وكلما عصى نقص ايمانه وقال محمد بن زياد الحريرى الكوفى من آمن بالله عزوجل وكذب برسول الله صلى الله عليه وسلم فليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على الاطلاق ولكنه مؤمن كافر معا لانه آمن بالله تعالى فهو مؤمن وكافر بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر

(قال ابو محمد) فحجة الجهمية والكرامية والاشعرية ومن ذهب مذهب ابى حنيفة حجة واحدة وهى انهم قالوا انما انزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغة العرب خاطبنا الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان فى اللغة هو التصديق فقط والعمل بالجوارح لا يسمى فى اللغة تصديقا فليس ايمانا قالوا والايمان هو التوحيد والاعمال لا تسمي توحيدا فليست ايمانا قالوا ولو كانت الاعمال توحيدا وايمانا لكان من ضيع شيئا منا قد ضيع الايمان وفارق الايمان فوجب ان لا يكون مؤمنا قالوا وهذه الحجة انما تلزم اصحاب الحديث خاصة لا تلزم الخوارج ولا المعتزلة لانهم يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال

(قال ابو محمد) مالهم حجة غير ماذكرنا وكل ماذكروا فلا حجة لهم فيه أصلا لما نذكره ان شاء الله عز وجل

(قال ابو محمد) ان الايمان هو التصديق فى اللغة فهذا حجة على الاشعرية والجهمية والكرامية مبطلة لاقوالهم ابطالا تاما كافيا لا يحتاج معه الى غيره وذلك قولهم ان الايمان فى اللغة التى بها نزل القرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الاطلاق وما سمي قط التصديق بالقلب دون التصديق باللسان ايمانا فى لغة العرب وما قال قط عربي ان من صدق شيئا بقلبه فاعلن التكذيب به بقلبه وبلسانه فانه لا يسمي مصدقا به اصلا ولا مؤمنا به البتة وكذلك ما سمي قط التصديق باللسان دون التصديق بالقلب ايمانا فى لغة العرب اصلا على الاطلاق ولا يسمى تصديقا فى لغة العرب ولا ايمانا مطلقا الا من صدق بالشيء بقلبه ولسانه معا فبطل تعلق الجهمية والاشعرية باللغة جمله ثم نقول لمن ذهب مذهب أبي حنيفة فى أن الايمان انما هو التصديق باللسان والقلب معا وتعلق فى ذلك باللغة ان تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيه أصلا لان اللغة يجب فيها ضرورة ان كل من صدق بشيء فانه مؤمن به وأنتم والاشعرية والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الايمان ولا تطلقونه على كل من صدق بشيء ماولا تطلقونه الا على صفة محدودة دون سائر الصفات وهى من صدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ماجاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة والزكاة وغير ذلك مما قد أجمعت الامة على أنه لا يكون مؤمنا من لم يصدق به وهذا خلاف

اللغة

والجواز فيحتاج الى واجب به يجب وكذلك كل متحرك فيحتاج الى محرك فواجب الوجود بذاته ذات وجودها غير مستفاد من وجود غيره وكل موجود فوجوده مستفاد عنه بالفعل وجائز الوجود له فى نفسه وذاته الامكان وذلك اذا أخذته بشرط علته فله الوجوب واذا أخذته بشرط لا علته الامتناع . المسئلة الثانية فى أن واجب الوجود واحدا أخذ ارسطوطاليس يوضح ان المبدأ الاول واحد من حيث ان العالم واحد ويقول أن الكثرة بعد الاتفاق فى الحد ليست هى كثرة العنصر وأما ماهو بالآنية الاولى فليس له عنصر لانه تمام قائم بالفعل لا يخالط القوة فاذا المحرك الاول واحد بالكلمة والعدد أى الاسم والذات قال فمحرك العالم واحد لان العالم واحد هذا نقل ثامسطيوس وأخذ من نصر مذهبه يوضح أن المبدأ الاول واحد من

اللغة مجرد فان قالوا إن الشريعة اوجبت علينا هذا قلنا صدقتم فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه في اللغة كما فعلتم آنفا سواء بسواء ولا فرق (قال ابو محمد) ولو كان ماقالوه صحيحا لوجب ان يطلق اسم الايمان لكل من صدق بشيء ما ولكان من صدق بالاهية الحلاج وبالاهية المسيح وبالاهية الاوثان مؤمنين لانهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لايقوله أحد ممن ينتمي الى الاسلام بل قائله كافر عند جميعهم ونص القرآن بكفر من قال بهذا قال الله تعالى * ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا * فهذا الله عز وجل شهد بان قوما يؤمنون ببعض الرسل وبالله تعالى ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك ان يطلق عليهم اسم الايمان اصلا بل اوجب لهم اسم الكفر بنص القرآن

ـ﴿ قال ابو محمد ﴾ـ وقول محمد بن زياد الحريري لازم لهذه الطوائف كلها لاينفكون عنه على مقتضى اللغة وموجبها وهو قول لم يختلف مسلمان في انه كفر مجرد وانه خلاف للقرآن كما ذكرنا (قال ابو محمد) فبطل تعلق هذه الطوائف باللغة جملة واما قولهم انه لو كان العمل يسمى ايمانا لكان من ضيع منه شيئا فقد اضاع الايمان ووجب ان لايكون مؤمنا فاني قلت لبعضهم وقد ألزمني هذا الالزام كلاما تفسيره وبسطه اننا لانسمي في الشريعة اسما الا بان يأمرنا الله تعالى ان نسميه او يبيح لنا الله بالنص ان نسميه لاننا لاندري مراد الله عز وجل منا الا بوحي وارد من عنده علينا ومع هذا فان الله عز وجل يقول منكرا لمن سمى في الشريعة شيئا بغير إذنه عز وجل * ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ماتمنى * وقال تعالى * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا * فصح انه لا تسمية مباحة لملك ولا لانسي دون الله تعالى ومن خالف هذا فقد افترى على الله عز وجل الكذب وخالف القرآن فنحن لانسمي مؤمنا الا من سماه الله عز وجل مؤمنا ولا نسقط الايمان بعد وجوبه الا عمن أسقطه الله عز وجل عنه ووجدنا بعض الاعمال التي سماها الله عز وجل ايمانا لم يسقط الله عز وجل اسم الايمان عن تاركها فلم يجز لنا ان نسقطه عنه لذلك لكن نقول انه ضيع بعض الايمان ولم يضيع كله كما جاء النص على مانبين ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فاذ اسقط كل ماموهت به هذه الطوائف كلها ولم يبق لهم حجة أصلا فلنقل بعون الله عز وجل وتأييده في بسط حجة القول الصحيح الذي هو قول جمهور اهل الاسلام ومذهب الجماعة واهل السنة واصحاب الآثار من ان الايمان عقد وقول وعمل وفي بسط ما اجملناه مما انتقدنا به قول المرجئة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) اصل الايمان كما قلنا في اللغة التصديق بالقلب وباللسان معا باي شيء صدق المصدق لاشيء دون شيء البتة الا ان الله عز وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقع لفظة الايمان على العقد بالقلب لاشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شيء واوقعها ايضا تعالى على الاقرار باللسان بتلك الاشياء خاصة لا بما سواها واوقعها ايضا على اعمال الجوارح لكل ماهو طاعة له تعالى فقط فلا يحل لاحد خلاف الله تعالى فيما انزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة واهلها فهو أملك بتصريفها وايقاع اسمائها على مايشاء ولا عجب اعجب ممن اوجد لامرئ القيس أو لزهير أو

حيث انه واجب الوجود لذاته قال ولو كان كثير الحل واجب الوجود عليه وعلى غيره بالتواطىء فيشملها جنسا وينفصل أحدها عن الآخر نوعا فيتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق أجزاء المركب على المركب سبقا بالذات فلا يكون واجبا بذاته ولانه لو لم يكن هو بعينه لذاته لا لشيء عينه بل أمر خارج عنه فكان واجب الوجود بذلك الامر الخارج فلم يكن واجبا بذاته هذا خلف المسئلة الثالثة في ان واجب الوجود لذاته عقل لذاته وعاقل ومعقول لذاته عقل من غيره أو لم يعقل اما انه عقل فلانه مجرد عن المادة منزه عن اللوازم المادية فلا يحتجب ذاته عن ذاته وأما انه عقل لذاته فلانه مجرد لذاته واما انه معقول لذاته فلانه غير محجوب عن ذاته بذاته أو بغيره قال الاول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل كل شيء فهو يعقل العالم العقلي

لجرير او الحطيئة او الطرماح او لاعرابي اسدي اوسلمى او تميمي اومن سائر ابناء العرب بوال على عقبيه لفظا في شعر او نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد الله تعالى خالق اللغات واهلها كلاما لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل في احالته عما اوقعه الله عليه واذا وجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فعل به مثل ذلك وتالله لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قبل ان يكرمه الله تعالى بالنبوة وايام كونه فتى بمكة بلا شك عند كل ذي مسكة من عقل أعلم بلغة قومه وافصح فيها واولى بان يكون مانطق به من ذلك حجة من كل خندفي وقيسي وربيعي وأيادي وتيمي وقضاعي وحميري فكيف بعد ان اختصه الله تعالى للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه واجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه وحفظ ما يأتي به فاي ضلال اضل ممن يسمع لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب يقول

فعلت فروع الايهقان واطفلت * بالجلهتين ظباؤها ونعامها

فجعله حجة وابو زياد الكلابي يقول ماعرفت العرب قط الايهقان وانما هو اللهق بيت معروف ويسمع قول ابن احمر كناه تقلق عن ماموسة الحجر وعلماء اللغة يقولون انه لم يعرف قط لاحد من العرب انه سمى النار ماموسة الا ابن احمر فيجعله حجة ويجيز قول من قال من الاعراب هذا حجر من خرب وسائر الشواذ عن معهود اللغة مما يكثر لو تكلفنا ذكره ونحتج بكل ذلك ثم يمتنع من ايقاع اسم الايمان على ما اوقعه عليه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله القرشي المسترضع في بني سعد بن بكر ويكابر في ذلك بكل باطل وبكل حماقة وبكل دفع المشاهدة ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) فمن الآيات التي أوقع الله تعالى فيها اسم الايمان على أعمال الديانة قوله عز وجل * هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم *

(قال ابو محمد) والتصديق بالشيء أي شيء كان لا يمكن البتة ان يقع فيه زيادة ولا نقص وكذلك التصديق بالتوحيد والنبوة لا يمكن البتة ان يكون فيه زيادة ولا نقص لانه لا يخلو كل معتقد بقلبه أو مقر بلسانه باي شيء اقر أو أي شيء اعتقد من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما أن يصدق بما اعتقد واقر واما ان يكذب بما اعتقد واما منزلة بينهما وهي الشك فمن المحال أن يكون انسان مكذبا بما يصدق به ومن المحال ان يشك احد فيما يصدق به فلم يبق الا انه مصدق بما اعتقد بلا شك ولا يجوز أن يكون تصديق واحد اكثر من تصديق آخر لان أحد التصديقين اذا دخلته داخلة فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم انه قد خرج عن التصديق ولا بد وحصل في الشك لان معنى التصديق انما هو ان يقع ويوقن بصحة وجود ما صدق به ولا سبيل الى التفاضل في هذه الصفة فان لم يقطع ولا ايقن بصحته فقد شك فيه فليس مصدقا به واذا لم يكن مصدقا به فليس مؤمنا به فصح أن الزيادة التي ذكر الله عز وجل في الايمان ليست في التصديق أصلا ولا في الاعتقاد البتة فهي ضرورة في غير التصديق وليس هاهنا الا الاعمال فقط فصح يقينا ان اعمال البر ايمان بنص القرآن وكذلك قول الله عز وجل . فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا . وقوله تعالى . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا . فان قال قائل معنى زيادة الايمان هاهنا انما هو لما نزلت تلك الآية صدقوا بها فزادهم بنزولها ايمانا تصديقا بشيء وارد لم يكن عندهم قيل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال لانه

دفعة واحدة من غير احتياج الى انتقال وتردد من معقول الى معقول وانه ليس يعقل الاشياء على انها أمور خارجة عنه فيعقلها منه كحالنا عند المحسوسات بل يعقلها من ذاته وليس كونه عاقلا وعقلا بسبب وجود الاشياء المعقولة حتى يكون وجودها قد جعله عقلا بل الامر بالعكس أي عقله للاشياء جعلها موجودة وليس للاول شيء يكمله فهو الكامل لذاته المكمل لغيره فلا يستفيد وجوده من وجود كالا وأيضا فانه لو كان يعقل الاشياء من الاشياء لكان وجودها متقدما على وجوده ويكون جوهره في نفسه في قوامه وطباعه ان يقبل معقولات الاشياء فيكون في طباعه بالقوة من حيث يكمل بما هو خارج عنه حتى يقال لولا ما هو خارج عنه لم يكن له ذلك المعنى وكان فيه عدمها فيكون الذى له في طباع نفسه وباعتبار نفسه من غير اضافة الى غيره أن يكون عادما

قد اعتقد المسلمون في أول اسلامهم انهم مصدقون بكل ماياتيهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام في المستانف فلم يزدهم نزول الآية تصديقا لم يكونوا اعتقدوه فصح أن الايمان الذي زادتهم الآيات انما هو العمل بها الذي لم يكونوا عملوه ولا عرفوه ولا صدقوا به قط ولا كان جائزا لهم ان يعتقدوه ويعملوا به بل كان فرضا عليهم تركه والتكذيب بوجوبه والزيادة لاتكون الا في كمية عدد لا فيما سواه ولا عدد للاعتقاد ولا كمية وانما لكمية والعدد في الاعمال والاقوال فقط فان قالوا ان تلاوتهم لها زيادة ايمان قلنا صدقتم وهذا هو قولنا والتلاوة عمل بجارحة اللسان ليس اقرارا بالمعتقد ولكنه من نوع الذكر بالتسبيح والتهليل وقال تعالى . وما كان الله ليضيع ايمانكم . ولم يزل اهل الاسلام قبل الجهمية والاشعرية والكرامية وسائر المرجئة مجمعين على انه تعالى انما عنى بذلك صلاتهم الى بيت المقدس قبل ان ينسخ بالصلاة الى الكعبة وقال عز وجل * اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا * وقال عز وجل * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * فنص تعالى على أن عبادة الله تعالى في حال اخلاص الدين له تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة الواردتين في الشريعة كله دين القيمة وقال تعالى . ان الدين عند الله الاسلام * وقال تعالى . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . فنص تعالى على ان الدين هو الاسلام ونص قبل على ان العبادات كلها والصلاة والزكاة هي الدين فانتج ذلك يقينا ان العبادات هي الدين والدين هو الاسلام فالعبادات هي الاسلام وقال عز وجل . يمنون عليك ان اسلموا قل يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين . وقال تعالى . فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين لا تمنوا علي اسلامكم بل الله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين . فهذا نص جلي على أن الاسلام هو الايمان وقد وجب قبل بما ذكرنا أن أعمال البر كلها هي الاسلام والاسلام هو الايمان فاعمال البر كلها ايمان وهذا برهان ضروري لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . فنص تعالى وأقسم بنفسه ان لا يكون مؤمنا الا بتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما عن ثم يسلم بقلبه ولا يجد في نفسه حرجا مما قضى فصح ان التحكيم شيء غير التسليم بالقلب وانه هو الايمان الذي لا ايمان لمن لم يات به فصح يقينا ان الايمان اسم واقع علي الاعمال في كل ما في الشريعة وقال تعالى . ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا . فصح ان لا يكون التصديق مطلقا ايمانا الا حتى يستضيف اليه ما نص الله تعالى عليه ومما يتبين ان الكفر يكون بالكلام قول الله عز وجل . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * الى قوله . ياليتني لم أشرك بربي أحدا * فاثبت الله له الشرك والكفر مع اقراره بربه تعالى اذ شك في البعث وقال تعالى . أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض . فصح ان من آمن ببعض الدين وكفر بشيء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صدق من ذلك

(قال ابو محمد) وأكثر الاسماء الشرعية فانها موضوعة من عند الله تعالى على مسميات لم يعرفها العرب قط هذا أمر لايجهله احد من أهل الارض ممن يدري اللغة العربية ويدري الاسماء

للمعقولات ومن شأنه أن يكون له ذلك فيكون باعتبار نفسه مخالطا للامكان والقوة واذا فرضنا انه لم يزل ولا يزال موجودا بالفعل فيجب أن يكون له من ذاته الامر الاكمل الافضل لا من غيره قال واذا عقل ذاته عقل مايلزمها لذاتها بالفعل وعقل كونه مبدأه وعقل كل ما يصدر عنه على ترتيب الصدور عنه والا فلم يعقل ذاته بكنهها قال وان كان ليس يعقل بالفعل فما الشيء الكريم له وهو الكون الناقص كماله فيكون حاله كحال النائم وان كان يعقل الاشياء من الاشياء فتكون الاشياء متقدمة عليه تتقوم بما يعقله ذاته وان كان يعقل الاشياء من ذاته فهو المراد والمطلب وقد يعبر عن هذا الغرض بعبارة اخرى تؤدي قريبا من هذا المعنى فيقول ان كان جوهره العقل وان يعقل فاما أن يعقل ذاته أو غيره فان كان يعقل شيئا آخر فما هو في حد ذاته غير

الشرعية كالصلاة فان موضوع هذه اللفظة في لغة العرب الدعاء فقط فاوقعها الله عز وجل على حركات محدودة معدودة من قيام موصوف الى جهة موصوفة لا تتعدى وركوع كذلك وسجود كذلك وقعود كذلك وقراءة كذلك وذكر كذلك في أوقات محدودة وبطهارة محدودة وبلباس محدود متى لم تكن على ذلك بطلت ولم تكن صلاة وما عرفت العرب قط شيئا من هذا كله فضلا عن أن تسميه حتى أتانا بهذا كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال بعضهم ان في الصلاة دعاء فلم يخرج الاسم بذلك عن موضوعه في اللغة

(قال أبو محمد) وهذا باطل لأنه لا خلاف بين أحد من الامة في ان من أتى بعدد الركعات وقرأ أم القرآن وقرآنا معها في كل ركعة وأتى بعدد بالركوع والسجود والجلوس والقيام والتشهد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وسلم بتسليمتين فقد صلى كما أمر وان لم يدع بشيء أصلا وفي الفقهاء من يقول ان من صلى خلف الامام فلم يقرأ أصلا ولا تشهد ولا دعا أصلا فقد صلى كما أمر وأيضا فان ذلك الدعاء في الصلاة لا يختلف احد من الامة في انه ليس شيئا ولا يسمى صلاة اصلا عند احد من أهل الاسلام فعلى كل قد اوقع الله عز وجل اسم الصلاة على اعمال غير الدعاء ولا بد وعلى دعاء محدود لم تعرفه العرب قط ولا عرفت ايقاع الصلاة على دعاء بعينه دون سائر الدعاء ومنها الزكاة وهي موضوع في اللغة للنماء والزيادة فاوقعها الله تعالى على اعطاء مال محدود معدود من جملة اموال ماموصوفة محدودة معدودة معينة دون سائر الاموال لقوم محدودين في اوقات محدودة فان هو تعدى شيئا من ذلك لم يقع على فعله ذلك اسم زكاة ولم تعرف العرب قط هذه الصفات والصيام في لغة العرب الوقوف تقول صام النهار اذا طال حتى صار كانه واقف لطوله قال امرؤ القيس . اذا صام النهار وهجرا . وقال آخر وهو النابغة الذبياني

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

فاوقع الله تعالى اسم الصيام على الامتناع من الاكل والشرب والجماع وتعمد القيء من وقت محدود وهو تبين الفجر الثاني الى غروب الشمس في أوقات من السنة محدودة فان تعدى ذلك لم يسم صياما وهذا أمر لم تعرفه العرب قط فظهر فساد قول من قال ان الاسماء لا تنقل في الشريعة عن موضوعها في اللغة وصح ان قولهم هذا مجاهرة سمجة قبيحة

(قال أبو محمد) فاذ قد وضح وجود الزيادة في الايمان بخلاف قول من قال انه التصديق فبالضرورة ندري ان الزيادة تقتضي النقص ضرورة ولا بد لأن معنى الزيادة انما هي عدد مضاف الى عدد واذا كان ذلك فذلك العدد المضاف اليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه وقد جاء النص بذكر النقص وهو قول رسول الله ﷺ المشهور المنقول نقل الكواف انه قال للنساء ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للرجل الحازم منكن قلن يا رسول الله وما نقصان ديننا قال عليه السلام أليس تقيم المرأة العدد من الايام والليالي لا تصوم ولا تصلي فهذا نقصان دينها

(قال أبو محمد) ولو نقص من التصديق شيء لبطل عن ان يكون تصديقا لأن التصديق لا يتبعض اصلا ولصار شكا وبالله تعالى التوفيق وهم مقرون بان امرأ لو لم يصدق بآية من القرآن أو بسورة منه وصدق بسائره لبطل ايمانه فصح ان التصديق لا يتبعض اصلا

(قال أبو محمد) وقد نص الله عز وجل على ان اليهود يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وانهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقال تعالى * فانهم لا يكذبونك

مضاف الى ما يعقله وهل لهذا المعتبر بنفسه فضل وجلال مناسب لان يعقل بأن يكون بعض الأحوال أن يعقل له أفضل من أن لا يعقل وبان لا يعقل يكون له أفضل من أن يعقل فانه لا يمكن القسم الآخر وهو أن يكون يعقل الشيء الآخر أفضل من الذي له في ذاته من حيث هو في ذاته شيء يلزمه أن يعقل فيكون فضله وكماله بغيره وهذا محال . المسئلة الرابعة في أن واجب الوجود لا يعتريه تغير وتأثر من غيره بان يبدع أو يعقل فان الباري تعالى عظيم الرتبة جدا غير محتاج الى غيره ولا متغير بسبب من غيره سواء كان التغير زمانيا أو كان تغيرا بان ذاته يقبل من غيره أثرا وان كان دائما في الزمان وانما لا يجوز أن يتغير كيف ما كان لان انتقاله انما يكون الى الشر لا الى الخير لان كل رتبة غير رتبته فهو دون رتبته وكل شيء يناله ويوصف به فهو دون نفسه

ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * واخبر تعالى عن الكفار فقال * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * فاخبر تعالى انهم يعرفون صدقه ولا يكذبونه وهم اليهود والنصارى وهم كفار بلا خلاف من أحد من الامة ومن انكر كفرهم فلا خلاف من احد من الامة في كفره وخروجه عن الاسلام ونص تعالى عن ابليس انه عارف بالله تعالى وبملائكته وبرسله وبالبعث وانه قال * رب فانظرني الى يوم يبعثون * وقال * لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون * وقال . خلقتني من نار وخلقته من طين . وكيف لا يكون مصدقا بكل ذلك وهو قد شاهد ابتداء خلق الله تعالى لآدم وخاطبه الله تعالى خطابا كثيرا وسأله ما منعك ان تسجد وامره بالخروج من الجنة واخبره انه منظر الى يوم الدين وانه ممنوع من اغواء من سبقت له الهداية وهو مع ذلك كله كافر بلا خلاف اما بقوله عن آدم انا خير منه واما بامتناعه للسجود لا يشك احد في ذلك ولو كان الايمان هو بالتصديق والاقرار فقط لكان جميع المخلدين في النار من اليهود والنصارى وسائر الكفار مؤمنين لانهم كلهم مصدقون بكل ما كذبوا به في الدنيا مقرون بكل ذلك لكان ابليس واليهود والنصارى في الدنيا مؤمنين ضرورة وهذا كفر مجرد ممن اجازه وانما كفر اهل النار بمنعهم من الاعمال قال تعالى * يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون

(قال أبو محمد) فلجأ هؤلاء المخاذيل الى أن قالوا ان اليهود والنصارى لم يعرفوا قط أن محمدا رسول الله ومعنى قول الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم أي انهم يميزون صورته ويعرفون ان هذا الرجل هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي فقط وأن معنى قوله تعالى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انما هو انهم يجدون سوادا في بياض لا يدرون ما هو ولا يفهمون معناه وان ابليس لم يقل شيئا مما ذكر الله عز وجل عنه انه قال مجدا بل قاله هازلا وقال هؤلاء أيضا انه ليس على ظهر الارض ولا كان قط كافر يدري ان الله حق وان فرعون قط لم يتبين له أن موسى نبي بالآيات التي عمل

(قال ابو محمد) وقالوا اذا كان الكافر يصدق ان الله حق والتصديق ايمان في اللغة فهو مؤمن اذا أو فيه ايمان ليس به مؤمنا وكلا القولين محال

(قال أبو محمد) هذه نصوص أقوالهم التي رأيناها في كتبهم وسمعناها منهم وكان مما احتجوا به لهذا الكفر المجرد ان قالوا ان الله عز وجل سمى كل من ذكرنا كفارا ومشركين فدل ذلك على انه علم ان في قلوبهم كفرا وشركا وجحدا وقال هؤلاء ان شتم الله عز وجل وشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كفرا لكنه دليل على ان في قلبه كفرا

(قال أبو محمد) أما قولهم في أخبار الله تعالى عن اليهود انهم يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وعن اليهود والنصارى انهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فباطل بحت ومجاهرة لا حياء معها لانه لو كان كما ذكروا لما كان في ذلك حجة لله تعالى عليهم وأي معنى أو أي فائدة في ان يميزوا صورته ويعرفوا انه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقط وفي أن يجدوا كتابا لا يفقهون معناه فكيف ونص الآية نفسها مكذبة لهم لانه تعالى يقول * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * فنص تعالى انهم يعلمون الحق في نبوته وقال في الآية الاخرى * يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف

ويكون أيضا شيئا مناسبا للحركة خصوصا ان كانت بعدية زمانية وهذا معنى قوله إن التغير الى الشيء الذي هو شر وقد ألزم على كلامه انه اذا كان العقل الاول يعقل أبدا ذاته فانه يتعب ويكل ويتغير ويتأثر وأجاب ثامسطيوس عن هذا بانه انما لا يتعب لانه يعقل ذاته وكما لا يتعب من ان يجب فانه لا يتعب من أن يعقل ذاته قال أبو علي بن سينا ليست العلة انه لذاته يعقل أو لذاته يجب بل لانه ليس مضاد الشيء في جوهر العاقل فان التعب هو أذى يعرض لسبب خروج عن الطبيعة وانما يكون ذلك اذا كانت الحركات التي تتوالى مضادة لمطلوب الطبيعة فاما الشيء الملائم واللذيذ المحض ليس منافاة بوجه فلم يجب أن يكون تكرره متعبا (المسئلة الخامسة) في أن واجب الوجود حي بذاته باق بذاته أي كامل في أن يكون بالفعل مدركا لكل شيء نافذ

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم * وانما اورد تعالى معرفتهم لرسول الله ﷺ محتجا عليهم بذلك لانه اتى من ذلك بكلام لافائدة فيه واما قولهم في ابليس فكلام داخل في الاستخفاف بالله عز وجل وبالقرآن لاوجه له غير هذا اذ من المحال الممتنع في العقل وفي الامكان غاية الامتناع ان يكون ابليس يوافق في هزله عين الحقيقة في أن الله تعالى كرم آدم عليه السلام عليه وانه تعالى أمره بالسجود فامتنع وفي ان الله تعالى خلق آدم من طين وخلقه من نار وفي أخباره آدم ان الله تعالى نهاه عن الشجرة وفي دخوله الجنة وخروجه عنها اذ اخرجه الله تعالى وفي سؤاله الله تعالى النظرة وفي ذكره يوم يبعث العباد وفي اخباره ان الله تعالى اغواه وفي تهديده ذرية آدم قبل ان يكونوا وقد شاهد الملائكة والجنة وابتداء خلق آدم ولاسبيل الى موافقة هازل معنيين صحيحين لا يعلمها فكيف بهذه الامور العظيمة وأخرى ان الله تعالى حاشى له من أن يجيب هازلا بما يقتضيه معنى هزله فانه تعالى امره بالسجود ثم ساله عما منعه من السجود ثم اجابه الى النظرة التي سال ثم اخرجه عن الجنة واخبره انه يعصم منه من شاء من ذرية آدم وهذه كلها معان من دافعها خرج عن الاسلام لتكذيبه القرآن وفارق المعقول لتجويزه هذه المحالات ولحق بالمجانين الوقحاء وأما قولهم ان اخبار الله تعالى باز هؤلاء كلهم كفار دليلا على أن في قلوبهم كفرا وازشتم الله تعالى ليس كفرا ولكنه دليل على أن في القلب كفراً وان كان كافر الم يعرف الله تعالى قط فهذه منهم دعاوى كاذبة مفتراة لادليل لهم عليها ولا برهان لامن نص ولامن سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من حجة عقل أصلا ولا من اجماع ولا من قياس ولا من قول احد من السلف قبل اللعين جهم بن صفوان وما كان هكذا فهو باطل وافك وزور فسقط قولهم هذا من قرب ولله الحمد رب العالمين فكيف والبرهان قائم بابطال هذه الدعوى من القرآن والسنن والاجماع والمعقول والحس والمشاهدة الضرورية فاما القرآن فان الله عز وجل يقول * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله * وقال تعالى * ومايؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون * فاخبر تعالى بانهم يصدقون بالله تعالى وهم مع ذلك مشركون وقال تعالى * وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم *

(قال ابو محمد) هذه شهادة من الله مكذبة لقول هؤلاء الضلال لا يردها مسلم أصلا

(قال ابو محمد) وبلغنا عن بعضهم انه قال في قول الله تعالى * يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * ان هذا انكار من الله تعالى لصحة معرفتهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وذلك لان الرجال لا يعرفون صحة ابنائهم على الحقيقة وانما هو ظن منهم

(قال ابو محمد) وهذا كفر وتحريف للكلم عن مواضعه ويرد ماشئت منه

(قال ابو محمد) فاول ذلك ان هذا الخطاب من الله تعالى عموم للرجال والنساء من الذين أوتوا الكتاب لايجوز ان يخص به الرجال دون النساء فيكون من فعل ذلك مفتريا على الله تعالى وبيقين يدرى كل مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النساء كما بعث الى الرجال والخطاب بلفظ الجمع المذكر يدخل فيه بلا خلاف من اهل اللغة النساء والرجال وقد علمنا ان النساء يعرفن ابناءهن على الحقيقة بيقين والوجه الثاني هو ان الله تعالى لم يقل كما يعرفون من خلقنا من نطفتهم فكان يسوغ لهذا الجاهل حينئذ هذا التمويه البارد باستكراه ايضا وانما قال

تعالى

الامر في كل شيء وقال ان الحياة التي عندنا يقترن بها من ادراك خسيس وتحريك خسيس فاما هناك المشار اليه بلفظ الحياة وهو كون العقل التام بالازل الذي يعقل من ذاته كل شيء وهو باق الدهر أزلى فهو حي بذاته باق بذاته عالم بذاته وانما يرجع جميع صفاته الى ماذكرنا من غير تكثر ولاتغير في ذاته (المسئلة السادسة) في انه لايصدر عن الواحد الا واحد قال الصادر الاول هو العقل الفعال لان الحركات اذا كانت كثيرة ولكل متحرك محرك فيجب أن يكون عدد المحركات بحسب عدد المتحركات فلو كانت المتحركات والمحركات ينسب اليه لا على ترتيب اول وثاني بل بجملة واحدة لتكثرت جهات ذاته الى محرك محرك ومتحرك متحرك فتكثر ذاته وقد أقمنا البرهان على انه واحد من كل وجه فلن يصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد

قال تعالى كما يعرفون ابنائهم فاضاف تعالى البنوة اليهم فمن لم يقل انهم ابناءهم بعد ان جعلهم الله ابناءهم فقد كذب الله تعالى وقد علمنا انه ليس كل من خلق من نطفة الرجل يكون ابنه فولد الزنا مخلوق من نطفة انسان ليس هو اباه فى حكم الديانة اصلا وانما ابناؤنا من جعلهم الله ابناءنا فقط كما ان الله تعالى جعل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين منهن امهاتنا وان لم يلدننا ونحن ابناؤهن وان لم نخرج من بطونهن فمن انكر هذا فنحن نصدقه لانه حينئذ ليس مؤمنا فلسن امهاته ولا هو ابن لهن والوجه الثالث هو ان الله تعالى انما اورد الآية مبكتا للذين أوتوا الكتاب لامعتذرا عنهم لكن مخبرا بانهم يعرفون صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم بآياته وبما وجدوا فى التوراة والانجيل معرفة قاطعة لاشك فيها كما يعرفون ابناءهم ثم اتبع ذلك تعالى بانهم يكتمون الحق وهم عالمون به فبطل هذر هذا الجاهل المخذول والحمد لله رب العالمين وقال عز وجل * لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى * فنص تعالى على ان الرشد قد تبين من الغى عموما وقال تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى * وقال تعالى * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا .
وهذا نص جلى من خالفه كفر فى أن الكفار قد تبين لهم الحق والهدى فى التوحيد والنبوة وقد تبين له الحق فبيقين يدري كل ذي حس سليم انه مصدق بلاشك بقلبه وقال تعالى. فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
(قال ابو محمد) وهذا ايضا نص جلى لايحتمل تأويلا على ان الكفار جحدوا بالسنتهم الآيات التى اتى بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام واستيقنوا بقلوبهم انها حق ولم يجحدوا قط انها كانت وانما جحدوا انها من عند الله فصح ان الذى استيقنوا منها هو الذي جحدوا وهذا يبطل قول من قال من هذه الطائفة انهم انما استيقنوا كونها وهى عندهم حيل لا حقائق اذ لو كان ذلك لكان هذا القول من الله تعالى كذبا تعالى الله عن ذلك لانهم لم يجحدوا كونها وانما جحدوا انها من عند الله وهذا الذى جحدوا هو الذى استيقنوا بنص الآية وقال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون . لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر . فمن قال ان فرعون لم يعلم ان الله تعالى حق ولا علم ان معجزات موسى حق من عند الله تعالى فقد كذب ربه تعالى وهذا كفر مجرد وقد شغب بعضهم بان هذه الآية قرئت لقد علمت بضم التاء
(قال ابو محمد) وكلا القراءتين حق من عند الله تعالى لايجوز ان يرد منها شيء فنعم موسى عليه السلام علم ذلك وفرعون علم ذلك فهذه نصوص القرآن واما من طريق المعقول والمشاهدة والنظر فانا نقول لهم هل قامت حجة الله تعالى على الكفار كما قامت على المؤمنين بتبين براهينه عز وجل لهم ام لم تقم حجة لله تعالى عليهم قط اذ لم يتبين الحق قط لكافر فان قالوا ان حجة الله تعالى لم تقم قط على كافر اذ لم يتبين الحق للكفار كفروا بلا خلاف من أحد وعذروا الكفار وخالفوا الاجماع وان اقروا ان حجة الله تعالى قد قامت على الكفار بان الحق تبين لهم صدقوا ورجعوا الى الحق والى قول اهل الاسلام وبرهان آخر ان كان أحد منا منذ عقلنا لم نزل نشاهد اليهود والنصارى فما منهم أحد الا مقرين

وهو العقل الفعال وله فى ذاته وباعتبار ذاته امكان الوجود وباعتبار علته وجوب الوجود فتكثر ذاته لامن جهة علته فيصدر عنه شيئان ثم يزيد التكثر فى الاسباب فتكثر المسببات والكل ينسب اليه *
(المسئلة السابعة) فى عدد المفارقات قال اذا كان عدد المتحركات مترتبا على عدد المحركات فتكون الجواهر المفارقة كثيرة على ترتيب أول وثانى فلكل كرة متحركة محرك مفارق غير متناهى القوة يحرك كما يحرك المشتهى المعشوق ومحرك آخر مزاول للحركة فيكون صورة للجرم المساوى فالاول عقل مفارق والثانى نفس مزاول فالمحركات المفارقة تحرك على انها مشتهاة معشوقة والمحركات المزاولة تحرك على انها مشتهية عاشقة ثم يطلب عدد المحركات من عدد حركات الاكر وذلك شيء لم يكن ظاهرا فى زمانه وانما ظهر بعد والاكر تسعة لما دل

بالله تعالى و بنبوة موسى عليه السلام وان الله تعالى حرم على اليهود العمل في السبت والتحوم فمن الباطل ان يتواطؤا كلهم في شرق الارض وغربها على اعلان ما يعتقدون خلافه بلا سبب داع الى ذلك و برهان آخر وهو انا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لا يحصى عددهم اسلموا وحسن اسلامهم وكلهم اولهم عن آخرهم يخبر من استخبره متى بقوا انهم في اسلامهم يعرفون ان الله تعالى حق وان نبوة موسى وهارون حق كما كانوا يعرفون ذلك في ايام كفرهم ولا فرق ومن انكر هذا فقد كابر عقله وحسه ولحق بمن لا يستحق ان يكلم وبرهان آخر وهو انهم لا يختلفون في ان نقل التواتر يوجب العلم الضروري فوجب من هذين الحكمين ان اليهود والنصارى الذين نقل اليهم ما اتى به عليه السلام من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضروري بصحة نبوته من اجلها وهذا لا محيد لهم عنه وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان شتم الله تعالى ليس كفرا وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دعوى لان الله تعالى قال * يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم * فنص تعالى على أن من الكلام ما هو كفر وقال تعالى * واذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم * فنص تعالى ان من الكلام في آيات الله تعالى ما هو كفر بعينه مسموع وقال تعالى * قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة * فنص تعالى على ان الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته او برسول من رسله كفر فخرج عن الايمان ولم يقل تعالى في ذلك اني علمت ان في قلوبكم كفرا بل جعلهم كفارا بنفس الاستهزاء ومن ادعى غير هذا فقد قول الله تعالى مالم يقل وكذب على الله تعالى وقال عز وجل * انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله * (قال أبو محمد) وبحكم اللغة التي بها نزل القرآن ان الزيادة في الشيء لا تكون البتة الا منه لا من غيره فصح ان النسيء كفر وهو عمل من الاعمال وهو تحليل ما حرم الله تعالى فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بان الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه وكل من حرم ما أحل الله تعالى فقد أحل ما حرم الله عز وجل لان الله تعالى حرم على الناس ان يحرموا ما أحل الله وأما خلاف الاجماع فان جميع أهل الاسلام لا يختلفون فيمن أعلن جحد الله تعالى أو جحد رسوله صلى الله عليه وسلم فانه محكوم له بحكم الكفر قطعا اما القتل واما أخذ الجزية وسائر أحكام الكفر وما شك قط أحد في هل هم في باطن امرهم مؤمنون أم لا ولا فكروا في هذا لا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من اصحابه ولا احد ممن بعدهم وأما قولهم ان الكفار اذا كانوا مصدقين بالله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم بقلوبهم والتصديق في اللغة التي بها نزل القرآن هو الايمان ففيهم بلا شك ايمان فالواجب ان يكونوا بايمانهم ذلك مؤمنين أو ان يكون فيهم ايمان ليسوا بكونه فيهم مؤمنين ولا بد من أحد الامرين

(قال ابو محمد) وهذا تمويه فاسد لان التسمية كما قدمنا لله تعالى لا لاحد دونه وقد أوضحنا البراهين على ان الله تعالى نقل اسم الايمان في الشريعة عن موضوعه في اللغة الى معنى آخر وحرم في الديانة ايقاع اسم الايمان على التصديق المطلق ولولا نقل الله تعالى للفظة الايمان كما ذكرنا

لوجب

الرصد عليها فالعقول المفارقة عشرة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال (المسئلة الثامنة) في أن الاول مبتهج بذاته قال ارسطوطاليس اللذة في المحسوسات هو الشعور بالملائم وفي المعقولات الشعور بالكمال الواصل اليه من حيث يشعر به فالاول مغتبط بذاته متلذذ بها لانه يعقل ذاته على كمال حقيقتها وشرفها وان جل عن أن ينسب اليه لذة انفعالية بل يجب أن يسمي ذلك بهجة وعلاء وبهاء كيف ونحن نلتذ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه مردودون في قضاء حاجات خارجة عما يناسب حقيقتنا التي نحن بها ناس وذلك ضعف عقولنا وقصورنا في المعقولات وانغماسنا في الطبيعة البدنية لكنا نتوصل اليها على سبيل الاختلاس فيظهر لنا اتصال بالحق الاول فيكون كسعادة عجيبة في زمان قليل جدا وهذه الحالة له أبدا وهو

لوجب ان يسمي كل كافر على وجه الارض مؤمناً وان يخبر عنهم بان فيهم ايمانا لانهم مؤمنون ولابد باشياء كثيرة مما فى العالم يصدقون بها هذا لا ينكره ذو مسكة من عقل فلما صح اجماعنا واجماعهم واجماع كل من ينتمي الى الاسلام علي انهم وان صدقوا باشياء كثيرة فانه لا يحل لاحد ان يسميهم مؤمنين علي الاطلاق ولا ان يقول ان لهم ايمانا مطلقا اصلا لم يجز لاحد ان يقول فى الكافر المصدق بقلبه ولسانه بان الله تعالى حق والمصدق بقلبه ان محمداً رسول الله انه مؤمن ولا ان فيه ايمانا أصلا الا حتى يأتي بما نقل الله تعالى اليه اسم الايمان من التصديق بقلبه ولسانه بان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان كل ما جاء به حق وانه بريء من كل دين غير دينه ثم يتمادى باقراره علي ما لا يتم ايمان الا بالاقرار به حتى يموت لكننا نقول ان فى الكافر تصديقا بالله تعالى هو به مصدق بالله تعالى وليس بذلك مؤمنا ولا فيه ايمان كما امرنا الله تعالى لا كما مرجهم (١) والاشعرى

(قال ابو محمد) فبطل هذا القول المتفق علي تكفير قائله وقد نص علي تكفيرهم ابو عبيد القاسم فى كتابه المعروف برسالة الايمان وغيره ولنا كتاب كبير نقضنا فيه شبه اهل هذه المقالة الفاسدة كتبناه على رجل منهم يسمى عطاف بن دوناس من اهل قيروان افريقية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واما من قال ان الايمان انما هو الاقرار باللسان فانهم احتجوا بان النبى صلى الله عليه وسلم وجميع اصحابه رضى الله عنهم وكل من بعدهم قد صح اجماعهم على ان من اعلن بلسانه بشهادة الاسلام فانه عندهم مسلم محكوم له بحكم الاسلام وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوداء اعتقها فانها مؤمنة وبقوله صلى الله عليه وسلم لعمه ابو طالب قل كلمة احاج لك بها عند الله عز وجل

(قال ابو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه اما الاجماع المذكور فصحيح وانما حكمنا لهم بحكم الايمان فى الظاهر ولم نقطع على انه عند الله تعالى مؤمن وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بما ارسلت به فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم علي الله وقال عليه السلام من قال لا إله الا الله مخلصا من قلبه واما قوله عليه السلام فى السوداء انها مؤمنة فظاهر الامر كما قال عليه السلام اذ قال له خالد ابن الوليد رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال عليه السلام انى لم ابعث لاشق عن قلوب الناس وأما قوله لعمه احاج لك بها عند الله فنعم يحاج بها علي ظاهر الامر وحسابه على الله تعالى فبطل كل ما موهوا به ثم نبين بطلان قولهم ان شاء الله تعالى فنقول وبالله تعالى نتايد انه يبين بطلان قول هؤلاء قول الله عز وجل * ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون * وقوله عز وجل * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم * وقوله

(١) قوله والاشعرى الخ لم يقل الاشعرى ان من فى قلبه تصديق بشيء من العقائد يسمى مؤمنا لانه وان قال ان الايمان هو التصديق لكنه اشترط فى تحققه الاسلام فلا يتحقق ايمان بدون الاسلام ولا اسلام بدون ايمان هذا هو مذهب الاشعرى فالخلاف بينه وبين ما قال ابن حزم لفظى لا معنوى حتى يلزم تكفيره تامل اه مصححه

لنا غير ممكن لا نامدينون ولا يمكننا أن نشم تلك البارقة الاخطفة وخلسة . (المسئلة التاسعة) فى صدور نظام الكل وترتيبه منه قال قد بينا ان الجوهر على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك وقد بينا القول فى الواحد الغير المتحرك وأما الاثنان الطبيعيان فهما الهيولى والصورة أو العنصر والصورة وهما مبدأ الاجسام الطبيعية وأما العدم فيعد من المبادي بالعرض لا بالذات فالهيولى جوهر قابل للصورة والصورة معنى ما يقترن بالجوهر فيصير به نوعا كالجزء المقوم له لا كالعرض الحال فيه والعدم ما يقابل الصورة فانا متى توهمنا ان الصورة لم تكن فيجب أن يكون فى الهيولى عدم الصورة والعدم المطلق مقابل للصورة المطلقة والعدم الخاص مقابل للصورة الخاصة قال وأول الصورة التى تسبق الى الهيولى هى الابعاد الثلاثة فيصير جرما ذا طول وعرض

. قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * وقال تعالى . انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا * (قال ابو محمد) فان قالوا انما هذه الآية بمعنى ان هذه الافعال تدل على ان فى القلب ايمانا قلنا لهم لو كان ماقلتم لوجب ولابد ان يكون ترك من ترك شيئا من هذه الافعال دليلا على انه ليس فى قلبه ايمان وانتم لا تقولون هذا اصلا مع ان هذا صرف للآية عن وجهها وهذا لا يجوز الا ببرهان وقولهم هذا دعوى بلا برهان وقال تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون * وقال تعالى * والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا * فأثبت عزوجل لهم الايمان الذى هو التصديق ثم اسقط عنا ولايتهم اذ لم يهاجروا فابطل بذلك ايمانهم المطلق ثم قال تعالى * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا * فصح يقينا ان هذه الاعمال ايمان حق وعدمها ليس ايمانا وهذا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى * اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون * فنص عزوجل فى هذه الآية على أن من آمن بلسانه ولم يعتقد الايمان بقلبه فانه كافر ثم اخبرنا تعالى بالمؤمنين منهم وانهم الذين آمنوا وايقنوا بالسنتهم وقلوبهم معا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم واخبر تعالى ان هؤلاء هم الصادقون

(قال ابو محمد) ويلزمهم ان المنافقين مؤمنون لاقرارهم بالايمان بالسنتهم وهذا قول مخرج عن الاسلام وقد قال تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا * وقال تعالى . اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم * فقطع الله تعالى عليهم بالكفر كما ترى لانهم ابطنوا الكفر (قال ابو محمد) وبرهان آخر وهو ان الاقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله عزوجل لان احدنا يلفظ بالكفر حاكيا وقارئا له فى القرآن فلا يكون بذلك كافرا حتى يقر أنه عقده

(قال أبو محمد) فان احتج بهذا أهل المقالة الاولى وقالوا هذا يشهد بان الاعلان بالكفر ليس كفرا قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد قلنا ان التسمية ليست لنا وانما هى لله تعالى فلما امرنا تعالى بتلاوة القرآن وقد حكى لنا فيه قول اهل الكفر واخبرنا تعالى انه لا يرضى لعباده الكفر خرج القارىء للقرآن بذلك عن الكفر الى رضى الله عزوجل والايمان بحكايته ما نص الله تعالى باداء الشهادة بالحق فقال تعالى * الا من شهد بالحق وهم يعلمون خرج الشاهد المخبر عن الكافر بكفره عن ان يكون بذلك كافرا الى رضى الله عز وجل والايمان ولما قال تعالى * إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا * اخرج من ثبت اكراهه عن ان يكون باظهار الكفر كافرا الى رخصة الله تعالى والثبات على الايمان وبقي من اظهر الكفر لاقاريا ولا شاهدا ولا حاكيا ولا مكرها على وجوب الكفر له باجماع الامة على الحكم له بحكم الكفر وبحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وبنص القرآن

على

وعمق وهو الهيولى الثانية وليست بذات كيفية ثم تلحقها الكيفيات الاربعة التي هي الحرارة والبرودة الفاعلتان والرطوبة واليبوسة المنفعلتان فتصير الاركان والاستقصات الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض وهى الهيولى الثالثة ثم يتكون منها المركبات التى يلحقها الاعراض والكون والفساد ويكون بعضها هيولى بعض قال وانما رتبنا هذا الترتيب فى العقل والوهم خاصة دون الحس وذلك أن الهيولى عندنا لم تكن معراة عن الصورة قط فلم يقدر فى الوجود جوهرا مطلقا قابلا للابعاد ثم لحقها الابعاد ولا جسما عاريا عن هذه الكيفيات ثم عرض لها ذلك وانما هو عند نظرنا فى ما هو اقدم بالطبع وأبسط فى الوهم والعقل ثم أثبت طبيعية خامسة وراء هذه الطبائع لا تقبل الكون ولا الفساد ولا يطرأ عليها الاستحالة والتغير وهي طبيعة السماء وليس يعنى

على من قال كلمة الكفر انه كافر وليس قول الله عزوجل ولكن من شرح بالكفر صدرا على ماظنوه من اعتقاد الكفر فقط بل كل من نطق بالكلام الذى يحكم لقائله عند اهل الاسلام بحكم الكفر لاقاريا ولاشاهدا ولاحاكيا ولامكرها فقد شرح بالكفر صدرا بمعنى انه شرح صدره لقبول الكفر المحرم على اهل الاسلام وعلى اهل الكفران يقولوه وسواء اعتقده أولم يعتقده لان هذا العمل من اعلان الكفر على غير الوجوه المباحة فى ايراده وهو شرح الصدر به فبطل تموبههم بهذه الآية وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون * فنص الله تعالى على الايمان انه شىء قبل نفى الارتياب ونفى الارتياب لا يكون ضرورة الا بالقلب وحده فصح ان الايمان اذهو قبل نفى الارتياب شىء آخر غير نفى الارتياب والذى قبل نفى الارتياب هو القول باللسان ثم التصديق بالقلب والجهاد مع ذلك بالبدن والنفس والمال فلا يتم الايمان بنص كلام الله عزوجل الا بهذه الاقسام كلها فبطل بهذا النص قول من زعم ان الايمان هو التصديق بالقلب وحده او القول باللسان وحده اوكلاهما فقط دون العمل بالبدن وبرهان آخر وهو ان نقول لهم اخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر ام حين كونهم فى النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذى بجحدهم لكل ذلك ادخلوا النار وهل هم حينئذ مقرون بذلك بالسنتهم أم لا ولا بد من احدهما فان قالوا هم عارفون بكل ذلك مقرون به بالسنتهم وقلوبهم قلنا أهم مؤمنون أم غير مؤمنين فان قالوا هم غير مؤمنين قلنا قد تركتم قولكم ان الايمان هو المعرفة بالقلب او الاقرار باللسان فقط اوكلاهما فقط فان قالوا هذا حكم الآخرة قلنا لهم فاذ جوزتم نقل الاسماء عن موضوعها فى اللغة فى الآخرة فمن اين منعتم من ذلك فى الدنيا ولم تجوزوه لله عز وجل فيها وليس فى الحماقة اكثر من هذا وان قالوا بل هم مؤمنون قلنا لهم فالنار اذن أعدت للمؤمنين لا للكافرين وهى دار المؤمنين وهذا خلاف القرآن والسنن واجماع اهل الاسلام المتقين وان قالوا بل هم غير عارفين بالتوحيد ولا بصحة النبوة فى حال كونهم فى النار اكذبهم نصوص القرآن وكذبوا ربهم عزوجل فى اخباره انهم عارفون بكل ذلك هاتفون به بالسنتهم راغبون فى الرجعة والاقالة نادمون على ماسلف منهم وكذبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال اذ جعلوا من شاهد القيامة والحساب والجزاء غير عارف بصحة ذلك فصح بهذا انه لا ايمان ولا كفر الا ماسماه الله تعالى ايمانا وكفرا وشركا فقط ولا مؤمن ولا كافر ولا مشرك الا من سماه الله تعالى بشىء من ذلك اما فى القرآن واما على لسان النبى صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وأما من قال ان الايمان هو العقد بالقلب والاقرار باللسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر من قال بهذه المقالة وان كانت خطا وبدعة واحتجوا بان قالوا اخبرونا عمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله وبرئ من كل دين حاشا الاسلام وصدق بكل ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم واعتقد ذلك بقلبه ومات اثر ذلك أمؤمن هو أم لا فان جوابنا انه مؤمن بلاشك عند الله عزوجل وعندنا قالوا فاخبرونا أناقص الايمان هو أم كامل الايمان قالوا فان قلتم انه كامل الايمان فهذا قولنا وان قلتم انه ناقص الايمان سالناكم ماذا نقصه

بالخامسة طبيعة من جنس هذه الطبائع بل معنى ذلك أن طبائعها خارجة عن هذه ثم هى على تركيبات يختص كل تركيب خاص بطبيعة خاصة ويتحرك بحركة خاصة ولكل متحرك محرك مزاول ومحرك مفارق والمتحركات أحياء ناطقون والحيوانية والناطقية لها بمعنى آخر وانما يحمل ذلك عليها وعلى الانسان بالاشتراك فترتب العالم كله علوية وسفلية على نظام واحد وصار النظام فى الكل محفوظا بعناية المبدأ الاول على أحسن ترتيب وأحكم قوام متوجها الى الخير وترتيب الموجودات كلها فى طباع الكل على نوع نوع ليس على ترتيب المساواة فليس حال السباع كحال الطائر لا حالها كحال النبات ولا حال النبات كحال الحيوان وليس مع هذا التفاوت منقطعا بعضها عن بعض بحيث لا ينسب بعضها الى بعض بل هناك مع الاختلاف اتصال واضافة جامعة

من الايمان وماذا معه مع الايمان

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه مؤمن ناقص الايمان بالاضافة الى من له ايمان زائد باعمال لم يعملها هذا وكل واحد فهو ناقص الايمان بالاضافة الى من هو افضل اعمالا منه حتى يبلغ الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا احدا تم ايمانا منه بمعنى احسن اعمالا منه واما قولهم ما الذى نقصه من الايمان فانه نقصه الاعمال التى عملها غيره والتى ربنا عزوجل اعلم بمقاديرها

(قال أبو محمد) ومما يبين ان اسم الايمان فى الشريعة منقول عن موضوعه فى اللغة وان الكفر ايضا كذلك فان الكفر فى اللغة التغطية وسمى الزراع كافر التغطيته الحب وسمى الليل كافر التغطيته كل شيء قال الله عز وجل * فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع * وقال تعالى * كزرع اعجب الكفار نباته * يعنى الزراع وقال لبيد بن ربيعة يمينها القت زكاة فى كافر . يعنى الليل ثم نقل الله تعالى اسم الكفر فى الشريعة الى جحد الربوبية وجحد نبوة نبى من الانبياء صحت نبوته فى القرآن أو جحد شيء مما اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صح عند جاحده بنقل الكافة أو عمل شيء قام البرهان بان العمل به كفر مما قد بيناه فى كتاب الايصال والحمد لله رب العالمين فلو ان انسانا قال ان محمدا عليه الصلاة والسلام كافر وكل من تبعه كافر وسكت وهو يريد كافرون بالطاغوت كما قال تعالى * فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها * لما اختلف احد من اهل الاسلام فى ان قائل هذا محكوم له بالكفر وكذلك لو قال ان ابليس وفرعون وابا جهل مؤمنون لما اختلف احد من اهل الاسلام فى ان قائل هذا محكوم له بالكفر وهو يريد مؤمنون بدين الكفر فصح عند كل ذى مسكة من يتحيز أن اسم الايمان والكفر منقولان فى الشريعة عن موضوعهما فى اللغة بيقين لا شك فيه وانه لا يجوز ايقاع اسم الايمان المطلق على معنى التصديق باى شيء صدق به المرء ولا يجوز ايقاع اسم الكفر على معنى التغطية لاي شيء غطاه المرء لكن على ما اوقع الله تعالى عليه اسم الايمان واسم الكفر ولا مزيد وثبت يقينا ان ما عدا هذا ضلال مخالف للقرآن وللسنن ولاجماع اهل الاسلام اولهم عن آخرهم وبالله تعالى التوفيق وبقى حكم التصديق على حاله فى اللغة لا يختلف فى ذلك انسى ولا جنى ولا كافر ولا مؤمن فكل من صدق بشيء فهو مصدق به فمن صدق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصدق بما لا يتم الايمان الا به فهو مصدق بالله تعالى أو برسوله صلى الله عليه وسلم وليس مؤمنا ولا مسلما لكنه كافر مشرك لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين

اعترافات للمرجئة الطبقات الثلاث المذكورة

(قال أبو محمد) ان قال قائل اليس الكفر ضد الايمان قلنا وبالله تعالى التوفيق اطلاق هذا القول خطأ لان الايمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا فمن تلك المعانى شيء يكون الكفر ضدا له ومنها ما يكون الفسق ضدا له لا الكفر ومنها ما يكون الترك ضداله لا الكفر ولا الفسق فاما الايمان الذى يكون الكفر ضدا له فهو العقد بالقلب والاقرار باللسان فان الكفر ضد لهذا الايمان واما الايمان الذى يكون الفسق ضدا له لا الكفر فهو ما كان من الاعمال فرضا فان تركه ضد للعمل وهو فسق لا كفر واما الايمان الذي يكون الترك له

للكل يجمع الكل الى الاصل الاول الذى هو المبدأ لفيض الجود والنظام فى الوجود على ما يمكن فى طباع الكل أن يترتب عنه قال وترتيب الطباع فى الكل كترتيب المنزل الواحد من الارباب والاحرار والعبيد والبهائم والسباع فقد جمعهم صاحب المنزل ورتب لكل واحد مكانا خاصا وقدر له عملا خاصا ليس قد أطلق لهم أن يعملوا ما شاؤا وأحبوا فان ذلك يؤدى الى تشويش النظام فهم وان اختلفوا فى مراتبهم وانفصل بعضهم عن بعض باشكالهم وصورهم منتسبون الى مبدأ واحد صادرون عن رأيه وأمره مصرفون تحت حكمه وقدره فكذلك يجرى الحال فى العالم بأن يكون هناك أجزاء أول مفردة مقدمة لها أفعال مخصوصة مثل السموات ومحركاتها ومدبراتها وما قبلها من العقل الفعال وأجزاء مركبة متأخرة تجري أكثر أمورها على الاتفاق المخلوط بالطبع

ضدا فهو كل ما كان من الاعمال تطوعا فان تركه ضد العمل به وليس فسقا ولا كفراً برهان ذلك ماذكرناه من ورود النصوص بتسمية الله عزوجل اعمال البر كلها ايمانا وتسميته تعالى ماسمى كفرا وماسمي فسقا وماسمى معصية وماسمى اباحة لامعصية ولا كفرا ولا ايمانا وقد قلنا ان التسمية لله عزوجل لا لاحد غيره فان قال قائل منهم اليس جحد الله عز وجل بالقلب فقط لا باللسان كفرا فلابد من نعم قال فيجب على هذا ان يكون التصديق باللسان وحده ايمانا فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا كان يصح لكم لوكان التصديق بالقلب وحده او باللسان وحده ايمانا وقد اوضحنا آنفا انه ليس شيء من ذلك على انفراده ايمانا وانه ليس ايمانا الاماسماه الله عزوجل ايمانا وليس الكفر الاماسماه الله عزوجل كفرا فقط فان قال قائل من اهل الطائفة الثالثة أليس جحد الله تعالى بالقلب وباللسان هو الكفر كله فكذلك يجب أن يكون الاقرار بالله تعالى باللسان والقلب هو الايمان كله قلنا وبالله تعالى نتايد ليس شيء مما قلتم بل الجحد لشيء مما صح البرهان انه لا ايمان الا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ماقام البرهان ان النطق به كفر كفر والعمل بشيء مماقام البرهان بانه كفر كفر فالكفر يزيد وكلما زاد فيه فهو كفر والكفر ينقص وكله مع ذلك ما بقي منه وما نقص فكله كفر وبعض الكفر اعظم واشد واشنع من بعض وكله كفر وقد اخبر تعالى عن بعض الكفر انه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * ثم قال * ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار. وقال تعالى * أدخلوا آل فرعون اشد العذاب * فاخبر تعالى ان قوما يضاعف لهم العذاب فاذ كل هذا قول الله عزوجل وقوله الحق فالجزاء على قدر الكفر بالنص وبعض الجزاء اشد من بعض بالنصوص ضرورة والايمان ايضا يتفاضل بنصوص صحاح وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والجزاء عليه فى الجنة يتفاضل بلاخلاف فان قال من الطبقتين الاولتين اليس من قولكم من عرف الله عزوجل والنبي صلى الله عليه وسلم واقربهما بقلبه فقط الا انه منكر بلسانه لكل ذلك اولبعضه فانه كافر وكذلك من قولكم ان من اقر بالله عزوجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم بلسانه فقط الا انه منكر بقلبه لكل ذلك اولبعضه فانه كافر

(قال ابو محمد) فجوابنا نعم هكذا نقول قالوا فقد وجب من قولكم اذا كان بماذكرنا كافرا ان يكون فعله ذلك كفرا ولابدا اذ لا يكون كافرا الا بكفره فيجب على قولكم ان الاقرار بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم بالقلب كفر ولابد ويكون الاقرار بالله تعالى ايضا وبرسوله صلى الله عليه وسلم باللسان ايضا كفر ولابد وانتم تقولون انهما ايمان فقد وجب على قولكم ان يكونا كفرا ايمانا معا وفاعلهما كافرا مؤمنا معا وهذا كما ترون

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا شغب ضعيف والزام كاذب سموه لاننا لم نقل قط ان من اعتقد وصدق بقلبه فقط بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وانكر بلسانه ذلك اوبعضه فان اعتقاده لتصديق ذلك كفر ولا انه كان بذلك كافرا وانما قلنا انه كفر بترك اقراره بذلك بلسانه فهذا هو الكفر وبه صار كافرا وبه اباح الله تعالى دمه او اخذ الجزية منه باجماعكم معنا واجماع جميع اهل الاسلام وكان تصديقه بقلبه فقط بكل ذلك لغوا محبطا كانه لم يكن ليس ايمانا ولا كفرا ولا طاعة ولا معصية قال تعالى * لئن أشركت ليحبطن عملك * وقال تعالى * يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي

والارادة والجبر الممزوج بالاختيار ثم ينسب الكل الي عناية البارى جلت عظمته. (المسئلة العاشرة) فى أن النظام فى الكل متوجه الى الخير والشر واقع فى القدر بالعرض وقال لما اقتضت الحكمة الالهية نظام العالم على أحسن إحكام وإتقان لا لارادة وقصد فى السافل حتى يقال انما أبدع العقل مثلا لغرض فى السافل حتى يفيض مثلا على السافل فيضا بل لامر أعلى من ذلك وهو أن ذاته أبدع ما أبدع لذاته لا لعلة ولا لغرض فوجدت الموجودات كاللوازم واللواحق ثم توجهت الى الخير لانها صادرة عن أصل الخير وكان المصير فى كل حال رأس واحد ثم ربما يقع شر وفساد من مصادمات فى الاسباب السافلة دون العالية التى كلها خير مثل المطر الذى لم يخلق الا خيرا ونظاما للعالم فيتفق أن يخرب به بيت عجوز كان ذلك واقعا بالعرض

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون* وبالضرورة يدرى كل مسلم ان من حبط عمله وبطل فقد سقط حكمه وتاثيره ولم يبق له رسم وكذلك لم نقل ان من اقر بلسانه وحده بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وجحد بقلبه ان اقراره بذلك بلسانه كفر ولا انه كان به كافرا لكنه كان كافرا بجحده بقلبه لما جحد من ذلك وجحده لذلك هو الكفر وكان اقراره بكل ذلك بلسانه لغوا محبطا كما ذكرنا لا ايمانا ولا كفرا ولا طاعة ولا معصية وبالله تعالى التوفيق فسقط هذا الايهام الفاسد فان قال قائل منهم اليس بعض الايمان ايمانا وبعض الكفر كفرا واراد ان يلزمنا من هذا ان العقد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح اذا كان ذلك ايمانا فابعاضه اذا انفردت ايمانا أو ان تقول ان ابعاض الايمان ليست ايمانا فيموه بهذا

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اننا نقول ونصرح انه ليس بعض الايمان ايمانا اصلا بل الايمان متركب من اشياء اذا اجتمعت صارت ايمانا كالبلق ليس السواد وحده بلقا ولا البياض وحده بلقا فاذا اجتمعا صارا بلقا وكالباب ليس الخشب وحده بابا ولا المسامير وحدها بابا فاذا اجتمعا على شكل ما سمى حينئذ بابا وكالصلاة فان القيام وحده ليس صلاة ولا الركوع وحده صلاة ولا الجلوس وحده صلاة ولا القراءة وحدها صلاة ولا الذكر وحده صلاة ولا استقبال القبلة وحده صلاة اصلا فاذا اجتمع كل ذلك سمى المجتمع حينئذ صلاة وكذلك الصيام المفترض والمندوب اليه ليس صيام كل ساعة من النهار على انفرادها صياما فاذا اجتمع صيامها كلها يسمى صياما وقد يقع فى اليوم الاكل والجماع والشراب سهوا فلا يمنع ذلك من ان يكون صيامه صحيحا والتسمية لله عزوجل كما قدمنا لا لاحد دونه بل من الايمان شيء اذا انفرد كان كفرا كمن قال مصدقا بقلبه لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا ايمان فلو افرد لا اله وسكت سكوت قطع كفر بلا خلاف من احد ثم نسالهم فنقول لهم فاذا انفرد صيامه اوصلاته دون ايمان اهى طاعة فمن قولهم لا فقد صاروا فيما أرادوا ان يموهوا به علينا من ان ابعاض الطاعات اذا انفردت لم تكن طاعة بل كانت معصية واذا اجتمعت كانت طاعة

(قال ابو محمد) فان قالوا اذا كان النطق باللسان عندكم ايمانا فيجب اذا عدم النطق بأن يسكت الانسان بعد اقراره ان يكون سكوته كفرا فيكون بسكوته كافرا قلنا ان هذا يلزمنا عندكم فما تقولون ان سألكم اصحاب محمد بن كرام فقالوا لكم اذا كان الاعتقاد بالقلب هو الايمان عندكم فيجب اذا سها عن الاعتقاد واحضاره ذكره اما فى حال حديثه مع من يتحدث اوفى حال فكره او نومه ان يكون كافرا وان يكون ذلك السهو كفرا فجوابهم انه محمول على ماصح منه من الاقرار باللسان

(قال ابو محمد) ونقول للجهمية والاشعرية فى قولهم ان جحد الله تعالى وشتمه وجحد الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كان كل ذلك باللسان فانه ليس كفرا لكنه دليل على ان فى القلب كفرا اخبرونا عن هذا الدليل الذي ذكرتم اتقطعون به فتثبتونه يقينا ولا تشكون فى ان فى قلبه جحدا للربوبية وللنبوة ام هو دليل يجوز ويدخله الشك ويمكن ان لا يكون فى قلبه كفر ولا بد من احدهما فان قالوا انه دليل لا نقطع به قطعا ولا نثبته يقينا قلنا لم فما بالكم تحتجون بالظن الذى قال تعالى فيه * ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من

الحق

بالذات وبان لا يقع شر جزئى فى العالم لا يقتضى الحكمة أن يوجد خير كلى فان فقدان المطر أصلا شر كلى وتخريب بيت عجوز شر جزئى والعالم للنظام الكلى لا الجزئى فالشر اذا وقع فى القدر بالعرض وقال ان الهيولى قد لبست الصورة على درجات ومراتب وانما يكون لكل درجة ما يحتمله فى نفسها دون أن يكون فى الفيض الاعلى امساك عن بعض وأفاضة على بعض فالدرجة الاولى احتمالها على نحو أفضل والثانية دون ذلك والذى عندنا من العناصر دون الجميع لان كل ماهية من ماهيات هذه الاشياء انما تحتمل ما يستطيع أن يلبس من الفيض على النحو الذى كنى له ولذلك تقع العاهات والتشويهات في البدن لما يلزم من صورة المادة الناقصة التى لا تقبل الصورة على كمالها الاول والثانى قال انا ان لم نجر الامور على

الحق شيئا * واعجب من هـذا انكم انما قلتم ان اعلان الـكفر انما قلنا انه دليل على ان فى القلب كفرا لان الله تعالى سماهم كفاراً فلا يمكننا رد شهادة الله تعالى فماد هذا البلاء عليكم لانـكم قطعتم انها شهادة الله عز وجل ثم لم تصدقوا شهادته ولا قطعتم بها بل شككتم فيها وهذا تكذيب من لاخفاء به واما نحن فمعاذ الله من ان نقول اونعتقد ان الله تعـالى شهد بهذا قط بل من ادعى ان الله شهد بان من أعلن الـكفر فانه جاحد بقلبه كذب على الله عز وجل وافترى عليه بل هذه شهادة الشيطان التى أضل بها اولياءه وماشهد الله تعالى الا بضد هذا وبانهم يعرفون الحق ويكتمونه ويعرفون ان الله تعالى حق وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ويظهرون بالسنتهم خلاف ذلك وماسماهم الله عزوجل قط كفارا الا بما ظهر منهم بالسنتهم وافعالهم كافعل بابليس واهل الـكتاب وغيرهم وان قالوا بل يثبت بهذا الدليل ونقطع به ونوقن ان كل من أعلن بمـا يوجب اطلاق اسم الـكفر عليه فى الشريعة فانه جاحد بقلبه قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق هذا باطل من وجوه (اولها) انه دعوى بلا برهان (وثانيها) انه علم غيب لا يعلمه الا الله عزوجـل والذى يضمره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أبعث لاشق عن قلوب الناس فمدعى هذا مدعى علم غيب ومدعى علم الغيب كاذب (وثالثها) ان القران والسنن كما ذكرنا قد جاءت النصوص فيهما بخلاف هذا كما تلونا قبل (ورابعها) ان كان الامر كما تقولون فمن اين اقتصرتم بالايمان على عقد القلب فقط ولم تراعوا اقرار اللسان وكلاهما عندكم مرتبط بالآخر لا يمكن انفرادهما وهـذا يبطل قولكم انه اذا اعتقد الايمان بقلبه لم يكن كافرا باعلانه الـكفر فجوزتم أن يكون يعلن الـكفر من يبطن الايمـان فظهر تناقض مذهبهم وعظيم فساده (وخامسها) انه كان يلزمهم اذا كان اعلان الـكفر باللسان دليلا على الجحد بالقلب والكفر به ولا بد فان اعلان الايمـان باللسان يجب ايضا ان يكون دليلا قاطعـا باتا ولابد على ان فى القلب ايمانا وتصديقا لاشك فيه لان الله تعـالى سمي هؤلاء مؤمنين كما سمى اولئك كفاراً ولا فرق بين الشهادتين فان قالوا ان الله تعالى قد أخبر عن المنافقين المعلنين بالايمان المبطنين للكفر والجحد قيل لهم وكذلك اعلمنا الله تعالى واخبرنا ان ابليس واهل الكتاب والكفار بالنبوة انهم يعلنون الـكفر ويبطنون التصديق ويؤمنون بان الله تعالى حق وان رسوله حق يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولا فرق وكل ما موهتم به من الباطل والكذب فى هؤلاء امكن للـكرامية مثله سواء بسواء فى المنافقين وقالوا لم يكفروا قط بابطانهم الـكفر لكن لما سماهم الله بانهم آمنوا ثم كفروا علمنا انهم نطقوا بعد ذلك بالـكفر والجحد بشهادة الله تعالى بذلك كما ادعيتم انتم شهادته تعالى على ما فى نفوس الكفار ولا فرق

(قال ابو محمد) وكلتا الشهادتين من هاتين الطائفتين كذب على الله عزوجـل وماشهد الله عزوجل قط على ابليس واولى الـكتاب بالـكفر الا بما اعلنوه من الاستخفاف بالنبوة وبآدم وبالنبى صلى الله عليه وسلم فقط ولا شهد تعالى قط على المنافقين بالكفر الا بما بطنوه من الـكفر فقط واما هـذا فتحريف للـكلم عن مواضعه وافك مفترى ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) ونظروا قولهم قالوا مثل هذا ان تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل

هـذا المنهـاج ألجأتنا الضرورة الى أن نقع فى محالات وقع فيها من قبلنا كالثنوية وغيرهم * (المسالة الحادية عشر) فى كون الحركات سرمدية وأن الحوادث لم تزل قال ان صدور الفعل عن الحق الاول انما يتاخر لا بزمان بل بحسب الذات والفعل ليس مسبوقا بعدم بل هو مسبوق بذات الفـاعل ولكن القدماء لما أرادوا أن يعـبروا عن العلية افتقروا الى ذكر القبلية والقبلية فى اللفظ تتناول الزمان وكذلك فى المعنى عنـد من لم يتـدرب وأوهمت عباراتهم ان فعل الاول الحق فعل زماني وان تقدمه تقدم زمانى وقال ونحن أثبتنا أن الحركات تحتاج الى محرك غير متحرك ثم تقول الحركات لا تخلوا اما أن تكون لم تزل أو تكون قد حدثت بعد أن لم تكن وقد كان المحرك موجودا لها بالفعل قادرا ليس يمانعه مانع من أن يكون عنه

هذه الدار اليوم الا كافر أو يقول كل من دخل هذه الدار اليوم فهو كافر قالوا فدخول تلك الدار دليل على انه يعتقد الكفر لأن دخول الدار كفر

(قال ابو محمد) وهذا كذب وتمويه ضعيف بان دخول تلك الدار فى ذلك اليوم كفر محض مجرد وقد يمكن ان يكون الداخل فيها مصدقا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم الاان تصديقه ذلك قد حبط بدخوله الدار وبرهان ذلك انه لا يختلف اثنان من أهل الاسلام فى ان دخول تلك الدار لا يحل البتة لعائشة ولا لابي بكر ولا لعلى ولا لاحد من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا لاحد من أصحابه رضى الله عنهم كما ان الله تعالى قد نص على انه علم مافى قلوبهم وأنزل السكينة عليهم واذ ذلك كذلك فقد وجب ضرورة ان هؤلاء رضي الله عنهم لو دخلوا تلك الدار لكانوا كفارا بلاشك بنفس دخولهم فيها ولحبط ايمانهم فان قالوا لو دخلها هؤلاء لم يكفروا كانوا هم قد كفروا لانهم بهذا القول قاطعون بان كلامه صلى الله عليه وسلم كذب فى قوله لا يدخلها الا كافر واحتج بعضهم فى هذا المكان بقول الاخطل النصرانى لعنه الله اذ يقول

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

(قال ابو محمد) فجوابنا على هذا الاحتجاج ان نقول ملعون ملعون قائل هذا البيت وملعون ملعون من جعل قول هذا النصراني حجة فى دين الله عز وجل وليس هذا من باب اللغة التى يحتج فيها بالعربي وان كان كافرا وانما هي قضية عقلية فالعقل والحس يكذب بان هذا البيت وقضية شرعية فالله عز وجل أصدق من النصراني اللعين اذ يقول عز وجل * يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم * فقد أخبر عز وجل بان من الناس من يقول بلسانه ماليس فى فؤاده بخلاف قول الاخطل لعنه الله ان الكلام لفي الفؤاد واللسان دليل على الفؤاد فاما نحن فنصدق الله عز وجل ونكذب الاخطل ولعن الله من يجعل الاخطل حجة فى دينه وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان الله عز وجل قال * ولتعرفنهم فى لحن القول * قلنا لولا ان الله عز وجل عرفه بهم ودله عليهم بلحن القول ما كان لحن قولهم دليلا عليهم ولم يطلق الله تعالى هذا على كل احد بل على أولئك خاصة بل قد نص تعالى على آخرين بخلاف ذلك اذ يقول * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم * فهؤلاء من أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق لم يعلمهم قط رسول الله ﷺ بلحن قولهم ولو ان الناس لم يضربوا قط كلام ربهم تعالى بعضه ببعض واخذوه كله على مقتضاه لاهتدوا ولكن * من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * وقد قال عز وجل * ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم * فجعلهم تعالى مرتدين كفرا بعد علمهم الحق وبعد أن تبين لهم الهدى بقوله للكفار ما قالوا فقط واخبرنا تعالى انه يعرف اسرارهم ولم يقل تعالى انها جحد او تصديق بل قد صح ان في سرهم التصديق لان الهدى قد تبين لهم ومن تبين له شيء فلا يمكن البتة ان يجحده بقلبه اصلا واخبرنا تعالى انه قد احبط أعمالهم باتباعهم ما أسخطه وكراهيتهم رضوانه وقال تعالى * ياأيها الذين آمنوا

ولا حدث حادث فى حال ما أحدثها فرغبه وحمله على الفعل اذ كان جميع ما يحدث انما يحدث عنه وليس شيء غيره يعوقه أو يرغبه ولا يمكن أن يقال قد كان لا يقدر أن يكون عنه فقدر أو لم يرد فاراد أو لم يعلم فعلم فان ذلك كله يوجب الاستحالة ويوجب أن يكون شيء آخر غيره هو الذى أحاله وان قلنا انه منعه مانع يلزم أن يكون السبب المانع أقوى والاستحالة والتغير عن المانع حركة أخرى استدعت محركا وبالجملة كل سبب ينسب اليه الحادث فى زمان حدوثه بعد جوازه فى زمان قبله وبعده فانما ذلك السبب جزئي خاص وجب حدوث تلك الحادثة التى لم تكن قبل ذلك والا فالارادة الكلية والقدرة الشاملة والعلم الواسع العام ليس يخصص بزمان دون زمان بل نسبته الى الزمان كلها نسبة واحدة فلابد لكل حادث من سبب حادث ويتعالى عنه لواحد الحق الذى لا يجوز

لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون * فهذا نص جلي وخطاب للمؤمنين بان إيمانهم يبطل جملة وأعمالهم تحبط برفع أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ دون جحد كان منهم أصلا ولو كان منهم جحد لشعروا والله تعالى اخبرنا بان ذلك يكون وهم لايشعرون فصح ان من اعمال الجسد مايكون كفرا مبطلا للايمان فاعله جملة ومنه مالايكون كفرا لكن على ماحكم الله تعالى به في كل ذلك ولا مزيد

(قال ابو محمد) فان قال قائل من أين قلتم ان التصديق لايتفاضل ونحن نجد خضرة أشد من خضرة وشجاعة أشد من شجاعة لاسيما والشجاعة والتصديق كيفيات من صفات النفس معا فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان كل ماقبل من الكيفيات الاشد والاضعف فانما يقبلهما بمزاج يداخله من كيفية أخرى ولا يكون ذلك الا فيما بينه وبين ضده منها وسائط قد تمازج كل واحد من الضدين أو فيما جاز امتزاج الضدين فيه كما نجد بين الخضرة والبياض وسائط من حمرة وصفرة تمازجها فتولد حينئذ بالممازجة الشدة والضعف وكالصحة التي هي اعتدال مزاج العضو فاذا مازج ذلك الاعتدال فضل ماكان مرضه بحسب مامازجه في الشدة والضعف والشجاعة انما هي استسهال النفس للثبات والاقدام عند المعارضة في اللقاء فاذا ثبت الاثنان ثباتا واحدا واقدما اقداما مستويا فهما في الشجاعة سواء واذا ثبت احدهما أو اقدم فوق ثبات الآخر واقدامه كان اشجع منه وكان الآخر قد مازج ثباته اواقدامه جبن واما ماكان من الكيفيات لايقبل المزاج أصلا فلا سبيل الى وجود التفاضل فيه وكان ذلك على حسب ماخلقه الله عزوجل من كل ذلك ولا مزيد كاللون فانه لاسبيل الى ان يكون لون أشد دخولا في انه لون من لون آخر اذ لو مازج التصدق غيره لصار كذبا في الوقت ولو مازج التصديق شيء غيره لصار شكا في الوقت وبطل التصديق جملة وبالله تعالى التوفيق والايمان قد قلنا انه ليس هو التصديق وحده بل اشياء مع التصديق كثيرة فانما دخل التفاضل في كثرة تلك الاشياء وقلتها وفي كيفية ايرادها وبالله تعالى التوفيق وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج من النار من في قلبه مثقال شعيرة من ايمان ثم من في قلبه مثقال برة من ايمان ثم من في قلبه مثقال ذرة من ايمان الى ادنى ادنى من ذلك انما أراد عليه السلام من قصد الى عمل شيء من الخير اوهم به ولم يعمله بعد ان يكون مصدقا بقلبه بالاسلام مقرا بلسانه كما في الحديث المذكور من قال لا اله الا الله وفي قلبه مثقال كذا

(قال أبو محمد) ومن النصوص على ان الاعمال ايمان قول الله تعالى * فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنص تعالى نصا جليا لايحتمل تأويلا وأقسم تعالى بنفسه انه لايؤمن أحد الا من حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين غيره ثم يسلم لما حكم به عليه السلام ولا يجد في نفسه حرجا مما قضي وهذه كلها أعمال باللسان وبالجوارح غير التصديق بلاشك وفي هذه كفاية لمن عقل

(قال أبو محمد) ومن العجب قولهم ان الصلاة والصيام والزكاة ليست ايمانا لكنها شرائع الايمان

(قال أبو محمد) هذه تسمية لم يأذن الله تعالى بها ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من

عليه التغير والاستحالة قال واذ لابد من محرك للحركات ومن حامل للحركات وتبين أن المحرك سرمدي فالحركات سرمدية فالمتحركات سرمدية ولو قيل ان حامل الحركة وهو الجسم لم يحدث لكنه تحرك عن سكون وجب أن تعثر على السبب الذي يغير من السكون الى الحركة فان قلنا ان ذلك الجسم حدث تقدم حدوث الجسم حدوث الحركة فقد بان ان الحركة والمتحرك والزمان الذي هو عاد الى الحركة أزلية سرمدية والحركات اما مستقيمة أو مستديرة والاتصال لايكون الا المستديرة لان المستقيم ينقطع والاتصال أمر ضروري للاشياء الازلية فان الذي يسكن ليس بازلي والزمان متصل لانه لا يمكن أن يكون من ذلك قطع مبتورة فيجب من ذلك أن تكون الحركة متصلة وكانت المستديرة هي وحدها متصلة فيجب ان تكون هي أزلية فيجب

الصحابة رضي الله عنهم بل الاسلام هو الايمان وهو الشرائع والشرائع هي الايمان والاسلام وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واختلف الناس في الكفر والشرك فقالت طائفة هي اسمان واقعان على معنيين وان كل شرك كفر وليس كل كفر شركا وقال هؤلاء لا شرك الا قول من جعل لله شريكا قال هؤلاء اليهود والنصارى كفارا لا مشركون وسائر الملل كفار مشركون وهو قول ابي حنيفة وغيره وقال اخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وهو قول الشافعي وغيره

(قال ابو محمد) واحتجت الطائفة الاولى بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين * قالوا ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين وقالوا لفظة الشرك ماخوذة من الشريك فمن لم يجعل لله تعالى شريكا فليس شركا

(قال ابو محمد) هذه عمدة حجتهم مانعلم لهم حجة غير هاتين

(قال ابو محمد) اما احتجاجهم بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * فلو لم يات في هذا المعنى غير هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذي انزل هذه الآية هو القائل * اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا * وقال تعالى * ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله * وقال تعالى عنهم انهم قالوا أن الله ثالث ثلاثة وهذا كله تشريك ظاهر لاخفاء به فاذ قد صح الشرك والتشريك في القرآن من اليهود والنصارى فقد صح انهم مشركون وان الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد وقد قلنا ان التسمية لله عز وجل لا لنا فاذ ذلك كذلك فقد صح ان قوله تعالى * الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كقوله تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا * ولا خلاف بين أحد من أهل الاسلام في أن المنافقين كفار وكقوله تعالى قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين * ولا خلاف في أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى * فيهما فاكهة ونخل ورمان والرمان الرمان من الفاكهة والقرآن نزل بلغة العرب والعرب تعيد الشيء باسمه وان كانت قد أجملت ذكره تأكيدا لامره فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بان لفظ الشرك ماخوذ من الشريك فقد قلنا أن التسمية لله عز وجل لا لاحد دونه وله تعالى أن يوقع اي اسم شاء على أي مسمى شاء برهان ذلك أن من أشرك بين عبيدين له في عمل ما أو بين اثنين في هبة وهبها لهما فانه لا يطلق عليه اسم مشرك ولا يحل أن يقال أن فلانا أشرك ولا ان عمله شرك فصح انها لفظة منقولة أيضا عن موضوعها في اللغة كما أن الكفر لفظة منقولة أيضا عن موضوعها إلى ما أوقعها الله تعالى عليه والتعجب من أهل هذه المقالة وقولهم ان النصارى ليسوا مشركين وشركهم اظهر وأشهر من أن يجهله أحد لانهم يقولون كلهم بعبادة الاب والابن وروح القدس وان المسيح اله حق ثم يجعلون البراهمة مشركين وهم لا يقرون الا بالله وحده ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافرا الا من جحد الله تعالى فقط فان قال قائل كيف اتخذ اليهود والنصارى

أن يكون محرك هذه الحركة المستديرة أيضا أزليا اذ لا يكون ما هو أخس علة لما هو أفضل ولا فائدة في محركات ساكنة غير محركة كالصور الافلاطونية فلا ينبغي ان يضع هذه الطبيعة بلا فعل فتكون متعطلة غير قادرة أن تحرك وتحيل * (المسئلة الثانية عشر) في كيفية تركب العناصر حكى (فرفوريوس) عنه أنه قال كل موجود ففعله مثل طبيعته فما كانت طبيعته بسيطة ففعله بسيط ففعل الله تعالى واحد بسيط وكذلك فعله الاجتلاب الى الوجود فانه موجود لكن الجوهر لما كان وجوده بالحركة كان بقاؤه أيضا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر أن يكون موجودا من ذاته بمنزلة الوجود الاول الحق لكن من التشبه بذلك الاول الحق وكل حركة يكون اما مستقيمة أو مستديرة فالحركة المستقيمة يجب ان تكون متناهية

اربابا من دون الله وهم ينكرون هذا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان التسمية لله عز وجل فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ماحرم احبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة وهذا هو الشرك بلا خلاف كما سمى كفرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل وان كانوا مصدقين به تعالى لكن لما احبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة فان قالوا كيف تقولون ان الكفار مصدقون بالله تعالى والله تعالى يقول * لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى * ويقول تعالى * واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم . قلنا وبالله تعالى نتأيد ان كل من خرج الى الكفر بوجه من الوجوه فلا بد له من أن يكون مكذبا بشيء مما لا يصح الاسلام الا به أورد أمرا من أمور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب بذلك الشيء الذي رده أو كذب به ولم يقل الله تعالى الذي كذب بالله عز وجل لكن قال كذب وتولى ولا قال تعالى واما ان كان من المكذبين بالله وانما قال تعالى من المكذبين الضالين فقط فمن كذب بامر من أمور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب على الاطلاق كما سماه الله تعالى وان كان مصدقا بالله تعالى وبما صدق به

(قال أبو محمد) فان قالوا كيف تقولون ان اليهود عارفون بالله تعالى والنصارى والله تعالى يقول . قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب . قلنا وبالله تعالى التوفيق قد قلنا أن التسمية الى الله عز وجل لا لاحد دونه وقلنا ان اسم الايمان منقول عن موضوعه في اللغة عن التصديق المجرد الى معنى آخر زائد مع التصديق فلما لم يستوفوا تلك المعاني بطل تصديقهم جملة واستحقوا ببطلانه ان يسموا غير مؤمنين بالله ولا باليوم الآخر فان قيل فهل هم مصدقون بالله وباليوم الآخر قلنا نعم فان قيل ففيهم موحدون لله تعالى قلنا نعم فان قيل فيهم مؤمنون بالله وبالرسول وباليوم الآخر قلنا لا لان الله تعالى نص على كل ماقلنا فاخبر تعالى انهم يعرفونه ويقرون به ويعرفون نبيه صلى الله عليه وسلم وانه نبي فاقررنا بذلك وأسقط تعالى عنهم اسم الايمان فاسقطناه عنهم ومن تعدى هذه الطريقة فقد كذب ربه تعالى وخالف القرآن وعاند الرسول وخرق اجماع أهل الاسلام وكابر حسه وعقله مع ذلك وبالله تعالى التوفيق وهكذا نقول فيمن كان مسلما ثم اطلق واعتقد مايوجب الخروج عن الاسلام كالقول بنبوة انسان بعد النبي صلى الله عليه وسلم أو تحليل الخمر أو غير ذلك فانه مصدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم موحد عالم بكل ذلك وليس مؤمنا مطلقاً ولا مؤمنا بالله تعالى ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الآخر لما ذكرنا آنفا ولا فرق لاجماع الامة كلها على استحقاق اسم الكفر على من ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

الكلام في تسمية المؤمن بالمسلم والمسلم بالمؤمن وهل الايمان والاسلام اسمان لمسمى واحد ومعنى واحد أو لمسميين ومعنيين .

(قال أبو محمد) ذهب قوم الى ان الإسلام والايمان اسمان واقعان على معنيين وانه قد يكون مسلم غير مؤمن واحتجوا بقول الله عز وجل * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا

فالجوهر يتحرك في الاقطار الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق على خطوط مستقيمة حركة متناهية فيصير بذلك جسما ويبقى عليه ان يتحرك بالاستدارة على الجهة التي يمكن فيها بالاستدارة حركة بلا نهاية ولا يسكن في وقت من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة على الاستدارة وذلك ان الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسط منه كالنقطة فانقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وهو الفلك وسكن بعضه في الوسط قال وكل جسم يتحرك فماس جسما ساكنا في طبيعته قبول التاثير منه احدث سخونة فيه واذا سخن لطف وانحل وجف فكان طبيعة النار تلي الفلك المتحرك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار لكن جزؤ منه دون سخونة النار وهو والجسم الذي يلي الهواء

ولـكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الأيمان في قلوبكم * وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له سعد هل لك يارسول الله فى فلان فانه مؤمن فقـال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو مسلم . وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى صورة فتى غير معروف العين فساله عن الاسلام فاجابه باشياء فى جملتها اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأعمال أخر مذكورة فى ذلك الحديث وساله عن الايمان فأجابه باشيـاء من جملتها ان تؤمن بالله وملائـكته وبحديث لايصح من أن المرء يخرج عن الايمان الى الاسلام وذهب آخرون الى ان الايمان والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد واحتجوا بقول الله عز وجل * فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وبقوله تعالى * يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين (قال ابو محمد) والذى نقول به وبالله تعالى التوفيق ان الايمان اصله فى اللغة التصديق على الصفة التى ذكرنا قبل ثم اوقعه الله عز وجل فى الشريعة على جميع الطاعات واجتناب المعاصى اذا قصد بكل ذلك من عمل او ترك وجه الله عز وجل وان الاسلام اصله فى اللغة التبرؤ تقول أسلمت امر كذا الى فلان اذا تبرأت منه اليه فسمى المسلم مسلما لانه تبرأ من كل شيء الى الله عز وجل ثم نقل الله تعالى اسم الاسلام ايضا الى جميع الطاعات وايضا فان التبرؤ الى الله من كل شيء هو معنى التصديق لانه لا يبرأ الى الله تعالى من كل شيء حتى يصدق به فاذا اريد بالاسلام المعنى الذى هو خلاف الـكفر وخلاف الفسق فهو والايمان شيء واحد كما قال تعالى * لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان * وقد يكون الاسلام ايضا بمعنى الاستسلام اى انه استسلم للملة خوف القتل وهو غير معتقد لها فاذا اريد بالاسلام هذا المعنى فهو غير الايمان وهو الذى اراد الله تعالى بقوله * لم تؤمنوا ولـكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وبهذا تتالف النصوص المذكورة من القرآن والسنن وقد قال تعالي * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فهذا هو الاسلام الذى هو الايمان فصح ان الاسلام لفظة مشتركة كما ذكرنا ومن البرهان على انها لفظة منقولة عن موضعها فى اللغة ان الاسلام فى اللغة هو التبرؤ فاى شيء تبرأ منه المرء فقد اسلم من ذلك الشيء وهو مسلم كما ان من صدق بشيء فقد آمن به وهو مؤمن به وبيقين لا شك فيه يدرى كل واحد ان كل كافر على وجه الارض فانه مصدق باشياء كثيرة من أمور دنياه ومتبرىء من اشياء كثيرة ولا يختلف اثنين من أهل الاسلام فى انه لا يحل لاحد ان يطلق على الـكافر من اجل ذلك انه مؤمن ولا انه مسلم فصح يقينا ان لفظة الاسلام والايمان منقولة عن موضوعها فى اللغة الي معان محدودة معروفة لم تعرفها العرب قط حتى انزل الله عز وجل بها الوحى علي رسول الله ﷺ انه من أتى بها استحق اسم الايمان والاسلام وسمي مؤمنا مسلما ومن لم يات بها لم يسم مؤمنا ولا مسلما وان صدق بكل شيء غيرها او تبرأ من كل شيء حاشى ما اوجبت الشريعة التبرأ منه وكذلك الكفر والشرك لفظتان منقولتان عن موضوعهما فى اللغة لان الكفر في اللغة التغطية والشرك أن تشرك شيئا مع آخر فى اى معنى

لا يتحرك لبعده عن المحرك له فهو بارد بسكونه ورطب بمجاورة الهواء الحار الرطب وكذلك انحل قليلا والجسم الذى في الوسـط فلانه بعد فى الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولا قبل منه تاثيرا فسكن وبرد وهو الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض وتختلط يتولد عنها أجسام مركبة وهى المركبـات المحسوسـات التى هى المعادن والنبات والحيوان والانسان ثم يختص بكل نوع طبيعة خاصة تقبل فيضا خاصا علي ماقدره البارى جلت قدرته * (المسئلة الثالثة) عشر فى الآثار العلوية قال ارسطوطاليس الذى يتصاعد من الاجسام السفلية الى الجو ينقسم قسمين أدخنة نارية باسخان الشمس وغيرها والثانى أبخرة مائية فتصعد الى الجو وقد صحبتها أجزاء أرضية فتكاثف وتجمع بسبب ريح او غـيرها

جمع بينهما ولا خلاف بين احد من اهل التمييز فى ان كل مؤمن فى الارض فى انه يعطى اشياء كثيرة ولا خلاف بين احد من أهل الاسلام فى انه لا يجوز ان يطلق عليه من اجل ذلك الكفر ولا الشرك ولا ان يسمى كافرا ولا مشركا وصح يقينا ان الله تعالى نقل اسم الكفر والشرك الى انكار اشياء لم تعرفها العرب والى أعمال لم تعرفها العرب قط كمن جحد الصلاة أو صوم رمضان أو غير ذلك من الشرائع التى لم تعرفها العرب قط حتى انزل الله تعالى بها وحيه او كمن عبد وثنا فمن اتى بشىء من تلك الاشياء سمى كافرا او مشركا ومن لم يأت بشىء من تلك الاشياء لم يسم كافرا ولا مشركا ومن خالف هذا فقد كابر الحس وجحد العيان وخالف الله تعالى ورسوله ﷺ والقرآن والسنن واجماع المسلمين وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واختلف الناس فى قول المسلم انا مؤمن فروينا عن ابن مسعود وجماعة من أصحابه الافاضل ومن بعده من الفقهاء انه كره ذلك وكان يقول انا مؤمن ان شاء الله وقال بعضهم آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وكانوا يقولون من قال انا مؤمن فليقل انه من اهل الجنة

(قال ابو محمد) فهذا ابن مسعود وأصحابه حجج فى اللغة فاين جهال المرجئة المموهون فى نصر بدعتهم

(قال ابو محمد) والقول عندنا فى هذه المسئلة ان هذه صفة يعلمها المرء من نفسه فان كان يدرى انه مصدق بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبكل ما أتى به عليه السلام وانه يقر بلسانه بكل ذلك فواجب عليه ان يعترف بذلك كما أمر تعالى اذ قال تعالى * وأما بنعمة ربك فحدث * ولا نعمة اوكد ولا افضل ولا اولى بالشكر من نعمة الاسلام فواجب عليه ان يقول انا مؤمن مسلم قطعا عند الله تعالى فى وقتى هذا ولا فرق بين قوله انا مؤمن مسلم وبين قوله انا اسود اوانا ابيض وهكذا سائر صفاته التى لا يشك فيها وليس هذا من باب الامتداح والعجب فى شىء لانه فرض عليه ان يحقن دمه بشهادة التوحيد قال تعالى * قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون * وقول ابن مسعود عندنا صحيح لان الاسلام والايمان اسمان منقولان عن موضوعهما فى اللغة الى جميع البر والطاعات فانما منع ابن مسعود من القول بانه مسلم مؤمن على معنى انه مستوف لجميع الطاعات وهذا صحيح ومن ادعى لنفسه هذا فقد كذب بلا شك وما منع رضي الله عنه من ان يقول المرء انى مؤمن بمعنى مصدق كيف وهو يقول قل آمنت بالله ورسله اى صدقت واما من قال فقل انك فى الجنة فالجواب اننا نقول ان متنا على ما نحن عليه الآن فلابد لنا من الجنة بلا شك وبرهان ذلك انه قد صح من نصوص القرآن والسنن والاجماع ان من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به أولم يات بما هو كفر فانه فى الجنة الا اننا لا ندرى ما يفعل بنا فى الدنيا ولا نامن مكر الله تعالي ولا اضلاله ولا كيد الشيطان ولا ندري ماذا نكسب غدا ونعوذ بالله من الخذلان .

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى تسمية المذنب من اهل ملتنا فقالت المرجئة هو مؤمن كامل الايمان وان لم يعمل خيرا قط ولا كف عن شر قط وقال بكر بن اخت

فيصير ضبابا أوسحابا فيصادفها برودة فتعصر ماء وثلجا وبردا فينزل الى مركز الماء ذلك لاستحالة الاركان بعضها الى بعض فكما ان الماء يستحيل هواء فيصعد كذلك الهواء يستحيل ماء فينزل ثم الرياح والادخنة اذا احتقنت فى خلال السحاب واندفعت بمرة سمع لها صوت وهو الرعد ويلمع من اصطكاكها وشدة صدمتها ضياء وهو البرق وقد يكون من الادخنة ماتكون الدهنية على مادتها أغلب فيشتعل فيصير شهابا ثاقبا وهى الشهب منها مايحترق فى الهواء فيتحجر فينزل حديدا وحجرا ومنها مايحترق نارا فيدفعها دافع فينزل صاعقة ومن المشتعلات مايبقى فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار الدائرة بدوران الفلك فكان ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كأنه لحية كوكب وربما وقع على صقيل الظاهر من السحاب صور النيران وأضواؤها كما يقع

عبد الواحد بن زيد هو كافر مشرك كعابد الوثن باى ذنب كان منه صغيرا او كبيرا ولو فعله
على سبيل المزاح وقالت الصفرية ان كان الذنب من الكبائر فهو مشرك كعابد الوثن
وان كان الذنب صغيرا فليس كافرا وقالت الاباضية ان كان الذنب من الكبائر
فهو كافر نعمة تحل موارثته ومنا كحته وا كل ذبيحته وليس مؤمنا ولا كافرا على
الاطلاق وروى عن الحسن البصرى وقتادة رضى الله عنهما ان صاحب الكبيرة
منافق وقالت المعتزلة ان كان الذنب من الكبائر فهو فاسق ليس مؤمنا ولا كافرا
ولا منافقا واجازوا منا كحته وموارثته واكل ذبيحته قالوا وان كان من الصغائر فهو
مؤمن لا شيء عليه فيها وذهب اهل السنة من اصحاب الحديث والفقهاء الى انه مؤمن
فاسق ناقص الايمان وقالوا الايمان اسم معتقده واقراره وعمله الصالح والفسق اسم عمله
السيء الا أن بين السلف منهم والخلف اختلافا فى تارك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها
وتارك الصوم لو مضى كذلك وتارك الزكاة وتارك الحج كذلك وفى قاتل المسلم عمدا
وفي شارب الخمر وفيمن سب نبيا من الانبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثا قد صح
عنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فروينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعاذ بن جبل
وابن مسعود وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم وعن ابن المبارك واحمد بن حنبل واسحاق
ابن راهويه رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين رضي الله
عنهم ان من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرا حتى يخرج وقتها فانه كافر مرتد وبهذا يقول عبد
الله بن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الاندلسى وغيره وروينا عن
عمر رضى الله عنه مثل ذلك في تارك الحج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك فى تارك الزكاة والصيام
وفى قاتل المسلم عمدا وعن ابى موسى الاشعرى وعبد الله بن عمرو بن العاص فى شارب الخمر وعن
اسحق بن راهويه ان من رد صحيحا عنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كفر

(قال ابو محمد) واحتج من كفر المذنبين بقول الله عز وجل * ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون * وبقوله تعالى * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى *
فهؤلاء كلهم ممن كذب وتولى والمكذب المتولى كافر فهؤلاء كفار

(قال ابو محمد) والعجب ان المرجئة المسقطة للوعيد جملة عن المسلمين قد احتجوا بهذه
الآية نفسها فقالوا قد اخبرنا ان الله عز وجل ان النار لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى
فصح أن من لم يكذب ولا تولى لا يصلاها قالوا وجدناهؤلاء كلهم لم يكذبوا ولا تولوا بل هم
مصدقون معترفون بالايمان فصح انهم لا يصلونها وان المراد بالوعيد المذكور في الآيات المنصوصة
انما هو فعل تلك الافاعيل من الكفار خاصة

(قال ابو محمد) واحتج ايضا من كفر من ذكرنا باحاديث كثيرة منها سباب المسلم فسوق
وقتاله كفر ولا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن
ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينهب نهبة ذات شرو حين ينهبها وهو مؤمن
وترك الصلاة شرك وان كفرا بكم ان ترغبوا عن آبائكم ومثل هذا كثير

(قال ابو محمد) وما نعلم لمن قال هو منافق حجة أصلا ولا لمن قال انه كافر نعمة الا انهم نزعوا بقول الله
عز وجل * الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار

هي المرآى والجدران الصقيلة فيرى ذلك على الوان مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وصفائها وكدورتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب والمجرة وذكر أسباب كل واحد من هذه في كتابه المعروف بالآثار العلوية والسماء والعالم وغيرها (المسئلة الرابعة عشر) في النفس الانسانية الناطقة واتصالها بالبدن قال النفس الانسانية ليست بجسم ولا قوة في جسم وله في اثباتها ماخذ منها الاستدلال على وجودها بالحركات الاختيارية ومنها الاستدلال عليها بالتصورات العلمية أما الاول فقال لا يشك ان الحيوان يتحرك الى جهات مختلفة حركة اختيارية اذ لو كانت حركاته طبيعية أو قسرية لتحركت الى جهة واحدة لا تختلف البتة فلما تحركت الى جهات متضادة علم ان حركاته اختيارية والانسان مع انه يختار في حركاته كالحيوان

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر وليس هو ملة ولا اسم دين فمن ادعى اسم دين وملة غير الايمان المطلق والكفر المطلق فقد أتى بما لا دليل عليه وأما من قال هو فاسق لا مؤمن ولا كافر فما لهم حجة اصلا الا انهم قالوا قد صح الاجماع على انه فاسق لان الخوارج قالوا هو كافر فاسق وقال غيرهم هو مؤمن فاسق فاتفقوا على الفسق فوجب القول بذلك ولم يتفقوا على ايمانه ولا على كفره فلم يجز القول بذلك

(قال ابو محمد) وهذا خلاف للاجماع من ذكر لانه ليس منهم أحد جعل الفسق اسم دينه وانما سموا بذلك عمله والاجماع والنصوص قد صح كل ذلك على انه لا دين الا الاسلام أو الكفر من خرج من أحدهما دخل فى الآخر ولا بد اذ ليس بينهما وسيطة وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وهذا حديث قد أطبق جميع الفرق المنتمية الى الاسلام على صحته وعلى القول به فلم يجعل عليه السلام دينا غير الكفر والاسلام ولم يجعل هاهنا دينا ثالثا أصلا

(قال ابو محمد) واحتجت المعتزلة ايضا بان قالت قال الله تعالى * أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى قال * افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون * فصح ان هؤلاء الذين سماهم الله تعالى مجرمين وفساقا واخرجهم عن المؤمنين نصا فانهم ليسوا على دين الاسلام واذا لم يكونوا على دين الاسلام فهم كفار بلا شك اذ لا دين هاهنا غيرهما اصلا برهان هذا قوله تعالى * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * وقد علمنا ضرورة انه لا دار الا الجنة او النار وان الجنة لا يدخلها الا المؤمنون المسلمون فقط ونص الله تعالى على ان النار لا يدخلها الا المكذب المتولى والمتولى المكذب كافر بلا خلاف فلا يخلد فى النار الا كافر ولا يدخل الجنة الا مؤمن فصح انه لا دين الا الايمان والكفر فقط واذ ذلك كذلك فهؤلاء الذين سماهم الله عز وجل مجرمين وفاسقين واخرجهم عن المؤمنين فهم كفار مشركون لا يجوز غير ذلك وقال المؤمن محمود محسن ولى لله عز وجل والمذنب مذموم مسىء عدو لله قالوا ومن المحال ان يكون انسان واحد محمودا مذموما محسنا مسيئا عدوا لله وليا له معا

(قال ابو محمد) وهذا الذى انكروه لا نكرة فيه بل هو امر موجود مشاهد فمن احسن من وجه واساء من وجه آخر كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ولى لله فيما احسن فيه من صلاة وهو مسىء مذموم عدو لله فيما اساء فيه من الزنا قال عز وجل * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ * فبالضرورة ندرى ان العمل الذى شهد الله عز وجل انه سيء فان عامله فيه مذموم مسيء عاص لله تعالى ثم يقال لهم ما تقولون ان عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه فقالوا من المحال ان يكون انسان واحد محمودا مذموما محسنا مسيئا عدو الله وليا له معا ثم ارادوا تغليب الحمد والاحسان والولاية واسقاط الذم والاساءة والعداوة كما اردتم انتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والاساءة والعداوة واسقاط الحمد والاحسان والولاية بما ينفصلون عنهم فان قالت المعتزلة ان الشرط في حمده واحسانه وولايته ان تجتنب الكبائر قلنا لهم فان عارضتكم المرجئة فقالت ان الشرط فى ذمه واساءته وامنه وعداوته ترك شهادة التوحيد فان قالت المعتزلة

الا انه يتحرك لمصالح عقبية يراها فى عاقبة كل أمر فلا يصدر عنه حركاته الا الى غرض وكمال وهو معرفته فى عاقبة كل حال والحيوان ليست حركاته بطبعه على هذا المنهج فيجب أن يتميز الانسان بنفس خاص كما تميز الحيوان عن سائر الموجودات بنفس خاص وأما الثاني وهو المعول عليه قال لا نشك انا نعقل ونتصور أمرا معقولا صرفا مثل المتصور من الانسان انه انسان كلى يعم جميع أشخاص النوع ومحل هذا المعقول جوهر ليس بجسم ولا قوة فى جسم او صورة الجسم فانه ان كان جسما فاما أن يكون محل الصورة المعقولة طرفا منه لا ينقسم أو جملته المنقسمة وبطل ان يكون طرفا منه غير منقسم فانه لو كان كذلك لكان المحل كالنقطة التى لا تميز لها فى الوضع عن الخط فان الطرف نهاية الخط والنهاية لا يكون لها نهاية أخرى والا تسلسل القول فيه

فيكون النقط متشافعة ولكل نهاية وذلك محال وان كان محل المعقول من الجسم شيء منقسم فيجب أن ينقسم المعقول بانقسام محله ومن المعلومات مالاينقسم البتة فان ماينقسم يجب أن يكون شيئا كالشكل أو المقدار والانسانية الكلية المتصورة فى الذهن ليس كشكل قابل للقطع ولا كمقدار قابل للفصل فتبين أن النفس ليست بجسم ولاصورة ولاقوة فى جسم (المسئلة الخامسة عشر) فى وقت اتصالها بالبدن ووجه اتصالها قال اذا تحقق انها ليست بجسم لم تتصل بالبدن اتصال انطباع فيه ولاحلول فيه بل اتصلت به اتصال تدبير وتصرف وانما حدثت مع حدوث البدن لاقبله ولابعده قال لانها لو كانت موجودة قبل وجود الابدان لكانت إما متكثرة بذواتها أو متحدة وبطل الاول فان المتكثر إما أن يكون بالماهية والصورة وقد فرضناها متفقة فى النوع لا اختلاف

از الله قد ذم المعاصي وتوعد عليها قيل لهم فان المرجئة تقول لكم ان الله تعالى قد حمد الحسنات ووعد عليها واراد بذلك تغليب الحمد كما اردتم تغليب الذم فاذ ذكرتم آيات الوعيد ذكروا آيات الرحمة

(قال ابو محمد) وهذا مالا مخلص للمعتزلة منه ولا للمرجئة أيضا فوضح بهذا ان كلا الطائفتين مخطئة وان الحق هو جمع كل ماتعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التي في القرآن والدين ويكفي من هذا كله قول الله عزوجل * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى * وقوله تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . وقوله تعالى . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وقال تعالى . من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها . وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين * فصح بهذا كله انه لا يخرجه عن اسم الايمان الا الكفر ولا يخرجه عن اسم الكفر الا الايمان وان الاعمال حسنها حسن ايمان وقبيحها قبيح ليس ايمانا والموازنة تقضي على كل ذلك ولا يحبط الاعمال الا الشرك قال تعالى . لئن اشركت ليحبطن عملك وقالوا اذا اقررتم ان اعمال البر كلها ايمان وان المعاصي ليست ايمانا فهو عندكم مؤمن غير مؤمن قلنا نعم ولا نكرة فى ذلك وهو مؤمن بالعمل الصالح غير مؤمن بالعمل السيء كما تقول محسن بما أحسن فيه مسيء غير محسن مما بما اساء فيه وليس الايمان عندنا التصديق وحده فيلزمنا التناقض وهذا هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اى ليس مطيعا فى زناه ذلك وهو مومن بسائر حسناته واحتجوا بقول الله تعالى . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون . ففرق تعالى بين الفسق والايمان

(قال ابو محمد) نعم وقد اوضحنا ان الايمان هو كل عمل صالح فبيقين ندرى ان الفسق ليس ايمانا فمن فسق فلم يؤمن بذلك العمل الذى هو الفسق ولم يقل عز وجل انه لا يؤمن فى شيء من سائر اعماله وقد قال تعالى . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم . فهؤلاء قد شهد الله تعالى لهم بالايمان فاذا وقع منهم فسق ليس ايمانا فمن المحال أن يبطل فسقه ايمانه فى سائر اعماله وان يبطل ايمانه فى سائر الاعمال فسقه بل شهادة الله تعالى له بالايمان فى جهاده حق وبانه لم يومن فى فسقه حق أيضا فان الله عزوجل قال . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون فيلزم المعتزلة ان يصرحوا بكفر كل عاص وظالم وفاسق لان كل عامل بالمعصية فلم يحكم بما انزل الله

(قال ابو محمد) وأما نحن فنقول ان كل من كفر فهو فاسق ظالم عاص وليس كل فاسق ظالم عاص كافرا بل قد يكون مؤمنا وبالله تعالى التوفيق وقد قال تعالى . وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم . فبعض الظلم مغفور بنص القرآن

(قال ابو محمد) وقالوا قد وجب لعن الفساق والظالمين وقال تعالى ألا لعنة الله على الظالمين . والمؤمن يجب ولايته والدعاء له بالرحمة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السارق ومن

لمن اباه ومن غير منار الارض فيلزمكم ان تدعوا على المرء الواحد باللعنة والمغفرة معا
(قال ابو محمد) فنقول ان المؤمن الفاسق يتولى دينه وملته وعقده واقراره ويتبرأ من عمله الذي هو الفسق والبراءة والولاية ليست من عين الانسان مجردة فقط وانما هي له اومنه بعمله الصالح او الفاسد فاذ ذلك كذلك فبيقين ندري ان المحسن في بعض أعماله من المؤمنين نتولاه من اجل ما أحسن فيه ونبرأ من عمله السيء فقط واما الله تعالى فانه يتولى عمله الصالح عنده ويعادي عمله الفاسد واما الدعاء باللعنة والرحمة معا فلسنا ننكره بل هو معنى صحيح وماجاء عن الله تعالى قط ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي ان يلعن العاصي على معصيته ويترحم عليه لاحسانه ولو ان أمرأ زنى اوسرق وحال الحول على ماله وجاهد لوجب ان يحد للزنا والسرقة ولولعن لاحسن لاعنه ويعطي نصيبه من المغنم ونقبض زكاة ماله ونصلي عليه عند ذلك لقول الله * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * وبيقين ندري انه قد كان في اولئك الذين كان عليه السلام يقبض صدقاتهم ويصلي عليهم مذنبون عصاة لا يمكن البتة ان يخلو جميع جزيرة العرب من عاص وكذلك كل من مات في عصره عليه السلام وصلى عليه هو عليه السلام والمسلمون معه وبعده فبيقين ندري انه قد كان فيهم مذنب بلا شك واذا صلى عليه ودعا له بالرحمة وان ذكر عمله القبيح لعن وذم
(قال ابو محمد) وننعكس عليهم هذا السؤال نفسه في اصحاب الصغائر الذين يوقع عليهم المعتزلة اسم الايمان فهذه السؤالات كلها لازمة لهم اذ الصغائر ذنوب ومعاص بلا شك الا اننا لا نوقع عليها اسم فسق ولا ظلم اذا انفردت عن الكبائر لان الله تعالى ضمن غفرانها لمن اجتنب الكبائر ومن غفر له ذنبه فمن المحال أن يوقع عليه اسم فاسق أو اسم ظالم لان هذين اسمان يسقطان قبول الشهادة ومجتنب الكبائر وان تستر بالصغاير فشهادته مقبولة لانه لا ذنب له وبالله تعالى التوفيق
(قال أبو محمد) ولنا على المعتزلة الزامات أيضا تعمهم والخوارج المكفرة ننبه عليها عند نقضنا اقوال المكفرة ان شاء الله تعالى وبه نتأيد
(قال ابو محمد) ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة كافر قال الله عز وجل * يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم * فابتدأ الله عز وجل بخطاب اهل الايمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول ونص تعالى على ان القاتل عمدا وولي المقتول اخوان وقد قال تعالى * انما المؤمنون اخوة * فصح ان القاتل عمداً مؤمن بنص القرآن وحكمه له باخوة الايمان ولا يكون للكافر مع المؤمن بتلك الاخوة وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله * فهذه الآية رافعة للشك جملة في قوله تعالى ان الطائفة الباغية على الطائفة الاخرى من المؤمنين المامور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفيء الى امر الله تعالى اخوة للمؤمنين المقاتلين

فيها فلا تكثر ولا تمايز واما أن تكون متكثرة من جهة النسبة الى العنصر والمادة المتكثرة بالامكنة والازمنة وهذا محال أيضا فانا اذا فرضناها قبل البدن ماهية مجردة لا نسبة لها الى مادة دون مادة وهي من حيث انها ماهية لا اختلاف فيها وان الاشياء التي ذواتها معان فتكثر نوعياتها بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها واذا كانت مجردة فمحال ان يكون بينها مغايرة ومكاثرة ولعمري انها تبقى بعد البدن متكثرة فان الانفس قد وجد كل منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف أزمنة حدوثها وباختلاف هيئات وملكات حصلت عند الاتصال بالبدن فهي حادثة مع حدوث البدن يصيره نوعا كسائر الفصول الذاتية وباقية بعد مفارقة البدن بعوارض معينة له لم توجد تلك العوارض قبل اتصالها بالبدن وبهذا الدليل فارق استاذه وفارق قدماءه وانما وجد في أثناء كلامه ما يدل

وهذا امر لا يضل عنه الا ضال وهاتان الآيتان حجة قاطعة ايضا على المعتزلة أيضا المسقطة اسم
الايمان عن القاتل وعلى كل من اسقط عن صاحب الكبائر اسم الايمان وليس لاحد ان
يقول انه تعالى انما جعلهم اخوانا اذا تابوا لان نص الآية انهم اخوان في حال البغي وقبل
الفئة الى الحق

(قال ابو محمد) وقال بعضهم ان هذا الاقتتال انما هو التضارب

(قال ابو محمد) وهذا خطأ فاحش لوجهين احدهما انه دعوى بلا برهان وتخصيص الآية
بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل بلا شك والثاني ان ضرب المسلم للمسلم ظالما وبغيا فسق
ومعصية ووجه ثالث وهو ان الله تعالى لو لم يرد القتال المعهود لما امرنا بقتال من لا يزيد على
الملاطمة وقد عم تعالى فيها باسم البغي بكل بغى فهو داخل تحت هذا الحكم

(قال ابو محمد) وقد ذكروا قول الله عز وجل * وما كان لمؤمن أن يقتل
مؤمنا الا خطأ *

(قال ابو محمد) فهذه الآية بظاهرها دون تاويل حجة لنا عليهم لانه ليس فيها ان القاتل
العامد ليس مؤمنا وانما فيها نهى المؤمن عن قتل المؤمن عمدا فقط لانه تعالى قال * وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا * وهكذا نقول ليس للمؤمن قتل المؤمن عمدا ثم قال تعالى * الا خطأ
* فاستثنى عز وجل الخطأ فى القتل من جملة ما حرم من قتل المؤمن للمؤمن لانه لا يجوز
النهى عما لا يمكن الانتهاء عنه ولا يقدر عليه لان الله تعالى امتن امتنانا من ان يكلفنا مالا طاقة لنا به
وكل فعل خطأ فلم ننه عنه بل قال تعالى . ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم . فبطل تعلقهم بهذه الآية وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فهو ايضا على ظاهره وانما فى هذا اللفظ النهى عن ان يرتدوا
بعده الى الكفر فيقتتلوا فى ذلك فقط وليس فى هذا اللفظ ان القاتل كافر ولا فيه ايضا النهى
عن القتل المجرد اصلا وانما نهى عنه فى نصوص اخر من القرآن والسنن كما ليس فى هذا اللفظ
ايضا نهى عن الزنا ولا عن السرقة وليس فى كل حديث حكم كل شريعة فبطل تعلقهم بهذا الخبر
وكذلك قوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر فهو ايضا على عمومه لان قوله عليه
السلام المسلم ههنا عموم للجنس ولا خلاف فى ان من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لاسلامهم فهو
كافر برهان هذا هو ما ذكرنا قبل من نص القرآن فى ان القاتل عمدا والمقاتل مؤمنان وكلامه
عليه السلام لا يتعارض ولا يختلف وكذلك قوله عليه السلام لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر
لكم ان ترغبوا عن آبائكم فانه عليه السلام لم يقل كفر منكم ولم يقل انه كفر بالله تعالى نعم ونحن
نقر ان من رغب عن ابيه فقد كفر بابيه وجحده ويقال لمن قال إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنا
ولكنه كافر أو فاسق ألم يقل الله عز وجل . ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة
خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو
اعجبكم . وقال تعالى . فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم
يحلون لهن . وقال تعالى . ولا تمسكوا بعصم الكوافر . وقال تعالى . اليوم احل
لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات
والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين

على انه كان يعتقد أن النفس
كانت موجودة قبل وجود
الابدان فحمل بعض
مفسرى كلامه قوله ذلك
على انه أراد به الفيض والصور
الموجودة بالقوة فى واهب
الصور كما يقال إن النار
موجودة فى الخشب
أو الانسان موجود فى
النطفة والنخلة موجودة
فى النواة والضياء موجود
فى الشمس ومنهم من أجراه
على ظاهره وحكم بالتمييز بين
النفوس بالخواص التى لها
وقال اختصت كل نفس
انسانية بخاصية لم يشاركها
فيه غيرها فليست متفقة
بالنوع أعنى النوع الاخير
ومنهم من حكم بالتمييز
بالعوارض التى هى مهيئة
نحوها وكما انها تتمايز بعد
الاتصال بالبدن بأنها كانت
متمايزة فى المادة كذلك تتمايز
بانها ستكون متمايزة
بالابدان والصنائع والافعال
واستعداد كل نفس لصنعة
خاصة وعلم خاص فتنهض
هذه فصولا ذاتية أو
عوارض لازمة لوجودها
(المسئلة السادسة عشر)

* وفى سورة النساء محصنات غير مسافحات فهذه آيات فى غاية البيان فى انه ليس فى الارض الا مؤمن أو كافر أو مؤمنة أو كافرة ولا يوجد دين ثالث وان المؤمنة حلال نكاحها للمؤمن وحرام نكاحها على الكافر وأن الكتابية حلال للمؤمن بالزواج وللكافر فخبرونا اذا زنت المرأة وهى غير محصنة أو وهى محصنة أو إذا سرقت أو شربت الخمر أو قذفت أو اكلت مال يتيم أو تعمدت ترك الغسل حتى خرج وقت الصلاة وهى عالمة بذلك أو لم تخرج زكاة مالها فكانت عندكم بذلك كافرة أو بريئة من الاسلام خارجة عن الايمان وخارجة من جملة المؤمنين أيحل للمؤمن الفاضل ابتداء نكاحها او البقاء معها على الزوجية ان كان قد تزوجها قبل ذلك أو يحرم على أبيها الفاضل أو اخيها البر أن يكونا لها وليين فى تزويجها وأخبرونا اذا زنى الرجل أو سرق أو قذف أو أكل مال يتيم أو فر من الزحف أو سحر أو ترك صلاة عمدا حتى خرج وقتها أو لم يخرج زكاة ماله فصار بذلك عندكم كافرا أو بريئا من الاسلام وخرج من الايمان وعن جملة المؤمنين ايحرم عليه ابتداء نكاح امرأة مؤمنة أو وطؤها بملك اليمين أو تحرم عليه امرأته المؤمنة التى فى عصمته فينفسخ نكاحها منه اويحرم عليه أن يكون وليا لابنته المؤمنة اواخته المؤمنة فى تزويجها وهل يحرم على التى ذكرنا والرجل الذي ذكرنا الميراث وليهما المؤمن اويحرم على وليهما المؤمن ميراثهما أو يحرم اكل ذبيحته لانه قد فارق الاسلام فى زعمكم وخرج عن جملة المؤمنين فانهم كلهم لا يقولون بشيء من هذا فن الخلاف المجرد منهم لله تعالى أن يحرم الله تعالى المؤمنة على من ليس بمؤمن فيحلونها م ويحرم الله تعالى التى ليست مؤمنة على المؤمن الا أن تكون كتابية فيحلونها م ويقطع الله تعالى الولاية بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيبقونها فى الانكاح ويحرم تعالى ذبائح من ليس مؤمنا الا أن يكون كتابيا فيحلونها هم ويقطع عزوجل الموارثة بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيثبتونها م ومن خالف القرآن وثبت على ذلك بعد قيام الحجة عليه فنحن نبرأ الى الله تعالى منه

(قال أبو محمد) واكثر هذه الامور التى ذكرنا فانه لا خلاف بين أحد من أهل الاسلام فيها ولا بين فرقة من الفرق المنتمية الى الاسلام وفى بعضها خلاف نشير اليه لئلا يظن ظان اننا اغفلناه فى ذلك الخلاف فى الزانى والزانية فان على بن ابى طالب رضى الله عنه يفسخ النكاح قبل الدخول بوقوعه من أحدهما والحسن البصرى وغيره من السلف لا يجيزون للزانى ابتداء نكاح مع مسلمة البتة ولا للزانية ايضا الا ان يتوبا وبهذا نقول نحن ليس لانهما ليسا مسلمين بل هما مسلمان ولكنها شريعة من الله تعالى واردة فى القرآن فى ذلك كما يحرم على المحرم النكاح مادام محرما وبالله تعالى التوفيق وذلك قوله تعالى * الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين

(قال أبو محمد) وفى هذه الاية ايضا نص جلى على ان الزانى والزانية ليسا مشركين لان الله تعالى فرق بينهما فرقا لا يحتمل البتة ان يكون على سبيل التاكيد بل على انهما صفتان مختلفتان واذا لم مشركين فهما ضرورة مسلمان لما قد بينا قبل من ان كل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وكل من لم يكن كافرا مشركا فهو مؤمن اذ لا سبيل الى دين ثالث وبالله تعالى التوفيق ومن الخلاف فى بعض ماذكرنا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابراهيم النخعى ان المسلم اذا ارتد والمسلمة اذا لم يسلم زوجها فهى امرأته كما كانت الا انه لا يطؤها وروى عن عمر ايضا انها تخير فى البقاء معه او فراقه وكل هذا لا حجة فيه ولا حجة الا فى نص قرآن او سنة واردة عن رسول الله

فى بقائها بعد البدن وسعادتها فى العالم العقلى قال ان النفوس الانسانية اذا استكملت قوتي العلم والعمل تشبهت بالاله تعالى ووصلت الى كمالها وانما هذا التشبه بقدر الطاقة يكون إما بحسب الاستعداد واما بحسب الاجتهاد فاذا فارق البدن اتصل بالروحانيين وانخرط فى سلك الملائكة المقربين ويتم له الالتذاذ والابتهاج وليس كل لذة فهى جسمانية فان تلك اللذات لذات نفسانية عقلية وهذه اللذة الجسمانية تنتهى الى حد ويمرض للملتذ سآمة وكلال وضعف وقصور إن تعدي عن الحد المحدد بخلاف اللذات العقلية فانها حيث ماازدادت ازداد الشوق والحرص والعشق اليها وكذلك القول فى الآلام النفسانية فانها تقع بالضد مما ذكرنا ولم يحقق المعاد الا للانفس ولم يثبت حشرا ولا نشرا ولا انحلالا لهذا الرباط المحسوس من العالم ولا ابطالا لنظامه كما ذكره القدماء فهذه نكت

صلى الله عليه وسلم
(قال ابو محمد) وأيضا فان الله عز وجل قد أمر بقتل المشركين جملة ولم يستثن منهم احدا الا كتابيا يغرم الجزية مع الصغار اورسولا حتى يؤدى رسالته ويرجع الى مأمنه اومستجيرا ليسمع كلام الله تعالى ثم يبلغ الى مأمنه وأمر رسول الله ﷺ بقتل من بدل دينه فنسأل كل من قال بان صاحب الكبيرة قد خرج من الايمان وبطل اسلامه وصار فى دين آخر اما الكفر واما الفسق اذا كان الزاني والقاتل والسارق والشارب للخمر والقاذف والفار من الزحف وآكل مال اليتيم قد خرج من الاسلام وترك دينه أيقتلونه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله أم لا يقتلونه ويخالفون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن قولهم كلهم خوارجهم ومعتزليهم انهم لا يقتلونه واما فى بعض ذلك حدود معروفة من قطع يد اوجلد مائة اوثمانين وفى بعض ذلك أدب فقط وانه لا يحل الدم بشيء من ذلك وهذا انقطاع ظاهر وبطلان لقولهم لا خفاء به
(قال ابو محمد) وبعض شاذة الخوارج جسر فقال تقام الحدود عليهم ثم يستتابون فيقتلون
(قال ابو محمد) وهذا خلاف الاجماع المتيقن وخلاف للقرآن مجرد لان الله تعالى يقول * والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا * فقد حرم الله تعالى قتلهم وافترض استبقاءهم مع اصرارهم ولم يجعل فيهم الارد شهادتهم فقط ولو جاز قتلهم فكيف كانوا يؤدون شهادة لا تقبل بعد قتلهم
(قال ابو محمد) وقال الله عز وجل * لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها *
(قال ابو محمد) لا خلاف بيننا وبينهم ولا بين أحد من الامة فى ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله واستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها فانه مؤمن مسلم فلو كان الفاسق غير مؤمن لكان كافرا ولا بد ولو كان كافرا لكان مرتدا يجب قتله وبالله تعالى التوفيق قال الله عز وجل * ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين * فوجب يقينا بامر الله عز وجل ان لا يترك يعمر مساجد الله بالصلاة فيها الا المؤمنون وكلهم متفق معنا على ان الفاسق صاحب الكبائر مدعو ملزم عمارة المساجد بالصلاة مجبر على ذلك وفى اجماع الامة كلها على ذلك وعلى تركهم يصلون معنا والزامهم اداء الزكاة وأخذها منهم والزامهم صيام رمضان وحج البيت برهان واضح لا اشكال فيه على انه لم يخرج عن دين المؤمنين وانه مسلم مؤمن وقال عز وجل * يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى * الى قوله تعالى . اليوم يئس الذين كفروا من دينكم . فخاطب تعالى المؤمنين باياس الكافرين عن دينهم ولا سبيل الى قسم ثالث وقال تعالى * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . فصح ان لا دين الا دين الاسلام وما عداه شيء غير مقبول وصاحبه يوم القيامة خاسر وبالله تعالى التوفيق وقال عز وجل * المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * وقال تعالى . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض وقال تعالى . ومن يتولهم منكم فانه منهم . وقال تعالى * هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير . فصح يقينا انه ليس فى الناس ولا فى الجن الا مؤمن أو كافر

كلامه استخرجناها من مواضع مختلفة وأكثرها من شرح ثامسطيوس والشيخ أبى على بن سينا الذى يتعصب له وينصر مذهبه ولا يقول من القدماء الا به وسنذكر طريقة ابن سينا عند ذكر فلاسفة الاسلام ونحن الآن ننقل كلمات حكمية لاصحاب ارسطوطاليس ومن نسج على منواله بعده دون الآراء العلمية اذ لا خلاف بينهم فى الآراء والعقائد ووجدت فصولا وكلمات للحكيم ارسطوطاليس من كتب متفرقة فنقلتها على الوجه وان كان فى بعضها ما يدل على أن رأيه على خلاف ما نقله ثامسطيوس واعتمده ابن سينا منها فى حدوث العالم قال الاشياء المحمولة أعنى الصور المتضادة فليس يكون أحدهما من صاحبه بل يجب أن يكون بعد صاحبه فيتعاقبان على المادة فقد بان أن الصور تبطل وتدثر فاذا دثر معنى وجب أن يكون له بدو الان الدثور غاية وهو أحد الحاشيتين

فمن خرج عن أحدهما دخل فى الآخر فنسألهم عن رجل من المسلمين فسق وجاهر بالكبائر وله اختان احداهما نصرانية والثانية مسلمة فاضلة لأيتهما يكون هذا الفاسق وليا فى النكاح ووارثا وعن امرأة سرقت وزنت ولها ابنا عم أحدهما يهودى والآخر مسلم فاضل أيهما يحل له نكاحها وهذا مالا خلاف فيه ولا خفاء به فصح ان صاحب الكبائر مؤمن وقال الله تعالى . ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . وقال تعالى . انما يتقبل الله من المتقين * فاخبرونا أتأمرون الزانى والسارق والقاذف والقاتل بالصلاة وتؤدبونه ان لم يصل أم لا فمن قولهم نعم ولو قالوا لا لخالفوا الاجماع المتيقن فنقول لهم أفتامرونه بما هو عليه أم بما ليس عليه وبما يمكن ان يقبله الله تعالى ام بما يوقن انه لا يقبله فان قالوا نامره بما ليس عليه ظهر تناقضهم اذ لا يجوز ان يلزم احدا ما لا يلزمه وان قالوا بل بما عليه قطعوا بانه مؤمن لان الله تعالى اخبر ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وان قالوا نامره بما لا يمكن ان يقبل منه احالوا اذ من المحال ان يؤمر احد بعمل هو على يقين من انه لا يقبل منه وان قالوا بل نامره بما نرجو أن يقبل منه قلنا صدقتم وقد صح بهذا ان الفاسق من المتقين فيما عمل من عمل صالح فقط ومن الفاسقين فيما عمل من المعاصى ونسالهم أيامرون صاحب الكبيرة بتمتيع المطلقة ان طلقها أم لا فان قالوا نامره بذلك لزمهم انه من المحسنين المتقين لان الله تعالى يقول فى المتعة حقا على المحسنين وحقا على المتقين فصح ان الفاسق محسن فيما عمل من صالح ومسيء فيما عمل من سيء فان قالوا ان الصلاة عليه كما هى عندكم على الكفار اجمعين قلنا لا سواء لانهم وان كان الكافر وغير المتوضيء والجنب مامورين بالصلاة معذبين على تركها فانا لا نتركهم يقيمونها أصلا بل نمنعهم منها حتى يسلم الكافر ويتوضا المحدث ويغتسل الجنب ويتوضا أو يتيمم وليس كذلك الفاسق بل نجبره على اقامتها

(قال ابو محمد) وهذا لا خلاف فيه من احد الا ان الجبائى المعتزلى ومحمد بن الطيب الباقلانى ذهبا من بين جميع الامة الى ان من كانت له ذنوب فانه لا تقبل له توبة من شيء منها حتى يتوب من الجميع واتبعهما على ذلك قوم وقد ناظرنا بعضهم فى ذلك ولزمناهم ان يوجبوا على كل من اذنب ذنبا واحداً ان يترك الصلاة الفرض والزكاة وصوم رمضان والجمعة والحج والجهاد لان اقامة كل ذلك توبة الى الله من تركها فاذا كانت توبته لا تقبل من شيء حتى يتوب من كل ذنب له فانه لا يقبل له توبة من ترك صلاة ولا من ترك صوم ولا من ترك زكاة الا حتى يتوب من كل ذنب له وهذا خلاف لجميع الامة ان قلوه أو تناقض ان لم يقولوه مع انه قول لا دليل لهم على تصحيحه اصلا وما كان هكذا فهو باطل قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وقال تعالى * واشهدوا ذوى عدل منكم * وقال تعالى * وصالح المؤمنين * فصح يقينا بهذا اللفظ ان فينا غير عدل وغير صالح وهما منا ونحن المؤمنون فهو مؤمن بلا شك وقال تعالى * فان تابوا * يعنى من الشرك * واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * وهذا نص جلى على ان من صلى من اهل شهادة الاسلام وزكى فهو اخوننا فى الدين ولم يقل تعالى ما لم يات بكبيرة فصح انه منا وان اتى بالكبائر

(قال ابو محمد) فان ذكروا قول الله تعالى * مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء * و قوله تعالى . الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم . وراموا بذلك اثبات انه لا مؤمن ولا كافر فهذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى انما وصف بذلك المنافقين المبطنين للكفر المظهرين

مادل على أن جابيا جابه فقد صح أن الكون حادث لا من شيء وان الحامل لها غير ممتنع الذات من قبولها وحمله اياها وهى ذات بدو وغاية يدل على ان حامله ذو بدو وغاية وانه حادث لا من شيء ويدل على محدث لا بدو له ولا غاية لان الدثور آخر والآخر ما كان له اول فلو كانت الجواهر والصور لم يزالا فغير جائز استحالتها لان الاستحالة دثور الصورة التى كان بها الشيء وخروج الشيء من حد الى حد ومن حال الى حال يوجب دثور الكيفية وتردد المستحيل فى الكون والفساد يدل على دثوره وحدوث أحواله يدل على ابتدائه وابتداء جزئه يدل على بدو كله وواجب ان قبل بعض ما فى العالم الكون والفساد أن يكون كل العالم قابلا له وكان له بدو يقبل الفساد وآخر يستحيل الى كون فالبدو والغاية يدلان الى مبدع وقد سال بعض الدهرية ارسطوطاليس وقال اذا كان لم يزل ولا شيء

للاسلام فهم لا مع الكفار ولا منهم ولا اليهم لان هؤلاء يظهرون الاسلام واولئك لا يظهرونه ولا
هم مع المسلمين ولا منهم ولا اليهم لابطانهم الكفر وليس في هاتين الآيتين انهم ليسوا كفاراً وقد قال
عز وجل . ومن يتولهم منكم فانه منهم . فصح يقيناً أنهم كفار لا مؤمنون اصلا وبالله تعالى التوفيق
ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة منافق ما معنى هذه الكلمة فجوابهم الذي لا جواب لاحد في هذه
المسئلة غيره هو ان المنافق من كان النفاق صفته ومعنى النفاق في الشريعة هو اظهار الايمان وابطان
الكفر فيقال له وبالله تعالى التوفيق لا يعلم ما في النفس الا الله تعالى ثم مالك النفس التي ذلك الشيء فيها
فقط ولا يجوز ان نقطع على اعتقاد احد الكفر الا باقراره بلسانه بالكفر وبوحي من عند الله
تعالى ومن تعاطى علم ما في النفوس فقد تعاطى علم الغيب وهذا خطأ متيقن يعلم بالضرورة
وحسبك من القول سقوطا ان يؤدي الى المحال المتيقن وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال عليه السلام اني لم ابعث لاشق عن قلوب الناس
وقد ذكر الله تعالى المنافقين فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وممن حولكم من الاعراب
منافقون لا تعلمهم نحن نعلمهم . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف المنافقين وهم
معه وهو يراهم ويشاهد افعالهم فمن بعده أحرى ان لا يعلمهم ولقد كان الزناة على عهده صلى الله
عليه وسلم والسرقة وشراب الخمر ومضيعو افرض الصلاة في الجماعة والقاتلون عمدا والقذفة
فما سمى عليه السلام قط احداً منهم منافقين بل اقام الحدود في ذلك وتوعد بحرق المنازل
وامر بالدية والعفو وابقاهم في جملة المؤمنين وأبقى عليهم حكم الايمان واسمه وقد قلنا ان
التسمية في الشريعة لله عز وجل لا لاحد دونه ولم يات قط عن الله عز وجل تسمية صاحب
الكبيرة منافقا فان قالوا قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وقد ذكر خصالا من كن فيه
كان منافقا خالصا وان صام وصلى وقال اني مسلم وذكر عليه السلام تلك الخصال فمنها اذا
حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وذكر عليه
السلام ان من كانت به خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها قلنا له وبالله تعالى التوفيق
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبر ان المنافق هو من أظهر شيئا وأبطن خلافه
ماخوذ في اصل اللغة من نافقاء اليربوع وهو باب في جانب جحره مفتوح قد غطاه بشيء من
تراب وهذه الخلال كلها التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها باطن صاحبها بخلاف
ما يظهر فهو منافق هذا النوع من النفاق وليس هو النفاق الذي يبطن صاحبه الكفر بالله
برهان ذلك ما ذكرناه آنفا من اجماع الامة على أخذ زكاة مال كل من وصف رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالنفاق وعلى انكاحه ونكاحها ان كانت أمرأة وموارثته واكل ذبيحته وتركه
يصلي مع المسلمين وعلى تحريم دمه وماله ولو تيقنا انه يبطن الكفر لوجب قتله وحرم انكاحه
ونكاحها وموارثته واكل ذبيحته ولم نتركه يصلي مع المسلمين ولكن تسمية النبي صلى الله عليه
وسلم من ذكر منافقا كتسمية الله عز وجل الزراع كفارا اذ يقول تعالى * كمثل غيث أعجب
الكفار نباته * لان أصل الكفر في اللغة التغطية فمن ستر شيئا فهو كافر له وأصل النفاق في اللغة
ستر شيء واظهار خلافه فمن ستر شيئا وأظهر خلافه فهو منافق فيه وليس هذا من الكفر
الديني ولا من النفاق الشرعي في شيء وبهذا تتالف الآيات والاحاديث كلها وبالله تعالى
التوفيق ثم نقول لمن قال بهذا القول هل أتيت بكبيرة قط فان قال لا قيل له هذا القول كبيرة

غيره ثم أحدث العالم فلم
أحدثه فقال له لم غير
جائزة عليه لان لم
يقتضي علة والعلة محمولة
فيما هي علة له من معلول فوقه
ولا علة فوقه وليس بمركب
فتحيل ذاته العالم فلم عنه
منفية فاذا فعل ما فعل لانه
جواد فقيل فيجب أن يكون
فاعلا لم يزل لانه جواد
لم يزل قال معنى لم يزل
أن لا أول وفعل يقتضي
أولا واجتماع أن يكون ما لا
أول له وذو أول في القول
والذات محال متناقض
قيل له فهل يبطل هذا
العالم قال نعم قيل فاذا أبطله
بطل الجود قال يبطله ليصوغه
الصيغة التي لا تحتمل الفساد
لان هذه الصيغة تحتمل
الفساد تم كلامه ويعزى هذا
الفصل الى سقراطيس
قاله لبقراطيس وهو بكلام
القدماء أشبه ومما نقل عن
ارسطوطاليس تحديده
العناصر الاربعة قال الحار
ما خلط بعض ذوات الجنس
ببعض وفرق بين بعض
ذات الجنس من بعض
وقال البارد ما جمع بين ذوات

لانه تزكية وقدنهى الله عزوجل عن ذلك فقال تعالى * فلاتزكوا أنفسكم * وقد علمنا انه لايعرى أحـد من ذنب الاالملائـكة والنبيين صلى الله عليهم وسلم وأمامن دونهم فغير معصوم بل قداختلف الناس في عصمة الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام وان كنا قاطعين على خطأ من جوز علي أحد من الملائكة ذنباصغيرا أوكبيرا بعمدأوخطأ من جوز على أحد من النبيين ذنبا بعمدصغيرا أوكبيرا لـكنا أعلمنا انه لم يتفق على ذلك قط وان قال بلي قدكان لى كبيرة قيل له هل كنت في حال مواقعتك الكبيرة شاكا في الله عزوجل أو في رسوله صلى الله عليه وسلم اوكافرا بهماام كنت موقنا بالله تعالى و بالرسول صلى الله عليه وسلم وبمـا اتي به موقنا بانك مسيء مخطيء في ذنبك فان قال كنت كافرا اوشاكا فهو اعلم بنفسه ويلزمه ان يفارق امرأته وامته المسلمتين ولايرث من مات له من المسلمين ثم بعدذلك لا يجوز له ان يقطع علي غيره من المذنبين بمثل اعتقاده في الجحد ونحن نعلم بالضرورة كذب دعواه وندرى اننا في حين ماكان مناذنب مؤمنون بالله تعالى و برسوله صلى الله عليه وسلم وان قال بل كنت مؤمنا بالله تعالى و برسوله صلى الله عليه وسلم في حال ذنبي قيل له هذا ابطال منك للقول بالنفاق والقطع به علي المذنبين

(قال ابو محمد) في اجماع الامة كلها دون مختلف من احد منهم على ان صاحب الـكبيرة مامور بالصلاة مع المسلمين وبصوم شهر رمضان والحج وباخذ زكاة ماله واباحة مناكحته وموارثته واكل ذبحيته وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة ويبتاع الامة المسلمة الفاضلة ويطاها وتحريم دمه وماله وان لايؤخذ منه جزية ولايصغر برهان صحيح على انه مسلم مؤمن وفي اجماع الامة كلها دون مخالف على تحريم قبول شهادته وخبره برهان علي انه فاسق فصح يقينا انه مؤمن فاسق ناقص الايمان عن المؤمن الذى ليس بفاسق قال تعالى * ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * فامامن قال انه كافر نعمة فالهم حجة اصلا الا ان بعضهم نزع بقول الله تعالى * الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار *

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لان نص الآية مبطل لقولهم لان الله تعالى يقول متصلا بقوله * وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله * فصح ان الاية في المشركين بلاشك وايضا فقد يكفر المرء نعمة الله ولايكون كافرا بل مؤمنا بالله تعالى كافرا لانعمه بمعاصيه لاكافرا علي الاطلاق وبالله تعالى التوفيق

(الـكلام فيمن يكفر ولايكفر)

(قال ابو محمد) اختلف الناس في هذا الباب فذهبت طائفة الى ان من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد اوفي شيء من مسائل الفتيا فهو كافر وذهبت طائفة الى انه كافر في بعض ذلك فاسق غير كافر في بعضه على حسب ماأدتهم اليه عقولهم وظنونهم وذهبت طائفة الى ان من خالفهم في مسائل الاعتقاد فهو كافر وان من خالفهم في مسائل الاحكام والعبادات فليس كافرا ولافاسقا ولـكنه مجتهد معذور ان اخطأ ماجور بنيته وقالت طائفة بمثل هذا فيمن خالفهم في مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم في مسائل الاعتقادات ان كان الخلاف

الجنس وغير ذوات الجنس لان البرودة اذا جمدت الماء حتى صار جليـدا اشتملت علي الاجناس المختلفة من الماء والنبات وغـيرهما قال والرطب العسير الانحصار من نفسه اليسير الانحصار من ذات غيره واليابس اليسير الانحصار من ذاته العسير الانحصار من غيره والحدان الاولان يدلان على الفعل والآخران يدلان على الانفعـال ونقـل ارسطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة أن مبادىء الاشياء هي العنـاصر الاربعة وعن بعضهم أن المبدأ الاول هو ظلمة وهاوية وفسروه بفضاء وخلاء وعماية وقد أثبت قوم من النصاري تلك الظلمـة وسموها الظلمة الخارجة ومماخالف ارسطوطاليس استاذه افلاطن ان قال افلاطن * من النـاس من يكون طبعه مهيئا لشيء لايتعداه فخالفه وقال اذا كان الطبع سليماصلح لكل شيء وكان أفلاطن يعتقد أن النفوس الانسانية أنواع يتهيا كل نوع لشيء مالا يتعداه وأرسطو طاليس يعتقد أن النفوس الانسانية نوع واحد واذاتهياصنف

في صفات الله عزوجل فهو كافر وان كان فيما دون ذلك فهو فاسق وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه ماجور علي كل حال ان أصاب الحق فاجران وان أخطأ فاجر واحد وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسئلة من الصحابة رضي الله عنهم لا نعلم منهم في ذلك خلافا اصلا الا ماذكرنا من اختلافهم في تكفير من ترك صلاة متعمدا حتى خرج وقتها او ترك اداء الزكاة او ترك الحج او ترك صيام رمضان او شرب الخمر واحتج من كفر بالخلاف في الاعتقادات باشياء نوردها ان شاء الله عزوجل

(قال ابو محمد) ذكروا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القدرية والمرجئة مجوس بهذه الامة وحديثا آخر تفترق هذه الامة علي بضع وسبعين فرقة كلها في النار حاشى واحدة فهي في الجنة

(قال ابو محمد) هذان حديثان لا يصحان اصلا من طريق الاسناد وماكان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به واحتجوا بالخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه يا كافر فقد باء بالكفر احدهما

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان لفظه يقتضي انه يلثم برميه للكفر ولم يقل عليه السلام انه بذلك كافر

(قال ابو محمد) والجمهور من المحتجين بهذا الخبر لا يكفرون من قال لمسلم يا كافر في مشاتمة تجري بينهما وبهذا خالفوا الخبر الذي احتجوا به

(قال ابو محمد) والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لا يزول عنه الا بنص او اجماع واما بالدعوي والافتراء فلا فوجب ان لا يكفر احد بقول قاله الا بان يخالف ماقد صح عنده ان الله تعالى قاله او ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام وسواء كان ذلك في عقد دين او في نحلة او في فتيا وسواء كان ماصح من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منقولا نقل اجماع تواترا او نقل آحاد الا ان من خالف الاجماع المتيقن المقطوع علي صحته فهو أظهر في قطع حجته ووجوب تكفيره لاتفاق الجميع على معرفة الاجماع وعلي تكفير مخالفته برهان صحة قولنا قول الله تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا *

(قال ابو محمد) هذه الآية نص بتكفير من فعل ذلك فان قال قائل ان من اتبع غير سبيل المؤمنين فليس من المؤمنين قلنا له و بالله تعالى التوفيق ليس كل من اتبع غير سبيل المؤمنين كافرا لا ن الزنا وشرب الخمر وأكل اموال الناس بالباطل ليست من سبيل المؤمنين وقد علمنا ان من اتبعها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وليس مع ذلك كافرا ولكن البرهان في هذا قول الله عزوجل * فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

(قال ابو محمد) فهذا هو النص الذي لا يحتمل تاويلا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره اصلا

لشيء تهياله كل النوع (حكم الاسكندر الرومي) وهو ذو القرنين الملك وليس هو المذكور في القرآن بل هو ابن فيلفوس الملك وكان مولده في السنة الثالثة عشر من ملك دارا الاكبر سلمه أبوه الى ارسطوطاليس الحكيم المقيم بمدينة اثيناس فاقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب حتى بلغ أحسن المبالغ ونال من الفلسفة مالم ينله سائر تلامذته فاسترده والده حين استشعر من نفسه علة خاف منها فلما وصل اليه جدد العهد له وأقبل اليه واستولت العلة فتوفي منها واستقل الاسكندر باعباء الملك فمن حكمه أن ساله معلمه وهو في المكتب أن أفضي اليك هذا الامر يوما أين تضعني قال حيث تضعك طاعتك ذلك الوقت وقيل له انك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك قال لان أبي كان سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية وفي رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب تجويد حياتي وفي رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب نطقي وقال أبو زكريا الضميري لو قيل لي هذا لنلت وطرا بالطبيعة التي اختلفت بالكون والفساد

ولاجاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الايمان

(قال ابو محمد) واما ما لم تقم الحجة على المخالف للحق في اي شيء كان فلا يكون كافرا الا ان يأتي نص بتكفيره فيوقف عنده كمن بلغه وهو في اقاصي الزنج ذكر النبي ﷺ فقط فيمسك عن البحث عن خبره فانه كافر فان قال قائل فما تقولون فيمن قال انا اشهد ان محمدا رسول الله ولا ادري أهو قرشي ام تميمي أم فارسي ولا هل كان بالحجاز او بخراسان ولا أدري احي هو او ميت ولا ادري لعله هذا الرجل الحاضر ام غيره قيل له ان كان جاهلا لا علم عنده بشيء من الاخبار والسير لم يضره ذلك شيئا ووجب تعليمه فاذا علم وصح عنده الحق فان عاند فهو كافر حلال دمه وماله محكوم عليه بحكم المرتد وقد علمنا أن كثيرا ممن يتعاطى الفتيا في دين الله عزوجل نعم وكثيرا من الصالحين لا يدرى كم لموت النبي ﷺ ولا أين كان ولا في اي بلد كان ويكفيه من كل ذلك اقراره بقلبه ولسانه ان رجلا اسمه محمد ارسله الله تعالى الينا بهذا الدين

(قال ابو محمد) وكذلك من قال ان ربه جسم فانه ان كان جاهلا أو متأولا فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه فاذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن فخالف ما فيهما عنادا فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد وأما من قال ان الله عزوجل هو فلان لانسان بعينه أو ان الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه أو ان بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا غير عيسى بن مريم فانه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد ولو امكن ان يوجد احد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه

(قال ابو محمد) وأما من كفر الناس بما تؤول اليه اقوالهم فخطأ لانه كذب على الخصم وتقويل له ما لم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفرا بل قد احسن اذ فر من الكفر وايضا فانه ليس للناس قول الا ومخالف ذلك القول يلزم خصمه الكفر في فساد قوله وطرده فالمعتزلة تنسب الينا تجوير الله عز وجل وتشبيهه بخلقه ونحن ننسب اليهم مثل ذلك سواء بسواء ونلزمهم أيضا تعجيز الله عزوجل وانهم يزعمون انهم يخلقون كخلقه وان له شركاء في الخلق وانهم مستغنون عن الله عزوجل ومن أثبت الصفات يسمي من نفاها باقية لانهم قالوا تعبدون غير الله تعالى لان الله تعالى له صفات وأنتم تعبدون من لا صفة له ومن نفى الصفات يقول لمن أثبتها انتم تجعلون مع الله عزوجل أشياء لم تزل وتشركون به غيره وتعبدون غير الله لان الله تعالى لا أحد معه ولا شيء معه في الازل وأنتم تعبدون شيئا من جملة أشياء لم تزل وهكذا في كل ما اختلف فيه حتى في السكون والجزء وحتى في مسائل الاحكام والعبادات فاصحاب القياس يدعون علينا خلاف الاجماع واصحابنا يثبتون عليهم خلاف الاجماع واحداث شرائع لم يأذن الله عزوجل بها وكل فرقة فهي تنتفي بما تسميها به الاخرى وتكفر من قال شيئا من ذلك فصح انه لا يكفر احد الا بنفس قوله ونص معتقده ولا ينتفع احد بان يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط واما الاحاديث الواردة في ان ترك الصلاة شرك فلا تصح من طريق الاسناد واما الاخبار التي فيها من قال لا إله الا الله دخل الجنة فقد جاءت احاديث اخر بزيادة على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهي قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى

ومؤدبي أفادني العقل الذي به انطلقت الى ما ليس فيه الكون والفساد وجلس الاسكندر يوما فلم يسأله أحد حاجته فقال لاصحابه والله ما أعد هذا اليوم أيام من عمري في ملكي قيل ولم أيها الملك قال لان الملك لا يوجد التلذذ به الا على السائل بالجود وأغاثة الملهوف ومكافاة المحسن والا بانالة الراغب واسعاف الطالب وكتب اليه ارسطوطاليس في كلام طويل أجمع في سياستك بين بدار لاحدة فيه وريث لا غفلة معه وأمزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزة عن ضده حتى يتميز لك بصورته ومن وعدك من الخلف فانه شين وشب وعيدك بالعفو فانه زين وكن عبدا للحق فان عبد الحق حر وليكن وكذلك الاحسان الى جميع الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة في موضعها وأظهر لاهلك أنك منهم ولاصحابك أنك بهم ولرعيتك أنك لهم وتشاور الحكماء في أن يسجدوا له اجلالا وتعظيما قال لا سجود لغير باريء الكل بل يحق له السجود على من كساه بهجة الفضائل وأغلظ له رجل من أهل

يقولوا لا إله الا الله وانى رسول الله ويؤمنوا بما ارسلت به فهذا هو الذى لا ايمان لاحد بدونه

(قال ابو محمد) واحتج بعض من يكفر من سب الصحابة رضي الله عنهم بقول الله عزوجل * محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم . الى قوله . ليغيظ بهم الكفار : قال فكل من أغاظه احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر

(قال ابو محمد) وقد أخطا من حمل الآية على هذا لان الله عزوجل لم يقل قط ان كل من غاظه واحد منهم فهو كافر وانما اخبر تعالى انه يغيظ بهم الكفار فقط ونعم هذا حق لا ينكره مسلم وكل مسلم فهو يغيظ الكفار وايضا فانه لا يشك احد ذو حس سليم في ان عليا قد غاظ معاوية وان معاوية وعمرو بن العاص غاظا عليا وان عمارا غاظ اباالعادية وكلهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد غاظ بعضهم بعضا فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا وحاشي لله من هذا

(قال ابو محمد) ونقول لمن كفر انسانا بنفس مقالته دون ان تقوم عليه الحجة فيعاند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجد في نفسه الحرج مما أتى به اخبرنا هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الاسلام الذى يكفر من لم يقل به الا وقد بينه ودعا اليه الناس كافة فلا بد من نعم ومن انكر هذا فهو كافر بلا خلاف فاذا اقر بذلك سئل هل جاء قط عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يقبل ايمان اهل قرية او أهل محلة او انسان اتاه من حر او عبد او امرأة الا حتى يقر ان الاستطاعة قبل الفعل او مع الفعل او ان القرآن مخلوق او ان الله تعالى يرى او لا يرى او ان له سمعا وبصرا وحياة او غير ذلك من فضول المتكلمين التى اوقعها الشيطان بينهم ليوقع بينهم العداوة والبغضاء فان ادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع احدا يسلم الا حتى يوقفه على هذه المعاني كان قد كذب باجماع المسلمين من أهل الارض وقال ما يدري انه فيه كاذب وادعى ان جميع الصحابة رضى الله عنهم تواطؤا على كتمان ذلك من فعله عليه السلام وهذا المحال ممتنع في الطبيعة ثم فيه نسبة الكفر اليهم اذ كتموا ما لا يتم اسلام احد الا به وان قالوا انه صلى الله عليه وسلم لم يدع قط احدا الى شيء من هذا ولكنه مودع في القرآن وفي كلامه صلى الله عليه وسلم . قيل له صدقت وقد صح بهذا انه لو كان جهل شيء من هذا كله كفرا لما ضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ذلك للحر والعبد والحرة والامة ومن جوز هذا فقد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ كما امر وهذا كفر مجرد ممن أجازه فصح ضرورة ان الجهل بكل ذلك لا يضر شيئا وانما يلزم الكلام منها اذا خاض فيها الناس فيلزم حينئذ بيان الحق من القرآن والسنة لقول الله عزوجل . كونوا قوامين لله شهداء بالقسط . ولقول الله عزوجل . لتبيننه للناس ولا تكتمونه . فمن عند حينئذ بعد بيان الحق فهو كافر لانه لم يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سلم لما قضى به وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط فلما حضره الموت قال لاهله اذا مت فاحرقوني ثم ذروا رمادي في يوم راح نصفه في البحر ونصفه في البر فوالله لئن قدر الله تعالى علي ليعذبني عذابا لم يعذبه أحدا من خلقه وان الله عزوجل جمع رماده فاحياه وساله ما حملك على ذلك قال خوفك يارب وان الله تعالى غفر له لهذا القول

(قال ابو محمد) فهذا انسان جهل الى ان مات ان الله عزوجل يقدر على جمع رماده واحيائه وقد غفر له لاقراره وخوفه وجهله وقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه ان معنى لئن قدر الله علي انما هو لئن ضيق الله علي كما قال تعالى . واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه .

البينية فقام اليه بعض قواده ليقابله بالواجب فقال له الاسكندر دعه لا تنحط الى دناءته ولكن ارفعه الى شرفك وقال من كنت تحب الحياة لاجله فلا تستعظم الموت بسببه وقيل له ان روشنك أمرأتك ابنت دارا الملك وهي من أجمل النساء فلو قربتها الى نفسك قال أكره ان يقال غلب الاسكندر دارا وغلبت روشنك الاسكندر وقال من الواجب على أهل الحكمة أن يسرعوا الى قبول اعتذار المذنبين وان يبطئوا عن العقوبة وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد تحكما من سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال ليس الموت بالم للنفس بل للجسد وقال الذى يريد أن ينظر الى أفعال الله مجردة فليعف عن الشهوات وقال ان نظم جميع ما في الارض شبيه بالنظام السماوي لانها أمثال له بحق وقال العقل لا يالم في طلب معرفة الاشياء بل الجسد يالم ويسام وقال النظر في المرآة يرى رسم الوجه وفي أقاويل الحكماء يرى رسم النفس ووجدت في عضده صحيفة فيها قلة الاسترسال الى الدنيا أسلم والاتكال على القدر أروح وعند حسن

(قال ابو محمد) وهذا تاويل باطل لا يمكن لانه كان يكون معناه حينئذ لئن ضيق الله علي ليضيقن علي وايضا فلو كان هذا ما كان لامره بان يحرق ويذر رماده معنى ولا شك في انه انما امر بذلك ليفلت من من عذاب الله تعالى

(قال أبو محمد) وابين من شيء في هذا قول الله تعالى * واذ قال الحوواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء * الى قوله * ونعلم ان قد صدقتنا * فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عزوجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ولم يبطل بذلك ايمانهم وهذا الامخلص منه وانما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبيينهم لها

(قال أبو محمد) وبرهان ضروري لاخلاف فيه وهو ان الامة مجمعة كلها بلاخلاف من أحد منهم وهو ان كل من بدل آية من القرآن عامدا وهو يدري انها في المصاحف بخلاف ذلك واسقط كلمة عمداً كذلك او زاد فيها كلمة عامدا فانه كافر باجماع الامة كلها ثم ان المرء يخطيء في التلاوة فيزيد كلمة وينقص اخرى ويبدل كلامه جاهلا مقدرا انه مصيب ويكابر في ذلك ويناظر قبل ان يتبين له الحق ولا يكون بذلك عند أحد من الامة كافراً ولا فاسقا ولا آثما فاذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره فان تمادى على خطاه فهو عند الامة كلها كافر بذلك لامحالة وهذا هو الحكم الجاري في جميع الديانة

(قال ابو محمد) واحتج بعضهم بان قال الله تعالى * قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا *

(قال ابو محمد) وآخر هذه الآية مبطل لتأويلهم لان الله عزوجل وصل قوله يحسنون صنعا بقوله * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم واتخذوا آياتي ورسلي هزوا * فهذا يبين ان اول الآية في الكفار المخالفين لديانة الاسلام جملة ثم نقول لهم لو نزلت هذه الآية في المتأولين من جملة أهل الاسلام كما تزعمون لدخل في جملتها كل متأول مخطيء في تاويل في فتيا لزمه تكفير جميع الصحابة رضي الله عنهم لانهم قد اختلفوا وبيقين ندري ان كل امرء منهم فقد يصيب ويخطيء بل يلزمه تكفير جميع الامة لانهم كلهم لابد من أن يصيب كل امرئ منهم ويخطيء بل يلزمه تكفير نفسه لانه لابد لكل من تكلم في شيء من الديانة من أن يرجع عن قول قاله الى قول آخر يتبين له انه اصح الا ان يكون مقلدا فهذه أسوأ لان التقليد خطا كله لا يصح ومن بلغ الي هاهنا فقد لاح غوامر قوله وبالله تعالى التوفيق وقد اقر عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يفهم آية الكلالة فما كفره بذلك ولا فسقه ولا اخبره انه آثم بذلك لكن أغلظ له في كثرة تكراره السؤال عنها فقط وكذلك أخطا جماعة من الصحابة رضي الله عنهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتيا فبلغه عليه السلام ذلك فما كفر بذلك أحدمنهم ولا فسقه ولا جعله بذلك آثما لانه لم يعانده عليه السلام أحد منهم وهذا كفتيا ابي السنابل بن بعكك في آخر الاجلين والذين افتوا على الزاني غير المحصن الرجم وقد تقصينا هذا في كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام في اصول الاحكام هذا وايضا فان الآية المذكورة

الظن تقر العين ولا ينفع مما هو واقع التوقي وأخذ يوما تفاحة فقال ما ألطف قبول هذه الهيولى الشخصية لصورتها وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل ولو قيل ألطف منها قبول هذه النفس الانسانية لصورتها العقلية وانفعالها لما تؤثر النفس الكلي فيها من العلوم الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك على ابداع مبدع الكل وساله اطوسايس الكلبي أن يعطيه ثلاث حبات فقال الاسكندر ليس هذه عطية ملك فقال الكلبي اعطني مائة رطل من الذهب فقال ولا هذا مسئلة كلبي وقال بعضهم كنا عند شبر المنجم اذا وصل الينا انهاء الملك واقامنا في جوف الليل وأدخلنا بستانا ليرينا النجوم فجعل شبر يشير اليها بيده ويسير حتى سقط في بئر فقال من تعاطي علم ما فوقه فلا يجهل ما تحته وقال السعيد من لا يعرفنا

لانخرج على قول احد من خالفنا الا بحذف وذلك انهم يقولون ان الذين في قوله تعالى الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا هو خبر ابتداء مضمر ولا يكون ذلك الا بحذف الابتداء كانه قال
هم الذين ولا يجوز لاحد ان يقول في القرآن حذفا الا بنص آخر جلي يوجب ذلك أو اجماع
علي ذلك أو ضرورة حس فبطل قولهم وصار دعوى بلا دليل وأما نحن فان لفظة الذين
عندنا على موضوعها دون حذف وهو نعت للاخسرين ويكون خبراً لابتداء قوله تعالى
أولئك الذين كفروا وكذلك قوله تعالى * ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون
. فنعم هذه صفة القوم الذين وصفهم الله تعالى بهذا في أول الآية ورد الضمير اليهم وهم
الكفار بنص أول الآية وقال قائلهم أيضا فاذا عذرتم للمجتهدين اذا أخطؤا فاعذروا
اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل فانهم أيضا مجتهدون قاصدون الخير فجوابنا والله
تعالى التوفيق اننا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا وهذه خطة لم
يؤتها الله عز وجل أحدا دونه ولا يدخل الجنة والنار أحدا بل الله تعالى يدخلها من شاء
فنحن لا نسمي بالايمان الا من سماه الله تعالى به كل ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا يختلف اثنان من أهل الارض لا نقول من المسلمين بل من كل ملة في ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قطع بالكفر على أهل كل ملة غير الاسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشي التي
اتاهم بها عليه السلام فقط فوقفنا عند ذلك ولا يختلف أيضا اثنان في انه عليه السلام قطع
باسم الايمان علي كل من اتبعه وصدق بكل ماجاء به وتبرأ من كل دين سوي ذلك فوقفنا أيضا
عند ذلك ولا مزيد فمن جاء نص في اخراجه عن الاسلام بعد حصول اسم الاسلام له اخرجناه
منه سواء أجمع علي خروجه منه اولم يجمع وكذلك من أجمع اهل الاسلام علي خروجه عن
الاسلام فواجب اتباع الاجماع في ذلك واما من لا نص في خروجه عن الاسلام بعد حصول
الاسلام له ولا اجماع في خروجه ايضا عنه فلا يجوز اخراجه عما قد صح يقينا حصوله فيه
وقد نص الله تعالى على ما قلنا فقال * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين . وقال تعالى . ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا * وقال تعالى
. قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * فهؤلاء
كلهم كفار بالنص وصح الاجماع على ان كل من جحد شيئا صح عندنا بالاجماع ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى به فقد كفر وصح بالنص ان كل من استهزأ بالله تعالى او بملك من الملائكة
او بنبي من الانبياء عليهم السلام او بآية من القرآن او بفريضة من فرائض الدين فهي كلها
آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة اليه فهو كافر ومن قال بنبي بعد النبي عليه الصلاة والسلام او
جحد شيئا صح عنده بان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كافر لانه لم يحكم النبي صلى الله عليه
وسلم فيما شجر بينه وبين خصمه

(قال ابو محمد) وقد شقق اصحاب الكلام فقالوا ماتقولون فيمن قال له النبي صلى الله عليه
وسلم قم صل فقال لا افعل او قال له النبي صلى الله عليه وسلم ناولني ذلك السيف ادفع به عن نفسي
فقال له لا افعل

(قال ابو محمد) وهذا امر قد كفوا وقوعه ولا فضول اعظم من فضول من اشتغل بشيء

ولا نعرفه لانا اذا عرفناه
أطلنا يومه وأطرنا نومه
وقال استقلل كثير ماتعطي
واستكثر قليل ماتاخذ
فان قرة عين الكريم فيما
يعطي ومسرة اللئيم فيما
ياخذ ولا تجعل الشحيح
أمينا ولا الكذاب صفيا
فانه لا عفة مع شح ولا
أمانة مع كذب وقال الظفر
بالحزم والحزم باجالة الرأى
واجالة الرأى بتحصين
الاسرار ولما توفي الاسكندر
برومية المدائن وضعوه في
تابوت من ذهب وحملوه
الى الاسكندرية وكان قد
عاش اثنين وثلاثين سنة
وملك اثني عشرة سنة وندبه
جماعة من الحكماء الندبة
فقال بليموس هذا يوم
عظيم العبرة أقبل من شره
ماكان مدبرا وادبر من خيره
ماكان مقبلا فمن كان باكيا
على من قد زال ملكه
فليبكه وقال ميلاطوس
خرجنا الى الدنيا جاهلين
وأقمنا فيها غافلين وفارقناها
كارهين وقال زينون الاصغر
ياعظيم الشان ماكنت الا
ظل سحاب اضمحل فلما
أضل فما نحس لملكك
أثرا ولا نعرف له خبرا
قال افلاطن الثاني أيها
ساعي المتعصب جمعت
ماخذلك ماتولى عنك

قـد أيقن انه لايكون ابدا ولـكن الذى كان ووقع فاننا نتكلم فيه ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(قال ابو محمد) قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم افضل أهل الارض وهم هل الحديبية بان يحلقوا وينحروا فتوقفوا حتى أمرهم ثلاثا وغضب عليه السلام وشكا ذلك الى ام سلمة فما كفروا بذلك ولـكن كانت معصية تداركهم الله بالتوبة منها وما قال مسلم قط انهم كفروا بذلك لانهم لم يعاندوه ولا كذبوه وقد قال سعد بن عبادة والله يارسول الله لاز وجدت لـكاع يتفخذها رجل ادعهما حتى آتي باربعة شهداء قال نعم قال اذن والله يقضى اربه والله لاتجللنهما بالسيف فلم يـكن بذلك كافراً اذلم يـكن عانداً ولا مـكذبا بل أقر انه يدري ان الله تعالى امر بخلاف ذلك وسألوا ايضا عما قال انا ادري ان الحج الى مكا فرض ولـكن لا ادري اهى بالحجاز ام بخراسان ام بالاندلس وأنا ادري ان الخنزير حرام ولكن لا ادرى اهو هذا الموصوف الاقرن ام الذى يحرث به

(قال ابو محمد) وجوابنا هو ان من قال هذا فان كان جاهلا علم ولاشيء عليه فان المشبين لايعرفون هذا اذا أسلمو حتى يعلموا وان كان عالما فهو عابث مستهزيء بآيات الله تعالى فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ومن قذف عائشة رضى الله عنها فهو كافر لتكذيبه القرآن وقد قذفها مسطح وحمنة فلم يكفرا لانهما لم يكونا حينئذ مكذبين لله تعالى ولو قذفاها بعد نزول الآية لكفر وامامن سب احداً من الصحابة رضى الله عنهم فان كان جاهلا فمعذور وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى وسرق وان عاند الله تعالى فى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر وقد قال عمر رضى الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب وحاطب مهاجر بدرى دعنى اضرب عنق هذا المنافق فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا بل كان مخطئا متاولا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية النفاق بغض الانصار وقال لعلى لايبغضك الامنافق

(قال ابو محمد) ومن أبغض الانصار لاجل نصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانه وجد الحرج في نفسه مما قضى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار الايمان بايديهم ومن عادى عليا لمثل ذلك فهو ايضا كافر وكذلك من عادى من ينصر الاسلام لاجل نصرة الاسلام لا لغير ذلك وقد فرق بعضهم بين الاختلاف فى الفتيا والاختلاف فى الاعتقاد بان قال قد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتيا فلم يكفر بعضهم بعضا ولافسق بعضهم بعضا

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشيء فقد حدث انكار القدر فى أيامهم فما كفرهم اكثر الصحابة رضى الله عنهم وقد اختلفوا فى الفتيا واقتتلوا على ذلك وسفكت الدماء كاختلافهم فى تقديم بيعة على علي النظر فى قتلة عثمان رضى الله عنهم وقد قال ابن عباس رضي الله عنه من شاه باهلته عند الحجر الاسود ان الذى احصى رمل عالج لم يجعل فى فريضة واحدة نصفا ونصفا وثلثا

(قال أبو محمد) وهنا اقوال غريبة جدا فاسدة منها ان اقواما من الخوارج قالوا كل معصية فيها حد فليست كفرا وكل معصية لاحد فيها فهي كفر

(قال أبو محمد) وهذا تحكم بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل قال تعالى *

فلزمتك أوزاره وعاد على غيرك مهناه وثماره وقال فوطس ألا تتعجبوا ممن لم يعظنا اختيارا حتى وعظنا بنفسه اضطرارا وقال مطور قـد كنا بالامس نقدر على الاستماع ولا نقدر على القول واليوم نقدر على القول فهل نقدر على الاستماع وقال ثاون انظروا الى حلم النائم كيف انقضى والى ظل الغمام كيف انجلى وقال سوس كم قد أمات هذا الشخص لئلا يموت فمات فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت وقال حكيم طوى الارض العريضة فلم يقنع حتى طوي منها فى ذراعـين وقال آخر ماسافر الاسكندر سفرا بلا اعوان ولا آلة ولا عدة الا سفره هذا وقال آخر ما ارغبنا فيما فارقت واغفلنا عما عاينت وقال آخر لم يؤدبنا بكلامه كما ادبنا بسكوته وقال آخر من ير هذا الشخص فليتق وليعلم ان الدنيا هكذا قضاؤها وقال آخر قـد كان بالامس طلعته علينا حياة واليوم النظر اليه سقم وقال آخر قد كان يسال عما قبله ولا يسال عما بعده وقال آخر من شدة حرصه على الارتفاع انحط وكله قال آخر الآن يضطرب

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على قوله فليس صادقا فيه (قال أبو محمد) فصح بما قلنا ان كل من كان على غير الاسلام وقد بلغه امر الاسلام فهو كافر ومن تأول من أهل الاسلام فاخطا فان كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور ماجور اجرا واحدا لطلبه الحق وقصده اليه مغفور له خطؤه اذ لم يتعمده لقول الله تعالى * وليس عليكم جناح فيما أخطاتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم * وان كان مصيبا فله اجران اجر لاصابته واجر آخر لطلبه اياه وان كان قد قامت الحجة عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم فهو فاسق لجراءته على الله تعالى باصراره على الامر الحرام فان عند عن الحق معارضا الله تعالى ولرسوله ﷺ فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق فى هذه الاحكام بين الخطا فى الاعتقاد فى اي شيء كان من الشريعة وبين الخطا فى الفتيا فى اى شيء كان على ما بينا قبل

(قال ابو محمد) ونحن نختصر هاهنا ان شاء الله تعالى ونوضح كل ما اطلنا فيه قال تعالى . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . وقال تعالى . لانذركم به ومن بلغ . وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح انه لا يكفر احد حتى يبلغه امر النبي صلى الله عليه وسلم فان بلغه فلم يؤمن به فهو كافر فان آمن به ثم اعتقد ماشاء الله ان يعتقده فى نحلة او فتيا او عمل ماشاء الله تعالى ان يعمله دون ان يبلغه فى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بخلاف ما اعتقده او قال او عمل فلا شيء عليه اصلا حتى يبلغه فان بلغه وصح عنده فان خالفه مجتهدا فيما لم يبين له وجه الحق فى ذلك فهو مخطيء معذور ماجور مرة واحدة كما قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران وان أخطا فله أجر وكل معتقد او قائل او عامل فهو حاكم فى ذلك الشيء وان خالفه بعمله معاندا للحق معتقداً بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق وان خالفه معانداً بقوله او قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك فى المعتقدات والفتيا للنصوص التى اوردناوهو قول اسحاق بن راهويه وغيره وبه نقول وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى تعبد الملائكة)
(وتعبد الحور العين والخلق المستانف وهل يعصى ملك ام لا)

(قال ابو محمد) قد نص الله عزوجل على ان الملائكة متعبدون قال تعالى * ويفعلون مايؤمرون * ونص تعالى على انه امرهم بالسجود لآدم وقال تعالى * وقالوا اتخذا لرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * الى قوله . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين . وقال تعالى ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون .

(قال ابو محمد) فنص الله تعالى على انهم مامورون منهيون متوعدون مكرمون موعودون بايصال الكرامة ابدا مصرفون فى كتاب الاعمال وقبض الارواح واداء الرسالة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بمافي العالم الاعلى والادنى وغير ذلك كما خالقهم عزوجل به عليم وقوله تعالى . انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين . فاخبر عز وجل ان جبريل عليه السلام مطاع فى السموات أمين هنالك فصح ان هنالك اوامر وتدبير

وأمانات

الاقاليم لان مسكنها قد سكن حكيم ديوجانس الكلبي وكان حكيما فاضلا متقشفا لايقتنى شيئا ولا ياوى الى منزل وكان من قدرية الفلاسفة لما يوجد فى مدارج كلامه من الميل الى القدر قال ليس الله علة الشرور بل الله علة الخيرات والفضائل والجود والعقل جعله بين خلقه فمن كسبها وتمسك بها نالها لانه لا يدرك الخيرات الا بها وساله الاسكندر يوما فقال باى شيء يكتسب الثواب قال بافعال الخيرات وانك لتقدر ايها الملك ان تكتسب فى يوم واحد مالا يقدر عليه الرعية ان تكتسبه فى دهرها وساله عصبة من اهل الجهل ماغداؤك قال ماعفتم يعنى الحكمة قالوا فما عفت قال مااستطبتم يعنى الجهل قالوا كم عبد لك قال اربابكم يعنى الغضب والشهوة والاخلاق الردية الناشئة منها قالوا فما اقبح صورتك قال لم املك الخلقة الذميمة فالام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها واما ماصار فى ملكى واتى عليه تدبيرى فقد استكملت ترتيبه وتحسينه بغاية الطوق وقاصية الجهد واستكملتم شيئين مافى ملككم قالوا فما الذى فى الملك

وامانات وطاعة ومراتب ونص تعالى على انهم كلهم معصومون بقوله عز وجل . عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . وبقوله . ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وبقوله . فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون . فنص تعالى على انهم كلهم لا يسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتا ولا يستحسرون من ذلك وهذا خبر عن التأييد لا يستحيل ابدا ووجب انهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذم بذلك ونص تعالى على انهم كانهم معصومون قد حققت لهم ولاية ربهم عز وجل ابد الابد بلا نهاية فقال تعالى . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين * فكفر تعالى من عادى احدا منهم فان قال قائل كيف لا يعصون والله تعالى يقول . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم . قلنا انهم متوعدون على المعاصي كما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول له ربه عز وجل . لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . وقد علم عز وجل انه عليه السلام لا يشرك ابدا وان الملائكة لا يقول احد منهم ابدا انى اله من دون الله وكذلك قوله تعالى . يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين . وهو تعالى قد برأهن وعلم انه لا يأتي احد منهن بفاحشة ابدا بقوله تعالى * والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون * لكن الله تعالى يقول ماشاء ويشرع ماشاء ويفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاخبر عز وجل بحكم هذه الامور لو كانت وقد علم انها لا تكون كما قال تعالى . لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين . وكما قال . لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء . وكما قال تعالى . ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . وكما قال تعالى . قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . وكل هذا قد علم الله تعالى انه لا يكون أبدا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل ان الملائكة مامورون لا منهيون قلنا هذا باطل لان كل مامور بشيء فهو منهي عن تركه وقوله تعالى * يخافون ربهم من فوقهم * يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها وقال عز وجل * وما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين *

(قال أبو محمد) وهذا مبطل ظن من ظن ان هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفا انهم لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون وباخباره تعالى انهم لا يسأمون ولا يفترون ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل فوجب يقينا انه ليس في الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطإ ولا بنسيان وقال عز وجل * جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع * فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن والرسل معصومون فصح ان هاروت وماروت المذكورين في القرآن لا يخلو أمرهما من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكونا جنيين من احياء الجن كما روينا عن خالد بن ابي عمران وغيره وموضعهما حينئذ في الجو بدل من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون الوقوف على قوله وما أنزل على الملكين ببابل ويتم الكلام هنا واما ان يكونا ملكين أنزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم نسخها فصارت كفرا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمها

من التزيين والتهجين قال أما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالادب وقمع الشهوة بالعفاف وردع الغضب بالحلم وقطع الحرص بالقنوع وامانة الحسد بالزهد وتذليل المرح بالسكون ورياضة النفس حتى تصير مطية قد ارتاضت فتصرفت حيث صرفها فأرسلها في طلب العليات وهجر الدنيات ومن التهجين تعطيل الذهن من الحكمة وتوسيخ العقل بضياع الادب واثارة الشهوة باتباع الهوى واضرا الغضب بالانتقام وامداد الحرص بالطلب وقدم اليه رجل طعاما وقال له استكثر منه فقال عليك بتقديم الاكل وعلينا باستعمال العدل وقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدها وقيل له مالك لا تغضب قال أما غضب الانسانية فقد أغضبه وأما غضب البهيمية فاني تركته لترك الشهوة البهيمية واستدعاه الملك اسكندر الى مجلسه يوما فقال للرسول قل له ان الذي منعك من المصير الينا منعنا من المصير اليك

وهي بعد كفر كانه قال تعالى * ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت * ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى * وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق *

(قال ابو محمد) فقول الملكين انما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهى عن المنكر واما الفتنة فقد تكون ضلالا وتكون هدى قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام انه قال لربه. أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * فصدق الله عز وجل قوله وصح ان يهدى بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة . وليس كل احد يضل بماله وولده فقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم أولاد ومال وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام وقال تعالى * وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا . وقال تعالى * وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه . فهذه سقيا الماء التى هى جزاء على الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة فصح ان من الفتنة خيرا وهدى ومنها ضلالا وكفرا والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدى من اتبع امرهما فى ان لا يكفر ويضل من عصاهما فى ذلك وقوله تعالى * فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . حق لان اتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفتهم يؤمن الزوج فيفرق ايمانه بينه وبين امرأته التى لم تؤمن وتؤمن هى فيفرق ايمانها بينها وبين زوجها الذى لم يؤمن فى الدنيا والآخرة وفى الولاية ثم رجع تعالى الى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل. وما هم بضارين به من احد الا باذن الله * وهذا حق لان الشياطين فى تعليمهم ما قد نسخه الله عز وجل وابطله ضارون من اذن الله تعالى باستضراره به وهكذا الى آخر الآية وما قال عز وجل قط ان هاروت وماروت علما سحرا ولا كفرا ولا انهما عصيا وانما ذكر ذلك فى خرافة موضوعة لا تصح من طريق الاسناد اصلا ولا هى ايضا مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي موقوفة على من قال من دونه عليه السلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين وهذا التفسير الاخير هو نص الآية دون تكلف تأويل ولا تقديم ولا تاخير ولا زيادة فى الآية ولا نقص منها بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقينا وبالله تعالى التوفيق فان قيل كيف تصح هذه الترجمة اوالاخرى وانتم تقولون ان الملائكة لا يمكن ان يراهم الا نبى وكذلك الشياطين ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس أو كيف تعلم الجن الناس قلنا وبالله تعالى التوفيق اما الملائكة فيعلمون من أرسلوا اليه من الانبياء خاصة وينهونهم عن الكفر كما نهى النبى عليه الصلاة والسلام عن الكفر فى نص القرآن واما الشياطين فتعلم الناس بالوسوسة فى الصدور وتزيين الباطل او يتمثل فى صورة انسان كما تمثل يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم قال تعالى * واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم انى أرى ما لا ترون أني أخاف الله * واما الحور العين فنسوان مكرمات مخلوقات فى الجنة لاولياء الله عز وجل عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى فى النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة والجنة اذا دخلها اهلها المخلدون فليست دار

معصية

بمنعك عنى استغناؤك بسلطانك ومنعى عنك استغنائى بقناعتى وعاتبته دالسة اليونانية بقبح الوجه وذمامة الصورة فقال منظر الرجل بعد المخبر ومخبر النساء بعد المنظر فخجلت وتابت ووقف عليه الاسكندر يوما فقال له ما تخافنى قال أنت خير أم شرير قال خير قال فالحق بى من الخير معنى بل يجب على رجاؤه وكان لاهل مدينة من يونان صاحب جيش جبان وطبيب لم يعالج أحدا الا قتله فظهر عليهم عدو ففزعوا اليه وقال اجعلوا طبيبكم صاحب لقاء العدو واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم وقال أعلم بانك ميت لا محالة فاجهد أن تكون حيا بعد موتك لئلا يكون لميتتك ميتة ثانية وقال كما أن الاجسام تعظم فى العين يوم الضباب كذلك تعظم الذنوب عند الانسان فى حال الغضب وسئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفسا فارغة ورأى غلاما معه سراج فقال له تعلم من أين تجيء هذه النار قال له الغلام أن اخبرتنى الى أين تذهب أخبرتك من أين تجيء وأفحمه بعد ان لم يكن يقوى عليه أحد

معصية وكذلك اهل الجنة لا يعصون فيها اصلا بل هم في نعيم وحمد لله تعالى وذكر له والتذاذ باكل وشرب ولباس ووطء لا يختلف في ذلك من أهل الاسلام اثنان وبذلك جاء القرآن والحمد لله رب العالمين واما الولدان المخلدون فهم اولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يخلق خلقا يملأ الجنة بهم فنحن نقر بهذا ولا ندري امتعبدون مطيعون أم مبتدؤن في الجنة والله تعالى يخلق ما يشاء. ويختار ما كان لهم الخيرة واما الجن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بدين الاسلام هذا مالا خلاف فيه بين احد من الامة فكافرهم في النار مع كافرنا واما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال ابو حنيفة لا ثواب لهم وقال ابن ابي ليلي وابو يوسف وجمهور الناس انهم و الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل * اعدت للمتقين * ولقوله تعالى حاكيا عنهم ومصدقا لمن قال ذلك منهم * وانا لما سمعنا الهدى منا به * وقوله تعالى حاكيا عنهم * قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به . وقوله تعالى . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار .الى آخر السورة وهذه صفة تعم الجن والانس عموما لا يجوز البتة ان يخص منها احد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلا على الله مالا يعلم وهذا حرام ومن المحال الممتنع ان يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام وهو لا يريد الا بعض ما اخبرنا به ثم لا يبين ذلك لنا هذا هو ضد البيان الذي ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على انهم آمنوا فوجب انهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولا بد

(قال ابو محمد) واذا الجن متعبدون فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست فذكر فيها انه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وكان من قبله من الانبياء انما يبعث الى قومه خاصة و قد نص عليه السلام على انه بعث الى الجن وقال عز وجل .قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به . الى قوله تعالى . وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . واذا الامر كما ذكرنا فلم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم انسي وباليقين ندري انهم قد انذروا فصح انهم جاءهم انبياء منهم قال تعالى * يامعشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم . و بالله تعالى التوفيق

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله هل تعصي الانبياء)

ورأى امرأة قد حملها الماء فقال على هذا المعنى جرى المثل دع الشر يغسله الشر ورأى امرأة تحمل نارا فقال نار على نار وحامل شر من محمول ورأى امرأة متزينة في ملعب فقال لم تخرج لترى ولكن لترى ورأى نساء يتشاورن فقال هذا جرى المثل هو ذا الثعبان يستقرض من الافاعي سما ورأى جارية تعلم الكتابة فقال يسقى هذا السهم سما ليرمى به يوما (حكم الشيخ اليوناني) وله رموز وأمثال منها قوله ان امك روم لكنها فقيرة رعناء وان أباك لحدث لكنه جوا دمقدر يعني بالام الهيولى وبالاب الصورة وبالروم انقيادها وبالفقر احتياجها الي الصورة وبالرعونة قلة ثباتها علي ماتحصل عليه وما حداثة الصورة أي هي مشرقة لك بملابسة الهيولى وأما جودها أي النقص لا يعتريها من قبل ذاتها فانها جواد لكن من قبل الهيولى فانها انما تقبل على تقدير هذا مافسر به رمزه ولغزه وحمل الام على الهيولى صحيح مطابق للمعنى وليس حمل الاب على الصورة بذلك الوضوح بل حملها على العقل الفعال الجواد الواهب للصور على

(فهرست الجزء الثالث من الفصل فى الملل والنحل لابن حزم)

(فهرست الجزء الثالث من الملل والنحل للشهرستاني)

(تم الفهرست)

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

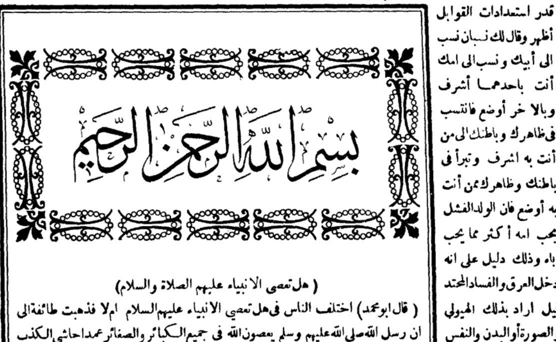
للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨

الجزء الرابع

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكي ت ٣١٠٧٣



(هل تعصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

(قال ابو محمد) اختلف الناس في هل تعصي الانبياء عليهم السلام ام لا فذهبت طائفة الى ان رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشي الكذب في التبليغ فقط وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلاني من الاشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى وسمعت من يحكي عن بعض الكرامية انهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب في التبليغ ايضا واما هذا الباقلاني فانا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضي الموصل انه كان يقول ان كل ذنب دق او جل فانه جائز على الرسل حاشى الكذب في التبليغ فقط قال وجائز عليهم ان يكفروا قال واذا نهى النبي عليه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على ان ذلك النهي قد نسخ لانه قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال وليس لاصحابه ان ينكروا ذلك عليه وجوز ان يكون في أمة محمد عليه السلام من هو افضل من محمد عليه الصلاة والسلام مذ بعث الى أن مات

(قال ابو محمد) وهذا كله كفر مجرد وشرك محض وردة عن الاسلام قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وماله موجبة للبراءة منه في الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وذهبت طائفة الى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا وجوزوا عليهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك الاشعري وذهبت جميع اهل الاسلام من اهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة الى انه لا يجوز البتة ان يقع من نبي أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهد الاشعري شيخ ابن فورك والباقلاني المذكورين (قال ابو محمد) وهذا القول الذي ندين الله تعالى به ولا يحل لاحد ان يدين بسواه ونقول انه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم ايضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا انه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلا بل ينبههم على ذلك ولا يداثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم كما فعل نبيه صلى الله عليه وسلم في سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام في أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لها رضي الله

عنها

قدر استعدادات القوابل أظهر وقال لك نسبان نسب الى أبيك ونسب الى امك أنت باحدهما أشرف وبالآخر أوضع فانتسب في ظاهرك وباطنك الى من أنت به اشرف وتبرأ في باطنك وظاهرك ممن أنت به أوضع فان الولد الفشل يحب امه أكثر مما يحب أباه وذلك دليل على انه دخل العرق والفساد المحتد قيل اراد بذلك الهيولي والصورة أو البدن والنفس أو الهيولي والعقل الفعال وقال قد ارتفع اليك خصمان منك يتنازعان بك أحدهما محق والآخر مبطل فاحذر أن تقضي بينهما بغير الحق فتهلك أنت الخصمان أحدهما العقل والثاني الطبيعة وقال كما أن البدن الخالي من النفس يفوح منه نتن الجيفة كذلك النفس الخالية من الادب يحس نقصها بالكلام والافعال وقال الغائب المطلوب في طي الشاهد الحاضر وقال أبو سليمان السنجري مفهوم هذ الاطلاق ان كل ماهو عندنا بالحس بين فهو بالعقل لنا هناك الا ان الذي عندنا ظل ذلك ولان من شان الظل كما يريك الشيء الذي هو ظله مرة فاضلا

عنهما وفى قصة ابن مكتوم رضى الله عنه وربما يبغض المكروه فى الدنيا كالذى اصاب آدم ويونس عليهما الصلاة والسلام والانبياء عليهم السلام بخلافنا فى هذا فاننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى بل نحن ماجورون علي هذا الوجه أجرا واحدا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرن بكل احد شيطانا وان الله تعالى أعانه علي شيطانه فاسلم فلا يأمره الا بخير واما الملائكة فبرآء من كل هذا لانهم خلقوا من نور محض لاشوب فيه والنور خير كله لاكدر فيه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد بن على حدثنا مسلم بن الحجاج عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف

(قال ابو محمد) واحتجت الطائفة الاولى بآيات من القرآن وأخبار وردت ونحن ان شاء الله عز وجل نذكرها ونبين غلطهم فيها بالبراهين الواضحة الضرورية وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى آدم عليه السلام)

(قال ابو محمد) فمما احتجوا به قول الله عز وجل * وعصي ادم ربه فغوى * وقوله تعالى * ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * قالوا فقربها آدم فكان من الظالمين وقد عصى وغوى وقال تعالى * فتاب عليه * والمتاب لايكون الا من ذنب وقال تعالى * فازلهما الشيطان * وازلال الشيطان معصية وذكروا قول الله تعالى * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما * هذا كل ماذكروا فى آدم عليه السلام

(قال ابو محمد) وهذا كله بخلاف ماظنوا اما قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فقد علمنا ان كل خلاف لامر آمر فصورته صورة المعصية فيسمى معصية لذلك وغواية الا انه منه مايكون عن عمد وذكر فهذه معصية على الحقيقة لان فاعلها قاصد الى المعصية وهو يدرى انها معصية وهذا هو الذى نزهنا عنه الانبياء عليهم السلام ومنه مايكون عن قصد الى خلاف ماامر به وهو يتاول فى ذلك الخير ولا يدرى انه عاص بذلك بل يظن انه مطيع لله تعالى اوان ذلك مباح له لانه يتاول ان الامر الوارد عليه ليس علي معنى الايجاب ولا على التحريم لكن اما على الندب ان كان بلفظ الامر اوالكراهية ان كان بلفظ النهى وهذا شيء يقع فيه العلماء والفقهاء والافاضل كثيرا وهذا هو الذى يقع من الانبياء عليهم السلام ويؤاخذون به اذا وقع منهم وعلى هذا السبيل اكل آدم من الشجرة ومعنى قوله تعالى * فتكونا من الظالمين * اى ظالمين لانفسكما والظلم فى اللغة وضع الشيء في غير موضعه فمن وضع الامر أوالنهى فى موضع الندب اوالكراهة فقد وضع الشيء فى غير موضعه وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذى يقع بغير قصد وليس معصية لاالظلم الذى هو القصد الى المعصية وهو يدري انها معصية وبرهان هذا ماقد نصه الله تعالى من ان آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة الا بعد ان اقسم له ابليس ان نهى الله عز وجل لهما عن اكل الشجرة ليس على التحريم وانهما لايستحقان بذلك عقوبة اصلا بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الابد قال تعالى حاكيا عن ابليس انه * قال لهما مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين

على ماهو عليه ومرة ناقصا عما هو به ومرة على قدر عرض الحسبان والتوهم وصاروا مزاحمين لليقين. والتحقيق فينبغى أن يكون عنايتنا بطلب البقاء الابدى والوجود السرمدي أتم واظهر وابقى وابلغ فبالحق ماكان الغائب فى طى الشاهد وبتصفح هذا الشاهد يصح ذلك الغائب وقال الشيخ اليونانى النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنها دائرة لابعد لها ومركزها العقل وكذلك العقل دائرة استدارت على مركزها وهو الخير الاول المحض غير أن النفس والعقل ان كانا دائرتين لكن دائرة العقل لاتتحرك أبدا بل هى ساكنة دائمة شبيهة بمركزها اما دائرة النفس فانها تتحرك على مركزها والعقل حركة الاستكمال. وعلى ان دائرة العقل وان لم تكن دائرة شبيهة بمركزها لكنها تتحرك حركة لاشتياق لانها تشتاق الى مركزها وهو الخير الاول واما دائرة العالم السفلى فانها دائرة تدور حول النفس واليها تشتاق وانما تتحرك بهذه الحركة الذاتية شوقا الى النفس كشوق النفس

اوتكونا من الخالدين وقاسمهما اني لـكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور * وقدقال عزوجل ولقدعهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجدله عزما *
(قال ابو محمد) فلما نسي آدم عليه السلام عهدالله اليه في أن ابليس عدوله احسن الظن بيمينه
(قال ابو محمد) ولاسلامة ولابراءة من القصد الى المعصية ولاابعد من الجراءة على الذنوب اعظم من حال من ظن ان احدا لايحلف حانثا وهكذا فعل آدم عليه السلام فانه انما اكل من الشجرة التي نهاه الله عنها ناسيا بنص القرآن ومتاولا وقاصدا الى الخير لانه قدر أنه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملـكا مقربا اوخالدا فيما هوفيه أبدافأداه ذلك الى خلاف ماامره الله عزوجل به وكان الواجب ان يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لـكن تاول وأراد الخير فلم يصبه ولوفعل هذا عالم من علماء المسلمين لـكان ماجورا ولـكن آدم عليه السلام لما فعله ووجد به اخراجه عن الجنة الى نكد الدنيا كان بذلك ظالما لنفسه وقد سمى الله عز وجل قاتل الخطا قاتلا كما سمى العامد والمخطيء لم يتعمد معصية وجعل في الخطا في ذلك كفارة عتق رقبة اوصيام شهرين متتابعين لمن عجز عن الرقبة وهو لم يتعمد ذنبا واما قوله عز وجل * لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما * فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والـكفر كفرا مجردا بلاخلاف من أحد من الامة ونحن ننكر على من كفر المسلمين العصاة العشارين القتالين والشرط الفاسقين فكيف من كفر الانبياء عليهم السلام وهذا الذي نسبوه الى آدم عليه السلام من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تاليف من لادين له ولاحياء لم يصح سندها قط وانما نزلت في المشركين على ظاهرها وحتى لو صح انها نزلت في آدم وهذا لايصح اصلا لما كانت فيه للمخالف حجة لانه كان يكون الشرك اوالشركاء المذكورون في الآية حينئذ على غير الشرك الذى هو الـكفر لـكن بمعنى انهما جعلا مع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام * يابني لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما أغنى عنـكم من الله من شيء ان الحـكم الالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ماكان يغني عنهم من الله من شيء الاحاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولـكن اكثر الناس لايعلمون * فاخبرنا عز وجل ان يعقوب عليه السلام امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة اشفاقا عليهم امامن اصابة العين وأما من تعرض عدو اومستريب باجماعهم او ببعض مايخوفه عليهم وهو عليه السلام معترف ان فعله ذلك وامره اياهم بما امرهم به من ذلك لايغني عنهم من الله شيئا يريده عز وجل بهم ولـكن لما كانت طبيعة البشر جارية في يعقوب عليه السلام وفي سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى حاكيا عن الرسل انهم قالوا * ان نحن الابشر مثلكم * حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لحاجة النفس و نزاعها و توقها الى سلامة من يحب وان كان ذلك لايغني شيئا كما كان عليه السلام يحب الفال الحسن فـكان يكون على هذا معنى الشرك والشركاء ان يكون عوذة اوتميمة اونحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط الافي الـكفار لافي آدم عليه السلام

(الـكلام في نوح عليه السلام)

(قال ابو محمد) ذكروا قول الله عز وجل لنوح * فلاتسالن ماليس لك به علم اني اعظك ان

الى العقل وشوق العقل الى الخير المحض الاول ولان دائرة هذا العالم جرم والجرم يشتاق الى الشيء الخارج منه ويحرص الى ان يصير اليه فيعانقه فلذلك يتحرك الجرم الاقصى الشريف حركة مستديرة لانه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح اليها ويسكن عندها وقال ليس للمبدع الاول تعالى صورة ولا حلية مثل صور الاشياء العالية ولا مثل صور الاشياء السافلة ولا قوة مثل قواها لـكنه فوق كل صورة وحلية وقوة لانه مبدعها بتوسط العقل وقال المبدع الحق ليس شيئا من الاشياء وهو جميع الاشياء لان الاشياء منه وقد صدق الافاضل الاوائل في قولهم مالك الاشيا كلها هو الاشياء كلها اذ هو علة كونها بانه فقط وعلة شوقها اليه وهو خلاف الاشياء كلها وليس فيه شيء مما ابدعه ولا يشبه شيئا منه ولو كان ذلك لما كان علة الاشياء كلها واذا كان العقل واحدا من الاشياء فليس فيه عقل ولاصورة ولاحلية أبدع الاشياء بانه فقط وبانه يعلمها ويحفظها ويدبرها لابصفة من الصفات وانما وصفناه بالحسنات

ان تكون من الجاهلين *
(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لان نوحا عليه السلام تاول وعد الله تعالى ان يخلصه واهله فظن ان ابنه من اهله على ظاهر القرابة وهذا لو فعله احد لكان ماجورا ولم يسال نوح تخليص من ايقن انه ليس من اهله فتفرع على ذلك نهي عن ان يكون من الجاهلين فتندم عليه السلام من ذلك ونزع وليس ها هنا عمد للمعصية البتة وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى ابراهيم عليه السلام)

(قال ابو محمد) ذكروا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات وانه قال اذ نظر فى النجوم اني سقيم وبقوله فى الكواكب والشمس والقمر هذا ربي وبقوله فى سارة هذه اختى وبقوله فى الاصنام اذ كسرها بل فعله كبيرهم هذا وبطلبه إذ طلب رؤية احياء الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي

(قال ابو محمد) وهذا كله ليس على ماظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين اما الحديث انه عليه السلام كذب ثلاث كذبات فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل وفرضا واجبا يعصى من تركه صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمي خيرا وقد اباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها وكذلك الكذب فى الحرب وقد اجمع اهل الاسلام على ان انسانا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق و ياخذ ماله غصبا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدا بذلك السلطان فسال السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ماسمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه أو موضع ماله فانه محسن ماجور مطيع لله عز وجل وانه ان صدقه فاخبره بما سمعه منه و بموضعه وموضع ماله كان فاسقا عاصيا لله عز وجل فاعل كبيرة مذموما نماما وقد ابيح الكذب فى اظهار الكفر فى التقية وكل ما روى عن ابراهيم عليه السلام فى تلك الكذبات فهو داخل فى الصفة المحمودة لا فى الكذب الذى نهي عنه واما قوله عن سارة هي أختى فصدق هي اخته من وجهين قال الله تعالى * انما المؤمنون اخوة * وقال عليه السلام لا يخطب احدكم على خطبة اخيه والوجه الثانى القرابة وانها من قومه ومن مستجيبيه قال عز وجل والى مدين أخاهم شعيبا فمن عد هذا كذبا مذموما من ابراهيم عليه السلام فليعده كذبا من ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح انه عليه السلام صادق فى قوله سارة اخته واما قوله . فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم . فليس هذا كذبا ولسنا ننكر ان تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض و بعض ما يحدث فى العالم كدلالة البرق على نزول البحر وكدلالة الرعد على تولد الكماة و كتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه واعذاره وتفاعه وامتلائه و نقصه وانما المنكر قول من قال ان الكواكب هى الفاعلة المدبرة لذلك دون الله تعالى او مشتركة معه فهذا كفر من قائله واما قوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فانما هو تقريع لهم و توبيخ كما قال تعالى . ذق انك انت العزيز الكريم . وهو فى الحقيقة مهان ذليل مهين معذب فى النار فكلا القولين توبيخ لمن قيلا له على ظنهم ان الاصنام تفعل الخير والشر وعلى ظن المعذب فى نفسه فى الدنيا انه عزيز كريم ولم يقل ابراهيم هذا على انه محقق لان كبيرهم فعله اذ الكذب انما هو الاخبار عن الشيء بخلاف ماهو عليه قصدا الى تحقيق ذلك واما قوله عليه السلام اذ رأي الشمس والقمر هذا ربي فقال قوم ان ابراهيم عليه السلام

والفضائل لانه علتها وانه الذي جعلها فى الصور هو مبدعها وقال انما تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الاول فلذلك صارت ذوات مراتب شتى فمنها ما هو أول فى المرتبة ومنها ما هو ثانى ومنها ما هو ثالث فاختلفت الاشياء بالمراتب والفصول لا بالمواضع والاماكن وكذلك الحواس تختلف باماكنها على ان القوي الحاسة فانها معا لا يفترق بمفارقة الآلة وقال المبدع ليس متناه لا كانه جثة بسيطة وانما عظم جوهره بالقوة والقدرة لا بالكمية والمقدار فليس للاول صورة ولا حلية ولا شكل فلذلك صار محبوبا معشوقا يشتاقه الصور العالية والسافلة وانما اشتاقت اليه صور جميع الاشياء لانه ابدعها وكساها من جوده حلية الوجود وهو قديم دائم على حاله لا يتغير والعاشق يحرص على أن يصير اليه ويكون معه وللمعشوق الاول عشاق كثيرون وقد يفيض عليهم كلهم من نوره من غير أن ينقص منه شيء لانه ثابت قائم بذاته لا يتحرك وأما المنطق الجزئى فانه لا يعرف الشيء الا معرفة

قال ذلك محققا أول خروجه من النار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع ان يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا وهو لم ير قط شمسا ولا قمرا ولا كوكبا وقد أكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق . ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . فمحال أن يكون من اتاه الله رشده من قبل يدخل في عقله ان الكواكب ربه أو ان الشمس ربه من اجل انها أكبر قرصا من القمر هذا ما لا يظنه الا مجنون العقل والصحيح من ذلك انه عليه السلام انما قال ذلك موبخا لقومه كما قال لهم نحو ذلك في الكبير من الاصنام ولا فرق لانهم كانوا على دين الصابئين يعبدون الكواكب ويصورون الاصنام على صورها واسمائها في هياكلهم ويعيدون لها الاعياد ويذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرب والقرابين والدخن ويقولون انها تعقل وتدبر وتضر وتنفع ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها كما قال تعالى . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون : فاراهم ضعف عقولهم في تعظيمهم لهذه الاجرام المسخرة الجمادية وبين لهم أنهم مخطئون وانها مدبرة تنتقل في الاماكن ومعاذ الله ان يكون الخليل عليه السلام اشرك قط بربه او شك في ان الفلك بكل ما فيه مخلوق وبرهان قولنا هذا ان الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر ولا عنفه على ذلك بل صدقه تعالى بقوله : وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء . فصح ان هذا بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل واما قوله عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . فلم يقرره ربنا عز وجل وهو يشك في ايمان ابراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك ولكن تقرير الايمان في قلبه وان لم ير كيفية احياء الموتى فاخبر عليه السلام عن نفسه انه مؤمن مصدق وانما اراد ان يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك وما شك ابراهيم عليه السلام في ان الله تعالى يحيي الموتى وانما أراد أن يرى الهيئة كما اننا لا نشك في صحة وجود الفيل والتمساح والكسوف وزيادة النهر والخليفة ثم يرغب من لم ير ذلك منا في ان يرى كل ذلك ولا يشك في انه حق لكن ليرى العجب الذي يتمثله ولم تقع عليه حاسة بصره فقط واما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فمن ظن ان النبي صلى الله عليه وسلم شك قط في قدرة ربه عز وجل على احياء الموتى فقد كفر وهذا الحديث حجة لنا على نفي الشك عن ابراهيم اي لو كان الكلام من ابراهيم عليه السلام شكا لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم عليه السلام احق بالشك فاذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم غير شاك فابراهيم عليه السلام ابعد من الشك

(قال أبو محمد) ومن نسب هاهنا الى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب اليه الكفر ومن كفر نبيا فقد كفر وايضا فان كان ذلك شكا من ابراهيم عليه السلام وكنا نحن احق بالشك منه فنحن اذا شكاك جاحدون كفار وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا بل نحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى وقدرته على كل شيء يسال عنه السائل وذكروا قول ابراهيم عليه السلام لابيه واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لانه لم يكن نهي عن ذلك قال تعالى : فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه : فاثنى الله تعالى عليه بذلك فصح ان استغفار ابراهيم لابيه انما كان مدة حياته راجيا ايمانه فلما مات كافرا تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها ثم الكلام في ابراهيم عليه السلام

الكلام

جزئية وشوق العقل الاول الى المبدع الاول أشد من شوق سائر الاشياء لان الاشياء كلها تحته واذا اشتاق اليه العقل لم يقل العقل لم صرت مشتاقا الى الاول اذ الشوق لا علة له فاما المنطق الذي يختص بالنفس فيفحص عن ذلك ويقول ان الاول هو المبدع الحق وهو الذي لا صورة له وهو مبدع الصور فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه وذلك ان كل صورة تطلب مصورها وتحن اليه وقال ان الفاعل الاول ابدع الاشياء كلها بغاية الحكمة لا يقدر احد ان ينال علل كونها ولم كانت على الحال التي هي الآن عليها وان لا سرفها لكنه معرفتها ولم صارت الارض في الوسط ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة الا ان يقول ان البارى صيرها كذلك وانها كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة وكل فاعل يفعل بروية وفكرة لا بنيته فقط بل يفصل منه فلذلك يكون فعله لا بغاية الثقافة والاحكام والفاعل الاول لا يحتاج في ابداع الاشياء الى روية وفكرة وذلك انه ينال العلل بلا قياس بل يبع لاشياء ويعلم عللها قبل الروية

﴿ الكلام في لوط عليه السلام ﴾

ـ﴿ قال أبو محمد ﴾ـ وذكروا قول الله تعالى في لوط عليه السلام انه قال * لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد فظنوا ان هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام أيضا * هؤلاء بناتي هن أطهر لكم .

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه اما قوله عليه السلام لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد فليس مخالفا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لان لوطا عليه السلام انما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة او عشيرة او اتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام انه يأوي من ربه تعالى الى أمنع قوة واشد ركن ولا جناح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض . فهذا الذي طلب لوط عليه السلام وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار والمهاجرين منعة حتى يبلغ كلام ربه تعالى فكيف ينكر على لوط أمرا هو فعله عليه السلام تالله ما انكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اخبر عليه السلام ان لوطا كان يأوي الى ركن شديد يعني من نصر الله له بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك ومن اعتقد ان لوطا كان يعتقد انه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر اذ نسب الى نبي من الانبياء هذا الكفر وهذا أيضا ظن سخيف اذ من الممتنع ان يظن برب اراه المعجزات وهو دائبا يدعو اليه هذا الظن واما قوله عليه السلام هؤلاء بناتي هن فانما اراد التزويج والوطء في المكان المباح فصح ما قلنا اذ من المحال ان يدعوهم الى منكر وهو ينهاهم عن المنكر انقضى الكلام في لوط عليه السلام

ـ﴿ الكلام في اخوة يوسف عليهم السلام ﴾ـ

(قال ابو محمد) واحتجوا بفعل اخوة يوسف وبيعهم اخاهم وكذبهم لابيهم وهذا لاحجة لهم فيه لان اخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ولا جاء قط في انهم انبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من اجماع ولا من قول احد من الصحابة رضي الله عنهم وأما يوسف صلى الله عليه وسلم فرسول الله بنص القرآن قال عز وجل * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به * الى قوله . من بعده رسولا . واما اخوته فافعالهم تشهد انهم لم يكونوا متورعين عن العظائم فكيف ان يكونوا انبياء ولكن الرسولين اباهم وأخاهم قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم وبرهان ماذكرنا من كذب من يزعم انهم كانوا انبياء قول الله تعالى حاكيا عن الرسول اخيهم عليه السلام انه قال لهم * انتم شر مكانا * ولا يجوز البتة ان يقوله نبي من الانبياء نعم ولا لقوم صالحين اذ توقير الانبياء فرض على جميع الناس لان الصالحين ليسوا شرا مكانا وقد عق ابن نوح اباه باكثر مما عق به اخوة يوسف اباهم الا ان اخوة يوسف لم يكفروا ولا يحل لمسلم ان يدخل في الانبياء من لم يأت نص ولا اجماع أو نقل كافة بصحة نبوته ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم فان ذكروا في ذلك ماروى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو زيد بن أرقم انما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لانبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد الانبياء انبياء فهذه

والفكر والعلل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ما أشبه ذلك انما كانت أجزاء وهو الذي أبدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد (حكم ثاوفرسطيس) كان الرجل من تلامذة ارسطوطاليس وكبار أصحابه واستخلفه على كرسي حكمته بعد وفاته وكانت المتفلسفة تختلف اليه وتقتبس منه وله تركيب الشروح الكثيرة والتصانيف المعتبرة وبالخصوص في الموسيقا فمما يؤثر عنه انه قال الالهية لاتتحرك ومعناه لا تتغير ولا تتبدل لا في الذات ولا في شبه الافعال وقال السماء مسكن الكواكب والارض مسكن الناس على انهم مثل وشبه لما في السماء فهم الآباء والمدبرون ولهم نفوس وعقول مميزة وليس لها أنفس نباتية فلذلك لا تقبل الزيادة والنقصان وقال الغناء فضيلة في المنطق أشكلت على النفس وقصرت عن تبيين كنهها فابرزتها لحونا وأثارت بها شجونا وأصم في عرضها فنونا وفتونا وقال الغناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما أن لذة

غفلة شديدة وزلة عالم من وجوه أولها أنه دعوى لادليل علي صحتها وثانيها انه لوكان ماذكر لأمكن ان ينبأ ابراهيم فى المهد كانبئ عيسى عليه السلام وكما اوتى يحيي الحكم صبيا فعلى هذا القول لعل ابراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا الله من هذا وثالثها ان ولد نوح كان كافراً بنص القرآن عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الانبياء انبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه نبيا وحاشا الله من هذا ورابعها لو كان ذلك لوجب ولابد ان تكون اليهود كلهم أنبياء الى اليوم بل جميع اهل الارض انبياء لانه يلزم أن يكون الكل من ولد آدم لصلبه انبياء لان اباهم نبي واولاد اولاده انبياء أيضا لان آباءهم انبياء وهم أولاد انبياء وهكذا أبدا حتى يبلغ الامر الينا وفى هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه مالا خفاء به وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ولعل من جهل مرتين يقول عنا هذا ينكر نبوة اخوة يوسف ويثبت نبوة نبي المجوس ونبوة ام موسى وام عيسى وام اسحاق عليهم السلام فنحن نقول وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ولم ينص رسول الله صلى الله عليه وسلم علي نبوته ولا نقلت الكواف عن امثالها نقلا متصلا منه الينا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بل ندفع نبوة من قام البرهان علي بطلان نبوته لان تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى لايقدم عليه مسلم ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بان الله تعالى نباه فاما أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحي والى بعض منهن عن الله عزوجل بالانباء بما يكون قبل ان يكون وهذه النبوة نفسها التى لا نبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن واما نبي المجوس فقد صح انهم اهل كتاب بأخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم الجزية منهم ولم يبح الله تعالى له اخذ الجزية الا من اهل الكتاب فقط فمن نسب الى محمد صلى الله عليه وسلم انه اخذ الجزية من غير اهل الكتاب فقد نسب اليه انه خالف ربه تعالي واقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فاذ نحن علي يقين من انهم اهل كتاب فلا سبيل البتة الى نزول كتاب من عند الله تعالى علي غير نبي مرسل بتبليغ ذلك الكتاب فقد صح بالبرهان الضروري انهم قد كان لهم نبي مرسل يقينا بلا شك ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الانبياء عليهم السلام وكل مانقلته كافة علي شرط عدم التواطىء فواجب قبوله ولا فرق بين مانقلته كواف الكافرين او كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ومن قال لااصدق الا مانقلته كواف المسلمين فانا نسأله بأى شيء يصح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم اصلا وانما نقلته الينا يهود عن نصارى ومثل هذا كثير فان كذب هذا غالط نفسه وعقله وكابر حسه وايضا فان المسلمين انما علمنا انهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة مابايديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ولا نعلم بالاسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينة وضرورة العقل وقد اخبر تعالى ان الاولين زبر وقال تعالى. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك . وفى هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق

-﴿ الكلام في يوسف عليه السلام ﴾-

وذكروا ايضا اخذ يوسف عليه السلام اخاه وايحاشه أباه عليه السلام منه وانه اقام مدة يقدر فيها على ان يعرف اباه خبره وهو يعلم مايقاسي به من الوجد عليه فلم يفعل وليس بينه

وبينه

الماكول والمشروب شيء يخص الجسم دون النفس وقال ان النفوس الى اللحون اذا كانت محجبة أشد اصغاء منها الى ماقد تبين لها وظهر معناه عندها وقال العقل نحوان أحدهما مطبوع والآخر مسموع فالمطبوع منها كالارض والمسموع كالبذر والماء فلا يخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من نومه ويطلقه من وثاقه ويقلقله من مكانه كما يستخرج البذر والماء مافى قعر الارض وقال الحكمة غنى النفس والمال غنى البدن وطلب غنى النفس أولى لانها اذا غنيت بقيت والبدن إذا غني فنى وغنا النفس ممدود وغنى البدن محدود وقال ينبغى للعاقل أن يدارى الزمان مداراة رجل لايسبح فى الماء الجاري اذا وقع وقال لاتغبطن بسلطان من غير عدل ولا بغنى من غير حسن تدبير ولا ببلاغة فى غير صدق منطق ولا بجود فى غير اصابة موضع ولا بادب فى غير اصابة رأي ولا بحسن عمل فى غير حسنة (شبه برقلس) في قدم العالم ان القول فى قدم العالم وأزلية الحركات بعد اثبات الصانع

بينه وبينه الاعشر ليال وبادخاله صواع الملك فى وعاء اخيه ولم يعلم بذلك سائر اخوته ثم أمر من هتف ايتها العير انكم لسارقون وهم لم يسرقوا شيئا وبقول الله تعالى *ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه * وبخدمته لفرعون وبقوله للذى كان معه فى السجن * اذكرنى عند ربك

(قال ابو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فى شيء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد اما اخذه أخاه وايحاشه اباه منه فلاشك فى ان ذلك ليرفق باخيه وليعود اخوته اليه ولعلهم لو مضوا باخيه لم يعودوا اليه وهم فى مملكة اخرى وحيث لاطاعة ليوسف عليه السلام ولا للملك مصر هنالك وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ولاسبيل الى أن يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اوتى العلم والمعرفة بالتاويل الا احسن الوجوه وليس مع من خالفنا نص بخلاف ماذكرنا ولا يحل ان يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم واماظنهم انه أقام مدة يقدر فيها على ريتعف أبيه خبره ولم يفعل فهذا جهل شديد ممن ظن هذا لان يعقوب فى أرض كنعان من عمل فسلطين فى قوم رحالين خصاصين فى لسان آخر وطاعة اخرى ودين آخر وأمة أخرى كالذى بيننا اليوم وبين من يضافينا من بلاد النصارى كفاليش وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ولاحى هو أو ميت أكثر من وعد الله تعالى بان ينبئهم بفعلهم به ولا وجد احدا يثق به فيرسل اليه للاختلاف الذى ذكرنا وانما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ومصر لامير واحد وملة واحدة ولسانا واحدا وامة واحدة والطريق سابل والتجار ذاهبون وراجعون والرفاق سائرة ومقبلة والبرد ناهضة وراجعة فظن كل بيضاء شحمة ولم يكن الامر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا ودليل ذلك انه حين أمكنه لم يؤخره واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس اليه وانقيادهم له للجوع الذى كان عم الارض وامتيارهم من عنده فانتظر وعد ربه تعالى الذى وعده حين ألقوه فى الجب فاتوه ضارعين راغبين كما وعده تعالى فى رؤياه قبل أن ياتوه ورب رئيس جليل شاهدنا من أبناء البشاكس والافرنج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بدارا الى ذلك ولكن الامر تعذر عليهم تعذرا أخرجه عن الامكان الى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام واما قول يوسف لاخوته انكم لسارقون وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذى كان قد أدخله فى وعاء أخيه دونهم فقد صدق عليه السلام لانهم سرقوه من أبيه وباعوه ولم يقل عليه السلام انكم سرقتم الصواع وانما قال نفقد صواع الملك وهو فى ذلك صادق لانه كان غير واجده فكان فاقداله بلاشك واما خدمته عليه السلام لفرعون فانما خدمه تقية وفى حق لاستنقاذ الله تعالى بحسن تدبيره ولعل الملك أو بعض خواصه قد آمن به الا ان خدمته له على كل حال حسنة وفعل خير وتوصل الى الاجتماع بابيه والى العدل والى حياة النفوس اذ لم يقدر على المغالبة ولا امكنه غير ذلك ولا مرية فى ان ذلك كان مباحا فى شريعة يوسف عليه السلام بخلاف شريعتنا قال الله تعالى *لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واما سجود ابويه فلم يكن ذلك محظورا فى شريعتهما بل كان فعلا حسنا وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام الا ان الذى

والقول بالعلة الاولى انما ظهر بعد ارسطوطاليس لانه خالف القدماء صريحا وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانا فنسج على منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل الاسكندر الافرودوسى وثامسطيوس فرفوريوس وصنف برقلس المنتسب الى أفلاطن فى هذه المسئلة كتابا وأورد فيه هذه الشبه والا فالقدماء انما ابدوا فيه ماتقلناه سابقا الشبهة الاولى قال البارى تعالى جواد بذاته وعلة وجود العالم جوده وجوده قديم لم يزل فيلزم أن يكون وجود العالم قديما لم يزل ولا يجوز أن يكون مرة جوادا ومرة غير جواد فانه يوجب التغير فى ذاته فهو جواد لذاته لم يزل قال ولامانع من فيض جوده اذ لو كان مانع لما كان من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل على شيء ولا مانع من شيء * الشبهة الثانية قال ليس يخلوا الصانع من أن يكون لم يزل صانعا بالفعل أو لم يزل صانعا بالقوة بان يقدر أن يفعل ولا يفعل فان كان الاول فالمصنوع معلول لم يزل وان

كان الثاني فا بالقوة لا يخرج الى الفعل الا بمخرج ومخرج الشيء من القوة الى الفعل غير ذات الشيء فيجب أن يكون له مخرج من خارج مؤثر فيه فذلك ينافي كونه صانعا مطلقا لا يتغير ولا يتاثر الشبهة الثالثة قال كل علة لا يجوز عليها التحرك والاستحالة فانما يكون علة من جهة ذاته لا من جهة الانتقال من غير فعل الى فعل وكل علة من جهة ذاته فمعلولها من جهة ذاتها واذا كانت ذاتها لم تزل فمعلولها لم يزل. الشبهة الرابعة قال ان كان (١٠) الزمان لا يكون موجودا الا مع الفلك ولا الفلك الا مع الزمان لان الزمان هو العاد لحركات الفلك ثم لا جائز أن يقال متى وقبل الا حين يكون الزمان موجودا ومتى وقبل أبدي فالزمان أبدي فحركات الفلك أبدية فالزمان أبدي . الشبهة الخامسة قال ان العالم حسن النظام كامل القوام وصانعه جواد خير ولا ينقض الجيد الحسن الا شرير وصانعه ليس بشرير وليس يقدر على نقضه غيره فليس ينتقض ابدا وما لا ينتقض أبدا كان سرمدا . الشبهة السادسة قال لما كان الكائن لا يفسد الا بشيء غريب يعرض له ولم يكن شيء غير العالم خارجا منه يجوز أن يعرض فيفسد ثبت انه لا يفسد وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث فان كل كائن فاسد. الشبهة السابعة قال ان الاشياء التي هي في المكان الطبيعي لا تتغير ولا تتكون ولا تفسد وانما تتغير وتتكون وتفسد اذا كانت في أماكن غريبة فتتجاذب الى أماكنها كالنار التي في أجساد ناتحاول الانفصال الى مركزها فينحل الرباط فيفسد فاذا الكون والفساد انما يتطرق الى المركبات فقال لا الى البسائط التي هي الاركان في أماكنها ولكنها هي بحالة واحدة وما هو بحال واحد فهو أزلي. الشبهة الثامنة قال العقل والنفس والافلاك تتحرك على الاستدارة والطبائع تتحرك أما على الوسط واما الى الوسط على الاستقامة واذا كان كذلك كان التفاسد في العناصر انما هو لتضاد حركاتها والحركة الدورية لا ضد لها فلم يقع فيها فساد قال وكليات العناصر انما تتحرك على استدارة وان كانت الاجزاء

لا شك فيه انه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل وانما كان سجود كرامة فقط بلا شك واما قوله عليه السلام الذي كان معه في السجن اذكرني عند ربك فما علمنا الرغبة في الانطلاق من السجن محظورة على احد وليس في قوله ذلك دليل على انه أغفل الدعاء الى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين احدهما وجوب السعي في كشف الظلم عنه والثاني دعاؤه الى الخير والحسنات واما قوله تعالى * فانساه الشيطان ذكر ربه * فالضمير الذي في أنساه وهو الهاء راجع الى الفتى الذي كان معه في السجن اي ان الشيطان انساه ان يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام ويحتمل ايضا ان يكون انساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام وبرهان ذلك قول الله عز وجل وادكر بعد أمة . فصح يقينا ان المذكور بعد أمة هو الذي انساه الشيطان ذكره حتى تذكر وحتى لو صح ان الضمير من انساه راجع الى يوسف عليه السلام لما كان في ذلك نقص ولا ذنب اذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الانبياء واما قوله . همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتاخرين من قال انه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ومعاذ الله من هذا ان يظن برجل من صالحي المسلمين اومستوريهم فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل ان هذا قد روى عن ابن عباس رضي الله عنه من طريق جيدة الاسناد قلنا نعم ولا حجة في قول احد الا فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط والوهم في تلك الرواية انما هي بلا شك عمن دون ابن عباس أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك اذ انما أخذه عمن لا يدري من هو ولا شك في انه شيء سمعه فذكره لانه رضي الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين اما انه هم بالايقاع بها وضربها كما قال تعالى . وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وكما يقول القائل لقد همت بك لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان اراه الله اياه استغنى به عن ضربها وعلم ان الفرار اجدى عليه واظهر لبراءته على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بامر قد من القميص والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال وهم بها لولا ان راى برهان ربه وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تاويل وبهذا نقول حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي حدثنا ابن عون الله انبأنا ابراهيم ابن احمد بن فراس حدثنا احمد بن محمد بن سالم النيسابوري انا اسحق بن راهويه أنا المومل ابن اسماعيل الحميري حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية . ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل يا يوسف اذكر همك

فقال يوسف وما ابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء فليس فى هذا الحديث على معنى من المعانى تحقيق الهم بالفاحشة ولكنه فيه انه بامر ما وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض وصح الوجه الاول والثانى معا الا ان الهم بالفاحشة باطل مقطوع على كل حال وصح ان ذلك الهم ضرب سيدته وهى خيانة لسيده اذهم بضرب امرأته وبرهان ربه هاهنا هو النبوة وعصمة الله عزوجل اياه ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة وهذا لاشك فيه ولعل من ينسب هذا الى النبي المقدس يوسف ينزه نفسه الرذلة عن مثل المقام فيهلك وقد خشى النبي صلي الله عليه وسلم الهلاك على من ظن به ذلك الظن اذ قال للانصاريين حين لقيهما هذه صفية

(قال ابو محمد) ومن الباطل الممتنع ان يظن ظان ان يوسف عليه السلام هم بالزنا وهو يسمع قول الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء فنسال من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو ام غير سوء فلابد انه سوء ولو قال انه ليس بسوء لعاند الاجماع فاذ هو سوء وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهم بيقين وأيضا فانها قالت ماجزاء من أراد باهلك سوءا وانكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق . ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فصح انها كذبت بنص القرآن واذا كذبت بنص القرآن فما اراد بها قط سوء فما هم بالزنا قط ولو اراد بها الزنا لكانت من الصادقين وهذا بين جدا وكذلك قوله تعالى عنه انه قال . والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن وا كن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن : فصح عنه انه قط لم يصب اليها و بالله تعالى التوفيق تم الكلام في يوسف عليه السلام

(الكلام فى موسى عليه السلام وأمه)

(قال ابو محمد) ذكروا قول الله تعالى * وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها * فمعناه فارغا من الهم بموسى جملة لان الله عز وجل قد وعدها برده اليها اذ قال لها تعالى * انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين * فمن الباطل المحض ان يكون الله تعالى ضمن لها رده اليها ثم يصبح قلبها مشغولا بالهم بامره هذا مالا يظن بذى عقل أصلا وانما معنى قوله تعالى ان كادت لتبدي به أى سرورا بما اتاه الله عزوجل من الفضل وقولها لاخته قصية انما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى فى تخليصه من يدى فرعون عدوه بعدو قوعه فيهما وليتم بها ما وعدها الله تعالى من رده اليها فبعثت اخته لترده بالوحى وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام فاخذ برأس أخيه يجره اليه * قال يا ابن أم لا تاخذ بلحيتى ولا برأسي * قالوا وهذه معصية أن يأخذ بلحية أخيه وشعره

منها تتحرك على الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لا تفسد واذا لم يجز أن يفسد العالم لم يجز أن يتكون وهذه الشبهات هى التى يمكن أن يقال فتنقض وفى كل واحدة منها نوع مغالطة واكثرها تحكمات وقد افردت لها كتابا وأوردت فيه شبهات أرسطوطاليس وهذه تقريرات أبي على بن سينا ونقضتها على قوانين منطقية فليطلب ذلك ومن المتعصبين لبرقلس من مهد عذرا فى ذكر هذه الشبهات وقال انه كان يناطق الناس منطقين أحدهما روحانى بسيط والآخر جسمانى (١١) مركب وكان أهل زمانه الذين يناطقونه الى جسمانيين وإنما دعاه الى ذكر هذه الاقوال مقاومتهم اياه فخرج من طريق الحكمة والفلسفه من هذه الجهة لان من الواجب على الحكيم أن يظهر العلم على طرق كثيرة يتصرف فيها كل ناظر بحسب نظره ويستفيد منها بحسب فكره واستعداده فلا يجدوا على قوله مساغا ولا يصيبوا مقالا ولا مطعنا لان برقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم وانه باق لا يدثر وضع كتابا فى هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانية فنقضوه على مذهب الدهرية وفى هذا الكتاب يقول لما اتصلت العوالم بعضها ببعض وحدثت القوى الواصلة فيها وحدثت المركبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب فالقشور داثرة واللبوب قائمة دائمة ولا يجوز الفساد عليها لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم الى عالمين عالم الصفوة واللب وعالم الكدورة والقشر فاتصل بعضه ببعض وكان آخر هذا العالم من بدو ذلك العالم فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم دثرا اذا كان متصلا بما ليس يدثر ومن وجه دثرة القشور ونالت الكدورة وكيف تكون القشور غير داثرة ولا مضمحلة وما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وايضا فان هذا العالم مركب والعالم الاعلى بسيط وكل مركب ينحل حتى يرجع الى البسيط الذى تركب منه وكل بسيط باق دائما غير مضمحل ولا متغير قال الذى يذب عن برقلس هذا الذي نقل عنه هو المقبول عن مثله بل الذى اضاف اليه هذا القول الاول لا يخلوا

من أحد أمرين أما ان لم يقف على مرامه للعلة التي ذكرنا فيما سلف واما انه كان محسودا عند أهل زمانه لكونه بسيط الفكر وسيع النظر سائر القوى وكانوا أولئك أصحاب اوهام وخيالات فانه يقول في موضع من كتابه ان الاوائل منها تكونت العالم وهي باقيه لاتدثر ولاتضمحل وهي لازمة الدهر ماسكة له الا انها من أول اواحد لا يوصف بصفه ولايدرك بنعت ونطق لان صور الاشياء كلها (١٢) منه وتحته وهو الغاية والمنتهى التي ليس فوقها جوهر هو أعظم منها الا الاول الواحد وهو الذى قوته اخرجت هذه الاوائل وقدرته ابدعت هذه المبادىء وقال أيضا الحق لايحتاج الى ان يعرف ذاته لانه حق حقا بلا حق وكل حق حقا فهو تحته انما هو حق حقا اذا حققه الموجب له الحق فالحق هو الجوهر الممدد الطباع الحياة والبقاء وهو أفاد هذا العالم بدأ وبقاء بعد دثور قشوره وزكى البسيط الباطن من الدنس الذى كان فيه قد علق به وقال ان هذا العالم اذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطا روحانيا بقى بما فيه من الجواهر الصافية النورانية في حد المراتب الروحانية مثل العوالم العلوية التى بلا نهاية وكان هذا واحدمنها وبقى جوهر كل قشر ودنس وخبث ويكون له أهل يلبسه لانه غير جائز أن تكون الانفس الطاهرة التى تلبس الادناس القشور مع الانفس الكثيرة القشور في عالم واحد وانما يذهب من هذا العالم ماليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر لن والدنس عليه أغلب وأماما كان من البارى بلامتوسط أو كان من متوسط بلا قشر فانه لا يضمحل قال وانما يدخل القشر على شيء من غير المتوسطات فيدخل عليه بالعرض لا بالذات وذلك اذا كثرت المتوسطات وبعد الشيء عن الابداع الاول لانه حيث ماقلت المتوسطات في الشيء كان انور واقل قشورا ودنسا وكلما قلت القشور والدنس كانت الجواهر اصفى والاشياء ابقى

وهو نبي مثله وأسن منه ولاذنب له

(قال ابو محمد وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين احدهما انه اخذه برأس اخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له اذ تاخر عن اتباعه اذ رآهم ضلوا ولم ياخذ بشعر أخيه قط اذ ليس ذلك في الآية أصلا ومن زاد ذلك فيها فقد كذب على الله تعالى لكن هارون عليه السلام خشى بادرة من موسى عليه السلام وسطوة اذ رآه قد اشتد غضبه فاراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه وليس في هذه الآية مايوجب غير ماقلناه ولا أنه مد يده الى أخيه أصلا وبالله تعالى التوفيق والثانى ان يكون هارون عليه السلام قد يكون استحق في نظر موسى عليه السلام النكير لتاخيره عن لحاقه اذ رآهم ضلوا فاخذ برأسه منكرا عليه ولو كان هذا لكان انما فعله موسى عليه السلام غضبا لربه عز وجل وقاصدا بذلك رضاء الله تعالى ولسنا نبعد هذا من الانبياء عليهم السلام وانما نبعد القصد الى المعصية وهم يعلمون انها معصية وهذا هو معني ماذكره الله تعالى عن ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم اذ قال * والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين * وقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم * ليغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتاخر . انما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ماوقع بنسيان أو بقصد الى الله تعالى ارادة الخير فلم يوافق رضا الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام . اقتلت نفسا زكية بغير نفس . فانكر موسى عليه السلام الشيء وهو لايعلمه وقد كان اخذ عليه العهد ان لا يساله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا فهذا أيضا لاحجة لهم فيه لان ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسي عليه السلام ذلك بقوله . لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا . فرغب اليه انه لا يؤاخذه بنسيانه ومؤاخذة الخضر له بالنسيان دليل على صحة ماقلنا من انهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الامر وقدر ان الغلام زكى اذ لم يعلم له ذنبا وكان عند الخضر العلم الجلى بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل فقصد موسى عليه السلام بكلامه في ذلك وجه الله تعالى والرحمة وانكار مالم يعلم وجهه وذكروا قول موسى عليه السلام . فعلتها اذا وانا من الضالين . فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة فانه كان ضالا عما اهتدى له بعد النبوة وضلال الغيب عن العلم كما تقول أضللت بعيرى لا ضلال القصد الى الاثم وهكذا قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى . أي ضالا عن المعرفة وبالله تعالى التوفيق وذكروا قول الله عز وجل عن بنى اسرائيل . فقد سالوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم . قالوا وموسى قد سال ربه مثل ذلك فقال . رب ارنى انظر اليك قال

لن تراني . قالوا فقد سال موسى عليه السلام امرا عوقب سائلوه قبله

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لانه خارج على وجهين احدهما ان موسى عليه السلام سال ذلك قبل سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى وقبل ان يعلم ان سؤال ذلك لايجوز فهذا لا مكروه فيه لانه سال فضيلة عظيمة اراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى والثاني ان بني اسرائيل سالوا ذلك متعنتين وشكاكا في الله عز وجل وموسى سال ذلك على الوجه الحسن الذي ذكرنا آنفا

(الكلام على يونس عليه السلام)

(قال ابو محمد) وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه . وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لااله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين . وقوله تعالى . فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون . وقوله لنبيه عليه السلام . فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . وقوله تعالى . فالتقمه الحوت وهو مليم . قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل ومن أكبر ذنبا ممن ظن ان الله لا يقدر عليه وقد أخبر الله تعالى انه استحق الذم لولا ان تداركه نعمة الله عز وجل وانه استحق الملامة وانه اقر على نفسه انه كان من الظالمين ونهى الله تعالى نبيه ان يكون مثله

(قال ابو محمد) هذا كله لاحجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين أما أخبار الله تعالى ان يونس ذهب مغاضبا فلم يغاضب ربه قط ولا قال الله تعالى انه غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلا على الله الكذب وزائدا في القرآن ماليس فيه هذا لا يحل ولا يجوز ان يظن بمن له ادنى مسكة من عقل انه يغاضب ربه تعالى فكيف ان يفعل ذلك نبي من الانبياء فعلمنا يقينا انه انما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فعوقب بذلك وان كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك الا رضا الله عز وجل واما قوله تعالى . فظن ان لن نقدر عليه . فليس على ماظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز ان يظن بضعيفة من النساء او بضعيف من الرجال الا ان يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم ومن المحال المتيقن ان يكون نبي يظن ان الله تعالى الذي أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى ان آدميا مثله يقدر عليه ولا شك في ان من نسب هذا للنبي صلى الله عليه وسلم الفاضل فانه يشتد غضبه لو نسب ذلك اليه او الى ابنه فكيف الى يونس عليه السلام الذي يقول فيه رسول الله ﷺ لا تفضلوني على يونس بن متى فقد بطل ظنهم بلا شك وصح ان معنى قوله . فظن ان لن

ومما ينقل عن برقلس انه قال ان الباري عالم بالاشياء كلها اجناسها وأنواعها وأشخاصها وخالف بذلك ارسطوطاليس فانه قال يعلم أجناسها وأنواعها دون اشخاصها الكائنة الفاسدة فان علمه يتعلق بالكليات دون الجزئيات كما ذكرنا ومما ينقل عنه في قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم الا بعد ان لم يكن فابدعه الباري وفي الحالة التي لم يكن لم يخلو من حالات ثلاث أما ان الباري لم يكن قادرا فصار قادرا وذلك محال لانه قادر لم يزل واما انه لم يرد فاراد (١٣) وذلك محال ايضا لانه مريد لم يزل وأما انه لم يفيض الحكمة وذلك محال أيضا لان الوجود اشرف من العدم على الاطلاق فاذا بطلت هذه الجهات الثلاث تشابها في الصفة الخاصة وهي القدم على أصل المتكلم أو كان القدم بالذات له دون غيره وان كان معا في الوجود والله الموفق

(رأي ثامسطيوس)

وهو الشارح لكلام ارسطوطاليس وإنما يعتمد شرحه اذا كان أهدى القوم الى اشاراته ورموزه وهو على رأي ارسطوطاليس في جميع ماذكرنا من اثبات العلة الاولى واختار من المذاهب في المبادىء قول من قال ان المبادىء ثلاثة الصورة والهيولى والعدم وفرق بين العدم المطلق والعدم الخاص فان عدم صورة بعينها عن مادة تقبلها مثل عدم السفينة عن الحديد ليس كعدم السفينة عن الصوف فان هذه المادة لاتقبل هذه الصورة أيضا وقال ان الافلاك حصلت من العناصر الاربعة لان العناصر حصلت من الافلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وأرضية الا ان الغالب على الافلاك النارية كما أن الغالب على المركبات السفلية هو الارضية والكواكب نيران متشملات حصلت تراكيبها على وجه لا يتطرق اليها الانحلال لانها لاتقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والا فالطبائع واحدة والفرق يرجع الى ماذكرنا ونقل ثامسطيوس عن ارسطوطاليس وافلاطن وثاوفرسطيس وفرفريوس وفلوطرخيس وهو رأيه في أن

العالم أجمع طبيعة واحدة عامة وكل نوع من أنواع النبات والحيوان مختص بطبيعة خاصة وحدوا الطبيعة العامة انها مبدأ الحركة في الاشياء والسكون فيها على الامر الاول من ذواتها وهي علة الحركة في المتحركات وعلة السكون في الساكنات زعموا ان الطبيعة هي التي تدبر الاشياء كلها في العالم حياته ومواته تدبيرا طبيعيا وليست هي حية ولا قادرة ولا مختارة ولكن لا تفعل الا الحكمة وصوابا (١٤) وعلى تمام صحيح وترتيب محكم قال ثامسطيوس قال ارسطوطاليس في مقالة اللام ان الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وان لم يكن حيوانا الا انها الهمت من سبب هو أكرم منها وأوهى الى ان السبب هو الله وقال أيضا ان الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية على الكون والفساد بكلياتها وجزئياتها يعني الفلك والنيرات وطبيعة يلحق جزئياتها الكون والفساد لا كلياتها يريد بالجزئيات الاشخاص وبالكليات الاستقصات

(رأي الاسكندر الافروديسي) وهو من كبار الحكماء رأيا وعلما وكلامه امتن ومقالته أرصن وافق ارسطوطاليس في جميع آرائه وزاد عليه في الاحتجاج على ان البارى عالم بالاشياء كلها كلياتها وجزئياتها على نسق واحد وهو عالم بما كان وبما سيكون ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا يتكثر بتكثره ومما انفرد به ان قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحريك من غيره أصلا بل انما يتحرك بطبعه واختياره الا ان حركاته لا تختلف لانها دورية وقال لما كان الفلك محيطا بما دونه وكان الزمان جاريا عليه لان الزمان هو العاد للحركات اوهو عدد الحركات ولما لم يكن يحيط بالفلك شيء آخر ولا كان الزمان جاريا عليه لم يجز أن يفسد الفلك ويكون فلم يكن قابلا للكون والفساد ومالم يقبل الكون والفساد كان قديما أزليا وقال في كتابه في النفس ان الصناعة تقبل

تقدر عليه . أى لن نضيق عليه كما قال تعالى • وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه . اي ضيق عليه نظن يونس عليه السلام ان الله تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه اذ ظن انه محسن في فعله ذلك وإنما نهى الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ان يكون كصاحب الحوت فنعم نهاه الله عز وجل عن مغاضبته قومه وامره بالصبر على اذاهم وبالمطاولة لهم واما قول الله تعالى انه استحق الذم والملامة لولا النعمة التي تداركه بها للبث معاقبا في بطن الحوت فهذا نفس ماقلناه من ان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيرا وقربة الى الله عز وجل اذا لم يوافق مراد ربهم وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بانه كان من الظالمين والظلم وضع الشيء في غير موضعه فلما وضع النبي صلى الله عليه وسلم المغاضبة في غير موضعها اعترف في ذلك بالظلم لا على انه قصده وهو يدرى انه ظلم انقضى الكلام في يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في داود عليه السلام)

وذكروا أيضا قول الله تعالى حاكيا عن داود عليه السلام * وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان * الى قوله فغفرنا له ذلك (قال أبو محمد) وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وانما كان ذلك الخصم قوما من بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله مالم يقل وزاد في القرآن ماليس فيه وكذب الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة انه كذب الملائكة لان الله تعالى يقول * هل أتاك نبأ الخصم * فقال هو لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لاحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له أكفلنيها فاعجبوا لم يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم ونعوذ بالله من الخذلان ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوى المجردة وتالله ان كل امرىء منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها وعن أن يترك صلاته لطائر يراه هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذي أوحى اليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف الى أفعاله وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله تعالى له فالانبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الافعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من

نبي

نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الارض والملائكة كما قال الله تعالى * ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام وظن داود انما فتناه * وقوله تعالى * فغفرنا له ذلك فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفر الله تعالى له هذا الظن اذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة

﴿ الكلام في سليمان عليه السلام ﴾

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب *

(قال أبو محمد) ولا حجة لهم في هذا اذ معنى قوله تعالى فتنا سليمان أي آتيناه من الملك ما اختبرناه به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام في قوله تعالى * ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء * ان من الفتنة من يهدى الله من يشاء * وقال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * فهذه الفتنة هي الاختبار حتى يظهر المهتدى من الضال فهذه فتنة الله تعالى لسليمان انما هي اختباره حتى ظهر فضله فقط وماعدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود واشباههم وأما الجسد الملقى على كرسيه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد نؤمن بهذا كما هو ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا ولو جاء نص صحيح في القرآن أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير هذا الجسد ماهو لقلنا به فاذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ولا خبر صحيح فلا يحل لاحد القول بالظن الذى هو أكذب الحديث في ذلك فيكون كاذبا على الله عز وجل الا اننا لانشك البتة في بطلان قول من قال انه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع على انه كذب والله تعالى لا يهتك ستر رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الهتك وكذلك نبعد قول من قال انه كان ولداً له أرسله الى السحاب ليربيه فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن والطعام وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح اسنادها قط وذكروا أيضا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق * وتأولوا ذلك على ما قد نزه الله عنه من له أدنى مسكة من عقل

الطبيعة والطبيعة لاتقبل الصناعة وقال الطبيعة لطف وقوة وان أفعالها تفوق في البراعة واللطف كل أعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات وقال في ذلك الكتاب لافعل للنفس دون مشاركة البدن حتى التصور بالعقل فانه مشترك بينهما وأومى الى انه لايبقى للنفس بعد مفارقتها قوة أصلا حتى القوة العقلية وخالف استاذه ارسطوطاليس فانه قال الذى يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى هي القوة العقلية فقط ولذتها في (١٥) ذلك العالم مقصورة على اللذات العقليه فقط اذ لا قوة لها دون ذلك فتحسس وتلتذ والمتأخرون يثبتون بقاءها على هيآت أخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فتستعد بها لقبول الهيئات الملكية في ذلك العالم (رأى فرفوريوس) وهو أيضا على رأي ارسطوطاليس ووافقه في جميع ماذهب اليه ويدعى ان الذى يحكى عن أفلاطن من القول بحدث العالم غير صحيح قال في رسالته الى انابا نوما مافرق به افلاطن عندكم من انه يضع للعالم ابتداء زمانيا فدعوى كاذبة وذلك ان افلاطن ليس يرى ان للعالم ابتداء زمانيا لكن ابتداء على جهة العلة ويزعم ان علة كونه ابتداؤه وقد رأي ان المتوهم عليه في قوله ان العالم مخلوق وانه حدث لامن شيء وانه خرج من لانظام الى نظام فقد أخطأ وغلط وذلك انه لايصح دائما ان كل عدم أقدم من الوجود فيما علة وجوده شيء آخر غيره ولا كل سوء نظام اقدم من النظام وانما يعني افلاطن ان الخالق أظهر العالم من العدم الى الوجود ان وجدانه لم يكن من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق وقال في الهيولى انها امر قابل للصور وهي كبيرة وصغيرة و هما في الموضوع والحد واحد ولم يبين العدم كما ذكره ارسطوطاليس الا انه قال الهيولى لاصورة له فقد علم ان عدم الصورة في الهيولى وقال ان المكونات كلها انما تكون بالصور على قبول التغيير وتفسد بخلو الصور عنها وزعم فرفوريوس انها

انمن الأصول الثلاثة التي هى الهيولى والصور والعدم ان كل جسم اما ساكن واما متحرك وهاهنا شيء يكون مايتكون ويحرك الاجسام وكل ماكان واحدا بسيطا ففعله واحد بسيط وما كان كثيرا مركبا فافعاله كثيرة مركبة وكل موجود ففعله مثل طبيعته ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط ومافي أفعاله يفعلها بمتوسط فمركب وقال كل ماكان موجودا فله فعل من الافعال مطابق لطبيعته ولما كان البارى (١٦) تعالى موجودا ففعله الخاص هو الاجتلاب الى الوجود ففعل فعلا واحدا وحرك حركة واحدة وهو الاجتلاب الى شبهه يعنى الوجود ثم اما أن يقال كان المفعول معدوما يمكن ان يوجد وذلك هو طبيعة الهيولى بعينها فيجب ان يسبق الوجود طبيعة ما قابلة للوجود واما ان يقال لم يكن معدوما يمكن أن يوجد بل أوجده عن لاشيء وابدع وجوده من غير توهم شيء سبقه وهو مايقوله الموحدون قال فاول فعل فعله هو الجوهر الاان كونه جوهرا وقع بالحركة فوجب أن يكون بقاؤه جوهرا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون بذاته بمنزلة الوجود الاول لكن من التشبه بذلك الاول وكل حركة تكون فاما علي خط مستقيم وأما على الاستدارة فتحرك الجوهر بهاتين الحركتين ولما كان وجود الجوهر بالحركة وجب أن يتحرك الجوهر فى جميع الجهات التى يمكن فيها الحركة فيتحرك جميع الجواهر فى جميع الجهات حركة مستقيمة على جميع الخطوط وهى ثلاثة الطول والعرض
والعمق الا انه لم يمكن ان يتحرك على هذه الخطوط بلانهاية اذ ليس يمكن فيما هو بالفعل أن يكون بلانهاية فيحرك الجوهر فى هذه الافطار الثلاثة حركة متناهية على خطوط مستقيمة وصار بذلك جسما وبقى عليه أن يتحرك بالاستدارة على الجهة التى يمكن فيه أن يتحرك بلا نهاية ولا يسكن وقتا من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة

بقع

من أهل زماننا وغيره فكيف بنبي معصوم مفضل فى انه قتل الخيل اذا اشتغل بها عن الصلاة
(قال ابو محمد) وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت افانين من القول والظاهر انها من اختراع زنديق بلا شك لان فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها واتلاف مال منتفع به بلامعنى ونسبة تضييع الصلاة الى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف بنبي مرسل ومعنى هذه الآية ظاهر بين وهو انه عليه السلام اخبرانه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمر بردها فطفق مسحا بسوقها وأعناقها بيده براً بها واكراما لها هذا هو ظاهر الآية الذى لايحتمل غيره وليس فيها اشارة أصلا الى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ولا حجة فى قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا أيضا الحديث الثابت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه السلام قال لاطوفن الليلة علي كذا وكذا امراة كل امرأة منهن تلد فارسا يقاتل فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله
(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه فان من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين في سبيل الله عز وجل فقد أحسن ولا يجوز ان يظن به انه يجهل ان ذلك لا يكون الا أن يشاء الله عز وجل وقد جاء فى نص الحديث المذكور انه انما ترك ان شاء الله نسيانا فاوخذ بالنسيان فى ذلك وقد قصد الخير وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين تم الكلام فى سليمان عليه الصلاة والسلام
(فصل) وذكروا قوله تعالى . واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين
(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه لانه ليس فى نص الآية ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا المذكور كان نبيا وقد يكون انباء الله تعالى لهذا المذكور آياته انه أرسل اليه رسولا بآياته كما فعل بفرعون وغيره فانسلخ منها بالتكذيب فكان من الغاوين وإذا صح ان نبيا لا يعصى الله عز وجل تعمدا فمن المحال أن يعاقبه الله تعالى علي ما لا يفعل ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبوة ولا يجوز ان يعاقب بذلك نبي البتة لانه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب وبالله تعالى التوفيق فصح يقينا ان هذا المنسلخ لم يكن قط نبيا وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مامن أحد الا من ألم بذنب او كاد إلا يحيي بن زكريا او كلاما هذا معناه
(قال ابو محمد) وهذا صحيح وليس خلافا لقولنا إذ قد بينا ان الانبياء عليهم السلام

على الاستدارة لان الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسط منه فعند ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وسكن بعضه في الوسط وقال كل جسم يتحرك فيماس جسما ساكنا في طبيعته قبول التاثير منه حركه معه واذا حركه سخن واذا سخن لطف وانحل وخف فكانت النار تلي الفلك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته أقل فلا يتحرك لذلك اجمعه لكن جزء منه فيسخن (١٧) دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك فهو بارد لسكونه وحار حرارة يسيرة بمجاورة الهواء وكذلك انحل قليلا وأما الجسم الذي في الوسط فلانه بعد في الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولا قبل منه تاثيرا سكن وبرد وهذه هي الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض اختلطت وتولد عنها أجسام مركبة وهذه هي الاجسام المحسوسة وقال الطبيعة تفعل بغير فكر ولا عقل ولا ارادة ولكنها ليست تفعل بالبخت والاتفاق والخبط بل لا يفعل الا ماله نظم وترتيب وحكمة وقد يفعل شيئا من أجل شيء كما يفعل البر لغذاء الانسان ويهيء أعضاؤه لما يصلح له وقسم فرفوريوس مقالة أرسطاطاليس في الطبيعة خمسة أقسام أحدها العنصر والثاني الصورة والثالث المجتمع منهما كالانسان والرابع الحركة الحادثة في الشيء بمنزلة حركة النار الكائنة الموجودة فيها الى فوق والخامس الطبيعة العامة للكل لان الجزئيات لا يتحقق وجودها الا عن كل يشملها ثم اختلفوا في مركزها فمن الحكماء من صار الى انها فوق الكل وقال آخرون أنها دون الفلك قالوا وأما الدليل على وجودها أفعالها وقواها المنبثة في العالم الموجبة للحركات والافعال كذهاب النار والهواء الى فوق وذهاب الماء والارض الى تحت فنعلم يقينا ان لا قوى فيها أوجبت تلك الحركات كانت مبدأ لها لم توجد فيها وكذلك

يقع منهم النسيان وقصد الشيء يظنونه قربة الى الله تعالى فاخبر عليه السلام انه لم ينج من هذا أحد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام فيقول من هذا إن يحيى لم ينس شيئا واجبا عليه قط ولا فعل الا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل

(الكلام في محمد صلى الله عليه وسلم)

(قال ابو محمد) وذكروا قول الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * وقوله تعالى * عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى * وبالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السلام في والنجم اذا هوى وذكروا تلك الزيادة المفتراة التي تشبه من وضعها من قولهم وانها الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى وذكروا * قول الله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته * وبقوله تعالى * ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وان الوحي امتسك عنه عليه السلام لتركه الاستثناء اذ ساله اليهود عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف * وبقوله تعالى * وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه * و بما روى من قوله عليه السلام لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة اذ قبل الفداء وترك قتل الاسرى ببدر وبما روى من قوله عليه السلام لو نزل عذاب مانجى منه الا عمر لان عمر اشار بقتلهم وذكروا انه عليه السلام مال الى رأي ابي بكر في الفداء والاستبقاء وبقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر * قالوا فان لم يكن له ذنب فماذا غفر له وباي شيء أمتن الله عليه في ذلك و بقوله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ما دعي اليه يوسف لاجبت فانما هذا اذ دعي الى الخروج من السجن فلم يجب الى الخروج حتى قال للرسول ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم . فامسك عن الخروج من السجن وقد دعي الى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك ما كان شك فيه فاخبر محمد صلى الله عليه وسلم انه لو دعي الى الخروج من السجن لاجاب وهذا التفسير منصوص في الحديث نفسه كما ذكرنا من كلامه عليه السلام لو لبثت في السجن ما لبث يوسف عليه السلام ثم دعيت لاجبت الداعي او كلاما هذا معناه واما قول الله عز وجل . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر . فقد بينا ان ذنوب الانبياء عليهم السلام ليست الا ما وقع بنسيان او بقصد الى ما يظنون خيرا مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل له واما قوله . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فانما الخطاب في ذلك للمسلمين لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك اذ تنازعوا في غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المتشتتين عليه يبين ذلك

مايوجد فى النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو والنشو المتاخرون من فلاسفة الاسلام مثل يعقوب ابن اسحاق الكندى وحنين بن اسحاق ويحى النحوى وأبي الفرج المفسر وابي سليمان السنجرى وابى سليمان محمد المقدسى وابي بكر ثابت ابن قرة وابى تمام يوسف بن محمد النيسابورى وابى زيد احمد بن سهل البلخي وابي محارب الحسن بن سهل ابن محارب القمي واحمد بن الطيب السرخسى وطلحة بن محمد النسفى وابي حامد احمد بن محمد (١٨) الاسفرايني وعيسى بن علي الوزير وابى على احمد بن مسكويه وابي ذكريا يحى ابن عدى الضيمرس وابى الحسن العامرى وابي نصر محمد ابن محمد بن طرخان الفارابى وغيرهم واىما علامة القوم ابو على الحسين بن عبد الله بن سينا قد سلكوا كلهم طريقة ارسطوطاليس فى جميع ماذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة ربما رأوا فيها رأى افلاطن والمتقدمين ولما كانت طريقة ابن سينا ادق عند الجماعة ونظره فى الحقائق أغوص اخترت نقل طريقته من كتبه على ايجاز واختصار لانها عيون كلامه ومتون مرامه واعرضت عن نقل طرق الباقين وكل الصيد فى جوف الفرا كلامه فى المنطق (قال أبو على بن عبد الله بن سينا) العلم اما تصور واما تصديق، فالتصور هو العلم الاول وهو ان تدرك أمرا ساذجا من غير ان تحكم عليه بنفى او اثبات مثل تصورنا ماهية الانسان والتصديق هو ان تدرك امرا وامكنك ان تحكم عليه بنفى او اثبات مثل تصديقنا بان للكل مبدأ وكل واحد من القسمين منه ماهو أولى ومنه ماهو مكتسب فالتصور المكتسب انما يستحصل بالحد وما يجرى مجراه والتصديق المكتسب انما يستحصل بالقياس وما يجرى مجراه فالحد والقياس آلتان بهما تحصل المعلومات التى لم تكن حاصلة فتصير معلومة بالروية وكل واحد منهما منه ماهو حقيقى ومنه ماهو دون الحقيقى ولكنه نافع منفعة بحسبه ومنه ماهو باطل مشبه بالحقيقى والفطرة الانسانية غير كافية فى التمييز بين

قوله تعالى. يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم. وقوله تعالى فى هذه السورة نفسها النازلة فى هذا المعنى . يجادلونك فى الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون . وقوله تعالي قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذى احتج به من خالفنا . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة. فهذا نص القرآن وقد رد الله عز وجل الامر في الانفال الماخوذة يومئذ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الخبر المذكور الذى فيه لقد عرض على عذابكم ادنى من هذه الشجرة ولو نزل عذاب مانجى منه الا عمر فهذا خبر لايصح لان المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامى وهو ممن قد صح عليه وضع الحديث اوسوء الحفظ اوالخطا الذى لايجوز معها الرواية عنه ثم لو صح لكان القول فيه كما قلنا من انه قصد الخير بذلك واماقوله * عبس وتولى الايات فانه كان علية السلام قد جلس اليه عظيم من عظماء قريش ورجا اسلامه وعلم عليه السلام انه لواسلم لاسلم باسلامه ناس كثير واظهر الدين وعلم ان هذا الاعمى الذى يساله عن اشياء من امور الدين لايفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير عما لايخاف فوته وهذا غاية النظر للدين والاجتهاد فى نصرة القرآن فى ظاهر الامر ونهاية التقرب الى الله الذى لوفعله اليوم منا فاعل لاجر فعاتبه الله عز وجل على ذلك اذ كان الاولى عند الله تعالى ان يقبل على ذلك الاعمى الفاضل البر التقى وهذا نفس ماقلناه وكما سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث وقام من اثنتين ولاسبيل الى ان يفعل من ذلك شيئا تعمدا اصلا نعم ولايفعل ذلك تعمدا انسان منا فيه خير واما الحديث الذى فيه وانهن الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى فكذب بحت موضوع لانه لم يصح قط من طريق النقل ولامعنى للاشتغال به اذ وضع الكذب لايعجز عنه احد واما قوله تعالى و ماارسلنا من قبلك من رسول ولانبى الااذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان الآية فلا حجة لهم فيها لان الاماني الواقعة فى النفس لامعنى لها وقد تمنى النبى صلى الله عليه وسلم اسلام عمه ابي طالب ولم يرد الله عز وجل كون ذلك فهذه الاماني التى ذكرها الله عز وجل لاسواها وحاشا لله ان يتمنى نبي معصية وبالله تعالى التوفيق وهذا الذى قلنا هو ظاهر الاية دون مزيد تكلف ولايحل خلاف الظاهر الا بظاهر آخر وبالله تعالى التوفيق واما قوله * ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت فقد كفي الله عز وجل الكلام في ذلك ببيانه فى اخر الاية ان ذلك كان نسيانا فعوتب عليه السلام فى ذلك واماقوله تعالى . وتخفى فى نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه * فقد أمننا من ذلك اذ لم يكن فيه معصية أصلا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به وانما كان اراد زواج مباح له فعله ومباح له تركه ومباح له طيه ومباح له اظهاره وانما

خشي

هذه الاصناف الا ان تكون مؤيدة من عند الله فلابد اذا للنظر من آلة قانونية تعصمه مراعاتها عن ان يضل فى فكره وذلك هو الغرض فى المنطق ثم ان كل واحد من الحد والقياس فؤلف من معانى معقولة بتاليف محدود فيكون لها مادة منها الفت وصورة بها التاليف والفساد قد يعرض من إحدى الجهتين وقد يعرض من جهتيهما معا فالمنطق هو الذى انه من اى المواد والصور يكون الحد الصحيح والقياس السديد الذى يوقع يقينا ومن ايها مايوقع (١٩) بمقدار شبيها باليقين ومن ايها مايوقع ظنا غالبا ومن ايها مايوقع مغالطة وجهلا وهذه فائدة المنطق ثم لما كانت المخاطبات النظرية بالفاظ مسموعة والافكار العقلية باقوال عقلية فتلك المعانى التى فى الذهن من حيث يتاتى بها الى غيرها كانت موضوعات المنطق ومعرفة احوال تلك المعانى مسائل علم المنطق فكان المنطق بالنسبة الى المعقولات على مثل النحو بالنسبة الى الكلام والعروض الى الشعر فوجب على المنطقى أن يتكلم فى الالفاظ ايضا من حيث تدل على المعانى واللفظ يدل على المعنى من ثلاثة أوجه أحدها بالمطابقة والثانى بالتضمن والثالث بالالتزام وهو ينقسم الى مفرد ومركب فالمفرد مايدل على معنى وجزء من اجزائه لايدل على جزء من اجزاء ذلك المعنى بالذات أى حين هو جزء له والمركب هو الذى يدل على معنى وله اجزاء منها يلتئم مسموعة ومن معانيها يلتئم معنى الجملة والمفرد ينقسم الى كلى والى جزئى فالكلى هو الذى يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق ولايمنع نفس مفهومه عن الشركة فيه والجزئى هو مايمنع نفس مفهومه ذلك ثم الكلى ينقسم الى ذاتى وعرضى والذاتى هو الذى يقوم ماهية مايقال عليه والعرضى هو الذى لايقوم ماهيته سواء كان مفارقا فى الوجود والوهم وبين الوجود له ثم الذاتى ينقسم الى ماهو مقول فى جواب ماهو وهو اللفظ المفرد الذى

خشي النبي صلى الله عليه وسلم الناس فى ذلك خوف ان يقولوا قولا ويظنوا ظنا فيهلكوا كما قال عليه السلام للانصاريين انها صفية فاستعظما ذلك فاخبرهما النبي صلى الله عليه وسلم انه انما أخشى ان ياتى الشيطان في قلوبهما شيئا وهذا الذى خشيه عليه السلام على الناس من هلاك اديانهم بظن يظنونه به عليه السلام هو الذى يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا فى هذا الباب من نسبتهم الى النبى صلى الله عليه وسلم تعمد المعاصى فهلكت اديانهم وضلوا ونعوذ بالله من الخذلان وكان مراد الله عز وجل أن يبدى ما فى نفسه لما كان سلف فى علمه من السعادة لامنا زينب رضى الله عنها

(قال أبو محمد) فان قال قائل انكم تحتجون كثيرا بقول الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * و بقوله * فلا ور بك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * وبقوله تعالى * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكروا الله كثيرا وبقوله عليه السلام انى لاتقاكم لله واعلمكم بما آتى وآذر وتقولون من أجل هذه النصوص ان كل قول قاله عليه السلام فبوحى من الله قاله وكل عمل عمله فباذن من الله تعالى ورضي منه عمله فاخبرونا عن سلامه صلى الله عليه وسلم من ركعتين ومن ثلاث وقيامه من اثنتين وصلاته الظهر خمسا واخباره بانه يحكم بالحق فى الظاهر لمن لايحل له اخذه ممن يعلم انه فى باطن الامر بخلاف ماحكم له به من ذلك أبوحى من الله تعالى وبرضاه فعل كل ذلك أم كيف تقولون وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان ان الامر بخلاف ذلك أم لا

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان كل ماذكرها هنا فبوحى من الله تعالى فعله وكل من قدر ولم يشك فى انه قد أتم صلاته فالله تعالى أمره بان يسلم فاذا علم بعد ذلك انه سهى فقد لزمته شريعة الاتمام وسجود السهو برهان ذلك انه لو تمادى ولم يسلم قاصدا الى الزيادة فى صلاته على تقديره انه قد أتم لبطلت صلاته كلها بلاشك باطنا وظاهرا ولاستحق اسم الفسق والمعصية وكذلك من قدر انه لم يصل الا ركعة واحدة وانه لم يتم صلاته فان الله أمره بالزيادة فى صلاته يقينا حتى لا يشك فى الاتمام وبان يقوم الى ثانية عنده فمتى علم بان الامر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو و برهان ذلك أنه لوقعد من واحدة عنده متعمدا مستهزئا او سلم من ثلاث عنده متعمدا لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية لانه فعل خلاف ماأمره الله تعالى به وكذلك أمره الله وأمرنا بالحكم بالبينة العدلة عندنا وباليمين من المنكر وباقرار المقر وان كانت البينة عامدة للكذب فى غير علمنا وكانت اليمين والاقرار كاذبين فى الباطن وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التى لو علمنا الباطن لحرمت علينا وهكذا

يتضمن جميع المعاني الذاتية التي يقوم الشيء بها وفرق بين المقول في جواب ماهو وبين الداخل في جواب ماهو والى ماه ومقول في جواب أي شيء هو وهو الذي يدل على معنى يتميز به اشياء مشتركة في معنى واحد تميزا ذاتيا واما العرضى فقد يكون ملازما في الوجود والوهم وبه يقع تمييز أيضا لاذاتيا وقد يكون مفارقا وفرق بين العرضى والعرض الذي هو قسيم الجوهر واما رسوم الالفاظ. (٢٠) الخمسة التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس يرسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق الذاتية في جواب ماهو والنوع يرسم بأنه المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ماهو اذا كان نوع الانواع واذا كان نوعا متوسطا فهو المقول على كثيرين مختلفين في جواب ماهو ويقال عليه قول آخر في جواب ماهو بالشركة وينتهي الارتقاء الى جنس لاجنس فوقه وان قدر فوق الجنس أمر أعم منه فيكون العموم بالتشكيك والنزول الى نوع لانوع تحته وان قدر دون النوع صنف أخص فيكون الخصوص بالعوارض ويرسم الفصل بانه الكلي الذاتي الذي يقال به على نوع تحت جنسه بانه أي شيء هو ويرسم الخاصة بانه هو الكلي الذاتي الدال على نوع واحد في جواب أي شيء هو لا بالذات ويرسم العرض العام بانه الكلي المفرد الغير الذاتي ويشترك في معناه كثيرون ووقوع العرض على هذا وعلى الذى هو قسيم الجوهر وقوع بمعنيين مختلفين في المركبات أم الشيء إما عين موجودة واما صورة ماخوذة عنه في لذهن ولا يختلفان في النواحي والامم وأما الفظة تدل على الصورة التي في الذهن وأما كتابة دالة على الافظ ويختلفان في الامم والكتابة دالة علي اللفظ واللفظ دال على الصورة في الذهن وتلك لصورة دالة على الاعيان الموجودة ومبادي القول والكلام اما اسم واما كلمة واما اداة فالاسم لفظ مفرد يدل على معني

في الفروج والاموال برهان ذلك ان حاكما لو شهد عنده بينة عدل عنده فلم يقض بها وقضى باليمين علي المنكر الذى لا بينة عليه فحلف ثم قضى عليه لكان القاضي فاسقا بلا خلاف عاصيا لله عز وجل لخلافه ما أمره الله سبحانه وتعالى به وان وافق حقا لم يكن علم به وفرض على المحكوم عليه والمحكوم له ان يرضيا بالحكم بالبينة و اليمين وان يصيرا في أنفسهما الي حقيقة علمهما في أخذ الحق واعطائه وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وذكروا قول الله تعالى * حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا . بتخفيف الذال وليس هذا علي ما ظنه الجهال وانما معناه ان الرسل عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم انهم كذبوا فيما وعدوهم من نصرهم ومن المحال البين ان يدخل في عقل من له ادني رمق ان الله تعالى يكذب فكيف بصفوة الله تعالى من خلقه واتمهم علما واعرفهم بالله عز وجل ومن نسب هذا الى نبي فقد نسب اليه الكفر ومن اجاز الى نبي الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك والذى قلناه هو ظاهر الآية وليس فيها ان الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا وذكروا أيضا قول الله تعالى . فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك

(قال ابو محمد) انما عهدنا هذا الاعتراض من أهل الكتاب وغيرهم واما من يدعى انه مسلم فلا ولا يمكن البتة أن يكون مسلم يظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكا في صحة الوحي اليه ولنا في هذه الاية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك ان إن في هذه الآية المذكورة بمعنى ما التي للجحد بمعنى . وما كنت في شك مما أنزلنا اليك . ثم أمره ان يسال أهل الكتاب تقريراً لهم علي انهم يعلمون انه نبي مرسل مذكور عندهم في التوراة والانجيل و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه و بيناه وأرينا انه موافق لقولنا ولا يشهد شيء منه لقول مخالفنا وبالله التوفيق ونحن الآن ناخذ بحول الله وقوته في الاتيان بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا و بطلان قول مخالفنا قال الله تعالى . وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة . وقال تعالى . وما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله * فوجدنا الله تعالى وهو اصدق القائلين قد نفى عن الانبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر ولا خلاف بين احد من الامة في ان حكم الغلول كحكم سائر الذنوب قد صح الاجماع بذلك وان من جوز على الانبياء عليهم السلام شيئا من تعمدا لذنوب جوز عليهم الغلول ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب وقد صح نفى الغلول عنهم بكلام الله تعالى فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الاجماع علي انها سواء الغلول وقال عز وجل

أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ،

(قال ابو محمد) فلا يخلوا مخالفنا الذى يجيز ان يكون الانبياء عليهم السلام قد اجترحوا السيئات من أحد وجهين لا ثالث لهما أما ان يقول ان فى سائر الناس من لم يعص ولا اجترح سيئة قيل له فمن هؤلاء الذين نفى الله عنهم ان يكون الذين اجترحوا السيئات مثلهم اذا كانوا غير موجودين فى العالم فلا بد من أن يجعل كلام الله عز وجل هذا فارغا لا معنى له وهذا كفر من قائله او يقول هم الملائكة فان قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى في الآية نفسها سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون . ولا نص ولا اجماع على ان الملائكة تموت ولو جاء بذلك نص لقلنا به بل البرهان موجب ان لا يموتوا لان الجنة دار لا موت فيها والملائكة سكان الجنان فيها خلقوا وفيها يخلدون أبداً وكذلك الحور العين وأيضا فان الموت انما هو فراق النفس للجسد المركب وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الملائكة خلقوا من نور فليس فيهم شيء يفارق شيأً فيسمي موتا فان اعترض معترض بقوله . كل نفس ذائقة الموت . لزمه ان حمل هذه الآية على عمومها ان الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار موت وقد ابعدها الله تعالى عنه قال الله تعالى . وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون . فعلمنا بهذا النص ان قوله تعالى . كل نفس ذائقة الموت . انما عنى به من كان فى غير الجنة من الجن والانس وسائر الحيوان المركب الذى يفارق روحه جسده وبالله تعالى التوفيق ويرد أيضا قوله ان قال بهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وقد الم أو كاد الا يحيى بن زكريا أو يقول ان فى الناس من لم يجترح سيئة قط وان من اجترح السيئات لا يساويهم كما قال عز وجل فان قال ذلك فان الانبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات وفى سائر الناس من لا يجترحها فوجب ان يكون في الناس من هو أفضل من الانبياء عليهم السلام وهذا كفر وما قدرنا ان أحدا ممن ينتمى الى اهل الاسلام ولا الى اهل الكتاب ينطلق لسانه بهذا حتى رأينا المعروف بابن الباقلانى فيما ذكر عنه صاحبه أبو جعفر السمناني قاضى الموصل انه قد يكون فى الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم من حين يبعث الى حين يموت (١) فاستعظمنا ذلك وهذا شرك مجرد وقدح فى النبوة لا خفاء به وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية انهم يقولون ان الولى افضل من النبي وكنا لا نحقق هذا على احد يدين بدين الاسلام الى ان وجدنا هذا الكلام كما اوردنا فنعوذ بالله من الارتداد (قال أبو محمد) ولو ان هذا الضال المضل يدري ما معنى لفظة افضل ويدرى فضيلة النبوة لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا التكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول انى لاتقاكم

(١) هذا غير معروف عن الباقلاني اصلا فلعل الناقل حرف الاسم او سهى المصنف اه مصححه

من غير ان يدل على زمان وجود ذلك المعنى والكلمة لفظ مفرد يدل على معنى وعلى الزمان الذى فيه ذلك المعنى لموضوع ما غير معين والاداة لفظ مفرد انما يدل على معنى يصح ان يوضع او يحمل بعد ان يقرن باسم او كلمة واذا ركبت الالفاظ تركيبا يؤدى معنى فحينئذ يسمي قولا ووجوه التركيبات مختلفة وانما يحتاج المنطقى الى تركيب خاص وهو ان يكون بحيث يتطرق اليه التصديق او التكذيب فالقضية هى قول فيه نسبة بين (٢١) شيئين بحيث يتبعه حكم صدق او كذب والحملية منها كل قضية فيها النسبة المذكورة بين شيئين ليس فى كل واحد منهما هذه النسبة الا بحيث يمكن ان يدل على كل واحد منهما بلفظ مفرد والشرطية منها كل قضية فيها هذه النسبة بين شيئين فيهما هذه النسبة من حيث هى منفصلة والمتصلة من الشرطية هى التى توجب او تسلب لزوم قضية لاخرى من القضايا الشرطية والمنفصلة منها ما توجب او تسلب عناد قضية لاخري من القضايا الشرطية والايجاب هو ايقاع هذه النسبة وايجادها وفى الجملة هو الحكم بوجود محمول لموضوع والسلب هو رفع هذه النسبة الوجودية وبالجملة هو الحكم بلاوجود محمول لموضوع والمحمول هو المحكوم به والموضوع هو المحكوم عليه والمخصوصة قضية حملية موضوعها شيء جزئى والمهملة قضية حملية موضوعها كلى ولكن لم يبين ان الحكم فى كله اوفى بعضه ولا بد انه فى البعض وشك انه فى الكل فحكمه حكم الجزئي والمحصورة هى التى حكمها كلي والحكم عليه مبين بانه في كله او بعضه وقد تكون موجبة أو سالبة والسور هو اللفظ الذى يدل على مقدار الحصر ككل ولا واحد وبعض ولا كل والقضيتان المتقابلتان هما اللتان تختلفان بالسلب والايجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد فى المعنى والاضافة والقوة والفعل والجزء والكل والزمان والمكان والشرط والتناقض هو التقابل بين قضيتين

في الايجاب والسلب تقابلا يجب عنه لذاته أن يقتسما الصدق والكذب ويجب أن يراعي فيه الشرائط المذكورة
القضية البسيطة هي التي موضوعها أو محمولها اسم محصل والعدولة هي التي موضوعها أو محمولها غير محصل كقولنا
زيد غير بصير العدمية هي التي محمولها أخس المتقابلين أي دل علي عدم شيء من شأنه أن يكون للشيء أو لنوعه أو
لجنسه مثل قولنا زيد جائر مادة القضايا (٢٢) هي حالة للمحمول بالقياس الى الموضوع يجب بها لا محالة أن يكون
له دائما في كل وقت في ايجاب أو سلب أو غير دائم له في ايجاب ولا سلب وجهات القضايا ثلاثة واجب ويدل على دوام الوجود وممتنع ويدل على دوام العدم وممكن ويدل على لادوام وجود ولا عدم والفرق بين الجهة والمادة ان الجهة لفظ مصرح بها يدل على أحد هذه المعاني والمادة حالة للقضية بذاتها غير مصرح بها ور بما تخالفا كقولك زيد يمكن أن يكون حيوانا فالمادة واجبة والجهة ممكنة والممكن يطلق على معنيين أحدهما ماليس بممتنع وعلى هذا الشيء اما ممكن واما ممتنع وهو الممكن العامي والثاني ماليس بضروري في الحالين أعني الوجود والعدم وعلى هذا الشيء اما واجب وأما ممتنع وأما ممكن وهو الممكن الخاصي ثم الواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتفاقهما في معنى الضرورية فان الواجب
ضروري الوجود بحيث لو قدر عدمه لزم منه محال والممتنع ضروري العدم بحيث لو قدر
وجوده لزم منه محال والممكن الخاصي هو ماليس ضروري الوجود والعدم والحمل الضروري على أوجه ستة تشترك
كلها في الدوام . الاول أن يكون الحمل دائما لم يزل ولا يزال والثاني أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موجودة لم تفسد
وهذان هما المستعملان والمرادان اذا قيل إيجاب أو سلب ضروري . والثالث أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موصوفة

لله واني لست كهيئتكم واني لست مثلكم فاذ قد صح بالنص ان في الناس من لم يجترح السيئة وان من اجترح السيئات لا يساويهم عند الله عز وجل فالانبياء عليهم السلام احق بهذه الدرجة وبكل فضيلة بلا خلاف من احد من أهل الاسلام بقول الله عز وجل * الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس * فأخبر تعالى ان الرسل صفوته من خلقه وقد اعترض علينا بعض المخالفين بان قال فما تقول فيمن بلغ فآمن وذكر الله مرات ومات أثر ذلك او في كافر اسلم وقاتل مجاهدا وقتل فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول اما من كان كافرا ثم اسلم فقد اجترح من السيئات بكفره ماهو اعظم من السموات والارض وان كان قد غفر له بايمانه ولكن قد حصل بلا شك من جملة من قد اجترح السيئات واما من بلغ فآمن وذكر الله تعالى ثم مات فقد كان هذا ممكنا في طبيعة العالم وفي بنيته لولا قول الله عز وجل * أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون * فان الله تعالى قطع قطعا لا يرده الا كافر بانه لا يجعل من اجترح السيئات كمن لم يجترحها ونحن نوقن ان الصحابة رضي الله عنهم هم افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ليس منهم أحد الا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا ان يكون من اسلم أثر بلوغه ومات أفضل من الصحابة رضي الله عنهم وهذا خلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه فاذا هذا كما قلنا فقول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم أحق بالتصديق لاسيما قوله عليه السلام مامن احد الا ألم بذنب او كاد الا يحيي بن زكريا فنحن نقطع قطعا بما ذكرنا انه لا سبيل الى ان يبلغ احد حد التكليف الا ولا بد له من ان يجترح سيئات الله اعلم بها وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ومن البرهان على انه لم يكن البتة ان يعصى نبي قوله صلى الله عليه وسلم ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين لما قال له الانصاري هلا اومأت الي في قصة عبد الله بن سعد بن ابي سرح فنفى عليه السلام عن جميع الانبياء عليهم السلام ان تكون لهم خائنة الاعين وهو اخف مايكون من الذنوب ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل في هذا جميع المعاصي صغيرها وكبيرها سرها وجهرها

(قال ابو محمد) وايضا فاننا مندوبون الى الاقتداء بالانبياء عليهم السلام والى الايتساء بهم في افعالهم كلها قال الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر * وقال تعالى * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * فصح يقينا انه لو جاز ان يقع من احد من الانبياء عليهم السلام ذنب تعمدا صغيرا وكبيرا كان الله عز وجل قد حضنا على المعاصي وندبنا الى الذنوب وهذا كفر مجرد ممن اجازه فقد صح يقينا ان جميع افعال الانبياء التي يقصدونها خير وحق

قال

بالفصة التى جعلت موضوعة معها . والرابع ان يكون الحمل موجودا وليس ضرورة بلا هذا الشرط . والخامس أن يكون الضرورة وقتا مامعينا لابد منه. والسادس أن يكون الضرورة وقتاما غير معين ثم ان ذوات الجهة قد تتلازم طردا وعكساً وقد لاتتلازم فواجب ان يوجد يلزمه ممتنع ان لايوجد وليس يمكن بالمعنى العام ان لا يوجد ونقائض هذه متعاكسة وقس عليه سائر الطبقات وكل قضية فاما ضرورية واما ممكنة (٢٣) واما مطلقة فالضرورة مثل قولنا كل اب

(قال ابو محمد) وايضا فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم عظيم انكاره علي ذي الخويصرة لعنه الله ولعن امثاله اذ قال الكافر اعدل يا محمد ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا أنا لم اعدل تامنني الله ولا تامنوني ؟ وقوله عليه السلام لام سلمة ام المؤمنين اذ سالته عن الذى قبل امرأته فى رمضان الا اخبرتها انى فعلت ذلك وغضب عليه السلام اذ قال له لست مثلنا قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتاخر فانكر عليه السلام اذ جعل له ذنبا بعمد وان صغر وقال عليه السلام انى والله لاعلمكم بالله واتقاكم لله أو كلاما هذا معناه فان قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب الى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق انكار ماثبت كاجازة مالم يثبت سواء ولافرق والسهو منهم قد ثبت بيقين وايضا فان ندب الله تعالى لنا الى الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم لان الايتساء بالسهو لا يمكن الا بسهو منا ومن المحال ان نندب الى السهو أو نكلف السهو لانا لو قصدنا اليه لم يكن حينئذ سهوا ولا يجوز أيضا ان ننهى عن السهو لان الانتهاء عن السهو ليس فى بنيتنا ولا فى وسعنا وقد قال تعالى . لايكلف الله نفسا الاوسعها . ونقول أيضا اننا ماموررون اذا سهونا ان نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سها وأيضا فان الله تعالى لا يقر الانبياء عليهم السلام علي السهو بل ينبههم فى الوقت ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا فى الدين وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول تعالى تبيانا لكل شيء . واذ يقول . اليوم اكملت لكم دينكم .وقوله تعالى .وقد فصل لكم ما حرم عليكم :

(قال ابو محمد) فسقط قول من نسب الى الانبياء عليهم السلام شيأ من الذنوب بالعمد صغيرها وكبيرها اذا لم يبق لهم شبهة يموهون بها أصلا واذ قد قامت البراهين علي علي بطلانها ولحقوا بذى الخويصرة

(قال ابو محمد) ولو جاز من الانبياء عليهم السلام شيء من المعاصي وقد ندبنا الى الايتساء بهم وبافعالهم لكنا قد ابيحت لنا المعاصى وكنا لاندرى لعل جميع ديننا ضلال وكفر ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ولقد قلت يوما لبعضهم ممن كان يجيز عليهم الصغائر بالعمد أليس من الصغائر تقبيل المرأة الاجنبية وقرصها فقال نعم قلت تجوز أنه يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم انه يقبل امرأة غيره متعمدا فقال معاذ الله من هذا ورجع الى الحق من حينه والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) قال الله تعالى « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك و ما

بالضرورة أي كل واحد واحد مما يوصف بانه اب دائما او غير دائم فذلك الشيء دائما مادامت عين ذاته موجودة يوصف بانه او الممكنة فهو الذي حكمه من ايجاب اوسلب غير ضرورى والمطلقة فيها رايان احدهما انها التى لم يذكر فيها جهة ضرورة للحكم ولا امكان بل اطلق اطلاقا والثاني ما يكون الحكم فيها موجودا لا دائما بل وقتاما وذلك لوقت امامادام الموضوع موصوفا بما يوصف به وما دام المحمول محكوما به اوفى وقت معين ضرورى اوفي وقت ضرورى غير معين اماعكسه وهو تصيير الموضوع محمولا والمحمول موضوعا مع بقاء السلب والايجاب بحالة والصدق والكذب بحاله والسالبة الكلية تنعكس مثل نفسها والسالبة الجزئية لا تنعكس والموجبة الكليه تنعكس موجبة جزئية والموجبة الجزئية تنعكس مثل نفسها فى القياس ومباديه واشكاله و نتائجه المقدما قول توجب شيا لشيء او يسلب شيئا عن شيء جعلت جزء قياس والحد ما ينحل اليه المقدمة من جهة ماهى مقدمة والقياس هو قول مؤلف من اقوال اذا وضعت لزم عنها بذاتها قول آخر غيرها اضرارا واذا كان بينا لزومه يسمى قياسا كاملا واذ احتاج الى بيان فهو غير كامل والقياس ينقسم الى اقترانى والى استثنائى والاقترانى أن يكون مايلزمه ليس هو ولا نقيضه مقولا فيه بالفعل بوجه والاستثنائى أن يكون ما يلزمه هو أو نقيضه مقولا فيه بالفعل والاقترانى إنما يكون عن مقدمتين يشتركان فى حد ويفترقان في

حدين فتكون الحدود ثلاثة ومن شان المشترك فيه أن يزول عن الوسط ويربط مابين الحدين الاخرين فيكون ذلك هو اللازم ويسمى نتيجة فالمكرر يسمى حداً أوسط والباقيان طرفين والذي يريد أن يصير محمول اللازم يسمى الطرف الاكبر والذي يريد أن يكون موضوع اللازم يسمي الطرف الاصغر والمقدمة التي فيها الطرف الاكبر يسمى الكبرى والتي فيها الطرف الاصغر يسمى الصغرى (٢٤) وتاليف الصغرى والكبرى يسمى قرينة وهيئة الاقتران يسمي شكلا والقرينة التي يلزم عنها لذاتها قولا آخر يسمى قياسا واللازم ما دام لم يلزم بعد بل يساق اليه القياس يسمى مطلوبا واذا لم يلزم يسمى نتيجة والحد الاوسط ان كان محمولا في مقدمة وموضوعا في الاخرى يسمي ذلك الاقتران شكلا أولا وان كان محمولا فيهما يسمى شكلا ثانيا وان كان موضوعا فيهما يسمى شكلا ثالثا ويشترك الاشكال كلها في انه لاقياس عن جزئيين ويشترك ما خلا الكائنة عن الممكنات في انه لاقياس من سالبتين ولا عن صغرى سالبة كبراها جزئية والنتيجة تتبع أخس المقدمتين في الكم والكيف وشروطة الشكل الاول أن تكون كبراه كلية وصغراه موجبة وشريطة الشكل الثاني أن يكون الكبرى فيه كلية واحدي المقدمتين مخالفة للاخرى في الكيف ولا ينتج اذا كانت المقدمتان ممكنتين أو مطلقتين الاطلاق الذي لاينعكس على نفسه كليها وشريطة الشكل الثالث أن يكون في الصغرى موجبة لابد من كلية كان في كل شكل وليرجع في المختلطات الى تصانيفه وأما القياسات الشرطية وقضاياها أعلم ان الايجاب والسلب ليس يختص بالحمليات بل وفي الاتصال والانفصال فانه كما ان الدلالة على وجود احمل ايجاد الحمل كذلك الدلالة على وجود الاتصال ايجاب في المتصل والدلالة على وجوب الانفصال ايجاب في المنفصل وكذلك السلب وكل سلب هو ابطال الايجاب

تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما *

(قال أبو محمد) ومن الباطل المحال ان يتم الله نعمته على عبد ويعصى الله بما كبر وما صغر اذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة بل ناقصة اذ خذله فيما عصى فيه وقال تعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعذروه وتوقروه * وقال الله تعالى * قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم *

(قال ابو محمد) وماوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بلغ الغاية القصوى في الاستهزاء برسل الله صلى الله عليهم وسلم من جوز ان يكونوا سراقا زناة ولاطة وبغائين والله مانعلم كفرا اعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين اعظم من كفر اهل هذه المقالة وليت شعرى ماالذى أمنهم من كذبهم في التبليغ لانا لاندرى لعلهم بلغوا الينا الكذب عن الله تعالى

(قال ابو محمد) فنقول لهم ولعل افعاله التي نأتسي بها تبديل للدين ومعاص لله عز وجل ولا فرق

(قال ابو محمد) وما نعلم اهل فرقة اشد سعيا في افساد الاسلام وكيده من الرافضة واهل هذه المقالة فان كلتا الطائفتين الملعونتين اجازتا تبدل الدين وتحريفه وصرحت هذه الفئة مع ما اطلقت على الانبياء من المعاصي بان الله تعالى انما تعبدنا في دينه بغالب ظنوننا وانه لا حكم لله الا ماغلب عليه ظن المرء منا وان كان مختلفا متناقضا وما نمترى في انهم ساعون في افساد اغمار المسلمين المحسنين بهم الظن نعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) فان قال قائل انكم تقولون ان الانبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو والقصد الى الخير اذا لم يوافق مراد الله تعالى فهلا اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهوه في الصلاة قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام وهكذا نص عليه السلام في حديث الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبي الى نبي فكل ذكر خطيئة اوسكت فلما ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم قال قالوا عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تاخر فبطل ان يؤاخذ بما غفره الله وبالله تعالى التوفيق

قال ابو محمد) فان قال قائل ايجوز ان يكون نبي من الانبياء عليهم السلام ياتي معصية قبل ان يتنبأ قلنا لايخلو من احد وجهين لاثالث لهما اما ان يكون متعبدا بشريعة نبي اتي قبله كما كان عيسى عليه السلام واما ان يكون قد نشأ في قوم قد درست شريعتهم ودثرت ونسيت كما في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم في قوم قد نسوا شريعة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام قال تعالى * ووجدك ضالا فهدى . وقال تعالى . لتنذر قوما ماانذر آباؤهم . فان

ورفعه وكذلك يجرى فيها الحصر والاهمال وقدتكون القضاياكثيرة والمقدمةواحدة والاقترانمن المتصلات أن يجعل مقدم احدهما تالى الآخرفيشتركان فى التالىأو يشتركان فى المقدموذلك علي قياس الاشكال الحملية والشرائط فيها واحدة والنتيجة شرطيةيحصل من اجتماع المقدموالتالى اللذين هما كالطرفين والاقترانيات من المنفصلات فلا يكون فى جزءتام بليكون فى جزء غيرتاموهوجزءتال او مقدموالاستثنائيةمؤلفةمن مقدمتين (٢٥) احداهماشرطية والاخرىوضع أورفع لاحدى جزأيها ويجوز أن تكون حملية وشرطيةويسمىالمستثناة والمستثناةمن قياس شرطية متصل أما أن يكون من المقدم فيجب أن يكون عين المقدم لينتج عين التالى وان كان من التالىفيجب أن يكون نقيضه لينتج نقيض المقدم واستثناء نقيض المقدم وعينالتالى لاينتج شيئاواماذا كانت الشرطيةمنفصلةفان كانت ذات جزئينفقط موجبتين فايهما استثنيت عينه أنتج نقيض الباقىوأيهما استثنيت نقيضهانتج عين الباقى وأماالقياسات المركبة ماذا حللت الى أفرادها كان ماينتج كلواحدمنها شيئا آخر الا أن تتائج بعضهامقدماتلبعض وكل نتيجةفانهانستتبع عكسها وعكس نقيضها وجزيها وعكس جزأيها ان كانلها عكس والمقدماتالصادقة تنتج نتيجة صادقة ولا ينعكس فقدينتجالمقدمات الكاذبة نتيجة صادقة والدورانفاخذ النتيجه وعكس احدى المقدمتين فينتجالمقدمة الثانية أنه يمكن اذا كانت الحدود فىالمقدمات متعاكسة متساوية وعكس القياس هوأنتاخذ مقابلة النتيجة بالضد أو النقيض وتضيف الى احدى المقدمين فينتج مقابلة النتيجة الاخرى احتيالافى الجدل وقياس الخلف هو الذى فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه فيكون بالحقيقة مركبا منقياس اقترانى وقياس استثنائى والمصادرة علي المطلوب الاول هوان يجعل

كان النبي متعبدا بشريعةما فقد أبطلنا آنفا ان يكون نبى يعصى ربه أصلا وان كان نشأ فى قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ولامأمور بمالم ياته أمرالله تعالى به بعدفليسعاصيا لله تعالى فى شىء يفعله أويتركهالا اننا ندرى ان الله عز وجل قد طهر انبياءه وصانهم من كلمايعابون به لانالعيبأذى وقدحرم الله عز وجل ان يؤذى رسوله قال تعالى * ان الذينيؤذون الله ورسوله لعنهم اللهفى الدنيا والآخرة واعدلهم عذابا مهينا *

(قال ابو محمد) فبيقين ندرى انالله تعالى صان انبياءه عن ان يكونوا لبغية أو منأولاد بغىأومن بغايا بل بعثهم الله تعالى فىحسب قومهم فاذلاشك فى هذا فبيقين ندرى انالله تعالى عصمهم قبلالنبوة من كلمايؤذون به بعد النبوة فدخل فىذلكالسرقةوالعدوان والقسوة والزنا واللياطة والبغى وأذى الناس فى حريمهم وأموالهم وأنفسهموكلمايعاب به المرء ويتشكى منهويؤذى بذكرهوقد صحعن النبيصلىالله عليهوسلمفىهذاماحدثناه احمد بن محمد الطلمنكى اناابنفرج انا ابراهيم بن احمد فراس انبانا احمد بن محمدبن سالم النيسابورى انا اسحاق بنراهويه انا وهب بن جريربنحازم اناابى انبانا محمدبناسحاق حدثنى محمد بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماهممت بقبيحمما كان أهل الجاهلية يهمون به الامرتين منالدهركلتاهما يعصمنى الله منها قلت لفتى كان معى منقريش باعلي مكة فى أغنام لها ترعى أبصرلى غنمىحتىاسمرهذهالليلة بمكة كمايسمرالفتيانقالنعمفلماخرجت فجئت ادنى دارمن دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت ماهذا قالوا فلان تزوج فلانةلرجلمن قريش فلهوت بذلكالغناءوبذلكالصوتحتىغلبتفىعينىفما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبيفقاللى مافعلت فاخبرته ثم قلتله ليلة اخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لى مثلماقيللىفلهوتبماسمعتحتى غلبتنى عينى فماايقظنى الا مس الشمسفرجعت الىصاحبي فقاللى ما فعلت قلت ما فعلت شيأ فوالله ماهممت بعدهابسوءمما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بنبوته

(قال ابو محمد) فصح انه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا بعدها ولا هم قط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبلالنبوة ولا بعدها الامرتين بالسمرحيث ربما كان بعض مالم يكن نهى عنه بعدولهمحينئذ بالسمرليسهما بزنا ولكنه بمايحذواليه طبع البريةمن استحسان منظرحسن فقط وبالله تعالى التوفيق تم الكلامفي الانبياءعليهمالسلام

(الكلام فى الملائكة عليهم السلام)

(قال ابو محمد) قد ذكرنا قبل أمر هاروت وماروت ونزيدها هنا بيانا فى ذلك وبالله تعالي التوفيق ان قوما نسبوا الى الله تعالى مالم يات به قط اثر يجب ان يشتغل به وانما هو

كذب مفترى من انه تعالى أنزل الي الارض ملكين وهما هاروت وماروت وانهما عصيا الله تعالى وشربا الخمر وحكما بالزور وقتلا النفس وزنيا وعلما زانية اسم الله الاعظم فطارت به الى السماء فسخت كوكبا وهى الزهرة وانهما عذبا فى غار ببابل وانهما يعلمان الناس السحر وحجتهم علي ما فى هذا الباب خبر رو يناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول مرة يقال له النخعى ومره يقال له الحنفى مانعلم له رواية الا هذه الكذبة وليس أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه أوقفها عن علي بن ابى طالب رضى الله عنه وكذبة أخرى فى ان حد الخمر ليس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو شيء فعلوه وحاشالهم رضى الله عنهم من هذا

(قال ابو محمد) ومن البرهان علي بطلان هذا كله قول الله تعالى * الذي لا يانيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين * فقطع الله عز وجل ان الملائكة لا تنزل الا بالحق وليس شرب الخمر ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ولا تعليم العواهر اسماءه عز وجل التى يرتفع بها الى السماء ولا السحر من الحق بل كل ذلك من الباطل ونحن نشهد ان الملائكة ما نزلت قط بشيء من هذه الفواحش والباطل واذا لم تنزل به فقد بطل ان تفعله لانها لو فعلته فى الارض لنزلت به وهذا باطل وشهد عز وجل انه لو انزل علينا الملائكة لما نظرنا فصح انه لم ينزل قط ملك ظاهر الا للنبى بالوحى فقط وبالله تعالي التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك قوله تعالى * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * فابطل عز وجل انه يمكن ظهور ملك الى الناس وقال تعالى * ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون فكذب الله عزوجل كل من قال ان ملكا نزل قط من السماء ظاهرا الا الى الانبياء بالحق من عند الله عزوجل فقط وقال عز وجل * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين . الآية فرفع الله تعالى الاشكال بهذا النص فى هذه المسالة وقرن عزوجل نزول الملائكة فى الدنيا برؤيته عز وجل فيها فصح ضرورة ان نزولهم فى الدنيا الى غير الانبياء ممتنع البتة لا يجوز وان من قال ذلك فقد قال حجرا محجورا أى ممتنعا وظهر بها كذب من ادعى ان ملكين نزلا الى الناس فعلماهم السحر وقد استعظم الله عز وجل ذلك من رغبة من رغب نزول الملائكة الى الناس وسمى هذا الفعل استكبارا وعتوا وأخبر عز وجل أننا لا نرى الملائكة ابدا الى يوم القيامة فقط وانه لا بشري يومئذ للمجرمين فاذ لاشك فى هذا كله فقد علمنا ضرورة انه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل اما ان هاروت وماروت لم يكونا ملكين وان ما فى قوله . وما انزل على الملكين . نفى لان

المطلوب نفسه مقدمة فى قياس يراد فيه انتاجه وربما يكون فى قياس واحد وربما يبين فى قياسات وحيث ما كان ابعد كان من القبول أقرب والاستقراء هو حكم علي كلى لوجود ذلك الحكم فى جزئيات ذلك الكلى اما كلها وأما أكثرها واما التمثيل هو الحكم علي الشيء المعين لوجود ذلك الحكم فى شيء آخر غير معين أو أشياء على ان ذلك الحكم كلى علي المتشابه فيكون محكوما عليه فى المطلوب ومنقول منه (٢٦) الحكم وهو المثل ومعنى متشابه فيه هو الجامع وحكم الرأي مقدمة محمودة كلية فى أن كذا كائن أو غير كائن صواب أم خطا الدليل قياس اضمارى حده الوسط شيء اذو جد للاصغر تبعه وجود شيء آخر للاصغر دائما كيف كان ذلك التبع والقياس الفراسى شبه بالدليل من وجه وبالتمثيل من وجه فى مقدمات القياس من جهة ذواتها وشرائط البرهان المحسوسات هى أمور وقع التصديق بها الحس المجربات هى أمور أوقع التصديق بها الحس بشركة من القياس المقبولات آراء أوقع التصديق بها قول من يثق بصدقه فيما يقول اما لامر سماوى يختص به أو لرأى وفكر تميز به الوهميات آراء أوجب اعتقادها قوة الوهم التابعة للحس الزائعات آراء مشهورة محمودة أوجب التصديق بها شهادة الكل المظنونات آراء يقع التصديق بها لا على الثبات بل يخطر امكان نقيضها بالبال ولكن الذهن يكون اليها اميل المتخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدق بها بل ليخيل شيئا علي انه شيء آخر على سبيل المحاكاة الاولية هى قضايا تحدث فى الانسان من جهة قوته العقلية من غير سبب أوجب التصديق بها البرهان قياس مؤلف من يقينيات لا نتاج يقيني واليقينيات اما اوليات وما اجمع منها واما تجربيات وأما محسوسات وبرهان لمي هو الذى يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة فى الوجود وفى الذهن جميعا وبرهان انى هو الذى يعطيك علة اجتماع طرفى النتيجة عند الذهن والتصديق به والمطالب هل مطلقا هو تعرف حال الشيء ينزل

في الوجود أو العدم مطلقا وهل يقيد اوهو تعرف وجود الشيء على حال ما أوليس مايعرف التصور وهو اما بحسب الاسم أي ما المراد باسم كذا وهو يتقدم كل مطلب وأما بحسب الذات أي ما الشيء في وجوده وهو يعرف حقيقة الذات ويتقدمه الهل المطلق لم يعرف العلة بجواب هل وهو أما علة التصديق فقط وأما علة نفس الوجود وأي فهو بالقوة داخل في الهل المركب المقيد وانما يطلب التمييز امابالصفات الذاتيه وأما بالخواص والامور التي يلتئم منها أمر (٢٧) البراهين ثلاثة موضوعات ومسائل ومقدمات فالموضوعات يبرهن فيها والمسائل يبرهن عليها والمقدمات يبرهن بها ويجب أن تكون صادقة يقينية ذاتية وينتهي الى مقدمات أولية مقولة على الكل كلية وقد تكون ضرورية الاعلى الامور المتغيرة التي هي في الاكثر على حكم مافتكون اكثرية وتكون عللا لوجود النتيجة فتكون مناسبة الحكم الذاتي يقال على وجهين أحدهما أن يكون المحمول مأخوذا في حد الموضوع والثاني أن يكون الموضوع ماخوذا في حد المحمول المقدمة الاولية على وجهين أحدهما ان التصديق بها حاصل في أول العقل والثاني من جهة ان الايجاب والسلب لايقال على ماهو أعم من الموضوع قولا كليا المناسب هو أن لاتكون المقدمات فيه من علم غريب الموضوعات هي التي توضع في العلوم فيبرهن على اعراضها الذاتية المسائل هي القضايا الخاصة يعلم علم المشكوك فيها المطلوب برهانا والبرهان يعطى حكم اليقين الدائم وليس في شيء من الفاسدات عقد دائم فلا برهان عليها ولا برهان أيضا على الحد بأنه لابد حينئذ من عقد وسط مساو للطرفين لان الحد والمحدود متساويان وذلك الاوسط لايخلو اما أن يكون حدا آخرا ورسما وخاصة فاما الحد الآخر فان السؤال في ا كتسابه ثابت فان ا كتسب بحد ثالث فالامر ذاهب الى غير نهاية وان ا كتسب بالحد الاول فذلك دور وان ا كتسب بوجه آخر غير

يتنزل على الملكين ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلا من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا يعلمان الناس السحر وقد روينا هذا القول عن خالد ابن أبي عمران وغيره وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقول ان هاروت وماروت علجان من أهل بابل الا ان الذي لاشك فيه على هذا القول انهما لم يكونا ملكين وقد اعترض بعض الجهال فقال لي أبلغ من رفق الشيطان ان يقول للذي يتعلم السحر لاتكفر فقلت له هذا الاعتراض يبطل من ثلاث جهات أحدها ان تقول لك وما المانع من ان يقول الشيطان ذلك اما سخريا وأما لما شاء الله فلا سبيل لك الى دليل مانع من هذا والثاني انه قد نص الله عز وجل على ان الشيطان قال اني أخاف الله فقال تعالى . واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى . اني أخاف الله والله شديد العقاب . وقال تعالى . كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين . فقد أمر الشيطان الانسان بالكفر ثم تبرأ منه وأخبره انه يخاف الله وغر الكفار ثم تبرأ منهم وقال اني اخاف الله فاي فرق بين ان يقول الشيطان للانسان اكفر ويغره ثم يتبرأ منه و يقول اني اخاف الله وبين ان يعلمه السحر ويقول له لا تكفر والثالث ان معلم السحر بنص الآية قد قال للذي يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكا أو شيطانا قد علمه على قولك ما لايحل وقال له لاتكفر فلم تنكر هذا من الشيطان ولا تنكره بزعمك من الملك وأنت تنسب اليه انه يعلم السحر الذي عندك ضلال وكفر وأما ان يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق يعلم ما على انبياء فعلماهم الدين وقالا لهم لاتكفروا نهيا عن الكفر بحق واخبراهم انهم فتنة يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر به ويهدي بهما من آمن به قال تعالى عن موسى انه قال له * ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء. وكما قال تعالى . الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ثم نسخ ذلك الذي أنزل على الملكين فصار كفرا بعد ان كان ايمانا كما نسخ تعالى شرائع التوراة والانجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ وبالجملة فما في الاية من نص ولا دليل على ان الملكين علما السحر وانما هو اقحام أقحم بالآية بالكذب والافك بل وفيها بيان انه لم يكن سحرا بقوله تعالى . ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل ولا يجوز ان يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدا الا ببرهان من نص او اجماع اوضرورة والا فلا اصلا وايضا فان بابل هي الكوفة وهي بلد معروف بقربها محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح انه خرافة موضوعة اذ لو كان ذلك لما خفي مكانهما على أهل الكوفة فبطل التعلق بهاروت وماروت والحمد لله رب العالمين

البرهان فلم لا يكتسبه به هذا الحد وعلى أنه لا يجوز أن يكون لشيء واحد حدان تامان على ما يوضح به وان كانت الواسطة غير حد فكيف صار ما ليس بحد أعرف وجودا للمحدود من الامر الذاتي المقوم له وهو الحد وأيضا فان الحد لا يكتسب بالقسمة فان القسمة تضع أقساما ولا تحمل من الاقسام شيئا بعينه الا أن يوضع وضعا من غير أن يكون للقسمة فيه مدخل وأما استثناء نقيض قسم ليبقى (٢٨) القسم الداخل في الحد فهو الحد فهو ابانة الشيء بما هو مثله أو أخفى منه فانك اذا قلت لكن ليس الانسان غير ناطق فهو اذا ناطق لم يكن أحدث في الاستثناء شيئا أعرف من النتيجة وأيضا فان الحد لا يكتسب من حد الضد فليس لكل محدود ضد ولا أيضا أحد الضدين أولى بذلك من حد الضد الآخر والاستقراء لا يفيد علما كليا فكيف يفيد الحد لكن الحد يقتنص بالتركيب وذلك بان تعمد الى الاشخاص التي لا تنقسم وتنظر من أى جنس هى من العشرة فتاخذ جميع المحمولات المقومة لها التى فى ذلك الجنس وتجمع العدة منها بعد ان تعرف أيها الاول وأيها الثانى فاذا جمعنا هذه المحمولات ووجدنا منها شيئا مساويا للمحدود من وجهين أحدهما المساواة فى الحمل والثانى المساواة فى المعنى وهو أن يكون دالا على كال حقيقة ذاته لا يشذ منه شيء فان كثيرا مما تميز بالذات يكون قد أخل ببعض الاجناس أو ببعض الفصول فيكون مساويا فى الحمل ولا يكون مساويا فى المعنى وبالعكس قال ولا يلتفت فى الحد الى أن يكون وجيزا بل ينبغي أن يضع الجنس القريب باسمه أو بحده ثم ياتي بجميع الفصول الذاتية وانك اذا تركت بعض الفصول فقد تركت بعض الذات والحد عنوان الذات وبيانه فيجب أن يقوم في النفس صورة معقولة مساوية للصورة الموجودة بتمامها فحينئذ يعرض ان يتميز أيضا المحدود ولا حد بالحقيقة لما لا وجود له وانما

(قال ابو محمد) وقد ادعى قوم ان ابليس كان ملكا فعصى وحاشا لله من هذا لان الله تعالى قد كذب هذا القول بقوله تعالى . الا ابليس كان من الجن . وبقوله . افتتخذونه وذريته اولياء من دونى . ولا ذرية للملائكة وبقوله تعالى . انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . وباخباره انه خلق ابليس من نار السموم وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور والنور غير النار بلا شك فصح ان الجن غير الملائكة والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن والجن والانس فيهما مذموم ومحمود فان قال قائل ان الله عز وجل ذكر انهم قالوا . اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . وهذا تزكية لانفسهم وقد قال تعالى . ولا تزكوا انفسكم . قلنا وبالله تعالى التوفيق مدح المرء نفسه ينقسم قسمين احدهما ماقصد به المرء افتخارا بغيا وانتقاصا لغيره فهذه هي التزكية وهو مذموم جدا والاخر ماخرج مخرج الاخبار بالحق كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وفضلت على الانبياء وكقول يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم . ولا يسمي هذا تزكية ومن هذا الباب قول الملائكة ههنا برهان هذا انه لوكان قولهم مذموما لانكره الله عز وجل عليهم فاذ لم ينكره الله تعالى فهو صدق ومن هذا الباب قولنا نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين نحن انصار الله فكل هذا اذا قصد به الحض على الخير لا الفخر فهو خير فان قال قائل ان الله تعالى قال لهم . انى أعلم مالا تعلمون * قلنا نعم وماشك الملائكة قط أن الله تعالى يعلم مالا يعلمون وليس هذا انكارا واما الجن فقد قلنا انهم متعبدون بملة الاسلام وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الروث والعظام طعام اخواننا من الجن وهذا بخلاف حكمنا فقد يخصهم الله عز وجل باوامر خلاف اوامرنا كما للنساء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك وكما لقريش الامامة وليست لغيرهم وكل ذلك دين الاسلام وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل

(هل يكون مؤمنا من اعتقد الاسلام دون استدلال)
(ام لا يكون مؤمنا مسلما الا من استدل)

(قال أبو محمد) ذهب محمد بن جرير الطبرى والاشعرية كلها حاشا السمنانى الى انه لا يكون مسلما الا من استدل والا فليس مسلما وقال الطبرى من بلغ الاحتلام او الاشعار من الرجال والنساء او بلغ المحيض من النساء ولم يعرف الله عز وجل بجميع اسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حلال الدم والمال وقال انه اذا بلغ الغلام او الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك وقالت الاشعرية لا يلزمهما الاستدلال على ذلك الا بعد البلوغ

(قال أبو محمد) وقال سائر اهل الاسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادا لا يشك فيه وقال بلسانه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان كل ماجاء به حق وبرىء من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك

(قال ابو محمد) فاحتجت الطائفة الاولى بان قالت قد اتفق الجميع على ان التقليد مذموم ومالم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لا واسطة بينهما وذكروا قول الله عز وجل انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون. وقال تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم وقال تعالى . أو لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .وقال تعالى وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا. وقالوا فذم الله تعالى اتباع الاباء والرؤساء قالوا وبيقين ندرى انه لا يعلم أحد أى الامرين اهدى ولا اهل يعلم الاباء شيأ أولا يعلمون الا بالدليل وقالوا كل مالم يكن يصح بدليل فهو دعوى ولا فرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما لكن بالدليل قال الله عزوجل . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قالوا فمن لا برهان له فليس صادقا فى قوله وقالوا مالم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ماهو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لا يعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس اصلا فصح انه لا يعلم ذلك الا من طريق الاستدلال فاذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه واذا لم يكن عالما فهو شاك ضال وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسالة الملك فى القبر ماتقول فى هذا الرجل فاما المؤمن أو الموقن فانه يقول هو محمد رسول الله قال وأما المنافق أو المرتاب فانه يقول لا ادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته قالوا وقد ذكر الله عزوجل الاستدلال على الربوبية والنبوة فى غير موضع من كتابه وأمر به واوجب العلم به والعلم لا يكون الا عن دليل كما قلنا

(قال ابو محمد) هذا كلما موهوا به قد تقصيناه لهم غاية التقصى وكل هذا لا حجة لهم فى شيء منه على ماننبين بحول الله وقوته ان شاء الله تعالى لا اله الا هو بعد ان نقول قولا تصححه المشاهدة ان جمهور هذه الفرقة ابعد من كل من ينتمى الى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل فاعجبوا لهذا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

(قال ابو محمد) اما قولهم قد اجمع الجميع على ان التقليد مذموم وان مالا يعرف باستدلال فانما هو اخذ تقليد اذ لا واسطة بينهما فانهم شغبوا فى هذا الامكان ولبوا فتركوا التقسيم الصحيح ونعم ان التقليد لا يحل البتة وانما التقليد اخذ المرء قول من دون رسول الله ﷺ ممن لم يامرنا الله عزوجل باتباعه قط ولا باخذ قوله بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه وأما اخذ المرء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى افترض علينا طاعته والزمنا اتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة امره وتوعدنا على ذلك اشد الوعيد فليس تقليدا بل هو ايمان

ذلك بشرح الاسم فالحد اذا قول دال على الماهية والقسمة معينة فى الحد خصوصا اذا كانت الذاتيات ولا يجوز تعريف الشيء بما هو أخفى منه ولا بما هو مثله فى الجلاء والخفاء ولا بما لا يعرف الشيء الا به فى الاجناس العشرة الجوهر هو كل ماوجود ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه فى الفعل ولا بتقويمه الكم هو الذى يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزىء وهو اما أن يكون متصلا اذ يوجد (٢٩) لاجزائه بالقوة حد مشترك يتلاقى عنده ويتحد به كالنقطة للخط واما أن يكون منفصلا لا يوجد لاجزائه ذلك لا بالقوة ولا بالفعل والمتصل قد يكون اذا وضع وقد يكون عديم الوضع وذو الوضع هو الذى يوجد لاجزائه اتصال وثبات وامكان أن يشار الى كل واحد منها انه أين هو من الاخر فمن ذلك مايقبل القسمة فى جهة واحدة وهو الخط ومنه مايقبل فى جهتين متقاطعتين على قوائم وهو السطح ومنه مايقبل فى ثلاث جهات قائم بعضها على بعض وهو الجسم والمكان أيضا ذو وضع بانه السطح الباطن من الحاوي وأما الزمان فهو مقدار للحركة الا انه ليس له وضع اذ لا توجد أجزاؤه معا وان كانت أجزاؤه متصلة اذ ماضية ومستقبلة يتحدان بطرف الان وأما العدد فهو بالحقيقة الكم المنفصل ومن المقولات العشر الاضافة وهو المعنى الذى وجوده بالقياس الى شيء آخر وليس له وجود غيره مثل الابوة بالقياس الى البنوة لا كالاب فان له وجودا يخصه كالانسانية واما الكيف فهو كل هيئة قارة فى جسم لا يوجب اعتبار وجوده فيه نسبة للجسم الى خارج ولا نسبة واقعة فى أجزائه ولا بالجملة يكون به ذا جزء مثل البياض والسواد وهو اما أن يكون مختصا بالكم من جهة ماهو كم كالتربيع للسطح والاستقامة بالخط والفردية بالعدد واما أن لا يكون مختصا به و غير المختص به اما ان يكون محسوسا ينفعل عنه الحواس ويوجد بانفعال

المتزجات فالراسخ منه مثل صفرة الذهب وحلاوة العسل يسمى كيفيات انفعاليات وسريع الزوال منه وان كان كيفية بالحقيقة فلا يسمى كيفية بل انفعالات لسرعة استبدالها مثل حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه مالايكون محسوسا فاما ان يكون استعدادات انما يتصور فى النفس بالقياس الى كمالات فان كان استعدادا للمقاومة واباء الانفعال سمى قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة وان (٣٠) كان استعداد السرعة الاذعان والانفعال سمى لاقوة طبيعية مثل الممراضية واللين واما ان يكون فى أنفسها كمالات لايتصور انها استعدادات لكمالات أخرى وتكون مع ذلك غير محسوسة بذاتها فما كان منها ثابتا يسمى ملكة مثل العلم والصحة وماكان سريع الزوال سمى حالا مثل غضب الحليم ومرض المصحاح وفرق بين الصحة والمصحاحية فان المصحاح قد لا يكون صحيحا والمرض قد يكون صحيحا ومن جملة العشرة الاين وهو كون الجوهر فى مكانه الذى يكون فيه ككون زيد فى السوق ومتى وهو كون الجوهر فى الزمان الذى يكون فيه مثل كون هذا الامر أمس والوضع وهو كون الجسم بحيث يكون لاجزائه بعضها الى بعض نسبة فى الانحراف والموازاة والجهات وأجزاء المكان ان كان فى مكان مثل القيام والقعود وهو فى المعنى غير الوضع المذكور فى باب الكم والملك ولست أحصله وشبه ان يكون كون الجوهر فى جوهر يشمله وينتقل بانتقاله مثل التلبس والتسلح والفعل وهو نسبة الجوهر الى أمر موجود فى غيره غير قار الذات بل لايزال يتجدد وينصرم كالتسخين والتبريد والانفعال وهو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن والعلل أربعة يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة مثل النجار للكرسي ويقال علة للمادة ومايحتاج ان يكون حتى يكون ماهية الشيء مثل الخشب ويقال علة للصورة فى كل شيء فانه مالم يقترن الصورة بالمادة لم يتكون ويقال علة للغاية

وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عزوجل واداء للمفترض فوه هؤلاء القوم بان اطلقوا على الحق الذى هو اتباع الحق اسم التقليد الذى هو باطل وبرهان ماذكرنا ان امرءا لو اتبع احدا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول قاله لان فلانا قاله فقط واعتقد انه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل به هو أيضا فان فاعل هذا القول مقلد مخطئ عاص لله تعالى ولرسوله ظالم آثم سواء كان قد وافق قوله ذلك الحق الذي قاله الله ورسوله اوخالفه وأنما فسق لانه اتبع من لم يؤمر باتباعه وفعل غير ما أمره الله عزوجل ان يفعله ولوان امرءا اتبع قول الله عزوجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان مطيعا محسنا ماجورا غير مقلد وسواء وافق الحق أو وهم فاخطأ وانما ذكرنا هذا لنبين ان الذى أمرنا به وافترض علينا هو اتباع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وان الذى حرم علينا هو اتباع من دونه او اختراع قول لم ياذن به الله تعالى فقط وقد صح أن التقليد باطل لايحل فمن الباطل الممتنع ان يكون الحق باطلا معا والمحسن مسيئا من وجه واحد معا فاذ ذلك كذلك فمتبع من امر الله تعالى باتباعه ليس مقلدا ولافعله تقليدا وانما المقلد من اتبع من لم يامره الله تعالى باتباعه فسقط تمويههم بذم التقليد وصح انهم وضعوه فى غير موضعه واوقعوا اسم التقليد على ماليس تقليدا وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بذم الله تعالى اتباع الاباء والكبراء فهو مما قلنا آنفا سواء بسواء لان اتباع الاباء والكبراء وكل من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من التقليد المحرم المذموم فاعله فقط قال الله عزوجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء * فهذا نص ماقلنا ولله الحمد

* قال ابو محمد * واما احتجاجهم انه لايعرف أى الامرين اهدى ولا اهل يعلم الاباء شيئا أم لا الابالدلايل وان كل مالم يصح به دليل فهو دعوى ولافرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما وذكرهم قول الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فان هذا ينقسم قسمين فمن كان من الناس تنازعه نفسه الى البرهان ولاتستقر نفسه الى تصديق ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسمع الدلايل فهذا فرض عليه طلب الدلايل لانه ان مات شاكا اوجاحدا قبل أن يسمع من البرهان مايثلج صدره فقد مات كافرا وهو مخلد فى النار وهو بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راى المعجزات فهذا أيضا لومات مات كافرا بلاخلاف من أحد من أهل الاسلام وانما اوجبنا على من هذه صفته طلب البرهان لان فرضا عليه طلب مافيه نجاته من الكفر قال الله عزوجل * قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة * فقد افترض الله عز وجل على كل احد ان يقى نفسه النار فهؤلاء قسم وهم الاقل من الناس والقسم الثانى من استقرت نفسه الى تصديق ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن قلبه الى الايمان ولم تنازعه نفسه الى طلب

وتصديق

والشيء الذي نحوه ولاجل الشيء مثل الكن للبيت وكل واحدة من هذه اماقريبة وأما بعيدة واما بالقوة وأما بالفعل واما بالذات واما بالعرض واما خاصة وأما عامة والعلل الاربع قد تقع حدودا وسطى في البراهين لانتاج قضايا محمولاتها اعراض ذاتية وأما العلة الفاعلية والقابلية فلا يجب من وضعهما وضع المعلول وانتاجه ما لم يقترن بذلك ما يدل علي ضرورتهما علة بالفعل في تفسير ألفاظ يحتاج اليها المنطقي الظن الحق هو رأى في شيء انه كذا ويمكن (٣١) أن لا يكون كذا العلم اعتقادا بان الشيء كذا وانه لا يكون كذا بواسطة توجبه والشيء كذلك في ذاته وقد يقال علم لتصور الماهية بتحديد العقل اعتقاد بان الشيء كذا وانه لا يمكن ان لا يكون كذا طبعا بلا واسطة كاعتقاد المبادى الاول للبراهين وقد يقال عقل لتصور الماهية بذاته بلا تحديدها كتصور المبادي الاول للحد والذهن قوة للنفس معدة نحوا كتساب العلم والذكاء قوة استعداد للحدس والحدس حركة النفس الى اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب أو اصابة الحد الاكبر اذا أصيب الاوسط وبالجملة سرعة انتقال من معلوم الى مجهول والحس انما يدرك الجزئيات الشخصية والذكر والخيال يحفظان ما يؤديه الحس علي شخصيته أما الخيال فيحفظ الصورة وأما الذكر فيحفظ المعنى الماخوذ واذا تكرر الحس كان ذكرا واذا تكرر الذكر كان تجربة والفكر حركة ذهن الانسان نحو المبادي ليصير منها الى المطالب والصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال ارادية بغير روية والحكمة خروج نفس الانسان الى كماله الممكن في جزئي العلم والعمل اما في جانب العلم فان يكون متصورا للموجودات كما هي ومصدقا للقضايا كما هي وأما في جانب العمل فان يكون قد حصل له الخلق الذي يسمى العدالة والملكة الفاضلة والفكر العقلي ينال الكليات مجردة والحس والخيال والذكر ينال الجزئيات

دليل توفيقا من الله عزوجل له وتيسيرا لما خلق له من الخير والحسنى فهؤلاء لا يحتاجون الى برهان ولا الى تكليف استدلال وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة والنساء والتجار والصناع والاكرة والعباد وأصحاب الحديث الائمة الذين يذمون الكلام والجدل والمراء في الدين (قال ابو محمد) هم الذين قال لهم الله فيهم * ولكن حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * وقال تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء *

(قال ابو محمد) قد سمى الله عزوجل راشدين القوم الذين زين الايمان في قلوبهم وحببه اليهم وكره اليهم الكفر والمعاصى فضلا منه ونعمة وهذا هو خلق الله تعالى الايمان في قلوبهم ابتداء وعلي السنتهم ولم يذكر الله تعالى في ذلك استدلالا أصلا وبالله تعالى التوفيق وليس هؤلاء مقلدين لابائهم ولا لكبرائهم لان هؤلاء مقرون بالسنتهم محققون في قلوبهم ان اباءهم ورؤساءهم لو كفروا لما كفروا هم بل كانوا يستحلون قتل ابائهم ورؤسائهم والبرأة منهم ويحسون من انفسهم النفار العظيم عن كل ما سمعوا منه ما يخالف الشريعة ويرون ان حرقهم بالنار أخف عليهم من مخالفة الاسلام وهذا امر قد عرفناه من أنفسنا حسا وشاهدناه في ذواتنا يقينا فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ولا وجوهه ونحن ولله الحمد في غاية اليقين بدين الاسلام وكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نجد انفسنا في غاية السكون اليه وفي غاية النفار عن كل ما يعترض فيه بشك ولقد كانت تخطر في قلوبنا خطرات سوء في خلال ذلك ينبذها الشيطان فنكاد لشدة نفارنا عنها ان نسمع خفقان قلوبنا استبشاعا لها كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن ذلك فقالوا له ان أحدنا ليحدث نفسه بالشيء ما انه يقدم فتضرب عنقه احب اليه ان يتكلم به فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك محض الايمان وأخبر انه من وسوسة الشيطان وأمر صلى الله عليه وسلم في ذلك بما امر به من التعوذ والقراءة والتفل عن اليسار ثم تعلمنا طرق الاستدلال واحكمناها ولله تعالى الحمد فما زادنا يقينا علي ما كنا بل عرفنا انا كنا ميسرين للحق وصرنا كمن عرف وقد أيقن بان الفيل موجود سماعا ولم يره ثم رآه فلم يزدد يقينا بصحة انيته اصلا لكن ارانا صحيح الاستدلال رفض بعض الاراء الفاسدة التى نشانا عليها فقط كالقول في الدين بالقياس وعلمنا انا كنا مقتدين بالخطا في ذلك ولله تعالى الحمد وان المخالفين لنا ليعرفون من انفسهم ما ذكرنا الا انهم يلزمهم ان يشهدوا علي انفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولا بد فصح بما قلنا ان كل من اعتقد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون وليسوا مقلدين اصلا وانما كانوا مقلدين لو انهم قالوا واعتقدوا اننا انما نتبع في الدين آباءنا وكبراءنا فقط ولو ان

فالحس يعرض على الخيال امورا مختلطة والخيال على العقل ثم العقل يفعل التمييز ولكل واحد من هذه المعانى معونة فى صواحبها فى قسمى التصور والتصديق فى الالهيات يجب ان نحصر المسائل التى تختص بهذا العلم فى عشر مسائل الاولى منها فى موضوع هذا العلم وجملة ماينظر فيه والتنبيه على الوجود ان لكل علم موضوعا ينظر فيه فيبحث عن أحواله وموضوع العلم الالهى الوجود المطلق (٣٢) ولواحقه التى له لذاته ومباديه وينتهى فى التفصيل الى حيث يبتدىء منه سائر العلوم وفيه بيان مبادئها وجملة ماينظر فيه هذا العلم هو أقسام الوجود وهو الواحد والكثير ولواحقها والعلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة وتحقيق المقولات العشر ويشبه أن يكون انقسام الوجود الى المقولات انقساما بالفصول وانقسامه الى الوحدة والكثرة وأخواتها انقساما بالاعراض الوجود يشمل الكل شمولا بالتشكيك لا بالتواطىء ولهذا لا يصح أن يكون جنسا فانه فى بعضها أولى وأول وفى بعضها لا أولى ولا أول وهو أشهر من يحد أو يرسم ولا يمكن أن يشرح بغير الاسم لانه مبدء وأول لكل شىء فلا شرح له بل صورته تقوم فى النفس بلا توسط شىء وينقسم نوعا من القسمة الى واجب بذاته وممكن بذاته والواجب بذاته ما اذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده والممكن بذاته ما اذا اعتبر ذاته فقط وجب وجوده واذا فرض غير موجود لم يلزم منه محال ثم اذا عرض على القسمين عرضا حمليا الواحد والكثير كان الواحد أولى بالواجب والكثير أولى بالجائز وكذلك العلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة والغناء والفقر كان أحسن الاسماء أولى بالواجب بذاته وان لم يطرق اليه الكثرة بوجه فلم يطرق اليه التقسيم بل يتوجه الى الممكن بذاته فانقسم الى جوهر وعرض وقد عرفناهما برسميهما واما نسبة أحدهما الى الآخر فهو ان الجوهر محل مستغن فى

اباءنا وكبراءنا تركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم لتركناه فلو قالوا هذا واعتقدوه لكانوا مقلدين كفارا غير مؤمنين لانهم انما اتبعوا آباءهم وكبراءهم الذين نهوا عن اتباعهم ولم يتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم الذين امروا باتباعه وبالله تعالى التوفيق وانما كلف الله تعالى الاتيان بالبرهان ان كانوا صادقين يعنى الكفار المخالفين لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذا نص لآية ولم يكلف قط المسلمين الاتيان بالبراهين والاسقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان والفرق بين الامرين واضح وهو ان كل من خالف النبى صلى الله عليه وسلم فلا برهان له اصلا فكلف المجيء بالبرهان تبكيتا وتعجيزا ان كانوا صادقين وليسوا صادقين بلا برهان لهم واما من اتبع ماجاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اتبع الحق الذى قامت البراهين بصحته ودان بالصدق الذى قامت الحجة البالغة بوجوبه فسواء علم هو بذلك البرهان او لم يعلم حسبه انه على الحق الذي صح بالبرهان ولا برهان على ماسواه فهو محق والحمد لله رب العالمين واما قولهم مالم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ماهو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لاتعرف صحتها الا بالاستدلال فان لم يستدل المرء فليس عالما واذا لم يكن عالما فهو جاهل شاك او ظان واذا كان لايعلم الدين فهو كافر

(قال ابو محمد) فهذا ليس كما قالوا لانهم قضوا قضية باطلة فاسدة بنوا عليها هذا الاستدلال وهى اقحامهم فى حد العلم قولهم عن ضرورة أو استدلال فهذه زيادة فاسدة لانوافقهم عليها ولاجاء بصحتها قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا لغة ولا طبيعة ولا قول صاحب وحد العلم على الحقيقة انه اعتقاد الشيء على ماهو به فقط وكل من اعتقد شيئا على ماهو به ولم يتخالجه شك فيه فهو عالم به وسواء كان عن ضرورة حس او عن بديهة عقل أو عن برهان استدلال أو عن تيسير الله عز وجل له وخلقه لذلك المعتقد فى قلبه ولا مزيد ولا يجوز البتة ان يكون محقق فى اعتقاد شيء كما هو ذلك الشيء وهو غير عالم به وهذا تناقض وفساد وتعارض وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسالة الملك فلا حجة لهم فيه بل هو حجة عليهم كما هو لمجرده لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال فيه فاما المؤمن أو الموقن فيقول هو رسول الله ولم يقل عليه الصلاة والسلام فاما المستدل فحسبنا فوز المؤمن الموقن كيف كان ايمانه ويقينه وقال عليه الصلاة والسلام واما المنافق او المرتاب ولم يقل غير المستدل فيقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فنعم هذا قولنا لان المنافق والمرتاب ليسا موقنين ولا مؤمنين وهذه صفة منة مقلد للناس لا محقق فظهر ان هذا الخبر حجة عليهم كافية وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان الله عز وجل قد ذكر الاستدلال فى غير موضع من كتابه وامر به وواجب العلم به والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذه ايضا زيادة اقحموها وهى قولهم وامر به فهذا لايجدونه ابدا ولكن الله تعالى ذكر

قوامه عن الحال فيه والعرض حال فيه غير مستغنٍ في قوامه عنه فكل ذات لم يكن في موضوع ولا في قوامه به فهو جوهر وكل ذات قوامه في موضوع فهو عرض وقد يكون الشيء في المحل ويكون مع ذلك جوهرا لا في الموضوع اذا كان المحل القريب الذي هو فيه متقوما به ليس متقوما بذاته ثم مقوما له ونسميه صورة وهو الفرق بينهما و بين العرض وكل جوهر ليس في موضوع فلا يخلو اما ان لايكون في محل أصلا (٣٣) أو يكون في محل لايستغني في القوام عنه ذلك المحل فان كان في محل بهذه الصفة فانا نسميه صورة مادية وان لم يكن في محل أصلا فاما أن يكون محلا بنفسه لا تركيب فيه أو لا يكون فان كان محلا بنفسه فانا نسميه الهيولى المطلقة وان لم يكن فاما أن يكون مركباً مثل أجسامنا المركبة من مادة وصورة جسمية وان لا يكون وما ليس بمركب فلا يخلو إما أن يكون له تعلق ما بالاجسام أو لم يكن له تعلق فما له تعلق نسميه نفسا وما ليس له تعلق فنسميه عقلا وأما أقسام العرض فقد ذكرناها وحصرها بالقسمة الضرورية متعذرة

(المسألة الثانية) في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركب منه وأن المادة الجسمانية لا تعرى عن الصورة وان الصورة متقدمة على المادة في مرتبة الوجود اعلم ان الجسم الموجود ليس جسما بان فيه ابعادا ثلاثة بالفعل فانه ليس يجب أن يكون في كل جسم نقط أو خطوط بالفعل وانت تعلم ان الكرة لاقطع فيها بالفعل والنقط والخطوط قطوع بل الجسم انما هو جسم لانه بحيث يصلح أن يعرض فيه ابعاد ثلاثة كل واحد منها قائم على الآخر ولا يمكن أن يكون فوق ثلاثة فالذي يعرض فيه أولا هو الطول والقائم عليه العرض والقائم عليهما في الحد المشترك هو العمق وهذا المعنى منه صورة الجسمية وأما الابعاد المحدودة التي تقع فيه فليست صورة له بل هي من باب الكم

الاستدلال وحض عليه ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب اليه محضوض عليه كل من اطاقه لانه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه الى التصديق نعوذ بالله عزوجل من البلا وانما ننكر كونه فرضاً على كل احد لا يصح اسلام احد دونه هذا هو الباطل المحض وأما قولهم ان الله تعالى أوجب العلم به فنعم وأما قولهم والعلم لايكون الا عن استدلال فهذا هي الدعوى الكاذبة التي أبطلناها آنفا واول بطلانها انها دعوى بلا برهان وبالله تعالى العزيز الحكيم نتأيد

(قال أبو محمد) هذا كل ما شنعوا به قد نقضناه والحمد لله رب العالمين فسقط قولهم اذ تعرى من البرهان وكان دعوى منهم مفتراة لم يأت بها نص قط ولا اجماع وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتاييده البراهين على بطلان قولهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(قال أبو محمد) يقال لمن قال لايكون مسلما الا من استدل (١) أخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال اقبل البلوغ ام بعده ؟ ولابد من أحد الامرين فأما الطبري فانه أجاب بان ذلك واجب قبل البلوغ

(قال أبو محمد) وهذا خطأ لان من لم يبلغ ليس مكلفا ولا مخاطبا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصغير حتى يحتلم فبطل جواب الطبري رحمه الله وأما الاشعرية فانهم أتوا بما يملأ الفم وتقشعر منها جلود أهل الاسلام وتصطك منها المسامع ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل وهي انهم قالوا لا يلزم طلب الادلة الا بعد البلوغ ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا غير مساترين لايصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق

(قال ابو محمد) ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الاسلام باشنع من قول هؤلاء

(١) ذهب جمهور الائمة ومنهم الشيخ الاشعري الى أن أول ما يجب قبل كل شيء على من بلغ النظر والاستدلال واعمال الفكرة فيما يوصله الى العلم بمعبوده من البراهين القاطعة والادلة الساطعة واتفق كذلك جمهورهم ومحققوا اهل السنة خلافا لبعض اهل الظاهر على أنه لايصح الاكتفاء بالتقليد في العقائد وحاصل ماذكروه في المقلد ثلاثة اقوال الاول انه مؤمن غير عاص بترك النظر الثاني انه مؤمن عاص ان ترك النظر مع القدرة الثالث انه كافر هذا هو المشهور من مذهب الاشعرية ومن وافقهم وما نسبه اليهم ابن حزم من قولهم لايصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق هو لازم مذهبهم اه مصححه

وهي لواحق لامقدمات ولا يجب أن يثبت شيء منها له بل مع كل تشكيل يتجدد عليه يبطل كل بعد متجدد كان فيه
وربما اتفق في بعض الاجسام أن تكون لازمة له لا تفارق ملازمة أشكالها وكما أن الشكل لاحق فكذلك ما يتجدد بالشكل
وكما أن الشكل لا يدخل في تحديد جسميته كذلك الابعاد المتجددة فالصورة الجسمية موضوعة لصناعة الطبيعيين أو
داخلة فيها والابعاد المتجددة (٣٤) موضوعة لصناعة التعالمين أو داخلة فيهما ثم الصورة الجسمية طبيعية وراء
الاتصال وهي بعينها قابلة للانفصال ومن المعلوم ان قابل الاتصال والانفصال أمر وراء الانصال والانفصال فان القابل يبقى بطريان أحدهما والاتصال لا يبقى بعد طريان الانفصال وظاهر ان هاهنا جوهرا غير الصورة الجسمية هي الهيولى التي يعرض لها الانفصال والاتصال معاً وهي تقارن الصورة الجسمية فهي التي تقبل الاتحاد بالصورة الجسمية فتصير جسما واحداً بما يقومها وذلك هو الهيولى والمادة ولا يجوز أن تفارق الصورة الجسمية وتقوم موجودة بالفعل والدليل عليه من وجهين أحدهما انا لو قدرناها مجردة لا وضع لها ولا حيز ولا انها تقبل الانقسام فان هذه كلها صورة ثم قدرنا ان الصورة صادفتها فاما أن يكون صادفتها دفعة أعني المقدار المحصل يحل فيها دفعة لا على تدرج أو تحرك اليها المقدار والاتصال على تدرج فان
حل فيها دفعة ففي اتصال المقدار بها يكون قد صادفها حيث ان ضاف اليها قبل
فيكون لامحالة صادفها وهو الحيز الذي هو فيه فيكون ذلك الجوهر متحيزا وقد فرض غير متحيز البتة وهذا خلف
ولا يجوز أن يكون التحيز قد حصل له دفعة واحدة مع قبول المقدار لان المقدار يوافيه في حيز مخصوص وان حل
فيها المقدار والاتصال على انبساط وتدريج وكل ما من شأنه أن ينبسط فله جهات وكل ماله جهات فهو ذو وضع

القوم انه لايكون احد مسلما حتى يشك في الله عزوجل وفي صحة النبوة وفي هل رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق ام كاذب ولا سمع قط سامع في الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق باقبح من قول هؤلاء انه لايصح الايمان الا بالكفر ولا يصح التصديق الا بالجحد ولا يوصل الى رضاء الله عز وجل الا بالشك فيه وان من اعتقد موقنا بقلبه ولسانه ان الله تعالى ربه لااله الاهو وان محمدا رسول الله وان دين الاسلام دين الله الذي لادين غيره فانه كافر مشرك اللهم انا نعوذ بك من الخذلان فوالله لولا خذلان الله تعالى الذي هو غالب على أمره ماانطلق لسان ذي مسكة بهذه العظيمة وهذا يكفي من تكلف النقض لهذه المقالة الملعونة ومن بلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه ونعوذ بالله من الضلال — ثم نقول لهم اخبرونا عن هذا الذي اوجبتم عليه الشك في فرض او الشك في صحة النبوة والرسالة كم تكون هذه المدة التي اوجبتم عليه فيه البقاء شاكا مستدلا طالبا للدلائل وكيف ان لم يجد في قريته او مدينته ولا في اقليمه محسنا للدلائل فرحل طالبا للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف وتعذر من بحر اومرض فانصل له ذلك ساعات واياما وجمعا وشهورا وسنين ماقولكم في ذلك فان حدوا في المدة يوما اويومين اوثلاثة اواكثر من ذلك كانو متحكمين بلا دليل وقائلين بلاهدى من الله تعالى ولم يعجز احد عن أن يقول في تحديد تلك المدة بزيادة او نقصان ومن بلغ هاهنا فقد ظهر فساد قوله وان قالوا لانحد في ذلك حداً قلنا لهم فان امتد كذلك حتى فني عمره ومات في مدة استدلاله التي حددتم له وهو شاك في الله تعالى وفي النبوة ايموت مؤمنا ويجب له الجنة ام يموت كافراً وتجب له النار فان قالوا يموت مؤمنا تجب له الجنة اتوا باعظم الطوام وجعلوا الشكاك في الله الذين هم عندهم شكاك مؤمنين من اهل الجنة وهذا كفر محض وتناقض لاخفاء به وكانوا مع ذلك قد دمموا في ان يبقى المرء دهره كله شاكا في الله عزوجل وفي النبوة والرسالة فان قالوا بل يموت كافرا يجب له النار قلنا لهم لقد امرتموه بما فيه هلاكه واوجبتم عليه مافيه دماره ومايفعل الشيطان الاهذا في امره بما يؤدي الى الخلود في النار وان قالوا بل هو في حكم اهل الفترة قلنا لهم هذا باطل لان اهل الفترة لم تاتهم النذارة ولابلغهم خبر النبوة والنص انما جاء في اهل الفترة ومن زاد في الخبر ماليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ماحد الاستدلال(١) الموجب لاسم الايمان عندكم وقد يسمع دليلا عليه اعتراض أيجزيه ذلك لدليل ام لا فان قالوا يجزيه قلنا لهم ومن اين وجب ان يجزيه وهو دليل معترض فيه وليس هذه الصفة من الدلائل المخرجة عن الجهل الى العلم بل هي مؤدية الى الجهل الذي كان عليه

(١) صرحوا بان الواجب على الاعيان معرفة الدليل الاجمالي وعلى الكفاية معرفة الدليل التفصيلي

وقد فرض غير ذي وضع البتة وهذا خلف فتعين أن المادة لن تتعرى عن الصورة فقط وان الفصل بينهما فصل بالعقل والدليل الثاني انا لو قدرنا المادة وجوداً خاصا متقوما غير ذي كم ولا جزء باعتبار نفسه ثم يعرض عليه الكم فيكون ماهو متقوم بانه لا جزء له ولا كم يعرض أن يبطل عنه ما يتقوم به بالفعل لورود عارض عليه فيكون حينئذ للمادة صورة عارضة بها تكون واحدة بالقوة والفعل وصورة أخرى بها (٣٥) تكون غير واحدة بالفعل فيكون بين الامرين شيء مشترك هو القابل للامرين من شانه أن يصير مرة ليس في قوته أن ينقسم ومرة في قوته أن ينقسم ويفرض الآن هذا الجوهر قد صار بالفعل شيئين ثم صار شيئا واحدا بأن خلعا صورة الاثنينية فلا يخلو اما ان اتحدا وكل واحد منهما موجود فهما اثنان لا واحد وان اتحدا وأحدهما معدوم والآخر موجود فالمعدوم كيف يتحد بالموجود وان عدما جميعا بالاتحاد وحدث شيء واحد ثالث فهما غير متحدين بل فاسدين وبينهما و بين الثالث مادة مشتركة وكلامنا في نفس المادة لافي شيء ذي مادة فالمادة الجسمية لا توجد مفارقة للصورة وانها انما تقوم بالفعل بالصورة ولا يجوز أن يقال ان الصورة بنفسها موجودة بالقوة وانما تصير بالفعل بالمادة لان جوهر الصورة هو الفعل وما بالقوة محله والصورة وان كانت لا تفارق الهيولى فليست تتقوم بالهيولى بل بالعلة المفيدة لها الهيولى وكيف يتصور أن تقوم الصورة بالهيولى وقد أثبت أنها علتها والعلة لا تتقوم بالمعلول وفرق بين الذي يتقوم به الشيء وبين الذي لا يفارقه فان المعلول لا يفارق العلة وليس علة لها فما يقوم الصورة أمر مباين لها مفيد وما يقوم الهيولى أمر ملاق لها وهي الصورة فاول الموجودات في استحقاق الوجود الجوهر المفارق الغير الجسم الذي يعطي صورة الجسم وصورة كل موجود ثم الصورة ثم الجسم ثم

قبل الاستدلال فان قالوا بل لا يجزيه الا الحق يوقن انه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه تكلفوا ماليس في وسع اكثرهم وما لا يبلغه الا قليل من الناس في طويل من الدهر وكثير من البحث ولقد دري الله تعالى انهم اصفار من العلم بذلك يعني اهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة

(قال أبو محمد) ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة انه لا يشك أحد ممن يدري شيئا من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمانية والدهرية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير الى الايمان بالله تعالى وبما أتى به ويقاتل من أهل الارض من يقاتله ممن عند ويستحل سفك دمائهم وسبي نسائهم واولادهم وأخذ أموالهم متقربا الى الله تعالى بذلك وأخذ الجزية واصغاره ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده ويحكم له بحكم الاسلام وفيهم المرءة البدوية والراعي والراعية والغلام الصحراوي والوحشي والزنجي والمسبيء والزنجية المجلوبة والرومي والرومية والاغثر (١) الجاهل والضعيف في فهمه فما منهم احد ولا من غيرهم قال عليه السلام اني لا اقبل اسلامك ولا يصح لك دين الا حتى تستدل على صحة ما ادعوك اليه

(قال ابو محمد) لسنا نقول انه لم يبلغنا انه عليه السلام قال ذلك لاحد بل نقطع نحن وجميع اهل الارض قطعا كقطعنا على ماشهدناه انه عليه السلام لم يقل قط هذا لاحد ولا رد اسلام أحد حتى يستدل ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضي الله عنهم اولهم عن آخرهم ولا يختلف احد في هذا الامر ثم جميع اهل الارض الى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الاسلام ان يكون عليه السلام يغفل ان يبين للناس ما لا يصح لاحد الاسلام الا به ثم يتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الاسلام ويبينه لهم هؤلاء الاشقياء ومن ظن انه وقع من الدين على ما لا يقع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بلا خلاف فصح ان هذه المقالة خلاف للاجماع وخلاف لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجميع أهل الاسلام قاطبة فان قالوا فما كانت حاجة الناس الى الآيات المعجزات والى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن واعجازه به وبدعاء اليهود الى تمني الموت ودعاء النصارى الى المباهلة وشق القمر قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الناس قسمان قسم لم تسكن قلوبهم الى الاسلام ولا دخلها التصديق فطلبوا منه عليه السلام البراهين فاراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت وطائفة عندت وجاهرت فكفرت واهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الاستدلال فرضا ولا بد كما قلنا وقسم آخر وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق

(١) الاغثر يفسر بالاحمق والجاهل والساقط

الهيولى وهي وان كانت سببا للجسم فانها ليست بسبب يعطى الوجود بل بسبب يقبل الوجود بانه محل لنيل الوجود وللجسم وجودها وزيادة وجود الصورة فيه التى هى أكمل منها ثم العرض أولى بالوجود فان أولى الاشياء بالوجود هو الجوهر ثم الاعراض وفي الاعراض ترتيب فى الوجود أيضا * المسئلة الثالثة فى أقسام العلل وأحوالها وفى القوة والفعل واثبات الكيفيات فى الكمية (٣٦) وان الكيفيات اعراض لا جواهر وقد بينا فى المنطق ان العلل أربع فتحقيق وجودها ها هنا ان تقول المبدأ والعلة يقال لكل ما يكون قد استمر له وجوده فى نفسه ثم حصل منه وجود شيء آخر يقوم به ثم لا يخلو ذلك اما أن يكون كالجزء لما هو معلول له وهذا على وجهين اما أن يكون جزءاً ليس يجب عن حصوله بالفعل ان يكون ما هو معلول له موجودا بالفعل وهذا هو العنصر ومثاله الخشب للسرير فانك تتوهم الخشب موجودا ولا يلزم من وجوده وحده أن يحصل السرير بالفعل بل المعلول موجود فيه بالقوة واما أن يكون جزءا يجب عن حصوله بالفعل وجود المعلول له بالفعل وهذا هو الصورة ومثاله الشكل والتاليف للسرير وان لم يكن كالجزء لما هو معلول له فاما أن يكون مباينا أو ملاقيا لذات المعلول والملاقى فاما أن ينعت به المعلول واما أن ينعت بالمعلول وهذان هما فى حكم الصورة والهيولى وان كان مباينا فاما أن يكون الذى منه الوجود وليس الوجود لاجله وهو الفاعل ان واما أن لا يكون منه الوجود بل لأجله الوجود وهو الغاية والغاية تتاخر فى حصول الموجود وتتقدم سائر العلل في الشيئية والغاية بما هو شيء فانها تتقدم وهى علة العلل فى انها علل وبما هى موجودة فى الاعيان قد تتأخر واذا لم تكن العلة هى بعينها الغاية كان الفاعل متأخرا فى الشيئية عن الغاية ويشبه أن يكون الحاصل عند التمييز هو

عز وجل فى نفوسهم الايمان كما قال تعالى * بل الله يمن عليكم ان هدا كم للايمان ان كنتم صادقين * فهؤلاء آمنو به عليه السلام بلا تكليف

(قال أبو محمد) ويلزم أهل هذه المقالة ان جميع أهل الارض كفار لا الاقل وقد قال بعضهم انهم مستدلون

(قال ابو محمد) وهذه مجاهرة هو يدري انه فيها كاذب وكل من سمعه يدرى انه فيها كاذب لان اكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدرى مامعنى الاستدلال فكيف ان يستعمله

(قال ابو محمد) ويلزم من قال بهذه المقالة ان لا ياكل من اللحم الا ماذبحه هو أو من يدرى انه مستدل وان لا يطا الا زوجة يدرى انها مستدلة ويلزم ان يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله وأن يفارق امرأته التى تزوج فى تلك المدة وان لا يرث اخاه ولا اباه ولا امه الا ان يكونوا مستدلين وان يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة وعمل المغيرية المنصورة فى ذبح كل من امكنهم وقتله وان يستحلوا اموال اهل الارض بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لان جهاد الكفار فرض وهذا كله ان التزموا طرد أصولهم وكفروا انفسهم وان لم يقولوا بذلك تناقضوا فصح ان كل من اعتقد الاسلام بقلبه ونطق به لسانه فهو مؤمن عند الله عز وجل ومن اهل الجنة سواء كان ذلك عن قبول او نشاة أو عن استدلال وبالله تعالى التوفيق وأيضا فنقول لهم هل استدل من مخالفيكم في اقوالكم التى تدينون بها أحد أم لم يستدل قط احد غيركم فلا بد من اقرارهم بان مخالفيهم أيضا قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل وأنتم عندهم أيضا مخطئون فان قالوا ان الادلة أمنتنا من أن نكون مخطئين قلنا لهم وهذا نفسه هو قول خصومكم فانهم يدعون ان ادلتهم على صواب قولهم وخطا قولكم ولا فرق مازالوا على هذه الدعوي مذ كانوا الى يومنا هذا فما نراكم حصلتم من استدلالكم الا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق فان قالوا لنا فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة ويبطل الدليل كافة قلنا معاذ الله من هذا لكن اريناك انه قد يستدل من يخطيء وقد يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى فقط وقد لا يستدل من يخطيء وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى وكل ميسر لما خلق له والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة فمن وافق الحق الذى قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن استدل اولم يستدل ومن يسر للباطل الذى قام البرهان عند غيره ببطلانه فهو مبطل مخطيء أو كافر سواء استدل أو لم يستدل وهذا هو الذى قام البرهان بصحته والحمد لله رب العالمين وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى الوعد والوعيد

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول منهم من قال

ان الفاعل الاول والمحرك الاول فى كل شيء هو الغاية وان كانت العلة الفاعلية هى الغاية بعينهـا استغنى عن تحريك الغاية فـكان نفس ما هو فاعل نفس ما هو محرك من غير توسط وأما سائر العلل فان الفاعل والقابل قد يتقدمان المعلول بالزمان وأما الصورة فلا تتقدم بالزمان البتة بل بالرتبة والشرف لان القابل أبداً مستفيد والفاعل مفيد وقد تكون العلة علة للشيء بالذات وقد تكون بالعرض وقد تكون علة قريبة (٣٧) وقد تكون علة بعيدة وقد تكون علة لوجود الشيء فقط وقد تكون علة لوجوده ولد وأم ووجوده فانه انما احتاج الى الفاعل لوجوده وفى حال وجوده لالعدمه السابق وفى حال عدمه فيكون لوجد انمـا يكون موجد الموجود والموجود هو الذى يوصف بانه موجد وكما أنه فى حال ما هـو موجود يوصف بانه موجد كذلك الحال فى كل حال فـكل موجد محتاج الى موجـد مقيم لوجوده لولاه لعدم وأما القوة والفعل القوة تقال لمبدأ التغير فى آخر من حيث انه آخر وهو اما فى المنفصل وهي القـوة الانفعالية وأمافى الفاعل وهى القوة الفعلية وقوة المنفعل قدتكون محدودة نحو شيء واحـد كقوة الماء على قبول الشكل دون قوة الحفظ وفى الشـمع قوة عليهما جميعـا وفى الهيولى قوة الجميع ولكن بتوسط شيء دون شيء وقوة الفاعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة النار على الاحراق فقط وقد يكون على أشياء كثيرة كقوة المختارين وقد يكون فى الشيء قوة على شيء ولـكن بتوسط شيء دون شيء والقوة الفعلية المحدودة اذا لاقت القوة المنفصلة حصل منها الفعل ضرورة وليس كذلك فى غيرها مما يستوى فيه الاضداد وهذه القوة ليست هي القوة التى يقابلها بها الفعل فان هذه تبقى موجودة عند مايفعل والثانية انما تـكون موجودة مع عدم الفعل وكل جسم صدر عنه فعل ليس بالعرض ولا بالقسر فانه يفعل بقوة ما فيـه

ان صاحب الـكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ولـكنه فاسق (١) وان كل من مات مصر اعلى كبيرة من الـكبائر فلم يمت مسلما واذا لم يمت مسلما فهو مخلد فى النار ابدا وان من مات ولا كبيرة له او تاب عن كبائره قبل موته فانه مؤمن من أهل الجنة لايدخل النار اصلا ومنهم من قال بان كل ذنب صغير او كبير فهو مخرج عن الايمان والاسلام فان مات عليه فهو غير مسلم وغير المسلم مخلد فى النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة الا ان ابن بكر ابن اخت عبد الواحد ابن زيد قال فى طلحة والزبير رضى الله عنهما انهما كافران من اهل الجنة لانهما من اهل بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لـكم قال فاهل بدر ان كفروا فغفور لهم لانهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة (٢) لا تضر مع الاسلام سيئة كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا فـكل مسلم ولو بالغ فى معصية فهو من أهل الجنة لايرى نارا وانما النار للكفار وكلتا هاتين الطائفتين تقر بان احدا لا يدخل النار ثم يخرج عنها بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبدا ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار

(١) هى أول كلمة اختلف فيها وأصل بن عطاء رأس المعتزلة مع شيخه الحسن البصرى واعتزل مجلسه وتبعه على ذلك سائر المعتزلة اذ وضعوا صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين فقالوا انه لامؤمن ولا كافر بل فاسق وأئمة المسلمين لايثبتون له منزلة بين المؤمن والـكافر بل يقولون انه مؤمن ولـكنه فاسق أما الخوارج فيقولون انه كافر فاسق

(٢) المرجئة فرقة من كبار الفرق الاسلامية لقبوا بهذا اللقب لانهم يؤخرون العمل عن الايمان من أرجء اى أخره استنادا على قوله تعالى (وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم) ولانهم يقولون لايضر مع الايمان معصية كما لاينفع مع الـكفر طاعة فهم يعطون الرجاء وعلى التأويل الاخير لايهمز اسم المرجية وليتوضح مذهب الارجاء يجب النظر فى الخلاف الواقع بين الوعيدية وغيرهم فاهل السنة لا يأخذون بدلالة العام كالمعتزلة فى مثل قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) وفى مثل قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) بل يجعلون الخلود مشروطا بالكفر ويأخذون بدلالة الخاص فى مثل قوله تعالى اعدت للكافرين وقوله ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ويجعلون ترتب الجزاء فيما دون الشرك مشروطا بعدم التوبة أو العفو لقوله تعالى الا من تاب وقوله ويعفو عن كثير والوعيدية يخالفون فى هذا أما المرجئة فيقولون انعدم تخلف الوعيد شرطه الكفر ومع الايمان ترجا العقوبة وان لم يتب صاحب المعصية وقالوا عنى الله بآيات الوعيد الـكفار دون بعض الفسقة أو عنى بها التخويف دون التحقيق اه لمصححه

وقال أهل السنة والحسين النجار وأصحابه وبشر ابن غياث المريسي وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن كيسان الاصم البصري وغيلان ابن مروان الدمشقي القدري ومحمد بن شبيب ويونس بن عمران وأبو العباس الناشي والاشعري وأصحابه ومحمد بن كرام واصحابه ان الكفار مخلدون فى النار وان المؤمنين كلهم فى الجنة وان كانوا اصحاب كبائر ماتوا مصرين عليها وانهم طائفتان طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها أى من النار الى الجنة. وطائفة لا تدخل النار الا ان كل من ذكرنا قالوا لله عز وجل ان يعذب من شاء من المؤمنين اصحاب الكبائر بالنار ثم يدخلهم الجنة وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم. ثم افترقوا فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ويونس والناشي ان عذب الله تعالى واحدا من اصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ثم ادخلهم الجنة . وان غفر لواحد منهم غفر لجميعهم ولابد. وقالت طائفة بل يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وان كانت ذنوبهم كثيرة مستوية وقد يغفر لمن هو اعظم جرما ويعذب من هو اقل جرما. وقال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم يغفر لمن يشاء من اصحاب الكبائر ويعذب من يشاء منهم الا القاتل عمدا فانه مخلد فى النار ابدا وقالت طائفة منهم من لقى الله عز وجل مسلما تائبا من كل كبيرة اولم يكن عمل كبيرة قط فسيئاته كلها مغفورة وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ولو بلغت سيئاته ماشاء الله ان تبلغ ومن لقي الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فاكثر فالحكم فى ذلك الموازنة فمن رجحت حسناته على كبائره وسيئاته فان كبائره كلها تسقط وهو من اهل الجنة لا يدخل النار وان استوت حسناته مع كبائره وسيئاته فهؤلاء اهل الاعراف ولهم وقفة ولا يدخلون النار ثم يدخلون الجنة ومن رجحت كبائره وسيآته بحسناته فهؤلاء مجازون بقدر مارجح لهم من الذنوب فمن لفحة واحدة الى بقاء خمسين الف سنة فى النار ثم يخرجون منها الى الجنة بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم و برحمة الله تعالى وكل من ذكرنا يجازون فى الجنة بعد بما فضل لهم من الحسنات واما من لم يفضل له حسنة من اهل الاعراف فمن دونهم وكل من خرج النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء في الجنة ممن رجحت له حسنة فصاعدا

﴿قال ابو محمد﴾ فاما من قال صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك فان حجتهم قول الله عز وجل * ألا إن اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون * وقوله تعالى * من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار * وقوله تعالى * والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * وقوله تعالى * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها * وبقوله تعالى * ومن

يقتل

ما الذى بالارادة والاختيار فظاهر وأما الذي ليس بالاختيار فلا يخلو اما أن يصدر عن ذاته بما هو ذاته أو عن قوة فى ذاته أو عن شيء مباين فان صدر عن ذاته بما هو جسم فيجب أن يشاركه سائر الاجسام واذا تميز عنها بصدور ذلك الفعل عنه فلمعنى فى ذاته زائد على الجسمية وان صدر عن شيء مباين فلا يخلو اما أن يكون جسما أو غير جسم فان كان جسما فالفعل منه بقسر لا محالة (٣٨) وقد فرض بلا قسر هذا خلف وان لم يكن جسما فتأثر الجسم عن ذلك المفارق اما أن يكون بكونه جسما أو لقوة فيه ولا يجوز أن يكون بكونه جسما فتعين أن يكون لقوة فيه هي مبدأ صدور ذلك الفعل عنه وذلك هو الذى نسميه القوة الطبيعة وهى التى يصدر عنها الافاعيل الجسمانية من التحيزات الى امكانها والتشكيلات الطبيعية واذا خليت وطباعها لم يجز أن يحدث منها زوايا مختلفة بل لازاوية فيجب أن تكون كرة واذا صح وجود الكرة صح وجود الدائرة * المسئلة الرابعة فى المتقدم والمتأخر والقديم والحادث واثبات المادة لكل متكون التقدم قد يقال بالطبع وهو أن يوجد الشيء وليس الآخر بموجود ولا يوجد الآخر الا وهو موجود كالواحد والاثنين ويقال فى الزمان كتقدم الاب على الابن ويقال فى المرتبة وهو الاقرب الى المبدأ الذى عين كالتقدم فى الصف الاول أن يكون أقرب الى الامام ويقال فى الكمال والشرف كتقدم العالم على الجاهل ويقال بالعلية لان للعلية استحقاقا لوجود قبل المعلول وهما بما هما ذاتان ليس يلزم فيهما خاصية التقدم والتأخر ولا خاصية المعنى ولكن بما هما متضايفان وعلة ومعلول وان أحدهما لم يستفد الوجود من الآخر والآخر استفاد الوجود منه فلا محالة كان المفيد متقدما والمستفيد متأخرا بالذات واذا رفعت العلة ارتفع المعلول لا محالة وليس اذا ارتفع المعلول

ارتفع بارتفاعه العلة بل ان صح فقد كانت العلة ارتفعت أولا لعلة أخرى حتى ارتفع المعلول واعلم ان الشيء كما يكون محدثا بحسب الزمان كذلك قد يكون محـدثا بحسب الذات فان الشيء اذا كان له فى ذاته أن لا يجب له وجوده بل هو باعتبار ذاته ممكن الوجود مستحق العدم لولا علته والذى بالذات يجب وجوده قبل الذى من غير الذات فيكون لكل معلول فى ذاته أولا انه ليس ثم عن العـلة وثانيا انه ليس فيكون كل (٣٩) معلول محـدثا أي مستفيد الوجود من غـيره وان كان مثلا فى جميـع الزمان موجودا مسـتفيدا لذلك الوجود عن موجد فهو محـدث لانه وجوده من بعـــد لا وجوده بعدية بالذات وليس حدوثه انما هو فى آن من الزمان فقط بل هو محدث في الدهر كله ولا يمكن أن يكون حادث بعـد ما لم يكن فى زمان الا وقد تقدمته المادة فانه قبل وجوده ممكن الوجود وامكان الوجود اما أن يكون معنى معـدوما أو معنى موجودا ومحال أن يكون معدوما فان المعدوم قبل والعدوم مع واحد وهو قد سبقه الامـكان والقبل المعدوم موجود مع وجوده فهو اذا معنى موجود وكل معنى موجود فاما قائم لا فى موضوع أو قام فى موضوع وكل ما هو قائم لا فى موضوع فله وجود خاص لا يجب أن يكون به مضافا وامكان الوجود انمـا هو ما هو بالاضافة الى ما هو امكان وجود له فهو اذا معـنى فى موضوع وعارض لموضوع ونحن نسميه قوة الوجود ويسمى حامل قوة الوجود الذى فيه قوة وجود الشيء موضوعا وهيولى ومادة وغـير ذلك فاذاً كل حادث فقد تقدمته المـادة كما تقدمه الزمان * المسئلة الخامسة فى الـكلى والواحد ولواحقهما قال المعنى الـكلى بمـا هو طبيعة ومعنى كالانسان بما هو انسان شيء وبمـا هو واحداً واكثر خاص أو عام شيء بل هذه المعاني عوارض تلزمه لا من حيث هو انسان بل من حيث هو فى الذهن أو فى الخارج

يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما * وقوله * ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيها مهانا الا من تاب وآمن * وقوله تعالى * ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا * وقوله تعالى * ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة * الآية وقوله تعالى * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير * وقوله * انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا * الى قوله تعالي * ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * وقوله تعالى * الذين ياكلون الربا * الآية وذكروا احاديث صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم في وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ومن قتل نفسه بسم او حديد او تردى من جبل فانه يفعل ذلك به فى جهنم خالدا ومن قتل نفسه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار وذكروا ان الـكبيرة تزيل اسم الايمان فبعضهم قال الى شرك وبعضهم قال الى كفر نعمة وبعضهم قال الى نفاق وبعضهم قال الى فسق قالوا فاذا ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة لانه لا يدخل الجنة الا المؤمنون هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة اصلا غير ما ذكرنا وأما من خص القاتل بالتخليد فانهم احتجوا بقوله تعالى * ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقط واما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فاحتجوا بقول الله تعالى * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * قالوا وهذه الآية مثبتة ان كل من توعده الله عز وجل على قتل او زنا او ربا او غير ذلك فانما هم الـكفار خاصة لا غيرهم واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة وان سرق وان شرب الخمر على رغم انف أبي ذر وقول الله عز وجل * ان رحمة الله قريب من المحسنين * قالوا ومن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد احسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ومن رحمه الله فلا يعذب وقالوا كما ان الـكفر محبط لـكل حسنة فان الايمان يكفر كل سيئة والرحمة والعفو اولى بالله عز وجل

(قال أبو محمد) هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا اصلا او يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقد يعذب من هو اقل ذنوبا ممن يغفر له فانهم احتجوا بقول الله عز وجل * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * وبعموم قوله تعالى * يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العبد من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن لم يكن له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا

واذا قدعرفت ذلك فقد يقال كلي للانسانية بلاشرط وهو بهذا الاعتبار موجود بالفعل في اشياء وهو المحمول على كل واحد لا على انه واحد بالذات ولا على انه كثير وقد يقال كلي للانسانية بشرط أنهـا مقولة على كثيرين وهو بهذا الاعتبار ليس موجودا بالفعل فى الاشياء فبين ظاهر ان الانسـان الذى اكتنفته الاعراض المشخصة لم يكتنفه اعراض شخص آخر حتى يكون ذلك (٤٠) بعينه فى شخص زيد وعمرو فلا كلى عام في الوجود بل الكلي العام بالفعل انما هو فى العقل وهي الصـورة التى فى العقل كنقش واحد ينطبق عليه صورة وصورة ثم الواحد يقال لما هو غير منقسم من الجهـة التى قيل انه واحد ومنه مالا ينقسم فى الجنس ومنه ما لا ينقسم في النوع ومنه مالا ينقسم بالعرض العام كالغراب والقير في السواد ومنه ما لا ينقسم بالمناسبة كنسبة العقل الى النفس ومنه مالا ينقسم فى العدد ومنه مالا ينقسم فى الحد والواحد بالعدد اما أن يكون فيه كثرة بالفعل فيكون واحـد بالتركيب والاجتماع واما ان لا يكون ولكن فيه كثرة بالقوة فيكون واحداً بالاتصال وان لم يكن فيه ذلك فهو الواحد بالعدد على الاطلاق وهو العدد الذي بازاء الواحد كما ذكرنا والكثير بالاضافة هو الذى يترتب بازائه القليل فاقل العدد اثنان وأما لواحق الواحد فالمشابهة هو اتحاد فى الكيفية والمساواة هو اتحاد فى الكمية والمجانسة اتحاد فى الجنس والمشاكلة اتحاد فى النوع فلا والموازاة اتحاد فى الاجزاء والمطابقة اتحاد فى الاطراف والمو هو حال بين اثنين جملا اثنين فى الوضع يصير بها بينهما اتحاد بنوع ما وتقابل كل منها من باب الكثير متقابل * المسئلة السـادسة في تعريف واجب الوجود بذاته وانه لا يكون بذاته وبغيره معاً وانه لا كثرة فى ذاته بوجه وانه خير محض وحق وانه واحد من وجوه شتى ولايجوز

قاضيتين على جميع الآيات التى تعلقت بها سائر الطوائف وقالوا الله الامر كله لامعقب لحكمه فهو يفعل مايشاء مانعلم لهم حجة غير ماذكرنا

(قال ابو محمد) واما من قال بمثل هذا الا انه قال الله تعالى ان عذب واحدا منهم عذب الجميع وان غفر لواحد منهم غفر للجميع فانهم قدرية جنحوا بهذا القول نحو العدل ورأوا ان المغفرة لواحد وتعذيب من له مثل ذنوبه جور ومحاباة ولا يوصف الله عز وجل بذلك وأما من قال بالموازنة فانهم احتجوا فقالوا ان آيات الوعيد واخبار الوعيد التى احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة والخوارج فانها لا يجوز ان تخص بالتعلق بها دون آيات العفو واحاديث العفو التى احتج بها من اسقط الوعيد وهى لا يجوز التعلق بها دون الآيات التى حتج بها من اثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها حق وكلها من عند الله وكلها مجمل تفسيرها بايات الموازنة واحاديث الشفاعة التى هى بيان لعموم تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها من عند الله قالوا ووجدنا الله عز وجل قد قال * ياويلتنا مال هذا الـكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل * الاية وقال تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * وقال تعالى * فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا * الاية وقال تعالى * ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * وقال تعالى * وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * وقال تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى * وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى * الى قوله * الجزاء الاوفى * وقال تعالى * وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك * وقال تعالى * ليجزى الذين أساؤا بما عملوا الاية وقال تعالى * هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت * وقال تعالى * وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم * وقال تعالى * وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله * الاية وقال تعالى * ليس بامانيكم ولا امانى اهل الـكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له * الاية وقال تعالى * وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقال تعالى * ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة تضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما * وقال تعالى * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وقال تعالى * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * الى قوله تعالى * قال قرينه ربنا ما اطغيته ولـكن كان فى ضلال بعيد * الى قوله تعالى * وما انا بظلام للعبيد * وقال تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضيه واما من خفت موازينه الى آخر السورة وقال تعالى * ان الحسنات يذهبن السيئات * وقال تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاؤلئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة

أن يكون اثنازواجبي الوجود وفى اثبات واجب الوجود بذاته قال واجب الوجود معناه انه ضرورى الوجود وممكن الوجود معناه انه ليس فيه ضرورة لافى وجوده ولا فى عدمه ثم ان واجب لوجود قد يكون بذاته وقد لا يكون بذاته والقسم الاول هو الذى وجوده لذاته لا لشيء آخر والثاني هوالذى وجوده لشيء آخر أى شيء كان ولو وضع ذلك الشيء صار واجب الوجود مثل الاربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن عند وضع اثنين (٤١) اثنين ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب الوجود بذاته وبغيره معا فانه ان رفع ذلك الغير لم يخل اما أن يبقى وجوب وجوده أو لم يبق فان بقى فلا يكون واجبا بغيره وان لم يبق فلا يكون واجبا بذاته فكل ماهو واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته فان وجوب وجوده تابع لنسبة ماوهى اعتبار غير اعتبار نفس ذات الشيء فاعتبار الذات وحدها أما أن يكون مقتضيا لوجوب الوجود وقد أبطلناه وأما أن يكون مقتضيا لامتناع الوجود وما امتنع بذاته لم يوجد بغيره وأما أن يكون مقتضيا لامكان الوجود وهو الباقى وذلك انما يجب وجوده بغيره لانه ان لم يجب كان بعد ممكن الوجود لم يترجح وجوده على عدمه ولا يكون بين هذه الحالة والاولى فرق وان قيل تجددت حالة فالسؤال عنها كذلك ثم واجب الوجود بذاته لايجوز أن يكون لذاته مبادى تجتمع فيتقوم منها

(٦ - فصل - فى الملل رابع)

واجب الوجود لا أجزاء كمية ولا أجزاء حد سواء كانت كالمادة والصورة أو كانت على وجه آخر بان تكون أجزاء القول الشارح لمعنى اسمه يدل كل واحد منها على شيء هو فى الوجود غير الاخر بذاته وذلك لان كل ماهذا صفته فذات كل جزء منه ليس هو ذات الآخر ولا ذات المجتمع وقد وضح أن الاجزاء بالذات أقدم من الكل فتكون العلة الموجبة للوجود علة للاجزاء ثم للكل ولا يكون شيء منها بواجب الوجود وليس يمكننا أن

فلا يجزى الامثلها * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم * هذا نص كلامه يوم القيامة وهو القاضى على كل مجمل قالوا فنص الله عز وجل انه يضع الموازين القسط وانه لا يظلم احدا شيئا ولا مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة من خير ومن شر فصح ان السيئة لا تحبط الحسنة وان الايمان لا يسقط الكبائر ونص الله تعالى انه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وانه ليس لاحد الا ماسعى وانه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى وانه تعالى يوفى الناس أعمالهم فدخل فى ذلك الخير والشر وانه تعالى يجازى بكل خير وبكل سوء وعمل وهذا كله يبطل قول من قال بالتحابط ضرورة وقول من قال باسقاط الوعيد جملة لان المعتزلة تقول ان الايمان يضيع ويحبط. وهذا خلاف قول الله تعالى انه لا يضيع ليماننا ولا عمل عامل منا وقالوا هم ان الخير ساقط بسيئة واحدة وقال تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت * فقالوهم ان السيآت يذهبن الحسنات وقد نص تعالى أن الاعمال لا يحبطها الا الشرك والموت عليه وقال تعالى * من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فلو كانت كل سيئة أو كبيرة توجب الخلود فى جهنم وتحبط الاعمال الحسنة لكانت كل سيئة أو كل كبيرة كفرا ولتساوت السيئات كلها وهذا خلاف النصوص وعلمنا بما ذكرنا ان الذين قال الله تعالى فيهم * لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم فسقط كل سيئة قدموها وصح ان قوله تعالى * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار * هو فيمن رجحت كبائرهم حسناتهم وان السيئة الموجبة للخلود هى الكفر لان النصوص جاءت بتقسيم السيئات فقال تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فهذه سيئات مغفورة باجتناب الكبائر وقال تعالى * وجزاء سيئة سيئة مثلها . وقال تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . فاخبر تعالى ان من السيئات المجازى بها ماهو مقدار ذرة ومنها ماهو أكبر ولا شك ان الكفر أكبر السيئات فلو كانت كل كبيرة جزاؤها الخلود لكانت كلها كفرا ولكانت كلها سواء وليست كذلك بالنص واما وعيد الله بالخلود فى القاتل وغيره فلو لم يأت الا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها لكنه قد قال تعالى. لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى . وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض وقد صح ان القاتل ليس كافرا وان الزانى ليس كافرا وان أصحاب تلك الذنوب المتوعد عليها ليسوا كفارا بما ذكرنا قبل من انهم مباح لهم نكاح المسلمات وانهم مامورون بالصلات وان زكاة أموالهم مقبوضة وانهم لا يقتلون وانه ان عفى عن القاتل فقاتله مسلم فانه يقتل به وانه يرث ويورث وتؤكل ذبيحته فاذ ليس كافرا فيقين ندرى ان خلوده انما هو مقام مدة ما وان الصلى(١) الذى نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى انما هو صلى الخلود لا يجوز البتة غير هذا وبهذا تتالف

(١) يقال صلى بالنار كرضى وصليها صليا كضرب وصليا كجثيا وبكيا واصطلى بها وتصلاها قاسى حرها

تقول ان الكل اقدم بالذات من الاجزاء فهو أما متاخر واما معا فقد اتضح أن واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة فى جسم ولا صورة فى جسم ولا مادة معقولة لقبول صورة معقولة ولا صورة معقولة فى مادة معقولة ولا قسمة له لا فى الكم ولا فى المبادىء ولا فى القول فهو واجب الوجود من جميع جهاته اذ هو واحد من كل وجه فلا جهة وجهه وأيضا فان قدر بان يكون واجبا من جهة ممكنا من جهة كان امكانه (٤٢) متعلقا بواجب فلم يكن واجب الوجود بذاته مطلقا فينبغى أن يتفطن من هذا ان واجب الوجود لا يتاخر عن وجوده وجود له منتظر بل كل ما هو ممكن له فهو واجب له فلا له ارادة منتظرة ولا علم منتظر ولا طبيعة ولا صفة من الصفات التى تكون بذاته منتظرة وهو خير محض وكمال محض والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شىء ويتم به وجود كل شىء والشر لا ذات له بل هو أما عدم جواهر أو عدم صلاح حال الجوهر فالوجود خيرية وكمال الوجود كمال الخيرية والوجود الذي لا يقارنه عدم لا عدم جوهر ولا عدم حال للجوهر بل هو دائما بالفعل فهو خير محض والممكن بذاته ليس خيرا محضا لان ذاته يحتمل العدم وواجب الوجود هو حق محض لان حقيقة كل شىء خصوصية وجوده الذى يثبت له فلا أحق اذا من واجب الوجود وقد يقال حق أيضا فيما يكون الاعتقاد به لوجوده صادقا فلا أحق بهذه الصفة مما يكون الاعتقاد لوجوده صادقا ومع صدقه دائما ومع دوامه لذاته لا لغيره وهو واحد محض لانه لا يجوز أن يكون نوع واجب الوجود لغير ذاته لان وجود نوعه له بعينه أما أن يقتضيه ذات نوعه او لا يقتضيه ذات نوعه بل يقتضيه علة فان كان وجود نوعه مقتضى ذات نوعه لم يوجد الا له وان كان لعلة فهو معلول فهو اذا تام فى وحدانيته وواحد من جهة تمامية وجوده وواحد من جهة ان حده له وواحد من جهة انه لا ينقسم بالكم ولا بالمبادىء المقومة له ولا باجزاء الحد وواحد من

النصوص وتتفق ومن المعهود فى المخاطبة ان من وفد من بلد الى بلد فحبس فيه لامر أوجب احتباسه فيه مدة ما فانه ليس من أهل ذلك البلد الذى حبس فيه فمن دخل فى النار ثم أخرج منها فقد انقطع عنه صليها فليس من أهلها وانما أهلها وأهل صليها على الاطلاق والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا فهكذا جاء فى الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ثم قال صلى الله عليه وسلم واما أهل النار الذين هم أهلها يعنى الكفار المخلدين فيها وقد قال عز وجل . وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا . فقد بين عليه السلام ذلك بقوله فى الخبر الصحيح ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فبالقرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صح ان ممر الناس من محشرهم الى الجنة انما هو بخوضهم وسط جهنم وينجى الله أولياءه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أو لهم كبائر تابوا عنها او رجحت حسناتهم بكبائرهم او تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم وانه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ثم يخرجهم عنها الى الجنة بايمانهم ويمحق الكفار بتخليدهم فى النار كما قال تعالى . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . وايضا فان كل آية وعيد وخبر وعيد تعلق به من قال بتخليد المذنبين فان المحتجين بتلك النصوص هم اول مخالف لها لانهم يقولون ان من ياتى بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد فقد تركوا ظاهر تلك النصوص فان قالوا انما قلنا ذلك بنصوص أخر اوجبت ذلك قيل لهم نعم وكذلك فعلنا بنصوص آخر وهى آيات الموازنة وانه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير او شر ولا فرق ويقال لمن اسقط آيات الوعيد جملة وقال انها كلها انما جاءت فى الكفار ان هذا باطل لان نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ليس الا على المؤمن بيقين بنص الاية فى قوله تعالى . ومن يولهم يومئذ دبره . ولا يمكن ان يكون هذا فى كافر اصلا فسقط قول من قال بالتخليد وقول من قال باسقاط الوعيد ولم يبق الا قول من اجمل جواز المغفرة وجوز العقاب

﴿ قال أبو محمد ﴾ فوجدنا هذا القول مجملا قد فسرته آيات الموازنة وقوله تعالى الذى تعلقوا به * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * حق على ظاهرها وعلى عمومها وقد فسرتها باقرارهم آيات أخر لانه لا يختلف فى ان الله تعالى يغفر ان يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك وكذلك قوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . فهذا كله حق الا انه قد بين من هم الذين شاء ان يغفر لهم فان صرتم الى بيان الله تعالى فهو الحق وان ابيتم الا الثبات على الاجمال فاخبرونا عن قول الله تعالى . ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا . وقوله تعالى . بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . أترون ان هذا العموم تقولون به فتجيزون انه يغفر الكفر لانه

ذنب

جهة ان لكل شيء وحدة محضة وبهاكمال حقيقته الذاتية وواحد من جهة ان مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس الا له فلا يجوز اذا أن يكون اثنان كل واحد منهما واجب الوجود بذاته فيكون وجوب الوجود مشتركا فيه على أن يكون جنسا أو عارضا ويقع الفصل بشيء اخر اذ يلزم التركيب في ذات كل واحد منهما بل ولا نظن أنه موجود وله ماهية وراء الوجود كطبيعة الحيوان واللون مثلا الجنسين الذين (٤٣) يحتاجان الى فصل وفصل حتى يتقررا في وجودهما لان تلك الطبائع معلومة وانما يحتاجان لا في نفس الحيوانية واللونية المشتركة بل في الوجود وها هنا فوجوب الوجود هو الماهية وهو مكان الحيوانية التي لا يحتاج الى فصل في ان يكون موجودا ولا يظن ان يكون حيوانا بل في ان يكون موجودا ولا يظن ان واجبي الوجود لا يشتركان في شيء ما كيف وهما مشتركان في وجوب الوجود ومشتركان في البراءة عن الموضوع فان كان واجب الوجود يقال عليهما بالاشتراك فكلامنا ليس في منع كثرة اللفظ والاسم بل في معنى واحد هي معاني ذلك الاسم وان كان بالتواطؤ فقد حصل معنى عام عموم لازم أو عموم جنس وقد بينا استحالة هذا وكيف يكون عموم وجوب الوجود لشيئين على سبيل اللوازم التي تعرض من خارج واللوازم معلومة وأما اثبات واجب الوجود فليس يمكن الا لبرهان ان وهو الاستدلال بالممكن عن الواجب فنقول كل جملة من حيث انها جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية اذا كانت مركبة من ممكنات فانها لا تخلوا اما ان كانت واجبة بذاتها أو ممكنة بذاتها فان كانت واجبة الوجود بذاتها وكل واحد منها ممكن الوجود يكون واجب الوجود يتقوم بممكنات الوجود هذا خلف وان كانت ممكنة الوجود بذاتها فالجملة محتاجة في الوجود الى مفيد للوجود فاما ان يكون المفيد خارجا عنها أو داخلا فيها فان كان داخلا فيها

ذنب من الذنوب ام لا واخبرونا عن قول الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام انه يقول له تعالى يوم القيامة . ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك . الى قوله . وانت على كل شيء شهيد . الى قوله تجري من تحتها الانهار أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وامه الهين من دون الله تعالى في جواز المغفرة لهم لصدق قول الله تعالى في هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم او تعذيبهم واخبرونا عن قوله تعالى . قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة . فمن قولهم ان المغفرة لاتكون البتة لمن كفر ومات كافرا وانهم خارجون من هذا العموم ومن هذه الجملة بقوله تعالى . ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . قيل لهم ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ولم تخصوا قوله تعالى . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . بقوله . فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية . وبقوله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . وبقوله تعالى . اليوم تجزي كل نفس بما كسبت . وهذا خبر لا نسخ فيه فان قالوا نعم الا ان يشاء ان يغفر لهم قيل لهم قد اخبر الله تعالى انه لا يشاء ذلك باخباره تعالى انه في ذلك اليوم يجزى كل نفس ما كسبت ولا فرق

(قال أبو محمد) وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل يأتي يوم القيمة وله صدقة وصيام وصلاة فيوجد قد سفك دم هذا وشتم هذا فتؤخذ حسناته كلها فيقتص لهم منها فاذا لم يبق له حسنة قذف من سيآتهم عليه ورمي في النار وهكذا اخبر عليه السلام في قوم يخرجون من النار حتى اذا نقوا وهذبوا ادخلوا الجنة وقد بين عليه السلام ذلك بانه يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من شعير من خير ثم من في قلبه مثقال برة من خير ثم من في قلبه مثقال حبة من خردل ثم من في قلبه مثقال ذرة الى ادنى ادنى ادنى من ذلك ثم من لم يعمل خيرا قط الا شهادة الاسلام فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثم يقال اخبرونا عمن لم يعمل شرا قط الا اللمم ومن هم بالشر فلم يفعله فمن قول اهل الحق انه مغفور له جملة بقوله تعالى * الا اللمم * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تخرجه بقول او عمل

(قال ابو محمد) وهذا ينقسم أقساما احدها من هم بسيئة اي شيء كانت من السيآت ثم تركها مختارا لله تعالى فهذا تكتب له حسنة فان تركها مغلوبا لا اختيارا لم تكتب له حسنة ولا سيئة تفضلا من الله عز وجل ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ولو هم بحسنة ولو يعملها كتبت له حسنة واحدة ان عملها كتبت له عشر حسنات وهذا كله نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب الى ان الهم بالسيئة اصرار عليها فقلت له

ويكون واحد منها واجب الوجود وكان كل واحد منها ممكن الوجود هذا خلف فتعين ان المفيد يجب ان يكون خارجا عنها وذلك هو المطلوب المسئلة السابعة فى ان واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والاشياء وصفاته الايجابية والسلبية لا توجب كثرة فى ذاته وكيفية صدور الافعال عنه قال العقل يقال على كل مجرد من المادة واذا كان مجردا بذاته فهو عقل لذاته وواجب ٤٤ الوجود مجرد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته وبما يعتبر له ان المجردة لذاته فهو معقول لذاته وربما يعتبر له أن ذاته له هوية مجردة فهو عاقل لذاته وكونه عاقلا ومعقولا لا يوجب ان يكون اثنين في الذات ولا اثنين فى الاعتبار فانه ليس تحصيل الامرين الا انه له ماهية مجردة وانه ماهية مجردة ذاته له وهاهنا تقديم وتأخير فى ترتيب المعانى فى عقولنا والغرض المحصل هو شيء واحد وكذلك عقلنا لذاتنا هو نفس الذات واذا عقلنا شيئا فلسنا نعقل ان نعقل بعقل اخرى لان ذلك يؤدى الى التسلسل ثم لما لم يكن جمال وبهاء فوق ان يكون الماهية عقلية صرفة وخيرية محضة برية عن المواد وانحاء النقص واحدة من كل جهة ولم يسلم لذلك بكنهه الا واجب الوجود فهو الجمال المحض والبهاء المحض وكل جمال وبهاء وملائم وخير فهو محبوب معشوق وكل ما كان الادراك أشد اكتناها والمدرك أجمل ذاتا فحب القوة المدركة له وعشقه له والتذاذه به كان أشد وأكثر فهو أفضل مدرك لا فضل الآخر مدرك وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته عشق من غيره أو لم يعشق وأنت تعلم أن ادراك العقل للمعقول أقوى من من ادرك الحس للمحسوس لان العقل انما يدرك الامر الباقى ويتحد به ويصير هو هو ويدركه بكنهه لا بظاهره ولا كذلك الحس واللذة التى لنا بان نعقل فوق الذى بان نحس لكنه قد يعرض ان يكون القوة الداركة لا تستلذ بالملائم

هذا خطا لان الاصرار لا يكون الا على ماقد فعله المرء بعد تماد عليه از يفعله واما من هم بما لم يفعل بعد فليس اصرارا قال الله تعالى * ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون * ثم نسالهم عمن عمل بالسيئات حاشا الكبائر عددا عظيما ولم يات كبيرة قط ومات على ذلك أيجوزون ان يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم يقولون أنها مغفورة له ولا بد فان قالوا أنها مغفورة ولا بد صدقوا وكانوا قد خصوا قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وتركوا حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها ايضا بنص آخر وان قالوا بل جائز ان يعذبهم الله تعالى على ذلك اكذبهم الله تعالى بقوله * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ونعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل ثم نسالهم عمن عمل من الكبائر ومات عليها وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة ايجوز ان يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر ام هى مغفورة له ساقطة عنه فان قالوا بل هى مغفورة وساقطة عنه صدقوا وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وجعلوا هؤلاء ممن شاء ولابد ان يغفر لهم وان قالوا بل جايز ان يعذبهم أكذبهم الله تعالى بقوله فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية . وبقوله . ان الحسنات يذهبن السيئات .

(قال أبو محمد) وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم أهل الاعراف فلا يعذبون أصلا فقد صح يقينا ان هؤلاء الطبقات الاربع هم الذين شاء الله تعالى ان يغفر لهم بلاشك فبقي الذين لم يشاء الله تعالى ان يغفر لهم ولم يبق من الطبقات احد الا من رجحت كبائره فى الموازنة على حسناته فهو الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة وبرحمة الله عز وجل فقالوا من هؤلاء من يغفر الله تعالى له ومنهم من يعذبه قلنا لهم اعندكم بهذا البيان نص وهم لا يجدونه ابدا فظهر تحكمهم بلا برهان وخلافهم لجميع الآيات التى تعلقوا بها فانهم مقرون على انها ليست على عمومها بل هى مخصوصة لان الله تعالى قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ولا خلاف فى انه تعالى يغفر الشرك لمن آمن فصح انها مجملة تفسرها ساير الايات والاخبار وكذلك حديث عبادة خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء غفر له وان شاء عذبه فانهم متفقون على ان من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئا الا أنه قتل وزني وسرق فانه قد يعذب ويقولون أن لم يات بهن فانه لا يعذب على التابيد بل يعذب ثم يخرج عن النار

(قال ابو محمد) هذا ترك منهم ايضا لظاهر هذا الخبر

(قال ابو محمد) ولا فرق بين قول الله تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وبين قوله . واما من خفت موازينه فامه هاوية . كلاهما خبر ان جاز ابطال أحدهما جاز ابطال

الاخر ومعاذ الله من هذا القول وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول بقوله تعالى . لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد. ونحن نقول ان الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وانه تعالى يغفر مادون الشرك لمن يشاء وان كل احد فهو فى مشيئة الله تعالى الا اننا نقول انه تعالى قد بين من يغفر له ومن يعذب وان الموازين حق، الموازنة حق والشفاعة حق وبالله تعالى التوفيق حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا احمد بن عبد النصير حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا سفيان الثورى عن خالد الحذاء عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله تعالى . وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص. قال ما وعدوا فيه من خير وشر وهذا هو نص قولنا وقد ادعى قوم ان خلاف الوعيد حسن عند العرب وانشدوا

واني وان اوعدته أو وعدته . لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

(قال ابو محمد) وهذا الشىء قد جعل فخر صبي احمق كافر حجة على الله تعالى والعرب تفخر بالظلم قال الراجز

احيا اباه هاشم بن حرمله . ترى الملوك حوله مغربله

يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وقد جعلت العرب مخلف الوعد كاذبا قال الشاعر أنشده أبو عبيدة معمر بن المثنى

اتوعدنى وراء بنى رباح . كذبت لتقصرن يداك دونى

فان قالوا خصوا وعيد الشرك بالموازنة قلنا لا يجوز لان الله تعالى منع من ذلك قال تعالى . ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم . فمن حبط عمله فلا خير له

(قال ابو محمد) وأهل النار متفاضلون فى عذاب النار فاقلهم عذابا ابو طالب فانه توضع جمرتان من نار فى اخمصيه الى ان يبلغ الامر الى قوله تعالى . ادخلوا آل فرعون أشد العذاب . وقوله تعالى . ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار . ولا يكون الاشد الا الى جنب الادون وقال تعالى . ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر .

(قال ابو محمد) والكفار معذبون على المعاصي التى عملوا من غير الكفر برهان ذلك قول الله سبحانه وتعالى . ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين . فنص تعالى على ان الكفار يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين

(قال أبو محمد) وأما من عمل منهم العتق والصدقة اونحو ذلك من اعمال البر فحابط كل ذلك لان الله عز وجل قال انه من مات وهو كافر حبط عمله لكن لا يعذب الله احدا الا على ما عمل لا على مالم يعمل قال الله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذابا زائدا فالذى اطعم المسكين مع كفره لا

لعوارض كالمرور يسعمر العسل لعارض واعلم ان واجب الوجود ليس يجوز ان يعقل الاشياء من الاشياء والا فذاته اما متقومة بما يعقل او عارض لها ان يعقل وذلك محال بل كما انه مبدء كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدء له وهو مبدء للموجودات التامة باعيانها والموجودات الكائنة الفاسدة بانواعها أولا وبتوسط ذلك أشخاصها ولا يجوز ان يكون عاقلا لهذه المتغيرات مع تغيرها حتى يكون تارة يعقل منها انها موجودة غير معدومة وتارة لا أى معدومة غير موجوبة ولكل واحد من الامرين صورة عقلية على حدة لا واحد من الصورتين تبقى مع الثانية فيكون واجب الوجود متغير الذات بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو فعلى كلى ومع ذلك فلا يعذب عنه شيء شخصي فلا يعذب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وأما كيفية ذلك فلانه اذا عقل ذاته وعقل انه مبدء كل موجود عقل أوائل الموجودات وما يتولد عنها ولا شيء من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجبا بسببه فتكون الاسباب بمصادماتها تتأدى الى أن يوجد عنها الامور الجزوية فالاول يعلم الاسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما تتأدى اليه وما بينها من الازمنة وما لها من العودات فيكون مدركا للامور الجزئية من حيث هى كلية أعنى من حيث لها صفات وان تخصصت بها شخصا فبالاضافة الى زمان متشخص اوحال متشخصة ويعقل ذاته ونظام الخير الموجود فى الكل ونفس مدركة من الكل هو سبب لوجود الكل ومبدأته وأبداع وايجاد ولا يستبعد هذا فان الصورة المعقولة التى تحدث فينا تصير سببا الصورة الموجودة الصناعية ولو كانت نفس وجودها كافية لان يتكون منها الصورة الصناعية دون آلات وأسباب لكان المعقول عندنا هو بعينه الارادة والقدرة وهو العقل المقتضى لوجوده فواجب الوجود ليس ارادته وقدرته مغايرة لعلمه لكن القدرة التى له هى كون ذاته عاقلة للكل عقلاء هو مبدأ الكل

لاماخوذ عن الكل ومبدأ بذاته لامتوقفا على غرض وذلك هو ارادته وجواد بذاته وذلك هو بعينه قدرته وارادته وعلمه فالصفات منها ماهو بهذه الصفة انه موجود مع هذه الاضافة ومنها هذا الوجود مع سلب كمن لم يتحاش عن اطلاق لفظ الجوهر لم يعن به الا هذا الوجود مع سلب الكون في موضوع وهو واحد أى مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول والمسلوب عنه الشريك وهو عقل وعاقل (٤٦) ومعقول أى مسلوب عنه جواز مخالطة المادة وعلايقها مع اعتبار اضافة ما وهو أول أى مسلوب عنه الحدوث مع اضافة وجوده الى الكل وهو مريد أى واجب الوجود مع عقليته أى سلب المادة عنه مبدأ لنظام الخير كله وجواد أى هو بهذه الصفة بزيادة سلب أى لا ينحوا غرضا لذاته فصفاته أما اضافية محضة واما مؤلفة من اضافة وسلب وأما سلبية محضة وذلك لا يوجب تكثرا في ذاته قال واذا عرفت انه واجب الوجود وانه مبدأ لكل موجود فما يجوز أن يوجد عنه يجب أن يوجد وذلك لان الجائز ان يوجد وان لا يوجد اذا تخصص بالوجود احتياج الى مرجح لجانب الوجود والمرجح اذا كان على الحال الذى كان قبل الترجيح ولم يعرض البتة شيء فيه ولا مباين عنه يقتضى الترجيح فى هذا الوقت دون وقت قبله أو بعده وكان الامر على ما كان لم يكن مرجحا اذا كان التعطل عن الفعل والفعل عنده بمثابة واحدة فلا بد وان يعرض له شيء وذلك لا يخلوا ماان يعرض فى ذاته وذلك يوجب التغير وقد قدمنا أن واجب الوجود لا يتغير ولا يتكثر وأماان يعرض مباينا عن ذاته والكلام فى ذلك المباين كالكلام فى سائر الافعال قال والعقل الصريح الذى لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع جهاتها واحدة وهى كما كانت وكان لا يوجد عنها شيء فيما قبل وهى الآن كذلك فالآن لا يوجد عنها شيء فاذا صار الان يوجد منها شيء فقد حدث أمر لا محالة من قصد أو ارادة أو طبع أو قدرة او تمكن

يعذب ذلك العذاب الزائد فهو أقل عذابا لانه لم يعمل من الشر ما عمل من هو أشد عذابا لانه عمل خيرا

(قال ابو محمد) وكل كافر عمل خيرا وشرا ثم اسلم فان كل ما عمل من خير مكتوب مجازى به فى الجنة وأما ما عمل من شر فان تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه وان تمادى عليه أخذ بما عمل فى كفره وبما عمل في اسلامه برهان ذلك حديث حكم بن حزام عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال يارسول الله اشياء كنت اتحنث بها فى الجاهلية من عتق وصدقة وصلة رحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ماسلف لك من خير فاخبر انه خير وانه له اذا اسلم وقالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله ارأيت ابن جدعان فانه كان يصل الرحم ويقرىء الضيف أينفع ذلك قال لا لانه لم يقل يوما . رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين . فاخبر عليه السلام انه لم ينتفع بذلك لانه لم يسلم فاتفقت الاخبار كلها على انه لو اسلم لنفعه ذلك واما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضى الله عنه بنص ما قلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلناه فان اعترض معترض بقول الله تعالى * لئن اشركت ليحبطن عملك . قلنا انما هذا لمن مات مشركا فقط برهان ذلك ان الله تعالى قال لئن اشركت ليحبطن عملك * ومن أسلم فليس من الخاسرين وقد بين ذلك بقوله * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم * وان اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة بما عمل فى الكفر بقوله تعالي . قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف. قلنا لم هذا حجة لنا لان من انتهى عن الكفر غفر له وان انتهى عن الزنا غفر له وان لم ينته عن الزنا لم يغفر له فانما يغفر له ما انتهى عنه ولم يغفر له مالم ينته عنه ولم يقل تعالى ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم سائر ذنوبهم والزيادة على الآية كذب على الله تعالى وهى اعمال متغايرة كما ترى ليست التوبة عن بعضها توبة عن سائرها فلكل واحد منها حكم فان ذكروا حديث عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ماقبله فقد قلنا ان الاسلام اسم لجميع الطاعات فمن اصر على المعصية فليس فعله فى المعصية التى يتمادى عليها اسلاما ولا ايمانا كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يزني الزانى حين يزني وهو مؤمن فصح ان الاسلام والايمان هو جميع الطاعات فاذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الاسلام الذى يجب ماقبله واذا لم يتب من معاصيه فلم يحسن فى الاسلام فهو ماخوذ بالاول والآخر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا تتفق الاحاديث وكذلك قوله عليه السلام والهجرة تجب ما قبلها فقد صح عنه عليه السلام ان المهاجر من هجر مانهاه الله عنه فمن تاب من جميع المعاصى التى سلفت منه فقد هجر مانهاه الله عنه فهذه هى الهجرة التى تجب ماقبلها واما قوله عليه السلام والحج يجب ماقبله فقد جاء ان العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا

الجنة

الجنة فهذا على الموازنة التي ربنا عز وجل عالم بمراتبها ومقاديرها وانما نقف حيث وقفنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واستدركنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في قاتل نفسه حرم عليه الجنة واوجب له النار مع قوله من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم عليه النار واوجب لها لجنة

(قال ابو محمد) قال الله تعالى * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * فصح ان كلامه صلى الله عليه وسلم كله وحي من عند الله تعالى وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح ان ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن عند الله تعالى وانه لا اختلاف في شيء منه وانه كله متفق عليه فاذ ذلك كذلك فواجب ضم هذه الاخبار بعضها الى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم في القاتل حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار مبني على الموازنة فان رجحت كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة حتى يقتص منه بالنار التي اوجبها الله تعالى جزاء على فعله وبرهان هذا الحديث الذي اسلم وهاجر مع عمرو بن الحممة الدوسي ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتالم به فقطع عروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في حال حسنه الا يده وذكرا ه قيل له لن يصلح منك ما افسدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم وليديه فاغفر ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم الله عليه النار واوجب له الجنة فهذا لا يختلف فيه مسلمان انه ليس على ظاهره منفرداً لكن يضمه الى غيره من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والبراءة من كل دين حاشا دين الاسلام ومعناه حينئذ ان الله عز وجل اوجب له الجنة ولابد اما بعد الاقتصاص واما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة وحرم الله عليه ان يخلد فيها ويكون من اهلها القاطنين فيها على ما بينا قبل من قوله تعالى * لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ومن يعمل سوءاً يجز به وما كان الله ليضيع ايمانكم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقوله تعالى * يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها * فنص الاية انها في الكفار هكذا في نص الاية

(قال ابو محمد) وأما الكفارة فان الله تعالى قال * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيا تكم وندخلكم مدخلا كريما *

(قال ابو محمد) ومن المحال ان يحرم الله تعالى علينا امرا و يفرق بين احكامه و يجعل بعضه مغفورا باجتناب بعض ومؤاخذاً به ان لم يجتنب البعض الآخر ثم لا يبين لنا المهلكات من غيرها فنظرنا في ذلك فوجدنا قوما يقولون ان كل ذنب فهو كبيرة

(قال أبو محمد) وهذا خطأ لان نص القرآن مفرق كما قلنا بين الكبائر وغيرها و بالضرورة

او غرض ولان الممكن أن يوجد وان لا يوجد لا يخرج الى الفعل ولا يترجح له ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات موجودة ولا ترجح ولا يجب عنها الترجيح ثم رجح فلابد من حادث موجب للترجيح في هذه الذات والا كانت نسبتها الى ذلك الممكن على ما كان قبل ولم يحدث لها نسبة اخرى فيكون الامر بحاله ويكون المكان امكانا صرفا بحاله واذا حدثت لها نسبة فقد حدث أمر ولابد من أن يحدث في ذاته أو مباين عن ذاته وقد (٤٧) بينا استحالة ذلك وبالجملة فانا نطلب النسبة الموقعة لوجود كل حادث في ذاته أو مباين عن ذاته ولا نسبة اصلا فيلزم ان لا يحدث شيء أصلا وقد حدث فيعلم انه انما حدث بايجاب من ذاته وانه سبقه لا بزمان ووقت ولا تقدير زمان بل سبقا ذاتيا من حيث انه هو الواجب لذاته وكل ممكن بذاته فهو محتاج الى الواجب لذاته فالممكن مسبوق بالواجب فقط والمبدع مسبوق بالمبدع فقط لا بالزمان *

المسئلة الثامنة في ان الواحد لا يصدر عنه الا الواحد وفي ترتيب وجود العقول والنفوس والأجرام العلوية وان المحرك القريب للسمويات نفس والمبدأ الابعد عقل وحال تكون الاستقصات عن العلل اذا صح ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته فلا يجوز ان يصدر عنه الا واحد ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزوما معا فانما يلزمان عن جهتين مختلفتين في ذاته ولو كانت الجهتان لازمتين لذاته فالسؤال في لزومهما ثابت حتى يكونا من ذاته فيكون ذاتها منقسما بالمعنى وقد منعناه وبينا فساده فتبين أن أول الموجودات عن الاول واحد بالعدد وذاته وماهيته واحدة لا في مادة وقد بينا ان كل ذات لا في مادة فهو عقل وانت تعلم ان في الموجودات اجساما وكل جسم ممكن الوجود في حيز نفسه وانه يجب بغيره وعلمت انه لا سبيل الى أن يكون عن الاول بغير واسطة وعلمت ان الواسطة واحدة فبالحرى أن يكون عنها المبدعات الثانية والثالثة

وغيرها بسبب اثنينية فيها ضرورة فالمعلول الاول ممكن الوجود بذاته وواجب الوجود بالاول ووجوب وجوده بانه عقل وهو يعقل ذاته و يعقل الاول ضرورة وليست هذه الكثرة له من الاول فان امكان وجوده له بذاته لا بسبب الاول بل له من الاول وجوب وجوده ثم كثرة انه يعقل الاول ويعقل ذاته كثرة لازمة او جوب وجوده عن الاول وهذه كثرة ضافية ليست فى أول وجوده وداخلة (٤٨) فى مبدأ قوامه ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن أن يوجد منها الا واحدة ولكان يتسلسل الوجود من وحدات فقط فما كان يوجد جسم فالعقل الاول يلزم عنه بما يعقل الاول وجود عقل تحته وبما يعقل ذاته وجود صورة الفلك وكماله وهى النفس وبطبيعة امكان الوجود الخاصية له المندرجة فيما يعقله لذاته وجود جرمية الفلك الا على المندرجة فى جملة ذات الفلك الاعلى بنوعه وهو الامر المشارك للقوة فبما يعقل الاول يلزم عنه عقل وبما يختص بذاته على جهتيه الكرة الاولى بجزئيها أعنى المادة والصورة والمادة بتوسط الصورة أو مشاركتها كما ان امكان الوجود يخرج الى الفعل بالفعل الذى يحاذى صورة الفلك وكذلك الحال فى عقل عقل وفلك فلك الى أن ينتهى الى العقل الفعال الذي يدبر أنفسنا وليس يجب أن يذهب هذا المعنى الى غير النهاية حتى يكون تحت كل مفارق مفارقا فانه ان لزم كثرة عن العقول فبسبب الى المعاني التى فيها من الكثرة وقولنا هذا ليس ينعكس حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة فلزم كثرته هذه المعلولات ولا هذه العقول متفقة الانواع حتى يكون مقتضى معانيها متفقا ومن المعلوم ان الافلاك كثيرة فوق العدد الذى فى المعلول الاول فليس يجوز أن يكون مبدؤها واحدا هو المعلول الاول ولا أيضا يجوز أن يكون كل جرم متقدم منها علة للمتأخر لان الجرم بما هو جرم مركب من مادة وصورة فلو كان علة لجرم لكان بمشاركة المادة والمادة لما

ندرى انه لا يقال كبيرة الا بالاضافة الى ما هو أصغر منها والكبائر ايضا تتفاضل فالشرك اكبر مما دونه والقتل اكبر من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهما لا يعذبان وما يعذبان فى كبير وانه لكبير اما احدهما فكان لا يستبرىء من بوله واما الآخر فكان يمشى بالنميمة فاخبر عليه السلام انهما كبير وما هما بكبير وهذا بين لانهما كبيران بالاضافة الى الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر وليسا بكبيرين بالاضافة الى الكفر والقتل (قال ابو محمد) فبطل القول المذكور فنظرنا فى ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب مما ليس بكبير منها لا يعلم البتة الا بنص وارد فيها اذ هذا من احكام الله تعالى التى لا تعرف الا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب فى القرآن وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا ذنوبا أخر لم ينص عليها بوعيد فعلمنا يقينا ان كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار اوتوعد عليه رسوله صلى الله عليه وسلم بالنار فهو كبير وكل ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعظامه فهو كبير كقوله عليه السلام اتقوا السبع الموبقات الشرك والسحر والقتل والزنا وذكر الحديث وكقوله عليه السلام عقوق الوالدين من الكبائر وكل ما لم يات نص باستعظامه ولا جاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا يمكن ان يكون الوعيد بالنار على الصغائر على انفرادها لانها مغفورة باجتناب الكبائر فصح ما قلناه وبالله تعالى التوفيق

الموافاة

(قال أبو محمد) اختلف المتكلمون فى معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم انهم قالوا فى انسان مؤمن صالح مجتهد فى العبادة ثم مات مرتدا كافرا وآخر كافر متمرد او فاسق ثم مات مسلما تائبا كيف كان حكم كل واحد منهما قبل ان ينتقل الى ما مات عليه عند الله تعالى فذهب هشام ابن عمرو الفوطى وجميع الاشعرية الى ان الله عز وجل لم يزل راضيا عن الذى مات مسلما تائبا ولم يزل ساخطا على الذى مات كافرا او فاسقا واحتجوا فى ذلك بان الله عز وجل لا يتغير علمه ولا يرضى ما سخط ولا يسخط ما رضي وقالت الاشعرية الرضا من الله عز وجل لا يتغير منه تعالى صفات الذات لا يزولان ولا يتغيران ( ) وذهب سائر المسلمين الى ان الله عز وجل كان ساخطا على الكافر والفاسق ثم رضى الله عنهما اذا أسلم الكافر وتاب الفاسق وانه كان تعالى راضيا عن المسلم وعن الصالح ثم سخط عليهما اذا كفر المسلم وفسق الصالح (قال ابو محمد) احتجاج الاشعرية ههنا هو احتجاج اليهود فى ابطال النسخ ولا فرق ونحن نبين بطلان احتجاجهم وبطلان قولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عز وجل نتايد أما قولهم عن علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ولكن معلوماته تتغير ولم نقل ان علمه يتغير ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحدا يعلم كل شىء على تصرفه فى جميع حالاته فلم

يزل

طبيعة عدمية والعدم ليس مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ لجرم ولا يجوز أن يكون مبدؤها قوة نفسانية هي صورة الجرم وكماله اذ كل نفس لكل فلك فهو كماله وصورته ليس جوهرا مفارقا والا كان عقلا وأنفس الافلاك انما يصدر عنها أفعالها في أجسام اخرى بواسطة اجسامها في مشاركتها وقد بينا ان الجسم من حيث هو جسم لا يكون مبدأ الجسم ولا يكون متوسطا بين نفس ونفس ولو أن نفسا مبدأ (٤٩) النفس بغير توسط الجسم فلها انفراد قوام من دون الجسم وليست النفس الفلكية كذلك فلا تفعل شيئا ولا تفعل جسما فان النفس متقدمة على الجسم في المرتبة والكمال فتعين الافلاك مبادي غير جرمانية وغير صور للاجرام والجميع يشترك في مبدأ واحد وهو الذي نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبدأ خاص فيه فيلزم دائما عقل عن عقل حتى يتكون الافلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهي بالفلك الاخير ويقف حيث يمكن أن تحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد تكثر الاسباب فكل عقل هو أعلى في المرتبة فانه يمنى فيه وهو انه بما يعقل الاول يجب عنه وجود عقل آخر دونه وبما يعقل ذاته يجب عنه فلك بنفسه فاما جرم الفلك فمن حيث انه يعقل بذاته الممكن لذاته وانما نفس الفلك فمن حيث انه يعقل ذاته الواجب بغيره ويستبقي الجرم بتوسط النفس الفلكية فان كل صورة هي علة لكون مادتها بالفعل والمادة بنفسها لا قوام لها كما أن الامكان نفسه لا وجود له واذا استوفت الكرات السموية عددها لزم بعدها وجود الاستقصات ولما كانت الاجرام الاستقصية كائنة فاسدة وجب أن تكون مبادبها متغيرة فلا يكون ماهو عقل محض وحده سببا لوجودها ولما كانت لها مادة مشتركة وصور مختلفة فيها وجب أن يكون اختلاف صورها مما تعين فيه اختلاف في أحوال الافلاك وأيضا

يزل يعلم أن زيدا سيكون صغيرا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم ميتا ثم مبعوثا ثم في الجنة أو في النار ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر أو أنه يكفر ثم يؤمن أو أنه يكفر ولا يؤمن أو انه يؤمن ولا يكفر وكذلك القول في الفسق والصلاح ومعلوماته تعالى في ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات وأما قولهم أن الله تعالى لا يسخط مارضي ولا يرضي ماسخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ورضي لهم ذلك وسخط منهم خلافه وكذلك أحل لنا الخمر ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الاسلام ورضي لنا شرب الخمر وأكل رمضان والبقاء بلا صلاة وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالى * ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه * ثم فرض علينا الصلاة والصوم وحرم علينا الخمر فسخط لنا ترك الصلاة وأكل رمضان وشرب الخمر ورضي لنا خلاف ذلك وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى عليما انه سيحل ما كان احل من ذلك مدة كذا وانه سيرضى منه ثم انه سيحرمه ويسخطه وانه سيحرم ماحرم من ذلك ويسخطه مدة ثم انه يحله ويرضاه كما علم عز وجل انه سيحيي من احياه مدة كذا وانه يعز من اعزه مدة ثم يذله وهكذا جميع مافي العالم من آثار صنعته عز وجل لا يخفى ذلك على من له ادنى حس وهكذا المؤمن يموت مرتدا والكافر يموت مسلما فان الله تعالى لم يزل يعلم انه سيسخطه فعل الكافر مادام كافرا ثم انه يرضى عنه اذا اسلم وان الله تعالى لم يزل يعلم انه يرضى عن افعال المسلم وافعال البر ثم انه يسخط افعاله اذا ارتد او فسق ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى * ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم * فصح يقينا ان الله تعالى يرضى الشكر ممن شكره فيما شكره ولا يرضي الكفر ممن كفر اذا كفر متى كفر كيف كان انتقال هذه الاحوال من الانسان الواحد وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان لا يمكن ان يحبط عمل الا وقد كان غير حابط ومن المحال ان يحبط عمل لم يكن محسوبا قط فصح ان عمل المؤمن الذي ارتد ثم مات كافرا انه كان محسوبا ثم حبط اذا ارتد وكذلك قال الله تعالى * يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب * فصح انه لا يمحو الا ما كان قد كتبه ومن المحال ان يمحي مالم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقينا ولله الحمد وكذلك نص قوله تعالى * أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فهذا نص قولنا و بطلان قولهم لان الله تعالى سمى افعالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ثم اخبر تعالى انه احالها وبدلها حسنات مرضية فمن انكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذب له وكذلك قال الله تعالى انه سخط ا كل آدم من الشجرة وذهاب يونس مغاضبا ثم اخبر عز وجل انه تاب عليهما واجتبى يونس بعد ان لامه ولا يشك كل ذي عقل ان اللائمة غير الاجتباء

ومادتها مما تعين فيه اتفاق في أحوال الافلاك فالافلاك لما اتفقت في طبيعة اقتضى الحركة المستديرة كما تبين كان مقتضاها وجود المادة ولما اختلفت في أنواع الحركات كان مقتضاها تهيء المادة للصور المختلفة ثم العقول المفارقة بل آخرها الذي يلينا هو الذي يفيض عنه بمشاركة الحركات السموية شيء فيه رسم صور العالم الاسفل من جهة الانفعال كما ان في ذلك العقل ارتسم الصور على جهة الفعل (٥٠) ثم يفيض منه الصور فيها بالتخصيص بمشاركة الاجرام السموية فيكون اذ خصص هذا الشيء تاثير من التاثيرات السموية بلا واسطة جسم عنصري أو بواسطة تجعله على استعداد خاص به بعد العام الذي كان في جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة وارتسمت في تلك المادة وأنت تعلم أن الواحد لا يخصص الواحد من حيث كل واحد منهما واحد بامر دون أمر يكون له الا ان يكون هناك مخصصات مختلفة وهي معدات المادة والمعد هو الذي يحدث عنه في المستعد أمر ما يصير مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء آخر ويكون هذا الاعداد مرجحا الوجود ما هو أولى منه من الاوائل الواهبة للصور ولو كانت المادة على التهيء الاول تشابهت نسبتها الى الضدين فلا يجب أن تختص بصورة دون صورة قال والاشبه أن يقال ان المادة التي تحدث بالشركة يفيض اليها من الاجرام السموية أما عن أربعة أجرام أو عدة منحصرة في أربع أو عن جرم واحد وله تكون نسب مختلفة انقساما من الاسباب منحصرة في أربع فتحدث منها العناصر الاربع وانقسمت بالخفة والثقل فما هو الخفيف المطلق فيميله الى الفوق وماهو الثقيل المطلق فيميله الى الاسفل وماهو الخفيف والثقيل بالاضافة فبينهما وأما وجود المركبات من العناصر فبتوسط الحركات السموية وسنذكر أقسامها وتوابعها وأما وجود الانفس الانسانية التي تحدث مع حدوث الابدان ولا تفسد فانها

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم افي الكافر كفر اذ كان كافرا قبل ان يؤمن وفي الفاسق فسق قبل ان يتوب وفي المؤمن ايمان قبل ان يرتد ام لا فان قالوا لا كابروا واحالوا وان قالوا نعم قلنا لهم فهل يسخط الله الكفر والفسق او يرضى عنهما فان قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم وان قالوا بل يرضى عن الكفر والفسق كفروا ونسالهم عن قتل وحشي حمزة رضي الله عنه ارضاء كان لله تعالى فان قالوا نعم كفروا وان قالوا بل ما كان الا سخطا سالناهم يؤاخذه الله تعالى به اذا اسلم فمن قولهم لا وهكذا في كل حسنة وسيئة فظهر فساد قولهم وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ الكلام في من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنب اوكفر ثم رجع فيما تاب عنه ﴾

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * لانذركم به ومن بلغ * وقال تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * فنص تعالى ذلك على ان النذارة لا تلزم الا من بلغته لا من تبلغه وانه تعالى لا يعذب احدا حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل فصح بذلك ان من لم يبلغه الاسلام اصلا فانه لا عذاب عليه وهكذا جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف والاصلح الاصم ومن كان في الفترة والمجنون فيقول المجنون يارب أتاني الاسلام وانا لا أعقل ويقول الخرف والاصم والذي في الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نار ويقال لهم ادخلوها فمن دخلها وجدها بردا وسلاما وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فانه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر بن ابي طالب واصحابه رضي الله عنهم بارض الحبشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع فلا يبلغ الى جعفر واصحابه أصلا لانقطاع الطريق جملة من المدينة الى ارض الحبشة وبقوا كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك في دينهم شيئا اذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض

(قال ابو محمد) ورأيت قوما يذهبون الى ان الشرائع لا تلزم من كان جاهلا بها ولا من لم تبلغه

(قال أبو محمد) وهذا باطل بل هي لازمه له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس كلهم والى الجن كلهم والى كل من يولد اذ بلغ بعد الولادة

(قال ابو محمد) قال تعالى آمرا نبيه ان يقول * اني رسول الله اليكم جميعا * وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه احدا وقال تعالى * أيحسب الانسان ان يترك سدى * فابطل سبحانه ان يكون احد سدى والسدى هو المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى فابطل عز وجل هذا الامر ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط وان من بلغه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث ما كان من أقاصي الارض ففرض عليه البحث عنه فاذا بلغته عنه نذارته ففرض عليه التصديق به واتباعه وطلب الدين اللازم له والخروج عن وطنه لذلك والا فقد استحق الكفر والخلود في النار والعذاب بنص القرآن وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج ان في حين بعث النبي صلى

كثيرة مع وحدة النوع والمعلول الاول الواحد بالذات فيه معانى متكثرة بها تصدر عنه العقول والنفوس كما ذكرنا ولا يجوز ان تكون تلك المعاني متكثرة متفقة النوع والحقائق حتى يصدر عنها كثرة متفقة النوع فانه يلزم أن تكون فيه مادة تشترك فيها صورة تخالف وتتكثر بل فيه معاني مختلفة الحقائق يقضى كل معنى شيئا غير ما يقتضيه الآخر فى النوع فلم يلزم كل واحد منهما ما يلزم الآخر فالنفوس الارضية كائنة عن المعلول (٥١) الاول بتوسط علة أوعلل اخرى وأسباب من الامزجة والمواد وهى غاية ما ينتهى اليها الابداع ونبتدئ القول في الحركات واسبابها ولوازمها اعلم ان الحركة لا تكون طبيعية للجسم والجسم على حالته الطبيعية وكل حالة بالطبع فالحالة مفارقة للطبع غير طبيعية اذ لو كان شيء من الحركات مقتضى طبيعة الشيء لما كان باطل الذات مع بقاء الطبيعة بل الحركة انما يقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعته أما فى الكيف وأما فى الكم واما فى المكان وأما فى الوضع وأما مقولة اخرى والعلة فى تجدد حركة بعد حركة تجدد الحال الغير الطبيعية وتقدر البعد عن الغاية فاذا كان الامر كذلك لم يكن حركة مستديرة عن طبيعة والا كانت عن حال غير طبيعية اذا وصلت اليها سكنت ولم يجز أن يكون فيها بعينها قصدا الى تلك الحالة الغير الطبيعية لان الطبيعية ليست تفعل باختيار بل على سبيل تسخير وان كانت الطبيعية تحرك على الاستدارة فهى تحرك لا محالة اما عن اين غير طبيعي او وضع غير طبيعي هربا طبيعيا عنه وكل هرب طبيعي عن شيء فمحال أن يكون هو بعينه قصدا طبيعيا اليه والحركة المستديرة ليست تهرب عن شيء الا وتقصده فليست اذا طبيعية الا انها قد يكون بالطبع وان لم تكن قوة طبيعية كان شيئا بالطبع وانما تحرك بتوسط الميل الذى فيه و تقول ان الحركة معنى متجدد النسب وكل شطر منه مختص بنسبة وانه لا ثبات له ولا يجوز ان يكون عن معنى ثابت البتة وحده ولو كان فيجب أن يلحقه ضرب من مثل

صلى الله عليه وسلم يلزم من فى اقاصى الارض الايمان به ومعرفة شرائعه فان ماتوا فى ذلك الحال ماتوا كفارا الى النار و يبطل هذا قول الله عز وجل * لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وليس فى وسع احد علم الغيب فان قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة انه لا يلزم احدا شيء من الشرائع حتى تبلغه قلنا لا حجة لهم فيها لان كل ما كلف الناس فهو فى وسعهم واحتمال بنيتهم الا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفا يعذبون به ان لم يفعلوه وانما كلفوه تكليف من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له امرا من الحكم مجملا ولم يبلغه نصه ففرض عليه اجتهاد نفسه فى طلب ذلك الامر والا فهو عاص لله عز وجل قال الله تعالى * فسألوا أهل الذكر ان كنتم تعلمون * وبقوله تعالى * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * واما من تاب عن ذنب او كفر ثم رجع الى ما تاب عنه فانه ان كان توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث مستهزىء مخادع لله تعالى قال الله تعالى * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم * الى قوله * عذاب اليم بما كانوا يكذبون * واما من كانت توبته نصوحا ثابت العزيمة فى ان لا يعود فهى توبة صحيحة مقبولة بلا شك مسقطة لكل ما تاب عنه بالنص قال عز وجل * وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا * فان عاد بعد ذلك الى الذنب الذى تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد غفره الله ابدا فان ارتد ومات كافرا فقد سقط عمله والتوبة عمل فقد حبطت فهذا يعود عليه ما عمل خاصة واما من راجع الاسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره

(قال ابو محمد) ولا تكون التوبة الا بالندم والاستغفار وترك المعاودة والعزيمة على ذلك والخروج من مظلمة ان تاب عنها الى صاحبها بتحلل او انصاف ورأيت لابى بكر احمد بن على بن يفجور المعروف بابن الاخشيد وهو أحد أركان المعتزلة وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة من الاتراك وولى ابوه الثغور وكان هذا ابو بكر ابنه يتفقه للشافعى فرأيت له فى بعض كتبه يقول ان التوبة هى الندم فقط وان لم ينو مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة

(قال ابو محمد) هذا اشنع ما يكون من قول المراجعة لان كل معتقد للاسلام فبلا شك ندرى انه نادم على كل ذنب يعمله عالما بانه مسيء فيه مستغفر منه ومن كان بخلاف هذه الصفة وكان مستحسنا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلما فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الاخشيد غير مؤاخذ بها لانه تائب منها وهذا خلاف الوعيد فان قال قائل فانكم تقطعون على قبول ايمان المؤمن أفتقطعون على قبول توبة التائب وعمل العامل للخير ان كل ذلك مقبول وهل تقطعون على المكثر من السيئات انه فى النار قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الاعمال لما شروط من توفية النية حقها وتوفية العمل حقه فلو ايقنا ان العمل وقع كاملا كما امر الله

من تبدل الاحوال والثابت من جهة ماهو ثابت لايكون عنه الاثابت فان الارادة العقلية الواحدة لايوجب البتةحركة فانها مجردة عن جميع أصناف التغير والقوة العقلية حاصرة المعقول دائما ولايفرض فيهاالانتقال من معقول الى معقول الا مشاركا الى التخيل والحس فلابد للحركة من مبدء قريب والحركة المستديرة مبدؤها القريب نفس فى الفلك يتجدد تصوراتها وارادتها وهى كمال جسم (٥٢) الفلك وصورته ولو كانت قائمة بنفسها من كل وجه لكانت عقلامحضا لايتغير ولا ينتقل ولا يخالط ما بالقوة بل نسبتها الى الفلك نسبةالنفس الحيوانية التى لنا الينا الا أن لهاان تعقل بوجه ماتعقلامشوبا بالمادةو بالجملة أوهامها أو مايشابه الاوهام صادقة وتخيلاتها حقيقة كالعقل العلمى فيناوالمحرك الاول لها غير مادية أصلا وانما تحركت عن قوة غير متناهية والقوةالتى للنفس متناهية لكنها بما يعقل الاول فيسبح عليه نوره دائما صارت قوتها غير متناهية وكانت الحركات المستديرةأيضاغير متناهية والاجرام السموية لما لم يبق فى جواهرها أمر مابالقوة أعنى فى كمها وكيفها تركب صورتها فى مادتها على وجه ولايقبل التحليل ولكن عرض لها فى وضعها واينها اما بالقوة اذ ليس شيء من أجزاء مدار الفلك أو كوكب أولى بان يكون ملاقياله أو لجزئه من جزء آخر فمتى كان فى جزء الفعل فهو فى جزء آخر بالقوة والتشبه بالحيز الاقصى يوجب البقاء على أكمل كمال ولم يكن هذا ممكناللجرم السماوى الكلام بالمدد فحفظ بالنوع والتعاقب فصارت الحركة حافظة لمايكون من هذا الكمال ومبدؤها الشوق الى التشبه بالحيز الاقصى فى البقاء على الكمال ومبدء الشوق هو ما يعقل منه فنفس الشوق الى التشبه بالاول من حيث هو بالفعل تصدرعنه الحركة الفلكية صدور الشيء عن التصور الموجب له وان كان غير مقصود فى ذاته بالقصد الاول لان ذلك تصور لما بالفعل فيحدث

تعالى لقطعنا قبول الله عز وجل له وأما التوبة فاذا وقعت نصوحا فنحن نقطع بقبولها وأما القطع على مظهر الخير بانه فى الجنة وعلى مظهر الشر والمعاصى بانه فى النار فهذا خطا لاننا لانعلم مافى النفوس ولعل المظهر لخير مبطن للكفر اومبطن على كبائر لانعلمها فواجب ان لانقطع من أجل ذلك عليه بشيء وكذلك المعلن بالكبائر فانه يمكن ان يبطن الكفر فى باطن أمره فاذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة اولعل له حسنات فى باطن امره تفىء على سيئاته فيكون من أهل الجنة فلهذا وجب ان لانقطع على احد بعينه بجنة ولا نار حاشا من جاء النص فيه من الصحابة رضى الله عنهم بانهم فى الجنة وبان الله علم مافى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واهل بدر واهل السوابق فانانقطع على هؤلاء بالجنة لان الله تعالى اخبرنا بذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشا من مات معلنا للكفر فانا نقطع عليه بالنار ونقف فيمن عدا هؤلاء الا اننا نقطع على الصفات فنقول من مات معلنا للكفر او مبطناله فهو فى النار خالدا فيها ومن لقى الله تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر اومتساويهما فهو فى الجنة لايعذب بالنار ومن لقى الله تعالى راجح الكبائر على الحسنات فى النار ويخرج منها بالشفاعة الى الجنة وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ورأيت بعض أصحابنا يذهب الى شيء يسميه شاهد الحال وهو ان من كان مظهر الشيء من الديانات متحملا للاذى فيه غير مستجلب بما يلقى من ذلك حالا فانه مقطوع على باطنه وظاهره قطعا لاشك فيه كعمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب والحسن البصرى وابن سيرين ومن جرى مجراهم ممن قبلهم اومعهم او بعدهم فان هؤلاء رضى الله عنهم رفضوا من الدنيا مالو استعملوه لماحط من وجاهتهم شيا واحتملوا من المضض مالو خففوه عن انفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد فهؤلاء مقطوع على اسلامهم عند الله عز وجل وعلى خيرهم وفضلهم وكذلك نقطع على ان عمرو بن عبيد كان يدين بابطال القدر بلا شك فى باطن امره وان ابا حنيفة والشافعى رضى الله عنهما كانا فى باطن امرهما يدينان الله تعالى بالقياس وان داود بن على كان فى باطن الامر يدين الله تعالى بابطال القياس بلا شك وان احمد بن حنبل رضى الله عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث فى باطن امره بلاشك وبان القرآن غير مخلوق بلا شك وهكذا كل من تناصرت احواله وظهر جده فى معتقدما وترك المسامحة فيه واحتمل الاذى والمضض من أجله

(قال ابو محمد) وهذا قول صحيح لاشك فيه اذ لايمكن البتة فى بنية الطبائع ان يحتمل احد اذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها او يتاجلها وبالله تعالى التوفيق ولابد لكل ذى عقد من ان يتبين عليه شاهد عقده بما يبدو منه من مسامحة فيه اوصبر عليه واما من كان بغير هذه الصفة فلانقطع عقده وبالله تعالى التوفيق

عنه طلب لما بالفعل ولا يمكن لما بالشخص فيكون بالتعاقب ثم يتبع ذلك التصور تصورات جزئية على سبيل الانبعاث لا المقصود الاول وتتبع تلك التصورات الحركات المنتقل بها في الاوضاع وهي كانها عبادة ملكية أو فلكية وليس من شرط الحركة الارادية أن تكون مقصودة في نفسها بل اذا كانت القوة الشوقية يشتاق نحو أمر يسبح منها تأثير تحرك الاعضاء فتارة يتحرك على النحو الذى به يوصل الى الغرض وتارة على نحو آخر متشابه واذا بلغ (٥٣) الالتذاذ ينفعل للمبدء الاول ربما يدرك منه على نحو عقلي أو نفساني شغل ذلك عن كل شيء ولكن ينبعث منه ماهو أدون منه في المرتبة وهو الشوق الى الاشبه به بقدر الامكان فقد عرفت ان الفلك متحرك بطبعه ومتحرك بالنفس ومتحرك بقوة عقلية غير متناهية وتميز عندك كل حركة عن صاحبتها وعرفت أن المحرك الاول بجملة السماء واحد ولكل كرة من كرات السماء محرك قريب يخصه ومتشوق معشوق يخصه فاول المفارقات الخاصة محرك الكرة الاولى وهي على قول من تقدم بطلميوس كرة الثوابت وعلى قول بطلميوس كرة خارجة عنها محيطة بها غير مكوكبة وبعد ذلك محرك الكرة التى تلى الاولى ولكل واحد مبدأ خاص وللكل مبدأ فلذلك تشترك الافلاك فى دوام الحركة وفى الاستدارة ولا يجوز أن يكون شيء منها لاجل الكائنات السالفة لا قصد

الكلام فى الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والكتبة

﴿قال أبو محمد﴾ اختلف الناس في الشفاعة فانكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع ان لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والاشعرية والكرامية وبعض الرافضة الى القول بالشفاعة واحتج المانعون بقول الله عز وجل * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * وبقوله عز وجل * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وبقوله تعالى * قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * وبقوله تعالى * واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة * وبقوله تعالى * من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة * وبقوله تعالى * فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * وبقوله تعالى * ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون *

*(قال أبو محمد قول من يؤمن بالشفاعة انه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا على بعض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال له ربه عز وجل * لتبين للناس ما نزل اليهم * وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة فى القرآن فقال تعالى * لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا * فاوجب عز وجل الشفاعة الا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة وصحت بذلك الاخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لما قال تعالى * يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا * وقال تعالى * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * فنص تعالى على ان الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضى قوله ولا احد من الناس اولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لانه أفضل ولد آدم عليه السلام وقال تعالى * من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن ياذن الله لمن يشاء ويرضى * وقال تعالى * ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون * وقال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه * فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذى يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقينا ان الشفاعة التى ابطلها الله عز وجل هى غير الشفاعة التى اثبتها عز وجل واذ لا شك فى ذلك فالشفاعة التى ابطل عز وجل هى الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون فى النار قال تعالى لا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا نعوذ بالله منها فاذ لا شك فيه فقد صح يقينا أن الشفاعة التى أوجب الله عز وجل لمن اذن له واتخذ عنده عهدا ورضى قوله فانما هى لمذنبى أهل الاسلام وهكذا جاء الخبر الثابت

(قال أبو محمد) وهما شفاعتان احداهما الموقف وهو المقام المحمود الذى جاء النص فى القرآن به فى قوله * عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * وهكذا جاء الخبر الثابت نصا

حركة ولا قصد جهة حركة ولا تقدير سرعه وتطويل ولا قصد فعل العلة لاجلها وذلك أن كل قصد فيجوز أن يكون أنقص وجودا من المقصود لان كل ما لاجله شيء آخر فهو أتم وجودا من الاخر ولا يجوز أن يستفاد الوجود الا كمل من الشيء الاخس فلا يجوز أن يكون البتة الى معلول قصد صادق والا كان القصد معطيا ومفيد الوجود ماهو أكمل وانما يقصد بالواجب شيء يكون القصد مهيا له ومفيد وجوده شيء آخر وكل قصد ليس عبثا فانه يفيد كمالا ما للقاصد لو لم يقصده لم يكن ذلك الكمال وعال أن

يكون المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلة كمالا لم يكن فالعالي اذا لا يريد امرا لاجل السافل وانما هو يريد لما هو اعلى منه وهو التشبيه بالاول بقدر الامكان ولا يجوز ان يكون الغرض تشبها بجسم من الاجسام السموية وان كان تشبه السافل بالعالي اذ لو كان كذلك لكانت الحركة من نوع حركة ذلك الجسم ولم يكن مخالفا له واسرع فى كثير من المواضع ولا يجوز أن يكون الغرض شيئا يوصل اليه (٥٤) بالحركة بل شيئا مباينا غير جواهر الافلاك من موادها وانفسها وبقى ان يكون لكل واحد من الافلاك شوق تشبه بجوهر عقلى مفارق يخصه ويختلف الحركات وافعالها واحوالها اختلافها الذي لها لاجل ذلك وان كنا لا نعرف كيفيتها وكميتها وتكون العلة الاولى متشوق الجميع الاشتراك وهذا معنى قول القدماء ان للكل محركا واحدا معشوقا والكل كرة محركا يخصها ومعشوقا يخصها فيكون اذا لكل فلك نفس محركة تعقل الخير لها وبسبب الجسم تخيل أى تصور الجزئيات وارادة لها ثم يلزمها حركات ما دونها لزوما بالقصد الاول حتى ينتهى الى حركة الفلك الذى يلينا ومديرها العقل الفعال ويلزم الحركات السموية حركات العناصر على مثال تناسب حركات الافلاك وتعد تلك الحركات موادها لقبول الفيض من العقل الفعال فيعطيها صورها على قدر استعداداتها كما قررنا فقد تبين لك أسباب الحركات ولوازمها وستعلم بواقيها فى الطبيعيات * المسئلة التاسعة فى العناية الازلية وبيان دخول الشر فى القضاء قال العناية هى كون الاول عالما لذاته بما عليه الوجود فى نظام الخير وعلته لذاته بالخير والكمال بحسب الامكان وراضيا به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الابلغ فى الامكان فيفيض منه ما يعقله نظاما وخيرا على الوجه الابلغ الذى يعقله فيضانا على أتم تادية الى النظام بحسب الامكان فهذا هو معنى العناية والخير يدخل فى القضاء الالهي دخولا بالذات لا بالعرض والشر بالعكس منه وليس

والشفاعة الثانية فى اخراج اهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح فى ذلك الخبر واما قول الله تعالى * قل لا املك لكم ضراً ولا رشدا ولا تملك نفس لنفس شيئا * فما خالفنا فى هذا اصلا وليس هذا من الشفاعة فى شىء فنعم لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا رشدا ولا هدى وانما الشفاعة رغبة الى الله تعالى وضراعة ودعاء وقال بعض منكرى الشفاعة ان الشفاعة ليست الا فى المحسنين فقط واحتجوا بقوله تعالى * ولا يشفعون الا لمن ارتضى * (قال أبو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان من اذن الله فى اخراجه من النار وادخله الجنة واذن للشافع فى الشفاعة له فى ذلك فقد ارتضاه وهذا حق وفضل لله تعالى على من قد غفر له ذنوبه بان رجحت حسناته على كبائره او بان لم تكن له كبيرة او بان تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به الى الجنة ففيما اذا يشفع له وانما الفقير الى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فادخل النار ولم يأذن تعالى باخراجه منها الا بالشفاعة وكذلك الخلق فى كونهم فى الموقف هم ايضا فى مقام شنيع فهم ايضا محتاجون الى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق وبما صحت الاخبار من ذلك نقول

(واما الميزان) فقد انكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جرأة واقداما وتقطع آخرون فقالوا هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا اقدام آخر لا يحل قال الله عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم *

(قال ابو محمد) وأمور الاخرة لا تعلم الا بما جاء فى القرآن او بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يات عنه عليه السلام شىء يصح فى صفة الميزان ولو صح عنه عليه السلام فى ذلك شىء لقلنا به فاذ لا يصح عليه السلام فى ذلك شيء فلا يحل لاحد ان يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به لكن نقول كما قال الله عز وجل * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة * الى قوله * وكفى بنا حاسبين * وقال تعالى * والوزن يومئذ الحق * وقال تعالى * فامامن ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية * فنقطع على ان الموازين توضع يوم القيامة لوزن اعمال العباد قال تعالى عن الكفار * فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا * وليس هذا على ان لا توزن اعمالهم بل توزن لكن اعمالهم شائلة وموازينهم خفاف قد نص الله تعالى على ذلك اذ يقول * ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون * الى قوله * فكنتم بها تكذبون * فاخبر عز وجل ان هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ونقطع على ان تلك الموازين اشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير اعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التى لا تحس وزنها فى موازيننا أصلا فما زاد ولا ندرى كيف تلك الموازين الا اننا ندرى انها بخلاف موازين الدنيا وان ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة اثقل ممن تصدق بكذانة

وليس هذا وزنا وندرى ان اثم القاتل اعظم من اثم اللاطم وان ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى التطوع بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من صلى الصبح في جماعة كمن قام ليلة ومن صلى العتمة في جماعة فكانما قام نصف ليلة وكلاهما فرض وهكذا جميع الاعمال فانما يوزن عمل العبد خيره مع شره ولو نصح المعتزلة انفسهم لعلموا ان هذا عين العدل واما من قال بما لا يدرى ان ذلك الميزان ذو كفتين فانما قاله قياسا على موازين الدنيا وقد اخطأ في قياسه اذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون (١) واما نحن فانما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ولا نقول الا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا ننكر الا ما لم يات فيهما ولا نكذب الا بما فيهما ابطاله وبالله تعالى التوفيق

(وأما الحوض) فقد صحت الآثار فيه وهو كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم ولمن ورد عليه من امته ولا ندرى لمن انكره متعلقا ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق

(واما الصراط) فقد ذكرناه في الباب الاول الذي قبل هذا وانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهراني جهنم ويمر عليه الناس فمخدوش (٢) وناج ومكردس (٣) في نار جهنم وان الناس يمرون عليه على قدر اعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك الى من يقع في النار وهو طريق اهل الجنة اليها من المحشر في الارض الى السماء وهو معنى قول الله تعالى * وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا . واما كتاب الملائكة لاعمالنا فحق قال الله تعالى . وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى . انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون . وقال تعالى . وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك .وقال تعالى . اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

(قال ابو محمد) وكل هذا مالا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمى الى الاسلام الا انه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب

(عذاب القبر) قال ابو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفانى أحد شيوخ المعتزلة الى انكار

(١) اراد بالقرسطون بفتحتين فسكون ميزانا ليس بذي كفتين ولم اعثر عليه بهذا المعنى وهو ليس بعربي ولعله عنى به القبان وهو ميزان معروف لا كفة له

(٢) (٣) المخدوش من الخدش وهو قشر الجلد بعود أو نحوه والمكردس الذي جمع يده ورجلاه وألقى فيها ولفظ الحديث عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة القيامة وجواز الناس على الصراط فمنهم مسلم ومخدوش ومنهم مكردس في نار جهنم اهـ ومسلم بالتشديد على صيغة اسم المفعول اى ناج مصححه

وهو على وجوه فيقال شر لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلق ويقال شر لمثل الآلام والغم ويقال شر لمثل الشرك والظلم والزنا وبالجملة الشر بالذات هو العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشر بالعرض هو المعدم والحابس للكمال عن مستحقه والشر بالذات ليس بأمر حاصل الا ان يخبر عنه بلفظه ولو كان له حصول ما لكان الشر العام وهذا الشر يقابله الوجود على كماله الاقصى أن يكون (٥٥) بالفعل وليس فيه ما بالقوة أصلا فلا يلحقه شر وأما الشر بالعرض فله وجود ما وانما يلحق ما في طباعه أمر بالقوة وذلك لاجل المادة فيلحقها لامر يعرض لها في نفسها وأول وجودها هيئة من الهيئات المانعة لاستعدادها الخاص للكمال الذي توجهت اليه فتجعله أردى مزاجا وأعصى جوهرا لقبول التخطيط والتشكيل والتقويم فتشوهت الخلقة وانقضت البنية لا لان الفاعل قد حرم بل لان المنفعل لا يقبل وأما الامر الطارىء من خارج فاحد شيئين اما مانع للمكمل وأما مضاد ماحق الكمال مثال الاول وقوع سحب كثيرة وتراكمها واظلال جبال شاهقة يمنع تاثير الشمس في الثمار على الكمال ومثال الثاني حسن البرد للنبات المصيب لكماله وفي وقته حتى يفسد الاستعداد الخاص ويقال شر للافعال المذمومة ويقال شر لمباديها من الاخلاق مثال الاول الظلم والزنا ومثال الثاني الحقد والحسد ويقال شر للالام والغموم ويقال شر لنقصان كل شيء عن كماله والضابط لكله أما عدم وجود واما عدم كمال فيقول الامور اذا توهمت موجودة فاما أن تمنع أن يكون الاخيرا على الاطلاق أوشرا على الاطلاق أوخيرا من وجه وهذا القسم اما أن يتساوى فيه الخير والشر أو الغالب فيه احدهما وأما الخير المطلق الذي لا شر فيه فقد وجد في الطباع والخلقة وأما الشر المطلق الذي لا خير فيه أو الغالب فيه ان المساوى فلا وجود له أصلا فبقى ما في الغالب وجوده الخير وليس يخلو عن شر فالاحرى به أن يوجد فان لا كونه

اعظم شرا من كونه فواجب ان يفيض وجوده من حيث يفيض منه الوجود لئلا يفوت الخير الكلى لوجود الشر الجزءى وايضا لو امتنع وجود ذلك الخير من الشر امتنع وجود اسبابه التى تؤدى الى الشر بالعرض فكان فيه أعظم خلل فى نظام الخير الكلى بل وان لم يثبت الى ذلك وصيرنا التفاتنا الى ماينقسم اليه الامكان في الوجود من اصناف الموجودات المختلفة فى احوالها وكان الوجود المبراء من الشر (٥٦) من كل وجه قد حصل وبقى نمط من الوجود انما يكون علي سبيل أن لا يوجد الا ويتبعه ضرر وشر مثل النار فان الكون انما يتم بان يكون فيه نار ولن يتصور حصولها الا على وجه يحرق ويسخن ولم يكن بد من المصادمات الحادثة أن تصادف النار ثوب فقير ناسك فيحترق والامر الدائم الاكثرى حصول الخير من النار فاما الدائم فلان أنواعا كثيرة لا يستحفظ على الدوام الابوجود النار واما الاكثر فلان أكثر اشخاص الانواع فى كنف السلامة من الاحراق فما كان يحسن ان يترك المنافع الاكثرية والدائمة لاعراض شرية اقلية فاريدت الخيرات الكائنة عن مثل هذه الاشياء ارادة أولية على الوجه الذى يصلح ان يقال ان الله تعالى يريد الاشياء ويريد الشر ايضا على الوجه الذى بالعرض فالخير مقتضى بالذت والشر مقتضى بالعرض وكل بقدر فالحاصل ان الكل انما رتبت فيه القوى الفعالة والمنفعلة السموية والارضية الطبيعية والنفسانية بحيث تؤدى الى النظام الكلى مع استحا انه ان تكون هي على ماهى ولا يؤدى الى شرور فيلزم من (قال

احوال العالم بعضها بالقياس الى بعض ان يحدث في نفس صورة اعتقاد رديء أو كفر اوشر آخر ويحدث فى بدن صورة قبيحة مشوهه لولم يكن ذلك لم يكن النظام الكلى يثبت فلم يعباولم يلتفت الى اللوازم الفاسدة التى تعرض بالضرورة وقيل خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وكل ميسر لما خلق له * المسئلة العاشرة فى المعاد واثبات سعادات

عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج وذهب اهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر المعتزلة الى القول به وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به

(قال ابو محمد) وقد احتج من انكره بقول الله تعالى . ربنا امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين * وبقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحيا كم الآية

(قال أبو محمد) وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لان فتنة القبر وعذابه والمسالة انما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد اثر ذلك قبر اولم يقبر برهان ذلك قول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم * الآيه وهذا قبل القيامة بلاشك وأثر الموت وهذا عذاب القبر وقال * انما توفون أجوركم يوم القيامة * وقال لى تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وغشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب * فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر وانما قيل عذاب القبر فاضيف الى القبر لان المعهود فى اكثر الموتي انهم يقبرون وقد علمنا ان فيهم اكيل السبع والغريق تاكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق فلو كان علي مايقدره من يظن انه لا عذاب الا فى القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مسالة ونعوذ بالله من هذا بل كل ميت فلا بد له من فتنة وسؤال وبعد ذلك سرور أو نكد الى يوم القيامة فيوفون حينئذ أجورهم وينقلبون الى الجنة أو النار وأيضا فان جسد كل انسان فلا بد من العود الى التراب يوما ما كما قال الله تعالى * منها خلقنا كم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * فكل من ذكرنا من مصلوب أو معلق او محرق او أكيل سبع أو دابة فانه يعود رمادا أو رجيعا أو يتقطع فيعود الى الارض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبر لها الى يوم القيامة وأما من ظن ان الميت يحيي في قبره فخطا لان الآيات التى ذكرنا تمنع من ذلك ولو كان ذلك لكان تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القرآن الا من أحياه الله تعالى آية لنبى من الانبياء * والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * و * الذى مر على قرية وهى خاوية علي عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه * وكذلك الله قوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها * الى قوله * الى أجل مسمى * فصح بنص القرآن ان روح من مات لا يرجع الى جسده الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الارواح ليلة اسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ارواح اهل السعادة وعن شماله ارواح اهل الشقاء واخبر عليه السلام يوم بدر اذ خاطب القتلى واخبر انهم وجدوا ماتوعدهم به حقا قبل ان يكون لهم قبور فقال المسلمون يا رسول الله اتخاطب قوما قد جيفوا فقال عليه السلام ما انتم باسمع لما اقول منهم فلم ينكر عليه السلام علي المسلمين قولهم أنهم قد جيفوا واعلمهم انهم سامعون فصح ان ذلك لارواحهم فقط بلاشك واما الجسد فلا حس له

دائمة للنفوس واشارة الى النبوة وكيفية الوحي والالهام والتقدم على الخوض فيها أصولا ثلاثة الاصل الاول أن لكل قوة نفسانية لذة وخيرا يخصها وأذى وشرا يخصها وحيث ما كان المدرك اشد ادراكا وأفضل ذاتا والمدرك أكمل موجودا واشرف ذاتا وادوم ثباتا فاللذة أبلغ وأوفر * الاصل الثاني * انه قد يكون الخروج الى الفعل في كمال ما بحيث يعلم ان المدرك لذيذ ولكن لا يتصور كيفيته ولا يشعر به فلم يشتق اليه ولم ينزع نحوه فيكون حال المدرك حال الاصم والاعمى (٥٧) المتيقنين برطوبة اللحم وملاحة الوجه من غير شعور وتصور وادراك * الاصل الثالث * ان لكمال والامر الملائم قد تيسر للقوة الداركة وهناك مانع أو شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضده وتكون القوة المميزة بضد ما هو كمالها فلا يحس به كالمريض والممرور فاذا زال العائق عاد الى واجبه في طبعه فصدقت شهوته واشتهت طبيعته وحصل له كمال اللذة فنقول بعد تمهيد الاصول ان النفس الناطقة كمالها الخاص بها ان يصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض من واهب الصور على الكل مبتداء من المبداء أو سالكا الى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا ما بالابدان ثم الاجسام العلوية بهيئاتها وقواها ثم كذلك حتى يستوفي نفسها هيئة الوجود كله فيصير عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق والخير والبهاء الحق ومتحدا به ومنتقشا في سلكه ومنخرطا بمثاله وصائرا من جوهره فهذا الكمال لا يقاس بسائر الكمالات وجودا ودواما ولذة وسعادة بل هذه اللذة أعلى من اللذات الحسية وأعلى من الكمالات الجسمانية بل لا مناسبة له بينهما في الشرف والكمال وهذه السعادة لا تتم له الا باصلاح الخير والعمل من النفس وتهذيب الاخلاق والخلق ملكة يصدر بها عن النفس افعال ما بسهولة من غير تقدم روية وذلك باستعمال المتوسط بين الخلقين المتضادين لا بان يفعل افعال

(قال ابو محمد) ولم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر يصح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسالة ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به فاذ لا يصح فلا يحل لاحد ان يقوله وانما انفرد بهذه الزيادة من رد الارواح المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوى تركه شعبة وغيره وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك وهذا الذي قلنا هو الذي صح ايضا عن الصحابة رضي الله عنهم لم يصح عن احد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا اسماعيل بن اسحاق حدثنا عيسى بن حبيب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ابن محمد عبد الله بن يزيد المقرى عن جده محمد بن عبد الله عن سفيان بن عيينة عن منصور ابن صفية عن أمه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحا قبل أن يصلب فقيل له هذه اسماء بنت ابي بكر الصديق فمال اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشيء وان الارواح عند الله فقالت اسماء وما يمنعني وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وحدثنا محمد بن بيان ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا ابو موسى محمد بن المثنى الزمن ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان الثوري عن ابي اسحق السبيعي عن ابي الاحوص عن ابن مسعود في قول الله عز وجل * ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين . قال ابن مسعود هي التي في البقرة . وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فهذا ابن مسعود واسماء بنت أبي بكر الصديق وابن عمر رضي الله عنهم ولا مخالف من الصحابة رضي الله عنهم تقطع اسماء وابن عمر على ان الارواح باقية عند الله وان الجثث ليست بشيء ويقطع ابن مسعود بان الحياة مرتان والوفاة كذلك وهذا قولنا وبالله التوفيق

(قال أبو محمد) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلي ليلة الاسراء واخبر انه رآه في السماء السادسة أو السابعة وبلا شك انما رأى روحه واما جسده فمواري بالتراب بلا شك فعلى هذا ان موضع كل روح يسمى قبرا فتعذب الارواح حينئذ ولا تسال حيث كانت والله تعالى التوفيق

(مستقر الارواح) قال ابو محمد اختلف الناس في مستقر الارواح وقد ذكرنا بطلان قول اصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين فذهب قوم من الروافض الى ان ارواح الكفار ببرهوت وهو بئر بحضرموت وان ارواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية وهذا قول فاسد لانه لا دليل عليه أصلا وما لا دليل عليه فهو ساقط ولا يعجز أحد عن ان يدعى للارواح مكانا آخر غير ما ادعاه هؤلاء وما كان هكذا فلا يدين به الا مخذول وبالله تعالى التوفيق وذهب عوام اصحاب الحديث الى ان الارواح على أفنية قبورها وهذا قول لا حجة له اصلا تصححه الا خبر ضعيف لا يحتج بمثله لانه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث وما كان هكذا فهو ساقط ايضا وذهب ابو الهذيل العلاف والاشعرية

المتوسط بل بان يحصل ملكة التوسط فيحصل فى القوة الحيوانية هيئة الاذعان وفى القوة الناطقة هيئة الاستعلا ومعلوم ان ملكة الافراط والتفريط مقتضيا للقوى الحيوانية فاذا قويت حدثت فى النفس الناطقة هيئة اذعانية قد رسخت فيها من شانها ان تجعلها قوى العلاقة مع البدن والانصراف اليه وأما ملكت التوسط فهى من مقتضيات الناطقة واذا قويت قطعت العلاقة من البدن فسعدت السعادة الكبرى ٥٨ ثم للنفوس مراتب فى اكتساب ما بين هاتين القوتين أعنى العلمية والعملية والتقصير فيهما فلم ينبغى ان يحصل عند نفس الانسان من تصور المعقولات والتخلق بالاخلاق الحسنة حتى تجاوز الحد الذى فى مثله يقع فى الشقاوة الابدية وأى تصور وخلق يوجب له بالشقاء المؤبد واى تصور وخلق يوجب له الشقاء الموقت قال فليس يمكننى ان أنص عليه الا بالتقريب وليته سكت عنه وقيل

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال وأظن ذلك أن يتصور نفس الانسان المبادى المفارقة بصورا حقيقيا وتصدق بها تصديقا يقينيا لوجودها عنده بالبرهان ويعرف العلل الغائية للامور الواقعة فى الحركات الكلية دون الجزئية التى لاتتناهى ويتقرر عنده هيئة الكل ونسب أجزائه بعضها الى بعض والنظام الآخذ من المبدأ الاول الى اقصى الموجودات الواقعة فى ترتيبه ويتصور العناية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة للكل أى وجود يخصها واية وحدة يخصها وانه كيف يعرف حتى لايلحقها تكثر وتغير بوجه وكيف ترتيب نسبة الموجودات اليها وكلما ازداد استبصارا ازداد للسعادة استعدادا وكانه ليس يتبرأ الانسان عن هذا العالم وعلائقه الا ان يكون أكد العلاقة مع ذلك العالم فصار له شوق وعشق الى ماهناك يصده عن الالتفات الى ماخلفه جملة ثم ان النفوس والقوى الساذجة التى لم تكتسب هذا الشوق ولا تصورت هذه التصورات فان كانت

الى ان الارواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين فاذا مات الميت فلاروح هنالك أصلا ومن عجائب اصحاب هذه المقالة الفاسدة قولهم ان روح الانسان الان غير روحه قبل ذلك وانه لاينفك تحدث له روح ثم تفنى ثم روح ثم تفنى وهكذا ابدا وان الانسان يبدل الف الف روح واكثر في مقدار اقل من ساعة زمانية وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام وزاد بعضهم فقال ان صحت الآثار فى عذاب الارواح فان الحياة ترد الى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب وهذا أيضا حمق آخر ودعاوى فى غاية الفساد وبلغنى عن بعضهم انه يزعم أن الحياة تردالي عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الاعجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا الخبر صحيح الا انه لاحجة فيه لانه ليس فيه ان عجب الذنب يحيا ولانه يركب فيه حياة ولاانه يعذب ولاينتقم وهذا كله مقحم فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم وانما فى الحديث ان عجب الذنب خاصة لايأكله التراب فلا يحول ترابا وانه منه ابتدآء خلق المرء ومنه يبتدأ انشاؤه ثانية فقط وهذا خارج احسن خروج على ظاهره وان عجب الذنب خاصة تتبدد اجزاؤه وهي عظام تحسها لا تحول ترابا وان الله تعالى يبتدىء الانشاء الثانى يجمعها ثم يركب تمام الخلق للانسان عليه وانه اول ماخلق من جسم الانسان ثم ركب عليه سائره واذ هذا ممكن لولم يأت به نص بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالتصديق من كل خبر لانه عن الله عز وجل قال تعالى * هو أعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون أمهاتكم * وقال تعالى * ماشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم * وقال أبو بكر بن كيسان الاصم لا ادرى ماالروح ولم يثبت شيء غير الجسد

(قال ابو محمد) وسنبين ان شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين فى باب الكلام فى الروح والنفس من كتابنا هذا بحول الله وقوته والذى نقول به فى مستقر الارواح هو ما قاله الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم لايتعداه فهو البرهان الواضح وهو ان الله تعالى قال * واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * وقال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا * فصح ان الله عز وجل خلق الارواح جملة وهى الانفس وكذلك اخبر عليه السلام ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

(قال ابو محمد) وهى العاقلة الحساسة واخذ عز وجل عهدها وشهادتها وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام وقبل أن يدخلها فى الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها تعالى حيث شاء لان الله تعالى ذكر ذلك بلفظه ثم التى توجب التعقيب والمهلة ثم اقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند

الموت لانزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الاجساد المتولدة من المنى المتحدر من أصلاب الرجال وارحام النساء كما قال تعالى * الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وقال عز وجل * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما * الآية وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجمع خلق ابن آدم فى بطن أمه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وهذا نص قولنا والحمد لله فيبلوم الله عز وجل فى الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به عند سماء الدنيا ارواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام وارواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام وذلك عند منقطع العناصر وتعجل أرواح الانبياء عليهم السلام وارواح الشهداء الى الجنة وقد ذكر محمد بن نصر المروزى عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا القول الذي قلنا بعينه وقال على هذا أجمع أهل العلم

(قال ابو محمد) وهو قول جميع اهل الاسلام حتى خالف من ذكرنا وهذا هو قول الله عز وجل * واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم * وقوله تعالى * فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين * ولانزال الارواح هنالك حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها فى اجسادها ثم برجوعها الى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ويعيد عز وجل الارواح ثانية الى الاجساد وهى الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق فى الجنة وفريق فى السعير مخلدين ابدا

(قال ابو محمد) قول بعض الاشعرية معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى العهد الماخوذ فى قول الله عز وجل * واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم * ان اذ هاهنا بمعنى اذا فقول فى غاية السقوط لوجوه خمسة اولها انه دعوى بلا دليل والثانية ان اذ بمعنى اذا لايعرف فى اللغة وثالثها انه لو صح له تاويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاما لايعقل ولا يفهم وانما اورده عز وجل حجة علينا ولا يحتج الله عز وجل الا بما يفهم لا بما لا يفهم لان الله تعالى قد تطول علينا باسقاط الاصر عنا ولا اصر اعظم من تكليفنا فهم ما ليس فى بنيتنا فهمه ورابعها انه لو كان كما ادعى لما كان على ظهر الارض الا مؤمن والعيان يبطل هذا لاننا نشاهد كثيرا من الناس لم يقولوا قط ربنا الله ممن نشا على الكفر وولدت عليه الى ان مات وممن يقول بان العالم لم يزل ولا محدث له من الاوائل والمتاخرين وخامسها ان الله عز وجل انما اخبر بهذه الآية عما فعل ودلنا بذلك على ان الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد كما كان قبل حلوله فيه لانه تعالى اخبرنا انه اقام علينا الحجة بذلك الاشهاد

بقيت على ساذجيتها او استقرت فيها هيئات صحيحة اقناعية وملكات حسنة خلقية سعدت بحسب ما اكتسبت اما اذا كان الأمر بالضد من ذلك او حصلت اوائل الملكة العملية وحصل لها شوق قد تبع رأيا مكتسبا الى كمال حالها فصدها عن ذلك عائق مضاد فقد شقي الشقاء الابدى وهؤلاء اما مقصورون فى السعي لتحصيل الكمال الانساني واما معاندون متعصبون لآراء فاسدة مضادة للآراء الحقيقية والجاحدون اسوأ حالا والنفوس البله ادنى من الخلاص فى فطانة تبرأ لكن ٥٩ النفوس اذا فارقت وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد فى العاقبة على مثل ما يخاطب به العامة ولم يكن لهم معنى جاذب الى الجهة التى فوقهم لا كمال فتسعد تلك السعادة ولا عدم كمال فتشقى تلك الشقاوة بل جميع هيآتهم النفسانية متوجهة نحو الاسفل منجذبة الى الاجسام ولا بد لها من تخيل ولا بد للتخيل من أجسام قال فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة فتشاهد ما قيل لها فى الدنيا من احوال القبر والبعث والخيرات الاخروية وتكون الانفس الرديئة أيضا تشاهد العقاب المصور لهم فى الدنيا وتقاسيه فان الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد تاثيرا كما نشاهد فى المنام وهذه هى السعادة والشقاوة بالقياس الى الانفس الحسية واما الانفس المقدسة فانها أبعد عن مثل هذه الاحوال وتتصل عن كمالها بالذات وتنغمس فى اللذة الحقيقية ولو كان بقى فيها اثر من ذلك اعتقادي او خلقي تاذت به وتخلفت عن درجة عليين الى ان ينفسخ قال والدرجة الاعلى فيما ذكرناه لمن له النبوة اذ فى قواه النفسانية خصائص ثلاث نذكرها فى الطبيعيات فيها يسمع كلام الله ويرى ملائكته المقربين وقد تحولت على صورة يراها وكما ان الكائنات ابتدأت من الاشرف فالاشرف حتى ترقت فى الصعود الى العقل الأول ونزلت فى الانحطاط الى المادة وهي الاخس كذلك ابتدأت من الاخس حتى بلغت النفس الناطقة وترقت الى درجة النبوة ومن المعلوم ان نوع الانسان محتاج الى اجتماع ومشركة في

دليلا كراهية ان تقول يوم القيمة انا كنا ـن هذا غافلين اى عن ذلك الاشهاد المذكور فصح ان ذلك الاشهاد قبل هذه الدار التى نحن فيها التى اخبرنا الله عز وجل فيها بذلك الخبر وقبل يوم القيمة ايضا فبطل بذلك قول بعض الاشعرية وغيرها وصح ان قولنا هو نص الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وانما أتى المخالفون منهم انهم عقدوا على اقوال ثم راموا رد كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها وهذا هو الباطل الذى لا يحل ونحن ولله الحمد انما اتينا الى ما قاله الله عز وجل وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم فقلنا به ولم نحكم فى ذلك بطرا ولا هوى ولا رددنا هما الى قول أحد بل رددنا جميع الاقوال الى نصوص القرآن والسنن والحمد لله رب العالمين كثيرا وهذا هو الحق الذى لا يحل تعديه

(قال أبو محمد) وأما أرواح الانبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر الله تعالى انهم المقربون فى جنات النعيم وانهم غير اصحاب اليمين وكذلك اخبر عليهم السلام انه رآهم فى السموات ليلة أسرى به فى سماء سماء. وكذلك الشهداء أيضا هم فى الجنة لقول الله عز وجل. ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. وهذا الرزق للارواح بلا شك ولا يكون الا فى الجنة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث الذى روى نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة ثم تاوى الى قناديل تحت العرش ورويناهذا الحديث مبينا من طريق ابن مسعود رضى الله عنه وانهم الشهداء وبهذا تتالف الاحاديث والآيات والحمد لله رب العالمين فان قال قائل كيف تخرج الانبياء عليهم السلام والشهداء من الجنة الى حضور الموقف يوم القيامة قيل له وبالله تعالى التوفيق لسنا ننكر شهادة القرآن والحديث الصحيح بدخول الجنة والخروج عنها قبل يوم القيمة فقد خلق الله عز وجل فيها آدم عليه السلام وحواء ثم أخرجهما منها الى الدنيا والملائكة فى الجنة ويخرجون منها برسالات رب العالمين الى الرسل والانبياء الى الدنيا وكل ما جاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره الا جاهل أو مغفل او ردىء الدين واما الذى ينكر ولا يجوز ان يكون البتة فخروج روح من دخل الجنة الى النار فالمنع من هذا اجماع من جميع الامة متيقن مقطوع به وكذلك من دخلها يوم القيمة جزاء وتفضلا من الله عز وجل فلا سبيل الى خروجه منها ابدا بالنص وبالله تعالى التوفيق

الكلام على من مات من اطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى حكم من مات من اطفال المسلمين والمشركين ذكورهم واناثهم فقالت الازارقة من الخوارج اما اطفال المشركين ففى النار وذهبت طائفة الى انه يوقد لهم يوم القيمة نار ويؤمرون باقتحامها فمن دخلها منهم دخل الجنة ومن لم يدخلها منهم ادخل النار وذهب آخرون الى الوقوف فيهم وذهب جمهور الناس الى انهم فى الجنة وبه نقول

ضروريات حاجاته مكفيا فى آخر من نوعه يكون ذلك الاخر أيضا مكفيا به ولا يتم تلك الشركة الا بمعاملة ومعارضة يجرى بينهما يفرغ كل واحد منهما صاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير ولا بد فى المعاملة من سنة وعدل ولا بد من سان معدل ولا بد من ان يكون بحيث يخاطب الناس ويلزمهم السنة فلا بد من ان يكون انسانا ولا يجوز ان يترك الناس وآراءهم فى ذلك فيختلفون ويرى كل واحد منهم ماله عدلا وما عليه جورا وظلما فالحاجة فى هذا الانسان فى أن يبقى نوع الانسان أشد من الحاجة الى انبات الشعر على الاشفار والحاجبين فلا يجوز أن تكون العناية الاولى تقتضى أمثال تلك المنافع ولا تقتضى هذه التى هى أثبتها ولا ان يكون المبدأ الاول والملائكة بعده تعلم تلك ولا تعلم هذا ولا ان يكون ما يعمله فى نظام الامر الممكن وجوده الضرورى حصوله لتمهيد نظام الخير لا يوجد بل كيف يجوز أن لا يوجد وما هو متعلق بوجوده مبنى على وجوده فلا بد اذا من نبى هو انسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على انها من عند ربه يدعوهم الى التوحيد ويمنعهم من الشرك ويسن لهم الشرائع والاحكام ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن التباغض والتحاسد ويرغبهم فى الاخرة وثوابها ويضرب لهم للسعادة والشقاوة أمثالا تسكن اليها نفوسهم وأما الحق فلا يلوح لهم الا أمرا مجملا وهو ان ذلك شىء لا عين رأته ولا اذن سمعته ثم يكرر عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكر المعبود بالتكرير والمذكرات اما حركات واما اعدام حركات يفضى الى حركات فالحركات كالصلوات وما فى معناها واعدام الحركات كالصيام ونحوه وان لم يكن لهم هذه المذكرات تناسوا جميع ما دعاهم اليه مع انقراض قرن وينفعهم ذلك أيضا فى المعاد منفعة عظيمة فان السعادة فى الاخرة تبترية النفس عن الاخلاق الرديئة والملكات الفاسدة فيتقرر لها بذلك هيئة الانزعاج عن البدن وتحصل لها ملكة التسلط عليه فلا ينفعل عنه ويستفيد به ملكة الالتفات

الى جهة الحق والاعراض عن الباطل ويصير شديد الاستعداد ليتخلص الى السعادة بعد المفارقة البدنية وهذه الافعال لو فعلها فاعل ولم يعتقد انها فريضة من عند الله تعالى وكان مع اعتقاده ذلك يلزمه فى كل فعل ان يتذكر الله ويعرض عن غيره لكان جديرا ان يفوز من هذه الزكا بحظ فكيف اذا استعملها من يعلم ان النبي من عند الله وبارسال الله وواجب الحكمة الالهية ارساله وان جميع ماسنه فانما هو وجب من عند الله ان سنه فانه متميز (٦١) عن سائر الناس بخصائص تالهيه واجب الطاعة بآيات ومعجزات دلت على صدقه وسياتى شرح ذلك فى الطبيعيات لكنك تحدس مما سلف اذا ان الله كيف رتب النظام فى الموجودات وكيف سخر الهيولى مطيعة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعال بازالة صورة واثبات صورة وحيثما كانت النفس الانسانية أشد مناسبة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعال كان تأثيرها فى الهيولى أشد وأغرب وقد تصفو النفوس صفاء شديد الاستعداد للاتصال بالعقول المفارقة فيفيض عليها من العلوم مالا يصل اليه من هو فى نوعه بالفكر والقياس فبالقوة الاولى يتصرف فى الاجرام بالتقليب والاحالة من حال الى حال وبالقوة الثانية يخبر عن غيب ويكلمه ملك فيكون بالانبياء وحيا وبالاولياء الهاما ونحن نبتدئ القول فى الطبيعيات المنقولة عن أبى على بن سينا فى الطبيعيات قال ابو علي بن سينا ان للعلم الطبيعي موضوعا ينظر فيه وفى لواحقه كسائر العلوم وموضوعه الاجسام الموجودة بما هي واقعة فى التغير وبما هى موصوفة بانحاء الحركات والسكونات وأما مبادىء هذا العلم فمثل تركب الاجسام عن المادة والصورة والقول فى حقيقتهما ونسبة كل واحد منهما الى الثاني فقد ذكرناها فى العلم الالهي والذى يختص من ذلك التركب بالعلم الطبيعى هو أن تعلم ان الاجسام الطبيعية منها اجسام مركبة من أجسام اما متشابهة الصورة كالسرير وأما مختلفها كبدن الانسان ومنها اجسام مفردة والاجسام المركبة لها أجزاء موجودة

(قال ابو محمد) فاما الازارقة فاحتجوا بقول الله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام انه قال * رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * و بقول روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها قالت يارسول الله اين اطفالى منك قال فى الجنة قالت فاطفالى من غيرك قال فى النار فاعادت عليه فقال لها ان شئت اسمعتك تضاغيهم وبحديث آخر فيه الوائدة والموؤدة فى النار وقالوا ان كانوا عندكم فى الجنة فهم مومنون لانه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة فان كانوا مومنين فيلزمكم ان تدفنوا اطفال المشركين مع المسلمين وان لا تتركوه يلتزم اذا بلغ دين ابيه فتكون ردة وخروجا عن الاسلام والكفر وينبغى لكم ان ترثوه وتورثوه من اقاربه من المسلمين

(قال ابو محمد) هذا كل ما احتجوا به مايعلم لهم حجة غير هذا اصلا وكله لا حجة لهم فيه البتة اما قول نوح عليه السلام فلم يقل ذلك علي كل كافر بل قال ذلك على كفار قومه خاصة لان الله تعالى قال له (١) * انه لن يومن من قومك الا من قد آمن * فايقن نوح عليه السلام بهذا الوحى انه لا يحدث فيهم مؤمن ابدا وان كل من ولدوه ان ولدوه لم يكن الا كافرا ولا بد وهذا هو نص الاية لانه تعالى حكى انه قال * رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * وانما اراد كفار وقته الذين كانوا على الارض حينئذ فقط ولو كان للازارقة ادنى علم وفقه لعلموا ان هذا من كلام نوح عليه السلام ليس علي كل كافر لكن على قوم نوح خاصة لان ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم كان أبواهما كافرين مشركين وقد ولدا خير الانس والجن من المومنين واكمل الناس ايمانا ولكن الازارقة كانوا اعرابا جهالا كالانعام بل هم اضل سبيلا وهكذا صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من طريق الاسود بن سريع التميمى انه عليه السلام قال اوليس خياركم اولاد المشركين

(قال ابو محمد) وهل كان افاضل الصحابة رضي الله عنهم الذين يتولاهم الازارقة كابن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وخديجة ام المومنين وغيرهم رضى الله عنهم الا اولاد الكفار فهل ولدا اباوهم كفارا وهل ولدوا الا اهل الايمان الصريح ثم آباء الازارقة انفسهم كوالد نافع ابن الازرق وغيرهم من شيوخهم هل كانوا الا اولاد المشركين ولكن من يضلل الله فلا هادى له واما حديث خديجة رضى الله عنها فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير وأما حديث الوائدة فانه جاء كما نذكره حدثنا يوسف بن عبد البر انا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر بن حماد حدثنا مسدد عن المعتمر بن سليمان التميمى قال سمعت داود بن ابى هند يحدث عن عامر الشعبي عن علقمة ابن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفى قال

(١) اى فى قوله تعالى واوحى الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد آمن

بالفعل متناهية وهي تلك الاجسام المفردة التي منها تركبت واما الاجسام المفردة فليس لها في الحال جزؤ بالفعل وفي قوتها ان تتجزأ اجزاء غير متناهية كل واحد منها أصغر من الاخر والتجزيء اما بتفريق الاتصال وأما باختصاص العرض ببعض منه وأما بالتوهم واذا لم يكن أحد هذه الثلاثة فالجسم المفرد لاجزء له بالفعل قال ومن أثبت الجسم مركبا من أجزاء لاتتجزأ بالفعل فبطلانه بان كل جزء مس جزء فقد (٦٢) شغله بجهة أولا يدع فان ترك فراغا فقد تجزأ الممسوس وان لم يترك فراغا فلا يتأتى أن يماسه آخر غير مماس الاول وقد ماسه آخر هذا خلف وكذلك في جزء موضوع على جزء متصل وغيره من تركيب المربعات منها المساواة الاقطار والاضلاع ومن جهة مسامتات الظل والشمس دلائل على أن الجزء الذي لايتجزأ محال وجوده فنتكلم بهذه المقدمة في مسائل هذا العلم ونحصرها في مقالات * المقالة الاولى في لواحق الاجسام الطبيعية مثل الحركة والسكون والزمان والمكان والخلاء والتناهي والجهات والتماس والالتحام والاتصال والتتالي اما الحركة فيقال على تبدل حال قارة في الجسم يسيرا يسيرا على سبيل التجاه نحو شيء والوصول اليه هو بالقوة وبالفعل فيجب من هذا أن تكون الحركة مفارقة الحال ويجب أن يقبل الحال التنقص والتزيد ويكون باقيا غير متشابه الحال في نفسه وذلك مثل السواد والبياض والحرارة والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبر الحجم وصغره

فالجسم اذا كان في مكان فتحرك فقد حصل فيه كمال وفعل أول به يتوصل به الى كمال وفعل ثان هو الوصول فهو في المكان الاول بالفعل وفي المكان الثاني بالقوة فالحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ماهو بالقوة ولايكون وجوده الا في زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست من الامور التي تحصل بالفعل حصولا قارا مستكملا وقد ظهر انها في كل مرتقبل

اتيت انا واخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقري الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شيء قال لا قلنا فان أمنا وادت اختالنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموؤدة والوائدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم

(قال ابو محمد) وهذه اللفظة يعني لم تبلغ الحنث ليست بلاشك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفي واخيه فلما اخبر عليه السلام بان تلك الموؤدة في النار كان ذلك انكارا وابطالا لقولهما انها تبلغ الحنث وتصحيحهما لانها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنهما لايجوز الا هذا القول لان كلامه عليه السلام لايتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عزوجل بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضا ويوافق لما اخبر به عز وجل ومعاذ الله من غير ذلك وقد صح اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان اطفال المشركين في الجنة قال الله تعالى * واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت * فنص تعالى على انه لاذنب للموؤدة فكان هذا مبين لان اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان تلك الموؤدة في النار اخبار عن انها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن اخويها وقد روى هذا الحديث عن داود بن ابي هند محمد بن عدي وليس هو دون المعتمر ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه ايضا عن داود بن ابي هند عبيدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التي ذكرها المعتمر فاما حديث عبيدة فحدثناه احمد بن محمد بن الجسور قال انا وهب بن ميسرة قال حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبيدة ابن حميد عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم انا واخي فقلنا يارسول الله ان امنا كانت تقري الضيف وتصل الرحم في الجاهلية فهل ينفعها ذلك شيئا قال لا قال فانها وأدت اختالنا في الجاهلية فهل ينفع ذلك اختنا شيئا قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الاسلام فيعفوا الله عنها واما حديث ابن ابي عدي فحدثناه احمد ابن عمر بن انس العذري حدثنا ابو بدر عبد بن احمد الهروي الانصاري حدثنا ابو سعيد الخليل بن احمد السجستاني حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز حدثنا احمد بن محمد بن حنبل حدثنا محمد بن ابي عدي عن داود ابن ابي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة ابن يزيد الجعفي قال انطلقت انا واخي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله ان مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال لا قال فانها وادت اختالها في الجاهلية فهل ذلك ينفع اختها قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها

(قال ابو محمد) هكذا رويناه لما بالماء على انها اخت الوائد

(قال ابو محمد) وهذا حديث قدرويناه مختصرا كماحدثناه عبدالله ابن ربيع التميمى حدثنا عمر ابن عبد الملك الخولانى حدثنا محمد ابن بكر الوراق البصرى حدثنا ابوداود السجستانى حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا بن ابى زائدة حدثنى ابى عن عامر الشعبى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والمؤودة فى النار قال يحيي بن زكريا ابن ابى زائدة قال ابى فحدثنى ابو اسحق بن عامر حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (قال ابو محمد) وهذا مختصر وهو علي ماذكرنا انه عليه السلام انما عنى بذلك التى بلغت لايجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم هم من آبائهم فانما قاله عليه السلام في الحكم لافى الدين ولله تعالى ان يفرق بين احكام عباده و يفعل مايشاء لامعقب لحكمه وايضا فلامتعلق لهم بهذا اللفظ اصلالانه انما فيه انهم من آبائهم وهذا لاشك فيه انهم توالدوا من آبائهم ولم يقل عليه السلام انهم على دين ابائهم واما قولهم ينبغى ان تصلوا على اطفال المشركين وتورثوهم وترثوهم وان لاتتركوهم يلتزموا دين آبائهم اذا بلغوا فانها ردة فليس لهم ان يعترضوا علي الله تعالى فليس تركنا الصلاة عليهم يوجب انهم ليسوا مؤمنين فهؤلاء الشهداء وهم افاضل المؤمنين لا يصلى عليهم واما انقطاع المواريث بيننا و بينهم فلاحجة فى ذلك على انهم ليسوا مؤمنين فان العبد مؤمن فاضل ولا يورث وقد ياخذ المسلم مال عبده الكافر اذا مات وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل ان يباع عليه وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد اذا مات كافرا مرتدا أو قتل على الردة وهذا معاذ بن جبل ومعاوية بن ابى سفيان ومسرق بن الاجدع وغيرهم من الائمة رضى الله عنهم يورثون المسلمين من اقاربهم الكفار اذاماتوا ولله تعالى ان يفرق بين أحكام من شاء من عباده وانما نقف حيث اوقفنا النص ولا مزيد وكذلك دفنهم فى مقابر ابائهم ايضا وكذلك تركهم يخرجون الى اديان آبائهم اذا بلغوا فان الله تعالى أوجب علينا ان نتركهم وذلك ولانعترض على احكام الله عز وجل ولا يسال عما يفعل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الملة حتى يكون ابواه يهودانه و ينصرانه و يمجسانه ويشركانه

(قال ابو محمد) فبطل ان يكون لهم فى شيء مماذكرنا متعلق وانما هو تشغيب موهوا به لان كل ماذكرنا فانما هى احكام مجردة فقط وليس فى شيء من هذه الاستدلالات نص على ان اطفال المشركين كفار ولا علي انهم غير كفار وهذه النكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط و بالله تعالى التوفيق وامامن قال فيهم بالوقف فانهم احتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاطفال يموتون فقال عليه السلام الله اعلم بماكانوا عاملين وبقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المومنين رضى الله عنها اذا مات صبي من ابناء الانصار فقالت

التنقص والتزيد وليس شيء من الجواهر كذلك فاذا لاشيء من الحركات فى الجوهر وكون الجوهر وفساده ليس بحركة بل هو أمر يكون دفعه وأما الكمية فانها تقبل التزيد والتنقص فخليق أن يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخلخل والتكاثف وأما الكيفية فمايقبل منها التنقص والتزيد والاشتداد كالتبيض والتسود فيوجد فيه الحركة وأما المضاف فابدا عارض لمقولة من البواقى فى قبول التنقص والتزيد فاذا أضيف اليه حركة فذلك بالحقيقة لتلك المقولة وأما الاين فان وجود الحركة فيه ظاهر وهو النقلة واما متى فان وجوده للجسم بتوسط الحركة فكيف يكون فيه الحركة ولو كان كذلك لكان لمتى متى وأما الوضع فان فيه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير علي نفسه اذلو توهم المكان المطيف به معدوما لما امتنع كونه متحركا ولو قدر ذلك فى الحركة المكانية لاامتنع ومثاله فى الموجودات الجرم الاقصى الذى ليس وراءه جسم والوضع يقبل التنقص والاشتداد فيقال انصب وانكس وأما الملك فان ماتبدل الحال فيه تبدل اولا فى الاين فاذا الحركة فيه بالعرض واما ان يفعل فتبدل الحال فيه بالقوة اوالعزيمة أو الالة فكانت الحركة فى قوة الفاعل أو عزيمته اوآلته أولا وفي الفعل بالعرض على ان الحركة ان كانت خروجا عن هيئة فهى عن هيئة قارة وليس شيء من الافعال كذلك فاذا لاحركة بالذات الافي الكم والكيف والاين والوضع وهو كون الشيء بحيث لايجوز أن يكون علي ماهو عليه من اينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولا بعده والسكون هو عدم هذه الصورة فى مامن شانه أن توجد فيه وهذا العدم له معنى ما ويمكن أن يرسم وفرق بين عدم القرنين في الانسان وهو السلب المطلق عقدا وقولا و بين عدم المشى له فهو حالة مقابلة للمشى عند ارتفاع علة المشى وله وجود ما بنحو من الانحاء وله علة

بنحو والمشي علة بالعرض لذلك العدم فالمعدوم معلول بالعرض فوجود بالعرض ثم اعلم ان كل حركة توجد فى الجسم فانما توجد محركة اذلو تحرك بذاته وبما هو جسم لكان كل جسم متحركا فيجب أن يكون المحرك معنى زائدا على هيولى الجسمية وصورتها ولا يخلو اما ان يكون ذلك المعنى فى الجسم واما ان لا يكون فان كان المحرك مفارقا فلا بد ان تحريكه من معنى فى الاسم قابل لجهة التحريك والتغير ثم المتحرك لمعنى فى ذاته يسمى متحركا لذاته وذلك اما (٦٤) ان تكون العلة الموجودة فيه يصح عنه ان يحرك تارة ولا تحرك أخرى فيسمى متحركا بالاختيار وأما ان لا يصح فيسمى محركا بالطبع والمتحرك بالطبع لا يجوز أن يتحرك وهو على حالته الطبيعية لان كل ما اقتضاه طبيعة الشيء لذاته ليس يمكن أن يفارقه الا والطبيعة قد فسدت وكل حركة يتعين فى الجسم فانما يمكن أن يفارق والطبيعة لم تبطل لكن الطبيعية انما تقتضي الحركة للعود الى حالتها الطبيعية فاذا عادت ارتفع الموجب للحركة وامتنع ان يتحرك فيكون مقدار الحركة على مقدار البعد من الحالة الطبيعية وهذه الحركة ينبغي أن تكون مستقيمة ان كانت فى المكان لانها لا تكون الا ميل طبيعي وكل ميل طبيعي فعلى اقرب المسافة وكل ما هو على أقرب المسافة فهو على خط مستقيم فالحركة المكانية المستديرة ليست طبيعية ولا الحركة الوضعية فان كل حركة طبيعية فانها تهرب عن حالة غير طبيعية ولا يجوز أن ويكون فيه قصد طبيعي بالعود الى ما فارقه بالهرب ذلا اختيارلها وقد تحنو العود فهى اذا غير طبيعية فهى اذا عن احتيار او اراد ولو كانت عن قسر فلا بد أن ترجع الى الطبع أو الاختيار وأما الحركات فى نفسها فيتطرق اليها الشدة والضعف فيتطرق اليها السرعة والبطء لا يتخلل سكنات وهى قد تكون واحدة بالجنس اذا وقعت فى مقولة واحدة او فى جنس واحد من الاجناس التى تحت تلك المقولة وقد تكون واحدة بالنوع وذلك اذا كانت ذات جهة مفروضة عن جهة واحدة الى جهة واحدة فى نوع واحد

عصفور من عصافير الجنة فقال لها عليه السلام وما يدريك يا عائشة ان الله خلق خلقا للنار وهم فى اصلاب آبائهم

(قال ابو محمد) وهذان الخبران لا حجة لهم فى شيء منهما الا انهما انما قالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحي اليه انهم فى الجنة وقد قال تعالى آمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول * وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم * قبل ان يخبره الله عز وجل بانه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وما ادرى وأنا رسول الله ما يفعل بى وكان هذا قبل ان يخبره الله عز وجل بانه لا يدخل النار من شهد بدرا وهو عليه السلام لا يقول الا ما جاء به الوحي كما امر الله عز وجل ان يقول * ان اتبع الا ما يوحى الى فحكم كل شيء من الدين لم يأت به الوحي ان يتوقف فيه المرء فاذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص وقد صح الاجماع على ان ما عملت الاطفال قبل بلوغهم من قتل او وطء اجنبية أو شرب خمر أو قذف أو تعطيل صلاة أو صوم فانهم غير مؤاخذين فى الآخرة بشيء من ذلك ما لم يبلغوا وكذلك لا خلاف فى انه لا يؤاخذ الله عز وجل احدا بما لم يفعله بل قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فمن المحال المنفى أن يكون الله عز وجل يؤاخذ الاطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعده لعملوه وهم لا يؤاخذهم بما عملوا ولا يختلف أثنان فى ان انسانا بالغا مات ولو عاش لزنا انه لا يؤاخذ بالزنا الذى لم يعمله وقد أكذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق * اليوم تجزى كل نفس ما عملت * وبقوله تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون * فصح أنه لا يجزى أحد بما لم يعمل ولا بما لم يسن فصح ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين ليس فيه انهم كفار ولا انهم في النار ولا انهم مؤاخذون بما لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد وفى هذا اختلفنا لا فيما عداه وانما فيه ان الله تعالى يعلم ما لم يكن وما لا يكون لو كان كيف كان يكون فقط ونعم هذا حق لا يشك فيه مسلم فبطل ان يكون لاهل التوقف حجة فى شيء من هذين الخبرين اذ لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة بيان وأما من قال انهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطل لان الله تعالى يقول * ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى * وأما من قال انهم توقد لهم نار فباطل لان الاثر الذي فيه هذه القصة انما جاء فى المجانين وفيمن لا يبلغه ذكر الاسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فلما بطلت هذه الاقاويل كلها وجب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسألة ففعلنا فوجدنا الله تعالى قد قال * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم * وقال عز وجل * قولوا آمنا بالله وما انزل

الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط * الى قوله * لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * الى قوله * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون * فنص عز وجل على ان فطر الناس على الايمان وان الايمان هو صبغة الله تعالى وقال عز وجل * واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى * فصح يقينا ان كل نفس خلقها الله تعالى من بنى آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلا مميزون فاذ ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بايمانهم حاشا من بدل هذا العهد وهذه الفطرة وهذه الصبغة وخرج عنها الى غيرها ومات على التبديل وبيقين ندرى ان الاطفال لم يغيروا شيئا من ذلك فهم من أهل الجنة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة وروي عنه عليه السلام انه قال على الملة فاباه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل يجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم الذى تجدعونها وهذا تفسير الايات المذكورات حدثنا عبد الله بن ربيع حدثنا محمد بن اسحاق السكن حدثنا ابو سعيد بن الاعرابى حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث حدثنا الحسن بن على حدثنا الحجاج بن المنهال قال سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث اخذ الله العهد عليهم فى أصلاب آبائهم حيث قال * الست بربكم قالوا بلى * وقد صح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق عياض بن حمار المجاشعى قال عن الله تعالى انه قال خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فصح يقينا انه كل من مات قبل ان تجتاله الشياطين عن دينه فقد مات حنيفا وهذا حديث تدخل فيه الملائكة والجن والانس عباد له عز وجل مخلوقين وأيضا فان الله عز وجل أخبر بقول ابليس له تعالى ان يغوى الناس فقال تعالى * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين * فصح يقينا ان الغواية داخلة على الايمان وان الاصل من كل واحد فهو الايمان وكل مومن ففى الجنة وأيضا فان الله تعالى قال * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى . وليست هذه صفة الصبيان فصح انهم لا يدخلون النار ولا دار الا الجنة أو النار فاذا لم يدخلوا النار فهم بلا شك فى الجنة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا الكبيرة التى رآها انه رأى ابراهيم عليه السلام فى روضة خضراء مفتخرة فيها من كل نور ونعيم وحواليه من احسن صبيان وأكثرهم فسال عليه السلام عنهم فاخبر انهم من مات من اولاد الناس قبل ان يبلغوا فقيل له يارسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين فارتفع الاشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها ان جميع من لم يبلغ من اطفال المسلمين والمشركين ففى الجنة ولا يحل لاحد تعدى ما صح بالقرآن والسنن وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل اذا قلتم ان النار دار جزاء فالجنة كذلك ولا جزاء للصبيان قلنا

وفى زمن مساو مثل بيض بالتبييض وقد تكون واحدة بالشخص وذلك اذا كانت عن متحرك واحد بالشخص فى زمان واحد ووحدتها بوجود الاتصال فيها والحركات المتفقة فى النوع لا تتضاد واما تتطابق الحركات فيعنى بها التى لا يجوز أن يقال لبعضها اسرع من بعض أو ابطاء أو مساو والاسرع هو الذى يقطع شيئا مساويا لما يقطعه الآخر فى زمان أقصر وضده الابطاء والمساوى معلوم وقد يكون التطابق في القوة وقد يكون بالفعل وقد يكون بالتخيل واما تضاد الحركات فان الضدين هما اللذان موضوعهما واحد وهما ذاتان يستحيل أن يجتمعا فيه وبينهما غاية الخلاف فتضاد الحركات ليس لتضاد المتحركين ولا بالزمان ولا لتضاد ما يتحرك فيه بل تضادهما هو بتضاد الاطراف والجهات فعلى هذا لا تضاد بين الحركة المستقيمة والحركة المستديرة المكانية لانهما لا يتضادان فى الجهات بل المستديرة لا جهة فيها بالفعل لانه متصل واحد فالتضاد فى الحركة المكانية المستقيمة يتصور فالهابطة ضد الصاعدة والمتيامنة ضد المتياسرة وأما التقابل بين الحركة والسكون فهو كتقابل العدم والملكة وقد بينا أن ليس كل عدم هو السكون بل هو عدم ما من شانه أن يتحرك ويختص ذلك بالمكان الذى يتاتى فيه الحركة والسكون فى المكان المقابل انما يقابل الحركة عنه لا الحركة اليه بل انما كان هذا السكون استكمالا لها واذا عرفت ماذكرناه سهل عليك معرفة الزمان بان تقول كل حركة تفرض فى مسافة على مقدار من السرعة وأخرى معها على مقدارها وابتدأتا معا فانهما يقطعان المسافة معا وان ابتدأ أحدهما ولم يبتدأ الآخر ولكن تركا الحركة معا فان احدهما يقطع دون ما يقطعه الاول وان ابتدأ معه بطئ واتفقا فى الاخذ والترك وجد البطئ قد قطع أقل والسريع اكثر

وكان بين أخذ السريع الاول وتركه امكان قطع مسافة معينة بسرعة معينة وأقل منها ببطيء معين وبين أخذ السريع الثاني وتركه امكان أقل من ذلك بتلك السرعة المعينة يكون ذلك الامكان طابق جزأً من الاول ولم يطابق جزأً مقتضيا وكان من شان هذا الامكان التقضى لانه لو ثبتت الحركات بحال واحدة لكان يقطع المتفقات في السرعة أي وقت ابتدأت وتركت مسافة واحدة بعينها ولما كان قبل امكان أقل من امكان فوجد في هذا الامكان زيادة ونقصان يتعينان وكان ذا مقدار مطابق للحركة فاذا ههنا مقدار للحركات مطابق لها وكل ما طابق للحركات فهو متصل ويقتضي الاتصال متجدده وهو الذي نسميه الزمان ثم هو لا بد وان يكون في مادة ومادته الحركة فهو مقدار الحركة واذا قدرت وقوع حركتين مختلفتين في العدم وكان هناك امكانان مختلفان بل مقداران مختلفان وقد سبق ان الامكان والمقدار لا يتصور الا في موضع فليس الزمان محدثا حدوثا زمانيا بحيث يسبقه زمان لان كلامنا في ذلك الزمان بعينه وانما حدوثه حدوث ابداع لا يسبقه الا مبدعه وكذلك ما يتعلق به الزمان ويطابقه فالزمان متصل يتهيأ أن ينقسم بالتوهم فاذا قسم ثبت منه الآن وانقسم الى الماضي والمستقبل وكونها فيه ككون أقسام العدد في العدد وكون الآن فيه كالوحدة في العدد وكون المتحركات فيه ككون المعدودات في العدد والدهر هو المحيط بالزمان وأقسام الزمان ما فصل منه بالتوهم كالساعات والايام والشهور والاعوام وأما المكان فيقال مكان لشيء يكون محيطا بالجسم ويقال لشيء يعتمد عليه الجسم والاول هو الذي يتكلم فيه الطبيعي وهو حاو للمتمكن مفارق له عند الحركة ومساوله وليس في المتمكن وكل هيولى وصورة فهو في المتمكن فليس المكان اذا بهيولى وصورة وللابعاد التي يدعي انها مجردة عن المادة قائمة بمكان الجسم المتمكن لامع امتناع خلوها كما يراه قوم ولا مع

و بالله تعالى التوفيق انما نقف عندما جاءت به النصوص في الشريعة قد جاء النص بان النار دار جزاء فقط وان الجنة دار جزاء وتفضل فهي لاصحاب الاعمال دار جزاء بقدر اعمالهم ولمن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد وقد قال قوم ان الصبيان هم خدم اهل الجنة وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدين في غير موضع من كتابه وانهم خدم اهل الجنة فلعلهم هؤلاء والله اعلم

(قال ابو محمد) واما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فانهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء مؤمنين ولم يغيروا ولا بدلوا فماتوا مؤمنين فهم في الجنة حدثنا احمد بن محمد الطلمنكي بالثغري قال حدثنا محمد بن احمد بن يحيي بن المفرج القاضي حدثنا محمد بن ايوب الصموت البرقي انبانا احمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز حدثنا محمد بن المثنى ابو موسى الزمن حدثنا معاذ بن هشام الدستوائي حدثنا ابي عن قتادة عن الاسود بن سريع التميمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض على الله الاصم الذي لا يسمع شيئا والاحمق والهرم ورجل مات في الفترة فيقول الاصم رب جاء الاسلام وما اسمع شيئا و يقول الاحمق جاء الاسلام وما اعقل شيئا و يقول الذي مات في الفترة ما اتانا لك من رسول قال البزاز وذهب عني ما قال الرابع قال فياخذ مواثيقهم ليطعنه فيرسل الله اليهم ادخلوا النار فو الذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما

الكلام في القيامة وتغيير الاجساد

اتفق جميع اهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيمة وعلى تكفير من انكر ذلك ومعنى هذا القول ان لمكث الناس وتناسلهم في دار الابتلا التي هي الدنيا امدا يعلمه الله تعالى فاذا انتهى ذلك الامد مات كل من في الارض ثم يحيي الله عز وجل كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان الى انقضاء الاجل المذكور ورد ارواحهم التي كانت باعيانها وجمعهم في موقف واحد وحاسبهم عن جميع اعمالهم ووفاهم جزاءهم ففريق من الجن والانس في الجنة وفريق في السعير و بهذا جاء القرآن والسنن قال تعالى * من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم * وقال تعالى * وان الله يبعث من في القبور * وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال * رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * الى آخر الآية وقال تعالى * الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * وقال تعالى * فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام * الى قوله * وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما * الاية وقال تعالى عن المسيح عليه السلام * واحيي الموتى باذن الله * ولا يمكن البتة ان يكون الاحياء المذكور في جميع هذه الآيات

الا رد الروح الى الجسد ورجوع الحس والحركة الارادية التي بعد عدمها منه لم يكن غير هذ البتة الا ان اباالعاص حكم بن المنذر بن سعيد القاضي اخبرني عن اسماعيل بن عبدالله الرعيني انه كان ينكر بعث الأجساد ويقول ان النفس حال فراقها الجسد تصير الى معادها في الجنة او النار ووقفت على هذا القول بعض العارفين باسماعيل فذكر لي ثقاة منهم انهم سمعوه يقول ان الله تعالى ياخذ من الاجساد جزء الحياة منها

(قال ابو محمد) وهذا تلبيس من القول لم يخرج به عما حكى لي عنه حكم بن المنذر لانه ليس في الاجساد جزء الحياة الا النفس وحدها

(قال أبو محمد) ولم الق اسماعيل الرعيني قط على اني قد ادركته وكان ساكنا معي في مدينة من مداين الاندلس تسمى بجاية مدة ولكنه كان مختفيا وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعبادة وصلاة وصيام والله أعلم وحكم بن المنذر ثقة في قوله بعيد من الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكان قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة في القدر وتبرأ منه أيضا ابراهيم بن سهل الاربوالي وكان من رؤوس المرية وتبرأ منه أيضا صهره احمد الطبيب وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغني عنه انه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف على ميت فقال اما هذا فقد قامت قيامته وبانه عليه السلام كانت الاعراب تساله عن الساعة فينظر الى اصغرهم فيخبرهم انه استوفي عن يمت حتى تقوم قيامتهم أوساعتهم

(قال ابو محمد) وانما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك الى يوم البعث كما قال عز وجل * ثم انكم يوم القيامة تبعثون * فنص تعالى على ان البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التي هي للمهلة وهكذا اخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة * ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا * وانه يوم مقداره خمسون الف سنة وانه يحيي العظام ويبعث من في القبور في مواضع كثيرة من القرآن وبرهان ضروري وهو ان الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان ومساحة متناهية بحدوده بالبرهان الذي قدمنا على وجوب تناهي الاجسام وتناهي كل ماله عدد ويقول الله تعالى * جنة عرضها السموات والارض * فلو لم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا ابدا يحدثون بلا آخر وقد علمنا ان مصيرهم الجنة أو النار ومحال ممتنع غير ممكن ان يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الاماكن فوجب ضرورة ان للخلق نهاية فاذ ذلك واجب فقد وجب تناهي عالم الذر والتناسل ضرورة وانما كلامنا هذا مع من يؤمن بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وادعي الاسلام واما من انكر الاسلام فكلامنا معه على ما رتبناه في ديواننا هذا من النقض على اهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به فنرجع اليه بعد التنازع وبالله تعالى التوفيق وقد نص الله تعالى على ان العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة واما اللحم فانما هو كسوة كما قال * ولقد خلقنا الانسان

جواز خلوها كما يظنه مثبتوا الخلاء ونقول في نفي الخلاء ان فرض خلاء خالي فليس هو لاشياء محضا بل هو ذات ماله كم لان كل خلاء يفرض فقد يوجد خلاء آخر أقل منه أو أكثر ويقبل التجزيء في ذاته والمعدوم واللاشيء ليس يوجد هكذا فليس الخلاء لاشيء فهو ذو كم وكل كم اما متصل واما منفصل والمنفصل لذاته عديم الحد المشترك بين أجزائه وقد تقرر في الخلاء حد مشترك فهو اذا متصل الاجزاء منحازها في جهات فهو اذا كم ذو وضع قابل للابعاد الثلاثة كالجسم الذي يطابقه وكأنه جسم تعليمي مفارق للمادة فنقول الخلاء المقدر اما ان يكون موضوعا لذلك المقدار او يكون الوضع والمقدار جزئين من الخلاء والاول باطل فانه اذا رفع المقدار في النوم كان الخلاء وحده بلا مقدار وقد فرض انه ذو مقدار فهو خلف وان بقي متقدرا بنفسه فهو مقدار بنفسة لا لمقدار حله وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء اذا جسم فهو ملاء وايضا فان الخلاء يقبل الاتصال والانفصال وكل شيء يقبل الاتصال والانفصال فهو ذو مادة ونقول ان التمانع في محسوس بين الجسمين وليس التمانع هو من حيث المادة فان المادة من حيث انها مادة لا انحياز لها عن الآخر وانما ينحاز الجسم عن الجسم لاجل صورة البعد فطباع الابعاد يابى التداخل ويوجب المقاومة أو التنحي وأيضا فان بعدا لو دخل بعدا فاما أن يكونا جميعا موجودين أو معدومين أو أحدهما موجودا والآخر معدوما فان وجدا جميعا فهما أزيد من الواحد وكل ماهو عظيم وهو أزيد فهو أعظم وان عدما جميعا أو وجد أحدهما وعدم الآخر فليس مداخلة فاذا قيل جسم في خلاء فيكون بعدا في بعد وذلك محال ويقول في نفي النهاية عن الجسم ان كل موجود الذات ذا وضع وترتيب فهو متناه. فاما أن يكون غير متناه من الاطراف كلها أو غير متناه من طرف فان كان غير متناه من طرف أمكن ان يفصل منه من الطرف التناهي جزء بالتوهم فيوجد

ذلك المقدار مع ذلك الجزء شيئا على حدة وبانفراده شيئا على حدة ثم يطبق بين الطرفين المتناهيين في التوهم فلا يخلو اما أن يكون بحيث يمتدان معا متطابقين في الامتداد فيكون الزائد والناقص متساويين وهذا محال وأما أن لا يمتد بل يقصر عنه فيكون متناهيا والفضل ايضا كان متناهيا فيكون المجموع متناهيا فالاصل متناه واما اذا كان غير متناه من جميع الاطراف فلا يبعد ان يفرض ذا مقطع يتلاقى عليه الاجزاء ويكون طرفا ونهاية ويكون الكلام في الاجزاء والجزئين كالكلام في الاول وبهذا يتأتى البرهان على أن العدد المترتب لذات الموجود بالفعل متناه وان مالا يتناهي بهذا الوجه هو الذى اذا وجد وفرض انه يحتمل زيادة ونقصانا وجب أن يلزم ذلك محال وأما اذا كانت أجزاء لاتتناهى وليست معا وكانت في الماضى والمستقبل فغير ممتنع وجودها واحدا قبل آخر أو بعده لامعا أو كانت ذات عدد غير مترتب في الوضع ولا في الطبع فلا مانع عن وجوده معا وذلك ان مالا ترتيب له في الوضع أو الطبع فلن تحتمل الانطباق وما لا وجود له معا ففيه أبعد ويقول في اثبات القوى الجسمانية ونفى التناهى عن القوى الغير الجسمانية قال الاشياء التى يمتنع فيها وجود الغير المتناهى بالفعل فليس يمتنع فيها من جميع الوجوه فان العدد لا يتناهى أى بالقوة وكذلك الحركات لاتتناهى بالقوة لا القوة التى تخرج الى الفعل بل بمعنى أن الاعداد يتأتى أن تتزايد فلا يقف عند نهاية أخيرة واعلم أن القوى تختلف في الزيادة باشياء والنقصان بالاضافة الى شدة ظهور الفعل عنها أو الى عدة مايظهر عنها أو الى مدة بقاء الفعل وبينهما فرقان بعيد فان كل مايكون زائدا بنوع الشدة يكون ناقصا بنوع المدة وكل قوة حركتها أشد فمدة حركتها أقصر وعدة حركتها أقصر ولا يجوز ان يكون قوة غير متناهية بحسب اعتبار الشدة لان مايظهر من الاحوال القابلة لما لا يخلو اما أن يقبل الزيادة على ماظهر فيكون

من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * الى قوله * فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * فاخبر عز وجل ان عنصر الانسان انما هو العظام الذى انتقلت عن السلالة التى من طين الى النطفة الى العلقة الى المضغة الي العظام وان اللحم كسوة العظام وهذا أمر مشاهد لان اللحم يذهب بالمرض حتى لايبقى منه مالا قدر له ثم يكثر عليه لحم آخر اذا خصب الجسم وكذلك اخبرنا عز وجل انه يبدل الخلق في الآخرة فقال * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب * وفي الآثار الثابتة ان جلود الكفار تغلظ حتى تكون نيفا وسبعين ذراعا وان ضرسه في النار كاحد وكذلك نجد اللحم الذى في جسد الانسان يتغذى به حيوان آخر فيستحيل لحما لذلك الحيوان اذ ينقلب دودا فصح بنص القرآن العظام هى التى تحيي يوم القيامة ومن انكر ماجاء به القرآن فلا حظ له في الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

الكلام في خلق الجنة والنار

ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج الى ان الجنة والنار لم يخلقا بعد وذهب جمهور المسلمين الى انهما قد خلقتا وما نعلم لمن قال انهما لم يخلقا بعد حجة أصلا اكثر من ان بعضهم قال قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وذكر اشياء من اعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة وبقول الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون انها قالت * رب ابن لى عندك بيتا في الجنة * قالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى (قال أبو محمد) وانما قلنا انهما مخلوقتان على الجملة كما ان الارض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها مايشاء من البنيان

(قال ابو محمد) والبرهان على انهما مخلوقتان بعد اخبار النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى الجنة ليلة الاسراء واخبر عليه السلام انه رأى سدرة المنتهي في السماء السادسة وقال تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * فصح ان جنة المأوى هى السماء السادسة وقد اخبر الله عز وجل انها الجنة التى يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى * لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون * فليس لاحد بعد هذا ان يقول انها جنة غير جنة الخلد واخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام في السموات سماء سماء ولا شك في ان أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة فصح ان الجنات هى السموات وكذلك اخبر عليه السلام ان الفردوس الاعلى من الجنة التى أمرنا الله تعالى ان نسأله اياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة وكذلك اخبر عليه السلام ان النار اشتكت الى ربها فاذن لها بنفسين وان ذلك أشد ماتجده من الحر والبرد وكان القاضى منذر بن سعيد يذهب الى ان الجنة والنار مخلوقتان الا انه كان يقول انها ليست التى كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج في ذلك

باشياء منها انه لو كانت جنة الخلد لما اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين واحتج أيضا بان جنة الخلد لا كذب فيها وقد كذب فيها ابليس وقال من دخل الجنة لم يخرج منها وآدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها

(قال أبو محمد) كل هذا لا دليل له فيه اما قوله ان آدم عليه السلام اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين فقد علمنا ان اكله من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابا ولا اكله لها صوابا وانما كان ظنا ولا حجة فيما كان هذه صفته والله عز وجل لم يخبره بانه مخلد في الجنة بل قد كان في علم الله تعالى انه سيخرجه منها فاكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذي لم يضمن ولا تيقن به لنفسه وأما قوله ان الجنة لا كذب فيها وان من دخلها لم يخرج منها وقد كذب فيها ابليس وقد خرج منها آدم وامرأته فهذا لا حجة له فيه وانما تكون كذلك اذا كانت جزاء لاهلها كما اخبر عز وجل عنها حيث يقول * لا تسمع فيها لاغية * فانما هذا على المستأنف لا على ما سلف ولا نص معه على ما ادعى ولا اجماع واحتج أيضا بقول الله عز وجل لآدم عليه السلام * ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * قال وقد عرى فيها آدم عليه السلام

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة فيه بل هو حجة عليه لان الله عز وجل وصف الجنة التي اسكن فيها آدم بانها لا يجاع فيها ولا يعري ولا يظمأ فيها ولا يضحي وهذه صفة الجنة بلا شك وليس في شيء مما دون السماء مكان هذه صفته بلا شك بل كل موضع دون السماء فانه لا بد ان يجاع فيه ويعرى ويظمأ ويضحى ولا بد من ذلك ضرورة فصح انه انما سكن المكان الذي هذه صفته وليس هـذا غير الجنة البتة وانما عرى آدم حين اكل من الشجرة فاهبط عقوبة له وقال أيضا قال الله عز وجل * لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * واخبر آدم انه لا يضحى

(قال ابو محمد) وهذا أعظم حجة عليه لانه لو كان في المكان الذي هو فيه شمس لاضحى فيه ولا بد فصح ان الجنة التي اسكن فيها ادم كانت لا شمس فيها فهي جنة الخلد بلا شك وأيضا فان قوله عز وجل * اسكن انت وزوجك الجنة * اشارة بالالف واللام ولا يكون ذلك الا الى معهود ولا تنطلق الجنة هكذا الا على جنة الخلد ولا ينطلق هذا الاسم على غيرها الا بالاضافة وأيضا فلو اسكن آدم عليه السلام جنة في الارض لما كان في اخراجه منها الى غيرها من الارض عقوبة بل قد بين تعالى انها ليست في الارض بقوله تعالى * اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين * فصح يقينا بالنص انه قد اهبط من الجنة الى الارض فصح انها لم تكن في الارض البتة وبالله تعالى التوفيق

* الكلام في بقاء اهل الجنة والنار ابدا *

(قال ابو محمد) اتفقت فرق الامة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها

متناهية عليه زيادة فيما أخذه وأما أن لا يقبل فهو النهاية في الشدة فتلك قوة جسمانية متجزئة ومتناهية وأما الكلام في الجهات فمن المعلوم انا لو فرضنا خلاء فقط أو أبعادا أو جسما غير متناه فلا يمكن أن يكون للجهات المختلفة بالنوع وجود البتة فلا يكون فوق وسفل ويمين ويسار وقدام وخلف فالجهات انما هي تتصور في أجسام متناهية فتكون الجهات أيضا متناهية ولذلك يتحقق اليها الاشارة ولذاتها اختصاص وانفراد عن جهة أخرى واذا كانت الاجسام كرية (٦٩) فيكون تحدد الجهات على سبيل المحيط والمحاط والتضاد فيها على سبيل المركز والمحيط واذا كان الجسم المحدد محيطا كفى لتحديد الطرفين لان الاحاطة تثبت المركز فتثبت غاية القرب منه وغاية البعد منه من غير حاجة الى جسم آخر واما ان فرض محاطا لم يتحدد به وحده الجهات لان القرب يتحدد به والبعد منه يتحدد بجسم آخر لا خلاء وذلك لا ينتهي لا محالة الى محيط ويجب ان يكون الاجسام المستقيمة الحركة لا تتأخر عنها وجود الجهات لامكنتها وحركاتها . بل الجهات تحصل بحركاتها فيجب ان يكون الجسم الذي يتحدد الجهات اليه جسما متقدما عليها او يكون احدى الجهات بالطبع غاية القرب منه وهو الفوق ويقابله غاية البعد منه وهو السفل وهذان بالطبع وسائر الجهات لا تكون واجبة في الاجسام بما هي أجسام بل بما هي حيوانات فيتميز فيها جهة القدام الذي اليه الحركة الاختيارية واليمين الذي منه مبدأ القوة والفوق اما بقياس فوق العالم واما الذي اليه اول حركة النشوء ومقابلاتها الخلف واليسار والسفل والفوق والسفل محدودان بطرف البعد الذي الاولى ان يسمى طولا واليمين واليسار عا الاولى ان يسمى عرضا والقدام والخلف عا الاولى ان يسمى عمقا . المقابلة الثانية في الامور الطبيعية للاجسام وغير الطبيعية ومن المعلوم ان الاجسام تنقسم الى بسيطة ومركبة وان لكل جسم حيزا ما ضرورة فلا يخلو اما أن يكون كل حيز له طبيعيا أو منافيا لطبيعته

اولاطبيعيا ولا منافيا اوبعضه طبيعيا وبعضه منافيا و يبطل ان يكون كل حيزله طبيعيا لانه يلزم منه ان يكون مفارقة كل مكان له خارجا عن طبعه او التوجه الى كل مكان له ملائما لطبعه وليس الامر كذلك فهو خلف و بطل ان يكون كل حيز منافيا لطبعه لانه يلزم منه ان لا يسكن جسم البتة بالطبع ولا يتحرك ايضا وكيف يسكن او يتحرك بالطبع وكل مكان مناف لطبعه و بطل ان يكون كل مكان لاطبيعيا ولامنافيا (٧٠) لانا اذا اعتبرنا الجسم على حالته وقد ارتفع عنه العوارض فحينئذ لابدله من حيز يختص به ويتعين له وذلك هو حيزه الطبيعي فلا يزول عنه الا بقسر قاسر ويتعين القسم الرابع ان بعض الاحياز له طبيعي وبعضه غير طبيعي وكذلك نقول في الشكل ان لكل جسم شكلا ما بالضرورة لتناهي حدوده وكل شكل فاما طبيعي له او بقسر قاسر واذا رفعت القواسر في التوهم واعتبرت الجسم من حيث هو جسم وكان في نفسه متشابه الاجزاء فلا بد ان يكون شكله كرويا لان فعل الطبيعة في المادة واحد متشابه فلا يمكن ان يفعل في جزء زاوية وفي جزء خطا مستقيما او منحنيا فينبغي ان يتشابه الاجزاء فيجب ان يكون الشكل كرويا واما المركبات فقد يكون اشكالها غير كروية لاختلاف أجزائها فالاجسام السموية كلها كروية واذا تشابهت اجزاؤها وقواها كان حيزها الطبيعي وجهاتها واحدة فلا يتصور ارضان في وسطين في عالمين ولا ناران في افقين بل لا يتصور عالمان لانه قد ثبت ان العالم باسره كروي الشكل فلو قدرنا كرويان احدهما بجنب الآخر كان بينهما خلاء ولا يتصلان الا بجزء واحد لا ينقسم وقد تقدم استحالة الخلاء واما الحركة فمن المعلوم ان كل جسم اعتبر ذاته من غير عارض بل من حيث هو جسم في حيز فهو اما ان يكون متحركا واما ان يكون ساكنا وذلك مانعنيه بالحركة الطبيعية والسكون الطبيعي فيقول ان كان الجسم بسيطا كانت اجزاؤه متشابهة واجزاء مايلاقيه

الاجهم بن صفوان واباالهذيل العلاف وقوما من الروافض فاماجهم فقال ان الجنة والنار يفنيان و يفنى اهلهما وقال ابو الهذيل ان الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى اهلهما الا ان حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك احياء متلذذون أو معذبون وقالت تلك الطائفة من الروافض ان أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذا أهل النار من النار الى حيث شاء الله (قال ابو محمد) أما هذه المقالة ففي غاية الغثاثة والتعرى من شيء يشغب به فكيف من اقناع أو برهان وما كان هكذا فهو ساقط واما قول ابي الهذيل فانه لا حجة له الا انه قال كلما احصاه العدد فهو ذو نهاية ولا بد والحركات ذات عدد فهي متناهية

(قال ابو محمد) فظن أبو الهذيل لجهله بحدود الكلام وطبائع الموجودات أن مالم يخرج الى الفعل فانه يقع عليه العدد وهذا خطا فاحش لان مالم يخرج الى الفعل فليس شيئا ولا يجوز أن يقع العدد الا على شيء وانما يقع العدد على ماخرج الى الفعل من حركات أهل النار والجنة متى ماخرج فهو محدود متناه وهكذا ابدا وقد احكمنا هذا المعنى في أول هذا الكتاب في باب ايجاب حدوث العالم وتناهي الموجودات فاغنى عن اعادته و بالله تعالى التوفيق فبطل ماموه به أبو الهذيل ولله الحمد ثم نقول ان قوله هذا خلاف الاجماع المتيقن وأيضا فان الذي فر منه في الحركات فانه لازم له في مدد سكونهم وتنعمهم وتالملهم لانه مقر بانهم يبقون ساكنين متنعمين متالمين بالعذاب و بالضرورة ندرى ان للسكون والنعيم والعذاب مددا يعد كل ذلك كما تعد الحركة ومددها ولا فرق وأيضا فلو كان ماقاله ابو الهذيل صحيحا لكان أهل الجنة في عذاب واصب وفي صفة المخدور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقى البنج وهذا غاية النكد والشقاء و نعوذ بالله من هذا الحال وأما جهم بن صفوان فانه احتج بقول الله تعالى * واحصى كل شيء عددا * وبقوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * وقال كما لا يجوز أن يوجد شيء لم يزل غير الله تعالى فكذلك لا يجوز أن يوجد شيء لا يزال غير الله تعالى (قال أبو محمد) مانعلم له حجة غير هذا أصلا وكل هذا لا حجة له فيه اماقوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * فانما عنى تعالى الاستحالة من شيء الى شيء ومن حال الى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى وكذلك مدد النعيم في الجنة والعذاب في النار كلما افنيت مدة أحدث الله عز وجل اخرى وهكذا أبدا بلا نهاية ولا آخر يدل على هذا ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى من الدلائل على خلود الجنة والنار وأهلها وأماقوله تعالى * واحصى كل شيء عددا * فان اسم الشيء لا يقع الا على موجود والاحصاء لا يقع الا على ماذكرنا الا على ماخرج الى الفعل ووجد بعد واذا لم يخرج من الفعل فهو لا شيء بعد ولا يجوز ان يعد لا شيء وكل ماخرج الى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلهما فمحصى بلا شك ثم يحدث الله تعالى لهم مددا آخر وهكذا ابدا بلا نهاية ولا اخر وقالوا هل احاط الله تعالى علما بجميع مدة الجنة والنار أم لا فان قلتم لا جهلتم الله وان قلتم نعم جعلتم مدتها محاطا بها وهذا هو التناهي نفسه

(قال ابو محمد) ان الله تعالى انما يعلم بالاشياء على ماهى عليه لان من علم الشيء على خلاف ماهو عليه فهو جاهل به مخطيء فى اعتقاده ظان للباطل وليس علما ولا حقا ولا هو عالم به وهذا مالا شك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ماهى معلوماته عليه فكل ماكان ذا نهاية فهو في علم الله تعالى ذو نهاية ولا سبيل الى غير هذا البتة وليس للجنة والنار مدد غير متناهية محاط بها وانما لهما مدد كل ماخرج منها الى الفعل فهو محصى محاط بعدده ومالم يخرج الى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى احاطانه لا نهاية لهما واما قوله كما لا يجوز ان يوجد شيء غير الله تعالى لا نهاية له لم يزل فان هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لا يصح والفرق بينهما ان اشياء ذوات عدد لا اول لها ولم تزل لا يمكن ان نتوهم البتة ولا يشكك بل هى محال فى الوجود كما ذكرنا فى الرد على من قال بان العالم لم يزل فاغنى عن اعادته وليس كذلك قولنا لا يزال لان احداث الله تعالى شيئا بعد شيء ابدا بلا غاية متوهم ممكن لا حوالة فيه فقياس الممكن المتوهم على المتمنع المستحيل الذى لا يتوهم باطل عند القائلين بالقياس فكيف عند من لا يقول به فان قال قائل ان كل ماماله اول فله آخر قلنا له هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط لا بقضية عقل ولا بخبر لان كون الموجودات لها اوائل معلوم بالضرورة لان ماوجد بعد فقد حصره عدد زمان وجوده وكل ماحصره عدد فلذلك العدد اول ضرورة وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد ابدا فيمكن الزيادة بلا نهاية وتمادي الموجود بخلاف المبدأ لانه اذا أبقى وقتا جاز ان يبقى وقتين وهكذا ابدا بلا نهاية وكل ماخرج من مدد البقاء الى حد الفعل فذو نهاية بلا شك كذلك من العدد ايضا ولم نقل ان بقاء الناس فى هذه الدنيا لا نهاية له الا من طريق النص ولو اخبر الله تعالى بذلك لامكن وجاز ان تبقى الدنيا ابدا بلا نهاية ولكن الله تعالى قادرا على ذلك ولكن النص لا يحل خلافه وكذلك لولا اخبار الله تعالى لحل احترامها و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) والبرهان على بقاء الجنة والنار بلا نهاية قول الله تعالى * خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ * وقوله تعالى فى غير موضع من القرآن * خالدين فيها ابدا * وقوله تعالى * لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى * مع صحة الاجماع بذلك و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص لو اقام اهل النار فى النار ماشاء الله ان يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه منها

(قال ابو محمد) وهذا انما هو فى اهل الاسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة و يبقى ذلك المكان خاليا ولا يحل لاحد ان يظن فى الصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك و بالله تعالى التوفيق ثم كتاب الايمان والوعيد وتوابعه بحمد الله وشكره على حسن تاييده وعونه وصلي الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

واجزاء مكانه كذلك فلم يكن بعض الاجزاء اولى بان يختص ببعض اجزاء المكان من بعض فلم يجب ان يكون شيء منها له طبيعيا فلا يمتنع ان يكون على غير ذلك الطبع بل فى طباعه ان يزول عن ذلك الوضع او الاين بالقوة وكل جسم لا ميل له فى طبعه فلا يقبل الحركة عن سبب خارج فبالضرورة فى طباعه حركة ماما لكله واما لاجزائه حتى يكون متحركا فى الوضع بحركة الاجزاء واذا صح ان كل قابل تحريك ففيه مبدؤ ميل ثم لا يخلو اما ان يكون على الاستقامة اوعلى الاستدارة والاجسام السموية لا تقبل الحركة المستقيمة كما سبق فهى متحركة على الاستدارة وقد بينا استناد حركاتها الى مبادئها واما الكيف فيقول اولا ان الاجسام السموية ليست موادها مشتركة بل هى مختلفة بالطبع كما ان صورها مختلفة ومادة الواحدة منها لا يصلح ان يتصور بصورة الاخرى ولو امكن ذلك كذلك لقلبت الحركة المستقيمة وهو محال فلها طبيعة خامسة مختلفة بالنوع بخلاف طبائع العناصر فان مادتها مشتركة وصورها مختلفة وهى تنقسم الى حار يابس كالنار والى حار رطب كالهواء والى بارد رطب كالماء والى بارد يابس كالارض وهذه ارض فيها لاصور ويقبل الاستحالة بعضها الى بعض ويقبل النمو والذبول ويقبل الاثار من الاجسام السموية اما الكيفيات فالحرارة والبرودة فاعلتان فالحار هو الذى يغير جسما آخر بالتحليل والخلخلة بحيث يؤلم الحاس منه والبارد هو الذى يغير جسما بالتعقيد والتكثير بحيث يؤلم الحاس منه واما الرطوبة واليبوسة منفعلتان فالرطب هو سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل والدفع واليابس هو عسر القبول لذلك فبسائط الاجسام المركبة تختلف وتمايز بهذه القوى الاربع ولا يوجد شيء منها عديما لواحدة من هذه وليست هذه صورا مقومة للاجسام لكنها اذا تركت طباعها ولم يمنعها مانع من خارج ظهر منها اما سكون او ميل او حركة فلذلك قيل قوة طبيعية وقيل النار حارة بالطبع

والسماء متحركة بالطبع فعرفت الاحياز الطبيعية والاشكال الطبيعية والحركات الطبيعية والكيفيات الطبيعية وعرفت ان اطلاق الطبيعية عليها باى وجه فيقول بعد ذلك ان العناصر قابلة للاستحالة والتغير و بينهما مادة مشتركة والاعتبار فى ذلك بالمشاهدة فانا نرى الماء العذب انعقد حجرا جامدا والحجر يكلس فيعود رمادا وتدام الحيلة حتى تصير ماء فالمادة مشتركة بين الماء والارض ونشاهد هواء صحوا يغلظ دفعة فيستحيل اكثره أو كله ماء وبردا وثلجا وتضع الجمد فى كوز صفر (٧٢) وتجد من الماء المجتمع على سطحه كالقطر ولا يمكن أن يكون ذلك بالرشح لانه ربما كان ذلك حيث لا يماسه الجمد وكان فوق مكانه ثم لا تجد مثله اذا كان حارا والكوز مملوء لو يجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لا يماسه الجمد وقد يدفن القدح فى جمد محفور حفرا مهندما ويسد رأسه عليه فيجتمع فيه ماء كثير وان وضع فى الماء الحار الذي يغلى مدة واستد رأسه لم يجتمع شىء وليس ذلك الا لان الهواء الخارج أو الداخل قد استحال ماء فبين الماء والهواء مادة مشتركة وقد يستحيل الهواء نارا وهو ما نشاهد من آلات حاقنة مع تحريك شديد على صورة المنافخ فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل فى الخشب وغيره وليس ذلك على طريق الانجذاب لان النار لا تتحرك الا على الاستقامة الى العلوى ولا على طريق الكمون اذ من المستحيل أن يكون فى ذلك الخشب من النار الكامنة ماله ذلك القدر الذى فى الجمرة ولا يحرق والكمون أجمع لها والا والمنتشر أضعف تأثيرا من المشتعل فتعين انه هواء اشتعل نارا فبين النار والهواء مادة مشتركة ويقول ان العناصر قابلة للكبر والصغر فلها مادة مشتركة اذ قد تحقق ان المقدار عرض فى الهيولى والكبر والصغر اعراض فى الكميات وقد نشاهد ذلك اذا اعلى الماء انتفخ وتخلخل والخمر ينتفخ في الدن حتى يتصعد عند الغليان وكذلك القمقمة الصياحة وهى اذا كانت مسدودة

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله عدة للقائه

(الكلام فى الامامة والمفاضلة بين الصحابة)

قال الفقيه الامام الاوحد ابو محمد علي بن أحمد بن حزم رضى الله عنه اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم باحكام الشريعة التى اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس فرض الامامة وانما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقى منهم احد وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفى القائم باليمامة

(قال ابو محمد) وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وابطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد ورد بايجاب الامام من ذلك قول الله تعالى * أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم * مع أحاديث كثيرة صحاح فى طاعة الائمة وايجاب الامامة وأيضا فان الله عز وجل يقول * لا يكلف الله نفسا إلا وسعها * فوجب اليقين بان الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم واحتمالهم وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته ان قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الاحكام عليهم فى الاموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الاحكام كلها ومنع الظالم وانصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد اقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى فى كل ذلك ممتنع غير ممكن اذ قد يريد واحد أو جماعة ان يحكم عليهم انسان ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم اما لانها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء واما خلافا مجردا عليهم وهذا الذى لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها فانه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين فى اكثرها فلا تصح اقامة الدين الا بالاسناد الى واحد أو الى اكثر من واحد فاذ لا بد من احد هذين الوجهين فان الاثنين فصاعدا بينهما او بينهم ما ذكرنا فلا يتم امر البتة فلم يبق وجه تتم به الامور الا الاسناد الى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوى على الانفاذ الا انه وان كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والاهمال معه اقل منه مع الاثنين فصاعدا واذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس ان يكفوا من الظلم ما امكنهم ان قدروا على كفه كله لزمهم ذلك

والافكف ماقدروا علي كفه منه ولوقضية واحدة لايجوز غير ذلك ثم اتفق من ذكرنا ممن يري فرض الامامة علي انه لايجوز كون امامين فى وقت واحد فى العالم ولايجوز الامام واحد الامحمد بن كرام السجستانى واباالصباح السمرقندى واصحابهما فانهم اجازوا كون امامين فى وقت واكثر في وقت واحد واحتج هؤلاء بقول الانصار اومن قال منهم يوم السقيفة للمهاجرين منا امير ومنكم امير واحتجوا ايضا بامر على والحسن مع معاوية رضى الله عنهم

(قال أبو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فيه لان قول الانصار رضى الله عنهم ماذكرنا لم يكن صوابا بل كان خطا اذ اداهم اليه الاجتهاد وخالفهم فيه المهاجرون ولابد اذا اختلف القائلان على قولين متنافيين من ان يكون احدهما حقا والآخر خطا واذ ذلك كذلك فواجب رد ماتنازعوا فيه الى ماافترض الله عزوجل الرد اليه عند التنازع اذ يقول الله تعالى * فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر * فنظرنا فى ذلك فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال اذا بويع لامامين فاقتلوا الاخر منهما وقال تعالى * ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا * وقال تعالى * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم * فحرم الله عزوجل التفرق والتنازع واذا كان امامان فقد حصل التفرق المحرم فوجد التنازع ووقعت المعصية لله تعالى وقلنا مالايحل لنا واما من طريق النظر والمصلحه فلو جاز ان يكون فى العالم امامان لجاز ان يكون فيه ثلاثة واربعة واكثر فان منع من ذلك مانع كان متحكما بلابرهان ومدعيا بلادليل وهذا الباطل الذى لا يعجز عنه احد وان جاز ذلك زاد الامر حتى يكون فى العالم امام او فى كل مدينة امام او فى كل قرية امام اويكون كل احد اماما وخليفة فى منزله وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا فصح ان قول الانصار رضي الله عنهم وهلة وخطا رجعوا عنه الى الحق وعصمهم الله تعالى من التمادى عليه واما أمر على والحسن ومعاويه فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه انذر بخارجة تخرج من طائفتين من امة يقتلها اولى الطائفتين بالحق فكان قاتل تلك الطائفة على رضى الله عنهم فهو صاحب الحق بلاشك وكذلك انذر عليه السلام بان عمارا تقتله الفئة الباغية فصح ان عليا هو صاحب الحق وكان على السابق الى الامامة فصح بعد انه صاحبها وان من نازعه فيها فمخطىء فمعاوية رحمه الله مخطىء ماجور مرة لانه مجتهد ولاحجة فى خطا المخطىء فبطل قول هذه الطائفة وأيضا فان قول الانصار رضى الله عنهم منا امير ومنكم امير يخرج على انهم انما ارادوا ان يلي وال منهم فاذا مات ولى من المهاجرين اخر وهكذا ابدا لا علي ان يكون امامان فى وقت وهذا هو الاظهر من كلامهم واما علي ومعاوية رضى الله عنهما فما سلم قط احدهما للاخر بل كل واحد منهما يزعم انه المحق وكذلك كان الحسن رضي الله عنه الى ان

الرأس مملوءة بالماء فاوقدت النار تحتها انكسرت وتصعدت ولاسبب له الا ان الماء صار اكبر مما كان ولاجائز ان يقال ان النار طلبت جهة الفوق بطبعها فانه كان ينبغي ان ترفع الاناء وتطيره لاان تكسره واذا كان الاناء صلبا خفيفا كان رفعه أسهل من كسره فتعين ان المسبب انبساط الماء فى جميع الجوانب ودفعه سطح الاناء الى الجوانب فينفس الموضع الذى كان اضعف وله امثلة أخرى تدل على ان المقدار يزيد وينقص ويقول ان العناصر قابلة للتاثيرات السموية اما اثار محسوسة مثل نضج الفواكه ومد البحار واظهرها الضوء والحرارة بواسطة الضوء والتحريك الى فوق بتوسط الحراره والشمس ليست بحارة ولا متحركة الى فوق وانما تاثيراتها معدات لمادة فى قبول الصورة من واهب الصور وقد يكون للقوى الفلكية تاثيرات خارجة من العنصريات والافكيف يبرد الافيون أقوى مما يبرد الماء والجزؤ البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد وكيف يفعل ضوء الشمس فى عيون العشى والنباتات بادنى تسخين مالا تفعله النار بالتسخين يكون فوقه فتبين ان العناصر كيف قبلت الاستحالة والتغير والتاثير وتبين ماله بالعنصر والجوهر * المقالة الثالثة فى المركبات او الآثار العلوية * قال ابن سينا ان العناصر الاربعة عساها لاتوجد كلياتها صرفة بل يكون فيها اختلاط ويشبه ان يكون النار ابسطها فى موضعها ثم الارض اما النار فلان ما يخالطها يستحيل اليها لقوتها واما الارض فلان نفوذ قوى مايحيط بها فى كليتها باسرها كالقليل وعسي ان يكون باطنها القريب من المركز قرب من البساطة ثم الارض علي طبقات الطبقة القريبة من المركز والثانية الطين والثالثة بعضه ماء وبعضه طين جففه الشمس وهو البر والسبب فى ان الماء غير محيط بالارض ان الارض ينقلب ماء فتحصل وهدة والماء يستحيل ارضا فتحصل ربوة والارض صلب وليس بسيال كالماء والهواء حتى ينصب بعض اجزائه الى بعض

اسلم الامر الي معاوية فاذ هذا كذلك فقد صح الاجماع على بطلان قول ابن كرام وابي الصباح و بطل ان يكون لهم تعلق في شيء اصلا و بالله تعالى التوفيق ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على قريش فذهب اهل السنة وجميع الشيعة و بعض المعتزلة وجمهور المرجئة الى ان الامامة لاتجوز الا فى قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك وانها لاتجوز فيمن كان ابوه من غير بنى فهر بن مالك وان كانت امه من قريش ولا في حليف ولا في مولى وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة الى انها جائزة فى كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان او عربيا او ابن عبد وقال ضرار بن عمرو الغطفانى اذا اجتمع حبشي وقرشي كلاهما قائم بالكتاب والسنة فالواجب ان يقدم الحبشي لانه اسهل لخلعه اذا حاد عن الطريقة

(قال ابو محمد) و بوجوب الامامة فى ولد فهر ابن مالك خاصة نقول بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الائمة من قريش وعلى ان الامامة فى قريش وهذه رواية جاءت مجيء التواتر ورواها انس ابن مالك وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ومعاوية وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ومما يدل على صحة ذلك اذعان الانصار رضى الله عنهم يوم السقيفة وهم اهل الدار والمنعه والعدد والسابقة فى الاسلام رضى الله عنهم ومن المحال ان يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الحق لغيرهم فى ذلك فان قال قائل ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش يدخل فى ذلك الحليف والمولى وابن الاخت لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم ومن انفسهم وابن اخت القوم منهم فالجواب و بالله تعالى التوفيق ان الاجماع قد تيقن وصح علي ان حكم الحليف والمولى وابن الاخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن اخت فمن اجاز الامامة فى غير هؤلاء جوزها فى هؤلاء ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولي وابن الاخت فاذا صح البرهان بان لايكون الا فى قريش لا فيمن ليس قرشيا صح بالاجماع ان حليف قريش ومولاهم وابن اختهم كحكم من ليس قرشيا و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقال قوم ان اسم الامامة قد يقع علي الفقيه العالم وعلى متولى الصلاة باهل مسجد ما قلنا نعم لايقع على هؤلاء الا بالاضافة لا بالاطلاق فيقال فلان امام فى الدين وامام بنى فلان فلا يطلق لاحد اسم الامامة بلا خلافة من احد من الامة الا على المتولى لامور اهل الاسلام فان قال قائل بان اسم الامارة واقع بلا خلاف على من ولى جهة من جهات المسلمين وقد سمى بالامارة كل من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة من الجهات او سرية اوجيشا وهؤلاء مؤمنون فما المانع من ان يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين فجوابنا و بالله تعالى التوفيق ان الكذب محرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا فانما هو امير لبعض

ويتشكل بالاستدارة واما الهواء فهو اربع طبقات طبقة يلي الارض فيها مائية من البخارات وحرارة لان الارض تقبل الضوء من الشمس فيتحمى فيتعدى للحرارة الى مايجاوره وطبقة لايخلو عن رطوبة بخارية ولكن أقل حرارة وطبقة هي هواء صرف صافى وطبقة دخانية لان الادخنة ترتفع الى الهواء وتقصد مركز النار فيكون كلما تنتشر فى السطح الاعلي من الهواء الى ان يتصعد (٧٤) فيخترق وأما النار فانها طبقة واحدة ولا ضوء لها بل هي كالهواء المشف الذى لا لون له وان رآى لون النار فهى بما يخالطها من الدخان صارت ذات لون ثم فوق النار الاجرام العالية الفلكية والعناصر بطبقاتها طوعها والكائنات الفاسدات تتولد من تاثيراتها والفلك وان لم يكن حارا ولا باردا فانه ينبعث منه فى الاجرام السفلية حرارة وبرودة بقوى تفيض منه اليها ونشاهد هذا من احراق شعاعه المنعكس عن المرآى ولو كان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعه لكان كل ما هو اقرب الى العلو أسخن بل سبب الاحراق التفات شعاع الشمس المسخن لما يلتفت به فيسخن الهواء فالفلك اذا هيج باسخانه للحرارة يخر من الاجسام المائية ودخن من الاجسام لارضية واثار شيئا بين الغبار والدخان من الاجسام المائية والارضية والبخار أقل مسافة صعود من الدخان لان الماء اذا سخن صار حارا رطبا والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت كان حارة يابسة والحار الرطب اقرب الى طبيعة الهواء والحار اليابس أقرب الى طبيعة النار والبخار لايجاوز مركز الهواء بل اذا وافى منقطع تاثير الشعاع برد وكثف والدخان فانه يتعدى حيز الهواء حتى يوافى تخوم النار واذ احتبسا فيهما حدثت كائنات أخر فالدخان اذا وافى حيز النار اشتعل و اذا اشتعل فربما سعى فيه الاشتعال فرأى كانه كوكب يقذف به وربما احترق وثبت فيه الاحتراق فرآيت العلامات الهائلة الحمر والسود وربما كان غليظا ممتدا وثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار بدوران الفلك

المؤمنين لا لكلهم فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبا لان هذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك وانما هو أمير بعض المؤمنين فصح انه ليس يجوز البتة ان يوقع اسم الامامة مطلقا ولا اسم أمير المؤمنين الا على القرشي المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم او الواجب له ذلك وان عصاه كثير من المومنين وخرجوا عن الواجب عليهم من طاعته والمفترض عليهم من بيعته فكانوا بذلك فئة باغية حلالا قتالهم وحربهم وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضا الا لمن هذه صفته وبالله التوفيق واختلف القائلون بان الامامة لا تجوز الا في صلبة قريش فقالت طائفة هي جائزة في جميع ولد فهر بن مالك فقط وهذا قول أهل السنة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد العباس بن عبد المطلب وهو قول الرلوندية وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا في ولد علي ابن ابي طالب ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وبلغنا عن بعض بني الحارث بن عبد المطلب انه كان يقول لا تجوز الخلافة الا في بني عبد المطلب خاصة ويراها في جميع ولد عبد المطلب وهم ابو طالب وابو لهب والحارث والعباس وبلغنا عن رجل كان بالاردن يقول لا تجوز الخلافة الا في بني أمية بن عبد شمس وكان له في ذلك تاليف مجموع ورأينا كتابا مؤلفا لرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه بان الخلافة لا تجوز الا لولد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما

(قال ابو محمد) فاما هذه الفرق الاربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق ان يشتغل بها الا دعاوى كاذبة لا وجه لها وانما الكلام مع الذين يرون الامر لولد العباس اولولد علي فقط لكثرة عددهم

(قال ابو محمد) احتج من ذهب الى ان الخلافة لا تجوز الا في ولد العباس فقط على ان الخلفاء من ولده وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه فاذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشيء لان ميراث العباس رضي الله عنه لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة واما المرتبة فما جاء قط في الديانات انها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ولو جاز ان تورث المراتب لكان من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا ما اذا مات وجب ان يرث تلك الولاية عاصبه ووارثه وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع اهل القبلة حاشا الروافض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * وورث سليمان داود * وبقوله تعالى

وكان ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كأنه لحية كوكب وربما حميت الادخنة في برد الهواء للتعاقب المذكور فانضغطت مشتعلة وان بقي شيء من الدخان في تضاعيف الغيم وبرد صار ريحا وسط الغيم فتحرك عنه بشدة يحصل منه صوت يسمى الرعد وان قويت حركته وتحريكه اشتعل من حرارة الحركة والهواء والدخان فصار نارا مضيئة يسمى البرق وان كان المشتعل كثيفا ثقيلا محرقا اندفع بمصادمات الغيم الى جهة الارض فيسمي صاعقة ولكنه نار لطيفة تنفذ في الثياب والاشياء الرخوة وينصدم بالاشياء الصلبة كالذهب والحديد فتذيبه حتى يذيب الذهب في الكيس ولا يحرق الكيس ويذيب ذهب المراكب ولا يحرق السير ولا يخلو برق عن رعد لانهما جميعا عن الحركة ولكن البصر أحد فقد البرق ولا ينتهي الصوت الي السمع وقد يرى متقدما ويسمع متاخرا واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا ويتراكم ويكثر مادته في أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما يوافيه برد الليلة سريعا قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي أعني السحاب فنزل وكان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم في الاعالي أعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء وكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب وفي الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجة فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال مطرا ثم ربما وقع على صقيل السحب صور النيرات واضواؤها كما يقع في المرائي والجدران الصقيلة فيري ذلك على أحوال مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وبعدها من الرائي وصفاتها

حا كيا عن ذ كريا عليه السلام انه قال * فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة فيه لان الرواة حملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بنى اسرائيل ينقلون بلا اخلاف نقلا يوجب العلم ان داود عليه السلام كان له بنون غير سليمان عليه السلام فصح انه ورث النبوة وبرهان ذلك انهم كلهم مجمعون على انه عليه السلام ولى مكان ابيه عليهما السلام وليس له الا اثنتى عشرة سنة ولداود اربعة وعشرون ابنا كبارا وصغارا وهكذا القول فى ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الاية نفسها قوله عليه السلام يرثنى ويرث من آل يعقوب * وهم مئوا الوف يرث عنه النبوة فقط وايضا فمن المحال ان يرغب زكريا عليه السلام فى ولد يحجب عصبته عن ميراث فانما يرغب فى هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها وقد نزه الله عزوجل مريم عليها السلام التى كانت فى كفالته من المعجزات قال تعالى * كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * الى قوله * انك سميع الدعاء * وعلى هذ المعنى دعا فقال * هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا * واما من اغتر بقوله تعالى حا كيا عنه عليه السلام انه قال * وانى خفت الموالى من ورائى * قيل له بطلان هذا الظن ان الله تعالى لم يعطه ولدا يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل اعطاه ولدا حصورا لا يقرب النساء قال تعالى * وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين فصح ضرورة انه عليه السلام انما طلب ولدا نبيا لا ولدا يرث المال وايضا فلم يكن العباس محيطا بميراث النبى صلى الله عليه وسلم وانما كان يكون له ثلاثة اثمانه فقط وأما ميراث المكانة فقد كان العباس رضى الله عنه حيا قائما اذ مات النبى صلى الله عليه وسلم فما ادعى العباس لنفسه قط فى ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا انكره ولا غيره ترك ذكره فيها فصح انه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به والخلفاء من ولده والافاضل منهم من غير الخلفاء لا يرون لانفسهم بهذه الدعوة ترفعا عن سقوطها ووهيها وبالله تعالى التوفيق وأما القائلون بان الامامة لا تكون الا فى ولد على رضى الله عنه فانهم انقسموا قسمين فطائفة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على على بن ابي طالب انه الخليفة بعده وان الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه وعلى كتمان نص النبى صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المسمون الروافض وطائفة قالت لم ينص النبى صلى الله عليه وسلم على على لكنه كان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم بالامر وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ثم اختلف الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه وكفروا من خالفه

وكدورتها واستوائها ورعشها وكثرتها وقلتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب فالهالة تحدث من انعكاس البصر عن الرش المطيف بالنير الى النير حيث يكون الغمام المتوسط لا يخفى النير فيرى دائرة كانه منطقة محورها الخط الواصل بين الناظر وبين النير ومافى داخلها ينفذ عنه البصر الى النير ويريه غالبا على أجزاء الرش بجعلها كانها غير موجودة وكان الغالب هناك هؤلاء شفاف وأما القوس فان الغمام يكون فى خلاف جهة النير فينعكس الزوايا من الرش الى النير لا بين الناظر والنير بل الناظر أقرب الى النير منه الى المراة فتقع الدائرة التى هى كالمنطقة أبعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الافق كان الخط المار بالناظر على سيط الافق وهو المحور فيجب أن يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فترى القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انخفض الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة أقل من نصف دائرة واما تحصيل الالوان على الجهة الشافية فان لم يستبن لى بعد والسحب ربما تفوقت وذابت وصارت ضبابا وربما اندفعت بعد التلطف الى أسفل فصارت رياحا وربما هاجت الرياح لاندفاع فيضها من جانب الى جهة وربما هاج الانبساط الهواء بالتخلخل عند جهة واندفاعه الى أخرى واكثر ما يهيج لبرد الدخان المتصاعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التى تتبع الهواء العالى فانعطفت رياحا والسموم ما كان منها محترقا وأما الابخرة داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمد فيخرج عيونا وان لم يدعها السخونة تبرد وكثرت وغلظت فلم ينفذ فى مجارى مستحصفة فاجتمعت واندفعت بمرة فزلزلت الارض فخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقطاعالى وهدة فى باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة فى باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر اذا وصل اليها من سخونة الشمس وتأثير الكواكب حظ وذلك بحسب

من الصحابة وهم الجارودية وقالت اخرى ان الصحابة رضي الله عنهم لم يظلموه لكنه طيب نفسه بتسليم حقه الى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وانه اماما وهدى ووقف بعضهم في عثمان رضي الله عنه وتولاه بعضهم وذكر طائفة ان هذا مذهب الفقيه الحسن ابن صالح بن حي الهمداني

(قال ابو محمد) وهذا خطأ وقد رأيت لهشام ابن الحكم الرافضي الكوفي في كتابه المعروف بالميزان وقد ذكر الحسن ابن حي وأن مذهبه كان ان الامامة في جميع ولد فهر ابن مالك (قال ابو محمد) وهذا الذي لا يليق بالحسن بن حي غيره فانه كان احد أئمة الدين وهشام ابن الحكم اعلم به ممن نسب اليه غير ذلك لان هشاما كان جاره بالكوفة واعرف الناس به وأدركه وشاهده والحسن بن حي رحمه الله يحتج بمعاوية رضي الله عنه وبابن الزبير رضي الله عنهما وهذا مشهور عنه في كتبه ورواياته من روى عنه وجميع الزيدية لا يختلفون في ان الامامة في جميع ولد علي بن ابي طالب من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه وقالت الروافض الامامة في علي وحده بالنص عليه ثم في الحسن ثم في الحسين وادعوا نصا آخر من النبي صلى الله عليه وسلم عليهما بعد ابيهما ثم على ابن الحسين لقول الله عز وجل * واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله * قالوا فولد الحسين احق من اخيه ثم محمد بن علي بن الحسين ثم جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم وهشام الجواليقي وداود الحواري وداود الرقي وعلي بن منصور وعلي بن هيثم وابي علي السكاك تلميذ هشام بن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق وابي ملك الحضرمي وغيرهم ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة ابن اسماعيل بن جعفر وقالت طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل وقالت طائفة جعفر حي لم يمت وقال جمهور الرافضة بامامة ابنه موسى بن جعفر ثم علي ابن موسى ثم محمد بن علي بن موسى ثم علي ابن محمد بن علي بن موسى ثم الحسن بن علي ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن بن علي ولد فاخفاه وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الاشهر وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والاظهر ان اسمها صقيل لان صقيل هذه ادعت الحمل بعد الحسن بن علي سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها في ذلك اخوه جعفر ابن علي وتعصب لها جماعة من ارباب الدولة وتعصب لجعفر آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل واخذ الميراث جعفر اخوه وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها الى ان حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وقد عير بها انها في منزل الحسن بن جعفر النوبختي

اختلاف المواضع والازمان والمواد فمن الجواهر ماهو قابل للاذابة والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل ان يصلب زئبقا ونفطا وانطراقها لحياة رطوبتها ولعصيانها الجمود التام ومنها ما لا يقبل ذلك وقد يتكون من العناصر اكوان ايضا بسبب القوى الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجا اكثر اعتدالا من المعادن فيحصل في المركب قوة غاذية وقوة نامية وقوة مولدة وهذه القوى متمايزة بخصائصها *

اعلم ان النفس كجنس واحد ينقسم ثلاثة أقسام أحدها النباتية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتولد ويربو ويتغذى والغذاء جسم من شأنه ان يشتبه بطبيعة الجسم الذي قيل انه غذاؤه ويزيد فيه مقدارا ما يتحلل أو أكثر أو أقل والثاني النفس الحيوانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة والثالث النفس الانسانية وهي الكمال الاول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي من جهة ما يدرك الامور الكلية والنفس النباتية قوى ثلاث وهي الغاذية القوة التي تحيل جسما آخر الى مشاكلة الجسم الذي هي فيه فيلصقه به بدل ما يتحلل عنه والقوة المنمية وهي قوة تزيد في الجسم الذي هي فيه بالجسم المشبه زيادة في اقطاره طولا وعرضا وعمقا بقدر ليبلغ به كماله النشوء والقوة المولدة وهي التي تاخذ من الجسم الذي هي فيه جزؤا هو شبيه الواجب له بالقوة فيفعل فيه باستمداد اجسام اخر تشبه به من التخليق والتمزيج مايصير شبيها به بالفعل فللنفس النباتية ثلاث قوى وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة والمحركة على قسمين اما محركة بانها باعثة واما محركة بانها فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية الشوقية وهي القوة التي اذا ارتسمت في التخييل بعد صورة مطلوبة او مهروب عنها حملت القوة التي تدركها على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى شهوانية وهي قوة تبعث على تحريك يقرب

الكاتب فوجدت فيه وحملت الى قصر المعتضد فبقيت هنالك الى ان ماتت في القصر فى ايام المقتدر فهم الى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاما وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن ابى عبيد وكيسان اباعمرة وغيرهما يذهبون الى ان الامام بعد الحسين محمد اخوه المعروف بابن الحنفية ومن هذه الطائفة كان السيد الحميرى وكثير عزة الشاعران وكانوا يقولون ان محمد ابن الحنفية حى بجبل رضوى ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف

﴿وقال ابو محمد﴾ وعمدة هذه الطوائف كلها فى الاحتجاج احاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لا دين له ولا حياء

﴿قال ابو محمد﴾ لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونا ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها وانما يجب ان يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذى تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج اولم يصدقه لان من صدق بشىء لزمه القول به او بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذ مكابرا منقطعا ان ثبت على ما كان عليه الا ان بعض ما يشغبون به احاديث صحاح نوافقهم على صحتها منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضي الله عنه انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدى

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده عليه السلام لان هرون لم يل امر بنى اسرائيل بعد موسى عليهما السلام وانما ولى الامر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر عليهما السلام كما ولى الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه فى الغار الذى سافر معه الى المدينة واذا لم يكن على نبيا كما كان هرون نبيا ولا كان هرون خليفة بعد موت موسى على بنى اسرائيل فقد صح ان كونه رضى الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسي انما هو فى القرابة فقط وايضا فانما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول اذ استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك فقال المنافقون استقله فخلفه فلحق على برسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى ذلك اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ انت مني بمنزلة هارون من موسى يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختار استخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام ايضا مختار الاستخلافه ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في اسفاره رجالا سوى على رضى الله عنه فصح ان هذا الاستخلاف لا يوجب لعلى فضلا على غيره ولا ولاية الامر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين

﴿قال ابو محمد﴾ وعمدة ما احتجت به الامامية ان قالوا لا بد من ان يكون امام معصوم عنده جميع علم الشريعة ترجع الناس اليه فى احكام الدين ليكونوا ما تعبدوا به على يقين

به من الاشياء المتخيلة ضرورية او نافعة طلبا اللذة وشعبة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشىء المتخيل ضارا اومفسدا طلبا للغلبة واما لقوة على انها فاعلة فهى قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات من شانها ان تشنج العضلات فتجذب الاوتاد والرباطات الى جهة المبدأ اوترخيها او تمددها طولا فتصير الاوتاد والرباطات الى خلاف المبدأ واما القدرة المدركة فتنقسم قسمين احدهما قوة تدرك (٧٨) من خارج وهى الحواس الخمس او الثمانية فمنها البصر وهى قوة مرتبة فى العصبة المجوفة تدرك صورة ماينطبع فى الرطوبة الجلدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية فى الاجسام الشافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصقلية ومنها السمع وهى قوة مترتبة فى العصب المتفرق فى سطح الصماخ تدرك صورة مايتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحصل منه تموج فاعل للصوت يتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماس امواج تلك الحركة العصبية فيسمع ومنها الشم وهى قوة مترتبة فى زائدتى مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى تدرك مايؤدى اليه من الهواء المنتشق من الرائحة المخالطة البخار الريح والمنطبع فيه بالاستحالة من جرم ذى رائحة ومنها الذوق وهى قوة مترتبة فى العصب المفروش على جرم اللسان تدرك الطعوم المتحللة من الاجسام المماسة المخالطه للرطوبة العذبة التى فيه فتخيله ومنها اللمس وهى قوة منبثة فى جلد البدن قال كله ولحمه فاشية فيه والاعصاب تدرك ماتماسه وتؤثر فيه بالمضادة ويغيره في المزاج أو الهيئة ويشبه أن تكون هذه القوة لانوعا بل جنسا لاربع قوى منبثة معا فى الجلد كله الواحدة حاكمة فى التضاد الذى بين الحار والبارد والثانية حاكمة فى التضاد الذى بين الخشن والاملس الا ان اجتماعها في آلة واحدة توم اتحادها فى الذات والمحسوسات كلها تتادى الى آلات الحس فتنطبع

(قال ابو محمد) هذا لاشك فيه وذلك معروف ببراهينه الواضحة واعلامه المعجزة وآياته الباهرة وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا تبيان دينه الذى الزمنا اياه صلى الله عليه وسلم فكان كلامه وعهوده وما بلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة الى من بحضرته والى من كان فى حياته غائبا عن حضرته والى كل من ياتى بعد موته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة من جن وانس قال عز وجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء * فهذ نص ماقلنا وابطال اتباع أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الحاجة الى فرض الامامة لتنفيذ الامام عهود الله تعالى الواردة الينا علي من عند فقط لالان ياتى الناس مالا يشاؤنه فى معرفته من الدين الذى اتام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ دعى الى التحاكم الى القرآن اجاب واخبر ان التحاكم الى القرآن حق فان كان على اصاب فى ذلك فهو قولنا وان كان اجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ولو كان التحاكم الى القرآن لايجوز بحضرة الامام لقال علي حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وانا الامام المبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قالوا اذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد من امام يبلغ الدين قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته وانما الذى يحتاج اليه اهل الارض من رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانه وتبليغه فقط سواء فى ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس فى شخصه صلى الله عليه وسلم اذا لم يتكلم بيان عن شيء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام باق ابدا مبلغ الى كل من فى الارض وايضا فلو كان ماقالوا من الحاجة الى امام موجود ابدا لا نتقض ذلك عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام فى اقطار الارض اذ لا سبيل الى ان يشاهد الامام جميع أهل الارض الذين فى المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذى يضيع ان اغفله فلابد من التبليغ عن الامام فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه وهذا مالا انفكاك لهم منه (قال ابو محمد) لاسيما وجميع ائمتهم الذين يدعون بعد على والحسن والحسين رضي الله عنهم ما امروا قط فى غير منازل سكناهم وما حكموا على قرية فما فوقها بحكم فما الحاجة اليهم لاسيما مذ مائة عام وثمانين عاما فانهم يدعون اماما ضالا لم يخلق كعنقاء مغرب وهم اولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لم يعجز عن مثلها احد وايضا فان الامام المعصوم لا يعرف انه معصوم الا بمعجزة ظاهرة عليه او بنص تنقله العلماء عن النبى صلى الله عليه وسلم على كل امام بعينه واسمه ونسبه والا فهى دعوى لا يعجز عن مثلها احد لنفسه اولمن شاء ولقد يلزم كل ذى عقل سليم ان يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف الذى ترتفع عقول الصبيان عنه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وبرهان آخر ضرورى وهو ان رسول الله

فيما فتدركها القوة الحاسة والقسم الثانى قوى يدرك صور المحسوسات ومنها مايدرك معانى المحسوسات والفرق بين القسمين هو أن الصورة هو الشيء الذى تدركه النفس الناطقة والحس الظاهر معا ولكن الحس يدركه أولا ويؤديه الى النفس مثل ادراك الشاة صورة الذئب وأما المعنى فهو الذى تدركه من المحسوس من غير أن يدركه الحس أولا مثل ادراك الشاة المعنى المضاد فى الذئب الموجب لخوفها اياه وهربها عنه ومن المدركات الباطنة مايدرك ويفعل ٧٩ ومنها مالايدرك ولا يفعل والفرق بين القسمين أن الفعل فيها هو ان تركب الصور والمعانى المدركة بعضها مع بعض ويفصل بعضها عن بعض فيكون ادراك وفعل أيضا فيما ادرك والادراك لامع الفعل هو أن تكون الصورة أو المعنى ترتسم فى القوة فقط من غير أن يكون لها فعل وتصرف فيه ومن المدركات الباطنة مايدرك أولا ومنها مايدرك ثانيا والفرق بين القسمين أن الادراك الاول هو ان يكون حصول الصورة على نحو ما من الحصول قد وقع للشيء من [illegible] الادراك الثانى هو ان يكون حصولها من جهة شيء آخر أدى اليها ثم من القوة الباطنة المدركة الحيوانية قوة بنطاسيا وهو الحس المشترك وهى قوة مترتبة فى التجويف الاول من مقدم الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمس متادية اليه ثم الخيال والمصورة وهى قوة مترتبة فى التجويف المقدم من الدماغ يحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس ويبقى فيها بعد غيبة المحسوسات والقوة التى تبقى متخيلة بالقياس الى النفس الحيوانية وتسمى مفكرة بالقياس الى النفس الانسانية فهو قوة مرتبة فى التجويف الاوسط من الدماغ عند الدودة من شانها ان تركب بعض مافى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعانى الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية كالقوة الحاكمة بان الذئب مهروب عنه

وان الولد معطوف عليه ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مترتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ماتدركه القوة الوهمية من المعاني الغير المحسوسة في المحسوسات ونسبة الحافظة الى الوهمية كنسبة الخيال الى الحس المشترك الا ان ذلك في المعاني وهذا في الصور فهذه خمس قوى الحيوانية واما النفس الناطقة للانسان فتنقسم قواها ايضا الى قوة عالمة وقوة عاملة وكل واحد من (٨٠) القوتين يسمى عقلا باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدأ محرك لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها اصطلاحية ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعيه واعتبار بالقياس الى القوة المتخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس الى نفسها وقياسها الى النزوعية ان يحدث عنها فيها هيئات تخص الانسان يتهيىء بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك وقياسها الى المتخيلة والمتوهمة هو ان يستعملها في استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية وقياسها الى نفسها ان فيما بينها وبين العقل النظرى يتولد الاراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والصدق حسن وهى هذه القوى هى التى يجب ان تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ماتوجبه احكام القوة العاملة حتى لا ينفعل عنها البتة بل تنفعل عنه فلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستمدة من الامور الطبيعية وهى التى تسمى اخلاقا رذيلة بل تحدث في سعة القوى البدنية هيئات انقيادية لها وتكون متسلطة عليها واما القوة العالمة النظرية فهى قوة من شانها ان تنطبع بالصور الكلية المجردة من المادة فان كانت مجردة بذاتها فذلك وان لم يكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء ثم لها الى هذه الصور نسب وذلك ان الشيء الذى من شانه ان يقبل شيئا قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون

صلى الله عليه وسلم مات وجمهور الصحابة رضى الله عنهم حاشا من كان منهم في النواحى يعلم الناس الدين فما منهم احد اشار الى علي بكلمة يذكر فيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص عليه ولا ادعى ذلك علي قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ولا ادعاه له احد فى ذلك الوقت ولا بعده ومن المحال الممتنع الذى لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق اكثر من عشرين الف انسان متنابذى الهمم والنيات والانساب اكثرهم موتور فى صاحبه فى الدماء من الجاهلية علي طى عهد عاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وما وجدنا قط رواية عن احد بهذا النص المدعى الا رواية واحدة واهية عن مجهولين الى مجهول يكنى بالحمراء لا يعرف من هو فى الخلق ووجدنا عليا رضى الله عنه تاخر عن البيعة ستة اشهر فما اكرهه ابو بكر علي البيعة حتى بايع طائعا مراجعا غير مكره فكيف حل لعلى رضى الله عنه عند هؤلاء النوكى ان يبايع طائعا رجلا اما كافرا واما فاسقا جاحدا لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعينه علي امره ويجالسه فى مجالسه ويواليه الى ان مات ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب مبادرا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعا وصحبه واعانه علي امره وانكحه من ابنته فاطمة رضى الله عنها ثم قبل ادخاله فى الشورى احد ستة رجال فكيف حل لعلى عند هؤلاء الجهال ان يشارك بنفسه فى شورى ضلة وكفر ويغر الامة هذا الغرور وهذا الامر ادى ابا كامل الى تكفير على بن ابي طالب رضى الله عنه لانه في زعمه اعان الكفار على كفرهم وايدهم على كتمان الديانة وعلي مالا يتم الدين الا به

(قال ابو محمد) ولا يجوز ان يظن بعلى رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدى رسول الله صلي الله عليه وسلم مرات ثم يوم الجمل وصفين فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين وما الذى الف بين بصائر الناس على كتمان حق علي ومنعه ما هو احق به مذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قتل عثمان رضى الله عنه ثم ما الذى حلى بصائرهم فى عونه اذ دعا الى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه فما الذى منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذى يدعيه الكذابون اذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة ايام او يوم السقيفة واظرف من هذا بقاؤه ممسكا عن بيعة ابى بكر رضى الله عنه ستة اشهر فما سئلها ولا اجبر عليها ولا كلفها وهو يتصرف بينهم فى اموره فلولا انه رأى الحق فيها واستدرك امره فبايع طالبا حظ نفسه فى دينه راجعا الى الحق لما بايع فان قالت الروافض انه بعد ستة اشهر رأى الرجوع الى الباطل فهذا هو الباطل حقا لا ما فعل علي رضى الله عنه ثم ولى علي رضي الله عنه فما غير حكما من احكام ابى بكر وعمر وعثمان ولا ابطل عهدا من عهودهم ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في

سعة من أن يمضي الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه وأيضا فقد نازع الانصار رضي الله
عنهم أبا بكر رضي الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عبادة رضي الله عنه ودعا المهاجرون الى بيعة
ابي بكر رضي الله عن جميعهم وقعد علي رضي الله عنه في بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ليس
معه أحد غير الزبير بن العوام ثم استبان الحق للزبير رضي الله عنه فبايع سريعا وبقي علي وحده لا
يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع احد من لقائه فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى
بيعة ابي بكر من ان يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه اليهم فاوجب ذلك الانقياد لبيعته او فعلوا
ذلك مطارفة لغير معنى ولا سبيل الى قسم رابع بوجه من الوجوه فان قالوا بايعوه بغلبة كذبوا
لانه لم يكن هنالك قتال ولا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفسح للوعيد ولا
سلاح ماخوذ ومحال ان يترك أزيد من الفي فارس انجاد ابطال كلهم عشيرة واحدة قد ظهر من
شجاعتهم ما لا مرمى وراءه وهو انهم بقوا ثمانية اعوام متصلة محاربين لجميع العرب في اقطار
بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك للحرب مع قيصر والروم بمؤتة وغيرها ولكسرى
والفرس بيصري من يخاطبهم يدعوه الى اتباعه وان يكون كاحد من بين يديه هذه صفة
الانصار التي لا ينكرها الا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع أن يرهبوا ابا بكر
ورجلين أتيا معه فقط لا يرجع الى عشيرة كثيرة ولا الى موال ولا الى عصبة ولا مال فرجعوا
اليه وهو عندهم مبطل وبايعوه بلا تردد ولا تطويل وكذلك يبطل ان يرجعوا عن قولهم
وما كانوا قدرأوه من أن الحق حقهم وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق
اليهم فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطرهم الى
ذلك ودون طمع يتعجلونه من مال او جاه بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك
الى رجل لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا قصر يمتنع فيه ولا موالي ولا
مال فاين كان علي وهو الذي لا نظير له في الشجاعة ومعه جماعة من بني هاشم وبني المطلب من
قتل هذا الشيخ الذي لا دافع دونه لو كان عنده ظالما وعن منعه وزجره بل قد علم والله علي
رضي الله عنه أن ابا بكر رضي الله عنه على الحق وان من خالفه على الباطل فاذعن للحق بعد
ان عرضت له فيه كبوة كذلك الانصار رضي الله عنهم واذ قد بطل كل هذا فلم يبق الا أن
عليا والانصار رضي الله عنهم انما رجعوا الى بيعة ابي بكر رضي الله عنه لبرهان حق صح
عندهم عن النبي صلى الله عليه لا لاجتهاد كاجتهادهم ولا لظن كظنونهم فاذ قد بطل أن يكون
الامر في الانصار وزالت الرياسة عنهم فما الذي حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على ان يتفقوا
على جحد نص النبي صلى الله عليه وسلم على امامة علي ومن المحال ان تتفق آراؤهم كلهم على
معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم الا ان تدعي الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد
فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعي فيما شاء من المحال
انه قد كان وان الناس كلهم نسوه وفي هذا ابطال الحقائق كلها وأيضا فان كان جميع أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طبائعهم كلهم
على نسيانه فمن أين وقع الروافض أمره ومن بلغه اليهم وكل هذا عن هوس ومحال فبطل
أمر النص على علي رضي الله عنه بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فان قال قائل
ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان قد قتل الاقارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتولد له بذلك حقد في قلوب جماعة من الصحابة ولذلك انحرفوا عنه قيل له هذا تمويه

بالفعل والقوة على ثلاثة أوجه قوة مطلقة هيولانية وهو الاستعداد المطلق من غير فعل ما كقوة الطفل على
الكتابة وقوة ممكنة وهو
استعداد مع فعل ما كقوة الطفل
بعد ما تعلم بسائط الحروف
وقوة تسمى ملكة وهي
قوة لهذا الاستعداد اذا
تم بالآلة ويكون له ان يفعل
متى شاء بلا حاجة الى
اكتساب فالقوة النظرية
قد تكون نسبتها الى الصور
نسبة الاستعداد المطلق
وتسمى عقلا هيولانيا
واذا حصل فيها من المعقولات
الاولى التي يتوصل بها
الى المعقولات الثانية التي
تسمى عقلا بالفعل واذا
حصلت فيها المعقولات الثانية
المكتسبة وصارت مخزونة
له بالفعل متى شاء طالعها فان
كانت حاضرة عنده بالفعل
تسمى عقلا مستفادا
وان كانت مخزونة تسمى
بالملكة وهاهنا ينتهي
النوع الانسانية ويتشبه
بالمبادىء الاولى بالوجود
كله وللناس مراتب في هذا
الاستعداد فقد يكون عقلا
شديد الاستعداد حتى لا يحتاج
في ان يتصل بالعقل الفعال
الى كثير شيء من تجريب
وتعليم حتى كأنه يعرف
كل شيء من نفسه لا تقليدا
بل بترتيب يشتمل على
حدود وسطى فيه اما دفعة
في زمان واحد واما دفعات
في أزمنة شتى وهي القوة
القدسية التي تناسب روح
القدس فيفيض عليها من
 المعقولات او ما يحتاج اليه في تكميل القوة العملية فالدرجة العليا منها النبوة وربما يفيض عليها وعلى

ضعيف كاذب لانه ان ساغ لكم ذلك في بنى عبد شمس و بنى مخزوم و بنى عبد الدار و بنى عامر لانه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلا أو رجالا فقتل من بنى عامر بن لؤى رجلا واحدا وهو عمرو بن ود وقتل من بنى مخزوم و بنى عبد الدار رجالا وقتل من بنى عبد شمس الوليد بن عقبة والعاص بن سهل بن العاص بلاشك وشارك فى قتل عتبة بن ربيعة وقيل قتل عقبة بن ابى معيط وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الانصارى ولامزيد فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لاحد منها يوم السقيفة حل ولا عقد ولا رأى ولا أمر اللهم الا ان ابا سفيان بن حرب بن امية كان مائلا الى علي فى ذلك الوقت عصبية للقرابة لا تدينا وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومى مائلين الى الانصار تدينا والانصار قتلوا أباجهل بن هشام أخاه وقد كان محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى على حين قصة عثمان و بعدها حتى قتله معاوية على ذلك فعرفونا من قتل على من بنى تيم بن مرة أو من بنى عدى بن كعب حتى يظن أهل القحة انهما حقدا عليه ثم اخبرونا من قتل من الانصار أو من جرح منهم أو من اذى منهم ألم يكونوا معه فى تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم و بعضهم مساوله و بعضهم متاخر عنه فاى حقد كان له فى قلوب الانصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه وعلى ترك ذكر اسمه جملة وايثار سعد بن عبادة عليه ثم على ايثار ابى بكر وعمر عليه والمسارعة الى بيعته بالخلافة دونه وهو معهم و بين أظهرهم يرونه غدوا وعشيا لايحول بينهم وبينه أحد ثم اخبرونا من قتل على من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر و ربيعة واليمن وقضاعة حتى يصفقوا(١) كلهم على كراهية ولايته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ان هذه لعجائب لا يمكن اتفاق مثلها فى العالم أصلا ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص من القتل فى المشركين كالذي كان لعلى فما الذى خصه باعتقاد الاحقاد له دونهم لو كان للروافض حياء أو عقل ولقد كان لابي بكر رحمه الله ورضى عنه في مضادة قريش فى الدعاء الى الاسلام مالم يكن لعلى فمامنعهم ذلك من بيعته وهو اسوأ الناس اثرا عند كفارهم ولقد كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على رغمهم مالم يكن لعلى رضى الله عنه فليت شعرى ماالذى أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ويعادوا عليا من بينهم كلهم لولا قلة حياء الروافض وصفاقة وجوههم حتى بلغ الامر بهم الى ان عدوا على سعد بن ابى وقاص وابن عمر واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافع بن خديج الانصارى ومحمد بن مسلمة الانصارى وزيد بن ثابت الانصارى وابى هريرة وأبي الدرداء وجماعة غير هؤلاء من المهاجرين انهم لم يبايعوا عليا اذ ولى الخلافة ثم بايعوا معاوية ويزيد ابنه من ادركه وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك

(قال ابو محمد) حمق الرافضة وشدة ظلمة جهلهم وقلة حيائهم هورهم فى الدمار والبوار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح وليت شعرى أى حماسة وأى كلمة حسنة كانت بين على وبين هؤلاء أو احد منهم وانما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لايرون بيعة فى فرقة فلما اتفق المسلمون على ما اتفقوا عليه كائنا من كان دخلوا فى الجماعة وهكذا فعل من ادرك من هؤلاء ابن الزبير رضى الله عنه ومروان فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبدالملك بن

(١) يصفقوا كلهم بضم حرف المضارعة من أصفق يصفق كاجمع اى يجمعوا عليه

مروان

المتخيلة من روح القدس معقول تحاكيه المتخيلة (٨٢) بامثلة محسوسة او كلمات مسموعة بامثلة فيعبر عن هذه الصورة بملك فى صورة رجل وعن الكلام بوحى فى صورة عبارة*

المقالة الخامسة فى ان النفس الانسانية جوهر ليس بجسم ولا قائم بجسم وان ادراكها قد يكون بالات وقد يكون بذاتها لا بالات وانها واحدة وقواها كثيرة وانها حادثة مع حدوث البدن و باقية بعد فناء البدن اما البرهان على النفس ليست بجسم هو انا نحس من ذواتنا ادراكا معقولا مجردا عن المواد وعوارضها اعنى الكم والاين والوضع و ما الا ان المدرك لذاته كذلك كالعلم بالوحدة والعلم بالوجود مطلقا واما لان العقل جرد عن العوارض كالانسان مطلقا فيجب ان ينظر فى ذات هذه الصور المجردة كيف هي في تجردها اما بالقياس الى الشىء الماخوذ عنه واما بالقياس الى مجرد الاخذ ولا يشك انها بالقياس الى الماخوذ عنه ليست مجردة فبقى انها مجردة عن الوضع والاين عند وجودها فى العقل والجسم ذو وضع واين ومالا وضع له لايحل ماله وضع واين وهذه الطريقة اقوى الطرق فان الشىء المعقول الواحد الذات المتجرد عن المادة لايخلو اما ان يكون له نسبة الى بعض الاجزاء دون بعض فيحل فى جهة حتى يكون متيامنا او متياسرا بالنسبة الى الحل او تكون نسبته الى الكل نسبة

مروان بايعه من ادركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا وهكذا كان امرهم في علي ومعاوية فلاحت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وهذا زيد بن حارثة قتل يوم بدر حنظلة بن ابي سفيان وهذا الزبير بن العوام قتل يوم بدر أيضا عبيدة بن سعيد بن العاص وهذا عمر بن الخطاب قتل يومئذ العاص بن هشام بن المغيرة فهلا عاداهم اهل هؤلاء المقتولين وما الذي خص عليا باولياء من قتل دون سائر من قلنا لولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم ثم لو كان ماذكروه حقا فما الذي كان دعا عمر الى ادخاله في الشورى مع من ادخله فيها ولو اخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد أو قصد الى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه أحد في ذلك بكلمة فصح ضرورة بكل ما ذكرنا ان القوم انزلوه منزلته غير غالين ولا مقصرين رضي الله عنهم اجمعين وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل وساووه بنظرائه منهم ثم اوضح برهان وابين بيان في بطلان اكاذيب الرافضة ان عليا رضي الله عنه لما ادعى الى نفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف المهاجرين والانصار الى بيعته فهل ذكر احد من الناس ان احدا منهم اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان او هل تاب احد منهم من جحده للنص على امامته او قال احد منهم لقد ذكرت هذا النص الذي كنت انسيته في امر هذا الرجل ان عقولا خفي عليها هذا الظاهر اللائح لمخذولة لم يرد الله ان يهديها ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة على احدهم ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة من احد ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من فضل بائن على من معه ينفرد به عنهم اما كان الواجب على علي ان يقول ايها الناس كم هذا الظلم لي وكم هذا الكتمان بحقي وكم هذا الجحد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن على هؤلاء المقرونين بي فاذ لم يفعل لا يدري لماذا اما كان في بني هاشم احد له دين يقول هذا الكلام أما العباس عمه وجميع العالمين على توقيره وتعظيمه حتى ان عمر توسل به الى الله تعالى بحضرة الناس في الاستسقاء واما احد بنيه وأما عقيل اخوه واما احد بني جعفر اخيه او غيرهم فاذ لم يكن في بني هاشم احد يتقي الله عز وجل ولا يأخذه في قول الحق مداهنة اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا علي له حق واجب بالنص وله فضل بائن ظاهر لا يمترى فيه فبايعوه فامره وبين ان اتفاق جميع الامة اولها من آخرها من برقة الى اول خراسان ومن الجزيرة الى اقصى اليمن اذ بلغهم الخبر على السكوت عن حق هذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه وليس هنالك شيء يخافونه لاحدى عجائب المحال الممتنع وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك اذ صار الحق حقه وقتلوا انفسهم دونه فاين كانوا عن اظهار ما تنبهت له الروافض الانذال ثم العجب اذ كان غيظهم عليه هذا الغيظ واتفاقهم على جحده حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ام كيف اكرموه وبروه وادخلوه في الشورى وقال هشام بن الحكم كيف يحسن الظن بالصحابة ان لا يكتموا النص على علي وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن في هذا

واحدة أو لا يكون لها نسبة اليه ولا اله الى جميع الاجزاء فان ارتفعت النسبة من كل وجه ارتفع الحلول في جملة الجسم أو في جزء من اجزائه وان تحققت النسبة صار الشيء المعقول ذا وضع وقد وضع غير ذي وضع هذا خلف وبه تبين ان الصور المنطبعة في المادة لا تكون الا أشباحا لامور جزوية منقسمة ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة الى جزء منها وايضا فان الشيء المتكثر في اجزاء الحد له من جهة التمام وحدة هو بها لا ينقسم فتلك الوحدة بما هي وحدة كيف ترتسم في منقسم وايضا من شان القوة الناطقة ان تعقل بالفعل واحدا واحدا من المعقولات غير متناهية بالقوة ليس واحد اولى من الآخر وقد صح لنا ان الشيء الذي يقوى على امور غير متناهية بالقوة لا يجوز ان يكون محله جسما ولا قوة في جسم ومن الدليل القاطع على ان محل المعقولات ليس بجسم ان الجسم ينقسم بالقوة بالضرورة وما لا ينقسم لا يحل المنقسم والمعقول غير منقسم فلا يحل المنقسم اما ان الجسم منقسم فقد دللنا عليه واما ان المعقول المجرد لا ينقسم فقد فرغنا عنه واما ان ما لا ينقسم لا يحل منقسما فانا لو قسمنا المحل فلا يخلو اما ان يبطل الحال فيه وهذا كذب او لا يبطل ولا يخلو اما ان بقي حالا في بعضه كما كان حالا في كله وهذا محال فانه يجب ان يكون حكم البعض حكم الكل

(*قال ابو محمد)* لو علم الفاسق ان هذا القول اعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف لان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول من قاتل حين افترق الناس فكل ما لحق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم او من سوء الظن بهم فهو لاحق لعلي في قتاله ولا فرق بينه و بين سائر الصحابة في ذلك كله و بالله تعالى التوفيق فان خصه متحكم كان كمن خص غيره منهم متحكما ولا فرق و ايضا فان اقتتالهم رضي الله عنهم اوكد برهان على انهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا بل قاتل كل فريق منهم على ما رأوه حقا ورضي بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده وطائفة منهم قعدت اذ لم تر الحق في القتال فدل على بانه لو كان عندهم نص على علي او عند واحد منهم لاظهروه او لاظهره كما اظهر وا ما رأوا ان يبذلوا انفسهم للقتال والموت دونه فان قالوا قد اقررتم انه لابد من امام فباى شيء يعرف الامام لاسيما وانتم خاصة معشر اهل الظاهر لا تاخذون الا بنص قرآن او خبر صحيح وهذا ايضا مما سالناعنه اصحاب القياس والرأى

(قال ابو محمد) فجوابنا و بالله تعالى التوفيق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على وجوب الامامة وانه لا يحل بقاء ليلة دون بيعة وافترض علينا بنص قوله الطاعة للقرشي اماما واحدا لا ينازع اذا قادنا بكتاب الله عز وجل فصح من هذه النصوص النص على صفة الامام الواجب طاعته كما صح النص على صفة الشهود في الاحكام وصفة المساكين والفقراء الواجب لهم الزكاة وصفة من يؤم في الصلاة وصفة من يجوز نكاحها من النساء وكذلك سائر الشريعة كلها ولا يحتاج الى ذكر الاسماء اذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشي بالغ عاقل بادر اثر موت الامام الذى لم يعهد الى احد فبايعه واحد فصاعدا فهو الامام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله تعالى و بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى امر الكتاب باتباعها فان زاغ عن شيء منهما منع من ذلك واقيم عليه الحد والحق فان لم يؤثر أذاه الا بخلعه خلع وولى غيره منهم فان قالوا قد اختلف الناس في تاويل القرآن والسنة ومنع من تاويلهما بغير نص آخر قلنا ان التاويل الذى لم يقم عليه برهان تحريف الكلم عن مواضعه وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة وانما الحجة في نص القرآن والسنن وما اقتضاه لفظهما العربي الذى خوطبنا به و به ألزمتنا الشريعة

(قال ابو محمد) ثم نسالهم فنقول لهم ان عمدة احتجاجكم في ايجاب امامتكم التى تدعيها جميع فرقكم انما هي وجهان فقط احدهما النص عليه باسمه والثاني شدة الفاقة اليه في بيان الشريعة اذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد فاخبرونى باى شيء صار محمد بن على بن الحسين اولى بالامامة من اخوته زيد وعمرو و عبد الله وعلى والحسين فان ادعوا نصا من ابيه عليه او من النبي صلى الله عليه وسلم أنه الباقر لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ولم يكونوا اولى بتلك الدعوى من الكيسانية في دعواهم النص على ابن الحنفية وان ادعوا انه كان افضل من اخوته كانت ايضا دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الانسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره وكذلك يسالون ايضا ما الذى جعل موسى بن جعفر اولى بالامامة من اخيه محمد او اسحاق او على فلا يجدون الى غير الدعوى سبيلا و كذلك أيضا يسالون ما الذى خص على بن موسى بالامامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكرا فلا يجدون شيئا غير الدعوى وكذلك يسالون ما الذى جعل محمد بن على بن موسى اولى بالامامة من اخيه على بن على وما الذى جعل على بن محمد اولى بالامامة من اخيه موسى بن محمد وما

الحواس

واما ان ينقسم بانقسام محله وقد فرض غير منقسم ثم لو فرض انقسام الحال فيه فلا يخلو اما ان يكون اجزاؤه متشابهة كالشكل المعقول او العدد وليس كل صورة معقولة بشكل وتكون الصورة المعقولة خيالية لا عقلية صرفة واظهر من ذلك انه ايس يمكن ان يقال ان كل واحد من الجزؤين هو بعينه الكل في المعنى وان كانا غير متشابهين مثل اجزاء الحد من الجنس والفصل فيلزم منه محالات منها ان كل جزؤ من الجسم يقبل القسمة ايضا فيجب ان يكون الاجناس والفصول غير متناهية وهذا باطل وايضا فانه ان وقع الجنس في جانب والفصل في جانب ثم لو قسمنا الجسم لكان يجب ان يقع نصف الجنس في جانب ونصف الفصل في جانب وهو محال ثم ليس احد الجزؤين اولى لقبول الجنس منه لقبول الفصل وايضا ليس كل معقول يمكن أن يقسم الى معقولات ابسط فان هاهنا معقولات هي ابسط المعقولات ومبادىء التركيبات في سائر المعقولات ليس لها اجناس ولا فصول ولا انقسام في الكم ولا في المعنى فلا يتوهم فيها اجزاء متشابهة فتبين بهذه الجملة ان محل المعقولات ليس بجسم ولا قوة في جسم فهو اذا جوهر معقول علاقته مع البدن لا علاقة حلول ولا علاقة انطباع بل علاقة التدبير والتصرف وعلاقته من جهة العلم

الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن علي بن موسى احق بالامامة من اخيه جعفر بن على فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة التى لاحياء لصاحبها والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن ابن الحسن او لعبد الله بن الحسن او لاخيه الحسن بن الحسن او لابن اخيه على بن الحسن أو لمحمد بن عبد الله القائم بالمدينة او لاخيه ابراهيم اولرجل من ولد العباس او من بنى أمية أو من اى قوم من الناس كان لساواهم فى الحماقة ومثل هذا لايشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين ولو قلت اورقعة من الحياء فبطل وجه النص واما وجه الحاجة اليه فى بيان الشريعة فما ظهر قط من اكثر ائمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس وما بايديهم من ذلك شيء الادعاوى مفتعلة قد اختلفوا ايضا فيها كما اختلف غيرهم من الفرق بسواء سواء الاانهم اسوأ حالا من غيرهم لان كل من قلدا نسانا كاصحاب ابى حنيفة لابى حنيفة واصحاب مالك لمالك واصحاب الشافعى للشافعى واصحاب احمد لاحمد فان لهؤلاء المذكورين اصحابا مشاهير نقلت عنهم اقوال صاحبهم ونقلوها هم عنه ولاسبيل الى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم الى ان هذا قول موسى بن جعفر ولا انه قول على بن موسى ولا انه قول محمد بن موسى ولا انه قول علي بن محمد ولا انه قول الحسن بن على واما من بعد الحسن بن علي فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة واما من قبل موسى ابن جعفر فلو جمع كل ماروى فى الفقه عن الحسن والحسين رضى الله عنهما لما بلغ اوراقا فاترى المصلحة التى يدعونها فى امامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم ولاظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا احداً ولا امر منهم احد قط بمعروف معلن وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المنتمين الى الامامية القائلين بان الدين عند أئمتهم فما رأينا الادعاوى باردة وآراء فاسدة كاسخف مايكون من الاقوال ولايخلو هؤلاء الائمة الذين يذكرون من ان يكونوا امامورين بالسكوت اومفسوحا لهم فيه فان يكونوا مامورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء فى الضلال وسقطت الحجة فى الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الاسلام وهذا كفر مجرد وهم لايقولون بهذا أو يكونوا مامورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله اذ سكتوا وبطلت امامتهم وقد لجا بعضهم اذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الائمة الى ان ادعوا الالهام فى ذلك فاذ قد صاروا الى هذا الشغب فانه لايضيق عن احد من الناس ولا يعجز خصومهم عن ان يدعوا انهم الهموا بطلان دعواهم قال هشام بن الحكم لابد ان يكون فى اخوة الامام آفات يبين بها انهم لايستحقون الامامة

(قال ابو محمد) وهذه دعوى مردودة تزيد فى الحماقة ولاندرى فى زيد وعمرو وعبد الله والحسن وعلي بن على بن الحسين آفات تمنع الا ان الحسن اخا زيد ومحمد كان اعرج وما علمنا ان العرج عيب يمنع من الامامة انما هو عيب فى العبيد المتخذين للمشي وما يعجز خصومهم ان يدعوا فى محمد بن على وفى جعفر بن محمد وفى سائر آئمتهم تلك الآفات التى ادعاها هشام لاخوتهم ثم ان بعض أئمتهم المذكورين مات ابوه وهو ابن ثلاث سنين فنسالهم من اين علم هذا الصغير جميع علم الشريعة وقد عدم توقيف ابيه له عليها لصغره فلم يبق الا ان يدعوا له الوحى فهذه نبوة وكفر صريح وهم لايبلغون الى ان يدعوا له النبوة وان يدعوا له معجزة تصحح قوله فهذه دعوى باطلة ماظهر منها فى شيء او يدعوا له الالهام فما يعجز احد عن هذه الدعوى

ألحواس الباطنة المذكورة وعلاقته من جهة العمل القوى الحيوانية المذكورة فيتصرف فى البدن وله فعل خاص يستغنى به عن البدن وقوة فان من شان هذا الجوهر أن يعقل ذاته ويعقل انه عقل ذاته وليس بينه وبين ذاته علاقة ولا بينه وبين آلته آلة فان ادراك الشيء لايكون الابحصول صورته فيه ومايقدر آلة من قلب أو دماغ لايخلو اما أن تكون صورته بعينها حاصلة للعقل حاضرة واما أن صورة غيرها بالعدد حاصلة وباطل أن يكون صورة الآلة حاضرة بعينها فانها فى نفسها حاصلة أبدا فيجب أن يكون ادراك العقل لها حاصل أبدا وليس الامر كذلك فانه تارة يعقل وتارة يعرض عن الادراك والاعراض عن الحاضر محال ويجب أن يكون الصورة غير الآلة بالعدد فانها اما أن تحل فى نفس القوة من غير مشاركة الجسم فيدل ذلك علي انها قائمة بنفسها وليس فى الجسم واما بمشاركة الجسم حتى لاتكون هذه الصورة المغايرة في نفس القوة العقلية وفى الجسم الذى هو الآلة فيؤدى الى اجتماع صورتين متماثلين فى جسم واحد وهو محال والمغايرة بين أشياء تدخل فى حدو احدا ما الاختلاف المواد او لاختلاف مابين الكلى والجزئى وليس هذان الوجهان فثبت انه لايجوز أن يدرك المدرك آلة هى آلته فى الادراك ولا يختص ذلك بالعقل فان الحس

لكل أمة عملها الا وجود من يعتقد هذه الاقوال السخيفة لكان اقوى حجة واوضح برهان والا فما خلق الله عقلا يسع فيه مثل هذه الحماقات والحمد لله على عظيم منه علينا وهو المسؤل منه دوامها بمنه آمين

(قال ابو محمد) وايضا فلو كان الامر في الامامة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضى الله عنه في سعة من ان يسلمها لمعاوية رضى الله عنه فيعينه على الضلال وعلى ابطال الحق وهدم الدين فيكون شريكه في كل مظلمة ويبطل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقه على ذلك الحسين اخوه رضى الله عنهما فما نقض قط بيعة معاوية الى ان مات فكيف استحل الحسن والحسين رضى الله عنهما ابطال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما طائعين غير مكرهين فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه اذ رأى انها بيعة ضلالة فلولا انه رأى بيعة معاوية حقا لما سلمها له ولفعل كما فعل بيزيد اذ ولي يزيد هذا ما لا يمترى فيه ذو انصاف هذا ومع الحسن أزيد من مائة الف عنان يموتون دونه فتالله لولا ان الحسن رضي الله عنه علم انه في سعة من اسلامها الى معاوية وفي سعة من ان لا يسلمها لما جمع بين الامرين فامسكها ستة اشهر لنفسه وهي حقه وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح بل هو الافضل بلا شك لان جده رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطب بذلك على المنبر بحضرة المسلمين وارام الحسن معه على المنبر وقال ان ابني هذا السيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين رويناه من طريق البخاري حدثنا صدقة انبانا ابن عيينة انا ابو موسى انا الحسن سمع ابا بكرة يقول انه سمع ذلك وشهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اعلامه صلى الله عليه وسلم وانذاره بالغيوب التي لا تعلم البتة الا بالوحي ولقد امتنع زياد وهو فقعة (١) القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما اطاقه معاوية الا بالمداراة وحتى ارضاه وولاه فان ادعوا انه قد كان في ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر أحدا بالعون على اطفاء نور الاسلام بالكفر وعلى نقض عهود الله تعالى بالباطل عن غير ضرورة ولا اكراه وهذه صفة الحسن والحسين رضى الله عنهما عند الروافض واحتج بعض الامامية وجميع الزيدية بان عليا كان احق الناس بالامامة لبينونة فضله على جميعهم ولكثرة فضائله دونهم

(قال ابو محمد) وهذا يقع الكلام فيه ان شاء الله تعالى في الكلام في المفاضلة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الكلام هاهنا في الامامة فقط فنقول وبالله تعالى التوفيق هبكم انكم وجدتم لعلي رضي الله عنه فضائل معلومة كالسبق الى الاسلام والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعة العلم والزهد فهل وجدتم مثل ذلك للحسن والحسين رضى الله عنهما حتى اوجبتم لهما بذلك فضلا في شيء مما ذكرنا على سعد بن ابي وقاص وسيد بن زيد

---

(١) مثل يضرب للذليل والفقع بفتح اوله وكسره وسكون ثانيه الابيض الرخو من الكمأة وهو أردؤها ويجمع على فقعة كقردة والقاع المطمئن المستوى من الارض مشبهه بالفقعة اى الكمأة البيضاء الرخوة التي تطلع من الارض فتظهر بيضاء ضعيفة فتطؤها الدواب بارجلها وفي النهاية لابن الاثير (في حديث عاتكة) قالت لابن جرموز يا بن فقع القردد الفقع ضرب من أردأ الكمأة والقردد ارض مرتفعة الى جنب وهدة اهـ وابن حزم استعمل المفرد المذكور وجاء بالفقعة مفردة مؤنثة ليشاكل بينها وبين الكمأة التي هي واحدة الكمأ ولم أر فيما اطلعت عليه من كتب اللغة فقعة بالتاء الا جمعا كقردة وليس مراده هنا كتبه مصححه

انما يحس شيئا خارجا ولا يحس ذاته ولا آلته ولا احساسه وكذلك الخيال ولا يتخيل ذاته ولا فعله ولا آلته ولهذا أن القوى الداركة بانطباع الصور في الالات يعرض لها الكلال من ادامة العمل والامور القوية الشاقة الادراك توهنها وربما تفسدها كالضوء الشديد للبصر والرعد القوي للسمع وكذلك عند ادراك القوي لا يقوى على ادراك الضعيف والامر بالقوة العقلية بالعكس فان ادامتها للفعل وتصورها الامور الاقوى يكسبها قوة وسهولة قبول وان عرض لها كلال وملال فلاستعانة العقل بالخيال على ان القوى الحيوانية ربما تعين النفس الناطقة في أشياء منها أن يورد عليها الحس جزئيات الامور فيحدث لها امور أربعة أحدها انتزاع النفس الكليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائقها ولواحقها ومراعاة المشترك فيها والمتباين به والذاتي وجوده والعرضي فيحدث للنفس من ذلك مبادىء التصور وذلك بمعاونة استعمال الخيال والوهم الثاني ايقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب وايجاب فما كان التاليف منها بسلب وايجاب ذاتيا بينا بنفسه أخذه وما كان ليس كذلك تركه الى ان يصادف الواسطة والثالث با تحصيل المقدمات التجربية نـ يوجد بالحس محمول لازم الحكم لموضوع أو تالي لازم تقدم فيحصل له اعتقاد مستفاد من حس وقياس ما والرابع الاخبار وعبد

وعبد الله بن عمرو عبد الله بن العباس هذا مالا يقدر احد على ان يدعي لهما فيه كلمة فما فوقها يعني مما يكونان به فوق من قد ذكرنا في شيء من هذه الفضائل فلم يبق الادعوي النص عليهما وهذا مالا يعجز عن مثله احد ولو استجازت الخوارج التوقح بالكذب في دعوى النص على عبد الله بن وهب الراسبي لما كانوا الامثل الرافضة في ذلك سواء بسواء ولو استحلت الاموية ان تجاهر بالكذب في دعوى النص على معاوية لكان امرهم في ذلك اقوى من امر الرافضة لقوله تعالى * ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا * ولكن كل امة ماعدا الرافضة والنصارى فانها تستحي وتصون انفسها عما لا تصون النصارى والروافض انفسهم عنه من الكذب الفاضح البارد وقلة الحياء فيما يأتون به ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وكذلك لا يجدون لعلي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل على سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ولا على ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن وكذلك لا يجدون لمحمد بن علي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل ولا ورع على عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ولا على محمد بن عمر وبن ابي بكر بن المنكدر ولا على ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ولا على اخيه زيد بن علي ولا على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ولا على عمر بن عبد العزيز وكذلك لا يجدون لجعفر بن محمد بسوقا في علم ولا في دين ولا في عمل على محمد بن مسلم الزهري ولا على ابن ابي ذؤيب ولا على عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر ولا على عبيد الله بن عمر وبن حفص بن عاصم بن عمر ولا على ابني عمه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وعلي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بل كل من ذكرنا فوقه في العلم والزهد وكلهم ارفع محلا في الفتيا والحديث لا يمنع احد منهم من شيء من ذلك وهذا ابن عباس رضي الله عنه قد جمع فقهه في عشرين كتابا ويبلغ حديثه نحو ذلك اذا تقصي ولا تبلغ فتيا الحسن والحسين ورقتين ويبلغ حديثهما ورقة اوورقتين وكذلك علي بن الحسين الا ان محمد بن علي يبلغ حديثه وفتياه جزأ صغيرا وكذلك جعفر بن محمد وهم يقولون ان الامام عنده جميع علم الشريعة فما بال من ذكرنا اظهروا بعض ذلك وهو الاقل الانقص وكتموا سائره وهو الاكثر الاعظم فان كان فرضهم الكتمان فقد خالفوا الحق اذ اعلنوا ما اعلنوا وان كان فرضهم البيان فقد خالفوا الحق اذ كتموا ما كتموا وأما من بعده جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علما اصلا لامن رواية ولا من فتيا على قرب عهدهم منا ولو كان عندهم من ذلك شيء لعرف كما عرف عن محمد بن علي وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعواهم الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة التي هي من خرافات السمر ومضاحك السخفاء فان رجعوا الى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم ان المعجزات لا تثبت الا بنقل التواتر لا بنقل الاحاد الثقات فكيف بولد الوقحاء الكذابين الذين لا يدرى من هم وقد وجدنا من يروى لبشر الحافي وشيبان الراعي ورابعة العدوية اضعاف ما يدعونه من الكذب لائمتهم واظهر وافشى وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها والحمد لله على السلامة فاذا قد بطل كل ما يدعونه ولله تعالى الحمد فلنقل على الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبرهان وبالله تعالى نتأيد

(قال ابو محمد) قد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف احدا ثم اختلفوا فقال بعضهم لكن لما استخلف ابا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك

التي يقع بها التصديق لشدة التواتر فالنفس الانسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادىء للتصور والتصديق وأما اذا كان استكملت النفس وقويت فانها تنفرد بفاعليها على الاطلاق وتكون القوى الحسية والخيالية وغيرها صارفة لها عن فعلها وربما يصير الوسائط والاسباب عوائق قال والدليل على أن النفس الانسانية حادثة مع حدوث البدن انها متفقة في النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن فاما أن تكون متكثرة الذوات أو تكون ذاتا واحدة ومحال أن يكون متكثرة الذوات فان تكثرها اما ان يكون من جهة الماهية والصورة واما ان يكون من جهة النسبة الى العصر والمادة وبطل الاول لان صورتها واحدة وهي متفقة في النوع والماهية لا تقبل اختلافا ذاتيا وبطل الثاني لان البدن والعنصر فرض غير موجود قال ومحال أن تكون واحدة الذات لانه اذا حصل بدنان حصلت فيهما نفسان فاما أن يكونا قسمي تلك النفس الواحدة وهو محال لان ما ليس له عظم وحجم لا يكون منقسما واما أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين وهذا لا يحتاج الى كثير تكلف في ابطاله فقد صح ان النفس تحدث كما حدث البدن الصالح لاستعماله اياه ويكون البدن الحادث مملكته وآلته ويكون في هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحقة نزاع طبيعي

دليلا على انه اولاهم بالامامة والخلافة على الامور وقال بعضهم لا ولـكن كان ابينهم فضلا فقدموه لذلك وقالت طائفة بل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على استخلاف ابى بكر بعده على امور الناس نصا جليا

(قال ابو محمد) و بهذا نقول لبراهين احدها اطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم * للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا و ينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون * فقد اصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع اخوانهم من الانصار رضى الله عنهم على ان سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الخليفة فى اللغة هو الذى يستخلفه لا الذى يخلفه دون ان يستخلفه هو لا يجوز غير هذا البتة فى اللغة بلا خلاف تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه فان قام مكانه دون ان يستخلفه هو لم يقل الا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين احدهما انه لا يستحق ابو بكر هذا الاسم على الاطلاق فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقينا ان خلافته المسمى هو بها هى غير خلافته على الصلاة والثاني ان كل من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلى فى غزوة تبوك وابن ام مكتوم فى غزوة الخندق وعثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق احد منهم قط بلا خلاف من احد من الامة ان يسمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاطلاق فصح يقينا بالضرورة التى لا محيد عنها انها للخلافة بعده على امته ومن الممتنع ان يجمعوا علي ذلك وهو عليه السلام لم يستخلفه نصا ولو لم يكن هاهنا الا استخلافه اياه على الصلاة ما كان ابو بكر اولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا وهذا برهان ضرورى نعارض به جميع الخصوم وايضا فان الرواية قد صحت بان امرأة قالت يا رسول الله أرأيت ان رجعت ولم اجدك كانها تريد الموت قال فات ابا بكر وهذا نص جلى على استخلاف ابى بكر وايضا فان الخبر قد جاء من الطرق الثابتة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها فى مرضه الذى توفى فيه عليه السلام لقد هممت ان ابعث الى ابيك واخيك فاكتب كتابا واعهد عهدا لكيلا يقول قائل انا احق او يتمنى متمن ويابي الله والمؤمنون الا ابا بكر وروي ايضا ويابى الله والنبيون الا ابا بكر فهذا نص جلي علي استخلافه عليه الصلاة والسلام ابا بكر على ولاية الامة بعده

(قال ابو محمد) ولو اننا نستجيز التدليس والامر الذى لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحا أو أبلسوا اسفا لاحتججنا بما روي اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر

(قال ابو محمد) ولـكنه لم يصح و يعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح

(قال ابو محمد) واحتج من قال لم يستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن ابيه انه قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعنى ابا بكر وان لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما روى عن عائشة رضي الله عنها من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف فمن المحال ان يعارض الاجماع من الصحابة الذي ذكرنا والاثران الصحيحان المسندان الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من لفظه بمثل هذين الاثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضي الله عنهما

مما

الى الاشتغال به واستعماله والاهتمام باحواله والانجذاب اليه بخصة ويصرفه عن كل الاجسام غيره بالطبع اما بواسطة واما بمفارقة البدن فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتا مفردة باختلاف موادها التى كانت وباختلاف ازمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التى هى بحسب ابدانها المختلفة لا محالة باحوالها ولانها لا تموت بموت البدن لان كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق فاما ان يكون تعلقه به تعلق المكافىء فى الوجود وكل واحد منهما جوهر قائم بنفسه فلا تؤثر المكافاة فى الوجود فى فساد احدهما بفساد الثانى لانه امر اضافى وفساد احدهما يبطل الاضافة لا الذات واما ان يكون تعلقه به تعلق المتاخر فى الوجود فالبدن علة للنفس والعلل اربع فلا يجوز ان يكون علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا لا بقواه والقوى الجسمانية اما اعراض أو صور مادية فمحال ان يفيد امر قائم بالمادة وجود ذات قائمة بنفسها لا فى مادة ولا يجوز ان يكون علة قابلية فقد بينا ان النفس ليست منطبعة فى البدن ولا يجوز ان يكون علة صورية او كمالية فان الاولى ان يكون الامر بالعكس فاذا تعلق النفس بالبدن ليس تعلقا على انه علة ذاتية لها نعم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذا احدث بدن يصلح ان يكون آلة للنفس مملكة

مما لا يقوم به حجة مماله وجه ظاهر من أن هذا الاثر خفي على عمر رضي الله عنه كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كالاستئذان وغيره أو انه اراد استخلافا بعد مكتوب ونحن نقران استخلاف ابي بكر لم يكن بكتاب مكتوب وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك نصا وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وانما الحجة في روايتها لا في قولها وأما من ادعى انه انما قدم قياسا على تقديمه الى الصلاة فباطل بيقين لانه ليس كل من استحق الامامة في الصلاة يستحق الامامة في الخلافة اذ يستحق الامامة في الصلاة اقرأ القوم وان كان اعجميا او عربيا ولا يستحق الخلافة الا قرشي فكيف والقياس كله باطل

﴿قال ابو محمد﴾ في نص القرآن دليل على صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم وهو ان الله تعالى قال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراب * فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا * وكان نزول سورة براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلاشك التي تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم في سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك الى أن مات صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ايضا * سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل * فبين ان العرب لا يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تبوك لهذا ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم اثر منعه اياهم من الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلق باب التوبة فقال تعالى * قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما * فاخبر تعالى انهم سيدعوهم غير النبي صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون ووعدهم على طاعة من دعاهم الى ذلك بجزيل الاجر العظيم وتوعدهم على عصيان الداعي لهم الى ذلك العذاب الاليم

(قال ابو محمد) وما دعا اولئك الاعراب احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون الا ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فان ابا بكر رضي الله عنه دعاهم الى قتال مرتدي العرب بني حنيفة واصحاب الاسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم ودعاهم عمر الى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم الى قتال الروم والفرس والترك فوجب طاعة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تاويلا واذ قد وجبت طاعتهم فرضا فقد صحت امامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم وليس هذا بموجب تقليدهم في غير ما أمر الله تعالى بطاعتهم فيه لان الله تعالى لم يامر بذلك الا في دعائهم الى قتال هؤلاء القوم وفيما يجب الطاعة فيه للائمة جملة وبالله تعالى التوفيق. واما ما افتوا به باجتهادهم فما اوجبوه قط اتباع اقوالهم فيه فكيف ان يوجب ذلك غيرهم وبالله تعالى التوفيق. وايضا فان هذا اجماع الامة كلها اذ ليس احد من اهل العلم الا وقد خالف بعض فتاوى هؤلاء الائمة الثلاثة رضي الله عنهم فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

(فصل قال ابو محمد) وجميع فرق اهل القبلة ليس منهم احد يجيز امامة امرأة ولا امامة صبي لم يبلغ الا الرافضة فانها تجيز امامة الصغير الذي لم يبلغ والحمل في بطن امه وهذا خطا لان من لم يبلغ فهو غير مخاطب والامام مخاطب باقامة الدين وبالله تعالى التوفيق. قال الباقلاني واجب ان يكون الامام افضل الامة

لما احدثت العلل المفارقة النفس الجزوية فان احداثها بلا سبب يخصص احداث واحد دون واحد يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ولان كل كائن بعد مالم يكن يستدعي ان يتقدمه مادة يكون فيها تهيؤ قبوله او تهيؤ نسبته اليه كما تبين ولانه لو كان يجوز ان يكون النفس الجزئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطلة الوجود ولاشيء معطل في الطبيعة ولكن اذا حدث التهيؤ والاستعداد في الآلة حدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس اذا وجب حدوث شيء من حدوث شيء وجب ان يبطل مع بطلانه واما القسم الثالث مما ذكرنا وهو ان تعلق النفس بالجسم تعلق التقدم ان كان بالزمان فيستحيل ان يتعلق وجوده به وقد تقدمه في الزمان وان كان بالذات فليس فرض عدم المتاخر يوجب عدم المتقدم على ان فساد البدن بامر يخصه من تغير المزاج والتركيب

(قال ابو محمد) وهذا خطأ متيقن لبرهانين أحدهما انه لا يمكن ان يعرف الافضل الا بالظن في ظاهر امره وقد قال تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئا * والثاني ان قريشا قد كثرت وطبقت الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ومن الجنوب الى الشمال ولا سبيل ان يعرف الافضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك اصلا ثم يكفي من بطلان هذا القول اجماع الامة على بطلانه فان جميع من ادرك من الصحابة رضي الله عنه من جميع المسلمين في ذلك العصر قد اجمعوا على صحة امامة الحسن او معاوية وقد كان في الناس افضل منهم بلا شك كسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وغيرهم فلو كان ما قاله الباقلاني حقا لكانت امامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا لله عز وجل من ذلك. وايضا فان هذا القول الذي قاله هذا المذكور دعوى فاسدة ولا على صحتها دليل لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من قول صاحب ولا من قياس والعجب كله ان يقول انه جائز ان يكون في هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث الى ان مات ثم لا يجيز ان يكون احد افضل من الامام

(قال ابو محمد) وهذا القول منه في النبي صلى الله عليه وسلم كفر مجرد ولا خفاء به وفيه خلاف لاهل الاسلام وانما يجب ان يكون الامام قرشيا بالغا ذكرا مميزا بريئا من المعاصي الظاهرة حاكما بالقرآن والسنة فقط ولا يجوز خلعه ما دام يمكن منعه من الظلم فان لم يمكن الا بازالته ففرض ان يقام كل ما يوصل به الى دفع الظلم لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وبالله تعالى التوفيق

الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة

(قال ابو محمد) اختلف المسلمون فيمن هو افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام فذهب بعض اهل السنة وبعض اهل المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة الى ان افضل الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وعن جماعة من التابعين والفقهاء وذهبت الخوارج كلها وبعض اهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة الى ان افضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وروينا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب وبهذا قال عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد وعيسى بن حاضر قال عيسى وبعد جعفر حمزة رضي الله عنه • وروينا عن نحو عشرين من الصحابة ان اكرم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وروينا عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاث رجال لا يعد احد عليهم بفضل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر وروينا عن ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها انها ذكرت الفضل ومن هو خير فقالت ومن هو خير من ابي سلمة اول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا عن مسروق بن الاجدع وتميم بن حذلم وابراهيم النخعي وغيرهم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود قال تميم وهو من كبار التابعين رأيت ابا بكر وعمر فما رأيت مثل عبد الله بن مسعود وروينا عن بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وانه افضل من ابي بكر رضي الله عنهما وبلغني عن محمد بن

عبد الله

ليس ذلك مما يتعلق بالنفس فبطلان البدن لا يقتضي بطلان النفس ونقول ان شيئا آخر لا يفسد النفس ايضا بل هي في ذاتها لا تقبل الفساد لان كل شيء من شانه ان يفسد بامر ما ففيه قوة بان يفسد وقبل الفساد فيه فعل ان يبقى ومحال ان يكون من جهة واحدة في شيء واحد قوة ان يفسد وفعل ان يبقى فان تهيؤه للفساد شيء وفعله للبقاء شيء اخر فالاشياء المركبة يجوز ان يجتمع فيها الامران لوجهين اما البسيطة فلا يجوز ان يجتمع فيها ومن الدليل على ذلك ايضا ان كل شيء يبقى وله قوة ان يفسد فله قوة ان يبقى ايضا لان بقاءه ليس بواجب ضروري واذا لم يكن واجبا كان ممكنا والامكان هو طبيعة القوة فاذا يكون له في جوهره قوة ان يبقى وفعل ان يبقى فيكون فعل ان يبقى منه امرا يعرض للشيء الذي له قوة ان يبقى فذلك الشيء الذي له قوة على البقاء وفعل البقاء امر مشترك له فعل البقاء كالصورة

عبدالله الحاكم النيسابوري انه كان يذهب الى هذا القول. قال داود بن علي الفقيه رضى الله عنه افضل الناس بعد الانبياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة الاولون من المهاجرين ثم الاولون من الانصار ثم من بعدهم منهم ولا نقطع على انسان منهم بعينه انه افضل من آخر من طبقته ولقد رأينا من متقدمي اهل العلم ممن يذهب الى هذا القول وقال لى يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميرى غير مامرة ان هذا هو قوله ومعتقده (قال ابو محمد) والذى نقول به وندين الله تعالى عليه ونقطع على انه الحق عند الله عز وجل ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابو بكر ولا خلاف بين احد من المسلمين فى ان امة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الامم لقول الله عز وجل * كنتم خير أمة اخرجت للناس * وان هذه قاضية على قوله تعالى لبنى اسرائيل * وفضلنا كم على العالمين * وانها مبينة لان مراد الله تعالى من ذلك عالم الامم حاشا هذه الامة

(قال ابو محمد) ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فانه طمس للمعاني وصد عن ادراك الصواب وتعريج عن الحق وابعاد عن الفهم وتخليط وعمى فلنبدأ بعون الله تعالى وتاييده بتقسيم وجوه الفضل التى بها يستحق التفاضل فاذا استبان معنى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة فبالضرورة نعلم حينئذ ان من جدت فيه هذه الصفات أكثر فهو افضل بلا شك فنقول ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ان الفضل ينقسم الى قسمين لا ثالث لهما فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل فاما فضل الاختصاص دون عمل فانه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات كفضل الملائكة فى ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الانبياء فى ابتداء خلقهم على سائر الجن والانس وكفضل ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم على سائر الاطفال وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق وكفضل ذبيحة ابراهيم عليه السلام على سائر الذبائح وكفضل مكة على سائر البلاد وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع وكفضل الحجر الاسود على سائر الحجارة وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الايام وكفضل ليلة القدر على سائر الليالى وكفضل صلاة الفرض على النافلة وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات وكفضل السجود على القعود وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل فاما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة الا للحي الناطق من الملائكة والانس والجن فقط وهذا هو القسم الذى تنازع الناس فيه فى هذا الباب الذى نتكلم فيه الان من أحق به فوجب ان ننظر أيضا فى اقسام هذا القسم التى بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول الله وقوته ثم ننظر حينئذ من هو أحق به واسعد بالسبق فيه فيكون بلا شك افضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله تعالى نستعين ان العامل يفضل العامل فى عمله بسبعة أوجه لا ثالث لها وهى المائية وهى عين العمل وذاته والكمية وهى العرض فى العمل والكيفية والكم والزمان والمكان والاضافة فاما المائية فهى ان تكون الفروض من أعمال احدهما موفاة كلها ويكون الاخر يضيع بعض فروضه وله نوافل او يكون كلاهما وفى جميع فرضه ويعملان نوافل زائدة الا ان نوافل احدهما أفضل من نوافل

وقوة البقاء كالمادة فيكون مركبا من مادة وصورة وقد فرضنا واحدا فردا فهو خلف فقد بان كل أمر بسيط فغير مركب فيه قوة ان يبقى وفعل ان يبقى بل ليس فيه قوة ان يعدم اعتبار ذاته والفساد لا يتطرق الا الى المركبات واذا تقرر ان البدن اذا تهيأ واستعد استحق من واهب الصور نفسا مدبرة ولا يختص هذا ببدن دون بدن بل كل بدن حكمه كذلك فاذا استحق النفس وقارنته فى الوجود فلا يجوز ان يتعلق به نفس أخرى لانه يودي الى ان يكون لبدن واحد نفسان وهو محال فالتناسخ اذا باطل *
المقالة السادسة * فى وجه خروج العقل النظرى من القوة الى الفعل وأحوال خاصة بالنفس الانسانية من الرؤيا الصادقة والكاذبة وادراكها علم الغيب ومشاهدتها صورا لا وجود لها من خارج من تلك الوجوه ومعنى النبوة والمعجزات وخصائصها التى تتميز بها عن المخاريق أما الاول قد بينا أن النفس الانسانية لها قوة هيولانية

الآخر كان يكون احدهما يكثر الذكر في الصلاة والآخر يكثر الذكر في حال جلوسه وما أشبه هذا وكانسانين قاتل احدهما في المعركة والموضع المخوف وقاتل الآخر في الردة او جاهد احدهما واشتغل الآخر بصيام وصلاة تطوع او يجتهدان فيصادف احدهما او يحرمه الآخر فيفضل احدهما الآخر في هذه الوجوه بنفس عمله او بان ذات عمله افضل من ذات عمل الاخر فهذا هو التفاضل في المائية من العمل وأما الكمية وهي العرض فان يكون احدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لا يمزج به شيئا البتة ويكون الآخر يساويه في جميع عمله الا انه ربما مزج بعمله شيئا من حب البر في الدنيا وان يستدفع بذلك الاذى عن نفسه وربما مزجه بشيء من الرياء ففضله الاول برضه في عمله وأما الكيفية فان يكون احدهما يوفي عمله جميع حقوقه ورتبه لا منتقصا ولا متزيدا ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه وان لم يبطل منه فرضا او يكون احدهما يصفي عمله من الكبائر وربما أتى الآخر ببعض الكبائر ففضله الاخر بكيفية عمله وأما الكم فان يستويا في أداء الفرض ويكون احدهما اكثر نوافل ففضله هذا بكثرة عدد نوافله كما روى في رجلين اسلما وهاجرا ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استشهد احدهما وعاش الآخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما في النوم وهو آخرهما موتا في افضل من حال الشهيد فسأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام كلاما معناه فاين صلاته وصيامه بعده ففضل احدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه في عدد اعماله وأما الزمان فكمن عمل في صدر الاسلام او في عام المجاعة او في وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد قوة الاسلام وفي زمن رخاء وأمن فان الكلمة في اول الاسلام والتمرة والصبر حينئذ وركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الازمان الطوال وجهادها وبذل الاموال الجسام بعد ذلك ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا لي أصحابي فلو كان لاحدكم مثل احد ذهبا فانفقه ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه فكان نصف مد شعيرا وتمر في ذلك الوقت افضل من جبل احد ذهبا ننفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك قال الله تعالى * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى

(قال ابو محمد) هذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم منهم رضي الله عنهم أجمعين

(قال ابو محمد) وهذا يكذب قول أبي هاشم محمد بن علي الجبائي وقول محمد بن الطيب الباقلاني فان الجبائي قال جائز ان طال عمر امرىء ان يعمل ما يوازي عمل نبي من الانبياء وقال الباقلاني جائز ان يكون في الناس من هو أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث بالنبوة الى ان مات

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وردة وخروج عن دين الاسلام بلا مرية وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره انا لا ندرك احدا من اصحابه وفي اخباره عليه السلام عن اصحابه رضي الله عنهم بانه ليس مثلهم وانه اتقاهم لله واعلمهم بما يأتي وما يذر وكذلك قالت الخوارج والشيعة فان الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل على ابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا عليا والحسن والحسين وعمار بن ياسر والخوارج يفضلون انفسهم وهم شر خلق الله تعالى وكلاب النار على عثمان

أي استعداد لقبول المعقولات فالفعل وكل ماخرج من القوة الى الفعل لابد له من سبب يخرجه الى الفعل وذلك السبب يجب ان يكون موجودا بالفعل فانه لو كان موجودا بالقوة لاحتاج الى مخرج آخر فاما ان يتسلسل أو ينتهي الى مخرج هو موجود بالفعل لا قوة فيه فلا يجوز ان يكون ذلك جسما لان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة أمر بالقوى فهو اذا جوهر مجرد عن المادة وهو الفعال وانما سمي فعالا لان كل العقول الهيولانية منفعلة وقد سبق اثباته في الالهيات من وجه آخر وليس يخص فعله بالقول والنفوس بل وكل صورة في العالم فانما هي من فيضه العام فيعطي كل قابل ما استعد له من الصور واعلم ان الجسم وقوة في جسم لا يوجد شيئا فان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة طبيعتها عدمية فلو أثر الجسم لأثر بمشاركة المادة وهي عدم والعدم لا يؤثر في الوجود فالعقل الفعال

وعلى وطلحة والزبير ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وكذلك القليل من الجهاد والصدقة فى زمان الشدائد أفضل من كثيرهما فى وقت القوة والسعة وكذلك صدقة المرء بدرهم فى زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكبير يتصدق به فى عرض غناه وفيه وصيته بعد موته وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف وهو انسان كان له درهمان تصدق باحدهما والآخر عمد الى عرض ماله تصدق منه بمائة الف وكذلك صبر المرء على اداء الفرائض فى حال خوفه ومرضه وقليل تنفله فى زمان مرضه وخوفه أفضل من عمله وكثير تنفله فى زمان صحته وامنه ففضل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير فى زمان آخر اجله هو أفضل ممن خلط فى زمان آخر اجله واما المكان فكصلاة فى المسجد الحرام او مسجد
ة فهما افضل من الف صلاة فيما عداهما وتفضل الصلاة فى المسجد الحرام على الصلاة فى
جد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة درجة وكصيام فى بلد العدو او فى الجهاد على صيام فى غير الجهاد ففضل من عمل فى المكان الفاضل غيره ممن عمل فى غير ذلك المكان بمكان عمله وان تساوى العملان واما الاضافة فركعة من نبى أو ركعة مع نبى أو صدقة من نبى او صدقة معه او ذكر منه او ذكر معه وسائر أعمال البر منه او معه فقليل ذلك أفضل من كثير الاعمال بعده ويبين ذلك ما قد ذكرنا آنفا من قول الله عز وجل * لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل * واخباره عليه السلام ان احدنا لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ نصف مد من احد من الصحابة رضى الله عنهم

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان كل عمل عملوه بانفسهم بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازى شيئا من البر عمله ذلك الصاحب بنفسه مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا ما عمله غير ذلك الصاحب بعد النبى صلى الله عليه وسلم ولو كان غير ما نقول لجاز ان يكون انس وابو امامة الباهلى وعبد الله بن أبى اوفى وعبد الله بن بسر وعبد الله بن الحارث بن حزء وسهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهم أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وابى عبيدة وزيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون وسائر السابقين من المهاجرين والانصار المتقدمين رضى الله عنهم اجمعين لان بعض اولئك عبدوا الله عز وجل بعد موت اولئك بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاما فابين ذلك الى خمسين عاما وهذا ما لا يقوله احد يعتد به

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان من كان من الصحابة حين موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من آخر منهم فان ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ ابدا وان طال عمر المفضول وتعجل موت الفاضل وبهذا ايضا لم نقطع على فضل احد منهم رضى الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبى صلى الله عليه وسلم ممن مات منهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بل نقف فى هؤلاء على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فهذه وجوه الفضائل بالاعمال التى لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل ايضا لا ثالث لهما البتة احدهما ايجاب الله تعالى تعظيم الفاضل فى الدنيا على المفضول فهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل او اختصاص مجرد بلا عمل من عرض او جماد او حى ناطق او غير ناطق

هو المجرد عن المادة وعن كل قوة فهو بالفعل من كل وجه وأما الثانى من الاحوال الخاصة بالنفس النوم والرؤيا فالنوم غرور القوة الظاهرة فى أعماق البدن وانحباس الارواح من الظاهر الى الباطن ونعنى بالارواح ههنا أجساما لطيفة مركبة من بخار الاخلاط التى منبعها القلب وهى مراكب القوى النفسانية والحيوانية ولهذا اذا وقعت سدة فى مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس وحصل الصرع والسكتة فاذا ركدت الحواس ورقدت بسبب من الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما يورد الحواس عليها فاذا وجدت فرصة ورفع عنها المانع واستعدت الاتصال للجواهر الروحانية الشريفة العقلية التى فيها نقش الموجودات كلها فانطبع فى النفس ما فى تلك الجواهر من صور الاشياء لاسيما ما يناسب أغراض الرأى ويكون انطباع تلك الصورة فى

وقد امرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله والملائكة والنبيين على جميعهم صلوات الله وسلامه والصحابة أكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ماذكرنا ومن ذكرنا من المواضع والايام والنوق والاطفال والكلام والناس هذا مالا شك فيه وهذا خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل اصلا ولا يكون البتة الا الفاضل والوجه الثاني هو ايجاب الله تعالى للفاضل درجة في الجنة أعلى من درجة المفضول اذلا يجوز عند احد من خلق الله تعالى ان يامر باجلال المفضول اكثر من اجلال الفاضل ولا ان يكون المفضول اعلى درجة في الجنة من الفاضل ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معنى تحية وهذا الوجه الثاني الذي هو علو الدرجة في الجنة هو خاصة لكل فاضل بعمل فقط من الملائكة والانس والجن وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ فكل مامور بتعظيمه فاضل وكل فاضل فمامور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض في الابوين الكافرين من التعظيم في شيء فقد يحسن المرء الى من لا يعظم ولا يهين كاحسان المرء الى جاره وغلامه واجيره ولا يكون ذلك تعظيما وقد يبر الانسان جاره والشيخ من أكرته (١) ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يوقر الانسان من يخاف ضره ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يتذلل الانسان للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما وفرض على كل مسلم البراءة من ابويه الكافرين وعداوتهما في الله عز وجل قال الله عز وجل * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه * وقال عز وجل * قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده * وقال عز وجل * وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرء منه ان ابراهيم لاواه حليم * فقد صح بيقين ان ماوجب للابوين الكافرين من بر واحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل لان التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل هو مودة في الله ومحبة فيه وولاية له وأما البر الواجب للابوين الكافرين والتذلل لهما والاحسان اليهما فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منه واسقاط المودة كما قال الله تعالى في نص القرآن وبالله تعالى التوفيق

*(قال ابو محمد) * وقد يكون دخول الجنة اختصاصا مجردا دون عمل وذلك للاطفال كما ذكرنا قبل فاذ قد صح ماذكرنا قبل يقينا بلا خلاف من احد في شيء منه فبيقين ندرى انه لا تعظيم يستحقه احد من الناس في الدنيا بايجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للانبياء عليهم السلام اوجب ولا أوكد مما الزمناه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى * النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * فاوجب الله لهن حكم الامومة على كل مسلم هذا سوى حق اعظامهن بالصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهن رضي الله تعالى عنهن مع ذلك حق الصحبة له كسائر الصحابة الا ان لهن من الاختصاص في الصحبة وكيد الملازمة له عليه السلام ولطيف المنزلة عنده عليه السلام والقرب منه والحظوة لديه ماليس لاحد من الصحابة رضي الله عنهم فمن اعلى

(١) أكرته ثلاثي من باب نصر أي وقد بين الشيخ امرأة أكرته أي أجرته للحراثة والزرع

النفس كانطباع صورة في مرآة فان كانت الصور جزؤية ووقعت من النفس في المصورة وحفظها الحافظة على وجهها من غير تصرف المخيلة صدقت الرؤيا ولا يحتاج الى تعبير وان وقعت في المتخيلة حاكت ماينا سبها من الصور المحسوسة وهذه تحتاج الى تعبير وتاويل ولما تكن تصرفات الخيال مضبوطة واختلفت باختلاف الاشخاص والاحوال اختلفت التعبير واذا تحركت المتخيلة منصرفة عن عالم العقل الى الى عالم الحس واختلطت تصرفاتها كانت الرؤيا أضغاث أحلام لا تعبير لها وكذلك . لو غلبت على المزاج احدى الكيفيات الاربع رأى في المنام أحوالا مختلطة وأما الثالث في ادراك علم الغيب في اليقظة ان بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس ولا يتسع بالقوة للنظر الى عالم العقل والحس جميعا فيطلع الى عالم الغيب فيظهر له بعض الامور كالبرق الخاطف ويبقى المتصور المدرك في الحافظة بعينه وكان ذلك

درجة في الصحبة من جميع الصحابة ثم فضلن سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الأمومة الواجب لمن كلهن بنص القرآن فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه أيضا ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الامومة ثم وجدناهن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة الا كان فيهن فقد كن يجهدن انفسهن في ضيق عيشهن على النكد في العمل بالصدقة والعتق ويشهدن الجهاد معه عليه السلام وفي هذا كفاية بينة في انهن افضل من كل صاحب ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القرآن اذ خيرهن الله عزوجل بين الدنيا وبين الدار الاخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة فهن ازواجه في الآخرة بيقين فاذهن كذلك فهن معه صلى الله عليه وسلم بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره اذ لا يمكن البتة ان يحال بينه وبينهن في الجنة ولا ان ينحط عليه السلام الى درجة يسفل فيها عن احد من الصحابة هذا ما لا يظنه مسلم فاذا لا شك في حصولهن على هذه المنزلة فبالنص والاجماع علمنا انهن لم يؤتين ذلك اختصاصا مجردا دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة اذ امره الله عزوجل ان يخيرهن فاخترن الله عزوجل ونبيه صلى الله عليه وسلم وهو افضل الناس ثم قد حصل لمن افضل الاعمال في جميع الوجوه السبعة التي قدمنا آنفا أنه لا يكون التفاضل الا بها في الاعمال خاصة ثم قد حصل لمن على ذلك أوكد التعظيم في الدنيا ثم قد حصل لمن ارفع الدرجات في الآخرة فلا وجه من وجوه الفضل الا ولهن فيه أعلى الحظوظ كلها بلا شك ومارية ام ابراهيم داخلة معهن في ذلك لأنها معه عليه السلام في الجنة ومع ابنها منه بلا شك فاذ قد ثبت كل ذلك على رغم الأبي فقد وجب ضرورة ان يشهد لمن كلهن بأنهن افضل من جميع الخلق كلهن بعد الملائكة والنبيين عليهم السلام وكيف ومعنا نص النبي صلى الله عليه وسلم كما حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ثنا محمد بن احمد بن مفرج ثنا محمد بن أيوب الرقي الصموت ثنا احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ثنا احمد بن عمرو وحدثنا المعتمر بن سليمان التيمي ثنا حميد الطويل عن انس بن مالك قال قيل يارسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قال من الرجال قال فابوها * حدثنا عبدالله بن يوسف بن نامي قال حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبدالوهاب ابن قيس حدثنا احمد بن محمد الاشقر حدثنا احمد بن علي القلانسي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله هو الطحان عن خالد الحذاء عن ابي عثمان النهدي قال اخبرني عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك فقال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فهذان عدلان انس وعمرو يشهدان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان عائشة احب الناس اليه ثم ابوها وقد قال عزوجل عنه عليه السلام * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * فصح ان كلامه عليه السلام انها احب الناس اليه وحي اوحاه الله تعالى اليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل في الدين والتقديم فيه على جميع الناس الموجب لان يحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابيها وعلى عمر وعلى علي وعلى فاطمة تفضيلا ظاهرا بلا شك فان قال قائل فقل ان ابراهيم ابن

وحيا صريحا وان وقع في المتخيلة واشتغلت بطبيعة المحاكاة كان ذلك مفتقرا الى التأويل وأما الرابع في مشاهدة النفس صورا محسوسة لا وجود لها وذلك ان النفس تدرك الامور الغائبة ادراكا قويا فيبقى عين ما ادركه في الحفظ وقد يقبله قبولا ضعيفا فيستولي عليه المتخيلة وتحاكيه بصورة محسوسة واستتبعت الحس المشترك وانطبعت الصورة في الحس المشترك سراية اليه من المصورة المتخيلة والابصار هو وقوع صورة في الحس المشترك فسواء وقع فيه امر من خارج بواسطة البصر أو وقع فيه أمر من داخل بواسطة الخيال كان ذلك محسوسا فمنه ما يكون من قوة النفس وقوة آلات الادراك ومنه ما يكون من ضعف النفس والآلات وأما الخامس فالمعجزات والكرامات قال خصائص المعجزات والكرامات ثلاث خاصية في قوة النفس وجوهرها ليؤثر في هيولا العالم بازالة صورة وايجاد صورة وذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم لكونه مع ابيه عليه السلام في الجنة في درجة واحدة قلنا له وبالله تعالى التوفيق ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استحق تلك المنزلة بعمل كان منه وانما هو اختصاص مجرد وانما تقع المفاضلة بين الفاضلين اذا كان فضلهما واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه واما ان كان الفضل من وجهين اثنين فلا سبيل الى المفاضلة بينهما لان معنى قول القائل أي هذين افضل انما هو اي هذين اكثر أوصافا في الباب الذي اشتركا فيه ألا ترى انه لا يقال ايهما افضل رمضان او ناقة صالح ولا ايهما افضل الكعبة او الصلاة بل نقول ايهما افضل مكة او المدينة وايهما افضل رمضان او ذو الحجة وايهما افضل الزكاة ام الصلاة وايهما افضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الانبياء فقد صح أن التفاضل انما يكون في وجه اشتراك فيه المسؤل عنهما فيسبق احدهما فيه فاستحق ان يكون افضل وفضل ابراهيم ليس على عمل اصلا وانما هو اختصاص مجرد واكرام لابيه صلى الله عليه وسلم وأما نساؤه عليه السلام فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام في الجنة انما هو جزاء لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم قال الله بعد ذكر الصحابة رضي الله عنهم * جزاء بما كانوا يعملون * وقال بعد ذكر الصحابة * وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما * وقال تعالى مخاطبا لنسائه عليه السلام * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين * وهذا نص قولنا ولله الحمد وقال تعالى * وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون * وقال تعالى * غرف من فوقها غرف مبنية * وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فان قال قائل فكيف تقولون في قوله عليه السلام لن يدخل الجنة احد بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة وهكذا نقول انه لو عمل الانسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئا الا انه لا يجب على الله تعالى شيء اذ لا موجب للاشياء الواجبة غيره تعالى لانه المبتدى لكل ما في العالم والخالق له فلولا ان الله تعالى رحم عباده بحكم بان طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب ذلك عليه فصح انه لا يدخل احد الجنة بعمله مجردا دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التي اطاعوه بها فاتفقت الايات مع هذا الحديث والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاذ لاشك في هذا كله فقد امتنع يقينا ان يجازى بالافضل من كان انقص فضلا وان يجازى بالانقص من كان اتم فضلا وصح ضرورة انه لا يجزى احد من اهل الاعمال في الجنة الا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على عمله ولله تعالى ان يتفضل على من شاء بما شاء وجائز ان يقدم على ذوي الاعمال الرفيعة قال تعالى * يختص برحمته من يشاء وقال تعالى * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * فلا يجوز خلاف هذه النصوص لاحد لان من خالفها كذب القرآن ولولا هذه النصوص لما ابعدنا ان يعذب الله تعالى على الطاعة له وان ينعم على معصيته وان يجازي الافضل بالانقص والانقص بالافضل لان كل شيء ملكه وخلقه لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ولا حق لاحد عليه لكن قد أمنا ذلك كله باخبار الله تعالى انه لا يجازي ذا عمل الا بعمله وانه يتفضل على من يشاء فلزم الاقرار بكل ذلك وبالله تعالى التوفيق فلو قال قائل انما فضل في الجنة واعلى قدرا مكان ابراهيم ابن رسول

الله

ان الهيولى منقادة لتأثير النفوس الشريفة المفارقة مطيعة لقواها السارية في العالم وقد تبلغ نفس انسانية في الشرف الى حد يناسب تلك النفوس فيفعل فعلها وتقوى على ما قويت هي فتزيل جبلا عن مكانه وتذيب جوهرا فيستحيل ماء ويجمد جسما سائلا فيستحيل حجرا ونسبة هذه النفس الى تلك النفوس كنسبة السراج الى الشمس وكما ان الشمس تؤثر في الاشياء تسخينا بالاضاءة كذلك السراج يؤثر بقدرة وأنت تعلم ان للنفس تأثيرات جزئية في البدن فانه اذا حدث في النفس صورة الغلبة والغضب حمى المزاج واحمر الوجه واذا حدثت صورة مشتهاة فيها حدثت في اوعية المني حرارة منجرة مهيجة للريح حتى يملئ عروق آلة الوقاع فتستعد له والمؤثر ها هنا مجرد التصور لا غير والخاصية الثانية أن تصفو النفس صفاء يكون شديد الاستعداد للاتصال بالعقل الفعال حتى يفيض عليها العلوم فانا قد ذكرنا حال القوة القدسية التي

الله عليه وسلم أو مكان ابى بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم قلنا مكان ابراهيم اعلى بلاشك ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لابراهيم المذكور لم يستحقه بعمل ولا استحق ايضا ان يقصر به عنه ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاء لهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه صلى الله عليه وسلم مكانهم جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن فلا يقال ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من ابي بكر اوعمر ولا يقال ايضا ان أبابكر وعمر افضل من ابراهيم والمفاضلة واقعة بين الصحابة وبين نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلاشك فان قال قائل انهن لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصلن تلك الدرجة وانما تلك الدرجة له عليه السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق نعم ولاشك ايضا في ان جميع الصحابة لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حصلوا ايضا على الدرج التى لهم فيها فما هي اذا على قولكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلتم ولا فرق وبقى الفضل والتقدم لهن كما كان في كل ذلك ولا فرق

(قال ابو محمد) واما فضلهن على بنات النبي صلى الله عليه وسلم فبين بنص القرآن لاشك فيه قال الله عز وجل * يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول * فهذا بيان قاطع لا يسع احدا جهله فان عارضنا معارض بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائها فاطمة بنت محمد قلنا له وبالله تعالى التوفيق في هذا الحديث بيان جلى لما قلنا وهو انه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة وانما قال خير نسائها فخص ولم يعم وتفضيل الله عز وجل لنساء النبي صلى الله عليه وسلم على النساء عموم لا خصوص لا يجوز ان يستثنى منه احد الا من استثناه نص آخر فصح انه عليه السلام انما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه صلى الله عليه وسلم فاتفقت الآية مع الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذا ايضا عموم موفق الآية ووجب ان يستثنى ما خصه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نسائها من هذا العموم فصح ان نساءه عليه السلام افضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بالنبوة كام اسحاق وام موسى وأم عيسى عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق * يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * ولا خلاف بين المسلمين في ان جميع الانبياء كل نبي منهم افضل ممن ليس بنبي من سائر الناس ومن خالف هذا فقد كفر وكذلك أخبر عليه السلام فاطمة انها سيدة نساء المومنين ولم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم في هذه الجملة بل اخبر عمن سواه وبرهان آخر وهو قول الله تعالى مخاطبا لهن * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين *

(قال ابو محمد) فهذا فضل ظاهر وبيان لائح في انهن افضل من جميع الصحابة رضى الله عنهم وبهذه الآية صحة متيقنة لا يمترى فيها مسلم فابو بكر وعمر وعثمان وعلى وفاطمة وسائر الصحابة رضي الله عنهم اذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقدارا ما من الاجر وعملت امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الاجر فاذا كان نصيف الصحابي وفاطمة رضى الله عنهم يفي باكثر من مثل جبل احد ذهبا ممن بعده كان للمرأة من نسائه عليه السلام في نصيفها اكثر من ملء جبلين اثنين مثل جبل احد ذهبا وهذه فضيلة ليست لاحد بعد الانبياء عليهم السلام الا لهن وقد صح عن النبي صلى

تحصل لبعض النفوس حتى تستغنى في اكثر أحواله عن التفكر والتعلم والشريف البالغ منه يكاد زيتها تضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والخاصية الثالثة للقوة المتخيلة بان تقوى النفس وتتصل في اليقظة بعالم الغيب كما سبق وتحاكي المتخيلة ماأدرك النفس بصورة جميلة وأصوات منظومة فيرى في اليقظة ويسمع فتكون الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة في غاية الحسن وهو الملك الذى يراه النبي وتكون المعارف التى تتصل بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع في الحس المشترك فيكون مسموعا قال والنفوس وان اتفقت في النوع الا انها اتتمايز بخواص تختلف افاعيلها

الله عليه وسلم انه يوعك كوعك رجلين من اصحابه لان له (١) على ذلك كفلين من الاجر

(قال أبو محمد) وليس بعد هذا بيان فى فضلهن على كل احد من الصحابة الا من أعمى الله قلبه من الحق ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وقد اعترض علينا بعض اصحابنا فى هذا المكان بقول الله تعالى عن أهل الكتاب اذ آمنوا * اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * قال فيلزم انهم أفضل منا فقلت له ان هذه الآية والخبر الذى فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر مؤمن اهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق امته ثم يتزوجها فيهما بيان الوجه الذى أجروا به مرتين وهو الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم و بالنبى الاول المبعوث بالكتاب الاول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم فى ذينك الايمانين وكذلك العبد الناصح يؤجر لطاعة سيده اجرا ولطاعة الله أجرا وكذلك معتق امته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه اجرا ثم على نكاحه اذا اراد به وجه الله تعالى اجرا ثانيا فصح بالنص يقينا ان هؤلاء انما يؤتون اجرهم مرتين فى خاص من اعمالهم لا فى جميع اعمالهم وليس فى هذا مايمنع من ان يؤجر غيرهم فى غير هذه الاعمال اكثر من اجور هؤلاء وايضا فانما يضاعف لهؤلاء على ماعمله اهل طبقتهم وليست المضاعفة لاجور نساء النبى صلى الله عليه وسلم مرتين من هذا فى ورد ولا صدر لان المضاعفة لهن انما هى فى كل عمل عملته بنص القرآن اذ يقول تعالى * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين * فكل عمل عمله صاحب من الصحابة له فيه اجر فلكل امرأة منهن فى مثل ذلك العمل اجران والمضاعفة لهن انما تكون على ماعمله طبقتهن من الصحابة وقد علمنا ان بين عمل الصاحب وعمل غيره اعظم مما بين احدذهبا ونصف مد شعير فيقع لكل واحدة منهن مثلا ذلك مرتين وهذا لا يخفى على ذى حس سليم فبطلت المعارضة التى ذكرناها والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واعترض علينا ايضا بعض الناس فى الحديث الذى فيه ان عائشة احب الناس اليه ومن الرجال ابوها بان قال قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاسامة بن زيد ان اباه كان احب الناس الى وان هذا احب الناس الى بعده وصح انه عليه السلام قال للانصار انكم احب الناس الى

(قال ابو محمد) واما هذا اللفظ الذى فى حديث اسامة بن زيد انه احب الناس اليه عليه السلام فقد روى من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه واما الذى فيه ذكر اسامة وزيد رضى الله عنهما فانما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن ابيه وعمر بن حمزة هذا ضعيف والصحيح من هذا الخبر هو مارواه عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد لا مغمز فيه فذكر فيه انه عليه السلام قال يعنى لزيد بن حارثة وايم الله ان كان لخليق بالامارة وان كان لمن احب الناس الى وان هذا من احب الناس الى بعده وهذا يقضى على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه لانه مختصر من حديث عبد الله بن دينار وبهذا ينتفى التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن انس وعمر والا فليس احدهما اولى من الآخر واما حديث الانصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد عن انس ورواه عبد العزيز بن صهيب عن انس عن رسول الله صلى الله عليه

(١) الوعك الحمى وقيل المها وقد وعكه المرض وعكا ووعك فهو موعوك والكفل بالكسر الحظ والنصيب

وسلم

اختلافات عجيبة وفى الطبيعة أسرار والاتصالات العلويات بالسفليات عجائب وجل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد وان يرد عليه الا واحد بعد واحد وبعد فما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة المغفل عبرة للمحصل فمن سمعه فاشماز عنه فليتهم نفسه بانها لاتناسبه وكل ميسر لما خلق له تمت بحمد الله (آراء العرب فى الجاهلية) قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأجملنا القول فيه حيث كانت المقارنة بين الفريقين والمقاربة بين الامتين مقصورة على اعتبار خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع وان الروم والعجم

وسلم انه قال انتم من احب الناس الى وهو حديث واحد وزيادة العدل مقبولة فصح بزيادة من فى الحديث من طريق العدول ان الانصار وزيدا واسامة رضى الله عنهم من جملة قوم هم احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حق لا يشك فيه لانهم من اصحابه واصحابه احب الناس اليه بلا شك وليس هكذا جوابه فى عائشة رضى الله عنها اذ سئل من احب الناس اليك فقال عائشة فقيل من الرجال قال ابوها الان هذا قطع على بيان ماسأل عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام واعترض علينا بعض الاشعرية بان قال ان الله تعالى يقول * انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء * فصح ان محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا لانه قد احب عمه وهو كافر

(قال ابو محمد) فقلنا ان هذه الآية ليست على ما ظن وانما مراد الله تعالى * انك لا تهدي من احببت * اى احببت هداه برهان ذلك قوله تعالى * ولكن الله يهدى من يشاء * اى من يشاء هداه وفرض على النبى صلى الله عليه وسلم وعلينا ان نحب الهدى لكل كافر لاان نحب الكافر وايضا فلو صح ان معنى الآية من احببت كما ظن هذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لان هذه آية مكية نزلت فى ابى طالب ثم انزل الله تعالى فى المدينة لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم او ابناءهم او اخوانهم اوعشيرتهم * وانزل الله تعالى في المدينة * لقد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذقالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده * وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اباطالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته وافترض عليه عداوته وبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم ان العداوة والمحبة لا يجتمعان اصلا والمودة هي المحبة فى اللغة التى بها نزل القرآن بلا خلاف من أحد من اهل اللغة فقد بطل ان يحب النبى صلى الله عليه وسلم احدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على ان محبة رسول صلى الله عليه وسلم لمن احب فضيلة وذلك كقوله عليه السلام لعلى لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاذ لا شك ولا خلاف فى ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ماقال اهل الجهل والكذب فقد صح يقينا ان كل من كان اتم حظا فى الفضيلة فهو افضل ممن هو اقل حظا فى تلك الفضيلة هذا شيء يعلم ضرورة فاذا كانت عائشة اتم حظا فى المحبة التى هى اتم فضيلة فهى افضل ممن حظه فى ذلك اقل من حظها ولذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال ابوها ثم عمر فكان ذلك موجبا الفضل أبي بكر ثم عمر علي سائر الصحابة رضي الله عنهم فالحكم بالباطل لا يجوز فى ان يكون يقدم أبو بكر ثم عمر فى الفضل من اجل تقدمهما فى المحبة عليهما ومانعلم نصا فى وجوب القول بتقديم ابى بكر ثم عمر على سائر الصحابة الا هذا الخبر وحده

(قال ابو محمد) وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم على ماينكح له من النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين ونهى صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك بقوله فعليك بذات الدين تربت يداك فمن المحال الممتنع ان يكون يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام لا يحل لمسلم ان يظن فى ذلك شيئا غير الفضل عند الله تعالى فى الدين فوصف الرجل امرأته للرجال لا يرضى به الا خسيس نذل ساقط ولا

يتقاربان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفيات الاشياء والحكم باحكام الطبائع والغالب عليهما الاكتساب والجهد والآن نذكر أقاويل العرب فى الجاهلية ونعقبها بذكر أقاويل الهند وقبل ان نشرع فى مذاهبهم نريد ان نذكر حكم البيت العتيق ونصل بذلك حكم البيوت المبنية فى العالم فان منها ما بنى على دين الحق قبلة للناس منها ما بنى على الرأي الباطل فتنة للناس وقد ورد فى التنزيل ان * أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وقد اختلفت الروايات فى أول من بناه فقيل ان آدم لما هبط الى الارض وقع الى سرنديب من ارض الهند وكان يتردد فى

يحل لمن له ادني مسكة من عقل ان يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس المطهر البائن فضله على جميع الناس صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولولا انه بلغنا عن بعض من تصدر لنشر العلم من زماننا وهو المهلب بن ابي صفرة التميمي صاحب عبدالله بن ابراهيم الاصيلي انه اشار الى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالايماء اليه لسان ولكن المنكر اذا ظهر وجب على المسلمين تغييره فرضا على حسب طاقتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) وكذلك عرض الملك لعائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولادتها في سرقة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام ان يكن من عندالله يمضه فهل بعد هذا في الفضل غاية

(قال ابو محمد) واعترض علينا مكي بن ابي طالب المقرى بان قال يلزم على هذا ان تكون امرأة ابي بكر أفضل من علي لان امرأة ابي بكر مع ابي بكر في الجنة في درجة واحدة وهي اعلى من درجة علي فمنزلة امرأة أبي بكر اعلى من منزلة علي فهي افضل من علي

(قال ابو محمد) فاجبناه بان قلنا له وبالله تعالى نتايد أن هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه احدها ان ما بين درجة ابي بكر ودرجة علي في الفضل الموجب لعلو درجته في الجنة على درجة علي ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وبين درجة ابي بكر في الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضى الله عنهم بل قد ايقنا أن درجة اقل رجل منا في الفضل أقرب نسبة من اعلى درجة لاعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة افضل الصحابة الى درجة النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فليس بين ابي بكر وعلي في المباينة في الفضل ما يوجب ان تكون امرأة ابي بكر التابعة له افضل من علي بل منازل المهاجرين الاولين الذين اوذوا في سبيل الله عز وجل متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السوابق مشهدا مشهدا درجهم في الفضل متقاربة وان تفاضلت ثم منازل الانصار الاولين متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السابق بعد الهجرة مشهدا مشهدا درجهم متقاربة في الفضل ثم كذلك من اسلم بعد الفتح أيضا ويزداد الافضل فالافضل من المشركين في المشاهد جزاء على ذلك فنقول ان امرأة ابي بكر المستحقة بعملها الكون معه في درجته مثل ام رومان لسنا ندرى اهى افضل ام علي لانا لا نص معنا في ذلك والتفضيل لا يعرف الا بنص وقد قال عليه السلام خيركم القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم او كما قال عليه السلام فجعلهم طبقات في الخير والفضل فلا شك م كذلك في الجزاء في الجنة والا فكان يكون الفضل لا معنى له وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * وايضا فلسنا نشك ان المهاجرات الاوليات من نساء الصحابة رضى الله عنهم يشاركن الصحابة في الفضل ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ففيهن من يفضل كثيرا من الرجال وفي الرجال من يفضل كثيرا منهن وما ذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى * ان المسلمين والمسلمات * الاية حاشا الجهاد فانه فرض على الرجال دون النساء ولسنا ننكر ان يكون لابي بكر رضى الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ثم يكون لمن لم تسعا هل من نسائه تلك المنزلة منازل في الجنة دون منازل من هو افضل منهن من الصحابة فقد نكح الصابة رضى الله

عنهم

الارض متحيرا بين فقدان زوجته ووجدان توبته حتى وافى حواء بجبل الرحمة من عرفات وعرفها وصار الى ارض مكة ودعا وتضرع الى الله تعالى حتى ياذن له في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافا لعبادته كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذى هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين فانزل الله تعالى عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت وكان يتوجه اليه ويطوف به ثم لما توفى تولى وصيه شيث بناء البيت من الحجر والطين على الشكل المذكور حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ثم لما خربت ذلك بطوفان نوح وامتد الزمان حتى غيض الماء وقضي الامر وانتهت النبوة الى

عنهم التابعات بعد الصاحبات وعليهن فتكون تلك المنازل زائدة فى فضل ازواجهن من الصحابة فينزلون اليهن ثم ينصرفون الى منازلهن العالية بل قدصح هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وانه قال كلا امامعناه واكثر نصه انه عليه السلام زعيم بيت فى ربض الجنة وفى وسط الجنة وفى أعلى الجنة لمن فعل كذا امر اوصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح نص ماقلنا من ان لمن دونه عليه السلام منازل عالية واخر مسفلة عن تلك المنازل ينزلون اليها ثم يصعدون الى الاعالى وهذا مبعد عن النبى صلى الله عليه وسلم لوجهن احدهما ان جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التى يشتركن فيها جميع الصحابة و يفضلنهم فيها بقرب الخاصة فليس فى نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التى هى فضيلتهم التى بها نالوا منهن سواهم فقط وقد كفينا الباب والوجه الثانى ان تاخر بعض الصحابة عن بعضهم فى بعض الاماكن موجود وان كان ذلك المتاخر فى بعض الاماكن متقدما فى مكان آخر فقد علمنا ان بلالا عذب فى الله عز وجل مالم يعذب على وان عليا قاتل مالم يقاتل بلال وان عثمان انفق مالم ينفق بلال ولا على فيكون المفضول منهم فى الجملة متقدما للذى فضله فى بعض فضائله ولاسبيل ان يوجد هذا فيما بينهم و بين النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يتقدمه احد من ولد آدم فى شىء من الفضائل اولما عن آخرها ولا الى ان يلحقه لاحق فى شىء من الفضائل من بنى آدم فلا سبيل الى ينسفل النبى صلى الله عليه وسلم الى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف ان يعلو عليه الصاحب هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين وقد استعظم ابو أيوب رضى الله عنه ان يسكن فى غرفة على بيت يسكنه النبى صلى الله عليه وسلم فكيف يظن بان هذا يكون فى دار الجزاء فاذا كان العالى من الصحابة فى اكثر منازله ينسفل أيضا فى بعضها عن صاحب آخر قد علاه فى منازل أخر على قدر تفاضلهم فى اعمالهم كما ذكرنا آنفا فقد اخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الصائمين يدعون من باب الريان وان المجاهدين يدعون من باب الجهاد وان المتصدقين يدعون من باب الصدقة وان ابا بكر يرجو له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعى من جميع تلك الابواب وقد يجوز ان يفضل ابا بكر رضى الله عنه غيره من الصحابة فى بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منها ولا يجوز ان يفضل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء من ابواب البر فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين واعترض ايضا علينا مكى بن ابى طالب بان قال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من موسى عليه السلام ومن كل واحد من الانبياء عليهم السلام وكان عليه السلام اعلى درجة فى الجنة من جميع الانبياء عليهم السلام وكان نساؤه عليه السلام معه فى درجته فى الجنة فدرجتهن فيها اعلى من درجة موسى عليه السلام ومن درج سائر الانبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم افضل من موسى وسائر الانبياء عليهم السلام

(قال ابو محمد) فاجبناه بان هذا الاعتراض ايضا لا يلزمنا ولله الحمد لان الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع كما قال عز وجل * واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * وقال تعالى عن موسى عليه السلام * وكان عند الله وجيها * واخبر عز وجل عن جبريل صلى الله عليه وسلم * فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين * فقد علمنا ان ملك الدنيا غرور وان ملك الآخرة هو الحقيقة وقد اخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام مع اتباعهم فالنبى معه الواحد والاثنان والثلاثة والنفر والجماعة فاخبر عز وجل

الخليل ابراهيم وحمله هاجر الى الموضع المبارك وولادة اسماعيل هناك ونشوءة وتربيته ثمت وعود ابراهيم اليه واجتماعه به فى بناء البيت وذلك قوله تعالى * واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل * فرفعا قواعد البيت على مقتضى اشارة الوحى مرعيا فيه جميع المناسبات التى بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر محفوظا فيها جميع المناسبات التى بينها و بين الشرع وتقبل الله ذلك منهما وبقى الشرف والتعظيم الى زماننا والى يوم القيامة دلالة على حسن القبول فاختلفت اراء العرب فى ذلك وأول من وضع فيه الاصنام عمرو ابن لحي لما ساد قومه بمكة وأستولى على امر

ان هنالك الملك الكبير والطاعة والوجاهة والاتباع والاستئمار وانما عرض الله تعالى علينا فى الدنيا من الملك طرفا لنعلم به مقدار الملك الذى فى دار الجزاء كما عرض علينا من اللذات والحرير والديباج والخمر والذهب والفضة والمسك والجوارى والحلي واعلمنا ان هذا كله خالصة لنا هنالك وكما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان آخر من يدخل الجنة يزكو على اعظم ملك عرفه فى الدينا فيتمنى مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات (قال ابو محمد) فلما صح ماذكرناو كانت الملائكة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة لانهم ايضا يتفاضلون فيها وكل الصحابة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها فوجب بلاشك ان لايكون اتباع الرسل من النساء والاصحاب كالمتبوعين الذين هم الرسل لان بالضرورة نعلم ان تابع الاعلى ليس لاحقا نظير متبوعه فكيف ان يكون اعلى منه كما ان التابعيات من نساء الصحابة رضى الله عنهم لا يلحقن نظراء ازواجهن من الصحابة اذ ليس هن معهم فى طبقة وانما ينظر بين اهل كل طبقة ومن هو فى طبقته ونساء النبى صلى الله عليه وسلم طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الانبياء فى طبقة فلم يجز ان ينظر بينهم وقد اخبر عليه السلام انه رأى ليلة الاسراء الانبياء عليهم السلام فى السموات سماء سماء وبالضرورة ان نعلم ان منزلة النبى الذى هو متبوع فى سماء الدنيا امره هناك مطاع اعلى من منزلة التابع فى السماء السابعة للنبى الذى هنالك واذ قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان كل نبى يأتى مع أمته فنحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم فان كان ما الزمناه مكي لازما لنا فيلزمه مثل ذلك فينا ايضا ان نكون افضل من الانبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من انه لاينظر فى الفضل الا بين من كان من اهل طبقة واحدة فمن كان منهم اعلى منزلة من الآخر كان افضل منه بلاشك وليس ذلك فى الطباق المختلفة الاترى ان كون مالك خازن النار فى مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من فى الجنة من الناس الذين الملائكة جملة افضل منهم لان مالكا متبوع للنار ومقدم مطاع منفضل بذلك على التابعين والخدمة فى الجنة بلاشك فبطل هذا الشعب ويجمع هذا الجواب باختصار وهو ان الرؤساء والمتبوعين فى كل طبقة فى الجنة اعلى من التابعين لهم ونساء النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه كلهم اتباع له عليه السلام وجميع الانبياء متبوعون فانما ينظر بين المتبوعين ايهم افضل وينظر بين الاتباع ايهم افضل ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه فى الفضل ولا يجوز ان ينظر بين الاتباع والمتبوعين لان المتبوعين لا يكونون البتة احط درجة من التابعين وبالله الله تعالى التوفيق. فان قال قائل فكيف يقولون فى الحور العين أهن أفضل من الناس ومن الانبياء كما قلتم فى الملائكة • فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الفضل لا يعرف الابرهان مسموع من الله تعالى فى القرآن أومن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة وانما نص على انهن مطهرات حسان عرب أتراب يجامعن ويشاركن أزواجهن فى اللذات كلها وانهن خلقن ليلتذ بهن المومنون فاذ الامر هكذا فانما محل الحور العين محل من هن له فقط ان ذلك اختصاص لمن بلا عمل وتكليف فهن خلاف الملائكة فى ذلك وبالله الله تعالى التوفيق (قال أبو محمد) ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون وهذا النص اذ قد صح فقد وجب الاقرار به

البيت ثم صار الى مدينة البلقا بالشام فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقى بها فنسقى فاعجبه ذلك فاطلب منهم صنما من أصنامهم فدفعوا اليه هبل فسار به الى مكة ووضعه فى الكعبة وكان معه أسعاف ونائلة على زوجين فدعاء الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله تعالى وكان ذلك فى أول ملك شابور ذى الاكتاف الى ان أظهر الله الاسلام وأخرجت وأبطلت وبهذا يعرف كذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه البانى الاول على طوالع معلومه واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل

فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما الزمنا في ذلك نقصا اذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص وكلما صح بيقين فلا يجوز ان يعارض بيقين آخر والبرهان لا يبطله برهان وقد أوضحنا ان الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فاعلام درجة أعلام فضلا ونساء النبي صلى الله عليه وسلم أعلا درجة في الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن فمن أبي هذا فليخبرنا ما معنى الفضل عنده اذ لا بد ان يكون لهذه الكلمة معنى فان قال لا معنى لها فقد كفانا مؤنته وان قال لها معنى سالناه ماهو فانه لا يجد غير ما قلناه وبالله تعالى التوفيق فكيف وقد اتينا بتاييد الله عز وجل لنا على كل ما اعترض علينا به في هذا الباب ولاح الوجه في ذلك بينا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واستدركنا بيانا زائدة في قول النبي صلى الله عليه وسلم في ان فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الامة فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الواجب مراعاة الفاظ الحديث وانما ذكر عليه السلام في هذا الحديث السيادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام في حديث عائشة الفضل نصا بقوله عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

(قال ابو محمد) والسيادة غير الفضل ولا شك ان فاطمة رضى الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض بين الحديث البتة والحمد لله رب العالمين وقد قال ابن عمر رضى الله عنهما وهو حجة في اللغة العربية كان ابو بكر خيرا وافضل من معاوية وكان معاوية اسود من ابي بكر ففرق ابن عمر كما ترى بين السادة والفضل والخير وقد علمنا ان الفضل هو الخير نفسه لان الشيء اذا كان خيرا من شيء آخر فهو افضل منه بلا شك

(قال ابو محمد) وقد قال قائل ممن يخالفنا في هذا قال الله عز وجل * وليس الذكر كالانثى * فقلنا وبالله تعالى التوفيق فانت اذا عند نفسك افضل من مريم وعائشة وفاطمة لانك ذكر وهؤلاء أناث فان قال هذا الحق بالنوكى وكفر بان سئل عن معنى الاية قيل له الاية على ظاهرها ولا شك في ان الذكر ليس كالانثى لانه لو كان كالانثى لكان انثى والانثى ايضا ليست كالذكر لان هذه انثى وهذا ذكر وليس هذا من الفضل في شيء البتة وكذلك الحمرة غير الخضرة والخضرة ليست كالحمرة وليس هذا من باب الفضل فان اعترض معترض بقول الله تعالى * وللرجال عليهن درجة قيل له انما هذا في حقوق الازواج على الزوجات ومن اراد حمل هذه الاية على ظاهرها لزمه ان يكون كل يهودي وكل مجوسي وكل فاسق من الرجال افضل من أم موسي وأم عيسى وأم اسحاق عليهم السلام ومن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وبناته وهذا كفر ممن قاله باجماع الامة وكذلك قوله تعالى * اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين * انما ذلك في تقصيرهن في الاغلب عن المحاجة لقلة ذر يتهن وليس في هذا ما يحط من الفضل عن ذوات الفضل منهن فان اعترض معترض فقال الذي امرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضي الله عنهم افضل من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى * اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم * فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا خطا من جهات احداها ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من جملة اولى الامر منا الذين امرنا بطاعتهم فيما بلغن الينا عن النبي صلى الله عليه وسلم كالائمة من الصحابة سواء

ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر اكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطا لان البناء الاول كان مستند الى الوحي على يدى أصحاب الوحى ثم اعلم ان البيوت تنقسم الى بيوت الاصنام وبيوت النيران وقد ذكرنا مواضع التى كان بيوت النيران ثمة في مقالات المجوس فاما بيوت الاصنام التى كانت للعرب والهند فهي البيوت المعروفة المبنية على السبع الكواكب فنها ما كانت فيها اصنام فحولت الى النيران ومنها مالم تحول ولقد كان بين اصحاب الاصنام و بين أصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دول فيما بينهم وكان كل من استولى وقهر

ولا فرق والوجه الثانى ان الخلافة ليست من قبل فضل الواحد فى دينه فقط وجبت لمن وجبت له وكذلك الامارة لان الامارة قد تجوز لمن غيره أفضل منه وقد كان عمر رضى الله عنه مامورا بطاعة عمرو بن العاص اذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات السلاسل فبطل ان تكون الطاعة انما تجب للافضل فالافضل وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيرا ولم يامر أبا ذر وأبو ذر افضل خير منهما بلا شك وأيضا فانما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم فى أوامرهم مذ ولوا لا قبل ذلك ولا خلاف فى ان الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه وانما زادهم فضلا عدلهم فى الولاية لا الولاية نفسها وعدلهم داخل فى جملة اعمالهم التى يستحقون الفضل بها الا ترى ان معاوية والحسن اذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن ابى وقاص وسعد أفضل منهما ببون بعيد جدا وهى حى معهما مامور بطاعتهما وكذلك القول فى جابر وأنس بن مالك وابن عمر رضى الله عنهم فى وجوب طاعة عبد الملك بن مروان والذى بين جابر وأنس وابن عمر وبين عبد الملك فى الفضل كالذى بين النور والظلمة فليس فى وجوب طاعة الولاة ما يوجب لهم فضلا فى الجنة فان اعترض معترض بقول الله تعالى * والذين امنوا واتبعهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين * فبيان اعتراضه ظاهر فى آخر الآية وهو أن الحاق الذرية بالاباء لا يقتضى كونهم معهم فى درجة ولا هذا مفهوم من نص الاية بل انما فيها الحاقهم بهم فيما ساووهم فيه بنص الاية ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا فى شك بقوله * كل امرىء بما كسب رهين * فصح ان كل واحد من الاباء والابناء يجازى حسب ما كسب فقط وليس حكم الازواج كذلك بل ازواج النبى صلى الله عليه وسلم معه فى قصوره وعلى سرره ملتذ بهن ومعهن جزاء لهن بما عملن من الخير وبصبرهن واختيارهن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة وهذه منزلة لا يحلها احد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فهن افضل من كل واحد دون الانبياء عليهم السلام فان شغب مشغب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اسلب للب الرجل الحازم من احداكن قلنا له وبالله تعالى التوفيق ان حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك ان تقول انك اتم عقلا ودينا من مريم وأم موسى وام اسحاق ومن عائشة وفاطمة فان تمادى على هذا سقط الكلام معه ولم يبعد عن الكفر وان قال لا سقط اعتراضه واعترض بان من الرجال من هو انقص دينا وعقلا من كثير من النساء فان سال عن معنى هذا الحديث · قيل له قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه ذلك النقص وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وكونها اذا حاضت لا تصلى ولا تصوم وليس هذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين والعقل فى غير هذين الوجهين فقط اذ بالضرورة ندرى ان فى النساء من هن افضل من كثير من الرجال واتم دينا وعقلا غير الوجوه التى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لا يقول الا حقا فصح يقينا انه انما عبر عليه السلام ما قد بينه فى الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط وليس ذلك مما ينقص الفضل فقد علمنا ان ابا بكر وعمر وعليا لو شهدوا فى زنا لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به اربعة منا عدول فى الظاهر حكم بشهادتهم وليس ذلك بموجب اننا افضل من هؤلاء المذكورين وكذلك القول فى شهادة النساء فليست الشهادة

غير البيت الى مشاعر مذهبه ودينه ومنها بيت فارس على رأس جبل باصفهان على ثلاث فراسخ كانت فيه اصنام الى ان أخرجها كستاشف الملك لما تمجس وجعلها بيت نار ومنها البيت الذي بمولتان من أرض الهند فيه أصنام لم تغير ولم تبدل ومنها بيت سدوسان من أرض الهند أيضا وفيه أصنام كبيرة كثيرة العجب والهند ياتون البيتين فى أوقات من السنة حجا وقصدا اليها ومنها النوبهار الذى بناه منوجهر بمدينة بلخ على اسم القمر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ ومنها بيت غمدان الذى بمدينة صنعاء اليمن بناه الضحاك على اسم الزهرة وخربه عثمان ذو النورين ومنها بيت كاووسان بناه كاووس الملك بناء عجيبا على

من باب التفاضل فى ورد ولا صدر لكن تقف فيها عندما حده النص فقط ولا شك عند كل مسلم فى ان صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة افضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع اتى بعدهن ومن كل رجل يأتى فى هذه الامة الى يوم القيامة فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح انه على مافسرناه وبيناه والحمد لله رب العالمين وايضا فقول الله تعالى * يانساء النبى لستن كاحد من النساء مخرج لهن عن سائر النساء فى كل مااعترض به معترض مماذكرناه وشبهه

(قال ابو محمد) فان اعترض معترض بقول النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الامريم بنت عمران وامرأة فرعون فان هذا الكمال انما هو الرسالة والنبوة التى انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء فى النبوة وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الانبياء اكمل بعض ويكون بعض الرسل اكمل من بعض قال الله عزوجل * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * فانما ذكر فى هذا الخبر من بلغ غاية الكمال فى طبقته ولم يتقدمه منهم احد وبالله تعالى التوفيق فان اعترض معترض بقوله عليه السلام لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة فلا حاجة له فى ذلك لانه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل فقد علمنا ان ابن مسعود وبلالا وزيد ابن حارثة رضى الله عنهم لم يكن لهم حظ فى الخلافة وليس بموجب ان يكون الحسن وابن الزبير ومعاوية أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لاولئك ومنهم فى الفضل مالا يجهله المسلم

(قال ابو محمد) وأما أفضل نسائه فعائشة وخديجة رضى الله عنهما لعظم فضائلهما واخباره عليه السلام ان عائشة أحب الناس اليه وان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد فقال أفضل نسائها مريم بنت عمران وافضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة فى الاسلام وثباتها رضى الله عنها ولام سلمة وسودة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وحفصة سوابق فى الاسلام عظيمة واحتمال للمشقات فى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والهجرة والغربة عن الوطن والدعاء الى الاسلام والبلاء فى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكلهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين

(قال ابو محمد) وهذه مسالة نقطع فيها على اننا المحققون عند الله عزوجل وان من خالفنا فيها مخطىء عند الله عزوجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلا

(قال ابو محمد) فان قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم قلنا له وبالله تعالى التوفيق وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن وقد علمنا ضرورة ان لنساء النبى صلى الله عليه وسلم منزلة من الفضل بلا شك فلابد من البحث عنها فليقل مخالفنا فى أى منزلة نضعهن ابعد جميع الصحابة كلهم فهذا مالا يقوله احد ام بعد طائفة منهم فعليه الدليل وهذا مالا سبيل له الى وجوده واذ قد بطل هذان القولان احدهما بالاجماع على انه باطل والثانى لانه دعوى لا دليل عليها ولا برهان فلم يبق الاقولنا والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين قد صح ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه خطب الناس حين ولى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس انى وليتكم ولست بخيركم فقد صح

اسم الشىء بمدينة فرغانة خربه المعتصم واعلم ان العرب اصناف شتى فنهم معطلة العرب وهى اصناف فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحي الدهر المفنى وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر ومايهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضروريات فكرية وآيات قرآنية فطرية فى كم آية وكم سورة فقال تعالى . اولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا فى ملكوت

عنه رضي الله عنه انه اعلن بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم انه ليس بخيرهم ولم ينكر هذا القول منهم أحد فدل على متابعتهم له ولا خلاف انه ليس فى احد من الحاضرين لخطبته انسان يقول فيه احد من الناس انه خير من ابى بكر الا على وابن مسعود وعمر واما جمهور الحاضرين من مخالفينا فى هذه المسالة من أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج فانهم لا يختلفون فى ان ابابكر افضل من على وعمر وابن مسعود وخير منهم فصح انه لم يبق الا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فان قال قائل انما قال ابو بكر هذا تواضعا قلنا له هذا هو الباطل المتيقن لان الصديق الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم لايجوز ان يكذب وحاشاه من ذلك ولا يقول الا الحق والصدق فصح ان الصحابة متفقون فى الاغلب على تصديقه فى ذلك فاذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح ان يكون احد من الصحابة رضى الله عنهم خيرا من ابى بكر لم يبق الا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ونساؤه ووضح اننا لو قلنا انه اجماع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق

(قال ابو محمد) وأيضا فان يوسف ابن عبد الله النمرى حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ثنا أبو العباس احمد بن ابراهيم بن على الكندى حدثنا محمد بن العباس البغدادي ثنا ابراهيم ابن محمد البصرى ثنا أبو ايوب سليمان ابن داود الشاذ كوني قال كان عمار بن ياسر والحسن ابن على يفضلان على بن ابي طالب على ابى بكر الصديق وعمر حدثنا أحمد بن محمد الخوزي ثنا احمد بن الفضل الدينورى ثنا محمد بن جرير الطبرى ان على بن ابى طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن على الى الكوفة اذ خرجت أم المؤمنين الى البصرة فلما اتياها اجتمع اليهما الناس فى المسجد فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين الى البصرة ثم قال لهم انى اقول لكم ووالله انى لاعلم انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة كما هي زوجته فى الدنيا ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها اولتطيعوه فقال له مسروق او ابو الاسود يا ابا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له فسكت عمار وقال له الحسن اعن نفسك عنا فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضى الله عنهم والتابعين والكوفة يومئذ مملوءة منهم يسمعون تفضيل عائشة على على وهو عند عمار والحسن افضل من ابى بكر وعمر فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه احوج ماكانوا الى انكاره فصح انهم متفقون على انها وازواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ومما يبين ان ابابكر رضي الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم الا محقا صادقا لا تواضعا يقول فيه الباطل وحاشاه من ذلك ماحدثناه احمد بن محمد الطلمنكى قال حدثنا احمد بن محمد بن مفرج ثنا محمد بن ايوب الصموت الرقى انا أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار ثنا عبد الملك ابن سعد ثنا عقبة بن خالد ثنا شعبة بن الحجاج ثنا الجريرى عن ابى نضرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ألست احق الناس بها اولست اول من اسلم ألست صاحب كذا

(قال ابو محمد) فهذا ابو بكر رضى الله عنه يذكر فضائل نفسه اذا كان صادقا فيها فلو كان افضلهم لصرح به وما كتمه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب فصح قولنا نصا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم وجب القول فمين هو افضل الصحابة بعد نساء النبى صلى الله عليه وسلم

السموات والارض : وقال : أولم ينظر الى ما خلق الله . وقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم فثبت الدلالة الضورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة وصنف منهم أقروا بالخلق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث والاعادة وهم الذين اخبر عنهم القرآن وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فاستدل عليهم بالنشاة الاولى اذا اعترفوا بالخلق الاول فقال : قل يحييها الذى انشاها اول مرة : وقال : أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد . وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا

فلم

فلم نجد لمن فضل ابن مسعود او عمر او جعفر بن ابى طالب او اباسلمة والثلاثة الاسهليين على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ووجدنا من يوقف لم يزد على انه لم يلح له البرهان انهم افضل ولولاح له لقال به ووجدنا المدد والمعارضة في القائلين بان عليا افضل اكثر فوجب ان آتى بما شغبوا به ليلوح الحق فى ذلك وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وجدناهم يحتجون بان عليا كان اكثر الصحابة جهادا وطعنا فى الكفار وضربا والجهاد افضل الاعمال

(قال ابو محمد) هذا خطأ لان الجهاد ينقسم اقساما ثلاثة احدها الدعاء الى الله عز وجل باللسان والثانى الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير والثالث الجهاد باليد فى الطعن والضرب فوجدنا الجهاد فى اللسان لا يلحق فيه احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر أما ابو بكر فان اكابر الصحابة رضى الله عنهم اسلموا على يديه فهذا افضل عمل وليس لعلى من هذا كثير حظ وأما عمر فانه من يوم أسلم عز الاسلام وعبد الله تعالى بمكة جهرا وجاهد المشركين بمكة بيديه فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية وهذا اعظم الجهاد فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولا حظ لعلى فى هذا اصلا وبقى القسم الثاني وهو الرأى والمشورة فوجدناه خالصا لابى بكر ثم لعمر وبقى القسم الثالث وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه اقل من مراتب الجهاد ببرهان ضرورى وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم انه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام انما كان فى اكثر اعماله واحواله القسمين الاولين من الدعاء الى الله عز وجل والتدبير والارادة وكان اقل عمله صلى الله عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام اشجع اهل الارض قاطبة نفسا ويدا واتمهم نجدة ولكنه كان يؤثر الافضل فالافضل من الاعمال فيقدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان ابو بكر رضى الله عنه معه لا يفارقه ايثارا من رسول الله صلى عليه وسلم له بذلك واستظهارا برأيه فى الحرب وأنسا بمكانه ثم كان عمر ربما شوركه فى ذلك ايضا وقد انفرد بهذا المحل دون على ودون سائر الصحابة الا فى الندرة ثم نظرنا مع ذلك فى هذا القسم من الجهاد الذى هو الطعن والضرب والمبارزة فوجدنا عليا رضى الله عنه لم ينفرد بالسبوق فيه بل قد شاركه فى ذلك غيره شركة العنان كطلحة والزبير وسعد وممن قتل فى صدر الاسلام كحمزة وعبيدة بن الحارث بن المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار سعد ابن معاذ وسماك ابن خرسة وغيرهما ووجدنا ابا بكر وعمر قد شاركاه فى ذلك بحظ حسن وان لم يلحقا بحظوظ هؤلاء وانما ذلك لشغلهما بالافضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموازنة فى حين الحرب وقد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث اكثر مما بعث عليا وقد بعث ابا بكر الى بنى فزارة وغيرهم وبعث عمر الى بنى فلان وما نعلم لعلى بعثا الا الى بعض حصون خيبر ففتحه وقد بعث قبله ابا بكر وعمر فلم يفتحاه فحصل اربع انواع الجهاد لابى بكر وعمر وقد شاركا عليا فى اقل انواع الجهاد مع جماعة غيرهم

(قال ابو محمد) واحتج ايضا من قال بان عليا كان اكثرهم علما

(قال ابو محمد) كذب هذا القائل وانما يعرف علم الصحابى لاحد وجهين لا ثالث لهما احدهما كثرة روايته وفتاويه والثاني كثرة استعمال النبى صلى الله عليه وسلم له فمن المحال

الاصنام وزعموا انهم شفعاؤهم عند الله فى الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الدهماء من العرب الا شرذمة منهم نذكرهم وهم الذين اخبر عنهم التنزيل وقالوا ماهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق الى قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا فاستدل عليهم بان المرسلين كانوا كذلك قال الله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين احداهما انكار البعث بعث الاجساد والثانية جحد البعث بعث الرسل فعلى الاولى قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون * الى امثالها من الايات

الباطل ان يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم من لا علم له وهذا اكبر شهادات على العلم وسعته فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى ابا بكر الصلاة بحضرته طول علته وجميعا كابر الصحابة حضور كعلي وعمر وابن مسعود وابي وغيرهم فآثره بذلك على جميعهم وهذا خلاف استخلافه عليه السلام اذا غزا لان المستخلف في الغزوة لم يستخلف الا على النساء وذوي الاعذار فقط فوجب ضرورة ان نعلم ان ابا بكر اعلم الناس بالصلاة وشرائعها واعلم المذكورين بها وهي عمود الدين ووجدناه صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة ان عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة لا اقل وربما كان اكثر اذ قد استعمل عليه السلام ايضا عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل الا عالما بما استعمله عليه والزكاة ركن من اركان الدين بعد الصلاة وبرهان ما قلنا من تمام علم ابي بكر رضي الله عنه بالصدقات ان الاخبار الواردة في الزكاة اصحها والذي يلزم العلم به ولا يجوز خلافه فهو حديث ابي بكر ثم الذي من طريق عمر واما من طريق علي فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة وهو ان في خمس وعشرين من الابل خمس شياه ووجدناه عليه السلام قد استعمل ابا بكر على الحج فصح ضرورة انه اعلم من جميع الصحابة بالحج وهذه دعائم الاسلام ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح ان عنده من احكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث في الجهاد اذ لا يستعمل عليه السلام على العمل الا عالما به فعند ابي بكر من الجهاد من العلم به كالذي عند علي وسائر امراء البعوث لا اكثر ولا اقل فاذ قد صح التقدم لابي بكر على علي وغيره في علم الصلاة والزكاة والحج وساواه في علم الجهاد فهذه عمدة العلم ثم وجدناه عليه السلام قد الزم نفسه في جلوسه ومرآته وظعنه واقامته ابا بكر مشاهد احكامه عليه السلام وفتاويه اكثر من مشاهدة علي لها فصح ضرورة انه اعلم بها فهل بقيت من العلم بقية الا وابو بكر المتقدم فيها الذي لا يلحق او المشارك الذي لا يسبق فبطلت دعواهم في العلم والحمد لله رب العالمين واما الرواية والفتوى فان ابا بكر رضي الله عنه لم يعش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سنتين وستة اشهر ولم يفارق المدينة الا حاجا او معتمرا ولم يحتج الناس الى ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كل من حواليه ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان وار بعون حديثا مستندة ولم يرو عن علي الا خمس مائة وست وثمانون حديثا مسندة يصح منها نحو خمسين وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازيد من ثلاثين سنة وكثر لقاء الناس اياه وحاجتهم الى ما عنده لذهاب جمهور الصحابة رضي الله عنهم وكثر سماع اهل الآفاق منه مرة بصفين واعواما بالكوفة ومرة بالبصرة والمدينة فاذا نسبنا مدة ابي بكر من حياته واضفنا تقري (١) علي البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه الى لزوم ابي بكر موطنه وانه لم تكثر حاجة من حواليه الى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث وفتاوى من فتاوى علم كل ذي حظ من العلم ان الذي كان عند ابي بكر من العلم اضعاف ما كان عند علي منه وبرهان على ذلك ان من عمر من

وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم
حياة ثم موت ثم نشر
حديث خرافة يا ام عمرو
ولبعضهم في مرثية أهل بيت المشركين
فماذا بالقليب قليب بدر
من الشيزى تكلل بالسنام
يخبرنا الرسول بان سنحيى
وكيف حياة اصداء وهام
ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان اوقتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا غلبهم الرسول فقال لاهامة ولاعدوى ولاصفر واما على الشبهة

---

(١) مصدر مضاف الى علي كرم الله وجهه من تقرى البلاد كتنزكى يتقراها تقريا كاستقراها تتبعها ارضا ارضا وبلدا بلدا وسار فيها ينظر حالها وامرها

اصحاب

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا قليلا قل النقل عنهم ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم الا اليسير من اكتفا بنيابة غيره عنه فى تعليم الناس وقد عاش على بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عاما غير اشهر ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا يصح منها نحو خمسين كالذى عن على سواء بسواء فكل مازاد حديث على على حديث عمر تسعة واربعين حديثا فى هذه المدة الطويلة ولم يزد عليه فى الصحيح الا حديثا أو حديثين وفتاوى عمر موازنة لفتاوى علي فى ابواب الفقه فاذا نسبنا مدة من مدة وضربنا فى البلاد من ضرب فيها واضفنا حديث الى حديث وفتاوى الى فتاوى علم كل ذى حس علما ضروريا ان الذى كان عند عمر من العلم اضعاف ما كان عند على من العلم ثم وجدنا الامر كل ماطال كثرت الحاجة الى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضى الله عنها الفى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد وحديث أبي هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند واربع وسبعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وانس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ووجدنا مسند جابر ابن عبد الله وعبد الله ابن عباس لكل واحد منهما أزيد من الف وخمسمائة ووجدنا لابن مسعود ثمانماية مسند ونيف ولكل من ذكرنا حاشا اباهريرة وانس بن مالك من الفتاوي أكثر من فتاوى على اونحوها فابطل قول هذه الطائفة الوقاح الجهال فان عاندنا معاند فى هذا الباب جاهل اوقليل الحياء لاح كذبه وجهله فانا غير متهمين على حط احد من الصحابة رضى الله عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته لاننا لو انحرفنا عن علي رضى الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج وقد نزهنا الله عزوجل عن هذا الضلال فى التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة وقد اعاذنا الله تعالى من هذا الافك فى التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه او الغالين فيه هم المتهمون فيه اما له واما عليه وبعد هذا كله ليس يقدر من ينتمى الى الاسلام أن يعاند فى الاستدلال على كثرة العلم باستعمال النبي صلى الله عليه وسلم بمن استعمله منهم على ما استعمله عليه من امور الدين فان قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عليا على الاخماس وعلى القضاء باليمين قلنا لهم نعم ولكن مشاهدة أبي بكر لاقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى فى العلم واثبت مما عنده علي وهو باليمين وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على بعوث فيها الاخماس فقد ساوى علمه علم علي فى حكمها بلاشك اذ لا يستعمل عليه السلام الا عالما بما يستعمله عليه وقد صح ان أبا بكر وعمر كانا يفتيان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام يعلم ذلك ومحال ذلك أن يبيح لهما ذلك الا وهما اعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضا على القضاء باليمين مع على معاذ ابن جبل وابا موسى الاشعرى فلعلي فى هذا شركاء كثير منهم ابو بكر وعمر ثم قد انفرد ابو بكر بالجمهور الاغلب من العلم على ماذكرنا . وقال هذا القائل ان عليا كان اقرأ الصحابة

(قال ابو محمد) وهذه القصة المتجردة والبهتان لوجوه اولها انه رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام قال يؤم القوم اقرؤهم فان استووا فافقههم فان استووا فاقدمهم هجرة ثم وجدنا عليه السلام قد قدم ابا بكر على الصلاة مدة الايام التى مرض فيها وعلى بالحضرة يراه النبي صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فما رأى لها عليه السلام احدا احق من ابي بكر بها فصح انه كان اقرأهم وافقههم واقدمهم هجرة وقد يكون من لم يجمع حفظ

الثانية كان انكارهم البعث الرسول فى الصور البشرية اشد واصرارهم على ذلك ابلغ واخبر عنهم التنزيل * ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ابشر يهدوننا * فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان ياتي ملك عن السماء وقالوا لولا انزل عليه ملك ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة أما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهزيل وكانوا يحجون اليه ويسحرون له ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ويعوق لهمدان ونسر الذي الكلاع

القرآن كله علي ظهر قلب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به واحسنهم ترتيلا هذا على أن ابابكر وعمر وعلى لم يستكمل احد منهم حفظ سور القرآن كله ظاهرا الا انه قد وجب يقينا بتقديم النبي صلي الله عليه وسلم لابي بكر علي الصلاة وعلي حاضر ان ابابكر اقرأ من علي وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقدم الى الامامة الاقل علما بالقراءة على الاقرأ او الاقل فقها علي الافقه فبطل ايضا شغبهم في هذا الباب والحمد لله رب العالمين وقال قائلهم ان عليا كان اتقام

(قال ابو محمد) كذب هذا الافاك ولقد كان علي رضي الله عنه تقيا الا ان الفضائل يتفاضل فيها اهلها وما كان اتقام لله الا ابو بكر والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام فى شيء قط ولا تاخر عن تصديقه ولا تردد عن الائتمار له يوم الحديبية اذ تردد من تردد وقد تظلم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي المنبر اذ اراد علي نكاح ابنة أبي جهل بما قد عرف وما وجدنا قط لابي بكر توقفا عن شيء أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة عذره فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاز له فعله وهي اذ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبا فوجده يصلي بالناس فلما رآه ابو بكر تاخر فاشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان أقم مكانك فحمد الله تعالى ابو بكر علي ذلك ثم تاخر فصار في الصف وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلي بالناس فلما سلم قال له رسول الله صلى الله عليه وصلم مامنعك ان تثبت حين امرتك فقال ابو بكر ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى عليه وسلم

(قال ابو محمد) فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكر عليه السلام ذلك عليه واذ قد صح بالبرهان الضروري الذي ذكرنا ان ابا بكر اعلم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجب انه اخشاهم لله عز وجل قال الله عز وجل * انما يخشى الله من عباده العلماء * والتقى هو الخشية لله عز وجل وقال قائلون علي كان ازهدهم

(قال ابو محمد) كذب هو الجاهل وبرهان ذلك ان الزاهد انما هو عزوب(١) النفس عن حب الصوت وعن المال وعن اللذات وعن الميل الى الولد والحاشية ليس الزاهد معني يقع عليه اسم الزهد الا هذا المعنى فاما عزوب النفس عن المال فقد علم كل من له ادنى بصر بشيء من الاخبار الخالية ان ابابكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين الف درهم فانفقها كلها في ذات الله تعالى وأعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل ولم يعتق عبيدا جلدا يمنعونه(٢) لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل حتى هاجر مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يبق لابي بكر من جميع ماله الا ستة الف درهم حملها كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق لبنيه منها درهم ثم انفقها كلها في سبيل الله عز وجل حتى لم يبق له شيء سوى عباءة له قد خللها بعود اذا نزل افترشها واذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضى الله عن جميعهم واقتنوا الرباع(٣) الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحتها الا ان من آثر بذلك

(١) عزوب النفس اى بعدها عن حب الصوت هو لغة في الصيت وهو الذكر الحسن الذى يشتهر وينتشر بين الناس

(٢) جلدا كحمر اى اقوياء جمع جلد بفتح فسكون

(٣) الرباع المنازل والدور جمع ربع والضياع جمع ضيعة وهى مال الرجل من النخل والكرم والارض

بارض حمير واما اللات فكانت لثقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بنى كنانة وقوم من بنى سليم ومناة للاوس والخزرج وغسان وهبل أعظم أصنامها عندهم وكان علي ظهر الكعبة وأساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحي وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وزعموا انهما كانا من جرهم أساف بن عمرو ونائلة بن سهل ففجرا في الكعبة فمسخا حجرين وقيل لا بل كانا صنمين جاء بهما عمرو بن لحي فوضعهما علي الصفا وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذى يقول فيه قائله

أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة

سبيل

سبيل الله عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسك ثم ولى الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال وعد عند موته ما انفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذى لم يستوف منه الا بعض حقه وامر بصرفه الى بيت المال من صاب ماله الذى حصل له من شهامة في المغازى والمقاسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذى لا يدانيه فيه احد من الصحابة لا علي ولا غيره الا ان يكون اباذر وابا عبيدة من المهاجرين الاولين فانهما جريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسع من سواهم من الصحابة رضى الله عنهم في المباح الذي احله الله عز وجل لهم الا من آثر سبيل الله على نفسه أفضل ولولا ان اباذر لم يكن له سابقة غيره لما تقدمه الا من كان مثله فهذا هو الزهد في المال واللذات ولقد تلا ابا بكر عمر رضى الله عنهما في هذا الزهد فكان فوق علي في ذلك يعني في اعراضه عن المال واللذات واما علي رضى الله عنه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن اربع زوجات وتسع عشرة ام ولد سوى الخدم والعبيد وتوفى عن اربعة وعشرين ولدا من ذكر وانثى وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من اغنياء قومهم ومياسيرهم هذا امر مشهور لا يقدر على انكاره من له اقل علم بالاخبار والآثار ومن جملة عقاره التي تصدق بها ضيعة كانت تغل الف وسق تمرا سوى زرعها فاين هذا من هذا واما حب الولد والميل اليهم والى الحاشية فالامر في هذا ابين من ان يخفى على احد له اقل علم بالاخبار فقد كان لابي بكر رضى الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الاولين والسابقين من ذوى الفضائل العظيمة في كل باب من ابواب الفضل في الاسلام ومثل ابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وله مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبة قديمة وهجرة سابقة وفضل ظاهر فما استعمل ابو بكر رضى الله عنه منهم احدا على شيء من الجهات وهي بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة اعمالها وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر وسائر اعمال الحجاز ولو استعملهم لكانوا لذلك اهلا ولكن خشي المحاباة وتوقع ان يميله اليهم شيء من الهوى ثم جرى عمر على مجراه في ذلك فلم يستعمل من بني عدى بن كعب احدا على سعة البلاد وكثرتها وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس الى خراسان الا النعمان بن عدى وحده على ميسان ثم أسرع الى عزله وفيهم من الهجرة ما ليس في شيء من افخاذ قريش لان بني عدى لم يبق احد منهم بمكة الا هاجر وكان فيهم مثل سعيد بن زيد احد المهاجرين الاولين ذوي السوابق وابي الجهم ابن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ثم لم يستخلف ابو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضى به الناس وكان لذلك اهلا ولو استخلفه لما اختلف عليه احد فما فعل ووجدنا عليا رضى الله عنه اذ ولى قد استعمل اقاربه عبد الملك بن عباس على البصرة وعبد الله بن عباس على اليمن وخثعم ومعبدا ابني العباس على مكة والمدينة وجعدة بن هبيرة وهو ابن اخته امهاني بنت ابي طالب على خراسان ومحمد بن ابي بكر وهو ابن امرأة وأخو ولده على مصر ورضى ببيعة الناس للحسن ابنه بالخلافة ولسنا ننكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة فكيف امارة البصرة لكنا نقول ان من زهد في الخلافة لولده مثل عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر والناس متفقون عليه وفي تامير مثل طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد فلا شك في انه أتم زهدا وأعرب [1] عن جميع

من الارض لا يدعو لغى ولا رشد وكانت العرب اذا لبت وهلت قالت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملكه ومن العرب من كان يميل الى اليهودية ومنهم من كان يميل الى النصرانية ومنهم من يصبو الى الصابئة ويعتقد في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا ومنهم من يصبوا الى الملائكة فعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله المحصلة من العرب اعلم ان العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة انواع من العلوم * احدها علم الانساب والتواريخ والاديان

(١) واعرب أي ابعد نفسا

معاني الدنيا نفسا ممن أخذ منها ما أبيح له أخذه فصح بالبرهان الضروري ان ابا بكر أوهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده وقال هذا القائل وكان علي أ كثرهم صدقة

(قال ابو محمد) وهذه مجاهرة بالباطل لانه لم يحفظ لعلي مشاركة ظاهرة بالمال واما امر ابي بكر رضي الله عنه في انفاق ماله في سبيل الله عز وجل فاشهر من أن تخفى على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه في هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ماليس لغيره فصح ان ابا بكر اعظم صدقة وا كثر مشاركة وغناء (٢) في الاسلام بماله من علي رضي الله عنه وقالوا علي هو السابق الى الاسلام ولم يعبد قط وثنا

(قال ابو محمد) اما السابقة فلم يقل قط احد يعتد به أن عليا مات وله اكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلاشك سنة اربعين من الهجرة فصح انه كان حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في النبوة ثلاث عشرة سنة فبعث عليه السلام ولعلي عشرة اعوام فاسلام ابن عشرة اعوام ودعاؤه اليه انما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الدين لا ان عنده غناء ولا ان عليه اثما ان ابي فان اخذ الامر على قول من قال ان عليا مات وله ثمان وخمسون سنة فانه كان اذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابن خمسة أعوام وكان اسلام ابي بكر ابن ثمان وثلاثين سنة وهو الاسلام المامور به من عند الله عز وجل وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة ابي بكر وعمر بلا شك أسبق من سابقة علي . وأما عمر فانه كان اسلامه تاخر بعد البعث بستة أعوام فان غناءه كان أ كثر من غناء أ كثر من اسلم قبله ولم يبلغ علي حد التكليف الا بعد أعوام من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أن اسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بعد ان عذبوا في الله تعالى ولقوا فيه الالاقي (٣) وأما كونه لم يعبد وثنا فنحن وكل مولود في الاسلام لم يعبد قط وثنا وعمار والمقداد وسلمان وابوذر وحمزة وجعفر رضي الله عنهم قد عبدوا الاوثان افترانا أفضل منهم من أجل ذلك معاذ الله من هذا فانه لا يقوله مسلم فبطل ان يكون هذا يوجب لعلي فضلا زائدا والا لكانت عائشة سابقة لعلي رضي الله عنهما في هذا الفضل لانها كانت اذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بنت ثماني سنين واشهر ولم تولد الا بعد اسلام ابيها بسنين وعلي ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وعبد الله بن عمر ايضا أسلم ابوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثنا فهو شريك لعلي في هذه الفضيلة . وقال بعضهم علي كان اسوسهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا باطل لاخفاء به على مؤمن ولا كافر فقد درى القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الاسلام اذ كفر من كفر من اهل الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واذعن الجميع للبقية وقبول مادعت اليه العرب حاشا ابا بكر فهل ثبت أحد ثبات ابي بكر على كلب العدو وشدة الخوف حتى دخلوا في الاسلام افواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جموعهم ولا تضافرهم ولا قلة اهل الاسلام حتى انار الله الاسلام واظهره ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة

ويعدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة أنساب اجداد النبي عليه الصلاة والسلام والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب ابراهيم الى اسماعيل وتواصله في ذريته الى ان ظهر بعض الظهور في اسارير عبد المطلب سيد الوادي سقى المجد وسجد له الفيل الاعظم وعليه قصة اصحاب الفيل وببركة ذلك النور دفع الله تعالى شر ابرهة وارسل عليهم طيرا أبابيل وببركة ذلك النور رأى تلك الرؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسيوف التي دفنها جرهم وببركة ذلك النور الهم عبد المطلب النذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده وبه افتخر النبي عليه الصلاة والسلام حين قال أنا ابن الذبيحين أراد بالذبيح الاول

---

(٢) الغناء بالفتح النفع

(٣) الالاقي بتشديد الياء هي الشدائد جمع القيه بضم فسكون فتشديد الياء

قلة

ملكها حتى أخضع حدود فارس والروم وصرع جنودهم ونكس راياتهم وظهر الاسلام في اقطار الارض وذل الكفر واهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم وصاروا اخوة لااختلاف بينهم وقرؤا القرآن وتفقهوا في الدين الا ابو بكر ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قدرأي الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف وشكت بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الالوف وشغلهم بذلك عن ان يفتح من بلاد الكفر قرية اويذعر لهم سرب او يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيرا مما صار بايدى المسلمين من بلادهم فلم يجتمع المسلمون الى يوم القيامة فاين سياسة من سياسة

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل كل ماادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا الا على دعاوى ظاهرة الكذب لادليل على صحة شيء منها وصح بالبرهان كما أوردنا ان ابا بكر هو الذى فاز بالقدح المعلى والسبق المبرز والحظ الاسنى في العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشية والصدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلاشك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يحتج عليهم بالاحاديث لانهم لايصدقون أحاديثنا ولانصدق احاديثهم انما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكواف فان كانت الامامة تستحق بالتقدم في الفضل فابو بكر أحق الناس بها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يقينا فكيف والنص على خلافته صحيح واذ قد صحت أمامة ابي بكر رضى الله عنه فطاعته فرض في استخلافه عمر رضى الله عنه فوجبت أمامة عمر فرضا بماذكرنا وباجماع أهل الاسلام عليهما دون خلاف من أحد قطعا ثم أجمت الامة كلها أيضا بلا خلاف من احد منهم على صحة أمامة عثمان والدينونة بها وأما خلافة على فحق لا بنص ولا باجماع لكن ببرهان سنذكره ان شاء الله في الكلام في حروبه

(قال ابو محمد) ومن فضائل ابا بكر المشهورة قوله عزوجل ﴾ اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذهما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا ﴾ فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لاخلاف بين أحد في انه ابو بكر فاوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في اخراجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه خصه باسم الصحبة له وبانه ثانيه في الغار واعظم من ذلك كله ان الله معهما وهذا ما لا يلحقه فيه أحد

(قال ابو محمد) فاعترض في هذا بعض أهل القحة فقال قد قال الله عز وجل ﴾ اذ قال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا ﴾ قال وقد حزن ابو بكر فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عزوجل لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره وقد أخبر الله تعالى بان أحدهما مؤمن والآخر كافر وبانهما مختلفان فانما ساماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى والى مدين أخاهم شعيبا فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب فليس هكذا قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا بل جعله صاحبه في الدين والهجرة وفي الاخراج وفي الغار وفي نصرة الله تعالى لهما اخافة الكفار لهما وفي كونه تعالى معهما فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الاخرى غاية النقص بنص القرآن. وأما حزن ابي

اسماعيل وهو اول من انحدر اليه النور فاختفى وبالذبيح الثانى عبد الله ابن عبد المطلب وهو آخر من انحدر اليه النور فظهر كل الظهور وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يامر اولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وببركة ذلك النور قد سلم اليه النظر في حكومات العرب والحكم في خصومات المتخاصمين فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة وينظر في حكومات القوم وببركة ذلك النور قال لابرهة ان لهذا البيت ربا يذب عنه ويحفظه وفيه قال وقد صعد جبل ابي قبيس

لاهم ان المرء يمنع حله فامنع حلالك

بكر رضي الله عنه فانه قبل ان ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاية الرضا لله لانه كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الله عز وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم وماحزن ابو بكر قط بعد ان نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن ولو كان لهؤلاء الارذال حياء اوعلم لم ياتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن ابي بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيبا لان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام * سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون * ثم قال تعالى عن السحرة انهم قالوا لموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى * فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه قد كان اخبره الله عز وجل بان فرعون وملاه لا يصلون اليه وان موسى ومن اتبعه هو الغالب ثم اوجس فى نفسه خيفة بعد ذلك اذ رآى امر السحرة حتى اوحي الله عز وجل اليه لا تخف فهذا امر اشد من امر ابى بكر واذا لزم مايقول هؤلاء الفساق ابا بكر وحاشا لله ان يلزمه من ان حزنه لوكان رضا لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزم اشد منه لموسى عليه السلام وان ايجاسه الخيفة فى نفسه لوكان رضا لله تعالى مانهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا بل ايجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن الا نسيان الوعد المتقدم وحزن ابي بكر رضي الله عنه رضا لله تعالى قبل ان ينهى عنه ولم يكن تقدم اليه نهى عن الحزن واما محمد صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل * قال ومن كفر فلا يحزنك كفره   وقال تعالى * ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق * وقال تعالى * ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا * وقال تعالى ولا تذهب نفسك عليهم حسرات * وقال تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا * ووجدناه عز وجل قد قال * ولقد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون * وقاله أيضا فى الانعام فهذا الله تعالى اخبرنا انه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنه الذى يقولون ونهاه الله عز وجل عن ذلك نصا فيلزمهم فى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نهاه الله تعالي عنه كالذى أرادوا فى حزن ابى بكر سواء بسواء ونعم ان حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل ان ينهاه الله عز وجل وماحزن عليه السلام بعد ان نهاه ربه تعالى عن الحزن كما كان حزن ابي بكر طاعة لله عز وجل قبل ان ينهاه الله عز وجل عن الحزن وماحزن ابو بكر قط بعد ان نهاه عليه السلام عن الحزن فكيف وقد يمكن ان يكون ابو بكر لم يحزن يومئذ لكن نهاه عليه السلام عن ان يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام * ولا تطع منهم آثما او كفورا * فنهاه عن ان يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهذا انما يعترض به اهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) واعترض علينا بعض الجهال ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابى طالب خلف ابى بكر رضى الله عنهما فى الحجة التى حجها ابو بكر واخذ برآءة من ابي بكر وتولي علي تبليغها الى اهل الموسم وقراءتها عليهم

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم فضائل ابى بكر لانه كان اميرا على علي بن ابي طالب وغيره من اهل الموسم لا يدفعون الا بدفعه ولا يقفون الا بوقوفه ولا يصلون الا بصلاته

وينصتون

لا يغلبن صليبهم
ومحالهم عدوا محالك
ان كنت تاركهم وكع
بتنا فامر ما بدا لك
ببركة ذلك النور كان يقول فى وصاياه ان لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب فى ذلك ففكر فقال والله ان وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب باساءته ومما يدل على اثباته المبدأ والمعاد انه كان يضرب بالقداح على ابنه عبد الله ويقول
يارب أنت الملك المحمود
وأنت ربي المبدء والمعيد
من عندك الطارف والتليد

وينصتون اذا خطب وعلي في الجملة كذلك وسورة براءة وقع فيها فضل ابي بكر رضى الله عنه وذكره في امر الغار وخروجه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكون الله تعالى معهما فقرآة علي لها أبلغ في اعلان فضل ابي بكر على علي وعلي سواه وحجة لابي بكر قاطعة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) الان ترجع الروافض الى انكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه فهذا امر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم الى كل عالم وجاهل فانه لا يمترى كافر ولا مؤمن في ان هذا الذي بين اللوحين من الكتاب هو الذى اتى به محمد صلى الله عليه وسلم واخبرنا بانه اوحاه الله تعالى اليه فمن تعرض هذا فقد اقر بين عدوه

(قال ابو محمد) وما يعترض امامة ابي بكر الا زار (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم راد لامره في تقديمه أبا بكر الى الصلاة باهل الاسلام مريد لازالته عن مقام اقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولسنا من كذبهم في تاويلهم * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * وان المراد بذلك على رضى الله عنه بل هذا لا يصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك

(قال ابو محمد) فصح بما ذكرنا فضل ابي بكر على جميع الصحابة رضى الله عنهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالبراهين المذكورة واما الاحاديث في ذلك فكثيرة كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي بكر دعوا لى صاحبي فان الناس قالوا كذبت وقال ابو بكر صدقت وقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخى وصاحبي وهذا الذي لا يصح غيره واما اخوة علي فلا تصح الا مع سهل بن حنيف ومنها امره صلى الله عليه وسلم بسد كل باب وخوخة في المسجد حاشا خوخة ابي بكر وهذا هو الذى لا يصح غيره ومنها غضبه صلى الله عليه وسلم علي من خارج ابا بكر وعلى من اشار عليه بغير ابي بكر للصلاة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان امن الناس على في ماله ابوا بكر وعمدتنا في تفضيل ابي بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اسئل من احب الناس اليك يارسول الله قال عائشة قيل فمن الرجال قال ابوها قيل ثم من يارسول قال عمر

(قال ابوا محمد) فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لزدنا لكنا لا نقول في شيء من الدين الا بما جاء به النص

(قال ابو محمد) واختلف الناس فيمن افضل أعثمان ام على رضى الله عنهما

(قال أبوا محمد) والذى يقع في نفوسنا دون ان نقطع به ولا نخطئ من خالفنا في ذلك فهو ان عثمان افضل من علي والله اعلم لان فضائلهما تتقاوم في الاكثر فكان عثمان أقرأ وكان على أكثر فتيا ورواية ولعلي ايضا حظ قوى في القراءة ولعثمان ايضا حظ قوى في الفتيا والرواية ولعلي مقامات عظيمة في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ثم انفرد عثمان بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر مكرم محمود ولم يحضر بدرا فالحقه الله عز وجل فيهم باجره التام وسهمه فالحقه

(١) أسم فاعل من الزراية وهى العيب

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة رشرف النبوة ان أهل مكة لما اصابهم ذلك الجدب العظيم وامسك السحاب عنهم سنتين أمر أبا طالب ابنه ان يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو رضيع في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وقال يارب بحق هذا الغلام ورماه ثانيا وثالثا وكان يقول بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا دائما هاطلا فلم يلبث ساعة ان طبق السحاب وجه السماء وامطر حتى خافوا على المسجد وانشد ابوا طالب ذلك الشعر اللامي الذى منه

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطيف به الهلال من اهل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

بمن حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات فى الاسلام عظيمة لم تكن لعلي وسيرة في الاسلام هادية ولم يتسبب بسفك دم مسلم وجاءت فيه آثار صحاح وان الملائكة تستحي منه وانه ومن اتبعه على الحق والذي صح من فضائل علي فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقوله عليه السلام لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام ان عليا لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وقد صح مثل هذه في الانصار رضي الله عنهم انه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الاخر واما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقات اصلا واما سائر الاحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له ادنى علم بالاخبار ونقلتها

(قال ابو محمد) ونقول بفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب قطعا الا اننا لا نقطع بفضل احد منهم علي صاحبه كعثمان ابن عفان وعثمان ابن مظعون وعلي وجعفر وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله ابن مسعود وسعد وزيد ابن حارثة وابي عبيدة وبلال وسعيد ابن زيد وعمار ابن ياسر وابي سلمة وعبد الله ابن جحش وغيرهم من نظرائهم ثم بعد هؤلاء اهل العقبة ثم اهل بدر ثم اهل المشاهد كلها مشهدا مشهدا فاهل كل مشهد افضل من اهل المشهد الذي بعده حتى بلغ الامر الى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم الى تمام بيعة الرضوان فاننا نقطع على غيب قلوبهم وانهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الايمان والهدى والبر كلهم من اهل الجنة لا يلج احد منهم النار البتة لقول الله تعالى * والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم * وكقوله عز وجل * لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم *

(قال ابو محمد) فمن اخبرنا الله عز وجل انه علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم وانزل السكينة عليهم فلا يحل لاحد التوقف في امرهم ولا الشك فيهم البتة ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر ولاخباره عليه السلام انه لا يدخل النار احد شهد بدرا ثم نقطع على ان كل من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنية صادقة ولو ساعة فانه من اهل الجنة لا يدخل النار لتعذيب الا انهم لا يلحقون بمن اسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقال تعالى * وعد الله لا يخلف الله وعده * وقال تعالى * ان الذين سبقت لهم منا الحسنى او لئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون * فصح بالضرورة ان كل من انفق قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبه لتفضيل الله تعالى اياهم والله تعالى لا يفضل الا مؤمنا فاضلا واما من انفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نحن قال الله تعالى * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم

(قال ابو محمد) فلهذا لم نقطع على كل امرىء منهم بعينه لكن نقول كل من لم يكن منهم

كذبتم وبيت الله يبرى محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال العباس بن عبد المطلب في النبي عليه الصلاة والسلام قصيدة منها

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صلب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن في خندف عليا تحتها النطق
وأنت لما ظهرت أشرقت الا رض وضاءت بنورك الافق

من المنافقين فهو من أهل الجنة يقينا لانه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم واخبر انه لا يخلف وعده وان من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ولا يحزنه الفزع الاكبر وهو فيما اشتهى خالد وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل انه رضي عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وقد علم كل احد له ادنى علم ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعمار والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم من اهل هذه الصفة والخوارج والروافض قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البرية منهم خلافا لله عز وجل وعنادا له ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) فهذا قولنا في الصحابة رضي الله عنهم فاما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على غيبهم واحدا واحدا الامر بان منا احتمال المشقة في الصبر للدين ورفض الدنيا لغير غرض استعجله الا اننا لا ندري على ماذا مات وان بلغنا الغاية في تعظيمهم وتوقيرهم والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم لكن نتولاهم جملة قطعا ونتولى كل انسان منهم بظاهره ولا نقطع على احد منهم بجنة ولا نار لكن نرجو لهم ونخاف عليهم اذ لا نص في انسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل الا بنص من عنده لكن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومعنى هذا الحديث انما هو كل قرن من هذه القرون التي ذكر عليه السلام اكثر فضلا بالجملة من القرن الذي بعده لا يجوز غير هذا البتة وبرهان ذلك انه قد كان في عصر التابعين من هو افسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المري وحبيش بن دلجة القيني والحجاج بن يوسف الثقفي وقتلة عثمان وقتلة ابن الزبير وقتلة الحسين رضي الله عنهم ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا في هذا الخبر لزمه ان يقول ان هؤلاء الفساق الاخابث افضل من كل فاضل في القرن الثالث ومن بعده كسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومسعر بن كدام وشعبة ومنصور بن المعتمر ومالك والاوزاعي والليث وسفيان بن عيينة ووكيع وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق ابن راهوية وداود بن علي رضي الله عنهم وهذا ما لا يقوله احد وما يبعد ان يكون في زماننا وفيمن ياتي بعدنا من هو افضل رجل من التابعين عند الله عز وجل اذ لم يات في المنع من ذلك نص ولا دليل اصلا والحديث المأثور في اويس القرني لا يصح لان مداره على اسيد بن جابر وليس بالقوي وقد ذكر شعبة انه سأل عمرو بن مرة وهو كوفي قرني مرادي من اشرف مراد واعلمهم بهم عن اويس القرني فلم يعرفه في قومه واما الصحابة رضي الله عنهم فبخلاف هذا ولا سبيل الى ان يلحق اقلهم درجة احد من اهل الارض وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذهب بعض الروافض الى ان لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا بالقرابة فقط واحتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض * وبقوله عز وجل * قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى * وبقوله تعالى * وابعث فيهم رسولا منهم *

(قال ابو محمد) وهذا كله لا حجة فيه اما اخباره تعالى بانه اصطفى آل ابراهيم وآل عمران على العالمين فانه لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يعني كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء او يعني مؤمني اهل بيت ابراهيم وعمران لا يجوز غير هذا لان آزر والد ابراهيم

فنحن في ذلك الضياء وفي الـنور وسبل الرشاد نخترق
وأما النوع الثاني من العلوم فهو الرؤيا وكان أبو بكر ممن يعبر الرويا في الجاهلية ويصيب فيرجعون اليه ويستخبرون عنه والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن هذا قال عليه الصلاة والسلام من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل الله على محمد ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع قد ذكرناها لانها نوع تحصيل فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيفي وينتظر المقدم النبوي زيد بن عمرو ابن نفيل كان يسند

عليه السلام كان كافرا عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار فان اراد الوجه الذى ذكرنا لم نمانعه ولا تنازعه في ان موسى وهارون من آل عمران وآل اسماعيل واسحاق ويوسف ويعقوب من آل ابراهيم مصطفون على العالمين * فاى حجة ههنا لبنى هاشم * فان ذكروا الدعاء المأمور به وهو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد فالقول في هذا كما قلنا ولا فرق وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف وكذلك الدعاء في التشهد المفترض في كل صلاة من قول المصطفى السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهذا السلام على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنو هاشم وغيرهم في اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم وبالسلام عليهم ولا فرق وقال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر فاستوى كله بنو هاشم وقريش والعرب والعجم ومن كان جميعهم بهذه الصفة وايضا فيلزم من احتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * أن يقول ان من اسلم من الهارونيين من اليهود افضل من بنى هاشم واشرف واولى بالتقديم لانه من آل عمران ومن آل ابراهيم وفيهم ورد النص

*(قال ابو محمد) * فصح يقينا ان الله عز وجل انما اراد بذلك الانبياء عليهم السلام فقط وبين هذا بيانا جليا قول الله عز وجل حاكيا عن ابراهيم عليه السلام انه قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين * من ذرية ابراهيم عليه السلام الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا فخص الله تعالى بولاية ابراهيم عليه السلام من اتبع ابراهيم كائنا من كان فدخل في هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل واما قول الله عز وجل * قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى * فهذا حق على ظاهره وانما اراد عليه السلام من قريش ان يودوه لقرابته منهم ولا يختلف احد من الامة في انه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين ان يودوا ابا لهب وهو عمه ولا شك في انه عليه السلام اراد من المسلمين مودة بلال وعمار وصهيب وسلمان وسالم مولى ابى حذيفة واما قوله عز وجل عن ابراهيم عليه السلام * وابعث فيهم رسولا منهم * فقد قال عز وجل * وان من امة الا خلا فيها نذير * وقال تعالى * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فاستوت الامم كلها في هذه الدعوة بان يبعث فيهم رسولا منهم ممن هو من قومه فان احتج محتج بالحديث الثابت الذى فيه ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فمعناه ظاهر وهو انه تعالى اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بنى هاشم وكون بنى هاشم من قريش وكون قريش من كنانة وكون كنانة من بنى اسماعيل كما اصطفى ان يكون موسى من بنى لاوى وان يكون بنو لاوى من بنى اسحاق عليه السلام وكل نبى من عشيرته التى هو منها ولا يجوز غير هذا البتة ونسأل من اراد حمل هذا الحديث على غير هذا المعنى ايدخل احد من بنى هاشم او من قريش او من كنانة او من اسماعيل النار ام لا فان انكروا هذا

خطر

ظهره الى الكعبة ويقول ايها الناس هلموا الى فانه لم يبق على دين ابراهيم احد غيرى وسمع أمية بن أبي الصلت يوما ينشد

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفة زور

فقال له صدقت وقال زيد ايضا فلن تكون لنفسى منك واقية

يوم الحساب اذا ما يجمع البشر ومن كان يعتقد التوحيد ويؤمن بيوم الحساب قس بن ساعدة الايادى قال في مواعظه

كلا ورب الكعبة ليعودون ما باد ولان ذهب ليعودون يوما وقال ايضا

كلا بل هو الله اله واحد ليس بمولود ولا والد أعادى وابدى واليه المآب غدا

كفروا وخالفوا الاجماع والقرآن والسنن وقد قال عليه السلام ابى وابوك فى النار وان ابا طالب فى النار وجاء القرآن بان ابا لهب فى النار وسائر كفار قريش فى النار كذلك قال الله تعالى * تبت يدا أبى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب * فاذا اقر بانه قد يدخل النار منهم من يستحق ان يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس

(قال ابو محمد) ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا وابين من هذا كله قول الله تعالى * يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم * وقوله تعالى * لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم * وقوله تعالى * واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا * وقال تعالى وذكر عادا وثمودا وقوم نوح وقوم لوط ثم قال * ا كفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة فى الزبر * فصح ضرورة انه لا ينتفع احد بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من نبى من الانبياء والرسل عليهم السلام ولو ان النبى ابنه او ابوه وامه نبية وقد نص الله تعالى فى ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد على رسل الله الصلاة والسلام ما فيه الكفاية وقد نص الله تعالى على ان من انفق من قبل الفتح وقاتل اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا فصح ضرورة ان بلالا وصهيبا والمقداد وعمارا وسالما وسلمان افضل من العباس وبنيه عبد الله والفضل وقثم ومعبد وعبيد الله وعقيل بن ابى طالب والحسن والحسين رضى الله عن جميعهم بشهادة الله تعالى فاذ هذا لا شك فيه ولا جزاء فى الآخرة الا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ولا بالولادات وليست الدنيا دار جزاء فلا فرق بين هاشمى وقرشى وعربى وعجمى وحبشى وابن زنجية والكرم والفوز لمن اتقى الله عز وجل حدثنا محمد بن سعيد بن نبات انبأنا احمد بن عبد الله البصير حدثنا قاسم ابن اصبغ حدثنا عبد السلام ابن الخشنى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن مهدى حدثنا سفيان الثورى عن ابى اسحاق السبيعى عن حسان بن فايد العبسى قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وان كان فارسيا او نبطيا

الكلام فى حرب على ومن حاربه من الصحابة رضى الله عنهم

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى تلك الحرب على ثلاث فرق فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة ان عليا كان المصيب فى حربه وكل من خالفه على خطأ وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وابو الهذيل وطوائف من المعتزلة ان عليا مصيب فى قتاله معاوية واهل النهر ووقفوا فى قتاله مع اهل الجمل وقالوا احدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف ايهما هى وقالت الخوارج على المصيب فى قتاله اهل الجمل واهل صفين وهو مخطىء فى قتاله اهل النهر وذهب سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن عمر وجمهور الصحابة الى الوقوف فى على واهل الجمل واهل صفين وبه يقول جمهور اهل السنة وابو بكر بن كيسان وذهب جماعة من الصحابة وخيار التابعين وطوائف ممن بعدهم الى تصويب محاربى على من اصحاب الجمل واصحاب صفين وهم الحاضرون لقتاله فى اليومين المذكورين وقد اشار الى هذا ايضا ابو بكر بن كيسان

وأنشا فى معنى الاعادة
يابا كى الموت والاموات فى جدث
عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
كما ينبه من نوماته الصعق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم
خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتى فى ثيابهم
منها الجديد ومنها الازرق الخلق ومنهم عامر بن الظرب العدوانى كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول فى آخرها انى ما رأيت شيئا قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان يميت الناس الداء لاحياهم الدواء ثم قال انى أرى أمورا شتى وحتى قيل له وما حتى قال حتى يرجع الميت

﴿قال ابو محمد﴾ اما الخوارج فقد اوضحنا خطاهم وخطا أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بانكار تحكيم على الحكمين فسنتكلم فى ذلك ان شاء الله تعالى كما تكلمنا فى سائر أحكامهم والحمد لله رب العالمين واما من وقف فلاحجة له اكثر من انه لم يتبين له الحق ومن لم يتبين له الحق فلاسبيل الى مناظرته باكثر من ان نبين له وجه الحق حتى يراه وذكروا ايضا احاديث فى ترك القتال فى الاختلاف سنذكر لكم جملتها ان شاء الله تعالى فلم يبق الا الطائفة المصوبة لعلى فى جميع حروبه والطائفة المصوبة لمن حاربه من اهل الجمل واهل صفين (قال ابو محمد) احتج من ذهب الى تصويب محاربي علي يوم الجمل ويوم صفين بان قال ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما فالطلب باخذ القود من قاتليه فرض قال عز وجل. ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا . وقال تعالى . وتعانوا علي البر والتقوى ولا تعانوا علي الاثم والعدوان . قالوا ومن آوى الظالمين فهو اما مشارك لهم واما ضعيف عن اخذ الحق منهم قالوا وكلا الامرين حجة فى اسقاط امامته على من فعل ذلك ووجوب حربه قالوا وما انكروا علي عثمان الاقل من هذا من جواز انفاذ اشياء بغير علمه فقد ينفذ مثلها سرا ولا يعلمها احد الا بعد ظهورها قالوا وحتى لو ان كل ما أنكر على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من احد من اهل الاسلام لانهم انما أنكروا عليه استئثارا بشيء يسير من فضلات الاموال لم يجب لاحد بعينه فمنعها وتولية اقاربه فلما شكوا اليه عزلهم واقام الحد على من استحقه وانه صرف الحكم بن ابى العاص الى المدينة ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للحكم لم يكن حدا واجبا ولا شريعة علي التابيد وانما كان عقوبة علي ذنب استحق به النفى والتوبة مبسوطة فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من احد من اهل الاسلام وصارت الارض كلها مباحة وانه ضرب عمارا خمسة اسواط ونفى ابا ذر الى الربذة وهذا كله لا يبيح الدم قالوا وايواء على المحدثين اعظم الاحداث من سفك الدم الحرام فى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما دم الامام وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم والمنع من انفاذ الحق عليهم أشد من كل ماذكرنا بلاشك قالوا وامتناع معاوية من بيعة على كامتناع على من بيعة ابى بكر فما حاربه ابو بكر ولا اكرهه وابو بكر اقدر على على من على على معاوية ومعاوية فى تاخيره عن بيعة على اعذر وافسح مقالا من على فى تاخيره عن بيعة ابى بكر لان عليا لم يمتنع من بيعة ابى بكر احد من المسلمين غيره بعد ان بايعه الانصار والزبير واما بيعة علي فان جمهور الصحابة تاخروا عنها اما عليه واما لا له ولا عليه وما تابعه فيهم الا الاقل سوى ازيد من مائة الف مسلم بالشام والعراق ومصر والحجاز كلهم امتنع من بيعته فهل معاوية الا كواحد من هؤلاء فى ذلك وايضا فان بيعة علي لم تكن على عهد من النبى صلى الله عليه وسلم كما كانت بيعة ابى بكر ولا عن اجماع من الامة كما كانت بيعة عثمان ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ولا بسوق بائن (١) فى الفضل على غيره لا يختلف فيه أحد ولا عن شورى فالقاعدون عنها بلاشك ومعاوية من جملتهم اعذر من على فى قعوده عن بيعة ابى بكر ستة اشهر حتى رأى البصيرة وراجع الحق عليه فى ذلك قالوا فان قلتم خفى على علي نص رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابي بكر قلنا لكم لم يخف عليه بلاشك تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الى الصلاة وامره عليا بان يصلى وراءه في جماعة المسلمين فتاخر عن بيعة

(١) بسوق بائن اى تفوق ظاهر

حيا ويعود اللاشى شيئا ولذلك خلقت السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين وقال ويل أمها نصيحة لو كان من يقبلها وكان قد حرم الخمر على نفسه فيمن حرمه وقال فيه شعرا

ان اشرب الخمر اشربها للذتها
وان أدعها فانى ماقت قالى
لولا اللذاذة والقيان لم أرها
أو لا رأتنى الا من مدى العالى
سالت الفتى ماليس فى يده
ذهابة بعقول القوم والمال
مورث القوم اضغانا بلا احن
ومرزيا بالفتى ذى النجدة الحالى
اقسمت بالله أسقيها او أشربها
حتى تمزق ترب الارض اوصالى

وممن كان قد حرم الخمر فى الجاهلية قيس بن عاصم التميمى

ابى بكر سعى منه فى حطه عن مكان جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً لابى بكر وسعى منه فى فسخ نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تقديمه الى الصلاة وهذا اشد من رد انسان نفاه رسول الله صلي الله عليه وسلم لذنب ثم تاب منه وايضاً فان علياً قد تاب واعترف بالخطاء لانه اذا بايع ابا بكر بعد ستة اشهر تاخر فيها عن بيعته لايخلو ضرورة من احد وجهين اما ان يكون مصيباً في تاخره فقد اخطا اذ بايع او يكون مصيباً فى بيعته فقد اخطا اذ تاخر عنها قالوا والممتنعون من بيعة على لم يعترفوا قط بالخطا على انفسهم فى تاخرهم عن بيعته قالوا فان كان فعلهم خطا فهو أخف من الخطا فى تاخر على عن بيعة ابى بكر وان كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطا جملة قالوا والبون بين طلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعلى خفى جدا فقد كانوا فى الشورى معه لا يبدو له فضل تفوق عليهم ولا علي واحد منهم وأما البون بين علي وابي بكر فابين واظهر فهم من امتناعهم عن بيعته اعذر لخفاء التفاضل قالوا وهلا فعل على فى قتلة عثمان كما فعل بقتله عبد الله ابن خباب بن الارت فان القصتين استويا فى التحريم فالمصيبة فى قتل عثمان فى الاسلام وعند الله عز وجل وعلي المسلمين اعظم جرما واوسع خرقا واشنع اثما واهول فتقاً من المصيبة فى قتل عبد الله بن خباب قالوا وفعله فى طلب دم عبد الله بن خباب يقطع حجة من تاول على علي انه يمكن ان يكون لايري قتل الجماعة بالواحد

(قال ابو محمد) هذا كل مايمكن ان تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناه ونحن ان شاء الله تعالى متكلمون على ماذهبت اليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق في ذلك بعون الله تعالى وتاييده

(قال ابو محمد) نبدأ بعون الله عز وجل بانكار الخوارج للتحكيم

(قال ابو محمد) قالوا حكم على الرجال فى دين الله تعالى والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله * ان الحكم الا لله * وبقوله تعالى * وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله *

(قال ابو محمد) ما حكم على رضى الله عنه قط رجلا في دين الله وحاشاه من ذلك وانما حكم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه وانما اتفق القوم كلهم اذ رفعت المصاحف على الرماح وتداعوا الى مافيها على الحكم بما انزل الله عز وجل فى القرآن وهذا وهو الحق الذى لا يحل لاحد غيره لان الله تعالى يقول * فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فانما حكم على رضى الله عنه اباموسى وعمرو رضى الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدلياً بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن اوجب القرآن الحكم له واذ من المحال الممتنع الذى لا يمكن الذى لا يفهم لغط العسكرين او ان يتكلم جميع اهل العسكر بحجتهم فصح يقيناً لامحيد عنه صواب علي فى تحكيم الحكمين والرجوع الى ما اوجبه القرآن وهذا الذى لا يجوز غيره ولكن اسلاف الخوارج كانوا اعراباً قرؤا القرآن قبل ان يتفقهوا فى السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد من الفقهاء لا من اصحاب ابن مسعود ولا اصحاب عمر ولا اصحاب على ولا اصحاب عائشة ولا اصحاب ابى موسى ولا اصحاب معاذ بن جبل ولا اصحاب ابى الدرداء ولا اصحاب سلمان ولا اصحاب زيد وابن عباس وابن عمر ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم وانهم انكروا

وصفوان بن أمية بن محرب الكنانى وعفيف بن معدى كرب الكندى وقالوا فيها وقال الا سلوم الليالى وقد حرم الزنا والخمر شعرا

سالمت قومى بعد طول مضاضة
والسلم أبقى فى الامور واعرف

وتركت شرب الراح وهى أميرة
والمومسات وترك ذلك أشرف

وعففت عنه ياأميم تكرماً
وكذاك يفعل ذوالحجى المعفف

وممن كان يؤمن بالخالق تعالى وبخلق آدم عبد الطابخة بن ثعلب ابن وبرة من قضاعة قال فيه

أدعوك ياربي بما أنت اهله
دعاء غريق قد تشبث بالعصم

لانك أهل الحمد والخير كله
وذا الطول لم تعجل بسخط ولم تلم

وأنت الذى لم يحيه الدهر ثانياً
ولم يرعبد منك فى صالح وجم

ما قام البرهان الذي أوردنا بانه حق ولو لم يكن من جهلهم لاقرب عهدهم بخبر الانصار يوم السقيفة واذعانهم رضي الله عنهم مع جميع المهاجرين لوجب الامر في قريش دون الانصار وغيرهم وان عهدهم بذلك قريب منذ خمسة وعشرين عاماً واشهر وجمهورهم ادرك ذلك بسنة وثبت عند جميعهم كتبات أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا فرق لان الذين نقلوا اليهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا اليهم القرآن والشرائع فدانوا بكل ذلك هم باعيانهم لا زيادة فيهم ولا نقص نقلوا اليهم خبر السقيفة ورجوع الانصار الى ان الامر لا يكون الا في قريش وهم يقرون ويقرؤن قوله تعالى * لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اؤلئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقوله تعالى * محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً * الآية وقوله تعالى * لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ثم اعماهم الشيطان واضلهم الله تعالى على علم * فحلوا بيعة مثل علي واعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وسعد وابن عمر وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل واعرضوا عن سائر الصحابة الذين انفقوا بعد الفتح وقاتلوا ووعدهم الله الحسنى وتركوا من يقرون بان الله تعالى عز وجل علم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم ورضي عنهم وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة وهم الاشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجد المبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود المثنى عليهم في التوراة والانجيل من عند الله عز وجل لذين غيظ الله بهم الكفار المقطوع على ان باطنهم في الخير كظاهرهم لان الله عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا احدا منهم وبايعوا اشيث بن ربعي مؤذن سجاح ايام ادعت النبوة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى تداركه الله عز وجل فنفر عنهم وتبين لهم ضلالتهم فلم يقع اختيارهم الا على عبد الله بن وهب الراسبي اعرابي بوال على عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ولا فقه ولا شهد الله له بخير قط فمن اضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان احداً يمينه ذو خويصرة الذي بلغه ضعف عقله وقلة دينه الى تجويره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حكمه والاستدراك رأي نفسه اورع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وهو يقر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه لكان حماراً او اضل ونعوذ بالله من الخذلان واما الطائفة المنسوبة للقاعدين فان من لم يلح له الحق منهم فانما يكلم حتى يبين له الحق فيلزمه المصير اليه فنقول وبالله تعالى التوفيق انه قد صح ووجب فرض الامامة بما ذكرنا قبل في ايجاب الامامة واذ هي فرض فلا يجوز تضييع الفرض واذ ذلك كذلك فالمبادرة الى تقديم امام عند موت الامام فرض واجب وقد ذكرنا وجوب الائتمام بالامام فاذ هذا كله كما ذكرنا فاذ مات عثمان رضي الله عنه وهو الامام ففرض اقامة امام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا امام فاذ بادر علي فبايعه واحد من المسلمين فصاعداً فهو امام قائم ففرض طاعته لا سيما لم يتقدم بيعته بيعة ولم ينازعه الامامة احد فهذا اوضح وواجب في وجوب امامته وصحة بيعته ولزوم امرته المؤمنين فهو الامام بحقه وما ظهر منه قط الى ان مات رضي الله عنه شيء يوجب نقض بيعته وما ظهر منه قط الا العدل والجد والبر والتقوى كالو سبقت بيعة طلحة او الزبير او سعد او سعيد او من يستحق الامامة لكانت ايضا بيعة حق لازمة لعلي ولغيره ولا فرق فعلي مصيب في الدعاء الى نفسه والى

الدخول

وأنت القديم الاول الماجد الذي
تبدأت خلق الناس في أكثم العدم
فانت الذي أحللتني غيب ظلمة
الى ظلمة من صلب آدم في ظلم

ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى كان يمر بالعضاة وقد اورقت بعد يبس فيقول لولا ان تسبني العرب لآمنت بمن احياك بعد يبس سيحيي العظام وهي رميم ثم آمن بعد ذلك وقال في قصيدته التي اولها

أمن أم أوفى يؤخر
فيوضع كتاب فيدخر
ليوم الحساب او يعجل
فينتقم

ومنهم علاف بن شهاب التميمي كان يؤمن بالله ويوم الحساب وفيه قال

لقد شهدت الخصم يوم رفاعة
فاخذت منه خطة المقتال

الدخول تحت أمامته وهذا برهان لاحيدعنه واما ام المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط امامة علي ولاطعنوا فيها ولاذكروا فيه جرحة تحطه عن الامامة ولا أحدثوا امامة اخرى ولاجددوا بيعة لغيره هذا مالا يقدران يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على ان كل ذلك لم يكن فاذلاشك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا اشكال فيها انهم لم يمضوا الي البصرة لحرب علي ولاخلافا عليه ولا نقضا لبيعته ولو أرادوا ذلك لاحدثوا بيعة غير بيعته هذا مالا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح انهم انما نهضوا الى البصرة لسد الفتق الحادث في الاسلام من قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما وبرهان ذلك انهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان ان الاراغة والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن انفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع اهله عن انفسهم وكل طائفة تظن ولاشك ان الاخرى بدأ بها بالقتال واختلط الامر اختلاطا لم يقدر أحد علي أكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب واضرامه فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها ورجع الزبير وترك الحرب بحالها واتى طلحة سهم غاير وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحا في ساقه كان أصابه يوم احد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير رضي الله عنه بوادي السباع علي أقل من يوم من البصرة فهكذا كان الامر وكذلك كان قتل عثمان رضي الله عنه انما حاصره المصريون ومن لف لفهم يديرونه على اسلام مروان اليهم وهو رضي الله عنه يابى من ذلك ويعلم انه ان اسلمه قتل دون تثبت فهو على ذلك وجماعات من الصحابة فيهم الحسن والحسين ابنا علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وابو هريرة وعبدالله بن عمر وغيرهم في نحو سبعماية من الصحابة وغيرهم معه في الدار يحمونه وينفلتون الى القتال فيردعهم تشتا الى ان تسوروا عليه من خوخة في دار ابن حزم الانصاري جاره غيلة فقتلوه ولا خبر من ذلك عند احد لعن الله من قتله والراضين بقتله فما رضي احد منهم قط بقتله ولاعلموا انه يراد قتله لانه لم يات منه شيء يبيح الدم الحرام واما قول من قال انه رضي الله عنه اقام مطروحا على مزبلة ثلاثة ايام فكذب بحت وافك موضوع وتوليد من لاحياء في وجهه بل قتل عشية ودفن من ليلته رضي الله عنه شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم وابو الجهم بن حذيفة وعبدالله بن الزبير ومكرم بن نيار وجماعة غيرهم هذا مما لا يتمادى فيه احد ممن له علم بالاخبار ولقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برمي اجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر في القليب والقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى وامر عليه السلام ان يحفر اخاديد لقتلى يهود قريظة وهم شر من وارته الارض فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين فكيف يجوز لذي حياء في وجهه ان ينسب الى علي وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة انهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين اظهرهم على مزبلة لا يوارونه ولا يبالي مؤمنا كان او كافرا ولكن الله يابي الا ان يفضح الكذابين بالسنتهم ولو فعل هذا علي لكانت جرحة لانه لا يخلوا ان يكون عثمان كافرا او فاسقا أو مؤمنا فان كان كافرا اوفاسقا عنده فقد كان فرضا على علي ان يفسخ احكامه في المسلمين فاذا لم يفعل فقد صح انه كان مؤمنا عنده فكيف يجوز ان ينسب ذو حياء الى علي انه ترك مؤمنا مطروحا ميتا على مزبلة لا يامر بمواراته

وعلمت أن الله جاز عبيده يوم الحساب باحسن الاعمال كان بعض العرب اذا حضره الموت يقول لولده ادفنوا معي راحلتي أحشر عليها فان لم تفعلوا حشرت على رجلي قال جريبة بن الاشيم الاسدي في الجاهلية وحضره الموت يوصي ابنه سعدا

ياسعد اما اهلكن فانني
أوصيك ان أخا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يعثر راجلا
في الحشر يصرع لليدين وينكب
واحمل أباك على بعير صالح
وتقي الخطية انه هو أقرب
ولعل لي مما تركت مطية
في القبر أركبها اذا قيل اركبوا

وقال عمرو بن زيد ابن المتمني يوصي

ام كيف يجوز ان يظن به انه انفذ احكام كافر أو فاسق على اهل الاسلام ما احد أسوأ ثناء على على من هؤلاء الكذبة الفجرة

﴿قال ابو محمد﴾ ومن البرهان على صحة ماقلناه ان من الجهل الفاضح ان يظن ظان ان عليا رضى الله عنه بلغ من التناقض فى احكامه واتباع الهوى في دينه والجهل ان يترك سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر واسامة بن زيد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ورافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يجبرهم على بيعته معه فى المدينة وغيرها نعم والخوارج وهم يصيحون فى نواحى المسجد باعلى أصواتهم بحضرته وهو على المنبر فى مسجد الكوفة لاحكم الا الله لاحكم الا الله فيقول لهم رضى الله عنه لكم علينا ثلاث لانمنعكم المساجد ولا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نبدؤكم بقتال اولم يبدأهم بحرب حتى قتلوا عبدالله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك حتى دعاهم الى ان يسلموا اليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله انه يقاتل اهل الجهل لامتناعهم من بيعته هذا افك ظاهر وجنون مختلق وكذب بحت بلاشك

﴿قال ابو محمد﴾ واما امر معاوية رضى الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله على رضى الله عنه لامتناعه من بيعته لانه كان يسعه فى ذلك ماوسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من انفاذ اوامره فى جميع ارض الشام وهو الامام الواجبة طاعته فعلى المصيب فى هذا ولم ينكر معاوية قط فضل على واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده اداه الى ان رأى تقديم اخذ القود من قتلة عثمان رضى الله عنه على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه عن ولد عثمان وولد الحكم ابن ابي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن سهل اخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو اخو المقتول وقال له كبر كبر وروى الكبر الكبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابناء مسعود وهما ابنا عم المقتول لانهما كانا أسن من اخيه فلم يطلب معاوية من ذلك الا ما كان له من الحق ان يطلبه واصاب فى ذلك الاثر الذي ذكرنا وانما اخطأ فى تقديمه ذلك على البيعة فقط فله اجر الاجتهاد فى ذلك ولا اثم عليه فيما حرم من الاصابة كسائر المخطئين فى اجتهادهم الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم اجرا واحدا وللمصيب اجرين ولا عجب اعجب ممن يجيز الاجتهاد فى الدماء وفي الفروج والانساب والاموال والشرائع التى يدان الله بها من تحريم وتحليل وايجاب ويعذر المخطئين فى ذلك ويرى ذلك مباحا لليث والبتى وابي حنيفة والثورى ومالك والشافعي واحمد وداود واسحاق وابي ثور وغيرهم كزفر وابي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم واشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الانسان وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل او عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه كبكر انكحها أبوها وهى بالغة عاقلة بغير اذنها ولا رضاها وغير هذا كثير وكذلك فى الشرائع والاوامر والانساب وهكذا فعلت المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضى الله عنه وانما اجتهدوا فى مسائل دماء كالتى اجتهد فيها المفتون وفى المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى

قتل

ابنه عند موته شعرا
ابنى زودني اذا فارقتنى
فى القبر راحلة برحل قاتر
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا
مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته
فالخلق بين مدفع أو عاثر
وكانوا يربطون الناقة
معكوسة الرأس الى مؤخرها
مما يلى ظهرها أو مما يلى
كلكلها وبطنها ويأخذون
ولية فيشدون وسطها
ويقلدونها عنق الناقة
ويتركونها كذلك حتى
تموت عند القبر ويسمون
الناقة بلية وقال بعضهم
يشبه رجالا فى بلية
كالبلايا فى أعناقها الولايا قال
محمد ابن السائب الكلبي
كانت العرب فى جاهليتها تحرم
أشياء نزل القرآن بتحريمها
كانوا لاينكحون الامهات

قتل الحر بالعبد وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه فاى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما لولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم وقد علمنا ان من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فانه يجب على الامام ان يقاتله وان كان منا وليس ذلك بمؤثر فى عدالته وفضله ولا بموجب له فسقا بل هو ماجور لاجتهاده ونيته فى طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب علي رضى الله عنه وصحة امامته وانه صاحب الحق وان له اجرين اجر الاجتهاد واجر الاصابة وقطعنا ان معاوية رضى الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون ماجورن اجرا واحدا وايضا في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من امته يقتلها اولى الطائفتين بالحق فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج من اصحاب على واصحاب معاوية فقتلهم على واصحابه فصح انهم اولى الطائفتين بالحق وايضا الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية

(قال ابو محمد) المجتهد المخطى اذا قاتل على ما يرى انه الحق قاصدا الى الله تعالى نيته غير عالم بانه مخطىء فهو فئة باغية وان كان ماجورا ولا حد عليه اذا ترك القتال ولا قود واما اذا قاتل وهو يدرى انه مخطي فهذا المحارب تلزمه المحاربة والقود وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطى وبيان ذلك قول الله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما علي الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم * فهذا نص قولنا دون تكلف تاويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم اخوة بعض فى حين تقاتلهم واهل العدل المبغى عليهم والمامورين بالاصلاح بينهم وبينهم ولم يصفهم عز وجل بفسق من اجل ذلك التقاتل ولا بنقص ايمان وانما هم مخطئون باغون ولا يريد واحد منهم قتل آخر وعمار رضي الله عنه قتله ابو العادية يسار ابن سبع السلمى شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء الله بانه علم ما فى قلبه وانزل السكينة عليه ورضى عنه فابو العادية رضى الله عنه متاول مجتهد مخطي فيه باغ عليه ماجور اجرا واحدا وليس هذا كقتلة عثمان رضى الله عنه لانهم لا مجال للاجتهاد فى قتله لانه لم يقتل احدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زني بعد احصان ولا ارتد فيسوغ المحاربة تاويل بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تاويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل هذا الامر وصح ان عليا هو صاحب الحق فالاحاديث التى فيها التزام البيوت وترك القتال انما هو بلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق اين هو وهكذا نقول فاذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن وكذلك ان كانتا معا باغيتين فقتالهما واجب لان كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لانه كله من عند الله عز وجل قال الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح يقينا ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحى من عند الله عز وجل واذ هو كذلك فليس شيء مما عند الله تعالي مختلفا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فلم يبق الا الكلام على الوجوه التى اعترض بها من رأى قتال على رضى الله عنه

ولا البنات ولا الخالات ولا العمات وكان أقبح ما يصنعون ان يجمع الرجل بين الاختين أو يخلف علي امرأة أبيه وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن قال أوس بن حجر التميمى يعير قوما من بنى قيس بن ثعلبة تناوبوا علي امرأة أبيهم ثلاثة واحدا بعد واحد

ينكبوا فكيهة وامشوا حول قبتها
مكلكم لابيه ضيزن سلف

وكان أول من جمع بين الاختين من قريش أبوا جبحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتى المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال وكان الرجل من العرب اذا مات عن المرأة أوطلقها قام أكبر بنيه فان كان له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وان لم يكن له حاجة

(قال ابو محمد)*فنقول و بالله تعالى التوفيق اما قولهم ان أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضي الله عنه المحارب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الساعين في الارض بالفساد والهاتكين حرمة الاسلام والحرم والامامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم وما خالفهم قط علي في ذلك ولا في البرآءة منهم ولكنهم كانوا عددا ضخما جما لا طاقة له عليهم فقد سقط عن علي رضي الله عنه ما لا يستطيع عليه كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق قال الله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ولو ان معاوية بايع عليا لقوى به على اخذ الحق من قتلة عثمان فصح ان الاختلاف هو الذى اضعف يد على عن انفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لانفذ الحق عليهم كما انفذه على قتلة عبد الله بن خباب اذ قدر على مطالبة قتلته واما تأسي معاوية في امتناعه من بيعة علي بتاخر علي عن بيعة ابي بكر فليس في الخطأ اسوة وعلى استقال ورجع وبايع بعد يسير فلو فعل معاوية مثل ذلك لاصاب ولبايع حينئذ بلاشك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من اجل الفرقة واما تقارب ما بين علي وطلحة والزبير وسعد فنعم ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق والخلافة فهو الامام الواجبة طاعته فيما امر به من طاعة الله عز وجل سوآء كان هنالك من هو مثله او افضل كما سبقت بيعة عثمان فوجبت طاعته وامامته على غيره ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشورى علي او طلحة او الزبير او عبد الرحمن او سعد لكان الامام وللزمت عثمان طاعته ولا فرق فصح ان عليا هو صاحب الحق والامام المفترضة طاعته ومعاوية مخطيء ماجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو ابين واوضح من هذا الامر من احكام الدين فربما رجع اذا استبان له وربما لم يستبن له حتى يموت عليه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا اله الا هو

*(قال ابو محمد)*فطالب على حقه فقاتل عليه وقد كان تركه ايجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضي الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم بها نذار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمين من امتي فغبطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ومن ترك حقه رغبة في حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما لا وراء ولا لوم عليه بل هو مصيب في ذلك و بالله تعالى التوفيق

(الكلام في امامة المفضول)

*(قال ابو محمد) ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاني ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز امامة من يوجد في الناس افضل منه وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع اهل السنة الى ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه

*(قال ابو محمد)*واما الرافضة فقالوا ان الامام واحد معروف بعينه في العالم على ماذكرنا من اقوالهم الذي قد تقدم افسادنا لها والحمد لله رب العالمين وما نعلم لمن قال ان الامامة لا تجوز الا الافضل من يوجد حجة اصلا لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من صحة عقل ولا من قياس ولا قول صاحب وما كان هكذا فهو احق قول بالاطراح وقد قال ابو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين يعني اباعبيدة وعمر وابو

تزوجها بعض اخوته بمهر جديد قال كانوا يخطبون المرأة الى ابيها والى اخيه أو عمها أو بعض بني عمها وكان يخطب الكفوء الى الكفوء فان كان احدهما اشرف من الآخر في النسب رغب له في المال وان كان هجينا خطب الى هجين فزوجه هجينة مثله ويقول الخاطب اذا اتام انعموا صباحا ثم يقول نحن اكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد اصبنا رغبة واصبتمونا وكنا نصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين فان كان قريب القرابة من قومه قال لها ابوها أو اخوها اذا حملت اليه وايسرت أذكرت ولا انثت جعل الله منك عددا وعزا وخلدا احسني خلقك واكرمي زوجك وليكن

بكر

بكر افضل منهما بلاشك فما قال احد من المسلمين انه قال من ذلك بما لايحل فى الدين ودعت الانصار الى بيعة سعد بن عبادة وفى المسلمين عدد كثير كلهم افضل منه بلا شك فصح بماذكرنا اجماع جميع الصحابة رضى الله عنهم على جواز امامة المفضول ثم عهد عمر رضي الله عنه الى ستة رجال ولابدان لبعضهم على بعض فضلا وقد اجمع اهل الاسلام حينئذ على انه ان بويع احدهم فهو الامام الواجبة طاعته وفى هذا اطباق منهم على جواز امامة المفضول ثم مات على رضى الله عنه فهو فبويع الحسن ثم سلم الامر الى معاوية وفى بقايا الصحابة من هو افضل منهما بلاخلاف ممن انفق قبل الفتح وقاتل فكلهم اولهم عن آخرهم بايع معاوية ورأى امامته وهذا اجماع متيقن بعد اجماع على جواز امامة من غيره افضل بيقين لاشك فيه الى ان حدث من لاوزن له عند الله تعالى فخرقوا الاجماع بارائهم الفاسدة بلادليل ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) والعجب كله كيف يجتمع قول الباقلاني انه لاتجوز الامامة لمن غيره من الناس افضل منه وهو قد جوز النبوة والرسالة لمن غيره من الناس افضل منه فانه صرح فيما ذكره عنه صاحبه ابو جعفر السمنانى الاعمى قاضى الموصل بانه جائز ان يكون فى الامامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى ان مات

﴿قال ابو محمد﴾ مافى خذلان الله عز وجل احق من هاتين القضيتين لاسيما اذا اقترنتا والحمد لله على الاسلام فان قال قائل كيف تحتجون هنا بقول الانصار رضى الله عنهم فى دعائهم الى سعد بن عبادة وهو عندكم خطأ وخلاف للنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف تحتجون فى هذا أيضا بقول ابى بكر رضيت لكم احد هذين وخلافة ابى بكر عندكم نص من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اين له ان يترك ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا وبالله تعالى التوفيق ان فعل الانصار رضى الله عنهم انتظم حكمين احدهما تقديم من ليس قرشيا وهذا خطأ وقد خالفهم فيه المهاجرون فسقطت هذه القضية والثانى جواز تقديم من غيره افضل منه وهذا صواب وافقهم عليه ابو بكر وغيره فصار اجماعا فقامت به الحجة وليس خطأ من اخطأ فى قول وخالفه فيه من اصاب الحق بموجب ان لايحتج بصوابه الذى وافقه فيه اهل الحق وهذا مالاخلاف فيه وبالله تعالى التوفيق واما امر ابى بكر فان الحق كان له بالنص وللمرء ان يترك حقه اذا رأى فى تركه اصلاح ذات بين المسلمين ولافرق بين عطية اعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين منزلة صيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان فكان له ان يتجافى عنها لغيره اذ لم يمنعه من ذلك نص ولا اجماع وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وبرهان صحة قول من قال بان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه وبطلان قول من خالف ذلك انه لاسبيل الى ان يعرف الافضل الا بنص أو اجماع او معجزة تظهر فالمعجزة ممتنعة ههنا بلاخلاف وكذلك الاجماع وكذلك النص وبرهان آخر وهو ان الذى كلفوا به من معرفة الافضل ممتنع محال لان قريشا مفترقون فى البلاد من اقصى السند الى اقصى الاندلس الى اقصى اليمن وصحارى البربر الى اقصى ارمينية واذربيجان وخراسان فما بين ذلك من البلاد فمعرفة اسمائهم ممتنع فكيف معرفة احوالهم فكيف معرفة افضلهم وبرهان آخر وهو انا بالحس والمشاهدة ندري انه لايدرى احد فضل انسان على غيره ممن

طيبك الماء واذا زوجت فى غربة قال لها لاأيسرت ولاأذكرت فانك تدنين البعداء او تلدين الاعداء احسنى خلقك وتحببى الى احمائك فان لهم عينا ناظرة عليك وأذنا سامعة وليكن طيبك الماء وكانوا يطلقون ثلاثا على التفرقة قال عبدالله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ومنه قول الاعشى حين تزوج امرأة فرغب بها عنه فاتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها شعرا

يا جارتى بينى فانك طالقة
كذاك أمور الناس غاد وطارقة

بعد الصحابة رضي الله عنهم الا بالظن والحكم بالظن لا يحل قال الله تعالى ذاما لقوم * ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين * وقال تعالى * مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقال تعالى * قتل الخراصون * وقال تعالى * ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى * وقال تعالى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وأيضا فاننا وجدنا الناس يتبايذون في الفضائل فيكون الواحد ازهد ويكون الواحد اورع ويكون الآخر اسوس ويكون الرابع أشجع ويكون الخامس اعلم وقد يكونون متقاربين في التفاضل لا يبين التفاوت بينهم فبطل معرفة الافضل وصح ان هذا القول فاسد وتكليف ما لا يطاق والزام ما لا يستطاع وهذا باطل لا يحل والحمد لله رب العالمين ثم قد وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلد النواحي وصرف تنفيذ جميع الاحكام التي تنفذها الائمة الى قوم كان غيرهم بلا شك افضل منهم فاستعمل على اعمال اليمن معاذ بن جبل وابا موسى وخالد بن الوليد وعلى عمان عمرو بن العاص وعلى نجران اباسفيان وعلى مكة عتاب ابن اسيد وعلى الطائف عثمان بن ابي العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ولا خلاف في ان ابابكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف واباعبيدة وابن مسعود وبلالا واباذر افضل ممن ذكرنا فصح يقينا ان الصفات التي يستحق بها الامامة والخلافة ليس منها التقدم في الفضل وايضا فان الفضائل كثيرة جدا منها الورع والزهد والعلم والشجاعة والسخاء والحلم والعفة والصبر والصرامة وغير ذلك ولا يوجد احد يبين في جميعها بل يكون بائنا في بعضها ومتاخرا في بعضها ففي ايها يراعى الفضل من لا يجيز امامة المفضول فان اقتصر على بعضها كان مدعيا بلا دليل وان عم جميعها كلف من لا سبيل الى وجوده ابدا في احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذ لا شك في ذلك فقد صح القول في امامة المفضول وبطل قول من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وذكر الباقلاني في شروط الامامة انها احد عشر شرطا وهذا ايضا دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل فوجب ان ينظر في شروط الامامة التي لا تجوز الامامة لغير من هن فيه فوجدناها ان يكون صليبة من قريش لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامامة فيهم وان يكون بالغا مميزا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق وان يكون رجلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وان يكون مسلما لان الله تعالى يقول * ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * والخلافة اعظم السبيل ولامره تعالى باصغار اهل الكتاب واخذهم باداء الجزية وقتل من لم يكن من اهل الكتاب حتى يسلموا وان يكون متقدما لامره عالما بما يلزمه من فرائض الدين متقيا لله تعالى بالجملة غير معلن بالفساد في الارض لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * لان من قدم من لا يتقي الله عز وجل ولا في شيء من الاشياء او معلنا بالفساد في الارض غير مامون او من لا ينفذ امرا او من لا يدري شيئا من دينه فقد اعان على الاثم والعدوان ولم يعن على البر والتقوى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وقال عليه السلام يا اباذر انك ضعيف لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقال تعالى * فان

قالوا ثانية قال
وبيني فان البين خير من العصا
وان لا تراني فوق رأسك
بارقة قالوا ثالثة قال
وبيني حصان الفرج
غير ذميمة
وموموقة قد كنت
فينا ووامقة
قال وكان أمر الجاهلية في نكاح النساء على أربع يخطب فيتزوج وامرأة يكون لها خليل يختلف اليها فان ولدت قالت هو لفلان فيتزوجها بعد هذا وامرأة ذات راية يختلف اليها النفر وكلهم يواقعها في طهر واحد فاذا ولدت الزمت الولد أحدهم وهذه تدعى المقسمة قال وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون قال زهير
وكم بالقنان من محل ومحرم
قال ويطوف بالبيت أسبوعا

كان الذى عليه الحق سفيها اوضعيفا) الآية فصح ان السفيه والضعيف ومن لا يقدر على شيء فلا بد له من ولى ومن لا بد له من ولى فلا يجوز ان يكون وليا للمسلمين فصح ان ولاية من لم يستكمل هذه الشروط الثمانية باطل لا يجوز ولا ينعقد اصلا ثم يستحب ان يكون عالما بما يخصه من امور الدين من العبادات والسياسة والاحكام مؤديا للفرائض كلها لا يخل بشيء منها مجتنبا لجميع الكبائر سرا وجهرا مستترا بالصغائر ان كانت منه فهذه اربع صفات يكره ان يلي الامة من لم ينتظمها فان ولى فولايته صحيحة ونكرهها وطاعته فيما اطاع الله فيه واجبة ومنعه مما لم يطع الله فيه واجب والغاية المأمولة فيه ان يكون رفيقا بالناس فى غير ضعف شديدا فى انكار المنكر من غير عنف ولا تجاوز للواجب مستيقظا غير غافل شجاع النفس غير مانع للمال فى حقه ولا مبذر له فى غير حقه ويجمع هذا كله ان يكون الامام قائما باحكام القرآن وسنن رسول الله صلى عليه وسلم فهذا يجمع كل فضيلة

(قال ابو محمد) ولا يضر الامام ان يكون فى خلقه عيب كالاعمى والاصم والاجدع والاجذم والاحدب والذى لا يدان له ولا رجلان ومن بلغ الهرم مادام يعقل ولو انه ابن مائة عام ومن يعرض له الصرع ثم يفيق ومن بويع اثر بلوغه الحلم وهو مستوف لشروط الامامة فكل هؤلاء امامتهم جائزة اذ لم يمنع منها نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا نظر ولا دليل اصلا بل قال تعالى * كونوا قوامين بالقسط * فمن قام بالقسط فقد ادى ما امر به ولا خلاف بين احد من اهل الاسلام فى انه لا يجوز التوارث فيها ولا فى انها لا تجوز لمن لم يبلغ حاشا الروافض فانهم اجازوا كلا الامرين ولا خلاف بين احد فى انها لا تجوز لامرأة وبالله تعالى تتأيد

الكلام فى عقد الامامة بماذا تصح

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الامامة لا تصح الا باجماع فضلاء الامة فى اقطار البلاد وذهب آخرون الى ان الامامة انما تصح بعقد اهل حضرة الامام والموضع الذى فيه قرار الائمة وذهب أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى الى ان الامامة لا تصح باقل من عقد خمس رجال ولم يختلفوا فى ان عقد الامامة تصح بعهد من الامام الميت اذا قصد فيه حسن الاختيار للامة عند موته ولم يقصد بذلك هوى وقد ذكر فى فساد قول الروافض وقول الكيسانية ومن ادعى امامة رجل بعينه وأنبا ان كل ذلك دعاو لا يعجز عنها ذو لسان اذا لم يتق الله ولا استحياء من الناس اذ لا دليل على شيء منها

(قال ابو محمد) اما من قال ان الامامة لا تصح الا بعقد فضلاء الامة فى اقطار البلاد فباطل لانه تكليف ما لا يطاق وما ليس فى الوسع وما هو أعظم الحرج والله تعالى لا يكلف نفسا وقال تعالى * وما جعل عليكم فى الدين من حرج *

(قال ابو محمد) ولا حرج ولا تعجيز اكثر من تعرف اجماع فضلاء من فى المولتان والمنصورة الى بلاد مهرة الى عدن الى اقاصى المصامدة بل طنجة الى الاشبونة الى جزائر البحر الى سواحل الشام الى ارمينية وجبل القبج الى اسبنجاب وفرغانة واسروسنه الى اقاصى خراسان الى الجوزجان الى كابل المولتان فما بين ذلك من المدن والقرى ولا بد من ضياع امور المسلمين قبل ان يجمع جزء من مائة جزء من فضلاء اهل هذه البلاد فبطل هذا القول الفاسد مع انه لو كان ممكنا لما لزم لانه دعوى بلا برهان وانما قال تعالى * تعاونوا على البر

ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة قال ابو طالب

وأشواط بين المروتين الى الصفا
ومافيهما من صورة وتخايل

وكانوا يلبون الا ان بعضهم كان يشترك فى تلبيته فى قوله الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقفون المواقف كلها قال العدوى

وأقسم بالبيت الذى حجت له
قريش وموقف ذى الحجيج على الآل

وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الاشهر الحرم فلا يغزون ولا يقاتلون فيها الا طىء وخثعم وبعض بنى الحارث بن كعب فانهم كانوا لا يحجون ولا يعتمرون ولا يحرمون الاشهر الحرم ولا البلد الحرام وانما سميت قريش الحرب

والتقوى وكونوا قوامين بالقسط * فهذان الامران متوجهان احدهما الى كل انسان فى ذاته ولا يسقط عنه وجوب القيام بالقسط انتظار غيره فى ذلك واما التعاون على البر والتقوى فمتوجه الى كل اثنين فصعدا لان التعاون فعل من فاعلين وليس فعل واحد ولا يسقط عن الاثنين فرض تعاونهما على البر والتقوى انتظار ثالث اذ لو كان ذلك لما لزم احدا قيام بقسط ولا تعاون على بر وتقوى اذ لا سبيل الى اجتماع اهل الارض على ذلك ابدا لتباعد اقطارهم ولتخلف من تخلف عن ذلك لعذر او على وجه المعصية ولو كان هذا لكان امر الله تعالى بالقيام بالقسط وبالتعاون على البر والتقوى باطلا فارغا وهذا خروج عن الاسلام فسقط القول المذكور وبالله تعالى التوفيق واما قول من قال أن عقد الامامة لا يصح الا بعقد اهل حضرة الامام واهل الموضع الذى فيه قرار الائمة فان اهل الشام كانوا قد ادعوا ذلك لانفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنه عبد الملك واستحلوا بذلك دماء اهل الاسلام (قال ابو محمد) وهو قول فاسد لا حجة لاهله وكل قول فى الدين عرى عن ذلك من القرآن او من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او من اجماع الامة المتيقن فهو باطل بيقين قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح أن من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقا فيه فسقط هذا القول ايضا واما قول الجبائى فانه تعلق فيه بفعل عمر رضى الله عنه فى الشورى اذ قلدها ستة رجال وامرهم ان يختاروا واحدا منهم فصار الاختيار منهم بخمسة فقط

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشىء لوجوه اولها ان عمر لم يقل أن تقليد الاختيار اقل من خمسة لا يجوز بل قد جاء عنه انه قال ان مال ثلاثة منهم الى واحد وثلاثة الى واحد فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف فقد اجاز عقد ثلاثة ووجه ثان وهو ان فعل عمر رضى الله عنه لا يلزم الامة حتى يوافق نص قرآن او سنة وعمر كسائر الصحابة رضى الله عنهم لا يجوز ان يخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضى الله عنهم والثالث ان اولئك الخمسة رضى الله عنهم قد تبرؤا من الاختيار وجعلوه الى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من راه اهلا للامامة وهو عبد الرحمن بن عوف وما انكر ذلك احد من الصحابة الحاضرين ولا الغائبين اذ بلغهم ذلك فقد صح اجماعهم على ان الامامة تنعقد بواحد فان قال قائل انما جاز ذلك لان خمسة من فضلاء المسلمين قلدوه قيل له ان كان هذا عندك اعتراضا فالتزم مثله سواء بسواء ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لان الامام الميت قلدهم ذلك ولولا ذلك لم يجز عقدهم وبرهان ذلك انه انما عقد لهم الاختيار منهم لا من غيرهم فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم فلا يجوز عقد خمسة او اكثر الا اذا قلدهم الامام ذلك او ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لاجماع فضلاء اهل ذلك العصر على الرضا بمن اختاروه ولو لم يجمعوا على الرضا به لما جاز عقدهم وهذا مما لا مخلص منه اصلا فبطل هذا القول بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فاذ قد بطلت هذه الاقوال كلها فالواجب النظر فى ذلك على ما أوجبه الله تعالى فى القرآن والسنة واجماع المسلمين كما افترض علينا عز وجل اذ يقول * واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فوجدنا عقد الامامة يصح بوجوه اولها وافضلها واصحها ان يعهد الامام الميت الى انسان يختاره اماما بعد موته

التى كانت بينها وبين غيرها عام الفجار وكانوا يكرهون الظلم فى الحرم وقالت امرأة منهم تنهى ابنها من الظلم

ابنى لا تظلم بمكـ
ـة لا الصغير ولا الكبير
ابنى من يظلم بمكـ
ـة يلق أطراف الشرور

وكان منهم من ينسى الشهور وكانوا يكبسون فى كل عامين شهرا وفى كل ثلاثة أعوام شهرا وكانوا اذا حجوا فى شهر من هذه السنة لم يخطبوا ان يحلوا يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك فى شهر ذى الحجة حتى يكون يوم النحر يوم العاشر من ذلك الشهر ويقيمون بمنى فلا يشبعون فى يوم عرفة ولا فى أيام منى وفيهم أنزلت * انما النسىء زيادة فى الكفر *

وسواء فعل ذلك فى صحته اوفى مرضه وعند موته اذ لانص ولااجماع على المنع من احد هذه الوجوه كمافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى بكر وكما فعل ابو بكر بعمر وكمافعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز وهذا هو الوجه الذى نختاره ونكره غيره لما فى هذا الوجه من اتصال الامامة وانتظام امر الاسلام واهله ورفع مايتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع فى غيره من بقاء الامة فوضى ومن انتشار الامر وارتفاع النفوس وحدوث الاطماع

﴿قال ابو محمد﴾ انما انكر من انكر من الصحابة رضى الله عنهم ومن التابعين بيعة يزيد بن معاوية والوليد وسليمان لانهم كانوا غير مرضيين لالان الامام عهد اليهم فى حياته والوجه الثانى ان مات الامام ولم يعهد الى احد ان يبادر رجل مستحق للامامة فيدعو الى نفسه ولا منازع له ففرض اتباعه والانقياد لبيعته والتزام امامته وطاعته كما فعل علي اذ قتل عثمان رضى الله عنهما وكما فعل ابن الزبير رضى الله عنهما وقد فعل ذلك خالد بن الوليد اذ قتل الامراء زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة فاخذ خالد الراية عن غير امره وصوب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بلغه فعله وساعد خالدا جميع المسلمين رضى الله عنهم او ان يقوم كذلك عند ظهور منكر يراه فتلزم معاونته على البر والتقوى ولا يجوز التاخر عنه لان ذلك معاونة على الاثم والعدوان وقد قال عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * كما فعل يزيد بن الوليد ومحمد بن هارون المهدى رحمهم الله والوجه الثالث ان يصير الامام عند وفاته اختيار خليفة المسلمين الى رجل ثقة او الى اكثر من واحد كما فعل عمر رضي الله عنه عند موته وليس عندنا فى هذا الوجه الا التسليم لما اجمع عليه المسلمون حينئذ ولا يجوز التردد فى الاختيار اكثر من ثلاث ليال للثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله من بات ليلة ليس فى عنقه بيعة ولان المسلمين لم يجتمعوا على ذلك اكثر من ذلك والزيادة على ذلك باطل لا يحل على ان المسلمين يومئذ من حين موت عمر رضى الله عنه قد اعتقدوا بيعة لازمة فى اعناقهم لازمة لاحد اولئك الستة بلاشك فهم وان لم يعرفوه بعينه فهو بلاشك واحد من اولئك الستة فباحد هذه الوجوه تصح الامامة ولا تصح بغير هذه الوجوه البتة

﴿قال ابو محمد﴾ فان مات الامام ولم يعهد الى انسان بعينه فوثب رجل يصلح للامامة فبايعه واحد فاكثر ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده فالحق حق الاول وسواء كان الثانى افضل منه او مثله او دونه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فوا ببيعة الاول فالاول من جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائنا من كان فلو قام اثنان فصاعدا معا فى وقت واحد ويئس من معرفة ايهما سبقت بيعته نظر افضلهما واسوسهما فالحق له ووجب نزع الآخر لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ومن البر تقليد الاسوس وليس هذا بيعة متقدمة يجب الوفاء بها او محاربة من نازع صاحبها فان استويا فى الفضل قدم الاسوس نعم وان كان اقل فضلا اذا كان مؤديا للفرائض والسنن مجتنبا للكبائر مستترا بالصغائر لان الغرض من الامامة حسن السياسة والقوة على القيام بالامور فان استويا فى الفضل والسياسة اقرع بينهما او نظر فى غيرهما والله عز وجل لا يضيق على عباده هذا الضيق ولا يوقفهم على هذا الحرج لقوله تعالى * وماجعل عليكم فى الدين من حرج * وهذا اعظم الحرج وبالله تعالى التوفيق

وكانوا اذا ذبحوا للاصنام لطخوها بدم الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم وكان قصى ابن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الاصنام وهو القائل

أرباواحدا أم ألف رب
أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير

وقيل هي لزيد بن عمرو بن نفيل وقيل للمتلمس بن أمية الكنانى يخطب العرب بفناء مكة أطيعونى ترشدوا قالوا وماذاك قال انكم قد تفرقتم بآلهة شتى وانى لاعلم ماالله راض به وان الله رب هذه الآلهة وانه ليحب ان يعبد وحده قال فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنبت عنه طائفة وزعمت انه على دين بنى تميم قال

﴿ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

﴿قال ابو محمد﴾ اتفقت الامة كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من احد منهم لقول الله تعالى * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر * ثم اختلفوا في كيفيته فذهب بعض اهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم وهو قول احمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن ابي وقاص واسامة ابن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم الى ان الفرض من ذلك انما هو بالقلب فقط ولا بد او باللسان ان قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح اصلا وهو قول ابي بكر ابن كيسان الاصم وبه قالت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم الا انهم لم تر ذلك الا ما لم يخرج الناطق فاذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه والا فلا واقتدى أهل السنة في هذا بعثمان رضي الله عنه وممن ذكرنا من الصحابة رضي الله عنهم وبمن رأى القعود منهم الا ان جميع القائلين بهذه المقالة من اهل السنة انما رأوا ذلك مالم يكن عدلا فان كان عدلا وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الامام العدل وقد روينا عن ابن عمر انه قال لا ادري من هي الفئة الباغية ولو علمنا ما سبقتني انت ولا غيرك الى قتالها

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا الذي لا يظن باولئك الصحابة رضي الله عنهم غيره وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر الا بذلك قالوا فاذا كان اهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع ولا ييئسون من الظفر ففرض عليهم ذلك وان كانوا في عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد وهذا قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكل من معه من الصحابة وقول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصحابة وقول معاوية وعمرو والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن علي وبقية الصحابة من المهاجرين والانصار القائمين يوم الحرة رضي الله عن جميعهم اجمعين وقول كل من اقام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كانس بن مالك وكل من كان ممن ذكرنا من افاضل التابعين كعبد الرحمن ابن ابي ليلى وسعيد بن جبير وابن البحتري الطائي وعطاء السلمي الازدي والحسن البصري ومالك بن دينار ومسلم بن بشار وابي الحوراء والشعبي وعبد الله بن غالب وعقبة بن عبد الغافر وعقبة بن صهبان وماهان والمطرف بن المغيرة ابن شعبة وابي المعد وحنظلة بن عبد الله وابي سح الهنائي وطلق بن حبيب والمطرف بن عبد الله ابن السخير والنصر بن انس وعطاء بن السائب وابراهيم بن يزيد التيمي وابي الحوسا وجبلة بن زحر وغيرهم ثم من بعد هؤلاء من تابعي التابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر وكعبد الله بن عمر ومحمد بن عجلان ومن خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن وهاشم بن بشر ومطر الوراق ومن خرج مع ابراهيم بن عبد الله وهو الذي تدل عليه اقوال الفقهاء كابي حنيفة والحسن بن حي وشريك ومالك والشافعي وداود واصحابهم فان كل من ذكرنا من قديم وحديث اما ناطق بذلك في فتواه واما فاعل لذلك بسل سيفه في انكار ما رآه منكرا

﴿قال ابو محمد﴾ احتجت الطائفة المذكورة اولا باحاديث فيها انقاتلهم يارسول الله قال لا ماصلوا وفي بعضها الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان وفي بعضها وجوب

وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون
موتاهم قال الافوه الازدي
ألا علالاني واعلما انني غرر
فما قلت ينجيني الشقاق ولا الحذر
وماقلت يجديني ثوابي اذا بدت
مفاصل أوصالي وقد شخص البصر
وجاؤا بماء بارد يغسلونني
فيالك من غسل سيتبعه غبر
قال وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره يقوم رأيه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يدفن ثم يقول عليك رحمة الله وقال رجل من كلب في الجاهلية لابن ابن له شعرا
أعمرو ان هلكت وكنت حيا
فاني مكثر لك في صلاتي
وأجعل نصف مالي لابن سام
حياتي ان حييت وفي مماتي

الضرب وان ضرب ظهراحدناواخذ ماله وفى بعضهافان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فاطرح ثوبك على وجهك وقل انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وفى بعضها كن عبدالله المقتول ولاتكن عبد الله القاتل وبقوله تعالى * واتل عليهم نبا ابنى آدم بالحق اذقربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر * الاية

﴿ قال ابو محمد ﴾ كل هذا لاحجة لهم فيه لما قد تقصيناه غاية التقصى خبرا خبرا باسانيدها ومعانيها فى كتابنا الموسوم بالاتصال الى فهم معرفة الخصال ونذكرمنه ان شاء الله هاهنا جملا كافية وبالله تعالى نتايد اما امره صلى الله عليه وسلم بالصبر على اخذ المال وضرب الظهر فانما ذلك بلا شك اذاتولي الامام ذلك بحق وهذامالا شك فيه انه فرض علينا الصبر له وان امتنع من ذلك بل من ضرب رقبته ان وجب عليه فهو فاسق عاص لله تعالى واما انكان ذلك بباطل فمعاذالله ان يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك برهان هذا قول الله عزوجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * وقد علمنا ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخالف كلام ربه تعالى قال الله عز وجل * وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحي * وقال تعالى * ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا * فصح ان كل ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحى من عندالله عز وجل لااختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض * فاذا كان هذا كذلك فبيقين لاشك فيه يدرى كل مسلم أن اخذ مال مسلم او ذمي بغير حق وضرب ظهره بغير حق اثم وعدوان وحرام قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم فاذلاشك فى هذا ولا اختلاف من احد من المسلمين فالمسلم ماله للاخذ ظلما وظهره للضرب ظلما وهو يقدر علي الامتناع من ذلك باى وجه امكنه معاون لظالمه علي الاثم والعدوان وهذاحرام بنص القرآن * واماسائر الاحاديث التى ذكرنا وقصة ابنى آدم فلاحجة فى شيء منها اماقصة ابنى آدم فتلك شريعة اخرى غير شريعتنا قال الله عز وجل * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * واما الاحاديث فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ان استطاع فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ليس وراء ذلك من الايمان شيء وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاطاعة فى معصية انما الطاعة فى الطاعة وعلى احدكم السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلاسمع ولاطاعة وانه عليه السلام قال من قتل دون ماله فهو شهيد والمقتول دون دينه شهيد والمقتول دون مظلمة شهيد وقال عليه السلام لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر اوليعمنكم الله بعذاب من عنده فكان ظاهر هذه الاخبار معارضا للاخر فصح ان احدى هاتين الجملتين ناسخة للاخرى لايمكن غير ذلك فوجب النظر فى ايهما هو الناسخ فوجدنا تلك الاحاديث التى منها النهي عن القتال موافقة لمعهود الاصل ولما كانت الحال عليه فى اول الاسلام بلاشك وكانت هذه الاحاديث الاخر واردة بشريعة زائدة وهى القتال هذا مالاشك فيه فقد صح نسخ معنى تلك الاحاديث ورفع حكمها حين نطقه عليه السلام بهذه الاخر بلاشك فمن المحال المحرم ان يؤخذ بالمنسوخ ويترك الناسخ وان يؤخذ الشك ويترك اليقين ومن ادعى ان هذه الاخبار بعد ان كانت هى الناسخة فعادت منسوخة فقد ادعى الباطل وقفا(١) مالاعلم له به فقال على الله مالم يعلم وهذا

(١) وقفا اى تبع من قوله تعالى ولاتقف ماليس لك به علم

قال وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التى ابتلى بها ابراهيم وهي الكلمات العشر فاتمهن خمس فى الرأس وخمس فى الجسد فاما اللواتى فى الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك واما اللواتى فى الجسد فالاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان فلماجاء الاسلام قررها سنة من السنن وكانوا يقطعون يد السارق اليمين اذا سرق وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذاقطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود ويكرمون الجار والضيف قال حاتم الطائى

اللهم ربى وربى اللهم فاقسمت لاأرسو ولااتعذر لقدكان فى اكثرما للناس اسوة

لايحل ولوكان هذا لماخلا الله عز وجل هذا الحكم عن دليل و برهان يبين به رجوع المنسوخ ناسخا لقوله تعالى في القرآن تبيانا لكل شيء و برهان آخر وهو ان الله عز وجل قال * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء * لم يختلف مسلمان في ان هذه الآية التي فيها فرض قتال الفئة الباغية محكمة غير منسوخة فصح انها الحاكمة في تلك الاحاديث فما كان موافقا لهذه الآية فهو الناسخ الثابت وما كان مخالفا لها فهو المنسوخ المرفوع وقد ادعى قوم ان هذه الآية وهذه الاحاديث في اللصوص دون السلطان

(قال ابو محمد) وهذا باطل متيقن لانه قول بلا برهان ومايعجز مدع ان يدعي في تلك الاحاديث انها في قوم دون قوم وفي زمان دون زمان والدعوى دون برهان لاتصح وتخصيص النصوص بالدعوى لايجوز لانه قول على الله تعالى بلا علم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سائلا ساله عن من طلب ماله بغير حق فقال عليه السلام لاتعطه قال فان قاتلني قال قاتله فان قتلته قال الى النار قال فان قتلني قال فانت في الجنة اوكلاما هذا معناه وصح عنه عليه السلام انه قال المسلم اخو المسلم لايسلمه ولايظلمه وقد صح انه عليه السلام قال في الزكاة من سالها على وجهها فليعطها ومن سالها على غير وجهها فلا يعطها وهذا خبر ثابت رويناه من طريق الثقات عن أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يبطل تاويل من تاويل أحاديث القتال عن المال على اللصوص لا يطلبون الزكاة وانما يطلبها السلطان فاقتصر عليه السلام مهما اذا سالها على غير ما امر به عليه السلام ولو اجتمع اهل الحق ماقاواهم اهل الباطل نسال الله المعونة والتوفيق

(قال ابو محمد) ومما اعترضوا به من فعل عثمان فما علم قط انه يقتل وانما كان يرام يحاصرون فقط وهم لايرون هذا اليوم للامام العدل بل يرون القتال معه ودونه فرضا فلاحجة لهم في امر عثمان رضي الله عنه وقال بعضهم ان في القيام اباحة الحريم وسفك الدماء واخذ الاموال وهتك الاستار وانتشار الامر فقال لهم الاخرون كلا لانه لايحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ان يهتك حريما ولا ان ياخذ مالا بغير حق ولا ان يتعرض لمن لايقاتله فان فعل شيئا من هذا فهو الذى فعل ماينبغي ان يغير عليه واما قتله اهل المنكر قالوا او كثروا فهذا فرض عليه واما قتل اهل المنكر الناس واخذهم اموالهم وهتكهم حريمهم فهذا كله من المنكر الذي يلزم الناس تغييره وايضا فلوكان خوف ماذكروا مانعا من تغيير المنكر ومن الامر بالمعروف لكان هذا بعينه مانعا من جهاد اهل الحرب وهذا مالا يقوله مسلم وان ادعى ذلك الى سبي النصارى نساء المسلمين واولادهم واخذ اموالهم وسفك دمائهم وهتك حريمهم ولا خلاف بين المسلمين في ان الجهاد واجب مع وجود هذا كله ولافرق بين الامرين وكل ذلك جهاد ودعاء الى القرآن والسنة

(قال ابو محمد) و يقال لهم ماتقولون في سلطان جعل اليهود اصحاب امره والنصارى جنده والزم المسلمين الجزية وحمل السيف على اطفال المسلمين واباح المسلمات للزنا وحمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملك نساءهم واطفالهم واعلن العبث بهم وهو في كل ذلك مقر بالاسلام معلن به لايدع الصلاة فان قالوا لايجوز القيام عليه قيل لهم انه لايدع مسلما الا قتله جملة وهذا ان ترك اوجب ضرورة الايبقى الاهو وحده واهل الكفر معه فان اجازوا الصبر

كان لم يسبق حجش بعير ولاحمر

وكانوا اناسا موقنين بربهم بكل مكان فيهم عابد بكر

اراء الهند قد ذكرنا أن الهند امة كبيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلا ومنهم من يميل الى الدهر ومنهم من يميل الى الثنوية و يقول بملة ابراهيم عليه السلام واكثرهم على مذهب الصابئية ومناهجها فمن قائل بالروحانيات ومن قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام الا انهم مختلفون في شكل المسالك التي ابتدعوها وكيفية أشكال وضعوها ومنهم حكماء على طريقة اليونانيين علما وعملا فمن كانت طريقته على مناهج الدهرية والثنوية والصابئية فقد أغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه ومن انفرد منهم بمقالة

على هذا خالفوا الاسلام جملة وانسلخوا منه وان قالوا بل يقام عليه ويقاتل وهو قولهم قلنا لهم فان قتل تسعة اعشار المسلمين اوجيعهم الا واحداً منهم وسبي من نسائهم كذلك واخذ من اموالهم كذلك فان منعوا من القيام عليه تناقضوا وان اوجبوا سألناهم عن أقل من ذلك ولا نزال نحيطهم الى أن نقف بهم على قتل مسلم واحداً او على امرأة واحدة او على اخذ مال او على انتهاك بشرة بظلم فان فرقوا بين شيء من ذلك تناقضوا وتحكموا بلا دليل وهذا مالا يجوز وان أوجبوا انكار كل ذلك رجعوا الى الحق ونسألهم عمن غصب سلطانه الجائر الفاجر زوجته وابنته وابنه ليفسق بهم أو ليفسق به بنفسه أهو في سعة من اسلام نفسه وامرأته وولده وابنته للفاحشة ام فرض عليه ان يدفع من اراد ذلك منهم فان قالوا فرض عليه اسلام نفسه واهله اتوا بعظيمة لا يقولها مسلم وان قالوا بل فرض عليه ان يمتنع من ذلك ويقاتل رجعوا الى الحق ولزم ذلك كل مسلم في كل مسلم وفي المال كذلك

(قال ابو محمد) والواجب ان وقع شيء من الجور وان قل ان يكلم الامام في ذلك ويمنع منه فان امتنع وراجع الحق واذعن للقود من البشرة او من الاعضاء ولاقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل الى خلعه وهو أمام كما كان لا يحل خلعه فان امتنع من انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه واقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في الصلاة خلف الفاسق)

(والجهاد معه والحج ودفع الزكاة اليه ونفاذ احكامه من الاقضية والحدود وغير ذلك)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى انه لا يجوز الصلاة الا خلف الفاضل وهو قول الخوارج والزيدية والروافض وجمهور المعتزلة وبعض اهل السنة وقال آخرون الا الجمعة والعيدين وهو قول بعض اهل السنة وذهب طائفة الصحابة كلهم دون خلاف من احد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من احد منهم واكثر من بعدهم وجمهور اصحاب الحديث وهو قول احمد والشافعي وابي حنيفة وداود وغيرهم الى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها وبهذا نقول وخلاف هذا القول بدعة محدثة فما تاخر قط احد من الصحابة الذين ادركوا المختار بن عبيد والحجاج وعبيد الله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عن الصلاة خلفهم وهؤلاء افسق الفساق واما المختار فكان متهما في دينه مظنوناً به الكفر

(قال ابو محمد) احتج من يقول بمنع الصلاة خلفهم بقول الله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين *

(قال ابو محمد) فيقال لهم كل فاسق اذا نوى بصلاته رحمه الله تعالى فهو في ذلك من المتقين فصلاته متقبلة ولو لم يكن من المتيقن الا من لا ذنب له ما استحق احد هذا الاسم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة * ولا يجوز القطع على الفاسق بانه لم يرد بصلاته وجه الله تعالى ومن قطع بهذا فقد قفا ما لا علم له به وقال ما لا يعلم وهذا حرام وقال تعالى * ولا تقف ما ليس لك به علم * وقال عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * وقال بعضهم ان صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الامام

(قال أبو محمد) وهذا غاية الفساد لانه قول بلا دليل بل البرهان يبطله لقوله تعالى * ولا

ورأى فيهم خمس فرق البراهمة واصحاب الروحانيات واصحاب الهياكل وعبدة الاصنام والحكماء ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما وجدنا في كتبهم المشهورة البراهمة من الناس من يظن انهم سموا براهمة لانتسابهم الى ابراهيم عليه السلام وذلك خطأ فان هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلا ورأساً فكيف يقولون بابراهيم والقوم الذين اعتقدوا نبوة ابراهيم من اهل الهند فهم الثنوية منهم القائلون بالنور والظلام على مذهب أصحاب الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الا ان هؤلاء البراهمة انتسبوا الى رجل منهم يقال له برهام قد مهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه منها ان قال ان الذي يأتي

تكسب كل نفس الا عليها * وقوله تعالى * ولا تزر وازرة وزر اخرى * ودعوى الارتباط هاهنا قول بلا برهان لامن قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من معقول وهم قد اجمعوا على ان طهارة الامام لا تنوب عن طهارة المأموم ولا قيامه عن قيامه ولا قعوده عن قعوده ولا سجوده عن سجوده ولا ركوعه عن ركوعه ولا نيته عن نيته فما معنى هذا الارتباط الذى تدعونه اذا وايضا فان القطع عن سريرة الذى ظاهره الفضل لا يجوز وانما هو ظن فاستوى الامر فى ذلك فى الفاضل والفاسق وصح انه لا يصلى احد عن احد وان كان احد يصلى عن نفسه وقال تعالى * اجيبوا داعى الله * فوجب بذلك ضرورة ان كل داع دعا الى خير من صلاة او حج او جهاد او تعاون على بر وتقوى ففرض اجابته وعمل ذلك الخير معه لقول الله تعالى * تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وان كل داع دعى الى شر فلا يجوز اجابته بل فرض دفاعه ومنعه وبالله تعالى تأيد

(قال ابو محمد) وايضا فان الفسق منزلة نقص عمن هو افضل منه والذى لا شك فيه ان النسبة بين افجر فاجر من المسلمين و بين افضل الصحابة رضى الله عنهم اقرب من النسبة بين افضل الصحابة رضى الله عنهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عرى احد من تعمد ذنب وتقصير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما تفاضل المسلمون فى كثرة الذنوب وقلتها وفى اجتناب الكبائر ومواقعتها واما الصغائر فما نجا احد بعد الانبياء عليهم السلام وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ابى بكر وعبد الرحمن بن عوف و بهذا صح ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان استووا فافقههم ندب لا فرض فليس لفاضل بعد هذا ان يمتنع من الصلاة خلف من هو دونه فى القصوى من الغايات

(قال ابو محمد) واما دفع الزكاة الى الامام فان كان الامام القرشى الفاضل او الفاسق لم ينازعه فاضل فهى جارية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضوا مصدقيكم ولا يكون مصدقا كل من سمى نفسه مصدقا لكن من قام البرهان بانه مصدق بارسال الامام الواجبة طاعته له واما من سالها من هو غير الامام المذكور او غير مصدقه فهو عابر سبيل لا حق فى قبضها فلا يجزى دفعها اليه لانه دفعها الى غير من امر بدفعها اليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وهكذا القول فى الاحكام كلها من الحدود وغيرها ان اقامها الامام الواجبة طاعته والذى لا بد منه فان وافقت القرآن والسنة نفذت والا فهى مردودة لما ذكرنا وان اقامها غير الامام او واليه فهى كلها مردودة ولا يحتسب بها لانه اقامها من لم يؤمر باقامتها فان لم يقدر عليها الامام فكل من قام بشئ من الحق حينئذ نفذ لامر الله تعالى لنا بان نكون قوامين بالقسط ولا خلاف بين احد من الامة اذا كان الامام حاضرا متمكنا او اميره او واليه فان من بادر الى تنفيذ حكم هو الى الامام فانه اما مظلمة ترد واما عزل لا ينفذ على هذا جرى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع عماله فى البلاد بنقل جميع المسلمين عصرا بعد عصر ثم عمل جميع الصحابة رضى الله عنهم واما الجهاد فهو واجب مع كل امام وكل متغلب وكل باغ وكل محارب من المسلمين لانه تعاون على البر والتقوى وفرض على كل أحد دعا الى الله تعالى والى دين الاسلام ومنع المسلمين ممن ارادهم قال تعالى * فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد *

الآية

به الرسول لم يخل من أحد أمرين اما ان يكون معقولا واما ان لا يكون معقولا فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادرا كه والوصول اليه فاى حاجة لنا الى الرسول وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ماليس معقول خروج عن حد الانسانية ودخول فى حد البهيمية ومنها ان قال قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم والحكيم لا يتعبد الخلق الا بما يدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعا قادرا حكيما وانه أنعم على عباده نعما توجب الشكر فننظر فى آيات خلقه بعقولنا ونشكره بالائه علينا واذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه

الآية فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية في كل مكان وكل زمان وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الامامة والمفاضلة بحمد الله تعالى وشكره

﴿ ذكر العظائم المخرجة الى الكفر ﴾
(والمحال من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة)

(قال ابو محمد) قد كتبنا في ديواننا هذا من فضائح الملل المخالفة لدين الاسلام الذي في كتبهم من اليهود والنصارى والمجوس مالا بقية لهم بعدها ولا يمترى أحد وقف عليها انهم في ضلال وباطل ونكتب ان شاء الله تعالى على هذه الفرق الاربع من فواحش أقوالهم ما لا يخفى على أحد قرأه انهم في ضلال وباطل ليكون ذلك زاجرا لمن أراد الله توفيقه عن مضامتهم واما التمادى فيهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وليعلم من قرأ كتابنا هذا انا لا نستحل مايستحله من لا خير فيه من تقويل أحد مالم يقله نصا وان آل قوله اليه اذ قد لا يلزم ماينتج قوله فيتناقض فاعلموا ان تقويل القائل كافرا كان أو مبتدعا أو مخطئا ما لا يقوله نصا كذب عليه ولا يحل الكذب على أحد لكن ربما دلسوا المعنى الفاحش بلفظ ملتبس ليسهلوه على اهل الجهل ويحسن النظر بهم من اتباعهم وليبعد فهم تلك العظيمة على العامة من مخالفتهم كقول طوائف من أهل البدعة والضلالة لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال ولا على الظلم ولا على الكذب ولا على غير ما علم انه يكون فاخفوا أعظم الكفر في هذه القضية لما ذكرنا من تانيس الاغمار من اتباعهم وتسكين الدهماء من مخالفيهم فرارا عن كشف معتقدهم صراحا الذي هو انه تعالى لا يقدر على الظلم ولا له قوة على الكذب ولا به طاقة على المحال ولا بد لنا من ايضاح ماموهوه وهكذا وايراده باظهر عباراته كشفا لتمويههم وتقربا الى الله تعالى بهتك أستارهم وكشف أسرارهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ ذكر شنع الشيعة ﴾

(قال ابو محمد) اهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوائف أولها الجارودية من الزيدية ثم الامامية من الرافضة ثم الغالية فاما الجارودية فان طائفة منهم قالت ان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن علي بن ابي طالب القائم بالمدينة على ابي جعفر المنصور فوجه اليه المنصور عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن رحمه الله فقالت هذه الطائفة ان محمدا المذكور حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة اخري منهم انه يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القائم بالكوفة ايام المستعين فوجه اليه محمد بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين بامر المستعين ابن عمة الحسن بن اسماعيل ابن الحسين وهو ابن اخى طاهر بن الحسين فقتل يحيي بن عمر رحمه الله فقالت الطائفة المذكورة ان يحيى بن عمر هذا حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة منهم ان محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القائم بالطالقان ايام المعتصم حي لم يمت ولا قتل ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت الكيسانية وهم اصحاب المختار بن أبي عبيد وهم عندنا شعبة من الزيدية في سبيلهم ان محمد بن علي بن ابي طالب وهو ابن الحنفية حي بجبال رضوى عن يمينه اسد وعن يساره نمر تحدثه الملائكة يأتيه رزقه غدوا وعشيا لم يمت ولا يموت حتى يملا

فما بالنا نتبع بشرا مثلنا فانه ان كان يامرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بعقولنا وان كان يامرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه ومنها ان قال قد دل العقل على ان للعالم صانعا حكيما والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه الى بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاصم وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول ومنها ان قال ان اكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل

الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الروافض الامامية وهي الفرقة التي تدعى المطورة ان موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب حي لم يمت ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة منهم وهم الناووسية اصحاب ناوس المصري مثل ذلك في ابيه جعفر بن محمد وقالت طائفة منهم مثل ذلك في اخيه اسماعيل بن جعفر وقالت السبائية اصحاب عبد الله بن سبا الحميري اليهودي مثل ذلك في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزادوا انه في السحاب فليت شعري في اي سحابة هو من السحاب والسحاب كثير في اقطار الهواء مسخر بين السماء والارض كما قال الله تعالى وقال عبد الله ابن سبا اذ بلغه قتل علي رضي الله عنه لو اتيتمونا بدماغه سبعين مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الكيسانية بان ابا مسلم السراج حي لم يمت وسيظهر ولا بد وقال بعض الكيسانية بانه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب حي بجبال اصبهان الى اليوم ولا بد له من ان يظهر وعبد الله هذا هو القائم بفارس ايام مروان بن محمد وقتله ابو مسلم بعد ان سجنه دهرا وكان عبد الله هذا ردي الدين معطلا مستصحبا للدهرية

(قال ابو محمد) فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بان ملكيصدق بن عامر بن ارفخشد بن سام ابن نوح والعبد الذي وجهه ابراهيم عليه السلام ليخطب ربقا بنت بتؤال بن ناخور بن تارخ على اسحاق ابنه عليه السلام والياس عليه السلام وفنحاس بن العازار بن هارون عليه السلام احياء الى اليوم وسلك هذا السبيل بعض نوكى الصوفية فزعموا ان الخضر والياس عليهما السلام حيان الى اليوم وادعى بعضهم انه يلقى الياس في الفلوات والخضر في المروج والرياض وانه متى ذكر حضر على ذكراه

(قال ابو محمد) فان ذكر في شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها وفي الف موضع في دقيقة واحدة كيف يصنع ولقد لقينا من يذهب الى هذا خلقا وكلمنا منهم المعروف بابن شق الليل المحدث بطلبيره وهو مع ذلك من اهل العناية وسعة الرواية ومنهم محمد بن عبد الله الكاتب واخبرني انه جالس الخضر وكلمه مرارا وغيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى *ولكن رسول الله وخاتم النبيين* وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي فكيف يستجيز مسلم ان يثبت بعده عليه السلام نبيا في الارض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان وكفار برغواطة الى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم وقالت القطيعية من الامامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بان محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب حي لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملا الارض عدلا كما ملئت جورا وهو عندهم المهدي المنتظر ويقول طائفة منهم ان مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومائتين سنة موت ابيه وقالت طائفة منهم بل بعد موت ابيه بمدة وقالت طائفة منهم بل في حياة ابيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى وانها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن امه يقرأ القرآن وان امه نرجس وانها كانت هي الداية وقال جمهورهم بل امه صقيل وقالت طائفة منهم بل امه سوسن وكل هذا هوس ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكرا

هو مثلك في الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة اليه كجماد يتصرف فيك رفعا ووضعا او كحيوان يصرفك اماما وخلفا او كعبد يتقدم اليك امرا ونهيا فباي تمييز له عليك واية فضيلة اوجبت استخدامك وما دليله على صدق دعواه فان اغتررتم بمجرد قوله فلا تمييز لقول على قول وان انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والاجسام ما لا يحصى كثرة ومن المخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوي خبره قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده * فاذا اعترفتم بان للعالم صانعا خالقا حكيما فاعترفوا بانه آمر ناه حاكم

ولا أنثى فهذا اول نوك الشيعة ومفتاح عظيا تهم واخفها وان كانت مهلكة ثم قالوا كلهم اذ سئلوا عن الحجة فيما يقولون حجتنا الالهام وان من خالفنا ليس لرشدة فكان هذا طريفاً جدا ليت شعرى ماالفرق بينهم وبين عيار مثلهم يدعي فى ابطال قولهم الالهام وان الشيعة ليسوا لرشدة اوانهم نوكة اوانهم جملة ذوو شعبة من جنون فى رؤسهم وماقولهم فيمن كان منهم ثم صار فى غيرهم او من كان فى غيرهم فصار فيهم اتراه ينتقل من ولادة الغية الى ولادة الرشدة ومن ولادة الرشدة الى ولادة الغية فان قالوا احكمه لما يموت عليه قيل لهم فلعلكم اولاد غية اذلا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم الى خلاف ماهو عليه اليوم والقوم بالجملة ذوو اديان فاسدة وعقول مدخولة وعديمو حياء ونعوذ بالله من الضلال وذكر عمرو ابن خولة الجاحظ وهو وان كان احد المجان ومن غلب عليه الهزل واحد الضلال المضلين فاننا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتا لها وان كان كثيرا لايراد كذب غيره قال اخبرني ابو اسحاق ابراهيم النظام وبشر بن خالد انهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضى المعروف بشيطان الطاق ويحك اما استحييت من الله ان تقول فى كتابك فى الامامة ان الله تعالى لم يقل قط فى القرآن * ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا * قالا فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كانا نحن الذين أذنبنا قالا النظام وكنا نكلم علي ابن ميثم الصابونى وكل من شيوخ الرافضة ومتكلميهم فنسأله أرأى أم سماع عن الائمة فينكر ان يقوله برأى فتخبره بقوله فيها قبل ذلك قال فوالله ما رايته خجل من ذلك ولا استحيا لفعله هذا قط ومن قول الامامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ماليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير حاشا على ابن الحسن ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن ابن علي بن ابى طالب وكان أمامياً يظاهر بالاعتزال مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله وكذلك صاحباه ابو يعلى ميلاد الطوس وابو القاسم الرازى

(قال ابو محمد) القول بان بين اللوحين تبديلا كفر صحيح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الارواح وبهذا يقول السيد الحميرى الشاعر لعنه الله ويبلغ الامر بمن يذهب الى هذا الى ان ياخذ أحدهم البغل او الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على ان روح ابى بكر وعمر رضي الله عنهما فيه فاعجبوا لهذا الحمق الذى لا نظير له وما الذى خص هذا البغل الشقي او الحمار المسكين بنقله الروح اليه سائر البغال والحمير وكذلك يفعلون بالعنز على ان روح ام المؤمنين رضى الله عنها فيها وجمهور متكلميهم كهشام ابن الحكم الكوفى وتلميذه ابى على الصكاك وغيرهما يقول ان علم الله تعالى محدث وانه لم يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما وهذا كفر صحيح وقد قال هشام هذا فى حين مناظرته لابى الهذيل العلاف ان ربه سبعة اشبار بشبر نفسه وهذا كفر صحيح وكان داود الجوازى من كبار متكلميهم يزعم ان ربه لحم ودم على صورة الانسان ولا يختلفون فى ان الشمس ردت على على بن ابي طالب مرتين أفيكون فى صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء والجراة على الكذب اكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق وطائفة منهم تقول ان الله تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدوا له فلا يفعله وهذا مشهور للكيسانية ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب لانه انما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك وهذا فى قلة الحياء قريب مما قبله وكما يزعم كثير منهم أن عليا لم يكن له سمى قبله

على خلقه وله في جميع ماناتى ونذر ونعلم ونفكر حكم وأمر وليس كل عقل انسانى على استعداد ما يقبل عنه أمره ولا كل نفس بشري بمثابة من يقبل عنه حكمه بل اوجبت منته ترتيباً فى العقول والنفوس واقتضت قسمته أن يرفع * بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون * فرحمة الله الكبرى هى النبوة والرسالة وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختلفة ثم ان البراهمة تفرقوا أصنافا فمنهم اصحاب البددة ومنهم اصحاب الفكرة ومنهم أصحاب التناسخ أصحاب البددة ومعنى البد عندهم شخص فى هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت واول بد ظهر فى

وهذا جهل عظيم بل كان في العرب كثير يسلمون هذا الاسم كعلي بن بكر بن وائل اليه يرجع كل بكري في العالم في نسبه وفي الازد علي وفي بجيله علي وغيرها كل ذلك في الجاهلية مشهور واقرب من ذلك عامر بن الطفيل يكنى اباعلي ومجاهراتهم اكثر مماذكرنا ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار وفي الكيسانية من يقول ان الدنيا لاتفنى ابدا ومنهم طائفة تسمي النحلية نسبوا الى الحسن بن علي بن ورصند النحلي كان من اهل نفطة من عمل قنصة وقسطيلية من كور افريقية ثم نهض هذا الكافر الى السوس في اقاصي بلاد المصامدة فاضلهم واضل امير السوس احمد بن ادريس بن يحيى بن ادريس ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب فهم هنالك كثير سكان في ربض مدينة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين لاياكلون شيئا من الثمار زبل اصله ويقولون ان الامامة في ولد الحسن دون ولد الحسين ومنهم اصحاب ابي كامل ومن قولهم ان جميع الصحابة رضي الله عنهم كفروا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ جحدوا امامة علي وان عليا كفر اذ اسلم الامر الى ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم قال جمهورهم ان عليا ومن اتبعه رجعوا الى الاسلام اذ دعى الى نفسه بعد قتل عثمان واذ كشف وجهه وسل سيفه وانه واياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الاسلام كفارا مشركين ومنهم من يرد الذنب في ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يبين الامر بيانا رافعا للاشكال

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذا كفر صريح لاخفاء به فهذه مذاهب الامامية وهي المتوسطة في الغلو من فرق الشيعة واما الغالية من الشيعة فهم قسمان قسم اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لغيره والقسم الثاني اوجبوا الالهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصاري واليهود وكفروا اشنع الكفر فالطائفة التي اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فرق فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اشبه بعلي من الغراب بالغراب وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي الى علي فغلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لانه غلط وقالت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم الله

﴿قال ابو محمد﴾ فهل سمع باضعف عقولا واتم رقاعة من قوم يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يشبه علي بن ابي طالب فياللناس اين يقع شبه ابن اربعين سنة من صبي ابن احدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام ثم محمد عليه السلام فوق الربعة الى الطول قويم القناة كث اللحية ادعج العينين ممتلىء الساقين صلى الله عليه وسلم قليل شعر الجسد افرع وعلي دون الربعة الى القصر منكب شديد الانكباب كانه كسر ثم جبر عظيم اللحية قد ملئت صدره من منكب الى منكب اذا التحى ثقيل العينين دقيق الساقين اصلع عظيم الصلع ليس في رأسه شعر الا في مؤخره يسير كثير شعر اللحية فاعجبوا لحمق هذه الطبقة ثم لو جاز ان يغلط جبريل وحاشا الروح القدس الامين كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه علي غلطه ثلاثا وعشرين سنة ثم اظرف من هذا كله من اخبرهم بهذا الخبر ومن خرفهم بهذه الخرافة وهذا لايعرفه الامن شاهد امر الله تعالى لجبريل عليه السلام ثم شاهد خلافه فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين مادام لله في عالمه خلق وفرقة قالت بنبوة علي وفرقة قالت بان علي بن ابي طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن

العالم اسمه شاكين وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره الى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة قالوا ودون مرتبة البد مرتبة البرد يسعية ومعناه الانسان الطالب سبيل الحق وانما يصل الى تلك المرتبة بالصبر والعطية وبالرغبة فيما يجب ان يرغب فيه وبالامتناع والتخلي عن الدنيا والعروض عن شهواتها ولذاتها والعفة عن محارمها والرحمة على جميع الخلق والاجتناب عن الذنوب العشرة قتل كل ذي روح واستحلال أموال الناس والزنا والكذب والنميمة والبذاء والشتم وشناعة الالقاب والسفه والجحد لجزاء الآخرة وباستكمال عشر خصال * احدها الجود والكرم * الثاني العفو عن المسيء ودفع الغضب بالحلم * الثالثة

موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن انبياء كلهم وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول ان يدعى النبوة لنفسه وسجع اسجاعا وانذر بالغيوب من الله واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بامامة محمد بن الحنفية وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد مولى بجيلة بالكوفة وهو الذي احرقه خالد بن عبد الله القسري بالنار وكان لعنه الله يقول ان معبوده صورة رجل على رأسه تاج وان أعضاؤه على عدد حرف الهجا الالف للساقين ونحو ذلك مما لا ينطق لسان ذي شيعة من دين به تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا وكان لعنه الله يقول ان معبوده لما اراد ان يخلق الخلق تكلم باسمه الاكبر فوقع على تاجه ثم كتب باصبعه أعمال العباد من المعاصي والطاعات فلما رأى المعاصي ارفض به عرقا فاجتمع من عرقه بحران احدهما ملح مظلم والثاني نير عذب ثم اطلع في البحر فرأى ظلة فذهب لياخذه فطار فاخذه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وشمسا اخرى وخلق الكفار من البحر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب في تخليط لهم كثير وكان مما يقول ان الانبياء لم يختلفوا قط في شيء من الشرائع وقد قيل ان جابر بن يزيد الجعفي الذي يروى عن الشعبي كان خليفة المغيرة بن سعيد اذ حرقه خالد بن عبد الله القسري فلما مات جابر خلفه بكر الاعور الهجري فلما مات فوضوا أمرهم الى عبد الله بن المغيرة رئيسهم المذكور وكان لهم عدد ضخم بالكوفة وآخر ما وقف عليه المغيرة ابن سعيد القول بامامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وتحريم ماء الفرات وكل ماء نهر او عين او بير وقعت فيه نجاسة فبرئت منه عند ذلك القائلون بالامامة في ولد الحسين وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمي صلبه واحرقه خالد بن عبد الله القسري مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد وجبن المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب جبنا شديدا حتى ضم اليها قهرا وبادر بيان بن سمعان الى الحزمة فاعتنقها من غير اكراه ولم يظهر منه جزع فقال خالد لاصحابهما في كل شيء انتم مجانين هذا كان ينبغي ان يكون رئيسكم لا هذا الفسل وكان بيان لعنه الله يقول ان الله تعالى يفنى كله حاشا وجهه فقط وظن المجنون انه تعلق في كفره هذا بقول الله تعالى * كل من عليها فان ويبقى وجه ربك * ولو كان له ادنى عقل او فهم لعلم ان الله تعالى انما اخبر بالفناء عما على الارض فقط بنص قوله الصادق * كل من عليها فان * ولم يصف عز وجل بالفناء غير ما على الارض ووجه الله تعالى هو الله وليس هو شيئا غيره وحاشا الله من ان يوصف بالتبعيض والتجزي هذه صفة المخلوقين المحدودين لا صفة من لا يحد ولا له مثل وكان لعنه الله يقول انه المعنى بقول الله تعالى * هذا بيان للناس * وكان يذهب الى ان الامام هو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنيفة ثم هي في سائر ولد علي كلهم وقالت فرقة منهم بنبوة منصور المستير العجلي وهو الملقب بالكسف وكان يقال انه المراد بقول الله عز وجل * وان يروا كسفا من السماء ساقطا * وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة وكان لعنه الله يقول أنه عرج به الى السماء وان الله تعالى مسح رأسه بيده وقال له ابني اذهب فبلغ عني وكان يمين اصحابه لا والكلمة وكان لعنه الله يقول بان اول من خلق الله تعالى عيسى بن مريم ثم علي بن ابي طالب وكان يقول بتواتر الرسل واباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم وقال انما هم اسماء رجال وجمهور

التعفف عن الشهوات الدنيوية * الرابعة الفكرة في التخلص الى ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفاني * الخامسة رياضة العقل بالعلم والادب وكثرة النظر الى عواقب الامور * السادسة القوة على تصريف النفس في طلب العلياء * السابعة لين القلب وطيب الكلام مع كل واحد * الثامنة حسن المعاشرة مع الاخوان بايثار اختيارهم على اختيار نفسه * التاسعة الاعراض عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق بالكلية * العاشر بذل الروح شوقا الى الحق ووصولا الى جناب الحق وزعموا ان البددة اتوا على عدد نهر الكيل وأعطوهم العلوم وظهروا لهم في أجناس وأشخاص شتى ولم يكونوا يظهرون الا في

الرافضة اليوم على هذا واسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج واصحابه كلهم خناقون رضاخون وكذلك اصحاب المغيرة بن سعيد ومنام في ذلك انهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية بالخشب فقط وذكر هشام بن الحكم الرافضي في كتابه المعروف بالميزان وهو اعلم الناس بهم لانه جارهم بالكوفة وجارهم في المذهب ان الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم و يقولون نعجل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار وكانوا بعد موت ابى منصور يؤدون الخمس مما ياخذون ممن خنقوه الى الحسن بن ابي المنصور واصحابه فرقتان فرقة قالت ان الامام بعد محمد بن علي بن الحسين صارت الى محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين وفرقة قالت بل الى ابى المنصور الكسف ولا تعود في ولد علي ابدا وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة وان وقع هذه الدعوة لهم في حائك لظريفة وفرقة قالت بنبوة معمر بائع الحنطة بالكوفة وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة وكان لعنه الله يقول لاصحابه لو شئت ان اعيد هذا التبن تبرا لفعلت وقدم الى خالد بن عبدالله القسري بالكوفة فتجلد وسب خالدا فامر خالد بضرب عنقه فقتل الى لعنة الله وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية وقالت فرقة من اولئك شيعة بنى العباس بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به اسد بن عبدالله اخو خالد بن عبدالله القسري فقتله الى لعنة الله والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالالهية لغير الله عز وجل فاولهم قوم من اصحاب عبد الله بن سبا الحميري لعنه الله اتوا الى علي بن ابي طالب فقالوا مشافهة انت هو فقال لهم ومن هو قالوا انت الله فاستعظم الامر وامر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار الان صح عندنا انه الله لانه لا يعذب بالنار الا الله وفي ذلك يقول رضي الله عنه

لما رأيت الامر أمرا منكرا * اججت نارا ودعوت قنبرا

يريد قنبرا مولاه وهو الذي تولى طرحهم في النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق او يفتتن بنا مخلوق فيما جل اودق فان محنة ابي الحسن رضي الله عنه من بين اصحابه رضي الله عنهم كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية الى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعي الاحمر الكوفي وكان من متكلميهم وله في ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكي والفياض لما ذكرنا ويقولون ان محمدا رسول علي وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمدا عليه السلام هو الله تعالى الله عن كفرهم ومن هؤلاء كان البهنكي والفياض بن علي وله في هذا المعنى كتاب سماه القسطاس وابوه الكاتب المشهور الذي كتب لاسحاق بن كنداج ايام ولايته ثم لامير المؤمنين المعتضد وفيه يقول البحتري القصيدة المشهورة التي اولها

شط من ساكن الغرير مراره * وطوته البلاد والله حاره

والفياض هذا لعنه الله قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب لكونه من جملة من سعى به ايام المعتضد والقصة مشهورة وفرقة قالت بالالهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا الى محمد عليه السلام ثم بالالهية علي ثم بالالهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت الخطابية بذلك نهارا بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في أزر وأردية محرمين

بيوت الملوك لشرف جواهرهم قالوا ولم يكن بينهم اختلاف فيما ذكر عنهم من أزلية العالم وقولهم في الجزاء على ما ذكرنا وانما اختص ظهور البدد بارض الهند لكثرة ما فيها من خصائص البرية والاقليم ومن فيها من أهل الرياضة والاجتهاد وليس يشبه البد على ما وصفوه ان صدقوا في ذلك الا بالخضر الذي يثبته أهل الاسلام أصحاب الفكرة والوهم وهم العلماء منهم بالفلك والنجوم وأحكامها المنسوبة اليهم وللهند طريقة تخالف طريقة منجمي الروم وذلك انهم يحكمون اكثر الاحكام باتصالات الثوابت دون السيارات وينشؤون الاحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ويعدون زحل السعد الاكبر لرفعة

ينادون

ينادون باعلي اصواتهم لبيك جعفر لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كاني انظر اليهم يومئذ
فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم ثم زادت فرقة علي ما ذكرنا فقالت
بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية ابي سعيد
الحسن بن بهرام الجبائي وأبنائه بعده ومنهم من قال بالاهية ابي القاسم النجار القائم باليمن
في بلاد همدان المسمى بالمنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى
يومنا هذا وقالت طائفة بالاهية ابي الخطاب محمد بن ابي زينب مولي بني اسد بالكوفة وكثر
عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو الله وجعفر بن محمد الاله الا ان ابا الخطاب اكبر منه
وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم
يرفعون الى السماء واشبه علي الناس بهذا الشيخ الذي ترون ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر
بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه وكان من اصحاب ابي الخطاب لعنهم الله اجمعين وقالت طائفة
بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعي الوزير ابن حامد بن العباس
رحمه الله ايام المقتدر وقالت طائفة بالاهية محمد بن علي ابن السلمعان الكاتب المقتول ببغداد
ايام الراضي وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور وكل هذه الفرق
ترى الاشتراك في النساء وقالت طائفة منهم بالاهية شباس المقيم في وقتنا هذا حيا بالبصرة
وقالت طائفة منهم بالاهية ابي مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور
القصار القائم بثار ابي مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتله لعنه الله ايام المنصور واعلنوا بذلك
فخرج المنصور فقتلهم وافنام الى لعنة الله وقالت الرنودية بالاهية ابي جعفر المنصور وقالت
طائفة منهم بالاهية عبد الله بن الحرب الكندي الكوفي وعبده وكان يقول بتناسخ الارواح
وفرض عليهم تسعة عشر صلاة في اليوم والليلة في كل صلاة خمسة عشر ركعة الى ان ناظره
رجل من متكلمي الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم وصح اسلامه وتبرأ من كل ما
كان عليه واعلم اصحابه بذلك واظهر التوبة فتبرأ منه جميع اصحابه الذين كانوا يعبدونه و يقولون
بالاهيته ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن
جعفر ابن ابي طالب وبقي عبد الله بن الحرب علي الاسلام وعلي مذهب الصفرية الى ان مات
وطائفته الى اليوم تعرف بالحربية وهي من السبابية القائلين بالاهية علي وطائفة تدعي النصرية
غلبوا في وقتنا هذا علي جند الاردن بالشام وعلي مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم وسبهم
باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضي الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين
تصوروا في صورة الانسان وقولهم في عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي رضي الله
عنه علي علي لعنة الله ورضي الله عن ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم المرادي افضل
اهل الارض واكرمهم في الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة
الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسالوا الله العافية من بلاء الدنيا والاخرة فهي بيده
لا بيد احد سواه جعل الله حظنا منها الاوفى واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة
ممن ينتمي الي الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول ان من عرف
الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى و بلغنا ان بنيسابور اليوم في عصرنا

مكانه وعظم جرمه وهو
الذي يعطي العطايا الكلية
من السعادة والجزئية من
النحوسة وكذلك سائر
الكواكب لها طبائع
وخواص فالروم يحكمون
من الخواص وكذلك طبهم
فانهم يعتبرون خواص
الادوية دون طبائعها والروم
يخالفهم في ذلك وهؤلاء
اصحاب الفكرة يعظمون
امر الفكر ويقولون هو
المتوسط بين المحسوس
والمعقول فالصور من
المحسوسات ترد عليه
والحقائق من المعقولات
ترد عليه ايضا فهو مورد
المعلمين من العالمين فيجتهدون
كل الجهد حتى يصرفوا الوهم
والفكر عن المحسوسات
بالرياضة البليغة والاجتهادات
المجهدة حتى اذا تجرد الفكر عن

هذا رجلا يكنى اباسعيد اباالخير هكذا مامن الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلى فى اليوم الف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال

﴿ ذكر شنع الخوارج ﴾

ذكر بعض من جمع مقالات المنتمين الى الاسلام ان فرقة من الاباضية رئيسهم رجل يدعى زيد بن ابى ابيسه وهو غير المحدث المشهور كان يقول ان فى هذه الامة شاهدين عليها هو احدهما والآخر لايدرى من هو ولامتى هو ولايدرى لعله قدكان قبله وان من كان من اليهود والنصارى يقول لااله الا الله محمد رسول الله الى العرب لا الينا كما تقول العيسوية من اليهود قال فانهم مؤمنون اولياء الله تعالى وان ماتوا على هـذا العقد وعلى التزام شرائع اليهود والنصارى وان دين الاسلام سينسخ بنبى من العجم ياتى بدين الصابئين وبقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة

﴿قال ابو محمد﴾ الا ان جميع الاباضية يكفرون من قال بشىء من هذه المقالات ويبرؤن منه ويستحلون دمه وماله وقالت طائفة من اصحاب الحرث الاباضى ان من زنا اوسرق اوقذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل فان تاب ترك وان ابى التوبة قتل على الردة

﴿قال ابو محمد﴾ رشاهدنا الاباضية عندنا بالاندلس يحرمون طعام اهل الكتب ويحرمون اكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهارا فى رمضان فاحتلم ويتيممون وهم على الابار التى يشربون منها الا قليلا منهم وقال ابو اسماعيل البطيحى واصحابه وهم من الخوارج انلاصلاة واجبة الا ركعة واحدة بالغداة وركعة اخرى بالعشى فقط ويرون الحج فى جميع شهور السنة ويحرمون اكل السمك حتى يذبح ولايرون اخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خطب فى الفطر والاضحى ويقولون ان اهل النار فى النار فى لذة ونعيم واهل الجنة كذلك

﴿قال ابو محمد﴾ واصل ابى اسماعيل هذا من الازارقة الا انه غلا عن سائر الازارقة وزاد عليهم وقالت سائر الازارقة وهم اصحاب نافع بن الازرق بابطال رجم من زنى وهو محصن وقطعوا يد السارق من المنكب واوجبوا على الحائض الصلاة والصيام فى حيضها وقال بعضهم لا ولكن تقضى الصلاة اذا طهرت كما تقضى الصيام واباحوا دم الاطفال ممن لم يكن فى عسكرهم وقتل النساء ايضا ممن ليس فى عسكرهم وبرئت الازارقة ممن قعد عن الخروج لضعف اوغيره وكفروا من خالف هذا القول بعد موت اول من قال به منهم ولم يكفروا من خالفه فيه فى حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير اهل عسكرهم ويقتلونه اذا قال انا مسلم ويحرمون قتل من انتمى الى اليهود والى النصارى والى المجوس وبهذا شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية اذ قال عليه السلام انهم يقتلون اهل الاسلام ويتركون اهل الاوثان وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم اذ انذر بذلك وهو من جزئيات الغيب فخرج نصا كما قال

﴿قال ابو محمد﴾ وقد بادت الازارقة انما كانوا اهل عسكر واحد اولهم نافع بن الازرق وآخرهم عبدة بن هلال اليشكرى واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة الا انى اشك فى صبيح مولى سوار بن الاسعر المازنى مازن تميم اخرج برأى الازارقة ايام هشام بن عبدالملك ام

هذا العالم تجلى له ذلك العالم فربما يخبر عن مغيبات الاحوال وربما يقوى على حبس الامطار وربما يوقع الوهم على رجل حى فيقتله فى الحال ولا يستبعد ذلك فان للوهم اثرا عجيبا فى تصريف الاجسام والتصرف فى النفوس اليس الاحتلام فى النوم تصرف الوهم فى الجسم اليس اصابة العين تصرف الوهم فى الشخص اليس الرجل يمشى على جدار مرتفع فيسقط فى الحال ولا ياخذ من عرض المسافة فى خطواته سوى ما اخذه على الارض المستوية والوهم اذا تجرد عمل اعمالا عجيبة ولهذا كانت الهند تغمض عينها اياما لئلا يشتغل الفكر والوهم بالمحسوسات ومع التجرد اذا اقترن به وهم آخر

برأي الصفرية لان أمره لم يطل اسرائر خروجه وقتل وقالت النجدات وهم اصحاب نجدة بن عويمر الحنفي ليس على الناس ان يتخذوا اماما انما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وقالوا من ضعف عن الهجرة الى عسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة واموالهم وقالوا من كذب كذبة صغيرة او عمل عملا صغيرا فاصر على ذلك فهو كافر مشرك وكذلك ايضا في الكبائر وان من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم وقال جائز ان يعذب الله المؤمنين بذنوبهم لكن في غير النار واما النار فلا وقالوا اصحاب الكبائر منهم ليسوا كفارا واصحاب الكبائر من غيرهم كفار وقد بادت النجدات وقالت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن عندهم او كافر وكانوا يؤلون الحق بالباطل وقد بادت هذه الطائفة وقالت الميمونية وهم فرقة من العجاردة والعجاردة فرقة من الصفرية باجازة نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات بني الاخوة والاخوات وذكر ذلك عنهم الحسين ابن علي الكرابيسي وهو احد الائمة في الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا الاباضية والصفرية فقط وقالت طائفة من اصحاب البيهسية وهم اصحاب ابي بيهس وهم من فرق الصفرية ان كان صاحب كبيرة فيها حد فانه لا يكفر حتى يرفع الى الامام فاذا اقام عليه الحد فحينئذ يكفر وقالت الرشيدية وهم من فرق الثعالبة والثعالبة من فرق الصفرية ان الواجب في الزكاة نصف العشر مما سقي بالانهار والعيون وقالت العونية وهم طائفة من البيهسية التي ذكرنا آنفا ان الامام اذا قضى قضية جور وهو بخراسان او بغيرها حيث كان من البلاد ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو بالاندلس واليمن فابين ذلك من البلاد وقالوا ايضا لو وقعت قطرة خمر في جب ماء بفلاة من الارض فان كل من خطر على ذلك الجب فشرب منه وهو لا يدري ماوقع فيه كافر بالله تعالى قالوا الا ان الله تعالى يوفق المؤمن لاجتنابه وقالت الفضيلية من الصفرية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر او الدهرية او اليهودية او النصرانية فهو مسلم عند الله مؤمن ولا يضره اذا قال الحق باسانه مااعتقد بقلبه وقالت طائفة من الصفرية ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث ففي حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع اهل المشرق والمغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ماجاء به من الشرائع فمن مات منهم قبل ان يبلغه شيء من ذلك مات كافرا وقالت العجاردة اصحاب عبدالكريم ابن عجرد من الصفرية ان من بلغ الحلم من اولادهم وبناتهم فهم برآء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ (قال ابو محمد) فعلى هذا ان قتله قاتل قبل ان يلفظ بالاسلام فلا قود ولا دية وان مات لم يرث ولم يورث وقالت طائفة من العجاردة لا نتولى الاطفال قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن نقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ

(قال ابو محمد) والعجاردة هم الغالبون على خوارج خرسان كما ان النكار من الاباضية هم الغالبون على خوارج الاندلس وقالت المكرومية وهم اصحاب ابي مكرم وهم من الثعالبة اصحاب ثعلبة وهو من الصفرية والى قول الثعالبة رجع عبدالله بن باض فبرىء منه اصحابه فهم لا يعرفونه اليوم ولقد سالنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنهم فما عرفه احد منهم وكان من قول المكرمية هؤلاء ان من اتى كبيرة فقد جهل الله تعالى فهو كافر ليس من اجل الكبيرة كفر لكن لانه جهل الله عز وجل فهو كافر بجهله بالله تعالى وقالت طائفة من الخوارج

اشتركا في العمل خصوصا اذا كانا متفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذ دهمهم أمر ان يجتمع أربعون رجلا من المهذبين المخلصين المتفقين على رأى واحد في الاصابة فيتجلى لهم المهم الذي يهضمهم حمله وبندفع عنهم البلاء الملم الذي يكادهم ثقله البكر تثنية يعني المصفدين بالحديد وسنتهم حلق الرؤس واللحى وتعرية الاجساد ماخلا العورة وتصفيد البدن من أوساطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر ولعلهم رأوا في الحديد خاصية تناسب الاوهام والا فالحديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة العلم كيف يوجب ذلك (أصحاب التناسخ) قد ذكرنا مذاهب التناسخية

ما كان من المعاصي فيه حد كالزنا والسرقة والقذف فليس فاعله كافرا ولا مؤمنا ولا منافقا واما ما كان من المعاصي لاحد فيه فهو كفر وفاعله كافر وقالت الحفصية وهم اصحاب حفص بن أبي المقدام من الاباضية من عرف الله تعالى وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر وليس بمشرك وان جهل الله تعالى او جحده فهو حينئذ مشرك وقال بعض اصحاب الحرث الاباضي المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانوا موحدين لله تعالى اصحاب كبائر ومن حماقاتهم قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول كل ذنب صغير او كبير ولو كان اخذ حبة خردل بغير حق او كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار الا ان يكون من اهل بدر فهو كافر مشرك من اهل الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسي تلميذ بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد المذكور فانه كان يقول ان المجانين والبهايم والاطفال مالم يبلغوا الحلم فانهم لا يالمون البتة لشيء مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلك ان الله تعالى لا يظلم احدا

(قال ابو محمد) لعمري لقد طرد أصل المعتزلة وان من خالفه في هذه المتلوث في الحماقة متكسع في التناقض

(ذكر شنع المعتزلة)

(قال ابو محمد) قالت المعتزلة باسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم واصحابه ان جميع افعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم واعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عزوجل ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون الله تعالى وقالت طائفة هي افعال موجودة لا خالق لها أصلا وقالت طائفة هي افعال الطبيعة وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أباسهل بشر بن المعمر البغدادي النخاس بالرقيق ان الله عزوجل لا يقدر البتة على لطف يلطف به الكافر حتى يؤمن ايمانا يستحق به الجنة والله عزوجل ليس في قوته احسن مما فعل بنا وان هذا الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على اكثر

(قال ابو محمد) هذا تعجيز مجرد للبارى تعالى ووصف له بالنقص وكلهم لا نحاشي أحدا يقول انه لا يقدر على المحال ولا على ان يجعل الجسم ساكنا متحركا معا في حال واحدة ولا على ان يجعل انسانا واحدا في مكانين معا

(قال ابو محمد) وهذا تعجيز مجرد لله تعالى وايجاب النهاية والانقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك وقال ابو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبد القيس بصرى احد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم ان لما يقدر الله تعالى عليه آخرا ولقدرته نهاية لو خرج الى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء اصلا ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا احياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على ان يفعل شيئا اصلا

(قال ابو محمد) وهذه حالة من الضعف والمهانة والعجز قد ارتفعت البق والبراغيث والدود مدة حياتها عنها وعن ان توصف بها وهذا كفر مجرد لا خفاء به وزعم ابو الهذيل ايضا ان اهل الجنة واهل النار تفنى حركاتهم حتى يصيروا جمادا لا يقدرون على تحريك شيء من اعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم في تلك الحال متلذذون ومتالمون الا انهم

لا ياكلون

ومامن ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ وانما تختلف طرقهم في تقرير ذلك فاما تناسخيه الهند فاشد اعتقادا في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجره وهو أبدا كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل دمه منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مغارة ثم لذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبدا كذلك قالوا فما مثل الدنيا وأهلها في الادوار والاكوار الا كذلك قالوا واذا كانت حركات

لا ياكلون ولا يشربون ولا يطئون بعد هذا أبدا وكان يزعم أيضا لما يعلمه عز وجل اخرا ونهاية وكلا لا يعلم الله شيئا سواه وادعى قوم من المعتزلة انه تاب عن هذه الطوام الثلاث

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا يصح وانما ادعوا ذلك حياء من هذه الكفرات الصلع لامامهم امام الضلالة وذكر عن ابي الهذيل ايضا انه قال ان الله عز وجل ليس خلافا لخلقه والعجب انه مع هذا الاقدام العظيم ينكر التشبيه وهذا عين التشبيه لانه ليس الاخلاف او مثل او ضد فاذا بطل ان يكون خلافا وضدا فهو مثل ولا بد تعالى الله عن هذا علوا كبيرا وكان ابو الهذيل يقول ان الله لم يزل عليما وكان ينكر ان يقال ان الله لم يزل سميعا بصيرا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا خلاف القرآن لان الله عز وجل قال * وكان الله سميعا بصيرا * كما قال * وكان الله عليما حكيما * وكلهم قال ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من مات كافرا فانه لا يؤمن ابدا وانه تعالى حكم وقال ان ابا لهب وامرأته سيصليان النار كافرين ثم قطعوا كلهم بان ابا لهب وامرأته كانا قادرين على الايمان على ان لا تمسهما النار وانهما كان ممكنا لهما تكذيب الله عز وجل وانهما كانا قادرين على ابطال علم الله عز وجل وعلى ان يجعلاه كاذبا في قوله هذا نص قولهم بلا تاويل قال وكان ابراهيم بن سيار النظام ابو اسحاق البصري مولى بني بحير بن الحارث بن عباد الضبعي اكبر شيوخ المعتزلة ومقدمة علمائهم يقول ان الله تعالى لا يقدر على ظلم احد اصلا ولا على شيء من الشر وان الناس يقدرون على كل ذلك وانه تعالى لو كان قادرا على ذلك لكنا لا نامن ان يفعله او انه قد فعله فكان الناس عنده اتم قدرة من الله تعالى وكان يصرح بان الله تعالى لا يقدر على اخراج أحد من جهنم ولا اخراج احد من اهل الجنة عنها ولا على طرح طفل من جهنم وان الناس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلك فكان الله عز وجل عنده اعجز من كل ضعيف من خلقه وكان كل احد من الخلق اتم قدرة من الله تعالى وهذا الكفر المجرد الذي نعوذ بالله منه ومن العجب اتفاق النظام والعلاف شيخي المعتزلة على انه ليس يقدر الله تعالى من الخير على اصلح مما عمل فاتفقا على ان قدرته على الخير متناهية ثم قال النظام انه تعالى لا يقدر على الشر جملة فجعله عديم قدرة على الشر عاجزا عنه وقال العلاف بل هو قادر على الشر جملة فجعل ربه متناهي القدرة على الخير وغير متناهي القدرة على الشر فهل سمع باخبث صفة من الصفة التي وصف بها العلاف ربه وهل في الموصوفين اخبث طبيعة من الموصوف الذي ادعى العلاف انه ربه ونعوذ بالله مما ابتلاهم به واما ابو المعتمر معمر بن عمرو العطار البصري مولى بني سليم احد شيوخهم وائمتهم فكان يقول بان في العالم اشياء موجودة لا نهاية لها ولا يحصيها الباري تعالى ولا احدا يضا غيره ولا لها عنده مقدار ولا عدد وذلك انه كان يقول ان الاشياء تختلف بمعان فيها وان تلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وتلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وهكذا بلا نهاية ايضا تكذيب واضح لله تعالى في قوله * وكل شيء عنده بمقدار * وفي قوله تعالى * واحصى كل شيء عددا.

و وافقه الدهرية في قولهم بوجود اشياء لا نهاية لها وعلى هذا طلبته المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر الى بغداد ومات بها مختفيا عند ابراهيم بن السيد بن شاهك بو وكان معمر ايضا يزعم ان الله عز وجل لم يخلق شيئا من الالوان ولا طولا ولا عرضا ولا طعما ولا رائحة ولا خشونة ولا املاسا ولا حسنا ولا قبيحا ولا صوتا ولا قوة ولا ضعفا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا مرضا ولا صحة ولا عافية ولا سقما ولا عمى ولا بكما ولا بصرا

الافلاك دورية ولا محالة يصل رأس الفرجار الى ما بدا ودار دورة ثانية على الخط الاول أفاد لا محالة ما أفاد الدور الاول اذ لم يكن اختلاف بين الدورين حتى يتصور اختلاف بين الامرين فان المؤثرات عادت كما بدأت والنجوم والافلاك دارت على المركز الاول وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب ان لا يختلف المتأثرات الباديات منها بوجه وهذا هو تناسخ الادوار والاكوار ولهم اختلاف في الدورة الكبرى كم هي من السنين واكثرهم على ثلاثين الف سنة وبعضهم على ثلاثمائة الف سنة وستين الف سنة وانما

ولاسما ولافصاحة ولافسادا للثمار ولا صلاحها وان كل ذلك فعل الاجسام التى وجدت فيها هذه الاعراض بطباعها فاعلموا ان هذا الفاسق قد اخرج نصف العالم عن خلق الله تعالى لانه ليس للعالم شيء الا الجواهر الحاملة والاعراض المحمولة فقط فالنصف الواحد عنده غير مخلوق لعنه الله من مكذب لله تعالى فى نص قوله تعالى * خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا * وقد عورض معمر بهذه الاية فقال انما اراد انه خلق الاماتة والاحياء وذكر عنه انه كان ينكر ان يكون الله عزوجل عالما بنفسه وذلك لان العالم انما يعلم غيره ولا يعلم نفسه وكان يزعم ان النفس ليست جسما ولا عرضا ولا هي فى مكان اصلا ولا تماس شيئا ولا تباينه ولا تتحرك ولا تسكن

(قال ابو محمد) وهذا قول اهل الالحاد محضا بلا تاويل يعنى القائلين منهم بقدم النفس وانها الخالقة للانسان نعوذ بالله من الضلال وكان يقول ان الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لان العالم غير المعلوم ومحال ان يقدر على الموجودات او ان يعلمها وان يجهلها وقال ابو العباس عبدالله بن محمد الانبارى المعروف بالناشى و لقبه شرسير فى كتابه فى المقالات ان الله تعالى عن كفره لا يقدر على ان يسوى بنان الانسان بعد ان سبق فى علمه انه لا يسويها

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب محض لله تعالى فى قوله * ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه * ورأيت للجاحظ فى كتابه البرهان لو ان سائلا سأله وقال ايقدر الله على ان يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى فجوابه نعم بمعنى انه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه

(قال ابو محمد) هذا تعجيز منه للبارى تعالى كما قدمنا اذ لم تحصل له تعالى قدرة على خلق دنيا قبل هذه الاعلى الوجه الذى ذكره واما على غيره فلا فان قيل كيف تجيبون قلنا جوابنا نعم على الاطلاق فان قيل لنا كيف يصح هذا السؤال وانتم تقولون انه لا يجوز ان يقال ان قبل العالم شيئا لان قبل وبعد من الزمان ولا زمان هنالك قلنا معنى قولنا نعم اى انه تعالى لم يزل قادرا على ان يخلق عالما لو خلقه لكان له زمان قبل زمان هذا العالم وهكذا ابدا وبالله تعالى التوفيق واما ضرار بن عمرو فانه كان يقول ان ممكنا ان يكون جميع من فى الارض ممن يظهر الاسلام كفارا كلهم فى باطن امرهم لان كل ذلك جائز على كل واحد منهم فى ذاته ومن حماقات ضرار انه كان يقول ان الاجسام انما هى اعراض مجتمعة وان النار ليس فيها حر ولا فى الثلج برد ولا فى العسل حلاوة ولا فى الصبر مرارة ولا فى العنب عصير ولا فى الزيتون زيت ولا فى العروق دم وان كان ذلك انما يخلقه الله عزوجل عند القطع والذوق والعصر واللمس فقط واما ابو عثمان عمرو بن الجاحظ البصرى الكنانى صلبية وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام واحد شيوخ المعتزلة فانه كان يقول ان الله تعالى لا يقدر على افناء الاجسام البتة الا ان يرقها ويفرق اجزائها فقط واما اعدامها فلا يقدر على ذلك اصلا وأما ابو معمر وثمامة بن اشرس النميرى صليبة بصرى احد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه انه كان يقول ان العالم فعل الله عزوجل بطباعه تعالى الله عن هذا الكفر الشنيع علوا كبيرا وكان يزعم ان المقلدين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاوثان لا يدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون ترابا وان كل من مات من اهل الاسلام والايمان المحض والاجتهاد فى العبادة مصرا على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وان كان لم يواقع ذلك الامرة

فى

يعتبرون فى تلك الادوار سير الثوابت لا السيارات وعند الهند أكثرهم ان الفلك مركب من الماء والنار والريح وان الكواكب فيه نارية هوائية فلم يعدم الموجودات العلوية الا العنصر الارضى فقط

(أصحاب الروحانيات) ومن اهل الهند جماعة اثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل فى صورة البشري من غير كتاب فيأمرهم باشياء وينهاهم عن أشياء ويسن لهم الشرائع ويبين لهم الحدود وانما يعرفون صدقه بتنزهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن الاكل والشرب والبعال وغيرها

(الباسوية) زعموا ان رسولهم

فى الدهر فانه مخلد بين أطباق النيران ابدامع فرعون وابى لهب وابي جهل
(قال أبو محمد) فاى كفر أعجب من قول من يقول أن كثيراً من الكفار لا يدخلون النار وان كثيرا من المسلمين لايدخلون الجنة وكان ثمامة يقول ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع اولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الاسلام لايدخلون الجنة ابدا لكن يصيرون ترابا واما هشام بن عمرو الفوطى احد شيوخ المعتزلة فكان يقول اذا خلق الله تعالى شيئا فانه لايقدر على ان يخلق مثل ذلك الشيء ابدا لكن يقدر على ان يخلق غيره والغيران عنده لايكونان مثلين وكان لايجيز لاحد أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولاان الله يعذب الكفار بالنار ولاانه يحيي الارض بالمطر ويروي هذا القول والقول بان الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ضلالا والحادا
(قال ابو محمد) وهذا رد على الله جهارا وكان يقول لايحل القول بشيء من هذا الا عند قراءة القرآن فقط وكان يقول قولوا حسبنا الله ونعم المتوكل عليه وكان يقول قولوا ان الله يعذب الكفار فى النار ويحيي الارض عند نزول المطر وكان لايجيز القول بان الله الف بين قلوب المؤمنين ولا ان القرآن عما على الكافرين وكان يقول ان من هو الآن مؤمن عابد الان فى علم الله انه يموت كافرا فانه الآن عند الله كافر وان من كان الان كافرا مجوسيا او نصرانيا اودهريا اوزنديقا الان فى علم الله عز وجل انه يموت مؤمنا فانه الان عند الله مؤمن واما عباد بن سليمان تلميذ هشام الفوطي المذكور فكان يزعم ان الله تعالى لايقدر على غير ما فعل من الصلاح ولايجوز ان يقال ان الله خلق المؤمنين ولا انه خلق الكافرين ولكن يقال خلق الناس وذلك زعم لان المؤمن عنده انسان وايمان والكافر انسان وكفر وان الله تعالى انما خلق عنده الانسان فقط ولم يخلق الايمان ولا الكفر وكان يقول ان الله تعالي لا يقدر علي ان يخلق غير ما خلق وانه تعالى لم يخلق المجاعة ولا القحط وكلهم يزعم ان الله تعالي لم يامر الكفار قط بان يؤمنوا فى حال كفرهم ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر في حال ايمانهم لانه لايقدر احد قط علي الجمع بين الفعلين المتضادين
(قال ابو محمد) وهم مقرون ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من يؤمن بعد كفره فانه لايزال فى كفره الى ان يؤمن وان من يكفر بعد ايمانه فانه لايزال فى ايمانه حتى يكفر وان من لا يؤمن من الكفار ابدا فانه لايزال في كفره الى ان يموت وان من لا يكفر من المؤمنين فانه لايزال فى ايمانه الى ان يموت وليس احد من المامورين يخرج عن احد هذه الوجوه الاربعة ضرورة فاذا كان عندهم لم يؤمر قط كافر بالايمان فى حال كفره ولا نهى مؤمن عن الكفر فى حال ايمانه فان من لم يزل مؤمنا الى ان مات لم ينهه الله عز وجل عن الكفر قط وان من لم يزل كافرا الى ان مات فان الله لم يامره قط بالايمان وان الله تعالى لم يامر قط بالايمان من آمن بعد كفره الاحين آمن ولا نهى قط عن الكفر من كفر بعد ايمانه الاحين كفر وهذا تكذيب مجرد لله تعالى فى امره الكفار واهل الكتاب بالايمان ونهيه المؤمنين عن الكفر وكان بشر بن المعتمر ايضا يقول ان الله تعالى لم يخلق قط لونا ولا طعما ولا رائحة ولا مجسة ولا شدة ولا ضعفا ولا عمى ولا بصرا ولا سمعا ولا صمما ولا جبنا ولا شجاعة ولا كشفا ولا عجزا ولا صحة ولا مرضا وان الناس يفعلون كل ذلك فقط واما جعفر القصي

ملك روحانى نزل من السماء على صورة بشر فامرهم بتعظيم النار وان يتقربوا اليها بالعطر والطيب والادهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم ان يتوشحوا بخيط يعقدونه من مناكبهم الايامن الى تحت شمائلهم ونهاهم أيضا عن الكذب وشرب الخمر وان لايأكلوا من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل وأمرهم ان يتخذوا على مثاله صنما يتقربون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغنا والرقص وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ويفزعوا في التوبة الى

بايع القصب والاشج وهما من رؤسائهم فكانا يقولان ان القرآن ليس هو في المصاحف انما في المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وخلاف جميع اهل الاسلام قديما وحديثا وكان علي الاسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول أن الله عز وجل لا يقدر علي غير ما فعل وان من علم الله تعالى انه يموت ابن ثمانين سنة فان الله لا يقدر علي ان يميته قبل ذلك ولا ان يبقيه طرفة عين بعد ذلك وان من علم الله تعالى من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فان الله تعالى لا يقدر علي ان يبريه قبل ذلك لا بما اقرب ولا بما بعد ولا على ان يزيد في مرضه طرفة عين فما فوقها وان الناس يقدرون كل حين علي اماتة من علم الله ان لا يموت الا وقت كذا وان الله لا يقدر علي ذلك وهذا كفر ما سمع قط بافظع منه واما ابو غفار أحد شيوخ المعتزلة فكان يزعم ان شحم الخنزير ودماغه حلال

(قال أبو محمد) وهذا كفر صريح لا خفاء به وكان يزعم ان تفخيذ الرجال الذكور حلال وقد ذكر هذا عن ثمامة أيضا وكل هذا كفر محض واما أحمد ابن خابط والفضل الحربي النصريان وكانا تلميذين لابراهيم النظام فكانا يزعمان ان للعالم خالقين احدهما قديم وهو الله تعالى والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم التي بها خلق العالم وكانا لعنهما الله يطعنان على النبي صلى الله عليه وسلم بالتزويج وان اباذر كان ازهد منه وكان أحمد بن خابط يزعم ان الذى يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صفا صفا في ظلل من الغمام انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان الذى خلق آدم على صورته انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان المسيح هو الذى يحاسب الناس يوم القيامة وكان احمد بن خابط لعنه الله يقول ان في كل نوع من انواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدود والوزغ والجعلان انبياء الله تعالى رسالة الى انواعهم مما ذكرنا من سائر الانواع وكان لعنه الله يقول بالتناسخ والكرور وان الله تعالى ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم امرهم ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه في جسد بهيمة فالعتال يبتلى بالريح كالغنم والابل والبقر والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل في الاغلب وان من كان منهم في فسقه وقتله للناس عنيفا كوفي بالقوة على السفناد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك ومن كان زانيا او زانية كوفيا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات ومن كان جبارا كوفي بالمهانة كالدود والقمل ولا يزالون كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كرر ايضا كذلك هكذا ابدا حتى يطيع طاعة لا معصية معها فينتقل الى الجنة من وقته او يعصى معصية لا طاعة معها فينتقل الى جهنم من وقته وانما حمله علي القول بكل هذا لزومه اصل المعتزلة في العدل وطرده اياه ومشيه معه واعلموا ان كل من لم يقل من المعتزلة بهذا القول فانه متناقض تارك لاصلهم في العدل وكان لعنه الله يقول ان للثواب دارين احداهما لا اكل فيها ولا شرب وهي ارفع قدرا من الثانية والثانية فيها اكل وشرب وهي انقص قدرا

(قال ابو محمد) هذا كله كفر محض وكان لهذا الكافر احمد بن خابط تلميذ علي مذهبه يقال له أحمد بن سابوس كان يقول بقول معلمه في التناسخ ثم ادعى النبوة وقال انه المراد بقول الله عز وجل ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وكان محمد بن عبدالله بن مرة

التمسيح بها وامرهم ان لا يجوزوا نهر الكنك (الباهودية) زعموا ان رسولهم ملك روحاني على صورة بشر واسمه باهودية اتام وهو راكب على ثور على رأسه اكليل مكلل بعظام الموتي من عظام الرءوس ومتقلد من ذلك بقلادة باحدى يديه قحف انسان وبالاخري مزراق ذو ثلاث شعب يامرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتخذوا علي مثاله صنما يعبدونه وان يعافوا شيئا وان تكون الاشياء كلها في الرتبة واحدة لانها جميعا صنع الخالق وان يتخذوا من عظام الناس قلائد يتقلدونها واكاليل يضعونها علي رؤسهم وان يمسحوا

ابن

بن نجيح الاندلسي يوافق المعتزلة في القدر وكان يقول ان علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وان لله تعالى علمين احدهما احدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه انه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزا ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو ككفر زيد وايمان عمر ونحو ذلك فانه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئا حتى يكون وذكر قول الله تعالى * عالم الغيب والشهادة *

(قال ابو محمد) وهذا ليس كما ظن بل على ظاهره انه يعلم ماتفعلون وان اخفيتم ويعلم ما غاب عنكم مما كان او يكون او هو كائن

﴿قال ابو محمد﴾ وانما حمله على هذا القول طرده لاصول المعتزلة حقا فان من قال منهم ان الله تعالى لم يزل يعلم ان فلانا لا يؤمن ابدا وان فلانا لا يكفر ابدا ثم جعل الناس قادرين على تكذيب كلام ربهم وعلى ابطال مالم يزل وهذا تناقض فاحش لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان وكان من اصحابه جماعة يكفرون من قال انه عز وجل لم يزل يعلم كل مايكون قبل ان يكون وكان من اصحاب مذهبه رجل يقال له اسماعيل ابن عبد الله الرعيني متاخر الوقت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد وادركته الا انى لم القه ثم احدث اقوالا سبعة فبرىء منه سائر المرية وكفروه الا من اتبعه منهم فمنها احدث قوله ان الاجساد لاتبعث ابدا وانما تبعث الارواح صح هذا عندنا عنه وذكر عنه أنه كان يقول انه حين موت الانسان وفراق روحه لجسده تلقى روحه الحساب ويصير اما الى الجنة او الى النار وانه كان لا يقر بالبعث الا على هذا الوجه وانه كان يقول ان العالم لا يفنى ابدا بل هكذا يكون الامر بلا نهاية وحدثنى الفقيه ابو احمد المعار في الطليطلى صاحبنا احسن الله ذكره قال اخبرني يحيى بن احمد الطبيب وهو ابن ابنة اسماعيل الرعيني المذكور قال ان جدى كان يقول ان العرش هو المدبر للعالم وان الله تعالى اجل من ان يوصف بفعل شيء اصلا وكان ينسب هذا القول الي محمد بن عبد الله بن مسرة ويحتج بالفاظ فى كتبه ليس فيها لعمرى دليل على هذا القول وكان يقول لسائر المرية انكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المرية ايضا على هذا القول وكان احمد الطبيب صهره ممن برىء منه وتبعت ابنته على هذه الاقوال متبعة لابيها مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة ووافقت اباها رون بن اسماعيل الرعيني على هذا القول فانكره وبرىء من قائله وكذب ابن اخيه فيما ذكر عن ابيه وكان مخالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وان من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس ادرك النبوة وانها ليست اختصاصا اصلا وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول الى ابن مرة ويستدل على ذلك بالفاظ كثيرة فى كتبه هى لعمرى لتشير الى ذلك ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله اعلم ورأيت انا من اصحاب اسماعيل الرعيني المذكور من يصفه بفهم منطق الطير وبانه كان ينذر باشياء قبل ان تكون فتكون وأما الذى لاشك فيه فانه كان عند فرقته اماما واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة اموالهم وكان يذهب الى ان الحرام قد عم الارض وانه لا فرق بين مايكتسبه المرء من صناعة او تجارة او ميراث أو بين مايكتسبه من الرفاق وان الذى يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما اخذه هذا امر صحيح عندنا عنه يقينا واخبرنا عنه بعض من عرف باطن امورهم انه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم واموالهم الا اصحابه فقط وصح عندنا عنه كان يقول بنكاح المتعة وهذا لا يقدح فى ايمانه ولا فى عدالته لو قاله مجتهدا

اجسادهم ورؤسهم بالرماد وحرم عليهم الذبائح وجمع الاموال وامرهم برفض الدنيا ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة الكابليه زعموا ان رسولهم ملك روحانى يقال له شب اتاهم فى صورة بشر متمسح بالرماد على رأسه قلنسوة من لبود أحمر طولها ثلاثة اشبار محيط عليه صفائح من تحف الناس متقلد قلادة من اعظم مايكون متمنطق من ذلك بمنطقه متسور منها بسوار متخيل منها بخلخال وهو عريان فامرهم أن يتزينوا بزينته وان يتزيوا بزيه وسن لهم شرائع وحدود (البهادونية) قالوا ان بهادون كان ملكا عظيما اتانا فى صورة انسان عظيم وكان له اخوان قتلاه

ولم تقم عليه الحجة بنسخه لو سلم من الكفرات الصلع التي ذكرنا وانما ذكرنا عنه ماجرى لنا من ذكره ولغرابة هذا القول اليوم وقلة القائلين به من الناس ورأيت لابي هاشم عبد السلام بن محمد عبد الوهاب الجبائي كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بان لله تعالى أحوالا مختصة به وهذه عظيمة جدا اذ جعله حاملا للاعراض تعالى الله عن هذا الافك ورأيت له القطع في كتبه كثيرا يردد القول بانه يجب على الله ان يزيح علل العباد في كل ما أمرهم به ولا يزال يقول في كتبه ان امر كذا لم يزل واجبا على الله

(قال ابو محمد) وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن ليت شعري من الموجب ذلك على الله تعالى والحاكم عليه بذلك والملزم له ماذكر هذا النذل لزومه للبارى تعالى ووجوبه عليه فبالله لمن قال ان الفعل أوجب ذلك على الله تعالى أو ذكر شيئا دونه تعالى ليصرحن بان الله تعالى متعبد للذى اوجب عليه ما اوجب محكوم عليه مدبر وانه للكفر الصراح ولئن قال انه تعالى هو الذى أوجب ذلك على نفسه فلا يحاب فعل فاعل لاشك فان كان الله لم يزل موجبا ذلك على نفسه فلم يزل فاعلا فالافعال قديمة ولابد لم تزل وهذه دهرية محضة وان كان تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن موجباله فقد بطل انتفاعه بهذا القول في اصله الفاسد لانه قد كان تعالى غير واجب عليه ماذكر ورأيت لبعض المعتزلة سؤالا سائل عنه أباهاشم المذكور يقول فيه مابال كل من بعثه النبي صلى الله عليه وسلم داعياً الى الاسلام الى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو الى مثل ذلك الى يوم البعث لايسمى رسول الله كما سمي محمد عليه السلام اذ أمره الملك عن الله عز وجل بالدعاء الى الاسلام والامر واحد والعمل سواء

(قال ابو محمد) فاعجبوا لتلاعب ابليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية من ان يكلكم الى أنفسكم فحق لمن دينه ان ربه لا يقدر على ان يهديه ولا على ان يضله ان يتمكن الشيطان منه هذا التمكن ولعمرى ان هذا السؤال لقد لزم اصل المعتزلة المضل لهم ولمن التزمه والمورد لجميعهم نار جهنم وهو قولهم ان التسمية موكولة الينا لا الى الله عز وجل ورأيت لهذا الكافر ابى هاشم كلاماً رد فيه بزعمه على من يقول انه ليس لاحد ان يسمى الله عز وجل الا بما سمى به نفسه فقال هذا النذل لو كان هذا ولم يجز لاحد ان يسمى الله تعالى عز وجل الا بما سمى به نفسه لكان غير جائز لله أن يسمى به نفسه باسم حتى يسميه به غيره

(قال ابو محمد) فهل يأتى الممرور باقبح من هذا الاستدلال وهل في التسمية اكثر من هذا ولكن من يضلل الله فلا هادى له ونعوذ بالله من ان يكلنا الى انفسنا طرفة عين فنهلك وكان ابو هاشم ايضاً يقول انه لو طال عمر المسلم المحسن لجاز ان يعمل من الحسنات والخير اكثر مما عمل النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) لا والله ولا كرامة ولو عمر أحدنا الدهر كله في طاعات متصلة ما وازى عمل امرىء صحب النبي صلى الله عليه وسلم من غير المنافقين والكفار المجاهرين ساعة واحدة فما فوقها مع قوله صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه فمتى يطمع ذو عقل ان يدرك احداً من الصحابة مع هذا القول المفتنع ادراكه قطعاً وكان ابو هاشم المذكور يقول انه لا يقبل توبة احد من ذنب عمله اى ذنب كان حتى يتوب من جميع الذنوب

وعمل الامن جلدته الارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحار وقيل هذا رمز والا فحال صورة البشر لا تبلغ الى هذه الدرجة وصورة بهادون راكب على دابة كثير الشعر قد أسبله على وجهه وقد قدم الشعر على جوانب رأسه قسمة مستوية وأسبلها كذلك على نواحى الرأس قفا ووجهاً وامرهم ان يفعلوا كذلك وسن لهم ان لا يشربوا الخمر واذا رأوا امرأة هربوا منها وان يحجوا الى جبل يدعى جورعن وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادون وبذلك البيت سدنة لايكون المفتاح الا بايديهم فلا يدخلون الا باذنهم فاذا فتحوا البـاب سدوا افواههم

﴿قال ابو محمد﴾ وحقا اقول لقد طرد اصل المعتزلة الذى اطبقوا عليه من اخراج المرء عن الاسلام جملة بذنب واحد عمله يصر عليه وايجابهم الخلود فى النار عليه بذلك الذنب وحده فلو كان هذا لكان ابو هاشم صادقا اذلا منفعة له عندهم في تركه كل ذنب وهو بذنب واحد يصر عليه خارج عن الايمان مخلد بين اطباق النيران وما ينكر هذا عليه من المعتزلة الا جاهل باصولهم او عامد للتناقض وكان يقول ان تارك الصلاة وتارك الزكاة عامدا لكل ذلك لم يفعل شيئا ولا اذنب ولا عصي وانه مخلد بين اطباق النيران ابدا علي غير فعل فعله ولا علي شيء ارتكبه

﴿قال ابو محمد﴾ فهل في التجوير لله علي اصولهم وهل في مخالفة الاسلام جهارا اكثر من هذا القول السخيف وكان الذى حمله علي قوله هذا قوله انه ترك الفعل ليس فعلا وجميع المعتزلة الا هشام بن عمرو والفوطي يزعمون ان المعدومات اشياء على الحقيقة وانها لم تزل وانها لا نهاية لها

(قال ابو محمد) وهذه دهرية بلا مطل واشياء لا نهاية لها لم تزل غير مخلوقة وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من اكابر المعتزلة ببغداد ممن يقول ان الاجسام المعدومة لم تزل اجساما بلا نهاية لها لا في عدد ولا في زمان غير مخلوقة وقال ابو محمد عبد الله الاسكافى احد رؤساء المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف

﴿قال ابو محمد﴾ كان من تمام هذا الكفران يقول ان الله لم يخلق الخمر ولا الخنازير ولا مردة الشياطين وقالت المعتزلة باسرها حاشا بشر بن المعتمر وضرار ابن عمرو وانه لا يحل لاحد تمني الشهادة ولا ان يريدها ولا ان يرضاها لانها تغليب كافر على مسلم وانما يجب على المسلم ان يحب الصبر علي الم الجراح فقط اذا اصابته

(قال ابو محمد) وهذا خلاف دين الاسلام والقرآن والسنن والاجماع المتيقن وقالوا كلهم حاشا ضرارا و بشرا ان الله لم يمت رسولا ولا نبيا ولا صاحب نبي ولا امهات المؤمنين وهو يدري انهم لو عاشوا فعلوا خيرا لكن امات كل من امات منهم اذ علم انه لو ابقاه طرفة عين لكفروا او فسق ولا بد هذا قولهم في ابي بكر وعمر وعلي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة وخديجة نعم وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسي وابراهيم عليهم السلام فاعجبوا لهذه الضلالات الوحشية وكان الجعد وهو من شيوخهم يقول اذا كان الجماع يتولد منه الولد فانا صانع ولدى ومدبره وفاعله لا فاعل له غيرى وانما يقال ان الله خلقه مجازا لا حقيقة فاخذ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الطرف الثاني من الكفر فقال ان الله تعالى خلق الحبل والموت وكل من فعل شيئا فهو منسوب اليه فان الله تعالى هو محبل النساء وهو احبل مريم بنت عمران

(قال ابو محمد) يلزم ولا بد اذا كان اولادنا خلقا لله عز وجل ان يضيفهم اليه فيقول هم ابناء الله والمسيح ابن الله ولا بد وقال ابو عمرو احمد بن موسى بن احدير صاحب السكة وهو من شيوخ المعتزلة في بعض رسائله التي جرت بينه و بين القاضي منذر بن سعيد رحمه الله ان الله عاقل واطلق عليه هذا الاسم وقال بعض شيوخ المعتزلة ان العبد اذا عصى الله عز وجل طبع علي قلبه فيصير غير مامور ولا منهي واما حماقاتهم فان ابا الهذيل العلاف قال

حتى لا تصل انفاسهم الى الصنم ويذبحون له الذبائح ويقربون له القرابين ويهدون له الهدايا واذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران في طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى احد بسوء وضرر من قول وفعل (عبدة الكواكب) ولم ينقل للهند مذهب في عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الى النيرين الشمس والقمر ومذهبهم في ذلك مذهب الصبائية في توجههم الى الهياكل السموية دون قصر الربوبية والالهية عليها عبدة الشمس زعموا ان الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات

من سرق خمسة دراهم اوقيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد أبدا في النيران الا ان يتوب وقال بشر بن المعتمر ان من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد فان سرق عشرة دراهم خرج عن الاسلام ووجب عليه الخلود الا ان يتوب وقال النظام ان سرق مائتي درهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد وان سرق مائتي درهم خرج عن الاسلام ولزمه الخلود الا ان يتوب وقال أبو بكر احمد بن علي بن أحور بن الاخشيد وهو أحد رؤسائهم الثلاثه الذين انتهت رياستهم اليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثاني منهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبدالله بن محمد بن محمود البلخي المعروف بالكعبي وكان والد أحمد بن علي المذكور احد قواد الفراغنة وولي الثغور للمعتضد وللمكتفي فكان من قول احمد المذكور ان من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكذا ابدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فادونه الا انه ندم أثر فعله لهفقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب ابدا وهكذا ابدا متى عاد لذلك الذنب او لغيره

(قال أبو محمد) هذا قول لم يبلغه جماهير المرجئة وهو مع ذلك يدعى القول بانفاذ الوعد والوعيد وما على اديم الارض مسلم لا يندم على ذنبه وقال عبد الرحمن تلميذ ابي الهذيل ان الحجة لا تقوم في الاخبار الا بنقل خمسة يكون فيهم ولي لله لا أعرفه بعينه وعن كل واحد من أولائك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا أبدا وقال صالح تلميذ النظام ان من رأى رؤيا انه بالهند او انه قتل او انه اي شيء رأى فانه حق يقين كما رأى كالو كان ذلك في اليقظة وقال عباد بن سليمان الحواس سبع وقال النظام الالوان جسم وقد يكون جسمان في مكان واحد وكان النظام يقول لا نعرف الاجسام بالاخبار اصلا لكن كل من رأى جسما سواء كان المرئي انسانا او غير انسان فان الناظر اليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائي ثم كل من أخبره ذلك الرائي عن ذلك الجسم فان المخبر ايضا اخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا ابدا *(قال ابو محمد)* وهذه قصة لولا اننا وجدناها عنه من طريق تلامذته المعظمين له ذكروها في كتبهم عنه ما عرفناها على ذي مسكة من عقل فالزمه خصومه على هذا ان قطعا من جبريل وميكائيل ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن موسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام في نار جهنم وان قطعا من فرعون وابليس وابي لهب وابي جهل في الجنة وكان يزعم انه لا سكون في شيء من العالم اصلا وان كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلا شك وكان معمر يزعم انه لا حركة في شيء من العالم وان كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون وكان عباد بن سليمان يقول ان الامة اذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الى امام يسوسها ويدبرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام وكان ابو الهذيل يقول ان الانسان لا يفعل شيئا في حال استطاعته وانما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها فالزمه خصومه ان الانسان انما يفعل اذا لم يكن مستطيعا واما اذا كان مستطيعا فلا وان الميت يفعل كل فعل في العالم

(قال ابو محمد) وحماقاتهم اكثر من ذلك ونعوذ بالله من الخذلان

شنع المرجئة

(قال ابو محمد) غلاة المرجئة طائفتان احداهما الطائفة القائلة بان الايمان قول باللسان وان

السفلية وهي ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الدينكيتية أي عباد الشمس ومن سنتهم ان اتخذوا الها صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقرايا وله سدنة وقوام فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه اصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفعون به (عبدة القمر) زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي والامور الجزئية فيه ومنه نضج الاشياء المتكونة واتصالها الى كمالها او بزيادته

اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولي له عز وجل من اهل الجنة وهذا قول محمد ابن كرام السجستاني واصحابه وهو بخراسان وبيت المقدس والثانية الطائفة القائلة ان الايمان عقد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الاوثان اولزم اليهودية اوالنصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب واعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي ايام قيامه على نصر بن سيار بخراسان وقول ابي الحسن علي ابن اسماعيل بن ابي البشر الاشعري البصري واصحابهما فاما الجهمية فبخراسان واما الاشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان وبالاندلس ثم رق امرهم والحمد لله رب العالمين فمن فضايح الجهمية وشنعهم قولهم بان علم الله محدث مخلوق وانه تعالى لم يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما علم به وكذلك قولهم في القدرة وقال ايضا ان الجنة والنار يفنيان ويفني كل من فيهما وهذا خلاف القرآن والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلاف اجماع اهل الاسلام المتيقن وقال بعض الكرامية المنافقون مؤمنون من اهل الجنة وقد اطلق ذلك بالمرية محمد بن عيسى الصوفي الالبيري وكانت الفاظه تدل على انه يذهب مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكا متقللا من الدنيا واعظا مفوها مهذارا قليل الصواب كثير الخطأ رأيته مرة وسمعته يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يلزمه زكاة مال لانه اختار ان يكون نبيا عبدا والعبد لا زكاة عليه ولذلك لم يورث ولا ورث فامسكت عن معارضته لان العامة كانت تحضره فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل ولم يكن معي احد الا يحيي بن عبد الكثير بن وافد كنت اتيت انا وهو معي متنكرين لنسمع كلامه وبلغتني عنه شنع منها القول بحلول الله فيما شاء من خلقه اخبرني عنه بهذا ابو احمد الفقيه المعافري عن ابي علي المقري وكان على بنت محمد بن عيسى المذكور وغير هذا ايضا ونعوذ بالله من الضلال وقالت طائفة الكرامية المنافقون مؤمنون مشركون من اهل النار وقالت طائفة منهم ايضا من آمن بالله وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن كافر معا ليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على الاطلاق وقال مقاتل ابن سليمان وكان من كبار المرجئة لا يضر مع الايمان سيئة جلت اوقلت اصلا ولا ينفع مع الشرك حسنة اصلا وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد وكان يخالفه في التجسيم كان جهم يقول ليس الله تعالى شيئا ولا هو ايضا لا شيء لانه تعالى خالق كل شيء فلا شيء الا مخلوق وكان مقاتل يقول ان الله جسم ولحم ودم على صورة الانسان وقالت الكرامية الانبياء يجوز منهم كبائر المعاصي كلها حاشا الكذب في البلاغ فقط فانهم معصومون منه وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤس الاشعرية ان فيهم من يقول ايضا ان الكذب في البلاغ ايضا جائز من الانبياء والرسل عليهم السلام

(قال ابو محمد) وكل هذا كفر محض وذكر عنهم محمد بن الحسن بن فورك الاشعري انهم يقولون ان الله تعالى يفعل كما يفعل في ذاته وانه لا يقدر على افناء خلقه كله حتى يبقى وحده كما كان قبل ان يخلق وقالوا ايضا ان كلام الله تعالى اصوات وحروف هجاء مجتمعة كلها ابدا لم تزل ولا تزال وقالوا ايضا لا يقدر الله على غير ما فعل وقالوا ايضا انه متحرك

ونقصانه وهؤلاء يسمون الجندريكينية اي عباد القمر ومن سنتهم ان تخذوا صنما على صورة جوهر وبيد الصنم جوهر ومن دينهم ان يسجدوا له ويعبدوه وان يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم ياتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون وينظرون الى القمر ويسالونه عن حوائجهم فاذا استهل الشهر علوا السطح واوقدوا الدخن ودعوا عند رايته ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنة وفي نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار اخذوا في الرقص واللعب

ابيض اللون وذكر عنهم انهم يقولون انه تعالى لا يقدر على اعادة الاجسام بعد بلائها لكن يقدر على ان يخلق مثلها ومن حماقاتهم انهم يجيزون كون امامين واكثر في وقت واحد وأما الاشعرية فقالوا ان شتم من أظهر الاسلام لله تعالى ولرسوله بافحش ما يكون من الشتم واعلان التكذيب بهما باللسان بلا تقية ولا حكاية والاقرار بانه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفرا ثم خشوا مبادرة جميع اهل الاسلام لهم فقالوا لكنه دليل على أن في قلبه كفرا فقلنا لهم وتقطعون بصحة ما دل عليه هذا الدليل فقالوا لا وقالت الاشعرية ان ابليس قد كفر ثم اعلان بعصيان الله تعالى في السجود لآدم عليه السلام فان ابليس من حينئذ لم يعرف ان الله تعالى حقا ولا انه خلقه من نار ولا انه خلق آدم من تراب وطين ولا عرف ان الله امره بالسجود لآدم بعدها قط ولا عرف بعد هذا قط ان الله كرم آدم ومن قولهم باجمعهم ان ابليس لم يسال الله قط ان ينظره الى يوم البعث فقلنا لهم ويلكم ان هذا تكذيب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد للقرآن قالوا لنا ان ابليس انما قال كل ذلك هازئا مستهزئا بلا معرفة ولا اعتقاد كان هذا اشنع كفروا برده بعد كفر الغالية من الرافضة وقالوا ان ابليس لم يكفر بمعصيته الله في ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم انا خير منه وانما كفر بجحد الله تعالى كان في قلبه

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا خلاف للقرآن وتكهن لا يعرف صحته الا من حدثه بها ابليس عن نفسه على ان الشيخ غير ثقة فيما يحدث به وقالت الاشعرية ايضا ان فرعون لم يعرف قط ان موسى انما جاءه بتلك الآيات من عند الله حقا وان اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا قط ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولا عرفوا انه مكتوب في التوراة والانجيل وان من عرف ذلك منهم وكتمه وتمادى على اعلان الكفر ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر ومن بني قريظة وغيرهم فانهم كانوا مؤمنين عند الله عز وجل اولياء لله من اهل الجنة فقلنا لهم ويلكم هذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول * يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل * و * يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * و * فانهم لا يكذبونك * فقالوا النا منى انهم وجدوا خطا مكتوبا عندهم لم يفهموا معناه ولا دروا ما هو ونعم عرفوا صورته فقط ودروا ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كما يعرف الانسان جاره فقط فكان هذا كفرا باردا او تحريفا لكلام الله تعالى عن مواضعه ومكابرة سمجة وحماقة ودفعا للضرورة وقد تقصينا الرد على اهل هذه المقالة الملعونة في كتاب لنا رسمه كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن ابليس اللعين وسائر الكافرين تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من اهل القير وان اسمه عطاف بن دوناس في كتاب الفه في نصر هذه المقالة وكان لشيخهم الاشعري في اعجاز القرآن قولان احدهما كما يقول المسلمون انه معجز النظم والآخر انما هو المعجز الذي لم يفارق الله عز وجل قط والذي لم يزل غير مخلوق ولا نزل الينا ولا سمعناه قط ولا سمعه جبريل ولا محمد عليهما السلام قط واما الذي يقرأ في المصاحف ونسمعه فليس معجزا بل مقدور على مثله وهذا كفر صحيح وخلاف لله تعالى ولجميع اهل الاسلام وقال كبيرهم وهو محمد بن الطيب الباقلاني ان لله تعالى خمسة عشر صفة كلها قديمة لم تزل مع الله تعالى وكلها غير الله وخلاف الله تعالى وكل واحدة منهن غير الاخرى منهن وخلاف لسائرها وان الله تعالى غيرهن وخلافهن

والمعازف بين يدي الصنم والقمر (عبدة الاصنام) اعلم ان الاصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون آخر الامر الى عبادة الاصنام اذا كان لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويعكفون عليه ومن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورتها وبالجملة وضع الاصنام حيثما قدر انما هو على معبود عليه الحيا غائب حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله وهيئته نائبا منابه وقائما مقامه والا فنعلم قطعا ان عاقلا مالا ينحت بيده خشبا صورة ثم يعتقد انه الهه وخالقه وخالق الكل اذ كان وجوده

(قال ابو محمد) هذا والله اعظم من قول النصارى وادخل فى الكفر والشرك لان النصارى لم يجعلوا مع الله تعالى الا اثنين هو ثالثهما وهؤلاء جعلوا معه تعالى خمسة عشر هو السادس عشر لهم وقد صرح الاشعرى فى كتابه المعروف بالمجالس بان مع الله تعالى اشياء سواه لم تزل كما يزل

(قال ابو محمد) وهذا ابطال التوحيد علانية وانما حملهم على هذا الضلال ظنهم ان اثبات علم الله تعالى وقدرته وعزته وكلامه لا يثبت الا بهذه الطريقة الملعونة ومعاذ الله من هذا بل كل ذلك حق لم يزل غير مخلوق ليس شيء من ذلك غير الله تعالى ولا يقال فى شيء من ذلك هو الله تعالى لان هذه تسمية له عز وجل وتسميته لا تجوز الا بنص وقد تقصينا الكلام فى هذا فى صدر ديواننا هذا والحمد لله رب العالمين وانما جعلنا ها هنا شنع اهل البدع تنفيرا عنهم وايحاشا للاغمار من المسلمين من الانس بهم ومن حسن الظن بكلامهم الفاسد ولقد قلت لبعضهم اذا قلتم ان مع الله تعالى خمسة عشر صفة كلها غيره وكلها لم تزل فما الذى انكرتم على النصارى اذ قالوا ان الله ثالث ثلاثة فقال لى انما انكرنا عليهم اذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معه اكثر ولقد قال لى بعضهم اسم الله تعالى وهو قولنا الله عبارة تقع على ذات البارى وجميع صفاته لا على ذاته دون صفاته فقلت له اتعبد الله ام لا فقال لى نعم فقلت له فانما تعبد اذا باقرارك الخالق وغيره معه فيكفيك فنفر نفرة وقال معاذ الله من هذا ما اعبد الا الخالق وحده فقلت له فانما تعبد اذا باقرارك بعض ما يسمى به الله فنفر اخرى وقال معاذ الله من هذا وانا واقف فى هذه المسئلة وقال شيخ لهم قديم وهو عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري ان صفات الله تعالى ليست باقية ولا فانية ولا قديمة ولا حديثة لكنها لم تزل غير مخلوقة هذا مع تصريحه بان الله قديم باق ومن حماقات الاشعرية قولهم ان للناس احوالا ومعاني لا معدومة ولا موجودة ولا معلومة ولا مجهولة ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا ازلية ولا محدثة ولا حق ولا باطل وهى علم العالم بان له علما ووجود الواجد لوجوده كلما يجد هذا امر سمعناه منهم نصا ورأيناه فى كتبهم فهل فى الرعونة اكثر من هذا وهل يمكن الموسوس والمبرسم ان يأتى باكثر من هذا ولقد حاورنى سليمان بن خلف الباجى كبيرهم هذه المسالة فى مجلس حافل فقلت له هذا كما تقول العامة عندنا عنب لا من كرم ولا من دالية ومن هوسهم قولهم ان الحق غير الحقيقة ولا ندرى فى اى لغة وجدوا هذا ام فى اى شرع وارد ام فى أى طبيعة ظفروا به فقالوا ان الكفر حقيقة وليس بحق وقلنا كلا بل وجوده عن حقيقة ومعناه باطل لا حق ولا حقيقة وقالوا كلهم ان الله حامل لصفاته فى ذاته هذا نص قول ابي جعفر السمنانى المكفوف قاضى الموصل وهو اكبر اصحاب الباقلانى ومقدم الاشعرية فى وقتنا هذا وقال هذا السمنانى أيضا ان من سمى الله تعالى جسما من اجل انه حامل لصفاته فى ذاته فقد اصاب المعنى واخطأ فى التسمية فقط وقال هذا السمنانى ان الله تعالى مشارك للعالم فى الوجود وفى قيامه بنفسه كقيام الجواهر والاجسام وفى انه ذو صفات قائمة به موجودة بذاته كما ثبت ذلك فما هو موصوف بهذه الصفات من جملة اجسام العالم وجواهر هذا نص كلام السمنانى حرفا حرفا

(قال ابو محمد) ما اعلم احدا من غلاة المشبهة اقدم على ان يطلق ما اطلق هذا المبتدع

مسبوقا بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا على التوجه اليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك عبادة وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية لها وعن هذا كانوا يقولون * ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفا * فلو كانوا مقتصرين على صورها فى اعتقاد الربوبية والالهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب (المها كالية) لهم صنم يدعى مها كال له اربع أيد كثير شعر الرأس سبطها وباحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه وباخرى عصا وبالثالثة رأس انسان وبالرابعة كانه يدفعها وفى اذنيه حيتان كالقرطين وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفا عليه وعلى

الجاهل الملحد المتهور من ان الله تعالى مشارك للعالم حاشالله من هــذا وقال السمناني عن شيوخه من الاشعرية انمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم علي صورته انما هو علي صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار واجماع صفات الكمال فيه واسجدله ملائكته كما اسجدهم لنفسه وجعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى كل ذلك

(قال ابو محمد) هذا نص كلامه حرفا حرفا وهذا كفر صريح وشرك بواح اذصرح بان آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما فالله تعالى وآدم عنده مثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال فيهما ثم لم يقنع بهذه السوءة حتى صرح بان سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل وحاشا الله من هذا لان سجود الملائكة لله تعالى سجود عبادة وديانة لخالقهم وسجودهم لآدم سجود سلام وتحية وتشريف منهم لآدم واكرام له بذلك كسجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام فقط ثم زاد اللعين كفرا على كفر بنصه أن الله تعالى جعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى ذلك وهذا شرك لاخفاء به كشرك النصارى في المسيح ولا فرق ونسال الله تعالى العافية وقال هذا السمناني أن مذهب شيوخه انهم لايقولون أن الامر بالشيء دال علي كونه مرادا للآمر قديما كان أو محدثا ولا يدل النهي على كونه مكروها هذا نص كلامه وهذا خلاف الاسلام والاجماع والمعقول وتصريح بان الله تعالى اذ أمر بالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد وشهادة الاسلام فليس في ذلك دليل على انه يريد شيئا من ذلك واذ نهى عن الكفر والزنا والبغي والسرقة وقتل النفس ظلما فليس ذلك دليلا على انه يكره شيئا من ذلك وما في الاقوال اتين من هذا القول وقال السمناني انه لايصح القول بان علم الله تعالى مخالف للعلوم كلها ولا ان قدرته مخالفة للقدر كلها لانها كلها داخلة تحت قولنا ووصفنا للقدر والعلوم هذا نص كلامه وهذا بيان بان دينهم ان علم الله تعالى وقدرته من نوع علمنا وقدرتنا واذا الامر كذلك عنده فعلمنا وقدرتنا عرضان فينا مخلوقان فوجب ضرورة ان علم الله تعالى وقدرته عرضان في الله مخلوقان اذ من الممتنع وقوع مالم يزل مع المحدث المخلوق تحت حد واحد ونوع واحد ونص هذا السمناني ومحمد بن الحسن بن فورك في صدر كلامه في كتاب الاصول ان الحدود لاتختلف في قديم ولا محدث قالوا ذلك في كلامهم في علم الله تعالى في تحديدهم لمعنى العلم بصفة يقع تحتها علم الله تعالى وعلوم الناس وهذا نص منهم على ان الله تعالى محدود واقع معنا تحت الحدود وهو علمه وقدرته وهو شر من قول جهم شيخهم في الحقيقة وأبين من قول كل مشبه في الارض ونص هذا السمناني على ان العالم والقادر والمريد من الله تعالى وخلقه انما كان محتاجا الي هذه الصفات لكونه موصوفا بها لا لجوازها عليه هذا نص كلامه وهذا تصريح منهم بلا تكلف ولا تاويل بان الله تعالى عن كفر هذا الارعن محتاج الى الصفات وهذا كفر مايدري ان احدا بلغه ونص هذا السمناني ايضا على ان الله تعالى لما كان حيا عالما كان موصوفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة حتى لايختلف الحال في ذلك في الشاهد والغائب هذا نص كلامه وهذا تصريح منه على ان الله تعالى حالا لم يخالفه فيها خلقه بل هو وهم فيها سوآء ونص هذا السمناني على انه اذا كانت الصفات الواجبة لله تعالى في كونه عالما قادرا لايغني وجوبها له عن ماهو مصحح لها من الحياة فيه كما لايوجب غناه

عما

رأسه اكايل من عظام القحف وعليه من ذلك قلادة يزعمون انه عفريت يستحق العبادة لعظيم قدره واستحقاقه لما فيه من الخصال المحمودة المحبوبة والمذمومة من الاعطاء والمنع والاحسان والاساءة وانه مفزع لهم في حاجاتهم وله بيوت عظام بارض الهند ياتون اليها أهل ملته في كل يوم ثلاث مرات يسجدون له ويطوفون به ولهم موضع يقال له اختر فيه صنم عظيم على صورة هذا الصنم ياتونه من كل موضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات الدنيا حتى ان الرجل يقول له فيما يسال زوجني فلانة واعطني كذا ومنهم من ياتيه ويقيم عنده الايام لايذوق شيئا يتضرع اليه ويساله الحاجة حتى ربما يتفق

عما يوجب كونه عالما قادرا عن القدرة والعلم

﴿قال ابو محمد﴾ هذا نص جلي على ان الله تعالى غير غني عن شيء هو غيره لان الصفات عندهم هي غيره تعالى والله تعالى عندهم غير غني عنها تعالى الله واذا لم يكن غنيا عنها فهو فقير اليها هكذا قالت اليهود ان الله فقير تعالى الله عن هذا بل هو الغني جملة عما سواه وكل من دونه فقير اليه تعالى وقال السمناني ان قال قائل لم انكرتم ان يكون الله مريدا لنفسه حسب ماقاله النجار والجاحظ قيل له انكرنا ذلك لما قدمنا ذكره من ان الواحد من الخلق مريد بارادة ولا يخلو ان يكون حقيقة المريد من له الارادة أو كونه مريد اوجود الارادة له وأي الامرين كان وجبت مساواة الغائب الشاهد في هذا الباب

(قال ابو محمد) وهذا نص جلي على مساواة الله تعالى لخلقه عند هذا الجاهل وهذا أعظم في الكفر من قول كل مجسم لان جميع المجسمين لم يقدم احد منهم قط على القول بان الله تعالى مساو لخلقه قبل هذه الفرقة الملعونة ثم العجب قطعهم بان الله عز وجل غايب غير شاهد وحاشا الله عن هذا بل هو معنا وهو اقرب الينا من حبل الوريد كما قال عز وجل انه حاضر في المعقول غير غائب وقال البلاقاني ماوجد في الله تعالى من التسميات فانه يجوز اطلاقها عليه وان لم يسم بذلك نفسه ما لم يرد شرع يمنع من ذلك

(قال ابو محمد) هذا نص منه على ان هاهنا معاني توجد في الله تعالى مع الالحاد في اسمائه اذ جاز تسميته بما لم يسم به عز وجل نفسه تعالى الله عن هذا علوا كبيرا وقالوا كلهم ان الله تعالى ليس له الا كلام واحد وليس له كلمات كثيرة

﴿قال ابو محمد﴾ هذا كفر مجرد لخلافه القران وتكذيب لله عز وجل في قوله * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا * واذ يقول تعالى * ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله * مع ان قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد قول احمق لا يعقل ولا يقوم به برهان شرعي ولا تشكل في هاجس ولا يوجبه عقل انما هو هذيان محض ويقال لهم لا يخلو القرآن عندهم من انه كلام الله تعالى أو ليس هو كلام الله تعالى فان قالوا ليس هو كلام الله تعالى كفروا من قرب وكفى الله تعالى مؤنتهم وان قالوا هو كلام الله تعالى فالقرآن مائة سورة واربعة عشر سورة فيها ستة آلاف اية ونيف كل سورة منها عند اهل الاسلام غير الاخرى وكل آية غير الاخرى فكيف يقول هؤلاء النوكى انه ليس لله تعالى الا كلام واحد اما هذا من الكفر البارد والقحة السمجة ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم ان القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام وانما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله وان القرآن ليس عندنا البتة الا على هذا المجاز وان نرى في المصاحف ونسمع من القراء ونقرأ في الصلاة ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ولا شيء منه كلام الله البتة بل شيء آخر وان كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله عز وجل

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم الكفر لان الله تعال قال * بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ * وقال تعالى . نزل به الروح الامين على قلبك * وقال تعالى * فاجره حتى يسمع كلام الله . وقال تعالى . بل آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وقال رسول الله

(البركسهيكية) من سنتهم ان يتخذوا لانفسهم صنما يعبدونه ويقربون له الهدايا وموضع تعبدهم له ان ينظروا الى باسق الشجر وملتفه مثل الشجر الذي يكون في الجبال فيلتمسون منها أحسنها وأطولها فيجعلون ذلك الموضع موضع تعبدهم ثم ياخذون ذلك الصنم فياتون شجرة عظيمة من تلك الشجرة فينقبون فيها موضعا يركبونه فيها فيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة (الدهكينية) من سنتهم أن ياخذوا صنما على صورة امرأة وفوق رأسه تاج وله أيدي كثيرة ولهم عيد في يوم من السنة عند استواء الليل والنهار والشمس والقمر ودخول الشمس في الميزان فتخذون في ذلك اليوم عريشا

صلى الله عليه وسلم انى احب ان اسمعه من غيرى يعنى القرآن وقال عليه السلام الذى يقرأ القرآن مع السفرة الكرام البررة ونهيه صلى الله عليه وسلم ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو الى اجماع عامة المسلمين وخاصتهم وجاهلهم وعالمهم على القول حفظ فلان القرآن وقرأ فلان القرآن وكتب فلان القرآن في المصحف وسمعنا القرآن من فلان وكلام الله تعالى ما فى المصحف من أول ام القرآن الى آخر قل أعوذ برب الناس وقال السمنانى ايضا ان الباقلانى وشيوخه قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما أطلق القول بان ما انزل الله هو القرآن وهو كلام الله تعالى انما هو على معنى انه عبارة عن كلام الله تعالى وانه يفهم منه امره ونهيه فقط ﴿قال ابو محمد﴾ ويقال لهم اخبرونا عن قولكم ان الكتاب هو المصحف والقراءة المسموعة فى المحارب كل ذلك عبارة عن القرآن ماذا تعنون بذلك وهل هذا منكم الا تمويه ضعيف وهل كل ما في المصحف الا عبارة عن معانيه التي ارادها الله تعالى فى شرع دينه من الصلاة والصيام والايمان وغير ذلك واخبارهم الامم السالفة وصفة الجنة والنار والبعث وغير ذلك مما لا يختلف من اهل الاسلام أحد فى ان المعبر عنه بذلك الكلام ليس هو كلام الله أصلا لان ذات الجنة وذات النار وحركات المصلى وعمل الحاج وعمل الصائم واجسام عاد وأشخاص ثمود ليس شيء من ذلك كلام الله تعالى ولا قرآنا فثبت ان ليس هو القرآن ولا هو كلام الله الا العبارة المسموعة فقط والكلام المقروء والخط المكتوب في المصحف بلا شك اذ لم يبق غير ذلك او الكفر وتكذيب الله تعالى وتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان القرآن أنزل عليه وانا نسمع كلام الله فاوهمتم الضعفاء ان الذى هو كلام الله والقرآن عند جميع اهل الاسلام ليس هو القرآن ولا هو كلام الله ثم اوهمتموهم باستخفافكم ان حركات المتحركين وذات الجنة وذات النار هى كلام الله تعالى وهى القرآن فهل فى الضلال والسخرية بضعفة المسلمين والهزء بايات الله تعالى اكثر من هذا ولقد اخبرنى علي بن حمزة المراوى الصقلى الصوفى انه رأى بعض الاشعرية يبطح المصحف برجله قال فاكبرت ذلك وقلت له ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى فقال لى ويلك والله ما فيه الا السخام والسواد وأما كلام الله فلا ونحو هذا من القول الذى هذا معناه وكتب الى ابو المرجى بن رزوار المصري ان بعض ثقاة اهل مصر اخبره من طلاب السنن ان رجلا من الاشعرية قال له مشافهة على من يقول ان الله قال قل هو الله احد الله الصمد الف لعنة

﴿قال ابو محمد﴾ بل على من يقول ان الله عز وجل لم يقلها الف الف لعنة تترى وعلى من ينكر أننا نسمع كلام الله ونقرأ كلام الله ونحفظ كلام الله ونكتب كلام الله الف الف لعنة تترى من الله عز وجل فان قول هذه الفرقة فى هذه المسالة نهاية الكفر بالله عز وجل ومخالفة للقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة جميع اهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة (قال ابو محمد) وقالت الاشعرية كلها ان الله عز وجل لم يزل قائلا لكل ما خلق او يخلق فى المستأنف كن الا ان الاشياء لم تكن الا حين كونها وهذا تكذيب منهم مكشوف لله عز وجل اذ يقول * انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فبين الله تعالى انه لا يقول للشيء كن الا اذا اراد تكوينه وانه اذا قال له كن كان الشيء فى الوقت بلا مهلة لان هذا هو مقتضى الفاء فى لغة العرب التى بها نزل القرآن فجمعوا الى تكذيب الله عز وجل فى

عظيما بين يدى ذلك الصنم ويقربون اليه القرابين من الغنم وغيرها ولا يذبحونها ولكن يضربون اعناقها بين يديه بالسيوف ويقتلون من اصابوا من الناس قربانا بالغيلة حتى ينقضى عيدهم وهم مسيئون عند عامة أهل الهند بسبب الغيلة (الجلهكية) أى عباد الماء يزعمون أن الماء ملك ومعه ملائكة وانه اصل كل شيء وبه ولادة كل شيء ونمو ونشو وبقاء وطهارة وعمارة وما من عمل فى الدنيا الا ويحتاج الى الماء فاذا أراد الرجل عبادته تجرد وستر عورته ثم دخل الماء حتى وصل الى حلقه فيقيم ساعة أو ساعتين أو اكثر ويأخذ ما امكنه من الرياحين فيقطعها صغارا يلقى فيه بعضه بعد بعض وهو يسبح ويقرأ فاذا اراد

خبر به جميعا ايجاب ازلية العالم لان الله تعالى اذا كان لم يزل قائلا لما يكون كن فان التكوين لم يزل وهذه دهرية محضة ثم قال السمنانى بعد اسطر لانه لو وجب وجود ما وجد فى الوقت الذى وجد فيه لاجل قول الله تعالى كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره له كن لان صفة الاقتضاء لا تختلف فى ذلك بين القديم والمحدث

(قال ابو محمد) هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد حرفا حرفا وهذا كفر محض وحماقة لا خفاء بها اما الكفر فابطاله ان وجود الاشياء فى الاوقات التى وجدت فيها انما وجدت لاجل قول الله تعالى لها كن وايجابه ان الاشياء لم توجد فى احيان وجودها لقول الله تعالى لها كن وهذا تكذيب لله تعالى صرف وخروج عن اجماع اهل الاسلام وكل من يصلى الى القبلة قبلهم ومن الكفر الصريح ايضا فى هذا الكلام الملعون قوله ان صفة الاقتضاء فى ذلك لا تختلف بين القديم والمحدث فسوى بين الله تعالى وخلقه واما الحماقة فقوله لو وجدت الاشياء من اجل قول الله تعالى لها كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره لها كن فيا للمسلمين هل سمع فى الحمق والرعونة وقلة الحياء اكثر من قول من سوى بين قول الله عز وجل كن للشيء اذا اراد تكوينه وبين قول غيره من الناس كن وهذا اخبث من قول الدهرية ونعوذ بالله من الضلال فلولا الخذلان ما انطلق بهذا النوك لسان من لا يقذف بالحجارة فى الشوارع وماشبهت بهذا الكلام الا كلام النذل ابي هاشم الجبائى لو لم يجز لنا ان نسمى الله تعالى باسم حتى أذن لنا فى ذلك لوجب ان لا يجوز لله ان يسمى نفسه حتى يأذن له غيره فى ذلك

(قال ابو محمد) وهذه اقوال لو قالها صبيان يسيل مخاطهم لايس من فلاحهم وتالله لقد لعب الشيطان بهم كما شاء فانا لله وانا اليه راجعون وقالت الاشعرية كلها ان الله لا يقدر على ظلم احد البتة ولا يقدر على الكذب ولا على قول ان المسيح ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت النصارى وانه لا يقدر على ان يقول عزير ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت اليهود وانه لا يقدر على ان يتخذ ولدا وانه لا يقدر البته على اظهار معجزة على يدى كذاب يدعى النبوة فان ادعى الالهية كان الله تعالى قادرا على اظهار المعجزات على يديه وانه تعالى لا يقدر على شيء من المحال ولا على احالة الامور عن حقائقها ولا على قلب الاجناس عن ماهيتها وانه تعالى لا يقدر البتة على ان يقسم الجزء الذى لا يتجزأ ولا على ان يدعو احدا الى غير التوحيد هذا نص كلامهم وحقيقة معتقدهم لجعلوه تعالى عاجزا متناهي القوة محدود القدرة يقدر مرة ولا يقدر اخرى و يقدر على شيء ولا يقدر على آخر وهذه صفة النقص وهم مع هذا يقولون ان الساحر يقدر على قلب الاعيان وعلى ان يمسخ انسانا فيجعله حمارا على الحقيقة وعلى المشى فى الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من الله تعالى

(قال ابو محمد) وخشوا مبادرة اهل الاسلام لهم بالاصطلام فخنسوا عن ان يصرحوا بان الله تعالى لا يقدر فقالوا لا يوصف الله بالقدرة على شيء مما ذكرنا

(قال ابو محمد) ولا راحة لهم فى هذا لاننا نقول لهم ولم لا نصفه بالقدرة على ذلك الا انه يقدر على شيء من ذلك ولا له قدرة على كل ذلك ام لانه لا يقدر على كل ذلك ولا له قدرة على شيء من ذلك ولا بد من احدهما بضرورة العقل وهنا ضلت جبلتهم الضعيفة ولا بدلهم من القطع بانه لا يقدر و بانه لا قدرة له على ذلك واذ قد صرحوا بهذا بالضرورة

توفى قلانوس ترأس برهمن على الهند كلهم فرغب الناس فى تلطيف الابدان وتهذيب الانفس وكان يقول اى امر هذب نفسه واسرع فى الخروج من هذا العالم الدنس وطهر بدنه من اوساخه ظهر له كل شيء وعاين كل غائب وقدر على كل متعذر وكان محبورا مسرورا ملتذا عاشقا لا يمل ولا يكل ولا يمسه نصب ولا لغوب فلما نهج لهم الطريق واحتج عليهم بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهادا شديدا وكان يقول أيضـا

فاول العقل ومسموع اللغة كلاهما يوجبان أن من لايقدر على شيء فهو عاجز عنه وان من لا قدرة له على شيء فصفه العجز والضعف لاحقة به فلابد لهم ضرورة من اطلاق اسم العجز على الله تعالى ووصفه بانه عاجز وهذا حقيقة مذهبهم يقينا الا انهم يخافون البوار ان اظهروه وقال هذا الباقلانى لافرق بين النبي والسحر الكذاب المتنبي فيما ياتينا به الا التحدى فقط وقول النبي لمن بحضرته هات من يعمل كعملي وهذا ابطال للنبوة مجرد وقال الباقلاني وابن فورك واشياعهما من اهل الضلالة والجهالة ليس لله تعالى اسماء البتة وانما له تعالى اسم واحد فقط ليس له اسم غيره وان قول الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه * انما اراد ان يقول لله التسميات الحسنى فذروا الذين يلحدون فى تسمياته فقال لله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه قالوا وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماء مائة غير واحد انما اراد ان يقول تسما وتسعين تسميه فقال تسعة وتسعين اسما

(قال ابو محمد) مافي البرهان على قلة الحياء وفساد الدين واستسهال الكذب اكثر من هذا وليت شعرى من اخبرهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الافك ثم ليت شعري اذ زعموا ان الله تعالى اراد ان يقول التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى لاى شيء فعل ذلك اللكنة أم غفلة أم تعمد لاضلال عباده ولاسبيل والله الى رابع فاعجبوا لعظيم ماحل بهؤلاء القوم من الدمار والتبار والكذب على الله عزوجل جهارا وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا رهبة ونعوذ بالله من الضلال مع ان هـذا قول ماسبقهم اليه أحد وقالوا كلهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ليس هو رسول الله اليوم لكنه كان رسول الله

(قال ابو محمد) فكذبوا القرآن في قول الله عزوجل * محمد رسول الله * وكذبوا الاذان وكذبوا الاقامة التى افترضها الله تعالى خمس مرات كل يوم وليلة على كل جماعة من المسلمين وكذبوا دعوت جميع المسلمين التى اتفقوا على دعاء الكفار اليها وعلى انه لانجاة من النار الا بها وا كذبوا جميع اعصار المسلمين من الصحابة فمن بعدهم فى اطباق جميعهم برهم وفاجرهم على الاعلان بلا اله الا الله محمد رسول الله ووجب على قولهم هذا الملعون انه يكذب المؤذنون والمقيمون ودعاة الاسلام فى قولهم محمد رسول الله وان الواجب ان تقولوا محمد كان رسول الله وعلى هذه المسالة قتل الامير محمود بن سبكتكين مولى امير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابن فورك شيخ الاشعرية فاحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك واشياعه واتباعه

(قال ابو محمد) انما حملهم على هذا الكفر الفاحش قول لهم آخر فى نهاية الضلال والانسلاخ من الاسلام وهى قولهم ان الارواح اعراض تفنى ولا تبقى وقتين وان روح كل واحد منا الآن هو غير روحه الذى كان له قبل ذلك بطارفة عين وان كل واحد منا يبدل ازيد من الف الف روح فى كل ساعة زمانية وان النفس انما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حارا بعد دخوله باردا وان الانسان اذا مات فنى روحه وبطل وانه ليس لمحمد ولا لاحد من الانبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم ولا نفس قائمة تكرم وهذا خروج عن اجماع الاسلام فما قال

ان ترك لذات هذا العالم هو الذى يلحقكم بذلك العالم حتى تتصلوا به وتنخرطوا فى سلكه وتخلدوا فى لذاته ونعيمه فدرس أهل الهند هذا القول ورسخ فى عقولهم ثم توفى عنهم برحزن وقد تجسم القول فى عقولهم لشدة الحرص واللحاق بذلك العالم افترقوا فرقتين ففرقة قالت ان التناسل فى هذا العالم هو الخطا الذى لا خطا أبين منه اذ هو نتيجه اللذة الجسمانية وثمرة النطفة الشهوانية فهو حرام ومايؤدى اليه

بذا

بهذا أحد ممن ينتمي الى الاسلام قبل أبي الهذيل العلاف ثم تلاه هؤلاء وهذا خلاف مجرد للقرآن وتكذيب لله عز وجل اذ يقول * أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * واذ يقول عز وجل * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون * وقال عز وجل * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * ولقوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى * وخلاف للسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة نقل التواتر من رؤيته صلى الله عليه وسلم الانبياء عليهم السلام ليلة أسرى به في السماء وماجرى له مع موسى عليه السلام في عدد الصلوات المفروضات وأن أرواح الشهداء نسمة تعلق في ثمار الجنة وما يلقى الروح عند خروجه من الفتنة والمسألة وأخباره عليه السلام أنه رأى عن يمين آدم اسودة نسم بنيه من أهل الجنة وعن يساره اسودة نسم بنيه من أهل النار وسائر السنن المأثورة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم خجلوا من هذه العظيمة وتبرأ منهم إبليس الذي ورطهم فيها فشلوا فقالوا في كتبهم فان لم يكن هذا فان الروح تنتقل عند خروجها من الجسم الى جسم آخر هكذا نص الباقلاني في أحد كتبه وأظنه الرسالة المعروفة بالحرة وهذا مذهب التناسخ بلا كلفة وقال السمناني في كتابه أن الباقلاني وأصحابه قالوا ان كل ماجاء في الخبر من نقل أرواح الشهداء الى حواصل طير خضر وأن روح الميت ترد اليه في قبره وماجرى مجرى ذلك من وصف الروح بالقرب والبعد والحركة والانتقال والسكون والعذاب فكل ذلك محمول على أقل جزء من أجزاء الميت والشهيد أو الكافر واعادة الحياة في ذلك الجزء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا طريق من الهوس جدا وتطايب بالدين ولقد أخبرني ثقة من أصحابي انه سمع بعض مقدميهم يقول ان الروح انما تبقى في عجب الذنب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا التاويل أقرب الى الهزل منه الى أقوال أهل الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان فانما هذه ستائر دون مذهبهم الخبيث الذي ذكرنا آنفا وقالوا كلهم ان النظر في دلائل الاسلام فرض وأنه لا يكون مسلما حتى ينظر فيها وان من شرط الناظر فيها أن يكون ولا بد شاكا في الله عز وجل وفي صحة النبوة ولا يصح النظر في دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها

(قال ابو محمد) والله ما سمع سامع قط بادخل في الكفر من قول من أوجب الشك في الله تعالى وفي صحة النبوة فرضا على كل متعلم لا نجاة له الا به ولا دين لاحد دونه وان اعتقاد صحة التوحيد لله تعالى وصحة النبوة باطل لا يحل فحصل من كلامهم ان من لم يشك في الله تعالى ولا في صحة النبوة فهو كافر ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه وهذه فضيحة وحماقة اللهم انا نبرأ اليك من هذا القول ومن كل قائل به ثم لم يحدوا في امد الاستدلال حدا فليت شعري على هذا القول الملعون هو ومعتقده والداعي اليه كيف يكون حال من قبل وصيتهم هذه التي هي وصية الشيطان الرجيم فتبين بالشك في الله تعالى وفي النبوة وامتد به أمد الاستدلال أياما وأشهرا وساعات مات فيها أين مستقره ومصيره الى النار والله خالدا

من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل مايهيج الشهوة واللذة الحيوانية النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدي اليه من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل مايهيج الشهوة واللذة الحيوانية وينشط النفوس البهيمية فحرام أيضا فاكتفوا بالقليل من الغذاء قدر مايثبت به أبدانهم ومنهم من كان لا يرى ذلك القليل أيضا ليكون لحاقه بالعالم

مخلدا أبد وبيقين ندرى أن قائل هذه الاقوال مطالب للاسلام كائد له مرصد لاهله داعية الى الكفر ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم أن اطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم المئين والعشرات من صاع شعير مرة بعد مرة وسقيه الالف والالوف من ماء يسير ينبع من بين أصابعه وحنين الجذع ومجيء الشجرة وتكلم الذراع وشكوى البعير ومجيء الذئب ليس شيء من ذلك دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته لانه عليه السلام لم يتحد الناس بذلك ولا يكون عندهم آية الا ماتحدى به الكفار فقط وهذا تكذيب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله اذ فعل ذلك أشهد أني رسول الله وهذا أيضا قول افتروه خالفوا فيه جميع أهل الاسلام وقالوا كلهم ليس لشيء من الاشياء نصف ولا ثلث ولا ربع ولا سدس ولا ثمن ولا عشر ولا بعض وانه لا يجوز أن يقال الفرد عشر العشرة ولا انه بعض الخمسة وحجتهم في ذلك أنه لو جاز أن يقال ذلك لكان عشرا لنفسه وبعض نفسه

(قال ابو محمد) وهذا جهل شديد لانه انما هو بعض من جملة يكون سائرها غيره وعشر جملة يكون سائرها غيره ونسوا انفسهم فقالوا بالجزء لا يتجزء ونسوا الزام انفسهم ان يكون جزءا لنفسه وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول في القرآن فلها النصف فلامه الثلث فلامه السدس ولكم الربع ولهن الثمن بعضهم اولياء بعض وهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير مع مخالفتهم في ذلك جميع اهل الارض مؤمنهم وكافرهم ومخالفة كل لغة والمعقول والطبائع وقالوا كلهم من قال ان النار تحرق او تلفح او ان الارض تهتز وتنبت شيئا اوان الخمر يسكر أو أن الخبز يشبع أو أن الماء يروى أو أن الله تعالى ينبت الزرع والشجر بالماء فقد الحد وافترى وقال الباقلانى من آخر السفر الرابع من كتابه المعروف بالانتصار في القرآن نحن ننكر فعل النار للتسخين والاحراق وننكر فعل الثلج للتبريد وفعل الطعام والشراب للشبع والرى والخمر للاسكار كل هذا عندنا باطل محال ننكره أشد الانكار وكذلك فعل الحجر لجذب شيء أو رده أو حبسه أو إطلاقه من حديد أو غيره هذا نص كلامه

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب منهم لله عز وجل اذ يقول * تلفح وجوههم النار * ولقوله تعالى * وأنزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد * وقوله تعالى * انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وانفسهم * الآية وقوله تعالى * فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * وقد بكت بهذا وجه بعض مقدميهم في المناظرة فدهش وبلد وهو أيضا تكذيب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول كل مسكر حرام وكل شراب أسكر حرام مع مخالفتهم لكل لغة ولكل ذى حس من مسلم وكافر ومكابرة العيان وابطال المشاهدة ثم اظرف شيء احتجاجهم في هذه الطامة بان الله عز وجل هو الذى خلق ذلك كله فقلنا لهم اوليس فعل كل حي مختار واختياره خلقا لله عز وجل فلا بد من قولهم نعم فيقال لهم فمن اين نسبتم الفعل الى الاحياء وهي خلق الله تعالى ومنعتم من نسبة الفعل الى الجمادات لانه خلق الله تعالى ولا فرق ولكنهم قوم لا يعقلون

(قال ابو محمد) وسمعت بعض مقدميهم يقول ان من كان على معاصى خمسة من زنا وسرقة وترك صلاة وتضييع زكاة وغير ذلك ثم تاب عن بعضها دون بعض فان توبته تلك لا تقبل وقد نص السمناني على أن هذا قول الباقلانى وهو قول أبي هاشم الجبائى ثم قال السمناني

الاول اسرع ومنهم من اذا رأى عمره قد تدنس القى نفسه في النار تزكية لنفسه وتطهيرا لبدنه وتخليصا لروحه ومنهم من يجمع ملاذ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة فيمثلها نصب عينيه لكي يراها البصر ويتحرك نفسه البهيمية اليها فتشتاقها ويشتهيها فيمنع نفسه عنها بقوة النفس المنطقية حتى يذبل البدن وتضعف النفس وتفارق لضعف الرباط الذى كان يربطها به واما الفريق الاخر فانهم كانوا يرون التناسل والطعام والشراب وسائر اللذات بقدر الذى هو طريق الحق

هذا قول خارق للاجماع جملة وخلاف لدين الامة هذا نص قول السمناني في شيخه وشهدوا على أنفسهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون

﴿قال ابو محمد﴾ هذا القول مخالف للقرآن والسنن لان الله تعالى يقول * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا * الآية وقال تعالى * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وبالضرورة يدرى كل ذى مسكة من عقل ان التوبة من الزنا خير كثير فهذا الجاهل يقول انه لا يراه صاحبه وانه عمل ضائع عند الله عزوجل من مسلم مؤمن ومعاذ الله من هذا وسر هذا القول الملعون وحقيقته التى لا بد لقائله منه انه لا معنى لمن اصر على الزنا او شرب الخمر فى ان يصلى ولا ان يزكى فقد صار يامر بترك الصلاة الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج فعلى هذا القول وقائله لعائن الله تترى مادار الليل والنهار ونص السمناني عن الباقلانى شيخه انه كان يقول ان الله تعالى لا يغفر الصغائر باجتناب الكبائر

﴿قال ابو محمد﴾ وانا سمعت بعض مقدميهم ينكر ان يكون فى الذنوب صغائر وناظرته بقول الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم * وقلت بالضرورة يدرى كل ذى فهم انه لا كبائر الا بالاضافة الى ما هو اصغر منها وهى السيئات المغفورة باجتناب الكبائر بنص كلام الله تعالى فقولك هذا خلاف للقرآن مجرد فخلط ولجا الى الحرد وهذا منهم تكذيب لله عزوجل ورد لحكمه بلا كلفة ومن شنعهم الممزوجة بالهوس وصفاقة الوجه قولهم انه لا حر فى النار ولا في الثلج برد ولا فى العسل حلاوة ولا في الصبر مرارة وانما خلق الله تعالى ذلك عند اللمس والذوق وهذا حمق عتيق قادم اليه انكارهم الطبائع وقد ناظرناهم على ذلك هذا مع قول شيخهم الباقلانى ان لقشور الندر رائحة وللزجاج والحصا طعما ورائحة وزادوا حتى بلغوا الى ان قالوا ان للفلك طعما ورائحة فليت شعرى متى ذاقوه او شموه او من اخبرهم بهذا وهذا لا يعرفه الا الله ثم الملائكة الذين هنالك ولكن من ذاق طعم الزجاج وشم رائحته فغير منكر ان يدعى مشاهدة الفلك ولمسه وشمه وذوقه ومن شنعهم قولهم ان من كان الآن على دين الاسلام مخلصا بقلبه ولسانه مجتهدا فى العبادة الا ان الله عزوجل يعلم انه لا يموت الا كافرا فهو الآن عند الله كافر وان من كان الآن كافرا يسجد للنار وللصليب او يهوديا او زنديقا مصرحين بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان فى علم الله تعالى انه لا يموت الا مسلما فانه الان عند الله مسلم

(قال ابو محمد) ما قال هذا مسلم قط قبل هشام الفوطى وهذه مكابرة للعيان وتكذيب لله عز وجل بمجرد كانهم ما سمعوا قط قول الله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا * فسماهم مؤمنين ثم اخبر تعالى بانهم كفروا وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر * فجعل الاسلام دينا لما كان عليه اذ كان عليه وان ارتد معه ومات كافرا وقوله تعالى مخاطبا للمسلمين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم * ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا * ويلزمهم ان الذى يسلم ابوه ولا يسلم هو لانه كان بالغا ثم مات أبوه فلم يرثه لكفره ثم اسلم ان يفسخوا حكمهم ويورثوه من ابيه لانه عندهم كان اذ مات ابوه مؤمنا عند الله تعالى ويلزمهم

حلالا وقليل منهم من يتعدى عن الطريق ويطلب الزيادة وكان قوم من الفريقين سلكوا مذهب فيثاغورس من الحكم والعلم فتلطفوا حتى صاروا يظهرون على ما فى أنفس أصحابهم من الخير والشر ويخبرون بذلك فيزيد بذلك حرصا على رياضة الفكر وقهر النفس الامارة بالسوء واللحوق بما لحق به أصحابهم ومذهبهم فى البارى تعالى انه نور محض الا انه لابس جسدا ما يستتر لئلا يراه الا من استاهل رؤيته

ان من كان صبيا ثم عاش حتى شاخ انه لم يكن عند الله قط الا شيخا ولو جمع ما يدخل عليهم لقام منه سفر ضخم وقالوا كلهم انه ليس على ظهر الارض يهودي ولا نصراني يقر بقلبه ان الله حق

(قال ابو محمد) هذا تكذيب للقرآن على ما بينا قبل ومكابرة للعيان لانا لا نحصي كم دخل في الاسلام منهم وصلح ايمانه وصار عدلا وكلهم لا يختلف في انه كان قبل اسلامه مقرا بالله عز وجل عالما به كما هو بعد اسلامه لم يزد في توحيده شيء فكابروا العيان وكذبوا القرآن بحمق وقلة حياء لا نظير له وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن معنى قول الله تعالى * لا يرضى لعباده الكفر * وقوله تعالى * لا يحب الفساد * انما معناه لا يحب الفساد لاهل الصلاح ولا يرضى لعباده المؤمنين ان يكفروا ولم يرد انه لا يرضاه لاحد من خلقه ولا يحبه لاحد منهم ثم قال وان كان قد احب ذلك ورضيه لاهل الكفر والفساد

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ثم ايضا اخبر بان الكفار فعلوا من الكفر امرا رضيه الله تعالى منهم واحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم مع قوله تعالى * اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم * واعجبوا لغلبة جهله اذ لم يفرق بين ارادة الكفر والمشيئة والخلق له وبين الرضا والمحبة وقال ايضا فيه ان اقل من سورة من القرآن ليس بمعجز اصلا بل هو مقدور على مثله وقال ايضا في السفر الخامس من الديوان المذكور ان قيل كيف تقولون اكان يجوز من الله ان يؤلف القرآن تاليفا آخر غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته قلنا نعم هو تعالى قادر على ذلك وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلى اقدار كثيرة واعداد لا يحصيها غيره الا ان كان تاليف الكلام ونظم الالفاظ لا بد ان يبلغ الى غاية وحد لا يحتمل الكلام اكثر منه ولا اوسع ولا يبقى وراء تلك الاعداد نص والاوزان شيء تتناوله القدرة قال ولنا في هذه المسالة نظر في تاليف الكلام ونظم الاجسام وتصوير الاشخاص هل يجب ان يكون نهاية لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو اكثر منها ام لا

(قال ابو محمد) هنا صرح بالشك في قدرة الله تعالى الها نهاية كما يقول ابو الهذيل اخوه في الضلال والكفر ام لا نهاية لها كما يقول اهل الاسلام ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) ولقد اخبرني بعض من كان يداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من اهل الفهم والذكاء وكان يزري في باطن امره عليهم انهم يقولون ان الله تعالى مذ خلق الارض فانه خلق جسما عظيما يمسكها عن ان تهوى هابطة فلما خلق ذلك الجسم افناه في الوقت بلا زمان وخلق اخر مثله يمسكها أيضا فلما خلقه افناه اثر خلقه بلا زمان ايضا وخلق اخر وهكذا ابدا ابدا بلا نهاية قال لي وحجتهم في هذا الوسواس والكذب على الله تعالى فيه مما لم يقله احد قبلهم مما يكذبه الحس والمشاهدة أنه لا بد للارض من جسم ممسك والا هوت فلو كان ذلك الممسك يبقى وقتين او مقدار طرفة عين لسقط هو ايضا معها فهو اذا خلق ثم افنى اثر خلقه ولم يتم لان الجسم عندهم في ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك

(قال ابو محمد) وهذا احتجاج للحمق بالحمق وما عقل احد قط جسما لا ساكنا ولا متحركا بل الجسم في ابتداء خلق الله تعالى له في مكان محيط به في جهاته ولا شك ساكن في مكانه ثم تحرك وكانهم لم يسمعوا لقول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان

تزول

واستحقها كالذي يلبس في هذا العالم جلد حيوان فاذا خلعه نظر اليه من وقع بصره عليه واذا لم يلبسه لم يقدر أحد من النظر اليه ويزعمون انهم كالسبايا في هذا العالم فان من حارب النفس الشهوية حتى منعها عن ملاذها فهو الناجي من دنيات العالم السفلي ومن لم يمنعها بقي أسيرا في يدها والذي يريد تحارب هذا أجمع فانما يقدر على محاربتها بنفي التحيز والعجب وتسكين الشهوة والحرص والبعد

تزولا * فاخبر تعالى انه يمسكهاكما شاءدون تكلف مالم يخبرناالله تعالى به ولاجعل فى العقول دليلا عليه ولوان قائل هذا الحمق وقف على الحق وطالع شيئا من براهين الهيئة لخجل مما اتى به من الهوس ومن شنعهم قول هذا الباقلانى فى كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن ان تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شىء فعله الناس وليس هو من عندالله ولا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فقد كذب هذا الجاهل وافك اتراه ماسمع قول الله تعالى * ما ننسخ من آية أوننسها نات بخير منها اومثلها * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آية الكرسى وآية الكلالة والخبر انه عليه السلام كان يامر اذا نزلت الاية ان تجعل فى سورة كذا وموضع كذا ولو ان الناس رتبوا سوره لماتعدوا احد وجوه ثلاثة اما ان يرتبوها على الاول فالاول نزولا اوالاطول فما دونه او الاقصر فما فوقه فاذليس ذلك كذلك فقدصح انه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لايعارض عن الله عز وجل لايجوز غير ذلك اصلا ومن شنعهم قول الباقلانى فى كتابه فى مذاهب القرامطة قرب اخر الكتاب فى باب ترجمته ذكر جمل مقالات الدهرية والفلاسفة والثنوية قال الباقلانى فامامايستحيل بقاؤه من اجناس الحوادث وهى الاعراض فانما يجب عدمها فى الثاني من حال حدوثها من غير معدم ولاشىء يفنيها هذا نص كلامه وقال متصلا بهذا الفصل واما نحن فنقول انها تفنى الجواهر نفى بقطع الاكوان عنها من حيث لايصح لها وجود لا فى مكان ولا فيما يقدر تقدير المكان واذا لم يلحق فيها شىء من الاكوان نعدم ما كان يخلق فيها منها اوجب عدمها هذا نص كلامه وهذا قول بافناء الجواهر والاعراض وهو فناء واعدام لافاعل لهما وان الله تعالى لم يفن الفانى ونعوذ بالله من الضلال والحاد المحض وقالوا باجمعهم ليس لله تعالى على الكفار نعمة دينية اصلا وقال الاشعرى شيخهم ولا له على الكفار نعمة دنيوية اصلا وهذا تكذيب منه ومن اتباعه الضلال لله عز وجل اذ يقول * بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار واذ يقول * عز وجل يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين . وانما خاطب تعالى بهذا كفارا جحدوا نعمة الله تعالى تبكيتا لهم واما الدنيوية فكثير قال تعالى * قتل الانسان ما اكفره من أى شىء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره * الى قوله * فلينظر الانسان الى طعامه * الآية ومثله من القرآن كثير وقال الباقلانى فى كتابه المعروف بالانتصار فى القرآن فى باب مترجم بباب الدلالة على ان القرآن معجز للنبى صلى الله عليه وسلم وذكروا سؤال الملحدين عن الدليل على صحة ماادعاه المسلمون من ان القرآن معجز فقال الباقلانى يقال لهم ما معنى وصف القران وغيره من ايات الرسول صلى الله عليه وسلم بانه معجز فانما معناه انه مما لا يقدر العباد عليه وان يكونوا عاجزين على الحقيقة وانما وصف القران وغيره من ايات الرسل عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وخروج الناقة من الصخرة وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى بانه معجز وان لم يتعلق به عجز عاجز عنه على وجه التسمية بما يعجز عنه العاجز من الامور التى صح عجزهم عنها وقدرتهم عليها لانهم لم يقدروا على معارضات ايات الرسل غير عن عدم قدرتهم على ذلك فالعجز عنه تشبيها له بالمعجوز عنه قال الباقلاني ومما يدل على ان العرب لا

عما يدل عليها وبوصل اليها ولما وصل الاسكندر الى تلك الديار وأراد محاربتهم صعب عليه افتتاح مدينة أحد الفريقين وهم الذين كانوا يرون استعمال اللذات فى هذا العالم بقدر القصد الذى لايخرج الى فساد البدن فجهد حتى افتتحها وقتل منهم جماعة من اهل الحكمة فكانوا يرون جثث قتلاهم مطروحة كانها جثث المسك الصافية النقية التى فى الماء الصافى فلما رأوا ذلك ندموا على فعلهم وأمسكوا

يجوزان تعجز عن مثل القرآن لانه قد صح وثبت ان العجز لايكون عجزا الاعن موجود فلوكانوا على هذا الاصل عاجزين عن مثل القران وعصى موسى واحياء الموتى وخلق الاجسام والاسماع والابصار وكشف البلوى والعاهات لوجب ان يكون ذلك المثل موجودا فيهم ومنهم كما انهم لو كانوا قادرين على ذلك لوجب ان يكون ذلك منهم ولما لم يكن ذلك كذلك ثبت انه لايجوز عجز العباد على الحقيقة عن مثل القران مع عدمه منهم وكونه غير موجود لهم ولاعن قلب عصى موسى حية ولاعن مثل ذلك

(قال ابو محمد) اينتظر كفر بعد هـذا الكفر فى تصريحه ان العباد والعرب لايجوز ان يعجزوا عن مثل القران ولاعن قلب العصا حية ولايغتر ضعيف بقوله انهم غير قادرين على ذلك فانما هو على قوله المعروف من ان الله لايقدر على غير ما فعل وظهر منه نقط ومن عظيم المحـال قوله فى هذا الفصل انه لايجوز ان يعجز العاجز الاعما يقدر عليه مع ان هذا الكلام منه موجب انهم ان عجزوا عن مثل القران قدروا عليه وما يمترى فى انه كان كائدا للاسلام ملحدا الاشك فيه فهذه الاقوال لاينطلق بها لسان مسلم ومن اعظم البراهين على كفر الباقلانى وكيده للدين قوله فى فصل اخر من الباب المذكور فى الكتاب المذكور انه لايجب على من سمع القران من محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلى الله عليه وسلم أن يبادر الى القطع على أنه له آية أو انه على يده ظهر ومن قبله نجم حتى يسال أهل النواحى والاطراف ونقلة الاخبار ويتعرف حال المتكلمين بذلك اللسان فى الافاق فاذا علم بعد التثبت والنظر انه لم يسبقه الى ذلك أحد لزمه حينئذ اعتقاد نبوته

(قال ابو محمد) وهذا انسان خاف معاجلة الامة له بالرجم كما يرجم الكلب ان صرح بان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطل فصرح لهم بما يودى الى ذلك من قرب اذا وجب ان لا يقر احد بنبوة محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بانه اتى بالقران ولا بانه آية من اياته على صحة نبوته الاحتى يسال اهل النواحى والاطراف وينتظر الاخبار ويتعرف حال المتكلم بالعربية فى الافاق

(قال ابو محمد) فاحال والله على عمل لانهاية له ولو عمر الانسان عمر نوح عليه الصلاة والسلام لان سؤال اهل النواحى والاطراف لاينقضى فى الف عام وانتظار الاخبار ليس له حد وليت شعرى متى تصل المخدرة وطالب المعاش الى طرف من هذا المحال لان اهل النواحى من بين صدر الصين الى اخر الاندلس الى بلاد الزنج الى بلاد الصقالبة فما بين ذلك ولاح كفر هذا الجاهل الملحد وكيده للاسلام لكل من له ادنى حس مع ضعف كيده فى ذلك قال الله تعالى ❊ ان كيد الشيطان كان ضعيفا ❊ ويكفى من كل هذا انى به فى هذا الفصل الملعون قائله ان من له علم وذوى بالعربية والاخبار فيكفيه تيقن عجز العرب عن معارضته فمن بعدهم الى اليوم وانه من عنده ضرورة لانه لم ينزل القران جملة فيمكن فيه الدعوى من احد وانما نزل مقطعا فى كل قصة تنزل فينزل فيها قران وهذه ضرورة موجبة انه عنده عليه الصلاة والسلام ظهر بوحى الله تعالى اليه وبما فيه من الغيوب التى قد ظهر انذاره بها واما من لاعلم له باللغة والاخبار فيكفيه اخبار من يقع له العلم بخبره بان العرب عجزت عن مثله وانه اتى به مفصلا عند حلول القصص التى انزل الله تعالى فيها الاية والايتين والكلمة والكلمتين من القران والتوراة

عن الباقين وأما الفريق الثانى الذين زعموا ان لاخير فى اتخاذ النساء والرغبة فى النسل ولافى شيء من الشهوات الجسدانية كتبوا الى الاسكندر كتابا مدحوه فيه على حب الحكمة وملابسته العلم وتعظيم أهل الرأى والعقل والتمسوا منه حكيما يناظرهم فنفذ اليهم واحدا من الحكماء وفضلوه بالنظر بالعمل فانصرف الاسكندر عنهم ووصلهم بجزائل سنية وهدايا كريمة فقالوا اذا كانت

حتى تم كما هو فهذا الحق وذلك الالحاد المحض والكلام الغث السخيف ومن كفراتهم الصلع قول السمناني اذ نص على ان الباقلاني كان يقول ان جميع المعاصي كلها الا نحاشي شيئا منها مما يجب ان يستغفر الله منه جايز وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا الكذب في البلاغ فقط وقال الباقلاني واذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على انه منسوخ اذ قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال الباقلاني وليس على اصحابه فرضا ان ينكروا ذلك عليه وقال السمناني في كتاب الامامة لولا دلالة العقل على وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم معصوما في البلاغ عن الله عز وجل لما وجب كونه معصوما في البلاغ كما لا يجب فيما سواه من افعاله واقواله وقال ايضا في مكان اخر منه وكذلك يجوز ان يكفر النبي صلى الله عليه وسلم بعد اداء الرسالة

﴿قال ابو محمد﴾ بالله الذي لا إله إلا هو ان كان قال هذا القول ناصرا له وداعيا اليه مسلم قط وما كان قائله إلا كافرا ملحدا فاعلموا ايها الناس انه قد جوز على النبي صلى الله عليه وسلم الكفر والزنا واللياطة والبغاء والسرقة وجميع المعاصي واي كيد الاسلام بالناس اعظم من هذا وأما صاحبه ابن فورك فانه منع من هذا وانكره واجاز على النبي صلى الله عليه وسلم صغار المعاصي كقتل النساء وتمريضهن وتفخيذ الصبيان ونحو ذلك واما شيخهما ابن مجاهد البصري ليس بالمقرى فانه منع من كل ذلك وحاشا لله ان يجوز النبي صلى الله عليه وسلم ذنب بعمد لا صغير ولا كبير لقول الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * ومن المحال ان يامرنا الله تعالى ان نتاسي بعاص في معصيته صغرت او كبرت واعجبوا لاستخفاف هذا الملحد بالدين وبالمسلمين اذ يقول هاهنا انه ليس فرضا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان ينكروا عليه عصيان ربه ومخالفة امره الذي امرهم به وهو يقول في نصره للقياس ان قياس من قاس من الصحابة وسكوت من سكت منهم عن انكاره دليل على وجوب الحكم بالقياس لانهم لا يقرون على منكر فاوجب اقرارهم على المنكر من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا لله من هذا وانكر اقرارهم على القياس لو كان منكرا فجمع بين هذا المناقضة والكذب في دعوى القياس على الصحابة ودعوى معرفة جميعهم بقياس من قاس منهم ودعوى انهم لم ينكروه وهذه صفات الكذابين المتلاعبين بالدين ومن طوامهم ما حكاه السمناني عن الباقلاني انه قال واختلفوا في وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم افضل اهل وقته في حال الرسالة وما بعدها الى حين موته فاوجب ذلك قائلون واسقطه آخرون وقال الباقلاني وهذا هو الصحيح وبه نقول

(قال ابو محمد) وهذا والله الكفر الذي لا خفاء به اذ جوز ان يكون أحد ممن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فما بعده افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكرنا على احمد ابن خابط الادون هذا اذ قال ان اباذر كان ازهد من النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع قول هذا المستخف الباقلاني الذي ذكره عند السمناني في كتابه الكبير في كتاب الامامة منه ان من شرط الامامة ان يكون الامام افضل اهل زمانه

(قال ابو محمد) يا للعيارة بالدين يجوز عند هذا الكافر ان يكون في الناس غير الرسل افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز عنده أن يلي الامامة احد يوجد في الناس

الحكمة تفعل بالملوك هذا الفعل في هذا العالم فكيف اذا البسناها على ما يجب لباسها واتصلت بنا غاية الاتصال ومناظراتهم مذكورة في كتب ارسطوطاليس ومن سننهم اذا نظروا للشمس قد أشرقت سجدوا لها وقالوا ما أحسنك من نور وما ابهاك وما انورك لا تقدر الابصار ان تلتذ بالنظر اليك فان كنت انت النور الاول الذي لا نور فوقك فلك الحمد والتسبيح وإياك نطلب واليك

افضل منه ثم حمقه ايضا فى هذا حمق عتيق لانه تكليف مالا يطاق ولا سبيل الى القطع بفضل احد على احد الا بنص من الله عز وجل وكيف يحاط بالافضل من قريش وهم مبثوثون من اقصى السند وكابل ومكران الى الاشونة الى سواحل البحر المحيط ومن سواحل بحر اليمن الى ثغور أرمينية واذربيجان فما بين ذلك اللهم العن من لا يستحي ومن العجب ان هذا النذل الباقلاني قطع بخلاف الاجماع على ابي حنيفة باجازته القراءة الفارسية وصرح بان ترتيب الايات فى القرآن اجماع وقد اجاز مالك لمن قرأ عند غروب الشمس وطلوعها فجاءته آية سجدة ان يصل التى قبلها بالتى بعدها فمالك عنده مخالف للاجماع وقطع بان الشافعي مخالف للاجماع فى قوله * بسم الله الرحمن الرحيم * اية من أم القرآن وان داود خالف الاجماع فى قوله بابطال القياس أفلا يستحي هذا الجاهل من ان يصف العلماء بصفته مع عظيم جهله بان عاصما وابن كثير وغيرهما من القراء وطائفة من الصحابة تقول بقول الشافعي الذى جعله خلافا للاجماع وانه لم يأت قط عن احد من الصحابة ايجاب الحكم بالقياس من طريق تثبت وانه قد قال بانكاره ابن مسعود ومسروق والشعبي وغيرهم ولكن من يضلل الله فلا هادى له ومن عجائبه قوله ان العامى اذا نزلت به النازلة ففرضه ان يسال افقه اهل بلده فاذا افتاه فهو فرضه فان نزلت به تلك النازلة ثانية لم يجزله ان يعمل بتلك الفتيا لكن يسال ثانية اما ذلك الفقيه واما غيره ففرضه ان يعمل بالفتيا الثانية وهكذا ابدا

(قال ابو محمد) هذا تكليف مالا يطاق اذا وجب على كل احد من العامة أن يسال ابدا عن كل ما ينوبه فى صلاته وصيامه وزكاته ونكاحه وبيوعه ويكرر السؤال عن كل ذلك كل يوم بل كل ساعة فهل فى الحماقة اكثر من هذا ونعوذ بالله من الخذلان

ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم

(وقال ابو محمد) ادعت طائفة من الصوفية ان فى اولياء الله تعالى من هو افضل من جميع الانبياء والرسل وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك واستباحوا بهذا نساء غيرهم وقالوا اننا نرى الله ونكلمه وكل ما قذف فى نفوسنا فهو حق ورأيت لرجل منهم يعرف بابن شمعون كلاما نصه ان لله تعالى مائة اسم وان الموفى مائة هو ستة وثلاثون حرفا ليس منها فى حروف الهجاء شيء الا واحد فقط وبذلك الواحد يصل اهل المقامات الى الحق وقال ايضا اخبرنى بعض من رسم لمجالسة الحق انه مد رجله يوما فنودى ما هكذا تجالس الملوك فلم يمد رجله بعدها يعني انه كان مديما لمجالسة الله تعالى وقال ابو حاضر النصيبي من اهل نصيبين وابو الصباح السمرقندي واصحابهما ان الخالق لم يزل والامع الله تعالى وقال ابو الصباح لا تحل ذبائح اهل الكتاب وخطأ فعل ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى قتال أهل الردة وصوب قول الصحابة الذين رجعوا عنه فى حربهم وقال ابو شعيب القلال ان ربه جسم فى صورة انسان لحم ودم و يفرح و يحزن و يمرض و يفيق وقال بعض الصوفية ان ربه يمشي فى الازقة حتى انه يمشي فى صورة مجنون يتبعه الصبيان بالحجارة حتى تدموا عقبه فاعلموا رحمكم الله ان هذه كلها كفرات صلع واقوال قوم يكيدون الاسلام وصدق القائل

شهدت بان ابن المعلم هازل * باصحابه والباقلانى اهزل

نسعى لندرك السكنى بقربك وتنظر الى ابداعك الاعلى وان كان فوقك وأعلى منك نورا آخر انت معلول له فهذا التسبيح وهذا الحمد له وانما سعينا وتركنا جميع لذات هذا العالم لنصير مثلك ونلحق بعالمك ونتصل بساكنك اذا كان المعلول بهذا البها والجلال فكيف بالعلة يكون بهاؤها وجلالها ومجدها وكمالها فحق لكل طالب ان يهجر جميع اللذات فيظفر بالجوار بقربه ويدخل فى غمار جنده وحزبه هذا

وما الجاهل الملعون فى ذاك دونه * وكلهم في الافك والكفر منزل

والله ماهم من المغرورين بهم فى قبولهم عنهم وحسن الظن بهم الا كما قال الاخر

وساع مع السلطان يسعى عليهم * ومحترس من مثله وهو حارس

واعلموا رحمكم الله ان جميع فرق الضلالة لم يجر الله على ايديهم خيرا ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ولا رفع للاسلام راية وما زالوا يسعون فى قلب نظام المسلمين و يفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على اهل الدين ويسعون فى الارض مفسدين اما الخوارج والشيعة فامرهم فى هذا اشهر من أن يتكلف ذكره وما توصلت الباطنية الى كيد الاسلام واخراج الضعفاء منه الى الكفر الا على السنة الشيعة واما المرجئة فكذلك الا ان الحارس بن سريح خرج بزعمه منكرا للجور ثم لحق بالترك فقادهم الى ارض الاسلام فانهب الديار وهتك الاستار والمعتزلة فى سبيل ذلك الا انه ابتلى بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلا وظنا انهم على شىء وكانت للمعتصم فتوحات محمودة كبابل والمازيار وغيرهم فالله الله ايها المسلمون تحفظوا بدينكم ونحن نجمع لكم بعون الله الكلام فى ذلك الزموا القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه الصحابة رضى الله عنهم والتابعون واصحاب الحديث عصرا عصرا الذين طلبوا الاثر فلزموا الاثر ودعوا كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وبالله تعالى التوفيق تم الكلام فى شنع المبتدعة أهل الاهواء والنحل المضلة والحمد رب العالمين

ما وجدته من مقالات اهل العالم ونقلته على ما وجدته فمن صادف فية خللا في النقل فاصلحه اصلح الله عز وجل حاله وسدد اقواله وافعاله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

﴿ تم ﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ﴾

﴿ الى هنا تم بحمد الله تعالى كتاب الملل والنحل للامام الشهرستانى المتوفي سنة ٥٤٨ هـ ﴾

الفصل

في الملل والأهواء والنحل

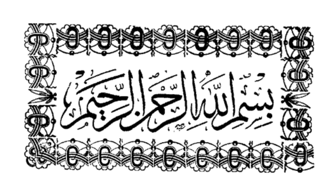
للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦ هـ

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

الجزء الخامس

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكي ت ٣١٠٧٣



﴿ المعاني التي يسميها اهل الكلام اللطائف والكلام في السحر ﴾
(وفى المعجزات التى فيها احالة الطبائع يجوز واحدها لغير الانبياء ام لا)

﴿ قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان السحر قلب للاعيان واحالة للطبائع وانهم يرون (١) اعين الناس مالا يرى واجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عزوجل لهم اختراع الاجسام وقلب الاعيان وجميع احالة الطبائع وكل معجز للانبياء عليهم السلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلانى ان الساحر يمشى على الماء على الحقيقه وفى الهواء ويقلب الانسان حمارا على الحقيقة وان كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وانه لافرق بين آيات الانبياء وبين مايظهر من الانسان الفاضل ومن الساحر أصلا الابالتحدى (٢) فان النبى يتحدى الناس بان ياتوا بمثل ماجاء هو به فلا يقدر أحد على ذلك فقط وان كل مالم يتحد به النبى صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بان الله تعالى لايقدر على اظهار آية على لسان متنبيء كاذب وذهب اهل الحق الى انه لايقلب احد عينا ولايحيل طبيعة الا الله عز وجل لانبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أولم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك ام لا والتحدى لامعنى له وانه لايمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولالساحر ولالاحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله تعالى قادر على اظهار الآيات على ايدى الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لايفعل كما لايفعل مالايريد ان يفعله من سائر ماهو قادر عليه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا هو الحق الذي لايجوز غيره برهان ذلك قوله عزوجل * وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته * وقال عزوجل . وعلم آدم الاسماء كلها . وقال تعالى . انما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون : فصح ان كل مافى العالم مما قدر تبه الله عز وجل الترتيب الذى لايتبدل وصح ان الله عزوجل اوقع كل اسم على مسماه فلايجوز ان يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذى اوقعه الله تعالى عليه لانه كان يكون تبديلا لكلمات الله تعالى التى ابطل عزوجل ان تبدل ومنع من ان يكون لها مبدل ولوجاز ان تحال صفات مسمى منها التى بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب ان يسقط عنه ذلك الاسم الذى أوقعه الله تعالى عليه فاذ ذلك كذلك فقد وجب ان كل مافي العالم مما قد رتبه

---

(١) يرون بضم أوله فثانيه اى يشبهون على اعين الناس فيرونهم من الاشياء المتخيلة ماليس بمرئى على الحقيقة
(٢) التحدى طلب المعارضه وأصله من تمارى الحادين فى الحداء ومعارضة كل منهما لآخر فيه ويقال تحديت فلانا اذا باريته ونازعته الغلبة وهو فى عرف المتكلمين عبارة عن قول النبي اية صدقى كذا اه مصححه

الله على ماهو عليه من فصوله الذاتية وانواعه واجناسه فلا يتبدل شيء منة قطعا الاحيث قام البرهان على تبدله وليس ذلك الاعلى احد وجهين اما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى مابنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيوانا والنوي والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات واما استحالة لم تعهد قط ولا بنى الله تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم وجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ونقله الى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الاقرار بذلك وبقى ماعدا أمر الانبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجودذلك لامن ساحر ولامن صالح بوجه من الوجوه لانه لم يقم برهان بوجود ذلك ولاصح به نقل وهو ممتنع في العقل كما قدمنا ولوكان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها ولكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسال من جووز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل احد غير هذين ام لايجوز الا لهذين فقط فان قال ان ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم سالناهم عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس ولاسبيل لهم الى الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم الابالدعوى التي لايعجز عنها احد وان قالوا ان ذلك جائز ايضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقة وجاز تصديق من يدعي أنه يصعد الى السماء ويرى الملائكة وانه يكلم الطير ويجتنى من شجر الخروب التمر والعناب وان رجالا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذى من صار اليه وجب ان يعامل بما هو اهله ان امكن اوان يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه

﴿قال ابو محمد﴾ لافرق بين من ادعى شيئا مماذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على علي بن ابي طالب مرتين حتى ادعى بعضهم ان حبيب بن اوس قال

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضاضوءها صبغ الدجنةوانطوي * لبهجتهافوق السماءالمرجع

فوالله ماادرى على بدالنا * فردت له ام كان فى القوم يوشع

وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الاعيان اضعافامايدعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهودى لاحبارهم ورؤس المثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد الى قرطبة فى يوم واحد وانه اثبت قرنين فى رأس رجل مسلم من بنى الاسكندرانى كان يسكن بقرطبة عندباب اليهودوهذا كله باطل موضوع وبنو الاسكندرانى كانوا اقواما اشرافا معروفين لم يعرف لاحد منهم شيء من هذا والحماقة لاحد لها وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه

﴿قال ابومحمد﴾ واما السحر فانه ضروب منه ماهو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب فى وقت كون القمر في العقرب فينفع امساكه من لدغة العقرب ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست احالة طبيعة ولاقلب عين ولكنها قوى ركبها الله عزوجل مدافعة لقوى اخركدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه اذاكانت دبرتها(١) مكشوفة للقمر ولايمكن دفع الطلسمات لاناقد شاهدنا أنفسنا آثارها ظاهرة الى الآن من قرى لاتدخلها جرادة ولايقع فيه برد وكسرى قسطه التى لايدخلها جيش الاان يدخل كرها وغير ذلك كثير جدا لاينكره الامعاند وهى اعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق الآثار صناعاتهم فقط ومن هذا الباب كان ماتذكره الاوائل فى كتبهم فى الموسيقا وانه كان يؤلف به بين الطبائع وينافر به ايضا بينها ونوع آخر

(١) الدبرة بالتحريك قرحة الدابة والبعير من دبر البعير يدبر كفرح فهو دبر وأدبر والانثى دبرة كفرحه دبراء كشواء

من السحر يكون بالرقى (١) وهو كلام مجموع من حروف مقطعة فى طوالع معروفة ايضا يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقى الدمل الحاد القوى الظهور فى أول ظهوره فييبس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه فى اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة اذا تم يبسها جربنا من ذلك مالا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقى احد دملين قد دفعا على انسان واحد ولا ترقى الثانى فييبس الذى رقت ويتم ظهور الذى لم ترق ويلقى حامله منه الاذى الشديد وشاهدنا من كان يرقى الورم المعروف بالخنازير فيندمل ما يفتح منها ويذبل مالم ينفتح ويبرأ كل ذلك البرء التام كان لا يزال يفعل ذلك فى الناس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتجريبنا لصدقه وفضله انه شاهد مالا يحصى نساء يتكلمن على الذين يمخضون (٢) الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقاة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملاقاة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما اشبه ذلك ومنه ميلكون لطف يد كحيل ابي العجائب التى شاهدها الناس وهى اعمال لطيفة لا تحيل طبعا اصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذه الوجوه التى ذكرناها ليست من باب معجزات الانبياء عليهم السلام ولا من باب ما يدعيه اهل الكذب للسحرة والصالحين لان معجز الانبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل ما فى العالم وعن بنية العالم لا يجرى شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكن قلب عين واحالة صفات ذاتية كشق القمر وفلق البحر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية واحياء ميت قد أرم وأخراج ناقة من صخرة ومنع الناس من يتكلموا بكلام مذكور أو من ان يأتوا بمثله وما اشبه هذا من احالة الصفات الذاتية التى بوجودها تستحق الاسماء * ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هو الذى يدعيه المبطلون للساحر والفاضل

(قال ابو محمد) وانما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين لاهل العلم بحدود الاسماء والمسميات وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من اجناس اجناسه الى انواعه الى اشخاصه وما هو من اعراضه ذاتى وما هو منها غيرى وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيرى منها وما يبطىء زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتى وان لم يكن ذاتيا والفرق بين البرهان وبين ما نظن انه برهان وليس برهانا والحمد لله على ما وهب وانعم به علينا لا اله الا هو حدثنا محمد بن سعيد بن بياتى ثنا احمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن أصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الرحمن ابن مهدى ثنا سفيان الثورى عن ابي اسحاق الشيباني عن بشير بن عمرو قال ذكر الغيلانى عند عمر بن الخطاب فقالوا انهم يتحولون فقال عمر انه ليس أحد يتحول عن خلقه الذى خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فاذا خشيتم شيئا من ذلك فاذنوا فهذا

---

(١) الرقى بضم ففتح جمع رقية بضم فسكون وهى العودة التى يرقى بها المحموم أو المصروع اونحوهما من ارباب الافات وقد جاء فى بعض الاحاديث جوازها وفي بعضها النهى عنها ومن الجواز قوله استرقوا لها فان بها النظرة اي طالبوا الماهر برقيها ومن النهى عنها قوله لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ووجه الجمع بين الاحاديث ان الرقى يكره منها ما كان بغير اللسان وبغير اسماء الله تعالى وكلامه وان يعتقد أنها نافعة فيتكل عليها ولا يكره منها ما كان بالرقى المروية من غير أن يعتقد فيها تاثيرا أو نفعا اه مصححه

(٢) يمخضون بفتح عين الفعل وكسرها وضمها ثلاث لغات من مخض اللبن يمخضون مخضا فهو ممخوض ومخيض أخذ زبده

عمر رضي الله عنه يبطل احالة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيرا وقد نص الله عز وجل على ماقلنا فقال تعالى * فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى * فاخبر تعالى ان عمل أولئك السحرة انما كان تخييلا لا حقيقة له وقال تعالى * انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فاخبر تعالى انه كيد لا حقيقة له فان قيل قد قال الله عز وجل * سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم * قلنا نعم انها حيل عظيمة واثم عظيم اذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس اذ أوهموم ان تلك الحبال والعصى تسعى فاتفقت الايات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذى قدر ممن لايدرى حيلهم من أنها تسعي ظنا أصله اليقين و ذلك انهم رأوا صفة حيات رقط (١) طوال تضطرب فسارعوا الى الظن وقدروا انهاذوات حيات ولوا منعوا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وانهاملئت زئبقا ولدا فيها تلك الحركات كما يفعل العجائبي الذى يضرب بسكينة فى جسم انسان فيظن من رآه ممن لايدرى حيلته ان السكين غاصت فى جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط فغاصت السكين فى النصاب وكاد خاله خيطا فى حلقة خاتم يمسك انسان متهم طرفى الخيط بيديه ثم ياخذ العجائبي (٢) الخاتم الذى فيه الخيط بفيه وفى ذلك المقام ادخله تحت يده وكان فى فيه خاتم اخرى يري من حضر حلقة الخاتم الذى فى فيه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فه الى الخيط و يرفع بديه وفه فينظر الخاتم الذى كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحروا عين الناس أواسترهنوهم أى انهم أوهموا الناس فيما رأو ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها للاح لهم الحق وكذلك قوله تعالى * فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء و زوجه * فهذا أمر ممكن يفعله النمام وكذلك ماروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم فولد ذلك عليه مرضا حتى كان يظن انه فعل الشيء وهو لم يفعله فليس فى هذا أيضا احالة طبيعية ولا قلب عين وانما هو تاثير بقوة لتلك الصناعة كما قلنا فى الطلسمات والرقى فلا فرق ونحن نجد الانسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منها فيستحيل من الحلم الى الطيش وعن السكون الى الحركة والنزق حتى يقارب حال المجانين أو ربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام ان من البيان لسحرا لان من البيان مايؤثر فى النفس فيثيرها او يسكنها عن ثورانها ويحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر العيون لاستمالتها للنفوس فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ * ويقال لمن قال ان السحر يحيل الاعيان ويقلب الطبائع اخبرونا اذا جاز هذا فاى فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم والساحر ولعل جميع الانبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسي عليه السلام * انه لكبيركم الذى علمكم السحر. وان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخراجو منها اهلها . واذا جاز ان يقلب سحر تموسى عليه السلام عصيهم واحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الامرين حقيقة فقد صدق فرعون بلاشك فى انه ساحر مثلهم الا انه أعلم منهم به فقط وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة الا من حيل ابى العجائب فقط فان لجؤا الى ماذكره الباقلاني من التحدى قيل لهم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدى فى كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لا دليل على صحتها الا من قران ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من اجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا احد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو فى غاية السقوط والمحنة قال الله عز وجل . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .فوجب

---

(١) رقط جمع رقطاء كحمر وحمراء والرقطة كالحمرة سواد يشوبه نقط بياض

(٢) العجائبي مايسمى فى عرف اهل مصر بالحاوى

ضرورة ان من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها . انه لو كان ماقالوا لسقطت اكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبعان الماء من بين اصابعه واطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق (١) ومرة اخرى من كسر ملفوفة فى خمار وكتفله فى العين فجاشت بماء غزير الى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والاخبار بالغيوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لانه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله احدولا عمله الا بحضرة اهل اليقين من اصحابه رضى الله عنهم ولم يبق له آية حاشا القرآن ودعاء اليهود الى تمنى الموت (٢) وشق القمر فقط وكفي بهذا خزيا بقول أدى الى مثل هذا فان ادعوا انه عليه السلام تحدى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لا نه لم يات فى شىء من تلك الاخبار انه تحدى بها احدا وان تمادوا على ان كل هذه ليست معجزات ولا آيات اكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذ فعل ذلك اشهد انى رسول الله والثالث وهو البرهان الدافع وهو قول الله تعالى . واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله ومايشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون . وقوله . وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون . فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل فى ذلك تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدى باطل محض وصح انها اذا ظهرت فهى آية كان هنالك تحد أولم يكن وقد صح اجماع الامة (٣) المتيقن على ان الآيات لا ياتى بها ساحر ولا غير نبى فصح ان المعجزات اذا هى ايات لا تكون اساحر ولا لاحد ليس نبيا والرابع انه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه لان التحدي عندهم يوجب ان لا يقدر على مثل ذلك احد اذلو امكن ان يوجد مثل ذلك من احد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك هذا اما صالح واما ساحر والخامس انه لو كان ماقالوا وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها اوفاضل لا يتحدى بها لامكن ان يتحدى لها بها بعد موتهما من ضل فيها كما فعلت الغلاة بعلى رضى الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما من ادعى انه يشبه الساحر على العيون فيريهم مالا يرى فان هذه الطائفة لم تكتف بالكفر بابطال النبوات اذ لعل ماانى به النبى ﷺ كان تشبيها على العيون لا حقيقة له حتى رامت ابطال الحقائق كلها اولها عن اخرها ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحا بلا تكلف ويقال لهم اذا اجاز ان يشبه على العيون حتى يرى المشبه عليها مالا حقيقة له ولا تراه فما يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبه على عيونكم ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فاراكم انكم تتوضؤن وتصلون وانتم لا تعقلون شيئا من ذلك ولعلكم تظنون انكم تزوجتم وانما فى بيوتكم ضان ولا معز ولعلكم الآن على ظهر البحر ولعل

(١) العناق الانثى من اولاد المعز وهو بفتح العين المهملة

(٢) أى فى قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم فقد تحداهم النبي صلى عليه وسلم بطلب الموت ودعاهم الى تمنيه فلم يقع منهم ذلك لانهم لو تمنوه لنقل الينا ذلك كما غيره من الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب اكثر من غيرهم وهذا من المعجزات لانه اخبار بالغيب اه مصححه

(٣) مذهب المتكلمين أن المعجزة أمر خارق للعادة أى ليس وقوعه من المعتاد كالسحر وما يوجد فى بعض الاشياء من القوى المؤثرة وفى بعض الاجسام من الخواص يفعله الله سبحانه وتعالى مقارنا لدعوى الرسالة متحدى به من الرسول كاحياء الموتى وقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص فان ذلك وامثاله مما يفعله الله سبحانه عند دعوى الرسالة مقرونا بالتحدى ومن أئمة المتكلمين من ذهب الى جواز وقوع الامر الخارق على يد الولى لكن لا عن قصد منه واختيار لوقوعه ومنهم من ذهب الى ان كل ماوقع من الخوارق لنبى لا يقع كرامة لولى ومنهم من صرح بمنع وقوع الخوارق مطلقا سواء كانت معجزة لنبى ام لا على يد ولى وهذا ماذهب اليه ابن حزم من أن احالة الطبائع (قال وتبديل الاعيان لا يقع على يد ساحر ولا على يد عبد صالح اه مصححه

كل

كل ماتعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لامخلص لهم منه وقد عاب الله عز وجل من ذهب الى هذا فقال * ولوفتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون * فلو جاز ان يكون للسحر حقيقة ويشبه مايأتي به الانبياء عليهم السلام وامكن ان يشبه على البصر ماذمهم الله عز وجل بان قالوا شيئا يمكن كونه لكنهم لماقالوا مالا يمكن البتة وتعلقوا بذلك فى دفع الحقائق عابهم الله تعالى بذلك وانكره عليهم

(قال ابو محمد) وليس غلط الحواس فى بعض الاوقات من باب التشبيه عليها فى شيء لان احدنا قد يرى شخصا على بعد لا يشك فيه الا انه سارع فقطع انه انسان اوانه فلان فقطع بظنه ولو انه لم يعمل ظنه ولا قطع به لكان باقيا على ماادرك من الحقيقة وهكذا فى كل ماحكم فيه المرء بظنه واما ذو الافة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لاحقيقة لها فهو ايضا كما ذكرنا وانما الماء المطل على حدقته يوهمه انه رأى شيا وقطع بذلك فاذا تثبت فى كل ذلك لاح له الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فان نفسه تظن مايتوهمه فتقطع به ولو قوى تميزها فرقت بين الحق والباطل وهكذا القول فى ادارك السمع والذوق وهذا كله يجري على رتب مختلفة بمن اعمل ظنه وعلى رتب غير مختلفة فى جمل هذه الاوقات بل هي ثابتة عند اهل التحقيق والمعرفة معروفة العلاج حتى يعود منها الى صلاحه مالم يتسحكم فساده ولايظن ظان انه ممكن ان تكون فى مثل حال هؤلاء اذلوكان هذا لم نعرف شيئا من العلوم على رتبه واحكامه الجارية على سنن واحد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم باى شيء يعرفون انه لم يشبه على عيونكم فقد عرفناكم نحن بماذا نعرف ان حواسنا سليمة وان عقولنا سليمة مادامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهو أجراء ماأدرك بالحواس السليمة والعقول السليمة على رتب محدودة معلومة لاتبدل عن حدودها ابدا واجراء ما ادرك بالحواس الفاسده والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فانهم لايقدرون على فرق اصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك ماذكر عمن ليس نبيا من قلب عين لو احالة طبيعة فهو كذب الا ما وجد من ذلك فى عصر نبي فانه آية كذلك لذلك النبي وذلك الذى ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذى ظهرت فيه الحنين والذراع الذى ظهر فيه النطق والعصا التى ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذى ظهرت فيه الآية صالحا او فاسقا وذلك كنحو النور الذى ظهر فى سوط عمر بن حممه الدوسى و برهان ذلك انه لم يظهر فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) فان قيل اذا اجزتم ان تظهر المعجزة فى غير نبي لكن فى عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهلا اجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لتكون آية له ايضا ولافرق بين الامرين . قلنا انما اجزنا ذلك الشيء فى الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى اظهار ذلك فيه من الناس لانخص بذلك فاضلا لفضله ولا نمنع ذلك فى فاسق لفسقه اوكافر وانما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له فلو جاز ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لاشكل الامر ولم تكن فى أمن من دعوى من ادعى انها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والانسان من الناس يدعيها آية له ولوكان ذلك لكان اشكالا فى الدين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده اولهم عن آخرهم وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا واخباره بانه قد بين علينا الرشد من الغى وليس كذلك ما كان فى عصر النبى صلي الله عليه وسلم لانه لايكون الا من قبل النبى صلى الله عليه وسلم وباخباره وانذاره فبدت بذلك انها له لا للذى ظهرت منه وهذا فى غاية البيان والحمدلله رب العالمين

(قال ابو محمد) واما الذى روى في ذلك عن الثلاثة اصحاب الغار وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ما ذكروا اعمالهم فلا تعلق لهم به لان تكسير الصخرة ممن في كل وقت ولكل احد بلا اعجاز وما كان هكذا فجائز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء لكن وقع وفاقا لتمنيه كمن دعا في موت عدوه اوتفريج همه او بلوغ امنيته في دنياه ولقدحدثني حكم بن منذر بن سعيد ان اباه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت قال فاسندت رأسي الى حجر ناتىء فتاذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته فشر بنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرج وحتى لو كانت معجزة لوجب بلاشك ان يكونوا انبياء اولنبي ممن في زمن نبي لابد مما قدمناه

(قال ابو محمد) ولاعجب اعجب من قول من يجيز قلب الاعيان للساحر وهو عندم فاسق أوكافر ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبى فقد جاز عندهم قلب الاعيان للنبى وللصالح وللفاسق وللكافر فوجب ان قلب الاعيان جائز من كل احد وبؤسا لقول ادى الى مثل هذا وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الاعيان على سبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعى لهم النبوة بها فاستوى عند هؤلاء المخذولين النبي والساحر نعوذ بالله من الضلال المبين

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله تعالى * وقال ربكم ادعوني استجب لكم * وبقوله تعالى * أجيب دعوة الداع اذا دعان * فهذا حق وانما هو بلاشك انه في الممكنات التى علم الله تعالى انها تكون لا فيما في علم الله تعالى انها لا تكون ولا في المحال ونسالهم عمن دعا الى الله تعالى في أن يجعله نبيا او في ان ينسخ دين الاسلام او بان يجعل القيامة قبل وقتها او يمسخ الناس كلهم قردة او بان يجعل له عينا ثالثة او بان يدخل الكفار الجنة او المؤمنين النار وما اشبه هذا فان اجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين وان منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالايات المذكورة وصح ان الاجابة انما تكون في خاص من الدعاء لا في العموم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة وخالد هلا شققت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذا أم لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة لوجب القطع على ما في قلبه وانه ولى الله تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضى الله عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني ان الله تعالى لا يقدر على اظهار آية على يد كذاب فهو داخل في جملة تعجيزه البارى تعالى وهو ايضا تعجيزه سخيف داخل في جملة المحال وذلك انه جعل الله تعالى قادرا على اظهار الايات على كل ساحر (١) فان علم انه يقول انه نبي لم يقدر على أن يظهرها عليه وهذا قول في غاية الفساد لان من قدر على شيء لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بان ذلك الذى يظهر فيه الفعل يقول أنا نبي ولا يتوهم هذا ولا يتشكل في العقل ولا يمكن البتة وانما هم قوم اهملوا حكم الله تعالى عليهم وأطلقوا حكمهم عليه تعالى وما في الكفر اسمج من هذا ولا اطم ولا ابراد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت للباقلاني في فصل من كلامه ان الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القرآن ولا قادرين عليه ولا هم عاجزون عن الصعود الى السماء ولا عن احياء الموتى ولا عن خلق الاجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذا نص كلامه دون تاويل منا عليه ثم قال ان القدرة لا تقع الا حيث يقع العجز (قال ابو محمد) وكل هذا هوس لا ياتى به الا الممرور (٢) وأطم من ذلك احتجاجه بان العجز لا يقع الا

---

(١) اى إن الله تعالى فيما ذهب اليه الباقلاني قادر على اظهار الخوارق على يد ساحر اوفاضل مالم يدع النبوة فان ادعاها كان كاذبا والله تعالى لا يقدر على تاديب كذاب باظهار الاية على يده

(٢) الممرور الذى غلبت عليه المرة وهي مزاج من أمزجة البدن اذا انحرف سبب لصاحبه اختلاطا وهذيانا

حيث

حيث تقع القدرة ولا ندرى فى أى لغة وجد هذا الـكذب أم فى أى عقل وجد هذا السخف وماشك ذو علم باللغة من الخاصة والعامة فى بطلان قوله وفى أن العجز ضد القدرة وان ماقدر الانسان عليه فلم يعجز عنه فى حين قدرته عليه وأن ماعجز عنه فلم يقدر عليه فى حين عجزه عنه وأن نفى القدرة اثبات للعجز وان نفى العجز اثبات للقدرة مايجهل هذا عامى ولا خاصى اصلا وهو ايضا معروف باول العقل والعجب أن ياتي بمثل هذه الدعاوى السخيفة بغير دليل اصلا لـكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وامثاله من الفساق فى دين الله تعالى فينلقفها عنهم من اضله الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان وقد قال الله تعالى * واعلموا انكم غير معجزى الله * فاقتضى هذا انهم مقدور عليهم لله تعالى وقال تعالى * ليس بمعجز فى الارض * فوجب انه مقدور عليه وقال تعالى * والله على كل شيء قدير * فصح انه غير عاجز و بالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الـكلام فى الجن ووسوسة الشيطان وفعله فى المصروع

(قال ابو محمد) لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم فى العالم بضرورة العقل لـكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لانهاية لها وهو عز وجل يخلق مايشاء ولا فرق بين ان يخلق خلقا عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء و بين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن فى قدرته لـكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على ايديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن فى العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك و بانهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن انكر الجن او تاول فيهم تاويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى * افتتخذونه وذريته أولياء من دوني *

(قال ابو محمد) وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى * انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم * فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل * الا ابليس كان من الجن *

(قال ابو محمد) واذ اخبرنا الله عز وجل اننا لانراهم فمن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا ان يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة أخى سليمان ولولا ذلك لاصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذى رأى انما هى معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جنى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هى منقطعات أو عمن لاخير فيه

(قال ابو محمد) وهم أجسام رقاق صافية هوائية لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب و بذلك جاء القرآن قال الله عز وجل (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وانما حدث اللون فى النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ماتشتعل فيه من الحطب والـكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لادركناهم بحاسة اللمس وصح النص بانهم يوسوسون فى صدور الناس وان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها الى حذف مايوسوسون به فى النفوس برهان ذلك قول الله تعالى * من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس * ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته واخلاقه وتثور ناريته ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى

من صفرة ورعشة وضعف نفس ويشير الى انسان آخر باشارات يحيل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجله اخرى ويفزعه ثالثة ويرضيه رابعة وكذلك يحيله ايضا بالكلام الى جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتصلون بها الى تغير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجري الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجرى فى حشاهن مرة كجرى معين الماء فى قصب الآس

(قال ابو محمد) واما الصرع فان الله عزوجل قال * كالذى يتخبطه الشيطان من المس. فذكر عزوجل تاثير الشيطان فى المصروع انما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال مالا علم له به وهذا حرام لا يحل قال عزوجل * ولا تقف ماليس لك به علم. وهذه الامور لا يمكن ان يعرف البتة الا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق فصح أن الشيطان يمس الانسان الذى يسلطه الله عليه مساكما جاء فى القرآن يثير به من طبائعه السوداء والا بخرة المصاعدة الى الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث الله عز وجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزامين والكذابين وبالله تعالى نتايد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان (١) فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا جنحت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة فى هذه الاوقات اوكما قال عليه السلام مما هذا معناه بلا شك فقد قلنا انه عليه السلام لا يقول الا الحق وان كلامه كله على ظاهره الا ان ياتى نص بان هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع او يقوم بذلك برهان من ضرورة حس او اول عقل فنعلم أنه عليه السلام انما اراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا ان الشمس فى كل دقيقة طالعة على افق من الآفاق مرتفعة على آخر مستوية على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس هذا مالا شك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فاذ ذلك كذلك فقد صح يقينا انه عليه السلام انما عنى بذلك افقا ما دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك اذ لو اراد كل افق لكان الاخبار بانه يفارقها كذبا وحاشا الله من ذلك فاذ لا شك فى هذا كله فلامرية انه عليه الصلاة والسلام انما عنى به افق المدينة اذ هو الافق الذى اخبر اهله بهذا الخبر فانبأهم بما يقارن الشمس فى تلك الاحوال وما يفارقها من الشيطان والله اعلم بذلك القرآن ما هو لا نزيد على هذا اذ لا بيان عندنا فيما بينه

---

(١) ومعها قرن الشطان الرواية المشهورة ان الشمس تطلع من بين قرن الشطان فلا تصلوا لطلوعها والمراد بقرن الشيطان رأسه لان القرن يطلق على حرف الراس من الانسان وللرأس حرفان أى جانبان وهذا من باب تسمية الشيء باسم موضعه والحديث للنهى عن الصلاة مع طلوع الشمس لانه الوقت الذى كان عبدة الشمس يسجدون فيه للشمس وقد درج كثير من الامم السابقة على عبادتها والسجود لها وفي القرآن فى نبا ملكة سبا ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام انى وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى وقت طلوعها لانه الوقت الذى يسجد فيه عبدة الشمس لها وأعلمنا ان ابليس يطلع رأسه مقارنا لطلوع الشمس فهم يسجدون له بسجودهم للشمس ويؤمونه وكذلك فى وقتى الاستواء والغروب الملامسة وانه يفارقها فى غير هذه الاوقات وليس المعنى ان للشيطان قرونا على نحو مافى الحيوان من البقر والشاء وان الشمس تجرى من بين قرنيه على الحقيقة بل تاويل ذلك ماذكرنا آنفا من ان الشيطان يطلع لهم فى هذه الاوقات ليؤموه ويسجدوا له مع سجودهم للشمس اه باختصار من كتاب تاويل مختلف الحديث

الا انه ليس شيء من ذلك بممتنع أصلا فصح بما ذكرنا ان اول الخبر خاص كما وصفنا وان نهيه عن الصلاة في الاوقات قصة اخرى وقضية ثانية وحكم غير الاول فهو على عمومه في كل زمان وكل مكان الا ما قام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا في غير هذا الكتاب في كتب الصلاة من تاليفنا والحمد لله رب العالمين كثيرا

الكلام في الطبائع

(قال ابو محمد) ذهبت الاشعرية الى انكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة أصلا وقالوا انما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند الملامسة قالو ولا في الخمر طبيعة اسكار ولا في المني قوة يحدث بها حيوان ولكن الله عز وجل يخلق منه ما شاء وقد كان ممكنا ان يحدث من مني الرجال جملا ومن مني الحمار انسانا ومن زوبعة الكزبر نخلا

(قال ابو محمد) ما نعلم لهم حجة شغبوا بها في هذا الهوس اصلا وقد ناظرت بعضهم في ذلك فقلت له ان اللغة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم لان من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والنحيزة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة بالجيم ولا يشك ذو علم في ان هذه الالفاظ استعملت في الجاهلية وسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها قط ولا انكرها احد من الصحابة رضي الله عنهم ولا احد ممن بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال حميد بن ثور الهلالي الكندي

لكل امرىء ياام عمرو طبيعة * وتفرق ما بين الرجال الطبائع

وقال النابغة

لهم سيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارود اذا أخبره ان فيه الحلم والاناة فقال له الجارود الله جبلني عليهما يارسول الله ام هما كسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الله جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الالفاظ اسماء مترادفة بمعنى واحد عندهم وهو قوة في الشيء يوجد بها على ما هو عليه فاضطرب ولجا الى ان قال اقول بهذا في الناس خاصة فقلت له وأني لك بالتخصيص وهذا موجود بالحس وببديهة العقل في كل مخلوق في العالم فلم يكن عنده تمويه

(قال ابو محمد) وهذا المذهب الفاسد حداهم على ان سموا ما تاتي به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات المعجزات خرق العادة لانهم جعلوا امتناع شق القمر وشق البحر وامتناع احياء الموتى واخراج ناقة من صخرة وسائر معجزاتهم انما هي عادات فقط

(قال ابو محمد) معاذ الله من هذا ولو كان ذلك عادته لما كان فيها اعجاز اصلا لان العادة في لغة العرب والدأب والدين والديدن والهجيرى (١) الفاظ مترادفة على معنى واحد وهي في اكثر استعمال الانسان لها مما لا يؤمن تركه اياه ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثله بخلاف الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع فالعادة في استعمال العرب العامة التلحي وحمل القناة وتحمل بعض الناس القلنسوة وكاستعمال بعضهم حلق الشعر وبعضهم توفيره

---

(١) يقال مازال ذلك هجيراه بكسر أوله وتشديد ثانية أي رأيه وعادته ومنه قول الشاعر

رمي فاخطا والاقدار غالبة * فانصمن والوبل هجيراه والحرب

قال الشاعر

تقول وقد درأت لها وضيني * أهذا دينه أبدا وديني (١)

وقال آخر * ومن عاداته الخلق الكريم

وقال آخر

تعود الطير عادات وثقن بها * فهن يصحبنه في كل مرتحل

وقال آخر * عودت كندة عادات فصبر لها *

وقال آخر * وشديد عادة منتزعة *

فذكر أن انتزاع العادة يشتد الا انه ممكن غير ممتنع بخلاف ازالة الطبيعة التي لا سبيل اليها وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالي

سلي الربع ان يممت يا أم سالم * وهل عادة للربع أن يتكلما

(قال ابو محمد) وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على أنها لا تستحيل ابدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذي عقل كطبيعة الانسان بان يكون ممكنا له التصرف في العلوم والصناعات أن لم يعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغال بانه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البران لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما في العالم والقوم مقرون بالصفات وهي الطبيعة نفسها لان من الصفات المحمولة في الموصوف ما هو ذاتي به لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التي ان زالت عنها صارت خلا وبطل اسم الخمر عنها وكصفات الخبز واللحم التي اذا زالت عنها صارت زبلا وسقط اسم الخبز واللحم عنهما وهكذا كل شيء له صفة ذاتية فهذه هي الطبيعة ومن الصفات المحمولة في الموصوف ما لو توهم زواله عنه لم يبطل حامله ولا فارقه اسمه وهذا القسم ينقسم اقساما ثلاثة فاحدها ممتنع الزوال كالفطس والقصر والزرق وسواد الزنجي ونحو ذلك الا أنه لو توهم زائلا لبقي الانسان انسانا بحاله وثانيها بطيء الزوال كالمردودة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هي حقيقة الكلام في الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ نبوة النساء ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه الا عندنا بقرطبة وفي زماننا فان طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة في النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهب طائفة الى القول بانه قد كانت في النساء نبوة وذهبت طائفة الى التوقف في ذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ ما نعلم للمانعين من ذلك حجة اصلا الا ان بعضهم نازع في ذلك بقول الله تعالى . وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم .

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا امر لا ينازعون فيه ولم يدع احد ان الله تعالى ارسل أمرأة وانما الكلام في النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق في ذلك بان ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة ماخوذة من الانباء وهو الاعلام فمن اعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون او اوحى اليه منبئا له بامر ما فهو نبي بلا شك وليس هذا من باب الالهام الذي هو طبيعة كقول الله تعالى . واوحى ربك الى النحل . ولا من باب الظن والتوهم الذي لا يقطع بحقيقته الا مجنون ولا من باب الكهانة التي هي من

(١) درأت أي بسطت لها الوضين على الارض والوضين بطان من جلد منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على الناقة بمنزلة الحزام للسرج

استراق

استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب وفيه يقول الله عز وجل . شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وقد انقطعت الكهانة بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من باب النجوم التي هي تجارب تتعلم ولا من باب الرؤيا التي لا يدرى اصدقت ام كذبت بل الوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى الى اعلام من يوحى اليه بما يعلمه به ويكون عند الوحي به اليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث الله عز وجل لمن اوحى به اليه علما ضروريا بصحة ما اوحى به كعلمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله سواء لا مجال للشك في شيء منه اما بمجيء الملك به اليه واما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من الله تعالى لمن يعلمه دون وساطة معلم فان انكروا ان يكون هذا هو معنى النبوة فليعرفونا ما معناها فانهم لا ياتون بشيء اصلا فاذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بان الله عز وجل ارسل ملائكة الى نساء فاخبروهن بوحي حق من الله تعالى فبشروا ام اسحاق باسحاق عن الله تعالى قال عز وجل * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت * فهذا خطاب الملائكة لام اسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها باسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من امر الله ولا يمكن البتة ان يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه ووجدناه تعالى قد ارسل جبريل الى مريم ام عيسى عليهما السلام بخاطبها وقال لها * انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالى اليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالى رزقا واردا تمنى من اجله ولدا فاضلا ووجدنا ام موسى عليهما الصلاة والسلام قد اوحى الله اليها بالقاء ولدها في اليم واعلمها انه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لا شك فيها وبضرورة العقل يدرى كل ذي تمييز صحيح انها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بالقائها ولدها في اليم برؤيا تراها او بما يقع في نفسها او قام في هاجستها في غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك احدنا لكان في غاية الفسق او في غاية الجنون مستحقا لمعاناة دماغه في البيمارستان لا يشك في هذا احد فصح يقينا ان الوحي الذي ورد لها في القاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على ابراهيم في الرؤيا في ذبح ولده فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو لم يكن نبيا واثقا بصحة الوحي والنبوة الوارد عليه من ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها او ظن وقع في نفسه لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الانبياء فاسقا في نهاية الفسق او مجنونا في غاية الجنون هذا ما لا يشك فيه احد من الناس فصحت نبوتهن بيقين ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الانبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل * أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح * وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل وامه صديقة بمانع من ان تكون نبية فقد قال تعالى * يوسف ايها الصديق * وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالى التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون او كما قال عليه السلام والكمال في الرجال لا يكون الا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لان من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من اوتيت النبوة من النساء بلا شك اذ من نقص عن منزلة اخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر ان هاتين المرأتين كملتا كما لا لم يلحقهما فيه امرأة غيرهما اصلا وان كن بنصوص القران نبيات وقد قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض * فالكامل في نوعه هو الذي لا يلحقه احد من أهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ومنهم نبينا وابراهيم عليهما

الصلاة والسلام بلاشك للنصوص الواردة بذلك فى فضلهما على غيرهما وكمل من النساء من ذكر عليه الصلاة والسلام

(الكلام فى الرؤيا)

(قال ابو محمد) ذهب صالح تلميذ النظام الى ان الذى يرى احدنا فى الرؤيا حق كما هو وانه من رأى انه بالصين وهو بالاندلس فان الله عز وجل اخترعه فى ذلك الوقت بالصين

(قال ابو محمد) وهذا القول فى غاية الفساد لان العيان والعقل يضطر ان الى كذب هذا القول و بطلانه اما العيان فلاننا نشاهد حينئذ هذا النائم عندنا وهو يرى نفسه فى ذلك الوقت بالصين واما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يرى الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حيا وما اشبه ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قص عليه رؤيا فقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك

(قال ابو محمد) والقول الصحيح فى الرؤيا هو انواع فمنها مايكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الاضغاث والتخليط الذى لا ينضبط ومنها مايكون من حديث النفس وهو مايشتغل به المرء فى اليقظة فيراه فى النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب او خلاص من خوف او نحو ذلك ومنها مايكون من غلبة الطبع كرؤية من غلب عليه الدم للانوار والزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه وكرؤية من غلب عليه السوداء الكهوف والظلم والمخاوف ومنها مايريه الله عز وجل نفس الحالم اذا صفت من اكدار الجسد وتخلصت من الافكار الفاسدة فيشرف الله تعالى به على كثير من المغيبات التى لم تات بعد وعلى قدر تفاضل النفس فى النقاء والصفاء يكون تفاضل مايراه فى الصدق وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لم يبق بعده من النبوة الا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وانها جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة الى جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة الى جزء من سبعين جزأ من النبوة وهذا نص جلى ماذكرنا من تفاضلها فى الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هذه النسب والاقسام على انه عليه السلام انما أراد بذلك رؤيا الانبياء عليهم السلام فمنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزء من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة واربعين جزأ من نبوته وخصايصه وفضايله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزأ من نبوته وخصائصه وفضائله وهذا هو الاظهر والله أعلم ويكون خارجا على مقتضى الفاظ الحديث بلا تاويل بتكلف وأما رؤيا غير الانبياء فقد تكذب وقد تصدق الا أنه لا يقطع على صحة شىء منه الا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الانبياء فانها كلها وحى مقطوع على صحته كرؤيا ابرهيم عليه السلام ولو رأى ذلك غير نبى فى الرؤيا فانفذه فى اليقظة لكان فاسقا عابثا او مجنونا ذاهب التميز بلاشك وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزأ من النبوة ولا مبشرات ولكن انذارا له أو لغيره ووعظا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى أى الخلق افضل)

(قال ابو محمد) ذهب قوم الا ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وذهبت طائفة تنتسب الى الاسلام ان الصالحين غير النبيين افضل من الملائكة وذهب بعضهم الى ان الولى افضل من النبى وانه يكون فى هذه الامة من هو افضل من عيسى بن مريم ورأيت الباقلانى يقول جائز ان يكون فى هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى أن مات ورأيت لأبى هاشم الجبائى انه لو طال عمر انسان من المسلمين فى الاعمال الصالحة لامكن أن يوازى عمل النبى صلى الله عليه وسلم كذب لعنه الله

(قال ابو محمد) ولولا انه استحيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلانى لقال مايوجبه هذا القول من انه

كان يزيد فضلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وهذه الاقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشا لله تعالى من ان يكون احد ولو عمر عمر الدهر يلحق فضل صاحب فكيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم اونبي من الانبياء عليهم السلام فكيف ان يكون افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالا تقبله نفس مسلم كانهم ماسمعوا قول الله عزوجل . لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا . وقول النبي صلى الله عليه وسلم دعوا لى اصحابى فلو كان لاحدكم مثل أحد ذهبا فانفقه في سبيل الله مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه

(قال ابو محمد) فكيف يلحق ابدا من ان تصدق هو بمثل جبل احد ذهبا وتصدق الصاحب بنصف مد من شعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه في الفضل جبل الذهب فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الحق ان الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى ثم بعدم الرسل من النبيين عليهم السلام ثم بعدم الانبياء غير الرسل عليهم السلام ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مارتبنا قبل

(قال ابو محمد) ومن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن له من الفضل مالسائر الصحابة بعموم قوله صلى الله عليهم وسلم دعوا الى أصحابى وافضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم اما فضل الملائكة على الرسل من غير الملائكه فلبراهين منها قول الله عزوجل امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقول . قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ان اتبع الا مايوحى الى . فلو كان الرسول أرفع من الملك اومثله ما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هذا القول الذى انما قاله منحطا عن الترفع بان يظن انه عنده خزائن الله اوانه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة فى مرتبته التى هى دون هذه المراتب بلاشك إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو ارفع منها وأيضا فان الله عزوجل ذكر محمدا الذى هو افضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل عليهما السلام وكان التباين من الله عزوجل بينهما تباينا بعيدا وهو انه عزوجل قال . انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين . فهذه صفة جبريل عليهم السلام ثم ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم فقال * وماصاحبكم بمجنون * ثم زاد تعالى بيانا رافعا للاشكال جملة فقال * ولقد رآه بالافق المبين . فعظم الله تعالى من شان اكرم الانبياء والرسل بان رأى جبريل عليه السلام ثم قال * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة مايغشى مازاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى . فامتن الله تعالى كما ترى على محمد صلى الله عليه وسلم بان أراه جبريل مرتين وانما يتفاضل الناس كما قدمنا بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد واعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى * جاعل الملائكة رسلا * فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى بان ابتدأهم فى الجنة وحوالى عرشه فى المكان الذى وعد رسله ومن اتبعهم بان نهايه كرامتهم مصيرهم اليه وهو موضع خلق الملائكة ومحلهم بلا نهاية مذ خلقوا وذكرهم عز وجل في غير موضع من كتابه فاثنى علي جميعهم ووصفهم بانهم لا يفترون ولا يسامون ولا يعصون الله فنفى عنهم الزلل والفترة والسامة والسهو وهذا امر لم ينفه عزوجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة نعلم من عصم من السهو افضل ممن لم يعصم منه وان من عصم من العمد كالانبياء عليهم السلام افضل ممن لم يعصم ممن سواهم فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس * قيل له ليس هذا معارضا لقوله تعالي جاعل الملائكة رسلا فان كل آية فانما تحمل على مقتضاها وموجب لفظها ففي هذه الآية ان بعض الملائكة رسل وهذا حق لاشك فيه وليس اخبارا عن سائرهم بشيء لابانهم رسل ولابانهم ليسوا رسلا فلا يحل لاحد ان يزيد فى الآية ماليس فيها ثم فى الاية الاخرى زيادة على مافى هذه الاية والاخبار بان جميع الملائكة

رسل ففي تلك الآية بعض ما في هذه الآية وفي هذه الاية كل ما في تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كان الله عز وجل اذ ذكر في كهيعص من ذكر من النبيين فقال * اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين * وقد قال تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك * افترى الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة اوفي هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم والوجه الثاني من اوجه الفضل هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في اعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والدنيات وقد نص الله تعالى على ان الملائكة لا يفترون من الطاعة ولا يسامون منها ولا يعصون البتة في شيء امروا به فقد صح ان الله عز وجل عصمهم من الطبائع الناقصة الداعية الى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنوم فصح يقينا انهم افضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيهما

(قال ابو محمد) واحتج بعض المخالفين في هذا بان قال قال الله عز وجل * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم

(قال ابو محمد) وهذه الآية قد صح البرهان بانها ليست على عمومها لانه تعالى لم يذكر فيها محمدا صلى الله علية وسلم ولا خلاف في انه افضل الناس قال الله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * فان قال ان آل ابراهيم هم آل محمد قيل له فنحن اذا افضل من جميع الانبياء حاشا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصح يقينا ان هذه الآية ليست على عمومها اذ لاشك في ذلك فقد صح ان الله عز وجل انما اراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين نعم ولا من عالمي غير زمانهم لاننا بلاشك افضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة وبالله تعالى التوفيق وصح انها مثل قوله تعالى * يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين * ولاشك في انهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ولا على امتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيف على الملائكة ونحن لا ننكر ازالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر او اجماع متيقن اوضرورة حسن وانما ننكرو نمنع من ازالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى فهذا هو الباطل الذي لا يحل في دين ولا يصح في امكان العقل وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذكر بعضهم قول الله عز وجل * الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية *

(قال ابو محمد) وهذا مما لاحجة لهم فيه اصلا لان هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الانس ومن الجن نعم وجميع الملائكة عموما مستويا فانما هذه لاية تفضيل الملائكة والصالحين من الانس والجن على سائر البرية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجوا بامر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام

(قال ابو محمد) وهذا اعظم حجة عليهم لان السجود المامور به لا يخلو من ان يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله ولا يجوز ان يكون الله عز وجل يامر احدا من خلقه بعبادة غيره واما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من احد من الناس فاذ هو كذلك فلا دليل ادل على فضل الملائكة على ادم من ان يكون الله تعالى بلغ الغاية في اعظامه وكرامته بان تحييه الملائكة لانهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة ولا مزية في تحيتهم له وقد أخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام فقال * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا * وقال ياابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا * وكانت رؤياه هي التي ذكر الله عز وجل عنه اذ يقول * اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين

(قال ابو محمد) وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف ما يوجب ان يوسف افضل من يعقوب واحتجوا

ايضا بان الملائكة لم يعلموا اسماء الاشياء حتى انباهم بها آدم علي جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم اياها

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لان الله عز وجل يعلم من هو انقص فضلا وعلما في الجملة أشياء لا يعلمها من هو افضل منه واعلم منه بعاعدا تلك الاشياء فعلم الملائكة مالا يعلمه آدم وعلم آدم اسماء الاشياء ثم امره بان يعلمها الملائكة كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه وعلم أيضا موسى عليه السلام علوما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الخضر قال لموسى عليه السلام انى على علم من علم الله لا تعلمه انت وانت على علم من علم الله لا أعلمه أنا

(قال ابو محمد) وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام

﴿قال ابو محمد﴾ وقد قال بعض الجهال ان الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنة ياتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل قال تعالى *تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون* وقال تعالى *والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم*

﴿قال ابو محمد﴾ أما خدمة الملائكة لاهل الجنة واقبالهم اليهم بالتحف فشيء ما علمناه قط ولا سمعناه الا من القصاص بالخرافات والتكاذيب وانما الحق من ذلك ماذكره الله عز وجل في النص الذى اوردناه وهو ولله الحمد من اقوى الحجج في فضل الملائكة على من سواهم ويلزم هذا المحتج اذا كان اقبال الملائكة بالبشارات الى اهل الجنة دليلا على فضل أهل الجنة عليهم أن يكون اقبال الرسل الينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلا على أننا افضل منهم وهذا كفر مجرد ولكن الحقيقة هي أن الفضل اذا كان للانبياء عليهم السلام علي الناس بانهم رسل الله اليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة علي الانبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى اليهم ووسائط بينهم وبين ربهم تعالى واما تفضل الله تعالى على أهل الجنة بالاكل والشرب والجماع واللباس والالات والقصور فانما فضلهم الله عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم وقد نزه الله سبحانه الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بل ابانهم وفضلهم بل جعل طبائعهم لا تلتذ بشيء من ذلك الا بذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته في تنفيذ اوامره تعالى فلا منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعل تعالى غاية اكرامنا الوصول اليه بعد لقاء الامرين في التعب في عمارة هذه الدنيا النكدة وفي كلف الاعمال ففي ذلك المكان خلق الله عز وجل الملائكة منذ ابتدأهم وفيه خلدهم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقال بعض السخفاء ان الملائكة بمنزلة الهواء والرياح

(قال ابو محمد) وهذا كذب وقحة وجنون لان الملائكة بنص القرآن والسنن واجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الاديان المختلفة عقلاء متعبدون منهيون ماموررون وليس كذلك الهواء والرياح لكنها لا تعقل ولا هي متكلفة متعبدة بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها قال تعالى* والسحاب المسخر بين السماء والارض * وقال تعالى *سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام * وذكر تعالى الملائكة فقال *بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون* وقال تعالى* ويستغفرون لمن في الارض * وقال تعالى * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين* فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى اتيانه باتيان الملائكة فقال عز وجل* هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة * واعلم ان اعراب الملائكة هاهنا بالرفع عطفا علي الله عز وجل لا على الغمام ونص تعالى علي ان آدم عليه الصلاة والسلام انما اكل من الشجرة ليكون ملكا او ليخلد كما نص تعالى علينا اذ يقول عز وجل * مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين*

﴿قال ابو محمد﴾ فبيقين ندرى ان آدم عليه السلام لولا يقينه بان الملائكة افضل منه وطمعه بان يصير ملكا لما قبل

من ابليس ماغره به من أكل الشجرة التى نهاالله عزوجل عنها ولوعلم آدم ان الملك مثله اودونه لماحمل نفسه على مخالفة امرالله تعالى لينحط عن منزلته الرفيعة الى الدون هذامالا يظنه ذو عقل اصلا

(قال ابو محمد)وقال الله عزوجل*ان يستنكف المسيح ان يكون عبد لله ولا الملائكة المقربون * فقوله عزوجل بعدذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ الغاية فى علودرجتهم علي المسيح عليه السلام لان بنية الكلام ورتبته انماهي اذااراد القائل نفى صفة ماعن متواضع عنها ان يبدأ بالادنى ثم بالاعلى واذا اراد نفى صفة ماعن مترفع عنها ان يبدأ بالاعلى ثم بالادنى فنقول فى القسم الاول مايطمع في الجلوس بين يدى الخليفة خازنه ولاوزيره ولااخوه ونقول فى القسم الثانى ما ينحط الى الاكل فى السوق والولاذو مرتبة ولامتصاون من التجار او الصناع لا يجوز البتة غير هذا و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور وخلق الانسان من طين وخلق الجن من نار

(قال ابو محمد) ولايجهل فضل النور على الطين وعلى النار احد الامن لم يجعل الله له نورا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه فى ان يجعل فى قلبه نورا فالملائكة من جوهر دعا افضل البشر ربه فى ان يجعل فى قلبه منه و بالله تعالى التوفيق وفى هذا كفاية لمن عقل

﴿قال ابو محمد﴾ وقال عز وجل *ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر* الى قوله* وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا *فانما فضل الله تعالى بنص كلامه عزوجل بنى آدم على كثير ممن خلق لاعلى كل من خلق و بلاشك ان بنى آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ماليس حيوانا فلم يبق خلق يستثنى من تفضيل الله تعالى بنى آدم عليه الا الملائكة فقط

﴿قال ابو محمد﴾ وامافضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام انه قال فضلت على الانبياء بست وروى بخمس وروى باربع وروى بثلاث رواه جابر بن عبد الله وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابوهريرة و بقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولافخر وانه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وانه عليه السلام اكثر الانبياء اتباعا وانه ذو الشفاعة التى يحتاج اليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم اماتنا الله على ملته ولا خالف بنا عنه وهو ايضا عليه السلام خليل الله وكليمه

﴿الكلام فى الفقر والغنى﴾

﴿قال ابو محمد﴾ اختلف قوم فى اى الامرين افضل الفقر ام الغنى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا سؤال فاسد لان تفاضل العمل والجزاء فى الجنة انما هو للعامل لا لحالة محمولة فيه الا ان ياتى نص بتفضيل الله عز وجل حالا على حال وليس هاهنا نص فى فضل احدى هاتين الحالتين على الاخرى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وانما الصواب ان يقال ايما افضل الغنى ام الفقير والجواب هاهنا هو ما قاله الله تعالى اذ يقول* هل تجزون الا ما كنتم تعملون *فان كان الغنى افضل عملا من الفقير فالغني افضل وان كان الفقير افضل عملا من الغنى فالفقير افضل وان كان عملهما متساويا فهما سواء قال * عز وجل ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره *وقد استعاذ النبى صلى الله عليه من فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عزوجل الشكر بازاء الغنى والصبر بازاء الفقر فمن اتقى الله عزوجل فهو الفاضل غنيا كان اوفقيرا وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بكذا وكذا خريفا و نزع الاخرون بقول الله عزوجل *ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى *

قال

(قال ابو محمد) والغنى نعمة اذا قام بها حاملها بالواجب عليه فيها واما فقراء المهاجرين فهم كانوا اكثر وكان الغنى فيهم قليلا والامر كله منهم وفي غيرهم راجع الى العمل بالنص والاجماع على انه تعالى لا يجزى بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غني ليس معه عمل خير وبالله التوفيق

الكلام في الاسم والمسمى

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الاسم هو المسمى وقال آخرون الاسم غير المسمى واحتج من قال ان الاسم هو المسمي بقول الله تعالى * تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام * ويقرأ أيضا ذوالجلال والاكرام قال ولا يجوز ان يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمى ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فقالوا ومن الممتنع ان يامر الله عز وجل بان يسبح غيره وبقوله عز وجل * ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم * وقالوا الاسم مشتق من السمو وانكروا على من قال انه مشتق من الوسم وهو العلامة وذكروا قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقالوا قال سيبويه الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء قالوا وانما اراد المسدين هذا كل ما احتجوا به قد تقصيناه لهم ولا حجة لهم فى شيء منه اما قول الله عز وجل تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وذو الجلال فحق ومعني تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذى هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه فله التبارك وله الاجلال منا ومن الله تعالى وله الاكرام من الله تعالى ومنا حيثما كان من قرطاس او فى شيء منقوش فيه اومذكور بالالسنة ومن لم يجل اسم الله عز وجل كذلك ولا اكرمه فهو كافر بلا شك فالآية على ظاهرها دون تاويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد وكل شيء نص الله تعالى عليه انه تبارك فذلك حق ولو نص تعالى بذلك على أي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء واما قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فهو على ظاهره دون تاويل لان التسبيح فى اللغة التى بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك ان الله تعالى امرنا ان ننزه اسمه الذى هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب او منطوقا به ووجه آخر وهو ان معني قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * ومعنى قوله تعالى . ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم . معنى واحد وهو ان يسبح الله تعالى باسمه ولا سبيل الى تسبيحه تعالى ولا الى دعائه ولا الى ذكره الا بتوسط اسمه فكلا الوجهين صحيح حق وتسبيح الله تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالى . فسبح باسم ربك العظيم . وبين قوله . فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم . والحمد بلا شك هو غير الله وهو تعالى نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فرق فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) اما قوله تعالى . ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم . فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الاية وجهان كلاهما صحيح احدهما ان معنى قوله عز وجل . ماتعبدون من دونه الا اسماء برهان هذا قوله تعالى اثر ذلك متصلا بها سميتموها انتم وآباؤكم فصح يقينا انه تعالى لم يعن بالاسماء هاهنا ذوات المعبودين لان العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين بل الله تعالى توحد باحداثها هذا ما لاشك فيه والوجه الثاني ان اؤلئك الكفار انما كانوا يعبدون اوثانا من حجارة او بعض المعادن او من خشب وبيقين ندرى انهم قبل ان يسموا تلك الجمل من الحجارة والمعادن ومن الخشب باسم اللات والعزى ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وبعل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة

فلما اوقعوا عليه هذه الاسماء عبدوها حينئذ فصح يقينا انهم لم يقصدوا بالعبادة الا الاسماء كما قال الله تعالى لا الذوات المسميات فعادت الآية حجة عليهم وبرهانا على ان الاسم غير المسمى بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ان الاسم مشتق من السمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسد ان كلاهما باطل انتعله أهل النحو لم يصح قط عن العرب شيئا منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الاسماء لا اشتقاق لها واول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة أن يقال لهم قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا في قوله فهاتوا برهانكم على ان الاسم مشتق من السمو أو من الاسم والا فهي كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم أو على الله تعالى الواضع للغات كلها وقول عليه تعالى او على العرب بغير علم والا فمن أين لكم ان العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السمو أو من الوسم والكذب لا يستحله مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم الى برهان اصلا بذلك وايضا فلو كان الاسم مشتقا من السمو كما تزعمون فتسمية العذرة والكلب والجيفة والقذر والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها وسمو لهذه المسميات وتبا لكل قول أدى الى هذا الهوس البارد وايضا فهبك انه قد سلم لهم قولهم ان الاسم مشتق من السمو اي حجة على ان الاسم هو المسمى بل هو حجة عليهم لان ذات المسمى ليست مشتقة اصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السمو ولا من غيره فصح بلا شك ان ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا والاسم باقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة فالاسم غير الذات المسماة وهذا يلبح لكل من نصح نفسه ان المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزيء بالناس متلاعب بكلامه ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده الى الكفر المجرد لانهم قطعوا ان الاسم مشتق من السمو وقطعوا ان الاسم هو الله نفسه فعلى قولهم المهلك الخبيث ان الله يشتق وان ذاته مشتقة وهذا ما لا ندري كافرا بلغه والحمد لله على ما من به من الهدى وايضا فان الله تعالى يقول * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * الى قوله تعالى (قال يا آدم انبئهم باسمائهم)

(قال ابو محمد) فلا يخلو ان يكون الله عز وجل علم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل اما بالعربية واما بلغة أخرى او بكل لغة فان كان عز وجل علمه الاسماء بالعربية فان لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالى الاسماء كلها ولامره تعالى آدم بان يقول للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلا يجوز ان يخص من هذا العموم شيء اصلا بل هو لفظ موقف عليه كسائر الاسماء ولا فرق وهو من جملة ما علمه الله تعالى آدم عليه السلام الا ان يدعوا ان الله تعالى اشتقه فالقوم كثيرا ما يستسهلون الكذب على الله تعالى والاخبار عنه بما لا علم لهم به فصح يقينا ان لفظة الاسم لا اشتقاق لها وانما هي اسم مبتدأ كسائر الاسماء والانواع والاجناس وان كان الله تعالى علم آدم الاسماء كلها بغير العربية فان اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبارة عن تلك الالفاظ واذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق في شيء من الاسماء اصلا لا لفظة اسم ولا غيرها وان كان تعالى علمه الاسماء بالعربية وبغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل ان يكون مشتقا اصلا والحمد لله رب العالمين فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالى التوفيق واما بيت لبيد فانه يخرج على وجهين احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالى قال تعالى * الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن * ولبيد رحمة الله مسلم صحيح الصحبة للنبي ﷺ ومعناه ثم اسم الله عليكما حافظ لكما والوجه الثاني انه اراد بالسلام التحية ولبيد لا يقدر هو ولا غيره على ايقاع التحية عليهما وانما يقدر لبيد وغيره على ايقاع اسم التحية والدعاء بها فقط فاي الامرين كان فاسم السلام في بيت لبيد هو غير معنى السلام فالاسم في ذلك البيت غير المسمى ولا بد ثم لو صح ما يدعونه على لبيد ولو صح لكان قول عائشة رحمها الله ورضي الله عنها انما أهجر اسمك بيانا ان الاسم غير المسمى وان اسمه

عليه

عليه السلام غيره لانها اخبرت انها لا تهجره وانما تهجر اسمه رضوان الله وهي ليست الفصاحة فى دون لبيد وهى اولى بان تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم والحمد لله رب العالمين وقد قال رؤبة باسم الذى فى كل صورة سمر — ورؤبة ليس دون لبيد فى الفصاحة وذات البارى تعالى ليست فى كل صورة وانما فى الصورة اسم الله تعالى فلا شك ان الذى فى السورة غير الذى ليس فيها وقال ابو ساسان حصين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة الرقاشي لابنه غياظ

وسميت غياظا ولست بغايظ * عدوا ولكن الصديق تغيظ

فصرح بان الاسم غير المسمى تصريحا لا يحتمل التاويل بخلاف ما ادعوه على لبيد واما قول سيبويه ان الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء فلا حجة لهم فيه فبيقين ندرى انه اراد احداث اصحاب الاسماء برهان ذلك قوله فى غير ما موضع من كتابه امثلة الاسماء فى الثلاثى والرباعى والخماسى والسداسى والسباعى وقطعه أن السداسى والسباعى من الاسماء مزيدان ولا بد وان الثلاثى من الاسماء اصلى ولا بد وان الرباعى والخماسى من الاسماء يكونان اصليين كجعفر وسفرجل ويكونان مزيدين وان الثنائى من الاسماء منقوص مثل يد ودم ولو تتبعنا قطعه على ان الاسماء هى الابنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ ازيد من ثلثمائة موضع أفلا يستحى من يدرى هذا من كلام سيبويه اطلاقا اهمه بان مراده لا يخفى على احد قرأ من كتابه ورقتين ونعوذ بالله من قلة الحياء واول سطر فى كتاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما الكلم من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس فهذا بيان جلى من سيبويه ومن كل من تكلم فى النحو قبله وبعده على ان الاسماء هى فى بعض الكلام وان الاسم هو كلمة من الكلم ولا خلاف بين احد له حس سليم فى ان المسمى ليس كلمة ثم قال بعد اسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الاعراب وحروف الاعراب الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة لاسماء الفاعلين وهذا منه بيان لا اشكال فيه ان الاسماء غير الفاعلين وهى التى تضارعها الافعال التى فى اوائلها الزوائد الاربع وما قال قط من يرمي بالحجارة ان الافعال تضارع المسمين ثم قال والنصب فى الاسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيد والرفع هذا زيد وليس فى الاسماء جزم لتمكنها والحاق التنوين وهذا كله بيان ان الاسماء هى الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لا المسمون بها ولو تتبع هذا فى ابواب الجمع وابواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثر جدا وكاد يفوت التحصيل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فسقط كل ما شغب به القائلون بان الاسم هو المسمى وكل قول سقط احتجاج اهله وعرى عن برهان فهو باطل ثم نظرنا فيمن احتج به القائلون ان الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه * قالوا والله عز وجل واحد والاسماء كثيرة وقد تعالى الله عن ان يكون اثنين او اكثر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من احصاها دخل الجنة قالوا ومن قال ان خالقه او معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصارى الذين لم يجعلوه الا ثلاثة

(قال ابو محمد) وهذا برهان ضرورى لازم ورايت لمحمد بن الطيب الباقلانى ولمحمد بن الحسن بن فورك الاصبهانى انه ليس لله تعالى الا اسم واحد فقط

(قال ابو محمد) وهذا معارضة وتكذيب لله عز وجل وللقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع العالمين ثم عطفا فقالا معنى قول الله عز وجل ولله الاسماء الحسنى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما انما هو التسمية لا الاسماء

(قال ابو محمد) وكان هذا التقسيم ادخل في الضلال من ذلك الاجمال و يقال لهم فعلى قولكم هذا أراد الله تعالى ان يقول لله التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى واراد رسوله الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان لله تسعة وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما عن غلط وخطا قال الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم أم عن عمد ليضل بذلك أهل الاسلام ام عن جهل باللغة التي تنبهنا لمالنا ولا بدمن احد هذه الوجوه ضرورة لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من احدها او ترك ما قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا ودعوا هم في ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضى بهذا لنفسه عاقل

الاسم على المسمى فهي شيء ثالث غير الاسم وغير المسمى فذات الخالق تعالى هي الله المسمى والتسمية هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهي غير الحروف لان الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء والانسان هو المحرك بكسر الراء والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك وهذا امر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه في جميع اللغات واحتجوا أيضا بقول الله تعالى * ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * وهذا نص لا يحتمل تاويلا في ان الاسم هو الياء والحاء والياء والالف ولو كان الاسم هو المسمى لما عقل احد معنى قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكان فارغا حاشا الله من هذا ولا خلاف في ان معناه لم يطلق هذا الاسم على احد قبله وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن نفسه هل تعلم له سميا وهذا نص جلي على ان اسماء الله تعالى التي اختص بها لا تقع على غيره ولو كان ما يدعونه لما عقل هذا اللفظ احد ايضا حاشا لله من هذا واحتجوا ايضا بقول الله تعالى مبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وهذا نص على ان الاسم هو الالف والحاء والميم والدال اذا اجتمعت واحتجوا ايضا بقول الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال نبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم الاية وهذا نص جلي على ان الاسماء كلها غير المسميات لان المسميات كانت اعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة وانما جهلت الاسماء فقط التي علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا قول الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا مالا حيلة لهم فيه لان لفظة الله هي غير لفظة الرحمن بلا شك وهي بنص القرآن اسماء الله تعالى والمسمى واحد لا يتغاير بلا شك وذكروا قول الله عز وجل * ولا تا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه * وهذا بيان ايضا جلي مجمع عليه من أهل الاسلام ان الذي عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم وسائر اسمائه عز وجل واحتجوا من الاجماع بان جميع اهل الاسلام لا تحاشي منهم احدا قد اجمعوا على القول بان من حلف باسم من اسماء الله عز وجل فحنث فعليه الكفارة ولا خلاف في ان ذلك لازم فيمن قال والله او الرحمن او الصمد او اي اسم من اسماء الله عز وجل حلف بها فما أسخف عقولا يدخل فيها تخطئة ما جاء به الله عز وجل في القرآن وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه أهل الاسلام وما أطبق عليه أهل الارض قاطبة من أن الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب الباقلاني وابن فورك في ان ذلك ليس هو الاسم وانما هو التسمية والحمد لله الذي لم يجعلنا من اهل هذه الصنعة المرذولة ولا من هذه العصابة للخذولة واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك فذكرت اسم الله فكل فصح ان اللفظ المذكور هو اسم الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انه له اسماء وهي احمد ومحمد والعاقب والحاشر والماحي فيالله ويا للمسلمين ايجوز ان يظن ذو مسكة عقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ذوات تبارك الذي يخلق مالا نعلم وذكروا قول رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فصح ان الاسم هو الميم والحاء والميم والدال بيقين لا شك فيه واحتجوا بقول عائشة رضي الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام اذا كنت راضية عني قلت لا ورب محمد واذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم قالت اجل والله يارسول الله ما اهجر الا اسمك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك القول فصح ان اسمه غيره بلا شك لانها لم تهجر ذاته وانما هجرت اسمه واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن واصدق الاسماء همام والحارث وروى اكذبها خالد ومالك وهذا كله يبين ان الاسم غير المسمى فقد يسمى عبد الله وعبد الرحمن من يبغضه الله عز وجل وقد يسمى من يكون كذابا الحارث وهماما ويسمى الصادق خالدا ومالكا فهم بخلاف أسمائهم واحتجوا ايضا بان قالوا قد اجتمعت الامم كلها على انه اذا سئل المرء ما اسمك قال فلان واذا قيل له كيف سميت ابنك وعبدك قال سميته فلانا فصح ان تسميته هي اختياره وايقاعه ذلك الاسم على المسمى وان الاسم غير المسمى واحتجوا من طريق النظر بان قالوا انتم تقولون ان اسم الله تعالى هو الله نفسه ثم لا تبالون بان تقولوا اسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي من حياة فاذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا مخلص لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن والاجماع والعقل واللغة والنحو على ان الاسم غير المسمى بلا شك ولقد أحسن احمد بن جدار ماشاء أن يحسن اذ يقول

هيهات يا أخت آل بما * غلطت في الاسم والمسمى

لو كان هذا وقيل سم * مات اذاً من يقول سما

(قال ابو محمد) واخبرني ابو عبد الله السائح القطان انه شاهد بعضهم قد كتب الله في سحاة وجعل يصلي اليها قال فقلت له ماهذا قال معبودي قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني

(قال ابو محمد) وموهوا فقالوا فاسماء الله عز وجل اذا مخلوقة اذ هي كثيرة واذ هي غير الله تعالى قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تعنون الاصوات التي هي حروف الهجاء والمداد المخطوط به في القواطيس فما يختلف مسلمان في كل ذلك مخلوق وان كنتم تريدون الايهام والتمويه باطلاق الخلق على الله تعالى فمن اطلق ذلك فهو كافر بل ان اشار مشير الى كتاب مكتوب فيه الله او بعض اسماء الله تعالى او الى كلامه اذ قال يالله اوقال بعض اسمائه عز وجل فقال هذا مخلوق او هذا ليس ربكم او تكفرون بهذا لما حل لمسلم الا ان يقول حاشا لله من ان يكون مخلوقا بل هو ربي وخالقي أؤمن به ولا اكفر به ولو قال غير هذا لكان كافر احلال الدم لانه لا يمكن ان يسال عن ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنا عز وجل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الاسماء ولا الى الذي يخبر عنه ولا الى الذي يذكر الا بذكر اسمه ولا بد فلما كان الجواب في هذه المسالة يموه اهل الجهل بايصال مالا يجوز الى ذات الله تعالى لم يجز ان يطلق الجواب في ذلك البتة الا بتقسيم كما ذكرنا وكذلك لو كتب انسان محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم او نطق بذلك ثم قال لنا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ليس رسول الله وتؤمنون بهذا أو تكفرون به لكان من قال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكفر به كافرا حلال الدم باجماع اهل الاسلام ولكن نقول بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن به ولا يختلف اثنان في الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو الله ولا رسول الله وبالله تعالى التوفيق فان قالوا ان احمد بن حنبل وأبا زرعه عبيد الله بن عبد الكريم وأبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الراويين رحمهم الله تعالى يقولون ان الاسم هو المسمى قلنا لهم هؤلاء رضي الله عنهم وان كانوا من أهل السنة ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطا ولا أمرنا الله عز وجل بتقليدهم واتباعهم في كل ماقالوه وهؤلاء رحمهم الله

آرام احتيار هذا القول قولهم الصحيح ان القرآن هو المسموع من القرآن المخلوط في المصاحف نفسه وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى على ماقد بينا في هذا الباب وفي باب الكلام في القرآن والحمد لله رب العالمين وانما العجب كله ممن قلب الحق وفارق هولاء المذكورين حيث اصابوا وحيث لا يحل خلافهم وتعلق بهم حيث وهموا من هؤلاء المنتمين الي الاشعرى القائلين بان القرآن لم ينزل قط الينا ولا سمعناه قط ولا نزل به جبريل علي قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذى في المصاحف هو شيء آخر غير القرآن ثم اتبعوا هذه الكفرة الصلعاء بان قالوا ان اسم الله هو الله وانه ليس لله الا اسم واحد وكذبوا الله تعالى ورسوله في ان لله أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو أن انسانا يشير الى كتاب مكتوب فيه الله فقال هذا ليس ربي وأنا كافر بهذا لكان كافرا ولو قال هذا المداد ليس ربي وأنا كافر بربوبية هذا الصوت لكان صادقا وهذا لا ينكر وانما نقف حيث وقفنا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد من الاستخفاف فلو قال اللهم ارحم محمد وآل محمد لكان محسنا ولو أن انسانا يذكر من أبويه العضو المستور باسمه لكان عاقا أتى كبيرة وان كان صادقا وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في قضايا النجوم والكلام في هل يعقل الفلك والنجوم ام لا)

(قال ابو محمد) زعم قوم ان الفلك والنجوم تعقل وانها ترى وتسمع ولا تذوق ولا تشم وهذه دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة باول العقل اذ ليست أصح من دعوى اخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بان الفلك والنجوم لا تعقل اصلا هو ان حركتها ابدا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذى لا اختيار له فقالوا الدليل علي هذه ان الافضل لا يختار الا لافضل العمل فقلنا لهم ومن اين لكم بان الحركة افضل من السكون الاختيارى لانا وجدنا الحركة حركتين اختيارية واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختياريا واضطراريا فلا دليل على ان الحركة الاختيارية افضل من السكون الاختيارى ثم من لكم بان الحركة الدورية افضل من سائر الحركات يمينا ويسارا اوامام اوو راء ثم من لكم بان الحركة من شرق الى غرب كما يتحرك الفلك الا كبر أفضل من الحركة من غرب الى شرق كما تتحرك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح ان قولهم مخرقة فاسدة ودعوى كاذبة مموهة وقال بعضهم لما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان في نسق أحدهما القول بانها تدبرنا فهى دعوى كاذبة بلا برهان علي ماذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى والثانى الحكم بان من تدبرنا احق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيا ويكون اختياريا فلو صح انها تدبرنا لكان تدبيرا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء لنا وكل ذلك ليس حيا ولا عاقلا بالمشاهدة وقد أبطلنا الان ان يكون تدبير الكواكب لنا اختياريا بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لا تنقل عنها اصلا واما القول بقضايا النجوم فانا نقول في ذلك قولا لائحا ظاهرا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) أما معرفة قطعها في أفلا كها وآناء ذلك ومطالعها وابعادها وارتفاعاتها واختلاف مراكز أفلا كها فعلم حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه علي عظيم قدرة الله عز وجل وعلي يقين تأثره وصنعته واختراعه تعالى للعالم بما فيه وفيه الذى يضطر كل ذلك الى الاقرار بالخالق ولا يستغنى عن ذلك في معرفة القبلة وأوقات الصلاة ويتنتج من هذا معرفة رؤيا الاهلة لغرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوفين برهان ذلك قول الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى

لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وقال تعالى والسماء ذات البروج وقال تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب وهذا هو نفس ماقلنا وبالله تعالى التوفيق

واما القضاء بها فالقطع بهخطا لما نذكره ان شاء الله تعالى واهل القضاء ينقسمون قسمين احدهما القائلون بانها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالى اومعه وانها لم تزل * فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم واموالهم باجماع الامة وهؤلاء عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذيقول ان الله تعالى قال اصبح من عبادى كافر بى مؤمن بالكواكب وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه القائل مطرنا بنوء كذا وكذا واما من قال بانها فى المدن التى يمكنهم فيها دعوى ان بناءها كان فى طالع كذا ونصه كذا لكن فى الاقاليم والقطع من الارض التى لم يتقدم كون بعضها كون بعض كذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم فى النجوم وكذلك قسمتهم اعضاء الجسم والفلزات على الدرارى ايضا وبرهان سادس اننا نجد نوعا وانواعا من انواع الحيوان قد فشا فيها الذبح فلا تكاد يموت شيء منها الامذبوحا كالدجاج والحمام والضان والمعز والبقر التى لا يموت منها حتف انفه الا فى غاية الشذوذ ونوعا وانواعا لا تكاد تموت الاحتف انوفها كالحمير والبغال وكثير من السباع وبالضرورة يدرى كل احد انها قد تستوى اوقات ولادتها فبطل قضاؤهم بما يوجب الموت الطبيعى وبما يوجد الكرهى لاستواء جميعها فى الولادات واختلافها فى انواع المنايا وبرهان سابع وهو اننا نرى الخصافا شيئا فى سكان الاقليم الاول وسكان الاقليم السابع ولا سبيل الى وجوده البتة فى سكان سائر الاقاليم ولاشك ولا مرية فى استوائهم فى اوقات الولادة فبطل يقينا قضاؤهم بما يوجب الخصاو بما لا يوجبه بماذكرنا من تساويهم فى اوقات التكون والولادة واختلافهم فى الحكم ويكفى من هذا ان كلامهم فى ذلك دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم والحق لا يكون فى قولين مختلفين وايضا فان المشاهدة توجب اننا قادرون على مخالفة احكامهم متى اخبرونا بها فلو كانت حقا وحتما ماقدر احد على خلافها واذا امكن خلافها فليست حقا فصح انها تحرص كالطرق بالحصا والضرب بالحب والنظر فى الكتف والزجر والطيرة وسائر مايدعى اهله فيه تقديم المعرفة بلا شك ومايحص ماشاهدناه وماصح عندنا مما حققه حذاقهم من التعديل فى الموالد والمناجات وتحاول السنين ثم قضوا فيه فاخطؤا وماتقع اصابتهم من خطئهم الا فى جزء يسير فصح انه تحرص لاحقيقة فيه لاسيما دعواهم فى اخراج الضمير فهو كله كذب لمن تامله وبالله تعالى التوفيق وكذلك قولهم فى القرانات ايضا ولو امكن تحقيق تلك التجارب فى كل ماذكرنا لصدقناها وما يبدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لان كل ماقام عليه دليل من خط او كتف اوزجرا وتطير فليس غيبا لوصح وجه كل ذلك وانما الغيب وعلمه هو ان يخبر المرء من الكائنات دون صناعة اصلا من شيء مما ذكرنا ولا من غيره فيصيب الجزئى والكلى وهذا لا يكون الا لنبى وهو معجزة حينئذ واما الكهانة فقد بطلت بمجيء النبى صلى الله عليه وسلم فكان هذا من اعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى خلق الله تعالى للشيء اهو المخلوق نفسه ام غيره ﴾
وهل فعل الله من دون الله تعالى هو المفعول ام غيره

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان خلق الشيء المخلوق واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا حجة لهم فى هذه الآية لان الاشهاد هاهنا هو الاحضار بالمعرفة وهذا حق لان الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السموات والارض وابتداء انفسنا ووجدنا من قال ان خلق الشيء هو الشيء نفسه يحتج بقول الله تعالى هذا خلق الله وهذه اشارة الى جميع المخلوقات فقد سمى الله تعالى جميع

المخلوقات كلها خلقا له وهذا برهان لا يعارض

(قال ابو محمد) ثم نسال من قال ان خلق الشيء هو غير الشيء فنقول له أخبرنا عن خلق الله تعالى لما خلق ام مخلوق هو ايضا ام غير مخلوق فلا بد من احد الامرين فان قالوا هو غـير مخلوق اوجبوا بازاء كل مخلوق شيئا موجودا غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهان قد قام بخلاف هذا وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره تقديرا * وان قالوا بل خلقه تعالى لما خلق مخلوق قلنا فخلقه تعالى لذلك الخلق ابخلق ام بغير خلق فان قالوا بغير خلق قيل لهم من اين قلتم ان خلقه للاشياء بخلق هو غير المخلوق وقلتم فى خلقه لذلك الخلق انه بغير خلق وهذا تخليط وان قالوا بل خلقه بخلق سالنام الخلق هو ام بخلق هو غيره وهكذا ابدا فان وقفوا فى شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سالنام عن الفرق بين ماقالوا ان خلقه هو غيره و بين ماقالوا ان خلقه هو هو وان تمـادوا واخرجوا الى وجود اشياء لانهاية لها وهذا محال ممتنع وقـد قطع بهذا معمر بن عمرو العطار احد رؤساء المعتزلة وسنذكر كلامه بعد هذا ان شاء الله تعالى متصلا بهذا الباب وبالله تعالى نتايد وايضا فان الجميع مطبقون على ان الله عز وجل خلق ماخلق بلا معاياة فاذ لاشك فى ذلك فقد صح يقينا انه لا واسطة بين الله تعالى و بين ماخلق ولا ثلث فى الوجود غير الخالق والمخلوق وخلق الله تعالى ماخلق حق موجود وهو بلاشك مخلوق وهو بلا شك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه بيقين لاشك فيه اذ لا ثالث هاهنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكل من دون الله تعالى فعله هو مفعوله نفسه لاغير لانه لايفعل احد دون الله تعالى الاحركة اوسكونا او تاثيرا أو معرفة او فكرة اوارادة ولامفعول لشيء دون الله تعالى الا ماذكرنا فهى مفعولات الفاعلين وهي افعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فانما هومفعول فيه كالمضروب والمقتول او مفعول به كالسوط والابرة وماشبه ذلك اومفعول له كالمطاع والمخدوم اومفعول من اجله كالمـكسوب والمحلوب فهذه اوجه المفعولات

(قال ابو محمد) واماسائر افعال الله تعالى فبخلاف ماقلنا فى الخلق بل هى غير المفعول فيه اوله او به او من اجله وذلك كالاحياء فهو غير المحيا بلا شك وكلاهما مخلوق لله تعالى وخلقه تعالى لـكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنا وكالاماتة فهى غير الممات ولو كان غير هذا وكان الاحياء هو المحيا والاماتة هى الممات و بيقين ندرى ان المحيا هو الممات نفسه لوجب ان يكون الاحياء هو الاماتة وهذا محال وكالابقاء فهو غير المبقى للبرهان الذى ذكرنا و بيقين ندرى ان الشيء غير اعراضه التى هي قائمة به وتتاوفانية عنه تارة وبالله تعالى التوفيق

(الـكلام فى البقاء والفناء والمعانى التى يدعيها معمر)

والاحوال التى تدعيها الاشعرية وهل المعدوم شيء ام ليس شيئا ومسئلة الاجزاء وهل يتجدد خلق الله للاشياء ام لا يتجدد

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان البقاء والفناء صفتان للباقى والفاني لا هما الباقى ولا الفانى ولا هما غير الباقى والفانى

(قال ابو محمد) وهذا قول فى غاية الفساد لان القضية الثانية بنقيض الاولى والاولى بنقيض الثانية لانه اذا قال ليست هى فقد اوجب انها غيره واذا قال ليست غيره فقد اوجب انه هو وهذا تناقض ظاهر وايضا فانه لافرق بين قول القائلين ليس هو هو ولا بين قوله هو هو وهو غيره والمعنى فى تلك القضيتين سواء وأيضا فلو كان البقاء ليس هو الباقى ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هو غيره فالباقى هو الفانى نفسه والباقى ليس هو الباقي ولا غيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معمر الى ان الفناء صفة قائمة بغير الفانى

(قال ابو محمد) وهذا تخبيط لايعقل ولايتوهم ولايقوم عليه دليلا اصلا وماكان هكذا فهو باطل والحقيقة في ذلك ظاهرة وهي ان البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتا قائما مدة زمان ما فاذ هو قائما كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه واما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملةوليس هو شيئا اصلا والفناء المذكور ليس موجودا البتة في شيء من الجواهر وانما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل اذا ذهبت عبرعن المعنى المراد بالاخبار عن ذهابها بلفظة الفناء كالغضب يفنى ويعقبه رضا وماشبه ذلك ولوشاء الله عزوجل ان يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجدذلك الى الآن ولاجاء به نص فيقف عنده فالفناء عدم كما قلنا

الكلام في المعدوم اهو شيء ام لا

(قال ابو محمد) وقد اختلف الناس في المعدوماهو شيء ام لافقال اهل السنة وطوائف من المرجئة كالاشعرية وغيرهم ليس شيئا وبه يقول هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة وقال سائر المعتزلة المعدوم شيء وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط احد شيوخ المعتزلة ان المعدم جسم في حال عدمه الا انه ليس متحركا ولاساكنا ولامخلوقا ولامحدثا في حال عدمه

(قال ابو محمد) واحتج من قال بان المعدوم شيء بان قالوا قال عزوجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقالوا فقد اخبر عزوجل بانها شيء وهي معدومة ومن الدليل على ان المعدوم شيء انه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال ان يكون ماهذه صفته ليس شيئا

(قال ابو محمد) اما قول الله عزوجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذه القصة موصولة بقوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى فانما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصح ان زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالى قط انها الآن شيء عظيم ثم اخبر تعالى بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الاحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية ومانعلم انهم شغبوا بشيء غيرها واما قولهم ان المعدوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلك ان قولنا في شيء يذكر انه معدوم ويخبر عنه انه معدوم ويتمنى به انما هو ان يذكر اسم مافذلك الاسم موجود بلاشك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء وابن آوى وحيين وعرس ونبوة مسيلمة وماشبه ذلك ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا ومكتوبا فانه ضرورة لابد له من احد وجهين امان يكون له مسمى واما ان يكون ليس له مسمى فان كان له مسمى فهو موجود وهو شيء حينئذ وان كان ليس له مسمى فاخبارنا بالعدم وتمنينا للمريض الصحة انما هو اخبار عن ذلك الاسم الموجود انه ليس له مسمى ولاتحته شيء وتمن منا لان يكون تحته مسمى فهكذا هو الامر لاكما ظنه اهل الجهل فصح ان المعدوم لايخبر عنه ولايتمنى ونسالهم عمن قال ليت لي ثوبا احمر وغلاما اسود اخبرونا هل الثوب المتمنى به عندكم أحمر ام لا فان اثبتوا معنى وهو الثوب اثبتوا عرضا محمولا فيه وهو الحمرة فوجب ان المعدوم يحمل الاعراض وان قالوا لم يتمن شياء اصلا صدقوا وصح ان المعدوم لا يتمنى لانه ليس شيا ولا فرق بين قول القائل تمنيت لاشيء وبين قوله لم اتمن شيا بل هما متلائمان بمعنى واحد وهذا ايضا يخرج على وجه آخر وهو انه لايتمنى الاشياء موجود في العالم كثوب موجود أو غلام موجود واما من اخرج لفظة التمنى لما ليس في العالم فلم يتمن شيا واما قولهم يوصف فطريق عجب جدا لان معنى قول القائل يوصف اخبار بان له صفة محمولة فيه موجودة به فليت شعري كيف يحمل المعدوم من الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض ان هذا لعجيب جدا فظهر فساد ماموهوا به والحمد لله رب العالمين

(قال) ابو محمد رضى الله عنه واذ قد عرا قولهم عن الدليل فقد صح انه دعوى كاذبة ثم نقول و بالله التوفيق من البرهان على ان المعدوم اسم لا يقع على شيء أصلا قول الله عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد ان كان المعدوم شيئا ان يكون مخلوقا بعد وهم لا يختلفون في ان المخلوق موجود وقد وجد وقتا من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كان موجودا وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان في ان المعدوم ليس شيئا

(قال) أبو محمد رضى الله عنه ونسألهم ما معنى قولنا شيء فلا يجدون بدا من ان يقولوا انه الموجود اوان يقولوا هو كل ما يخبر عنه فان قالوا هو الموجود صاروا الى الحق وان قالوا هو كل ما يخبر عنه قلنا لهم ان المشركين يخبرون عن شريك الله عز وجل قال تعالى أين شركائى

(قال) أبو محمد وهذا معدوم لا مدخل له فى الحقيقة واسم لا مسمى تحته فان قالوا ان شركاء الله تعالى اشياء كانوا قد أفحشوا وأيضا فانه قد اتفقت جميع الامم لا نحاشى ان المعدوم ليس شيئا او لا شيء او ما يعبر به فى كل لغة عن شيء وعن لا شيء الا ان المعنى واحد فلو كان المعدوم شيئا لكان ما أجمعوا عليه بلا شيء وليس شيئا ولم يكن شيئا باطلا وهذا رد على جميع أهل الارض مذ كانوا الى ان يفنى العالم فصح أن الموجود هو الشيء فاذ هو الشيء فبضرورة العقل ان اللاشيء هو المعدوم ثم نسألهم اتقولون ان المعدوم عظيم اوصغير اوحسن اوقبيح أوطويل اوقصير اوذولون فى حال عدمه فان ابوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم انه شيء و بين قولهم انه حسن اوقبيح اوصغير اوكبير وكيف قالوا انه شيء ثم قالوا انه ليس حسنا ولا قبيحا ولا صغيرا ولا كبيرا فان قالوا نعم اوجبوا ان المعدوم يحمل الاعراض والصفات وهذا تخليط ناهيك به وسئلوا فماذا يحمل الصفات أفى ذاته اوفيماذا فان قالوا فى ذاته أوجبوا ان له ذاتا وهذه صفة الموجود ضرورة وان قالوا بل يحمل الصفات فى غيره كان ذلك أيضا عجبا زائدا ومحالا لا خفاء به

(قال) ابو محمد ونسألهم هل الايمان موجود من أبى جهل اومعدوم فان قولهم بلا شك انه معدوم منه . فنسألهم عن ايمان أبى جهل المعدوم حسن هو أم قبيح . فان قالوا لا حسن ولا قبيح قلنا لهم ايكون بعقل ايمان ليس حسنا هذا عظيم جدا . وان قالوا بل هو حسن أوجبوا انه حامل للحسن وكذلك نسألهم عن الكفر المعدوم من الانبياء عليهم السلام اقبيح هو أم لا . فان قالوا لا أوجبوا كفرا ليس قبيحا . وان قالوا بل هو قبيح أوجبوا أن المعدوم يحمل الصفات ونسألهم عن ولد العقيم المعدوم منه اصغير هو أم كبير ام عاقل ام أحمق . فان منعوا من وجود شيء من هذه الصفات له كان عجبا ان يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حى ولا ميت وان وصفوه بشيء من هذه الصفات اتوا بالزيادة من المحال ونسألهم عن الاشياء المعدومة ألها عدد ام لا عدد لها . فان قالوا لا عدد لها كانوا قد أتوا بالمحال اذ أقروا باشياء لا عدد لها . وان قالوا بل لها عدد كان ذلك عجبا جدا او محالا لا خفاء به وسألناهم عن الاولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم . ونسألهم عن الاشياء المعدومة اهى فى العالم ومن العالم أم ليست فى العالم ولا من العالم فان قالوا اهى فى العالم ومن العالم سألناهم عن مكانها فان حددوا لها مكانا سخفوا ما شاؤا وان قالوا لا مكان لها . قيل لهم وكيف يكون شيء فى العالم لا مكان له فيه ولا حامل

(قال أبو محمد) ويلزمهم ان المعدومات اذا كانت أشياء لا عدد لها ولا نهاية ولا مبدأ فانها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد ان تكون اشياء لا تحصى كثرة لم تزل مع الله تعالى ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس

(قال ابو محمد) وقد ادعوا ان المعدوم يعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لاسيا ممن اقر بان المعدوم

لاشيء

لاشيء وادعي مع ذلك انه يعلم فالزمناهم على ذلك انهم يعلمون لاشيء وان الله تعالى يعلم لاشيء فجسر بعضهم علي ذلك فقلنا له ان قولك علمت لاشيء وعلم الله تعالى لاشيء ملائم لقولك لم اعلم شيئا ولقولك لم يعلم الله تعالى شيئا لافرق بين معنى القضيتين البتة بل هما واحد وان اختلفت العبارتان واذ هو كذلك فقد صح ان المعدوم لايعلم فان الزمنا على هذا وسالنا هل يعلم الله تعالى الا شيئا قبل كونها أم لا قلنا لم يزل الله تعالى يعلم ان مايخلقه ابدا الى مالا نهاية له فانه سيخلقه و يرتبه على الصفات التى يخلقها فيها اذا خلقه وانة سيكون شيئا اذا كونه ولم يزل عز وجل يعلم ان مالم يخلق بعد فليس هو شيئا حتى يخلقه ولم يزل تعالى يعلم انه لاشيء معه وانه ستكون الاشياء اشياء اذا خلقها لانه تعالى انما يعلم الاشياء علي ماهي عليه لاعلى خلاف ماهى عليه لان من علمها على خلاف ماهى عليه فلم يعلمها بل جهلها وليس هذا علما بل هو ظن كاذب وجهل وبرهان هذا قول الله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو فى لغة العرب التى خاطبنا الله تعالى بها حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح انه تعالى لم يسمعهم لانه لم يعلم فيهم خيرا او لاخير فيهم فصح أن المعدوم لايعلم أصلا ولو علم لكان موجود اوانما يعلم الله تعالى ان لفظة المعدوم لامسمى لها ولا شيء تحتها و يعلم عز وجل الآن ان الساعة غير قائمة وهو الآن تعالى لا يعلمها قائمة بل يعلم انه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وساعة ويوم جزاء ويوم بعث وشيئا عظيما حين يخلق كل ذلك لا قبل ان يخلقه فاما علمه تعالى بانه سيقيمها فتقوم فهو مرجود حق فهذا معنى اطلاق العلم على مالم يكن بعد من المعدومات كما اننا لا نعلم الآن الشمس طالعة طلوعها فى غد بل نعلم انها ستطلع غدا وكذالك لا نعلم موت الاحياء الان بل نعلم ان الله تعالى سيخلق موتهم فنعلمه موتا لهم اذا خلقه لاقبل ذلك وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهذا نص جلى على ان المعدوم لايعلم لأن الله تعالى اخبر انه لايدخل الجنة من لايعلمه الله تعالى مجاهدا ولا صابرا فصح ان من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه الله تعالى قط مجاهدا ولاصابرا ولا علم له جهادا ولا صبرا وانما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالى يعلم ان من كان منهم سيجاهد وسيصبر فانه لم يزل يعلم انه سيجاهد وسيصبر فاذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابرا مجاهدا والعلم لايستحيل لانه ليس شيئا غير البارى تعالى وانما استحال المعلوم فقط . ثم نسالهم هل يعلم الله تعالى لحية الاطلس وقنا الافطس ام لايعلم ذلك وهل يعلم الله تعالى اولاد العقيم وايمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب ام لايعلم شيئا من ذلك . فان قالوا انه تعالى يعلم كل ذلك كانوا قد وصفوا الله تعالى بالجهل وانه يعلم الاشياء بخلاف ماهى عليه وان قالوا انه تعالى لايعلم للعقيم اولادا وانما يعلمه لاولد له ولا يعلم لحية الاطلس بل يعلمه غير ذى لحية صدقوا وعادوا الى الحق وبالله تعالى التوفيق

* (الكلام فى المعانى على معمر) *

(قال ابو محمد) واما معمر ومن اتبعه فقالوا انا وجدنا المتحرك والساكن فايقنا ان معنى حدث في المتحرك به فارق الساكن في صفته وان معنى حدث فى الساكن به ايضا فارق المتحرك في صفته وكذلك علمنا ان فى الحركة معنى به فارقت السكون وان فى السكون معنى به فارق الحركة وكذلك علمنا ان فى ذلك المعنى الذى به خالفت الحركة السكون معنى به فارق المعنى الذى به فارقه السكون وهكذا ابدا اوجبوا أن فى كل شيء في هذا العالم من جوهر او عرض اى شيء كان معانى فارق كل معنى منها كل ماعداه فى العالم وكذلك ايضا فى تلك المعاني لانها اشياء موجودة متغايرة واوجبوا بهذا وجود اشياء فى زمان محدد فى العالم لانهاية لعددها

(قال ابو محمد) هذه جملة كل ما شغبوا به الا انهم فصلوها ومدوها في الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفي غير ذلك مما هو المعنى الذي اوردناه بعينه ولا زيادة فيه اصلا

(قال ابو محمد) وهذا ليس شيئا لاننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق العالم كله قسمان جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد ولا ثالث في العالم غير هذين القسمين هذا امر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التي هي اشخاصها يعني بالغيرية فيها وتختلف ايضا بجنسها وهي ايضا مفترق بعضها من بعض بالعرض المحمول في كل حامل من الجواهر وأما الاعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها وكذلك هذه ايضا بعضها مغاير لبعض بذواتها وبعضها مفارق لبعض بذواتها وان كان بعض الاعراض ايضا قد تحمل الاعراض كقولنا حمرة مشرقة وحمرة كدرة وعمل سيء وعمل صالح وقوة شديدة وقوة دونها في الشدة ومثل هذا كثير الا ان كل هذا يقف في عددمتناه لا يزيد وهذا امر يعلم بالحس والعقل فالمتحرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ويفارقها السكون بذاته وبالنوعية والغيرية والحركة الى الشرق تفارق الحركة الى الغرب بكون هذه الى الشرق وكون هذه الى الغرب بذاته وبالغيرية فقط وهكذا في كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما يلي الاشخاص فانهما يختلفان بغيريتهما فان كانا وقعا تحت نوعين فانهما يختلفان بالغيرية في الشخص وبالغيرية في النوع أيضا والغيرية ايضا لهانوع جامع لجميع اشخاصها الا ان كل ذلك واقف عند حد من العدد لا يزيد ولا بد ثم نسالهم خبرونا عن المعاني التي تدعونها في حركة واحدة اهي اقلة أم كثرة أم المعاني التي تدعونها في حركتين فان أثبتوا اقلة وكثرة تركوا مذهبهم واوجبوا النهاية في المعاني التي نفوا النهاية عنها وان قالوا لا اقلة ولا كثرة هاهنا كابروا وأتوا بالمحال الناقض ايضا لاقوالهم لانهم اذا أوجبوا للحركة معنى اوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبدا فوجبت الكثرة والقلة ضرورة لا محيد عنها

(قال ابو محمد) فلم يكن لهم جواب أصلا الا أن بعضهم قال اخبرونا اليس الله تعالى قادرا على ان يخلق في جسم واحد حركات لا نهاية لها

(قال ابو محمد) فجواب اهل الاسلام في هذا السؤال نعم واما من عجز ربه فاجابوا بلا فسقط هذا السؤال عنهم وكان سقوط الاسلام عنهم بهذا الجواب اشد من سقوط سؤال اصحاب معمر

(قال ابو محمد) فتمادى سؤالهم لاهل الحق فقالوا فاخبرونا ايما اكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلق الحركات في جسمين او ما يقدر عليه من خلق الحركات في جسم واحد فكان جواب أهل الحق في ذلك انه لا يقع عدد على معدوم ولا يقع العدد الا على موجود معدود والذي يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئا ولا له عدد ولا هو معدود ولا نهاية لقدرة الله تعالى واما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه ان له نهاية ولا انه لا نهاية له واما كل ما خلق الله تعالى فله نهاية بعد وكذا كل ما يخلق فاذا خلقه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك واما المعاني التي تدعونها فانكم تدعون انها موجودة قائمة فوجب ان يكون لها نهاية فان نفيتم النهاية عنها لحقتم باهل الدهر وكلمناكم بما كلمناهم به مما قد ذكرناقبل وبالله تعالى التوفيق ثم لو تثبت لكم هذه العبارة من قول القائل ان ما يقدر الله تعالى عليه لا نهاية لعدده وهذا لا يصح بل الحق في هذا ان نقول ان الله تعالى قادر على ان يخلق ما لا نهاية له في وقت ذي نهاية ومكان ذي نهاية ولو شاء ان يخلق ذلك في وقت غير ذي نهاية ومكان غير ذي نهاية لكان قادرا على كل ذلك لما وجب من ذلك اثبات ما ادعيتم من وجود معان في وقت واحد لا نهاية لها اذ ليس هاهنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وانما هو قياس منكم اذ قلتم لما كان قادرا على ان يخلق ما لا نهاية له قلنا انه قد خلق ما لا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقا لكان هذا منه باطلا لانه بزعمكم

قياس موجود علي ومعدوم قياس وتشبيه لماقد خلقه بزعمكم على مالم يخلقه وهذا في غاية الفساد ولافرق بينكم فى هذا القياس الفاسد وبين من يقول ان في بلد كذا قوما يشمون من عيونهم ويسمعون من انوفهم ويذوقون من آذانهم ويبصرون من السنتهم فاذا كذب فى ذلك وسئل برهانا علي دعواه قال اتقرون ان الله قادر علي خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل علي صحة دعواى بل انتم اسوأ حالا لان هذا أخبر عن متوهم لوكان كيف كان يكون فانتم تخبرون عن غير متوهم فى النفس ولامتشكل فى العقل وهو اقراركم بوجود معان لانهاية لمددها فى وقت واحد

﴿قال ابو محمد﴾ فبطل هذا القول الفاسد والحمد لله رب العالمين وكان يكفى من بطلانها انها دعوي لا برهان علي صحتها وهى دعوى فاسدة غير ممكنة بل هى محال لا يتوهم ولا ولا يتشكل وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام فى الاحوال مع الاشعرية ومن وافقهم﴾

﴿قال ابو محمد﴾ واما الاحوال التى ادعتها الاشعرية فانهم قالوا ان ههنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا ولاهى مخلوقة ولاغير مخلوقة ولاهي موجودة ولامعدومة ولاهى معلومة ولاهى مجهولة ولاهى أشياء ولاهى لاأشياء ، وقالوا من هذا علم العالم بان له علما ووجوده لوجوده مايجده قالوا فان قلتم ان لكم علما بان لكم علما بالبارى تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجودا لوجودكم ما تجدونه سالناكم ألكم علم بعلمكم بان لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم ووجودكم ماتجدونه ، فان أقررتم بذلك لزمكم ان تسلسلوا هذا أبدا الى مالانهاية له ودخلتم في قول أصحاب معمر والدهرية : وان منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم مامنعتم من ذلك وصحة ايجابكم ماأوجبتم من ذلك ، وكذلك قالوا فى قدم القديم وحدوث المحدث وبقاء الباقي وفناء الفاني وظهور الظاهر وخفاء الخافى وقصد القاصد ونية الناوى وزمان الزمان ومأشبه ذلك وقالوا لوكان للباقى بقاء ولبقاء الباقى بقاء وهكذا أبدا الى مالانهاية له قالوا فهذا يوجب وجود اشياء لانهاية لها وهذا محال ، وهكذا قالوا فى قدم القديم وقدم قدمه وقدم قدم قدمه الى مالانهاية له وفى حدوث احد حدوث حدوثه وحدوث حدوث حدوثه الى مالانهاية له ، وهكذا قالوا في زمان الزمان وزمان زمان الزمان الى مالانهاية له وفى فناء الفاني وفناء فناء فنائه مالانهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره الى مالانهاية له وكذلك القصد والقصد الى القصد والقصد الى القصد وهكذا الى مالانهاية وكذلك النية والنية للنية والنيه للنية الى مالانهاية له وكذلك تحقيق الحق وتحقيق تحقيق الحق الى مالانهاية له

(قال ابو محمد) أفكار السوء اذا ظن صاحبها انه يدقق فيها فهى أضر عليه لانها تحرجه الى التخليط الذى ينسبونه الى السوفسطائية والى الهذيان المحض وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

(قال ابو محمد) والكلام فى هذا أبين من ان يشكل على عامى فكيف علي فهم (١) فكيف على عالم والحمد لله ونحن نتكلم على هذا ان شاء الله عزوجل كلاما ظاهرا لاتحالا يخفى على ذى حس سليم وبالله تعالى نتايد فنقول وبالله تعالى التوفيق . أما القدم فانه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ اقدم من شيخ اي انه متقدم بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس فى العالم قدم قديم الازماني هذا هو حكم اللغة التى لا يوجد فيها غيره أصلا ، فالقدم هو التقدم والتقدم متقدم على غيره بنفسه فقط لان القدم موجود معلوم وهى صفة المتقدم فلا يجوز انكاره واما قدم القدم فباطل لانه لم يات به نص ولا قام بوجوده دليلا وما كان هكذا فهو باطل واما وجود الموجود فبضرورة الحس ان الموجود حق وانه يقتضى واجد وان الوجد يقتضى وجودا لما وجد هو فعل الواجد وصفته

(١) فهم كحذر كثير الفهم

فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجد بذاته لابوجود هو غيره لان وجود الوجود لم يات به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل ، وأما البارى عزوجل فانه يجد نفسه ويعلمها ويجد ما دونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ولا بعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضى علما ولا بد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضا بيقين ويزيد ويذهب ويثبت اطوارا هذا مالا شك فيه والعالم منا يعلم انه يحمل علما بعلمه ذلك لا بعلم هو غير علمه لان العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقى مثاله بلاشك والبقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة وهذا معنى صحيح لا يجوز ان ينكره عاقل فاما بقاء البقــاء فلم يات بايجاب وجود نص ولا قام به برهان وما كان هكذا فهو باطل ولا يجوز ان يوصف الله تعالى ببقاء البقاء ولا انه (١) باق كما لا يوصف بالخلد ولا بانه خالد ولا بالدوام ولا بانه دائم ولا بالثبات ولا بانه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لان الله عزوجل لم يسم نفسه بشيء من ذلك لا فى القرآن ولا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا قام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لان كل ماذكرنا من صفات المخلوقين ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين الا ان ياتى نص بان يسمى باسم مافيوقف عنده ولان كل ماذكرنا اعراض فيما هو فيه والله تعالى لا يحمل الاعراض وايضا فانه عز وجل لا فى زمان ولا يمر عليه زمان ولا هو متحرك ولا ساكن لكن يقال لم يزل الله تعالى ولا يزال ، واما الفناء فانه مدة للعدم تعدها اجزاء الحركات والسكون ولا يجوز ان تكون للمدة مدة لكنها مدة فى نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لانه محسوس معلوم واما القول بزمان الزمان فهو شيء لم يات به نص ولا قام بصحته برهان وما دن هكذا فهو باطل ، واما ظهور الظاهر فهو متيقن معلوم والظهور صفة الظاهر وفعله تقول ظهر يظهر ظهورا والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولا يجوز ان يقال ان للظهور ظهورا لانه لم يات به نص ولا قام بصحته برهان وماكان هكذا فهو باطل ، واما خفاء الخافى فهو عدم ظهوره والعدم ليس شيئا كما قدمنا ، واما القصد الى الشيء والنية له فانما هما فعل القاصد والناوى وارادتهما الشيء والقول بهما واجب لانهما موجودان بالضرورة يجدهما كل واحد من نفسه ويعلمهما من غيره علما ضروريا واما القصد الى القصد والنية للنية فباطل لانه لم يات به نص ولا اوجبهما دليل وماكان هكذا فهو باطل والقول به لا يجوز فهذا اوجه البيان فيما خفي عليهم حتى أتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم اخبرونا اذا قلتم هذه احوال أهى معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ام ليست معانى اصلا ولا لها مسميات ولا هى مضبوطة ولا محدودة متميز بعضها من بعض ، فان قالوا ليست معانى ولا محدودة ولا مضبوطة ولا متميزا بعضها من بعض ولا لتلك الاسماء مسميات اصلا ، قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقا فلم قلتم انها ليست معدومة ثم لم سميتموها احوالا وهى معدومة ولا تكون التسمية الا شرعية اولغوية وتسميتكم هذه المعانى احوالا ليست تسمية شرعية ولا لغوية ولا مصطلحا عليها لبيان مايقع عليه فهى باطل محض بيقين ، فان قالوا هى معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجود ولا بد فلم قلتم انها ليست موجودة وهذا مالا مخلص لهم منه و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ويقال لهم ايضا هذه الاحوال التى تقولون امعقولة هي أم غير معقولة فان قالوا هى معقولة كانوا قــد اثبتوا لهــا معانى وحقائق من اجلها عقلت فهى موجودة ولا بد والعدم ليس معقولا لكنه لامعني لهذه اللفظة أصلا وبالله تعالى التوفيق ، ويقال لهم ايضا هل الاحوال فى اللغة

(١) ولا أنه اى بقاء البقاء باق

وفي

وفي المعقول الا صفات لذي حال وهل الحال في اللغة الا بمعني التحول من صفة الى اخرى يقال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالامس وكيف يكون الحال غدا فاذا الامر هكذا ولابد فهذه الاحوال موجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وانه من اسخف الهذيان والمحال الممتنع الذى لايرضى به عاقل ، و يقال لهم ايضا قبل كل شيء وبعده فمن اين سميتم هذا الاسم يعني الاحوال ومن اين قلتم لاهى معلومة ولاهي مجهولة ولا حق ولا باطل ولامخلوقة ولاغير مخلوقة ولامعدومة ولا موجودة ولا هى أشياء ولاغير اشياء أى دليل حداكم على هذا الحكم أقرآن أمسنة ام اجماع أم قول متقدم أم لغة ام ضرورة عقل ام دليل اقناعى ام قياس فهاتوه ولا سبيل اليه فلم يبق الا الهذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان و يسال عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل المعقول لمن قال بهذا الجنون ولامز يد ونعوذ بالله من الخذلان ، ومايبنغى لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتى بمالا يعقل ككون الجسم فى مكانين والجسمين فى مكان واحد وكون شيء قائما قاعدا وكون أشياء غير متناهية فى وقت واحد فان قالوا هذا كفر قيل لهم بل الكفر ماجئتم به لانه ابطال الحقائق كلها والعجب كل العجب انهم لايجوزون قدرة الله تعالى على ماهو محال عندهم وقد أتوا فى هذا الفصل بعين المحال ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلامهم فى هذه المساله كلام ماسمع باسخف منه ولا قول السوفسطائية ولاقول النصارى ولا قول الغالية على ان هذه الفرق احمق الفرق اقوالا اما السوفسطائية فانهم قطعوا على ان الاشياء باطل لاحق أو انها حق عند من هى عنده حق و باطل عند من هي عنده باطل ، وأما النصارى والغالية فان كانت هاتان الفرقتان قد اتتا بالعظائم فانهم قطعوا بانها حق ، وأما هؤلاء المخاذيل فانهم اتوا بقول حققوه وابطلوه ولم يحققوه ولا ابطلوه كل ذلك معا فى وقت واحد من وجه واحد وهذا لاياتى به الا مبرسم (١) او مجنون أو ماجن يريد أن يضحك من معه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ونحن نتكلف بيان هذا التخليط التى اتو به وان كان مكتفيا بسماعه ولكن التزيد من ابطال الباطل ما أمكن حسن فنقول و بالله تعالى التوفيق ان قولهم لاهي حق ولا هى باطل فان كل ذى حس سليم يدرى أن كل مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فهو حق هذا لايعقل غيره . فكيف وقد قال الله تعالى ＊ فماذا بعد الحق الا الضلال ＊ وقال تعالى ليحق الحق و يبطل الباطل ＊ وقال تعالى ＊ هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ＊ وقال تعالى ＊ خلق كل شيء فقدره ＊ وقال تعالى ＊ انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ＊ وقال ＊ فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم ＊

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهؤلاء قوم ينتمون الي الاسلام و يصدقون القرآن ولولا ذلك ماحتججنا عليهم فقد قطع الله تعالى انه ليس الا حق او باطل وليس الا علم اوجهل وهو عدم العلم وليس الاوجود اوعدم وليس الا شيء مخلوق او الخالق او لفظة العدم التى لاتقع علي شيء ولا علي مخلوق فقد اكذبهم الله عز وجل فى دعواهم ولا يشك ذو حس سليم ان مالم يكن باطلا فهو حق ومالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن معلوما فهو مجهول ومالم يكن مجهولا فهو معلوم ومالم يكن شيئا فهو لاشيء ومالم يكن لاشيء فهو شيء ومالم يكن موجودا فهو معدوم وما لم يكن معدوما فهو موجود ومالم يكن مخلوقا فهوغير مخلوق ومالم يكن غير مخلوق فهو مخلوق ، هذا كله معلوم ضرورة ولايعقل غيره ، فاذ هذا كذلك ولا فرق بين ماقالوه فى هذه القضية و بين القول اللازم لهم ضرورة وهو . ان تلك الاحوال معدومة موجودة معا حق باطل معا معلومة مجهولة معا مخلوقة غير مخلوقة معا شيء لاشيء معا وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه ، لانهم اذ قالوا ليست حقا

(١) لمبرسم الذى يهذى من علة البرسام وهى الحمى من الجدري

فقد اوجبوا انها باطل واذ قالوا ولاهى باطل فقد اوجبوا انها حق وهكذا فى سائر ماقالوه ، فاعجبوا المعقول وسع هذا فيها وسخموا به ورقهم ، وعجب آخر وهو قولهم ان هاهنا احوالا ولفظة هاهنا معناها الاثبات بلا شك فهى موجودة ثابتة بلاشك ﴿قال ابو محمد﴾ ولم يخلصوا من هذا من قول معمر فى وجوب وجود اشياء لانهاية لها او ان يصيروا الى قولنا فى ابطال هذه التى يسمونها أحوالا واعدامها جملة وما نعلم هوسا الا وقد انتظمته هذه المقالة ونعوذ بالله من الخذلان * ومسئلة أخرى

قالت الاشعرية ليس فى العالم شيء له بعض أصلا ولا شيء له نصف ولا ثلث ولا ربع ولا خمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشر ولا جزء اصلا واحتجوا فى هذا بان قالوا يلزم من قال ان الواحد عشر العشرة وجزء من العشرة وبعض العشرة ان يقول ولا بد ان الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسه وانه جزء لغيره عشر لغيره لان العشرة تسعة وواحد فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضا للعشرة وجزأ للعشرة لكان عشرا لنفسه وللتسعه التى هى غيره ولكان جزأ بعضا لنفسه وللتسعه التى هى غيره

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خبط شديد أول ذلك انه رد على الله تعالى مجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بل لجميع اللغات ومكابرة للعقول وللحواس قال تعالى * واذا خلا بعضهم الى بعض * وقال تعالى * يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال تعالى * فلامه الثلث ، فلامه السدس ، فلها ، النصف ، ولهن الربع ، ولهن الثمن * فقد كذبوا القرآن نصا ثم هذا موجود فى كل طبيعة وفى كل لغة ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم لافرق بينكم و بين من صحح ولم ينكر كون الشيء بعض نفسه و بعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيره واحتج فى تصحيح ذلك بالحجة التى رمتم بها ابطال ذلك ولا مزيد ، وكلا كما متسكع (١) في ظلمة الخطا ، ثم نقول لهم ـ وبالله تعالى التوفيق ـ ليس الامر كما ظننتم بل الاسماء موضوعة للتفاهم ولتمييز بعض المسميات من بعض ،فالعشرة اسم للعشرة افراد مجتمعات فى العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية واثنين ولسبعة وثلاثة ولستة وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى * ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * وهكذا جميع الاعداد لاينكر ذلك الا مخذول منكر للمشاهدة ، فبالضرورة ندري ان كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها وقسم منها لنسبة ماولا يقال هو جزء لنفسه ولاجزء لغيره ولا انه بعض لنفسه ولا انه بعض لغيره ولا عشر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هـذا البلق الذى هو اسم لاجتماع السواد والبياض معا فالبياض البلق والسواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسواد ولا بعضا لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للباق ، وكذلك الانسان اسم للجملة المجتمعة من اعضائه ولاشك في ان العين بعض الانسان وجزء من الانسان ولايحتمل ان يقال العين بعض نفسها وبعض الاذن واليد ولا ان يقال الاذن جزء لنفسها وللعين والانف وهكذا فى سائر الاعضاء ، فعلى قول هؤلاء النوكى (٢) يلزمهم ان لاتكون العين بعض الانسان وان يقولوا ان العين بعض نفسها وبعض الاذن ، ومن ابطل الابعاض والاجزاء فقد ابطل الجمل لان الجمل ليست شيئا البتة غير ابعاضها ومن ابطل الجمل فقدا بطل الكل والجزء وابطل العالم بكل مافيه واذا بطل العالم بطل الدين والعقل ، وهذه حقيقة السفسطة ومانعلم فى الاقوال احمق من هذه المسالة ومن التى قبلها نعوذ بالله من الخذلان

(١) المتسكع المتعسف فى مشيه والذى لايهتدى فى امره والمتحير والمتمادى في الباطل
(٢) النوكى كالحمقى وزنا ومعنى جمع انوك كاحمق

(الكلام فى خلق الله عز وجل للعالم فى كل وقت وزيادته في كل دقيقة)

(قال ابو محمد) وذكر عن النظام انه قال ان الله تعالى مايخلق كل ماخلق فى وقت واحد دون ان يعدمه وأنكر عليه القول بعض أهل الكلام

(قال ابو محمد) وقول النظام هاهنا صحيح لاننا اذا اثبتنا ان خلق الشيء نفسه فخلق الله تعالى قائم فى كل موجود ابدا مادام ذلك الموجود موجودا وايضا فانا نسالهم مامعنى قولكم خلق الله تعالى امر كذا فجوابهم ان معني خلقه انه تعالى اخرجه من العدم الى الوجود فنقول لهم اليس معني هذا القول منكم انه اوجده ولم يكن موجودا فلا بد من قولهم نعم . فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق فالخلق هو الايجاد عندكم بلاشك فاخبرونا أليس الله تعالى موجدا لكل موجود ابدا مدة وجوده فان أنكروا ذلك أحالوا واوجبوا ان الاشياء موجودة وليس الله تعالى موجدا لها الآن وهذا تناقض وان قالوا نعم فان الله تعالى موجد لكل موجود ابدا مادام موجودا قلنا لهم هذا هو الذى انكرتم بعينه قد اقررتم به لان الايجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجد لكل مايوجد فى كل وقت ابدا وان لم يفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لكل مخلوق فى كل وقت وان لم يفنه قبل ذلك وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وصح البرهان بان الله تعالى خلق التراب والماء الذى يتغذى آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء واحاله الله تعالى منيا فثبت بهذا يقينا ان جميع اجساد الحيوان والنوامى كلها منفرقة ثم جمعها الله تعالى فقام منها الحيوان والنوامى وقال عز وجل * ثم أنشاناه خلقا آخر * وقال تعالى خلقا من بعد خلق * فصح ان فى كل حين يحيل الله تعالى أحوال مخلوقاته فهو خلق جديد والله تعالى يخلق فى كل حين جميع العالم خلقا مستانفا دون ان يفنيه وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى الحركة والسكون)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى أنه لاحركة فى العالم وان كل ذلك سكون واحتجوا بان قالوا وجدنا الشيء ساكنا فى المكان الاول ساكنا فى المكان الثانى وهكذا أبدا فعلمنا ان كل ذلك سكون ، وهذا قول منسوب الى معمر بن عمرو العطار مولى بنى سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبت طائفة الى أن لاسكون اصلا وانما هى حركة اعتماد ، وهذا قول ينسب الى ابراهيم بن سيار النظام ، واحتج غير النظام من اهل هذه المقالة بان قالوا السكون انما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئا ، وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلا ولا هو معنى ، وذهبت طائفة الى ابطال الحركة والسكون معا ، وقالوا انما يوجد متحرك وساكن فقط وهو قول ابى بكر بن كيسان الاصم ، وذهبت طائفة الى ان الجسم فى اول خلق الله تعالى ليس ساكنا ولا متحركا ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون الا انها قالت ان الحركات اجسام ، وهو قول هشام بن الحكم شيخ الامامية وجهم بن صفوان السمرقندى ، وذهبت طائفة الى اثبات الحركة والسكون وان كل ذلك اعراض ، وهذا هو الحق . فاما من قال بنفى الحركة وان كل ذلك سكون فقولهم يبطل باننا قد علمنا بان السكون انما هو اقامة فى المكان ، وان الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ، ولاشك فى ان الزوال عن الشيء هو غير الاقامة فيه ، فاذ الامر كذلك فواجب ان يكون لهذين المعنيين المتغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كاهما متغايران ، فاتفق فى اللغة ان يسمى احدهما حركة ويسمي الآخر سكونا وأما قولهم ان كل حركة فهى سكون فى المكان الثانى فليس كذلك ، لان السكون اقامة لانقلة فيها فاذا وجدت نقلة متصلة لااقامة فيها فهى غير الاقامة التى لا نقلة فيها ، ونوع آخر له أيضا اشخاص غير اشخاص

النوع الآخر ، وبيقين ندرى ان الشيء المتحرك من مكان الى مكان فانه وان جاوز كل مكان يمر عليه فانه غير واقف ولا مقيم ، هذا مالا شك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس ، فصح ان الحركة معنى وان السكون معنى آخر ، وأما من قال ان السكون حركة اعتماد فاحتجاج لا يعقل فلا وجه للاشتغال به ، وأما حجة من احتج بان السكون عدم الحركة والعدم ليس شيئا فليس كما قال ، لانه عقب الحركة اقامة موجودة ظاهرة فهى وان كان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هى عدما كما ان القيام معنى صحيح موجود وان كان قد عدمت معه سائر الحركات والاعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع ، ويقال لهم وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معنى لانها عدم السكون فهذا مالا انفكاك عنه وكذلك من قال أيضا ان المرض ليس معنى لانه عدم الصحة والصحة ليست معنى لانها عدم المرض ومثل هذا كثير جدا وفى هذا ابطال الحقائق كلها وأما من قال ان الترك ليس معنى فخطأ لان كل من دون الله تعالى فانه ان ترك معنى ما وفعلا مافلا بدله ضرورة من فعل آخر ومعنى آخر هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح ان ترك من دون الله تعالى لفعل ماهو أيضا فعل صحيح بوجوده منه سمى تاركا لما ترك وليس الله تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكن بذلك فاعلا للترك لان ترك الانسان للفعل كما بينا عرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائما به تعالى ومعاذ الله من هذا من أن يكون عز وجل حاملا لعرض فلو كان أيضا قائما بنفسه لكان جوهرا والترك ليس جوهرا ولو كان قائما بغيره عز وجل لكان تعالى فاعلا له غير تارك ، فصح الفرق وبالله تعالى التوفيق ، وأما من أبطل الحركة والسكون معا فقول فاسد أيضا ، لانه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدرى كل ذى حس سليم ان من تحرك سكن ، فان تلك العين المتحركة ثم الساكنة هى عين واحدة وذات واحدة لم تتبدل ذاتها وانما تبدل عرضها المحمول فيها ، فبالضرورة ندرى أنه حدث فيه أوله اومنه معنى من أجله استحق أن يسمى متحركا وانه حدث فيه أوله أومنه أيضا معنى من أجله استحق أن يسمى ساكنا ، ولولا ذلك لم يكن بان يسمى متحركا احق به منه بان يسمى ساكنا ، هذا أمر محسوس مشاهد ، فذلك المعنى هو الحركة أو السكون فصح وجودهما ضرورة ، ولا فرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ونفى الحركة والسكون ، ولا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضرب والاكل والقيام ، وهذه سفسطة صحيحة وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الجسم فى أول خلق الله عز وجل له ليس ساكنا ولا متحركا فكلام فاسد أيضا لانه لا يتوهم ولا يعقل معنى ثالث ليس حركة ولا سكونا وهذا لا يتشكل في النفس ولا يثبته عقل ولا سمع ، وأيضا فلانه قول لا دليل عليه فهو باطل ، ولا شك فى أن الله تعالى اذا خلق الجسم فانما يخلقه فى زمان ومكان فاذا لا شك فى ذلك فالجسم فى أول حدوثه ساكن فى المكان الذى خلقه الله تعالى فيه ولو طرفة عين ، ثم اما أن يتصل سكونه فيه فتطول اقامته فيه ، واما أن ينتقل عنه فيكون متحركا عنه ، فان قال قائل بل هو متحرك لانه خارج عن العدم الى الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة ، لان الحركة فى اللغة وهى التى يتكلم عليها أنما هى نقلة من مكان الى مكان ، والعدم ليس مكانا ولم يكن المخلوق شيئا قبل أن يخلقه الله تعالى فحال خلقه هى أول احواله التى لم يكن هو قبلها فكيف ان يكون له حال قبلها فلم ينتقل اصلا بل ابتدأه الله تعالى الان ، واما الجسم الكلى الذى هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلى فكل جزء منه مقدر مفروض فان أجزاءه ، المحيطة به من أربع جهات والجزء الذى يليه فى جهة عمق الفلك هو مكانه ، ولا مكان له فى الصفحة التى تلى الاجزاء التى ذكرنا ، والله تعالى يمسكه بقوته كما يشاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء اصلا ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت لبعض النوكى ممن ينتمى الى الكلام قولا ظريفا ، وهو انه قال ان الله تعالى اذ

خلق الارض خلق جرما عظيما يمسكها لئلاتتحدر سفلا فحين خلق ذلك الجرم اعدمه وخلق آخر وهكذا ابدا بلانهاية لانه زعم لو بقاه وقتين لاحتاج الى مسك وهكذا ابدا الى مالا نهاية له كان هذا الانوك لم يسمع قول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده * فصح ان الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد لازيادة ولا جرم آخر، ولو ان هؤلاء المخاذيل اذ عدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله بما لا علم لهم به لكان اسلم لهم في الدين والدنيا، ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من الضلال، اما من قال ان الحركات اجسام فخطأ، لان الجسم في اللغة موضوع للطويل العريض العميق ذي المساحة، وليست الحركة كذلك فليست جسما ولا يجوز ان يوقع عليها اسم جسم اذ لم يات ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا اوجبه دليل واوضح انها ليست جسما فهي بلاشك عرض، واما من قال ان الحركة ترى فقول فاسد، لانه قد صح ان البصر لا يقع في هذا العالم الا على لون في ملون فقط، وبيقين ندري ان الحركة لا لون لها فاذ لا لون لها فلا سبيل الى ان ترى، وانما علمنا كون الحركة لا بنا رأينا الون المتحرك في مكان ما، ثم رأيناه في مكان آخر فعلمنا ان ذلك الملون قد انتقل عن مكان الى مكان بلاشك، وهذا المعنى هو الحركة، او بان يحس الجسم قد انتقل من مكان الى مكان فيدري حينئذ من لامسه وان كان أعمى او مطبق العينين انه تتحرك، وبرهان ما قلنا ان الهواء لما لم يكن له لون لم يره احد وانما يعلم تموجه وتحركه بملاقات فانه منتقل وهو هبوب الرياح، وكذلك ايضا علمنا حركة الصوت باحساسنا الصوت ياتي من مكان ما الى مكان ما، وكذلك القول في الحركة في المشموم من الطيب والنتن وحركة المذوق، فبطل قول من قال ان الحركات ترى، وصح ان الحركة ليست لونا ولا لها لون ولو كان هذا الامكن لاخر ان يدعي ان الحركة انه يسمع الحركة وهذا خطأ، لانه لا يسمع الا الصوت ولامكن لاخر ان يدعي ان الحركة تلمس وهذا خطأ، وانما يلمس المجسة من الخشونة والاملاس او غير ذلك من المجسات، والحق من هذا انما هو ان الحركة تعرف وتوجد بتوسط كل ما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق.

﴿ قال ابو محمد ﴾ والحركات النقلية المكانية تنقسم قسمين لا ثالث لهما، اما حركة ضرورية او اختيارية، فالاختيارية هي فعل النفوس الحية من الملائكة والانس والجن وسائر الحيوان كله، وهي التي تكون الى جهات شتى على غير رتبة معلومة الاوقات، وكذلك السكون الاختياري والحركة الضرورية تنقسم قسمين لا ثالث لهما اما طبيعية واما قسرية، والاضطرارية هي الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه اليها، واما الطبيعية فهي حركة كل شيء غير حي مما بناه الله عليه كحركة الماء الى وسط المركز، وحركة الارض كذلك، وحركة الهواء والنار الى مواضعها، وحركة الافلاك والكواكب دورا، وحركة عروق الجسد النوابض، والسكون الطبيعي هو سكون كل ما ذكرنا في عنصره، واما القسرية فهي حركة كل شيء دخل عليه ما يحيل حركته عن طبيعته او عن اختياره الى غيرها، كتحريك المرء قهرا وتحريكك الماء علوا والحجر كذلك، وكتحريكك النار سفلا والهواء كذلك، وكتصعيد الهواء، كعكس الشمس لحر النار، والسكون القسري هو توقيف الشيء في غير عنصره، او توقيف المختار كرها، وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في التولد ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ تنازع المتكلمون في معنى عبروا عنه بالتولد وهو انهم اختلفوا فيمن رمي سهما فجرح به انسانا او غيره، وفي حرق النار وتبريد الثلج وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات، فقالت طايفة ما تولد من ذلك عن فعل انسان او حي فهو فعل الانسان والحي، واختلفوا فيما تولد من غير حي فقالت طائفة هو فعل الله، وقالت طائفة ما تولد من غير حي فهو فعل الطبيعة، وقال آخرون كل ذلك فعل الله عز وجل.

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول .

﴿ قال ابو محمد ﴾ والامرأ بين من ان يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين والصواب فى ذلك : ان كل ما فى العالم من جسم أو عرض فى جسم او اثر من جسم فهو خلق الله عز وجل ، فكل ذلك فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة الى ما ظهرت منه من حي أو جماد قال تعالى * فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * فنسب عز وجل الاهتزاز والانبات والربو الى الارض وقال * تلفح وجوههم النار * فاخبر تعالى ان النار تلفح وقال تعالى * وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه * فاخبر عز وجل ان الماء يشوى الوجوه وقال تعالى * ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة * فسمي تعالى المخطىء قاتلا واوجب عليه حكما وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله ، وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * فاخبر تعالى ان الكلم والعمل عرض من الاعراض وقال تعالى أفا من مات او قتل انقلبتم * وقال تعالى * على شفا جرف هار فانهار به * ولم تختلف امة ولا لغة فى صحة قول القائل مات فلان وسقط الحائط فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت الى الميت ، والسقوط الى الحائط ، والانهيار الى الجرف ، لظهور كل ذلك منها ليس فى القرآن ولا فى السنن ولا فى العقول شيء غير هذا الحكم ، ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالى وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الامم وعلى جميع عقولهم ، وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ومن لا دين له ولا عقل ولا حياء ولا علم ، وصح بكل ما ذكرنا ان اضافة كل أثر في العالم الى الله تعالى هى على غير اضافته الى من ظهر منه ، فاما اضافته الى الله تعالى فلانه خلقه ، وأما اضافته الى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاخبارات وكلتا هاتين الاضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك ، لانه لا فرق بين ما ظهر من حى مختار أو من غير حى مختار فى أن كل ذلك ظاهر مما ظهر منه ، وانه مخلوق لله تعالى ، الا ان الله تعالى خلق فى الحى اختيارا لما ظهر منه ، ولم يخلق الاختيار فيما ليس حيا ولا مريداً ، فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل الله عز وجل بمعنى انه خلقه ، وهو فعل ما ظهر منه بمعنى أنه ظهر منه ، قال الله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * وقال تعالى * افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وهذا نص قولنا وبالله تعالى التوفيق .

﴿ الكلام فى المداخلة والمجاورة والكمون ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب القائلون بان الالوان اجسام الى المداخلة ومعنى هذه اللفظة ان الجسمين يتداخلان فيكونان جميعاً فى مكان واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كلام فاسد لما سنبينه ان شاء الله تعالى فى باب الكلام في الاجسام والاعراض من ديواننا هذا وبالله تعالى التوفيق من ذلك ان كل جسم فله مساحة واذا كان كذلك فله مكان زائد ، واذله مكان بقدر مساحته ولا بد ، فان كل جسم زيد عليه جسم آخر فان ذلك الجسم الزائد يحتاج الى مكان زائد من اجل مساحته الزائدة ، هذا امر يعلم بالمشاهدة فان اختلط الامر على من لم يتمرن فى معرفة حدود الكلام من اجل ما يرى فى الاجسام المتخلخلة من تخلل الاجسام المايعة لها ، فانما هذا الان فى خلال اجزاء تلك الاجسام المتخلخلة خروقا صغارا مملوءة هواء ، فاذا صب عليها الماء او مائع ما ملا تلك الخروق وخرج عنها الهواء الذى كان فيها ، وهذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصوت من كل ما يخرج عنه الهواء مسرعا والذى ذكرنا فانه اذا تم خروج الهواء عنه وزيد فى عدد المائع ربا واحتاج الى مكان زائد واما الذى ذكرنا قبل فانه فى الاجسام المكتنزة كماء صب على ماء او دهن على دهن او دهن على ماء وهكذا فى كل شيء من هذه الانواع وغيرها ،

فصح

فصح يقينا ان الجسم انما يكون فى الجسم على سبيل المجاورة كل واحد فى حيز غير حيز الآخر، وانما تكون المداخلة بين الاعراض والاجسام وبين الاعراض والاعراض ، لان العرض لايشغل مكانا فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحر والبرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بعضه بعضا ، ولايمكن ان يكون جسم واحد فى مكانين ولاجسمان فى مكان واحد ، ثم ان المجاورة بين الجسمين تنقسم اقساما احدها ان يخلع احد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخر ، كنقطة رميتها فى دن خل اودن مرق اوفى لبن اوفى مداد اوشيء يسير من بعض هذه فى بعض اومن غيرها كذلك ، فان الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كيفياته نفسه الذاتية والغيرية ، والثانى ان يخلع كل واحد منهما كيفياته الذاتية والغيرية ويلبسا معا كيفيات اخر ، كماء الزاج اذا جاور ماء العفص ، وكجسم الجير اذا جاور جسم الزرنيخ ، وكسائر المعاجن كلها والدقيق والماء وغير ذلك ، والثالث ان لايخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت اضيف الى ماء كحجر الى حجر وثوب الى ثوب ، فهذا حقيقة الكلام فى المداخلة والمجاورة * واما الكمون فان طائفة ذهبت الى ان النار كامنة فى الحجر وذهبت طائفة الى ابطال هذا وقالت انه لا نار فى الحجر اصلا وهو قول ضرار بن عمرو

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل طائفة منهما فانها تفرط على الاخرى فيما تدعى عليها ، فضرار ينسب الى مخالفيه انهم يقولون بان النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة فى النواة ، وان الانسان بطوله اوعرضه وعمقه وعظمه كامن فى المنى ، وخصومه ينسبون اليه انه يقول ليس في النار حر ولافى العنب عصير ولافى الزيتون زيت ولا فى الانسان دم .

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والمعقول ، والحق فى ذلك ان فى الاشياء ماهو كامن كالدم فى الانسان والعصير فى العنب والزيت فى الزيتون والماء فى كل مايعتصر منه ، وبرهان ذلك ان كل ماذكرنا اذا خرج مما كان كامنا فيه ضمر الباقى لخروج ماخرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذى خرج ، ومن الاشياء ما ليس كامنا كالنار فى الحجر والحديد ، لكن فى حجر الزناد والحديد الذكر قوة اذا تضاغطا احتدم مابينهما من الهواء فاستحال نارا ، وهكذا يعرض لكل شيء منحرق فان رطوباته تستحيل نارا ثم دخانا ثم هواء اذ فى طبع النار استخراج ناريات الاجسام وتصعيد رطوباتها حتى يفنى كل ما فى الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ، ثم لو نفخت دهرك على ما بقى من الارضية المحضة وهى الرماد لم يحترق ولا اشتعل اذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصعد ، وكذلك دهن السراج فانه كثير الناريات بطبعه فيستحيل باقيه من المائية اليسيرة دخانا هوائيا وتخرج ناريته حتى يذهب كله ، واما القول فى النوى والبزور والنطف ، فان فى النواة وفى البزر وفى النطفة طبيعة خلقها فى كل ذلك الله عز وجل ، وهى قوة تجتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبزر ، فتحيل كل ذلك الى ما فى طبعها احالته اليه فيصير عودا ولحاء وورقا وزهرا وثمرا وخوصا وكرما ، ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعته التى خلقها الله تعالى فيه لحما ودما وعظما وعصبا وعروقا وشرائين وعضلا وغضاريف وجلدا وظفرا وشعرا وكل ذلك خلق الله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وذهب الباقلانى وسائر الاشعرية الا انه ليس فى النار حر ولا فى الثلج برد ولا فى الزيتون زيت ولا فى العنب عصير ولا فى الانسان دم ، وهذا امر ناظرنا عليه من لاقيناه منهم . والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وانكارهم مايعرف بالحواس وضرورة العقل ، ثم هم يقولون مع هذا : ان

للزجاج والحصاطعما ورائحة ، وان لقشور العنب رائحة ، وان للفلك طعما ورائحة . وهذا احدى عجائب الدنيا ﴿ قال ابو محمد ﴾ وما وجدنا لهم فى ذلك حجة غير دعوام ان الله تعالى خلق كل حر نجده فى النار عند مسنا اياها وكذلك خلق البرد فى الثلج عند مسنا اياه وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط ﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا تعلقوا من هذا بحواسهم فمن اين قالوا ان للزجاج طعما ورائحة وللفلك طعما ورائحة وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم فى احدهما ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم لعل الناس ليس فى الارض منهم أحد وانما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لامصارين فيها ورؤسكم لا ادمغة فيها لكن الله عز وجل خلق كل ذلك عند الشدخ والشق ﴿ قال ابو محمد ﴾ وقول الله تعالى يكذبهم اذ قال تعالى * يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم * فلولا أن النار تحرق بحرها ماكان يقول الله عز وجل * قل نار جهنم اشد حرا لوكانوا يفقهون * فصح ان الحر فى النار موجود وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نار جهنم اشد حرا من نارنا هذه سبعين درجة وقال تعالى * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * فاخبر ان الشجرة تنبت بها وقال تعالى * ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا * فصح ان السكر والعصير الحلال ماخوذ من الثمر والاعناب ولولم يكونا فيهما ما أخذا منهما وقد اطبقت الامة كلها على انكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلى من العسل وامر من الصبر وأحر من النار ونحمد الله على السلامة

﴿ الكلام فى الاستحاله ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتج الحنيفيون ومن وافقهم في قولهم ان النقطة من البول والخمر تقع فى الماء فلا يظهر لها فيا اثر انها باقية فيه بجسمها ، الا ان أجزاءها دقت وخفيت عن ان تحس ، وكذلك الحبر يرمى فى اللبن فلا يظهر له فيه اثر ، وكذلك الفضة اليسيرة تذاب فى الذهب فلا يظهر لها فيه اثر ، وهكذا كل شيء قالوا لوان ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار اقوى على الاحالة بلا شك ، ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلتم انتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث أن تظهر الخمر ، وهكذا فى كل شيء قالوا فظهرت صحة قولنا ولزمكم ان كلما كثر الماء ضعفت احالته وهكذا فى كل شيء ﴿ قال ابو محمد ﴾ فقلنا لهم ان الامور انما هى على مارتبها الله عز وجل وعلى ماتوجد عليه لا على قضاياكم المخالفة للحس . ولاينكر ان يكون مقدار مايفعل فعلا ما فاذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع فاذا زيد فيه أو نقص منه لم ينفع . ونحن نقرمعكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول ان مقدار اما من الماء يحيل مقدارا ما يلقي فيه من الخل أو الخمر أو العسل ولايحيل أكثر منه مما يلقى فيه . ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى اذا كثر الهواء المستحيل من الماء بل أحال الهواء ماء ، وهكذا كل ماذكرتم ، وانما العمدة هاهنا هى ماشهدت به أوائل العقول والحواس من ان الاشياء انما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التى منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغات أسماؤها فللماء صفات وطبائع اذا وجدت فى جرم ماسمى ماء ، فاذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء ، وهكذا كل ما في العالم ولا نحاشى شيئا أصلا ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه فى العسل أو فى الخمر ، وهكذا كل شيء فى العالم فاكثره يستحيل بعضه الى بعض ، فاى شيء وجدت فيه حدود شيء ماسمى باسم مافيه تلك الحدود واذا استوفاها كلها ، فان لم يستوف الا بعضها وفارق أيضا شيئا من صفاته الذاتية فهو حينئذ شيء غير الذى كان وغير الذى مازج ، كالعسل الملقى فى الابارج ونقطة مداد فى لبن وماأشبه ذلك ، وهذه رتبة العالم فى مقتضى المعقول وفيما تشاهد الحواس والذوق والشم واللمس ، ومن دفع هذا خرج عن المعقول ، ويلزم الحنيفيين

من هذا اجتناب ماء البحر لان فيه على عقولهم عذرة وبول لاورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الانهار أولها عن آخرها نعم وماء المطر أيضا نجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة والكبش يسقى خمرا ان ذلك كله قد استحال عن صفات كل ذلك وطبعه الى لحم للدجاج والكبش فحل عندنا وعندم ولوكثر تغذيها به حتى تضعف طبيعتها عن احالته فوجد فى خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم أكله وهذاهو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معنا فى ان الثمار والبقول تتغذى بالعذرة وتستحيل فيها مدةانها قد حلت وهذا هو الذى أنكروه نفسة وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الطفرة ﴾

(قال ابو محمد) نسب قوم من المتكلمين الى ابراهيم النظام انه قال ان المار على سطحا لجسم يسير من مكان الى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولامر عليها ولاحاذاها ولاحل فيها

(قال أبو محمد) وهذا عين المحال والتخليط الاان كان هذا على قوله فى انه ليس فى العالم الا جسم حاشا الحركة فقط فانه وانكان قد أخطا فى هذه القصة فكلامه الذى ذكرنا خارج عليه خروجا صحيحا لان هذا الذى ذكرنا ليس موجود البتة الافى حاسة البصر فقط وكذلك اذا أطبقت بصرك ثم فتحته لاقى نظرك خضرة السماء والكواكب التى فى الافلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على أقرب ما يلاصقه من الالوان لاتفاضل بين الادراكين فى المدة أصلا فصح ضرورة ان خلا البصر لوقطع المسافة التى بين الناظر وبين الكواكب ومرعليها لكان ضرورة بلوغه اليها فى مدة أطول من مدة مروره على المسافة التى ليس بينه وبين من يراه فيها الايسيرا وأقل فصح يقينا ان البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرئى قرب أوبعد دون ان يمر فى شيء من المسافة التى بينهما ولا يحلها ولا يجازيها ولا يقطعها وأما فى سائر الاجسام فهذا محال الاترى انك تنظر الى الهدم والى الضرب القصار بالثوب فى الحجر من بعدفتراه ثم يقيم سويعة وحينئذ تسمع صوت ذلك الهدم وذلك الضرب فصح يقينا ان الصوت يقطع الاماكن وينتقل فيها وان وان البصر لايقطعها ولاينتقل فيها فاذا صح البرهان بشيء مالم يعترض عليها الاعديم عقل أوعديم حياء أوعديم علم أوعديم دين وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الانسان ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس فى هذا الاسم على مايقع فذهبت طائفة الى انه انما يقع على الجسد دون النفس وهو قول أبى الهذيل العلاف وذهبت طائفة الى انه انما يقع على النفس دون الجسد وهو قول ابراهيم النظام وذهبت طائفة الى انه انما يقع عليهما معا كالبلق الذي لايقع الا على السواد والبياض معا

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتجت الطائفة التى ذكرنا بقول الله عز وجل * خلق الانسان من صلصال كالفخار * وبقول الله تعالى * فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * وبقوله تعالى * ايحسب الانسان ان يترك سدا الم يك نطفه من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وبآيات أخر غير هذه وهذه بلاشك صفة للجسد لاصفة للنفس لان الروح انما تنفخ بعد تمام خلق الانسان الذى هو الجسد واحتجت الطائفة الاخرى بقوله تعالى * ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا * وهذا بلا خلاف صفة النفس لاصفة الجسد لان الجسد موات والفعالة هى النفس وهى المميزة الحية حاملة لهذه الاخلاق وغيرها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس احدهما اولى بالقول من الآخر ولا يجوز

ان يعارض أحدهما بالآخر لان كليهما من عند الله عز وجل وما كان من عند الله فليس بمختلف قال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاذ كل هذه الآيات حق فقد ثبت ان للانسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضا على الجسد دون النفس ويقع ايضا على كليهما مجتمعين فنقول فى الحى هذا انسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا انسان وهو جسد لا نفس فيه ونقول ان الانسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم يعنى النفس دون الجسد وامامن قال انه لا يقع الا على النفس والجسد معا فخطا يبطله الذي ذكرنا من النصوص التى فيها وقوع اسم الانسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى الجواهر والاعراض وما الجسم وما النفس ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اختلف الناس فى هذا الباب فذهب هشام بن الحكم الى انه ليس في العالم الا جسم وان الالوان والحركات أجسام واحتج أيضا بان الجسم اذا كان طويلا عريضا عميقا فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضا فاذا وجب ذلك للون فاللون أيضا طويل عريض عميق وكل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء الا الحركات فانه قال هى خاصة اعراض وذهب ضرار بن عمرو الى أن الاجسام مركبة من الاعراض وذهب سائر الناس الى ان الاجسام هى كل ماكان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان وان كل ماعداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو مجسة فعرض * وذهب بعض الملحدين الى نفى الاعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة

﴿قال أبو محمد ﴾ أما الجسم فمتفق على وجوده وأما الاعراض فاثباتها بين واضح بعون الله تعالى وهو اننا لم نجد في العالم الا قائما بنفسه حاملا لغيره أو قائما بغيره لا بنفسه محمولا في غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلا لمكان يملاه ووجدنا الذى لا يقوم بنفسه لكنه محمول فى غيره لا يشغل مكانا بل يكون الكثير منها فى مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لا يمكن وجود شىء في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ماذكرنا فاذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا ان القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذى لا يشغل مكانا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبر عنه ليقع التفاهم بيننا فاتفقنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسما واتفقنا على ان سمينا مالا يقوم بنفسه عرضا وهذا بيان برهانى مشاهد * ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الالوان والجسم قائم بنفسه فبينا نراه ابيض صار أخضر ثم احمر ثم اصفر كالذي نشاهده فى الثمار والاصباغ فبالضرورة نعلم ان لذي عدم وفنى من البياض والخضرة وسائر الوان هو غير الذي بقى موجودا لم يفن وانهما جميعا غير الشيء الحامل لها لانه لو كان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه فدل بقاؤه بعده على انه غيره ولا بد اذ من المحال الممتنع ان يكون الشيء معدوما موجودا فى حالة واحدة فى مكان واحد فى زمان واحد وايضا فان الاعراض هى الافعال من الاكل والشرب والنوم والجماع والمشى والضرب وغير ذلك فمن انكر الاعراض فقد اثبت الفاعلين وأبطل الافعال وهذا محال لاخفاء به ولا فرق بين من اثبت الفاعلين ونفى الافعال وبين من أثبت الافعال ونفى الفاعلين وكل الطائفتين مبطلة لما يشاهد بالحواس ويدرك بالعقل سوفسطائيون حقا لان من الاعراض مايدرك بالبصر وهو اللون اذ مالا لون له لا يدرك بالشم كالنتن والطيب ومنها مايدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحه ومنها مايدرك باللمس كالحر والبرد ومنها مايدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وجفوته ومنها مايدرك بالعقل كالحركة والحمق والعقل

والعدل

والعدل والجور والعلم والجهل فظهر فساد قول مبطلى الاعراض يقينا والحمد لله رب العالمين فاذ قد صح كل ما ذكرنا فانما الاسماء عبارات وتمييز للمسميات ليتوصل بها المخاطبون الى تفاهم مراداتهم من الوقوف على المعانى وفصل بعضها من بعض ليس للاسماء فائدة غير هذه فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه الشاغل لمكانه الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول الذى لا يشغل مكانا اسما آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسميين عن الآخر وان لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصطلحنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل للمكان جسما واتفقنا على ان سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضاً لانه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق المشاهد بالحس المعروف بالعقل وما عدا هذا فهذيان وتخليط لا يعقله قائله فكيف غيره فصح بهذا كله وجود الاعراض و بطلان قول من أنكرها وصح أيضا بما ذكرنا ان حد اللون والحركة وكل مالا يقوم بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فاذ ذلك كذلك فلا جسم الا القائم بنفسه وكل ما عداه فعرض فلاح بهذا صحة قول من قال بذلك و بطل قول هشام والنظام وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاج هشام بوجود الطول والعرض والعمق الذى توهمها فى اللون فانما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس للون طول ولا عرض ولا عمق وكذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك انه لو كان للجسم طول وعرض وعمق وكان للون طول غير طول الملون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق آخر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهما الى مكان آخر غير مكان الآخر اذ من أعظم المحال الممتنع أن يكون شيئان طول كل واحد منهما ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعا فى واحد ليس هو الا ذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هذا فى الطعم والرائحة والمجسة لان كل هذه الصفات توجد من كل جهة من جهات الجسم الذى هى فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم حتى يكون الشىء لا طعم له وتذهب الرائحة حتى يصير الشىء لا رائحة له ومساحته باقية بحسبها فصح يقينا ان المساحة للملون والذى له الرائحة والطعم والمجسة لا للون ولا للطعم مكان ولا للرائحة ولا للمجسة وقد نجد جسما طويلا عريضا عميقا لا لون له وهو الهواء ساكنة ومتحركة وبالضرورة ندرى انه لو كان له لون لم يزد ذلك فى مساحته شيئا

﴿ قال أبو محمد ﴾ فان بلغ الجهل بصاحبه الى أن يقول ليس الهواء جسما سألناه عما فى داخل الزق المنفوخ ما هو وعما يلقى الذى يجرى فرسا جوادا بوجهه وجسمه فانه لا شك فى انه جسم قوى متكثر محسوس و برهان آخر * وهو ان كل أحد يدرى ان الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منهما طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضا الى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا مسلسلا الى مالا نهاية له وهذا باطل فبطل قول ابراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق وأما قول ضرار ان الاجسام مركبة من الاعراض فقول فاسد جدا لان الاعراض قد صح كما ذكرنا انها لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها وصح ان الاجسام ذات أطوال وعروض وأعماق وقائمة بانفسها ومن المحال ان يجتمع مالا طول له ولا عرض ولا عمق مع مثله فيتقوم منها ماله طول وعرض وعمق وانما غلط فيها من توهم ان الاجسام مركبة من السطوح وان السطوح مركبة من الخطوط والخطوط مركبة من النقط

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا خطأ على كل حال لان السطوح المطلقة فانما هى تناهى الجسم وانقطاعه فى تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط واما الخطوط المطلقة فانما هى تناهى جهة السطح وانقطاع تماديها وأما النقط فهى تناهى

جهات الجسم من أحدنهاياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الابعاد انما هي عدم التمادي من المحال ان يجتمع عدم فيقوم منه موجود وانما السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة فانما هي أبعاض الجسم وأجزاؤه ولا تكون الاجزاء أجزاء الابعد القسمة فقط على مانذكر بعدهذا ان شاء الله تعالى

(قال أبو محمد) وذهب قوم من المتكلمين الى اثبات شيء سموه جوهرا ليس جسما ولا عرضا وقد ينسب هذا القول الى بعض الاوائل وحد هذا الجوهر عندمن أثبته انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لا يتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزى وحده بعض من ينتمي اليه الكلام بانه واحد بذاته لاطول له ولا عرض ولا يتجزي وقالوا انه لا يتحرك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحدا فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسمة

(قال أبو محمد) وكلا هذين القولين والقول الذي اجتماعاليه في غاية الفساد والبطلان أولا من قال ذلك أنها كلها دعاوى مجردة لا يقوم على صحة شيء منها دليل أصلا لا برهاني ولا اقناعي بل البرهان العقلي والحسي يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز احد ان يدعي ماشاء وماكان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى نتايد واما نحن فنقول انه ليس في الوجود الا الخالق وخلقه وأنه ليس الخلق الا جوهرا حاملا لاعراضه واعراضا محمولة في الجوهر لا سبيل الى تعدى أحدهما عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ونجمع ان شاء الله تعالى كل شيء أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهو لا جسم ولا عرض ونبين ان شاء الله تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا في سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) حققنا ماأوقع عليه بعض الاوائل ومن قلدهم اسم جوهر وقالوا انه ليس جسما ولا عرضا فوجدناهم يذكرون الباري تعالى والنفس والهيولى والعقل والصورة وعبر بعضهم عن الهيولى بالطينة وبعضهم بالخميرة والمعنى في كل ذلك واحد الا ان بعضهم قال المراد بذلك الجسم متعريا من جميع اعراضه وابعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشيء الذى منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم في الخالق أوفي انكاره وزاد بعضهم في الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزالا عندهم يعني بالخلا المكان المطلق لا المكان المعهود ويعني بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود

(قال أبو محمد) وهذه أقوال ليس شيء منها لمن ينتمي الى الاسلام وانما هي للمجوس والصابئين والدهرية والنصارى في تسميتهم الباري تعالى جوهرا فانهم سموه في أمانتهم التي لا يصح عندهم دين الملكي ولا لنسطوري ولا ليعقوبي ولا لهاروني الا باعتقادها والا فهو كافر بالنصرانية قطعا حاشا تسميته الباري تعالى جوهرا فانه للمجسمة أيضا وحاشا القول بان النفس جوهر لا جسم فانه قدقال به المعطار أحد رؤساء المعتزلة وأما المنتمون الى الاسلام فان الجوهر ليس جسما ولا عرضا ليس هو عندهم شيئا الا الاجزاء الصغار التي لا تتجزؤا اليها تنحل الاجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الاوائل أيضا فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحدا سمى جوهرا ليس جسما ولا عرضا وغيرها الا ان قوما جهالا يظنون في القوى الذاتية انها جواهر وهذا جهل منهم لانها بلا خلاف محمولة فيما هي غير قائمة بنفسها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف

﴿قال أبو محمد﴾ فاما الخلا والمدة فقد تقدم افسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفي كتابنا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الالهي لمحمد بن زكريا الطبيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هذا المعنى بابين شرح والحمد لله رب

العالمين

العالمين كثيرا وأثبتنا في صدر كتابنا هذا وهنالك انه ليس في العالم خلا البتة وانه كله كرة مصمتة لاتخلل فيها وانه ليس وراءها خلاء لا ملاء ولاشيء البتة وان المدة ليست للامد أحدث الله الفلك بما فيه من الاجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبينا في كتاب التقريب لحدود الكلام ان الالة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التي تدخل في احليل من به أسر البول براهين ضرورية بتحقيق ان لا خلاء في العالم أصلا وان الخلاء عند القائلين به انما هو مكان لا تمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لانه لو خرج الماء من الثقب الذي في أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقي مكانه خالياً بلا متمكن فيه فاذا لم يمكن ذلك أصلا ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقياً لا ينهرق حتى اذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والالة متخذة لمن به أسر البول فانه اذا حصلت تلك في داخل الاحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق ليقها الى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج اذلم يخرج لبقي ثقب الآلة خاليا لاشيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا في صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكان فاغني عن اعادته فان قال قائل فالماء الذي اخترعه الله عز وجل معجزة من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمر الذي اخترع له والثريد الذي في اخترع له من أين اخترعه وهي أجسام محدثة والعالم عندكم ملأ لاخلاء فيه ولا تخاخل ولا يكون الجسمان في مكان واحد قلنا وبالله تعالى التوفيق لايخلو هذا من أحد وجهين لا ثالث لهما اما أن يكون الله عز وجل أعدم من الهواء مقدار ما اخترع فيه من التمر والماء والثريد واما أن يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا فالله أعلم أي ذينك كان والله على كل شيء قدير فسقط قولهم في الخلا والمدة والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما الصورة فكيفية بلاشك وهي تخليط الجواهر وتشكلها الا انها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لا تفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب أنواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشيء عن تثليث الى تربيع ونحو ذلك فصح انها عرض بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم في انه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك انه يقبل الاشد والاضعف فنقول عقل أقوى من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمق ولا خلاف في الجواهر انها لا ضد لها وانما التضاد في بعض الكيفيات فقط وقد اعترض في هذا بعض من يدعي له علم الفلسفة فقال ليس في العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت الذي ذكر لي هذا البحث ان هذه سفسطة وجهل لو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره ان يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشيء من الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهي باب واحد كله وانما هي صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما ان النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز وكذلك الجواهر لا تقبل الاشد والاضعف في ذواتها وهذا أيضاً قول كل من له أدنى فهم من الاوايل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام ما يحسن به المغبة في دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهذا أيضا جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل * أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها * وقال تعالى * كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون * وقال تعالى * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا * وقال تعالى * ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * وقال تعالى *

واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لايعلمون . وقال تعالى : ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * فصح ان العقل هو الايمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير * ومثل هذا فى القرآن كثير فصح ان العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلا شك وانما غلط من غلط في هذا لانه رأى لبعض الجهال المخلطين من الاوائل ان العقل جوهر وان له فلكا فعول على ذلك من لاعلم له وهذا خطأ كما أوردنا وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان لفظة العقل عربية أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخرى يعبر بها فى اليونانية أو فى غيرها من اللغات عمايعبر بلفظة العقل عنه فى اللغة العربية هذا مالاخفاء به عند أحد ولفظة العقل في لغة العرب انما هى موضوعة لتمييز الاشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة انها معبرة بها عن عرض وكان مدعى خلاف ذلك ردىء العقل عدم الحياء مباهتا بلا شك ولقد قال بعض النوكى الجهال لو كان العقل عرضا لكانت الاجسام أشرف منه فقلت للذى أتانى بهذا وهل للجوهر شرف الا باعراضه وهل شرف جوهر قط على جوهر الا بصفاته لا بذاته هل يخفى هذا على أحد ثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لا يخالفوننا في انها اعراض فعلى مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الاجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى وأما الهيولى فهو الجسم نفسه الحامل لاعراضه كلها وانما أفردته الاوائل بهذا الاسم اذ تكلموا عليه مفردا فى الكلام عليه عن سائر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا فى الكلام عليه خاصة عن اعراضه وان كان لاسبيل الى أن يوجد خاليا عن أعراضه ولا متعريا منها أصلا ولا يتوهم وجوده كذلك ولا يتشكل فى النفس ولا يتمثل ذلك أصلا بل هو محال ممتنع جملة كما ان الانسان الكلى وجميع الاجناس والانواع ليس شىء منها غير اشخاصه فقط فهى الاجسام باعيانها ان كان النوع نوع أجسام وهى أشخاص الاعراض ان كان النوع نوع أعراض ولا مز يدلان قولنا الانسان الكلى يزيد النوع انما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء اخر وقولنا الحمرة الكلية انما معناه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من اهل الجهل ان الجنس والنوع والفصل جواهر لا أجسام وبالله تعالى التوفيق لكن الاوائل سمتها وسمت الصفات الاوليات الذاتيات جوهريات لاجواهر وهذا صحيح لانها منسوبة الى الجواهر لملازمتها لها وانها لاتفارقها البتة ولا يتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق فبطل قولهم فى الخلاء والمدة والصورة والعقل والهيولى والحمد لله رب العالمين واما البارى تعالى فقد أخطأ من سماه جوهرا من المجسمة ومن النصارى لان لفظة الجوهر لفظة عربية ومن اثبت الله عز وجل ففرض عليه اذا قرانه خالقه والاهه ومالك امره الا يقدم عليه فى شىء الا بعهد منه تعالى والا يخبر عنه الا بعلم متيقن ولا علم ههنا الا ما اخبر به عز وجل نفط فصح يقينا ان تسمية الله عز وجل جوهرا والاخبار عنه بانه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه واخبار عنه تعالى بالكذب الذى لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمى به نفسه وهذا اقدام لم ياتنا قط به برهان باباحته وايضا فان الجوهر حامل لاعراض ولو كان البارى تعالى حاملا لعرض لكان مركبا عن ذاته واعراضه وهذا باطل واما النصارى فليس لهم ان يتصوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضعها فبطل ان يكون تعالى جوهرا لبراءته عن حد الجواهر وبطل ان يسمى جوهرا لانه تعالى لم يسم نفسه به وبالله تعالى التوفيق فبطل قول من سمى الله تعالى جوهرا واخبر عنه انه تعالى جوهر ولله تعالى الحمد فلم يبق الا النفس والجزء الذى لا يتجزأ ونحن ان شاء الله تعالى نتكلم فيها كلاما مبينا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(قال أبو محمد) اختلف الناس فى النفس فذكر عن أبى بكر عبد الرحمن بن كيسان الاصم انكار النفس جملة وقال لا أعرف الا ما شاهدته بحواسى وقال جالينوس وأبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ثم اختلفا فقال جالينوس هى مزاج مجتمع متولد من تركيب اخلاط الجسد وقال أبو الهذيل هي عرض كسائر أعراض الجسم وقالت طائفة النفس هى النسيم الداخل الخارج بالتنفس فهى النفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فهو غير النفس وهذا قول الباقلانى ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة النفس جوهر ليست جسما ولا عرضا ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا هى فى مكان ولا تتجزأ وانها هى الفعالة المدبرة وهى الانسان وهو قول بعض الاوائل وبه يقول معمر بن عمرو العطار أحد شيوخ المعتزلة وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالميعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد

(قال أبو محمد) وبهذا نقول والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمى واحد ومعناهما واحد

(قال أبو محمد) اما قول أبى بكر ابن كيسان فانه يبطله النص وبرهان العقل أما النص فبقول الله تعالى * ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا أنفسكم اليوم الآية * فصح ان النفس موجودة وانها غير الجسد وانها الخارجة عند الموت

(قال أبو محمد) واما البرهان العقلى فاننا نرى المرء اذا أراد تصفية عقله وتصحيح رأيه اوفك مسالة عويصة عكس ذهنه وافرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد جملة وتبرأ منه حتى انه لا يرى من بحضرته ولا يسمع ما يقال أمامه فحينئذ يكون رأيه وفكره اصفى ما كان فصح ان الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند ارادتهما وايضا فالذى يراه النائم مما يخرج حقا على وجهه وليس ذلك الا اذا تخلت النفس عن الجسد فبقى الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى فى الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدي وعمل أذنيه الجسدى وعمل ذوقه الجسدى وكلام لسانه الجسدى فصح يقينا ان العقل المبصر السامع المتكلم الحساس الذائق هو شيء غير الجسد فصح أن المسمى نفسا اذ لا شيء غير ذلك وكذلك ما تتخيله نفس الاعمى والغائب عن الشيء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه في نفسه كما هو فصح يقينا ان ههنا متمثلا مدركا غير الجسد اذ لا أثر للجسد ولا للحواس فى شيء مما ذكرنا البتة ومنها انك ترى المريد يريد بعض الامور بنشاط فاذا اعترضه عارض ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شيء فعلمنا ان ههنا مريدا للاشياء غير الجسد ومنها أخلاق النفس من الحلم والصبر والحسد والعقل والطيش والخرق والنزق والعلم والبلادة وكل هذا ليس لشيء من أعضاء الجسد فاذ لا شك فى ذلك فانما هو كله للنفس المدبرة للجسد ومنها ما يرى من بعض المحصرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحد ما كان ذهنا وأصح ما كان تميزا وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنطق بكل حكمة وأصحهم نظرا وجسده حينئذ فى غاية الفساد وبطلان القوى فصح أن المدرك للامور المدبر للجسد الفعال المميز الحى هو شيء غير الجسد وهو الذى يسمى نفسا وصح ان الجسد مؤد للنفس وانها مذ حلت فى الجسد كانها وقعت في طين مخمر فانساها شغلها بها كلما سلف لها وأيضا فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متماديا وحياته متصلة فى حال نومه وموته ونحن نرى الجسد حينئذ صحيحا سالما لم ينتقص منه شيء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصح ان الفعل والتمييز انما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة وان الفعال الذاكر تدبا بينه وتبرأ منه وأيضا فاننا نرى أعضاء الجسد تذهب عضوا عضوا بالقطع والفساد والقوى باقية بحسبها والاعضاء قد ذهبت وفسدت ونجد الذهن والتدبير والعقل وقوى النفس باقية أوفر ما كان فصح ضرورة ان الفعال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كما ذكرنا وان الجسد

موات فبطل قول ابن كيسان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال أنها مزاج كما قال جالينوس فان كل ماذكرنا مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فانه يبطل أيضا قول جالينوس وأيضاً فان العناصر الاربعة التي منها تركب الجسد وهي التراب والماء والهواء والنار فانها كلها موات بطبعها ومن الباطل الممتنع والمحال الذى لايجوز البتة أن يجتمع موات وموات وموات وموات فيقوم منها حي وكذلك محال أن تجتمع بوارد فيقوم منها حار أو حوار فيجتمع منها بارد أو حي وحي وحي فيقوم منها موات فبطل أن تكون النفس مزاجاً وبالله تعالى التوفيق وأما قول من قال انها عرض فقط وقول من قال انما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء وان الروح هو عرض وهو الحياة فان كلى هذين القولين يبطلان بكل ماذكرنا ابطلال قول الاصم ابن كيسان وأيضا فان أهل هذين القولين ينتمون الى الاسلام والقرآن يبطل قولهم نصا قال الله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فصح ضرورة أن الانفس غير الاجساد وان الانفس هي المتوفاة في النوم والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفي للاجساد أصلا ويقين يدرى كل ذى حس سليم ان العرض لايمكن أن يتوفى فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا مالايكون ولايجوز لان العرض يبطل بمزايلته الحامل له وكذلك لايمكن أن يظن ذو مسكة من عقل ان الهواء الخارج والداخل هو المتوفى عند النوم وكيف ذلك وهو باق في حال النوم كما كان في حال اليقظة ولافرق وكذلك قوله تعالى (والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) فانه لايمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وايضا فان الله عز وجل يقول (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية

(قال أبو محمد) فهذه آية ترفع الاشكال جملة وتبين ان النفس غير الجسد وانما هي العاقلة المخاطبة المكلفة لانه لايشك ذو حس سليم في أن الاجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ماقلنا فكيف وفيها نص ان الاشهاد انما وقع على النفوس وما أدرى كيف تنشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص وكذلك أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى عند سماء الدنيا ليلة أسرى به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنيه فاهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاء عن يساره عليه السلام ومن الباطل ان تكون الاعراض باقية هنالك أو ان يكون النسيم هنالك وهو هواء متردد في الهواء

(قال أبو محمد) ولو كان ماقاله أبو الهذيل والباقلاني ومن قلدهما حقا لكان الانسان يبدل في كل ساعة الف الف روح وأزيد من ثلاثمائة الف نفس لان العرض عندهم لا يبقى وقتين بل يفنى ويتجدد عندهم أبداً فروح كل حي على قولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك وهكذا تتنقل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكذلك بيقين يشاهد كل أحد ان الهواء الداخل بالتنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالتنفس الثاني فالانسان يبدل على قول الاشعرية أنفسا كثيرة في كل وقت ونفسه الان غير نفسه آنفا وهذا حمق لاخفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة والاجماع والمشاهدة والمعقول والحمد لله رب العالمين هذا مع تعريهما من الدليل جملة وانها دعوى فقط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لما يعترض في أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون فقال هذا يخرج على وجهين بان يوضع عرض الحياة في أقل جزء من اجزاء الجسم وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة في عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم ياكله التراب الا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب

قال

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر لانه ليس فى الحديث لا نص ولا دليل ولا اشارة يمكن ان يتاول على ان عجب الذنب يحيا وانما فى الحديث ان عجب الذنب لا يأكله التراب وانه من خلق الجسد وفيه يركب نقط. فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد لله رب العالمين قال الباقلانى واما ان يخلق لتلك الحياة جسد آخر فلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا مذهب أصحاب التناسخ بلا مؤونة واحتج لذلك بالحديث المأثور ان نسمة المؤمن طير يعلف من ثمار الجنة ويأوى الى قناديل تحت العرش وفي بعضها أنها فى حواصل طير خضر

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا حجة لهم فى هذا الخبر لان معنى قوله عليه السلام طائر يعلف هو على ظاهره لا على ظن أهل الجهل وأنما أخبر عليه السلام ان نسمة المؤمن طائر بمعنى أنهما تطير فى الجنة فقط لا أنها تنسخ فى صور طير فان قيل ان النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربي فصيح أنه قال أتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب فقال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيادة التى فيها أنهما فى حواصل طير خضر فانهما صفة تلك القناديل التى تاوى اليها والحديثان معاً حديث واحد وخبر واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين الاعلى دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أوعلى كفر مجرد فى المصير الى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ بالله من الخذلان فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال ان النفس جوهر لا جسم من الاوائل ومعمر وأصحابه فانهم موهوا باشياء اقناعيات فوجب ايرادها ونقضها ليظهر البرهان على وجه الانصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالوا لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك المحرك رجله وبين ارادته تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله اذا النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلوكان المحرك للرجل جسما لكان لا يخلو اما ان يكون حاصلا فى هذه الاعضاء واما جائيا اليها فان كان جائيا اليها احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العصبة التى بها تكون الحركة لم يبق منها فى العضو الذى كان يتحرك شيء أصلا فلو كان ذلك المحرك حاصلا فيه لبقي منه شيء في ذلك العضو

(قال أبو محمد) وهذا لا معنى له لان النفس لا تخلو من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما ان تكون مجللة لجميع الجسد من خارج كالثوب واما أن تكون متخللة بجميعه من داخل كالماء فى المدرة وأما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قواها منبثة في جميع الجسد فاى هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقى فى البعد بلا زمان واذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس مخللا لذلك العضو ان كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذى يبطل حسه فى الوقت وينفصل عنه بلا زمان وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للاناء الذى ملىء ماء وأما أن كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم ان يسلب من العضو المقطوع بل يكون فعلها حينئذ فى تحريكها الاعضاء كفعل حجر المغنطيس فى الحديد وان لم يلصق به بلا زمان فبطل هذا الالزام الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب أن نعلم ببعضها أو بكلها

(قال أبو محمد) وهذا سؤال فاسد نقسيمه والجواب وبالله تعالى التوفيق انها لا تعلم الا بكلها أو ببعضها لان كل

بسيط غير مركب من طبائع شتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته في جميع أبعاضه وفي بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكلها او ببعضها ثم لا ندرى ما وجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ولا ما وجه استدلالهم منه على انها غير جسم ولو عكس عليهم في ابطال دعواهم أنها جوهر لا جسم لما كان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلا وقالوا ان من شان الجسم انك اذا زدت عليه جسما آخر زاد في كميته وثقله قالوا فلو كانت النفس جسما ثم داخلت الجسم الظاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد اذا فارقته النفس أثقل منه اذا كانت النفس فيه

(قال أبو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة لانه ليس كل جسم كما ذكروا من أنه اذا زيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وانما يعرض هذا في الاجسام التي تطلب المركز والوسط فقط يعني التي في طبعها أن تتحرك سفلا وترسب من المائيات والارضيات وأما التي تتحرك بطبعها علوا فلا يعرض ذلك فيها بل الامر بالضد واذا أضيف جسم منها الى جسم ثقيل خففه فانك ترى أنك لو نفخت زقا من جلد ثور أو جلد بعير لو أمكن حتى يمتلىء هواً ثم وزنته فانك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغا أصلا وكذلك ماصعد من الزقاق ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة ونحن نحسد الجسم العظيم الذي اذا أضفته الى الجسم الثقيل خففه جدا فانك لو رميت الزق غير المنفوخ في الماء الرسب فاذا نفخته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لانه يرفعهم عن الماء ويمنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلى لان النفس جسم علوى فلكي أخف من الهواء واطلب للعلو فهي تخفف الجسد اذا كانت فيه فبطل تمويههم والحمد لله رب العالمين وقالوا ايضا لو كانت النفس جسما لكانت ذات خاصية اما خفيفة وأما ثقيلة وأما حارة واما باردة واما لينة واما خشنة

(قال ابو محمد) نعم هي خفيفة في غاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التي بانت بها عن سائر الاجسام المركبات مع سائر أعراضها المحمولة فيها من الفضائل والرذائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فانما هي من اعراض عناصر الاجرام التي دون الفلك خاصة ولكن هذه الاعراض المذكورة مؤثرة في النفس اللذة او الالم فهي منفعلة لكل ما ذكرنا وهذا يثبت انها جسم قالوا انما من كان الاجسام فكيفياته محسوسة ومالم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم وكيفيات النفس انما هي الفضائل والرذائل وهذان الجنسان من الكيفيات ليسا بمحسوسين فالنفس ليست جسما

(قال ابو محمد) وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة لان قولهم ان مالا تحس كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة لا برهان عليها اصلا لا عقلى ولا حسى وما كان هكذا فهو قول ساقط مطروح لا يعجز عن مثله احد ولكننا لا نقنع بهذا دون ان نبطل هذه الدعوى ببرهان حسى ضرورى بعون الله تعالى وهو ان الفلك جسم وكيفياته غير محسوسة واما اللون اللازوردى الظاهر فانما يتولد فيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبدل ذلك اللون بحسب العوارض المتولدة له فمرة تراه أبيض صافي البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصح ان قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق وايضا فان الجسم تتفاضل انواعه في وقوع الحواس عليه فمنه مايدرك لونه وطعمه وريحه ومنه مالا يدرك منه الا المجسة فقط كالهواء ومنها النار في عنصرها لا يقع عليها شيء من الحواس اصلا بوجه من الوجوه وهي جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله فوجب من هذا ان الجسم كل مازاد لطافة وصفاء لم تقع عليه الحواس وهذا حكم النفس وما دون النفس فاكثره محسوس للنفس لا حس البتة الا للنفس ولا حساس الا هي فهي حساسة لا محسوسة ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس ان يكون كل حساس محسوسا فسقط قولهم

جملة

جملة والحمد لله رب العالمين وقالوا ان كل جسم فانه لا يخلوا من ان يقع تحت جميع الحواس او تحت بعضها والنفس لا تقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفا لان ما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر كالهواء وكالنار في عنصرها وان ما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك وما عدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصي والزجاج وما عدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيء من الحواس بل هي المدركة لكل هذه المدركات وهي الحساسة لكل هذه المحسوسات فهي حساسة لا محسوسة وانما تعرف بآثارها وبراهين عقلية وسائر الاجسام والاعراض محسوسة لا حساسة ولابد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس وهي التي تعلم نفسها وغيرها وهي القابلة لاعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرذائل المعلومة بالعقل كقبول سائر الاجرام لما يتعاقب عليها من الاعراض بالعقل والنفس هي المتحركة باختيارها المحركة لسائر الاجسام هي مؤثرة فيها تألم وتلتذ وتفرح وتحزن وتغضب وترضى وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتنتقل وتحل فبطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من أن يقع تحت الحواس أو تحت بعضها لانها دعوى لادليل عليها وكل دعوى عريت من دليل فهي باطلة وقالوا كل جسم فانه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فان كانت النفس جسما فلا بد أن تكون هذه الكيفيات فيها أو يكون بعضها فيها فاي الوجهين كان فهي اذا محاط بها وهي مدركة بالحواس أو من بعضها ولا نرى الحواس تدركها فليست جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا كله صحيح وقضايا صادقة حاشا قضية واحدة ليست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس أو من بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضا افسادنا لها آنفا مع تعريها عن دليل يصححها ونعم فالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بها ذات مكان وزمان لان هذه خواص الجسم ولا بد والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي اذا مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لان حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيء منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ولا على السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفية ولا على الخط وانما تقع حاسة البصر على اللون فقط فان كان في شيء مما ذكرنا لون وقعت عليه حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والا فلا وانما تقع حاسة السمع على الصوت فان حدث في شيء مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمت ذلك المصوت بتوسطه والا فلا وانما تقع حاسة الشم على الرائحة فان كان في شيء مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسة الشم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة والا فلا وان كان لشيء مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والا فلا وان كان في شيء مما ذكرنا مجسة وقعت عليها حاسة اللمس حينئذ وعلمت الملموس بتوسط المجسة والا فلا وقالوا ان من خاصة الجسم أن يقبل التجزى واذا جزىء خرج منه الجزء الصغير والكبير ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين اما أن يكون كل جزء منها نفسا فيلزم من ذلك ان لا تكون النفس نفسا واحدة بل تكون حينئذ أنفسا كثيرة مركبة من أنفس واما أن لا يكون كل جزء منها نفسا فيلزم أن لا تكون كلها نفسا

(قال أبو محمد) أما قولهم ان خاصة الجسم احتمال التجزي فهو صدق والنفس محتملة للتجزى لانها جسم من الاجسام وأما قولهم ان الجزء الصغير ليس كالكبير فان كانوا يريدون المساحة فنعم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم انها ان تجزأت فاما ان يكون كل جزء منها نفساً والزامهم من ذلك انها مركبة من أنفس فان القول الصحيح في هذا ان النفس محتملة للتجزى بالقوة وان كان التجزى بانقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول فى الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزى بالقوة وليس التجزى موجودا في شيء منها بالفعل وأما قولهم انها مركبة من أنفس فشغب فاسد لاننا قد قدمنا فى غير موضع ان المعانى المختلفة والمسميات المتغايرة يجب أن يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره والا فقد وقع الاشكال وبطل التفاهم وصرنا الى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم مركبا والثانى مؤلف من طبيعة واحدة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم بسيطا ليقع التفاهم فى الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الاول لا يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالانسان الجزئى فانه متالف من أعضاء لا يسمى شيء منها انسانا كالعين والانف واليد وسائر أعضائه التى لا يسمى عضو منها على انفراده انسانا فاذا تالفت سمى المتالف منها انسانا ووجدنا القسم الثانى يقع على كل جزء من أجزائه اسم كله كالارض والماء والهواء والنار وكالفلك فكل جزء من النار نار وكل جزء من الماء ماء وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فهو فلك وكل جزء من النفس نفس وليس ذلك موجبا ان تكون الارض مؤلفة من أرضين ولا أن يكون الهواء مؤلفا من أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفا من أفلاك ولا ان تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتى لو قيل ذلك بمعنى ان كل بعض منها يسمى نفسا وكل بعض من الفلك يسمى فلكا لما كان يكون في ذلك ما يعترض به على أنها جسم كسائر الاجسام التى ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا طبع ذات الجسم أن يكون غير متحرك والنفس متحركة فان كانت هذه الحركة التى فيها من قبل البارى تعالى فقد وجدنا لها حركات فاسدة فكيف يضاف ذلك الى البـارى تعالى

(قال أبو محمد) وهذا الكلام فى غاية الفساد والهجنة ولقد كان ينبغى لمن ينتسب الى العلم ان كان يدري مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها أن يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها فكان الاولى به ان يتعلم قبل ان يتكلم فاما قوله ان طبع ذات الجسم ان تكون غير متحركة فقول ظاهر الكذب والمجاهرة لان للافلاك والكواكب اجساما وطبعها الحركة الدايمة المتصلة أبدا الى ان يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وان للعناصر دون الفلك اجساما وطبعها الحركة الى مقرها والسكون فى مقرها وأما النفس فلانها حية كان طبعها السكون الاختيارى والحركة الاختيارية حينا وحينا هذا كله لا يجهله أحد به ذوق وأما قولهم ان لها حركات ردية فكيف تضاف الى البارى تعالى فانما كان بعض حركات النفس رديا بمخالفة النفس أمر باريها فى تلك الحركات وانما أضيفت الى البارى تعالى لانه خلقها فقط على قولنا أولانه تعالى خلق تلك القوى التى بها كانت تلك الحركات فسقط الزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا ايضا ان الاجسام فى طبعها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبدا بلا غاية ليس شيء منها الا هكذا أبدا فهى محتاجة الى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسما لكانت محتاجة الى من يربطها ويحلها فيلزم من ذلك أن تحتاج الى نفس أخرى والاخرى الى أخرى والاخرى كذلك الى مالا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذا أفسد من كل قول سبق من تشغيباتهم لان مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة أما قولهم

ان

ان الاجسام فى طبعها الاستحالة والتغير على الاطلاق كذب لان الفلك جسم لا يقبل الاستحالة وانما تجب الاستحالة والتغيير فى الاجسام المركبة من طبائع شتى بخلعها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها الى عناصرها هكذا مدة ما أيضا ثم تبقى غير منحلة ولا مستحيلة وأما النفس فانها تقبل الاستحالة والتغيير فى أعراضها فيتغير و يستحيل من علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن حرص الى قناعة ومن بخل الى جود ومن رحمة الى قسوة ومن لذة الى ألم هذا كله موجود محسوس واما ان تستحيل فى ذاتها فتصير ليست نفسا فلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب والفلك لا يصير غير فلك وأما قوله ان الاجسام محتاجة الى مايشدها و يربطها و يمسكها فصحيح وأما قوله ان النفس هى الفاعلة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها اقناعى ولا برهانى بل هو تمويه مدلس يجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية وليس كذلك بل النفس من جملة الاجسام المحتاجة الى ما يمسكها و يشدها و يقيمها وحاجتها الى ذلك كحاجة سائر الاجسام التى فى العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك فى النفس وفى سائر الاجسام والممسك لها والحافظ لجميعها والمحيل لما استحال منها فهو المبدى للنفس و لكل مافى العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق البارى المصور عز وجل فبعض أمسكها بطبائعها التى خلقها فيها وصرفها فضبطها لما هى فيه و بعض أمسكها بر باطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لا فاعل لشىء من ذلك دون الله تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك فى صدر كتابنا هذا فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين * وقالوا أيضا كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فان كانت النفس جسما فهى متنفسة اى ذات نفس واما لا متنفسة اى لا ذات نفس فان كانت لا متنفسة فهذا خطأ لانه يجب من ذلك ان تكون النفس لا نفسا وان كانت متنفسة اى ذات نفس فهى محتاجة الى نفس وتلك النفس الى أخرى والاخرى الى أخرى وهذا يوجب مالا نهاية له وما لا نهاية له باطل

(قال أبو محمد) هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة وأما قولهم ان كل جسم فهو اما ذو نفس واما لا ذو نفس فصحيح وأما قولهم ان النفس ان كانت غير متنفسة وجب من ذلك أن تكون النفس لا نفسا فشغب فاسد بارد لا يلزم لان معنى القول بان الجسم ذو نفس انما هو ان بعض الاجسام أضيفت اليه نفس حية حساسة متحركة بارادة مدبرة لذلك الجسم الذى استضافت اليه ومعنى القول بان هذا الجسم غير ذى نفس انما هو انه لم يستضف اليه نفس فالنفس الحية هى المتحركة المدبرة وهى غير محتاجة الى جسم مدبرها ولا محرك لها فلم يجب ان يحتاج الى نفس ولا ان تكون ليست نفسا ولا فرق بينهم فى قولهم هذا و بين من قال ان الجسم يحتاج الى جسم كما قالوا انه يجب ان تحتاج النفس الى نفس أو قال يجب ان يكون الجسم لا جسما كما قالوا يجب ان تكون النفس لا نفسا وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لكان الجسم نفسا

(قال أبو محمد) وهذا من الجهل المفرط المظلم ولو كان القائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يأت بهذه الغثاثة لان الموجبة الكلية لا تنعكس البتة انعكاسا مطرداً الا موجبة جزئية لا كلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الانسان جسما وجب أن يكون الجسم انسانا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون الجسم كلبا وهذا غاية الحمق والقحة لكن صواب القول فى هذا ان يقول لما كانت النفس جسما كان بعض الاجسام نفسا ولما كان الكلب جسما وجب أن يكون بعض الاجسام كلبا وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطرادا صحيحا أبدا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فهى بعض الاجسام واذا كانت كذلك فكلية الاجسام أعظم مساحة منها فيجب أن تكون أشرف منها

﴿قال أبو محمد﴾ عن عدم الحياء والعقل لم يبال بما نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحمق لانها توجب ان الشرف انما هو بعظم الاجسام وكثرة المساحة ولوكان كذلك لكانت القضبة والبلية وكان الحمار والبغل وكدس العذرة أشرف من الانسان المنباء والفيلسوف لان كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت الغرلة أشرف من ناظر العين والالية أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخرة أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم ادى الى مثل هذا نعم فان كثيرا من الاجسام أعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجبا أنها أشرف منها مع ان النفس الرذالة المضربة عما أوجبه التميز وعن طاعة ربها الى الكفر به فكل شيء في العالم اشرف منها و نعوذ بالله من الخذلان وقالوا ان كانت النفس جسما آخر مع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر واذا كان كذلك فالجسم أتم واذا كان أتم فهو أشرف

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا جنون مردد لانه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الاقل والاخص أشرف ولوكان ماقالوه لوجب ان تكون الاخلاق جملة أشرف من الفضائل خاصة لان الاخلاق فضائل وشيء اخر فهي اتم فهي على حملهم السخيف أشرف وهذا مالا يقوله ذوعقل وهم يقرون ان النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لانه نفس وشيء آخر وقد قالوا ان الحي يقع تحت النامي فيلزمهم ان النامي أشرف من الحي لانه حي وشيء آخر وهذا تخليط وحماقة ونعوذ بالله من الوسواس وقالوا أيضا كل جسم يتغذى والنفس لا تتغذى فهي غير جسم

﴿قال أبو محمد﴾ ان كان هؤلاء السخفاء اذا اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف اعظم من سكر الخمر لان سكر الخمر سريع الافاقة وسكر الجهل والسخف بطيء الافاقة اتراهم اذ قالوا كل جسم فهو متغذ ألم يروا الماء والارض والهواء والكواكب والفلك وان كل هذه أجسام عظام لا تتغذى وانما يتغذي من الاجسام النوامي فقط وهي أجساد الحيوان السكان في الماء والارض والشجر والنبات فقط فاذا كان هؤلاء النوكى مالا يتغذى ليس جسما فالارض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كل ذلك جسما وكفى بهذا جنونا وخطا ونحمد الله على السلامة قالوا لوكانت النفس جسما لكانت لها حركة لان لكل جسم حركة ونحن لانرى للنفس حركة فبطل ان تكون جسما

﴿قال أبو محمد﴾ هذه دعوى كاذبة وقد تناقضوا أيضا فيها لانهم قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة وفي بعض حججهم ان الاجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنا قلبوا الامر فظهر جهلهم وضعف عقولهم وأما قولهم لانرى لها حركة فمخرقة وليس كل مالا يرى يجب ان ينكر اذا قام على صحته دليل ويلزمهم اذ أبطلوا حركة النفس لانهم لا يرونها ان يبطلوا النفس جملة لانهم ايضا لا يرونها ولا يسمعونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو ان الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار فحركة الاضطرار هي حركة كل جسم غير النفس هذا مالا يشك فيه فبقيت حركة الاختيار وهي موجودة يقينا وليس في العالم شيء متحرك بها حاشا النفس فقط فصح ان النفس هي المتحركة بها فصح ضرورة أن للنفس حركة اختيارية معلومة بلاشك واذلاشك في أن كل متحرك فهو جسم وقد صح ان النفس متحركة فالنفس جسم فهذا هو البرهان الضروري التام الصحيح لاتلك الوساوس والاهذار ونحمد الله على نعمه عز وجل وقالوا لوكانت النفس جسما لوجب ان يكون اتصالها بالجسم اما على سبيل المجاورة واما على سبيل المداخلة وهي الممازجة

﴿قال أبو محمد﴾ فبعد هذا ماذا و نعم فان النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك اذ لا يمكن ان يكون اتصال الجسمين الا بالمجاورة واما اتصال المداخلة فانما هي العرض والعرض والجسم والعرض على ما بينا قبل وقالوا أيضا ان كانت النفس جسما فكيف يعرف الجسم بمماسة أم غير مماسة

﴿قال أبو محمد﴾ الاجسام كلها حاش النفس موات لا علم لها ولا حس ولا تعلم شيئا وانما العلم والحس للنفس فقط فهي تعلم الاجسام والاعراض وخالق الاجسام والاعراض الذي هو خالقها ايضا بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التميز وقوة العلم التي وضعها فيها خالقها عز وجل وسؤالهم نارد وقالوا أيضا ان كل جسم بدأ في نشوة وغاية ينتهي اليها وأجود مايكون الجسم اذا انتهى الى غايته فاذا أخذ في النقص ضعف وليست الانفس كذلك لانا نرى أنفس المعمرين أكثر ضياء وأنفذ فعلا ونجد أبدانهم اضعف من ابدان الاحداث فلو كانت النفس جسما لنقص فعلها بنقصان البدن فاذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه مقدمة فاسدة الترتيب اما قولهم ان الجسم اجود مايكون اذا انتهى الى غايته فخطأ اذا قيل على العموم وانما ذلك في النوامي فقط وفي الاشياء التي تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر واصناف أجساد الحيوان وللنبات واما الجبال والحجارة والارض والبحار والهواء والماء والافلاك والكواكب فليس لها غاية اذا بلغتها اخذت في الانحطاط وانما يستحيل بعض مايستحيل من ذلك علي سبيل التفتت كحجر كسرته فانكسر ولو ترك لبقي ولم يذبل ذبول الشجر والنبات واجسام الحيوان وكذلك النفس لاتستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وانما تستحيل اعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماء له وكذلك الملائكة والفلك والكواكب والعناصر الاربعة لانماء لها وكل باق على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها اذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء الى عالم الانتهاء الى عالم البرزخ الى عالم الحساب الى عالم الجزاء فتخلد فيه أبدا بلانهاية وهي اذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصفى نظرا وأصح علما كما كانت قبل حلولها في الجسد نسال الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين

﴿قال أبو محمد﴾ هذا ما هو به من كل نطيحة ومتردية قد تقصيناه لهم وبينا ان كله فساد وحماقات ونقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاذا بطل كل ماشغب به من يقول ان النفس ليست جسما وسقط هذا القول لتعريه عن الادلة جملة فنحن ان شاء الله تعالى نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على انها جسم وبالله تعالى نتايد وذلك بعد ان نبين بتاييد الله عز وجل شغبين يمكن ان يعترض بهما ان قال قائل اتنمو النفس فان قلتم لا قلنا نحن نجدها تنشا من صغر الى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء واذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها بعدم الغذاء فاذا تغذت اعتدلت اخلاقها وصلحت

﴿قال أبو محمد﴾ لاتتغذى ولا تنمو اما عدم غذائها فالبرهان القائم انها ليست مركبة من الطبائع الاربع وانها بخلاف الجسد هذا هو البرهان على انها لا تتغذي وهو ان ماتركب من العناصر الاربعة فلا بدله من الغذاء ليستخلف ذلك الجسد أو تلك الشجرة أو ذلك النبات من رطوبات ذلك الغذاء أو أرضياته مثل ماتحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هذه صفة النفس اذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد او مثله ولو كانت من الجسد أو مثله لكانت مواتا كالجسد غير حساسة فاذ قد بطل ان تكون مركبة من طبائع العناصر بطل ان تكون متغذية نامية واما ارتباطها بالجسد من اجل الغذاء فهو امر لايعرف كيفيته الا خالقها عز وجل الذي هو مدبرها الا انه معلوم انه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لايدري كيف هو وغير ذلك

مما يوجد الله عز وجل يعلمه ومن البرهان على ان النفس لا تغذى ولا تنمو ان البرهان قد قام على انها كانت قبل تركيب الجسد على آباد الدهور وانها باقية بعد انحلاله وليس هنالك فى ذينك العالمين غذاء يولد نماء أصلا وأما ماظنوه من نشاتها من صغر الى كبر فخطا وانما هو عودة من النفس الى ذكرها الذى سقط عنها باول ارتباطها بالجسد فان سال سائل اتموت النفس قلنا نعم لان الله تعالى نص على ذلك فقال * كل نفس ذائقة الموت * وهذا الموت انما هو فراقها للجسد فقط برهان ذلك قول الله تعالى * اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * وقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فصح ان الحياة المذكورة انما هى ضم الجسد الى النفس وهو نفخ الروح فيه وأن الموت المذكور انما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس مما يظنه أهل الجهل وأهل الالحاد من إنهـا تعدم جملة بل هى موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الاولى ولا انها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ماكان وعلمها أتم ما كان وحياتها التى هى الحس والحركة الارادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط قال عز وجل * وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون * وهى راجعة الى البرزخ حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عن الميمنة من آدم عليه السلام ومشئمته الى ان تحيا ثانية بالجمع بينها و بين جسدها يوم القيامة وأما انفس الجن وسائر الحيوان فحيث شاء الله تعالى ولا علم لنا الا ما علمنا ولا يحل لاحد ان يقول بغير علم وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) فلنذكر الآن البراهين الضرورية على ان النفس جسم من الاجسام فمن الدليل على ان النفس جسم من الاجسام انقسامها على الاشخاص فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس واحدة لا تنقسم على مايزعم الجاهلون القائلون أنها جوهر لاجسم لوجب ضرورة ان تكون نفس المحب هى نفس المبغض وهى نفس المحبوب وان تكون نفس الفاسق الجاهل هى نفس الفاضل الحكيم العالم ولكانت نفس الخائف هى نفس المخوف منه ونفس القاتل هى نفس المقتول وهذا حمق لاخفاء به فصح انها نفوس كثيرة متغايرة الاماكن مختلفة الصفات حاملة لاعراضها فصح انها جسم بيقين لا شك فيه و برهان آخر هو ان العلم لاخلاف فى أنه من صفات النفس وخواصها لا مدخل للجسد فيه أصلا ولا حظ فلو كانت النفس جوهرا واحدا لاتتجزي نفوسا لوجب ضرورة ان يكون علم كل أحد مستويا لا تفاضل فيه لان النفس على قولهم واحدة وهى العالمة فكان يجب ان يكون كلما علمه زيد يعلمه عمرو لان نفسها واحدة عندهم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولا بد ان يعلم جميع أهل الارض مايعلمه كل عالم فى الدنيا لان نفسهم واحدة لا تنقسم وهى العالمة وهذا مالا انفكاك منه البتة فقد صح بما ذكرنا ضرورة ان نفس كل احد غير نفس غيره وان انفس الناس أشخاص متغايرة تحت نوع نفس الانسان وان نفس الانسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التى يقع تحتها أنفس جميع الحيوان واذ هى أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهى أجسام ولا يمكن غير ذلك البتة وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان العالم كله محدود معروف اجسام واعراض ولا مزيد فمن ادعي ان ههنا جوهرا ليس جسما ولا عرضا فقد ادعى مالا دليل عليه البتة ولا يتشكل فى العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه و بالله تعالى التوفيق وايضا فان النفس لا تخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فان كانت خارج الفلك فهذا باطل اذ قام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية

فوجب ضرورة انه ليس خارج الفلك الذى هو نهاية العالم شيء لاخلاء ولاملاء وان كانت فى الفلك فهى ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة في ذي مكان لانه ليس فى العالم شيء غير هذين أصلا ومن ادعي ان فى العالم شيئا ثالثا فقد ادعى المحال والباطل وما لا دليل له عليه وهذا لا يعجز عنه أحد وما كان هكذا فهو باطل بيقين وقد قام الدليل على ان النفس ليست عرضا لانها عالمة حساسة والعرض ليس عالما ولا حساسا وصح انها حاملة لصفاتها لا محمولة فاذهي حاملة متمكنة فهى جسم لا شك فيه اذ ليس الا جسم حامل أو عرض محمول وقد بطل ان تكون عرضا محمولا فهي جسم حامل وبالله تعالى التوفيق وأيضا فلاتخلو النفس من ان تكون واقعة تحت جنس أولا فان كانت لا واقعة تحت جنس فهى خارجة عن المقولات وليس فى العالم شيء خارج عنها ولا في الوجود شيء خارج عنها الا خالقها وحده لا شريك له وهم لا يقولون بهذا بل يوقعونها تحت جنس الجوهر فاذ هى واقعة تحت جنس الجوهر فانا نسالهم عن الجوهر الجامع للنفس وغيرها اله طبيعة أم لا فان قالوا لا وجب ان كل ما تحت الجوهر لا طبيعة له وهذا باطل وهم لا يقولون بهذا فان قالوا لا ندرى ما الطبيعة قلنا لهم اله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا فلابد من نعم وهذا هو معنى الطبيعة وان قالوا بل له طبيعة وجب ضرورة ان يعطى كل ما تحته طبيعة لان الاعلى يعطى لكل ما تحته اسمه وحدوده عطاء صحيحا والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك واذ صح ان لها طبيعة فكل ماله طبيعة فقد حصرته الطبيعة وما حصرته الطبيعة فهو ذو نهاية محدود وكل ذى نهاية فهواما حامل واما محمول والنفس بلا شك حاملة لاعراضها من الاضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك وكل حامل فذومكان وكل ذى مكان فهو جسم فالنفس جسم ضرورة وأيضا فكل ما كان واقعا تحت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركب من جنسه الا على العام له من أنواعه ومركب أيضا مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الانواع الواقعة معه تحت جنس واحد فانه موضوع وهوجنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التى خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهى مركبة من موضوع ومحمول وهى قائمة بنفسها فهي جسم ولا بد

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لا محيد عنها وبالله تعالى التوفيق وهذا قول جماعة من الاوائل ولم يقل ارسطاطاليس ان النفس ليست جسما على ما ظنه أهل الجهل وانما نفى أن تكون جسما كدرا وهو الذى لا يليق بكل ذى علم سواه ثم لو صح انه قالها لكانت وهلة ودعوى لا برهان عليها وخطا لا يجب اتباعه عليه وهو يقول فى مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما الينا حبيب غير ان الحق أحب الينا واذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم انسان من الخطا فكيف وما صح قط انه قاله

﴿قال أبو محمد﴾ انما قال ان النفس جوهر لا جسم من ذهب الى انها هى الخالقة لما دون الله تعالى على ما ذهب اليه بعض الصابئين ومن كنى بها عن الله تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا القولين سخف وباطل لان النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيهما لمعنيين مختلفين فاحالتهما عن موضوعهما فى اللغة سفسطة وجهل وقلة حياء وتلبيس وتدليس

﴿قال أبو محمد﴾ وأما من ذهب الى ان النفس ليست جسما ممن ينتمى الى الاسلام بزعمه فقول يبطل بالقرآن والسنة واجماع الامة فاما القرآن فان الله عز وجل قال * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم * وقال تعالى * كل أمرىء بما كسب رهين * فصح

ان النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخطئة *وقال تعالى* ان النفس لامارة بالسوء *وقال تعالى* و يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب *وقال تعالى* ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل احياء ولكن لا تشعرون *وقال تعالى* ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله *فصح ان الانفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها ما يرزق و ينعم فرحا و يكون مسرورا قبل يوم القيامة ولاشك ان اجساد آل فرعون واجساد المقتولين في سبيل الله قد تقطعت اوصالها واكلتها السباع والطير وحيوان الماء فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ولاشك في ان العرض لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضا وصح انها تنتقل في الاماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لا صفة الجوهر عند القائل به فصح ضرورة انها جسم واما من السنن فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انه رأى نسم بني آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم و يساره فصح ان الانفس مرئية في اماكنها وقوله عليه السلام ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا و نفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا فصح انها معذبة و منعمة ومنقولة في الاماكن وهذه صفة الاجسام ضرورة واما من الاجماع فلا خلاف بين احد من اهل الاسلام في ان انفس العباد منقولة بعد خروجها عن الاجساد الى نعيم او الى صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الاجسام ومن خالف هذا فزعم ان الانفس تعدم او انها تنتقل الى اجسام أخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال بخرقه الاجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال ابو محمد﴾ وقد ذكرنا في باب عذاب القبر ان الروح والنفس شيء واحد ومعنى قول الله تعالى* و يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي *انما هو ان الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم امشاجا وليس الروح كذلك وانما قال الله تعالى امرا له بالكون كن فكان فصح ان النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الروح ايضا على غير هذا فجبريل عليه السلام الروح الامين والقرآن روح من عند الله و بالله تعالى التوفيق فقد بطل قولهم في النفس وصح انها جسم ولم يبق الا الكلام في الجزء الذي ادعوا انه لا يتجزى

(قال ابو محمد) ذهب جمهور المتكلمين الى ان الاجسام تنحل الى اجزاء صغار لا يمكن البتة ان يكون لها جزء وان تلك الاجزاء جواهر لا اجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الاوائل الى انه لا جزء وان دق الا وهو يحتمل التجزى ابدا بلا نهاية وانه ليس في العالم جزؤ ولا يتجزء وان كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم ايضا وان دق ابدا

(قال ابو محمد) وعمدة القائلين بوجود الجزء الذي لا يتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كل ما موهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بان كل جزء فهو يتجزأ ابدا وانه ليس في العالم جزؤ لا يتجزأ أصلا كفعلنا بسائر الاقوال والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فاول مشاغبهم ان قالوا اخبرونا اذا قطع الماشي المسافة التي مشى فيها فهل قطع ذا نهاية او غير ذي نهاية فان قلتم قطع غير ذي نهاية فهذا محال وان قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا

﴿قال ابو محمد﴾ فجوابنا و بالله تعالى التوفيق ان القوم أتوا من احد وجهين اما انهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا حياء واما انهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا الى الكذب والمباهتة وهذه شر من الاولى وفي أحد هذين القسمين وجدنا كل من ناظرناه منهم في هذه

المسالة

المسالة وهكذا عرض لنا سواء مع المخالفين لنا في القياس المدعين لتصحيحه فانهم أيضا أحد رجلين اما جاهل بقولنا فهو يقولنا مالا نقوله ويتكلم فى غير مااختلفنا فيه واما مكابر ينسب الينا مالا نقوله مباهتة وجراءة على الكذب وعجزا عن معارضة الحق من اننا تنكر اشتباه الاشياء واننا تنكر قضايا العقول واننا تنكر استواء حكم الشيئين فيما اوجبه انهما مااشتبها فيه وهذا كله كذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وانما ننكر ان نحكم في الدين لشيئين بتحريم او ايجاب او تحليل من اجل انهما اشتبها فى صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه * ونقول على هذا السؤال الذى سالونا عنه اننا لم نرفع النهاية عن الاجسام كلها من طريق المساحة بل نثبتها ونعرفها ونقطع على ان كل جسم فله مساحة ابدا محدودة ولله الحمد وانما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وان دق واثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشى أو بالذرع او بالعمل قسمة ماقطع ولاتجزئته وانما تكلف عملا او مشى فى مساحة معدودة بالميل او بالذراع والشبر او الاصبع اوما اشبه ذلك وكل هذاله نهاية ظاهرة وهذا غير الذى نفينا وجود النهاية فيه فبطل الزامهم والحمد لله كثيرا ثم نعكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم و بالله تعالى التوفيق نحن القائلون بان كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزىء وهذا هو اثبات النهاية لكل جزء انقسم الجسم اليه من طريق المساحة ضرورة وانتم تقولون ان الجسم ينقسم الى اجزاء ليس لشيء منها عرض ولاطول ولاعمق ولا مساحة ولايتجزأ وليست أجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء نفسها ليس هو شيء غيرها اصلا وان تلك الاجزاء ليس لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة اذالجسم هو تلك الاجزاء وليست اجساما وان الجسم هو تلك الاجزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الاجزاء لامساحة له ان الجسم لامساحة له وهذا امر يبطله العيان واذا لم تكن له مساحة والمساحة هى النهاية فى ذرع الاجسام فلا نهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتراض الثانى ان قالوا لابد ان يلى الجرم من الجرم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا اقرار بجزء لايتجزأ

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تمويه فاسد لاننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول ان لكل جرم نهاية وسطحا ينقطع تماديه عنده وان الذى ينقطع به الجرم اذا جزىء فهو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزى أيضا وكل ماجزىء فذلك الجزء وهو الذى يلى الجرم الملاصق له بنهايته من جهته التى لاقاه منها لاما ظنوا من أن احد الجرم جزء منه وهو وحده الملاصق للجرم الذى يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فاذا جزىء كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق حينئذ بسطحه لاالذى خرج عن ملاصقته وهكذا بداوالكلام فى هذا كالكلام فى الذى قبله ولا فرق والاعتراض الثالث ان قالوا هل الف اجزاء الجسم الا الله تعالى فلابد من نعم قالوا فهل يقدر الله على تفريق اجزاءه حتى لايكون فيها شيء من التاليف ولاتحتمل ذلك الاجزاء التجزىء أم لايقدر على ذلك قالوا فان قلتم لايقدر عجز ثم ربكم تعالى وان قلتم يقدر فهذا اقرار منكم بالجزء الذى لايتجزأ

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا هو من اقوى شبهم التى شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم والجواب اننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ان سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط اجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عز وجل ولا كانت له اجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل لكن الله عز وجل خالق العالم بكل ما فيه بان قال له كن فكان او بان قال لكل جرم منه اذا اراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم ان الله تعالى

خلق جميع ما اراد جمعه من الاجرام التي خلقها مفترقة ثم جمعها وخلق تفريق كل جرم من الاجرام التي خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لا ذلك السؤال الفاسد الذي اجملتموه واوهمتم به اهل الغفلة ان الله تعالى الف العالم من اجزاء خلقها متفرقة وهـذا باطل لانه دعوي بلا برهان عليها ولافرق بين من قال ان الله تعالى الف أجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قال بل الله تعالى فرق العالم اجزاء وانما كان جزأ واحدا وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها الامن نص ولامن عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصا قال تعالى* انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون * ولفظة شيء تقع على الجسم وعلى العرض فصح ان كل جسم صغر او كبر وكل عرض في جسم فان الله تعالى اذا أراد خلقه قال له كن فكان ولم يقل عز وجل قط انه الف كل جزء من أجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عز وجل حقا فبطل ماظنوا انهم يلزموننا به ثم نقول لهم ان الله تعالى قادر على ان يخلق جسما لا ينقسم ولكنه لم يخلقه في بنية هذا العالم ولايخلقه كما انه تعالى قادر على ان يخلق عرضاً قائماً بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه في بنية هذا العالم ولايخلقه لانهما مما رتبه الله عز وجل محالا في العقول والله تعالى قادر على كل مايسال عنه لا نحاشي شيئا منها الا انه تعالى لايفعل كل ما يقدر عليه وانما يفعل ما يشاء وما سبق في علمه انه يفعله فقط وبالله تعالى التوفيق * ثم نعطف هذا السؤال نفسه عليهم فنقول لهم هل يقدر الله عز وجل على ان يقسم كل جزء وينقسم كل قسم من اقسام الجسم ابدا بلا نهاية ام لا فان قالوا لايقدر على ذلك عجزوا ربهم حقا وكفروا وهو قولهم دون تاويل ولا الزام ولكنهم يخافون من أهل الاسلام فيملحون ضلالتهم باثبات الجزء الذى لا يتجزأ جملة * وان قالوا انه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعوا الى الحق الذى هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحن لا نخالفهم قط في ان اجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق في العالم على تجزئة تلك الاجزاء وانما خالفناهم في ان قلنا نحن ان الله تعالى قادر على ما لا نقدر نحن عليه من ذلك وقالوا هم بل هو غير قادر على ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقولهم في تناهي القدرة على قسمة الله تعالى الاجزاء هو القول بان الله تعالى يبلغ من الخلق الى مقدار ما ثم لا يقدر على الزيادة عليه ويبقى حسيرا عاجزا تعالى الله عن هذا الكفر ولعمرى ان أبا الهزيل شيخ المثبتين للجزء الذى لا يتجزأ ليحن الى هذا المذهب حنينا شديدا وقد صرح بان لما يقدر الله عليه كالا وآخرا لو خرج الى الفعل لم يكن الله تعالى قادرا بعده على تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ولا على فعل شيء أصلا ثم تدارك كفره فقال ولا يخرج ذلك الآخر أبدا الى حد الفعل

﴿ قال أبو محمد ﴾ فيقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرة له والفعل قائم فلا بد مع طول الزمان من البلوغ الى ذلك الآخر

﴿ قال ابو محمد ﴾ نعوذ بالله من الضلال والاعتراض الرابع هوان قالوا أيما أكثر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة وأيما أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين قالوا فان قلتم بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهي التجزى وهو القول بالجزء الذي لا يتجزء وان قلتم ليس أجزاء الجبل أكثر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة كابرتم العيان لانه لا يحدث في الخردلة جزؤ الا ويحدث في الخردلتين جزآن وفي الجبل أجزاء وادعوا علينا اننا نقول ان في كل جسم أجزاء لا نهاية لعددها ولا آخر لها وان من قطع بالمشى مكانا ما أو قطع بالجلستين شيئا فانما قطع ما لا نهاية لعدده وقالوا ان عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه في الزامكم اياهم وجوب القلة والكثرة في عدد الاشخاص وأوقات الزمان وايجابكم ان كل ما حصره العدد فذو نهاية وانكاركم على الدهرية وجود أشخاص وازمان لانهاية لعددها قالوا ثم نقضتم كل ذلك في هذا المكان

﴿ قال ابو محمد ﴾ هو الذى قلنا انهم امالم يفهموا كلامنا فى هذه المسألة فقولونا مالا نقوله بظنونهم الكاذبة واما انهم عرفوا قولنا فحرفوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة كل عمل الفضيحة لهم فى كذبهم وعجزا منهم عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا ان كل مانسبوه الينا من قولنا ان من قطع مكانا أو شيئا بالمشى أو الجلمتين فانما قطع مالانهاية له فباطل ماقلناه قط بل ماقطع الاذا نهاية بمساحته وزمانه وأما احتجاجنا على الدهرية بما ذكروا فصحيح هو حجتنا على الدهرية وأما ادعاؤهم اننا نقضنا ذلك فى هذا المكان فباطل والفرق بين ماقلناه من ان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلانهاية وبين مااحتججنا به على الدهرية من ايجاب النهاية بوجود القلة والكثرة فى اعداد الاشخاص والازمان وانكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لانهاية لها بل هو حكم واحد وباب واحد وقول واحد ومعنى واحد وذلك ان الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت الى الفعل لانهاية لعددها ووجود ازمان قد خرجت الى لفعل لانهاية لها وهذا محال ممتنع وهكذا قلنا فى كل جزء خرج الى حد الفعل فانها متناهية العدد بلاشك ولم نقل قط ان اجزائه موجردة منقسمة لانهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم ان الله تعالى قادر على الزيادة فى الاشخاص وفى الازمان وفى قسمة الجزء ابدا بلانهاية لكن كل ماخرج الى الفعل او يخرج من الاشخلص او الازمان او تجزئة الاجزاء فكل ذلك متناه بعدده اذا خرج وهكذا ابدا واما مالم يخرج الى حد الفعل بعد من شخص او زمان او تجزى فليس شيئا ولاهو عددا ولا معدودا ولا يقع عليه عدد ولا هو شخص بعد ولا زمان ولا جزؤ وكل ذلك عدم وانما يكون جزء اذا جزىء بقطع او برسم مميز لا قبل ان يجزء وبهذا تنبين غثاثة سؤالهم في ايما اكثر اجزاء الخردلة او اجزاء الجبل او اجزاء الخردلتين لان الجبل اذا لم يجزأ والخردلة اذا لم تجزأ والخردلتان اذا لم تجزآ فلا اجزاء لها اصلا بعد بل الخردلة جزؤ واحد والجبل جزؤ واحد والخردلتان كل واحدة منهما جزؤ فاذا قسمت الخردلة على سبعة اجزاء وقسم الجبل جزاين وقسمت الخردلتان جزئين جزئين فالخردلة الواحدة بيقين اكثر من اجزاء من الجبل والخردلتين لانها صارت سبعة اجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان الاستة اجزاء فقط فلو قسمت الخردلة ستة اجزاء لكانت اجزاؤها واجزاء الجبل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء وكانت اجزاء الجبل والخردلتين اكثر من اجزاء الخردلة وهكذا فى كل شىء فصح انه لايقع التجزى في شيء الا اذا قسم لا قبل ذلك فان كانوا بريدون فى ايهما يمكننا التجزئة اكثر فى الجبل والخردلتين ام فى الخردلة الواحدة فهذا مالاشك فيه ان التجزى امكن لنا فى الجبل وفى الخردلتين منه فى الخردلة الواحدة لان الخردلة الواحدة عن قريب تصغر اجزاؤها حتى لا نقدر نحن على قسمتها ويتمادى لنا الامر فى الجبل كثيرا حتى انه يفنى عمر احدنا قبل ان يبلغ تجزئته الى اجزاء تدق عن قسمتنا واما قدرة الله عز وجل على قسمة ماعجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هين سواء ليس بعضه اسهل عليه من بعض بل هو قادر قسمة الخردلة ابدا بلانهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبالله تعالى التوفيق ونزيد بيانا فنقول ان الشيء قبل ان يجزأ فليس متجزئا فاذا جزء بنصفين او جزئين فهو جزءآن فقط فاذا جزء على ثلاثة اجزاء فقط فهو ثلاثة اجزاء وهكذا ابدا واما من قال او ظن ان الشىء قبل ان ينقسم وقبل ان يتجزأ انه منقسم بعد ومتجزىء بعد فوسواس وظن كاذب لكنه محتمل الانقسام والتجزى وكل ماقسم وجزا فكل جزؤ ظهر منه فهو معدود متناه وكذلك كل جسم فطوله وعرضه متناهيان بلا شك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما أبدا بلا نهاية الا ان كل ما زاده تعالى فى ذلك واخرجه الى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا ابدا وكذلك الزيادة فى أشخاص العالم وفى العدد فان كل ما خرج الى حد الفعل من الاشخاص ومن الاعداد فذو نهاية والله تعالى قادر على الزيادة فى الاشخاص ابدا بلا نهاية والزيادة فى العدد ممكنة ابدا بلانهاية الا ان كل ما خرج من الاشخاص والاعداد الى الفعل صحبته النهاية ولا بد ثم نعكس هذا السؤال عليهم فنقول

لهم وبالله تعالى التوفيق انفضل عندكم قدرة الله تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل تاتى حال يكون الله فيها قادرا على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة ام لا فان قالوا بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل اتم من قدرته على قسمة الخردلة واقروا بانه تاتي حال يكون الله تعالى فيها قادرا على قسمة اجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة كفروا وعجزوا ربهم وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وان ابوا من هذا وقالوا ان قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وانه لا سبيل الى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة اجزاء الجبـل ولا يقدر على تجزئة اجزاء الخردلة صدقوا ورجعوا الى قولنا الذى هو الحق وما عداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين * والاعتراض الخامس هو ان قالوا هل لاجزاء الخردلة كل أم ليس لها كل وهل يعلم الله عدد اجزائها ام لا يعلمه * فان قلتم لا كل لها نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وان قلتم ان الله تعالى لا يعلم عدد اجزائها كفرتم وان قلتم ان لها كلا وان الله تعالى يعلم اعداد اجزائها اقررتم بالجزء الذى لا يتجزأ ﴿قال أبو محمد﴾ وهذا تمويه لائح ينبغى التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم أقحموا لفظة كل حيث لا يوجد كل وسالوا هل يعلم الله تعالى عدد مالا عدد له وهم فى ذلك كمن سال هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الاحلس أم لا وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا وهل كل حركات أهل الجنة والنار ام لا فهذه السؤالات كسؤالهم ولا فرق * وجوابنا فى ذلك كله ان الله عز وجل انما يعلم الاشياء على ما هي عليه لا على خلاف ما هى عليه لان من علم الشيء على ما هو عليه فقد علمه حقا وأما من علم الشيء على خلاف ما هو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله من هذه الصفة فما لا كل له ولا عدد له فانما يعلمه الله عز وجل ان لا عدد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عددا ولا كلا الا لما له عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الاطلس ولا علم قط ولد العقيم فكيف ان يعرف لهم كلا وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل ان يجزآ لانهما لا جزء لهما قبل التجزئة وانما علمهما غير متجزئين وعلمهما محتملين للتجزى فاذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين وعلم حينئـذ عدد اجزائهما ولم يزل تعالى يعلم انه يجزء كل ما لا يتجزء ولم يزل يعلم عدد الاجزاء التى لا تخرج فى المستانف الى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد ما يخرج من الاشخاص بخلقه فى الابد الى حد الفعل او لم يزل يعلم انه لا أشخاص زائدة على ذلك ولا اجزاء لما لم ينقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبـل التجزى اجزاء اصلا واذ ذلك كذلك فلا كل هاهنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين ثم نعكس عليهم هذا السـؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة او وبرة او شعرة او غير ذلك اذا جزأنا كل ذلك جزئين او اكثر متى حدثت الاجزاء احين جزئت ام قبل ان يجزء فان قالوا قبل ان يجزء ناقضوا اسمج مناقضة لانهم اقروا بحدوث اجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وان قالوا انما حدثت لها الاجزاء حين جزئت لا قبل ذلك سالناهم متى علمها الله تعالى متجزئة حين حدث فيها التجزى ام قبل ان يحدث فيها التجزي فان قالوا بل حين حدث فيها التجزى صدقوا وأبطلوا قولهم فى أجزاء الخردلة وان قالوا بل علم انها متجزئة وان لها اجزاء قبل حدوث التجزى فيها جهلوا ربهم تعالى اذ اخبروا أنه يعلم الشيء بخلاف ما هو عليه ويعلم اجزاء لما لا اجزاء له وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به لم ندع لهم منه شيئا الا وقد اوردناه وبينا انه كله لا حجة لهم فى شيء منه وانه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين ثم نبتدىء بحول الله تعالى وقوته بايراد البراهين الضرورية على ان كل جسم في العالم فانه متجزؤ محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهو أيضا جسم محتمل

للتجزى وهكذا ابدا و بالله تعالى تتايد

(قال ابو محمد) يقال لهم و بالله تعالى نستمين اخبرونا عن هذا الجزء الذى قلتم انه لايتجزى أهو فى العالم أم ليس فى العالم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا ليس هو فى العالم صدقوا و أبطلوه الا انهم يلزمهم قول فاحش وهو انهم يقولون ان جميع العالم مركب من اجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئا غير تلك الاجزاء فان كانت تلك الاجزاء ليست فى العالم فالعالم عدم ليس فى العالم وهذا تخليط كاثرى وان قالوا بل هو فى العالم قلنا لهم لا يخلوا ان كان فى كرة العالم من ان يكون أما قائما بنفسه حاملا واما ان يكون محمولا غير قائم بنفسه لا بد ضرورة من احد الامرين اذ ليس العالم كله الاعلى هذين القسمين فان كان محمولا غير قائم بنفسه فهو عرض من الاعراض وان كان حاملا قائما بنفسه ذا مكان فهو جسم وثم يقال لهم اخبرونا عن الجزء الذى ذكرتم انه لا يتجزأ وهو على قولكم فى مكان لانه بعض من ابعاض الجسم هل الملاقى منه للمشرق هو الملاقى للمغرب ام غيره وهل المحازى منه للسماء هو المحازى منه للارض أم هو غيره فان قالوا كل ذلك واحد والملاقى منه المشرق هو الملاقى منه المغرب والمحازى منه للسماء هو المحازى منه للارض أتوا باحدى العظائم وجعلوا جهة المشرق منا هي جهة المغرب وجعلوا السماء والارض منه فى جهة واحدة وهذا حمق لا يبلغه الا الموسوس ومكابرة للعيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية وان قالوا بل الملاقى منه المشرق هو غير الملاقى منه للمغرب وان السماء والارض منه فى جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فاذ ذلك كذلك بلاشك فقد صح انه ذو جهات ست متغايرة وهذا اقرار منهم بانه ذو اجزاء اذ قطعوا بان الملاقي منه للمغرب غير الملاقى منه للمشرق ومن للتبعيض وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فان ارادوا الزامنا مثل هذا فى العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسه ولا يحاذى شيئا وانما يحاذى الاشياء حامل العرض لا العرض اذلو ارتفع العرض لبقى حامله ما لئا لمكانه كما كان محاذيا من جميع جهاته ما كان يحاذى حين حمله للعرض سواء سواء ولو ارتفع فى قولكم الجزأ الذى لا يتجزأ لبقى مكانه خاليا منه وقد اوضحنا ان عرضين واعراضا تكون فى جسم واحد فى جهة واحدة منه وهم لا يختلفون فى ان جزئين كل واحد منهما لا يتجزأ فلا يمكن البتة ان يكونا جميعا فى مكان واحد بل لكل واحد منهما عندكم مكانا غير مكان الآخر وبرهان آخر وهو انهم يقولون ان الجزء الذى لا يتجزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم و بالله تعالى التوفيق اذا ضفتم الى الجزء الذى لا يتجزأ عندكم جزأ آخر مثله لا يتجزأ أليس قد حدث لهما طول فلا بد من قولهم نعم لا يختلفون فى ذلك ولو انهم قالوا لا يحدث لهما طول الزمهم مثل ذلك فى اضافة جزء ثالث ورابع واكثر حتى يقولوا ان الاجسام العظام لا طول لها و يحصلوا فى مكابرة العيان فنقول لهم اذا قلتم ان جزأ لا يتجزأ لا طول له اذا ضم اليه جزء آخر لا يتجزأ ولا طول له فايهما يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلوا هذا الطول الحادث عندكم من احد والثلاثة اوجه لا رابع لها اما ان يكون هذا الطول لاحدهما دون الاخر او لا لواحد منهما او لكليهما فان قلتم ليس هذا الطول لهما ولا لواحد منهما فقد اوجبتم طولا لا الطويل وطولا قائما بنفسه والطول عرض والعرض لا يقوم بنفسه وصفة والصفة لا يمكن ان توجد الا فى موصوف بها ووجود طول لا الطويل مكابرة ومحال وان قلتم ان ذلك الطول هو لاحد الجزئين دون الاخر فقد احلتم واتيتم بما لا شك بالحس وضرورة العقل فى بطلانه ولزمكم ان الجزء الذى لا يتجزأ له طول واذا كان له طول فهو بلاشك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع انه ايضا محال لانه يجب من هذا انه يتجزى ولا يتجزي وان قلتم ان ذلك الطول للجزئين معا صدقتم واقررتم بالحق فى ان كل جزء منهما فله حصته من الطول والحصة من الطول طول بلاشك واذا كان كل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزا وهذا خلاف قولكم انه لا يتجزى وهذا

برهان ضروري أيضا لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق برهان آخر :

﴿قال ابو محمد﴾ ونقول لهم أيما أطول جزآن لايتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما الى الاخر أم أحدهما غير مضموم الى الاخر فلايجوز ان يقول أحد الاان الجزئين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم الى الاخر فاذ ذلك كذلك فن المحال الممتنع الباطل ان يقال في شيء هذا أطول من هذا الاوفى الاخر طول دون طول ماهو أطول منه فقد صح ضرورة ان الطول موجود لكل جزء قالوا فيه انه لايتجزأ واذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد مناومنهم وهكذا القول في عرضهما ان ضم أحدهما الى الآخر وفي عمقهما كذلك ولابد من ان يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق واذ ذاك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه انه لايتجزى فلابد من ان يكون له طول وعرض وعمق واذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولا بد وهذا أيضا برهان ضروري لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق * وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الالزام فبعد ذلك عليه لانه رام محالا فقال ان الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما انما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا لاحدهما اذكانا منفردين

﴿قال ابو محمد﴾ وهذاتمويه ظاهر لان الاجتماع هو ضم أحدهما الى الآخر نفسه ليس هو شيئا آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولامجتمعين وليس معنى الطول والعرض والعمق كذلك بل هو شيء آخر غير الضم والجمع وانما هو صفة للطويل مضموما كان الى غيره اوغير مضموم ولايوجب الجمع والضم طولا لم يكن واجبا قبل الضم والجمع فلم يزد ابو الهذيل على ان قال لما اجتمعا صارا مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظر منحل لان قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لاشك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملة وماكان هكذا فهو باطل وأيضا فان الاجتماع لما حدث بينهما بطل معنى آخر كان موجوداً فيهما وهو الافتراق الذي هو ضد الاجتماع فاخبرونا اذا حدث الطول بزعمكم فاي شيء هو المعنى الذي ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولاسبيل لهم الى وجوده فصح ان الطول كان موجودا في كل جزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لما اجتمعا زاد الطول والعرض والعمق وهكذا أبدا وبالله تعالى التوفيق وهذا هو الذي تشهد له الحواس والمشاهدة والعقل والحمد لله رب العالمين * وبرهان آخر وهو ان الجرم ان كان أحمر فكل جزؤ من أجزائه أحمر بلا شك فان قالوا ليس أحمر قلنا لهم فلعله أخضر أو أصفر أو غير ذي لون وهذا عين المحال لان الكل قد بينا انه ليس هو شيئا غير أجزائه فلو كان لون أجزائه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فاذ لاشك فيما ذكرنا فالجزؤ الذي يدعون انه لايتجزأ هو ذو لون بلاشك واذ هو ذو لون فهو جسم لا يعقل غير ذلك فهو يتجزى

﴿قال ابو محمد﴾ وقالت الاشعرية ههنا كلاما ظريفا وهو انهم قالوا هو ذو لون واحد

﴿قال أبو محمد﴾ كل ملون فهو ذو لون واحد لاذو ألوان كثيرة الاان يكون أبلق اوموشى برهان آخر ان وجود شيء في العالم قائم بنفسه ليس جسما ولاعرضا ولاقابلا للتجزىء ولاطول له ولاعرض ولاعمق فهو محال ممتنع اذ هذا المذكور ليس شيئا غير الباري تعالى وجل تعالى ان يكون له في العالم شبه وبهذا بان عز وجل عن مخلوقاته ولم يكن له كفوا احد وليس كمثله شيء برهان اخر

(قال ابو محمد) كل شيء يحتمل ان يكون له اجزاء كثيرة فبالضرورة تدري انه يحتمل ان يجزأ الى اقل منها هذا مالا تختلف العقول والاحساس فيه كشيء احتمل ان يقسم على اربعة أقسام فلاشك انه يحتمل ان يقسم على ثلاثة وعلى اثنين وهكذا في كل عدد ومن دافع في هذا فانما يدفع الضرورة ويكابر العقل فلو اقت خطا من ثلاثة أجزاء كل جزء منها

لا يتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء وكذلك من الف جزءا كذلك او مما زاد فانه لا يختلف احد فى ان الخط الذى هو من ثلاثة اجزاء فانه ينقسم اثلاثا فى موضعين وان الذى هو اربعة اجزاء فانه ينقسم ارباعا فى ثلاثة مواضع وان الذى من الف جزؤ فانه ينقسم اعشارا و بنصفين واذ لاشك فى هذا فبيقين لا محيد عنه يدرى كل ذي حس سليم ولو انه عالم او جاهل ان ما انقسم اثلاثا فانه ينقسم نصفين مستويين وما انقسم ارباعا فانه ينقسم اثلاثا مستوية وان ما كان من الخطوط فله اعشار واخماس ونصف واثلاث واسداس واسباع متساوية فاذ لاشك فى هذا فان انقسمة لا بدان تقع فى نصف جزء منها اوفي اقل من نصفه فصح ان كل جسم فهو ينجزأ ضرورة وان الجزء الذى لا يتجزء باطل معدوم من العالم وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر

(قال أبو محمد) بلا شك نعلم ان الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبدا ولو مدا عمر العالم ابدا بلا نهاية وانك ان مددت من الخط الاعلى الي الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما مربع بلاشك فاذا اخرجت من زاوية ذلك المربع خطا منحدرا من هنالك الى الخط الاسفل فان تلك الخطوط المخرجة من الضلع لدى ذكرنا وتلك الخطوط المخرجة من الزواية لا تمر مع الخط الاعلى ابدا لانها غير موازية له فاذ ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم ابدا لا بدما اخرجت الخطوط بلانهاية * برهان آخر

(قال أبو محمد)و بالضرورة ندرى ان كل مربع متساوي الاضلاع فان الخط القاطع من الزاوية العليا الى الزاوية السفلي التى لا يوازيها يقوم منه فى المربع مثلثان متساويان وانه لاشك اطول من كل ضلع من أضلاع ذلك المربع على انفراده فنسالهم عن مائة جزء لا تتجزأ رتبت متلاصقة عشرة عشرة فبالضرورة نجد فيها ماذكرنا فبيقين نعلم حينئذ أن كل جزء من الاجزاء المذكورة لولا أن له طولا وعرضا لما كان الخط المار بها القاطع للمربع القائم منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المار بكل جهة من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة للخطوط الاربعة المحيطة بذلك المربع وهو أطول منه بلاشك فصح ضرورة أن لكل جزء منها طولا وعرضا وأن ماله طول وعرض فهو متجزء بلا شك فصح ايضا بما ذكرنا أن كل جزء مر عليه الخط المذكور فقد انقسم برهان آخر وأيضا فاننا لو الفنا خطا من أجزاء لا تتجزأ على قولهم مستقيما ثم أدرناه حتى يلتقى طرفاه و يصير دائرة فبالضرورة يدري كل ذى حس سليم ان الخط اذا أدير حتى يلتقي طرفاه فان ما قابل من أجزائه مركز الدائرة أضعف مما قابل منها خارج الدائرة فاذ ذلك كذلك فهذا لازم فى هذا الخط المدار بلاشك واذ لاشك فى هذا فقد فضل من أحد طرفي الجزء الذى لا يتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك الاجزاء بلا شك فصح ضرورة أنه محتمل للانقسام ولا بد و بالله تعالى التوفيق * برهان آخر نسالهم عن دائرة قطرها احد عشر جزءا لا يتجزأ كل واحد منها عندهم أو أى عدد شئت على الحساب فادرنا أن نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف فى أن هذا ممكن فبالضرورة ندرى أن الخط القاطع على قطر الدائرة من المحيط الى ما قابله من المحيط مارا على مركزها لا يقع البتة الا فى انصاف تلك الاجزاء فصح ضرورة أنها تتجزأ ولو لم يمر ذلك الخط على أنصافها لما انقسم الدائرة بنصفين و بالله تعالى التوفيق * و برهان آخر وهو أن نسالهم عن الجزء الذى لا يتجزأ الذى يحققونه اذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائد على سطحها فان قالوا لا حجم له زائد على سطحها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا

ولاجعلوه متمكنا أصلا فنسالهم عن جزئين جملا كذلك فلا بد من قولهم ان لهما حجما فنسالهم عن ذلك الحجم ألهما معا أم لاحدهما فاي ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو احدها واذا كان للجزء الذى لايتجزأ حجم زائد فالذى لاشك فيه أن له ظلا واذا صح يقينا ان له ظلا فلا شك فى ان الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ويذهب اذا سامتته الشمس فاذ ذلك كذلك فبيقين ندرى ان ظله ينقص حتى يكون اقل من قدره واذ ذلك فقد ظهر ووجب ان له تجزيا ومقدارا متبعضا وبرهان آخر وهو اننا نسالهم عن جزؤ لايتجزأ من الحديد أومن الذهب وجزؤ لايتجزأ من خيط قطن هل ثقلهما ووزنهما سواء ام الذى من الذهب أو الحديد أثقل من الذى من القطن فان قالوا ثقلهما ووزنهما سواء كابروا لزومهم هذا في ألف جزؤ كذلك من الذهب انهما ليستا أثقل من ألف جزؤ من القطن مجتمعة كانت الاجزاء أو متفرقة وهذا جنون ومكابرة وان قالوا بل لذى من الذهب أوزن وأثقل صدقوا وأوجبوا ان له تجزيا بتفاضل الوزن ضرورة ولا بد

﴿قال أبو محمد﴾ فهذه براهين ضرورية قاطعة بان كل جزء فهو يتجزأ أبدا بلانهاية وان جزءالايتجزأ ليس فى العالم اصلا ولا يمكن وجوده بل هو من المحال لممتنع وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ أما أبو الهذيل فخلط فى هذا الباب وحق لمن رام نصر الباطل ان يخلط فقال ان الجزء الذى لا يتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليه وانه يشغل مكانا لا يسع فيه معه غيره وانه اقرب الى السماء من مكانه الذى هو عليه من الارض وهذا غاية التناقص اذما كان هكذا فله مساحة بلاشك وهو ذو جهات ست للمساحة أجزاء من نصف وثلث واقل وأكثر وما كان ذا جهات فالذى منه فى كل جهة غير الذي منه فى الجهة الاخرى بلا شك وما كان هذا فهو محتمل للتجزى بلا شك وما عدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه

(قال أبو محمد) فى تخليطهم هذا اختلافا ظريفا أيضا فاجمعوا انه اذا ضم جزؤ ولايتجزء الى جزؤ لا يتجزأ فصار اثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متى يصير جسما له طول وعرض وعمق فقال بعضهم اذا صار جزئين صار جسما وهو قول الاشعرية وقال بعضهم اذا صارا أربعة أجزاء وقال بعضهم بل اذا صارا ستة أجزاء واتفقوا على انه اذا صار ثمانية أجزاء فقد صار جسما له طول وعرض وعمق وكل هذا تخليط ناهيك به وجهل شمديد كان الاولى باهله ان يتعلموا قبل ان يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلك أنهم لم يختلفوا انهم اذا صفوا أربعة أجزاء لايتجزأ وتحتها أربعة أجزاء لايتجزأ فانه قد صار عندهم الجميع من هذه الاجزاء جسما طويلا عريضا عميقا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا الذى طابت نفوسهم عليه وأنست عقولهم اليه فى الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض فى ثلاثة اجزاء تحتها ثلاثة أجزاء أوفى جزئين تحتها جزآن ومنعوا كلهم من ذلك فى جزؤ على جزؤ حاشا الاشعرية فانه بعينه موجود على اصولهم المخذولة واقوالهم المرذولة فى جزؤ على جزؤ على جزؤ سواء سواء بعينه وذلك ان أربعة أجزاء على اربعة أجزاء فانما الحاصل منها جزء على جزء فقط من كل جهة فاذا جعلوا الاربعة على الاربعة طولا فانما جعلوه في جزؤ الى جنب جزؤ كذلك فعلوا فى العرض وكذلك فعلوا فى العمق واذا هو كذلك والطول عندهم يوجد فى جزء الى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول لان العرض لا يكون أكثر من الطول أصلا والعمق موجود فيهما أيضا فظهر ان لكل جزء منها طولا وعرضا وعمقا ومكانا وجهات ووجب ضرورة بهذا انه يتجزأ ولاح جهلهم وخطبهم وبالله تعالى التوفيق

(قال

﴿قال أبو محمد﴾ فاذا قد بطل قولهم فى الجزء الذى لا يتجزأ وفى كل ما أوجبوه انه جوهر لا جسم ولا عرض فقد صح ان العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لايقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدهما متخليا فالمحمول هو العرض والحامل هو الجوهر وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن فى الوجود غيرهما وغير الخالق لهما تعالى وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ وقال هؤلاء الجهال ان العرض لا يبقى وقتين وانه لا يحمل عرضا

﴿قال أبو محمد﴾ وقد كلمناهم فى هذا وتقرينا كتبهم فما وجدنا لهم حجة فى هذا أصلا أكثر من ان بعضهم قال لو بقى وقتين لشغل مكانا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذه حجة فقيرة الى حجة ودعوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ثم لو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوزوه من بقاء العرض وقتا واحدا ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقى العرض وقتا واحدا لشغل مكانا و بيقين يدرى كل ذى حس سليم انه لافرق فى اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد و بين بقاء وقتين فصاعدا فان أبطلوا بقاءه وقتا لزمهم انه ليس باقيا أصلا واذا لم يكن باقيا فليس موجودا أصلا واذ لم يكن موجودا فهو معدوم فحصلوا من هذا التخليط على نفى الاعراض ومكابرة العيان ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين مَن قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات اذ لو بقى ثلاثة أوقات لشغل مكانا وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل انه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم ان الشيء فى حين خلق الله تعالى له ليس باقيا ولا فانيا وهذه دعوى فى الحمق كما سلف لهم ولافرق وهى مع ذلك لا تعقل ولا يتمثل فى الوهم ان يكون فى الزمان أو فى العالم شيء موجود ليس باقيا ولا فانيا

﴿قال أبو محمد﴾ ولا عجب أعجب من حمق من قال ان بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذى كان آنفا بل يفنى فى كل حين ويستعيض الف الف بياض وأكثر والف الف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل الا انها جمعت السخف مع المكابرة

﴿قال أبو محمد﴾ والصحيح من هذا هو ما قلناه ونقوله ان الاعراض تنقسم أقساما فمنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله لانفساد ما هو فيه لو أمكن ذلك كالصورة الكلية أو كالطول والعرض والعمق ومنها ما لا يزول ولا يتوهم زواله الا بانفساد حامله كالاسكار فى الخمر ونحو ذلك فانها ان لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة يحدها ما هى عليه ومنها ما لا يزول الا بفساد حامله الا انه لو توهم زائلا لم يفسد حامله كزرق الازرق وفطس الافطس فلو زالا لبقى الانسان انسانا بحسبه ومنها ما يبقى مددا طوالا وقصارا وربما زايل ماهو فيه كسواد الشعر وبعض الطعوم والخشونة والاملاس فى بعض الاشياء والطيب والنتن فى بعضها والسكون والعلم وكبعض الالوان التى تستحيل ومنها ما يسرع الزوال كحمرة الخجل وكمدة الهم وليس من الاعراض شيء يفنى بسرعة حتى لا يمكن ان يضبط مدة بقائه الا الحركة فقط على انها بضرورة العقل والحس ندرى ان حركة الجزء من الفلك التى تقطع الفلك بنصفين من شرق الى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذى حوالى القطبين لان كل هذين الجزأين يرجع الى مكانه الذى بدأ منه فى أربع وعشرين ساعة وبين دائريهما فى الكبر ما لا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه فى العالم و بيقين يدرى ان حركة المذعورة فى طيرانها أسرع من حركة السلحفاة فى مشيها وان حركة المنساب فى الحدور أسرع من حركة الماء الجارى فى مسيل النهر وان حركة العصر فى الجرى أسرع من حركة الماشى نصح يقينا ان خلال الحركات أيضا

بقاء اقامة يتفاضل فى مدته لان الحركات كلها انمـاهى نقلة من مكان الى مكان فللمتحرك مقابلة ولابد لكل جرم مر عليه ففى تلك المقابلات يكون التفاضل فى السرعة أو فى البطىء الا أنه لا يحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه الا بالعقل فقط الذى به يعرف زيادة الظل والشمس ولا ندرك ذلك بالحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما فانه حينئذ يعرف بحس البصر كالا يدرك بالحواس نمـاء النامى الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس ان لكل خردلة جزءاً من الاثقال فلا يحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكذلك الشبع والري وكثير من أعراض العالم فتبارك خالق ذلك هو الله أحسن الخالقين وأما قولهم ان العرض لا يحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعة وللعقل وللحواس ولاجماع جميع ولد آدم لاننا لا نختلف فى أن نقول حركة سريعة وحركة بطيئة وحمرة مشرقة وخضرة أشد من خضرة وخلق حسن وخلق مسيء وقال تعـالى * ان كيدهن عظيم * وقال تعالى * فصبر جميل * وحسـبك فسادا بقول أدى الى هذا ومن أحال على العيان والحس والمعقول وكلام الله تعالى فقـد فاز قدحه وخسرت صفقة من خالفه

(قال أبو محمد) ولسنا نقول ان عرضا يحمل عرضا الى ما لا نهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلق البارى تعالى ماخلق ولامزيد وما عدا هذا فرقة دين وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ الكلام فى المعارف ﴾

(قال أبو محمد) اختلف الناس فى المعارف فقال قائلون المعارف كلها باضطرار اليها وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها وقال آخرون بعضها باضطرار و بعضها باكتساب

(قال أبو محمد) والصحيح فى هذا الباب ان الانسان يخرج الى الدنيا ليس عاقلا لا معرفة له بشيء كما قال عز وجل * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا

(قال أبو محمد) فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثديين حين ولادته وتصرفه تصرف البهائم على حسبها فى تألمها وطربها حتى اذا كبر وعقل وتقوت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنت اليه وبدت رطوباته تجف بدأت بتمييز الامور فى الدار التى صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكر واستعمال الحواس فى الاستدلال وأحدث الله تعالى لها الفهم بما تشاهد وما تخبر به نطريقها الى بعض المعارف اكتساب فى أول توصله اليها لانه باول فهمه ومعرفته عرف ان الكل أكثر من الجزء وان جسما واحدا لا يكون فى مكانين وانه لا يكون قاعداً قائما معا وهو ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقضى تيقنه كل ماذكرنا وعرف أولاصحة ماأدرك بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة الى ماذكرنا من قرب أو بعد فكل ماثبت عندنا ببرهان وان كان بعيد الرجوع الى ماذكرنا فمعرفة النفس به اضطرارية لانه لورام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر فاذ هذا لا شك فيه فالمعارف كلها باضطرار اذ مالم يعرف بيقين فانمـا عرف بظن وما عرف ظنا فليس علماً ولا معرفة هذا مالا شك فيه الا ان يتطرق الى طلب البرهان بطلب وهذا الطلب هو الاستدلال ولو شاء أن لا يستدل لقدر على ذلك فهذا الطلب وحده هو الاكتساب فقط وأما ما كان مدركا باول العقل وبالحواس فليس عليه استدلال أصلا بل من قبل هذه الجهات يتعدى كل أحد بالاستدلال وبالرد الى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشيء وهو المعرفة به أن تقول العـلم والمعرفة اسمـان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء

على ماهو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك امابشهادة الحواس وأول العقل واما ببرهان راجع من قرب أومن بعد الى شهادة الحواس أوأول العقل واما باتفاق وقع له في مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ماافترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال وأما علم الله تعالى فليس محدودا أصلا ولايجمعه مع علم الخلق حد فلاحس ولاشيء أصلا وذهبت الاشعرية الى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد

(قال أبو محمد) وهذا خطأ فاحش اذ من الباطل أن يقع مالم تزل النهايات وعلم الله تعالى ليس هو غير الله تعالى على ما بينا قبل وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) قالت طوائف منهم الاشعرية وغيرهم من اتفق له اعتقاد شيء على ماهو به عن غير دليل لكن بتقليد ا، تميل بارادته فليس عالما به ولاعارفا به ولكنه معتقد له وقالوا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كل اعتقاد علما ولامعرفة لان العلم والمعرفة بالشيء انما يعبر بهما عن تيقن صحته قالوا وتيقن الصحة لايكون الابرهان قالوا وماكان بخلاف ذلك فانما هوظن ودعوى لاتيقن بها اذ لوجاز ان يصدق قول بلا دليل لماكان قول اولى من قول ولكانت الاقوال كلها صحيحة على تضادها ولوكان ذلك لبطلت الاقوال ولبطلت الحقائق كلها لان كل قول يبطل كل قول سواه فلو صحت الاقوال كلها لبطلت كلها لانه لو كان يكون كل قول صادقا في ابطاله ماعداه

(قال أبو محمد) فنقول وبالله تعالى التوفيق ان التسمية والحكم ليس الينا وانما هما الى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الاشياء ومرتبها كما شاء لااله الا هو قال عزوجل منكرا على من سمي من قبل نفسه * ان هي الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان * وقال تعالى ولا تقف ماليس لك به علم فنهى الله عز وجل كل أحد عن أن يقول ما ليس له به علم ووجدناه عز وجل يقول في غير موضع من القرآن * ياأيها الذين آمنوا * وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * وقال تعالى * فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين * فخاطب الله تعالى بهذه النصوص وبغيرها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مؤمن في العالم الى يوم القيامة وبيقين ندرى انه قد كان في المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصرا عصرا الى يوم القيامة المستدل وهم الاقل وغير المستدل كمن اسلم من الزنج ومن الروم والفرس والاماء وضعفة النساء والرعاة ومن نشأ على الاسلام بتعليم أبيه اوسيده اياه وهم الاكثر والجمهور فسماهم عزوجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الاسلام وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى * آمنوا بالله ورسوله * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله يؤمنوا بما أرسلت به فصح يقينا انهم كلهم ماموررن بالقول بجميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وان كل من صدعنه فهو كافر حلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالايمان الامن عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منهيا عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القول بتصديقه لانه عند هؤلاء القول ليسوا عالمين بذلك وهذا خلاف القرآن وسنة رسول الله صلى عليه وسلم واجتماع الامة المتيقن أما القرآن والسنة فقد ذكرناهما وأما اجماع الامة فمن الباطل المتيقن أن يكون الاستدلال فرضا لا يصح ان يكون احد مسلما الا به ثم يغفل الله عز وجل ان يقول لاتقبلوا من أحد انه مسلم حتى يستدل انراه نسي تعالى ذلك او تعمد عز وجل ترك ذكر ذلك اضلالا لعباده وبترك ذلك رسوله ﷺ اماعمدا أوقصدا الى الضلال والاضلال اونسيانا لمن اهتدى له هؤلاء ونبهوا اليه وهم من هم بلادة وجهلا

وسقوطا هـذا لا يظنه الا كافر ولا يحققه الا مشرك فما قال قط رسول الله صلى الله علية وسلم لا هل قرية او حلة اوحى ولا لراع ولا لراعية ولا للزنج ولا للنساء لا اقبل اسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره فاذا لم يقل عليه السلام ذلك فالقول به واعتقاده افك وضلال وكذلك اجمع جميع الصحابة رضى الله عنهم على الدعاء الى الاسلام وقبوله من كل واحد دون ذكر استدلال ثم هكذا جيلا فجيلا حتى حدث من لا قدر له فان قالوا قـد قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * قلنا نعم وهذا حق وانما قاله الله عز وجل لمن خالف الحق الذي امر عز وجل الجن والانس باتباعة وهكذا القول ان كل من قال قولا خالف فيه ماامر الله عز وجل باتباعه فسواء استدل بزعمه ولم يستدل هذا مبطل غير معذور الا من عـذره الله عز وجل فبما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين يخطا قاصدا الى الحق فقط مالم يقم علية الحجة فيعاند واما من اتبع الحق فماكلفه الله عز وجل قط برهانا والبرهان قد ثبت بصحة كل ماامر الله تعالى به فسواء علمه فتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمة حسبه أنه عالم بالحق معتقد له موقن به وان جهل برهانه الذى قد علمه غيره وهـذا خلق الله عز وجل الايمان والعلم فى نفسه كما خلقه فى نفس المستدل ولا فرق قال تعالى * اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا * فسماهم داخلين فى دينه وان كانوا افواجا وما شرط الله عز وجل قط اولا رسوله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك باستدلال بل هـذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه ابليس فى قلبه وعلى لسانه ليخرجه الى تكفير الامة ولا عجب أعجب من اطباق هذه الطائفة الضالة المخذولة على انه لا يصح لاحد ايمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لاحد استدلال حتى يكون شاكا فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فاذا كان ذلك صح له الاستدلال والا فليس مؤمنا فهل سمع باحمق أو ادخل فى الحق والكفر من قول من قال لا يؤمن احد حتى يكفر بالله تعالى و بالرسول صلى الله عليه وسلم وان من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك نبرأ الى الله تعالى من كل من قال بهذا

﴿قال ابو محمد﴾ فهذان طريقان لا ثالث لهما كل طريق منها تنقسم قسمين أحدهما من اتبع الذى امره الله عز وجل باتباعه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقا سواء استدل او لم يستدل لأ نه فعل ماامره الله تعالى به ثم ينقسم هؤلاء قسمين احدها من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل فهذا فى كل عقد اعتقده اجران واما ان يكون حرم موافقـة الحق وهو مريد فى امره ذلك اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا معذور ماجور اجرا واحـدا مالم تقم عليه الحجة فيعاندها وهـذا نص قوله عليه السلام فى الحاكم المجتهد المصيب والمخطى والطريق الثانية من اتبع غـير الذي امره الله باتباعه فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطى ظالم عاص لله تعالى وكافر على حسب ماجاءت به الديانة فى امره ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ماجاء به رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وهو غـير قاصد الى اتباعـه عليه الصلاة والسلام فيـه والاخر لم يصبه فـكلاهما لاخـير فيه وكلاهما آثم غير ماجور وكلاهما عاص لله عز وجل أو كافر على حسب ماجاءت به الديانة من أمره لانهما جميعا تعديا حدود الله عز وجل فيما أمرهم به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى * ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * ولا ينتفع باصابته الحق اذلم يصبه من الطريق التى لم يجعل الله طلب الحق وأخـذه الا من قبلهـا وقـد علمنا ان اليهود والنصـارى يوافقون الحق فى كثير كاقرارهم بنبوة موسى عليـه السـلام وكتوحيد بعضهم لله تعالى فـما انتفعوا بذلك اذلم يعتقدوه اتباعا لرسول الله صـلى الله عليـه

وسلم

وسلم وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقده أنه لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك ان فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ان اعتعده بقلبه أو نطق به بلسان لمخالفته قول الله تعالى * فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنفى الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الايمان واقسم على ذلك ونحن ننفي ما نفى الله عز وجل عمن نفاه عنه ونقسم على ذلك ونوقن أننا على الحق فى ذلك وأما من قلد فقيها فاضلا وقال انما اتبعه لانه اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مخطىء لانه فعل من ذلك مالم يامره الله تعالى به ولا يكفر لانه قاصد الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطي للطريق في ذلك ولعله ماجور بنيته أجرا واحدا مالم تقم الحجة عليه بخطاء فعله فان ذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فانه يقال له ماقولك في هذا الرجل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقول هذا الا المنافق أو المرتاب لا المؤمن الموقن بل المؤمن الموقن ذكر في هذا الحديث أنه يقول هو عبد الله ورسوله أتانا بالهدى والنور أو كلاما هذا معناه أو اخبر فانما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لا عن مستدل وغير مستدل وكذلك نقول أن من قال في نفسه أو بلسانه لولا انى نشأت بين المسلمين لم أكن مسلما وانما اتبعت من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمنا ولا موقنا ولا متبعاً لمن أمره الله تعالى باتباعه بل هو كافر

(قال أبو محمد) واذا كان قد يستدل دهره كله من لا يوفقه الله تعالى للحق وقد يوفق من لا يستدل يقينا لو علم أن أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته أو أهل الارض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقى فى النار وبين أن يفارق الاسلام لاختار أن يحرق بالنار على أن يقول مثل هذا قلنا فاذ هو موجود فقد صح ان الاستدلال لا معنى له وانما المدار على اليقين والعقد فقط وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وانما يضطر الى الاستدلال من نازعته نفسه اليه ولم يسكن قلبه الى اعتقاد مالم يعرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقى نفسه نارا وقودها الناس والحجارة فان مات شاكا قبل أن يصح عنده البرهان مات كافرا مخلدا فى النار ابداً

(قال أبو محمد) ثم نرجع الى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار ام باكتساب فنقول وبالله تعالى التوفيق أن المعلومات قسم واحد وهو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق فى ذاته قد قام البرهان على صحته والثانى لم يقم على صحته برهان وأما مالم يتيقن المرء صحته فى ذاته فليس عالما به ولا له به علم وانما هو ظان له واما كل ماعلمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر الى علمه به لانه لا مجال للشك فيه عنده وهذه صفة الضرورة واما الاختيار فهو الذى ان شاء المرء فعله وان شاء تركه

(قال أبو محمد) فعلمنا بحدوث العالم وان له بكل ما فيه خالقا واحدا لم يزل لا يشبهه شيء من خلقه فى شيء من الاشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة كل ما أتى به مما نقله الينا الصحابة كلهم رضى الله عنهم ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة حتى بلغ الينا أو نقله المتفق على عدالته عن مثله وهكذا حتى بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كله علم حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى لان الاخذ بالظن فى شيء من الدين لا يحل قال

الله تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئاً * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وقال تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * فصح ان الدين محفوظ لما ضمن الله عز وجل حفظه فنحن على يقين انه لا يجوز أن يكون فيه شك وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ومن المحال ان يامر الله عز وجل بان نقول عليه ما لم يقل وهو قد حرم ذلك أو ان نقول عليه مالا نعلم انه تعالى قد حرم ذلك بقوله * وان تقولوا على الله ما لا تعلمون * فكل ما أمرنا الله عز وجل بالقول به فنحن على يقين من انه من الدين وان الله تعالى قد حماه من كل دخل وكذلك أخذنا بالزائد من الاثنين المتعارضين ومن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة ان الحق فى فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول ان خبر الواحد لا يوجب العلم وانما هو غالب ظن ثم نقطع به ونقول انه قد دخلت في الدين دواخل لا تميز من الحق وانه لا سبيل الى تمييز ما أمر الله تعالى به فى الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نعوذ بالله منه ومن الرضاء به

﴿قال أبو محمد﴾ وأما ما اجتمعت عليه الجماعات العظيمة من آرائهم مما لم يات به نص عن الله عزوجل ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل عند الله بيقين لانه شرع فى الدين ما لم يأذن به الله عز وجل وقال على الله تعالى ما لم يقله وبرهان ذلك انه قد يعارض ذلك قول آخر قال به جماعات مثل هذه والحق لا يتعارض والبرهان لا يناقضه برهان آخر وقد تقصينا هذا فى كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام فى أصول الاحكام فاغنى عن ترداده والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ فكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقامت عليه البراهين فى التوحيد فهو مضطر الى الاقرار بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من قام على شيء ما أى شيء كان عنده برهان ضرورى صحيح وفهمه فهو مضطر الى التصديق به سواء كانت من الملل أو من النحل أو من غير ذلك وانما أنكر الحق فى ذلك أحد ثلاثة اما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه أو بالتزيد من مال أو جاه أو صوت أو لذة أو عمل يظنه صلاحا أو ايثارا للشغل بما يتبين له من ذلك عجزا وضعف عقل وقلة تميز لفضل الاقرار بالحق أو مسوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم فى كل مكان وكل زمان واما مقلد لاسلافه أو لمن نشا بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد او استحسانه لما قلد فيه وغمر الهوى عقله عن التفكر فيما فهم من البرهان قد حال ما ذكرناه بينه وبين الرجوع الى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو اذا سمع برهانا ظاهرا لا مدفع فيه عنده ظنه من الشيطان وغالب نفسه حتى يعرض عنه وقالت له نفسه لا بد ان هاهنا برهانا يبطل به هذا البرهان الذى أسمع وان كنت أنا لا أدريه وهل خفى هذا على جميع أهل ملتى وأهل نحلتى أو مذهبى أو على فلان وفلان وفلان ولا بد انه قد كان عندهم ما يبطلون به هذا

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا عام فى اكثر من يظن انه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين الا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غلب وساوس نفسه وحماقتها على الحقايق اللائحة له ونصر ظنه الفاسد على يقين قلبه الثابت وتلاعب الشيطان به وسخر منه فاوهمه لشهوته لما هو فيه ان ها هنا دليلا يبطل به هذا البرهان وانه لو كان فلان حيا أو حاضرا لا بطل هذا البرهان وهذا أعظم ما يكون من السخافة لما لا يدرى ولا سمع

به وتكذيب لما صح عنده وظهر اليه ونعوذ بالله من الخذلان والثالث منكر بلسانه ما قد تيقن صحته بقلبه اما استدامة لرياسة او استدرار مكسب أو طمعا في أحدهما لعله يتم له أو لا يتم ولو تم له لكان خاسر الصفقة فى ذلك أو أثر غرورا ذاهبا عن قريب على فوز الابد أو يفعل ذلك خوف أذى أو عصبة لمن خالف ما قد قام البرهان عنده أوعداوة لقائل ذلك القول الذى قام به عنده البرهان وهذا كله موجود فى جمهور الناس من اهل كل ملة وكل نحلة واهل كل رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه من انفسهم فهم يغالبونها

﴿قال أبو محمد﴾ ويقال لمن قال ممن ينتمى الى الاسلام ان المعارف ليست باضطرار وان الكفار ليسوا مضطرين الى معرفة الحق في الربوبية والنبوة اخبرونا عن معجزات الانبياء عليهم السلام هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسمت عللها وفصلت بين الحق والباطل فصلا تاما أم لا فان قالوا نعم أقروا بان كل من شاهدها مضطر الى المعرفة بانها من عند الله تعالى حق شاهد بصدق من أتى بها ورجعوا الى الحق الذى هو قولنا ولله الحمد وان قالوا لا بل الشك باق فيها ويمكن ان تكون غير شاهدة بانهم محقون قطع بان الانبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان وان الشك باق فى أمرهم وان حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قط له تعالى حجة وان الانبياء عليهم السلام انما أتوا بشيء ربما قام فى الظن انه حق وربما لم يقم وهذا كفر مجرد من دان به أو قاله وهكذا نسالهم فى البراهين العقلية على آيات التوحيد وفى الكواف النافلة اعلام الانبياء عليهم السلام حتى يقروا بالحق بان حجج الله تعالى بكل ماظهرت وبهرت واضطرت الكفار كلهم الى تصديقها والمعرفة بانها حق او يقولوا انه لم تقم لله حجة على احد ولا تبين قط لاحد تعين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما نحن فى الاقرار بذلك على ظن الا انه من الظنون قوى وقد يمكن ان يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال ابو محمد﴾ ومن انكر ان يكون الكفار وكل مبطل مضطرين الى تصديق كل ماقام به برهان بعد بلوغه اليهم وقال ان ما اضطر المرء الى معرفته فلا سبيل له الى انكاره اربناه كذب قوله فى تكوين الارض والافلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مسافة كل ذلك وا كثرالناس على انكار هذا ودفعه الحق فى ذلك وكذلك من دان بالقياس والرأى او دليل الخطاب وسمع البراهين في ابطالها فهو مضطر الى معرفة بطلان ماهو عليه مكابر لعقله فى ذلك مغالط لنفسه مغالب ليقينه مغلب لظنونه

﴿قال ابو محمد﴾ وعلم الملائكة عليهم السلام وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ما جاءهم به الملائكة واوحى اليهم به وارؤه فى منامهم علم ضرورى كسائر ما ادركوه بحواسهم واوايل عقولهم وكعلمهم بان اربعة اكثر من اثنين وان النار حارة والبقل اخضر وصوت الرعد وحلاوة العسل ونتن الحلتيت وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكن الامر كذلك لكان عند الملائكة والنبيين شكا فى امرهم وهذا كفر ممن اجازه الا ان الملائكة لا علم لهم بشيء الا هكذا ولا ظن لهم اصلا لانهم لايخطئون ولاركبوا من طبايع متخالفة كما ركب الانسان فان قال قائل فاذا العلم كله باضطرار والاضطرار فعل الله تعالى فى النفوس فكيف يوجر الانسان او يعذب على فعل الله تعالى فيه قلنا نعم لا شيء فى العالم الا خلق الله تعالى وقد صح البرهان بذلك على ما اوردنا فى كلامنا فى خلق الافعال فى ديواننا والحمد لله رب العالمين وما نقل حافظ نصا ولا برهان عقل بالمنع من ان يعذبنا الله تعالى ويؤجرنا على ماخلق فينا والله تعالى يفعل مايشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكيف ينكر اهل الغفلة ان يكون قوم يخالفون ماهم الى المعرفة به مضطرون وهم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة وكما يعتقد النصارى وهم أمم لايحصى عددهم الا خالقهم ورازقهم ومضلهم لااله الا هو وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهم التدابير الصائبة والسياسات المعجبة والاراء المحكمة والفطنة فى دقائق الامور و بصر بغوامضها وهم مع ذلك يقولون ان واحدا ثلاثة وثلاثة واحد وان احد الثلاثة اب والثانى ابن والثالث روح وان الاب هو الابن وليس هو الابن والانسان هو الاله وهو غير الله وان المسيح اله تام وانسان تام وهو غيره وان الاول الذى لم يزل هو المحدث الذى لم يكن ولاهو هو

(قال أبو محمد) وليس فى الجنون أكثر من هذا واليعقوبية منهم وهم مئين ألوف يعتقدون ان البارى تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام وصلب ومحرومات وسقي الحنظل وبقى العالم ثلاثة أيام بلا مدبر وكاصحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون فى رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي العزا نه الله والاله عندهم قد يبول و يسلح ويجوع فيأكل ويعطش فيشرب ويمرض فيسوقون اليه الطبيب و يقلع ضرسه اذا ضرب عليه ويتفصر اذا أصابه دمل ويجامع و يحتجم و يفتصد وهو الله الذى لم يزل ولايزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيي العالم بما فى الصدور ويصبر وزفى جنب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط وقطع الايدى والارجل والقتل والصلب وهتك الحريم وفيهم قضاه وكتاب وتجاروهم اليوم الوف وكما يدعى طوائف اليهود وطوائف من المسلمين ان ربهم تعالى جسد فى صورة الانسان لحم ودم يمشى و يقعد كالاشعرية الذين يقولون ان هاهنا احوالا لامخلوقة ولاغير مخلوقة ولامعلومة ولامجهولة ولاحق ولاباطل وان النار ليست حارة والثلج ليس باردا وكما يقول بعض الفقهاء واتباعه ان رجلا واحدا يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحدا منهما امه وهو ابنها بالولادة

(قال أبو محمد) اترى كل من ذكرنا لاتشهد نفسه وحسه ولايقر عقله بأن كل هذا باطل بلى والذى خلقهم ولكن العوارض التى ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاختلاط وكرهت عليهم الرجوع الى الحق والاذعان له

(قال أبو محمد) وأما العناد فقد شاهدناه من كل رأيناه فى المناظرة فى الدين وفى المعاملات فى الدنيا أكثر من أن يحصى ممن يعلم الحق يقينا ويكابر على خلافه ونعوذ بالله من الخذلان ونساله الهدى والعصمة

(قال أبو محمد) لايدرك الحق من طريق البرهان الا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التى قدمنا ونظر من الاقوال كلها نظرا واحدا واستوت عنده جميع الاقوال ثم نظر فيها طالبا لما شهدت البراهين الراجعة رجوعا صحيحا غيره مموه ضروريا الى مقدمات ماخوذة من اوايل العقل والحواس غير مسامح فى شىء من ذلك فهذا مضمون له بعون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل وبالله تعالى التوفيق * واما نقله اثنان فصاعدا نوقن انهما لم يجتمعا ولا تساررا فاخبرا بخبر واحد راجع الى ماأدركه بالحواس من أى شىء كان فهو حق بلاشك مقطوع على حينه والنفس مضطرة الى تصديقه وهذا قول احد الكافة واولها اذ لايمكن البتة اتفاق اثنين فى توليد حديث واحد لايختلفان فيه عن غير تواطؤ واما اذا تواطات الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقد شاهدنا جماعات يشكرون ولاتهم وهم كاذبون الا ان هذا لايمكن ان ينفقوا على ظنه ابدا ومن انكر ما تنقله الكافه لزمه ان لايصدق انه كان فى الدنيا احد قبله لانه لايعرف كون الناس الا بالخبر

(قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد يضطر خبر الواحد في بعض الاوقات الى التصديق يعرف ذلك من تدبر امور نفسه كمتنذر بموت انسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان يأتي بها بريد وككتاب وارد من صديق بديهة وكمخبر يخبرك ان هذا دار فلان وكمنذر بعرس عند فلان وكرسول من عند القاضي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بان هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثير جدا وهذا لا ينضبط بل اكثر مما يسمع ومن راعى هذا المعنى لم يمض له يوم واحد قطعا حتى يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد مايضطر الى تصديقه ولا بد كثيرا جدا وأما في الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلم و برهان شرعي قد ذكرناه في كتابنا الاحكام لاصول الاحكام وقد ادعى المخالفون ان ما اتفقت عليه أمتنا بارائها فهي معصومة بخلاف سائر الامم ولا برهان على هذا وقال النظام ان خبر التواتر لا يضطر لان كل واحد منهم يجوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحال ان يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب من لا يجوز عليه الكذب ونظر ذلك باعمى وأعمى واعمى فلا يجوز ان يجتمع مبصرون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تنظير فاسد لان الاعمى ليس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لان كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل ان اثنين فصاعدا اذا فرق بينهما لم يمكن البتة منهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان في لفظه ومعناه فصح انهما اذا اخبرا بخبر فاتفقا فيه انهما اخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن انكر هذا لزمه ان لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بالملوك السالفين ولا بالانبياء وهذا خروج الى الجنون بلا شك او الى المكابرة في الحس وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل كيف اجزتم ههنا اطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم من ذلك في افعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة وخلق الله تعالى افعال العباد وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى في عباده قلنا ان الفرق بين الامرين في ذلك لائح وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف ما تيقنه بان يرفع عن نفسه تحقيق ماعرف انه احق فهكذا او تعناها هنا اسم الاضطرار ومنعنا منه هنالك وبالله تعالى نتايد

﴿ الكلام على من قال بتكافؤ الادلة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى القول بتكافؤ الادلة ومعنى هذا انه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب مقالة على مقالة حتى يلوح الحق من الباطل ظاهر بينا لا اشكال فيه بل دلائل كل مقالة فهي مكانئة لدلائل سائر المقالات وقالوا كلما ثبت بالجدل فانه بالجدل ينقض وانقسم هؤلاء الى أقسام ثلاثة فيما أنتجه لهم هذا الاصل فطائفة قالت بتكافؤ الادلة جملة في كل ما اختلف فيه فلم تحقق البارى تعالى ولا أبطلته ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتها وهكذا في جميع الاديان والاهواء لم تثبت شيئا من ذلك ولا ابطلته الا انهم قالوا انا نوقن ان الحق في احد هذه الاقوال بلا شك الا انه غير بين الى احد البتة ولا ظاهر ولا متميز اصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكان اسمعيل بن يونس الاعور الطبيب اليهودي تدل اقواله ومناظراته دلالة صحيحة على انه كان يذهب الى هذا القول لاجتهاده في نصر هذه المقالة وان كان غير مصرح بانه يعتقدها وقالت طائفة اخرى بتكافؤ الادلة فيما دون البارى تعالى فاثبتت الخالق تعالى وقطعت بانه حق خالق لكل ما دونه بيقين لا شك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا ابطلتها ولا حققت دين ملة ولا بطلته لكن قالت ان في هذه الاقوال قولا صحيحا بلا شك الا

انه غير ظاهر الى أحد ولا بين ولا كلفه الله تعالى أحدا وكان اسمعيل بن القراد الطبيب اليهودى يذهب الى هذا القول يقينا وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول اذا دعوناه الى الاسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علله الا نتقال فى الملل تلاعب

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة فى العلم هذا القول الاانا لم يثبت ذلك عندنا عنهم وطائفة قالت بتكافؤ الادلة فيما دون البارى عزوجل ودون النبوة فقطعت ان الله عز وجل حق وانه خالق الخلق وان النبوة حق وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ثم لم يغلب قولا من من اقوال اهل القبلة على قول بل قالوا ان فيها قولا هو الحق بلا شك الاانه غير بين الى أحدولاظاهر وأما الاقوال التى صاروا اليها فما يثبتوا عليها منهافطائفة لزمت الحيرة وقالت لاندرى مانعتقد ولايمكننا أخذ مقالة لم يصح عندنا دون غيرها مغالطين لانفسنا مكابرين لعقولنا لكنالاننكر شيئا من ذلك ولانثبته وجمهور هذه الطائفة مالت الى اللذات وأمراح النفوس فى الشهوت كيف مامالت اليه بطبايعهاوطايفة قالت على المرء فرض لموجب العقل الايكون سدا بل يلزمه ولابد ان يكون له دين يرد جربه عن الظلم والقبائح وقالوا من لادين له فهو غير مامور فى هذا العالم على الافساد وقتل النفوس غيلة وجهرا وأخذ الاموال خيانة وعصبا والتعدى على الفروج تحيلا وعلانية وفى هذا هلاك العالم باسره وفساد البنية والمحلال النظام وبطلان العلوم والفضايل كلها التى تقتضى العلوم بلزومها وهذاهو الفسادالذى توجب العقول التحرز منه واجتنابه قالوا فمن لادين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع الى قتله واراحة العالم منه وتعجيل استكفاف ضره لانه كالافعى والعقرب أوأضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين فطائفة قالت فاذالامر كذلك فوجب على الانسان لزوم الدين الذى نشا عليه أوولد عليه لانه هو الدين الذى تخيره الله له فى مبدأ خلقه ومبدأ نشئته بيقين وهو الذى أثبته الله عليه فلايحل له الخروج عما رتبه الله تعالى فيه وابتداه عليه أى دين كان وهذاكان قول اسماعيل بن القداد وكان يقول من خرج من دين الى دين فهو وقاح متلاعب بالاديان عاص لله عزوجل المتعبد له بذلك الدين وكان يقول بالمسالة الكلية ومعنى ذلك الايبقى أحد دون دين يعتقده على ماذكرنا آنفا وقالت طائفة لاعذر للمرء فى لزوم دين أبيه وجده أوسيده وجاره ولاحجة فيه لكن الواجب على كل أحد أن يلزم ما اجتمعت الديانات باسرها والعقول بكليتها على صحته وتفضيله فلا يقتل أحدا ولا يزنى ولا يلوط ولا يبغ به ولا يسع فى افساد حرمة أحد ولا يسرق ولا يغصب ولا يظلم ولا يجر ولا يخن ولا يغش ولايغتب ولا ينم ولا يسفه ولا يضرب أحدا ولا يستطيل عليه ولكن يرحم الناس ويتصدق ويؤدى الامانة ويؤمن الناس شره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لانه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس علينا غير هذا لانه لم يلح لنا الحق فى شيء منه دون غيره

﴿قال أبو محمد﴾ فهذه أصولهم ومعاقدهم وأما احتجاجهم فى ذلك فهوانهم قالوا وجدنا الديانات والاراء والمقالات كل طائفة تدعى انها انما اعتقدت ما اعتقدته عن الاوايل وبراهين باهرة وكل طائفة منها تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على البيان والتحلل والتشعب لهم فى ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم قالوا فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولوكان لماأشكل على احد ولم يختلف الناس فى ذلك كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكمالم يختلفوا فى الحساب وفى كل شيء عليه برهان لايح قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس

فعاندوه بلا معنى و يرضوا بالهلاك فى الدنيا والاخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة انما تتبع اماما نشات عليه واماما يخيل لاحدهم انه الحق دون تثبيت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من أهل كل ملة وان كان فيها مالاشك فى سخافته و بطلانه وقالوا أيضا انا نري الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتبحروا ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق و بالخروج عن جملة العامة و بانهم قدأشرفوا على على الصحيح بالبراهين وميزوومن الشغب والاقناع ونجد آخرين قد تمهروا في علم الكلام وافنو فيه دهرهم ورسخوا فيه وفخروا بانهم قدوقفوا على الدلايل الصحاح وميزوها من الفاسدة وانهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل الحجج والانصاف ثم نجدهم كلهم بعني جمع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم فى فى أديانهم التى يقرون انها نجاتهم اوهلكتهم مختلفين كاختلاف العامة واهل الجهل بل أشد اختلافا فمن يهودى يموت على يهوديته ونصراني يتهالك على نصرانيته وتثليثه ومجوسى يستميت على مجوسيته ومسلم يستقتل فى اسلامه ومنانى يستهلك فى مانونيته ودهرى ينقطع فى دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة في ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الاديان فى فرقهم أيضا كذلك سواء فان كان يهوديا فاما رباني يتقد غيظا على سائر فرق دينه وأما صابي يلعن سائر فرق دينه وأما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه وأما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه وان كان نصرانيا فاما ملكى يتهالك غيظا على سائر فرق دينه وأما نسطورى يقد اسفا على سائر فرق دينه وأما يعقوبي يسخط على سائر فرق دينه وان كان مسلما فاما خارجي يستحل دماء سائر اهل ملته وأما معتزلي يكفر سائر فرق ملته وأما شيعي لا يتولى سائر فرق ملته وأما مرجئي لا يرضى عن سائر فرق ملته وأما سني ينافر فرق ملته قد استوي فى ذلك العامى والمقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امرىء من متكلمي الفرق التى ذكرنا يدعى انه انما أخذ ما أخذ وترك ماترك ببرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتى فى الفتيا اما حنيفى يجادل عن حنيفيته واما مالكى يقاتل عن مالكيته واما شافعى يناضل عن شافعيته واما حنبلى يضارب عن حنبليته واما ظاهرى يحارب ظاهريته واما متحير مستدل فهنا لك جاء التجاذب حتى لا يتفق اثنان منهم على مائة مسالة الا فى الندرة وكل امرىء ممن ذكرنا يزرى على الاخرين وكلهم يدعى انه أشرف على الحقيقة وهكذا القائلون بالدهر أيضا متباينون متنابذون مختلفون فيما بينهم فمن موجب ان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل ومن موجب أزالية الفاعل واشياء أخر معه وان سائر العالم محدوث ومن موجب أزالية الفاعل وحدوث العالم ا مبطل للنبوات كلها كما اختلف سائر أهل النحل اولا فرق قالوا فصح ان جميهم اما متبع للذى نشا عليه والنحلة التى تربي عليها واما متبع لهواه قد تخيل له انه الحق فهم على ماذكرنا دون تحقيق قالوا فلو كان للبرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان علي طول الايام وكرور الزمان ومرور الدهور وتداول الاجيال له وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومناظراتهم وافنائهم الاوقات وتسويدهم القراطيس واستنفاذ وسعهم وجهدهم أين الحق فيرتفع الاشكال بل الامر واقف بحسبه أمتزيد فى الاختلاف وحدوث التجاذب والفرق قالوا وأيضا فانا نرى المرء الفهم العالم النبيل المتيقن في علوم الفلسفة والكلام والحجاج المستنفذ لعمره فى طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ماسواه من لذة أومال أوجاه المستفرغ لقوته في ذلك النافر عن التقليد يعتقد مقالة ماو يناظر عنها ويحاجج دونها و يدافع امامها و يعادى من خالفها مجدا فى ذلك موقنا بصوابه وخطا من خالفه منافرا له مضللا أو مكفرا فيبقى كذلك الدهر الطويل

والاعوام الجمة ثم انه تبدوله بادية عنها فيرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصر ولا هل تلك المقالة التى كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل فى ابطالها ويناظر فى افسادها ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذى كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسه أمس وربما عاد الى ما كان عليه أو خرج الى قول ثالث قالوا فدل هذا على فساد الادلة وعلى تكافؤها جملة وان كل دليل فهو هادم الآخر كلاهما يهدم صاحبه وقالوا أيضا لا يخلو من حقق شيئا من هذه الديانات او المقالات من ان يكون صح له أو لم يصح له ولا سبيل الى قسم ثالث قالوا فان كان لم يصح له باكثر من دعواه أومن تقليده مدعيا فليس هو أولى من غيره بالصواب وان كان صح له فلا يخلو من ان يكون صح له بالحواس أو بعضها أو بضرورة العقل و بديهته أو صح له بدليل ماغير هذين ولاسبيل الى قسم رابع فان كان صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل و بديهته فيجب ان لا يختلف فى ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديهة العقل من أن ثلثه أكثر من اثنين وانه لا يكون المرء قاعدا قائما معا بالعقل فلم يبق الان يقولوا انه صح لنا بدليل غير الحواس فنسالهم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم بالدعوى فلستم باولى من غيركم في دعواه أم بالحواس و بديهة العقل فكيف خولفتم فيه هذا ولا يختلف فى مدركاته أحد ام بدليل غير ذلك وهكذا ابدا الى مالا نهاية له قالوا وهذا مالا مخلص لهم منه قالوا ونسالهم ايضا عن علمهم بصحة ماهم عليه ايعلمون انهم يعلمون ذلك املا فان قالوا لانعلم ذلك أحالوا وسقط قولهم وكفونا مؤونتهم لانهم يقرون أنهم لا يعلمون أنهم يعلمون ماعلموا وهذا هوس وافساد لما يعتقدونه وان قالوا بل نعلم ذلك سالناهم ابعلم علموا ذلك ام بغير علم وهكذا ابدا وهذا يقتضي ان يكون للعلم علم ولعلم العلم علم الى مالانهاية له وهذا عندهم محال

﴿قال أبو محمد﴾ هذا كل ماموهوا به ماتعلم لهم شغبا غير ماذكرنا ولهم متعلق سواه اصلا بل قد زدناهم فيما رأينا لهم وتقصيناه لهم بغاية الجهد كما فعلنا باهل كل مقالة

﴿قال أبو محمد﴾ وكل هذا الذى موهوا به منحل بيقين ومنتقض بابين برهان بلا كثير كلفة ولم نجد احدا من المتكلمين السالفين اورد بابا خالصا فى النقض على هذه المقالة ونحن ان شاء الله تعالى تنقض كل ماموهوا به بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق وذلك بعد ان نبين فساد معاقد هذه الطوائف المذكورة ان شاء الله عز وجل

﴿قال أبو محمد﴾ فنقول وبالله تعالى نتايد اما الطائفة المتحيرة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنتها في ذلك وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا من لم يتبين له الشيء غبارا على من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذى لا يشك احد فيه فى جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ولا احمق ممن يقول لما جهلت انا امر كذا ولم اعرفه علمت ان كل احد جاهل به كجهل وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ولو ساغ هذا لاحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لا يتحجج فيه ولا يفهمه وان طلبه هذا امر مشاهد بالحواس فهم قد اقروا بالجهل وندعى نحن العلم بحقيقة مااعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم ان ينظروا فى براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصى بغير هوى فلا بد يقينا من ان يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد لله رب العالمين * واما من قطع بان ليس ها هنا مذهب صحيح اصلا فان قوله ظاهر الفساد بيقين لااشكال فيه لانهم اثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة

ما يدرك بالحواس وباول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا ابطلوا حدوثه وازليته معا ولم يصححوا ان له خالقا ولا انه لا خالق له وأبطلوا كلا الامرين وأبطلوا النبوة وابطلوا ابطالها فقد خرجوا يقينا الى المحال والى اقبح قول السوفسطائية وفارقوا بديهة العقل وضرورته التى قد حققوها وصدقوا موجبها اذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل فى ان كل مالم يكن حقا فهو باطل وما لم يكن باطلا فانه حق وان اثنين قال أحدهما فى قضية واحدة فى حكم واحد قال نعم والآخر لا فاحدهما صادق بلا شك والآخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل وبديهته واما قول قائل هذا حق باطل معا من وجه واحد فى وقت واحد وقول من قال لا حق ولا باطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل وبديهته فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال الآخر هو محدث ان احدهما صادق بلا شك وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقينا فساد هذه المقالة الا ان يبطلوا الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية مما ذكرناه من قبل وبالله تعالى التوفيق وأما من مال الى اللذات جملة فانه ان كان من احدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا انه على ضلال وخطا وباطل وفساد فى اصل معتقده الذى أداه الى الانهماك واذا بطل شيء بيقين قد بطل ما تولد منه وان مال الى احد الاقوال الاخر فكلها مبطل للزوم اللذات والانهماك فصح ضرورة بطلان هذه الطريقة وان صار الى تحقيق الدهرية كلم بما تكلم به الدهرية مما قد أوضحناه والحمد لله واما من قال بالزام المرء دين سلفه والدين الذى نشأ عليه فخطا لا خفاء به لاننا نقول لمن قال بوجوب ذلك ولزومه اخبرنا من اوجبه ومن ألزمه فالايجاب والالزام يقتضى فاعلا ضرورة ولابد منها فمن الزم ما ذكرتم من ان يلزم المرء دين سلفه أو الدين الذى نشا عليه الله ألزم ذلك جميع عباده أم غير الله تعالى أوجب ذلك اما انسان واما عقل واما دليل فان قال بل ما ألزم ذلك الا من دون الله تعالى قيل له ان من دون الله تعالى معصى مخالف مرفوض لا حق له ولا طاعة الا من اوجب الله عز وجل له فيلزم طاعته لان الله اوجبها لا لانها واجبة بذاتها وليس من أوجب شيئا دون الله تعالى باولى من آخر ابطل ما اوجب هذا وأوجب بطلانه وفى هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى الا جاهل مغرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ولافرق وان قال ان العقل الزم ذلك قيل له انك تدعى الباطل على العقل اذا دعيت عليه ماليس فى بنيته لان العقل لايوجب شيئا وانما العقل قوة تميز النفس بها الاشياء على ماهى عليه فقط ويعرف ماصح وجوبه مما أوجبه من تلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من يجب عليه طاعته ليس فى العقل المراد به المتميز شيء غير هذا أصلا وايضا فان قائل هذا مجاهر بالباطل لانه لا يخلو ان يكون يزعم ان العقل اوجب ذلك ببديهته أو ببرهان راجع الى البديهة من قرب أو من بعد فان ادعى ان العقل يوجب ذلك ببديهته كابر الحس ولم ينتفع بهذا ايضا لانه لا يعجز عن التوقح بمثل هذه الدعوى احد في اى شيء شاء وان ادعى انه أوجب ذلك برهان راجع الى العقل كلف المجيء به ولا سبيل اليه ابدا فان قال ان الله عز وجل أوجب ذلك سئل الدليل على صحة هذه الدعوى التى اضافها الى البارى عز وجل وهذا ما لا سبيل اليه لان ما عند الله عز وجل من الزام لا يعرف البتة الا بوحى من عنده تعالى الى رسول من خلقه يشهد له تعالى بالمعجزات واما بما يضعه الله عز وجل فى المعقول وليس في شيء من هذين دليل على صحة دعوى هذا المدعي واما احتجاجه بانه هو الدين الذي اختاره الله عز وجل لكل احد وانشاه عليه فلا حجه له فى هذا لاننا لم نخالفه فى ان هذا درب على هذا الدين

وخلقه الله عز وجل مع من دربه عليه بل نقر بهذا كما نقر بان الله خلقنا فى مكان ما فى صناعة ما وعلى معاش ما وعلى خلق ما وليس فى ذلك دليل عند احد من العالم على انه لا يجوز له فراق ذلك الخلق الى ما هو خير منه ولا على انه لزمه لزوم المكان الذى خلق فيه والصناعة التى نشا عليه والقوت الذى كبر عليه بل لا يختلف اثنان فى ان له مفارقة ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك المعاش الى غيره وان فرضا عليه لزوال عن كل ذلك اذ كان مذموما الى المحمود من كل ذلك وأيضا فان جميع الاديان التى أوجبها كلها هـذا القائل وحقق جميعها فكل دين منها فيه انكار غيره منها واهل كل دين منها تكفر سائر اهـل تلك الاديان وكلهم يكذب بعضهم بعضا وفى كل دين منها تحريم التزام غيره على كل احد فلو كان كل دين منها لازما ان يعتقده من نشاء عليه لكان كل دين منها حقا واذا كان كل دين منها حقا منهـا يبطل سائرها وكل ما ابطله الحق فهو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضرورة على قول هذا القائل ان جميع الاديان باطل وان جميعها حق فجميعها حق باطل معا فبطل هذا القول بيقين لا شك فيه والحمد لله رب العالمين واما من قال انى الزم فعل الخير الذي اتفقت الديانات والعقول على انه فضل واجتنب ما اتفقت الديانات والعقول على أنه قبيح فقول فاسد مموه مضمحل أول ذلك انه كذب ولا اتفقت الديانات ولا العقول على شيء من ذلك بل جميع الديانات الا الاقل منها مجموعون على قتل من خالفهم واخذ اموالهم وكل دين منها لا يحاشى دينا قاتل باحكام هى عند سائرها ظلم وأما المنانية فانها وان لم تقـل بالقتل فانها تقول بترك النكاح الذي هو مباح عند سائر الديانات ويقولون باباحة اللياطة والسحق وسائر الديانات محرمة لذلك فما اتفقت الديانات على شيء أصلا ولا على التوحيـد ولا على ابطاله لـكن اتفقت الديانات على تخطئته وتكفيره والبراءة منه اذا لم يعتـقد دينا فبيناه يطلب موافقة جميع الديانات حصـل على مخالفة جميعهـا وهـكذا فليكن السعى المضلل وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة للذات كارهة لمـا يلتزمه أهـل الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشيء يجمع عليه ولم يحصل الاعلى طمع خائب مخالفـا لجميع الديانات غير متعلق بدليل لا عقلى ولا سمعى وقد قلنا أن العقول لا توجب شيئا ولا تقبحه ولا تحسنه وبرهان ذلك أن جميـع أهـل العقول الا يسيرا فانهـم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بالقتل وأخـذ المـال وضرب الانسان وذبح الحيوان فمـا قال قط أصحاب العقول أنهـا جاءت بخلاف ما فى العقول ولا ادعى ذلك الا أقل الناس ومن ليس عقله عيارا على عقل غـيره ولو كان ذلك واجبا فى العقول لوجـده سائر أهل العقول كلا قالوا م سواء سواء فصح ان دعواهم على العقول كاذبة فى باب التقبيح والتحسين جملة وهـذا أكسر عام لنفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين * ثم نذكر ان شاء الله تعالى البراهين على ابطال حججهم الشغبة المموه بها وبالله تعالى نتايد

﴿ قال ابو محمد ﴾ أما احتجاجهم بان قالوا وجدنا أهـل الديانات والاراء والمقالات كل طائفة تناظر الاخرى فتنتصف منهـا وربمـا غلبت هـذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب فهم فى ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم فصح أنه ليس ههنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لمـا أشـكل على أحـد ولا اختلاف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما هم يختلفوا فى الحساب وفى كل شيء عليه برهان لائح واللائح الحق على مرور الزمان وكثرة البحث وطول المنـاظرات قالوا ومن المحـال أن يبـدو الحق الى الناس ظاهرا فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك فى الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هـذا صح ان كل طائفة تتبع أما

مانشات عليه وأما مايخيل لاحدهم انه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من كل ملة ونحلة وان كان فيها مالا يشك فى بطلانه وسخافته

(قال أبو محمد) هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقها من البيان بتصحيح أو افساد بما لا يخفى على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق أما قولهم ان كل طائفة من أهل الديانات والاراء يناظر فينتصف وربما غلبت هذه فى مجلس ثم غلبتها الاخرى فى مجلس آخر على قدر قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب والتمويه فقول صحيح الا أنه لاحجة لهم فيه على ما دعوه من تكافؤ الادلة أصلا لان غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق وان كانت له ولا يلتفت اليها وان كانت عليه وانما تحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانعون بان يقال غلب فلان فلانا وان فلانا لنظار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا بابطال باطل فصح ان تغالب المتناظرين لا معنى له ولا يجب أن يعتد به لاسيا تجادل اهل زماننا الذين أمالهم نوب معدودة لا يتجاوزونها بكلمة واما ان يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقح والتشنيع والجهات واما كثير الهدر قوى على أن يملأ المجلس كلاما لا يتحصل منه معنى وأما الذى يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الامور على ماهى عليه فهو أن يبحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة فى ذلك الباب فاذا نقضوها ولم يبقوا منها شيئا تاملوها كل حجة حجة فميزوا الشغبى منها والاقناعى فاطرحوهما وفتشوا البرهانى على حسب المقدمات التى بيناها فى كتابنا الموسوم بالتقريب فى مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس ببرهان وفى كتابنا هذا وفى كتابنا الموسوم بالاحكام فى أصول الاحكام فان من سلك تلك الطريق التى ذكرنا وميز فى المبداء ما يعرف باول التمييز والحواس ثم ميز ماهو البرهان مما ليس برهانا ثم لم يقبل الاما كان برهانا راجعا رجوعا صحيحا ضروريا الى ما أدرك بالحواس أو ببديهة التمييز وضرورة فى كل مطلوب يطلبه فان سارع الحق يلوح له واضحا ممتازا من كل باطل دون أشكال والحمد لله رب العالمين وأما من لم يفعل ماذكرنا ولم يكن وكده الا نصر المسالة الحاضرة فقط أو نصر مذهب قد ألفه قبل ان يقوده الى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه الا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعيد عن معرفة الحق عن الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنوا أن كل بحث ونظر مجراهما هذا المجرى الذى عهدوه ممن ذكرنا فضلوا ضلالا بعيداً وأما قولهم فصح أنه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولما اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا فى الحساب وفى كل ما عليه برهان لائح فقول أيضا مموه لانه كله دعوى فاسدة بلا دليل وقد قلنا قبل فى ابطال هذه الاقوال كلها بالبرهان بما فيه كفاية وهذا لا يمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة ان من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مايل بهوى ولا ألف ولا نفار ولا كسل فمضمون له تمييز الحق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال اقليدس فانه لا اشكال فى جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن يقال له سل عن شكل شكل تخبر ببرهانه أو كمن سال ما النحو وأراد ان يوقف على قوانينه جملة فان هذا لا يمكن باكثر من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل باختلافها الى معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا الى اثباته جملة الابالاخذ معه فى مسالة مسالة وهكذا فى هذا المكان الذى نحن فيه لا يمكن ان نبين جميع البرهان على كل مختلف فيه باكثر من أن يقال له سل عن مسالة مسالة نبين لك برهانها بحول الله تعالى وقوته ثم نقول

لمن قال من هؤلاء ان ههنا قولاصحيحا واحدا لا شك فيه اخبرنا من اين عرفت ذلك ولعل الامر كما يقول من قال ان جميع الاقوال كلها حق فان قال لا لانها لو كانت حقا لكان محالا ممتنعا لان فيها اثبات الشيء وابطاله معا ولو كان جميعها باطلا لكان كذلك أيضا سواء سواء وهو محال ممتنع لان فيه أيضا اثبات الشيء وابطاله معا واذا ثبت اثبات الشيء بطل ابطاله بلا شك واذا بطل اثباته ثبت ابطاله بلا شك فاذ قد بطل هذان القولان بيقين لم يبق بلا شك الا أن فيه حقا بعينه و باطلا بعينه قلنا له صدقت واذ الامر كما قلت فان هذا العقل الذى عرفت به فى تلك الاقوال قولا صحيحا بلا شك به تميز ذلك القول الصحيح بعينه مما ليس بصحيح لان الصحيح من الاقوال يشهد له العقل والحواس ببراهين ترده الى العقل والى الحواس ردا صحيحا وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ الى العقل والى الحواس وهذا بين والحمد لله رب العالمين * واما من ابطل ان يكون فى الاقوال كلها قول صحيح فقد اخبرنا انه مبطل للحقائق كلها متناقض لانه يبطل الحق والباطل معا وبالله تعالى التوفيق أما قولهم لو كان ههنا قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم ولا في الحساب فان هذا قول فاسد لان اشكال الشيء على من أشكل عليه انما معناه انه جهل حقيقة ذلك الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على من علم برهان هذا انه ليس فى العالم شيء الا ويجهله بعض الناس كالمجانين والاطفال ومن غمرة الجهال والبلدة ثم يتزيد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئا لا تفهمه المجانين وتفهم اخرى ما لا تفهمه هؤلاء وهكذا الى أرفع مراتب العلم فكلما اختلف فيه فقد وقف على الحقيقة فيه من فهمه وان كان خفي على غيره هذا أمر مشاهد محسوس فى جميع العلوم وآفة ذلك ما قد ذكرنا قبل وهو اما قصور الفهم والبلادة وأما كسل عن تقصى البرهان وأما لالف او نفار تعدا بصاحبهما عن الغاية المطلوبة أو تعديا وهذه دواعي الاختلاف فى كل ما اختلف فيه فاذا ارتفعت الموانع لاح البرهان بيقين فبطل ما شغبوا به والحمد لله رب العالمين * وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد والسبب فى انقطاع اطراده هو انه ليس فى أكثر ما يدرك بالحواس و بداية العقول شيء يدعو الى التنازع ولا الى تقليديتها لك فى نصره او ابطاله وكذلك فى الحساب حتى اذا صرنا الى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أو باوائل التمييز وجد فيه من التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضرورات كالذى يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستهلاكهم فى ان المسيح له طبيعتان ناسوتية ولاهوتية ثم منهم من يقول ان تلك الطبيعتين صارتا شيئا واحدا وصار اللاهوت ناسوتا تاما محدثا مخلوقا وصار الناسوت الها تاما خالقا غير مخلوق ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج البطانة والظهارة وهذا حمق ومحال يدرك فساده باول العقل وضرورته وكما تهالكت المنانية على ان الفلك فى كل أفق من العالم لا يدور الا كما يدور الرحى وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالكت اليهود على ان النيل الذى يحيط بارض مصر وزويلة ومعادن الذهب وان الفرات المحيط بارض الموصل مخرجهما جميعا من عين واحدة من المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على ان الولادة من انسان وان مدينة واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والارض وكتهالك جميع العامة على ان السماء مستوية كالصحيفة لا مقبية مكورة وان الارض كذلك أيضا وان الشمس تطلع على جميع الناس في جميع الارض فى ساعة واحدة وتغرب عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك الاشعرية وغيرهم ممن يدعى العلم والتوفيق فيه ان النار لا حر فيها وان الثلج لا برد فيه وان

الزجاج والحصا لها طعم ورائحة وان الخمر لا يسكر وان ههنا أحوالا لا معدومة ولا موجودة ولا هي حق ولا هي باطل ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه وبطلانه بالحواس وباول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل في وهم أحد ولو لا اننا شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا ان من له مسكة عقل ينطلق لسانه بهذا الجنون وكتهالك طوائف على ان اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لا هو الآخر ولا هو غيره وكالسوفسطائيـة المنكرة للحقائق وأما الحساب فقد اختلف له في أشياء من التعديل ومن قطع الكواكب وهل الحركة لها أو لافلاكها وأما الذى لا يخلو وقت من وجوده فخطا كثير من أهل الحساب في جمع الاعداد الكثيرة حتى يختلفوا اختلافا ظاهرا حتى اذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل وهذا نفس ما يعرض في كل ما يدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيههم جملة والحمد لله رب العالمين وصح ما أنكروه من ان كثيرا من الناس يغيبون عن اعتقاد ما شهدت له الحواس وينكرون أوائل العقول ويكابرون الضرورات أما انهم كسلوا عن طلب البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لانهم زلوا عن طريق البرهان وظنوا انهم عليه واما لانهم الفوا ما مالت اليه أهواؤهم لالف شيء ونفار عن آخر وأما قولهم وللاح الحق على مرور الازمان وكثرة البحث وطول المناظرات فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان ظن الباطل وان كان كل طائفة تدعيه فان من نظر على الطريق التى وصفنا صح عنده المحق المدعى من المبطل وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ومن المحال ان يبدو الحق الى الناس فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا معنى فقول فاسد لانا قد رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها الى الناس فعانده كثير منهم وبذلوا مهجهم فيـه وكأنهم ما شاهدوا الامر الذى ملا الارض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقرون بالسنتهم أنهم على باطل يقتتلون ويعترفون بانهم بلغوا مهجهم ودماءهم وأموالهم وأديانهم ويوتمون أولادهم ويرملون نساءهم في قتال عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرىء منهم في ذاته تقصيرا به لو لم يقاتل أو لم يروا كثيرا من الناس ياكلون أشياء يوقنون بانهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر وهم يقرون انها قد آذتهم وأفسدت أمزجتهم وانها تؤديهم الى التلاف وهم يقرون مع ذلك انهم عاصون لله تعالى وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصى في النار المحققين لذلك يقر على نفسه انه يفعل ما يخلد به في النار فان قالوا ان هؤلاء يستلذون ما يفعلون من ذلك قلنا لهم ان استلذاذ من يدين بشيء ما يبصره لما يدين به وتعصبه له أشد من استلذاذ الاكل والشرب لما يدرى انه يبلغه من ذلك ثم نقول لهم اخبرونا عن قولكم هذا انه ليس ههنا قول سطعت حجته ولوكان لما اختلف الناس فيه أحق وهى هذه القضية التى قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا فان قالوا لا أقروا بان قولهم لم تصح حجته ولا لاح برهانا وانه ليس حقا ما قالوه وان قالوا بل هو حق قد لاحت حجته قلنا لهم فكيف خولفتم في شيء لاحت حجته حتى صار أكثر أهل الارض يعمون عما لا شك فيه عندكم وعن ما لاح الحق فيه حتى اعتقدوا فيكم الضلال والكفر واباحة الدم وهذا هو نفس ما أنكروا قد صرحوا انه حق والحمد لله رب العالمين وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقـل من مذهب الى مذهب وتهالكه في اثباته ثم تهالكه في ابطاله ورومهم ان يفسدوا بهـذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لان كل متنقل من مذهب الى مذهب فلا يخلو ضرورة من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون انتقل من خطا الى خطا أو من خطا الى صواب أو من صواب الى خطا وأى ذلك كان فانما أتى في الانتقالين

الاثنين الذين هما الى الخطا من انه لم يطلب البرهان طلبا صحيحا بل عاجزا عنه باحد الوجوه التى قدمنا قبل وأما الانتقال الى الصواب فانه وقع عليه بجد صحيح وطلب صحيح أو بجد وبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيرا فيرى الانسان شخصا من بعيد فيظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له أنه ليس هو الذى ظن وقد يشم الانسان رائحة بظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مجدا ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وهكذا فى الذوق أيضا وقد يعرض هذا فى الحساب فقد يغلط الحاسبون فى جمع الاعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان الجميع من هذه الاعداد كذا وكذا ويخالفه غيره فى ذلك حتى اذا بحثوا بحثا صحيحا صح الامر عندهم وقد يعرض هذا للانسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مرددا المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده فى أقرب مكان منه وقد يكتب الانسان مستمليا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب الايصح شيء بادراك الحواس أبدا ولا الا يصح وجود الانسان شيئا افتقده أبدا ولا الايصح جمع الاعداد أبدا ولا الايصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لامكان وجود الخطا فى بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يليح الحق من الباطل وهكذا كل شيء أخطا فيه ولا بد من برهان يليح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل ان هذه المعانى كلها حجة لمبطلى الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قاطع لان كل ماذكرنا لا يختلف حس أحد فى ان كل ذلك اذا فتش تفتيشا صحيحا فانه يقع اليقين والضرورة بان الوهم فيها غير صحيح وان الحق فيها ولا بد فبطل تعلقهم بمن رجع من مذهب الى مذهب ولم يحصلوا الاعلى ان قالوا انا نرى قوما يخطئون فقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فاقرارهم بوجود الخطا موجب ضرورة ان ثم صوابا لان الخطا هو مخالفة الصواب فلو لم يكن صوابا لم يكن خطا ولولم يكن برهانا لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم وبالله تعالى نتأيد فاذ قد وجدتم من يعتقد ماأنتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم ان مذهبكم هذا كالاقوال الاخر التى أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد فى الحقيقة وهو فى ظنكم صحيح فهو لكم لازم لانكم صححتموه ولا يلزمنا لاننا لا نصححه ولا صححه برهان

(قال أبو محمد) وبهذا الذى قلنا يبطل مااعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمتحلين الكلام في مذاهبهم وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضا فى اختيارهم لاننا لم ندع ان طبائع الناس سليمة من الفساد لكننا نقول ان الغالب على طبائع الناس الفساد فان المنصف لنفسه أولا ثم لخصمه ثانيا الطالب البرهان على حقيقة العارف به فدليل برهاننا على هذا ماوجدناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطاء منهم وقد وضحنا ان وجود الخطاء يقتضى ضرورة وجود الصواب منهم ولا بد وليس اختلافهم دليلا على ان لاحقيقة فى شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بانه لايخلو من حقق شيئا من الديانات والمقالات والاراء من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو ببديهة العقل وضرورته أو بدليل من الادلة غير هذين وانه لو صح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه والزامهم فى الدليل مثل ذلك الى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضى الكلام فيه وقد أريناهم انه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وبديهة العقل كاختلافهم فى الشخص يرونه ويختلفون فيه ما هو وفى الصوت يسمعونه بينهم فيما هو ويختلفون فيه وكاقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقول لهم ان أول المعارف هو ماأدرك بالحواس وبديهة العقل وضرورته ثم ينتج براهين راجعة من قرب

أومن بعد بعد الى أول العقل أو الى الحواس فما صححته هذه البراهين فهو حق وما لم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق قولكم هذا باى شىء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غيرهما فان علمتموه بالحواس أو العقول فكيف خولفتم فيه وان كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه أبالحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبدا وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد وعلى ان هذا لهم لازم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه ونحن لم نصحح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه بما دفعه عنا وأماهم فلا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم نسألهم عن علمهم بما يدعون صحته أتعلمونه أم لا فان قالوا لا نعلمه بطل قولهم اذا قروا بانهم لا يعلمونه وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبدا فهذا أمر قد أحكمنا بيان فساده فى باب أفردناه فى ديواننا هذا على أصحاب معمر في قولهم بالمعانى وعلى الاشعرية ومن وافقهم من المعتزلة فى قولهم بالاحوال وانما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الادلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسألهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لا فان قالوا لا اقروا بانهم لا يعلمون صحته وفى هذا ابطاله والله انما هو ظن لا حقيقة وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم تعلمونه أم بغير علم وهكذا أبدا الا ان السؤال لازم لهم لانهم صححوه ومن صحح شيئا لزمه واما نحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه فى بابه باننا نعلم صحة علمنا بعلمنا ذلك بعينه لا بعلم آخر ونعقل أن لنا عقلا بعقلنا ذلك بنفسه وانما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لا من يقول بتكافؤ الادلة فبطل كل ماموهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ ثم نقول لهم انتم قد اثبتم الحقائق وفى الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون فى ذلك ببراهين صحاح فببراهين صحاح أيضا صح ما أبطلتموه أو شككتم فيه من أن في مذاهب الناس مذهبا صحيحا ظاهر الصحة فاذا سال عنها أجيب بها في مسالة مسالة

(قال أبو محمد) ويقال لمن قال لكل ذى ملة أونحلة أومذهب لعلك مخطىء وأنت تظن انك مصيب لان هذا ممكن فى كثير من الاقوال بلاشك أخبرنا أفى الناس من فسد دماغه وهو يظن انه صحيح الدماغ فان انكر ذلك كابر ودفع المشاهدات وان قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك وأنت تظن انك سالم الدماغ فان قال لا لان هاهنا براهين تصحح انى سالم الذهن قيل له وهاهنا براهين تصحح الصحيح من الاقوال وتبينه من الفاسد فان سال عنها أجيبت بها فى مسالة مسالة

(قال أبو محمد) فاذ قد بطل بيقين ان تكون جميع أقوال الناس صحيحة لان فى هذا أن يكون الشىء باطلا حقا معا وبطل ان تكون كلها باطلا لان فى هذا أيضا اثبات الشىء وضده معا لان الاقوال كلها انما هى نفى شىء يثبته آخر من الناس فلوكان كلا الامرين باطلا لبطل النفى فى الشىء واثباته معا واذا بطل اثباته صح نفيه واذا بطل نفيه صح اثباته فكان يلزم من هذا أيضا ان يكون الشىء حقا باطلا معا ثبت بيقين ان في الاقوال حقا وباطلا واذ هذا لاشك فيه فبالضرورة نعرف ان بين الحق والباطل فرقا موجودا وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانكم تحيلون على براهين تقولون ان ذكرها جملة لا يمكن وتامرون بالجد فى طلبها فما الفرق بينكم وبين دعاة الاسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنا لهم الفرق بيننا وبينهم برهانان

واضحان احدهما ان القوم يامرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل أن يعرفوا براهينهم ونحن لا نفعل هذا بل ندعوا الى معرفة البراهين وتصحيحهـا قبل أن نصدق فيما نقول والثانى أن القوم يكتمون اقوالهم و براهينهم معا ولا يبيحونها للسبر والنظر ونحن نهتف باقوالنا و براهيننا لكل أحـد و ندعوا الى سبرها وتقبيسها وأخذها ان صحت ورفضها ان لم تصح والحمد لله رب العالمين ولسنا نقول اننـا لا نقدر أن نحد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقدر على ذلك وهو أن البرهان المفرق بين الحق والباطل فى كل مااختلفوا فيه أن يرجع رجوعا صحيحا متيقنا الى الحواس او الى العقل من قرب أو من بعد رجوعا صحيحا لايحتمل ولا يمكن فيه الا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وان لم يرجع كما ذكرنا الى الحواس أو الى العقل فليس برهانا ولا ينبغى ان تشتغل به فانمـا هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق و بهذا اسقط القياس والتقليد لانه لا يقدر القائلون بهما على برهان فى تصحيحهما يرجع الى الحواس أوالى أول العقل رجوعا متيقنا

(قال أبو محمد) ونحن نقول قولا كافيا بعون الله وقوته وهو أن أول كل مااختلفت فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وان له محدثا واحدا لم يزل ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان براهين كل ذلك راجعة رجوعا صحيحا ضرورياً الى الحواس وضرورة العقل فما لم يكن كذا فليس بشيء ولا هو برهانا وان كان مااختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملها فان براهين كل ذلك راجعة الى ماأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذ هو المبعوث الينا بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهانا ولا هو شيئا وفى أول ديواننا هذا باب فى ماهية البراهين الموصلة الى معرفة الحقيقة فى كل مااختلف الناس فيه فاذا أضيف الى هذا ارتفع الاشكال والحمد لله رب العالمين

﴿ الكلام فى الالوان ﴾

(قال أبو محمد) الارض غبراء وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض الا أن يكتسب لونا بما استضاف اليه لفرط صفائه فيكتسى لون انائه أو ماهو فيه وانما قلنا انه أبيض لبراهين * أحدها أنه اذا صب فى الهواء بهرق ظهر أبيض صافى البياض * والثانى فى انه اذا جمد فصار ثلجا أو بردا ظهر أبيض شديد البياض وأما الهواء فلا لون له أصلا ولذلك لا يرى لانه لايرى الا اللون وقد زعم قوم انه انما لايرى لا نطباقه على البصر وهذا فاسد جداً و برهان ذلك أن المرء يغوص فى المـاء الصافي ويفتح عينيه فيه فيرى المـاء وهو منطبق على بصره لاحائل بينهمـا ولا يرى الهواء فى تلك الحال وان استلقى على ظهره فى الماء وهذا أمر مشاهد واما الذى يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فانما هو ان الاجسام تنحل منها ابدا أجزاء صغار وهى التى تسمى الهباء فاذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الاجزاء الصغار وهى متكاثفة جدا ولونها الغبرة فهى التى ترى لاما سواها ومن تامل هذا عرفه يقينا وان البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل من الارض والثياب والابدان وسائر الاجرام ولكن لدقتها لاترى الا ان انحصر خط الشمس فيرى مافى ذلك الانحصار منها فقط واما النار فلا ترى ايضا لانه لالون لها فى فلكها واما المرئية عندنا فى الحطب والفتيلة وسائر مايحترق فانما هى رطوبات ذلك المحترق يستحيل هواء فيه نارية فتكتسب ألوانا بمقدار ما تعطيها طبيعتها فتراها خضراء ولازوردية وحمراء و بيضاء وصفراء و بالله تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائرة قوس قزح

(قال

(قال أبو محمد) أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان على أنه لايرى الا الالوان وان كل مايرى فليس الا لونا وحدوا بعد ذلك البياض بانه لون يفرق البصر وحدوا السواد بانه لون يجمع البصر

(قال أبو محمد) وهذا حد وقعت فيه مسامحة وانما خرجوه على قول العامة فى لون السواد ومعنى يجمع البصر أنه يقبضه فى داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المرئيات واذ هذا معنى القبض بلاشك فهو معنى منع البصر والادراك وكفه ومن هذا سمي المكفوف مكفوفا فاذا السواد يمنع البصر من الانتشار ويقبضه عن الانبساط ويكفه عن الادراك وهذا كله معنى واحد وان اختلفت العبارات فى بيانه فالسواد بلا شك غير مرئى اذ لو رؤى لم يقبض خط البصر اذ لارؤية الا بامتداد البصر فاذ هو غير مرئى فالسواد ليس لونا اذ اللون مرئى ولا بد ومالم ير فليس لونا وهذا برهان عقلى ضرورى و برهان آخر حسي وهو أن الظلمة اذا اطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السالم النظرين وبين الاعمى المنطبق والمسدود العينين سدا أو كفا فاذ ذلك كذلك فالظلمة لاترى ومن الباطل الممتنع أن تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم أن المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عدم الرؤية ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هى السواد نفسه فمن ادعى أنهما متغايران فقد كابر العينان و ادعى مالا يأتى عليه بدليل أبدا ونحن نجد ان لو فتح فى حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على احداهما ستر أسود وتركت الاخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعد بينهما أصلا ولو جعل على احداهما ستر أحمر أو أصفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقينا من بعد أو قرب وهذا بيان ان السواد والظلمة سواء وبرهان آخر حسى وهو أن خطوط البصر اذا استوت فلا بد من أن تقع على شيء مالم يقف فيه مانع من تماديها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لايقع بصره على حائط ان كان فى الظلمة وسواء كان فيها حائط مانع من تمادى خط البصر أو لم يكن فصح يقينا أن الظلمة لاترى بل هى مانعة من الرؤية والظلمة هى السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط فى هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعة ولا فى معنى اللغة ولا بالمشاهدة فقد صح ان السواد لايرى اصلا وانه ليس لونا

(قال أبو محمد) وانما وقع الغلط على من ظن ان السواد يرى لانه أحس بوقوع خطوط البصر على ماحوالى الشيء الاسود من سائر الالوان فعلم بتوسط ادراكه ماحوالى الاسود ان بين تلك النهايات شيئا خارجا عن تلك الالوان فقدر انه يراه ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا يظنونهم من الجهة التى ذكرنا انهم يرون الحركات والسكون فى الاجرام والامر فى كل ذلك وفى الاسود واحد ولافرق فان قال قائل أنه ان كان فى جسم الاسود زيادة ناتئة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم تعلم بنتوء تلك الهيئة الناتئة له على سطح جسده قيل له وبالله تعالى التوفيق هذا أيضا وهم لانه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة الناتئة له وامتدت سائر الخطوط الى أبعد من تلك المسافة وعلمت النفس بذلك توهم من لم يحقق أن هذه رؤية وليست كذلك وتوهموا أيضا أنهم يرون السواد ممازجا لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقة فاذا كان هذا هكذا فان البصر يرى ما فى ذلك السطح من هذه الالوان على حسب قوتها وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك انهم رأوا السواد ويتوهمون أيضا أنهم يرونه لانهم قالوا نحن نميز الاسود البراق البصيص واللمعان من الاسود الاكدر الغليظ

(قال أبو محمد) وهذا مكان ينبغى أن نتثبت فيه فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الاملاس

هو استواء أجزاء السطح والخشونة هي تباين أجزاء السطح وقد نجد أماس لماعا وأماس كدرا فاذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شيء آخر غير استواء أجزاء السطح واذ هو كذلك وهو مرئي فالبصيص بلا شك لون آخر محمول في الملون بالحمرة أو الصفرة أو سائر الالوان وفيما عرى من جميع الالوان سواء فاذا قلنا أسود لماع فانما نريد انه ليس فيه من الالوان الا اللمعان فقط فهو لون صحيح وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من امتزاج هذه الالوان ولعل الكدرة أيضا لون آخر مرئي كاللمعان وهي أيضا غير سائر الالوان فهذا ما لا يوجد ما يمنع منه بل الدليل يثبت ان الكدرة أيضا لون وهو وقوع البصر عليها وهو لا يقع الا على لون ومن أبى من هذا كلفناه أن يحد لنا اللمعان والكدرة فانه لا يقدر على شيء أصلا غير ماقلنا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانا نرى الثوب الاسود يستبين نسج خيوطه ونتوء ما نتأ منها وانخفاض ما انخفض فلولا انه يرى ما علم ذلك كله فالجواب وبالله التوفيق انا قد علمنا ان خطوط البصر تخرج من الناظر ولها مساحة ما وبعضها أطول من بعض بلا شك لان الخطوط الخارجة من البصر الى السماء أطول من الخطوط الخارجة من البصر الى الجليس لك بلاشك فاما خرجت خطوط البصر الى الثوب المذكور انقطع تمادي بعضها أكثر من تمادي البعض فبالحس علمنا هذا لالان بصرنا وقع على لون أصلا وأيضا فان النور هو اللون الذي طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى انه اذا وافق ناظرا ضعيف البنية بطبعه أو بعرض اجتلب جميعه واستلبه كله أو اقتطفه فعلى قدر قوة النور في اللون المرئي وضعفه فيه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكلما قل النور في اللون كان وقوع البصر عليه أضعف وكانت الرؤية له أقل حتى اذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل بالضرورة أن يمتد خطوط البصر اليه وأن يقع الناظر عليه اذ لا نور فيه ولا يختلف ذو حس في العالم في ان السواد المحض الخالص ليس فيه شيء من النور فاذ لا شك في هذا فلا شك في انه لا يرى وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان جبلا ذا لون ما وأرضا ذات لون ما وفيهما غاران مظلمان لا شك ان كل ناظر اليهما فانه لا يرى الا ما حول الغارين وانه لا يرى ما ضمه خط الغارين فاذ هذه كلها براهين ضرورية مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لا يعارضه برهان أصلا والبرهان لا يعارض بالدعوى ولا بالظنون والحمد لله رب العالمين وأما من كلام الله تعالى فالله يقول * ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها * وقوله تعالى * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا * فصح يقينا ان الظلمة مانعة من النظر والرؤية جملة وهو السواد بلا شك فهو لا يري ولا خلاف في أن البصر القليل يداوى بالثوب الاسود والقعود في الظلمة وليس ذلك الا لمنعه من امتداد خط بصره فيكل بامتداده وبالله تعالى التوفيق فان قيل السواد غير الظلمة قلنا انا نجد الارمد الشديد الرمد متى صار في بيت مظلم شديد الانطباق لا يدخله شيء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه ومتى جعلناه في بيت مضيء وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جداً اسود أمكنه فتح عينيه حسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه وكانت حاله في تغطية وجهه بذلك الثوب كحاله في الظلمة التامة سواء سواء وكذلك يعرض للصحيح البصر في الحالتين المذكورتين ولا فرق ومتى جعلنا على بصر الارمد ثوبا أبيض ألم ألما شديدا كالمه اذا نظر في الضوء ولا فرق فان جعلنا على وجهه ثوبا اصفر ألم دون ذلك وان كان أحمر ألم دون ذلك فان كان اخضر ألم دون ذلك على قدرهما في اللون من ممازجة البياض له فصح ان السواد والظلام شيء واحد وقال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة وهو لا يرى الان

الزنجى والغراب والثوب ليس شيء من ذلك اسود وكل ذلك يرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد الا انه سمى باسم السواد مجازا وقال بعضهم السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجى والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاما فان عنيت بالسواد لون الزنجى والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وان عنيت بالسواد الظلمة فهو لا يرى وقال بعضهم الظلمة لا ترى وليست سودا أصلا والسواد شيء آخر غير الظلمة وهو لون يرى وقال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بان الاعمى والاكمه والمفقوء العينين والمطبق العينين يري الظلمة

﴿ الكلام فى المتوالد والمتولد ﴾

(قال ابو محمد) الحيوان كله ينقسم أقساما ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضا فاما المتولد المتوالد فكبنات وردان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكالجعلان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكثير من الحيوان المتولد فى النبات وقد رأيناه يتسافد ومثل القمل فانا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانا ويحدث فى الرؤس وقد يتوالد وقد نجد بعضه اذا قطع مملوء بيضا وأما المتولد الذي لا يتوالد فالحيوان المتولد فى أصول أشفار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذوا رجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصلا ومثل الصفار المتولد فى البطن وشحمة الارض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغارا تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوءة ومنها الثلاندرية وهو حيوان كبير يشبه الجراذين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثلما كثيرا رأيناه فى الدوى والدفاتر وهو سريع المشي جدا ومنها السوس المتولد فى الباقلا والدود المتولد فى الجراحات وفي الحمص والبلوط وفى التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر وفى الكنف وهى ذوات الاذناب والحباحب المتولد فى الخضر وهو فى غاية الحسن ومنه ما يضيء بالليل كانه شرارة نار والدود ذوات الارجل الكثيرة والذراريح وهذا كثير لا يحصيه لا خالقه عز وجل ومنها الضفادع والحجازب فقد صح عندنا يقينا لا مجال للشك فيه انها تتولد فى مناقع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات أذناب تمشى عندنا ثم صح عندنا كذلك انها تكبر فتقطع أذنابها وتتبدل ألوانها وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبرا واستحالة ألوان فتصير حجازب

﴿ قال ابو محمد ﴾ قد رأيتها فى جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا فى مناقع المياه خطوط ظاهرة قيل لنا انها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عيانا تتناكح والانثى منها هي الكبار والذكور هي الصغار وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضا والكبار هى الاناث والذكور هى الصغار نشاهد ذلك بان الاعلى هو الصغير أبدا ونجد الانثى مملوءة بيضا اذا وضعت فتلقى بيضها فى القباب وفي خلال أجزاء الثياب ثم يخرج

(قال أبو محمد) وقد رأينا ذبابا صغارا جدا وذبابا كبارا مفرط الكبر وشاهدنا بابصارنا الدود الطويل الذنب المتولد فى الكنف وزبول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشا طيارا مختلف الالوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولازوردى منقط ولا ندرى كيف الحال فى العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر الا اننا ندرى ان دود الحرير يتوالد يتسافد الذكور منها والاناث وتبيض ثم تحضن بيضها هذا مالا خلاف فيه ومارأى أحد قط دود حرير يتولد من غير بيضه وكذلك النمل فانه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد فى مواضع من

بنائه في تضاعيف القبر الذى فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد
﴿ قال أبو محمد ﴾ وما رأى أحد قط نحلا يتولد ولا نملا يتولد ولا جرادا يتولد الا في اكذوبات لا تصح وأما سائر الحيوان فمتوالد ولا بد من مني أو بيض فكل ذى أذن بارزة يلد طائرا كان أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ما ليس له أذن بارزة فهو يبيض طائرا كان أو غير طائر كالحيات والجراذين والوزغ وغير ذلك .
﴿ قال أبو محمد ﴾ فطلبنا أن نجد حدا يجمع ما يتولد دون ما يتوالد أو ما يتوالد دون ما يتولد فلم نجد الا اننا رأينا كل ذى عظم وفقارات لا سبيل البتة الى ان يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذى له العظم والفقارات ورأينا ما لا عظم له ولا فقار فمنه ما يتولد ولا يتوالد ومنه ما يتولد ويتوالد معا وكل ذلك خلق الله عز وجل يخلق ما شاء كما شاء لا اله الا هو وليست القدرة في الخلق في خلق ما خلقه الله عز وجل حيوانا ذا أربع أو ذا ريش من بيضة أو من مني باعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة ولا مني ولا البرهان عن الصنع والابتداء في احداهما باوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقة وعلى عظيم القدرة من البارى لا اله الا هو
﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم انه يتولد في الثلج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل وانما قاسوه على تولد حيوان ما في الارض والماء والقياس باطل لانه دعوى بلا برهان وما لا برهان له فليس بشيء وبالله تعالى التوفيق
﴿قال أبو محمد﴾ واذا حصلت الامر فالحيوان لا يتولد من الماء وحده ولا من الارض وحدها ولكن مما يجتمع من الارض والماء معا فتبارك الله أحسن الخالقين لا معقب لحكمه لا اله غيره عز وجل *
تم السفر الثالث بتمام جميع الديوان من الفصل في الملل والاراء والنحل بحمد الله وشكره على حسن تاييده وعونه * وافق الفراغ منه في تسعة أيام خلت من شهر ذى القعدة سنة ١٢٧١ احدى وسبعين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له العز والشرف * على يد الفقير الى الله محمد بن موسى غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى اله وصحبه وسلم

﴿ يقول مصححه الراجي غفران المساوي * محمد محمد ماضي الرخاوي ﴾

الحمد لله الذي تفرد بالتوحيد وتوحد بالازلية والتأبيد وتمجد بالصمدانية وتقدس عن التولد والتوليد وجل ذاتا وصفة وفعلا عن الضد والشبيه والنديد خالق الخلق وباسط الرزق ومدبر الامور ومصرفها كيف يشاء ويريد بلا همامة ولا فكرة ولا ترو ولا ترويد القائم على كل نفس بما كسبت والرقيب على خلقه والشهيد الذي لا تنفد خزائن رحمته ولا يبيد ملكه ولا يعيد أحمده وأشكره وأتوب اليه وأستغفره وأساله اللطف بما جرت به المقادير وأصلي وسلم على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والناصر الحق بالحق والهادى الى الصراط المستقيم (أما بعد) فقد تم بعون الله سبحانه وتعالى طبع كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للامام أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم وان هذا السفر من أنفس الاسفار التي وضعت للبحث في الديانات والكتب السماوية وآراء الفلاسفة والخلاف بينهم وبين المليين والرد على منكري الالوهية ومعتنقي الاديان المخالفة لدين الاسلام وبيان ما طرأ على معتقداتهم من زيغ وتضليل ودخل على كتبهم من تحريف وتبديل . عني فيه مؤلفه رضي الله عنه بالبحث والتمحيص . وايراد الادلة والحجاج العقلية والنقلية التي تبت باجلى البراهين . وأدمغ الحجج حقية الشريعة المحمدية ووضوح محجتها وخلوصها من كل شوائب التغير والفساد ومتانة أصولها وبعدها عن كل ما ينافي التوحيد وعصمة الانبياء وسلامة نصوصها من كيد الكائدين وعبث العابثين وبهامشه كتاب الملل والنحل لابن بو الفتح محمد بن أحمد بي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني رضي الله عنهم جميعا ونفع بمؤلفاتهم جميع الملة الاسلامية ووفق أهل الزيغ والاهواء للدين الحنيف والملة السمحاء هذا وقد قام بشرح معضلات الفاظه وتبيين كلامه فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ عبد الرحمن خليفه المدرس بمدرسة ماهر باشا

وقد قام بطبعه حضرة الهمام السيد محمد علي صبيح وذلك بمطبعته الكائن مركزها بجوار الازهر الشريف بمصر وكان تمام طبعه وحسن تنسيقه ووضعه في أواخر شهر ربيع الثاني من شهور سنة ١٣٤٨ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية آمين

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل ﴾


Bibliotheca Alexandrina
06994730